٩٠٩
ب١٠م

البحر الزاخر، تاريخ العالم وأخبار الاوائل والأواخر، تأليف
محمود فهمي المصري (١٢٥٥هـ-١٣١١هـ). بخط المؤلف
١٣٠٩هـ.

ج٥، ٦في ٢مج (٤١٢+٥٩٨ص)، مسطرتها مختلفة، ٣٢٦٧ز
٣٣،٥×٢٠،٥ سم

نسخة حسنة، خطها معتاد، يشتمل هذان الجزءان على
الكتاب الخامس والثلاثين الى الكتاب الاربعين، طبع.

الاعلام ٨: ٥٧، ٥٨، بروكلمان/ملحق ٢: ٧٣٤

أ- تاريخ العالم ... محمود فهمي محمود فهمي المصري
-١٣١١هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ

(ت)

الرقم ٢٣٢٦٧

ف ١٨٦/١

٩٤٠٠ - ١١/٥

٩ ك ج
تاريخ البلاد...
من البحر الز...
محمود فاخر...

الكتاب الأربعون

اللآلى البهية تاريخ البلاد الهندية

الباب الاول

الفصل الاول

موقع الاراضى الهندية وسعتها ووصفها

الاراضى الهندية

الهند مملكة شاسعة واراضى واسعة ممتدة من وسط اسيا نحو الجهة الجنوبية الى المحيط الاوقيانوسى وتتركب من ثلاث جهات وجهتها الشمالية مركوزة على سلاسل جبال حماليا او إماليه ومعنى إما الثلج ومالى الجبل اى جبال الثلج ومعظم جهتها الغربية محترفة بخليج العرب وجهتها الشرقية محترفة بخليج بنغاله ولولاها محفوظة فى طول عموم حدودها بموانع طبيعية واستحكامات قوية بالجبال والمحيط الاوقيانوسى فانه موجود بمحو حدها الشمالى الشرقى وحدها المقابل له الشمالى الغربى دربان او بابان متقابلان اى فى تجاه بعضهما يوصلانها بالباقى من قارة اسيا ومحدودة فى الجهة الشمالية الشرقية بمملكة برما البودهيستيه وفى الجهة الشمالية الغربية بالممالك الاسلامية لافغانستان وبلوجستان ومن معابر ودروب الجهتان الشمالية الشرقية والشمالية الغربية انصب فى البلاد الهندية سيل جيشان من الناس المختلفة الصورة والجنس وتغلبوا عليها فى عصور مختلفة التاريخ ياتى ذكرها بعد وتمتد الاراضى الهندية من الدرجة الثامنة الى الدرجة السادسة والثلاثون من العرض الشمالى يعنى من المناطق الحارة لخط الاستواء الى مسافة بعيدة من المناطق المعتدلة اى فى داخل المناطق او المنطقة المعتدلة ومدينة قلقوطه عاصمتها واقعة على ٨٨ درجة من الطول الشرقى نحو ثم عندما تكون الشمس على سمت الرأس اى ان علامة فى وقت الظهر اوان ع اثنى عشر افرنكى فى انكلتره يكون وقت الغروب فى قلقوطه وطول الاراضى الهندية من الشمال الى الجنوب وكذا اكبر عرضها من الشرق الى الغرب نحوا من ١٩٠٠ ميل وطرفها الجنوبى المدور على هيئة شكل الكمثرى ينتهى فى رأس كومورين واضافت الانكليزية الى هذه الاراضى اثناء سعة الفاصة بتكاثرها واهلها مايقال له برما الحكم الانكليزية او البريطانية وهى منطقة من الارض واقعة على السواحل الشرقية لخليج بنغاله ومساحة الاراضى الموصوفة بالوصف المتقدم فى سنة ١٨٩١ بعد الميلاد ١٫٥٣٣٫٧٢٦ ميل مسطح ومقدار اهلها ٢٨٤٫٦١٤٫٢١٠ نفس ممن ثم تكون البلاد الهندية معادلة فى مساحتها وزيادة سكانها الى مساحة وسكان اوروبا واهلها ماعدا روسيا

تقسيم الاراضى الهندية

كوره جبال حماليا

وتنقسم الاراضى الهندية فى حد ذاتها الى ثلاث كور اصلية هى الكورة الجبلية والسهول النهرية والاراضى الجنوبية فاما الكورة الكورة الاولى فانها مقصورة فى جبال حماليا وفروعها ومنحدراتها الى الجهة الجنوبية وتتركب هذه السلاسل جبال من سورين من الجبال سيران بالتوازى لبعضهما تقريبا شرقا وغربا وبينهما واد والسلسلة الجنوبية من هذين السورين

جبلية بالصعود مع الانحدار من السهول الهندية الى ما ينوف عن ٢٠٠٠٠ قدم فى العلو
عن سطح مياه البحر او بارتفاع اربعة اميال وارتفاع اعلا سن فى هذه السلسلة هو
ارتفاع سن أفرِشت ومقداره ٢٩٠٠٠ قدم فوق سطح مياه البحر واعلا سن موجود على
سطح الكرة الارضية ثم تاخذ هذه الاسنان فى الهبوط نحو الشمال الى اعماق ومنحدرات واطية
جدا مرتفعة قيعانها بقدر ١٣٠٠٠ قدم فوق سطح مياه البحر ثم تاخذ السلسلة الداخلة فى
الصعود وهى السور الثانى من جبل حماليا الى ارتفاع متوجة فيه على الدوام بالثلوج ومن
ورا هذين السورين الحوض الكبير او خط الوديان التى منها تخرج انهار الاندوس
او السند والشوطليج ونهر براهمبوتره من بعد تجمع مياهها فيها اى فى الوديان وفى
الجهة الشمالية من هذه الوديان ترتفع صحون اراضى التِبِت بارتفاع ١٦٠٠٠ قدم
فوق سطح مياه البحر وتفصل جبال حماليا البلاد الهندية من الباقى من اسيا واسنان
هذه الجبال بين ارض التِبِت وارض الهند متوجة بالثلوج الدايمة ولها سفوح مايلة
او منحدرات نازلة بميول خفيفة تنزل مجمعات وكتل ثلوجها الى اسفل الوديان فهذه
الكورة الوحشية غير ممكنة العبور بالقوافل والناس فى كثير من جهات منها ولا يكون فيها
الا درب او معبر طرور اى جيش ما عيران بعض التجار المجاورين المجارحين يلبسون جلود
الاغنام وفراويها ويعبرون من معابرها ودروبها المرتفعة عن سطح مياه البحر بمقدار
١٨٠٠٠ قدم ومع اثار عظام البغال والسيسيات المرمية فى هذه الدروب تعرف دروب
الطرف والملك والبقر الصغير ذات الذيول الكثيفة الشعر الجارى فتقبله سنجق وشرايط
فى اوروبا مستقى فى جبال حماليا حيوانات لحمل الاحمال ويصعد بحمول ثقيلة مع الصبر على
ظهره فى هذه المرتفعات والدروب الصعبة الى الجهات اللازم ارسالها اليها وكذا الاغنام
مشغلة فى حمل البورق الى الاسواق القريبة للسهول وناخذ اصوافها وناكل لحومها
وبعض منها يسير الى الجبال الداخلة محملا باحمال السكر والاقمشة؛
وليست جبال حماليا متشكلة فقط السور المزدوج فى طول الجهة الشمالية من البلاد الهندية
بل وخارج من كل من طرفيها فروع جبلية نحو الجهة الجنوبية حافظة لحدودها الشمالية الشرقية
والشمالية الغربية فتتشكل هذه الفروع فى الجهة الشمالية الشرقية ما يقال له جبال ناجا و
باتكوى وهو الحد بين الاقاليم المتمدنة الانكليزية والقبايل الهمجية من برما وهذا الحد
مخروق فى ناحية بملتقاه بجبال حماليا درب واسع يخرج منه نهر براهمبوتره وينزل فى وادى
اسام وفى الجهة المقابلة او الحد الشمالى الغربى للهند تجرى الفروع الجبلية الى اسفل فى كامل طول
الحد البريطانى من جبال حماليا الى البحر متجهة نحو الجهة الجنوبية وتعرف بكوه صفيد وجبال
سليمان وجبال هالا واعلا سن مرتفع فى هذه الجبال بقدر ١١٠٠٠ قدم فوق سطح
مياه البحر الا انها مخروقة من الناحية من الجهة الجنوبية لجبال حماليا بدروب مفتوحة منها
درب خيبر وبالقرب منه يجرى نهر قابول فى البلاد الهندية فاما درب خيبر ودرب كورَم
فبينهما مسافة قليلة فى الجهة الجنوبية عن النهر ودرب جوكرى بالقرب من خور اسماعيل
خان ودرب بولان المشهور بعيد فى جهة الجنوب من الدروب الموجودة بين الهند وافغانستان
وكما ان جبال حماليا اسوار استحكامات حربية معدة لحماية البلاد الهندية من الاعداء فهى ايضا
منبع الغذا والثروة لعموم الهندية فانها محل تجمع وتخزين للمياه اللازمة لسهولها الحارة
الموجودة فى اسفل هذه الجبال الوعرة وذلك انه فى مدة فصل الصيف تتبخر كميات وافرة
من مياه البحور الموجودة تحت المنطقة الحارة وتتجمع هذه الابخرة فى هيئة سحب وتجرى
بها رياح الادوار المنتظمة من مواسم الرياح الى الجهة الشمالية من الجهة الجنوبية فى شهر يونيه
وتطرد هذه الرياح الدورية امامها السحب الى جهة الشمال حتى تعبر عرض بلاد الهند

الهند وتتشكل احيانا فى صورة مواكب طويلة من السحاب تشبهها الشعرا بمواكب طيور
كبيرة بيضا واحيانا فى صورة عواصف امطار شديدة تقلع الاشجار والاورمانات وتهدم
سقوف مساكن القرى وتعم الاراضى والغيطان بكثرة زيادة مياهها فاما السحب التى لم تسقط
امطارا فى حال سيرها وعبورها من فوق سطح ارض الهند فانها تصدم فى اخر سيرها جبال
حماليا فتتوقف هذه الجبال سيرها نحو الجهة الشمالية فاما ان تسقط امطارا على سفوحها
او تتجمد فى صورة ثلج فى وقت سيرها واجتيازها فى عبورها الى المرتفعات الداخلة
ويعبر القليل من هذه السحب ورا هذه الجبال حتى ثم فى حالة ما يسقط فى جهاتها الجنوبية
اشد الامطار واتقلها فى الدنيا وشبيها ان سريعة الجريان الى الانهار الهندية فان السهل
الاعظم من بلاد التبت فى الجهة الشمالية لا يكون فيه الامطار قليلة جدا وتنزل فى شيرى
بنجاب ٥٢٣ اصبع من الامطار سنويا مما يعدان تر السحب فى مبارى امرها من على جبال
اسام وفى واحدة من السنين وهى سنة ١٨٦١ بعد الميلاد قيل انه نزل فيها من الامطار
٨٠٥ اصبع منها ٣٦٦ اصبع نزلت فى شهر واحد وهو شهر يونيه من هذه السنة
مع انه سقوط الامطار فى لوندره سنويا مقداره قدمان وفى سهول الهند من قدم
واحد الى سبعة اقدام واما فى بنجاب فانه ثلاثون قدما وهو مقدار كاف لحمل وسباحة
اكبر مركب او وابور حربية وفى سنة من السنين سقط فيها سبعة وستون قدما من الما من
السحاب وهذا القدر كاف لغرق بيت مركب من ثلاثة ادوار شاهق فى الجو فيتولد
من هذه الامطار الثقيلة الساقطة على السفوح الجنوبية لجبال حماليا كثرة الخضرة ونظم
روينها لنا ظاهرا ان سلاسلها العالية مركبة من حاجز اوسد مكون من كتل شعثوث الصخور
وفى الاراضى الواطية اورمانات عميقة وفى المنطقة الرطبة المنخفضة فى ذيولها المساة
طاراى اورمانات خبيثة غير موافقة جدا للصحة مسكونة بقليل من القبايل الهمجية والحيوانات
المفترسة الوحشية وينبت فى سلاسلها الشرقية كثير من اشجار مختلفة الجنس متكاثفة على بعضها
والغاب الهندى وكثير من النباتات المتشكلة فى صورة اورمانات يظهر عليها فى فصل الربيع
لمن يشاهدها وناظرها الوان الازهار حمرا ونفتة ومنها سدر او دردار حماليا فى هيئة
اجسام عظيمة ظريفة الشكل وفروع الاشجار مغطاة بالطحلب ونباتات زحافة المساة بنبات
العليق وفى فصل الخريف يوجد فى جهات سفلى من هذه الجبال خطوط وميادين من مزارع
الذره الحمرا والصفرا واجود محصولات جبال حماليا خشب الصناعة والفحم والشعير والذره
من اختلاف اصنافها وتزرع فى الوديان الحارة وفوقه مدرجات تستغلها المزارعين على هيئة
درجات سلالم فى سفوح الجبال وكذا البطاطس والعسل وفى منحدرات هذه الجهات الوعرة
مدقات وطرق رفيعة للبغال والسيسيات المارة بحولها الجهات بتوجهها ومع البغالة اربعا
من اهم حاملين فوق روسهم مقاطف وقفوط وشنطات ملونة بالحبوب من اجل بيعها فى
اسواق الجهات القريبة منهم
تتولد من زيادة نمو اثمانه الاخشاب فى نواحى ارض السهل تجريد الكثير من الجبال والتلول
من اورماناتها حتى ثم تنزل مياه الامطار بسرعة من فوق سفوحها ولا يحصل نمو اورمانات
جديدة وكذلك حقول زراعة البطاطس التى ورد الى الجهات الهندية من نواحى انكلتره سببا فى
كسر وازالة اورمانات خشب الصناعة وان الجبليين يظنون غلطا ان ازراعهم اللازم
لعليهم زراعة البطاطس فيها بحرقهم وابرجذور الاشجار الجيدة وصحوبة الجبل على هيئة
بشطات او بسط من اجل زراعة البطاطس فيها وفى ظرف بضع سنين سقطت اوراق الفروع
وحرقت قشورها وابيضت اشجار الاورمانات وعدمت وبعض الاشجار منها بعد سقوط غصن
فى الارض وبعضها مازال باقيا جذوعه وفروعه بيضا من دون اوراق وقشور فى اغوارها

حلت مزارع البطاطس محل الاورمانات والغابات وسار على منوال هذه الطريقة كثير من
حكام القبائل الجبلية ووسعوا اراضي فلاحتهم ومزروعاتهم والاراضي التي لا يمكن
حراثتها بالمحاريث والمواشي حرقوا اورمانها وحولوها بطريق العزيق الى اراضي
قابلة لزراعة عدة اصناف متعاقبة ورابعضها في كل سنة وكلما نبتت فيها الاعشاب
والجذور حرقوها واصلحوها للزراعة وكان ذلك مبدا التقدم في الزراعة في البلاد الهندية
وحلت اصناف المزروعات محل الاورمانات

انهار جبال حماليا

ثم ان الحالة المخصوصة في جبال حماليا كونها تبعث مياه الامطار الساقطة عليها في
سفوح جهاتها الشمالية وسفوح جهاتها الجنوبية الى سهول الاراضي الهندية لانها مشكلة
كما ذكرنا سور مزدوج خلفه وادي عميق او حوض تتجمع فيه مياه الامطار الساقطة على
هذه الجبال وحتى ان الامطار الساقطة التي تنزل خلف مرتفعاتها البرانية او الجنوبية
فانها ترجع من فوق مرتفعاتها الشمالية والداخلية وتنزل في حوض او وادي خلف
هذه الجبال فمن الثلاث انهار الكبيرة الموجودة في الاقاليم الهندية اثنان هما نهر
الاندوس او نهر السند ونهر براهمبوطره ياخذان منبعيهما من حوض او مخزن المياه
الموجود في الجهة الشمالية من السور المزدوج لجبال حماليا واما الثالث وهو نهر الكنكا
او الجنج فانه ياخذ مياه مجراه من سفوح هذه الجبال

السند ونهر السوطليج

ياخذ نهر السند او الاندوس وفرعه الكبير نهر السوطليج وكذا نهر براهمبوطره منابعها من
جهات قريبة من بعضها بعضا واقعة في خزانات او حياض متصلة ببعضها منفصلة من
الاراضي الهندية بحاجز جبال مرتفعة بمقدار ١٥٠٠٠ قدم عن سطح مياه البحر المالح فاما
السند والسوطليج فانهما يجريان في مبدا امرهما الى الجهة الغربية ثم ينعطفان الى الجنوب
ويتولان من معابر في جبال حماليا ومن بعد ان يجريا في ارض بنجاب مسافة قليلة يلتقيان
ويجريان في مجرى واحد ويصب في بحر الهند من بعد قطع مسافة طولها ١٨٠٠ ميل

نهر براهمبوطره

واما نهر براهمبوطره فانه يجري الى جهة الشرق خلف جبال حماليا حتى يخرج من معبر
منفتح في منحدراتها في الجهة الشمالية الشرقية في قرية اسام ثم ينعطف الى
الجهة الغربية ثم ينعطف ثانيا الى الجهة الجنوبية ومن بعد ان يجري في طول مسافة قدرها
١٨٠٠ ميل مثل نهر السند يصب في خليج بنغاله ولو ان كلا من نهر السند ونهر براهمبوطره
ياخذان منابعهما من جهات قريبة جدا من بعضها وراء جبال حماليا ويجريان في جرايتين
متساويتين تقريبا في الطول فان فميهما بعيدين عن بعضهما بمسافة ١٥٠٠ ميل في
ناحيتين متقابلتين في محيط جزيرة الهند ولكل منهما سر خفي في كيفية تكوينه في الحوض
او الخزان الكائن بين السورين الجبليين من قبل خروجهما من الجبال الى الارض السهلة
وطريقة جلبها المياه الجارية الى السهول الهندية من المهابط الشمالية لجبال حماليا وفي
الواقع ولنفس الامر فانه لحد الان ما حصل الكشف بالدقة على معرفة منابع نهر براهمبوطره
ويطلق على مسافة من مجراه مقدار طولها ١٠٠٠ ميل وراء جبل حماليا اسم سانبو ومتى
خرج من الجبال الى ارض الهند اطلق عليه اسم براهمبوطره وهو اسم سنسكريتي معناه
ابن براهمه او الالة براهمة

نهر الكنكا او الجنج

واما نهر الكنكا او الجنج او الجنجز وفرعه نهر جمنه فانهما يجمعان مياههما من السفوح
والمنحدرات الجنوبية من جبال حماليا وتلتقي مياههما بمياه نهر براهمبوطره عند قربهما
من البحر ومن بعد ان يجري نهر الكنكا مسافة ١٥٠٠ ميل يصب في خليج بنغاله من
مجاري كبيرة وفروع ضخمة

الكورة الثانية او السهول النهرية

فتكون السهول الواسعة المسقية بمياه انهار جبال حماليا الكورة الثانية من الثلاث كور
التي انقسمت بها الاراضي الهندية وتمتد من خليج بنغالة في الجهة الشرقية الى المحيط في
الجهة الغربية وتشتمل على الاقاليم الاكثر خصوبة وثروة وعمارا بالاهالي والسكان في

في المملكة الهندية وتوالت عليها حكومات الفاتحين من واحد الى اخر من الازمان القديمة
جدا واخضعوا جهاتها من الدروب والسكك الموجودة في ناحيتها الشرقية الشمالية والشمالية
الغربية وتتبعوا مجاري الانهار وافتتحوا مع النواحي القديمة الجنوبية نحو البحر ويوجد في
هذا الوقت الحالي نحو من ١٥٠ مليون من النفوس عائشين في هذه السهول النهرية
وفي طول الانهار في الاقاليم والايالات المعروفة بايالات بنغاله السفلى واسام و
اوده والاقاليم البحرية الغربية وبنجاب والسند وراجابوتانه او راجابوتانه
وايالات اخرى محكومة بعائلات من اهل البلاد الهندية فاما نهر السند فانه يجلب مياهه
من جبال حماليا الى جهاتها الغربية وبراهمبوطره الى جهاتها الشرقية ونهر الكنكا وفروعه
الى الكورة الوسطانية ويجري نهر السند مباشرة نحو الجهة الجنوبية من بعد خروجه من
جبال حماليا ومن بعد ان تجتمع مياهه مع مياه خمسة انهار بنجاب فانه لا يمده من بعدها
نهير او فرع اخر وتمتد الصحراء الكبيرة لايالة راجابوتانه من ساحله الايسر واما
براهمبوطره في الجهة الشرقية من السهول فانه من بعد خروجه من جبال حماليا يجري في وادي
اسام القليل العمران ويوجد في القسم الاسفل من مجراه وعند قربه من نهر الكنكا كثرة
وجود السكان والعمارية على شطيه ويجري نهر الكنكا وفرعه الكبير نهر جمنه في مسافة
نحو ١٠٠٠ ميل بالتوازي لجبال حماليا ويمده منها فروع جمة العدد ويحمل مياهه التي من
اقصى شمال الهند من اجل ري الاراضي وخصوبتها ولهذا النهر وفروعه احترامات مقدسة
عند الهنود لا يمكن حصرها وذلك ان منابعها في الجبال مقدسة لحد الان ومحل اتصال نهر
الكنكا ونهر جمنه في نقطة او مدينة الله اباد محل مقدس يزوره سنويا الوف من الزوار
وتعقد محافل وجمعيات ديانية في كل سنة في شهر يناير فوق جزيرة صاغار وكان
النهر في الزمن القديم يصب في البحر من عندها والاستحمام في مياه نهر الكنكا يمحو الخطايا
والذنوب ما تقدم منها وما تاخر وفي حال موت المتدينين من الهنود يوصون برمي رماد
حريق اجسامهم في مياه النهر من اجل حمله بواسطة هذه المياه الى البحر المحيط وعلى نهر
الكنكا مدائن زاهرة كبيرة عامرة منها قلقوطه وباتنه وبنارس مبنية على شواطيه
واكره ودلهي على شاطئ فرعه جمنه ومدينة الله اباد في ملتقى الكنكا بفرعه جمنه

الشغل المتولد من الانهار

ولاجل فهم السهول الهندية يلزمنا ان نتصور اولا الشغل المتولد من هذه الانهار الكبيرة
لان الانهار اصلا في تكون الاراضي ثم خصوبتها ثم اخراج منها محصولاتها وان السهول
في جهات كثيرة منها ارتفعت ارضها اما بقوى كبيرة بركانية او برواسب مائية في
تواريخ عديدة قبل وجود الانسان على الارض بمدة طويلة وتكون بعض جهات منها من
الرواسب الطينية التي تحملها المياه في اثناء مجراها من الجبال ومن ثم يمكننا ان نعرف في هذا
الوقت كيفية تكون الاراضي السهلة من القدم فان النهر الاعظم مثل نهر الكنكا في بنغاله
يوجد فيه خاصيتان مشهورتان في جريانه من جبال حماليا حتى يصب في البحر وذلك انه
خاصيته الاولى في مدة جريانه فانه يجري في فيضان وريان ويتلقى من شطيه مياه فروع
مشحونة بالطين والعكار ويجري باحجام كبيرة من المياه والرواسب الطينية وعند
ما يصل الى بنغاله السفلى تتولد منه خاصيته الثانية وهي خفة سرعة تياره من كثرة توزيع
مياه في الخلجان وفيضانها على السهول ورسوب ما بها من الرواسب على الارض في كل من جهتي
شاطئ النهر وخلجانه ومن ثم كان تشكيل الاراضي المنحطة او الدلطات في بنغاله في جهة
مصاب نهر الكنكا بكون جريان الانهار الواردة من المرتفعات عند عبورها المفازات وفي
الاراضي السهلة لا يكون لتيارها طاقة بسبب نقص سرعة مجراها على حمل الرواسب الطينية
او المواد الرملية التي فيها احمل انهارها الى الجهات السفلى من الجهات الشمالية من الهند فترمي
احمالها من الرواسب في خلجانها او على شواطيها وتشكل هيئات جزاير وترتفع فروشها

على التدريج فوق الاراضي المحيطة والسهول المحيطة بها وبهذا تتحول انهار وخلجان كل قطعة الى ارض مرتفعة وعروشات عالية تغمر شواطئها المياه في مدة حصول الامطار وزيادة مياه الانهار وترمى ماجرها من الرواسب الطينية على ارضها الواطية في كل جهاتها وبهذا جاري يتيسر الحصول على الوقت من الاجيال المنطمرة من الاراضي في بنقاله الحجم السفلي مكتسبة بطبقة جديدة من الارض مجلوبة اليها من تيارات الانهار الجارية على مسافات بعيدة من جبال هماليا من دون كلفة او مصاريف وهي ايضا طرح سماد للاراضي تنجح به المزارع من اصناف المزروعات وتكون ايضا اراضي في شواطي البحر الملح

تولد الاراضي بواسطة الانهار

ومن حيث ان الانهار تجرى حتى تصل الى الدلتات فان عروشاتها تجف وتجد شيا فشيا وترتفع فوق السهول المجاورة لها ولكل مجرى خليج جهات على شواطئه راكدة فيها مياه فمن ثم كافة الاراضي المنحطة من الدلتا الواحدة تكون واقعة بين مجاري الانهار وبعضها فمن تواردت مياه الانهار في هذه الجهات الواطية الراكدة فيها المياه ترتفع شيئا فشيئا على التدريج مع رواسب المواد الطينية فيها لان المياه الواردة الى هذه البرك من الانهار يكون لونها احيانا اصفر من وجود الطين او الرمل المحمول معها من جهات ورودها ولما تمكث بعض ايام في البرك تحل محلها مياه فيضان الانهار فتسيل هذه المياه من بعد تركها ما كان فيها من الرواسب في قاع البرك الى مجاري الخلجان بلون مائل للسواد والاخضرار وبهذه الحالة يتكون على التدريج اراضي جديدة

لزمام الانهر

يتولد في اخر مجرى كل نهر من الانهار الهندية وغيرها اورمانات وصحاري وبرك و مستنقعات في نهايات الدلتات وفي اخر هذه تنزل الخلجان والانهر في البحر وينقطع شقها من تكوينها اراضي مزارع او بها وتتصادم تيارات الانهر بمياه البحر فيرسب ما بقي فيها من الرواسب في افواهها ويتكون منها في داخل مياه البحر هيئة خطوط وحواجز مرتفعة عن الارض وكذا تقف تيارات البحر الاوقيانوسي بواسطة المياه الدائمة من الانهر فترمي ماجرها من حمول الرمال في طولات حل ومن ثم في حالة تقدم الحل في البحر مع رواسب الانهر تتشكل الجزاير حول مصاب الانهر من الرمال الموجودة في مياه البحر الاوقيانوسي ومن ذلك تتحد الطريقتان في تكوين الارض

اعانة الانهر في ... وسلك العبور

وعلى حسب ما ذكرنا لا تكون الانهار الكبيرة الهندية معدة فقط لتكوين اراضي جديدة بتكوين جزاير في عروشاتها او بملء الجهات الواطية او البرك الموجودة على شواطيها بما فيها من الرواسب بل ولتشكيل جروف ورؤس واراضي في جهات مصبانها وانها تولد دلتاتها على التدريج بطردها مياه البحر الى وراء وتنشي الاراضي التي تكونها بهذه المثابة فانه جهات مجاريها السفلى يتولد من انتفاخ وعلو مياهها فيضانا لري عمومي طبيعي وسماد لزراعة الارض وفي الجهات العالية من مجاريها يصير جرها بحواجز صناعية يستغلها الاهالي ويسوق مياهها بترع وخلجان الى غيطان وارض المزارع ويصنع الاهالي فيها سفن كبيرة وصغيرة الحجم ويشحنها بمحصولات الارض ويجعل الانهر طرق سلطاني من اجل حمل هذه المحصولات الى المداين والمين البحرية واستعمال الانهر في سهول بنقاله كاستعمال العروق والشرايين في جسم الانسان

الدمار المتولد من الانهر

وكما ان الانهر سببا في وجود العمار فهي سببا ايضا في الدمار والخراب مما يحصل فيها من شدة انتفاخ مياهها وكثرة فيضاناتها ومن النادر في البلاد الهندية وجود سنة من دون ان يحصل فيها طوفان من مياه فيضان الانهار يكتسح الاغنام والمواشي واشوان الحبوب ويخرب المساكن والبيوت المقيم على سطوحها اهلها وسكانها وتؤول حالتهم الى العدم والتلف فاما في الجهات العالية من مجاريها المتوفر منها مياهها بواسطة ترع لري الاراضي فانه انواع الحميات تتولد فيها من كثرة وجود الرطوبة وتكثر بها الامراض ومن اسفل منها تنز المياه من فوقه سطوح الانهار وتفيض بكثرة على سطح الارض من بعد تركها فروشها القديم وبحث نقلها

لنقلها من مجاري تجرى فيها يحتمل ان تكون بعيدة بمسافة طويلة من الاجيال وفي اثنا حالة هذا التغيير تفقد الاراضي وتهدم القرى والعزب الواقعة في طريق مرورها وتنظر اهل بنقالة وارباب الاراضي والاملاك نظر الحزين الذي لا مسعف له ولا معا عند حالة املاكهم واراضيهم وتحويلها من حالة ارض مزارع الى حيدان واعماق عميقة تجرى فيها المياه ثم تؤول الى عروشات انهار وحتى في مدة عدم فيضانها فانها تهدل جروفها من جهة وتقف اراضي في شط وتشكل او تكون خلوفها في الشط الاخر وتكون سببا في نقص اراضي اصحاب املاك في جهة وزيادة اراضي في اخرى من تركها جروف وتحويل مياهها على هدل جروف اخرى وفي كل زيادة وفيضان في انهر بنقالة تحصل هذه الحوادث وما كثرة سرعة تيارات مياهها ربما تترك مجاريها القديمة وتكون جزاير جديدة وما ثم خرب الكثير من المداين القديمة التي كانت مشيدة على شواطيها وكان لها تجارات كبيرة وغاصة باهلها

مواسم الزراعة في السهول الانهرية الشمالية

ويوجد في السهول النهرية لارض بنقالة موسمي زراعة وفي بعض اقاليم ثلاث مواسم تحصد في سنة واحدة او في كل سنة وذلك انه في كثير من الجهات يزرع في الغيط الواحد زرعتان في ظرف اثنى عشر شهر فانه اصناف الحمص والبسلة وابزار الزيوت وخضارات من اصناف مختلفة تحصد في فصل الربيع والارز البدري في شهر سبتمبر والموسم الكبير للارز وحبوب اخرى في شهر نوفمبر وقبل جمع محصول هذا الموسم الاخير يوجد وقت لاستقرار الارض وتجهيزها لموسم الربيع ولا يكون للمزارعين اولى وقت يا قدونه فيه لانفسهم راحة سوى مدة اسابيع الحر في شهر مايه ينتظرون فيها مع التلهف ورود الامطار واما الكوال الشمالية الجافة الموجودة في طول المجاري العالية للانهر فانها مستحوذة بغيطان وسهول خصبة من ابتداء شواطي هذه الانهار وتنتشر فيها القرى والبلدان المزينة بالاشجار المثمرة ويوجد فيها البكاث وغابات اشجار المنجو معطرة بروايحها نسيم الهوا في مدة فصل الربيع ووفرة ما يجنى ويؤخذ من اثمارها في مدة فصل الصيف وكذا شجر البايبان ذات الجذور الضخمة المعلقة في فروعه وشجر البيپال العظيم ذات الاوراق الخضرة واشجار القطن الحالي عن الورق المحمل بازهاره واشجار التمر هندي واشجار البابول السريع النمو في نفسه كل هذه من محصولات السهول الشمالية النهرية وكلما قربت الانهار من السواحل ظهر لنا ظل اشجار النخيل بوفرة

الزراعة في الدلتا

الاوريطا هي ال...

ثم ان النظر المعتاد في الدلتا لا يرى الا صفا ذات مزروعة بالارز محفوف حولها بمزارع العاب الهندي وشجر النارجيل والاريكا واصناف نخيل اخرى وكل شيء اخضر من الاشجار ويظهر للناظر او الراي في مبادي نظره ان هذه الجهة الغاصة باهلها عبارة عن سواد من قرى لان كل مزرعة مختفية في وسط غراسها من الموز والاشجار المثمرة ففي جهتها الشمالية يزرع من الحبوب الاصلية القمح والشعير والذره وانواع الدخن وتكثر زراعة الدخن بها لان عليها مدار غذا الاهالي واما الارز فانه يزرع ايضا بكثرة وهو طعام الاغنيا وغذاهم هذا في الجهات العالية من مجاري الانهار واما في الدلتا فانه زراعة الارز كثيرة وهو الغذا العام للاهالي واصنافه المعروفة عند اهل بنقالة تفوق عن ماية صنف وفي كل من النواحي الشمالية والجهات الجنوبية يزرع قصب السكر وابزار الزيوت والقطن والدخان والنيلة وكثير من اصناف البهارات وانواع الصباغات وزراعة الشاي موجودة على كثير من ظهور سلاسل الجبال المتاخمة للسهول وعلى الخصوص في جهة اسام وزراعة الخشخاش او ابو النوم او الافيون موجودة في الجهات المتوسطة من نهر الكنك حول مدينة بنارس وباطنه ويوجد كثير من اشجار التوث غذاء دود القز في اسفل ارض بنقاله وكذا توجد اشجار النيل او العنب الهندي في نواحي الدلتا ويخرج من الاورمانات انواع مصبغات الحرير وعمل العموم

فانه اصناف محصولات النباتات الكافية لغذا وملبوس الاهالى ولهم القدرة على التجارة بها
مع الامم الاجنبية موجودة بوفرة

الصورة الثالثة للصحن الجنوبى

بما اننا تممنا القول على الاوصاف الرئيسة لجبال هماليا فى الجهة الشمالية وعلى السهول النهرية
الكبيرة الموجودة فى ذيولها فنشرح الآن القسم الثالث من الاراضى الهندية المسماة
بالصحن ذات الثلاث جهات الذى هو النصف الجنوبى من البحث جزيرة فنقول ان هذه
الجهة معروفة من قديم الزمان باسم دكهن يعنى الجنوب او الهند الجنوبى وتشتمل على
الاقاليم الوسطى وبيرار ومدراس وبمباى واراضى الايالات الوطنية لنظام الملك
وميسور وسندهيا وهولكار وممالك الزامية اخرى ومدرجاتها او سفوحها من
ابتداء الحرف الجنوبى او الظهر او حرف السهول الكنكية وفيها جبلان مقدسان احدهما فى
الجهة الشرقية والآخر فى الجهة الغربية وبينهما سلاسل مختلطة على مسافة ٨٠٠ ميل بين
الجبلين فيوجد فى الطرف الغربى جبل آبو المشهور بهياكل ومعابد جاين العظيمة
البناء والمرتفعة بقدر ٥٦٥٠ قدم فوق سهول راجپوتانه مثل جزيرة بارزة فى البحر
وسلسلة جبل اراولى وجبال وندهيا وسلاسل جبال ساتپوره وكما تمور مع مرتفعات
جهات اخرى تجرى قاطعة للارض نحو الجهة الشرقية حتى تتصل بوادى الكنك ويطلق
عليها اسم باراسناط وفى الجهة الشرقية جبل باراسناط ايضا مقدس باثار وبقايا
جاين وفيه معابد جاين مرتفعة بقدر ٤٤٠٠ قدم عن توازن السهول الكنكية

منظر الصحن الجنوبى

شكل الثلاث المختلفة هذه نحو السور الشمالى والدعائم المستور عليها الصحن الوسطانى
وهى الان محروقة بالسكك والطرق والسكك الحديدية وكانت فى الازمان الغابرة حواجز
جبلية واورمانات مخيفة بين الهند الشمالى والجنوبى وبها كانت حاصلة الصعوبة والمشقة
فى جمع كافة الاراضى الهندية فى جامعة واحدة تحت حكومة ملك واحد وهذا الصحن ذى
الثلاث جهات او نواحى يتركب من اورمانات مهولة وسلاسل جبال وجروف واسنان
منقطعة بوديان منزرعة وسهول مرتفعة وتعرف جهتيه الشرقية والغربية باسم
غات وهى لفظة معناها شاطى نهر منحدر او درب جبل منحدر فاما الغات الشرقى فانه
عبارة عن فروع وسلاسل جبلية تجرى الى جهة مدراس واحيانا تنعطف الى داخل الارض
وتترك بينها وبين الساحل سهول عريضة من الارض واما غات الغربية فانها تشكل
سور كبيرا تحت على ساحل البحر فى محالة بمباى بينه وبين ساحل البحر حزام ضيق
من الارض وترتفع فى بعض جهات فى صورة منحدرات والسنة داخلة فى البحر ترى للناظر
اليها من البحر كانها مدرجات من سلالم صاعدة فى الجو ويلتقى الغات الشرقى والغات
الغربى فى زاوية بالقرب من راس كومورين وبملتقاهما تتم الثلاث اضلاع او جهات
الصحن فالهضبة الداخلة واقعة تحت خط الثلج بكثير وارتفاعها عن سطح البحر يختلف من
٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ قدم وجبالها المشهورة هى الجبل الازرق الموجود فيه عاصمة مدراس
الحارة الصيفى اوتكمند وارتفاعه فوق سطح البحر ٧٠٠٠ قدم واعظم سن فى
العلو هوس دودابيته وارتفاعه ٨٧٦٠ قدم فوق سطح البحر واقع فى الطرف
الجنوبى من ايالة ميسور

انهار الصحن الجنوبى

نزول هذه الكورة المرتفعة الى سعة فى السعة مياهها على الخصوص الى الجهة الشرقية وان
جريان المياه من الجهة الشمالية او من سلسلة جبال وندهيا نصب جميعها فى نهر الكنك
فاما نهر نارباده فانه يجرى فى طول القاعدة الجنوبية لجبال وندهيا ويجرى بالمياه
النازلة منها من جهتها الغربية الى خليج كمبايه ويجرى نهر طابطى بالتوازى تقريبا لنهر
نارباده الى جهة الجنوب قليلا ويحمل الى خليج كمباية المياه النازلة من جبال ساتپوره
واذا سرنا من هذه النقطة نحو الجنوب فان القاع الغربى يرتفع فى هيئة حاجز شامخ
لا يمكن كسره بين ساحل بمباى ومياه الصحن الداخل فمن ثم تصنع مجرى المياه طريقا لها

لها من سلاسل الجبال بدل ان تعبر ارض الهند مباشرة الى الجهة الشرقية وتنزل هاجزة فى
الوديان الكائنة بين تلك السلاسل الى ان يسقط المطر المتولد من رياح البحر الواردة من
جهة بمباى على جبال غات الغربية ثم ينصب اخيرا فى خليج بنغاله ومثل هذه الطريقة تجرى
الثلاث انهار الكبيرة لعمالة مدراس وهى نهر جوداورى ونهر كريشنه ونهر كاويرى
من بعد ان تاخذ منابعها من الجبال المطلة على ساحل بمباى وتعبر كافة عرض الصحن الوسطى
من قبل ان تصل الى البحر المحيط فى السواحل الشرقية من الهند

اورمانات الصحن الجنوبى

ذكر فى الاشعار السنسكريتية القديمة ان الصحن الجنوبى مدفون تحت اشجار الاورمانات
ومن هذه الاشجار شجر الساج والابنوس والسوسن وشجر الجوز واشجار اخرى مازالت موجودة
بوفرة وجبال الغات مغطاة بنباتات ظريفة واشجار صغيرة ثم تولد من الفلاحة الارض
وزراعتها تتزحزح الاورمانات والغابات الى الجبال والتلول المتروكة الخلفية وانتشرت
غيطانه مزارع القمح واصناف الذرة والدخان والقطن وقصب السكر واجناس الحمص
على الاراضى التى حصل تنظيفها وازالة الاورمانات منها ويضرب المثل الان بخصوبة الاراضى
السوداء الواقعة فى الهند الجنوبى ووفرة محصولاتها وان الاراضى الواطية الموجودة بين
جبال غات والبحر اعظم بكثير من اراضى بنغاله السفلى فى اثمار نخيلها ومواسم ارزها و
عظيم توالى مواسم مزروعاتها ومع هذا فان الصحن معرض للخراب ودبر الاهالى
لانفسهم عدة طرق لرى الاراضى اخترعوها فمنهم من يسقى الارض بواسطة مياه آبار
محفورة فيها ومنهم من يروبها ويسقيها بواسطة خزانات او حيضان صناعية اقاموها
فى افواه الوديان الترابية فيخزنون فيها مياه الامطار الواردة اليهم فى ظرف بضع
شهور من الرياح الدورية التى تهب من الجهة الشمالية والجنوبية وتستعمل المزارعين
هذه المياه فى مدة السنة الواحدة والغذا العام عند اهل البلاد الارز واصناف
الذرة ويقصد بانهم الاصلية القطن والقمح

معادن الصحن

ويوجد زيادة على ذلك فى ثلاث جهات الصحن وفيما بين الفروع الجبلية الى جزء منها
المعادن الغنية للهند مختفية فيها فانه معدن الفحم الان صار له تجارة عظيمة سواكانه فى
السلسلة الشمالية الشرقية ~~لبنغاله~~ للصحن فى حدود بنغاله او فى وديان الاقاليم الوسطانية
وظهرت عروق الحديد والبتر والحجر الجيرى واما النحاس والمعادن الاخر فهى موجودة
بمقادير قليلة والماس جولكنده مشهور من قديم الزمان ويستخرج تبر الذهب
من مدة قديمة من فروش كثير من الانهار وجارى الاجتهاد فى استخراج معادن الذهب
حسب القواعد العلمية فى نواحى مدراس وميسور

برما الانكليزية

واما برما الانكليزية التى اضافتها الانكليز الى المملكة الهندية فانها مقصورة فى الوادى
الاسفل من نهر ايراوادى مع الدلتا التابعة له وحزام من ساحل البحر فى طول الجهة
الشرقية من خليج بنغاله وممتدة من الشمال الى الجنوب فى شرقيها نهر ايراوادى وفى
غربيها البحر وسلاسل جبال تحت تجرى فى وسطها وتعرف هذه الجبال باسم جبال
يوما مغطاة باورمانات كثيفة وتفصل وادى ايراوادى عن الحزام الواقع على الساحل
وبواسطة جريان مياه النهر متوار اخشاب الصناعة بوفرة من برما العليا وبالقرب
من ساحل البحر توجد خيران وجزوز فى الارض بكثرة وهذه وعموم الارض السهلة
الموجودة على الساحل وعلى نهر ايراوادى متولد منها غيطانه مزارع ارز واسعة وزراعة
الدخان موجودة فيها بكثرة ويصنع منه صنف السيجار الرفيع التى اهل برما رجال ونسا
يعقدونه فى شربهم وكذا يرسل الى برما اوراق الدخان بكميات ومقادير وافرة من
مدراس الى برما وتنقسم برما الانكليزية الى ثلاثة اقسام او اقاليم الاول قسم اركن

او حزامات من الشمالى وبيغو او وادى نهر اروادى فى الوسط وطنشرين او
الناحية الصنيفة السـاحلية والجزاير الموجودة فى مصب نهر اروادى ويوجد فى اركان
وبيغو منابع الزيوت المعدنية واما طنشريم فيوجد فيها معدن الصفيح بوفرة وعروق
الحديد والبتر والذهب فيها قليل الوجود وكذا النحاس والحجر الجيرى موجود فى عموم فروع
سلاسل جبالها وصدرات هذه الجهة اخشاب الصنعة واصناف الارز والارز هو
الغذا العام لاهل برهما

الفصل الثانى
فى السكان

تنقسم البلاد الهندية الى قسمين من الاراضى فالقسم الاول منها الايالات الواقعة تحت الحكم
البريطانى والثانى الايالات الواقعة تحت احكام الملوك الوطنية الهندية وتعداد
سكان هذه الايالات جميعها فى سنة ١٨٩١ بعد الميلاد بلغ ٢٨٤٬٦١٤٬٢١٠ نفس
وهذا العدد يفوق عن ضعف عدد سكان المملكة الرومانية القديمة فى مدة علو شوكتها
وشهرة دولتها غير ان الانكليز احسن بكثير من الرومانيين لانهم راعوا حقوق الوطنيين
الذين يحكمون رعاياهم بالعدل والانصاف فانه لحد الان امرا الوطنيين وملوكهم
حازوا حاكمين على ثلث مساحة ارض الهند ويحت احكامهم رعايا بلغ عدد نفوسهم
فى سنة ١٨٩١ مقدار ٦٤٬١٢٣٬٢٣٠ نفس وهو تقريبا ربع التعداد الاصلى او الكلى
لسكان الهند ومن ثم تكون الاراضى البريطانية عبارة عن ثلثى الاراضى الهندية و
تعداد رعاياها بلغ فى سنة ١٨٩١ مقدار ٢٢٠٬٤٩٠٬٩٨٠ نفس
والامرا او الملوك الوطنية حاكمين اياليتهم واراضيهم تحت مراقبة ومشورة سفير
انكليزى معين فى دواوينهم من طرف والى الهند والبعض منهم جارى احكامه بطريق
الاستقلال واخرين لاقوة عندهم فى مثل هذا الحكم وهم عبارة عن ملتزمين فى الاحكام
مستحوذون على الايراد ولهم عساكر من ارضهم على مصروف انفسهم ولهم احكام محدودة
معروفة على رعاياهم واحكامهم مقررة فى معاهدات محدودة معروفة معترفون فيها
بتبعيتهم للحكومة البريطانية وبصفة ان الحكومة البريطانية هى سلطان الهند فليس
مرخصة لملتزميها بهياج الحرب على بعضهم بعضا او بالدخول فى محالفات ومعاهدات
مع الدول الغربية واذا حصل من اى واحد من الامرا الوطنيين ظلم او سوء تدبير فى
احكام بلاده عنفته واذا لزم الحال تخلعه خلعة وهى حامية الضعيف وخامدة القوى
وممتنية الامن والهدو والراحة على الجميع
وتنقسم الاملاك والاراضى البريطانية الهندية الى اثنى عشرة ايالة لكل منها له حاكم مخصوص
وجميعهم تحت سلطة حاكم عموم الهند او والى الهند وجلسه ومركز حكومته فى فلعنطه
فى مدة فصل البرودة وفى مدة فصل الحرارة فى مدينة سيملة من اعمال حاليا مرتفعة
فوق سطح مياه البحر بمقدار ٧٠٠٠ قدم وهذا الوالى معين من طرف نفس مملكة
انكلتره وكذا حاكم مدراس وحاكم بمباى مثله معينان من طرف نفس المملكة واما
حكام الاقاليم الاخرى فانه جارى تعيينهم بواسطة حاكم العموم او الوالى من رجال
الملكية لا من رجال العسكرية
ومن الجدول الاتى نعرف مساحة الايالات الوطنية والايالات البريطانية وتعداد سكانها
على حسب التعداد الذى عمل فى سنة ١٨٩١ بعد الميلاد

اسما الايالات	مساحة بالميل المربع	تعداد سنة ١٨٨١ بعد الميلاد	تعداد سنة ١٨٩١ بعد الميلاد	[illegible] ١٨٩١
الايالات الانكليزية الهندية				
اجمير ومرزواره	٢٧١١	٤٦٠٧٢٢	٥٤١٨٩٠	١٩٦٫٦
بيرار	١٧٧١١	٢٦٧٢٦٧٣	٢٨٩٦٦٧٠	١٦٣٫٥
كورغ	١٥٨٣	١٧٨٣٠٢	١٧٢٦٣٠	١٠٩٫٠
جزاير اندمن	١٢	١٤٦٢٨	١٥٦٧٠	..
ايالة بلوجستان	١٠	------	٢٦٨٨٠	..
جزاير لكديوه	٨٠	١٤٤٧٣	١٤٤١٠	—
مدراس	١٤٣٣٤٥	٣٠٨١٢٧٤٥	٣٥٦٥٨٨٨٥٠	٢٤٨٫٣
بمباى	١٢٥٤٠٦	١٦٥٠٤٠٥٩	١٨٨٦٦٩٩٠	١٥٠٫٤
بنغاله	١٤٩٧٢٥	٦٦٥٨٩٥٥٤	٧٠٩٠٩٢٦٠	٤٧٣٫٨
الاقاليم الشمالية الغربية واوده	١٠٦١١١	٤٤١٠٧٨٦٩	٤٦٩٠٢٦٩٠	٤٤٢٫٢
بنجاب	١١١٠١٦	١٨٨٤٢١٨٦	٢٠٨٠٣٠٠٠	١٨٧٫٤
اسام	٤٦٣٠٧	٤٨٨١٤٢٦	٥٤١٦٥١٠	١١٦٫٩
برما السفلى	٨٧١٣٠	٣٧٣٦٧٧١	٤٥٦٩١٧٠	٥٢٫٦
برما العليا	٦٩٠١٢	... ما كانت تحت الحكم	٢٩٨٤٧٣٠	٤٣٫٢
الاقاليم الوسطى	٨٤٤٤٥	٩٨٣٨٧٩١	١٠٧٦١٦٣٠	١٢٧٫٤
	٩٤٤٦٠٤	١٩٨٦٥٥١٩٨	٢٢٠٤٩٠٩٨٠	٢٣٣٫٤
الايالات الوطنية				
حيدر اباد	٨١٨٠٧	٩٨٤٥٥٩٤	١٠٤٥٨٩٣٠	١٢٨٫٨
بارودا	٨٥٧٠	٢١٨٥٠٠٥	٢٤١٤٢٠٠	٢٨١٫٧
ميسور	٢٤٧٢٣	٤١٨٦١٨٨	٤٨٥٩٧٦٠	١٩٦٫٧
كشمير	٨٠٩٠٠	١٥٣٤٩٧٢	٢٥٠٧٢٤٠	٣١٫٩
نيابة راجابوتانه	١٢٩٧٥٠	١٠٢٦٨٣٩٢	١٢٠٨٩٣٣٠	٩٣٫٢
نيابة الهند الوسطانى	٧٥٠٧٩	٩٢٦١٩٠٧	١٠١٢٩٥٧٠	١٣٥٫٠
بمباى	٦٩٠٤٥	٦٩٢٦٤٦٤	٨٠٥٩٧٦٠	١١٦٫٧
مدراس	٩٤٧٥	٣٣٤٤٨٤٩	٣٦٧٣٣٧٠	٣٨٧٫٨
بنغاله	٣٧٥١٥	٢٩٤٧٣٠٨	٢٧٠٩٧٥٠	٧٢٫١
الاقاليم الوسطى	٢٨٨٣٤	١٧٠٩٧٢٠	٢١٥٥٤٩٠	٧٤٫٧
الاقاليم الشمالية الغربية	٥١٢٥	٧٤١٧٥٠	٧٩٩١٦٠	١٥٥٫٩
بنجاب	٣٨٢٩٩	٣٨٦٠٧٦١	٤٢٥٦٦٧٠	١١١٫١
مجموع الايالات الوطنية	٥٨٩١٢٢	٣٨١٢٩١٠	٦٤١٢٢٣٣٠	١٠٨٫٨
المجموع العمومى	١٥٣٣٧٢٦	٢٥٥٤٦٨١٠٨	٢٨٤٦١٤٢١٠	١٨٥٫٥

١٢

ويعرف من الجدول الاتي المداين الكبيرة الموجودة في الهند وعدد سكانها واختلاف دياناتهم ومقدار ما يخص الفدان الواحد من الناس في الغالب على حسب واقع تعداد النفوس في سنة ١٨٩١ بعد الميلاد

٪ [illegible]	مجموع كلي	نصرانيين	بوذيين	مسلمين	هنود	تعداد اهالي سنة ١٨٨١	المدن المشهورة
٥٢	٧٧٣١٩٦	٦٩٣٨٣	٤٢٣٤٩	١٥٨٦٩٤	٥٠٢٧٨٠	٨٠٤٤٧٠	بمباي وجزيرتها
٨٦	٤٣٣٢١٩	٣٠٠٢٧	..	١٢٤٤٣٠	٢٧٨٧٦٢	٨٤٠١٣١	كلكوتة وضواحيها
٢٩	٤٣٣٠٧٩	٥٥٣٧	..	١٢٠٢١٢	٢٠٧٤٤٠		
٢٩	٤٠٥٨٤٨	٣٩١	٣٩٦٣٢	٥٠٢٩٨	٣١٥٥٢٧	٤٤٩٩٥٠	مدراس وضواحيها
—	٣٥٤٩٦٢	--	--	--	---	٣٩٢٧٣٠	حيدر اباد
٧٢	٢٦١٣٠٣	٥٧٨	٦٢٥٣	٩٩١٥٢	١٥٥٣٢٠	٢٧٢٥٩٠	لوكنو
٤٢	١٩٩٧٠٠	٢	١١٣٠	٤٧٢٢٤	١٥١٣٢٤	٢٢٢٤٢٠	بنارس
..	١٧٣٣٩٣	٥٣٩٠	..	٧٢٥١٩	٩٥٤٨٤	١٩٣٥٨٠	دلهي
٢٨	١٧٠٦٥٤	٤٩٢	..	٤٣٠٨٦	١٢٧٠٧٦	...	باطنه
١١	١٦٠٢٠٣	١٥١٥	٤٠٧٣	٤٥٥٧٩	١٠٩٠٣٦	١٦٥٣٤٠	اگره
..	١٥٥٨٥٧	١٣	١٧٤٣٠	٢٩٥٢١	١٠٨٨٩٣	١٧٩٦٧٠	مدينة بنجلور
٢٥	١٥١٤٤٤	١٠٩	٣١٩٤	٣٤٧٣٧	١١٣٣٥٤	١٨٢٣٧٠	كو بنور
..	١٥١٨٩٦	١٤٧١	--	٧٥٨٩١	٦١٢٧٤	١٣٢٦٥٠	امرتسر
..	١٤٩٣٩٦	٩٣١٥	—	٨٦٤١٣	٥٣٦٤١	١٧٦٧٢٠	لاهور
١٦	١٤٨٥٤٧	٢١٤	٥٢٧٥	٤٣٥٥٨	٩٩٥١٨	١٧٦٧٧٠	الله اباد
..	١٤٢٥٧٨	٨٧٧٧	..	٣٢٩٥١	١٠٠٨٥٠	...	جاينبور
٩	١٤٤١٧٩	٦٧٣٩٥	٩٧٤١	٢١٦١٩	٣٥٨٧١	١٨٢١٠	مدينة رانجون
٢١	١٢٩٧٥١	٣٦٤٥	٦٢٨٤	١٦٣٧٤	١٠٣٣٤٨	١٦٠٤٦٠	بونه

يعلم من الجداول المتقدمة ان البلاد الهندية غاصة بالناس حتى ان كل فدان يخصه ما ينوف عن نفر واحد او ٦٤٠ نفر لكل ميل مسطح ما عدا بالقرب من المداين او في الجهات المسقية بالمياه فانه يصعب عليهم ان يجدوا لانفسهم اراضي كافية يزرعونها ويخرجون منها ما يكفي معيشتهم او غذاهم وفي البلاد الهندية كثير من مزارعي الاراضي والفلوحين يتبارزعون في نصف فدان وفي مثل هذه الجهات الغاصة بالسكان لو نزل المطر قليلا في بعض السنين ونقصت المياه حصل للناس العناء والضرر الشديد واذا خاب اوان المطر حصلت المجاعة وهلك الوف من الناس من القحط وفي الهند توجد بعض جهات ارضها غير كافية لمزارعيها وفي جهات اخرى نواحي ذات سعة خصبة الارض ليس بها مزارعين ففي جهة ارخلة الناس في حرية انفسهم وتمكينهم الانتقال من الجهات المزدحمة بالناس الى الجهات القليلة السكنى والعمارية ويستحوذون على الاراضي اللازمة لزراعتهم لكن في الهند الفلاح الواحد معلق في غيط ومربوط فيها حتى انه يفضلها على اولاده ولو ان عائلته كثر عددها وعيشتها من محصولات الارض فلو نقلهم مزارعي الهند طريق الهجرة من جهة الى اخرى يكون بها اراضي زيادة عن اصلاح فان الحكومة تجتهد في مساعدتهم في استحواذهم على اراضي جيدة يحبونها ويكون انفع لهم ومنعا لحصول اي مجاعة تقع فانه في الجهات الجبلية والجهات الحدودية توجد

١٣

الرحلة

توجد اراضي بكثرة خالية الايجار يسكنها اهل الجبال بضع سنين في الجهات الخصبة منها و ينظفونها من الاشجار والغابات ولما يضعفون الارض من كثرة توالي الزراعة فيها يتركونها تنبت الاشجار والغابات فيها مرة اخرى ثم هذه الاراضي بلا ايجار وكلف عليها الان كل عائلة رحالة نازلة من المزارعين يدفعون عوايد وضرايب للرئيس الذين يسكنون ويقيمون تحت كفالته وحمايته ولما زاد تعداد الاهالي وكثرة النفوس حلت الزراعة المنتظمة محل هذه الزراعة الرحالة الزائلة واما في برما الانكليزية فان الطريقتين جاريتين معا لكن في هذا الوقت خفيف طريقة الرحلة في السهول الكثيرة العمران في البلاد الهندية وكل عائلة فلوحة قطنت محلها وداومت على زراعتها من مدة سنين مضت

ايجار الاراضي

ومن مدة مائة سنة مضت كان يوجد في نواحي بنغاله اراضي بكثرة لا يوجد لها مزارعين يفلحوها وكان ارباب الاراضي يجتهدون مع المزارعين في توطنهم في اراضيهم ويعطوها لهم بايجارات واهية والان زاد عدد المزارعين والناس حتى انه في بعض الجهات ترغب المزارعين ايجار اي قطعة ارض باي ايجار يقدر عليهم ومن ثم اصدرت الحكومة قانونا قاضيا بعدم زيادة ايجارات الاراضي زيادة عن حد الطاقة وقررت هذه القوانين حقوق المزارعين في اراضي الزراعة التي فلحوها وقطنوها مدة طويلة ولا يمكن زيادة ايجار الاراضي على المزارعين الذين توارثوا زراعتها بالاجرة من اهلهم وكانت تقررت بواسطة المحاكم العدلية

الفلاحين او العبودية

كان المزارعين في الازمان القديمة وعائلاتهم يؤدون الاحترامات اللازمة لمالك ارضهم وكان في كثير من جهات الهند ان اي فلاح قطن في قرية لا يصرح له بالخروج منها وفي مدة ما كان في الجهات الجبلية طريق الرحلة موجودة فيها فكان لا يرخص لاي عائلة من طرف الرئيس الوطني بترك اراضيه الذي اقاموا فيها اهل الرحلة لانه كان بحيث مقرر عليه دفع ضرايب يدفعها ومن كان الرئيس يجتهد في عدم خسرانه هذه الضرايب ثم جد الانكليز في بعض الاقاليم والجهات الهندية ان الطوايف الدنية من المزارعين تابعين الارض مثل الرقيق فحصل [illegible] و الحكام الانكليزية في الجهة الجنوبية الشرقية من بنغاله في تحريرهم رقاب عبيد الارياف نفورة من الاهالي واستمر ذراري الرقيق القديم في العبودية الا انه في هذا الوقت صاروا جميعا داخلين في الحرية

تقسيم الامة الهندية

قسم الكتاب الاوروباوية الامة الهندية في الابتداء الى قسمين الهندو ثم المسلمين لكن اذا تاملنا بعين الحقيقة ودقة النظر نجد ان هذه الامة محصورة في اربعة اقسام الاول سكان الارض اي قدما سكان الهند ثانيا ذراري الجنس الذين يتكلمون بلغة السنسكريت الذين يقال لهم الان براهميون او براهمايتون وراجابوت اي اولاد ملوك وثالثا الامة الكبيرة المختلطة المعروفة على العموم بالهندو والرابع للمسلمين الذين وفدوا على الهند في سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد

[illegible]

ولتاريخ القديم الهندي جنسان كبيران اصليان كانا هما المنبع الاصلي للتناسل الهندي وهما السكان الاصلية والعجم الذين وفدوا على الهند وقطنوها ومن ثم يلزمنا ان نشرح بوجه التحقيق هذين الوصفين القديمين اللذان هما اصل البلاد الهندية فنقول انه وقع التنازع في الارض في الازمان القديمة بين جنسين احدهما ابيض الجلد وهو الذي دخلها من الدروب الشمالية الغربية وهم امة العجم او الاريانيين اي الاشراف ذرية قوم يتكلمون لسانا واحدا ويعبدون الهتهم كانوا عليها عاكفون ومع توالي الزمن صار هولاء العجم البراهمانيون والراجابوت في الهند والجنس الاخر كان واطي القيمة والهيئة وكان اهله هم السكان الاصلية في الهند و طردهم الذين وفدوا عليهم من العجم الى الجبال او استرقوهم تحت خدمتهم في السهول وعلى حسب توالي الازمان وتعاقب الدهور صارت ذراري هذين الجنسين متساوية في العدد تقريبا واما الطوايف المتوسطة بين هذين الجنسين فانها تنبعث من شعب عجمي وكونت القسم الاعظم من الامة الهندية وسنذكر امة ثالثة او قسم ثالث وهم القبطيانيون فانهم كان لهم عظم كبير في الهند في نحو مبادي التاريخ المسيحي وفي سنة ١٠٠٠ من التاريخ المسيحي وفد اليها فاتحي الاسلام

وكان لهم نصيب في التغلب عليها واقامة سلطنة اسلامية فيها

الفصل الثالث

السكان الاصليين

سكان الوطن القديم

السكان القديمة للبلاد الهندية محصورة في عدة قبايل وشعوب ومن حيث انه لا يعرف لجنسهم اسم مخصوص بهم فاطلق عليهم اسم السكان الاصلية وهولاى ما تركوا وراءهم تسجيلات مدونة نعرف منها احوالهم وفي الواقع فان استعمال الحروف والكتابة اواى اشارة من الاشارات القديمة للتدوين كان مجهولا عندهم وان الذى وصل الينا من اشغال ايديهم فقط هى احجار صغيرة رديئة الصنعة والواح من احجار قايمة دروا الى مدفون تحتها موتاهم مثل الاهالى القديمة لبلاد اوروبا ومن البقايا التى تيسر الحصول عليها من هذه القبور علم انه من زمن غابر غير معلوم التاريخ كانوا يعرفون كيفية تدوير القدور والاوانى وما كانوا يتقنون صنعتها وانهم كانوا يحاربون باسلحة من الحديد ويزينون انفسهم بمعدن النحاس والذهب واستبان من الاثار القديمة ان هذه الامة الغابرة كانت عقلة في جنزير متصل للاجناس الاولية الهندية ومن بعد هذه الامة سكن الهند امة لا خبرة لها بالمعادن فكان اهل هذه الامة نصطادون ويحاربون بيلط والات مصنوعة من حجر الصوان والشطف والات اخرى مصنوعة من جنس احجار شبيهة بالادوات المصنوعة من الاحجار التى وجدت في جهات اوروبا الشمالية ثم جاء من بعد هولاى امم متوحشة نزلوا سكاكينهم واسلحتهم المصنوعة من العقيق ومن الشطف في وادى نهر نربادا او نيربوده وفي مدة هذه الاسلحة التى كانت مصنوعة من المعادن وقع الجنس العجمى وطرد امامه الجنس الوطنى كما سنذكره

احتلال الجنس العجمى محل الجنس الوطنى

تطلق الاعجام الفاتحة للهند اسم دَاسِيُو ومعناه عدو واسم دَاسِى ومعناه عبد او رقيق على العشاير او القبايل القديمة الهندية ودخل العجم المدعون بالاريابيين في الاراضى الهندية من الجهة الشمالية البارده واستكبروا في الارض بنظافة رويت جمالهم وبياض الوانهم واطلقوا اسم وارنة ومعناه اللون وهى لفظة سنسكريتية على الجنس او الطايفة ومدح شعراء الاريابيين الذين صنفوا الويدا ومعناه كتب الحكمة من عهد مضى ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ سنة مضت لا اقل الالهة البيضاء اللامعة الذين ذبحوا الداسيون وحفظوا اللون الاريانى واخضعوا الجلد الاسود الى الانسان الابيض الاريانى و ذكروا ان الالهة نزلت مثل العواصف والصواعق في جموع شتى وبددوا الجنس الاسود وكذا الجنس الاريانى ذى الصورة الحسنة والوجه الجميل يكره هيئة الوجوه المنغولية من القبايل الوطنية القديمة ووصف شاعرا من شعراء الويدا القبايل القديمة في سجعة من سجعات الويدا بلفظة انهم لا انوف لهم ومفطوسين الانوف واخر مدح انف مدح الجنس الهيئة القبيحة والصورة القطيعة التى راعوا بها اهل العشاير والقبايل الاسياوية الاصلية بانهم كانوا اهل قطايع مهولة في القتل لهم شراهة في اكل اللحوم وياكلونها بغير طبخ اى نيئة لا قانون لهم لا يقربون قربانا ولا الهة لهم ولا شعاير ولا احتفالات دينية ومع مرور الزمن وطرد هولاى القبايل البح الى الغابات والجبال وصفوا في هيئات فظيعة مهولة حتى صاروا هم الغيلان والجن او العفاريت عند شعراء الاريابيين وقسسهم واطلقوا اسم جنسهم وهو دَاسِيو اى عدو على الشياطين والجن

عن القبايل القديمة

ومع هذا فما كان القبايل القديمة جميعها في حالة همجية وحشية فاننا سمعنا بما كانوا عليه من الغنية وكثرة الاموال وذكر في السجعات الويدانية فلاعهم السبعة ومعاقلهم التى كان عددها تسعون قلعة ثم من بعد مدة اتحد الاريابيون مع القبايل القديمة

القديمة وكان البعض من الممالك الكبيرة القوية الهندية محكوما بملوك القبايل القديمة وكذا ما كان هولاى القبايل مجردين من اقامة الشعاير الديانية بل كان عندهم هذه الشعاير ويعترفون بوجود الوحدة وذكر في بعض كتب السنسكريت انهم كانوا ايزينوا اجسام موتاهم ببقايس الزينة ويحلونها بافخر التحليات منصورين في عقلهم انه يكون بها في الوحدة وكانت تلك الزينة مقصورة في عقود واساور من البرنز والنحاس والذهب وضع الكشف عليها عند الحفر في قبورهم التى كانت مشيدة من احجار ضخمة وذكر في الراهايانات او القصايد السنسكريتية المذكور فيها زحف وتقدم الاريابيين في الهند الجنوبية ان رئيس من رؤساء القبايل القديمة وصف جنسه بانه مفزع سريع جدا في حركته لا يغلب في الوقايع والحروب ولونه مثل السحاب الاسود الضارب للزرقة

القبايل القديمة ما هم عليه الا[ن]

ولنفحص الان مسئلة هولاى الامم القديمة سكان البلاد الهندية بحسب وجودهم والحالة هذه الان فنقول انه لما صار طردهم من السهول بواسطة محاربى الاريابيين رقدوا في الجبال واختفوا فيها مثل عظام حيوانات هلكت في جحورها ومن ثم تشكلت الهند دار عجايب كبيرة عن الاجناس والامم منها يمكن ممارسة بنى الانسان من ابتداء حالة الدنية الى اخر درجة ارتقائية في نموه وتقدمه وان لا تكون هذه الممارسة على بقايا عظام جافة او اثار بالية بل على قبايل وعشاير موجودة على قيد الحياة كل منها له عوايد وطبايع عجيبة وشعاير ديانية غريبة وذلك انه من ضمن الاكثر همجية واشد فظاعة في العالم البشرى سكان جزاير اندمن او فرحات

سكان جزاير ان[دمن]

المنتور في خليج بنغاله فان العرب وقدماء السايحين من اهل اوروبا وصفوهم بان لهم وجوه مثل وجوه الكلاب ياكلون الادمى ووجد ضباط الانكليز الذين ارسلوا الى الجزاير في سنة ١٨٥٥ بعد الميلاد لانشاء مستعمرة فيها ان انفسهم في وسط ناس عريانين ياكلون لحوم البشر ويطلون انفسهم في ايام مواسمهم بطين احمر وينعون على موتاهم واصدقاهم ويطلى انفسهم بطين اسود ولهم صراخ او زعيق تفرق به صداقتهم او صحبتهم وسرورهم ولهم اسما عامة تلقبوا بها من حنل ولادتهم مطلوقة على الرجال والنساء وما لهم اعتقاد الا في اله واحد هو اله الامراض والعلل فاستمروا خمس سنوات يجتهدون في طرد ضباط الانكليز من جزايرهم ويرسلون عليهم سحبه من النبال والحراب ثم اخذهم ضباط الانكليز بالحيلة والتدبير وبنوا لهم ظلول ومأوى بالقرب من المستعمرة فصار يأوى اليها هولاى المخلوقات الكين ويا خذون الادوية والغذاء اللازمة لهم حتى استفاموا نوعا

جبال مدراس

وكذا كانت جبال انا ماليه في الجهة الجنوبية من مدراس معقلا وملجا للفارين والهاجرين لكثير من القبايل القديمة وكان هولاى شعور طويلة ويعيشون على ما يخرج من الاورمانات من الاثمار والحشيش والعرس والعيزان وكل حيوان صغير يتيسر لهم الحصول على قبضه ويعبدون الجن والشياطين وقبايل اخرى ليس مساكن مستقرة جايلة هايمة في داخل الجبال بمواشيها وانعامها ويأوون في الكهوف والمغاير او تحت ظلول عرايش من فروع الاشجار صغيرة ولا يستقرون في بقعة واحدة لزيادة عن سنة والكاديريون غلاظ الشفاف صغار الاجسام اسيا والجبال هم بقايا جنس عظيم الدرجة في الغنية وهم عايشون على الصيد ولهم نوع تفوق على الغير الموجودة في الاورمانات وهذه الجبال مشحونة بمبانى واثار من احجار ضخمة شيدها القبايل القديمة على موتاهم وما زال لحد الان سكان الجبال الموجودة في الجهة الجنوبية الغربية من الهند عاكفين على الطريقة القديمة وهى ان للمراه الواحدة ان تتزوج بعدة ازواج وان ما تخلف الرجل الواحد من املاكه من بعد موته لا يكون لاولاده بل يكون لاولاد اخته وهذه الطريقة جارية ايضا عند القبايل القديمة القاطنة في جهات جبال حاليا في الجهة المقابلة من ارض الهند ويوجد كثير من القبايل المتوحشة قاطنة سلاسل الجبال التى تفصل الهند الشمالى من الهند الجنوبى والاكثر شهرة من هذه الاجناس الهمجية هم البهيليون وهم سكان جبال وَنْدهيا من ابتداء ايالة اوديبور الى اقصى شمال نهر نارباده الى نيابة كاندیش

فى عمالة بمباى يجولون فى هذه الجهات باغنامهم من الضأن والمعز فى داخل اورمانات
الجهات المرتفعة ويعيشون على الصيد وما يخرج لهم من محصولات الاورمانات وقاطنون
فى ايالة اودَيبُور فى مزارع صغيرة وكل جماعة منهم فى جبل مطل على الاخر ولهم فيها ماكن
من البنا بحيث لا يتيسر لاعداهم الهجوم على القرية الواحدة دفعة واحدة واذا وقع القبض على
عايلة واحدة سرى الصراخ ووقع الرعب والهياج فى كافة الجهات الباقية وانتشر صراخ
الحرب فى بعض دقايق من جبل الى اخر والتأم المتوحشون عرايا وحملوا السلاح سوية وضربوا
الغاير عليهم وخلصوا العايلة التى كان وقع القبض عليها ومن قبل وجود الانكليز فى الاراضى
الهندية كان البهيليون اهل الفزع والارتباك فى الاراضى المجاورة لهم فكانوا ينهبون القرى
ويحرقونها على مسافات كبيرة منهم فى الطول والعرض وكان الحكام الوطنيون يشنقون منهم
من وقت الى اخر بوقوع مذابح عامة فيهم وفى سنة ١٨١٨ بعد الميلاد استحوزت الشركة الهندية
الشرقية على جهة كاندِيش من اعمال بمباى المجاورة لها وجردت حملة على البهيليين الا ان هذه
الحملة خاب امرها وخسرت نصف رجال عسكرها الانكليزية من امراض الحميات المتسلطنة
فى الاورمانات ومن بعد مضى قليل استحوز جس اوطرام على هذه القبايل المتوحشة قبضا
باليد وذلك انه اصطحب مع البعض منهم بعزايم قدمها لهم وبصيرة المنورة معهم وشكل
فرقة من شجعان البهيليين كانوا اصطحبوا مع جس الاكور فى صيد الحيوانات المفترسة بمبارى
جمعيات الزراعة حتى ان عددهم فى سنة ١٨٢٧ الى نحو ٦٠٠ عايلة وحار برامج الحكومة
الانكليزية القايمين عليها مع الشجاعة وكان خضوع البهيليين بهذه الطريقة سيما فى قطع
دابر النهب والغارات من طرف اهل بلادهم وحسنت حالتهم وصاروا من المعتمدين عند
الحكومة الانكليزية حتى استخدمت منهم الكثير فى صنف عساكر البوليس وخفر الخزاين المالية
فى نيابة كاندِيش

واما فى الاقاليم الوسطانية الهندية فان جنس القبايل القديمة مشكل قسم كبير من الاهالى
ويبلغ عددهم فى بعض جهات نصف عدد السكان واجل جنس فى هذه القبايل جنس الغنديين
فان هذا الجنس احذق فى زيارة الحضارة والتمدن وما عداه فان القبايل المتوحشة ما زالوا
عاكفين فى الاورمانات وعايشين على محصولاتها وصيد الحيوانات منها وقيل ان البعض منهم
كان يجعل اسنة نباله ورماحه من الشظف من عهد بضع سنين مضت ويمسكون الاقواس مع
العقدة والشدة ويقبضون عليها بارجلهم ويشدون خيطها بايديهم ويوترونها ويرسلون
سهامها دوغريا الى جسم الغزال او الحيوان ومن هذه القبايل قبيلة المهاريين واهل هذه
الغريبة العتيقة يهربون من اماكنهم بمجرد قرب واحد غريب منهم فى خمسة من السنين مضروب
من طرف ملكهم لاجل اخذ الخراج المضروب عليهم وهو عبارة عن محصول الاورمانات فما
دخل فى اماكنهم بل ضرب على طبلة فى محل خارج اماكنهم ثم اختفى نفسه وخرج الجفلانيين
المهاريين ووضعوا فى محل معروف المضروب عليهم ورجعوا مسرعين الى اماكنهم من دون ان
يقابلوا المضروب

يوجد فى اقصى الجهة الشمالية الشرقية من ايالات اوريسة عالة بين فلعوط ومداس قبيلة
حقيرة يبلغ تعداد اهلها نحو ما ١٠٠٠٠ النفس يلبسون اوراق الاشجار وما على نساهم
شى من القماش سوى بعض خيطان من الخرز مربوطة فى خصورهن مربوط فيها اوراق اشجار
ساترة عوراتهن من الامام والخلف اى القبل والدبر ففى سنة ١٨٧١ بعد الميلاد جمع
ضباط الانكليز القبيلة ومن بعد ان تكلموا مع رؤسائها اعطوهم قطع من القماش من اجل
لباس النسا ثم قدموا النسا بلبوسهم الجديد امام الحكام الانكليز وادوا ازواجهن رسوم الطاعة
وجمعوا كافة ما كانوا يلبسونه من اوراق الاشجار وكوموه كوما واحدا واضرموا النار
فيه

ثم اذا توجهنا للحد الشمالى من الاراضى الهندية نجد ان سفوح وفروع جبال حماليا مسكونة باقوام
مختلفة فى الطبع والعادة من القبايل القديمة الهندية فان بعضا من سكان جبال اشام

اشام لا يعرفون لفظة او كلمة يعبرون بها عن طول مسافة مثل الميل او الفرسخ او اى قياس
من الاقيسة الارضية بل يقدرونها بمضغة او مضغتان او زيارة من الدخان او من البان
يمضغونها فى اثناء سيرهم وهم على كراهة شديدة للاشتغال اهل عنف وفظاعة لا عقول لهم
سود الوجوه شنيعى المأكل وكانوا فى الازمان السابقة يلتمسون معيشتهم الضنكى من نهب كعوز
وادى اشام والان يستخدمونه عند الانكليز فى صفة عساكر بوليس من اجل استتباب الامن وعدم
وقوع اى حادثة مرتبكة مخلة بالراحة العمومية فى جهات الحدود ويعطوهم سنويا فى نظير ذلك
كسوة وحبوب من الذرة او من غيرها وشهد عليهم اسماءهم بما كانوا عليه من الحالة الوحشية
فى ان يفى ويوجد قبيلة اسمها اكاش اسام مقسومة الى قبيلتين اسم احدها معناه اكلى
الالف كانون واسم الاخرى معناه لصوص كانوا يكمنون فى غيطان القطن وكثير من القبايل
القديمة باقى على حالتها البشرية القديمة التى وصفها شعرا الويدا من عهد ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ سنة
مضت وبعضهم احذق فى التقدم والحضارة وشكل امما سلكت مسلكا عظيما وهذه الاجناس
العالية انتشرت مثل الاجناس المتوحشة فى طول وعرض البلاد الهندية ومن ثم يجب علينا ان
نتكلم مع غاية الايجاز الكلام على قبيلتين من هذه القبايل وهما قبيلة الصنتاليين وقبيلة
الكاندهيين او الكوندهيين

مسكن الصنتاليين بعض الجبال المتاخمة لوادى الكنك فى اسفل بنغاله وهم سكنون فى قرى
خاصة بهم معزولين من اهل السهول ويتوف تعداد نفوسهم عن مليون وولو انه ما زال
فيهم طبع وعادة قبايل الصيد فى الاورمانات فانهم تعلموا استعمال المحراث واستوطنوا فى
مساكنهم وصاروا على دراية تامة من كار الزراعة وكل قرية محكومة برئيس منها او شيخ منها
من ذرية اصل المؤسس للقرية ومساعد فى حكومته ببعض من كبار القرية وله وكيله وكبير
الخفر وللاطفال القرية مربيين مخصوصين ولهم رئيس حاكم عليهم من طرف حاكم القرية حتى يبلغوا
سن الزواج وليس للصنتاليين معلومية ولا خبرة بحالة النسب العالى الموجود عند الهنود بل
ينسبون نسبتهم فى العادة الى السبع اى الى الجد السابع فقط وعموم القرية الواحدة ناكل
وتصطاد وتعيد مع بعضها سوية ومن ثم فان الجنسية متمكنة او قوية بين اهلها حتى ان
الطرد او النفى من القبيلة هو العقاب الوحيد عند الصنتاليين والجريمة العظيمة عند الصنتاليين
جزاها قطع عن جايزة النار والماء من القرية وطرده لوحده فى الاورمان واما الجرايم
الصغيرة فيصير العفو عنها بمنعه من عموم القبيلة ويقرر على الجانى وليمة يصنعها من الارز
والبوظة لكافة اقاربه واهل قريته

لا يجرى مسئلة الزواج عند الصنتاليين فى عقد عرس اولادهم بل يجرون زواج اولادهم متى بلغوا
سن ١٥ سنة او ١٧ سنة عندما يكون للشبان دراية تامة وخبرة كاملة بمعرفة انفسهم
وفى نهاية احتفالات الزواج تسحق اقارب البنت فخا مجروحا بمعرفة البيت او بعضا والعظم
من العظم ويطعمونها بالنار وبها يقطعون علاقات البنت من عايلتها او اهلها وتحرم الصنتاليين
نساهم ولا تبيح وجود زوجة ثانية على الاولى الا اذا كانت عاقر او عقيمة الولادة ويحرقون
اجسام موتاهم مع الاحتفال ويرمون ثلاث قطع من الجمجمة فى نهر دامودار النهر المقدس
عند جنس الصنتاليين

ولا يعتقد الصنتاليون فى الالهة مثل ما هو مذكور فى الاشعار والسجع الودائية بل يعتقدون
بالله قادر على كل شى منه الخير وهو الحافظ للجنس البشرى ثم الهنود والمسلمين تتبعوا الصنتاليين
وطردوهم امامهم وصاروا لا يعرفون اى اله يكون اقوى من انفسهم شوكة من دون ان
يرعب فى ضررهم وقال الصنتاليون لبعوث من المسيحيين يحضهم على الشك بالاعتقاد بعيسى
المسيح وكان يخاطبهم بكلام بليغ ماذا يكون اذا كان هذا الرب القوى يأكلنى ويعتقدون ان
الارض ملانة بالجن والعفاريت ويجتهدون فى منعها والتحفظ منها بتقريبهم لها الاغنام والمعز
والديوك والفراخ ويعتقد بوجود اشباح اجداده وجن الانهر والاورمانات والجن

تابع الصينيين

الطيبة وجن الجبال واشباح وارواح من مخلوقات لا نرى يجب عليهم احترامها وهذه الاشباح والارواح الشيطانية ساكنة على الخصوص في اشجار الساج العظيمة المظللة على قراهم في بعض القرى نرقص اهلها حول كل شجرة حتى لا يتركوه شجرة ربما يكون فيها شبح يضر بحالة القرية لغاية انتها القرن الماضي كان الصنتاليون عايشون على ما نهب وسلب السهول المجاورة لهم الا انهم في مدة الحكم الانكليزي استقروا في مساكنهم مستتبين الامن واستقلوا بزراعة الارض ولاجل عدم وقوع منازعات ومخاصمات بينهم وبين قرى الاراضي الواطية اقام الحكام الانكليزية في سنة ١٨٣٢ بعد الميلاد حد من عمد مبنية من احجار ثم دخل في وسطهم مقرضي النقود وحشوا بينهم ففرق سكان هذه الجبال في الديون في اقرب وقت ومن جبههم الشرير في الاهل والاوطان امتنعوا من الفرار والهجرة لاي جهة ما حتى غطسوا في بحر العبودية لمرابيي الهنود وصار الصنتاليون الفقرا يعطون محصولات ارضهم وكدهم ومكاسب نفسهم لمرابيي الهنود وكل سنة ولا يبقون منها الا ما يكفي لغذاهم فقط في مدة اشتغالهم واذا مات الواحد منهم تحل اولاده بدينه لان علو الشرف والذمة عند الصنتاليين يلزم الابن على كونه يتحمل بديون ابيه وفي سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد طرح ثلاث قرى كاملة ما على ظهورهم من الديون وهربوا قاطعين اليأس الى الاورمان وفي سنة ١٨٥٥ بعد الميلاد سافر الصنتاليون في عدد مؤلف من ٣٠٠٠٠ نفس حاملين قسيهم ونشابهم الى قلقتوطة من اجل عرض حالتهم الى والي الهند فكانوا في ابتدا سفرهم في انتظام وبسبب بعد الطريق عليهم وطول المسافة النزول على العيشة وابتدوا من كثرة الجوع على الخطف والنهب فنتج بينهم وبين البوليس مشاحنات ومضاربات تولد منها في ظرف اسابيع ثورة مسلحة فاحدثت هذه الثورة من دونه هدر دما كثير فازيل عنهم ما كانوا يتضررون منه ورتبت لهم الحكومة الانكليزية حكومة منتظمة تحت رياسة حاكم انكليزي وهم الان اهل فوز ونجاح الا انه من شدة جهلهم الغزاله والانقياد وتسلط الخرافات فيهم يزعجهم كل حادثة جديدة ومع ذلك لما وقع الغلا وعمهم في سنة ١٨٨١ بعد الميلاد قاموا في ثورة بالسلاح

الكانذاهيون او كوندهيون

واما الكانذاهيون الذين لقبوا معمرة قريبة باجيلين فانهم قبيلة لقدارها نحوا من مايتي الف ١٠٠٠٠٠ نفس ساكنة في منحدرات سلاسل الجبال المغطاة بالاورمانات الموجودة في سواحل اوريسا وحكمهم ابويه صرفًا فان العايلة الواحدة محكومة بابيها وليس للابنا ملك ولا عقار في حال حياته بل يعيشون في جنة مع ازواجهم واولادهم ويأكلون جميعًا ما تحضره لهم جدتهم وراس القبيلة في العادة الابن الاكبر لاولى العايلة فان حصل منه عدم موافقة في المصلحة المعهودة اليه خلع منها وتعين بدله عمه او اخوه الاصغر منه ولا يعمل عملا او يتداخل في شغل من دون مشورة وجوه ومشايخ القبيلة

حروب وعقابات الكانذاهيين

والى سنة ١٨٣٥ بعد الميلاد وقت ما ادخل الانكليز قوانين خفيفة في الحكم كان الكانذاهيون يعاقبون القاتل بالقتل وكان اقارب المقتول او وليه ملزوم بقتل القاتل ان لم يدفع دية معتبرة من الحبوب او من الانعام وكل انسان جرح آخر يوضع تحت العذاب حتى يشفى المجروح من جرحه وكل من سرق شيا لزمه رده او دفع قيمته وان عاد الى السرقة مرة ثانية طرد من القبيلة وهو اكبر عقاب في هذا الجنس وتفصل المشاحنات اما بالحرب الشاقة او بجر عدم بين الفئتين المتخاصمتين او بامتحان شديد من زيت مغلي او محاور حديد محماة او بقسم يمين على جلد نمر او على مخلب نمر او على جلد ... واذا مات ابو البيت وليس له اولاد فتقسم ارضه على وجوه القرية من الذكور لانه ليس مسموح للنسا بتملكهن اراضي ولا طاقة لاي واحد من الكانذاهيين على دفع هذه الحالة

زراعة الكانذاهيين

طريقة زراعة الكانذاهيين متوسطة الحالة بين فلاحة مزارعي القبايل الرحالة القديمة والمزارعين المتوطنين في الاراضي من الهنود وانهم لا يعيلون على القبايل الهمجية القديمة بحرقهم الاورمانات ويزرعونها بعض مواسم ثم ينتقلون منها الى ارض ينظفونها من جديد ولا يحكمون انفسهم في الزراعة في ارض واحدة مثل الهنود وراثة لابن من اب بل انه عند ما يروا الضعف

في اراضيهم يتركونها وعندهم عادة في سكناهم بكونهم يغيروا موضع قراهم في كل اربعة عشر سنة مرة واحدة

زواج الكانذاهيين بطريق القبض المنكر

طريقة الزواج عند الكانذاهيين مقصورة في القبض على العروسة رغما عنها في وليمة ويدفع ابو العريس مهر العروسة ويجتازون في العادة بجنب قوية تزيد في العريس سنين عن ابنته ومن ثم تتزوج فتيات الكانذاهيين وهن في عمر اربعة عشر سنة والعريس في سن تسعة او عشر سنين ويلبث العريس في صفة خادم في بيت ابو عروسته حتى يبلغ الحلم ويعيش مع زوجته ويكون لها السلطة العظمى عليه ورجال الكانذاهيين لا يتزوجون بزوجة ثانية ما دامت الاولى على قيد الحياة ما لم يحصل منها زلة موجبة لفراقها من زوجها

الرق في القرى الكانذاهية

وتشتغل الكانذاهيون بالزراعة والحرب فقط وما عدا هذا من الاشغال فهو محتقر عندهم الا ان كل قرية فيها جنس دني من الناس لا يسمح لهم في تملك ارض ولا يتوجهون في الحروب ولا يكونون مع اهل القرية الواحدة في العبادة فهولاء الفقرا متوطنين بالاشغال الوسخة في القرية وهم الى يكونون النساجون والحدادين والفخرانية ورعاة المواشي ومقطرين المشروبات ويعاملونهم مع الحنية والرافة ويجعلون لهم نصيب قليل من ولايمهم وحفلاتهم الا انهم لا يدخلون في عداد المحافل والجمعيات ولا يمكن لواحد من الكانذاهيين ان يتداخل في اشغالهم الا اذا وقع في جريمة او يأكل من ايديهم شيا وهم معدودين عندهم بانهم بقايا الجنس الوحشي الذين استحوذوا عليهم الكانذاهيون في الجبال لما حصل طرد هولاي الكانذاهيون بواسطة الاريانيين من السهول الى الجبال والاورمانات

قربان الجنس البشري عند الكانذاهيين

تعتقد الكانذاهيون في عدة الهة مثل الهة الجنس والهة القبيلة والهة العايلة وفي اشباح وشياطين عديدة مثل الصنتاليين الا ان الالهة الاكبر هو الارض بما انها تخرج لهم كل شي يحتاجونه في معيشتهم فيطلب اله الارض كل سنة مرتين قربان من البشر في مدة بذار الارض وفي مدة حصاد المزروعات فكانوا يشترون الادميين من السهول ويقربونهم قربانا للارض واستمرت هذه العادة القبيحة في القرى الكانذاهية في الاجناس الواطية وكان يوجد عندهم قانون قديم قاضيا بان الضحايا او القربان يلزم ان تكون بالاثمان فكانوا يجلبون هذه الضحايا من الادميين الى القرى ويعاملونهم بالرفق في الاكل والشرب والراحة حتى يأتي اليوم الموعود ويأخذون ضحاياهم مع الاحتفال ويقربونها للارض الاله ويقولون في اذن القربان نحن شريناك بالثمن لا خطية ولا جريمة علينا في ذبحك وتقسم لحوم هولاي القربان ودماها على ارض القرية

الكانذاهيون تحت الحكم الانكليزي

وفي سنة ١٨٣٥ بعد الميلاد دخل الكانذاهيون تحت الحكم الانكليزي والغي قانون تقريب القربان من الادمي وانشئت الطرق والسكك في بلادهم وجبالهم وادخلهم الانكليز شيا فشيا في عوايدهم وصار الكانذاهيون في هذا الوقت امة عظيمة مستتب عندها الراحة وحسن النظام

انساب الامم القديمة في الهند

ثم انه لا يوجد في التسجيلات السنوية للعالم من اين جاؤا هولاي الامم القديمة الذين وجدوهم الاريانيين وقت دخولهم في الاراضي الهندية من عهد ثلاثة الاف ٣٠٠٠ سنة مضت وكانوا هم اصل تاريخها القديم بل علم لنا من الروايات المروية عنهم انهم منسوبون الى ثلاث فروع الفرع الاول قبايل التبت البرماوي وهم الذين دخلوا الاراضي الهندية من الجهة الشمالية الشرقية وما زالوا قاطنين في الجهات الغربية من جبال حاليا والفرع الثاني الكولاريانيين وهم الذين دخلوا بنغالة من الدروب الشمالية الشرقية وهم قاطنون في طول السلاسل الشمالية الشرقية من جهات الصحن الى النصف الجنوبي من الهند والفرع الثالث الدراويديانيين وهم الذين دخلوا الهند من الدروب الشمالية الغربية من جهة بنجاب وهم قاطنون الان في القسم الجنوبي من ~~...~~ الصحن ~~...~~ ذات الثلاث اضلاع الى جهة الجنوب لحد راس كومورين وهو اخر نقطة للهند في جهة الجنوب

صفة القبايل القديمة

ومن العادة القانونية عند الاجناس القديمة انهم لو عوملوا بالرفق واللين صاروا اهلا وثاق وطاعة ورافة فسكان الجبال يصلح منهم عساكر عظيمة واما قبايل السلب والنهب في السهول فانه يصلح منها عساكر للبوليس ومن القبايل القديمة في مدراس تشكلت العساكر الذين فتحوا الهند الجنوبي

للانكليز وحاربوا معهم فى واقعة پلاسى التى بها استحوذ الانكليز على بنغاله وانتظم شجعان الجوركهايون وهى قبيلة من القبايل القديمة فى طنة فى جبال حماليا فى صنف العساكر الانكليزية الهندية وسترو القسهم واظهروا اشجاعتهم فى الحرب الافغانستانى

ثم انحطت كافة القبايل الهمجية المتوحشة القديمة فى عموم اقاليم وممالك الدنيا اما بالدمار او بالقتل بواسطة الاجناس الاقوى باسا وشدة منهم وكان لهذه الطريقة وقع كبير مع الامم القديمة الاصلية فى مكسيكه وپيرو والهنود الحمر فى امريقة الشمالية ومع سكان اوسترااليا الاصليين واهل زيلنده الجديدة الى الان هذه الحالة حصل عكس الخلاف فى سكانه القديمة للهند فانه حصل لهم التعلم والنجاح بدل ان يحطموا او يفنوا تحت الحكم الانكليزى وفتحت لهم الاعمال الجليلة من فتح الطرق والسكك فى وسط جبالهم واماكنهم وسايط جديدة ليشرحهم الحصول على معايش احسن مما كانوا عليها فى مبادى امرهم وانه فى تعداد سنة ١٨٧٢ وسنة ١٨٨١ وسنة ١٨٩١ بعد الميلاد صاروا فى عايلات واسعة زيادة عن كل جنس من الاجناس القاطنة فى البلاد الهندية ولما تقدموا فى الثروة والغنية استحسنوا عوايد الهندو ودخل الكثير منهم فى الديانة الهندية واخرين اعتنقوا الديانة المسيحية ومن المحتمل انه بعد مضى قرنان او ثلاث قرون لا تبقى باقية من الامم القديمة على عهدها وطبايعها وشعايرها التى كانت عليها من قديم الزمان والله اعلم بما يكون

الفصل الرابع

العجم او الاريايين فى الهند

لقد ذكرنا فيما سبق انه فى المدة القديمة اغتصب جنس شريف من الجهة الشمالية الغربية طريقه ودخل فى الهند وقطن بين سكانه القديمة فهذا الجنس منسوب للاريايين او الشعب الهندى الجرمانى المتناسل منه ايضا البراهمانى والراجابوتى والانكليزى والظاهر ان مقر هذا الشعب كان فى اسيا الوسطى ومن هذه الجهة الجامعة سار بعض الشعوب او القبايل من هذا الجنس الى الجهة الشرقية وشعوب اخرى الى الجهة الغربية واسس احد الفروع الذين توجهوا الى الجهة الغربية مملكة فارس واخر ابتنا اثينه واسبرطه وصار امة جريقية وثالث ذهب الى ايطاليا واسس مدينة على السبع جبال فتقدمت ونمت حتى صارت روما الامبراطورية وزحفت قبيلة من هذه الفروع حتى دخلت اسبانيا واشتغلت بالحفر على عروق الفضة واول من قطن انكلتره قبيلة من الاريايين من صيادى الاسماك وصلوا اليها فى قوارب مضفورة من اغصان الاشجار ومطلية بالقار واشتغلوا فى معادن القصدير فى نواحى كورنوال كما تقدم ذكره فى تاريخ انكلتره فى العهد القديم قبل الميلاد وفى اثنا هذه المدة ذهب فرع من الاريايين من الموطن الاصلى فى اسيا الوسطى وتوجه الى الجهة الشرقية وسار جماعات اشداء فى القوة والبسالة وسلكوا من دروب جبال حماليا ودخلوا بنجاب (ارض الخمسة انهار) وانتشروا فيها وفى ارض الهند بصفة براهمايين وراجابوت وتمكن هولاى الاريايين بسيادتهم وشوكتهم على الامم القديمة الموجودة فى الارض الذين استحوذوا عليها فى الهند كما فعل فروع الاريايين الذين ساروا الى المشرق والمغرب فكان التاريخ القديم لاوروبا هو حكاية توطن واقامة الاريايين حول سواحل البحر الابيض المتوسط واصطلاح لفظة تمدن او حضارة معناها حضارة فروع الجنس الاريانى فى الجهة الغربية من الكرة الارضية ومثل ذلك تاريخ الهند فانه مقصور فى تاريخ الفروع الشرقية الاريانية الذين قطنوا تلك الارض وما لاحد دراية الا قليلا بمفصلات قبايل هذا الجنس الشريف فى المدة القديمة فى مدة وجوده فى ارضه الاصلية فى اسيا الوسطى واستخرج العلما من الفاظ مازالت موجودة فى لغات ذراريهم المفصولين عن بعضهم بعد وطويلة فى اوروبا وفى الهند ان اهل هذا الجنس الاريانى كانوا هايمين مع

هجرة وزوال الامم والقبايل القديمة

الاصل الاريانى

على منحدرات ووديان الجبال ذات الكلأ بالقاحهم ومواشيهم ويلبثون فى الموقع الواحد حتى يجمعون محصولات مزارعهم وربوا والفوا الكثير من الحيوانات الاهلية وكان لهم دراية بالحديد وعلى معلومية من فن الحياكة والصناعة والخياطة ويلبسون الملابس ويأكلون المطبوخ من الطعام وعاشوا معيشة صعبة فى اراضى المنطقة المعتدلة وكان الاحساس بالبرودة احد الاحساسات العمومية عند الفروع الشرقية والغربية للجنس الاريانى حتى ان شعرا الاريايين فى مدة وجودهم فى الحر الشديد فى الهند تضرعوا فى الويدا بطول العمر وطلبوا حلاية فصل من الشتا ومن حيث انه يوجد فى اللقاح الاوروباوية والهندية الفاظ مترادفة من اللغة الاريانى فالظاهر ان اجداد الجريق والرومانيين والانكليز والهندو كانوا مستوطنين سوية فى وسط اسيا ولسانهم واحد ويعبدون الهة واحدة وولوان لغات اوروبا والهند يظهر عليها فى مبادى امرها انها فى اختلاف بين الا ان هذا الاختلاف متولد فقط من اصل اللهجة الاريانية لان اسم الاب والام والاخ والاخت والارملة واحد فى اللغات الاريانية الجارى التكلم بها على شواطى نهر الكنك فى الهند ونهر الطيبر فى ايطاليا ونهر التاميز فى لوندره وكذا كان اصل الديانة واحد بما ظهر من ان الديانات القديمة فى اوروبا وفى الهند من منبع واحد والفوا التواريخ المقدسة الخرافية والاساطير الاولية التى نقلها اجداد سكان الاقاليم الاوروباوية والجهات الشرقية فى مدة الاقامة فى اسيا الوسطى وكثير من الهة الويدا كانت الهة الجريس وروما ولحد هذا الوقت فان الاله معبود باسم مشتق من اللفظة القديمة الاريانية وهى ديوا (المضىء الواحد) عند البراهمايين فى كلكوته وعند قسس البروتستانت فى انكلتره وعند قسس الكاثوليك فى پيرو ومذكور فى الويدا (الويدا معناه كتب الحكمة الهندية او الكتب المقدسة) حالة سير وسفر الفرع الهندى الاريانى الى الجهة الجنوبية الشرقية وكيفية اقامتهم فى اراضيهم الجديدة فاما القصايد الروايية القديمة فانها تقرب وصولهم بالقرب جدا من معبر او درب خيبر فى نواحى كابول والاشعار الاخيرة او المتاخرة اوصلتهم الى نهر الكنك وكان زحفهم او تقدمهم المنصور نحو الجهات الشرقية شيا فشيا كما هو مدون فى الويدا بسبب ان كثرة مياه الخمسة انهار فى بنجاب فسيح منها توطن الاريايين فى هذه الجهة واختاروا فيها عيشتهم عن حالة رحلتهم وجولانهم وشكلوا انفسهم فى هيئة امم زراعية او زراعة فلاحة واثنت شعرا الويدا على تلك الانهار الخمس بما راوا منها من تغيير حالتهم الاولى فكان مطمع اشعارهم العظيم فى الابتدا مخصوص بتقدم الجنس فقالوا ما معناه اعطانا نهر السند بغناه ومنحنا ارضا واسعة ملانة بالمياه ومدح شعرا الويدا جبال حماليا التى وصلوا الى الهند من فروعها وقطنوا المدد الطويلة فى ذيولها الجنوبية وقدسوه وجعلوه مزارا بابهم فقالوا انى حق هذا الجبل نشكر الذى عظمته الشعوب الثلجية ومنه البحر ومياه الانهار الدورية وما نشى الجنس الاريانى فى الهند مطلق وطنه الذى كان فى الجهة الشمالية فانه فيه كانت الهتهم وذرايلهم المقدسة ونزلت عليهم الفصاحة والبلاغة من السما وفى وسط شوامخ جبال حماليا جنة الالهة والشجعان وفيها كل ماكول ومشروب وراحة دوامية ابدية الريج ودا (الحكمة القديمة) هى الاداب العلمية للسكان القديمة الاريانية فى بنجاب وعصر تاليف هذه الاداب غير معلوم الان متدينين الهندو يعتقدوا من دون حجة وبراهين ان وجودها ليبلغ من مدة طويلة من قبل ميلاد المسيح بمقدار ٣٠٠١ سنة لا اقل واما العلما الاوروباويين فانهم استخرجوا من تواريخ فلكية ان تاليفها كان قبل الميلاد بنحو ١٤٠٠ سنة والمعلوم عندنا ان الديانة الويدية كانت قبل قيام الدين البوذيستى الذى ظهر فى القرن السادس قبل التاريخ المسيحى والريج ودا تاليف قديم مؤلف من ١٠١٧ بيت من الشعر جميعها مختصة بالالهة وهى عبارة عن ١٠٥٨٠ سجعة وعرفنا من سجعاتها ان الاريايين

الريج ودا

كانوا على شواطئ نهر السند مقسومين الى قبايل حربية احيانا في حروب مع بعضهم بعضا و احيانا متحدين سوية على الجنس اسود الجلد من السكان الاصلية وما كانت علو درجة السنة في الودا معلومة ولا راية للاريائيين بها فان كل اب عايلة كان هو قسيس اهل بيته والرئيس الواحد في كل قبيلة يجري اشغاله فيها بصفة ابو القبيلة وفيها غيرانه في الاعياد والمواسم الكبيرة ينتخب واحد عالم مخصوص بالقربانات المقدسة من اجل تقديم القربانات باسم الجمعية والكاهن الذي كان ينتخب لهذه الوظيفة الملك نفسه وكان النسا منخفض بارفي درجات الاحترام بين الارياييين واغلب السجعات الطريفة في الودا من تأليف النسا من البنات والملوك من النسا وكان الزواج مقدس وكلا من الزوج والزوجة يدبران حركة المنزل واشغاله سوية ويقفان بجانب بعضهما امام الالهة في وقت العبادة وكان حرق الارملة فوق عمود حرق جثة زوجها غير معروف عند الارياييين وكان سجعات الودا التي ادخلها البرهمانيين في كتاب الودا مصادقة على هذا الحرق من الاشيا التي وقعت فيها المعارضة والمجادلة في عدم اجراها في مبادي احوال التوطن وكانت المراة في نعيها ونواحها على موت زوجها تقول ارجع الى الحياة الدنيا عد الينا ومذكور في الودا في شأن المراة التي تحرق نفسها على تابوت زوجها انها موفية لواجبات حقوق الزوجية في حق زوجها

وذكر في الودا ان شعاير الارياييين كان فيهم الحداديين والنحاسين والذهبيين والنجاريين والحجاميين وارباب صنايع اخرين وكانوا يحاربون في عرباية الحرب ويشغلونه الخيل مع الطموقة وما كان الى حد هذا الوقت يشغلون الفيلة في الحروب وقطنوا في صفة مزارعين يفلحون الاراضي بالمحاريث وعايشون في مداين او قرى الا انهم ما زالوا كانوا ملازمين على رحلتهم القديمة وجولانهم باغنامهم وانعامهم وكانت الانعام اصل ثروتهم و دفعوا النقود وحتى رعوها في الديات والغرامات وكانت الحروب الواقعة بينهم في شأن الابقار على الخصوص و ذكر في الودا ان الارياييين ما كانوا يحرمون على انفسهم لحوم الابقار مثل هنادي الهند الان بل كانوا ياكلونها ويشربون اشربة مخمرة من عصير نبات السوما ويقربون هذه اللحوم القوية والاشربة الخمرية الى الهتهم ثم سقطا على هؤلاء الاريائيين الاقويا الذين كانوا انتشر في الهند الشمالي قوم اخرين من جنسهم دخلوا الهند من خلفهم وطردوا امامهم الجنس القديم الاسود او استرقوه وساروا اماما واحدة من وادي نهري الى اخر كل واحد من ابا البيوت حاكم وقسيس اهل بيته ومدافع عنهم فكانت هذه القبايل الخالصة الطوية في وثاقة كبيرة من انفسهم ومن الهتهم وكانوا يعتقدون حق مثل الاجناس الاخر الفاتحين في انفسهم انهم هم والهتهم لهم الدولة والسلطة على اهل الارض وعلى عباداتهم واعتقاداتهم وحقيقة فان هذا الاعتقاد المتسلط في عقولهم عليه مدار لنا عدة العظمى في نجاح كل امة وكانت الهتهم المطلوق عليها اسم ديواش اي المضيئة اعظم القوى المؤثرة في الطبيعة وكانوا يعبدون جوبيتر او المشتري في السما واسمه في السنسكريت ابو السما ويعبدون الجو المحيط المسمى عند الجريك اورانوس وكذا اندره وهو بخار الما الذي يجلب لهم غيثا عظيما عليه مدار حياتهم وموتهم في اوقات حصل واوان المطر وذكروا في حقه سجعات عظيمة في الودا ثم صار اندره هذا اكبر الهة الودا اشيا فشيا بما ان هولاء الاقوام كان ينزل عليهم الغيث في الاوقات المعلومة لتزول من اجل اصلاح احوالهم وحياتهم وشؤون احوالهم الزراعية و ذكروا في حقه في الودا قولهم انت يا اندره الذي تفالت قدرتك على الالهة والناس وانت الذي حزت الغلبة بقوتك على كافة المخلوقات وكذا من ضمن معبوداتهم اجني ومعناه اله النار وهو في درجة من بعد اندره في عدد السجعات التي ذكرت في حقه بانه اصغر الالهة وانه السيد المعطي الغني والثروة ومن المعبودات الماروطيين او الهة الزوابع

الزوابع والعواصف التي تزج الصخور وتقلع اشجار الاورمانات وتكسرها ومن الالهة ايضا بزوغ الفجر المسمى عندهم بالمولود الجديد وقالوا انه يضئ علينا مثل زوجة شابة و يستيقظ كل نسمة او مخلوق ليتوجه الى شغله وكذا اشعة بزوغ الشمس وكذا الشمس في بروجها والرياح ووقت القيلولة والشراب المخمر لعصير نبات السوما المقدس واشيا كثيرة اخرى مذكورة في الودا عددها نحوا من ثلاثة وثلاثين الها منها احدى عشرة في السما واحدى عشرة في الارض واحدى عشر في الجو وعكف الاريائيون في حالة عظيمة على عبادة الهتهم المضيئة وكانوا يتضرعون اليها في الحاية بقلب خالص الا انهم في هذا الوقت كانوا يهيجون من جلالة وعظمات مصنوعات الارض والسموات وكانت جلالة الخالق مالية صدورهم وعقولهم حتى انهم اذا توجهوا بالدعوات لاي واحد من الهتهم المضيئة كانوا لا يتفكرون في عدم وجود اله غيره ويعبدونه بصفة انه الحاكم الاكبر ومن ثم يستدل من سجعات الودا واشعارها انهم ما كانوا يعبدون الا الها واحدا ولو ان لهم الهة متعددة

وفي اثنا ما كان الاجناس الاصليين من السكان يدفنون موتاهم تحت ابنية تقبلة من الاحجار كان الارياييون في الهند وفي الجريس وفي ايطاليا يحرقون موتاهم فوق توابيت الحرق وذكر في الودا عدة سجعات باللغة السنسكريتية تختص باكرام الميت فكانوا يلقنونه بهذه الالفاظ اذهب اذهب في السكك القديمة الى المحل الذي ذهبت اليه من قبلك اباؤنا و قابل هناك اجدادنا وقابل ملك الموت اخلع من على نفسك نقايصك وعيوبك وتوجه الى مقرك ومأواك والتيم في نفسك والبس نفسك هيئة النور والضيا ثم دعه يذهب الى الذين يسيل من اجلهم الرحيق دعه يذهب الى الذين حازوا النصر والفخر بنا علمهم وتدبيرهم الذين مع ثبات افكارهم وعقولهم في شأنه ما لا يرى ذهبوا الى الجنة دعه يذهب لاصحاب البأس في الحروب والوقايع والى الشجعان الذين فقدوا حياتهم في المحافظة على غيرهم والى الذين افاضوا خيراتهم واحسانهم على الفقرا وكانت عقيدة تناسخ الارواح غير معروفة عندهم وكان الناس يجتمعون حلقة حول تابوت الحرق ويغنون او يرتلون الاغاني باصواتهم معتقدين في انفسهم ان صاحبهم يذهب مباشرة الى دار الحمد ويجتمع مع احبابهم الذين سبقوه قبل موته فذكر في سجعة من سجعات الودا ~~ربنا الى الجنة~~ اوصلنا واجعلنا مع ازواجنا واولادنا في الجنة اين كن فيها احبابنا واصدقانا وتركوا خلفهم كهولة الجسم وحرروا انفسهم من الاكدار والاحزان ومن ارتخا الاعصاب وتكسر العظام واجعلنا نرى اهلنا واولادنا ويقولون في حق الميت ترفعك الابخرة المائية الى الجو وتتركك بحركاتها السريعة في الهوا وترشك على الارض مع الندا احمليه وارفعيه واجعليه كامل القوى العقلية او يذهب الى دار الصالحين وعندما يمر من الوادي الظلام الذي لا حد له حوله دع الروح التي لا تموت تصعد الى الجنة وطهر قدماه من الذنوب واجعله يدخلها نظيف الرجلين و عندما يعبر من الظلام وينظر مع الاستغراب في كافة الجهات امر بدخول الروح التي لا تموت في الجنة

فالاريائيين في وقت تقدمهم على التدريج ان مجموعة السجعات القديمة اي الريج ودا غير كافية لهم ضموا اليها ثلاث كتب مقدسة اخرى واطلقوا على الكل اسم الاربع ودا وقد ذكرنا ان اسم ودا معناه الحكمة او المعرفة وكان الكتاب الاول مقصور على سجعات الريج ودا ما ابطه والكتاب الثاني ساما ودا مقصور على سجعات الريج ودا اللازم ترتيلها عند استعمال شراب السوما المقدس والكتاب الثالث يحتوي على سجعات الريج ودا داخل فيها سجعات اخرى وبعض عبارات ترتل في وقت تقريب القربانات الكبيرة ومقسوم الى جزئين ياجور الاسود وياجور الابيض والكتاب الرابع ~~اتهرو~~ اتاروه ودا محتوي على السجعات التي صار تدوينها اخيرا في اخر الريج ودا ومن اشعار وقصايد عملت من عهد قريب

واضيفت الى الويدا الرابع وكافة ما اضافوه على الويدا الرابع من الاشعار والسجعات
اطلقوا عليه اسم براهمانى وجميعه مختص ببيان تقريب القربان والواجبات اللازمة فى
حق القسس والعلماء وجميع الاربعة ويدا والبراهمانى كلام انزل من عند الله وقالوا
انه كلمة الله ومن ثم كانت كتب الويدا والبراهمانى هى الكتب المقدسة عند الهنود واطلقوا
عليها اسم سُرُوتِى اى اشيا منزلة من عند الله وكانت الويدا عبارة عن مزاميرهم وامثالهم
المقدسة والبرهمانى عقايدهم الديانية ثم بعدها اضافوا ما يقال له سُوطْرَه نصوص
مخصوصة بالقوانين والشرايع والاحتفالات والشعاير ثم صار تاليف ما يقال له اوپَانِيشَادْ
تختص بما يتعلق بالاله والروح ثم رسالة اخرى اسمها اَرَنْيَاكا مخصوصة بالزهد و
العبادة فى الاورمانات ومن بعد هذا بمدة طويلة صار تاليف پُورَانَا او الروايات
والاحاديث القديمة وكانت هذه الرسايل غير معدودة بانها من كلام الله مثل الويدا
بل احاديث وروايات مقدسة وفى هذه المدة تشكلت الاربع طوايف وذلك انه كان
فى الملكة القديمة الورياتية بين خمسة انهار ينجاب كل رب بيته هو فارس عايلته و
مزارعه وقسيسه ومع توالى الزمن انتخب الملك بعض عايلات شريفة من العايلات الذين
الفوا الويدا وسجعاتها لكى يقيموا على الدوام الشعاير الكبيرة فى تقريب القربانات
او من العايلات الذين حفظوا على قلبهم غيبا سجعات الويدا ومن المحتمل ان هذه الحالة كانت
مبادى ظهور طايفة القسس وبما ان الورياتيين كانوا تغلبوا على اراضى شاسعة فكانت
الاكثر من هذه الاراضى القسم الاعظم نصيبا لهم وما زرعوها بايديهم بل بواسطة القبايل
الهندية القديمة التى تغلبوا عليها ومن هذا كان قيام الاربع طوايف وكانت الطايفة الاولى
القسس او البراهمانيين وهم الحافظون للويدا والمصنفينها والطايفة الثانية الحربيون
اى الذين يحاربون سوية مع الملك ويلقبون بالراجابوت او الفرسان من الفرع
الملوكى والثالثة المزارعين ومطلوق عليهم الاسم القديم وِشيَايُونَ وكان هذا الاسم
فى الويدا القديم داخل تحته عموم الامة والطايفة الرابعة السُّودْرَا اى الذين تغلبوا
على السكان القديمة واسترقوهم فالثلاث طوايف الاول كانوا عنصر ذرارى الورياتيين
وكان مطلوق على اصلاح شرف اسم الطوايف التوآمية وكان لهم الحق فى الحضور فى كافة
محلات العبادة وتقريب القربان وعبادة الالهة المختلفة واما السُّودْرَا فانهم كانوا
جماعات من الرقيق من النسل الاسود للويدا فكانوا متميزين عن الورياتيين الفاتحين
المطلوق عليهم التوآمية بعدم التوآمية وما كان مسموح لهم بالحضور فى احتفالات العبادة
او فى الولايم الداخلة فيها وما كان لهم من طاقة على القيام من او رفع رؤسهم من عبوديتهم
ومكلفين بفلاحة الغيطان والاراضى وكافة الاشغال الصعبة والقذرة الموجودة
فى قرى الامة ولتولد من وظيفة البراهمانيين ارتقاع شانهم وطلبوا حق ارتقائهم
فاشتبكوا مدة طويلة فى منازعات مع طايفة الفرسان المسماة شاتْرِيَا ما قبل ان
ينالوا الموقع الذى على راس الامة الهندية ثم بعد ذلك وطدوا لانفسهم هذا الموقع
الشامخ بتعليمهم الناس انهم اخذوه من عند الله وقالوا فى مبدا الدنيا ان براهمن خرج
من فم الخالق وخرج من اذرعة براهمن الفرسان او الشاتْرِيَا ومن بطنه او افخاذه
خرج الوشِيَايُونَ ومن اقدامه خرج السُّودْرَا واستمر الناس معتقدين بهذه الخرافة
حتى ان البراهمانيين صاروا فى الحقيقة اعضا واعصاب شوكة الامة الهندية والفرسان
ايديها المسلحة والوسيايون ارباب الفلاحة والزراعة والسودرا الارقا او العبيد
الدايسين تحت الارجل ولما اقام البراهمانيون شوكتهم وارتقوا فى منصبهم استعملوا
الطرق المدبرة فى تثقيف شوكتهم وذلك بانهم قرروا فى الاذهان القديمة للويدا انهم اذا
تيسر

معيشة البراهمة فى الحياة الدنيا

تاريخ البلاد الهـ[illegible] من البحار الزاخ[illegible] محمد القصا[illegible]

اذا تيسر لهم الحصول على السيادة الروحانية فانهم يرفضوا قبول طلب الخفيرة الارضية
فاستحوذوا بشماخة انفسهم فى وظيفة القسيسية على انه لهم الحق فى الوظايف الملوكية وان
تعيينهم من عند الله ليكونوا مرشدين للامم ومستشارين فى الامور عند الملوك اما لا يكونوا
ملوكا فى انفسهم فكانت وظايف السودرا الخدمة والوِشيَايُونَ الفلاحة والبعض
منهم مشتغل بالتجارة ووظيفة الفرسان محاربات الاعدا القومية والبراهمانيون الاشتغال
بالالهة وتشريع الاوامر واعرضها فكان كل يوم يمر فيه للبراهمانيين احتفالات وممارسات
ووظايف واجبة وعيشتهم مقصورة فى اربعة اشيا منظومة لان حياتهم ووجودهم مع
ابهتها الدينية ليس مبداها الولادة بل مبتدية من سن الطفولية بالسلوك المقدسة للتوآمية
وانهم يصرفون مدة صغرهم ومبادى شبابهم فى كونهم يحفظوا على قلوبهم غيبًا الكتب المقدسة
بامر من براهمن ويلازمون النار المقدسة ويخدمون معلميهم ولما يتم البراهمن الواحد
ممارساته ودروسه يدخل فى الحالة الثانية للعيشة بصفة انه رب بيت فيتزوج ويشرع
فى ادا الواجبات اللازمة لرب البيت بخصوص اهل بيته وعند ما يخلف عايلة ويتحوز
على معارف عملية فى الدنيا يعتزل فى الاورمانات بصفة زاهد او ناسك وهى المدة
الثالثة من حياته ويعيش على جذور النباتات وثمار الاورمانات ويبدى واجبات
ديانته بزيادة خشوعه وخضوعه واما الحالة الرابعة فهى انه من ملازمته للتقشف والزهد
يخرج عن كافة الحالة الدنيوية ويجتهد فى تيسره الحصول على حالة لا يحس بها بالسرور
ولا الالم او المصيبة ولا عوزة البدن بل يوجه كافة احساساته النهائية الى الاله
وفى هذه الحالة الرابعة من المعيشة لا ياكل البراهمانى شيئا الا الذى ياتى له او يعطى
له من دون طلب ولا يقيم زيادة عن يوم واحد فى اى قرية لئلا العيوب والنقايص
والمحن الدنيوية تدخل فى بدنه وتتسلطن فى قلبه وفى مدة وجوده فى هذه الحالة يتعود
على سماحة السجايا والاخلاق ولا يشرب الانبذة ويتعود الغذا البسيط ويتجنب الشهوات
ويبعد نفسه عن كافة ما يتولد عنه هياج الحروب لانه اشتغاله العبادة لا المحاربات ويوجه
افكاره الى ممارسة العلوم وتدبير الامور وقال احد عقلا البراهمانيين ما هذه الدنيا
الا شرع كمثل فرع شجرة رفرف عليه طاير ليلة واحدة ثم طار عنه فى وقت الصباح

البراهمانيون المنا[illegible]

ومن ثم كان البراهمانيون امة من الناس فى المدة القديمة من هذه الدنيا ربطوا انفسهم
بقانون الحياة الدنيا المشتمل على الفرايض والسنن الواجبة التى تهذبوا بها وردعتهم عن
الشهوات النفسية واما براهمانى الحالة الراهنة او هذا الوقت فانهم نتيجة وراثة تهذيب
وعفة من عهد مضى ٣٠٠٠ سنة ودخلوا فى صورة هيئة بشرية ممتازة بالكلية عن الامم
المحيطة بهم حتى ان السياح او المسافر المار من الاراضى الهندية يميزهم ويعرفهم من العلامات
والاشارات الموجودة فيهم وهم بروتري الاصداغ كبار الاطراف لهم محبة بالراجابوت او
الطايفة الحربية من ذرية الورياتيين وكذا يمتازون عن سود الجلود فطس الانوف
غلاظ الشفاف الطوايف الدنية من القبايل القديمة الهندية بقصر اجسامهم واستدارة
رؤسهم وان البراهمانيين طاليين من الطول والنحافة ولهم شفاف والانوف مدورة ظريفة
حسان الوجوه والتقاطيع ذوى جبهة عالية وجمجمتهم فى شبه جوزة النارجيل ومثل
البراهمانى مثل طايفة دخلت ارضا فحكمتها وساستها لا بقوة السلاح بل بقوة الاراب
الورائية وحسن السجايا والشمايل الذاتية فلقد دخل الهند جنس بعد جنس وقامت عايلة
ثم سقطت وانتشرت الديانات على الارض ثم خفيت الا انه من عهد بزوغ تاريخ البراهمانيين
فانهم حكموا مع الهدو والسكون واخذت اعمالهم واحكامهم بالعقول ونالوا القبول والشرف
الامة وقبولهم الامم الاجنبية ورضوا بهم بانهم اعلا جنس فى النوع الانسانى وارفع
وما كان هذا الموقع العظيم الذى ناله البراهمانيين خاليًا من نتيجة ولو صغيرة من الاعمال

والمنافع المفيدة التي افاضوها على الامة الهندية فانهم نشروا على الاوريا بيين اهل
بلادهم لغات عظيمة وآداب جميلة وما كان البراهمانيون هم القسس والاساقفة
فقط والفلاسفة بل وكانوا هم مشترعي الشرائع والقوانين ومخترعي العلم الانساني واشعار
وانشادات ومدائح جنسهم وكانت سلطتهم على الامم القديمة الهندية والاجناس القاطنة
في التلال والجبال والاورمانات كبيرة جدا وعلموا هؤلاء البقايا الهمجية الذين

الدين البراهماني

هم بقايا عصور التطرف والاحجار في الازمان القديمة صنعة المعادن ومعرفة الالهة
ثم ابتدأ البراهمانيون فيما بينهم بانه يتفكروا في ان الالهة القديمة المذكورة في السجلات
الويدائية ليست في الحقيقة الهة اصلية بل اشعار وخرافات تلفيقية لانهم في ابتداء تزكيتهم
في امتحانه هذه المسئلة والتفكر فيها وجدوا ان الشمس والبحار والهواء المحيط او الجو
والريح وشفق الفجر مرتاحة لها على الفصل من بعضها وانه تكون هي الخالقة للاشياء بل
ولابد وانه تكون هذه جميعها خارجة من جهة او من عنصر مكونة واحد اولي ولما تمكنوا
من تصورهم وجود الخالق الاولي ما حصل منهم ادنى ارتجاج او زعزعة في الجهل المتسلط
في عقول الطوائف برفضهم الهة الويدا دفعة واحدة جهرة وجعلوا الالهة القديمة
المضيئة الويدائية مصنوعات جليلة من قدرة الخالق الاكبر واستمروا مع الاب والحشمة
مع الامة في اداء الاحترامات اللازمة لها واما نفس البراهمانيين فانهم عرفوا وحدانية
الله سبحانه وتعالى وتركوا الناس والامة معتقدة في اربع طوائف واربع ودا
والهة لا حصر لعددها الا ان ارباب الافكار العالية من البراهمانيين فرزوا بانه لا

التثليث الهندي

يوجد من الوصل او بتدائي الا طائفة واحدة وودا اي حكمة او دين واحد واله واحد
ثم كان الارتباك والتشويش الواقع من كثرة تعدد الالهة المضيئة الويدائية سببا في ان
حل محو هذه الالهة اله واحد حال في ثلاث اشيا واضحة هي براهما الخالق
ووشنو الحافظ وسيوا المدمر والمعيد وكل من هؤلاء الثلاثة له اعوازج ومثال
اولى في الالهة الويدائية واسم هؤلاء الثلاثة اشخاص هو التثليث الهندي لحد هذا
الوقت فاما براهما وهو الخالق او الشخص الاول في التثليث وهو خلاصة الفكر والتصور
في كونه الها مطلقا واما وشنو وهو الشخص الثاني في التثليث فانه معبود نافع
واتفق به قالوا على انه نزل عشر مرات من السماء وعاش في الارض وكانت هذه هي
العشر تجسمات التي تجسمها وشنو في الارض واما سيوا وهو الشخص الثالث في التثليث
فهو المفني او المدمر والمعيد ثانيا وبينوا من اصول الدين ان الموت ان هو الا عبارة
عن تغيير في الحالة والدخول في حياة جديدة او دنيا جديدة وصار كل من وشنو وسيوا
الالهين الاصليين للهنود مهما كانا عليه من تغيير هيئتهما سوا كانا ذكرين او انثيين
وبهذا شيد البراهمانيون ديانة للامة الهندية ثم اشتغلوا بالقواعد الفلسفية ورتبوا
اصولها حسب قواعد منها ذرشانا اي مرآة المعارف صار تاليفها قبل الميلاد بنحو
٥٠٠ سنة وكان عندهم ايضا تاليف من علومهم وقواعد النحو البانيني السنسكريتي
ثم تاليفها في نحو سنة ٣٥٠ قبل الميلاد وما زال موجودا عندهم اساسا لدراسة اللغة
بهذه الحالة كان البراهمانيون اما الجريك او الروماويون في ميدان المعارف بكثير او بل
حقيقة امام كل امة اوروباوية من عهدها لحد القرن الحالي وان كلامهم الفصيح او
لهجتهم السنسكريتية الفصيحة لا يتكلم بها الا العلما فقط واما عوام الامة فانهم يتكلمون
بلهجة من هذه اللغة يطلق عليها اسم براكريت او لغة العوام ومن هذه اللغة البراكريتية
القديمة تولدت اللغات الاخيرة الهندية ومع هذا فان البراهمانيين يكتبون على الدوام باللغة
السنسكريتية الفصيح المجهول معرفته عند الامة الهندية وانه عندهم اشبه بلغة ماتت والقفل
اجرها وما لاحد طاقة الا البراهمانيين الذين يقدروا على قراءة الكتب المقدسة او يكتبون
كتبا جديدة وبهذه المثابة صاروا هم على الرجال فقط في الهند

في

المعارف والآداب الهندية

وفي مبادي سنة ٢٥٠ قبل الميلاد صار اختراع صورتين من الحروف الالف بائية من اجل
استعمالها في الهند لتدوين العلوم والمعارف وتسجيل الحوادث الا ان البراهمانيين
رجحوا انه اول علومهم المقدسة بالتذكار احسن من الكتابة وحفظ متديني البراهمانيين
الويدا غيبا على قلوبهم ضلوف كتب كثيرة غيرها فكانت هذه الطريقة عندهم اسهل
الطرق بما ان كافة علومهم وآدابهم كانت تقريبا في صورة سجعات او ابيات شعرية وفي
الازمان القديمة جدا من بعد تأليف تراتيل الويدا بقليل صار تاليف بعضها في سجعات
ملائمة بسيطة خالية من اللغط والغلط ونشرت ومن بعد مضي ما ينوف عن ٢٠٠٠ سنة
صنف البراهمانيون جميع في صورة سجعات شعرية وقصايد انشادية ودرس البراهمانيون

علم الفلك عند البراهمانيين

حركات الاجرام السماوية ومارسوها من اجل تعيين واثبات اوقات المواسم وتقريب
القربانات واقامة شعاير الادعية والصلوات ومن عهد ما ينوف عن مضي ٢٠٠٠ سنة
اشتغل مؤلفي الويدا بالحساب الدقيقة للسنة الشمسية وقسموها الى ٣٦٠ يوم وضموا
لكل سنة ٥ ¼ ايام وجعلوا في كل خامس سنة شهر زيارة مضاف على حساب شهورها وكانوا
على خبرة ايضا من المنازل القمرية وحركات الكواكب السيارة وبروج منطقة فلك البروج
وكان البراهمانيون في درجة عالية من التقدم في العلوم الفلكية من قبل دخول الجريك
في الهند في سنة ٣٢٧ قبل الميلاد ومع هذا فانه ما طرأ على عقلهم الخجل والعار من تعليمهم
اشيا من الفاتحين بلادهم وكان من ضمن الخمسة مذاهب فلكية البراهمانية مذهب يقال
له روماكا او المذهب الجريكي وفي هذا الوقت كان الهنود في درجة عالية عن الجريك
في مسئلة علم الفلك حتى انتشر صيت وشهرة فلكي البراهمانيين في الجهة الغربية من الدنيا
وترجم العرب تاليفهم وكتبهم الى اللغة العربية في سنة ٨٠٠ بعد الميلاد ومن ثم وصلت
اوروبا ومن بعد شروع المسلمين في خراب الهند في سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد اضمحل العلم
البراهماني الا ان فلكي الهنود اخذوا في التقدم شيئا فشيئا وما زال يوجد لحد الآن
في مدينة بنارس وغيرها محلات رصد الكواكب مشاهدة للعيان حتى ان الفلكي الهندي
راجا جاي سينها صحح جدول حساب الكواكب الذي نشره الفلكي الفرنساوي الشهير

الطب البراهماني

دولاهير في سنة ١٧٠٢ بعد الميلاد واستقل البراهمانيون ايضا لانفسهم بطريق في قواعد
الطب وبما انهم درسوا الاجرام الفلكية من اجل تعيين تواريخ مواسمهم السنوية فمن ثم
شرعوا في علم التشريح في وقت ذبح الحيوانات عند تقريب القربانات بالنظر لتقريب البعض
من اجزائها المختلفة للالهة واخيرا جعلوا ان علم الطب منزل من عند الله وما كانت
قدماء البراهمانيين ينفروا من تشريح اجسام الحيوانات الميتة وكانوا يهذبون ويعلمون
طلبتهم بواسطة عمليات معمولة على شمع معقود وعلى الواح من خشب بدل اللحم وعلى سيقان
النباتات وكانت دور الشفا التي اسسها ملوك البوذهيست في كافة انحا الهند من اجل
علاج الناس والحيوانات فرصة عظيمة عند الهنود في ممارستهم علم الامراض باطنة وظاهرة
وما تعلم البراهمانيون شيئا من علم الطب من الجريك بل علموهم هم كثيرا من علومهم الطبية
واشتغل اطبا العرب بترجمتهم كتب الطب من اللسان السنسكريتي في سنة ٨٠٠ بعد الميلاد
واستقاروا وامزجوا اشيا جمة وكان الطب الاوروباوي من ابتداء القرن السابع عشر موقفا

اضمحلال الطب الهندو

على الطب العربي ثم انه لما انتشر الدين البوذهيستي في الهند من سنة ٦٠٠ الى ١٠٠٠ بعد
الميلاد وحصل من اضمحلال الديانة البوذهيستية الجور والتعدي على طائفة البراهمانيين وهدروا
دماهم ترك البراهمانيون تدريس علم الطب للويشيين وهم طائفة دينية متناسلة من
اب برهماني وامراة من الويشيين او من طائفة المزارعين وهذه الطائفة تركت ايضا
مع مرورها من مسكهم اجسام الحيوانات الميتة ومن الاعمال التي كانت تعمل على رحم الحيوانات
التي بواسطتها كان يحصل عند الطلبة قصور في العقل وركاكة في الذهن ويحتمل ايضا ان سبب
الغا دور الشفا وابطالها في وقت اضمحلال الدولة البوذهيستية كان موجبا لضياع الطب الهندي ايضا

وشرع فاتحي المسلمين في سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد في ترتيب مدارس جديدة وانشأ طريق في
انتشار فن الطب بواسطة حكما واطبا من الاجانب اي منهم وليسوا من الامة الهندية وكانوا
اقتبسوه من الكتب العربية المترجمة في الاصل من كتب الطب السنسكريتي القديم في مدة
ارتقاء الامة الهندية في هذا الفن والتزم حكما المسلمين بالمداومة على الحفظ على
مداواة الملوك والاشراف الهندية ومازال الطب الهندي مدثورا في الهند حتى هو عند
طلبة وحالة هذه الى مدارس ومكاتب الطب التي انشأتها الحكومة الانكليزية في نفس
البلاد الهندية واستحى هذا الفن جزء من بعد اندراسه بمدد طويلة

فن الموسيقى

وكان فن الموسيقى والالات من الاعواد وغيرها موجود عند البراهمانية ولهم فيه اليد
الطولى والسبعة الحان التي اخترعوها قبل ميلاد المسيح بنحو اربع قرون وصلت الى
العرب من طريق الفرس ومنها رحل فن الموسيقى في اوروبا في القرن الحادي عشر بعد الميلاد
وفقد فن الموسيقى الهندي في مدة الحكم الاسلامي في البلاد الهندية ومن كثرة طرق هذا
الفن والحانه وعدم معرفة الاوروباويين به حرموا من لذة سمعه الا انهم ربتوه على
قواعد عملية حتى صار في درجة عالية واحي وطني الهند هذا الفن ايضا بمعرفة الاوروباويين
في هذا الحين وبجولوا في طرقه ونغماته حتى صار مطربا للاوربيين من الرعايا الانكليزية

قوانين البراهمانية

واشتغل البراهمانيين في تشريع القوانين والشرايع الخاصة بديانتهم وكانت اعمالهم الشرعية
القديمة مخصوصة بما يتعلق بادارة الواجبات الداخلية لبيوت العايلات في سنة ٧٠٠ قبل الميلاد
ثم وضعت العوايد والطبايع البراهمانيين في الهند الشمالي تحت قانون مانو في سنة ٤٠٠
قبل الميلاد ومن بعدها ظهر قانون اخر مشهور عرف بقانون ياجنا ولكيا قبل الميلاد
بنحو ٢٠٠ سنة وكانت هذه القوانين وما عليها من الشروح والتفاسير عليها مدار
حياة ومعيشة الامة الهندية وكانت مركبة من قانون معصور في ثلاثة فروع الاول
الحقوق والواجبات المنزلية والداخلية والثاني الادارة العدلية والثالث التطهيرات
الديانية والكفارات وعلى كثير من القواعد والاصول الخاصة بالزواج والوراثة
والغذا ومن مقتضى هذه القوانين جعل او صيرورة كل طايفة على حدتها في زواجها
واكلها وشغلها وقبل الهنود هذه القوانين بانها قوانين الهية وكان انشا هذه
القوانين شغل من البراهمانيين من اجل حضارة وتمدن الامة القديمة الهندية غير انهم
جعلوها عمومية فقط على حسب عوايد امم المملكة البراهمانية الشمالية وما كانت عامة على
كافة الاجناس الهندية فاتفق كبار المشرعين من الهنود على ان عوايد كل مملكة مختلفة
في الهند لابد من احترامها وبهذه الطريقة سمحوا بوجود العوايد الدينية او عوايد الامم
القديمة الهندية وكانت من اقبح شي عند البراهمانيين ان يكون للمراة الواحدة زوجات
الا ان هذه العادة كانت متسلطة فيما بين النايرون في الهند الجنوبية وغيرهم من
اجناس القبايل القديمة حتى ثم صارت عندهم شرعية اي شرعها البرهمانيون ودونوا
قوانين واصول الوراثة بين هولاي الامم على حسب ذلك

فن الشعر عند البراهمانيين

وما كان البراهمانيون مصنفون فقط للكتب المقدسة وحافظوها والفلسفة والعلوم
العقلية للانسان وتشريع الشرايع والقوانين للامة الهندية بل وكانوا ايضا شعراها
ومنشديها وما كانوا يدونون التواريخ بل ينشدون الحروب القديمة وحياة الشجعان
الارياية في قصايد واشعار شعرية وكان ولم يزل اشهر هذه الحوادث الحرب الكبير
المسمى مهابهاراطه او حوادث ملوك دلهي وحرب الراجاييات او وقعة المجازف
او الفارس الارياني ودخوله في الجهة الجنوبي

مهابهاراطه ونظمها لفاتها

المهابهاراطه مجموعة كبيرة من الخرافات الهندية مؤلفة في هيئة سجع مثل قصة عنتر و
ابو زيد والقصص الجاري قراتها على القهاوي في مصر وبعضها مخترع من عهد قديم مثل
اليورا وسجعاتها والقصة الاصلية وقعت في مدة لا تقل اقل من ١٢٠٠ سنة قبل
الميلاد انما تدونت في صورة حالتها الراهنة من بعد مضي ١٠٠٠ سنة لا اقل وانها مشتملة
على

على ٢٢٠٠٠٠ بيت من الشعر مع ان اشعار هوميروس اليونانية لا تزيد عن ١٦٠٠٠ بيت و
اشعار فيرجيل اقل من ١٠٠٠٠ بيت وموضوع هذه القصة يشتمل على نحو ربع كامل الحكاية
او نحو ٥٠٠٠٠ بيت من الشعر ومقصورة على حرب وقع بين عائلتين من الجنس القمري بخصوص
مملكة كانت واقعة بالقرب من مدينة دلهي الموجودة الآن وملخصها انه كان يوجد
في الزمن القديم مدينة على شواطي الگنگ او الكنج اسمها هستينابور او مدينة الفيل
وكانت واقعة على مسافة ستين ميلا في الجهة الشمالية الشرقية من مركز مدينة دلهي
الحالية الا انه في ذاك الوقت ما كانت بعيدة من مدينة دلهي وكان نهر جمنه يجري من وسط
اوربحانات وكان ملك مدينة هستينابور معروفا بانه هو المهاراجا او الملك الكبير من الجنس القمري
وكان يقعد في باب سرايته ويحكم مملكته وحوله مجلس من اقاربه وكبار قومه مثل عادة
الازمان القديمة التي كانت جارية عند الملوك الذين يحكمون البلاد الهندية فاتفق ان
مات المهاراجا فوقع الارتباك في مجلس هستينابور وحزنوا حزنا شديدا على فقد
ملكهم وذلك في سنة ٤٦٥ قبل الميلاد وكان للمهاراجا ولدان اكبرهما عاجز البصر
او اعمى فصرف اقاربه وكبار عشيرته النظر عنه بسبب عجز بصره واجلسوا اخوه الصغير
على التخت وكان اسمه پندو وجعلوه مهاراجا ثم من بعد مضي مدة مات پندو المذكور
من بعد ان خلف خمس اولاد اطلق عليهم اسم البنداويون ومن ثم اجلسوا البرنس العاجز
او الاعمى على التخت بصفة مهاراجا على شرط انه متى بلغ الولد الكبير من البنداويين مبلغ
الرجال يكون له نصيب في تقلده وظيفة في الحكومة بصفة راجا صغير ويجلس على التخت من
بعد موت عمه وروي في قول اخر ان پندو المذكور كان مصابا بداء البرص وعلى حسب
عوايد الشرق ما كان صالح للجلوس على التخت بسبب علامات البرص الموجودة في جسمه
فقالوا انه كان مستحقا وراثة التخت بسبب انه هو البكري الا ان اهله وكبار عشيرته صرفوا
النظر عنه وتنازل هو عن طلباته وادعاه في التخت لاخيه واعتزل الى اقصى جبال
وقضى حياته في العزلة ومن بعد موته ارسل اصحابه الذين كانوا معه اولاده الايتام
الى هستينابور واوقفوهم على عمهم تحت وصايته

واما الملك العاجز وكان متزوجا ببرنسيسة اسمها قندهاري من مملكة قندهار وهي
اقليم واقع في الجهة الغربية من نهر السند والان في ضمن مملكة افغانستان وما ازال
هذا الاسم علم عليها الى الان وكانت هذه البرنسيسة واضعة على الدوام منديلا
او برقوعا على عينيها حتى لا يحصل عندها ادنى كبر في حق زوجها وخلفت منه عدة اولاد
لقبوا بلقب الكوراويون ليس لقب ابيهم بل لقب واحد اسمه كورو من اجدادهم
وكان اسم البنداوا الكبير يودشطيره وما كان فارسا حربيا بل كان حازم الرأي زيادة
عن فروسيته واسم اخوه الثاني بيما كان صلبا قويا وكان يحارب بالعنوف مثل
فرسان الهنود واسم اخوه الثالث ارجونه وكان كامل الصفات في ضرب النشاب
وفارس العشيرة واما الاثنان الاخران من الخمسة فما كان لهم صيت في وقعة الحرب
وذكر في الحكاية ان هؤلاء الخمسة اولاد ثلاثة منهم من زوجة والاثنان الاخران من زوجة
اخرى وان المشهور فقط ان اباهم هو پندو وانهم من زوجتيه الا انهم كانوا اولاد
الالهة وان اخاهم الغير بالقياس على الالهة وقالوا ان يودشطيره كان ابن دارمه
اله العدل وبيما ابن اله الريح وايو وارجونة ابن اندره اله الجو والاخران ولدي
الالهة اخرى واما الكوروا الكبير فكان اسمه دوريوذانه وكان مشهورا بالفروسية
والجسارة لا يتردد في اموره وروي ان اخوته من امه كانوا مائة شخص وهذه من
الخرافات الواضحة وكان له صديق اسمه كرنه وما كان من اقاربه ولا شريف في المولد
الا انه كان بطلا وعظيما مثل ارجونه ودخل البرنسات الشبان البنداويون والكوروايون
في التهذيب حتى تعلموا استعمال الاسلحة وركوب الخيل والفيلة وعربات الحرب بمعرفة معلم
مخصوص لهم كان اسمه درونه واحيانا كانوا يظهرون براعتهم في تعليمهم امام

امهاتهم واهلهم الا انه كان يوجد في قلوبهم مرض وجوى بينهم وكانوا يبغضون بعضهم اي ان البندوايون كانوا يكرهون الكوروايون وبالعكس وكانت حينهم في المزاح ربما تؤول الى حرب جد او قتال حقيقي حتى انه على سبب من الاسباب هين تضارب بيما ودوريدانه مع بعضها بالبنابيت واشتد بينها الحرب وصارت حالتها مفزعة لولا ان خلصها درونه من بعضها وفصلها وابعدها عن بعضها

ولما ترعرع يوديشطيره وشب وبلغ مبلغ الرجال وهو الولد الكبير من البندوايين عينه الملك الاعمى في وظيفة ملك صغير فضج الكوروايين وزمجروا عليه وسالوا ابوهم الاعمى الملك الكبير لماذا يرجح ابن اخيه عن ابنه فغضب الملك وما كان له ان يمنع ووقع بينه وبين اولاده منازعات ثم فصلح بكونه عين ابنه دوريدانه في وظيفة ملك صغير وطرد يوديشطيره واخوته من مملكته ونفاهم من ارضه ومن ثم تخفى البندوايون في صفة براهمانيين وعاشوا على الصدقة وسؤال الحسنة وفي نحو هذا الوقت انتشرت الاخبار في كافة ارض المملكة بان راجا بنشالي (من المحتمل انها كانت مملكة بالقرب من بنجاب الان حدودها غير معروفة) سيعقد موسم زواج او وليمة زواج لابنته دروبالي وهذا الاحتفال اسمه سوايامفورا ومعناه ان العروس تنتخب لنفسها عريسا من بين شبان يتسابقون مع بعضهم في ضرب النشاب ومن فاق اقرانه في ملعب هذا الزواج تختاره العروس عريسا لها ومن اجل هذا اسرع الكوروايون الى مملكة بنشالي ومعهم صديقهم كرنه ودخلوا في عداد الفرسان او الشترياويون واما البندوايون فانهم توجهوا الى هذا المكان متخفيين في صفة براهمانيين ولما اجتمع كافة الشبان سوية في ميدان المسابقة رأوا سمكة من الذهب موضوعة فوقه قمة عمود وقوس ضخم موضوع تحت اسفل العمود وقيل لهم ان اول من يصيب بنبلة عين السمكة فله الجائزة ويعرس بالبرنسيسه ثم من بعد قليل سار ابو البرنسيسه دروبالي بابنته الى وسط الميدان وكانت بارعة في الحسن والجمال وماسكة في يدها الكليل من الزهورات فانه وافقها الذي يفوق اقرانه في ضرب النبل ورمى عينها عليه لفت على رقبته هذا الاكليل الزهر ويعرس بها بمعرفة ابيها ولما وقفت دروبالي في الميدان تقرب الشبان من القوس الموضوع تحت العمود فما كان في البعض منهم قدرة على حمله والذين امكنهم رفعه من على الارض وحمله ما كان لهم من طاقة على شده واجتهد دوريدانه واخوته على رفعه فخاب اجتهادهم فتقدم كرنه ورفعه من على الارض وشده الا ان دروبالي ما رغبته وما رضيت في مزاجها فزعقت بصوت عالي وقالت انا لا اتزوج بأولاد الاوادي ثم خجل كرنه امام الشبان في الميدان وتوجه الى سبيله مرتبكا في نفسه مهانا ذليلا وفي اثناء ما كان كافة الشبان مشغولين بالنظر نحو كرنه تقدم الفارس ارجونه وكان متزيا بزي البراهمانيين الا ان وجهه وصورته في هيئة فارس مثل الاله اندره ورفع القوس من الارض وشده وضرب السمكة بنبلة او جعلها في عينها امام كافة الشبان الذين ما كان لهم من طاقة على ضرب القوس وفي اثناء حركته وضربه النبلة كانت دروبالي ناظرة اليه تحس قلبها وغرامها بحبه ولما اصاب بنبلته عين السمكة الذهب حصل لها السرور الزائد وزاد غرامها به فتقربت من ارجونه بعيونها ناعسة خطيئة وبتبسم ثغر جميل ولفت الاكليل على رقبته ووضع يده في يدها وسارا الى ابيها حتى يعرس بها في الميدان في حضور كافة الاقران والاخوان فهاجت ثورة من الشبان في هذا الوقت وقالوا لبعضهم ان البرنسيسه ابنة واحد راجا ونحن لا طاقة لنا على الوقوف هنا وننظرها تعرس بواحد من البراهمانيين ومن ثم اقتحموا جميعا نحو الملك وصرخوا باصواتهم نحن فرسان او شاتريايون مثلك وانه لا قدرة لنا على ان نرى ابنتك دروبالي تتزوج بواحد من البراهمانيين فانه ابنة الملك يلزم لها ان تنتخب لنفسها عريسا من طائفة الفرسان واذ لم تقبل

تقبل دروبالي تتزوج بواحد من طائفة الفرسان واصرت على زواجها بهذا البراهماني حرقناها بالنار فزعق ارجونه بصوت عالي قائلا اما انا فاني شاتريا اي فارس وانا واخوتي اولاد الراجا بندو ملك هستينا بور وانا متخفين في صورة براهمانيين لاننا منفيين من ارضنا وبلادنا ثم ان كريشنا وقف امامهم جميعا وقال لهم ان ارجونه واخوته فرسان حقيقة وكان الكل يعتقدون في اقوال كريشنا وعرست دروبالي بارجونه بمعرفة ابيها وهنأ الناس العروسة والعريس بتمام ليالي افراحهم ولما تمت ايام وليمة الزواج تشاور البندوايون مع ابو دروبالي وارسلوا رسلا الى مدينة هستينا بور من اجل طلب الاستحواذ على المملكة فزمجر الكوروايون وارادوا الحرب فعزم الملك الاعمى على استتباب الامن والسلم وقسم المملكة الى قسمين فخصص للكوروايين كافة الاراضي الموجودة على نهر الكنج الواقعة حول مدينة هستينا بور وخصص الاراضي المشحونة بالادغال ورمانات والغابات لاولاد عمهم الخمسة ابناء فنظف البندوايون الارض من الاورمانات وطردوا منها الناجايون او الثعابين وقيل هجم الاورمانات والغابات وشيدوا قلعة اندره برسطه على شواطئ نهر جنه وجعلوها عاصمة ملكهم وكانت في المحل الموجودة عليه الان دلهي ولما اسسوا مملكتهم بهذه المثابة عملوا وليمة ملوكية دلالة على اشهار سلطتهم ووفد عليهم كافة ملوك الامم المجاورين لهم وهنؤا البندوايين بملكهم وكان موجود ايضا في هذه الوليمة الكوروايون فاستثيرت نفوسهم وكرهوا هذا الاحتفال وهذه النخوة الكبيرة وشرعوا في دس الدسايس سوية باغتصابهم مملكة البندوايين وارغامهم على ان يكونوا عبيدا لهم ووسع البرنسات البندواوية مملكتهم طولا وعرضا ومن بعد هذا اعلن البرنسات الكوروايون انهم سيعقدون لعب القمار او اليانصيب في مدينة هستينا بور ودعوا البندوايون في هذا اليانصيب واللعب معهم فيه فتوجه البندوايون الى سراية هستينا بور وشرعوا في لعب القمار مع الكوروايين تحت خيمة واسعة اعدت لهذا اللعب فغش الكوروايون البندوايون بزهر ثقيل واكسبوا كل مرة رمواتها الزهر واضرا غضب البندوايون وتمكن الجنون في رؤسهم بسبب ما حصل عندهم من الخسارة واستقدوا العود ما خسروه وضيعوا مملكتهم اندره برسطه في اتمام مملكة هستينا بور في لعب القمار فاكتسب الكوروايون اللعب وحصل لهم الفخر الزايد وخجل البندوايون وما تفقطوا العظ واحدة وفي هذا الوقت حصل اللغط والغاغة في السراية بان البندوايين خسروا ارضهم وبلادهم واملاكهم وصاروا هاربين الكوروايون خاير الملك الاعمى حدم وحواشيه بانه يعودوه ويوصلوه الى خيمة القمار لئلا هذا اللعب ينتهي بواقعة دموية بين الاهل والاقارب ولما وصل الملك في الخيمة كانوا جميعا حاضرين فيها فسأل الملك عن كل ما حصل وما وقع وحكم في المسئلة فقال ان البندوايين خسروا مملكتهم في لعب القمار غير ان هذا الخسران يلزم ان يكون لمدة معلومة فقط وذلك انهم ينفوا منها مدة اثني عشرة سنة ويخفون انفسهم من ان اقاربهم الكوروايون لا ينظرونهم سنة زيادة على الاثني عشرة سنة فان مملكتهم في اندره برسطه يلزم ان تعود اليهم وعلى هذا توجه البندوايون الى منفاهم وخرجوا من مملكتهم وتولوها الكوروايون ومن بعد عقوب الثلاثة عشرة سنة ارسل البندوايون رسلا الى مدينة هستينابور يطلبوا عود مملكتهم واظهروا تضرعهم وتوسلهم في عود مملكتهم وقالوا على انه لا يمكنهم ان يعيشوا في الحياة الدنيا من دون ارض يزرعوها ويقتاتوا منها فخصصوا لهم الملك الاعمى وقال اذا اراد البندوايين العود الى هستينابور مع الامن والسلم فانه يفصل كافة المنازعات والمخاصمات على حسب رغبتهم وما يشتهون في انفسهم فارتاب البندوايون من الحيلة والخيانة وخشوا منه انه ربما يقعوا في الشرك ويقتلوا واجتمع مجلس الوجوه والشيوخ في ربط العلاقات الا انهم كانوا مصدودين من جهة الكوروايين الذين كانوا مصرين ومصرين على دمار وخراب اولاد عمهم وال الامر اخيرا الى استعداد كل من الطرفين للحرب وروى ان كل ملك او برنس في ارض الهند من ابتداء بنجاب الى اسام ومن ابتداء جبال هماليا الى اقصى الهند الجنوبي كان له نصيبه في الحرب مع كل من الطرفين فاما الحرب فانه كان اكثر فيه

واما اجتماع هولاء الملوك من اقصى الجهات على مسافة الوف من الاميال فان الشك واقع
فيه ومازال ميدان الواقعة التى حصلت فيه المحاربة مشهورا لحد الان على مسافة ثلاثين
ميلا من دلهى ومازال موجود لحد الان حوض فى المحل الذى تضارب فيه بهيما ودوريدانه
بالنبابيت مضاربة شديدة حتى قتل دوريدانه وكان موته ختام الحرب وكانت واقعة
حرب مها برطه من اهول الحروب وافظعها على حسب اقوال الرواة لما كانت عليه من
المخوفات فانها امتدت ثمانية عشرة يوما حتى اليوم الاول وقع الغيظ والتحريض فى قلوب
الجيشين على بعضهما بعضا حتى ان البندواويين و الكوروا ويين تمكن الغضب وازداد حدة
فى قلوبهما واندفع كل منهما على الاخر مثل الوحوش المفترسة لا مثل مخلوقات البشر وصاروا
يضربون بعضهم بالطوب والاحجار الملوطة والمكاحة والحرب بالاجل والاكاكيم وتمزيق
بعضهم بالاسنان والاظافر ثم اشتبكوا مع بعضهم بعدها فى الضرب بالاقواس والنشاب
والحراب والسكاكين والنبابيت ومازالوا حتى انقرض واحد منهم وما كان هذا حربا ديانيا
ولا وطنيا ولا فى مدافعة عن الوطن ولا عن عائلة بل مذبحة قطيعة شنيعة بين قرايب
وبعضهم من اجل الاستحواذ على ارض وكان ستة ايام هذه الواقعة يوما استمر فيه
المضاربة طول النهار وطول الليل وصار هو المحاربون يضربون فى بعضهم فى اثنا الظلام
بحراب فى ايديهم ومشاعل فى الايدى الاخرى حتى غرق ميدان الواقعة بالدما والرمم و
اعقب ذلك مدة وقايع رفلت فيها الالهة وشجعان الالهة حتى قتل الماية نفس الكورواويين
وكافة اصدقا واقارب البندواويين وما بقى الا الخمسة اخوة البندواويين فتنازل لهم
عمهم عن كافة المملكة واستمر البندواويين حاكمين فى المملكة مع الابهة والافتخار مدة
طويلة من الزمن وعملوا وليمة كبيرة جمعوا من لحوم الخيول اشهارا باستحواذهم على سلطنتهم
الا ان عمهم الاعمى العجوز كان دايما يفرح بهم ويعنفهم على قتلهم اولاده الماية حتى انه
خرج من المملكة مع لبعض ما بقى معه من وزراه الموجودين على قيد الحياة وزوجته الطاعنة
فى السن وزوجة اخوه ام البندواويين وذهبوا الى صومعة من الصوامع وهلكت جميع
هذه الشرذمة البالية فى نار احترقت فيها ثم تمكن الاسف والحزن فى الخمسة اخوات ما وقع
منهم من السيئات وتنازلوا عن مملكتهم واخذوا زوجتهم دروبالى وكلبهم كان صديقا لهم
وساروا الى جبال هماليا فى طلب البحث عن جنة اندره فوق جبل ميرو فماتوا واحدا
بعد الاخر من شدة الحزن وهم سايرون فى طريقهم حتى ما بقى منهم الا اخوهم الكبير يودستيره
ومعه الكلب حتى وصل الى باب جنة اندره فدعاه اندره للدخول فيها فرفض
الدخول الا مع زوجته واخوته الذين فقدهم فى طريق سيره فمنحه اندره طلبه فقال
له والكلب ينبغى ان يدخل ايضا فما سمح له اندره بذلك ومن بعد ان نظر يوديشطيره
الى الجنة وقع فى نار جهنم فوجد الكثير من قدماء رفقاه يعذبون فيها فاختار ان يكون
فى الالم والعذاب بدل من تمتعه فى الجنة بمفرده الا انه لما كان اندره سمح له بالدخول فى الجنة
بجسمه مع جميع اصحابه وادخلهم الجنة واستمروا متمتعين فيها بالراحة الابدية مع اندره وذكر ان
الحرب الذى وقع من اجل مملكة هستينابور هو الحرب الرابع من حروب مهابرطه وما بقى منها
موسس على خرافات وقصص قديمة اخرى تختص بالالهة والمناقشات الديانية من اجل
تعليم طايفة الحربية ما يجب عليها من اعمالها وعلى الخصوص واجبات ما يلزم عملها للكوهنة
للبراهمانيين ويمكن مراعاة هذه الوقايع والحروب انها كانت عصر الشجاعة والفروسية
فى شمال البلاد الهندية

والقصيدة الشعرية الكبيرة الهندية مقصورة على ما يقال له الراماياناث وهى حكايات تختص
بتقدم الاريانيين فى جنوب الهند وروى ان الذى الفها الشاعر الهندى واليكى وكان
وقوع هذه الحكاية قبل ميلاد المسيح بالفى سنة غير ان هذه الراماياناث ما تم ونشر فى
حالتها الموجودة عليه الان الا قبل الميلاد ببضع قرون وبعضها قبل وقوع حروب المهابرطه
وتمت بعد وهى عبارة عن ٤٨٠٠٠ بيت من الشعر
وكما ان المهابرطه اتخذوا بالجنس العربى فى دلهى فكذلك الراماياناث الفوا قصايد تاريخ
الجنس الشمسى فى ايودهيا عاصمة ما يقال له الان الاقليم الاخير اوده وما تم حفظ

الراماياناث
الراماياناث

حفظت تلك القصايد والاشعار حكايات ومرويات المملكتان الاكثر شهرة من الممالك الاو
ريانية اللتان كانتا موجودتان فى جهتين متقابلتين الشرقية والغربية من وسط ارض
سنقاله ولنشرح ملخص هذه الواقعة الثانية المشهورة فى الحوادث الهندية القديمة فنقول
ان مملكة كوسالة التى وقعت فيها هذه الحادثة هى ايالة اوده الحالية الواقعة الان
فى الجهة الشرقية من نهر الكنج وكانت عاصمة هذه المملكة مدينة ايودهيا واقعة على نهر
سريو وهو نهر جوجره الان وكان مهاراجا كوسالة فى حالة حضرية وهيئة حكومات
امبراطورية ومجلسه مؤلف من روسا البراهمانيين وكان متزوجا بثلاث ملكات وله
اربعة اولاد فكانت خرافة مسيلة مثل خرافة مسيلة المها برطه مقصورة فى مسيلة
الوراثة وفى الواقع فانه فى مدة سلطنة الملوك الهندية كانت مجالسهم مشغولة على الخصوص
بمسايل الحرب والخلافة ومن ثم كانت المسيلة الرامايانية مقصورة فى استبدال الابن
البكرى من الزوجة الاولى بالابن الاصغر ابن الملكة الثالثة الاخيرة زوجة الملك وكان
راما الابن الكبير هو الوارث على حسب الشرع لتخت ابيه من بعده ولما بلغ راما مبلغ الحلم
تزوج برنسيسة اسمها سيطه من ميطيلا بطريق الانتخاب كما حصل فى واقعة المها برطه
واشتهر راما فى كونه شد القوس الثقيل وهو قوس سيوا فى وسط عموم مجلس الشباب
واجتماع الامرا الراغب كل منهم زواج سيطه وصار انتخابه ايضا وارث تخت ابيه فاستحوذت
الملكة الثالثة الصغيرة على عقل الملك وكانت عنده محبوبة وجعلت وراثة التخت لابنها
ونفى راما وزوجته سيطه مدة اربعة عشرة سنة فى الاورمانات وقيل ان سيطه
اغوت راما على العصيان على ابيه فما سمع منها راما قولا ولما مات الملك التأم مجلس
الاشراف والبراهمة فى داخل السراية واتفق المجلس على وضع جثة الملك فى حمام من
الزيت لاجل حفظها حتى ان ابنه من زوجته الثالثة المدعو برطه الذى وصى له بوراثة
التخت يحضر فى ايودهيا من اجل مباشرة شعاير الجنازة ثم حضر برطه فى ايودهيا
وخرجت جنازة الملك من سرايته مع الاحتفال وحرقت بقاياه على شواطى نهر سريو
ولو ان برطه هو الخليفة الشرعى حسب وصية ابوه الا انه رفض قبول الدخول فى
مثل هذه الوراثة وذهب يتحصى عن راما من اجل عوده الى استحقاق وراثته ولما
التقى معه وقعت بينهما المحبة الاخوية وامره بالعود والحكم فى المملكة باسمه حتى يتم
مدة نفيه ويحضر فى طلب مملكته يسلمها له ثم كانت حكاية نفى راما مزوجة بالحق
احيانا وبالخرافات تارة فروى انه اصطحب باخيه لكشمانه وزوجته سيطه ولبسوا
ملابس خشنة على حسب عادة اولاد الملوك المنفيين وخرجوا من مدينة ايودهيا وتوجهوا
نحو برياجه التى هى الان مدينة الله اباد فى ملتقى نهر الكنج بنهر جمنة وعدوا فى
النهرين وقاموا مدة من الزمن فى جبال واورمانات بونديلكند فى الجهة الجنوبية من
نهر جمنة ثم تجولوا فى اورمانات داكن الى الجهة الجنوبية نحو منابع نهر جودواري
فى جبال وندهيه وفى اثنا هذه المدة كانوا المنفيون فى تصادم وحروب مع امة
سرية تعرف بالراكشا سادوية وكانت هذه الامة تصورية فى الذهن فقط وروى
انهم ما كانوا جن بل كانوا غيلان وان الواحد منها كان جيلا من لحم مما رون انسى
وبورقية واخر فى صورة امرأة قبيحة الذات وحارب راما جيش هذه الامة وهزمه
وتقلب عليها من واقعة واحدة وكان راونه ملك الراكشا سا ويون قاطن فى جزيرة
لنكا وهى جزيرة سيلان الان الا ان حكمه ومملكته كانت ممدودة على جنوب الهند فبلغه
شهرة جمال سيطه زوجة راما فخطفها الى صومعتها فى اثنا غياب زوجها فى الاورمانات
وقبض عليها وطار بها فى عربة مسحورة فى الهوا حتى نزل فى سيلان فغار راما على سيلان
وخلصها من راونه وذكر انه تحد مع القبايل سكان الهند الجنوبية وكانوا معروفين
باسما القرود والدباب وجمع منهم جيشا ضخما وعظم هانومانه قايد القرود وعبر
خليج البحر الكاين بين الهند وسيلان وكشف حالة البرنسيسه فى الاسر ونظم ثانيا وغار

بالاعتبار الى راما ومن ثم تبتاع عساكر القرود طريقا عابرا مضيق البحر الذى يقال له الان جسر آدم عبر عليه راما بعساكره ومن بعد ان قتل الغول راونه خلص زوجته سيطه ثم ظهر له منها صداقتها له فى مدة اقامتها فى سراية راونه بطريقة امتحانه عادة النيران القديمة وذلك ان راما اضجعها على تابوت الحرق وامر باضرام النار فيها فاخرجها اجنى اله النار من النار وسلمها الى زوجها ومن بعد غلاق الاربع عشرة سنة مدة النفى رجع راما وسيطه متوجين بالنصر الى ايوديا واستلم راما زمام سلطنته وتسلطن فى غاية الابهة والجلالة واحتفل بوليمة من الجبل تهنئة بسلامته وعوده الى سلطنته ثم وقع القحط فى المملكة فقامت اوهام الشكوك فى قلب راما بان حصول هذا القحط من عدم صداقة وصفاوة زوجته فى مدة وجودها تحت يد راونه فى سيلان فامر بنفى سيطه الصديقة فتوجهت الى صومعة التى كانت اتخذتها فى والميكى من ارض بوندلكنده وولدت فى هذه الصومعة ولدان لراما ومن بعد مضى ستة عشر سنة من نفيها استعفرت لابنها وربطت علاقات زوجها واجتمع راما و زوجته واولاده مرة ثانية وعاشوا متسلطنين فى مملكتهم

ويوجد فى الراماياينات مقصد او مطلب دينى كما يوجد فى المهابرطه وذلك انهم يعتقدون اى الهنود فى راما تجسم فى صورة الاله الكبير وشنو وحفظ البراهمانيين من امة الراكشاساوبتون وقالوا ان راونه العدو الاعظم للبراهمة والالهة ويعتقدون انه هو وقومه بوذهيستيين وجاينيين واتباع ديانات وعقايد اخرى فهم اعداء لالهة الهند

ومثل ما فى المهابرطه والراماياينات من الخرافات المقصورة فى الحكايات التاريخية لملوك ارض بنغاله الوطنى وما تخيص بشقاق عايلاتهم واعمالهم الداخلية فكذلك يوجد فى الكتب والقصايد السنسكريتية المتاخرة خرافات حكايات الشجعان والفرسان والالهة زيادة عما فى المهابرطه والرامايانات من الخرافات ومن ضمن هذه الاشعار الراجو ونشه وكوماراسنبهوه من نظم كاليداس معدودان من الدرجة الاولى فاما الراجو ونشه فانها مختصة بالسلالة الشمسية لراجو ملك ايوديا وعلى الخصوص نسله راما واما كوماراسنبهوه فانها مختصة بمولد اله الحرب وكان تاليف هاتين الحكايتين قبل سنة ٢٥٠ بعد الميلاد فى الحالة الراهنة لها الان

واما الالعاب السنسكريتية فالظاهر عليها انها تحدث فى الهند من الازمان القديمة حتى قبل تاليف الود كما صار اتخاذها فى الجريس وفى روما غير ان العاب العصور التى وصلت حكايتها الينا من المحتمل انها كانت فى المدة المحصورة بين القرن الخامس عشر والقرن الثامن قبل التاريخ المسيحى ومخترع هذه الالعاب هو كاليداس مؤلف القصايد السنسكريتية الشهيرة المتاخرة وكان على حسب اقوال الهنود ورواياتهم احد الجواهر التسعة او الرجال المشهورة فى ديوان ويكرماديطيه ملك اوجاين فى سنة ٥٧ قبل الميلاد

وكان اشهر العاب كاليداس هو الخاتم الضايع المسمى سكونطلا و هذه الحكاية مثل الاشعار القديمة مقصورة على بين ديوان الملك وصومعة عبادة فى الغابات وملخصها ان الملك دوشينطه جد الجنس الشريف القمرى تزوج ببنت جميلة برهمانية اسمها سكونطلا فى اثناء اعتزال ابوها فى الاورمانات ومن قبل عوده الى عاصمته اعطى عروسته خاتم كعلامة محبته لها فلعنها البراهمانيون وضاع منها الخاتم وما امكن عودها لزوجها حتى تجده وحملت سكونطاله ووضعت ولدا وذهبت تطلب حقها ولدها من ديوانه زوجها الا ان الملك ما قدر معرفة لها حتى تيسر الحصول على الخاتم من بعد مدة اجتهادات وحوصات كبيرة ومن ثم قام طالع سعدها واجتمعت بزوجها وزفى ابنها وترعرع حتى صار برطه وكان هو المؤسس الرئيسى للجنس القمرى مثل المهابرطه الجنس الشمسى وكانت حكاية سكونطلا مثل حكاية سيطه فى صداقة زوجها الجيدة

ومحبة اياه وما وقع لها من الاكدار والاحزان والف البراهمانيون وصنفوا كتبا ورسايل عديدة فى الالعاب واضافوا لها والكتب المشحونة بخرافات الحيوانات والالهة والشجعان ومن اجود ما صار تاليفه فى المواد الديانية كتاب مغانى الرعاة المقدسة وكتاب البورانات مجموع فى المناقضات الديانية مصنف بالشجع تماما لاجل معرفة مدة الحكم الطويلة للبراهمانيين وشدة مقدرتهم فى اعمالهم يجب علينا ان نعرف انهم كانوا طايفة اهل اداب وعلوم وطالما حصل لاوقتهم والوقوع بهم الا انهم استمروا نحو الف سنة مختفيين بنفوذ علو كلمتهم فى حفظ قسس الامة وتغلبوا على كافة ما كان امامهم من المصاعب والشدايد وصاروا هم كتاب ومورخى الامة الهندية والمدبرين شؤونها وحجاب ملوكها ووعاظ رعيتهم ومعلمى امة الهنود واستاذينها وامنه الاداب وتعليم العلوم وتدوين الشرايع التى كانوا بها من مدة طويلة لهم اليد الطولى والشوكة العظمى والنفوذ الاكبر فى البلاد الهندية انقضى نجمها وانقرض اسم طايفتهم الان بواسطة الحكام الانكليزية والشرايع القوانين الجديدة التى انتشرت فى البلاد الهندية من طرف الامة الانكليزية =

الفصل الخامس

الديانة البوذهيستية من سنة ٥٤٣ قبل الميلاد الى سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد

قيام الدين البوذهى من سنة ٥٤٣ قبل الميلاد

اقام البراهمانيون دولتهم وشيدوا شوكتهم مدة ستماية سنة قبل التاريخ المسيحى وفى نحو منتصف القرن السادس قام دين جديد فى الهند يعرف بالدين البوذهيستى من اسم مؤسسه جوتما بوذها فكان هذا الدين الجديد العدو الالد للدين البراهمانى مدة تنيف عن الف سنة وفى نحو القرن التاسع بعد الميلاد اخرج هذا الدين قاطبة من الهند الا انه ما زال المتمسكين به نحوا من ٥٠٠ مليون نفس فى اسيا وله اتباع كثيرة زيادة عن كل ديانة من الديانات

مبادى حياة جوتما

كان جوتما الذى تلقب فيما بعد باسم بوذها اى الخبير او العارف الابن الوحيد للملك شوذودهنه ملك كبيلواسطو وكان هذا الملك حاكما على امة يقال لها سكيا قاطنة فى جهة على مسافة ١٠٠ ميل فى الجهة الشمالية من مدينة بنارس وبالقرب من الاسنان الشجية لجبال هماليا وكان الملك له رغبة شديدة فى ان يرى ابنه مغرى فى صورة فارس بطل مثله لكن هذا البرنس الشاب اعرض عن اللعب مع اقرانه وصرف وقته فى عزلة فى احد اركان بستان السراية ولما بلغ مبالغ الرجال رأى فى نفسه الشجاعة والبراعة فى لبس الات الحرب وعدته فنال زوجته بطريق الفروسية حسب الاصول والقواعد الهندية بسلاحه وذراعه فى وسط اجتماع الامراء والفرسان ومضى مدة من الزمن حاكمات عليه من الافكار الديانية فى مدة صغره بالعكافه على الملاهى الدنيوية ثم انه رأى فى يوم من الايام كان راكبا حصانه فيه ومار من شوارع المدينة رجل عجوز طحنه الدهر ثم بعده رأى مريض ملقى على الارض ثم جيفة ثم رجل ناسك فتولد من رؤيته هذه الاربع صور تغيير فى عقله وتسلط الالام فى جسمه واختار لنفسه عيشة الرجل الناسك وحياته ومن بعد مضى عشر سنوات من زواجه حملت منه زوجته ووضعت له ولدا فخشى جوتما من ان هذه العقدة الجديدة ربما يتولد منها زيادة ميله للاشيا الدنيوية فعزم على العزلة فى غار فى الاورمانات والاعتكاف فيه وكان يبلغ من العمر فى هذا الوقت تسعة وعشرون سنة ودخل فى ليلة من الليالى اودة نوم زوجته وهى نايمة مع ابنها فى فراشها وخاف ان يقبل ابنه الطفل خيفة ايقاظ امه ومن بعدها ترك زوجته وابنه وركب حصانه فى ليلة مظلمة واخذ خادمه معه وما زال مسافرا بالليل حتى وصل نهر روهونه ونزل فوق شاطى النهر واعاد حصانه مع خادمه وجواهره وملابسه الى ابيه وقص شعر نفسه وغير ملبوسه بملبوس رجل فقير وجده فى طريقه وتوجه بمفرده الى دار الشحاذة التى ليس لها قرار فكان ذلك تخليه عن الملوكية وزوجته المحبوبة عنده وابنه الطفل المولود جديد من الدلالات الكبيرة والحوادث المنقولة فى الكتب المقدسة البوذهيستية

الاشعار الخرافية السنسكريتية

الالعاب السنسكريتية المسماة دراما

الخاتم الضايع المسماة سكونطالا

بعثة بوذها في بوجه من سنة ٣٠ الى ٣٦ من سنه

لبث جوغامدة من الزمن يمارس علم الدين عند اثنان من نساك البراهمانيين في اقليم بهنا فعرف منهما انه لا يمكن نيل الحصول على سلامة الروح الا بواسطة قهر الجسم و عذابه ومن ثم خلا بنفسه في الاجمة بالقرب من جايا واستمرت سنوات فاعما نفسه و عذاب جسمه بالجوع والزهد والتقشف في وسط الاجام والصحاري مع خمسة من الطلبة كانوا معه ملازمين له ومن ثم شيد هيكل بوذها جايا مقامًا لمدة كفارته في تلك الجهة هذه المدة الطويلة غير انه بدل ان ينال سلامة الروح والعقل بالصيام وقهر الجسم وعذابه غرق هو في بحور يأس وبغي وانبثث الكتب المقدسة البوذهيشية ان عدو بني الانسان المعروف باسم مارا جاهد معه جهادا كبيرا في صورة انسان فامتلأ جسمه باوهام وشكوك ان زهده وتقشفه وقهر جسمه لا يفيده شيأ في سلامة النفس ومن كثرة ما حل به من الهزال والضعف سقط مغشيا على الارض لا يبدي حراكا ولا احساسا ولما افاق من غشوته ومن الالام المبرحة التي ملأت عقله تفكر ان الطريق الموصل للسلامة ليس مقصورا في عذاب الجسم وخنق النفس في غار في جبل بل مقصور في وعظ يتوصل به لحياة طيبة طاهرة لكل من يتبعه ولا زمه من الناس حتى ثم ترك ما كان عليه من الزهد والصيام وعذاب الجسم ولما رأى الخمسة الذين كانوا معه ما حل به من سقوطه في غشيته تركوه وحيدا في الاجمة فصورته الكتب المقدسة البوذهيشية انه من افاقته من غشوته جلس ساكن رزينا تحت شجرة تين او بنيان والسلاطين تجري حوله وتخايله بجراب من نار وتأمل بفكره في عاقبة النجاة وسلك مسلك الراحة الابدية ورأى باب طريق الحياة المقدسة الطاهرة ومن هذا الوقت عرف باسم بوذها ومعناه الخبير او المنور او المهذب

التلقين العام الذي علمه بوذها من سنة ٣٦ لاسنة ٨٠ من عمره

ثم شرع بوذها في تلقين او تعليم عام في اجمة الغزال بالقرب من مدينة بنارس الكبيرة وما كان مثل علماء البراهمانيين يعلم او يعظ طالب او طالبان من العشيرة المقدسة بل كان يخطب لعموم الناس ويعظهم فكان الذين اتبعه في مبادي امره عوام الناس وكان من ضمن الذين سبقوا في الدخول في عقايده يشوة ومن بعده وحتى ثلاث شهور من وعظه صار حوله ستون طالبا او تلميذا فارسلهم الى البلاد المجاورة له وقال لهم اذهبوا الان واخطبوا الشريعة الحسنى وكان يصرف ثلثاي كل سنة في التجول والدوران في طلب الوعظ والخطابة ويقيم في مدة الاربعة شهور الباقية من السنة اي مدة فصل نزول الامطار في محل ثابت معلوم في اجام من الغاب ويعظ ويخطب لكل من يورد عليه من افواج الناس وعاد اليه الخمسة تلامذته الذين كانوا تركوه في مدة سقوطه مغشيا من الهزال في الاجمة وهرع اليه الملوك والامراء والتجار والصناع والبرهمانيين والنساك والزهاد والمزارعين والعبيد والارقاء والاشراف والنساء وكل من كان يعتقد في نفسه انه من اهل الدعوة ب والجرايم ورضوا في عقيدته وكان جوتما بوذها يخطب في كافة انحاء بيهار واوذها والجهات المجاورة في الاقليم الشمالي الغربي وكان ركب من سراية ابيه في كفنجة امير باهر فعاد اليها الان في صفة خطيب جايل في ملبوس اصفر وسخ محلق شعر راسه وفي يده زنبيلي الشحاذة يجمع فيه غذاه فقابله ابوه مع الاحترام ودخل ابنه الذي كان تركه في وقت ولادته في الدين وكذا صارت زوجته المحبوبة اول واحدة من النساء الراهبات في الدين البوذهيشي

موت بوذها واخر الفاظه

كان اعتزال بوذها الاعتزال الاكبر في السنة الثلاثون من عمره واستمر في قهر جسمه وعذاب نفسه ست سنوات وشرع في خطابته وتعليماته العامة في السنة السادسة والثلاثون من عمره ولبث اربعة واربعون سنة خطيبا في الناس ثم انبأ بموت نفسه فقال لاصحابه كونوا على جد وكونوا على بصيرة وتأمل وكونوا على طهارة ونقاوة فالذين يراعون منكم عقيدة الشريعة والنظام ولا يتخلون منها ويطهرون قلوبهم من العيوب والاثام والادناس عبروا اوقيانوس الحياة وخلصوا من الاكدار والاحزان ثم قال انما الدنيا مسلسلة في سلاسل واغلال فانا خلصت من سلاسلها واغلالها مثل حكيم او طبيب وصف لمريض دواء موثر قاطع فاحفظوا انفسكم وعوا عقولكم وافكاركم لما علمتكم اياه فانه كلا شي فيه تغيير وتبديل الا هذا المطلب فانه ازلي لا تغيير فيه فاني لا اخاطبكم ولا اعظكم من بعد هذه المرة وانا تارككم وراغب في الرحيل عنكم ورغبتي في مقام الراحة الاسرمدي

قانون كرما اي دستور العمل

الابدي يعني نرفانه (الجنة) وصرف الليلة في الوعظ وعويل اصحابه عليه وقال لهم اخر الفاظه كانت ايها الاصحاب اشتغلوا بنجاتكم وسلامة انفسكم مع الجد والاجتهاد والمثابرة في صالح الاعمال ومات مع الصمت والسكون من بعد ان بلغ من العمر ثمانون سنة في ظل شجرة من التين في سنة ٥٤٣ قبل الميلاد

كان مسو بوذها ان هدى الناس الى سلامة روحانية دينية فكان من وعظه وخطابته ان قال ان باب السلامة مفتوح لكافة الناس على حد سوى وانه يلزم الكد والاجتهاد في التوصل الى ذلك بالاعمال لا بواسطة استعطاف للهة تخيلية وابطل تقريب القربان والاوعاظ التي كانت تزعمها البراهمانيين بانها هي الوسائط بين الاله والانسان وعرف الناس ان حالة المرء في الحال وفي الماضي وفي المستقبل مرهونة في نتايج اعماله (الكرما) وان ما يبذره الانسان لا بد من انه يحصده وانه لا جريمة ولا اذى يفضل من دون عقاب ولا عمل طيب يبقى بدون مجازاة او مكافاة وانه لا طاقة لقسيس او اله على منع كل عمل او فعل حتى يوول هذا العمل لما ينتهي اليه وان المهنة او السعادة في هذه الحياة ليست هي الناتج العبث لسلوك المرء فيما مضى وان الاعمال هي التي ينتهي اليها امر السعادة او المهنة في الحياة القابلة وهذا دليل انما الاعمال بالنيات وان كل مخلوق يموت لا بد من ولادته مرة اخرى وتكونه في حالة حياة في شي سعيد او ذلي على حسب خبثه او مهنته وان علوه وحسنه مقصورة في المجموع الكلي لاعماله في الحياة الماضية

خلاص النفس

ثم ان الحياة على حسب عقيدة بوذها لا بد وان يمسها على الدوام الالم كثيرة او قليلة وان المطلب لكل امرء طيب ان يخلص نفسه من اذى الحياة وحزنها بغم نفسه الدائمة في راحة النفس الراحة وهي نرفانه يعني انه يسلك المسلك الذي به يخلص نفسه من حزن الحياة وقهرها المعنى بعض العلماء من البوذهيشية فقال ان معناه ان الروح تنطفي كما تطفأ فتيلة القنديل وقال اخرون ان اطفاء الجرايم والاكدار وحب الشهوات الذاتية في المرء هو الراحة النهائية وانتقى وان التقي بوذها اجتهد في الوصول الى حالة طاهرة متوسطة في هذه الدنيا ونظر الى راحة سرمدية في الاخرة او في دنيا مستقبلة وعرف بوذها ان هذه الغاية يمكن الوصول اليها فقط بعيشة المرء عيشة مرضية ويحيى حياة طيبة وقال انه بدل القربان الجاري تقريبها من طرف البراهمة يلزم اداء الواجبات الثلاثة الكبيرة وهي الحكم على النفس والرأفة بالاخرين من الناس واحترام حياة كل ما كان له احساس من المخلوقات وحض تلامذته واصحابه على انهم لا يتبعوا طريق الحق لانفسهم فقط بل ويجب عليهم انهم يعرفوها ويوردوها لكل انسان وكان للدين البوذهيشي من مبادي امره بعث ديني فمن ثم كان اول الاعمال التي اجراها بوذها ارسالية السبعون تلميذا اصحابه الى الجهات في طلب الوعظ والخطابة وهداية الناس الى العقايد البوذهيشية وقرر ايضا نظاما رهبانيا يخطب على منواله لكافة الامم من دون توقف فيه ومما تم في انشا ما كان البراهمانيون محافظين على شعار ديانة العشاير الارياية عرض الدين البوذهيشي نفسه ليس لهولاء العشاير العالية ولا لجموع الامم الواطية فقط بل ولجميع اصناف اجناس السكان الموجودة في عموم انحا الهند والعموم سكان اسيا قاطبة

المجلس الاول والثاني

ولما مات بوذها في سنة ٥٤٣ قبل ميلاد المسيح اجتمع خمسماية نفس من تلامذته في غار واقع بالقرب من بتنا لكي يجمعوا سويا احاديثه فكان هذا هو المجلس الاول حيث رتلوا ما تكلم من دروس استاذهم في ثلاث اقسام كبيرة وهي كافة الالفاظ التي قالها بوذها لتلامذته ثم قانون النظام ثم طريقة العقيدة فكانت هذه الثلاث مجامع تدريبات بوذها وكانوا يرتلون الفاظها مع بعضهم ويزعمون فيها بصفة الغناء ثم انه من بعد مضي قرن انعقد مجلس ثاني مؤلف من سبعماية نفس في سنة ٤٤٣ قبل الميلاد من اجل فصل المنازعات والشقاق الذي وقع بين مدعي الكبار والصغار الذين دخلوا في الدين البوذهيشي

الملك اسوكا

ثم انه في ظرف الاثنين سنة التي جات عقب هذا المجلس انتشر الدين البوذهيشي في الهند الشمالية وذلك انه في نحو سنة ٢٥٧ قبل الميلاد دخل اسوكا ملك مجدها او بهار في الدين وكان على تمسك شديد وغيرة كبيرة فيه وكان اسوكا هو حفيد شندره غوبطه الذي اتحد مع اسكندر الاكبر ودخل في معسكره فقيل ان اسوكا ساعد ٦٤٠٠٠ قسيس

وشيد الكثير من بيوت الديانة وكانت مملكة مشهورة بارض المعابد والديوره المسماة وبهار او بهارا لحد الآن وساعد اسوكا الدين البوده سي مساعدة تعصبية فيه كما ان قسطنطين الدين المسيحي وعاضد اهله وجعل اسوكا دين مملكته الدين البوده سي وتم اشغال انتشاره في الارض بخمسة طرايق اولا انه رتب مجلس رباني مخصوص من اجل الفصل في العقايد الديانية البوده سيه ثانيا نشر لوايح واوامر متضمنة العقايد المذكوره ثالثا ترتيب ادارات مخصوصة بالمراقبة والمحافظة على طهارة هذه العقايد وعدم امتزاجها بما يغايرها من العقايد الفاسدة في الدين رابعا مبعوثين من اجل انتشارها في عموم الجهات خامسا ترتيب ادارات من اجل مراجعة الكتب المقدسة البوده سيه والنظر فيها وفي سنة ٢٤٤ قبل الميلاد جمع الملك اسوكا المجلس الثالث البوده سي في پتنا وكان هذا المجلس مؤلف من مائة نفس من الشيوخ وجرد هذا المجلس الناس المبتدعين في الدين من ملابسهم الصفرا التي هي زي الدين البوده سي ومنعوا من التداخل في تعليم عقايد بودها و اصلح المجلس ما كان وقع في الدين من البدع وكان مبدا تاريخ الديانة البوده سية في اسيا الجنوبية من ابتدا عقد مجلس اسوكا واصدر اسوكا عدة اوامر ولوايح متضمنة عقايد الدين في عموم انحا مملكته من قبل انعقاد هذا المجلس ومن بعده وما زال باقيا لحد الان نحوا من اربعين منشورا من تلك المناشير الملوكية محفورة صورها على عمد وفي مغارات وكهوف وعلى صخور واحجار قايمة في عموم ارض الهند واسس اسوكا ايضا دايرة مؤلفة من كبار رجال العدل والدين لمراقبة سير انتشار عقايد الدين في المملكة وطهارتها وامر بحفر ابار وغرس اشجار في طول السكك وانشا دواير الشفا والطب للناس والحيوانات وعين حكام من طرفه للمراقبة على رفاهية حياة العايلات وتهذيب الاهالي وتهذيب الفقرا والشباب وجودة تربية الاطفال وفكر اسوكا في نفسه ان اجل الواجبات عليه واهمها هداية عموم بني الانسان الى الدين البوده سي ووجد كثيرا من الكتابات المحفورة على الصخور انه ارسل عدة بعوثات الى اقصى حدود الاقاليم البعيدة المتبربرة من اجل انتشار الدين وهداية الذين ما دخلوا فيه وكان هولاء المبعوثون مع العساكر والبراهمانيين والاغنيا والفقرا مجدين ومجتهدين في داخل المملكة وفي الممالك الاجنبية في حسن التعليم وجودة تلقين العقايد الدينية وكان دخول الناس في الدين وهدايتهم اليه بالاعتقاد والاقناع لا بالسيف وصار الدين البوده سي هو الدين الاعلا افقا والاكثر اباحة في الارض وما كانت اشغال اسوكا مقصورة في نشر دينه فقط بل وكان محافظا على طهارة عقايد هذا الدين فانه امر بجمع كافة الكتب المقدسة البوده سية في جامعة واحدة باللسان المجدهي وهو لسان مملكة الوسطانية بهار وصارت هذه المجموعة من عهد نحوا من العشرين سنة مجموعة الكتب المقدسة البوده سية في الجهات الجنوبية من البلاد الهندية ثم ان المجلس الرابع الكبير والاخير من المجالس البوده سية انعقد تحت رياسة كانشكا ملك الصيتيين او التتار وكان ملكا في الهند الشمالية الغربية في نحو سنة ٤٠ بعد الميلاد المسيحي وراجع ايضا الكتب المقدسة البوده سية وصارت مجموعة ايضا مجموعة دينية وجرت الشعاير البوده سية على نص عباراتها وما اشتملت عليه من العقايد في جهات التبت والتاتار والصين وفي اثنا هذه المدة كان مبعوثو البوده سيت يخطبون العقايد الدينية في عموم جهات اسيا وفي نحو سنة ٢٤٤ قبل الميلاد حمل ابن اسوكا مجموعة الكتب المقدسة التي امر ابوه بجمعها وجرت الشعاير الدينية على نص عباراتها في الجهات الجنوبية من الهند الى سيلون ومنها انتشرت في برما والجزاير الشرقية واطلق عليها اسم المجموعة الجنوبية واما المجموعة الشمالية البوده سية بما انه صار جمعها بواسطة المجلس الذي عقده كانشكا فصارت اصل الديانة في البلاد الصينية في سنة ٦٥ بعد الميلاد وما زالت العقايد الدينية جارية على مقتضاها بعلما البوده سيت الشماليين من ارضنا التبت الى يابونيا ومن ثم انتشرت العقايد والشعاير البوده سية ايضا نحو الجهات

كانشكا

الجهات الغربية وحصل من انتشارها تاثير قوي على انتشار الديانة المسيحية في مبادي امرها وبواسطة المجالس التي عقدها اسوكا وكانشكا صار الدين البوده سي هو الدين الملي للسلطنة في الدنيا الوانه ما تولد منه ابطال درجات مقام العشاير فوق بعضها بل ادا الاحترامات الواجبة للبراهمانيين وانه درجة الدليل الروحاني هي احدى الواجبات الكبيرة الثلاثة مع الاطاعة للوالدين والرأفة والرحمة لكافة الناس والحيوانات وما اعتبر بودها الناس بعلو مقامات اصولهم بل بما هم عليه من دينهم وطهارة عقايدهم فقال الكل من كان يسمع عيشوا عيشة مرضية واحيوا حياة طيبة ولا تقربون قربانا للالهة ومن ثم كانت صفة العبادات العمومية في كافة انحا الممالك البوده سية مقصورة في ادا الاحترام لاثار الاولياء من الناس الذين ماتوا بدل تقريب القربان وكانت المباني المقدسة التي تشيدت ليست معابد للالهة بل صوامع وديوره للرهبان والراهبات بما فيها من الاجراس والسبح او مزارات تذكيرية مشيدة على سنة او عظمة من جسم موسس الدين او على قليل من رماد جسمه ثم انه بتمام ما كانت القصص والحكايات المتضمنة الاخبار عن الالهامات بودها وعن حياته منتشرة في الممالك البوده سية بحياته وموته فانه ناسا اخرين انكروا وجود شخصه وظهوره في عالم الدنيا قاطبة وان تاريخ ولادته لا يمكن اثباته بوجه الحقيقة فقال البعض ان البوديزم هو مجرد عقايد ديانية موسسة على فلسفة سنكايا قبله وبرهنوا على ان مولد بودها مجرد استعارة حصلت في مدينة قبله واشطو وهي مقر قبيلة وان ام اسمها مايا ديفي اخترعا لمايا او مكر وخديعة عقيدة قبيلة وان اسم بودها ليس في الحقيقة دلالة على اسم شخص حقيقي بل معناه متنور او خبير وهذه القضية بعيدة عن الحقيقة لان الدين البوده سي ما حصل انتشاره بغتة من عقل عاقل متنور بل نشأ استخرج من الفلسفة البراهمانية والعقايد الديانية التي اعقبت هذا الشغل الان مثل هذا التامل والفهم اضاع نظره في الهيئتين الكبيرتين للدين البوده سي وهما هيئة دعوة الخطبا للامم وعدم افتراق تاثير حياته التي لا تموت ومع ما كان من شدة تاثير الدين البوده سي وقيامه بين الامم الهندية فانه ما حصل منه تاثير في محق الدين البراهماني بالكلية واستمر الدينان قايمان سوية في ظرف مدة تنوف عن الف سنة اي من سنة ٢٥٠ قبل الميلاد الى سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد وكانت ثمرة محصول الدينين الدين الهندي الجديد وتسلطن الدين البوده سي في بعض ممالك معلومة من الهند وفي بعض جهات منها ايضا وما حصل في الدين البراهماني ضعف ولا محق وزعم البراهمة في اخر امرهم انه بودها هو التجسم التاسع لالههم وشنو ووجد زوار الصينيين للهند في سنة ٤٠٠ وسنة ٦٥٠ بعد الميلاد ان معابد البوده سيت ومعابد البراهمة مجاورة بعضها بعضا والدليل على ذلك انه كان موجود في الهند الشمالية ملك مشهور اسمه سيلادتيا كان مثل اسوكا في القرن السابع من التاريخ المسيحي واشتغل بادا الواجبين الكبيرين للدين البوده سي من اعطا الصدقات وانتشار الدين واجتهد في نشر هذا الدين بعقد مجلس عام في سنة ٦٣٤ بعد الميلاد وحضر في هذا المجلس احد وعشرون ملكا كانوا يدفعون اليه الخراج مع اجل علماهم ورهبانهم في الدين البوده سي واجل البراهمانيين واشهرهم في ممالكهم وما كان مقصود هذا المجلس تاكيد الدين البوده سي بل اشتغل شغل اوجب تعادل الديانات في ذلك الوقت وذلك ان المناقضة والمنافسة جرت في المجلس في ابتدا الامر بين البوده سيت والبراهمة ثم حصلت مشاحنة كبيرة بين البوده سيت المتمسكين بالعقايد البوده سية التي قررها مجلس كانشكا وهي العقايد الشمالية وبين البوده سيت المتمسكين بالعقايد التي قررها اسوكا وهي العقايد الجنوبية حتى صار اداء الشعاير في الدين مختلطا مثل عقايد معلميهم فاقاموا في اليوم الاول من انعقاد المجلس هيكل بودها ونصبوه مع العز والابهة وفي يوم الثاني نصبوا صورة الاله الشمس البرهماني وفي اليوم الثالث نصبوا صنم سيوا الهندي وكان سيلادتيا يوزع كنوزه واموال الصدقات في كل خمس سنوات مرة وذلك انه كان يحل على السهل الواقع فيه محل اجتماع مياه نهر الكنج ونهر جومنه وبالقرب من مدينة الله اباد الحالية عيد يلبث خمسة وسبعون يوما

انكار وجود بوذها وجحوده

عدم محق البراهماني

مجلس سيلادتيا

صدقات سيلادتيا

يجتمع فيه كافة ملوك المملكة والجموع التي لا يحصى عددا من الامم وكان سيلاديطيا يجلب خزائن كنوزه وسرايته ويوزعها على البراهمانيين والبودهيست والمبتدعين في المذاهب الاخرى من الديانات وعلى رهبان هذه الديانات من دون استثنا وفي اخر يوم من ايام العيد يقلع حليته وما بقي عليه من الملابس الملوكية ويعطيها للمتفرجين ويلبس ملابس رثة دنية كما فعل بوده وبهذه الافعال كان ادى ماكان اجراه بوده الكبير وفعل الافعال التي ادى بها اكبر الواجبات التي قررها البراهمانيين وهي التصدق وكان في نالنده بالقرب من جايا ديورا واسعة مركزا او مقرا لقراة العلوم ويطلق عليها اسم المدارس العالية الجامعة فيها نحوا من عشرة الاف راهب وثمانية عشرة مدرسة بودهيستية جديدة يدرس فيها علوم الديانة والفلسفة والشريعة وكافة العلوم وعلى الخصوص علوم الطب ويقيمون فيها شعائر دياناتهم وعباداتهم وكانت عيشتهم في تلقي مثل هذه العلوم سهلة لانهم كانوا على نفقة الملك ومع ماكان عليه الدين البودهيستي من القوة وشدة الصلابة فانه كان الدين العدو للاديان الاخرى في الهند وانه في ظرف مدة قليلة مقدارها ٦٤٠ سنة اضمحل ثلاث مرات وال امره الى الدمار بواسطة اعداه ومن بعد سنة ٨٠٠ بعد الميلاد صار الدين البراهماني على التدريج هو الدين المتسلطن في الهند وقيل انه انتشب الجور والتعدي من البراهمانيين على الدين البودهيستي حتى اضمحل امره الا انه من المحتمل ان نتايج اضمحلاله تولدت من شيخوخته ومن حركات افكار ديانية مستحدثة جديدة وقعت لا من حركة عامة كانت سببا في اضمحلاله بواسطة سيف او انتشاب حروب وما فضل متمسكا بالدين البودهيستي الا بعض ايالات مثل كشمير واوريستا فانهما بقيا على صداقة مع هذا الدين ولما ظهر الدين الاسلامي في الميدان اختفى الدين البودهيستي تقريبا من الهند من بعد ان كان هو الدين المحبوب عند اهلها وفي ظرف الالف سنة الاخيرة انتفى الدين البودهيستي من بلده من بعد السنة الثمانية بعد الميلاد الا انه انتشر وظهر جليله في حالة نقيه ماكان له طاقة على نوالها في محل مسقط راسه وصار علمًا ودينًا لنحو نصف عالم الجنس البشري وكان سببا في اصلاح وتهذيب اعتقادات النصف الاخر لانه ما زال لحد الان موجودا نحوا من ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ نفس متمسكين بعقايد بودها وتعليماته وتقلب هذا الدين على افغانستان ونيبال وتركستان الشرقية والتبت ومنغوليا ومانتشوري والصين ويابونيا وارخبيل الجزاير الشرقية وسيام وبرمه وسيلان و الهند وصارت مزاراته ومعابده مسلسلة في خط واحد مما يقال له الان حدود المملكة الروسية الى جزاير الاوقيانوس الباسفيكي وفي ظرف اربعة وعشرين قرنا التقا الدين البودهيستي مع عدة عقايد واديان كانت الد الاعداء له واخيرا في هذه المدة الاخيرة ركبت هيئاته مع الدين المسيحي والدين الاسلامي واحدة من الاديان الكبيرة الثلاثة الموجودة في الدنيا وكانت اتباعه اكثر عددا من اتباع الدينين الاخيرين وعلى حسب عدد العالم الموجودين على ظهر الكرة يظهر ان المتمسكين بالدين البودهيستي اربعون في المائة و اقول ان الدين البودهيستي لم ينقطع دابره من البلاد الهندية بل ما زال الكثير من عقايده موجودة على قيد الحياة في دين الهندو اي الدين الهندي وذلك وراء عقيدة مخصوصة او دين الزينيين وعدد اهل هذا الدين نحو نصف مليون واهل الدين الزيني مثل البودهيست ينكرون عقايد واحكام الويدا الا ماكان فيها موافقا لعقيدتهم ولا يراعونه تقريب القربان وهم في شك زايد بديانتهم وافاضة شعايره ويعتقدون ان احوالهم الماضية والمستقبلة متعلقة باعمالهم لا باله من الالهة ويحرمون ذبح او قتل اي من المخلوقات سوا كان ادميا او حيوانا والزينيون يقسمون الزمن الى ثلاث مدد اصلية ويعبدون اربعة وعشرين نفسا من اكمل الناس في المدة الماضية واربعة وعشرين في المدة الحالية واربعة وعشرين في المدة المستقبلة ولهم تماثيل واصنام مصورة في هيئة هولاء الاولياء موضوعة في معابد و صوامع لهم ويختارون الجبال الكثيفة الاورمانات والاجام والجهات المعتبرة عند الاعتزال المحبوبة لزياراتهم وحجهم ويشيدون فيها مزارات مكلفة من الرخام الابيض او من المواد اللماعة الجيدة الصقل والزينيون ارباب تجارات او صيارفة ولهم صدقات لا حصر لها وهم اكثر

عددا في هيئة مصاحبة دور شفا الحيوانات التي كان قدها البودهيست يعيلون جدا موشتها من اجل الحيوانات وتركوها في كثير من المدن الهندية وعواصمها وما زال لحد الان يوجد للدين البودهيستي ثابتة ونفوذ في البلاد الهندية وذلك ان هذا الدين منحصر في برمه وفيها نحوا من ثلاثة ملايين او خمسة اسداس الامة متمسكين به وكانت الديورة والمعابد البودهيستية من قديم الزمن مدارس للشبان وبيوت ديانة للرهبان والان قواعد وطرايق التعليم العام الانكليزي في كافة انحا برمه ويوجد في عموم ما بقي من الهند البريطانية ١٦٧٠٠٠٠ نفس متمسكين بالدين البودهيستي خصوصا في كور بنغالة المجاورة لاراضي برمه وفي الوديان القاصية من سلاسل جبال حمالايا

الباب السادس

وجود الجريق في الهند

غزو اسكندر الاكبر

يبتدئ التاريخ البرّاني اي الخارجي للبلاد الهندية بغارة الجريقيين عليها في سنة ٣٢٧ قبل الميلاد والظاهر انه كان للهند علاقات تجارية مع ممالك البحر الابيض المتوسط في الزمان القديم الا معلوميتها للاوروباويين ماحصلت الا من المورخين وارباب العلوم من الذين كانوا اصطحبوا اسكندر الاكبر ملك مقدونيا في اثنا غارته على البلاد الهندية في سنة ٣٢٧ قبل الميلاد وذلك ان اسكندر هذا تهذب بالجريقي وتعلم فن الحرب من ابيه فيليب ولما بلغ من العمر عشرون سنة خلف ابوه فيليب في الملك من بعد موته وصار ملك مقدونيا وسيد الجريس ومن بعد مضي قليل تغلب على اسيا الصغرى وعلى مصر وكانتا تحت سلطنة ملوك فارس وهزم دارا ملك فارس في الواقعة الاخيرة التي جرت بينهما في نواحي اربل في السهولة التي يسقيها نهر الدجلة وعلى مسافة ستة اميال الى الشرق من مقر مدينة نينوى التي هي الآن مدينة الموصل وكان دارا مباشرا هذه الواقعة بنفسه من اجل المحافظة على تخت مملكته ونفسه ولما انهزم دارا ترك جيشه وهرب ناجيا بنفسه ومعه القليل من حرسه واخذ طريقه نحو الشرق والتجأ وراء سلسلة جبال غوردياته الى خطة الثغور الغربية لبلاد ميديا (اذربيجان) مؤملا في ذلك ان هذه الجبال تكون سببا في تعطيل حركة تقدم الفاتح انه لم تتوقف حركاته بالكلية بسبب اصلاح اعمال المملكة الموجودة الان تحت رحمته وبسبب الكنوز والذخاير المعرضة له في الثلاث عواصم الجنوبية الموجودة في المملكة وهي مداين بابل وبرسبوليس (اصطخر) وسوسة وكان حصول هذه الحوادث في عقوق سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ثم انه من بعد واقعة اربل لبث اسكندر ست شهور اشتغل فيها بنهب وسلب وهدم مدينة برسبوليس المشهورة وتسكين فارس الاصلية وكان دارا في هذه المدة اتخذ مقره في مدينة اكباتان وهي مدينة همدان الحالية وكانت عاصمة مملكة ميديا في سابق ومحل مسقط راس كيرش الاول او كيخسرو او كسرى الاكبر ثم تحرك اسكندر بجيوشه تابعا اثار دارا ومعقبا له فلما بلغ دارا حركة اسكندر اسرع في الهرب من همدانه في طلب مأوى او ملجأ ابعد منها ومن بعد هروبه مضي ثمانية ايام من هروبه منها دخلها اسكندر وتغلب عليها وجعلها قاعدة اس حركاته وكانت هذه المدينة مقر ملوك فارس في مدة الصيف وكان بها نحوا من ٧٠٠٠ نفس محافظين فيها وبها لدارا من الكنوز ما يتوف عن ١٨٠،٠٠٠ وزنة من الذهب قيمة احد واربعون مليونا من الليرات وامتعة واثاثا يجل عن الوصف والحصر ومن بعد ان اقام بها اسكندر برهة من الزمن سار معقبا لدارا وكان دارا خرج منها مع نسايه ومتاعه وكنوز تبلغ قيمتها نحوا من مليون ونصف ليرا متوجها الى هرقانيا (مازندران) على السواحل الجنوبية الشرقية لبحر الخزر وكان الوصول اليها وعرا وصعبا للغاية بما ان الجبال المواجهة لها ماكان يمكن المرور منها الا من درب واحد صعب يعرف بباب الخزر وكان في عزم دارا المواظبة على السير والفرار حتى يصل الى مرزبانه باكطريا (بلخ) وهي حكومة بيسوس اعز المقربين وكان بيسوس ما زال معه ومشاركا له في اهواله ومصايبه ومحبا حب سلامة نفسه ومتوكلا على بعد تلك البلاد وشجاعة اهلها ويحتمل ايضا قربه من الجهات الاكثر غنى وثروة من اقاليم المملكة الهندية الواقعة في جهة الشرق ولتقوية ما عزم عليه صمم على خراب البلاد والاراضي الواقع شعرها وسكانها

وعول بذلك على تجريد عدوه من عموم مواد المؤن التى تلزم له وتأخير حركة سير غزواته وكانت الطريق من همدان الى باكطريا الاريان منها دارا والمعقب له اسكندر واقعة فى طول الاراضى الوعرة المتاخمة للاحقاب الجنوبية من سلسلة جبال البورز وفى هذه الطريق موجود مايعرف بدرب ابواب الخزر اصعب الدروب واشقها فى العبور منه وامل اسكندر فى نفسه انه يسبق خصمه من هذا الدرب ويقبض عليه وينتهى بذلك امر حروبه فتمكن الخوف فى قلب دارا وسرعة قرب اسكندر من هذه الدروب وكان دارا فى سرعة سيره حتى عبرها وجعل بينه وبين عدوه منحدرات ومهابط طوروس واما اسكندر فانه مع صعب السفر وشدة ما حصل منها له ادى تعطيل فى سرعة حركة التعقب ولما حصل للعسكر الضعف والوهن ونفق اكثر الخيول والركايب فى الطريق وفى ظرف مسيرة يوم واحد نزل مع عساكره فى الرقا وكانت مسافة السفر اليها احدى عشر يوما وكان وصوله اليها من طريق عبوره لابواب الخزرية فوجد دارا بجانبه فكان هروبه وقطعه مصاعب الجبال سببا فى قطع الامال التى كان عليها اسكندر من القبض عليه وعا ثم وقف بجيشه مدة خمسة ايام فى الرقا حتى تاخذ العساكر راحتها من شدة مالاقوا من السفر وكذلك نفسه وامر امراوه بتسكين القارطيا بنين وهدوهم وكان اسكندر موجودا فى ذلك الوقت على تخوم بلادهم ولما دخل دارا بلاد هرقانيا (مازوندران الان) رجع عدة من اتباعه الى بلادهم ودخلوا اخرين فى طاعة اسكندر وقام على دارا جماعة من الحكام والضباط الذين كانوا معه فى ثورة عليه وكان كبيرهم خليله بيسوس المقرب اليه وعليه الاعتبار والامل الكبير عند دارا وقبضوا على مليكهم ووضعوه تحت المحافظة فلما وصلت اخبار هذه الحالة الى اسكندر استشعر فى نفسه بسرعة الحركة فى السفر زيادة عن الاول واخذ فرقة من منتخبى عساكره وتزود بمؤنة يومان وخفف احماله واثقاله واندفع فى حركة سيره ليلة ويوما من دون انقطاع ثم اعطى لنفسه ولعساكره راحة قليلة ومن بعد سفر سريع لبث فيه ليلتان ويوم وصل لمحل المعسكر الذى كانت الاخبار وردت اليه عنه بما وقع لدارا من الفظاعة والسفاهة فوجد العدو تركه وتوجه لحال سبيله وتاكد له ان دارا اسره بيسوس والمتعلقين بالمقام الملوكى باستحسان واستصواب الجيش ما عدا العساكر اليونانية التى كانت مستاجرة من الجريق فانهم كانوا على صداقة للملك الواثق بما كانوا فى طاقتهم للمحافظة عليه والمدافعة عنه وكان قواد هذه الثورة مرزبانات الاقاليم الشرقية القاصية ارياغيانه وارشوسيه وباكطريا وكان سكانها اشجع سكان اقاليم اسيا على العموم وكانوا هم الذين اسروا دارا ووضعوا فى رجليه قيود من سلاسل الذهب وجعلوه فى عربة مغطية وعزموا على سرعة السير بكل كد الى جهة الشرق حتى يصلوا باكطريا والصغد ويرتبوا لانفسهم فيها قوة مدافعة يقاومون بها عدوهم وكانت عموم الاموال التى كانت فى خزاين دارا صرفت جميعها فى الوقعتين الكبيرتين التى جرتا بينه وبين اسكندر فى عصوص وفى اربيل ومن ثم التزم على الهرب ناجيا بنفسه وما كان اسكندر فى عزم زل واهانة دارا فاهل الثائرين فى تمام مرغوبهم وذلك انه بمجرد ما تحقق من اغراضهم عول على مداومة السير خلفهم والغلبة على امرهم وخلوص دارا المأسور فى ايديهم فاصبح نفسه ورتب رجاله وعساكره وتبعوه وسار خلفهم طول ليلة وثانى يوم لحد الظهر حتى وصل الى قرية كان فيها بيسوس وحواشيه وحفره ناصبين خيامهم فى الليلة الماضية فحقق اسكندر انهم قد هربوا منها فى تلك الليلة فسئل عما اذا كان يوجد طريق اقرب للوصول اليهم من الطريق التى توجهوا منها فقيل له لا يوجد الا طريق واحد واقع فى صحرا خالية من المياه فاختار سيره منها مع ما كانت عليه من عدم وجود المياه بها وارسل فرقة اخرى فى الطريق الاصلى التى اتخذها بيسوس واصحابه وسافر اسكندر فى هذه الليلة نحوا من ٤٠٠ فرسخ او خمسون ميلا انكليزيا وفى بدارى صباح اليوم الثانى عاين العدو والهربان ولما راه العدو ولوا الادبار واعطوه ظهورهم وهربوا من دون طعنة ولا ضربة وما راعوا ما كانوا عليه من الاتفاق فى المقاومة والمدافعة ومع هروبهم حضوا دارا على الخروج من العربة والهرب والنجاة على ظهر جواده فلما لم يجبهم بشى طعنوه بالخناجر وتركوه ملقى فى داخل العربة مضرجا فى دمه فمات من شدة ما ناله من الجراحات من قبل الا براه اسكندر وكان موته فى السنة

الخمسين من عمره وفى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد فلما راه اسكندر حزن على فقده وشيعه وارسل جثته الى فارس ودفنت فى مقابر اجداده مع غاية الاحتفال الملوكى فى مدينة برسبوليس اى اصطخر وكان موت سببا فى تجريد او حرمان اسكندر من كل فايدة كانت ضرورية له تنتج من خلوصه من يد عصاة رعيته وهداه موت دارا بتاخير حركاته وتقطيعها تعطيلا مما يهول وعداومة على حروب عنيفة شديدة وذلك ان الاراضى والبلاد الواسعة الممتدة من وراء الابواب الخزرية الى الطرف الشمالى الغربى من البلاد الهندية ونفس الهند ولو انها كانت خراجية لفارس كانت جميعها غير معروفة بالكلية وكان المقاتلة فى هذه الاقاليم ان سعة القاصية اشجع عساكر المملكة الفارسية وان ايرادات المملكة الهندية الاكثر وقوعا الى الجهة الشرقية تلت ايراد كامل العشرون ايالة الفارسية وراى اسكندر انه لابد من وقوعه فى قلاقل وارتباكات شديدة فى المستقبل وكان بيسوس مشهورا بين اقرانه انه امر شجاع وعلى تجربة ومهارة فى الغارة والحروب وانه معاملته فى مليكه ما حصل منها الا تاثير زهيدا جدا على مضموع اتباعه له وقيل انهم حمدوه وشكروه على فعله بما انهم كانوا مشتركين معه فى الجريمة لكنهم انتظروا من اسكندر انه العقوبة على ما جنوه من تلك الجريمة وما سمعوه من اسف وحزن اسكندر على موت دارا وما حصل من الاحتفالات فى تشييع جنازته ودفنه مع الاكرام والاجلال بين مقابر اجداده ومع بعد هذا بقليل اشتبك جيش اسكندر فى حروب مهولة مهولة ما كانت تخطر على بال مع سكان الاقاليم القاصية القاطنة فى داخل الجبال وقاوموا حركة تقدمه وعلى الخصوص قبيلة ماردى فان هذه القبيلة ولو انها كانت فى حالة ضنكا فانها اظهرت شجاعتها فى ميدان الحرب واوقعت بالمقدونيين خسائر وهم خسارات جسيمة ثم بذل اسكندر مجهوده فى اخضاع هذه القبايل واسرع فى سيره من ماردى او مازغيانه حتى وصل مدينة سوسية عاصمة اريانه وفيها

وصلت اليه الاخبار المفيدة بان بسوس تلقب بلقب ملك اسيا وسمى نفسه اردشير وجمع
جيشا كثيفا مؤلف من العساكر الفارسية وجم غفير من الباكطريانيين وانه منتظر من للقاتلين
جيرانه من الصيطيين او التاتاران يرسلوا اليه امداد وقوى كثيفة لمساعدته وتقوية امره
فاصبح اسكندر لحظة زمنية من وقته يستعد لهزم العدو وجهز كافة قواه وعساكره وعول على
حطم بسوس والبطش به وبكامل اعوانه وكان بسوس حزم رايه في اعماله واتخذ مع سطيبرزانيس
حاكم اريا وكان اسكندر مر من ارضه وعهد اليه الحكومة واجمع راى الاثنان على صد اسكندر
ومقاومته ولذا وردت الاخبار على اسكندر في وقت سرعة سيره الى باكطريا انه قتل الفريق الذين
كان اسكندر تركهم خلفه من اجل المحافظة في الاقاليم التي تغلب عليها واجتهد في جمع جيش ضخم
اجل مساعدة بسوس وانه لو حصل اجتماعهما سوية ربما تكون الحالة وخيمة على المقدونيين
فاسرع اسكندر في حركة سيره وذلل ما وجده امامه من المصاعب كما هي عادته واوقع بحاكم اريانة
شر وقعة ورتب اعمال اقليم اريانة وتمم اشتغاله في بضع ايام قليلة وفي ظرف هذه المدة وصلت
اليه الفرق العسكرية التي كان تركها خلفه وسار الى ارض درنغيانة وهي سيستان الحالية فلما قرب
منها هرب حاكمها بارسنطيش وكان واحدا من الذين قتلوا دارا واميرا هذا الاقليم واخذ طريق
هروبه نحو الهنود في الجهات الاخرى من نهر السند فقبل اهل الهند وقبضوا عليه وارسلوه الى

الى اسكندر فقتله شر قتلة جزاء بما وقع منه من الخيانة وقضى اسكندر فصل الخريف وفصل الشتاء في
اخضاع اهل درنغيانة وعبدروسية وارشوسية وباروباميسيدية وهي الان سيستان
وافغانستان والقسم الغربي من قابول الواقع بين غزنة في الجهة الشمالية وقندهار او كلات
في الجهة الجنوبية واقليم القفوراو في جهة الغرب وكان خضوع كامل هذه الاقاليم الشاسعة الاراضي
ضروريا لتمام ما في ضميره من العزم والمقصد وكان ذلك معلوما واما تمام تغلبه على باكطريا و
جهاتها فكان ذلك شيئا مخفيا في صدره وهو قصد غلبته على البلاد الهندية ثم قام الاريانيين
مرة اخرى ونقضوا عهدهم طاعتهم لاسكندر وكانت ثورتهم مهولة وفزع اسكندر وارتاع لما رآه من
شدة شجاعتهم وعظيم عنادهم وكانت عاقبة هذه الثورة وخيمة على المقدونيين لو ما قتل قائدهم
في واقعة مشكلة مع المقدونيين وكانت موته سببا في هزيمتهم وذاقت عساكر اسكندر اشد الالام
وتحملت اشد المكابدات والاهوال من شدة البرد وقلة الزاد والمؤونة في وقت عبورهم من وسط
سهول مغطاة بالثلج في اثناء حركتهم في داخل تلك الاقاليم وكانت باروباميسيدية منفصلة عن
باكطريا بسلسلة جبال شامخة اطلق عليها المقدونيين اسم جبال قوقازه وعبرها اسكندر واسس
قريبا من نهاية احد دروب هذه السلسلة الجبلية باتصالها مع جبال هندوقوه نحو الجهة الشمالية
الشرقية مدينة جديدة سماها اسكندرية قوقازه وشحنها بسبعة الاف نفس من مقاتلة
المقدونيين ومن المحتمل انه وقت عبور المقدونيون من جبال هندوقوه من الجنوب الى الشمال
مروا من درب بنجان وهو احد الاربعة دروب المفتوحة الممكن بها عبور الجيش العبور منها في
مدة فصل الشتاء من تلك الجبال الكثيفة الاجام والاوعارات ولما انقضى فصل الشتاء عزم
اسكندر عزما جبريا على عبور هذه السلسلة ان يجتازها ولبث الجيش سبعة عشر يوما حتى تمم
حركة عبوره منها واشتهرت هذه الحركة في تاريخ الحروب المهولة وتغلب اسكندر على باكطريا وكان
يخشى حصول خطر او ضرر وذلل كافة المصاعب الطبيعية التي قابلها في وجهه في الغرب وقت
مع ما بذل بسوس مجهوده وما في طاقته من المحافظة عليها وانه عند قرب اسكندر منها هرب كافة
البلاد الواقعة على طريق سيره وتغلب اسكندر على مدينة باكطريا (بلخ) وهرب المنكوس بسوس
وراء نهر سيحون وهو الحد الفاصل بين باكطريا والصغد وتبعه المقدونيون حتى وصلوا نهر
سيحون مع سرعة السير من حرارة القيظ في اخذ اشتداد الطية وعمق فرشه واتساع عرضه وكان عرضه
ست فراسخ اي سلسلة اثمان ميل انكليزي فتوقفت حركة المقدونيين بهذا النهر المهول ولما وصل اسكندر
رأى النهر ما وجد ادنى طريقة يعدي بها عساكره الى الجهة الاخرى من النهر في ارض الصغد فامر
بجمع الجلود التي مشغولة عند عساكره في صنعة خيام وامر بحشيها وتحزيمها مثل القرب وربطها في بعضها
فوق الماء وفي ظرف خمسة ايام عدى بكامل جيشه الى الجانب المقابل له مع السلامة وما حصل من العدو
ادنى مقاومة او صد في عبور النهر ولما رأى اتباع بسوس ما حصل من المقدونيين تخلوا عنه
وتركوه واخذوا اسره ووقع في يدي عدوه وحاقت به عاقبة امره ووقع كيده في نحره وقتله
اسكندر شر قتلة كانت اشد واقوى مما فعله في دارا ولما قتل اسكندر بسوس اسرع في السير
نحو الشمال فوصل مركنده (سمرقند) عاصمة الصغد ثم وصل المقدونيون نهر جيحون وظنوه الحد
الفاصل بين اوروبا واسيا وكان هذا النهر اخر تقدمهم في حركتهم نحو الجهة الشمالية اي الخط الثاني
والاربعون من درجات العروض الشمالية والتاسع والستون من درجات الطول الشرقي (غرانويتش)
وشيد اسكندر في هذه الجهة مدينة سماها اسكندرية الصغد مثل ما شيد مداين اخرى خلافها
ورجع من سواحل هذا النهر بسبب ما حصل من قيام اهل الصغد والباكطريانيين وبذل اسكندر
جهوده في تمام خضوعهم وبطش بهم مع ما كانوا عليه من الشجاعة والفروسية وكانوا اشجع
الموجيتاس واعوانها وكانوا تفوقوا بحالتهم على الصيطيين وكانوا تحت قيادة اشجع امرائهم وهزمهم
اسكندر في عدة وقعات وبدد شملهم وتم خضوعهم وشيد مملكة جريسية وهي مملكة باكطريا
الجريسية العظيمة واشتهرت هذه المملكة واينعت وازهرت عدة قرون مضت
وفي فصل صيف سنة ٣٢٩ قبل الميلاد عبر اسكندر هندوقوه وفي فصل صيف سنة ٣٢٧ رجع
فاخترقوا الى سلسلة جبال هندوقوه وحصل منها افعال ردية من قتل وسلب ليس ما اخفاها يحصى

ان يرجع الهندي وكانت هذه الاقفال مقصورة في قتل البرهميين من اهل برتشيديا وقتل
كليطوس واخماد ثورة اهل باعيش وعذاب كايشطيش وقتله وكل هذه الاقفال كانت
مقدمة للغارة على البلاد الهندية ومن بعد تمام هذه الوقايع امر بالاستعداد للحركة على الهند وكانا
احد الهنديين عنده في ذلك الوقت في حركاته فقواد معه من اهل الصغد وجمع قواده ولم جيشه
من الباكطريانيين مؤلف من ١٠٠٠٠٠ مقاتل وترك خلفه قوة مؤلفة من ٤٠٠٠٠ مقاتل
مشاة وخيالة تحت قيادة امينطاش من اجل المحافظة على رعاياه الذين تغلب عليهم حربا
خيفة من هياج ثورة او شرخ حصل بينهم وساق جيشه نحو الجنوب وفي ظرف عشرة ايام عبر هندو
قوه مرة اخرى ولما وصل نهر كوفنوش وهو نهر قابول ارسل رسولا الى ملك الهند المدعو
طاكسيليس واخرين من امثاله موجودين على ساحل نهر السند يدعوهم للقدوم عليه ومقابلته
عند قربه من بلادهم وقيل انه ارسل الرسل كانه من قابول او من حواليها لملوك بنجاب يدعوهم
لطاعته في صفة انه فاتح مملكة فارس وكان بعضا من علماء الجريك موجودين في جيش اسكندر
وقد صفوا بنجاب بانها كانت محكومة بملوك جميعهم تحت سلطة ملك واحد اسمه بوروش وعصى
بعض من هولاء الملوك على بوروش واسرعوا في الطاعة الى معسكر اسكندر وقدموا اليه رسوم
الاحترام وتحف الهدايا معهم في مقابلتهم وكان من ضمنهم ملك اسمه طاكسيليس ملك الاقليم
الواقع بين نهر السند ونهر جيلوم جلب معه هدايا نفيسه لاسكندر وامنية نادرة الوجود فاقبل
اسكندر جدا بطاعة طاكسيليس ورحب به في معسكره وكانت عاصمة مملكه طاكسيلا واقعة بالقرب
من نهر السند ومحلها الان مدينة اطوك ومن ثم صار لاسكندر طاقة على التقدم من بوغاز
او درب خيبر ووادي بيشاور وعبر نهر السند في سنة ٣٢٧ قبل الميلاد بطريقة سهلة وتقدم
في الاستعداد في مدينة طاكسيلا لحرب الكبير المنظور له مع بوروش وكانت مملكته واقعة على
مسافة بعيدة الى جهة الشرق بين نهر جيلوم ونهر شناب وقال بعض مورخي الجريك ان الذي
حمل اسكندر على توجيه القتال نحو الهند كثرة غنيمتها وثروتها ليس بالنسبة للذهب فقط
بل وما فيها من كثرة الحلي والجواهر واللالي حتى وان روس العساكر الهندية وطوارقهم مصفحة
بصفايح الذهب وقطع العاج وغير ذلك من المشهورات التي جذبت افكار اسكندر الى ما لابد له
من الغارة عليها فقيل انه لما حصلت المقابلة بين اسكندر وطاكسيليس جرت بينهما محاورة
طويلة فقال له طاكسيليس ما الذي حملك حتى اوجب الحرب بيني وبينك فانه لم تكن الغاية
لك قدارضنا وما في يدنا من لوازمات معيشتنا فالمقصود فقط جمع رجال وحمل سلاح و
اعباب في السفر فاما جهة الذهب والفضة وغيرها من الامتعة فان كنت انا اغنى و
ايسر منك فان صدري ينشرح من ان اعطيك حظا منها وان كنت انا افقر منك فليس عندي
شبهة ولا ريب في مقاسمتك في غنايمك فانشرح صدر اسكندر من فصاحة خطابه وعلو مقام
جوابه ومد له يده وصافحه وقال له جزيت خيرا من هذا التدين وهذه الحضارة وخلصت
نفسك من حربه ولا طعن ولا نزال فانه لئن فعلت هذا النفعة فانا انازعك الامر الى اخر
جهدي غير انه لابد لي من نظري لمعروفك وكرمك ولا اريد منك اسراف جودك وسخاك
على نفسي ثم انه من بعد ما قبل منه هدايا جسيمة قال له في ساعة ليلة اني ارغب ان اشرب
على صحتك يا طاكسيليس بما اني تحققت منك عهد نفسك على ان تاتيني بالوف من وزنات الذهب
وقيل ان هدايا طاكسيليس كانت اجل وافخر الهدايا التي لا يوجد نظيرها في الممالك الهندية
ودو مدة بخمسة وعشرين فيلا وارسل هيفاستيون امامه من اجل عقد جسر على مياه نهر السند
لاجل تعدية جيشه وعساكره وخضوع الامم التي لابد له من مروره في وسط اراضيها وبلادها
وصحب طاكسيليس والملوك الاخر جيشه ونفذوا كافة الاوامر التي اصدرها لهم اسكندر
الا واحد منهم يدعو اسطيش ملك جهة تعرف بوسيلوطش فانه من بعد ان دافع عن مدينته
مع الشرف مدة ثلاثون يوما نقضت اسكندر عليها وقبض على اسطيش وقتله ثم سار اسكندر
بفرقة من عساكر الطارق قيافات ونصف الجيش على نواحي اسبى او اشباسي وطيرابة وارشي
فاما اسبى فهي قبيلة من قبايل باروبا يسيد به واقعة في السفح الجنوبي من جبل هندوقوه

هندوقوه على نهر سويش المعروف الان بنهر كاشقيه واما طيرابه او غيرابه فهي عاصمة
اقليم صغير اسم غيرابه واقعة ايضا في السفح الجنوبي لسلسلة جبال هندوقوه في شمال بنجاب على شواطي
نهر سوسطيش سوستطيش احد النهيرات التي تصب في نهر كوفنوس او كوفيس المعروف بنهر كابول
واما ارساسي او اساسينش فيظهر ان ارضها واقعة بين نهر السند ونهر كوفنش لحد اجتماعها
ببعضها ومتصلة باراضي الوادي المعروف الان بوادي بانجكور ولما سار اسكندر قاصدا هذه الجهات
عبر نهر بالقرب من نهر شويس في وسط اراضي وعرة جبلية واسرع في اخضاع الامارات المستقلة
من بعد ان بذل اهلها مجهودهم في المدافعة مع الانتظام والشجاعة على بلادهم واصيب اسكندر في احد
الوقايع التي حصلت بضربة شديدة كادت تقضي عليه من احد شجعان هولاء الجبليون وكانوا اهل صلابة
وقوة وبسالة وذكر انه اصيب بسهام خرق عدته وجرح ذراعه ولم ينجو منها الا بواسطة صلابة
درعه وتخانته ومما تم لابد وان هذه الواقعة كانت في غاية من الشدة وكذا جرح بطليموس ولوناطوش
في الواقعة وعلم من شروحات مورخي الجريك ان اسكندر لاقى رجال من اشد الاعداء له اهل جراة
وبسالة الا انهم كانوا على غير اتحاد مع بعضهم وكانت اعمالهم مدمرة وحروبهم من اشد الحروب واهولها
وافظعها وكان جيش اشباسي معسكرا على اعالي التلال فاحضر يوما من فرق اسكندر بطليموس
في راس قوة ضخمة من اجل تشتيت هذا الجيش فتقهقر العدو الى الجبال من بعد ان احرق الديار في المدينة
التي تركوها واستعدوا في الجبال للمدافعة عن انفسهم ثم عزم بطليموس على طردهم من هذه المواقع ومشى
على اقدامه في راس مقدمة فرقته فلما راه القايد الهندي متقربا عليه تقدم عليه بجراة في راس مقدمة
عسكره واقتحم في حركة هجومه حتى وصل حد قريبا من تاذو بطليموس وضربه بسن الرمح في صدره
فما اثر في درع بطليموس بسبب صلابته وضربه بطليموس بسيفه في فخذه فقطعه وقتله واخذ سلبه
فاجتهد الجبليون مرارا في الهجوم حول جثة اميرهم ومن بعد واقعة شديدة التزموا الانهزام نحو اعالي
الجبال واوعارها ومما تم طردهم من تلك الجبال حتى ورد اسكندر ومعه امداد وتقوية كبيرة ومن بعد
هذه الواقعة سار اسكندر نحو معقل من معاقلهم الحصينة يعرف باسم اريقدوش ولما قرب اسكندر
من المعقل احرق العدو فيه النيران وتركه فتراءى لاسكندر من موقع هذه المدينة الحصينة وموقعه
وقوة حصانته جعلها محطة محافظة على خط مواصلته مع اراضيه وفتوحاته الواقعة في جهة الغرب
وجهة الشمال واعاد المدينة على ما كانت عليه وشحنها بالمقاتلة من اهل البلاد الذين صدقوا في
الدخول في طاعته باختيارهم ومن المتدربين في الحروب من عساكره الذين طعنوا في السن من
المقدونيين وطحنتهم انعاب خدماتهم في الحروب وفي ظرف هذه المدة لم يهمل امر الذين هربوا
امامه وتحقق من جهات وجودهم وسار في طلب البحث عليهم وما زال في حركة سيره حتى وصل ذيل
جبل … وعسكر فيه وارسل بطليموس يكشف له الجهات فاتى وقال له ان عدد نيران العدو
اكثر مما عدد نيران الجيش الجريكي فترك اسكندر قوة كافية من اجل المحافظة على المعسكر وسار بما
بقي من جيشه ولما صار على مراى من نيران العدو قسم قوته الى ثلاثة اقسام واحدة تحت قيادة
لوناطوش واخرى من فرقة حقره واخرى تحت قيادة بطليموس وفي نفسه الفرقة الثالثة وكان
فرقته اخرى قوة واكثر عددا وشجاعة وجراة ونزل الهنود من متاريسهم وساروا للالتقاء بالجيش
المقدوني وانتشب القتال فكانت الواقعة من اكبر الوقايع قاتل فيها الهنود مع الشجاعة غير ان
عاقبة الواقعة آلت الى هزيمتهم وكان عدد القتلى والاسرى منهم ما يفوق عن اربعين الفا وغنم
اسكندر مايتان وثلاثون الف راس من الانعام انتخب اجودها واحسنها وارسلها الى مقدونيا
من اجل تربية مثل هذه الانعام فيها وكانت اجود المواشي الجريكية ثم ان الامة الثانية التي توجهت
التفاتات اسكندر اليها الامة الاشاسينية فقيل ان عساكر هذه الامة كانت مؤلفة من عشرين
الف فارس وثلاثين الفا من المشاة وثلاثون فيلا جميعها محتشدة في ميدان الحرب فجمع اسكندر
جيشه من كافة الجهات من اجل مقابلة هذا الجيش المهول المشهور اهله بالقوة والشجاعة وقوى
اسكندر نفسه وجيشه على قدر امكانه وعبر من وسط اراضي الغور او غوريا وعدى من نهر الغور
من دون صعوبة كبيرة ربما كان عليه هذا النهر من كبر العمق وشدة سرعة تيار مياهه وكان فرشه
مشحونا بالاحجار الصعبة الوعرة التي لا طاقة للرجل او الحصان ان يمر من فوقها سالما فكان تمام
نجاح اسكندر في تعدية النهر الصعب سببا في ضعف قوة عساكر اهل البلاد وتقهقرهم …

الذين كانوا فيه وكانوا مؤملين لهم انهم يحافظوا على المقام به مدة طويلة حتى يوقعوا بعدوهم و
ضعفا في مدائنهم الحصينة سعيا من اجل المحافظة عليها وعلى انفسهم فيها وكانت مدينة مزاغة عاصمة تلك
البلاد واهمها هدف ومطلب الهجوم فلما قرب منها اسكندر مغزى اهلها فيها بسبعة الاف من مستاجري
اهل الهند الداخلة وعزموا مع الشدة والجراة على عدم انتظار هجوم اسكندر عليهم وهم متحفظون في
داخل الاسوار وحكموا انه لابد لهم من مقابلته في الميدان وتوكلوا على عدة آلة الحرب في امرهم وحملوا
على الشجاعة والجراة في كدهم وسعيهم مد الهجوم عنوة على معسكر الحريف فلما عاين اسكندر هذه الحركة منهم
عمي عساكره ولاجل حرمان العدو من فائدة هروبه والنجاة في داخل الاسوار في اثناء الحرب والواقعة
اتخذ خديعة تدبيرية عارف عليه بالنصر والظفر وذلك انهم لما قربوا منه امر عساكره بالرجعة نحو
جبل كائن على مسافة ميل منها وراءهم فانخدع الهنود بهذه الحيلة وكبوا على عدوهم حال فهمهم ولما وصلوا
الى المنزلة المؤثرة لرمي السهام اظهر المقدونيون ما كان بينهم من امارات عودهم للهجوم ورجع الجيش
اجمع دفعة واحدة عليهم وحمل عليهم حملة مهولة بالرماح والنبال واسرع في حركة حفظ وقوع الغش
والارتباك في الهنود ووصلوا معاقلهم مع غاية الصعوبة تاركين مائتين من قوتهم قتلى في ميدان
الواقعة وعزم اسكندر في الحال على حصار المدينة ومن بعد ان وصل البرج بقليل اصابه جرح في عقبه
من سهم وكان هذا الجرح سببا في هياج حميته وحرارته وامر في اليوم الثاني بتقدم ادوات الهجوم
الحربية من الاسوار وشرع المقدونيون بنقب ثلم في سور المدينة وحطم احدها حين قابلهم عليها
الهنود بصدورهم واشتد القتال والطعن فلما رأى اسكندر ما عليه الهنود من شدة المقاومة امر
عساكره بالرجعة وفي اليوم الثاني من الهجوم على المدينة قدم اسكندر ابراج الخشب بالقرب من السور
وامطر المقدونيون منها مطرا من السهام على المحصورين واستمر المحصورون في شدة المقاومة و
المدافعة عن مدينتهم حتى كل المقدونيون وعجزوا عن الطريقة التي بها يتغلبون عليها وفي اليوم
الثالث اجتهد المقدونيون في حركة الهجوم ونصبوا قنطرة من راس برج الى راس الثلم وعبر عليها
فرقة من عساكر الطارقيان فانكسرت القنطرة من شدة ما حصل عليها من كثرة الزحام للدخول في
المدينة وهوت بالعساكر الذين كانوا عليها الى الارض فاجتمع الهنود وتركت هذه المصيبة التي
حلت بالمقدونيين وصرخوا بعالي اصواتهم وسقطوا عليهم من الثلم وضربوهم بالرماح والنبال و
الاحجار من فوق السور وخرج عليهم من ابوابه السر الموجودة في نواحي الابراج فرقة من الهنود وقتلوا
الذين سقطوا مع القنطرة وفي هذا الوقت وردت العساكر مددا من المعسكر للمقدونيين فحفظوا
على عدم قهرتهم وبذل اسكندر ما في طاقته في التغلب على المدينة وكانت عموم اجتهاداته على غير
طائل وآل الامر اخيرا ان عقد معهم شروطا لاعمى حسب اتفاقات وقعت بينهم ودخل اسكندر
المدينة واما في بازيره واوره فان المقدونيين قابلوا فيهما اشد المدافعة والمقاومة ايضا
من اهلها وغنم اسكندر من اوره عدة من الافيال واستعملها في صالح جيشه ولما وصلت اخبار
سقوط مدينة اوره لاهل مدينة بازيره جاروا فيها هربوا من مدينتهم في ظلام الليل الى
ارنوس وهي جهة ماعونة قوية الحصانة في الموقع وكانت بازيره وهي معقل اسنينس
واقعة في الذيل الجنوبي من سلسلة جبال بارو باميسيدية ومن المحتمل انها بشور اوبيشاور
الموجودة الان والمحقق ان موقعها غير معلوم وآلت عاقبة هذه المدينة الى ما آل اليه عاقبة
المدائن الاخرى التي تغلب عليها اسكندر في تلك الجهة ولم يعلم الان من تلك المحلات الا قرتكده
وهي سمرقند ونهر بوليطيطوس المعروف الان بنهر كوهيق وباكطريا او زاريا سبو
المعروفة الان باسم بلخ وقيل ان ارنوس كانت اقوى قلعة واحصنها في عموم جهات الشرق
وكانت مرعية عند الهنود انه لا يمكن الوصول ولا التغلب عليها وروى اهل البلاد في تلك الناحية
ان الآلهة عجزوا عن التغلب عليها واعجزت عموم فرسان وشجعان العصور الماضية والحالية وكانت
هذه القلعة على راس تل شامخ دايره اثنى عشر ميلا والجزء المحوط في ساحته العلوية مرتفع
عن ارض السهل بقدر نحو ثلاثة ارباع ميل وكان يتوصل اليها من طريق مصنوع بالخصوص للتوصل اليها
وعر السلوك وخطر وفيها عين ماء عذب جارية يخرج منها عدة مناهل تجمع مياهها في جهة
واحدة من سطح التل والآجام والاورمانات ملتفة بقطعة كبيرة منه وبه اراضي خصبة يخرج
منها محصولات نباتية تكفي لالف نفس من المحافظين وارسل اسكندر امام هيفاسطيون باوامر

تاريخ الهند
البحر الزاخر
محمد المنصف

باوامر من طرفه من اجل نصب او عقد جسر فوق مياه نهر السند وراى اسكندر انه لا يمكنه
التغلب على هذه القلعة سواء كان بطريق الحصار او بطريق القحط والمجاعة او باي حيلة او
خديعة يجربها وعزم على تخريب وتامين خط سيره والمحافظة على العساكر الموجودة في قلاعه
ومعاقله وبينما هو مشغول الفكر بهذه الاجراآت وردت عليه الاخبار بما عنده في التغلب على
هذه القلعة الحصينة وعرف طريق السر الموصل الى راس التل فارسل بطليموس في راس قوة كافية
وبيتوا جهدهم وتشاهد فرصة الصعود فوق صحن التل فنزل بطليموس مصاعب هذا الموقع حتى
صعد الى صحن التل من هذا الطريق الوعر واشعل شعلة نار كما امره اسكندر فوق الجهة التي
استحوذ عليها فوق التل فلما رآها اسكندر استعد للهجوم في اليوم الثاني فقابله الهنود في اثناء
هجومه بشدة وعنف حتى صدوه فعلا ولما صد الهنود القوى الهاجمة عليهم الموجودة تحت قيادة اسكندر
ونفوذ اسكندر وجماعته وجه الهنود التفاتاتهم وقوتهم جميعا نحو بطليموس وانشب بينهم اشد القتال
ووجه الهنود قوتهم وعزمهم لهدم وتخريب المتاريس التي شيدها بطليموس من اجل المحافظة على نفسه
ومن معه من فرقته فاجتهد بطليموس في طول الليل بالمدافعة عنها وحمل المقدونيون حملات من
دون انقطاع حتى ارغموا الهنود على الانهزام عند اقتراب الليل الى مواضعهم الاصلية التي كانوا
خرجوا منها للهجوم وفي الليلة الثانية ارسل اسكندر رسولا من الهنود كان يثق به وبعثه في
امور عملية الى بطليموس باوامر من عنده وذلك انه متى عثر براه على شروق اليوم على الهنود من
اسفل التل يحمل هو ايضا حملة شديدة من جهته حتى يمنع الهنود من التجمع فوقهم نحو الجهة الهاجم
منها اسكندر ولما انفلق الصبح ساق اسكندر فرقته الى مطلع التل واشتد القتال وعظم البلبال
وكلما تضعضعت جماعة من الهنود حل محلها اخرى وكذا في قوى اسكندر وما زال المقدونيون
مكدودين في هجومهم وحربهم حتى وصلوا قمة التل والتقوا باخوانهم وانضمت قوى اسكندر مع
قوة بطليموس وهجموا على الموقع الاصلي للهنود فصدهم الهنود صدا عنيفا وقطع اسكندر الياس
من تغلبه على المعقل وما بقي عنده اي راي او فكر بما عده على التغلب عليه ولما قرب الغرام
اسكندر عساكره بالخروج الى الاورمانات المجاورة وبالزم كل واحد بجباية غصن من اغصان الاشجار
وصنع بهذه الاغصان سياجا في صفة متراس من ابتداء التل الموجود عليه معقل الهنود الى حد
الاستحكامات الموجود المقدونيين فيها حتى يرعب عدوه بهذا المتراس برماح ونبال يطرحها عليه
منه واشتغل اسكندر مع عساكره في هذا السياج لاجل تنشيطهم وتشجيعهم وافند اهتمامهم واعمالهم
ولما فرغ الشغل من جزء هذا السياج شحنه بعساكر المقلاع والنبالة من اجل حماية الشغالة لما
هجوم يقع عليها من جهة الهنود وما زال في اجتهاده حتى تمم هذا الشغل في ظرف ثلاثة ايام
وفي اليوم الرابع قطب المقدونيون على تل مرتفع يشرف على خطوط المدافعة الموجود فيها العدو
وعول اسكندر على مد سياجه الى هذا التل فلما رأى الهنود الجارة والسرعة في هذه الاعمال واحرتها
قطعوا الامل من حياة انفسهم وما بقي فيهم قوة في المواظبة على ضبط موقعهم وعولوا على
تركه ومن اجل تامينهم على هذه الحركة في ظلام الليلة القابلة من دون ان يزاحمهم عدوهم اتفقوا
على خديعة وارسلوا رسلا من طرفهم لاسكندر يخبروه بانهم مستعدون لتسليم انفسهم تحت شروط
حقيقية عادلة تحفظ لهم التمتع بالحرية والحياة والانفس والاملاك وكانت امورهم مخفية في
صدورهم وراوغوا بهذه المخابرة من اجل قطع الريب والشبهة ويامنوا طريقهم في ظلام
الليل ويتوجهون الى بلادهم فوردت الاخبار في السر لاسكندر بما في ضميرهم وما هم عليه من
خديعتهم فاستيقظ لشغلهم ورخص لهم بمدة من الزمن يجرون فيها ما يلزم لهم وسحب عسكره من
جهاتهم وانتظر حركة نزولهم ولما خرجوا من المتاريس اخذ اسكندر سبعمائة نفس من فرقه
ومن عساكر الطارقيان وكان هو اول من دخل متاريس العدو من بعد خروجهم منها ووصل
اليه عساكره من بعد دخوله فيها ومن بعد دخوله في القلعة امر عساكره فسقطوا على ما كان بها
من المختلطين واوقعوا القتل فيهم ووقع في قلوبهم الروع والفزع فقرب من نجا من القتل ورموا
انفسهم من فوق للهاوي والمنحدرات والمغاور وهلكوا وبهذا استحوذ اسكندر على التل الذي

الحجر بكل هجوم وقع عليه في العصور السابقة ويروى انه من حصن الشجعان والفرسان الذين
الحجر منهم هذه القلعة هرقول جد اسكندر لهم ان اسكندر من بعد ان قرب الفرسان ورتب محافظا
كافيا في هذا المحل عهد حكومته الى سيسيكوطوش واحد من ملوك الهنود كان هرب في المدة
السابقة من بلوده وحفظ رأسه لاسباب حصلت له والتجأ عند بسوس في باكطريا وعند وصول
اسكندر في باكطريا ادّى له خدمات جليلة في مدة هذه السنين وفي مدة الحروب التي اجراها جهة
اسكندر في تلك الجهات وكان لموقع هذا التل وقع كبير في مناقضات ومنافسات كبيرة حصلت
بين العلماء المتاخرين وما وقفوا على حقيقة موقعه بل قالوا انه من المحتمل انه كان على الضفة
اليمنى من نهر السند ومجاور للنهر ومع هذا فان المتاخرين من السياحين ساروا في تلك الجهات
وفحصوا الموقع واستدلوا على الجهة التي كانت ارنوس موجودة فيها وكان سقوط حصن ارنوس
سببا في اذاعة وشهرة صيت اسكندر

زيادة على ما كان عليه من الشهرة وحل
بالممالك الاخرى الروع والفزع منه وهرب
من امامه الاهالي يشتون من ارضهم ومساكنهم الى الجبال وهرب
ايضا اهل ريرمطا واهل البلاد المجاورة حولها حتى ما بقي احد
في تلك الجهات والاراضي تاخذ الجريق منه خبر او
الاستعلام على شي وكان اسكندر على رغبة وشوق
كبير في الاطلاع على معرفة بعوايد هذه القبايل
وكيفيات محارباتهم وعدد الاهل والفيلة ومقدار
ما عندهم من العساكر فارسل من طرفه ينركوش
وانطيكوش مع جماعة من العساكر للاجتهاد في
القبض على بعض الاهالي واما هو فانه تحرك من
موقعه واخذ طريقه نحو نهر السند من بعد ما ارسل
امامه بعض من فرق العساكر لاجل اصلاح وتمهيد الطريق
التي لابد للجيش من المرور منها ولما جلب له جواسيسه بعض من اهل
البلاد عرف منهم ان عموم الاهالي هربوا منه الى جهة باريشا ديش من اجل الحماية
بها والالتجا فيها وتركوا فيلتهم في اراضي مراعي بالقرب من نهر السند فاخذ هولاء
الناس معهم معه وسار في طلب البحث على الفيلة فلما وصل الى مراعي الفيلة وجد اثنان من الوطنيين
في القبض على الفيلة خوفا من فوق المنحدرات وهلكا وبقي الباقي في الجيش مع اسكندر وطبعا
ما يلزم له منهم وكشف بالقرب من تلك المراعي اجام واورمانات متواصلة مع بعضها الى الضفة
النهر صالحة لان يوخذ منها المهمات والمواد اللازمة لانشا مراكب وقوارب فانشا من
هذه الاجام القوارب اللازمة وارسلها الى هيفاسطون وبرديكاس من اجل نصب القنطرة
اوالجسر اللازم لتعدية الجيش عليه من فوق نهر مياه السند وفي هذا الوقت تمت اشغالها ثم
ان اسكندر دخل في كورة البلاد والاراضي الواقعة بين نهر كوفينوس ونهر السند وعند
مروره من هذه الكورة زار مدينة ينسا اونيفية وكانت مدينة معتبرة على اسم دونيسوس
(باخوس) ومجرد ما عرف اهلها وصوله ارسلوا له رئيسهم اكوفوس وثلاثون من كبارهم
في طلب حماية لهم مع مدينتهم ولما وصلوا هولاء الى معزب اسكندر وجميعه انذهلوا واستغربوا
من الحالة التي راوه بها من كثرة ما عليه من غبار السفر ولابس درعه وبجانبه خوذته وقابض
رمحه في يده فلما تمكنوا امامه خروا له ساجدين برؤوسهم وجثوا على الارض ولبثوا لحظة من
الزمن لا يستطيعون ولا يتكلمون فامر اسكندر رئيسهم اكوفوس بالكلام فعرض له بعبارة فوق
العادة يستدل منها ان المعاملات كانت جارية من قديم الزمان بين الشرق واقصى الغرب
من درب او طريق معلوم لهم من قبل ظهور اسكندر ثم قال له ايها الملك ان اهل ينسا اونيفية
يتضرعون اليك ويتوسلون لديك بالحالة التي نتوسل بها انت الى دونيسوس ان تحفظ لهم
واعراضهم ووجوههم وقال له ان دونيسوس من بعد ما تغلب على الجنس الهندي عاد الى بحر هلينيفيا
وهى الجريس وانشا هذه المدينة الكبيرة من عساكر جيشه واتقانه تذكارا على مرور الزمن لرحلاته

ورحلاته واسفاره وحروبه ومعسكراته كما انشا انت وانشئت مدينة اسكندرية عن قارة
واسكندرية مصر وكثير من المداين التي انشيتها وبتبلغ العمر الطويل حتى تنشي مداينا اخرى غير
التي شيدتها وتحوز الظفر والنصر والسعادة زيادة من دونيسوس وان دونيسوس سمى هذه
المدينة باسم ينسا شرحا لاسم مربيته واطلق على هذه الاراضي اسم بنيسيايا وسمى الجبال القريبة
منها باسم مخذ ميريش ومن ابتدا هذه تلك الايام التي مضت ونحن قاطنين بها وصرنا اهلها وفي
حرية تامة ونحن احرار في جمهورية والسلم والامن والراحة مستتبة بيننا نحن نحمي وطننا على قوانيننا
وعوايدنا واحكامنا وتحت ايدينا شهادة من عهد دونيسوس وهي ان اللبلاب الذي ينبت و
يتعقد عندنا لا ينبت في ارض خلاف ارضنا من البلاد الهندية فقبل اسكندر ما القاه اليه اكوفوس
قبولا زايدا وكان اسكندر على تمسك من اعتقاده وتصديقه بالخرافات وصدق حكاية دونيسوس
واسفاره واعتقد حقيقة انه هو الذي اسس مدينة ينسا وكان لهذه الحكاية وقع مفيد عند اسكندر
وظهر له منها ان فتوحاته بلغت الدرجة القصوى فوق فتوحات الشجعان والفرسان من الالهة واتخذ
هذه الحكاية مطلبا وغرضا لما يبتغيه ويقصده من اعماله وكان على دراية تامة من انه يحصل منها تاثير
شديدا على قلوب العسكر وبنيه الذين هم الآن موجودون على مسافة ثلاثة الاف ميل من بلادهم وتعبوا
وكلوا من الحروب والاسفار وارتقى الكثير منهم الى الدرجة العالية وحصلوا على الاموال والثروات
وهم الآن تحت حركة سوقهم الى ما يرغبه ملكهم من الشهرة وحب الطمع وفي حالة لا يأخذ لهم فيها راحة
ولا طمأنينة ومزمع سوقهم الى ما وراء ذلك النهر ويتاملون التعب والمشاق في طلب مشروعات جديدة
من امم ظهرت لهم شجاعتهم وقوة سيفهم في الحروب الاخيرة التي لاقوها وقيل انه تولد من هذه الحكاية
شدة النفور والزجرة في المعسكر وكانت سببا في حركة اسكندر مع عساكره وشوقهم الى مشروعات
الفتوحات ووطد قلوبهم وشجعهم باستمعه من الحكاية التي عرضها له اكوفوس في حق فخر العساكر
الجريقية ومجدها بخصوص الحرب الجاري الاستعداد من اجله واثبت لاهل ينسا حريتهم وما كانوا عليه من
حالتهم الا انه طلب منهم ثلاثة الاف من اشجع فرسانهم وعساكرهم ومائة من اجل وجوههم وامرائهم
رهينة عنده فرأى عند الطلب الاخير اكوفوس تبسم فسئل عن السبب الذي اوجب تبسمه فاجابه
ان اسكندر لجدير ان يتنزه بهذا العدد واصنافه من اجل رجال ينسا الا انى ارغب ان اعرف باي
طريقة تكون المدينة محكومة وادارتها جارية اذا تجردت من مائة من اجل رجالها فانشرح صدر
اسكندر من هذا الجواب واخذ الفرسان وترك ما طلبه من الرهن وتحرك اسكندر بكامل جيشه
وسار نحو القنطرة او الجسر الذي نصب فوق مياه نهر السند من اجل مرور جيشه كما امر وقضى فصل
الصيف وفصل الشتا في السير من باكطريا والحروب الاخيرة التي اجراها في السهول والاوعار
والجبال ووصل باراضي السهل في مبادي فصل الربيع
ثم الى هذا المقام كانت عدة الحروب والوقايع الكبيرة التي اجراها اسكندر حتى وصل الى نهر السند

عبور اسكندر من فوق نهر السند واعماله الحربية في البلاد الهندية

ثمانى وقايع وتولد من الاعمال التي كان اجراها في شدة فصل الشتا وما كان فيها من العوايق
الطبيعية الخارقة لعوايد الفقد وبنيت التي قابلت اسكندر وجيشه في طريقه والاعمال التي اجراها على
امم لا يبرز بهم ولا يستخف بصفاتهم واحوالهم ضرورة راحة الجيش من قبل الدخول في الحرب
التاسع من اجل ذلك لبث اسكندر وجيشه ثلاثون يوما على الضفة الغربية لنهر السند و
قضى الجيش هذه المدة في اقامة شعاير دينية والعاب ومطاردات وسباق على الخيول وفي
ايام اعياد ومواسم ودعوات وولايم وكان عقد الجسر تم شغله وتم شغل سفينتان كبيرتان الحجم
كل سفينة فيها ثلاثون مقذافا خلاف عدة سفاين وقوارب اخرى اصغر منهما في الحجم وعدد
المقاذيف واتفق عموم المورخين ان الجيش الجريقي عبر نهر السند من عند مدينة اطوكا وفي
ذلك الوقت كان الاقليم الواقع في الجهة الشرقية من ضفة نهر السند الاعلا مشتملا على
ثلاث ممالك مستقلة هي مملكة ابيزاريس واراضيها واقعة بين الجبال ومملكة طاكسيليس
وكان مملكة على الاراضي الواقعة مباشرة في مواجهة تعدية الجيش الجريقي من نهر السند الى نهر
هيداسب (جيلوم) ومملكة بوروش وهى ممتدة من نهر هيداسب نحو الشرق وكان جيران
بوروس من الملوك يخشون سطوته ويخافون مطامعه لكثرة ما كان تحت سلطنته من العساكر والجنود
والمواد الحربية ومهارته في الاعمال والوقايع العسكرية وكان مشهور الاسم والذكر في البلاد
الهندية فاما طاكسيليس فانه قدم طاعته لاسكندر في الحال وارسل له هدية ملوكية فاخرة

عبارة عن ٢٠٠٠ ... من الافيلة و ٣٠٠٠ رأس من الابقار وما يفوق عن ١٠٠٠٠ رأس
من الاغنام وثلاثون فيلا وقوة مؤلفة من ٧٠٠ حصان من الهنود وكان الجسر الذي
عبر عليه اسكندر من فوق نهر السند مركب من قوارب او مراكب مصفوفة بالقرب من بعضها و
مربوط ربطا قويا بالاخشاب والالواح ومغطى بحوازيق مدقوقة في النهر فبسبب ما كان
عليه النهر من شدة سرعة التيار وغزارة عمق المياه لم يصنع هذا الجسر من الحوازيق لكثرة طول
المدة التي يبنى فيها اذ انها تكلف اطول من المدة المطلوب عقد جسر وعبر اسكندر وجيشه من
فوق نهر السند في سنة ٣٢٧ قبل الميلاد ولما وصل الى الصفة الاخرى من نهر السند قرب القرية
المسماة كاهي عاز ابة واستمر في حركته حتى وصل مدينة طاكسيلا عاصمة مملكة طاكسيليس وكان
اسم هذه المدينة مشتق من اسم ملكها وكانت مدينة كبيرة ذات ثروة وغنية خاصة باهلها
وكانت اعظم مدينة واقعة بين نهر السند ونهر هيداسب او جيلوم وقابل طاكسيليس ورعاياه
اسكندر باكبر الاحترامات والاحتفالات الرسمية وكافة طرق الوداد والمحبة تنح له اسكندر
من جهته في نظير هذه المقابلة وما اجراه من فاخر الاحتفالات كثير من الاراضي المجاورة لمملكته
حسب مرغوبه ووفد عليه وهو في مدينة طاكسيلا رسل ابزاريس واخوه وبعض من اشراف
مملكته وكذا ارسل دوكساروش ملك اخر من تلك الجهات ومعهم هدايا وتحف والطاف والو
ان اسكندر عامل طاكسيليس بمعاملة الامتياز العالي واجل الاعتبارات فانه مع ذلك عين
من طرفه حاكما في مملكة طاكسيليس ورتب محافظين في المدينة من المقدونيين وترك فيها كافة
عساكره من الضعفا والسقط والمرضى حتى تعود اليهم صحتهم وسار متحركا نحو نهر هيداسب
واتته الاخبار بانه على صفة ذلك النهر الشرقية ملك قوي البأس عظيم السلطان اسمه بوروس
معسكر مع جيش ضخم وسعيه لمنا زعته عبوره النهر فاعاد اسكندر واحدا من ضباطه الى نهر السند
مع تعليمات بفك كافة القوارب الموجودة في الجسر المنصوب على النهر وفك اجزاءها من بعضها
وتحميلها وارسالها لنهر جيلوم ثم تركيب مرة ثانية على صفة وتطرح في النهر فتم تنفيذ هذا
الامر وكانت كل سفينة صغيرة مركبة من قطعتين واما السفن الكبيرة فكانت كل سفينة مركبة
من ثلاث قطع ولقد ذكر سطرابو ان المقدونيين ساروا في اتجاه جنوبي من نهر السند الى
نهر جيلوم فمن ثم يحتمل ان حركة تقدم الجيش كانت من الطريق الاصلي الموصل من مدينة اطوكا
الى جيليانور وفي مدة سير اسكندر تقوى جيشه بوصول اليه خمسة الاف من الخيول الهندية تحت
قيادة طاكسيليس واخرين من الملوك الوطنية وعند وصوله الى نهر هيداسب او جيلوم وجد
الامر كما بلغه في الابتدا من ان بوروس معسكرا على اثاث المقابل مع كافة عساكره وحوله
فيلته ومحافظا على كل جهات كانت فوق الطريق الاصلي التي يسهل منها عبور النهر او تحتها
اي اسفل منها مع غاية الدقة والاحكام وان كل جهة عرف بوروس ان العدو يمر منها وضع
فيها الحفر اللازم لها من اجل صد العبور وبعد فتوقع اسكندر من هذه الاستعدادات ومن ثم
عزم على تقسيم جيشه الى عدة فرق ليوقع الرعب والارتباك في عقل بوروس ويجعل ترتيباته
واستعداداته لا ثمرة فيها وعول اسكندر على اجرا حركات كاذبة يخدع بها بوروس وامر
عساكره بتخريب البلاد والاراضي المجاورة وفي اثنا هذه التخريبات يكشفوا جهات النهر
ونقطه ويتحققوا من النقط التي يسهل منها عبور النهر وورد الى معسكره زخاير كثيرة من
صنف الحبوب الهندية من كافة النواحي الواقعة في غرب نهر هيداسب وكان المقصود من جمع
هذه الحبوب غش بوروس واقناعه بالاعتقاد بان اسكندر عزم على البقا وطول المكث في
المتاريس والتحصينات التي انشأها حتى تنحط مياه النهر ويأتي الوقت التي ينتهز فيه الفرصة
في عبور النهر ووضع اسكندر مراكبه وقواربه في عموم نقط النهر الموافق وضعها فيها وصف صفة
النهر بالعرب والمشاة حتى يشغل راحة عدوه ويشتت باله ويرعبه ولا يكون له طاقة على
معرفة النقط او الجهة التي يعزم اسكندر على العبور منها او ما هي الاجراءات التي صممه في سر
راحة عساكره وسلامتها وكانت هذه الفترة الهندية التي شرع اسكندر فيها قريبا من غلاق
فصل الربيع وكان فصل المطر آن حلوله في الجبال وتجرى عموم انهار بنجاب في هذا الفصل
وكان عبوره نهر هيداسب في منتصف فصل الصيف في مدة عمل فصل المطر وشدته وفي هذا
الفصل من السنة تذوب الثلوج المتراكمة فوق اسنان الجبال وعلاوة على شدة حرارة فصل
الصيف ويتولد من ذوبانها زيادات مياه الانهار وانتفاخها وتكون مياهها عكرة مختلطة
ما فيها من الطمي وتيارها شديدة السرعة في الجريان واما في فصل الشتاء فان الثلوج تنعقد
فوق الجبال وتصفوا المياه وتنحط في فروش الانهار ويقل عمقها وتكون عمومها قابلة للخوض

للخوض في عدة نقط منها الاسفر الكبير ونهر السند فامر اسكندر بحصول المداومة على اشاعة
عزمه على الاقامة وعدم العبور حتى يسنح له الوقت الموافق ولا يخاطر بنفسه حتى يأتي وقت
صالح لمشروعه وفي اثنا هذه المدة كان في غاية من التلهف والشوق لمراقبة فرصة عبوره النهر سرا
من دون ان يلاحظ العدو امره اذ ان الشروع في اجراه جهرة يتولد منه اخطار ومشاق فوق
العادة وكان بوروس على تيقظ واستعداد تام لمنعه ومحاربته لو قصد عبور النهر وذكر كورطوس
ان اسكندر تصور في نفسه ان شهرة اسمه وسمعة صيته ربما يتولد منها تأثير في خضوع هذا الملك
الهندي فارسل اليه من طرفه كلوشاريش يطلب منه استعداده لدفع الخراج ومقابلة اسكندر
عند اقرب معبر يدخل في بلاده فاجابه بوروس ان رغبته واحد من هذين الامرين وهو مقابلة
هذا المقدوني عند وصوله الى اقرب معبر بجيوش لا قبل له بها وعرف اسكندر ايضا شدة تأثير
الحركة ونتيجة حالتها من كثرة وجود الفيلة في الجيش الهندي لو خاطر في حركة العبور جهرة وكان
مقدار الفيلة الموجودة في الجيش الهندي خمسة وثمانون فيلا من اجود الفيلة واحسنها وضعها
بوروس في الصف الاول في جودة تطفيرها وحسن اشكالها واستعد للهجوم على المقدونيين
متى خرجوا عليه من النهر ومن اجل هذا خاف اسكندر من ان خيوله لا يكون لها قدرة على وصولها
الى الضفة الاخرى من النهر واستحواذها على جهة البر من دون الوقوع في شدة ومصاعب لان
الخيول عند ملتقاها الفيلة تجفل منها من هيئة منظرها واصواتها وتزيد على اعقابها في الما
وربما تضر بركابها في الما وكان بوروس رتب ورا صف الفيلة ثلاثمائة عربة حربية وثلاثون
الفا من عساكر المشاة بما فيهم عساكر الرؤوس والنبالة وكان راكبا على فيل شامخ مزخرف عدته
وطقمه بنقوش الذهب والفضة وفوق الفيل تخت في صفة برج يطل منه على جيوشه وكان
ملكا من اكبر الجبابرة ذو بأس وقوة شديد وقال الجريق انه كان رجلا ذي هيئة في الجسم
شجاعا بطلا وعقله مركز دائرة الفضل والحكمة وكان عرض النهر الموجود معسكر جيوشه على صفته
بقدر ميل انكليزي غزير العمق كانه فرع من بحر ملحي ولما احاط اسكندر علما بما عليه بوروس
من الاستعدادات عزم على الشروع في حيلة في السر يجري بها تعدية جيشه فارسل عدة فرق من
الخيالة الى جهات مختلفة من النهر في اثنا الليل وامرهم ان يصرخوا باعلا اصواتهم حتى
يوقعوا الرعب في قلوب اعداهم ويظهروا انفسهم انهم على سرعة حركة العبور فاجروا هذه
الحركات كما امرهم اسكندر فارتاع بوروس ووجه الفيلة الى كل جهة وقع فيها هذا الصراخ
واما اسكندر فانه كان على مراقبة تامة من حركته ولما وقع هذا الفزع وتكرر اجراه في عدة
ليالي متوالية من دون حصول شيء في امر التعدية ابتدأ بوروس في الرخاوة وخفف في
محاذراته وعضى الطرف فعلا عما كان يفعله من مراقبة ولو ان المقدونيين كانوا مداومين
على تعبية انفسهم فانه الهنود ما كان عندهم ادنى فزع منهم وكانت لا جرأت لجارية من جهة
بوروس وضع خفر فقط على بعض نقط من صفة النهر ولما حصل هذا عند بوروس طمأنينة في
اعماله وهدأت حركاته شرع اسكندر في اجرا حركة فاصلة او قاطعة في عبوره النهر مع جيشه
وذلك انه في اثنا المدة التي حصل فيها الكشف على النهر ومعرفة جهات مخاضاته وقع الكشف على
جزيرة على مسافة تسعة عشر ميلا من النقطة الموجود فيها معسكر المقدونيين وهذه
الجزيرة كثيفة الآجام والادغال خالية من السكان والعمران وفي اتجاهها تل او نقطة مرتفعة
من الارض تحتها مجرى النهر سريع الجريان مستورة بالاشجار من كل صنف فرأى اسكندر ان هذا
المحل اعظم جهة موافقة له في العبور وفيه الفائدة التامة لو وضع فيه فرقة من عساكره من
دون معلومية عدوه فمن ثم امر بان يرسل الى هذه الجزيرة فرقة متخيرا من الخيالة والمشاة
ووضع في نقطة في منتصف المسافة بين الجزيرة والمعسكر اي على مسافة تسعة اميال من
اعلا النهر جماعة من منتخبي عساكره وترك كراطيروس مع فرقته الخيالة في المحافظة على
المعسكر وما فيه وامره بالمداومة والمواظبة على اجرا الصراخ والزعيق والغاغة كما كانت
جارية من عدة ليال مضت وان ينادي في المعسكر بنيران بكثرة عدة ليالي وانه عند ما يجري حركة
العبور يستعد جهرة في عبوره من جهته وامره بان لا يجتهد في عبور النهر من قبل ان يعاين
بوروس في الجهة الاخرى متوجها الى اسكندر بنفسه او هربان من الميدان لان بوروس يلزم
انه يلتقي اسكندر مع جماعة من جيشه ويترك باقي الجيش مع الفيلة في المعسكر فلا شرع اسكندر

ان حقق ذلك وترك موقعك هذا لكن لو ساق كافة الفيلة لمقابلتي وترك باقي جيشه في المعسكر
فاسرع انت مع كامل قوتك واعبر النهر لان رؤية الفيلة وحدها يحصل منه الضرر الاكبر للخيول
حتى وقت العبور وكذلك اعطى التعليمات اللازمة للفرقة التي امرها بالتعسكر بين المعسكر الاصلي
والجزيرة بحسب القول وانه عندما يجابهوا الهنود في الجهة المقابلة لهم استغرقوا بالحرب فيسرعوا
في عبور النهر وكان اسكندر اتخذ الاحتياطات اللازمة من جلب السفن والقوارب التي عبر عليها
جيشه نهر السند الى نهر هيداسب وامر بنفخ القرب وسدها سدا محكما ولما تم كافة استعداداته
وتوجيباته على قدر ما كان من قوته ساعده القادر جل جلاله فقال مؤرخي الجريق ان الليلة التي
استعد فيها اسكندر لعبوره نهر هيداسب حصل فيها زوابع وتلاقيح شديدة وضباب كثيف غطى ارض
السهل والحزن وزمجرت الرياح واشتدت ولمع البرق ورعد الرعد وسقط المطر مثل افواه القرب
بتيارات شديدة من المياه لا تنقطع وكانت حركة الجيش في التعرية في غاية من الصمت والسكون
والهدوء في وسط هذه الحوادث المهولة ثم هدأت الرياح قبل الفجر بقليل وانقطع نزول الامطار
وفي اثناء هذه الزوابع عبر معظم المشاة والخيالة في السفن والقرب المنفوخة الى الجزيرة من دون
ان يرى هذه الحركة الخفر الذي كان وضعه بوروس على شاطي النهر مقابل الجزيرة ومن قبل ان يتحرك
الجيش المقدوني ويسير في الجزيرة نزل اسكندر في سفينة من زوارق الثلاثين مجدافا مع اشهر قواده
وعبر الجيش من وسط الجزيرة حتى وصل الى المجرى الاخر وصار على مرأى من محطات عساكر العدو ولما
عاين عساكر العدو عساكر المقدونيين اسرعوا بكل ما في طاقتهم من الجري لاعطاء الاخبار الى بوروس
وفي اثناء ذلك كان اسكندر اول من وضع قدمه على البر الاصيل وعبروا امام بلهم من مجرى المياه ولما
تمم اسكندر عبور جيشه عباه للقتال ومقابلة العدو وجعل فرقة من الخيالة مؤلفة من اصعب
عساكره في مجنبته اليمنى والرماة في مواجهة الخيالة ووضع عساكر الطوارق في مواجهة صفوف المشاة
وادخل بعضهم بين الخيالة ومن بعد هذا رتب فرق الحفر الملوكي ثم الطوابير الاخرى على اختلاف
اصنافهم وجعل في المجنبات كراديس النبالة والاريانيين ولما عبى عساكره امر المشاة وكانت
فرقها مؤلفة من ٦٠٠٠ مقاتل ان تتبعه على المهل واقتحم هو في راس ٥٠٠٠ حصان الى
الامام وامر النبالة بسرعة الحركة خلفه وحسب اسكندر ان بوروس يلزم ان يلقاه بكافة
قوته ولربما يكون لبوروس طاقة على هزيمته او انه يلزم الهجوم حتى تاتي عساكر المشاة وانه
لو هزم بوروس وترك ميدان الحرب فانه لابد له من تعقيبه ثم انه لما وصلت الاخبار الى بوروس
بعبور المقدونيين من النهر ارسل ابنه في راس الفين خيال ومائة وعشرون من عربات الحرب
لاجل صد ولتعويق اسكندر الا انه من قبل وصول ابن بوروس كان اسكندر عدى جيشه وعباه
ولما عاين اسكندر قرب العدو منه اعتقد ان بوروس معه كافة قواه الموجودة تحت يده فوصلت
اليه جواسيسه واخبروه بحقيقة الحال فهجم بخيالته مع الشدة على الهنود واوقع بهم القتل وهزمهم
وقتل من خيالة الهنود ٤٠٠ نفس وكان من ضمن القتلى ابن بوروس وكان قائدهم وما كان
في عربات الحرب ادنى فائدة في مساعدة الهنود بسبب شدة انزلاق الارض ووحلها ووقع
معظمها مع خيولها في ايدي المقدونيين ولما وصلت اخبار هذه المصيبة الى بوروس مع موت
ابنه وعبور القسم الاعظم من جيش العدو النهر فاتحير [illegible] وتألم كثيرا حتى ما بقي عنده عقل
او فكر يدبر به امره ورأى نفسه انه صار على شرف الدمار مما هو جاري من العساكر الموجودة
تحت قيادة كراطيروس المعسكرة في مواجهة معسكره في الشط المقابل من النهر واجتهادهم في
حركة عبورهم النهر ومن بعد ان هدأ روعه وعاد اليه روحه وتردد في نفسه برهة من الزمن
عزم على السير لملتقى اسكندر ومحاربة فرقته بما انها هي الاقوى في العدد والعدة وترك قسم
من جيشه وبعض الفيلة من اجل مقاومة كراطيروس ومنعه من العبور مع عساكره وتوجه
حثيثا بالفيلة عند قربها من ضفة النهر وكانت القوة الموجودة تحت قيادة بوروس مؤلفة من
٤٠٠٠ حصان و ٣٠٠ عربة حربية و ٢٠٠ فيل و ٣٠٠٠٠ مقاتل من المشاة وتحرك بهذه القوة
حتى وصل الى سهل رملي ارضه صلبة وصارت ارضه من سقوط الامطار الاخيرة عليها موافقة و
صالحة لحركات العساكر والعربات وعبى في هذا السهل عساكره ورتب جيشه بان جعل الفيلة
في المواجهة في صف واحد على مسافة ١٠٠ قدم من بعضها بعضا لاجل بث الفزع في المشاة ووقوع
الفزع في خيل اسكندر وتصور في نفسه انه لا يمكن لفارس او راجل الدخول في المسافات الكائنة
بين الفيلة وبعضها وحسب في نفسه ان الفرسان تفزع خيولها عند قربها من الفيلة وان المشاة لا

لا يمكنها الدخول ايضا في هذه المسافات لان عساكر المشاة مستعدة لمقابلتهم والفيلة تحطمها
تحت اقدامها وارجلها وفي الصف الثاني عبى بوروس عساكر المشاة وما كانوا في تعبية خلف الفيلة
بل كانوا في صفوف غير منقطعة لا مسافة بينهم ورتب في الاجناب افيالا حاملة ابراجا من الخشب
مشحونة بالمقاتلة وكانت المشاة محفوظة من اجنابها بالخيالة والخيالة محفوظة بعربات الحرب
ولما تيقن اسكندر من هيئة تعبية عساكر بوروس عزم على تأخير الواقعة حتى تأتي المشاة اليه
وانه لو وصلوا يكونوا في شدة تعب من حركات التقدية والمشي فاذن من الضروري راحتهم
ليأخذوا [illegible] فلما وصلوا اليه احاطهم بخيالته وتركهم يأخذوا راحتهم وسار بنفسه ليتحقق
جيدا من ترتيبات عدوه فعرف من تعبية عساكر بوروس انه لا يهجم عليه من المواجهة بسبب ان
القسم الاعظم من الفيلة موجود فيها وصفوف المشاة كثيفة في المسافات الموجودة بين الفيلة و
بعضها وكانت الطريقة التي عبى بها بوروس جيشه سببا في صد اسكندر عن حركة الهجوم في الابتداء
وبسبب ما كان عند اسكندر من كثرة الخيول عزم على الهجوم على الجناح الايسر لجيش بوروس بأجود
ما عنده من خيالته ويجري هجومه من وسط هذا الجناح لو امكنه كسره وارسل فرقة كبيرة من
الخيالة الى جهة اليمين وامرها بالهجوم على الهنود من خلفهم عندما يروا انهم وجهوا خيولهم
لمقاومة هجومه وامر كراديس المشاة ان لا يتقدموا للحرب من قبل ان يعاينوا وقوع الفشل في
خيالة العدو وتشتته وانه عندما يصلوا الى داخل المنازل المؤثرة لنبالهم يرسل الف من النبالة
نحو الجناح الايسر كي انه بأخذهم في الحملة مع الخيالة يوقعوا الارتباك في عساكر بوروس فكان
لهذا الترتيب تأثير شديد في حركة الواقعة وان اسكندر بمجرد ما رأى حصول الخلل في الجناح الايسر للعدو
يسرع في راس الاوصار من خيالته ويتمم حصول الفشل الذي بدأته نباله ثم ان الهنود الذين احيط
بهم من كل جانب ساقت خيالتهم لمقاومة الهجومات الواقعة من جهة اسكندر بالاتحاد مع بعضهم
حسبما كانوا في ترتيب تعبيتهم وحملوا حملة عنيفة على جيش اسكندر وعلى اجنابه ثم انفكوا
فرقتان حملت اكبرهما قوة وعددا على اسكندر نفسه وقابلت الفرقة الاخرى الهجوم الموجه عليها
فكانت هذه الحركة سببا في كسر الصفوف وانكسرت قوة الهنود ولما عاين اسكندر ما حصل من سوء
تدبير هذه الحركة اقتحم من دون تردد في ملتقى الهاجمين عليه فلما رأى الهنود شدة الحملة ومقاومة
المقدونيين بردت عزائمهم ودوروا ظهورهم وولوا الادبار وهربوا ملتجئين خلف الافيال وجهد
قواد الافيال في حطم خيالة المقدونيين فاستعد كراديس المشاة لملتقاهم وضربوا الفيلة وركابها
بالنبال فما كانت هذه الحركة جديدة عندهم فقط بل وما كانوا على دراية منها من قبل وردت
الفيلة وجوهها وارضت صفوف المشاة لبعضها والزموا على الرجعة فلما رأى خيالة الهنود ان
المشاة انضموا لبعضهم في حرارة الواقعة هجموا على خيالة اسكندر مرة اخرى فصدهم المقدونيين مع
تعقبات كبيرة وقتلت فيهم وانجبروا على الالتجاء وراء الفيلة وكانت خيالة المقدونيين تقسموا
فرقا على حسب ضرورات احوال الواقعة فانضموا جميعا لبعضهم وحملوا حملة عنيفة على الهنود حتى
ابادوهم وازالوهم من مواقعهم فانضمت الفيلة الى بعضها وازدحمت في مواقعها ونفرت نفورا شديدا
حتى حطمت في غضبها رجالها واعداها وكان كلما اشتد فيها النفور والهياج قتلت كثيرا من الناس
وزاد الهياج في الضجة والقتل في الخيول التي هربت الفيلة نحوها ولما حصل من الفيلة ما حصل
من قتلها ركابها وقوادها صار المقدونيون غير معرضين لضرر يأتيهم من جهة الفيلة ولما رأى الهنود
ما حل بالفيلة من الهياج والنفور والخطر فتحوا الصفوف لهم فمرت مسرعة فيها وحطمت كثيرا منهم في وقت
اجتيازهم في عبورها ولما احاط اسكندر بخيالته العدو امر مشاته بالتقرب والسرعة في مضايقة
العدو ثم شدة الحملة عليه وهرب البعض من خيالة الهنود من المعمعة وحل عليهم سوء العاقبة
واحاط بهم المقدونيون من كل جانب وما لم تكن احاطت به خيل المقدونيين وعاين قطع اليأس
من حركة الاعمال دور ظهره وولى الادبار فلما رأت عساكر كراطيروس ما حصل من الظفر عند اخوانهم
شرعوا في عبور النهر واستراحوا واقتحموا وانظفرهم وساروا خلف الهاربين من العدو وقتلوا منهم الوفا
وقتل من مشاة الهنود لا اقل من ٢٠٠٠٠ نفس في ذلك اليوم ومن الخيالة نحوا من ٣٠٠٠ مقاتل
وتكسرت عموم عرباتهم الحربية وقتل ولدان من اولاد بوروس وحاكم الاقليم وكافة قواد الفيلة
وقواد الخيل وغالب قواد المشاة واما خسارة اسكندر فقدرها مؤرخي الجريق بانها كانت ١٠٠٠ نفس
فقط وكان بوروس في اثناء المعمعة في وسط عساكره وكان هو المدبر لحركاتهم وكانوا يتمثلوا به
في هجومهم فكان فارسا شجاعا وقرما بطلا جبارا فانجرح في الواقعة في ذراعه الايمن فانثوى

راس فيله وترك ميدان الحرب وشهد اسكندر لخصمه بالبراعة والشهامة وعلو الهمة والفروسية والكر
في المحافظة على قومه حتى ثم اجتهد اسكندر في المحافظة على حياته وارسل طاكسيليس في طلب البحث
عليه فلما لحقه طاكسيليس وقرب منه محترزا على نفسه من فيله امره بالوقوف وسماع اوامر اسكندر
وانه اجتهاده في هروبه من بعد هذه الواقعة لا ثمرة فيه ولا طائل تحته فلما عرف بوروس ان
المخاطب له العدو القديم طاكسيليس رمح بفيله نحوه ووجه اليه سنان رمحه واراد قتله لولا
ان طاكسيليس نجا بحصانه منه فما حصل عند اسكندر غضب او حنق مما حصل من بوروس في حق رسوله
اليه لان رغبة اسكندر كانت المحافظة على حياة بوروس وسلامته فارسل اسكندر مرة ثانية واحد
من قدماء اصدقاء بوروس في طلبه البحث عليه فلما وصل اليه اخبره بما عليه اسكندر من حسن التوجه
والتفاته اليه والمحافظة على سلامته واوراه ان مقتضيات الاحوال تلزم ذلك فارعم حتى
وصل امام اسكندر فلما بلغ اسكندر قرب حضوره صف جيشه وتقدم امامه واوقف حصانه من
اجل مقابلة بوروس فاخذه الاندهال والدهش مما رأى من هيئة هذا الملك من حسن الشكل وظرافة
فقيل ان طول قامة بوروس كانت سبعة اقدام ونصف وكان جسيما حتى ان صدره كان ضعف
صدر كل واحد موجود في جيشه وكان عليه هيئة الملك وما حصل عنده ادنى دهشة او زلة فيما كان
عليه من السعادة والعظم وشرف النفس وزكاء العقل وكان ما زال في وسط دمار شوكته الملوكية
معترف النفس بانه هو الملك فكان اول سوال سئله له اسكندر ماذا ترغب ان اصنع فيك فاجابه
بوروس معاملة الملك لملك فتبسم اسكندر وقال له ان ذلك مما يشاكل وصفتي وشرف ذمتي ولكن
قل لي ماذا ان اصنع لنفسك من اجل خاطرك فاجابه بوروس كل شي ارجيه لنفسي منك محصور
في جوابي الاول فانشرح صدر اسكندر من فصاحة بوروس وزكاء عقله في اجوبته فما اعتقه
وخلصه لحريته فقط بل واعاد عليه كافة ممالكه واضاف له ممالك اخرى خلف ممالكه وعامله
مع الاكرام والتبجيل وشرف النفس حتى انه من بعد ذلك صار الصديق الاكبر لاسكندر مادام على
قيد الحياة ثم ان اسكندر امر بتشييد مدينتان لتذكار هذه النصرة الفاصلة واحدة في ميدان
الواقعة من بعد النهر والاخرى في موقع المعسكر الذي اتخذه قبل عبوره النهر وسمى المدينة الاولى
نيقيه اي المنصورة والاخرى بوسفال على اسم حصانه وكان معززا عنده ومات في الواقعة
لا من جراحات حصلت فيه بل من تقدمه في السن وكثرة مجاهداته في الحروب وخضعت لاسكندر
عموم الاراضي من ابتداء نهر هيداسب (جيلوم) الى نهر آسيتيس (شناب) واضاف هذه
اسكندر الى ممالك بوروس فقيل ان سكان هذا الاقليم كانوا اكثر عدد وثروة وكان به
سبعة وثلاثون مدينة كل مدينة بها من السكان لا اقل من ٥٠٠٠ نفس جميعها خضعت لاسكندر
ووفد عليه رسل من ملك قوي الباس والشوكة اسمه ابيزاريس مع تقديم طاعة الملك ومملكته
وبلغ اسكندر انه كان اعد استعدادات للاشتراك مع بوروس في مقاومة اسكندر فارسل اليه
اسكندر امرا قاطعا اما الحضور بنفسه واما زيارة عدوانية وكانت الاراضي الواقعة بين نهر
اسيتيس (شناب) ونهر هيدروطيس (راڤي) محكومة بملك آخر اسمه بوروس وكان ايضا
شديد الباس جبارا وكان فيما سبق الد الاعداء لسميه الذي حتم طاعته في هذا الوقت لاسكندر
وبلغه ان عدوه صار في ارقى الدرجات وعز الخير والشرف عند فاتح البلاد فضاعت منه كافة
اعتباراته وهرب مع عساكره خلف نهر هيدروطيس فضبط اسكندر كافة ممالكه التي هرب وتنازل
عنها والحقها بمملكة سميه وخصمه بوروس ولما سار اسكندر من شناب وعبر من هيدروطيس انته
الاخبار بانه تشكل اتحاد مؤلف من الكاطيانيين وممالك اخرى هندية مستقلة وعزموا على
مقاومته وصد حركة تقدمه واتخذوا مدينة سنغاله حصنهم ومقر اتحادهم وكانت هذه المدينة
حصينة من الطبيعة والاشغال الفنية وجعلوها ميدان مقاومتهم وكان للكاطيانيين ومحالفيهم
الاوكسيدرا قيونه والماليون شهرة كبيرة في القوة والشجاعة وكان بوروس وابيزاريس يضمان
جواهما فيما سبق في بعض الاوقات ويغيران على هولاى الامم فلا يستفيدوا منهم بثمره ويصدوهما
صدا عنيفا فالوى اسكندر عنان عليائه الحربية نحو ميدانهم وسار اليهم بما روته تردد ولا شبهة
وفي اليوم الثالث من حركة مسيره وصل امام مدينة سنغاله ورأى العدو وجيشه امام المدينة
على جبل ليس صعب المرتقى ولا كثير المهابط والانحدارات وجعلوا عربات اثقالهم في هيئة ثلاث
متاريس داخلة في بعضها مثل الاسوار ونصبوا خيامهم في الوسط وكانت صورة المدافعة وعدم
وجود الفيلة عندهم يستدل منها دلالة كافية على انهم كانوا في الاصل من المحيطين او المتأثرين
لحظ اسكندر احواله وانتقاله ونصب معسكره وانتظر تمام ورود عساكره وكانوا اجازوا الى حركة سيرهم
خلفه ولما وصلوا واستراحوا من تعب السفر ساقهم الى الهجوم على المتاريس المصنوعة من عربات

عربات الاثقال فاخذ العدو عرباته في داخل متاريس كان اعدها للحماية وكانت حركة العدو فقط جر
عرباته وصعودها فوق الجبل المرتفع وصاروا يضربون بالنبال والحراب والات الحرب على المتقدمين
وكانت فرقة اسكندر الواضح منها الهجوم مؤلفة من خيالة فقط ورأى ان خيله لا توافق في مثل هذا الهجوم
فامر الخيل وحمل بفرقة مؤلفة من مشاة ومن بعد حصول ملحمة شديدة حصلت بين العربات حصل النصر
للجريق وهرب الهنود ملتجئين في داخل مدينتهم من اجل حماية انفسهم والمدافعة عن مدينتهم ولما قطعوا
الامل من انفسهم وعدم طاقتهم على المدافعة والحرب عزموا على الانجلاء من مدينة سنغاله في ظلام الليل
فبلغ عزم حركتهم اسماع اسكندر فاتخذ الاحتياطات اللازمة في منعهم وضيق على المدينة واقام عليها
سورا من التراب والطوب وكان في جهة منها بركة او بحيرة غير عميقة المياه ومال النظر الى المحاصرين في حماية
البركة بشي فعول المحصورون على خوضها في الليل والهروب من المدينة فبلغ اسكندر هذا العزم ايضا فامر
بطليموس بالمحافظة على داير البركة فجمع بطليموس كافة العربات التي كان تركها العدو وصفها حول داير
البركة وجعلها سدا ولما خرج الكاطيانيين من المدينة وسلكوا طريقهم في مياه البركة الى ان وصلوا الى
السد الذي انشاه بطليموس التقاهم المحاصرون وضربوهم واعادوهم على اعقابهم وفي هذا الاثنا هدم
الجريق اسوار المدافعة وتغلبوا على المدينة عنوة وقتلوا ١٧٠٠٠ نفس من الهنود واسروا ٧٠٠٠٠
نفس والله اعلم وقتل من الجريق ما ينوف عن مائة نفس وجرح ١٢٠٠ نفس من ضمنهم جملة من كبار
الضباط وقيل ان عدم النسبة بين الجرحى والقتلى من الجريق كان مما رمى الالات الحربية والسهام
والنبال والمزاريق التي كانت ترميها الكاطيانيين على الجريق وكان موجودا بالقرب من مدينة سنغاله
مدينتان اخرتان من المتفقين لها تركها اهلها فتتبعهم اسكندر في كل جهة وما قدر على الظفر عليهم
وقتلوا عساكره منهم نحوا من ٥٠٠ نفس وهدم اسكندر سنغاله وعاقها الى الارض واضاف اراضيها
الى ممالك بوروس وكان بوروس في هذا الوقت مع اسكندر في راس ٥٠٠٠ مقاتل من رجاله
وكانت مدينة سنغاله اخر فتوحات اسكندر ووقوعها الى جهة الشرق والى هذه المدينة وقفت فتوحات
اسكندر بما حصل من تذمر وتضجر عساكره في ما بعثه في حروبه المعول عليها وكان وصل نهر هيفاسيس
وهو نهر سوطليج الان اخر انهار بنجاب في نقطة تحت ملتقاه مع نهر بياس وكان بلغ اسكندر
ان الاراضي والبلاد الموجودة من بعد هذا النهر في غنية وعمارية وثروة في الاموال والاولاد
واهلها على دراية تامة من فن الزراعة وعندهم كثير من الفيلة وانهم شجع واقوى الامم الموجودة
في الممالك الهندية وان فيلتها تفوق في الجسم والقوة الافيال الاخرى الموجودة عند غيرها من الامم
وكانت هذه الاخبار سببا في هياج حرارة وحمية اسكندر وزاده ما وصل اليه من اخبار ابهة
وعظمة وعمار مدينة باليبوترة عاصمة مملكة مجدها او برشي وكان مطلق عليها اسم مدينة بابل
الهند وكانت باليبوترة تزيد في الابهة والثروة عن مدينة بابل عاصمة مملكة اشوريا وكانت
مقر الاكابر الملوك من ملوك مجدها وكان اصول هولاى الملوك من جنس الغز كما سيرد ذكره وكانت
سطوتهم وشوكتهم ممتدة على عموم البجيث جزيرة الهندية وفيهم طاقة كما فيه على ابراز في ميدان الحرب
ستمائة الف مقاتل من المشاة وثلاثون الف من الخيالة وتسعة الاف من الفيلة والى هنا يلزمنا
ان نلاحظ ان اسكندر من عهد قربه من نهر جيحون اجرى عدة حروب عظيمة الى حد اليوم الذي
حط فيه رحله ونصب معسكره على شواطي نهر هيفاسيس وكانت شدة مقاومة اهل الصغد
طالعا لكثير من الحروب الصعبة التي لاقاها اسكندر في وجهه وفي وقايع وحروبه الاخيرة
وكانت خسارته وتلفياته كثيرة ولو انه كان ياتيه كل يوم من الاقاليم التي افتتحها مقاتلين
بدل الذين كانوا ينقلوا من عسكره وذخاير ونقود ومؤن كانت تلزم له ولعساكره الا ان كثرة
النفور والزجرة التي حصلت في الممالك الخراجية التي تركها خلفه وكذا بعده من الممالك الاكثر
مقدونيا وارتكانا عليها وطلبه ما يمكن عليه ويثق به من المداين اليونانية والاتحادات الجريقية
وحكمته مقدونية التي ورثها عن ابيه كل هذا كان تاثيره شديدا واشتهر صيت الجيش المقدوني
بالشجاعة والفروسية في الحروب وكثرة ما عنده من المؤن والاستعداد في الوقايع كان كل هذا
سببا كافيا وشهرة ومفاخرة ومجدا وابهة وشرفا وكفاءة لارتقاء الانسان الى اعلا واقصى درجة
في الشرف وحب الشوكة والثروة حتى تم عم النفور العام في كافة طوايف جيش اسكندر ورأى شجعانه
انه لا يلزمهم ان يخاطروا بانفسهم من الان وصاعدا في وقوعهم في المهالك القاصدها اسكندر
زيادة شهرته وفتوحاته التي لا نهاية لها وكانوا اقتحموا اقساما من البلاد الهندية وما استفادوا
حتى على ما كان في حسابهم من كثرة وجود خزاين الذهب فيها التي كانت طرقت اذانهم و

واحترقت النيران في قلوبهم وابدانهم وهم في بلادهم وعند ما خربوا عزها ولا وجدوا شيئاً مما اشتاقوا
به الا اضبار عن الزخارف والتحايف في بلادهم الغربية حتى يكافئوا بها اتعابهم ومشاق اسفارهم و
ومتاعب حروبهم عند ما عبروا نهر السند ووجدوا ارض الهند واهلها بسيطي المعيشة ومفتقدي
النفقة واهل شجاعة ومحبة لاوطانهم وكان عدد النفور والعصيان في قلوب العساكر المقدونية
على صفة نهر هيفاسيس وشرعوا في الاجتماعات والمجالس في المعسكر حتى تزلزلت عقول العسكر
ما حل بينهم من النفور واجتهدوا في مقاومة السعي في هجوم عبور النهر لو ارادوا الفرار وحتى
معارضة اسكندر مع العنف لو شرع في سوقهم من اجل عبور النهر فبلغت اخبار هذه الجمعيات وما
هو واقع من النفور في قلوب العساكر المقدونية الى الملك ولما خشي اسكندر من انتشار هذا الهياج
وربما تؤول عاقبته الى ثورة عول بحسن تدبيره على عقد مجلس من كبار قواده ليريهم رايه ويأخذ
آراءهم فلما اجتمعوا عنده ذكر لهم ملخص امتداد فتوحاته وسعتها وقال لهم اني لا ادري نهاية
الدرجة التي يصل اليها المرء في اشغال ارتفاع نفسه اليها واننا الان لسنا على مسافة بعيدة من نهر
الكنج والاوقيانوس الشرقي واننا لو وصلنا اليها فلا نكون على مسافة بعيدة من بحر هرقانيا او
بحر الخزر لان الاوقيانوس الاكبر محيط بارض الدنيا وان الخليج الهندي متصل مع خليج فارس وخليج
هرقانيا متصل بالخليج الهندي وانه من خليج فارس يمكننا حمل جيوشنا في اسطولنا والدوران حول
افريقية حتى نصل الى بوغاز اعمدة هرقل (جبل طارق) ومن ثم تكون حدود مملكتنا ممتدة فوق
الحدود التي حددها الاله للدنيا واحاطها بها ثم قال لهم انه لا يخاف مما من تعطيل يقع في مشروعاته
وتوقيف حركة المواظبة عليها الا ان الامم الذين خضعوا لنا ربما تهيج فيهم الحمية والحماس ويقوموا
في ثورات وان اجل اعمالنا يجب ان تكون مطابقة تماما لاعمال المشهورين الذين سبقونا وانه لا بد
لنا من ان يكون لنا حظ مما لاقوه من التعب والنصب ومشاق الاخطار ووعدهم واشهد الهه على
وعده لهم حيث يتم الحرب بانه عند ما يتم له فتح اسيا عموما فانه لا يكتفيه ما وعدهم به فقط
بل ويوفي كل واحد منهم بما يرغب فكانه كلما ذكره لهم اسكندر من الحمية والحماس ما حصل منه ادنى
تاثير في قلوب سامعيه وعم القلق والنفور في صدور العساكر بسبب ما حل فيهم من الحرارات الشديدة
وموت معظم المقدونيين وما بقي منهم على قيد الحياة الا القليل وتشوقوا للعود الى بلادهم ورؤية
اولادهم وعايلاتهم ومساكنهم واملاكهم وصمم الجيش على العود وخاب الملك فيما كان يرجوه لنفسه وسلم
اسكندر ورضي بالعود مع الاشمئزاز والكراهة في النفس

عود اسكندر من الهند الى ارضه وبلاده

ثم ان اسكندر من بعد انفضاض المجلس لبث ثلاثة ايام في خلوة منفرد لا على عدته كما هي عادته اذا
حصل عنده تزلزل او ارتجاج في عقله مؤملا ان يعلن عساكره انه غير او بدل ما عزم عليه
مخالفا لاختيار آرائهم وفي ظرف هذه المدة كان كافة اصدقائه واحبابه ونزمائه بعيدين عنه
وذكر المؤرخ اريان ان الملك انتظر في ظرف هذه المدة ربما يحصل بعض تغييرات في آراء
عسكره ويرجعوا الى تنفيذ اغراضه فما راى ادنى دلالة او اشارة يستدل منها على حصول تغيير
في الآراء بل تمسكوا بعكس ما يرغب وعم فيهم الصمت والنفور وزاد فيهم الشغب والهياج وعولوا
مقربي الملك اعزما ثابتا بعمل ما عزموا عليه فامر بتقريب القربان ومشاورة الالهة في هذا
الامر فحمل هذا حسب امره وقال العرافون انه لم يظهر مما تقريب القربان الا دلالات مخالفة
بالكلية لعبور النهر اي نهر هيفاسيس (بياس سوتليج) فمن ثم طلب اختيارية قواده والاكثر
ثقة في صداقته ومحبته وامرهم ان يعلنوا الجيش بانه على حسب ما ظهر من الاحوال الغير موافقة
عند الالهة في عبور النهر سلم فيما تؤول اليه العواقب وما تكونه مخابئه القدر المقدور واصدر
اوامره في الحال بعود الجيش المتسلط فيه الغضب والحنق والنفور وعدم القبول بما يرضاه
الملك وامر لاجل المحافظة والبقاء على حدود فتوحاته الشرقية ان يبني اثني عشرة محرابا من
الاحجار الضخمة في صفة ابراج شاهقات في العلو والمتانة والجامعة على الصفة الغربية
لنهر هيفاسيس وقرب في تلك المحاريب المهولة القربان اللازمة واتبعها كما هي عادته
بالمواسم والاعياد والافراح والالعاب وسباق الخيل والمطاردات ثم حبس كافة الاراضي
الواقعة في غرب النهر على حكومة بوروس وعبر ثانيا نهر هيدراوطيس ونهر اسيسينيس
وسار حتى وصل نهر هيداسب بالقرب من الجهة التي كان عسكر فيها اولا فوجد المدينتين التي كان
امر بانشائها وهي مدينتي بوسفالة ونيقية قد ذاقتا اشد الضرر من كثرة سقوط الامطار
وزيادة فيضان النهر ولا يوجد اوامر وطيعة مرخصة في جلب المهمات اللازمة لتمام تشييدها

تشييدها فامر باصلاح المدينتين وترميم ما تشعث منهما مما كان صار بناه وكمال بنائهما ولما فرغ
تكليلها من حلول افات تخل بها وروي من وجه اخر ان اسكندر من بعد ما تغلب على مدينة ستغا له
كان راكبا ذات يوم من الايام في راس جيشه فراى جماعة من البراهمانيين في مرج اخضر يتمشون
ويتجاذبون مع بعضهم فلما مر بهم وراوه ضربوا على الارض باقدامهم فاندهش اسكندر وعجب
من هذه الحركة الخارقة للعادة وسيل منهم عن السبب الذي اوجب ذلك فاجابوه مشيرين الى الارض
باصابعهم ان المرء لا يشغله الا هذا التراب وانه لا يقنع ولا يرضى بما استحوذ عليه من الارض
بل يطلب على الدوام الزيادة والفرق بينه وبين الاخرين زيادة القلق وعدم الراحة وشدة
الطمع وحب الشهرة وانه لو تغلب على عموم البر والبحر فلا ينال من ذلك سوى الاكدار والضرر
لنفسه ولغيره ثم يموت في اخر امره ولا يحوز من ذلك شيئا سوى ما يكون حفرة بالضم جسمه وجمع
عظامه فما حصل عند اسكندر قبض من هذا الجواب بل اسرع في سيره في طلبه المجد فحازت اعماله من
ابتداء هذا الوقت على غير اغراضه قال المؤرخ اريان ان هؤلاء البراهمة كانوا في اجل الاحترامات
في بلادهم وكانوا لا يدفعون عوايد ورسوم لملوكهم بل كانوا ايضا يعدون ملوكهم فقط بوعظهم و
نصيحتهم اياهم وكانت وظائفهم في المملكة مثل وظايف موبدانات المجوس في ارض فارس
وكانوا يحضرون تقريب القربان العمومية والخصوصية واذا قرب واحد من احاد الناس قربانا
مخصوصا لا بد وان يكون موجودا واحدا منهم حاضرا في هذا القربان والا فمن دون وجودهم
لا يكون تقريب القربان مقبول عند الالهة وكانوا يوجهون عباداتهم نحو الكواكب ولهم فن
العرافة والكهانة ويخبرون باحوال تغييرات الطقوس والفصول واذا خاب واحد من هؤلاء
البراهميين في اخباره او انبائه ثلاث مرات فلا يعتبر انباؤه فيما بعد ذلك ما دام حيا
والحيا بالتعظ وقال اسطرابو ان افكارهم واراءهم ما كانت مخالفة كثيرا لما كان عليه اليونان
من الاراء والافكار وكانوا على عقيدة ان للدنيا مبدأ كما ان لها نهاية اي لها اول واخر
وانه هيئتها مستديرة والذي خلقها وصورها اله واحد قادر له الحكم عليها وملازمة بجلالة
وان الماء اصلا لحياة كل شيء واما بالنظر لازلية الروح وعقاب المجرمين في جهنم فانهم كانوا
تابعين عقيدة افلاطون الا انهم ادخلوا في عقيدة هذا الفيلسوف اقاويل لا يتصورها
العقل في وصف هذا العقاب والكثير منهم يغدوا عريانا على الدوام وذكر اريان في صفات
حياتهم الدنيوية ومعيشتهم اقوال غريبة وما هم عليه من الصبر والقناعة العجيبة والكلام
وشربهم ما تنبت الارض من الحشيش والجذور والماء وكانوا على عقيدة تناسخ الارواح
وكانوا يعتقدون ان ارواح البشر تنتقل من اجسادها الى اجساد الحيوانات فمن ثم كانوا
يعافون لحوم الحيوانات ومن المحتمل انهم كانوا اخذوا هذه العقيدة عن فيثاغورس ويسيرون
طول النهار واقفين ووجوههم موجهة نحو الشمس في الفصل الذي تكون فيه اشعة هذا الجسم
النير شديدة الحرارة وكانوا على عقيدة ان ليس من مجد الانسان وشرفه انتظار الموت
الى ان تهجم عليه الشيخوخة او شدة المرض فكانوا يعتقدون هانا ان العلماء بتجرعهم اوجاع
مدة حياتهم في الدنيا بحرق انفسهم وهم على قيد العافية والصحة وما كان عندهم ادنى احترام
لكل من مات بعلة من العلتين السابقتين ويتصورون انهم نجسوا اعمدة الحرق والنار التي
حرقت اجسامهم وصيرتهم رمادا نجسا بحلولها ما لم يحرقوها وهم في عافية وصحة من علة
الشيخوخة والمرض وقال انه يوجد طائفة اخرى من البراهمانيين لهم اتحاد مع الناس عائشين
في المداين والقرى لا يراعون ان قتل النفس من شجاعة الاعمال وينظرون اليها بنظر ان هذه
الحالة ضعف في عقيدة المرء ولا يجب على المرء ان يعرض نفسه لهلكة الموت مع شدة الصبر قبل
حلوله فان ذلك من اكبر الجرايم ومخالف لاوامر الالهة ووصاياها وقال سترابو ان مثل
هذا الصبر الخارق للعادة ليس موجودا فقط عند عقلاء الهنود بل وعند النساء في تلك البلاد
فانهن يقدمن على الدخول في شرك الموت مع بعولتهن وهذه الصفة موجودة في النساء
اللواتي ازواجهن كانوا في محبة زائدة معهن وصداقة تامة في الدنيا معهن ورضى المراة
او الزوجة الواحدة بحكم يصدر عليها من اشخاص معينون لهذا الخصوص ولا يحكمون به الا اذا
مات الزوج وسمعوا من الزوجة القبول به ومتى فصلوا الحكم على الزوجة حسب رغبتها فانها
تشرع في جريها لمعرفة الموت وتصعد فوق عمود الحرق المطروح فوقه جثة زوجها بعزم

شديد وحزن ماعليه مزيد وتلقى نفسها فى النار وتحرق مع زوجها وذكر فى موضع اخر ان الرهبان
البراهمانيين كانت معايشهم من الحشيش والجذور والثمار ويعافون لحوم كافة اصناف الحيوانات وان
مسود واحد منها صدرت لجماعتهم وانفسهم نجس ويقضون غالب اليوم والليلة فى تربيتهم واكثارهم
وتربيتهم اربعة مخصوصة لاطفالهم وهم على الدوام فى صيام وعبادة وغالبهم فى عزلة وخلوة
على حدته لا يجتمع بالناس ولا يتزوج ولا يجوز لنفسه من حوايج الدنيا شيئا ولا يرغبون فى شىء
سوى الموت ويراعون ان هذه الحياة ثقل وحمل على الجسم وينتظرون مع شدة القلق وعدم الصبر
الوقت الذى تخرج فيه الروح وتفارق البدن الحالة فيه وما زال مثل هولاء البراهمة موجودا
الى الان فى الهند وفى جهات عديدة منها يروون احاديث وعقايد من مضى قبلهم ويروى ان
اسكندر مر ايضا بالقرب من مدينة كان بها جما غفيرا من البراهمانيين وكان فى رغبة وشوق
زايد فى المحادثة معهم وعلى شوق فى ان يكون معه ناس منهم لو امكنه ذلك فبلغه ان هولاء
البراهمة لا يتوجهون لاحد ولا يزورون احدا مهما كانت حالته والذين يرغبون رؤيتهم من
الناس ينبغى ان يتوجهوا اليهم فى منازلهم فقال اسكندر انه يخل بى التوجه الى هولاء وان
لا يلزم اكراه او اجبار هولاء العقلاء على تغيير شىء من قوانينهم او عوايدهم وارسل اليهم واحد
من طرفه اسمه اونيسيكريطوس وكان فيلسوفا كبيرا تلميذ ديجوجينس فقابل فى طريقه خمسة
عشرة نفس من البراهمانيين واقفين على حافة غير بعيدة من المدينة عرايا من الصباح الى
المسا فى اول محل وقفوا فيه ومتى دخل الظلام يعودوا الى المدينة فلما وصل اليهم تقدم الى
واحد منهم اسمه كلانوس وعرض عليه السبب الذى اوجب حضوره لهم ومجيئه عندهم فنظر
كلانوس الى ملبوسه وجزمته وما تمالك نفسه من الضحك وقال له ان الارض فى قديم الزمان
كانت مغطاة بالشعير والقمح على قدر ما كان موجودا فى ذلك الوقت من التربة وكانت الانهار
تسيل صاف لبن عسل ولبنا وخمرا فتولد من الجريمة التى وقع فيها الانسان زوال نعم وسعادة
هذه الحالة وعاقبه جوبيتر على ما حصل منه من كفران النعمة وخطيئته بالاشتغال ان فى المؤلمة
ولما ندم وتاب واناب من جريمته رحمه وغفر له واعاد عليه ما كان فيه من السعادة الاصلية
ومع هذا فانه مع توالى العصور وتعاقب الدهور عاد الى ما كان فيه قديما من القصور والخلل
ووقع فى الجرايم فمن هذه الرواية يعلم بداهة ان هولاء الفلاسفة كانوا على اعتقاد تام من
معلوميتهم بابى البشر ادم والاشتغالات التى حكم الله عليه فى نظير ما حصل منه من العصيان
ثم رحمه وغفر له ومن هذه المحادثة تكلم اونسيكريطوس مع منداميس وكان شيخ القوم وكبيرهم
فقال منداميس انه يظن ان اسكندر جدير فى طلب البحث على الحكمة فى مدة محافظته ومحاربته
على شوكته وحكومته وانه اول من جمع لنفسه صفتى الفاتح والفيلسوف لان صفة الفيلسوف
لا تكون الا فى الذين يلهمهم الله الحكمة حتى يحوزوها من اجل مساعدتهم على اجرا احكامهم ثم قال
انه لا يمكنه ان يعرف الاسباب التى اوجبت اسكندر فى سرعته فى شروع مشروعات بعيدة الشقة
صعبة الاسفار ولا حاجة فى طلب البحث عنه فى بلاد طويلة الاسفار مثل البلاد الهندية ثم ان
اونيسيكريطوس حضهما وعرض عليهما ان يتركا هذه المعيشة الخشنة ويتبعا اسكندر وطالعه
السعيد وقال لهما انهما يجداه سيدا كريما ومحسنا جليلا يجعلهما اهلا للشرف والثروة من كل
صنف فاجابه منداميس بلسان فيلسوفى عالى انه ليس فى حاجة من اسكندر ولا عوزة ولا قصد
ولا خوف منه وانه ما دام على قيد الحياة فان الارض تخرج له من مكنوناتها كل شى يحتاج
لغذاه ومؤنته وحاجته والموت يخلصه من ارتباك وقلق رفيقه (البدن جسمه) ويجعله فيما بعد
فى حرية تامة وعتق كامل منه واما كلانوس فانه اذعن وما عارض فى الامر وتوجه مع
اونيسيكريطوس الى اسكندر فقابله ورحب به واجل منزلته وكان هولاء الناس يقرب الامثال
وما يلزم لها من الاحكام وتدبير السياسة فقدم للملك صورة محسوسة ومثال طبيعى يخص
بممالكه ووضع على الارض امام جلد ثور عريض جاف متلحف جدا ووضع قدمه على حرف من حروفه
وضغط بقدمه عليه فارتفع الجلد من كافة اطرافه ثم دار حول الجلد بهذه المثابة وكلما يضع قدمه
فى زاوية من حرفه ويضغط عليها يقوم الجلد من كافة جهاته ثم وضع قدمه على وسط الجلد وضغط عليه
حرفه الجلد وما تحركت اطرافه فقال لاسكندر الان الاحسن والاوفق لك ان تقيم فى وسط

وسط ممالكك ولا تبرح عنها ولا تشرع من الان وصاعدا فى مثل هذه المشروعات الطويلة السفر
المعرضة للهلكات وكان اسكندر فى هذا الوقت عازم على مداومة الحرب ما دام يجد فى طريقه امم
جديدة ينظر اليها بعين العداوة ما داموا فى حياة واستقلال منه وكان على فكر من عبور نهر
هيفاسيس وقيل له انه من بعد عبوره هذا النهر يسير مدة احد عشرة يوما فى صحارى وسهول
حتى يصل الى نهر الكنج اكبر انهر البلاد الهندية وموجود فى تلك الجهات ممالك جنجاريديه (بنغاله)
وبراشى اوجميدها (بهار) ملكها مستعد لمقاومته وحوله فيها فى راس ٢٠٠٠٠٠ حصان و ٢٠٠٠٠٠ مقاتل
من المشاة و ٢٠٠٠ عربه حربية و ٣٠٠٠ من اقوى الفيلة واحسنها فلما انتشرت هذه الاخبار
فى معسكر الجريكى وقع الرعب والخوف فى قلوب العساكر وضجروا وزمجروا وتذامروا وكانت
العساكر الذين من بعد ما عبروا اراضى واقاليم وصل بهم الشيب والعجز فى ميدان المحاربات
ما زالت كانت اعينهم متطلعة من دون انقطاع لوطنهم العزيز ولهم شوق ولهف زايد على رؤيت
اولادهم وعايلاتهم فانتوا واشتكوا وتذامروا من ان اسكندر يكوم عليهم كل يوم اكوام حروب
فوق حروب واخطار فوق اخطار وتداولوا فيما بينهم فيما حصل لهم من الاتعاب والمشاق وفقدهم
للامطار وما يتبعها من الزعازع والعواصف والرعود والصواعق وصل بهم القلق والارتباك
وعدم الصبر وصرحوا باعلى اصواتهم ان الانسانية ما بقى فيهم قوة ولا طاقة على السعى من بعد هذا النهر
ولا خطرة الى الاوهام فلما عرف اسكندر حقيقة هذا الهياج وما هو جارى من تجمع جمعيات سرية
فى معسكره دبر بحزم رايه طريقة لمنع نتايج هذه الحالة الرديئة التى ربما يتولد منها ثورة
فنيحة وامر بعقد مجلس وارسل الى القواد والضباط بالحضور فى خيمته وامرهم بحضور العساكر معهم
ولما اجتمعوا جميعا قام فيهم خطيبا وقال ايها القواد والضباط والعساكر انى لست جاهلا بل
وعلى يقين تام من ان الهنود بثوا بينكم عدة اقوال واشاعات يخوفونكم بها ويوقعون
الرعب فى قلوبكم غير ان هذه الاقوال والتصنيفات ليست غير معتادة عندكم فانه بمثل هذه
الاقوال وصف الفرس معابر ودروب سيليسيا والسهول الواسعة فى ميزوبوتاميا (العراق)
ونهرى الدجلة والفرات بانه ذو عرة صعبة خطرة مخيفة فتحتموها بشجاعتكم وبسالتكم واخضعتم
اهلها وفتحتموها بقوتكم وعظيم شوكتكم احتملتم الان تندمتم على اتباعكم لى ومجيئكم معى
الى هذه الجهات الفاحشة وحيث ان اعمالكم المعتبرة اخضعت لكم العدد الكبير من الاقاليم وصوابكم
فتوحاتكم خلف نهر سيحون وفى ما وراء جبال قوقاز وانتم الان تت هدون باعينكم انهار
الهند تجرى فى وسط ممالكم فلما تخشون وترهبون عبوركم نهر هيفاسيس وتضعون علامات
نصركم وظفركم على ضفتيه كما وضعتموها على ضفتى نهر هيداسب وما هى العلة التى حدثكم
الناس باخبارها بالكذب عن كثرتها وقوتها واوقعوا فى قلوبكم الرعب منها حتى بلغ فيكم الى هذه
الدرجة التى ظهرت عليكم الان اما جربتموها وعرفتم حالتها وانها شرا على اهلها وتدميرا لا
صحابها زيادة على اعدائها الاهل وقع فى قلوبكم الخوف وحل بكم الوجل والرعب من كثرة الجيوش
والعساكر افهل هذه الجيوش والعساكر اكثر جمعا واكبر عددا من جيوش دارا وعساكره التى
قابلتموها بصدور مثل الحديد وحمية مثل اللهيب الشديد فالذى احققه لنفسى فيكم انكم لا تخافون
بحكايات واقوال كثرة جيوش العدو من بعد ان حصل لكم النصر والظفر فى اسيا وصيرتموها صحارى
بقفقا باعمالكم الحربية وكان من الواجب فى الابتدا انكم كنتم تتفكروا وتتأملوا فى قلة قوانا
وعددنا يوم عبرنا بوغاز الهلسبون والان السيطيون (التاتار) مشكلون قسما من جيشنا
والباكطريانيين والصغديانيين والداهيانيين معنا ويحاربون فى ثبات فخرنا ومجدنا ومع
كل ذلك فانى لا اعتمد على مثل هولاء البحج وانما اميل واعتمادى وثقتى فيكم وانى لا انصر
الا بجيشكم المنصور وشجاعتكم وفروسيتكم هى التى عليها مدار نصرتى ونجاحى وكلما كنت انا فى وسطكم
وانتم حولى فلا احسب لعدد عسكرى حسابا ولا احسب للعدو مهما كان عدده من العساكر والجيوش
حسابا واحقق لنفسى الذهاب والتوجه الى الحرب مع السرور والانشراح وبوثوقى فيكم وتوكلى
عليكم يحصل لى كمال النظر وفى النصر مقصور مجدنا وسلامة انفسنا افتريدون الان ان نعطى ظهورنا
العدو ونولى الادبار ويقال فى حقنا اننا هربنا من عدو امامنا ويحكم علينا بان عدونا كان
اشرف منا قوة واكثر جمعا وانتم على دراية تامة من شهرة كل شى كافية فى الحرب وفى طاقتى وقدرتى
ان ابذل مجهودى فى تنفيذ امرى غير انى لا اطلب منكم الان الا الالتماس والرجا وانى انا شدكم

ايها القواد والضباط والعساكر والبشر منكم انا لا تتركوني هنا وحيدا فاني لا اقول لكم اني ملككم
وسيدكم بل اقول اني محبكم واخوكم في الحرب والميدان فلا تكسروا بايديكم شجرة المجد التي [illegible]
عالم فيها مني ومنكم واحد يصار عني بتل هرقل او اقوش وبما ان العساكر كانوا جميعا واقفين
واعينهم موجهة الى الارض وما احد منهم حرك شفته وفتح فمه قال اسكندر ماذا اقول لكم
بعد هذا ايها الصم الاذان البكم الافهام اما فيكم من سمع قولي اما فيكم من يجاوبني والسفاه
تركني اهلي واخواني وحيدا وغشوني في امري وسلموني ليد عدوي غير اني ما زلت اقدم على
التقدم الى الامام ولو كنت بمفردي والصيطيوه والباكطريا بيون هم اكثر صداقة معي لان
منكم سيروا معي الى اي جهة اسوقهم اليها وانتم ارجعوا الى بلادكم وعزكم ايها الجبناء الذين تركتم
ملككم وفررتم منه وجعلتموه لا صاحب له ولا انيس معه واما انا فانه لا بد لي من كوني اسير والقى
الظفر الذي طعمته انتم مرة اليأس او اموت موت الشرف والفخر والمجد الذي هو الان اجل
مقصودي ووحدة بغيتي ومرادي ومع ما كان من هذا الكلام المدهش المهيج للحمية والحماسة فان
العساكر ما زالوا كانوا في صمت وسكون لا حراك فيهم وكانوا ينتظرون واحد من قوادهم وروسائهم
يجاوب الملك عما لسانهم ان محبتهم له اقوى واشد زيادة عما كانوا عليه غير ان الجروح سترت اجسامهم
وعورت وجوههم وصاروا في حالة ضنكا وعيشة هلكى من الاتعاب والمشاق ويستحيل عليهم
المواظبة والمداومة على الحروب فما كان لاحد فيهم جسارة على عرض هذه الحالة للملك في شانهم
فاما القواد والضباط الذين خاطروا بانفسهم لحد هذا الوقت في الوقايع وجازفوا بانفسهم في
الحروب مع ملكهم زيادة عن مائة مرة فما كان فيهم طاقة ولا جسارة على المخاطرة بانفسهم ويخبرون
سائرهم لو عرضوا الحق لملكهم وفي اثنا استمرار الضباط والعساكر على الصمت والسكون وعدم الكلام
انفجر البكا والعويل والانين على حين غفلة وسكب العساكر والضباط دموعهم على خدودهم واتقد كلا من
كان في الجمعية البكا حتى يبتدل ما كان من غضب الملك الى رحمة وشفقة وصار لا طاقة له على تحمل
بكا عساكره وفي هذه الحالة المحزنة مشى واحد اسمه كينوس نحو تخت الملك وقوى قلبه وعقل نفسه
بحميد سجاياه وجسارة اعماله ورغب عرض الكلام الى الملك فلما راه العساكر قلع من فوق راسه خوذته
وكانت العادة ان كل من تكلم مع الملك يقلع خوذته من فوق راسه فتوسل العساكر به في انه يعرض
للملك ما يجب في حق الجيش ما يكون صالحا فمن ثم عرض كينوس حالة الجيش للملك بهذه الطريقة
وقال سيدي انه لم يحصل عندنا ادنى تغيير في محبتنا جلالتك فان ذلك حرمه الله علينا و
منعنا من الدسايس والغش وحصول مثل ذلك بيننا واننا ما زلنا ولا نزال في الحال والاستقبال
محافظين على الدوام على الغيرة والحمية والحماسة والمحبة والصداقة الاصلية الواجبة علينا
من الطبع لمليكنا ونحن في استقرار تام وعلى اهبة كاملة مع اتباعك والمخاطرة بحياتنا في
الطريق التي تتوجهها وتسوقنا فيه والجهات التي ترغب التوجه اليها لكن لو كنت ترخص بعض كبراك
ان يعرضوا عليك افكارهم ويبثوا لديك شكواهم مع الصدق من دون ان يكون في قلبك غضب
او حنق فانهم يلتمسون من ملكهم ان يسمع دعواهم باذن واعية وشكواهم التي لا شي عندهم سواها
ولا يمكن نزعها من قلوبهم فيكون ذلك عدلا صرفا ورافة ورحمة من ملك ساقهم الى هذه البلاد
ونصروه وكانوا اعوانا له على علو سلطنته وزيادة ارتقا شانه سيدي ان السعادة قد القت
الملك زمامها ومقاليدها وزلفت لك كل وعر وصعب وسهل وحزن حتى انك ما قهرت
اعداك فقط بل وعساكرك ايضا وقد فعلنا ما لا تفعله الرجال وعبرنا معك البر والبحر ونحن
معك الى اخر حدود المسكونة ونحوز فتوحات اخرى وتتوجه في طلب نهر ستر اخر جديد غير
معروف عند نفس الهنود فمثل هذه الافكار جديرة لجلالتك وسهلة عليك الا انها فوق
العادة علينا ولا طاقة لنا بها ارجوك سيدي ان تتامل ظهور الوجوه التي عليها علامات
الموت وعليها الاكدار وكثرة الاصفرار والاجسام التي سترتها الجراح وخرقتها الحراب والسهام
ثم تامل سيدي فيما كنا عليه من العدد في مبادي اسفارنا وحروبنا بين يديك وما الت اليه
حالتنا الان وما بقي منا الا القليل جدا وان ما بقي من هذا القليل الذين سلموا من الاتعاب
والاهوال والاخطار ما بقي فيهم سيدي قوة ولا صلابة في متابعتك الى ما ترغب ولهم
مع تلهف وشوق زايد من رؤيتهم اولادهم واهاليهم ووطنهم ويتمتعوا بما بقي من حياتهم
في حالة سليمة باثمار ما جنوه من اشغالهم ومن المعلوم انك ضاعف عليهم واصفح صفحا جميلا
يتقلب عليهم في مقصد طبيعي لبني الانسان سيدي انه من الحزم والكياسة ان تجعل هذه الحدود
حد السعادتك وعظيم مجدك كما ترضيه افكارك وتقهر نفسك وتغلب على امرك كما قهرت وغلبت

خطبة كينوس الى اسكندر

وغلبت على امر كافة اعداك وبمجرد ما سكت كينوس من كلامه انفجر البكا والنواح والصراخ
من [illegible] وسكب العساكر دموعهم على خدودهم وصرخ العساكر بصوت واحد يعيش الملك
سيدنا ووالدنا وقام بعض من كبار الضباط وطلب بغاية الخضوع ما طلب كينوس مع غاية
السكينة والوقار وعلى الخصوص الضباط الذين طعنوا في السن وصار لهم نفوذ وحرية تامة في
الاقدام على الملك والمكالمة معه فدخل اسكندر في خيمته من دون فصل هذا الامر لانه يلزم
ان يتفكر في امره ويرى في احوال نفسه قبل ان يتم هذا الامر الذي جا على غير مرغوبه ولبث
معتزلا في خيمته يومان او ثلاثة ايام لا يتقرب اليه احد من عساكره ولا الاصدقا والاحباب
راجيا انه يحدث بعد ذلك امرا يغير ما في قلوب الجيش وما اصر العساكر عليه من هذا الخلاف
ولما لم ير ادنى اشارة او دلالة على تغيير ما في صدورهم اصدر امره بالاستعداد للسفر في العود
وانتشرت هذه الاخبار في الجيش بالافراح والانشراح وما شوهد اسكندر من قبل في حالة
كبيرة ومجد وفخر مثل ما شوهد في هذا اليوم الذي تعطف ورضي فيه بما اتفقت عليه رعاياه من
امرهم وكسر بعضا من مجده وعظيم قدره وهضم نفسه وكان لاصوات الجيش دوي وصدى في الفلوات
يثنون على اسكندر ويشكرون عظيم شرفه ومجده بسبب خضوعه لعساكر جيشه الذين غلبوا على كل
الموجود في عالم الدنيا وما كان يعادل هذا الظفر شي وامتلات صدورهم بالافراح والانشراح
والتهليل وما قضى اسكندر زيادة عن ثلاث شهور او اربعة في سنة ٣٢٦ قبل الميلاد الموافقة
لسنة ٣٦٧٨ من تاريخ الخليقة في فتح كافة الاراضي الواقعة بين نهر السند ونهر هيفاسيس
المسماة الان بنجاب او بنج اب ومعناها ذات الانهار الخمسة لان بنج معناه خمس واب
معناه نهر او ما ثم انه من قبل قيامه للسفر في العود امر بانشا اثني عشرة محرابا تكون اخر
حدود فتوحاته في الجهة الشرقية وعلامة نصر وتذكار على ما حازه من المظفرات وقرب فيها
القربانات اللازمة للالهة وكان علو كل محراب خمسة وسبعون قدما وامر بانشا معسكر حصين
سعته ثلاثة امثال سعة معسكره واحاطه بخندق عمقه خمسة عشر قدما وعرضه عشرة اقدام
واحراث يقصر فيه واحد من عساكر المشاة وواحد من عساكر الخيالة بحصانه وخيمة كخيمة وبنى
فرشا طول كل فرش سبعة اقدام ونصف ليكون لمن بعده دلالة على نصره وشجاعته والاعتقاد
التام بما ان اسكندر كان هو ومن تبعه في درجة عالية فوق الذين كانوا موجودين من الامم
في عصره ومن بعد تمام هذه الاعمال عبر نهر هيدروطيس وترك كافة الاراضي التي فتحها
لحد نهر هيفاسيس تحت سلطة بوروس وسار حتى عسكر على شواطي نهر اسيسنيس فانتفخت مياه
هذا النهر وعلت من كثرة سقوط الامطار حتى فاضت على الاراضي المجاورة لضفتيه وغطاها
والتزم اسكندر على نقل معسكره الى الاراضي المرتفعة فمات في هذا المحل كينوس من مرض اصابه
وكان موته رزية كبيرة على الملك والجيش وما كان كينوس هذا الا من كبار الضباط المعتمدين
والمشاهير في حروب ووقايع [illegible] بل كان احد الاجواد من الناس الذين يعتمد عليهم ويوثق
في الامور بهم وكان صاحب غيرة وحمية على ما يختص بالرفاهية العامة وحسن استتباب الامن
وكانت كافة اعماله خالية من المصالح الذاتية والطمع وكان على محبة كبيرة عند الملك وله جراءة
تامة في قول الحق مهما كانت الحالة ثم عبر نهر اسيسنيس وسار حتى وصل نهر هيداسب كما ذكرنا
سابقا بالقرب من الجهة التي كان مر منها في سابق الامر وتمم مدينتي نيقيه وبوسفاله وكان
منتظر قدوم اسكندر في هذا المحل ارصابيس او ارزشير اخو ابيزاريس حاكم احد الاقاليم
المجاورة وكان معه من جملة الهدايا التي ساقها لاسكندر وقدمها اليه ثلاثون فيلا وقابل اسكندر
الملك ابيزاريس مع غاية الاحتفال والاجلال وقدر مقدار الخراج اللازم دفعه سنويا عن
طرفه لاسكندر وعقد علاقات محبة بوروس مع طاكسيليس وربط روابط الامن بينهما
واستتباب الراحة عقدهما بمحالفة ومعاهدة ملائمة لكل من الاثنين وورد على اسكندر في
هذه الجهة تقوية امداد كبيرة من خيل ومشاة ارسلت اليه من اوروبا مع خمسة وعشرون الف
طقم من الالات الحربية جديدة الطرز وكثير من صناديق الادوية والعلاجات ومن البديهي
انه لو كان وصل هذا الامداد والتقوية في اثنا ما حصل من العساكر ما سبق ذكره على ضفة
نهر هيفاسيس فلا بد وان اسكندر كان يتقدم نحو نهر الكنج ولا يتخلف عليه احد من عساكره
ثم انه بهذه القوة وشجاعة جيشه والملوك الذين كانت يده مثل بوروس وطاكسيليس [illegible]

وابيزاريس وغيرهم من الحكام صار عند اسكندر جمع وافر في اجراء اشغال واعمال جديدة في جمع المهمات
والادوات اللازمة لإنشاء اسطول من اجل نقل جيشه في نهر هيداسب الى فم نهر السند فاشتغل
بهذه التجهيزات في مدة فصل الصيف ووجدت الاخشاب في اجام واورمانات الجبال النازل منها
نهر هيداسب في السهول الواسعة وكانت هذه الاخشاب عبارة عن خشب الشربين والسرو
والحور وغير ذلك من اصناف الاخشاب والاشجار الموافق اخشابها لصناعة انشاء المراكب والسفن
وفي مبادي شهر نوامبر استعد اسطول مؤلف من الفين سفينة مختلفة السعة وانتخبت ملاحيها
من الفينيقيين والكاريايين والقبرصيين والمصريين الذين كانوا اتبعوا جيش اسكندر وكانوا
على دراية تامة من علم البحر ثم ان اسكندر قسم قواه الى اربع فرق واحدة تحت قيادة كراطيروس
تمشي في طول الضفة اليمنى واخرى تحت قيادة هيفاسطيون مؤلفة من اجود العساكر قوة
وعددا ومعه مايتان من الفيلة تمشي في طول الضفة اليسرى وجعل نيرخوس قايد الاسطول
النهري يمشي بالقرب من الضفة الموجود فيها نفس اسكندر وامر فيليب حاكم اقليم ماوراء نهر السند
يتبعه مع جميع قواه ولما تم كافة هذه الترتيبات قرب القربان الى الالهة وجلس على مؤخر
سفينته وسكب في نهر هيداسب من كاس ذهب سكيبة من الشراب واستغاث بالالهة عموم
الانهار الهندية المعروفة عنده وكانت هذه الشعاير لها وقع عظيم عند الهنود وسار الاسطول نحو
الجنوب منحدرا في النهر لا جهة ملتقى مياهه بنهر اسيتيش ونهر هيدروطيس ونهر هيفاسيس
التي تصب مياهها في نهر السند وبها تتسع مياهه ويعلو فيضانه وكان ابتدا سفر الاسطول اول
شهر نوامبر سنة ٣٢٦ قبل الميلاد فوصل من بعد مضي تسع شهور اي في شهر اوغسطوس الى
فم نهر السند والاوقيانوس الهندي وما كانت هذه السفرة الطويلة خالية من وقايع مهمة حصلت
فيها وكانت مشحونة باعمال وحركات عسكرية مشهورة وقعت على كل من الضفتين وانزل عساكره
عدة مرات لنصح ناقض شوكة على رغبة كل من لم يدخل باختياره في طاعته وباشر اسكندر بنفسه
حركات الثلاث فرق الموجودة على البر وكان من جملة الذين قاوموه اشد مقاومة زيادة عن
كافة الامم التي كانت موجودة على طريقه كل من قبيلة المالي او الماليانيين وقبيلة اوكسيدراقيا
او الاوكسيدراقيانيون وكانت هولاء القبايل في ذلك الوقت في حالة استقلال وشرعوا في
استعداد انفسهم لحماية استقلاليتهم وكانت قبيلة الماليانيين قاطنة في كورة الارض الواقعة
بين نهر اسيتيش او نهر اسكني اليوم ونهر هيدروطيس (راقي) وهي القسم الجنوبي من اقليم
بنجاب وكان حصنهم في محل المدينة المعروفة الان بمدينة مولتان

وعول اهل هذه القبيلة على الدخول في جامعة واحدة
الا ان اصابهم افة كانت سببا في ضعفهم
وخيبة امالهم وذلك انهم كانوا اتفقوا في
ابتداء الامر مع قبيلة الاوكسيدراقيين
على الاتحاد في الحرب سوية وكان من شروط
الاتفاق بينهم ان الماليانيين يرسلون عقائلهم
الى الجهات السفلى من ارض اوكسيدراقية و
يقيمون فيها فاركن الماليانيون على حامي
ارض بلادهم من القواعد الدفاعية
الطبيعية وافتكروا انه لا يمكن وصول اي هجوم اليهم
لان ارضهم كانت مفصولة عن النهر بصحرا واسعة عظيمة
خالية المياه ثم ان الاسطول وصل في اليوم الثامن من سفره مجمع نهر
هيداسب مع نهر اسيتيش وعند وصول الاسطول كان ما زال كراطيروس
وهيفاسطيون في حركة سير حاصلا فرقتيهما فلما وصلوا جزم اسكندر بحركة غزوته على
الماليانيين وكان اسكندر في سابق الامر لما قسم عسكره اربع فرق امر بعبور الفيلة
فرقة وامر هيفاسطيون مع فرقته بالمسير امامه مدة خمسة ايام وجعل بطليموس في فرقة
وامره بالبقا في محله لا يتحرك الا من بعد سفر اسكندر بمدة ثلاثة ايام وكان المقصود من ذلك
ان عسكر بطليموس قتل كل من يتقرب من الاعدا الى عسكر هيفاسطيون وعسكر هذا

وقايع اسكندر في ارض الماليانيين والاوكسيدراقيانيين

هذا يتبدد كل من يتقرب من العدو وجعل نقطة الاجتماع ملتقى نهر اسيسيس بنهر هيدروطيس
واما هو فانه سار مع كتيبة من منتخبي خيله وفرسانه ومشاته وسار منها على الايمن لنهر اسيسيس
وعبر الصحرا فوجد في حدها الشرقي نهرا صغيرا يفصلها عن ارض الماليانيين فعسكر على ضفة
هذا النهر وامر عساكره بالراحة ومن قبل قيامه وسيره امر عساكره بان يتزودوا بالما ثم سار المدة
الباقية من النهار وطول الليل ولما لاح الفجر كان هو وعسكره امام مداين الماليانيين فما عسكره
من الاهالي والسكان غفلة لانهم ما كانوا ظنوا انهم تاتيهم غارة من تلك الجهة او يحل بهم هجوم
من نواحي الصحرا وكان غالب الاهالي خارج اسوار المدينة في الاشغال اليومية المعتادة عندهم
ولما قبض على هولاء الناس او ردهم في الحالة التي كانوا عليها من عدم المحافظة على انفسهم احاط
المدينة بخيله وانتظر وصول مشاته وكانوا تابعين له في اثره وفي هذا الاثنا سرح اسكندر برديكاس
من طرفه في راس فرقة الى مدينة اخرى من المداين الماليانية وكان في داخل اسوارها زحام كبير
من الهنود هربوا اليها من اجل الالتجا بها وامره اسكندر بعدم الكد في الهجوم عنوة على المدينة بل يحيطها
ويحافظ على من بها من الهاربين ويمنعهم من الهروب كي لا يكونوا سببا في وقوع فزع او هول في البلاد
حتى يحضر هو بنفسه ومن بعد ان عاين اسكندر مدافعة شديدة من اهل المدينة المحاصرها تغلب على
استحكاماتها عنوة ومن بعدها بقليل تغلب على قلعتها وكانت على تل مرتفع قوية التحصين وكان
بها من المحافظين ما ينوف عن ٢٠٠٠ مقاتل فقتلهم اسكندر جميعا بالسيف واهاج اسكندر حركات
الهجوم على الماليانيين مرة واحدة وكانت الحركة السريعة التي اجراها اسكندر في عبوره صحرا عرضها
خمسة وعشرون ميلا سببا في وقوع فشل وقع في الماليانيين وضعفت حركاتهم وتركت مقاتلتهم
ما يجب عليهم من المحافظة على اوطانهم عندما شاهدوا قرب عدوهم نحوهم وراى برديكاس
ان المدينة التي ارسله اسكندر اليها هرب منها اهلها وتركوها وكذلك كافة المداين تركها اهلها
وقت قرب المقدونيين منها وهربوا خلف نهر هيداسب وفي الاورمانات الكثيفة والاجام الغزيرة
المغمورة بمياه المستنقعات المتولدة من فيضانات مياه النهر ثم انه ما بعد ان صرح اسكندر لعساكره
بالراحة من التعب ساقهم وسار بهم نحو نهر هيدروطيس في طول الليل ووصله في بدايات اليوم
الذي تجمع فيه الجم الغفير من الماليانيين واستعدوا لعبور هذا النهر فهجم عليهم غيلة وقتل الكثير منهم
وعبر النهر ووجد الوفا من الناس هاربين في تلك الجهة فقتل الكثير منهم واسر شيا كثيرا وبالطبع
فانه كل من لم يقبل الدخول في طاعته فتك به وقتله والتجا الكثير من الناس والمقاتلة في مدينة
حصينة الموقع محكمة الوضع في المدافعة ومع ما كانت عليه هذه المدينة من الحصانة والرزانة فما كان
لاهلها طاقة على مقاومة انواع الهجوم الصادرة عليهم من اعداهم وهجم اسكندر عنوة على الموقع
وتغلب على المدينة ومحافظيها عنوة ثم من بعد ساق جيشه على مدينة البراهمانيين وما كان سكان هذه
المدينة جميعهم براهمانيين او كانوا جميعا منسوبين لهذه الطايفة اذ ان محل العقد والمقدار في
بلادها فقيل انهم دافعوا عن مدينتهم مع الهمة والشرف ولما هدمت اسوارها واخذتهم نبال
المقدونيين وحرابهم تقهقروا امامها والتجاوا الى قلعتها وفي بلوغ اول فرقة هجمت عليهم بقلوب قوية
وصدروها وقتلوا منها خمسة وعشرون نفسا ودافعت الهمم مدافعة شديدة عن نفسها حتى ان
اسكندر وكان قايد فرقة الهجوم اول من صعد على سلالم الهجوم وركب فوق السور بمفرده وما
زال واقفا عليه يحارب في اعداه حتى تجلل عساكره من ابطا حركتهم عنه وتسلقوا فوق السور واحد
بعد الاخر واستحوذوا على الاسوار ولما خابت امال الهنود في محافظتهم على قلعتهم اضرموا النار
في مساكنهم وهلكوا في لهيب النيران وقيل انه قتل في اثنا الواقعة نحو من ٥٠٠٠ نفس وما
وقع في ايدي اعداهم سوى القليل منهم ولما استراح عسكر اسكندر من هذه الواقعة سرح فرقة
منهم الى الاورمانات من اجل قتل كل من لم يرض بالدخول في طاعته فحصلت هذه الحركة مع غاية
السرعة وروى ان بيطون احد قواد اسكندر قتل في الاورمانات اكبر ثعبان راه المقدونيون
في الهند قيل ان طوله كان اربعة وعشرون قدما ولو ان هذا الثعبان كان صغير الجرم الا انه
كان مهولا جدا عند الجريك لانهم ما راوا مثله في بلادهم ولا في غيرها فقال لهم الهنود انهم راوا
ثعابين وافاعي اكبر من هذا بكثير وقال المقدونيون من طرف ابيزاريس الذين كانوا وفدوا

على اسكندر انه يوجد عند ابيزاريس ثعبانان طول احدهما ثمانون ذراعاً وطول الاخر مائة
واربعون ذراعاً وسمع المقدونيون ايضا بصفات حيوان غريب يقال له ... وما كانوا راوه بل سمعوا
به ونظروا جلده وحكوا لهم حكايات مفزعة في حجمه وقوته وشدة قفزه وافتراسه والى الآن هذا
الحيوان المهول ذو ميزات مختلفة بين ارجل الجوزرات والسنور الا انه اشد ما كان يظهر في وديان
السند الاعلا والانهار التي تصب فيه حتى ان هذه البلاد كانت في مدة غارة المقدونيين اكثر قوة
وعمرانا وعددا وحضارة زيادة عن ايامنا هذه ثم ان اسكندر ساق قواه وعساكره على مدينة
المالياتيين وعاصمتهم وكان بلغه تجمع مقاتلة المالياتيين فيها من اجل الاحتماء فيها وكذا كل من نزل
المداين الاخرى فلما قرب منها خرجوا منها وعبروا نهر هيدروطيس وعبأوا قواهم على ضفته من
اجل منازعة اسكندر في عبوره النهر فما حصل عند اسكندر ادنى اهتزاز او تردد في الامر بل رمى نفسه سريعاً
في النهر في راس فرقة من خيله ولو ان الضفة التي كان عليها المالياتيين وعرة وكثيرة الاحجار
فان خيله تبعته وساعدها المشاة ولما راى الهنود وصول اسكندر الى منتصف عرض النهر ولوا الادبار
مسرعين وتركوا ضفة النهر وسار اسكندر خلفهم ولما شاهدوه خلفهم في فرقة قليلة من الخيل صفوا
انفسهم لمقابلته واستعدوا للمقاتلة وقيل انهم كانوا في قوة مؤلفة من ٥٠٠٠٠ مقاتل فلما وصل
الى اسكندر عساكره عول الهنود على عدم المحاربة في الميدان وتقهقروا الى مدينة من مدائنهم الحصينة فتبعهم
اسكندر فنام عساكره تحت اسوارها وعول على محاصرتها بهمة منتظمة وكان هذا الوقت اخر
من النهار وكانت عساكره في تعب من كثرة طول المشي وعبور النهر فالتزم على تأجيل حركات الهجوم
الى اليوم القابل حتى ادع عساكره تأخذ تعبها وتستريح نوعاً من تعبها وفي صباح يوم الهجوم قسم
جيشه فرقتان واحدة تحت قيادة برديكاس والاخرى فارزها بنفسه وهجم على اسوار المدينة هجوماً
عنيفاً ولما وجد الهنود ان لا طاقة لهم على مقاومته ولوا الادبار وتقهقروا الى محكمة المدينة وهجم
اسكندر هجوماً شديداً على احد ابواب المدينة وفتحه ومضى مدة طويلة من قبل ان يدخل برديكاس في
المدينة ولما ركب عليها الات الحصار عاين منها ان المدينة خلت من اهلها وتغلب اسكندر وعساكره على
المدينة واما القلعة فانها ما كانت بهذه الصفة فان المحصورين التجأوا اليها وعزموا على المحافظة و
المدافعة فيها الى اخر رمق فيهم فاجتهد المقدونيون بعضهم في نقب الاسوار وبعضهم في التسلق عليها
واجتهدت الفرقة التي كان عهد لها اسكندر بتسلق الاسوار في وضع سلالم التسليق في محل امكنهم
وضع فيه وصمموا على الهجوم عنوة على القلعة من المواضع التي يوضعوا فيها سلالم التسليق في اثناء
وضع السلالم حصل من بعض العساكر بطء في وضع السلم فحصل عند اسكندر حدة وعنف وجسارة شديدة
في العمل وخاطر بنفسه اشد مخاطرة ما خاطرت عليه من يوم رجوعه من نهر هيفاسيس ولا من قبلها وذلك
انه لما راى بطء الحركة من العسكر في وضع السلالم وتسلق الاسوار خطف سلم من يدي واحد من العسكر
ونصبه على السور وسار بنفسه بطاقة وصعد سريعاً الى اعلا راس السور وتبعه ثلاثة من اعز اصحابه
وصاروا بجنبه على اعلا السور ولما شعر اسكندر في سرعة دخوله في القلعة فانذهل العساكر وعزموا
على مقاومته وعدم ولوجه في داخل القلعة وسدوا عليه باب طريقه واما عساكر الطوارف فانهم
اجتهدوا في مساعدة ملكهم وازدحموا على سلالم التسليق فانكسرت بهم وهوت بهم الى الارض فتولد
من ذلك تعطيل في حركة الهجوم ومساعدة الملك وكان اسكندر في محل هذه الدرجة فوق السور مشهوراً
بلماعة درعه واوقفا كانت علامة لوجيش للهنود بحيث كان معروفاً عند كل واحد منهم وهو فوق
السور غير انه ما كان في واحد من الهنود طاقة على التقرب منه فلما راى اسكندر شدة ما هو فيه
من الخطر والهلكة اعوته شجاعته وفروسيته على ان قذف بنفسه من فوق السور في داخل القلعة
اما ان يبطش باعداءه واما ان يموت موتة مجد وشرف محارباً في وسط اعداءه ولما صار في داخل
القلعة اسند ظهره الى السور وقتل بسيفه بعض من الهاجمين عليه ومن جملتهم قايد الهنود ولازم
القتل فيهم حتى اوقع في قلوبهم الرعب وصار لا جسارة ولا جراءة لاحد منهم في التقرب اليه الا انهم
اجتهدوا من بعيد في ان يرموه بالسهام والنبال وبعض الالات حربية اخرى من الالات التي كانت
موجودة في ذلك الوقت في ايديهم ورمي الحجارة الذين كانوا معه على السور من قبل تسلم
انفسهم عليه في داخل القلعة من فوق السور وحاربوا محاربة الشجعان والفرسان في خلاص ملكهم
وكان منهم واحد اسمه ابرياس اصابه سهم فقتله واصاب اسكندر سهم اخر فخرق درعه ووصل الى
صدره فنفذ فيه وجرحه جرحا بليغا وقال بطليموس انه من كثرة سيلان الدم من الجرح الذي
اصاب اسكندر كادت تنقضي حياته ولو انه كان يدافع عن نفسه مع الشدة الا انه حصلت له في

مخاطرة اسكندر وجرحه واشرافه على الهلاك

راسه دوخة كبيرة وقشعريرة او برودة في اعضاءه وارتكن على طارقته وحارب الاثنان الباقيان
معه على قيد الحياة محاربة شديدة من اجل المحافظة عليه الى ان جرحا جراحات بليغة واشتد الهياج
والارتباك خارج السور بسبب الخطر الشديد الذي وقع فيه الملك في ايدي اعداءه وتكسرت السلالم
المعدة لتسليق الاسوار فغرزوا خوازيق من الحديد في حائط السور وصعدوا عليها وركب العساكر
بعضهم فوق بعض حتى تسلقوا الاسوار واسرعوا الى باب القلعة وفتحوه وخلصوا ملكهم من اكبر
الاهوال والافات التي وقع فيها وكانت الواقعة مهولة والمعمعة شديدة والكروب كبيرة على
شجعان المالياتيين وذبح المقدونيون كل ما وقع في ايديهم من رجال ونساء واطفال ونزعت
الرحمة من قلوبهم وحملوا اسكندر على طارقة وانقطعت الامال من حياته وفي هذا الوقت
وصلت الاخبار الى المعسكر الذي قام منه لغزوته بموته فعم النحيب والبكاء في المعسكر وانقطع
الياس والامل في الجيش وعم الفزع والحزن على ملك كانوا في اكبر افتخار معه وخضوع له وانتشرت
الاحزان وقال الناس واسفاه من يخلفه في قيادة الجيش من بعده ومن هو الذي يكون اريب
ويقود مثل هذا الجيش ومن هو الذي فيه الكفاءة في حركة سير العساكر من بعد فقد هذا الملك
الشهم الفايد وان الامم العدوية البائس في الحروب ربما يحاربون على اخر رمق فيهم من اجل المحافظة
على استقلال انفسهم واخرون يرغبون ابتغاء انفسهم من الشهادة في رميهم النافي الاجنبي
ويجعلون موت اسكندر سببا في خلاصهم من المخاوف والاهوال وغير هذا فان المقدونيين كانوا
بحالة للمصاعب والمشاق والمواقع المهولة التي قابلوها في قطعهم وعبورهم اراضي شاسعة
مختلفة الهيئة مقطوعة بانهار كبيرة وصغيرة مثل الانهار الكبيرة التي قابلوها في طريق حركاتهم
حتى وصلوا الى هذه الجهة القاصية فكانت مثل هذه الملحوظات سببا في حصول افكار عميقة
وحصول ازهان كبيرة تسلطت في عقول كافة رجال اصناف الجيش وجميعهم قطعوا الرجا
والامل من انفسهم ومن الواقع ونفس الامر فانه تحل بهم الاخطار وتنقطع منهم الامال في حالة ما
اذا فقد منهم رئيسهم وعلى الخصوص فانه مليكهم ولما وصلت الاخبار الحقيقية الى المعسكر بوجود
ملكهم على قيد الحياة ما صدق الموجودين في المعسكر بها ولا بالمكاتيب التي وردت الى المعسكر
وقالوا ان هذه الاخبار غير حقيقية ووقع في المعسكر الريب والشبهة في ان هذه الاخبار
ربما يكون الذي اشاعها فرقة حفظ الملك بالكذب من اجل سكونه وهدو الواقع من النحيب والزعل
والحزن والاسف وخوفا من ان هذه الحالة ربما يتولد منها نتائج قبيحة تؤول عاقبتها الى
هياج وثورة وفتنة ثم ان اسكندر عندما استشعر في نفسه بانه في عافية وصحة يمكنه فيها نقله
وتحريكه امر بانهم ينقلوه الى ضفة نهر هيدروطيس ويضعوه في سفينة ويوصلوه الى المعسكر
ففعلوا ولما قرب من المعسكر امر برفع العلم الملوكي على مقدم السفينة حتى يراه كافة الموجودين في
المعسكر ومع هذا فان هذه الحركة ما كانت سببا في زوال ما عم من عدم التصديق بحياة الملك
حتى مر امام اعينهم ومد ذراعه الايمن وسلم على اتباعه الصارفين في حدقته وصدق الناس
بوجوده على قيد الحياة وصاحوا وصفقوا وهللوا وازدحموا عند حضوره وفرحوا بوجوده
ورفعوا ايديهم الى السماء بالحمد والشكر والثناء على وجوده وصحة عافيته وبعضهم سالت عبرات
دموعهم على خدودهم من فرط انتقالهم من حالة الكدر والغم الى حالة الفرح والسرور مرة واحدة
ثم ان اسكندر ما رضي بما كانت رغبة حواشيه من طلبهم نقله في محفة الى خيمته ومركز رايته
بمعسكره بل طلب حصانه وجيء له به وركبه وسار بين صفوف عساكر جيشه وقوبل عند مروره
بتصفيق وتهليل وافراح وكانت لاصوات الافراح والتصفيق صدى كبير ودوي على جنبتي النهر
ردته الاودية والغابات والاكام المجاورة ولما قرب من خيمته نزل من فوق ظهر حصانه وسار على قدميه
ليراه جيشه بما هو فيه من الصحة والعافية والسلامة ثم ان المالياتيين والاوكسيدراقيانيين
ارسلوا رسلا الى اسكندر يعتذرون له عما عملوه ويطيعوا اقليم في حكومة قبايلهم فعفى عن المالياتيين
بسبب ما حصل منهم من شدة المقاومة وكذا عن الاوكسيدراقيانيين بسبب تأخيرهم في التسليم ودخولهم
تحت طاعته وعرضوا له انهم يكونوا له ردءاً ولا يحرمهم من توجيه التفاته لكونهم فان مثلهم مثل
الامم الحرة الاخرى ولهم رغبة تامة في القيام بعيشتهم على حسب قوانينهم وعوايدهم المتنقيين بـ

في الحرية واستتباب الراحة والامن منذ عهد باخوس فاتح الهند الى وقتهم هذا وذكروا له باخوس
بسبب انهم كانوا على دراية من انه من نسل او ذرية باخوس وقالوا له ان احب فانهم يقبلوا
من طرفه تعيين حاكما او مرزبانا عليهم ينتخبه لهم بنفسه ويدفعوا له ما يقدره عليهم من الخراج
سنويا ويسلموا له رهنا من انفسهم حسب ما يطلبه فما تردد اسكندر فيما عرضه عليه الماليون
بسبب ما حل بهم من كثرة الدمار والخراب التي حصلت عندهم حتى خضعوا له عنوة واما الاوكسيدر
اجيابيون فان اسكندر طلب منهم الف رهينة من اجود اشراف اهلهم وقال لهم انهم يقيموا في
معسكره او يكونوا من ضمن عسكره حتى يتم ما بقي من فتوح الهند فارسلوا له الرهاين ومعهم
خمسماية عربة حربية مع سايقيها وعين شخصا اسمه فيليب حاكما على هاتين الامتين ولما وصلت
اليه الهدايا المفتخرة من الاوكسيدراجيابيين اخلى سبيل رهاينهم وابقى عنده عربات الحرب وفي اثناء
المدة التي كان مشغولا فيها هذا الاحتفال اجرأت حروب وتحت اوامر الاطباء الملازمين له في علاج
جرحه كان الجيش مشتغلا بانشا سفن وقوارب زيادة على ما كان موجودا من قبل بالغربيين
محل اجتماع نهري هيدروطيس (راقي) واسيسيس (شناب) ولما حصل لاسكندر الشفا التام
شرع في السفر ونزل باسطوله منحدرا في النهر على المهل حتى يكون له طاقة على اجرا الاعمال اللازمة
لخضوع الامم القاطنة على كل من ضفتي النهر ولما وصل الى نقطة اجتماع نهر اسيسينس مع
نهر السند في الطرف الجنوبي من بنجاب امر الحاكم فيليبس بتشييد مدينة جديدة بمراسي ومرافي
معانيها ويقيم بها محلات صناعة لانشا السفن وتعميرها وقصد بذلك نشر التجارة في تلك الجهة
وألحق به في هذا المحل بورديكاس وكان في راس قوة من العساكر البرية مشتغلا بخضوع الاباسطانيين
وهم قبيلة من الهنود كانت مستقلة بنفسها ووفد عليه رسل الاوسادريين بطاعة قبايلهم
وجمع لاسطوله اشيا كثيرة كانت لازمة له من شواطي نهر اسيسينس فاما المدينة التي
انشاها في هذا المحل من اجل المواظبة على التجارة الهندية فانه ما بقي الان من اثارها شي
وفي مدة اقامة اسكندر في هذه الجهة زاره صهره اوكسيارطيس ابو زوجته وبلغه اخبار
ثورة بين سكان الجريق في باكطريا (خوراسان) وسوء سلوك وتدبير طرياسبيس مرزبان
او حاكم باروباميسيدي فعزل اسكندر الحاكم طرياسبيس من وظيفته وعهد الحكومة الى
اوكسيارطيس ولما راى اسكندر انه ليس في حاجة من كثرة وجود العساكر البرية في الاسطول
ترك عند فيليب فرقة كبيرة منها فيهم كافة التراثيين (المقدونيون) وانزل قوة كبيرة
من الفيلة على الساحل الايسر لنهر السند وامر بتسيير هذه القوة مع الفيلة على البر الى دلطة
السند من اجل توقيع الرعب والخوف في قلوب الامم النخبة او السفلى من نهر السند حتى لا يحصل
منهم ادنى تعطيل في حركة تقدم السفر وسار اسكندر من موقعه هذا حتى وصل الى صومغدى
ومعنى صومغدى بلغة البلاد وادي فجعل اسكندر هذا الوادي مستعمرة جريقية اطلق عليها
اسم اسكندرية وزينها بدار صناعة للمراكب وما يلزم لها من الاشغال اللازمة لحالة التجارة
واصلح ما كان تخرب من اسطوله فيها ثم سار حتى وصل الى اراضي ملك اسمه موزيقانوس فقيل
ان هذه المملكة كانت اغنى اموالا وثروة ومحصولا من كافة ممالك الامم التي دخلها المقدونيون
في اراضيها واستغرب اسكندر جدا ما راه فيها وقال بعض المورخين ان اثار عاصمة هذا الملك
كانت موجودة تحت اطلال مدينة الور على مسافة اربعة اميال من بوكور وكانت عاصمة
هذه المملكة الهندية تحت احكام واحد من البراهمايتين فتلها المسلمون في القرن الرابع من التاريخ
المسيحي وكانت هذه الارض الغنية ذات السهول الخصبة العظيمة الري والسقية محصورة بين
المجرى الاسفل لنهر ارال او نهر الابيض القديم ونهر السند ومن المحتمل ان تسمية موزيقا
نوس واوكسيقانوس ملوك تلك الجهات تدل على معنى خان لان هذه اللفظة موجودة
لحد الان في السند الاسفل مثل شوق خان وخان بور وجور خان وهلم جرى واسما
رؤسا اخرين مختلفة وهي المسمى عند الانكليز الان باسم راجاموش بدل موزيقانوس
وراجا اوش بدل اوكسيقانوس فاما موزيقانوس فان اسكندر سمح ببقائه في مملكته
على شرط ان تبنى قلعة حصينة مشرفة على المدينة تكون تحت حفارة كراطيروس وتحمي بحافظين
من المقدونيين فرضي موزيقانوس بهذا الراي وانتخب موقع القلعة فوق نشز مرتفع يشرف

على المدينة وحصونها ومن بعدها خضعت اراضي اوكسيقانوس وبلاده وهذا الملك
اما قتل او اسر وفي مدة هذه الغزوة قام البراهمانيون وكانت مصيبتهم كبيرة على قطع حرم
اوكسيقانوس وحضوا موزيقانوس على الاجتهاد في محبة وطنه وطرده هولاء الطاغين المجرمين
وقالوا له انهم اعتدوا وهتكوا حرمة الاراضي المقدسة بوضع اقدامهم النجسة فوق تربتها فشرع
اسكندر بيطون احد قواده في راس قوة كافية نحو موزيقانوس فاوقع به وهزمه شر هزيمة
وصلبه مع قسسه وكانت واقعة مشهورة وانذارا عاما لكافة الممالك المجاورة التي كان في
نفسها القيام والاستقلال وفي هذا الوقت كان اسكندر على تمام غزواته في الهند وعلى مسافة
قريبة من القسم الاعلى للدلطا السندية ويتفرع نهر السند في راس هذه الدلطا الى فرعين غير
متساويي المقدار فاطلق الجريق على الارض المحصورة بين فرعي السند اسم بطالة او بتالين
مشتق من اسم عاصمتها بتالا الواقعة في نقطة تحت النقطة التي يتفرع منها نهر السند بقليل
ومحلها الان على وجه الظن الحقيقي مدينة حيدراباد السند فاصدر اسكندر امره الى هيفاسطيون
بتحصين هذه الجهة تحصينا قويا وكان اهلها تركوه وهربوا منه عند قرب اسكندر منها فحضهم
على العود وتشييد قلعة وانشائه مرساة او مرفاة بسعة كافية لاسطول كبيرا وحفرت الابار
واقيمت المباني اللازمة للعساكر ومن اراد النزول من اهل قريب وقيل ان اسكندر كان اضمر في نفسه
عزم تشييد تجارة وربط جامعة تحولتها بعد من اسكندرية بمصر الى الاوقيانوس الهندي وكان
مستوح هذا الراي للوافق من بعد وصوله الى بتالا وقال عند مروره وهو منحدر في نهر السند يظهر
لي من البديهي ان هذا النهر هو الحد الشرقي لمملكتنا وكان ابتنى ثلاث مدن واسس اثنتان اخريان
في طول مجراه واستقر في هذا الوقت لانشا مدينة بتالا في النقطة المتفرع منها النهر وصمم
على انشاء جهات ومحطات اخرى في نواحي مصبانه الشرقية والغربية وما كان لاسكندر راي في
مثل هذه الانشاءات الا تسهيل طرق المواصلات بين مدينة بتالا والجهات الشرقية من الهند وتحالفها
للقوافل الواردة من الاراضي على نهر الكنج ومن الدكن اي الهند الجنوبية وبمجردما اخذت مدينة
بتالا في التقدم في الاشتغال شرع اسكندر في تجهيزاته واستعداداته لعوده الى بلاده ولما راى
انه لا حاجة لكثرة القوى البرية معه بسبب انه احاط خبرا بانه لا يوجد امامه من يعطل حركة تقدم
سيره نحو فم نهر السند اصدره الى كراطيروس بالسفر مع ثلاث فرق من المشاة الثقيلة وبعض العساكر
الخفيفة والفيلة والضعفا والسقطا من المقدونيين نحو العرب ما وسط اراضي اراخوسية و
زرنجيانه الى كرمانيا نحو بابل ويحتمل ان طريق كراطيروس كانت من الدرب المعروف عند الافغانيين
بدرب بولان وركب هو في اواخر سنة ٣٢٥ قبل الميلاد مع عمارة من سفنه الكبيرة وانحدر في الفرع
الايمن من نهر السند وسار القايد لوناطوس في راس ٨٠٠٠ من المشاة و ١٠٠٠ من الخيل من طريق
البر في طول هذا الفرع من ضفة الدلطا ومن بعد ان لاقى اسكندر مشاق وصعوبات تولدت من
حصول زوابع وزعازع شديدة معاكسة لسرعة تيار النهر وصل على مرآى من رؤيته اول مرة الاوقيانوس
الهندي فلما راى وعاين حصول المد والجزر الشديدين في البحر الهندي فزع وفرق واستغرب من ذلك
هو ومن كان معه لانهم ما كانوا يعرفون الاحالة للمياه الراكدة الموجودة في البحور الداخلة او ما
يقع في السواحل الجنوبية والشرقية من اوروبا وعبر اسكندر فم نهر السند ودخل في البحر الملح الهندي
على امل انه ربما يجد ارضا واقعة في الجهة الجنوبية ثم عاد الى مدينة بتالا ليرى ما عليه الاشغال
من حركة التقدم فوجد استحكامات القلعة تم شغلها ووصل بيطون بنفار كافية تخص بها اجراه
من اشغاله وكان ما زال شغل المينا لم يتم فجعل اسكندر المدة التي يتم فيها شغل المينا لمعاينة الفرع
الايسر من النهر فوجده ممتدا الى داخل خليج عريض فامر بان تنشا عليه محطة بحرية ومرفاة سفن
امينة واسعة وامر بانشا المباني والمخازن ودار صناعة السفن وشحن المخازن بالذخاير والمون لمدة
اربع شهور ورتب في هذه الجهة ما يكفيها من المحافظين وظن اسكندر من الملاحظات التي اجراها على
الاوقيانوس الهندي وعدم وجود حدود له في مدة سفره فيه ثلاثة ايام انه لا يوجد ارض بين
مصب نهر السند والخليج الفارسي في البحر الهندي واراد ان يحقق ظنه هذا بالفعل عملا وربما انه يتولد له
من ذلك فتح طريق جديد من اجل تسهيل طرق المواصلات والمعاملات بين اقسام مملكته الواقعة في
الجهات الشرقية والغربية من اجل المشروعات التجارية والاعمال الحربية وربط وسايط العلاقات

في اطراف واكناف هذه المملكة الواسعة وعهد هذا الكشف الى نيرخوس قايد اسطوله بما رأى فيه
من جليل خدماته ووثاقته باعماله وقدم نيرخوس خدمته في هذه الى مورية لمليكه وفي غلوقيشم
او غلطوس من سنة ٣٢٥ قبل الميلاد تمت استعدادات سفر العساكر البرية والعمارة البحرية وفي
اثناء الثاني ابتدأ اسكندر في سفره متوجها نحو الغرب من وسط اراضي اريبطيا واوريطيا في
الغربية بين نهر السند وبلوجستان الان ثم عبر من صحاري غيدروسيه (بلوجستان) وكانت
مدينة بوره عاصمة غيدروسية على مسافة ستون يوما من حدود اوريطيا وفي الغزوات لاقى شدائد
ومصاعب شديدة في سفرته هذه وصل الى كرمانيه ثم منها الى بابل وما كان متغولا في اعماله وما حصل
له من الانقلاب الا بالهند والله اعلم وكانت نتيجة المدة التي مقدارها سنتان التي اقامها اسكندر
في حروب بنجاب والسند انه ما استحوذ على اقليم فيها بل ربط محالفات واسس مداين ووضع محافظين
من الجريك ووزع الاراضي على رؤساء وقواد كانوا خاضعين لاوامره وكل جهة من تلك الجهات
لتفرع العوائد والطبائع الجريكية وان العساكر التي تركها خلفه في كثير من النقط والجهات من ابتداء
حدود الافغانستان في الجهة الغربية الى نهر بياس في الجهة الشرقية والى مصبات السند في
الجهة الجنوبية كانوا منتظرين عوده اليهم وحضور قسم كبير من عساكره في بكطريا (بلخ) وفي المدة
القليلة التي قضاها في دخوله البلاد الهندية وخروجه منها بسرعة ما وجد لنفسه زمنا كافيا في
تقرير او تثبيت ممالكه التي فتحها جديدا وولو اننا ذكرنا انه اتخذ الاحتياطات اللازمة على قدر
امكانه في دوام المحافظة عليها وتنفيذ سلطته واوامره فيها فانه الشقاق وعدم الوفاق تسلط
فيما بين خلفاه واستتب عدم الامن وعدم الراحة وانفصمت عرى الروابط بينهم وولو ان
الهند اقصى اقليم واخر في الجهة الشرقية فانها كانت اكثر زعزعة وزوبعة وتاثيرا في الهياج من غيرها
لان المحافظين الذين تركهم اسكندر من جيشه وراءه كانوا في شدة الاشتياق والتلهف لعودهم الى
وطنهم حتى ولو كانوا رغبوا البقاء من انفسهم فما كانت توجد معاضدات يرتاحون بها لاجل
الملوك الذين خضعوا للنافذ الغربي كانوا اول واشجع واقوى ابناء جنسهم في مقاومة المغتصبين
وكانت طاعتهم لاوامره ضرورية لا اختيارية ولما علم لهم موت اسكندر في سنة ٣٢٣ قبل الميلاد
كانوا اول من اقام بيرق العصيان وصار الجريك من بعد مضي سنتين عساكر بالاجرة عندهم كما هو
مذكور في التواريخ الهندية وفي تقسيم المملكة الذي وقع مباشرة من بعد موت اسكندر كانت الاقاليم
الهندية وما جاورها من الاقاليم الاخرى ليست مرغوبة بانها مكافآت او صلات لمن اعطيت لهم
ولو ان اموالها وثرواتها ومحصولاتها تجعلها كثيرة الرغبة لآخذيها وكانت هذه المراعاة بسبب
ما كانت عليه مما يعرف فيها من مقر الحكومة او السلطنة وعدم اطمئنان الحكام فيها وعدم الطاقة
في العزل والتولية وما كان عليه الملوك الوطنيين من العفوة والباس وعلو السلطان وطاعتهم
الاسمية فقط لخلفاء اسكندر وكان بوروس وطاكسيليس ملكان في الهند واوكسيارطيس في
باروباميسيدية وكانت الاقاليم الجنوبية من نهر السند معهودة الى بيطون في حكومتها وادارتها
وبابل الى ارخون وميزوبوتاميه (العراق) الى ارخيلوس واما في الغرب فكان بطليموس
في مصر والعرب وليديا ونيرخوس في بمفيليا وليشيا ولوناطوس في فرنجيا هلسبونطس
وعومينيس في بفلاغونيا وقبدوشيا وفي اوروبا كانت مقدونية والجريس مع الممالك
العربية المحصورة على سواحل البحر الادرياطيقي مقسومة بين انطباطير وكراطيروس والذي
وجد من عموم قواد اسكندر مقترنا باسم في التاريخ الهندي من بعد موت اسكندر كان سيليقوس
وما وجد له اسم بين الذين كان لهم نصيب في المملكة في مدة القسمة فيحتمل ان اسباب ذلك انه
كان من اصدقاء برديكاس وكان برديكاس في ارقى درجة في المملكة وسيليقوس من المتقنين اليه
والمقربين لديه وولو انه ما كان له نصيب في عهد اي حكومة اليه الا ان برديكاس عهد عليه
وظيفة الوزارة الكبرى لعموم المملكة وكانت ارقى واجل وظيفة وكان اسكندر عهدها الى اكبر
اخلائه واصدقائه حفاسطيون وقيل انه في اثناء الاختلافات التي حصلت بين القواد كان
سيليقوس في بابل متقلدا احكامها فتنازل عنها ثم اعادها لنفسه مرة اخرى واخضع لسلطته
واحكامه عموم الاقاليم الموجودة فيما وراء الفرات وكانت هذه الاعمال سببا في اشتباكه في المحاربة
مع شندره جوبطه ملك مجدها ولنقف هنا برهة من الزمن حتى نقص عليك تاريخ مملكة
مجدها وملوكها الى ان نصل الى شندره جوبطه ومملكة مجدها هذه هي الان قسم من ايالة بهار الواقعة
على نهر الكنج واستمرت فيها ذرية شندره جوبطه بدون انقطاع في الحكم فيها من ابتداء حرب مها

تاريخ مملكة مجدها

بهارطه الى حد القرن الخامس من التاريخ المسيحي وكانت سلطنة هذه المملكة في
غاية من الثبات والتوطيد وفي وقت غلاق الحرب الكبير المعروف عند الهنود بحرب مهابهارطه
كان الملك المتسلط في مجدها اسمه سهاديوه وكانت سلسلته اكبر ملوك الهند واباطرتها من
عهد الفين سنة مضت وكانت مملكتهم مقر العلم والتعليم ومركز دايرة الحضارة والتمدن والتجارة وولو
ان مجدها الاصلية كانت قاصرة على جنوب بهار الان فانها كانت مشتملة في القديم على الاقاليم الممتدة الى
جهة الشرق من نهر الكنج وكان اول ملوكها على ما قيل يارسندها او سندها الجوز وما زالت
وتذكارات هذا الملك باقية على قيد الحياة الى الان يتحدث بها اهل البلاد ومروية من كبير الى صغير
ويشير الى قبره الزوار وقبره في الجهة الشرقية من جايا في بهار الجنوبية في الجبال المنخفضة المسماة
راجاجيري اي الجبال الملوكية وكان الملك الثالث والثلاثون في وراثة الملك من ابتداء سهاديوه
اسمه ابيوطه سانزوه اخو سودره وفي مدة سلطنة هذا الملك اشتهر سكيا او جوتما موسس
الديانة البوذهيستية فذكروا ان جوتما بوذها دخل في مشروع تاسيس عقايد ديانته في سنة
٥٨٨ قبل الميلاد في السنة الخامسة عشرة من سلطنة الملك بنبيسارو مجدها وهذا كان اسم على
ايضا الى ابيوطه سانزوه ومات بوذها في سنة ٥٤٣ قبل الميلاد كما اتفق على تاريخ موته
عموم الكتاب من البرهماويين والسيلونيين والسياميين وغيرهم من كتاب البوذهيست واتفقوا
جميعا ان الملك الذي كان متسلطا في مجدها هو ابيوطه سانزوه وذكر في وشنو بران اي الكتاب
المسمى وشنو القديم ان هذه العايلة تسلطنت الف سنة من بعد سهاديوه وكان عدد ملوكها
وعشرون ملكا وكان اخر ملوكها ريبونجايا قتله وزيره سونيكا واجلس ابن نفسه
على التخت وكان يدعو بروديوطه وتنقل منصب السلطنة الى عايلته وكانت هذه العايلة عبارة
عن خمسة عشرة ملكا وذكر في وشنو بران انها حكمت مدة اربعماية سنة وخالف كتاب البوذهيست
هذه المدة وقالوا انها كانت نحوا من ستماية سنة وكان اخر ملوك هذه العايلة مها نندة وكان
له ولد اسمه نندة ولقبه فلا بوتما اي الشيخ الكبير وكانت ام نندة هذا من طايفة السودره
اي ارذل ومن ثم كان نندة المذكور ملقبا ايضا باسم سودره وولو انه كان شقيا بخيلا
الا ان اسمه اشتهر في زمنه وتسلط بالعدل والانصاف والرفق واللين وكان مشهورا في اعماله
وبطلا في حروبه مع فتوحاته واخضع كافة ملوك الارض وطرد جنس الاكشطريا اي الفرسان
من ما فعل بترسمه وذكر في البران انه جلب سيرا لارض تحت مظلته وكان له زوجتان احديهن
رشنوطي واخرى اسمها موره فولد له من رشنوطي ثمانية اولاد يدعى بكبرهم سوماليا
وولد له من موره شندره جوبطه وعدة اخوات اخرين وكانوا يعرفوا بالموريايين على اسم
امهم واما الاولاد الاخرين فكانوا يعرفوا بالسوماليايين على اسم اقليم البكري وكانت مجدها
في ذلك الوقت في مدة سلطنة نندة تعرف باسم براشي ومعناها بالسنسكريتي
لسان لغة البلاد الشرق وكانت مشتملة على كافة الاراضي من ابتداء مدينة الله اباد
الواقعة الان في ملتقى نهر الكنج مع نهر جومنة الى اقصى الحدود الشرقية من البلاد الهندية
وكان داخلا فيها الاقليم الخصب المعروف الان باقليم بنغاله وبلسان السنسكريت جنكاراديش
وفيها الجريك وقالوا جنجاريديه وكانت مدينة باليبوتره التي ذكرها كتاب الجريك
ميغاسطينيس اقام فيها مدة طويلة عاصمة المملكة وكانت في المحل القايم عليه الان وقالوا
ومعنى بالي بوتره محل سكن اولاد بالي وكان تغلب عليها الفارس بالي رامه اخو كريشنه
وكانت هذه هي حدود ممالك نندة الا انه لا ريب ان شندره جوبطه زاد في امتدادها و
سعتها ولا بد وان يكون مدها نحو الجهة الغربية حتى صارت قريبة من نهر السند لان
حدود وجزء الجيش الذي جمعه شندره جوبطه احرم المظفر سيليقوس من دخوله البلاد الهندية
حتى اي نقطة من نقط ضفة نهر السند عندما اراد عبور النهر عازما على فتح بنجاب مرة اخرى
واما في الجهة الشمالية فمن المحتمل انها كانت ممتدة الى السلسلة الكبيرة التي تفصل الهندوستان من
اراضي التاتار ومن ثم يلزم انه كان حاكما ومتسلطا على كافة الهندوستان العالية وذكر في
وشنو بران ان التاوديين تسلطنوا مدة مقدارها ماية سنة ولما انقرضوا اخلفتهم الموريايون
كوطيليا اجلس شندره جوبطه على التخت وكان له اجل واشهر ملك التاريخ اسمي في قايمه

ملوك مجدها وقيل ان شندره جوبطه كان معاصرا لاسكندر الاكبر وللمنصور سيليفوس الذي
كان مبدا ملكه وسلطانه في سنة ٣١٠ قبل الميلاد وعقد معه معاهدة في سنة ٣٠٥ قبل الميلاد
وكان لجلوس شندره جوبطه على تخت مملكة مجدها امر عجيب وقصته انه ذكر في وشنو بران
انه سيولد للملك ننده تسعة اولاد يقتلهم جميعا كوطيليا وزيره ويجلس شندره جوبطه على
التخت وذكر في بانجوط انه يولد من رحم سوذري ننده ويولد له اول ولد بكري اسمه سوماليا
ويكون له ثمانية اولاد غيره فيقتلهم جماعة من البراهميين هم كوطيليا وواطسيين وشنسيا
ومن بعدهم تسلطن الموريابيين في كالي يوغه وانه هولاء البراهميون يصنعون شندره
جوبطه على التخت وذكر في برهطكوطه ان تاثير هذه الثورة يتم ووقوعه في مدة سبعة ايام
ويقتلون التسعة ابناء اولاد ننده وكان شنسيا يلقب وشنو جوبطه وذكر في موذره
راكشاسا ان ننده ملك براشي كان ابن مها ننده من جارية من عشيرة الرقيق فمن ثم
اطلق عليه اسم سوذره وكان ملكا طيبا عادلا منصفا بحزم البراهميين وكان شجاعا
غيرانه كان محترما ومعززا عند رعاياه وكان في الاصل ملك مجدها المعروفة الان بهار
الجنوبية وكانت في حوزة اجداده من عهد ايام كريشنه وبقوة جيشه اخضع كافة ملوك
الارض ودعا كائنه باقيا من جنس الكشتريا بيني اي الفرسان كل حقل براسو راما وكان
له زوجتان رتنوطي وموره فولدت له رتنوطي تسعة اولاد لقبوا بالسوماليابيين
من اسم اخيهم البكري وكان اسمه سوماليا وولدت له موره شندره جوبطه وعدة اخرين
وعرفوا بالموريابيين على اسم امهم ولما طعن ننده في السن اصابه مرض شديد على حين
غفلة وظهرت عليه حالة الموت ثم شفي ونجى من عياه وفرح به رعاياه الا ان حواسه حصل
فيها تغيير كبير وصار لا ينتظم ولا يشتغل بادارة السلطنة كما كان اولا فقال بعض الناس
ان ما حصل للملك من تاثير سم اذهب حواسه واخمد قريحته حتى ما صار فيه قوة ابدا على
قتل الذين دبروا له هذا السم وروى الهندو ان منطرى راكشاسا وزيره الاول بمجرد
موت مليكه ادخل بعض السحرة في جثة الملك الميت واحياها وجعل يشتغل امام الوزير
اشغال الملك خامر في السر باجراء الفحص على نفس جسم الساحر لانه على حسب عقائدهم
ان هذه الحالة لا تكون منظورة لاحد وربما فتش ما رامش روح الساحر موجودة في جسم
خامر واحد من السحرة من اعز اصدقائه بمراقبة هذه الحركة حتى يتم تاثير هذه التعويذة
فراى هذا الساحر ان اثنان يحفران جثة على شواطي نهر الكنج فامر بالقبض عليهما ورميهما في
النهر وامر في الحال بحرق الجثة واتضح بعد ان هذه فعلة فعلها شندره داش ملك اقليم
صغير في الجهة الغربية من الهند وراء جبال وندهيا عاصمته ويكال بلي وذلك ان
هذا الملك لما التزم على نجاة نفسه من الجريق وكانوا استحوذوا على مملكة تزى بزي
رجل نادم وصبر نفسه سنويرها ولما قتل منطرى راكشاسا الساحر على ما وقع منه من السحر
ترك المملكة وهذه الرواية مخشوطة ومتمكنة في صدور الهندو ثم انه لما نفى ننده من مرض
صار جبارا طاغيا وظالما عنيفا وعهد الوزارة الى سكطره وجعله وزيره الاول وسلم
اليه مقاليد الاحكام فحكم سكطره بالحكم الاستبدادي ثم انه في يوم من الايام كان هذا
الملك العجوز في الصيد مع وزيره في الجبال الواقعة في الجهة الجنوبية عن العاصمة فاصابه
عطش وظما شديد فترك خدمه وحواشيه وتوجه مع سكطره الى حوض ما ظريف تحت
شجرة كثيرة الظل بالقرب من كهف في الجبال يعرف بكهف بنكلكنديره او الدرب الموصل
اقاليم جهنم فرمى سكطره الرجل العجوز في الحوض ورمى عليه حجرا ثقيلا من بعد ما خرجت روحه
وفي الغروب عاد سكطره الى المدينة ومعه حصان الملك وقال ان سيده ترك خدمه و
حشمه وركب حصانه وتوجه الى الاجام وما علم له خبر ولا اثر لكنه وجد حصانه يرعى
في الحشيش تحت شجرة بالقرب من الوادي جانات ثم انه من بعد مضى بضع ايام اخفى سكطره
مع وكرتره واحد من وزراء المملكة اوجرادنوه واحد من اولاد الملك ننده على الجثة
ثم ان هذا الملك اب لما يقتنع بحكاية سكطره واقواله في حق فقد ابيه شرع في الفحص
والسوال سرا في مدة غياب الوزير فلما ظهر له طريقة يستدل منها على اسباب فقد ابوه جمع

تاريخ الهند
البحر الزاخر
محمود خلاص

جمع كبار مملكته واحرا ديوانه وهددهم وتوعدهم بالموت ان لم ياتوه باخبار ما وقع
من فقد ابيه في ظرف ثلاثة ايام فكان لهذا التهديد نجاح عظيم وفي اليوم الرابع اقر له
بالخبر ان سكطره الوزير قتل الملك العجوز وجثته مخفية تحت حجر في الحوض القريب من
بنكلكنديره فارسل اوجرادنوه في الحال ناس ومعهم جمال وعادوا في الحال مع جثة
الملك والحجر الذي كانت مغطاة به واعترف سكطره بقتل الملك وصدر عليه الحكم بالسجن
مع عائلته في خاء ضيقة وسدوا عليه بابها وفتحوا فيه كوة صغيرة يعطوه منها ما قل من الزاد
وفي ظرف مدة قليلة مات سكطره وعائلته ما عدا ابن صغير له يدعى ويكطره امر الملك
بالافراج عنه وارسله في خدمته فكان ويكطره منتظرا على الدوام سنوح الفرصة في الاخذ
بثار ابيه ثم ان الملك امره بان يدعو له واحد من البراهمة من اجل عمرته في الدارة
فتوجه فجلب له واحدا من اشر القسس قبيح الطبع والسلوك مؤملا في ذلك ان الملك يغضب
من قبيح حالاته وخصاله وسوء سلوكه فيغضب عليه وبذا يكون عرضة لسخط البراهمة وحنقهم
عليه ويشرعون في لعنه وسبه فنجح في امره هذا كمرغوبه وذلك ان الملك لما غضب من سوء اخلاق
البرهمي امر بطرده من حضرته وتوجه لحال سبيله فلعنه القسيس لعنا شديدا وحلف في هذا الوقت
انه لا يربط شعر راسه حتى يشفي في دماره وفقد حياته وخرج القسيس حنقا غضبانا من سراية
الملك ونادى باعلى صوته من كان له رغبة في ان يكون ملكا فليتبعني فقام شندره جوبطه
في الحال مع ثمانية من اصدقائه وذهبوا خلفه وعبروا نهر الكنج وبما في طاقتهم من السرعة توجهوا
عند ملك نيبال المدعو بروابطشوره اي سيد الجبال فلاقوهم مع الرحب والسعة والشفقة
فتوسعوا اليه في ما عدهم ثم عسكر ونفور ووعد شندره جوبطه في هذا الوقت بانه يعطيه
نصف مملكة براشي لو حصل له الظفر والنجاح فاجابهم بروابطشوره انه لا طاقة له على تحشيد
قوة كافية في الميدان من اجل فتح مملكة قوية الباس مثل مملكة مجدها الا انه من حيث انه في
محالفات عظيمة مع الجريق واشكابوت اي تاتار الهند واهل كمبوجه اي الجاپنيون و
السيراطيون او سكان الجبال الواقعة في الجهة الشمالية من نيبال فانه يعتمد على مساعدتهم
ويفضي بهم شنالهم فغضب اوجرادنوه مما حصل لشندره جوبطه من الاكرام من سيد الجبال
فامر بقتل كافة اخوته ومع هذا فانه رواية هذه المادة على اختلاف كثير في كتب اخرى
وذلك انه ذكر في بعضها ان ننده لما راى نفسه انه طعن في السن امر انه من بعد موته
ينبغي قسمة مملكته بالتساوي بين اولاده السوماليابيين وان ترتب رواتب كافية لاولاده
من موره ثم وقعت الغيرة في قلوب السوماليابيين من الموريابيين فقتلوهم اجمعين ما عدا
شندره جوبطه فانه نجى بنفسه وهرب ودخل في حماية اولاد الغر ومن ثم تلقب شندره جوبطه
اي الذي خلص الغر من القتل ثم ان بروابطشوره خرج بجيش ضخم الى ميدان الحرب ومعه
اخوه ويروشن وابنه مليكيتو وسار هولاء المتحالفين حتى وصلوا في اقرب مدة الى
امام عاصمة ملك براشي ورتب هذا الملك قوته وسار في نحو راسها لملاقاة عدوه وانتشب
بينهم القتال ووقعت واقعة مهولة انهزم فيها اوجرادنوه وبدد جيشه وقتل في الواقعة
وسلمت المدينة في الحال لما رات حاكمها سورطه سيدهي انه لا طاقة له على مقاومة الاعداء
وهرب الى جبال وندهيا وتنسك فيها وكان الوزير منطرى راكشاسا تقلد زمام وزارة
اوجرادنوه من بعد موت سكطره فتوجه عند بروابطشوره ولما احكم شندره جوبطه
اقدامه على تخت المملكة امر بقتل السوماليابيين وصرف محالفيه من بعد ان اكرمهم بالهدايا والانعامات
في نظير مساعدتهم اياه وابقى عنده الجريق ورفض ان يعطي نصف مملكة براشي الى بروابطشوره
وهذا لما لم يجد في نفسه طاقة على خصوص مطلوبه عاد الى مملكته عازما على الانتقام من شندره
جوبطه ولما اجتمع مع منطرى راكشاسا اشار عليه بارسال رسول من طرفه يعمل الحيلة اللازمة
في قتل شندره جوبطه خاشنيه وشنو جوبطه فعمل الطريقة التي بها حفظ الملك واغرى
الرسول على قتل المرسول من طرفه فقتل الرسول بروابطشوره وخلص شندره جوبطه من غائلة
بروابطشوره فحضر راكشاسا ابن المقتول المسمى مليكيتو في الاخذ بثار ابيه لكنه ولو كان

في امر الرسول

على رغبة وانشراح صدر من هذا الاغوا والحض فانه رفض قبوله وقال لمستشاره او محرضه ان شندره جوبطه عند جم غفير من اليونانيين او الجريك في بلاده وحصن عاصمة ووضع فيها العدد الكثير من الناس والعيلة على ابوابها وبالجملة فانه بواسطة اختلاف وقع في تحالف سيد الجبال اما بما حصل لهم من القرع من شندره جوبطه اومن اعتدافه عليهم عبروهم وضيرانه احكم شندره جوبطه دعايم سلطنته حتى لا تحصل ادنى فايدة من سعى اوكد يعوم صده وفي هذه المدة ادرك وشنو جوبطه ان شندره جوبطه لا تكون حياته مأمونة ما دام في خلاف مع رجل شهم فادر مثل راكشاسا فدبر في نفسه راى من اجل صلحها سوية وكان في المدينة رجل تاجر محترم عند الناس عموما اسمه شندن داس له محبة وصداقة ومعرفة كبيرة عند راكشاسا فاشار وشنو جوبطه على شندره جوبطه بسجنه مع عايلته واولاده في سجن ضيق ومن بعد مضى مدة قليلة توجه وشنو جوبطه لزيارة شندن داس التاجر في حبسه وقال له ان الطريقة الوحيدة في خلوصه وعايلته مما وقع فيه من الكرب وخراب الديار هي على طريقة صلحية بين الملك وراكشاسا وانه لو رغب اتباع مشورته ونصيحته فانه يساعده على خلوص نفسه لو فعل هذا فرضى شندن داس وولو انه كان على دراية تامة من شدة غرس العداوة بين شندره جوبطه وراكشاسا فانه كان على امل قليل من النجاح ومن اجل ذلك توجه حفية وشنو جوبطه وشندره داس في السر الى محل في الجهة الشمالية من الجبال الموجود فيها محل راكشاسا وكان يستعمله للعزلة فيه من بعد انفصاله من اعماله في الاشتغال واقاما فيه عمود حرق ضخم من الخشب واشاعا على انهما عزما على حرق انفسهما فاستغرب راكشاسا وتعجب لما سمع من عزم صديقه على حرق انفسهما وبذل مجهوده وسعى في ابعادهما عن هذا العزم فقال له شندن داس انه عزم على حرق نفسه في لهب النيران مع وشنو جوبطه ان لم ترض بالصلح مع شندره جوبطه وفي وقت هذه المكالمة وفد عليهم شندره جوبطه مع جماعة نفر من حواشيه وخفره وامر الخفر والحواشي بالبقاء خلفه وتقدم هو بمفرده نحو راكشاسا فاوقع برأسه بحزما له وقدم له سيفه فلبث راكشاسا مدة من الزمن لا يلين للصلح واخيرا غلب عليه الناس وشندن داس فغلب على نفسه ووقع الصلح بينه وبين الملك وجعله شندره جوبطه وزيره الاول ولما نجح وشنو جوبطه في امر هذا الصلح توجه الى ما كان متقلده من زمام المصلحة وسلطن شندره جوبطه بعد ذلك مدة من السنين في عدل وانصاف وعبده قوم في مدة حياته ومن بعد موته صار له ذكر جميل ومقام مقدس لبث عدة قرون وذكر في وشنو برن ان هذه العايلة استمر وجودها على تخت مملكة مجدها مائة وسبعة وثلاثون سنة وكان عدد ملوكها عشرة وكان من جملة هؤلاء الملوك الملك المشهور اسوكا وردن او اسوكا المشهور بالجزم في التواريخ الهندية واختلفوا في مدة سلطنته فقيل انها كانت ستة وثلاثون سنة او ستة وعشرون سنة وكان تهذب في مبادي الامر على عقايد الديانة البراهمية ومن بعد مضى بضع سنين انتقل الى الديانة البودهيسيه وقيل انه كان من اكبر المتعصبين في الدين البودهيسيه كما كان عليه قسطنطين من التعصب في الديانة المسيحية وكان من اكبر المعدين والمعاضدين في نشر واتباع اوامره ومنشوراته وقيل انه كان في سرايه اربعة وستون الف من قسس البودهيست عايشون على صدقته وابتنى اربعة وثمانون الف عمود او زروة عالية في كافة انحا البلاد الهندية كتب عليها الديانة البودهيسيه وفي السنة الثامنة عشره من سلطانه انعقد مجلس عام اصبحت فيه هياكل الى كافة الجهات اى جزء من مملكة مجدها وصدرت الاوامر الشديدة بالتمسك بها وارسلت ارساليات ومبعوثين البودهيسيه مثل كشمير وسيلان وغيرها من اجل خطابة الديانة البودهيسي وقال مورخي البودهيسيين انه جلس على تخت مملكة مجدها كان في سنة ٢٨٠ تاريخ موت جده شندره جوبطه اى في سنة ٣٢٥ قبل الميلاد فهذا التاريخ غير مطابق بالكلية لتاريخ ابوه وجده والصحيح ان مدة سلطنته كانت بين سنة ٢٧٤ وسنة ١٩٨ قبل الميلاد وكان اسوكا يلقبه بالقاب برياداسي وبياداسي او برياداسن ومعناه الكبير او الحسن وكذا لقبه ديوانم بيا ومعناه محبوب الالهة

سلطنة الملك پیاداسی
سلطنة الملك پیاداسی اسوكا

وقد

وقد رأيت في كتاب حياة جوتما بودها ما نصه ان ابا اسوكا كان الملك بندوسوره ومدة سلطنته سبعة وعشرون سنة اى لحد سنة ٢٧٤ قبل الميلاد وكانت اولاد هذا الملك بلغت في العدد مائة ولد وواحد وولدت له زوجته الاولى المسماة دما ولدان اخوان احدهما اسوكا المذكور والاخر اسمه طيسا وفي وقت ما كانت حاملة باسوكا رأت في منامها خمسة احلام فالاول انها رأت نفسها ان رجلها امتدتا حتى استند قدم واحد بها على الشمس والاخر على القمر والثاني انها رأت نفسها تبلع الكواكب وتعتصرها والثالثة رأت نفسها تاكل السحب والرابع رأت نفسها تاكل زبل الحشرات والخامس وهو الاخير رأت نفسها تاكل كافة اوراق الاشجار وكان تفسير احلامها انها تلد الولد الموجود في رحمها ويحكم عموم جزيرة زمبوديبا يعني الهند ويقتل كافة اخوته ومن يتجمع عليه للنزاع في تخت المملكة ويمحو الشعبذات والعقايد الكاذبة المبنية على الدين المفتخر مثل السحاب الاسود وبحكمه يحمى كل ما فوق الارض الى ارتفاع قدره يوزران وعلى ما تحت الارض الى انحطاط عمق يوزران ولما شب اسوكا وترعرع وبلغ من العمر ستة عشر سنه ارسله ابوه الى مدينة اوزيني حاكما عليها وعلى ما جاورها من الاراضي المجاورة لنهر نيربودا وفي اثنا سيره الى مدينة اوزيني مر في طريقه بمدينة ويديكا على مسافة خمسين يوزران من عاصمة باليبوتره وفي الجهة الشرقية منها وكان الذي اسس مدينة ويديكا ملوك فيلوط وكانت اضمحلت في عهد جوتما بودها فتزوج اسوكا في هذه المدينة بابنة واحد من اغنيا الناس اسمه ويدوه ومن قبل وصوله الى مدينة اوزيني ولدت له زوجته ولده البكري فسماه مهينده ثم من بعده ابنة سماها سنجاميتا واقام اسوكا في مدينة اوزيني سنوات وفي اخر هذه المدة بلغه ان اباه اصابه مرض شديد يخشى عليه من هذا المرض فاسرع في السفر الى مدينة باليبوتره لاجل اداء ما يلزم من الخدمات اللازمة لابيه ولما مر على مدينة ويديكا ترك زوجته فيها مع ولديها ومن بعد ان وصل الى عاصمة ابيه بقليل تنفس ابوه الصعدا وخرجت روحه واعلن اسوكا ملكا من بعد موت ابيه فوجد اسوكا نفسه محيطا من كل جانب باعدا كثيرة وقام عليه عموم اخوته ما عدا اخوه شقيقه في ثورة واحدة وكان الكبير الجميع في السن اسمه سوماتا اصل العداوة وقايدها ثم من بعد حروب طويلة مهلكة استحكم طالع اسوكا في السعادة وانتصر على اخيه سوماتا واسره ثم امر بقتله وبطش باخوته وقتل الثمانية وتسعون نفس اخوته ثم مضى على ذلك ثلاث سنوات حتى خلص اسوكا من اعداءه وفي السنة الرابعة من تاريخ اعلانه ملكا تتوج وتقلد قداسة الملك ولقب دهرماسوكا شرفا لاسم امه واستحوذ على كافة سلطنة زمبوديبا (الهند) وكان اسوكا لحد اليوم الذي تتوج فيه معتقدا على الدوام بالديانة وضيانته على قسس البراهمة اتباعا وتقليدا لما كان عليه ابوه وجده من هذا الخير العظيم فكان يطعم الجم الغفير منهم في سرايته وكانوا يلبسون عموما الملبوس الابيض ثم من بعدما تقلد قداسة الملك بقليل دخل في الديانة البودهيسيه بواسطة ابن اخوه الرهبان او القسيس نيجرووده ثم ان اسوكا ارسل ذات يوم من الايام الى القسيس او الرهبان نيجرووده يسمع منه المواعظ والتعليمات حتى يكون على اليقين من الدين وكمال الفضيلة فاثر عليه نيجرووده بهدايا واحسانات وصدقات يصرفها يوميا الجم الغفير من ارباب الديانة البودهيسيه فتقبل كل امره الرهبان واخذ المتمسكون بالديانة البودهيسيه الملازمون لسراية الملك من اجل الاحسانات والصدقات في الزيادة على التدريج حتى بلغ عددهم نحو من ستين الفا وعلم الرهبان نيجرووده الملك الثلوث سرنا ناثا والخمس وصايا وادخل في قلبه وروحه وكافة اعضا جسمه ميل الحب الزايد لجوتما بودها وديانته وكان ذلك في السنة الرابعة من جلوسه ولحد هذا الوقت كان معتقدا بالاحسانات على قسس البراهمة ثم اكتفى اسوكا بتلك المصاريف الجسيمة الكبيرة الجارى صرفها كل يوم وقال للرهبان البودهيسي

تعداد اليوزران او بجهة اميال انكليزي

بنجروده الى علو رغبة شديده وعزم اكيد على بنا عدد كبير من الديوره والهياكل والمعابد
للدين البودهستي في عموم مداين ژمبوديبا لكن من اين اخذ ذخاير وآثار بودها جوتما
المعظم حتى الى افترها على تلك المعابد واحرزها فيها فامره الراهان بصدور امره في طلب
البحث على ذخاير بودها وآثاره في كل جهة من جهات الهند وكانت عموم الديوره التي كانت
بنيت في اثنا حيوته في جهات ويسالي وفيلوفوط والكابا وباوه وكوسلينا روذ جميعها
تخربت ما عدا الدير الذي كان في قرية راما فان الناجات (الملايكه) الذين كانوا قايمين
على هذا الدير ما رضوا لاحد من الناس في هدمه واجتهد اشغاله الذين كانوا معدين لخراب
هذه المعابد في هدم ذاك الدير بفوسهم ومعاولهم فما قدروا على هدمه وكانت كلما وصلت
الآلة الى حيطانه تقصفت وتكسرت حتى انهم ما وصلوا الى ما فيه من الذخاير النفيسه فامر الملك
اسوكا بعمور بنا هذه المعابد المخربه بالصورة التي كانت عليها في اصل البنا القديم وخاب
اسوكا في نيته الحصول على ذخاير بودها الوالد ما قطع الامل وما قنط من نجاحه في مرغوبه
وسار بنفسه مع حواشيه وتبعه تخر راجاجيو وعزم على ان لا يرجع عن هذا السعي حتى يجد آثار
بودها وذخايره فلما وصل الى ذاك المحل جمع كافة الراهانات والناس وسألهم عما اذا
كان يوجد واحد من احاد الناس يدل به على طريقة كشف آثار بودها وذخايره النفيسة
وكان موجودا في زحام الراهانات واحد منهم عمره مايه وعشرون سنة فقدم للملك الى
لما كنت شوبقا وعمري في ذاك الوقت سبع سنوات امرني استاذي ان ناخذ بعض الازهار
والرياحين ونسير الى محل خلوة معتزل على حدته ولما وصلنا بالقرب منه قال لي انظر ايها
الشوبق الصغير الى هذه العوسجة للظلمة الكثيفة فان في وسطها دير صغير من الحجر دعائمه
امامه وتقرب له فاسمعنا من الازهار والرياحين ولما قضينا ما امرنا به قال انظر الى هذه
البقعة المباركه بنظر طيب وقلب طاهر ولا تنساها ما دمت حيا ثم لم يقل لي شيا بعد ذلك
وجه نا الى منزلنا فقال الملك اسوكا لا ريب ان هذه البقعة هي التي انا افتش وابحث عليها
واسرع الملك وقومه الى البقعة التي دلهم عليها الراهان وقدموا الهدايا العظيمة من الازهار
والرياحين الى الناغة (الملك) خفير المحل حتى يرضوه ويصور لهم الناغة في صورة رجل
شاب ورفع كافة الموانع والعوايق التي كانت عند وراها الطريق الموصل الى الدير الصغير فلما
وصل الملك الى باب الدير راه مغلوقا بحجر من الزمرد عليه نقوش وكتابات ولما مس الباب انفتح
على حين غفلة ونظر اسوكا الى داخل الدير فاستغرب هو ومن معه من قومه بما راوا من
وجود القناديل الموقدة من عهد مايتان وثمانون سنة ومضت ما زالت منوره على ما كانت
عليه ومملوة بالزيوت وما يلقى الازهار ولا تغيرت روايح الرياحين وكانت مثل
الازهار والرياحين الموجودة في البساتين الجديدة حتى وروايحها العطرية لا يوجد نظيرها في
الرياحين الجديده فاخذ الملك صحيفة من الذهب وقرا الكتابة المكتوبة في حفظ عليها واخذ
كافة الذخاير ابو القبيل شرع ابقاه في المحل على ما كانت عليه وكان الاستدلال على وجود هذه
الذخاير في سنة ٢١٨ قبل الميلاد ثم في يوم من الايام تصورت صورة بودها بهية ظريفة
امام الملك اسوكا ففرح بها وزاد في عدد التماثيل المصورة بصورة جوتما حتى تكون موجودة
في عموم جهات مملكته واصدر امرا لمن عنده ببنا هياكل وديوره في ٨٤٠٠٠ مدينة في
مملكته الواسعة فتمت هذه الديوره في ظرف ثلاث سنوات ووضع في كل دير منها اثر من ذخاير
جوتما بودها واصدر منشورا لعموم مملكته بدوام الاهل والسكان على التمسك بالنصائح
وصايا وكان اصدر هذا المنشور يوم عيد مشهور واحتفال باهر ديني وفي هذا اليوم
اغدق الملك على الراهانات البودهستيه بالاوقافات واكثار الصدقات واظهر اجتهاده
وغيرته في تقوية الديانة وعلو منزلتها ثم تباهى وافتخر وانشرح صدره مما فعله وقال للرهبان
الراهانات البودهستيه وكان اسم موجاليبتا اني اجتهدت وبذلت ما في وسعي من طاقتي
في

في نشر الدين وعلو درجة منزلته بكل واسطة وطريقة وابتنيت الديوره والمعابد والهياكل و
الاثار في طول وعرض مملكتي وقدمت ما يلزم من الصدقات والخيرات والاوهانات افلا اكون
معدودا اولا من الدين ورفقا الدين فاجابه موجاليبتا نعم ايها الملك الاعظم الجليل انك
في الواقع ونفس الامر اجتهدت في تقدم درجة الاسباب الطيبة ما تخلد به ذكرك ويكون لك
الثنا المحمود في هذه الدنيا والذكر الجميل الا انه ما زال باقيا عليك شيء اخر تفعله حتى يكون لك
حق الوراثة في الدين كله فسأله الملك ما هو هذا الشي فقال له يلزمك ان تقدم ابنك
مهيندره وابنتك سنجاميتا وتخصصها لخدمة الدين فسال اسوكا ابنه مهيندره عما اذا كان
له رغبة في ذلك فاجابه القبول والرغبة فسمح له ولابنته بدخولهما حتى راهانات البودهستيه
ودرس مهيندره علم اصول الدين وفروعه على موجاليبتا وبرع فيه علما وعملا وحاز الفضايل
والكمالات حتى ان استاذه جعله راهانا على الف راهان ثم تقلد من الاوهانات الكثيرة و
الصدقات الجليلة التي اغدق بها اسوكا على اهل الديانة البودهستيه والمساعي التي اجراها
في علو درجة الدين البودهستي وثبات قواعده فزع الحزب المضاد لهذا الدين وهم البراهميون
فلما راى البراهميون انه صار ليس عندهم مدخل ولا طاقة على البقا بالحالة التي هم عليها تبعوا
طرق المعايش ويجرون ما يلزم في ضعف شوكة اعداهم فتزيوا جميعا باللباس الاصفر ودخلوا
في الديوره والمعابد البودهستية واظهروا انفسهم انهم تمسكوا به من دون ان يكون في قلوبهم
ذرة من التصديق به واحترم بعضهم النيران الشديدة وعبدها وعرض بعضهم انفسهم لحرارة
مختلفة الدرجة ووجه اخرون وجوههم للشمس عند شروقها واستمروا الى غروبها ودقع الفساد
في الدين حتى فزع موجاليبتا من هذا الامر القبيح واتفق مع الملك اسوكا في عقد مجلس
مع الراهانات في ثبات قواعد الدين وكان هذا هو المجلس الثالث من بعد موت بودها
جوتما وانتخب من الراهانات الموجودة في مدينة باليبوتره الف نفس وفتح المجلس في سنة
٣٠٧ قبل الميلاد وكان رئيس المجلس موجاليبتا وكان عمره في ذلك الوقت اثنان
وسبعون سنة فاصلح ما كان افسده المتشعبذين من امور الدين وطردهم من الديوره ونزع
ما عليهم من الملابس الصفرا وشرع في نشر الديانة البودهستية وقرر قواعدها على اساس
قوية ووزع مبعوثيه ونوابه ورسله الى كافة الجهات يخطبون الدين فيها وراء مملكته بجدها مثل
كشمير وسيلان وغيرهما من الجهات الهندية وكانت عاصمة مملكة نجدها في مدة سلطنة
شندره جوبتا مدينة باليبوتره او بتاليبوتره مدينة واسعة طولها عشرة اميال على ضفة
نهر الكنج وعرضها ميلان في داخل الارض ومحيطة بسور من الخشب فيه ثقوب وكرانك تقرب
منها الى فطرت ستمائة وثلاثين برجا ومحيطة من وجهها بمياه نهر الكنج وبخندق عميق عريض
من جهة البر والملك شندره جوبتا مقيم في سراية فاخرة كبيرة مع سيداته ونسايه وكان لم
يقدر من الناس مورخ في خارج اسوار السراية غير ان ميغاسثينيس سفير سيليقوس في ديوان
شندره جوبتا ما ذكر في كتابه شي يختص بالملكات نسا شندره جوبتا ولا بعدد الحريم بل قال
ان نسا السراية كان جاري عشرة اعمر من اهليهم وقال ان الملك كان على الدوام في فزع وخوف
على حياته نفسه وما كان ينام قط في مدة النهار ويغير محل نومه في مدة الليل وكان يترك السراية
احيانا ويتقلد زمام قيادة جيشه او يقعد في ديوانه لفصل الدعاوي والقضايا فيها ويقرب القربان
للالهة او يخرج في طلب الصيد والقنص وكان عنده جيش ثابت ضخم مؤلف من ٤٠٠٠٠٠ مقاتل
وكانت السلب والنهب ممنوعا لا اثر له في المعسكر وكذا السرقة نادرة الوجود جدا وفي وقت ما كان
الملك يقعد للقضا كان يلبث في الديوان النهار بتمامه واذا خرج للصيد ركب فيل ابيض ومعه النسا
في عربات او راكبات على افيال او خيول وامامه تضرب الطبول من اجل ابعاد الزحام من طريق
مروره وحول الملك النسا رجال الخفر بالحراب والنبال والسيوف وكان للوزرا والقضاة مجلس
خصوصي يجتمعون فيه لفصل الاحكام ومباشرة اشغال المملكة وكان الفلاسفة والعلما مستقلون

صفات مملكة مجدها في مدة شندره جوبطه وحفيده اسوكا الهندي المشهور

بفلسفتهم وعلمهم وممارساتهم واختراعاتهم العايد منها النفع على المملكة واهلها وحيواناتها الموجودة
فيها وتتوجه الفلاسفة والعلما في كل سنة مرة عند باب السراية لمقابلة الملك ويعقدون مجلسا
عاما فالذين يستكشفون او يخترعون اشيا طيبة نافعة يعفون من الرسوم والعوايد المفروضة للسلطنة
والذين يجي اشتغالهم بدون ثمرة يوبخون لهم يخبرهم ثلاث مرات فان لم تنجح في المرة الثالثة صرف النظر
عنها الى الابد وهذه لفظة فيلسوف هي بالطبع لفظة جريقية ومعناها محب الحكمة وتطلق في الجريس على
عموم طايفة العلما ممن ثم اطلق ميغاستينس لفظة فيلسوف على البراهمة وذكر ايضا طايفة اخرى من
الناس تعرف بطايفة السرمينيون هم طايفة ايضا من العلما الا انه ذكران طايفة البراهمة اكثر احتراما
وشهرة من السرمينيين واحسن السرمينيون انكرهم في طنون في الاجام والاورمانات ويعيشون
على اوراق الاشجار والاثمار الجلبية واخرون منهم مشتغلون بدراسة الطب والاشتغال بعلاج
الناس والحيوانات ويأكلون الارز والاطعمة مع جماهير العالم والسرمينيون اتباع جوتما بودها
وكافة الناس تحت قوانين معلومة محدودة عنيفة ومنقسمون الى طوايف وعشاير فلا يمكن لاحد ان
يتزوج من غير طايفته والمزارعون او سكان القرى قاطنون في قراهم وهم خدام الملك يفلحون الارض
ويزرعونها ولهم الربع من محصولاتها كاجرة لهم في نظير اشغالهم وهم مستثنون من كافة الخدمات
العسكرية ولهم عقل وادراك واحساس فلا يخرجون الى المداين ولا يتداخلون في الثورات والفتن الاهلية
وليس لهم حاجة في المحافظات والاحترازات ولا السياسات وليس لهم اشغال سوى بذر الارض
وحراثتها ولو كانت الجيوش الكثيرة المتحاربة بجانبهم فانهم لا يسألون عما يصنعون وكذا التجارة
والصناعة تحت قوانين شديدة معلومة فالاولاد يتبعون ما كان عليه اباؤهم من الحرف والشغل والصنايع
ولا يمكن لاحد ان يتجاوز الحد ويخرج عما صنعه ابيه وكل انسان يدفع ضريبة معلومة للملك حتى عشر
ما يكسبه من البيع سنويا وكل عامل او صنايعي يدفع ضريبة على حسب علو او دناءة صنعته او حرفته
ومن طرف الملك معين اناس ومباشرون لتحصيل العوايد والرسوم الملوكية ويباشرون على ما اذا
كانت الاشغال والاعمال جارية طبق القوانين المدونة ام لا وهم ايضا نواب فالذين منهم في
المداين مناطون باشغال المبني والهياكل والمعابد والاشغال العمومية وتقدير اثمان البضايع
والمتحصلات والمصنوعات الجاري بيعها والذين منهم في الاقاليم مناطون بقياس الاراضي وتحرير
جهاتها ومناظرة احوال الري سوا كان الري من انهر او خلجان او ترع او برك او بحيرات والمحافظة
على الطرق العمومية واصلاحها وتشييد اعمدة او زروات على مسافات متساوية من بعضها قدر كل
مسافة ميل واحد وذكر ميغاستينس ان اهل مملكة مجدها مقسومة الى سبع طوايف هي الفلاسفة
او البراهمة ثم العسكرية او الكشطريايين ثم التجار او الويشابيون او الويشيايون ثم المزارعين
او السودره ثم الرعيان ثم المباشرون ثم الحكام في الجهات والاقاليم والرعاة ايضا صيادون
يصيدون ويقتلون كافة الحيوانات او الطير المفسد في الارض والمباشرون والحكام من طايفة
البراهمة او من العسكر موظفون في الخدمات الملكية ومتسلطين على منتفعي نهر الكنج حسب النسب
ودرجة الطايفة فما كانت هذه الحالة موجودة في ارض بنجاب وان وجدت فما كان لها مراعاة وكانت
حكومة مملكة مجدها في حكم استبدادي ابوي فما كان عند الاهالي حرية ولا عليهم مسئولية بل الحكام
يقضون لهم الاشغال العايد منها النفع عليهم وكانوا في سعادة كبيرة بسبب ما كانوا عليه من
حالة البساطة والاقتصار في النفقة اللازمة للعيشة انما كانت لهم محبة زايدة في الزينة التي هم
عليها لحد الان وما كان شندره جوبطه بودهيا بل كان يقرب القربان للالهة وكانت نفسه
البراهمة وكان البرهميون هم الطايفة المقدسة وفي درجة عالية في سراية الملك وفي ديوانه زيادة
عن السرمينيين وكان ترعرع وزهو اسوكا حفيد شندره جوبطه في سنة ٢٥٠ قبل الميلاد
وكان كما ذكرنا سابقا ملكا شهيرا في الصفات والاخلاق ومد اسوكا مملكته حتى [illegible]
عموم الهند الشمالية واتسعت مملكته من كابل الى بنغالة ومن سلسلة جبال حماليه الى نهر نربودا
وكانت الحيوانات في هذه المدة في حياة اسوكا تقرب قربانا للالهة وتذبح في الاطعمة اللازمة
للملوك وغيرهم وكان هو مشهورا باسم بياداسي او بياداشي اي محبوب الالهة وفي السنة العاشرة
والحادية عشرة والثانية عشرة من سلطنته اي من سنة ٢٦٠ الى سنة ٢٥٨ قبل الميلاد شرع في نشر
الاوامر والمنشورات ونقشها بلسان السنسكريت على الاحجار والصخور والاعمدة في كافة انحاء وجهات
المملكة

المملكة ولحد الان موجود اثار وبقايا هذه الاوامر على الصخور والاعمدة في جهات البلاد الهندية يستدل
منها على ما كان عليه اسوكا من مساعيه واجتهاداته في حال حياته وما كانت عليه مملكته من السعة
والامتداد ثم انتقل اسوكا على التدريج من الديانة البراهمية الى الديانة البودهيستيه وصار
له غيرة وحدة عليها حتى منع طريقة تقريب الحيوانات قربانا للالهة الجارية بمعرفة البراهمة وايد
طريقة جوتما بودها وانشرها في ممالكه وفي ممالك محالفيه وجيرانه وكان مثال المنشورات التي
اصدرها في ممالكه هي ان الملك بياداسي اسوكا امر انه من الان فصاعدا لا يجب ذبح حيوانات
مستأكلات من اجل تقريب القربان او من اجل الطعام ولا تعقد جمعيات يباح فيها شرب الخمور
والمسكرات وامر بفتح معامل ومحلات صناعة الادوية والعلاج ودوار الشفا والاسبتاليات
لمداواة الناس والحيوانات على حد سوى وغرس اعشاب الطب والاثمار والجذور النافعة للعلاج
وحفر الابار على جهات السكك وطرق العبور العمومية لشروب الناس والحيوانات والطير وشدد
في السنة الثانية عشرة من سلطنته في تنفيذ هذه الاوامر وقوى على العمل على حسب نص ما فيها واتبع
هذه المنشورات بمنشورات حاوية الفضايل والواجبات والاداب الدينية واجتماع الناس على جامعات
الاداب فمنها وجوب طاعة الوالدين وحب الشفقة على الاقارب والمعارف واداء الاحترامات اللازمة
للبراهمة والسرمينيين والرفق بالحيوانات والاقتصاد في المعايش واجتناب الكباير والغيبة
والنميمة في المجالس والجمعيات وغيرها واتخذ في يوم صدور هذه الاوامر عيدا كبيرا واحتفالات
وشعاير دينية جليلة في مدة النهار واشعال الزينات واشعال الحرايق والالعاب في مدة الليل
وعين المباشرون والحكام لاداء ما يجب عليهم في الراحة واستتباب الامن وعدم الاهمال في خدماتهم
وما هم منوطون به وعين الاساتذة والمعلمين من اجل تعليم الناس واجبات الاداب الدينية
والمدنية وحسن المعاملات والمكافاة على الاعمال الطيبة الحسنة والعقاب على الاعمال الخبيثة وتعطى
الاوضيح للملك بما هو حاصل من مثل هذه الاشغال وما جرى وما يجري في الماضي والحال والاستقبال
وعين مبعوثون ومرسلون يخطبوا الناس ويعظوهم ويلقون عليهم مواعظ الاعمال الطيبة واصطناع
المعروف والتمسك بالعقايد الدينية والمواظبة على القوانين البودهيستيه في كافة الجهات الموجودة
حول مملكته وان الصدقات مكفرة للذنوب والخطايا واما الاثام والجرايم فلا يكفرها الا التقدمات
والصدقات والدعوات وامر اسوكا بانه من بعد مضي كل خمس سنوات تقام شعاير عيد كبير من
اجل التكفير من الجرايم والذنوب واباح في مملكته عموم العقايد الدينية وكان محترما لكافة هيئات
الديانات المختلفة في مملكته سوا كانت بودهيستية او براهمية وسوا كان اهلها نساك او
ارباب عبادات وسوا كانوا اسبقين وباينين او من طوايف التشاله وسوا كانوا قسس او عوام
من كل جنس ومن كل طايفة وانه لا ينبغي معاملة السو لاي امر بخصوص ما هو عليه من العقيدة
او المذهب لان كل عقيدة لها كتب مقدسة وكل كتاب مقدس له نسخ متنوع فيها حاوية ما يكون
فيه النفع والمصلحة لبني الانسان وكلمة الحق واحدة واكتساب الفضايل الفخر الاكبر المتمم للكمالات
البشرية في هذه الدنيا وفي الاخرة والسعادة مكافية الفضيلة وبالاعمال الصالحات وحب المداومة
على الرأفة تتوصل عموم الناس الى ابواب الجنان والراحة فيها وما كان اسوكا سايلا دينيا
مثل ما كان عليه جوتما بودها وما اتخذ طريقة الزهد والتنسك مثله غير انه كان يحترم
الزهاد والعاكفين عليها ويجعلهم في ويهارات او معابد بودهيستيه ومن اجل ذلك سميت
ارض مجدها الواقعة في جنوب نهر الكنج باسم بهار يعني ويهار او ارض الديورة وفي السنة
الثامنة عشرة من سلطنته عقد مجلس كبير من القسس البودهيستية في مدينة بتنه واصدر فيه
منشوره الاخير واعلن انه تمسك بالثلاث جواهر النفيسة وهي بودها والعقايد البودهيستيه
والمجلس المحترم وقرر في هذا المجلس ان الدين البودهيستي هو دين المملكة فكان قيام الدين
البودهيستي ضربة قاتلة للطايفة اباحة العقايد مهما كانت وصار كل انسان من اي طايفة او
لا يكون له طايفة يمكنه الدخول في المعابد البودهيستية ويكون سرمن ويلبس الملبوس الاصفر
من ابتدا اليوم الذي يؤخذ عليه العهد فيه ويعيش في حالة العزوبة والفقر وكل جنح او اقليم
حل فيها الدين البودهيستي كان محل مثلا في بزماصار الدير ومدرسة فيه محل الفرايض والتنسك
واقامة الشعاير الدينية في كل قرية في عموم الارض وفي صباح كل يوم من الايام يلف النساك

الواحد البودهيستي في داخل القرية الواحدة ويطوف في شوارعها وحاراتها وزويل صدا فقنة
معه في يده لباسا لباسه الاصفر وراسه محلوقة عريانه ولا ينظر في جهة يمينه او شماله وتقف
مع الخشوع والخضوع امام باب كل بيت او دكان بيع موجه عينيه الى الارض ويأخذ الصدقة مع
الصمت والخشوع من طعام مطبوخ او ارز جاف من اهل القرية ويعلم صبيان القرية الواحدة
في مدرسة الدير المسمى عند البودهيست بنسله وتترنم الصبيان بالدروس التي تلقى اليهم يغنونها
باصوات حسنة وما زالت هذه العادة جارية في سيلان لحد الآن وكل جهة يتوجه اليها السائح
اوالك البودهيستية فانهم محترمين في صفة رجال طاهرين الا انهم عرضة للمصائب والآفات
لو اهمل الواحد منهم العهد هو الذي اخذ عليه فان اهل القرية يقوموا عليه وينهروه ويزجروه
ويضربوه بالاحجار ويطردونه من الدير او من البنسلة الى الابد وهذا ما امكنا جمعه من تاريخ
محدثها القديمة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ولنرجع الى ما كنا عليه من ذكر ما وقع في البلاد الهندية من بعد موت اسكندر فاقول انه من عموم
المداين التي شيدها اسكندر الاكبر في الهند الشمالية وفي اسيا العالية ومن عموم المستعمرات
التي شرع فيها بقصد توطيد العلاقات وربط محبة المواصلات والمعاملات بين الامم الهندية
والامم الاخرى التي غلبه على امرها يظهر ان البعض منها اينع وازهر مدة ما من الزمن من بعد
موته لان هذه المداين التي كانت امتازت باسما جريقية فيما بعد اجتهد سيليقوس في عمارتها
في اسيا من بعد دمارها وفتحها مرة ثانية مما بعد موت اسكندر واشتهر بهذه الفتوحات تلقيبه
باسم نيقاطور اي المنصور وان الكثير من العساكر الذين كان اسكندر تركهم وراه في القلاع
الحصينة تقدموا في السن وحل بيعضهم الهرم والعجز ومن توالي الزمن عليهم اضمحل امرهم والذين
كانوا منهم في عافية وقوة على العود الى مقدونيا من المحقق انهم عادوا اليها او رجعوا الى الاقاليم
الجنوبية من ارض فارس واما انهم عاشوا في حالة سلمية تحت احكام سيليقوس او انهم
دخلوا في الخدمة من ضمن جيوشه واما طاكسيليس ديوروس اللذان كانا قواد عند اسكندر
وصارا من بعد موته على ابهما لا بد من بقائها ملوكا في ممالكهما واراضيهما التي خصصها لهما
اسكندر مع كافة الاراضي والاقاليم التي صارت الى ممالكهما الاصلية فيحتمل انه رخص لهما بالبقاء
في ممالكهما كما كانا عليه بسبب انه لا طاقة لخلفاء اسكندر على عزلهما من سلطنتهما وكانا تابعان
اسما لهم وذكر في وشنو پوران ان ثمانية من ملوك الجريق كانوا احكاما في قسم من الهند فيغلب
على الظن ان هؤلاء يلزم ان يكونوا ملوك باكتريا (خوراسان) من الجريق الذين سنبسط الكلام
عليهم من الان فصاعدا ومن وجه آخر يحتمل على وجه الامكان انهم ربما يكونوا ايضا من عائلة الملوك
الجريقية الذين ثبتت دولتهم حتى في عصر اسكندر في الاقاليم الجنوبية الهندية في جهة مصب
نهر السند وفي طول ال...حل الغربي مما يحيط جزيرة الهند لانه من بعد مضي مدة مديدة شوهدت
نقود عليها كتابات ونقوش جريقية في عصر اريان المؤرخ في ضواحي باريغازة او مينة بار...
فمن ذا لا ريب ان السلطنة المقدونية لبثت في نفس هذا الاقليم عدة عصور حتى اطفأها
الروما بنوع من العائلات الكبيرة التي كانت متسلطة في مصر وسوريا واقتضت المصالح التجارية
ثبات هذه الدولة وجعلها في قوة زايدة حتى بواسطتها تحفظ التجارة من غايلات شندره
جوبتا وكانت احداث الفاتح المقدوني في الاقاليم الجبلية في شمال اسيا وتغلبه عليها سريعة
مدمرة ومرورها بسرعة مهولة كرعة لمعان كوكب ذات الذنب ثم انطفأت الا ان الجهة الجنوبية
استمرت مضيئة مدة من الزمن بضياء الفخر الذي اكتسبه جيوشه على سواحل نهر السند وفي دلتا
بتاليين ثم وفي تقسيم ممالك اسكندر من بعد موته تعين الى بيطون ابن اخينور احد قواد
اسكندر المباشرة العمومية على المستعمرات المنتشرة في شمال الهند فما استدليتنا هذا القائد
على حكاية او اثر شيء في مدة حالة انه كان افتكر في نفسه انه مع الحزم والراي القاهرة مع كل
الى الجهات الجنوبية في طلب الحماية تحت ظل العائلات الملوكية الذين ذكرنا انهم قطنوا ابتا لها
او خاف بلاده ودخل في طاعة شندره جوبتا مع عسكره الجريقية لاننا رأينا في التواريخ الاطية
الهندية ان الكثير من الجريق حقق هذه الفعلة او ضاع وشفطته دواعة مياه الثورة الكبيرة
التي قامت في تشييد المملكة الكبيرة التي شيدها شندره جوبتا وباي حالة كانت ما وقفت له على
خبر

خبر ولو كشفت له اخر واما طاكسيليس وبوروس فانهما ان لم يكونا حقيقة خضعا تماما
لشندره جوبتا فيحتمل انه ارغمهما على ان يكونا معه وصارا عبيدا له رغم انفهما لانه قبل انه
ما طرد الجريق فقط من الهند بل وكل من ما لقهم والظاهر انهما استقلا فيما بعد وجدوا صداقة
مخابراتهما مع الجريق لان ميكاستينس سفير سيليقوس حال زيارته الهند قوبل في عاصمتهما بغاية
الاحتفال والقبول وفي هذا الوقت كان تيار شوكة شندره جوبتا شديد القوة والسرعة في مقاومة
الجريق حتى انه جمع جيشا مؤلف من ٦٠٠٠٠٠ نفس وكان رجال هذا الجيش في غاية من الخضوع والطاعة
والوثنيا ولا وامره حتى كان يمشي من وسط الاراضي والبلاد ولا يحصل منه ادنى ضرر في الارض ولا
خسارة في اهلها ولا ارتباك في راحة سكانها ولا اذى او ضرر في املاكهم وطبعا فانه بواسطة
هذه القوة المهولة مهد كل شيء امامه واستترت الهند العالية في حوزة شندره جوبتا من دون
ان يقع فيها ادنى خلخلة مدة القسم الاعظم من الاثني عشرة التي كانت بين موت اسكندر وعود
سيليقوس مدينة بابل لنفسه وفي هذه المدة كان ابتداء السلطنة السيليقوسية ومبدأ تاريخها في
الحقيقة ومن ثم يلزمنا ان نجمع على قدر طاقتنا كافة الروايات والقصص المنتشرة المخصوصة بالبلاد
الهندية في ظرف المدة التي مقدارها مايتان واحدى وخمسون سنة التي تسلطنت فيها هذه العائلة
على سوريا والشرق مع تباين سعادتها الى ان طردوا من تحت سلطنتها انطيخس اسيا طيقوس
من انطاكيه وكان اخر ملوك هذه السلسلة المشهورة وفتح بومبي الاكبر هذا القسم من اسيا
واما الهند فكانت هي واقاليمها الغنية الخصبة عرضة لنهب وسلب عساكر من ناس حربيون اهل
جراءة وشجاعة كانوا في مدة سلطنة هذه العائلة مع محاربات شديدة مع العائلة السيليقوسية
من اجل التغلب على مملكة اسيا الثانية وسنذكر على التدريج ما وقع من جيوش الفارطيين (سكان
قوهستان من ارض العجم) وجيوش الباكطريانيين (سكان ارض خوراسان) وجيوش التتار
من غاراتهم على التوالي على هذه الاراضي الطريفة حتى افسدوها وجعلوها بلاقع
ثم انه لما كان اسكندر عند موته هو الملك الذي لا ريب فيه على غرب الهند بطريق الفتح فقسمها
بعدوقته الى عائلات مختلفة وكان اولاده هم المستحقون الوراثة من بعده في ممالكه وعلى تخته لكن
اصاب اولاده افات الطمع وما وقع من خيانة كبار قواده وضعفوا اولاده من حقوقهم وقسموا
المملكة الواسعة فيما بينهم كما ذكرنا في تاريخ اسكندر فكانت الاثني عشرة سنة المشؤومة التي
اعقبت موت اسكندر وكان فيها اسيا ومصر غرقانة في طوفان دماء شجعانه في الوقائع
والحروب فرصة كبيرة وبلوغ تام في امال شندره جوبتا واغراضه حتى احكم قواعد مملكة
على اساسات ثابتة محكمة ولما ابعد سيليقوس مدينة بابل من انطغنوس ووجد لنفسه فرصة
من بعد ان ثبت قرار حكومته في مدة قصيرة حاله تقدم في راس جيش ضخم نحو ميديا (اذربيجان)
فقابل فيها نيقانور قايد انطغنوس الاكبر وكان ارسله لمقابلته فاشتبك بينهما القتال فهزم
سيليقوس جيش انطغنوس واسر قايده نيقانور وقتله بيده وساق عساكره المظفرة في
واخل ارض فارس وكانت فارس مشغلة في الاصل قسما من حكومة بابل وانفصلت منها فاخضعها
سيليقوس واعادها تابعا لحكومة بابل وسار مظفرا منصورا في طريقه من وسط اقاليم باكطريا
وهرقانيا (مازندران) واخضع هذه الاقاليم مرة ثانية للتاف الجريقي وكذا اخضع كافة الاقاليم
الواقعة على الصفة الغربية من نهر السند وكانت انفصلت بالكلية من الحكومة الجريقية في مدة
الاربتاكات والقلاقل التي رجت المملكة من عهد موت اسكندر لكن لا بد له من عبور القطعة
السعيدة الغنية الباقية من ممالك في اسيا الواقعة على الصفة الاخرى من نهر السند فيما هي وافتتح
بحصول له من الظفر والنصر واستعد لعبور نهر السند واما يتبع اثر رئيسه الاكبر اسكندر وبواسطة
رؤيته النهر الذي انتسب على ضفتيه اسكندر شهرة وكبر صيت كان سيليقوس له نصيب منها اشتعلت
في قلبه لهيب نار الحدة ورغب اكتساب مظفرات جديدة على ارض الهند وكان قايدا ماهرا في الحرب
وعلى تعود كبير في متاعبه ومصاعبه فأمل لنفسه النجاح والظفر الذي خاب فيه اسكندر وانه لا بد له
من الوصول الى نهر الكنج البعيد ويملأ الخزاين الفارغة في مدينة بابل من اموال عاصمة مملكة برسي

وبواسطة ماكان عليه طاكسيليس وبوروس من صفات الكرم والسلوك الحبى الذى كان طاكسيليس
فى مدة الغزوة السابقة وقوة رباط عقدة الوداد وحفظ الوتحاد وبقا المملكة التى ربط نفسه
بها بوروس عند المقدونيين حض ذلك سيليقوس على اعتقاده انه فى حالة ضرورة الاحوال
لو الزما هذان الملكان على الاتحاد مع شندره جوبطه فاما جيشه يلاقى اطول المقاومة
واشد الوقايع والمعانات بما ان طريقه الى نهر الكنج واقعة فى ممالكهما وان كان الامر بخلاف
ذلك فان عساكره المؤلفة من زهرة الجيش الجريقى فى اسيا لاتلقى مقاومة ولا صعوبة فى
تقدمها ورغب ان يعرف حالة هذان الملكان فيما اذا كانا باقيان على المحبة القديمة لخارجين

يعبر سيليقوس نهر السند

مع العتهم من عبوره نهر السند فعبره مباشرة ... ان يلقى اولى مقاومة ولما وصل مع
جيشه الى الشواطى المقابلة عرف من اول وهلة ويحتمل انه من هذين الملكين علم واعتقادا ان الشوكة
الحقيقية الموجودة فى يدى شندره جوبطه وانه شجاع باسل ماهر فى الحروب وانه ادخل فى جيشه
طرق نظام وترتيبات الجريق ومحارباتهم وان جيشه مؤلف من ٦٠٠٬٠٠٠ مقاتل من الخيالة
والمشاة ومعه عدد مهول من الفيلة وانه بهذه القوة الكبيرة اخضع كافة الهند العليا وانه
على سرعة التقدم فى الحضور لملتقا سيليقوس فى واقعة مهولة فتر لدى ما هذه الاخبار حد
الحمية والحرارة والحدة التى كانت متمكنة فى قلب سيليقوس حدا كبيرا سيما وانه ورد فى معسكره
فى هذا الوقت رسل من طرف الحكام المتحدة مع بعضها فى الحرب مع انطغنوس يحثونه مع الشدة على
عوده الى الاقاليم الغربية من حكومته ويضم كافة قوته الى قوة بطليموس من اجل خلاصهم
من القوة التى لاتغلب الموجودة تحت قيادة انطغنوس وابنه ديمطريوس او ديمترى فانهما
دمرا اسيا الصغرى وخربوها واخضعوا لاحكامهما المداين المشهوره من الجريس من بعد ان
دمروها فلما سمع سيليقوس اخبار نجاح عدوه الولد الكبير هاجت نار الغضب فى قلبه واخذت
النار فى كبده وصارت غلبته على شندره جوبطه من بعد ان كانت مطمح اماله مسيلة ثانوية فى
الاعتبار عنده من بعد ان كان على هياج وحدة كبيرة فى البطش والانتقام منه وراى انه ربما
تحصل له هزيمة وطرد من فوق السهول الهندية وتكون عاقبة ذلك غير محمودة عليه وسببا فى
دمار اماله واشغاله بالكلية حتى بعد ان تدبر وتردد طويلا فى امر هذا الموقع الخطر الذى دفع
فيه والحالة التى آل امره اليها راى انه من الحزم والعقل الدخول فى مخابرة فى الوقت مع شندره
جوبطه اجود واحسن له من الدخول والمخاطرة بنفسه معه فى واقعة مهلكة ربما تكون عاقبتها وخيمة
مع ملك حربى شديد البأس والقوة وكذلك شندره جوبطه مع ماكان عليه من كثرة قوته وعدته
فى العدد والعدة خاف ولو كان عزم عزما قويا مع الجسارة والبسالة على حماية ممالكه التى افتتحها جديدا
من كل غارة او هجوم يقع عليها من الجهات البرانية فانه ضنم على قلبه من هيبة قايد ماهر حربى
له تجلد وطاقة على تحمل مصاعب الامور وشهرة كبيرة فى الحروب وراى انه من العقل والحزم عدم
المخاطرة فى الحروب وربما تنفصل المادة بالمخابرات اجود من الاقدام عليها وعدم الراى فيها بان كل
حروب تكون سببا فى دمار المملكة وهلاك اهلها وتكون العاقبة وخيمة عليه ولما احاط شندره
جوبطه علما بما عقد عليه سيليقوس من العزم والنية ويحتمل ان معلومية ذلك كانت من جهة
بوروس او طاكسيليس استعد فى اصلاح ما بينهما من المحاربات بطريق الوداد والمحبة وتعين بعوثا
من كل من الطرفين لاجل الفصل فى الشروط الابتدايية لمعاهدة السلم بين الملكان المتحاربان ثم
تمموا الشروط الفاصلة للصلح الاخير الا ان شندره جوبطه لما راى نفسه انه فى قوة كبيرة فى مبادى
الحرب طلب نقل حد المملكة الهندية الى موضعه القديم وهو نهر اربيس من انهار عند روسيه (بلوجستا
بلوجستان) ومطلبه بذلك استحوازه فى الحقيقة ونقل الامر على عدة اقاليم غنية خصبة واقعة
فى الجهة الغربية من نهر السند ويعطى فى نظيرها خمسماية من اجود الفيلة الموجودة فى جيشه ووعد
ان يمد جيش سيليقوس عند ما يريد ويختار فتم الصلح على ذلك وكان رضا سيليقوس بهذه الشروط
انما انه خشى عواقب رديئة تحصل له فى هذه الاحوال الراهنة بالنظر لحالة موقعه مع انطغنوس
ورغب المحافظة على الاحوال الحاضرة من شوكة انطغنوس وشدة باسه او لشدة احتياجات
مصالحه انه فى ذلك الوقت للجيوش الموجودة فى اسيا ومع ماكان فان هذه الشروط هى التى حصل
الاتفاق

معاهدة سيليقوس مع شندره جوبطه

عليها بين شندره جوبطه وسيليقوس ووقع التصديق والتوقيع عليها وهى صيرورة نهر اربيس
الحد الفاصل للمملكة الهندية وتسليم خمسماية من اجود الفيلة الموجوده فى الاورمانات الهندية الى سيليقوس
وما وصل الينا من اخبار هذه الوقايع القديمة العهد والبعيدة الموقع الاثيا زهيدة جدا الا انه بالنظر
لما وقع من المحبة والوداد التى عقد فيما بعد بين هذان الملكان من طول مدة اقامة ميغاسطينس بصفة
سفير من طرف سيليقوس فى ديوان عاصمة باليبوثره قيل انه من المحتمل ان حصلت مقابلة رسمية بين
الملكين وماكان فى هذه المقابلة الرسمية التى اشتهرت فى ذلك الوقت الا اذا احترامات وتلطفات
من شندره جوبطه وتجريد سيليقوس من املاكه وحاز شندره جوبطه الذى كان اسكندر الاكبر امر
بقتله فى مدة ماكان فى معسكره بسبب جنايته وسيئة ظهرت عليه وكان امر القتل سببا فى هروبه من
المعسكر وكده واجتهاده حتى وصل الى الدرجة التى قابل سيليقوس عليها الدرجة العالية فى تدبيره فى
اعماله وسياسته على القايد المشهور حتى استلم منه كافة القلاع والمداين التى كان استحوذ عليها
الشجاع المقدونى اسكندر واخذ شوكة اسكندر واطفاها فى الهند بخمسماية فيل اداها لقاء يده
وحطم ما بقى من مقدونى شجعان اسكندر الذين كانوا يحاربون تحت بيرقه ثم انه لاجل زيادة اتصال
المحبة بين هذين الملكين قبل افتراقهما من بعضهما ذكر اسطرابو ان شندره جوبطه تزوج واحدة
من بنات سيليقوس وبهذا الزواج اختلط دم العايلتين فى بعضه وصار لكل منهما حق ثابت فى
الاريكة الهندية غير انه حصلت مناقضة كبيرة فى هذه الحكاية الغريبة وعدم وجود احتمال فى زواج
واحد هندى بابنة واحد يونانى حتى ولو بواحدة من بنات الاعراب وعرضت هذه المسئلة على علما
مدينة بنارس وهى المدينة المقدسة لحد هذا العهد عند الهنود فاجابوا بعدم وجود هذا الزواج مطلقا
وقالوا انه فى عهد شندره جوبطه كان اليونانيون فى احترام واجلال زايد وكانوا معدودون
انهم طايفة من طوايف الهنود ثم جلبوا على انفسهم غضب الامة الهندية وبغضها لهم بسبب ماكانوا
عليه من العنف والشح والسلب والخطف والخيانة فى كل شى فى وقت ماكانوا حكاما فى الاقاليم
الغربية الهندية الا ان مادة الزواج ما توقفت فضلا عن ان شندره جوبطه نفسه كان سودره
اى من الطايفة الدنية من جملة الامم وما اكد او دقق اسطرابو فى قوله ان شندره جوبطه تزوج
بابنة سيليقوس بل قال ان سيليقوس قوى المحالفة التى عقدها معه بمصاهرة حينئذ لا من هذه
المصاهرة ان سيليقوس ربما يكون هو الذى تزوج واحدة من بنات شندره جوبطه او يحتمل ان
سيليقوس كان له ابنة من الزنا غير شرعية زوجها شندره جوبطه وكانت ولدت فى فارس من بعد ان

عبور سيليقوس من البلاد الهندية

فتح اسكندر هذه المملكة ومع ماقيل فانه بواسطة المعاهدة والمصاهرة حفظ سيليقوس حينئذ
وعبر نهر السند ثانيا ورجع عايدا من اقصى غزوته الى اشوريا وشرع باتحاده مع بطليموس حليفه
فى استعدادات كبيرة من اجل اجراء هجوم عام باتحاد قواهما على انطغنوس ثم حصلت بينهم واقعة
كبيرة فى افسوس كانت نتيجتها دمار انطغنوس دمارا كليا والمشهور فى هذه الواقعة ان الفيلة
الهندية التى جلبها سيليقوس معه من الهند لميدان الحرب وكان عددها اربعماية فيل تجاه خمس وسبعون
فيلا فى جيش انطغنوس كان عليها مدار حظ الطالع السعيد الذى حصل لسيليقوس فى ذلك اليوم
لانه فى اثنا ماكان ديمتريوس او ديمترى بن انطغنوس فى راس خيالة ابيه فى كثرة عددها مشتغلا
بشدة تعقبه المهزومين من خيالة سيليقوس رتب سيليقوس بحذاقة ومهارته فى الحرب عموم
فيلته بين ديمترى وجيش ابوه الاصلى حتى قطع مواصلته به وصار لاطاقة لديمترى فى كونه رجل

محاربة سيليقوس مع انطغنوس وقتل انطغنوس

مددا لابيه واحاط عدوه المقصور من كل جانب وماكان اذعن بالتسليم بل كان مؤملا فى الخلاص
عند وصول ابنه المحبوب اليه مددا له واظهر مقاومة لعسكره فى انه لابد من حضور ابنه لخلاصهم
فصب عليه جيش سيليقوس مطرا من السهام والنبال رشقا واحدا وقطع منه فى الحال امله وحياته
وسقط من فوق ظهر حصانه على وجهه على الارض وبهذا هلك الفارس الذى غره طمعه وحبه فى
ان يكون سلطانا فى الدنيا الشرقية ثم انه لما مات انطغنوس وقع تقسيم جديد فى مملكة اسكندر

تقسيم مملكة اسكندر التقسيم الثانى

بين كبار قواده الاربعة الموجودين على قيد الحياة وهم بطليموس وكاسندر وليسماخوس و
سيليقوس واتفقوا سوية على ان كل واحد منهم يضيف لمملكته ما جاوره من اراضى انطغنوس
وتقلد كل واحد منهم على راسه تاجا امبراطوريا ورتبوا دواوينهم والفوا بهم بهيئة الدواوين الملوكية

الشرقية وكان القسم الذى حصل سيليقوس من تلك الاقسام الاربعة اكبرانسعا واعظم اقتدارا
وكان مشتملا على جهات سوريا والاقاليم العظيمة من اسيا العليا التى كانت منها مملكة فارس
القديمة وممتد من البحر الابيض المتوسط الى شواطى نهر السند وان لم يكن فلمدشواطى النهر الذى حدده
شندره جوبطه مع سيليقوس وجعله حدود المملكة الهندية ثم ان سيليقوس عكف نفسه فى ظرف
المدة التى اعقبت هياج الحروب المدمرة التى خربت اسيا وشوهت حالتها مدة طويلة من الزمن
فى زخرفة وزينة مملكته الجديدة باشغال كبيرة باهرة وذلك انه شيد مدينة سيليقوسيا او
سيليقويا على الضفة الغربية من نهر الدجلة وعلى مسافة اربعون ميلا من مدينة بابل وزينها
بالمبانى العمومية حتى صارت فيما بعد خصيمة لمدينة بابل فى الابهة وكثرة العمران والثروة وكذا
مدينة انطاكية التى مازالت موجودة لحد الان فانه هو الذى اسسها وشيدها على ضفة نهر
اورونطيس وزخرفها ووسعها وصارت اكثر ثروة واموالا وعمرانا حتى كانت تلقب بملكة
الشرق مدة عصور وانشأ عدة مداين كبيرة اخرى وجعلها اسواقا ومركزا لتجارة العالم ومقرا
للصنايع والعلوم فى المدة التى ازهرت فيها العايلة السيليقوسية فى تلك العصور وكان
سيليقوس فى مدة حياته ووجوده محبا للعلوم والمعارف والصنايع واجتهد فى نشره الحصول
على الصفات والخصال المحمودة المحبوبة التى بها صار ملكا نافعا لرعيته وقايدا كبيرا بعزده فى
ملاحم الحروب والوقايع واقام قواعد العدل وميزان الحق والقسط وعدم الشطط فى الاحكام
وحافظ بعين الغيرة والحمية قواعد طهارة الديانة واستدل على سياسته العفيفة وظماه لمعرفة
المعارف انه فعز من ارساله من مغاسطينس يقيم مدة طويلة فى صفة سفير له فى ديوان
شندره جوبطه كى يكون على دراية وخبرة من اراء هذا الملك الشديد اليأس والبطش ونصيحاته
ويكشف احوال تلك الاقاليم القاصية ويعرف تاريخ المملكة الداخلى والطبيعى ومن ثم لاريب
ولاشك ان مغاسطينس استحوذ على معارف هذه الاشيا جميعها حتى صار له طاقة على تأليف
تاريخ الهند وقد ذكرنا فيما سبق ما قاله مغاسطينس فى تاريخه فيما يتعلق بشندره جوبطه
ومملكة مجدها ولاحاجة لذكره هنا الا انه من المستحيل معرفة حدود مملكة مجدها من الجهة الجنوبية
فى مدة تلك العصور القديمة بما انه من المحتمل ان ملوك بجنوب جزيرة الهند كانوا حازوا فى حالة
استقلال بانفسهم فى القلاع والمعاقل الجبلية التى كانت مشيدة فوق روس جبال غات
وقال مغاسطينس ان الهنود يحسبون من باخوس الى شندره جوبطه مائة وثلاثة وخمسون
ملكا من سلسلة واحدة كانت مدة سلطنتهم ستة الاف سنة واثنان واربعون سنة وذهب
التسجيلات السنسكريتية الى ما اثبتت هذا الوجه حيث ذكرتها ان ننده ابو شندره
جوبطه كان هو ملك مجدها من الاصول القديمة وكانت مجدها فى حوزة اجداده من عصر
ايام كريشنه وهو باخوس الهند وان عدد ملوك العايلة الشمسية من ابتدا كورديشو الى
او كوش لا يزيدون على مائة والسنين محسوبة فيها فقط من ابتدا طوفان مينو ويحتمل
ان مينو هو نوح عليه السلام والله اعلم ومع هذا فانه من الدليل والبراهين فى ان السلطنة
الملوكية استمرت من دون انقطاع الى ان وصلت الى شندره جوبطه وانه ولوكان شندره
جوبطه اصغر اولاد ننده ودنى الاصل من جهة امه فانه جلس على التخت بسبب انه كان من
دم العايلة الملوكية

ولنرجع الى خلفا اسكندر فنقول انه من بعد ان قصصنا حكايات ارتقا سلطنة سيليقوس ذكر اعمال بطليموس لاغوس
وعلو درجتها وتجريده داخلا وخارجا من البلاد الهندية يلزمنا ان نذكر هنا طرفا من الاعمال
المشهورة القديمة التى اجراها بطليموس لاغوس مؤسس العايلة البطليموسية فى الديار
المصرية بما ان هذه الاعمال لها دخل فى الاعمال والتاريخ الهندى فاقول ان هذا القايد المشهور
الذكر والصفات اتبع ما كان عليه رئيسه الكبير اسكندر فيما كان عزم عليه من التحسينات الواسعة
والاوراث الشاسعة فى تاسيس مدينة اسكندرية حتى اخذت هذه المدينة فى سرعة التقدم
والعمران وصارت عاصمة الديار المصرية ومقر سلاطينها البطليموسية مع ما كان عليه من جده
وكده

وكده فى ارتقا سعادة المملكة ونجاحها بحيث ما بلغ احد من اخصامه ما وصل اليه من الشهرة
وجميل الذكر واسس هذه الجلالة وهذا السمو على قواعد عميقة الاساس وساعده على ذلك ثروة
قدرته وكان له ابهة وفخفخة كبيرة فى قاعة السلم ومهارة وشجاعة فى ميدان الحرب ورأى وحزم
وجسارة فى الاعمال حتى ذلل ما قابله من المصاعب من طبيعة موقع المدينة وصيرها سوق تجارة
العالم ومركز دايرة العلم والكمال وفى اثنا ما كان فى حروب متتابعة مع اخصامه والدخلا على
اعداه فى ميدان الاراضى التى رجع عن الاراضى المصرية لم يهمل طرفة عين فى المداومة والمواظبة فى
مملكته فى حصوص المطالب الكبيرة التى تقربها عين السرور ودوام الخير والوصول الى درجة الكمال
وانشأ فى صحرا رملية واسعة صهاريج من حجر المرمر وشق الخلجان والترع لجريان مياه نهر النيل
وتوزيعها فى داخل مدينة اسكندرية وانشأ مينتان ورصيفا مهولا كبيرا وفنارا تغرص عجايب
الدنيا فى ما بين فروع من الارض داخلة فى البحر
تزعق عليها امواج مياه البحر الابيض المتوسط
وشيد مبانى مفتخرة ودار عجايب

عجيبة ومراكب عزيمة وسراية ملوكية
ظريفة وهياكل ومعابد كبيرة للالهة
بمحبة قلبية وسخاوة يدية ورغبة
فى العلوم وغيرة فى الديانة
وبالجملة فان كافة الاشيا
التى كان يرغبها اسكندر فى
اثنا وضع اساس هذه المدينة
اكملها بطليموس مع الصدق والذمة
وفى اثنا ما كانت حكومات اخوانه
من القواد الاخر مركزا للثورات و
التعصبات والفتن ودور مفر الهياج
والشغب كانت مصر فى غاية الثبات والتوطيد
واستتباب الامن والراحة وبواسطة هذه الحالة
وما كان عليه بطليموس لاغوس من المهارة والحزم
فى تدبير وادارة الاعمال العمومية بالعدل والقسط حضر ارباب
الكمالات من الاغراب وعلية الرجال وارباب الفنون والصنايع سيما الذين
لهم خبرة ودراية وبراعة كاملة فى فن العمارات او اشغال البحر واغدق عليهم بالانعام والاحسان
فوفدوا الى مصر افواجا واسرابا واحسن نزلهم ومثواهم ثم ان ما كان فيه البطليموسية من المحاربات فى
البر من اجل المحافظة على ممالكهم ودولتهم فانه هذا المحل لا علاقة له بها واما ذكر حروب سيليقوس هنا
فلكونه كان مشهورا مدة من الزمن بانه كان ملك الهند ومن المحتمل انه ما تنازل عن هذا اللقب فى
مدة حياته بسبب ما كان يأخذه من الخراج من هذه المملكة واما اجراءات بطليموس ومساعيه فى
اعتصابه الدولة البحرية مع اى اصلاح التجارية فان التاريخ الهندى له ارتباط فى تلك المدة القديمة
بها فكان من احد المطالب الاولية التى عزم عليها بطليموس لاغوس ان يكون عنده قوة بحرية كبيرة
من اجل تسهيل وحماية التجارة المصرية على اجرا اشغالها بحيث ان انهار التجارة تنصب فى مصر من خلجان
ومجارى عديدة ومن حيث ان التجارة الهندية اجل فيه ومقدارا وكان لها من الارباح ومقاصد
مخصوصة وفى حالة ما كان سيليقوس يبيع حقه ويستبدله فى ارض الهند بقبيلة ظريفة كان بطليموس
باذل جهده وما فى طاقته فى نشره الحصول على الحالة التى يوطد لمصر بها محصولات ارض الهند فنجح
فى ذلك فى مدة سلطنته الطويلة التى لبثت اربعة وثلاثون سنة وولو انها كانت هشتكية بعض
الشقوق والاورتيا كانت ثم ان شرق تمام هذا المشروع الى الخليفة من بعده ومات بطليموس لاغوس
من بعد ان تقدم كثيرا فى السن وبلغ من العمر اربعة وثمانون سنة وخلفه من بعد ابنه بطليموس

فيلادلفوس او فيلادلف وكانت حرارة قلبه وشدة عزمه في ابتداء ما كان عليه ابوه من العزم
ليست باقل من حرارة ابيه وشرع في تنفيذ وتمام التصميمات اللازمة لاسكندرية حتى تكون في اقصى
درجة من درجات الكمال ولاجل اتمام نتيجة هذه الاعمال على قدر ما في طاقته وصيرورة اسكندرية سوقا
جامعا لتجارة اوروبا واسيا شرع في مبادي سلطنته بشق خليج جديد عرضه مائة ذراع وعمقه
ثلاثون ذراعا واصلا بين مدينة القلزم الواقعة في اقصى الطرف الجنوبي من البحر الاحمر بالقرب
من موقع مدينة السويس الحالية وبين الفرع البيلوزي (الفرما) من النيل وكانت هذه الحالة اي
حالة اتصال البحر الاحمر بنهر النيل شرع فيها في المدة القديمة الفرعون نيخو طمعا في توسيع دايرة
سعادة قومه وثروتها فعارضه في هذا النهر طائفة القسس مع غاية الشره واقنعوه بالعقايد
الدينية على انه لا يمكنه ان يفعل شيئا مثل هذا يتولد منه نجاسة كلية غليظة في مياه نيلهم المقدس
الطاهرة من مياه البحر الارثريائي وفضلا عن هذا انهم زعموا وخشوا بالنظر لحالة موقعهم
الجغرافي ان تصير ارض مصر من جهة البحر الابيض المتوسط بحيرة راكدة وتغرق ارض مزارعها من هجوم
مياه البحر الاحمر عليها وكانوا يحكمون بان مياهه اعلى من ارض مصر ومع ما فيه فان نيخو حارب
ما قالوه القسس من الانذارات واشتغل بشق هذا الخليج ولما فقد في شغله نحو من ١٠٠٠٠٠ انفس
وكل وتعب من شغله تركه فاستمر الخليج هذا وكان من دون تمام شغل الى حد سلطنة دارا من ملوك
العائلة الفارسية المصرية فامر دارا بالشروع في تمام شغل الخليج الا انه مات من قبل ان يتم الشغل
فذلك الى ان كان زمن بطليموس فيلادلف حتى تم شغله وذكر اسطرابو ان عرض الخليج كان كافيا
لسير سفينتان من ذوات الثلاث صفوف من المقاريف يسيران بالعرض في جانب بعضهما وفي
طرفيه حواجز قوية محكمة الوضع من اجل المحافظة على ان تكون فيه المياه بارتفاع ملايم ومدة
سفر الملاحة فيه اربعة ايام ثم بواسطة اسباب كبيرة يأتي ذكرها ترك هذا الخليج ان العمل
الكبير والشغل الجسيم الذي صار فعله في برزخ السويس طم وعمي الى ان جا الوقت الذي فيه كلوبطرا
ارادت تفر بها على خط شرق فقد حياتها ومملكتها من جهة القياصرة الرومانية ورغبت الهرب من
هذا القطع الى خليج العرب فوجدت انه لا يمكن العبور منه ولو بالقوارب الصغيرة وبسبب ما حصل
من كثرة اشتغال الملوك بهذا الخليج واهتمامهم به اطلق عليه في الخرط الجغرافية القديمة اسم خليج
الملوك ولما خاب بطليموس فيلادلف من هذا المشروع الجليل وما زال كان على عزم حفظ وتوطيد
منافع التجارة ومكاسبها لمدينة اسكندرية على قدر ما في وسعه وامكانه وكانت هذه التجارة جارية
في ذلك الوقت بكثرة بين مصر وبلاد العرب واثيوبيه والهند شرع في مشروعين اخرين جليلين
ونجح فيهما وكان اول المشروعين انشاء اسطول قوي ما استحوذت مصر على مثله من قبل والمشروع
الاخر فتح طريق جديد واصل من نهر النيل مستقيما في قطع الصحاري والبراري الى جهة من البحر
الاحمر فيه السفن اليها بغاية السلامة وتكون اقرب طريق في الملاحة الى فم الخليج او البحر الاحمر
وهو فم باب المندب الان لان كثرة الشعوب والحواجز الرملية التي كان القسم الشمالي من البحر الاحمر
مشحونا بها وخطرة جدا على السفر والملاحة وكذا العواصف الشديدة واختلاف الرياح المهولة
الى حين منها ارتجاج مياه البحر وعلو امواج وكانت قلوب الملاحين ملآنة منها بالفزع والفرق والخوف
الشديد كان الملاح بمجرد انحداره في الخليج يرى ان اهوال الاخطار والموت احاطت به من كل جانب
ولا يرى في اثناء انحداره عينه سفينة يلتجئ فيها من شدة العواصف والتلاطم ولا دليل في مثل
هذه الجهات المهولة يدله على طريق السلامة والنجاة ويعهد اليه توجيه سفر مركبه الى محل السلامة
وكان يرى من جهة بر العرب الخائنين واللصوص منهم يرغبون اخذ امواله ويشحنونه والحج في
بر اثيوبيه ظمآنين ومحتاجين شرب دمه فكانت هذه هي الاسباب التي الزمت فيلادلف على
ترك الخليج الذي ذكره والشروع في هذين المشروعين ومهما كان من الاخطار العديدة هذه الملاحة
ومهارة الملاحين في اشغال سفر البحر وطول التجارب في الاسفار والجرأة في الاقدام عليها فان
الفنيقيين اشتهروا بمشروعاتهم واسفارهم البحرية وصاروا هم وحدهم كفوا لهذه الاعمال حتى استحوذوا
مدة طويلة من الزمن على منافع ومكاسب التجارية التي كانت جارية من هذا الطريق الى سواحل بلاد

فائدة [illegible]

اليمن من بلاد العرب والى بلاد الهند من دون الامم الاخرى
بلاد الموجودة في الجهات الغربية من كرة العالم فكانت ازالة
مثل هذه العوائق والموانع من اجل فتح تجارة بين
مصر واسيا والمحافظة على امن اسيا لازمة لهذه
التجارة على سواحل اسيا الغربي حصة كبيرة
شغلت افكار الملك بطليموس فيلادلف
مدة من الزمن وكانت نتيجة احترازاته
وتدبيراته وغزارة سياسته ان...
عزم في اخر امره على فتح هذا...
الطريق الجديد من اجل المواصلة ليس فقط
في جهة في الديار المصرية يكون
محل العبور بين النيل والبحر
الاحمر قصير المسافة جدا
لانه في بعض الجهات يزيد
عرض البرية الواقعة بين
النيل والبحر الاحمر عن مائة
ميل في النادر وهذه المسافة
الواقعة على الخصوص بين مدينة
قنا الحالية الواقعة على الشاطئ
الشرقي من نهر النيل وبين
مدينة القصير وهي الطريق التي يسلكها قوافل
الحجاج في مدة موسم الحج الى مكة بل وفي محل
حسن العاقبة ولا يكون السفر منه بعيد
الشقة من البر ولا يحتاج الامر لمشاق
الملاحة في بحر ذي شعوب وعواصف شديدة
ينذر منها الخطر الاكبر للتجارة ونظر
الطالع عند ممارسة خريطة مصر ان النيل
من بعد نزوله من الشلالات ينثني في مجراه
نحو صحاري ليبيا في اتجاه واحد مع اتجاه ثم
نصف دائرة الجبال الداخلة
فينثني في مجراه
نحو الشرق حتى
يقرب نوعا من
خليج العرب ويوجد
في منعطفه الشرقية
الشيب مرتفع قائم
عليه مدينة قفط القديمة
ومن قربها الى اسكندرية
٣٠٣ ميل
فشق بطليموس الى هذه المدينة خليجا واسعا
من النيل لا زالت واقعة مباشرة على شطها
كبير العرض والعمق يسع اكبر السفن الكبيرة الحمولة المستعملة في ذلك الوقت وجعلها سوقا داخليا
ومركزا لدايرة التجارة بينها وبين مدينة اخرى ابتناها على ساحل البحر الاحمر تحت خط المنطقة
الحارة وسماها برنيس على اسم امه برنيس وكانت هذه المدينة قائمة في ناحية من راس داخل في
البحر الاحمر وفي موقع قريب من فم اي باب المندب ومن ثم كانت لا توجد صعوبة ولا تأخير في ورود
السفن واستقبالها في المينة او خروجها منها وكانت المينة منفصلة بمينة واسعة محفوظة بالراس

الداخل في الأثنى اسطولا من السفن كثير العدد محفوظة سفنه من غائلة الرياح في مدة الشحن والاستقبال ومما وهب بطليموس فيلادلف مؤسس هذه المدينة والمينا من كثرة الاشغال او زيارة المصاريف التي صيرها بها سوقا واسعا جامعا كافة التجارات التي تحمل اليها من نواحي داخل ممالكه والهند وفارس وبلاد العرب وكانت هذه التجارة ذات منافع واموال جمة عمت فوائدها ايضا على اهل صيدا وقرطاجة وتولد من ظرافة مينتها الواسعة وسلامتها وحسن خاناتها اي المحلات اللازمة لراحة الاغراب الواردين من كل جهة من الامم وسعة المباني والمخازن المعدة لتخزين اصناف المشحونات الثمينة الواردة من جهات الشرق وما كان عليه التجار من حقوق الشرف والامتيازات والحرية وقوة الجيش الذي كانا معدودا للمحافظة على املاك هؤلاء التجار ورود وسوق التجارات الى مدينة برنيس من اقصى الجهات الجنوبية من قارتي افريقية واسيا فكان العرب يأتون اليها بانواع البهارات واصناف اللبان والبخور والعقاقير الثمينة والاثيوبيون يأتون اليها بالذهب واصناف الابنوس والعاج او سن الفيل وترسل الفرس اليها تحايف وظرايف مشغولاتهم من الحرير والديباج والبسط وتنزل التاتار بتجاراتهم في نهر السند من جبالها ومغراوطانها وتاتي الى هذا السوق بمسك بلاد التبت وراوند سيبريا واجود الفرو الشمالي والتحايف الهندية مثل الاشغال القطنية واصناف العطريات وانواع الجواهر وكان الازدحام في بيع التجارات او مقايضة بعضها ببعض في سوق واحد موجود فيه من عموم الامة المختلفة موراثة وسرور في كافة اشغالهم وكان عليه مدار فخر الدنيا الغربية وكان يباع في هذا السوق ايضا تحايف التجارة وانواع البهارات المجلوبة من اقاليم المنطقة الحارة لقارة اسيا وتدفع التجار العوائد الملائمة من طرفها للمينة ويرجعون سالمين بالبضايع التي اشتروها او قايضوا عليها الى بلادهم واما التجار الذين جاؤا في شأن وطلب التجارات والبضايع الاوروباوية فانهم كانوا ينتظرون ورود القوافل الاتية من مدينة قبط وكانت هذه المدينة على ما ذكره بليني بعيدة من برنيس بمسافة قدرها مايتان وثمانية وخمسون ميلا عابرة من صحراء طيبة او صحراء عيذاب ومن حيث ان بليني واسترابو هما اللذان نقلنا عنهما هذه الحكاية ومعرفة حقيقة الطريق التي كانت تمر منها هذه التجارة الجديدة فيلزمنا ان نشرح كلاما قاله كل منهما في هذه المادة على حدته فنقول ان استرابو الذي كان على قيد الحياة في اثنا ما كانت التجارة الاسكندرانية مع التجارة الهندية في اقصى درجات الاوج في التقدم قال ان مدينة قبط كان اهلها وسكانها بعضهم من المصريين وبعضهم من العرب وان بطليموس فيلادلف اول ملك من ملوك العائلات المصرية فتح بجيشه طريقا بين مدينة قبط ومدينة برنيس قاطعا صحراء عيذاب السعة الخالية من المياه وشيد في طول هذه الطريق خانات ومنازل او محطات على مسافات ملائمة ووضع فيها كل ما يحتاج اليها من لوازمات الراحة للمسافرين على اقدامهم او راكبين على جمالهم وكان الخطر والضرر المتوالي الواقع في الملاحة في الجهات الشمالية من البحر الاحمر هي الاسباب التي بها هاجت الحمية وشدة الحرارة في قلب فيلادلف حتى شرع في هذا المشروع الجليل وكانت المكاسب والارباح التي نتجت من التجارة دلالة على جودة هذا العمل وما حصل منه من المنافع ومن بعد تمام شغله صارت تنقل محصولات بلاد العرب والاثيوبية والهند من طريق خليج العرب الى مدينة قبط وما زالت هذه المدينة زاهرة عامرة الى ايام عصره وسوقا جامعا لتجارة الشرق ثم انقطع تفريغ مشحونات المراكب من جهة مدينة برنيس بسبب وعرة الطريق وعدم امنيتها وانتقلت المراكب الى مينة ميازهرمز والظاهر مينة القصير الان وكان في هذه المينة اسطول واقف على الدوام منتظر ورود البضايع وكانت العادة الجارية في الابتداء ان سفر هذه الطريق على الجمال في مدة الليل خشية من شدة حرارة الشمس في النهار وهبوب رياح السموم بسبب قربها من خط الاستواء وكان المسافرون يهتدون في الليل من طريق الصحراء على رؤية الكواكب مثل الملاحين في البحر ويلتزموا على كونهم يتزودوا بالمؤونة والمياه الكافية لمدة ستة ايام او سبعة وكانوا ياخذون بعض المياه اللازمة لهم في

من ابار عميقة جدا وحشبان محفورة من اجل هذا الخصوص وكان يوجد في الطريق وما جاورها بعض من صنف معادن احجار الزمرد وبعض من اصناف الاحجار الكريمة وكانت العرب مشغولة على الدوام بالتفتيش والبحث عن هذه المعادن

واما بليني فانه من بعد ان ذكر ان الرومانيين كانوا في عصره يرسلون كل سنة اسطولا من اوروبا الى الهند مشحونا ببضايع وتحايف تبلغ قيمتها خمسون مليونا من السيسترات اي عبارة عن نحو اربعماية الف ليرا وان مكاسب هذه البضايع من بعد الصرف الواسع عليها في سفر طويل مثل هذا يعود التجار الى اسواق بلادهم بارباح لغاية ماية ذكر لنا دقايق التفاصيل الاتية فقال ان شحنة الاسطول السنوي كانت تقلدها تجار روما عندما تصل الى اسكندرية يجري نزولها فيها ثم تنقل الى يولوبوليس على مسافة ميلين من اسكندرية ثم تشحن منها في سفن في نهر النيل الى حد مدينة قبط على مسافة ثلاثمائة وثلاثة اميال فاذا كان ريح الطياب معتدلا كانت مدة سفر تلك المسافة اثنى عشر يوما وتفرغ المراكب مشحوناتها في مدينة قبط ومنها تنقل على ظهور الجمال الى مدينة برنيس وهي مسافة مايتان وثمانية وخمسون ميلا من قبط ومدة السفر اثنى عشر يوما فتوضع في مخازن معدودة لها حتى يهل الفصل الموافق من السنة للسفر بها وهو وقت حلول كوكب الشعرا اليمانية او منتصف فصل الصيف وعند ما يتم شحن البضايع في المراكب تسافر مباشرة الى ساحل بلاد العرب وتصل في ظرف ثلاثون يوما الى مينة عوشيليس المعروفة عند المتاخرين باسم مينة غيلا الواقعة في فم الخليج العربي او باب المندب ثم تسير الاسطول الى كالي المعروف عند المتاخرين بروتس ذو طاق من ارض سبا المعروفة بارض البخور واللبان ثم منها الى مينة جزيرة مينة اخرى من مين بلاد اليمن ثم المين المطروقة بتجار البلاد فيبيع الاسطول ويقايض مع العرب في اللبان والعقاقير وانواع البهارات ويعطي بدل ذلك اصناف اسلحة وسكاكين واصناف العاب مختلفة من المعامل الاوروباوية ثم ينتقل من تلك المين العربية حتى يصل في ظرف اربعون يوما الى مينة موزيريس اول اسواق التجارات الهندية ثم منها الى المين الهندية في طلب اسواق التجارة ثم يعود من البلاد الهندية في اول شهر ديسمبره الموافق شهر طوبه من الشهور المصرية او قبل اليوم السادس من شهر امشير وتعود التجارة من الطريق التي كانت سافرت منها الى اسكندرية في ظرف ثلاث شهور وتصل الى ايطاليا في ظرف تمام سنة من ابتداء تمام اليوم الذي كانت سافرت فيه ثم ان الجهات الواقعة على الطريق من اسكندرية الى الهند ومسافة بعدها عن بعضها في مدة السفر من طريق البر والبحر هي كما المذكورة في الجدول الاتي

ايام	اميال	
١٢	٢	من اسكندرية الى يولوبوليس
١٢	٣٠٣	من يولوبوليس الى قبط
٣٠	٢٥٨	من قبط الى برنيس
٤٠	...	من برنيس الى عوشيليس
	...	من عوشيليس الى موزيريس
٩٤ ايام	٥٦٣ اميال	

اي ان مسافة السفر في داخل ارض مصر خمسماية وثلاثة وستون ميلا ومدة السفر الى الهند اربعة وتسعون يوما من اسكندرية الى اول الاسواق الهندية

وكان الاسطول يسافر من الهند تحويل عند هبوب الرياح الشمالية الشرقية وعند دخوله في خليج يسير مباشرة الى برنيس في هبوب الريح الجنوبي او الجنوبي الغربي وقال بليني ان فيلادلف من اجل تيسير الحصول على كافة الاخبار الممكن تيسر الحصول عليها المخصوصة بداخلية البلاد الهندية ومعرفة الموقع الجغرافي لمراكزها التجارية الكبيرة واختلاف محصولاتها وسعة تجارتها ارسل لهذه الاماكن ديونوسيوس وكان عالما مشهورا في عصره في الرياضيات والفلكيات وحصل النفع العام بما جاء به من مثل هذه الاخبار المخصوصة بعوائد البلاد الهندية وعظم ادارتها وحسن سياستها واحكامها وكذا لاجل ان يأمن على حالة التجارة الواسعة التي دبر امرها بالحالة التي صارت عليها من قطع ونهب لصوص الاعراب الواضح منهم الفساد في البحر الاحمر وبره في كل حال واوان

٩١

وبث اسطولاً ضخماً ثابت الوضع في مناحي البحر الاحمر بالقرب من مدينة برنيس واسطولاً اخر اكبر منه عدة وعتاداً واعدة للمحافظة على مدينة اسكندرية وحمايتها والتجارات الواردة اليها والخارجة منها فاما عدد سفن الاسطول الذي كان حربياً في الاحمر فاني ما وقفت لاحد من قدماء المورخين على مقدار سفنه وتفاصيل احواله واما الاسطول الذي كان واقفاً في البحر الابيض المتوسط فقد وجدت له قايمة ذكرها اسطرابو مع غاية الضبط مقدار سفنه فكان مؤلفاً من سفينتين من ذوات الثلاثون مقدافاً في كل جهة وواحدة بعشرين مقدافاً واربعة باربع عشرة مقدافاً واثنان باثني عشره مقدافاً واربعة عشرة باحد عشرة مقدافاً وثلاثون بتسعة مقاديف وسبعة وثلاثون بسبعة مقاديف وخمسة بست مقاديف وسبعة عشرة بخمسة وغير هذا عدد كبير من السفن ذات الاربع مقاديف او الثلاثة في كل جهة ولم يحفظ بهذين الاسطولين لمصر التجارة الهندية وبحيرها فقط بل وحفظ لطاعته في طول مدة حياته اغلب الاقاليم البحرية من اسيا الصغرى وما شيد هذا الملك القوي البأس السياسي على خليج العرب وما جاوره مداين وحصون فقط بل ومن المحتمل انه كان من رايه دعار ما بقي من اثار التجارة التي كانت عليها مدينة صور فانا نسقى منها في ساحل فلسطين وبالقرب منها مدينة وسماها بطليموسية وهي مدينة عكا الحالية وزخرفها وزينها وجعل لها مرفاة واسعة واستمرت هذه المدينة مدة عصور قايمة سوق تجارة مشهور كانت سوريا وما جاورها من اقاليم اسيا ناخذ منه البضايع والتحايف الاوروباوية وكانت بطليموسية واقعة في الجهة الغربية من فلسطين الا انه لاجل المحافظة على كل طريق ومجرى ما يمكن لبضايع ومحصولات الدنيا الغربية ان تجده طريقاً ثم منه الى اسيا العليا والى البلاد الهندية شيد بطليموس فيلادلف في الجهة الشرقية من فلسطين مدينة اخرى سماها فيلادلفيا ومن ثم استحوذ تمام الاستحواذ على المخرجين الكبيرين لتجارة الشرق وسارت القوافل على البر بالتجارة ما طريق تدمر في الصحرا برخصة من العايلة السيليقوسية الى نهر الفرات ومنه الى خليج فارس فهذا طريق والطريق الاخر مار من قلب مملكته وهو طريق اسكندرية وقفط وبرنيس وكانت المطالب الكبيرة لهذه التجارة الواسعة محتاجة لاساطيل وجيوش مناسبة في العدد والعدة والقوة للمحافظة عليها ومن اجل هذا تحققنا من قدماء المورخين ان عدد السفن الحربية التي كانت مشكلة العمارة البحرية المصرية في مدة سلطنة بطليموس فيلادلف بلغ مقدارها الى الف وخمساية سفينة حربية والف سفينة من سفن النقل ملازمة لها ومقدار الجيش الثابت كان مؤلفاً من ٢٠٠٠٠٠ مقاتل من المشاة و ٢٠٠٠٠ من الخيالة و ٢٠٠٠ عربة حربية و ٤٠٠ فيل وكانت المصاريف الجاري صرفها في هذه المشروعات الجليلة مفتخرة وكثيرة وصارت اسكندرية في ظرف مدة قليلة خزينة اموال العالم فهذه كانت مبادي الاعمال التجارية التي كانت جارية بين مصر والبلاد الهندية وفي هذا القدر كفاية لمن اراد الاطلاع والله اعلم بالصواب

الفصل السابع

في ذكر استمرار وجود المحبة المتينة بين سندره جوبطه وسيليقوس وانتشار شوكة العايلة الجريقية في بنالو وحكايات طغره وبلوثانه من المداين القديمة في الدكن اي الهند الجنوبية والكلام على التجارة الواسعة التي اجراها الجريق مع اسيا الشمالية واوروبا وذكر الخط الغريب الذي كان عليه القدما في شأن بحر الخزر والسكك المختلفة التي كانت تمر منها قوافل التجارة في اسيا الشمالية ثم العود لذكر تاريخ العايلة السيليقوسية وقتل سيليقوس وموت سندره جوبطه وخلافة ابنه اليتروشاديش وما ذكره مورخي اهل الهند في حق هذا الملك والخلفا مباشرة من بعده على تخت المملكة الهندية وحقايقها مع التلخيصات التي ذكرها الجريق الذين كانوا موجودين في هذه المدة في مؤلفاتهم المخصوصة بهولاء الملوك

ومن المحتمل ان سيليقوس في المدة التي كانت باقية من عمره عندما استشعر بصفا المودة والمحبة من نواحي سندره جوبطه حزم رايه في زيادة عزمها واحسن ربط العلاقات بين بعضهما واستتباب رسوخ الامن والراحة بسفراه الذين كان يرسلهم من طرفه في ديوان سندره جوبطه وكان ذلك

٩١

ذلك عذوريا لكل من الوثنيين وكان ذلك في غاية كبيرة من الوهم ولو اني لم احقق مطلقاً باي شيء من الاقوال المندرجة في تآليف القليل من مورخي هذه المدة البعيدة ان سيليقوس استمر مدداً من الزمن يأخذ مطلوبات جيشه من تلك الفيلة التي كانت على جانب عظيم عدده وكانت في الحقيقة خراجاً تحت نعومة اسم هدية من اجل عدم حصول ارتباك او قلقلة في استحواذات التخت الهندي برسل سفرا الى قيس العايلة المقدونية السورية وقالوا ان سندره جوبطه ما غرس محبة سيليقوس ووداده بهدايا خاصة بالعسكرية فقط بل وتطرف في اصلاح ما يسره ويشرح صدره في سرايته فكان يرسل اليه بعض العقاقير والجذور الغالية الثمن التي كان يحتاجها في سرايته والظاهر انه في هذه المدة استجمعت عايلة الملوك الجريقية الذين ذكرنا فيما سبق انهم قطنوا في مدينة بنالو او بالقرب منها على شوكة كبيرة ودولة جليلة في تلك الاقليم ومن كثرة التجارة التي كانت جارية بين رعاياهم مع مصر والعرب وبلاد فارس من جهة ومع عدم اقليم البحيث جزيرة الى ماورا جبال بلاغوت وحتى الى نفس نهر الكنج من جهة اخرى كانت تأتيهم كل يوم ايرادات واسعة وفي الواقع ونفس الامر فان التجارة التي كانت تحمل من باريغازه وباروش الحالية الواقعة على الشط الشرقي من خليج كنبايه في شرف الجوهرات الى داخل البحيث جزيرة يظهر انها كانت في اخر الامر سبباً في فتح طريق لفتح قسم من اقاليمها لو تأخذهنا من وصف السكوكات المندرجة في تاريخ الملوك الجريقية في مملكة باكطريا كما سنذكره في الفصل الاتي بعد هذا انه في مدة ليست بعيدة جداً تواجد في تلك اسم ميناندر من المحتمل انه واحد من الملوك الجريقية لهذه العايلة قطع كافة اعلى المنصب طريقه من وسط قلب الهند الى سلسلة الجبال الشمالية وعبر هذه السلسلة الفاصلة البلاد الهندية من باكطريا وتحول حتى دخل عاصمة الملوك الباكطريانية وتشكل اتصال المملكة الجريقية الجنوبية بمملكة باكطريا ومن بعد هذا الاتصال الذي اجراه ميناندر اتحد المملكتان في جامعة واحدة اي دا عيا وهما كانتا عليه من بعد المسافة وذكر اسطرابو انه من بعد مضي مدة قليلة انضم اليهما مملكة بتيفير الواقعة مباشرة تحت فم نهر السند او واقعة على ساحل المليبار ثم صارت بعد ذلك سوق جامع لتجارة واسعة من تجار العرب والمصريين وقال بعض المورخين ان اسكندر كان وصل الى نهر الكنج ومن بعد ذكر النقود التي وجدت في مدينة ريغازه او باروش وعليها صورة ميناندر ذكر ملحوظة على مدينة اوزيني الواقعة في الناحية الشرقية من الهند وقال انها كانت من عهد زمن طويل مقر عايلة ملوكية وزارها الجريق وذكر بطليموس ايضاً مدينة اوزيني والظاهر انها هي مدينة اوجيني عاصمة ايالة مالوه وذكر فريشته ان الذي شيد مدينة اوجيني واسسها بكيرماجيت او ويكرماديتيا ويغلب على ظني انه الملك ويكرماديطيا اشوكا الذي تقدم ذكره في ملوك مجدها وكان ذلك بالقرب من مبدا التاريخ المسيحي ومن المحتمل ايضاً ان ذلك كان من بعد طرد ما كان باقياً من سكان المستعمرات الجريقية وقرر بلينى ايضاً ان سيليقوس وصل في المدة الاخيرة من سلطنته الى نهر الكنج وحتى الى مصبه غير ان هذه الاقوال عديمة الوقوع بالكلية لانه لو كان حقيقياً فان حقيقته تكون من وجه واحد فقط وذلك انه يحتمل ان واحداً من المحاربين من الملوك الباكطريانيين او من القواد تحول في داخل الهند من جهة ممالكهم الغربية الواقعة بالقرب من مصب نهر السند وفي ذلك الوقت كانت مدينتي طغره وبلوثانه اشهر المداين تجارة في الجهات الجنوبية من البلاد الهندية المعروفة باسم الدكهن وطغره هي نفس مدينة دوغير وهي محل قديم جداً الان مشهور في كافة انحا الهند بسبب ما جاوره من باجودات (معابد) ايلوره ومقرها الان مشغول بمدينة دولت اباد واما مدينة بلوثانه فان هذا الاسم ما زال موجوداً عند المترجمين باسم بولتانه الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر جوداوري وعلى بعد ٢١٧ ميل من جنوب باروش او باريغازه وكانت مدينة طغره عاصمة اقليم كان معروفاً عند الجريق باسم اريا كا واليوم هو اورنج اباد وذكر ارباب التاريخ ان تلك المدينة كانت في غاية الاتساع وكانت محصولات الاقليم في ذلك العهد القديم منحصرة بالخصوص في صنف الخيش وكان القصدير من هذا الصنف بوفرة وكذلك اصناف الاقمشة من الشاش والاقمشة القطن الملونة بالارجواني المايل او الضارب للبياض والمنقوشة بالازهار والاوراق الخضرة وكانت كافة اصناف المواد التجارية والبضايع في عموم انحا الدكهن تجلب الى

مدينة طغره ويرسل منها الى باريغازه وكانت على مسافة عشرة ايام سفر في جهة الشرق نحو بلوثانه وبلوثانه على مسافة عشرين يوما سفر نحو الجنوب الى مدينة باروش وكان الطريق الموصل من طغره الى باروش او باريغازه مارا من دروب جبال بلاغوت وكانوا ينقلون البضايع من دروب هذا الجبل بواسطة عربات فيسير كل يوم مسافة خمس كوساث اي احد عشر ميل انكليزي في اليوم الواحد وكانت مدة السفر المعتاد مع عربات ثقيلة الحمل بحساب ان العشرين يوما التي كانت تمضي في قطع هذه المسافة بحساب كل يوم احد عشر ميلا في كل يوم كما سبق وكان يوجد في ضواحي حجر الجزء اليمانى وبعضها حجارة بكثرة واردة مع تيارات مجاري المياه النازلة من الجبال وقال اريان ان طغره واقعة على مسافة عشرة ايام من بلوثانه فاذا تكون على مسافة فوق مائة ميل وفي نصف الطريق بين هذين السوقين المشهورين واقع مدينة بيتانه او بيثنم او بيثن الحالية وذكر مورخي الجريك انها كانت مقرا ملوكيا لراجا او ملكا اسمه سبتهن سيرد ذكره ويغلب على وجه الظن انه هو سبيبولينوس الذي كان معروفا عند بطليموس واسترت طغره او روعيره عاصمة ذلك القسم من الهند الى اواخر القرن الحادي عشر من التاريخ المسيحي ومن الغرايب ان راجا طغره كان مستحوذا على قسم عظيم من ساحل البحر وكانت كافة التجارة تحمل من طريق البر مع ان ذلك ما كان كذلك في المدة الغابرة فانه لما وصل الجريك الى الدكهن كانت البضايع تجلب الى كاليان بالقرب من بمباى ثم تشحن في السفن والمراكب ثم قال اريان ان راجا لوريكا او لور المدعو سنبر ... ما حصل للجريك سواء كان في كاليان او في المين التابعة له الموجودة على ساحل البحر ما عدا في باروش واذا وجد واحد منهم في كاليان او في ضواحيها او دع السجن وارسل الى باروش تحت محافظة قوية وحيث ان اريان كان نفسه جريكي الاصل فما افتكر انه يخبرنا عن الاسباب التي اغوت الراجا في سلوكه هذه الطريقة مع الجريك وكان سكوته عن ذكر هذه المادة دلالة كافية على انهم كانوا يعتبرون في انفسهم على جناية كبيرة في كونهم يسعون في تشييد مستعمرة في نواحي جزيرة سالسيت بقصد انهم يستقلوا فيها بانفسهم وتكون سببا في سهولة فتوحاتهم في الدكهن وما خاف منه الراجا من فكرته هذه المادة كان بغير اساس لان ملوك الجريك في باكتريا كانوا استحوذوا على بنجاب وكابل في الهند الشمالية وكانت لا توجد مين اخرى في الجهة الجنوبية من كاليان تابعة لراجا طغره ما كانت مطروقة بالتجارات بسبب كثرة وجود اللصوص في هذه الجهة وكانت هذه هي النتايج المؤثرة التي هيجت حرارة بطليموس فيلادلف في تشييد تجارة عالية الدرجة محكمة القواعد ثابتة بين مصر وبين جزيرة الهند وكان الملك سيليقوس صاحب سوريا محكمة الاستحواذ من حالة هذه التجارة وعظيم موقعها على اسم والعقب عظيم لواجتهد وبذل ما في طاقته في المحافظة عليها لتقسم اموالها ولو انه ترك مع عدم الحزم والتبصر لبطليموس مصر وجريكها كافة التجارة الجارية في الاقاليم الجنوبية من الهند فانه وجه التفاتاته الى التجارة الجارية في اسيا الشمالية من طريق نهر جيحون وبحر هرقانية اي بحر الخزر الموجود في طول سواحله امم حربية قوية وعدا اين فاخرة زاهرة تجري من تحتها انهار تصب مياهها فيه والظاهر انه كان موجود خطأ قديم وتصور فاحش يختص ببحر الخزر وكان هذا الخطأ متسلطنا في عقول القدماء فان بعضهم كان يتصور انه قطعة من الاوقيانوس الشمالي وانه جون كبير منه مثل خليج فارس وخليج العرب واخرون متصورون انه متصل مع الاوقيانوس الشمالي بواسطة البحر الاسود وتصور اخرون انه متصل مع الاوقيانوس المكتنف بالهند من جهة الشرق وذكر اريان ان اسكندر نفسه كان على تلهف زايد وشوق اكيد والتوجيه التفات تام في شان ما يتعلق بالمعلومات والعلوم الجغرافية ورغب الفحص والبحث في هذه المادة الواضح الماثل حتة فيها فمن قبل موته بمدة قليلة اصدر اوامره بجمع كميات ومقادير وافرة من الاخشاب من اجام هرقانية (مازندران) واورد انها من اجل استعداد اسطول يسير فيه بنفسه ويكشف حقيقة هذا البحر وهذا القرش ذي المياه المتجمعة التي لا يعلم لها مخرج لحد ذلك الوقت وكان اسكندر فيما سبق سافر في الخليج الفارسي بدخوله فيه من فم نهر الفرات وفي الاوقيانوس الشرقي بدخوله فيه من فم نهر السند ورغب الدخول في هذه الحالة في الاوقيانوس الشمالي من البوغاز او

الضيق المقال عنه انه وصلة بينه وبين بحر الخزر فانخرم اسكندر من هذا المشروع بما وقع من موته على حين غفلة ثم جاء من بعده سيليقوس ومن بعده نديمه الطعنوس وتمام على اسيا العليا اجتهد في اتمام الراي الذي كان عزم عليه اسكندر وشرع فيه مع شدة العزم تم نقل الاسطول اللازم لكشف سواحل هذا البحر التي طولها نحو من ستة الاف ميل وعرضه نحو من ٣٠٠ ميل وكشف في مدة سلطنته قسم منه واطلق على القطعة التي كشفها الاسطول اسم بحر سيليقوس مدة طويلة من العصور ثم ان القطعة التي كانت باقية منه كشفها انطيخوس الاكبر بارتيبا التي كان واقع فيها التاس من قبل واطلق عليها اسم بحر انطيخوس وكانت اراء كل من سيليقوس وانطيخوس فتح طريق توصيل للبضايع والتجارات الحلية من التجارات الهندية والفارسية من هذا البحر والاوقيانوس الشمالي حيث كانا يراعيان ان بحر الخزر جون من الاوقيانوس الشمالي او على فرض انه موصل اليه بواسطة البحر الاسود وفي الواقع ونفس الامر فان سيليقوس في نحو غلاق سلطنته التي انقرضت وابر حياته بخنجر ذابح يظهر انه كان عرف الخطأ الواقع في كل من الرأيين وذكر بلينى انه كان عزم عزما جازما على الشروع في شق خليج من بحر الخزر الى البحر الاسود من اجل توسيع نطاق دايرة تجارة الشمال ونقل بضايع ومواد الاقاليم الواقعة على الحدود الشرقية لبحر الخزر الى الاقاليم الواقعة في اقصى الحدود الغربية من البحر الاسود ومن العجب ان سيليقوس رغب شهرة نفسه بالمشروعات البحرية وتوسيع نطاق التجارة مع انه كان تنازل وتنحى لبطليموس وذريته عن كافة التجارات ذات المكاسب الوافرة التي كانت جارية بين مصر والمداين الواقعة بعضها بالقرب من مصب نهر السند والموجودة على الاراضي الفارسية التي كان الوصول اليها سهلا من الخليج الفارسي من بعد ان ازال اسكندر ما كان موجودا في فم نهر الفرات من الشلالات والحواجز التي كان مدورا لها وكانت مسافة السفر قصيرة بهذه الحالة فلعله ان السبب في ذلك ان جنس الفرس القديم منعوا بما كانوا عليه من العقايد الدينية والقوانين السياسية بينهم الدخول في مشروعات ملاحية في ارض مياه انهارهم لانهم كانوا يعتقدون في طهارة وتقديس عنصر الماء كما كانوا يعتقدون في تقديس عنصر النار فبواسطة هذه الخرافات المتسلطنة في افكارهم وعدم نجاسة المياه من سير السفن فيها وحفظهم من جهة ما كانوا محافظين عليها من منع دخول الاغراب في ارضهم الى مياه انهارهم وعدم حصول الامكان في وقوع غارة على ارضهم من طريق انهارهم الكبيرة وهي انهار الدجلة والفرات سدوا افمام هذين النهرين سدا محكما الى ان ازال اسكندر هذه السدود في وقت وصول اسطوله تحت قيادة نيرخوس متقلبا من الخليج الفارسي الى ميزوبوتاميا (العراق) وراى الفرس ان ما اجراه اسكندر من ازالة السدود اشغال عدوانية صادقت عليها عقايدهم الديانية وقوانينهم السياسية وكان له تاثير شديد في قلوب امة فارس بسبب ما كانت عليه من التعصب الديني في تقديس النار والماء وصار من المستحيل محو وازالة ما في قلوبهم بطريق سهل مع انه اسكندر ازال الشلالات من فم نهر الفرات الا انه ما كان له وخلفاءه من بعده طاقة على تحويلهم مجرى تيار الوهم المقبول عند الامة الفارسية واستمر الفرس في اوهامهم وخرافاتهم محترمين اجزاء المياه في انهار ارضهم وكانوا مكتفين بالطريقة القديمة في تيسر لهم الحصول على المحصولات الغنية للبلاد الهندية بواسطة تحميل البضايع في عربات او على ظهور الجمال من الاقاليم القريبة من المملكة الهندية وكان الفرس على يقين ثابت من وقوع غارة تقع عليهم من تلك الجهة حتى تم اعاد الفرس الشلالات وسدوا بها فم النهرين الكبيرين من بعد موت اسكندر بمدة قليلة وكانت هذه الجهة مخيفة عندهم واسترت هذه الشلالات والحواجز في فم نهر الفرات الى سلطنة الامبراطور يوليان عندما اغار على فارس في نحو منتصف القرن الرابع من التاريخ المسيحي حتى ازيلت وكان الفرس من بعد ان سدوا افمام الانهار انشأوا مدينة بالقرب من مدخلها من اجل تلقى البضايع الاجنبية من تجار العرب والاسكندرانيين الذين كانوا يتاجرون في تلك الجهات وكذا كان يوجد بين فم نهر الفرات وقلعة اسباتوش على ضفة الخليج الفارسي مدينة سوق تجارة تعرف بسوقه ابولوغوس واخرى اشهر منها في تلك الجهة تعرف بعمانه او عمان وقد ذكر بلينى هذه المدينة وجعلها احدى المداين القديمة التي كانت شيدتها الملكة سميراميس

واشتق من اسم هذه المدينة اسم ارض عمان الواقعة على شاطئ الخليج الفارسي وكانت تجلب التجارات
الشرقية الى هاتين المدينتين الكبيرتين الواقعتين على الخليج الفارسي من نواحي باريغازه
او باروش في سفن ضخمة فيها بضايع ثمينة من محصولات افخر المشغولات الهندية والعربية
ومن اصناف الاخشاب الثمينة وانواع العطريات المصدرة مما كان من بلاد العرب التي ما كان
لاهل عمان طاقة على جلبها وكان اهل عمان يشتغلون في اسفار ملاحاتهم بجانب الشطوط
والسواحل البحرية قوارب صغيرة مصنوعة من اخشاب لينة مربوطة ومخيطة في بعضها بواسطة
سيور من اوتار الحيوانات فكانوا يجلبون فيها الى باريغازه والى بلاد العرب اصناف اللؤلؤ
والارجوان والملبوسات الثمينة البابلونيانية والنبيذ وصنف التمر الرفيع واما الاقاليم
القاصية من فارس فانه كانت تأتيها عموم البضايع والتحايف الهندية والصينية على ظهور
من لا تتعب ولا تكل في اسفارها من الحيوانات الاشد قوة واشد صبرا في السفر وهي الجمال
سفن الصحاري وبواسطة الانهار الكبيرة القابلة للملاحة مثل نهر جيحون ونهر سيحون
ونهر كيروس المعروف الان بنهر كور ومن انهار اخرى جارية في تلك الاقاليم وبهذه الحالة
تولد من الاهالي الظاهر الذين كانوا عليه ملوك سورية في عدم اتجارهم الفايدة العظيمة
مما جاورهم من الاقاليم الجنوبية من ممالكهم وعدم تشييدهم اسواق كبيرة جامعة للتجارة
الهندية واستغلالهم لشركتهم الواسعة في البر نجاح البطليموسية في سرعة اجتهاداتهم في
الاستحواذ على اسطول قوي الباس في البحر حتى صار من المستحيل على سيليقوس باي حالة كانت
منازعة البطليموسية في اشغالهم في السواحل التابعة له لانه بخلاف ما ذكرنا سابقا مما كانت
عليه قوة الدولة البطليموسية في مصر في البحر قيل انه كان يوجد مراكب حربية من ذوات
الست صفوف من المجاديف وفوق ما ينوف عن اربعماية سفينة من اصناف مختلفة كانت
جميعها مشتغلة في خدمة الحكومة المصرية والسلطنة البطليموسية وكانت هذه القوة البحرية
الجسيمة ضرورية او لازمة بالطبع لبطليموس فيلادلف عندما كانت بلغت سلطنته اقصى
درجات اوجها فانه ما كانت تحوزها على اقاليم البحري من سورية فقط بل وكانت ممالكه ممتدة
الى ما وراء البحر الابيض المتوسط في سيليسيا وغمفيليا وليسيا وكاريا وجزاير السكلادس
وكان سلطانه فوق ما ينوف عن اربعة الاف مدينة زاهرة عامرة باهلها وبجا رايح
وكان الخليفتان الاولان من الملوك البطليموسية على جانب من ثروة تامة وتنعم كامل من الاموال
والايرادات الواسعة الواردة اليهم من احتكارهم التجارة الجنوبية الهندية ومن اجل ذلك
كانا محافظان على الدوام على قوة ملايمة كبيرة من الجيوش البرية والاساطيل البحرية
في طول المدة التي كانت فيها سلطنتها قايمة على قواعدها في مصر ومن اجل ذلك دخل
ملوك سوريا في مبارة سياسية موافقة لسياسة البطليموسية وكانت ضرورية لهم ووجهوا
بلا انفكاك انظارهم الى ما فيه اصلاح ونجاح تجارة الاقاليم الشمالية وجعلوا بحر الخزر سوقا
جامعا لمحصولات الاقاليم الهندية الجنوبية اللازمة للاقاليم الشمالية من اسيا واوروبا
وكانت تحمل البضايع من نهر السند الى نهر جيحون على الجمال ثم تشحن قوارب في نهر جيحون تنحدر
بها فيه الى بحر الخزر ومنه الى نهر كيروس المعروف الان بنهر كور وتنقل منه على الظهور الى ساحل
البحر الاسود فكانت هذه البضايع تمر من ارمينية واقاليم اوروبا وبهذا انتشرت البضايع
والمشغولات الهندية في تلك الاقاليم ثم انقرض ذكر هذا الطريق وسير التجارة فيه ومما بعد
مدة طويلة اجتهد الجنويزيون وسعوا في عمور هذه الطريق من اجل جلبهم تجارات الشرق
وقدموا بذلك التماسا الى البابا ليو العاشر فطلب هذا البابا من القيصر بازيل صاحب
الروسيا انه تمكن جلب التجارة الهندية والبضايع الشرقية الى استراخان وكانت سوقه
تجارة للروسيين على سواحل بحر الخزر وتحمل منها من طريق نهر ولغا الكبير المعروف قديما بنهر
الرها حتى تصل الى موسكو ومن موسكو في نهر ولغا ونهر دونا او دوينا الى نهر ريغا في ارض
ليفونيا ومن نهر ريغا الى خليج اوروبا بواسطة بحر بلطيق والاوقيانوس الجرماني فاقبل قيصر
موسكو هذا الطلب ورفضه وافتكر بسياسته على انه يفتح طريقا سهلا جدا يرفض فيه ما عنده

للامم الاجنبية بالدخول والتجول في وسط ممالكه القاصية وربما تكون
شيا في حرمانه رعاياه من منافع تجارة مقصورة في ايديهم وقد ذكر
بيني وصف التفاصيل الاولية لهذا الطريق الشمالي
فات المحطات كما كانت جارية في مدة
مقدارها ماينان سنة من بعد سلطنة سيليقوس
ان مقدار المسافة من ساحل نهر السند قاطعة
من باكطريا الى حد نهر ايكاروس النازل في نهر جيحون
سبعة ايام سفر على البر ثم تشحن البضايع في هذا النهر
فيه وفي نهر جيحون الى بحر الخزر ومنه الى نهر كيروس
تنقل من نهر كيروس على البرون ومدة خمسة ايام حتى
تصل مدينة فاسيس عاصمة مملكة كلوشيش الواقعة في
الطرف الشرقي من البحر الاسود وكانت هذه المدينة مشهورة
بالخرافات الجريبة بجزز الاصواف الذهبية ومن المحتمل
ان هذه الاصواف ما كانت شيا سوى المحصولات الذهبية
الهندية الذي كان الارغونوطيون حفظوها لانفسهم
واحتكروها لهم في مدة فتحهم تجارة البحر الاسود ومن
هذا اليوم صار نهر جيحون لا يصب مياهه في بحر
الخزر لان السياسة المرهبة التي كان عليها تتاخري
التتار اعانتهم على تحويل مجراه ومجرى نهر سيحون
حتى صار هذان النهران الجليلان يصبان
مياههما في رمال الصحراء التاتارية التي
لا حد ولا نهاية لها حتى تشكل منها ما يسمى
الان ببحر خوارزم
ثم انه من السنة ٣٢٣ قبل الميلاد وتكوين قايد الذين
بقوا على قيد الحياة من بعد موت اسكندر
قسموا مملكته بين بعضهم باشتراطات فيهم
ما عدم القناعة واستمروا في حروب سفكة
بين بعضهم حتى حكم القادر جل جلاله في تعقيبهم
وتشعبهم بسبب ما كانوا عليه من الكراهة الشديدة
سبحانه وتعالى ولبني الانسان فقتلوا
جميعا وما بقي منهم على قيد الحياة الا اثنان
فقط وهما سيليقوس وليسيماخوس وكان
ذلك في السنة الثالثة والاربعين من بعد
موت اسكندر وفي هذا الوقت استعد هذان
الملكان صاحبا الباس الشديد لواقعة مهولة
دموية يكون فيها الفصل لمن يحكم اسيا ثم
ان سيليقوس تغلب اخيرا على امر ليسيماخوس
الذي كان باقيا على قيد الحياة ومن القواد و
الشجعان الذين تبعوا اسكندر وبهذه
النصرة والظفرات العديدة التي حازها سيليقوس
من قبل اطلق عليه المورخون اسم نيكاطور اي المنصور
تمييزا له من الملوك الذين تسلطنوا من بعده من عايلته فما تمتع بهذا الفخر طويلا الذي عاد

موت سيليقوس

اليه من هذه الفقرة الاخيرة المشهورة وقتل شر قتلة بربرية بخنجر جبان فى ظهره ضربه به
بطليموس سروتوش وكان سيليقوس اغدق عليه بالمعروف والرأفة فى وقت ما دخل مويدا منهزما
فى مقدونية من بعد مضى سبع شهور من تغلبه على مملكة مقدونية من ليسيماخوس وكان عزم على ان
يجعلها عاصمتها مقر حكومته ومركز دايرة سلطنته فى المستقبل وهلك سيليقوس من بعد ان
بلغ من العمر ثلاثة وسبعون سنة وفى السنة الثانية والثلاثون من تلقبه بلقب ملك فى سنة
٢٨٠ قبل الميلاد ولا يعلم فى هذه المدة من التاريخ الداخلى للبلاد الهندية الا القليل جدا وكذا
ما كانت وقعت اشيا مهمة فى تلك المملكة جرى ترتيبها فى قالب منظوم تختص بالاحوال التاريخية
فمن ثم ما كان لنا من طاقة فى تاكيد المدة والوقت الذى هلك فيه شندره جوبطه والمعقول انه
هلك ايضا من قبل هلاك سيليقوس لان دايماخوش دوّن فى تقاريره انه ارسل سفيرا من
طرف سيليقوس فى ديوان انيطروخاديش ابن شندره جوبطه والف رسالة جمع فيها اخبار
ما رآه فى تلك البلاد وذكر اسطرابو ايضا حكايات شتى تختص بداخل البلاد الهندية وذكر هذا
الجغرافى الكبير مع دايماخوس اسما مغاسطينس واونسيكريطوس وينرخوس جميعهم كانوا
سفرا واحد بعد الاخر فى ديوان شندره جوبطه والفوا رسايل شتى فى مواد وحكايات شتى
فى شأن الاخبار التاريخية المتعلقة بداخل البلاد الهندية واثبت المتاخرين حكاياتهم وما
الحكايات الخرافية المحشورة فى مؤلفاتهم من ان البعض من الناس له اذان طويلة يلتحف بها
ورآء ظهره ويستر بها نفسه واخرين لهم عين واحدة من دون ان يكون لهم انوف او اقدام و
البعض لهم ارجل طويلة والسنة يلقونها ورآء ظهورهم واخرون لهم رؤس فى هيئة الخوابير واجناس
صغيرة جدا من الناس طول قامة الواحد منها ثلاثة اشبار فهذه اقوال تمجها الاسماع وهى من
الغرايب المضحكة المسخرة وجميع هذه الصور محفورة ومنقوشة فى حيطان المعابد او الباجودات
الهندية وما هى الا اغراض خرافية مثل الصور الموجودة فى مصر من قديم الزمان وان صنم
الصور البشرية الحيوانية الموجودة فى راس وشنو فهى عينها فى كاينس اوبيس مصر والجبل
العظيم الذى نصفه معزة ونصفه انسان فى بحيث جزيرة الهند والقرود الذين شكلوا جيش
راما وساروا معه الى سيلون من اجل خلوص زوجته سيتا والصور القبيحة الذميمة المصورة
وشنو كل هذه موجود نظيرها فى جزيرة الفيلة فى الديار المصرية فوق الشلال الاول من مدينة
اصوان وفى كهوف ومغارات اخرى فتلك هذه الاقوال المذكورة بانها كانت حقيقية فى اصل
منشاها جميعها لا يعبأ بها وهى من المستغربات والاعتقاد بها اقبح من الحكايات والخرافات
الملفقة وما ارى فى الخرافات والحكايات التى تمجها الاسماع مما ذكروه فى مؤلفاتهم شيا يدخل فى
عقل عاقل من تصوير صورة نصفها انسان ونصفها حيوان او انسان راسه حيوان او راس
طاير

ثم ان الذى خلف شندره جوبطه من بعد موته ابنه انيطروخاديش وهو معروف عند مورخى
الجريق باسم اميطروكاريس وارسل سيليقوس سفيره الى ديوانه وقرر انطيخوس بن سيليقوس
او حفيده هذه العلاقة الطيبة وذكر فى بوران ان ابن شندره جوبطه هذا اسمه واريبار
وكذا ذكر فى كتاب اخر اسمه برسره ان اسمه كان دسرته وما ذكرناه ان اسم اميطروكاريس
والظاهر انه اميطروكاريس مشتق من السنسكريت من ميطراجوبطه ومعناه الذى قلبه
ميطرا اى الشمس وربما كانت هذه القابا له ثم ومن مطالعة تاريخ الهند لفريشته فى
ظرف هذه المدة وجدت بعض حروف مختلفة فى اسما الملوك الذين ذكرهم انهم تسلطنوا فى المدة
التى اعقبت غارة اسكندر مباشرة على الهند ولو ان تفاصيل حوادثهم فى غاية من الايجاز
الا انها موافقة على العموم فاذكر اولا ما ذكره هذا المؤلف المشهور مع الاختصار فى حق شندره
جوبطه وابنه وابن ابنه ثم اسرد ما حكاه مورخى الجريق مما بقى من الحوادث والوقايع التى
حصلت بين ملوك سوريا وملوك الهند الى حد قيام مملكتى فارطيا (فرهستان) ومملكة
باكطريانه (خراسان) فاقول والله الموفق للصواب قال فريشته ان اشهر شندره المعروف
عند الجريق باسم شندره كوطوس وفى السنسكريت شندره جوبطه فقد الاسم الملوكى من بعد

حالات شندره جوبطه وعايلته

تاريخ الهند البحر الزاخر

من بعد موت الملك فور ونظم فى ظرف مدة قليلة ما كان فى اختلال من امر المملكة وما
اهمل فى اثنا ذلك حتى ارسال عادة الخراج لرؤسا الجريقيين الذين كانوا استحوذوا على
فارس سوا كان فى مدة اسكندر او من بعد موته وحكم شندره جوبطه وما بعده ابنه المملكة
الهندية سبعون سنة ولما جلس حفيده سنه شندره على التخت قام برنس اسمه يونه قيل
انه كان حفيد احد الملك فور فى طلب التخت وجمع جيشا وساقه على الملك المتسلط عليه
من تخته وجلس على التخت وكان يونه ملكا طيبا موصوفا بعدة خصال حميدة واخلاق جميلة
فتكفل بنفسه وبذل ما فى وسعه وطاقته فى تعمير الجهات العقرة من الهندوستان وغراس اراضيها
ثم وجه اهتماماته والتفاتاته من دون تعب فى مباشرة اعمال المملكة وادارتها واتصف بالعدل
واشتهر بالكرم والاحسان وكان مدة جلوسه على تخت الهند اقل بقليل من سنة ٦٠ قبل
الميلاد ومن بعد ذلك بقليل من السنين استحوذ اردشير المعروف عند الجريق باسم ارطاكسيس
لنفسه على الجهات الشرقية من فارس وطرد منها خلفا اسكندر واسس مملكة فارطية او
فرهستان وهى المعروفة بمملكة فارس الثانية وتقلد اردشير اسم الملك فى نحو سنة ٢٥٦
قبل الميلاد على حسب ما ذكره مورخى الجريق ووافقهم البراهميون فى هذا التاريخ ثم طلب اردشير
خراجا من الهند بحق تغلبه على فارس فغرق وفزع يونه من جيوش اردشير وارسل اليه
هدية من الفيلة وكمية وافرة من الذهب والجواهر ومن بعد هذه الحادثة تسلطن يونه
مدة طويلة من الزمن فى هدو عظيم وامن واستتباب راحة ومات هو وذريته تختا مأمون
العاقبة بعيد عن القلاقل والارتباكات مدة تسعون سنة هذا ما ذكره فريشته فى تاريخه
عن الهند فيستدل من هذا القول ان الفيلة التى كانت ترسل من طرف شندره جوبطه واولاده
الى سيليقوس كانت خراجا لا فى صورة هدية ثم ان السبعين سنة وهى مدة سلطنة شندره
جوبطه واولاده وحق بعضها فى سلطنتى انطيخوس سوطير وانطيخوس طيوس خلفا سيليقوس
فى سوريا كان حقا منها غاية سلطنة انطيخوس طيوس وجا ما بعدها مدة ثورة مملكتى
فارطيا وباكطريانه فى نحو سنة ٢٥٥ قبل الميلاد وفى مدة سلطنتى الملكان سيليقوس
كلينيقوس وبطليموس سروتوش ما ذكر مورخى الجريق شيا يختص تقريبا بالهند ما عدا فى
تاريخ ملوك باكطريانه فانه ذكر فيه ما سنذكره من التفاصيل فى الفصل الاتى بعد ومن اقوال
فريشته المذكورة سابقا التى قال فيها ان يونه ولو انه كان ملكا ذا باس وشدة واقام
مملكته بعنف وقوة جيشه الى مملكة امبراطورية جبارة فانه قرر رغم انف سيادة ملك فارس
على نفسه حتى ان اردشير بين استقر على اخذ الخراج من الهند بحق القديم فيها لملوك
فارس من العايلة الكيانية ثم انه فى مدة سلطنة انطيخوس الاكبر عادت اعمال المملكة الهندية
الى درجة عالية ظاهرة فى صحف تاريخ اسيا ومن تجديد اتحاد كبير حصل بين انطيخوس الاكبر
وسوفاغيبتوس فى سنة ٢٠٤ قبل الميلاد حيث مما كان يوديه اليه من خراج الفيلة ان
الهند كانت تابعة اخيرا للحكام القريبة رغما عما كان عليه ملك فارس من شدة البأس
وقبل ان يونه وذريته استحوذوا على تخت الهند مدة تسعون سنة فى امن وراحة فاذا
اضفنا هذه المدة الى السبعين سنة مدة سلطنة شندره جوبطه واولاده نزلنا الى نحو سنة
مائة قبل الميلاد وفى هذه المدة بلغت مملكة باكطريانه الهندية الى اعلى درجة اوجها
وصنوا مجدها ثم انطفأ هذا الصنو بسرعة كما شب وعلا بسرعة ومن بعد مضى ثلاثون
سنة عاد ابدا ليلا حالكا وحزب الفارطيون المملكة من جهة وفاضت عليها تيارات المتبربرين
من جهة حتى داسوا وعاثوا وجاسوا خلالها من ابتدا صدور بحر الخزر الى سواحل نهر سيحون
وفى ظرف التسعون سنة التى كان فيها ذرية يونه على تخت الهند غار انطيخوس الاكبر على المملكة
الهندية من بعد ان منح السم وتاج الاستقلال الى اوتيديموس الباكطريانى وان سوفاغيسوس
لابد وانه كان واحد من ذرية يونه غير انه ما عثرنا على قيد تسجيلات هندية ولا وقع الكشف

سنة ٦٠ قبل الميلاد

على اشيا يستنار منها صنوا ولو قليل مخصوصة بتشجيلوث او بذوبيات سنوية هندية في مدة
هذه المدة المظلمة الا قليل جمعناه من مؤلفات مورخي الجريك الذين كانوا معاصرين لهذه المدة
وعلى الخصوص ما ذكره بوليبيوس خاتمة روى اعمال انطيخوس الاكبر وفي وقت عبوره من سلسلة
جبال باروبا ميسيدية مع جيشه وتجديده معاهدة مع ملك الهند واستحصاله منه على خراج من
الفيلة فلما اضفنا هذا الخراج الى ما كان يا خذه من خراج مملكة باكطريانه لبلغ المجموع الكلي
مائية وخمسين راسا من الفيلة وذكر هذا المورخ ان انطيخوس كان ياخذ ما يلزم من الغلال
والحبوب اللازمة لماكول جيشه وترك وراه اندروسطينيس سيريقوس من اجل جباية
الخراج النقدى الذى كان وعد به ثم انه من بعد انقراض ذرية يوته وعايلته قالوا ان
كاليان شنده وكان اميرا حربيا صاحب جراة وحمية تسلط على الهندوستان بعض الاقاليم
الشرقية وكانت عاصمته في ذلك الوقت مدينة كانوج ثم قامت عليه ثورة عمومية من الراجات
الذين كانوا تابعين لسلطانه وطردوه من فوق تخت المملكة بسبب ما ظهر فيه من الجور والظلم
والظاهر انه بخلع هذا الملك انتهت المملكة الهندية المنتظمة التي كانت قايمة على نهر الكنج ومضت
بمدة سنين من بعد هذه الحادثة في شقاق ونزاع وحكومات فوضوية طلب فيها كل راجا الدرجة
العالية والسلطنة الشاهية ثم ذكر فرشته ان الامبراطور الذى جلس على تخت الهند ما بعد
انقراض العايلة المتقدمة واشتهر بعلو الهمة والحزم وكان مشهور الذكر ويكرماديطيا او
بكرماجيت واظنه هو الملك اسوكا الذى تقدم ذكره في ملوك مجدها فانه بالجهاد
وقوى وفتوحات كبيرة وسياسة ومهارة في ميدان الحرب بلغ الى درجة سلطنة الهندوستان
في سنة ٥٦ قبل الميلاد على حسب ما نصه غليوم جونس في مدوناته ان ريحيه وذكرت التواريخ
الهندية في شانه اجل الاقوال واحسن الحكايات وقالوا فيه انه ما عادله ملك من الملوك الذين
سلفوه وجلسوا على تخت الهندوستان في علوم الشرع والفقه والاحكام مع الثبات والعزم و
العدل والتؤدة والحكمة وجال وساح في صورة زاهد ناسك في جهات القسم الاعظم من المشرق
في طلب اكتساب الصنايع والمعارف والعلوم والدراية بسياسة الامم الاجنبية وغرضها في جهات
مملكته واقتكر انه اقام سلاسم بامر الى مثل راعا قديما من اجل ازالة العيوب والمويقات
والمظالم والتعدى من المملكة وقبض في اهدا يديه على ميزان العدل وفي الاجرى على الشريعة وافضع
مع غاية السرعة ممكنة مالوه والجوزورات وجعل الايالات الامبرية الاخرى تابعة له وجارية
اعمالها على حسب مرغوب سلطانه وقد مدح كل من الشعرا والمورخون فقال الشعرا فيه انه ما كان
يحيد عن الحق ولا ينثنى عن العدل وما كان للغناطيس اولى تاثير على الحدود الا بارادته ولا
تاثير للكهربا على قش التبن الا بامره وقال المورخون انه من شدة زهده ونسكه وعفته وجودة
اخلاقه وكمال صفاته كان ينام على حصير واستبدل الاسفة والاوثانات الثمينة باعون من الفخار
ملآن من مياه النبع وكان اذا صادف محبا للعالمات عمر الفيلسوف كاليداش وكان ابدع
وازهر في مدة سلطنته وكان ولية وظهيره وكان كاليداس رئيس اربعة عشرة نفس من
البراهمة دعاهم ويكرماديطيا الى ديوانه من جهات شتى من الهندوستان وكانوا من اجلو علما
البراهميين واطلق عليهم اسم جواهر التاج الاربعة عشرة درة وفي حالة ما كان وكبا على المحافظة
المعارف والاداب كان موجها ايضا عظيم التفاته لعلو درجة الدين وارتقاه وطهارته من كل
شايبة واحيا قلوب طوايف الالوف من الناس بتشييده التمثال الضخم المعروف بماهاكالى
(الزمن) في مدينة اوجيني وكان هو الذى اسسها ووجه عبادة الناس الى هذا التمثال
ما هو فكان يعبد الا واحد لا حصر له لا يرى وحفظ الهنود الذكر الجميل لويكرماديطيا حتى
ان اغلبهم الى هذا اليوم يحسبون سنيهم من تاريخ سلطنة هذا الملك الجليل وذكر في التشجيلاد
الهندية انه بور المشهور ملك فارس كان معاصرا لملك مالوه هذا وقتل مذبوحا لما بعدان
طعن في السن في تحو مبادى التاريخ المسيحى في واقعة كبيرة حصلت بينه وبين اتحاد عقد ضده
من ملوك الدكهن وللاهندو ايضا تاريخ شهر ريبندى من موت ملك ثالث جلس من بعده على
الاوريكة الهندية وقال اخرون ان الخليفة الذى جلس مباشرة من بعد قتله كان اسمه سلبهان
وما وقفنا على تاريخ له الا انه كان راس الثورة التى قامت على ويكرماديطيا في الدكهن وكانت

وكانت سببا في تجريد ويكرماديطيا من تخته ومن حياته وكان سلبهان هو الذى نقل مركز المملكة
في الدكهن من طرفه او دوغير الى بيتنا او بيتهم محل مقر سلطانه ولولا ان طرفه عاد اليها
حينا بعد سمو السلطنة في ايالة الجغرافية اى الدكهن فلولا شك من انه كان يوجد تفاصيل نافعة
جامعة مخصوصة بوصف الحوادث والاعمال التى كانت جارية في ميدان البلاد الهندية كما وكان
يوجد كثير من الملوك في قايمة ملوك مجدها من ابتدا سلطنة شندره جوبطا الى حد سلطنة
ويكرماديطيا انقرض اسمها ولا بد من ظهور امرها ويتجلى كشفها بالفحص الجارى عليها من جمعيات
المعارف الموجودة الان وكذا حقيقة الوقايع والحوادث المختفى علينا امرها وبيان هذه الوقايع
ما وقع الان الكشف عليها فنذكرها ونشتغل بذكر الحوادث والوقايع التى وقعت من ملوك باكطريانه
وفارطيا التى ذكرها مورخى الجريك والفرس وهاتان المملكتان كانتا واقعتان على الثغور الغربية
لمملكة الهندات سعة والله اعلم

الفصل الثامن

ذكر اصل وتقدم المملكة التى اسسها الجريك من خلفا اسكندر في باكطريانه في الجهة

العربية من الهندوستان والقيام الاخير لهذه المملكة = والهيئة الجغرافية لباكطريانه = وبالجملة
اقليمها وجودة محصولاتها = وتغلب اسكندر عليها = وثورة الهندوينون فيها = وفصل باكطريانه
من المملكة السورية = وقيامها في سلطنة معتزة بمعرفة طودوطوس = وصيرورة فارطية في
هذه المدة مملكة مستقلة تحت سلطنة اردشير = وصيرورة المملكتان التابرتان في قوة اتحاد
كبير على دولة الملوك السورية = وطرد طودوطوس الثانى من تخته بواسطة اوتيديموس
واغتصابه تخت باكطريانه = وتاريخ العايلة السورية بسبب اتصالها مع العايلة الباكطريانه
وظهور ملك الهندية = وهياج انطيخوس الاكبر الحرب على ملوك فارطيا وباكطريانه وتسريح
جيش الى الهند = واخذه خراجا من الفيلة من سوفاغسينوس ملكها وعوده الى بابل =
وخلوفة حينا للنزاع على التخت الباكطريانى من بعد اوتيديموس

ولنذكر الان بوجه الايجاز تاريخ المملكة الباكطريانية المعروفة الان باسم خراسان في مدة
معركها من الجريك وكانت هذه المملكة محدودة من جهتها الشمالية بنهر جيحون وهو الفاصل
لها من الصغد او صغديانه وقايم على حدها الجنوبي مثل حاجز قوى الباس الاوسان العالية
من جبال باروبا ميسيدية وهى فرع من سلسلة جبال طوروس الكبيرة الفاصلة باكطريانه
من الهند واطلق عليها عساكر اسكندر اسم جبال قوه قازه تمليقا وتفخيما لمجد مليكهم وهى المعروفة
الان بجبال كوه الهند او كوه هندو قوه ويحدها من الجهة الغربية مارغيانه ومن طول
حدودها الشرقية الاقاليم الشاسعة من صيطية اسيا او التاتار والمساغيطيه وعاصمتها
باكطريا المعروفة عند المتاخرين الان باسم بلخ وكانت هذه المدينة المقر الاصلى والمركز الجامع
لزروشت الكاهن شيد فيها معابد يزدانه ومقام فيها شعاير احتفالات عبادة النيران
ومن هذه المدينة اصطحب هذا الكاهن المشهور مع ولية وظهيره داراهستاسب وزارا
البراهميون في خلواتهم ومعابدهم الموجودة في الاجام والاورمانات في جبال الهند العالية
ثم اضمحل مجد هذه النيران المقدسة المشتعلة في هياكلها ومعابدها وتضعضعت قواعد
شعايرها سا حل بها من عباد الاجرام السماوية وهم الصابئة عند ما تغلب اسكندر عليها
وراى انه يلزم ان يترك في داخل اسوارها قوة جسيمة من المحافظين من اجل المحافظة على
فتوحاته ووقوع الرعب والفرق في قلوب الباكطريانيين والصغديانيين وابتنى في الاراضى
المجاورة لها مدينة اسكندرية باروباميسيدية وشحنها بالمقاتلة والمحافظين والغلال لها
قندهار وكان يوجد في باكطريانه خلاف عاصمتها الجليلة وفي الاراضى التابعة لها كثير
من المداين الغنية الجليلة اندثرت اسماها ما عدا القليل منها مثل مدينة دارابسيكا ومدينة

اوكراديطيا وكان شيدها اوكراديطيس احد ملوك باكطريانه فانهما بقيتا الى الذرية وذكر يوسطين ان طورودطوس كان اول ملوك استقل بها من الفاصليين من الجريك وكان تحت سلطنته الف من الف مدينة عامرة زاهرة غاصة باهلها وسكانها واقليم بلخ واقع على حسب ما هو مذكور في جداول الارصاد الفلكية التي اجراها اولغ بيك في عرض ٣٦ ٤١ ٤٠ ذو محصولاته الوافرة المختلفة الاصناف وظرافة مياه مراعيها المشحونة بما لا يحصى عددا من الاغنام واجود الانعام واظرفها وتشفى في عموم اراضيها وسعة ميادينها وسهولها بنهر الاوكسوس المعروف بنهر جيحون وبواسطة مياه هذا النهر تحمل المواد الثمينة والبضائع العظيمة من التجارات الشرقية الى بحر الخزر صارت اقليما محورا مرغوبا لكل صاحب بأس وقوة في اسيا وما ثم لا عجب ولا غرابة في صاحب حروب مستمرة من حكامها حتى يستقلوا بانفسهم فيها من الملوك الذين لهم الحق عليها وهم ملوك سوريا الى ان صاروا في اخر الامر اشد الاعداء اليهم واتسع نطاق مملكتهم وافتخروا في الحروب على الملوك السورية وذكر اسطرابو مع البيان والوضاحة ان شوكة الجريك الذين استحوذوا على باكطريانه احترت في الزيادة واتساع الاراضي وبواسطة ظرافة اقليم المملكة ووفرة محصولاته صارت هذه المملكة غاصة بالعمران والسكان حتى صار لملوكها طاقة على ان يخضعوا تحت احكامهم كل من آريانه او ايران والهند وكان لهم في الهند خصوصا في ذاك الوقت اهم اكثر عددا مما كان في مدة اسكندر نفسه وعلى الخصوص في مدة ميناندر فان هذا الملك عبر نهر هيفاسيس اخر حدود عمارة اسكندر وكبس في طريق سيره حتى وصل الى الحدود الشرقية وتغلب بنفسه على قسم من هذه المملكة الواسعة وكذا تغلب ديمتريطوس بن اوتيدموس ملك الباكطريانيين على قسم اخر منها وقال اسطرابو ان ملوك باكطريانه لم يستحوذوا على جهات باطلين واراضيها فقط بل وعلى قسم عظيم من الجهات الحدية المجاورة لها المعروفة بجهات طيا روسطى ومملكة صيغرتي او قسم من ساحل المليبار الان ما كانت هي الحد الاقصى لمملكة اريانه وباكطريانه بل واخذ هذا الحد الى ان وصل ساكيه او ارض اسكيثين جارتها الغربية البائسة الواقعة في شرق وشمال باكطريانه وكانت المدائن المشهورة لمملكة باكطريانه نفس مدينة باكطره او بلخ ودرابسا واوكراديطيا وكان اسسها اوكراديطيس كما ذكرنا وعدة مدائن اخرى ثم نشتغل بما ذكر شوكة ومجد الملوك الباكطريانية وعظمة المملكة وكثرة عمارها وسكانها الى ذكر مفصلات خصوصية وبيان درجة التقدم التي بها هولاء الملوك ارتقوا على التدريج الى اقصى درجات السعادة والعظم والقوة حتى صار فيهم الطاقة الكبرى لاستخفافهم وازدرائهم بعظيم شوكة العائلة السيليفوسية اكابر اسيا الى ان قام على مملكتهم انطيخوس الاكبر الثاني من بعد سيليفوس في الشدة والبأس والحروب من ملوك هذه العائلة المشهورة وكان ذلك انه بمجرد ما حل اسكندر في الهند على حسب ما اخبر به كينطوس كورطوس قام الى قطون الذي كان تركهم اسكندر في باكطريانه في ثورة وخرجوا عن الطاعة تحت رياسة رئيس منهم اسمه اثنودوروس ولقب بلقب ملك وسولت له نفسه بالطمع وما اسرع في كونه عندما فقد هذه الشوكة رغب في جمع جموع قوية تحت قيادته من الجريك الذين كانوا على الف وعزم في عودهم الى بلادهم وكان عبدا هذه الحركة سببا في حصول هياج بينهم وحصار عاث قتل فيها الكثير من اخوانهم فرجع اليهم اسكندر واوقع بهم من العذاب والعقاب ما شفى غليل صدره منهم وكانت سببا ايضا في حض القسم الاقوى منهم على اتخاذ الاحتياطات اللازمة الشديدة وضبطوا قلعة باكطريا وكانت محافظوها قليلة العدد والقوا جميعا في النار واحد مع المنيرين اهل باكطريا وما تم وصلت عين هذه الحادثة عين كافة المحافظين الذين كان اسكندر تركهم وراءه في اسيا ووصلت ثورة ايضا في مدينة بثاله وانقسمت بثاليين الى عدة امارات صغيرة وكذا الجهات المجاورة لاخر مملكة اسكندر ثم ان اثنودوروس رأس الثورة التي قامت في باكطريانه ما سمح له الدهر في استمراره على درجة الملوكية مدة من الزمن وقام عليه شخص اسمه بيكون من مخاطري ضباط الجريك يحتمل انه كان نائبه في القيادة واشتعل صدره بالغيرة والحسد منه لما رآه فيه من السمو وعلو الدرجة واهاج عليه الثورة في السر كانت سببا في قتله في وليمة احتفلها له بيكون ودعاه اليها والذي تولى قتله رجل اسمه باخوش من اهل ماسيريا وفي اليوم الثاني من قتله

اجتمع مجلس عام من اجل الفحص في هذه المادة المظلمة فعرض بيكون على اهل المجلس انه ما قتل هذه الغفلة الا محافظة على نفسه لان اثنودوروس كان اضمر في نفسه على الوقوع به وقتله وانه سبق اليه وعجل عليه باخذ روحه ولو ان اغلب المجلس صدق على ما عرضه لهم بيكون واثنوا عليه بما فعله وحتى اجلسوه على التخت الفاضي فان الباقي القليل من العسكر استقبحوا هذه الخيانة وهرعوا الى حمل السلاح وارادوا قتله في نظير قتله قايدهم فمنعهم ما حل بهم من انفجار الغضب والحنق الشديد في وجوه الذين رضوا في امر بيكون وتحمل ابدا كان لهم نصيب معه في امر هذه الخيانة ثم ان الثعبان الذي اغدق عليه بالمعروف قصد من بعد مضي مدة قليلة تفريغ سمه في ابدان الذين كانوا سببا في نجاته وعزم على الوصول الى درجة يستبد فيها في الاحكام بكونه يوقع بالذين احسنوا عليه بالحياة والسلطنة ويقطع دابرهم فانكشف هذا العزم المهين في ظرف مدة قليلة ووقع القبض على كل من بيكون وباخوش القاتل فاما باخوش فان العسكر قتلوه في الحال ورغب العسكر مع ما كان فيهم من شدة الغضب والحنق مزج العذاب الشديد مع البطيء في القبيح المجرم بيكون الى ان يموت تحت شدة العذاب فعاد له في هذه المدة طالع سعده ووفق العسكر بصداقة المجرم مرة ثانية وذلك انه في اثناء

ماكانوا شارعين في الاستعداد في مد اعضاء العريانة على آلة العذاب وقع في الجيش هياج
على حين غفلة من امر مجهول فيه وانتشر في عمومه وتجمع عساكر الجيش من اجل الفرجة على هيئة عذاب
بيكوبه وقتله فوقع القرع في الموكلون به من كثرة ورود العساكر نحوهم وهم في اشغالهم الفظيعة
فانتهز بيكوب فرصة وقوع الارتباك العام في الجيش وهرب من جماعة الى جماعة بالحالة القبيحة
التي كان عليها واستغاث بهم وخضع لديهم وسألهم التعطف والرحمة به وما زال على هذه الحالة
حتى استحصل على رضا الجيش مرة اخرى وعفوه عنه ثم انه من بعد مضي مدة انتخب هذا الوحش
الردي ليكون رأسا للفرق الذين غضبوا امر وجودهم في هذا الموقع البعيد جدا عن موطنهم ورجعوا
معه الى اوطانهم من باكطريانه هذا ما ذكره كورطوس في شأن الثورة الاولى الجريقية التي وقعت
في باكطريانه واما اريانه المورخ فانه قال انه من بعد موت اسكندر وفي القسمة الثانية للممالك
بين قواده وقعت باكطريانه وصقديانه الى اسطاسانور سيلي واريانه او ايران ودرنجانه
الى اسطاسندر ومن تشابه الاسما وقرب الممالك افتكر بعض الشراح دخول خطأ في التسمية وقال
ان باكطريانه واريانه صارا فيما بعد مملكة واحدة ثم ان انطيبا تير عين اخيرا فيليب لحكم مع
باكطريا في سنة ٣٢١ قبل الميلاد ومما اجراه من اشغاله الجليلة وحسن ادارته في اعماله من المحتمل
انه هو الذي رمى اساس سعادة مستقبلها وعظيم قدرها وفي اثناء المدة المضطربة التي اعقبت
ذلك ظهر انه هو والحكام الاخر الموجودين في الاقاليم القاصية الواقعة في اسيا الشمالية ليس
لهم انقسام في الدخول في الاستقلال في وسط حروب كانت سببا في دمار اسيا تدميرا ثم ان
سيليقوس لما حصوله الظفر على خصمه انطغنوس ووطن نفسه مرة ثانية في بابل قال اريان
انه اعاد لنفسه فتح ميديا وباكطريا وهرقانيا وعموم الجهات والاقاليم الواقعة في غرب نهر
السند التي كان اسكندر خضعها تحت الحكم المقدوني ومن بعد هذه الفتوحات عبر نهر السند ودخل
في معاهدة مع شندره جوبطه حسب ما ذكرنا من تفاصيل ذلك على قدر ما امكننا جمع منها و
من المحتمل ان باكطريا في المدة التي كانت باقية من سلطنة هذا الرئيس الحربي القوي البأس
استمرت في طاعة سلمية امنة مطمئنة للسلطنة الملوكية التي تقلدها سيليقوس فيما بعد في اسيا
ومن ثم ما وجدنا حوادث او وقايع مخصوصة بهذه المملكة الا قليلا الى حد سنة ٢٥٥ قبل
الميلاد التجرت ثورة ثانية فصلت باكطريانه من مملكة سوريا الى الابد ومن تحت احكام العائلة
السيليقوسية وما تحققنا عن المدة المضبوطة التي كان فيها طودوطوس تعين حاكما او عاملا
في باكطريانه ثم صار في الوقت ملك هذه المملكة التي تشكلت من جديد وانه وان كان جريقيا الا انه
ما كان مقدوني المولد ووطن نفسه فيها توطنا حسنا الا ان هذا الطامع الجريقي لما راى انطيخوس
سوطير بن سيليقوس مشتغلا في حروب طويلة بعيدة عنه شديدة الهول مع بطليموس فيلادلف
ملك مصر وضعفت منها قوته وتعجزت خزاين امواله سنحت له فرصة المجازفة بالحكومة في
الاقاليم الشرقية واعلنا استقلال نفسه واما ما يتعلق بطودوطوس ومشروعاته الخطيرة فانه
ما امكننا ان نجمع الا القليل منها من مورخي العصر الذين كانوا ظهروا في مدة وجوده فقالوا انه
رفع مع الثبات المملكة التي كان سببا في تأسيسها وانه وسع حدودها وادخل في سلطنتها
الـ غيطيون والقبايل والشعوب الاخرى الموجودة في الجهة الشمالية منها حتى وصل في فتوحاته
الى ضفة نهر السند واخضع الامم القاطنة على شواطيه الى ان عادوا لما كانوا عليه سابقا من
دفع الخراج للذين غلبوا على امرهم من الجريق ومما تم كان ذلك سببا في فتح باب طريق الفتوحات
في المستقبل حتى ان اهل الجراة والبسالة من الذين خلفوه يجولوا في داخل المملكة الهندية
الغنية التي هي مطلب الحب المستمر والطمع الاكبر لكل مجازف ومخاطر جديد برز في ميدان الحروب
الاسياوية ومع ذلك فانه ما كان لطودوطوس نصيب كبير كان او قليل في الفخر والمجد الا ما ذكره
يوسطين في حقه من القول انه كان تحت سلطانه لا اقل من الف مدينة عامرة في باكطريانه
وملحقاتها وفي اخر هذه المدة تقريبا او بداية الاضطرابات في السنة التي كان فيها منلوس
وانسو واطيلوس روغولوس قنصلين في روما الموافقة للسنة الرابعة عشرة من الحرب القرطاجي
وموافقة لسنة ٢٥٠ قبل الميلاد قام اردشير مؤسس العائلة الاشغانيانية في فارس

قيام مملكة فارطيا وجلوس اردشير الاول اول ملوكها

فارس وعزم على الاستقلال في فارطيا وهي الان اقليم خراسان قال اسطرابون ان اردشير
هذا كان اميرا صيطي الاصل من قبايل داهيا وكان اول ملك من ملوك العايلة المشهورة
المسماة بالعايلة الاردشيرية او الاشغانيانية وكان معروفا عند الجريق باسم ارصاسيس وعايلته
معروفة باسم العايلة الارصاسيسية وقام هذا الامير مغضبا في الاخذ بالثار والانتقام مما
حصل من الوقاحة والسفاهة والاهانة له ولاهله من المهين العامل اغاسوكليس وكان
مقيم عاملا من طرف انطيخوس طودوس في حكومات الاقاليم الواقعة فيما وراء نهر الفرات فكان
قيام اردشير سببا في تقوية حركات اخرى نظير حركته من قيام طودوطوس وخروجه من الطاعة
وتسلطن تاثير هذه الثورة في عموم المملكة السوريانية حتى ان الرئيس اردشير القوي البأس
تمم مع معاونة جسارته وبسالته كل ما كان عزم عليه ووجه التفاتاته اليه ومن بعد ان اوقع العامل
المجرم وما شاركه في الجريمة في سجن الموت ضبط اقليم فارطيا مع هرقانية وطرد المقدونيون
من عموم الاقليم ورفع في مدينة هيكاطومبيلوس بيرق كان سببا من بعد مدة قليلة في وقوع
ارتباكات وقلاقل في اسيا حتى ان نفس روما فزعت منه وهالها امره ومن العجب ان هذه
العايلة جلست على تخت دارا نحو من ٤٨٠ سنة وكان عدد ملوكها ثلاثون ملكا وما رأينا لها
ذكر في التواريخ الفارسية ولا العربية ومن ابتدا موت اسكندر الى حد سلطنة اردشير بابك
نحو من خمسماية سنة جميعها على بياض في التواريخ الشرقية وبمراجعتنا صحف تواريخ مورخي
الرومانيين رأينا هذه المدة مشحونة بوقايع تفتخر بها الامة الفارطية وتعجب بنفسها وان الملوك
الفارطيانيين الغير موجود اسماهم في تواريخ بلادهم كانوا هم الملوك الذين وطنوا انفسهم
وخوذا ماكلهم وما كان في طاقة الجيوش الرومانية وهي في اقصى درجات مجدها وفخرها ان تكبس
عليهم كبسا مستديما ثم انه من بعد ان قتل اردشير العامل انطاطيس الملقب اغاسوكليس
دعى رؤساء الاقاليم لينضموا معه على السيليقوسيين ووعدهم بعدم دفع خراج او رسوم
لم الا وكونهم يراعونه انه راس الملوك الذين خلصوا المملكة من الاحكام الاجنبية ومن هذا
الاتحاد نالت العايلة الاردشيرية او الاشغانيانية اسم ملوك الطوايف او جمهورية القبايل
وظن بعض المورخين ان العظمة العالية التي وصل اليها الملوك الفارطيانية ما كانوا الا
رؤساء اتحاد وملوك كل منهم حاكم في مملكة مستقلة ومستقل بنفسه ولو اننا ذكرنا في الجزء الاول
من هذا التاريخ مملكة فارطيا بوجه التفصيل ومن ثم لا حاجة لذكرها هنا الا ان الضرورة لها
الزامات تلزمنا على اننا لابد لنا من سرد ما يلزم من تاريخها هنا وما وقع من هذه المملكة
الجديدة الشديدة البأس حتى كانت سببا في احيا الباكطريانيين عدة من القرون فيما بعد في
صحايف هذا التاريخ وكان مبدأها في هذه المدة دفعا حاجزا وبنا فاصلا دون تحول
علائق السلطنة القليلة التي مقدارها اثني عشرة سنة التي تسلطن فيها طودوطوس وظهر انه
حصل بعض اختلافات خاصة بين اردشير وطودوطوس الذي اسس مملكتين قويتين
واستعد اردشير للغارة على باكطريانه الا ان ابن طودوطوس وهو طودوطوس الثاني و
خليفته من بعده اخذ لنفسه طريقا صارفيه عن مثل هذه العاصفة والصاعقة المزمع نزولها
ومنع ما يقع من الدمار والخراب في مملكتين اخذا حربهما جديدا من تحت ناف اجنبي ووجد
ان هذين المملكتين لو اتحدتا اتحادا قويا خالصا في المودة والصداقة فانهما لا يقهران وان
وقع بينهما اختلافات آل امرهما بالضرورة الى ان يكونا تحت رحمة عدوهما الاثنين ثم انه
من بعد ما بيننا للقارئ الهيئة الجغرافية للمملكة المعروفة عند القدما بمملكة باكطريانه نبين
هنا من قبل ان نسرد التفاصيل المتعلقة بسلطنة الملك الثاني في باكطريا معنى قولهم فارطيا
وما هي هي فنقول ان الاقليم المطلوق عليه في الحقيقة لفظة فارطيا هو الاقليم المعروف
في الازمان الحالية بعراق العجم ويقال له ايضا كوهستان اي الارض الجبلية بسبب انها محيطة
من كل جهة بجبال تشكل حواجز قوية لها من كل جهة وفي الجهة الغربية منها ميديا وهي اذربيجان
وفي شمالها هرقانيا اي مازندران وفي شرقيها اريا او اريانه او ايران وفي جنوبها

صحرا كرمانيا وما كانت فارطيا معدودة من ضمن الاقاليم المشهورة المهمة حتى كانت اقليما
او ايالة في المدد القديمة التي كانت قايمة فيها المملكة الفارسية الاولية او المملكة المقدونية
بل كانت داخلة في ضمن ايالة هرقانيا وكانت عاصمتها هيكاطومبيلوس اي ذات المائة
باب ومن البديهي ان هذا الاسم جريكي اللفظ الا انه لا توجد دلايل حقيقية يستدل منها
على ان الجريك هم الذين اسسوا هذه المدينة ثم اندرست هذه المدينة وامحت اثارها وقام
على اطلالها مدينة اصبهان الحالية وكانت هذه الحدود هي الحدود الضيقة التي حددت للملوك
الاول الفارطيانيين مملكتهم في مبادي امرهم ثم وسعوها بكونهم اسرعوا وتغلبوا من اعدايهم
على ميديا وفارس وبابل وفي سلطنة ميتريداطيس الخامس من ملوك العايلة الفارطيانية
الاشغانيانية دخلت كافة الامم القاطنة في الاراضي والاقاليم الواقعة بين نهر الفرات الى
جبال قوقازه في سلطنة فارطيا فمن ثم يجب ان نبين هنا درجة تقدم هولاء الملوك و
تفاصيل مظفراتهم وتغلباتهم على تلك الامم وذلك ان طورودطوس الثاني ملك باكطريا خلف
ابوه في سنة ٢٤٣ قبل الميلاد وبسبب ما كان عليه من الحزم وجودة العقل في سابق امره
اشتغل بالاعمال التي يكسب بها المملكة صحبة وصداقة اردشير او ارصاسيس ما بعد خسرانها
وفقدها في مدة ابوه فنال ما امله ويتسهل له الحصول بما اجراه من حزم السياسة على محالفة
اتحادية مع هذا الملك في المدافعة والمحافظة مع التبادل على مملكتيهما من اي غارة او هجوم
يقع على احديهما من الاجانب وفي ظرف هذه المدة مات انطيخوس ثيوس من سم دبرته
له زوجته لوديس من اجل ان توطن خلافة التخت لابنها سيليقوس كالينيقوس و
منع اولاده من زوجته برنيس ابنة بطليموس ثم ان كافة نتايج هذا الشغل الخبيث الذي
تولدت منه زعزعة عموم اسيا من جلب برنيس اخوها بطليموس اورغيطيس او المحسن وكان
استخلف على تخت مصر في راس جيش كثيف جرار الى سوريا لاجل الاخذ بثار اخته وابنها وهرب
لوديس وابنها الى قلعة واختفى خوفا من بطليموس المحسن والتجاها فيها ثم قتلها وابنها
شر قتلة ومن بعد اخذه الثار وقتله القاتلين وعوده الف وخمسماية صورة وتمثال
مخصوصة بتخز عبلات المصريين والهتهم كان قمبيز المعروف بلهراسب حملها معه الى فارس
بعد ما دمر المملكة المصرية ومن اجل عوده هذه الاشيا الى هياكلها ومحلاتها بمصر اثنى
اهل مصر عليه ومدحوه ومنحوه لقب اورغيطيس اي المحسن كل هذه مواد مخصوصة
بتاريخ مصر وسوريا ثم استمرت مظفرات اورغيطيس في اسيا في غيابة الجهل مدة من الزمن
الى ان وقع الكشف على عمود من الرخام في القرن الـ... استدل من نقش كان عليه ان مملكة
باكطريانه ما كانت من ضمن الممالك التي فتحها اورغيطيس فكان لهذا الخبر وقع عظيم واهمية
كبيرة عرف منه ما كانت عليه مملكة باكطريانه من قوتها وشدة حصانتها وحزم ملكها وعلى
المحقق ان طورودطوس كان حصن ممالكه من كل هجوم يقع عليها وجعلها حاجزا قويا وسدا
متينا مانعا لصد وتقدم فتوحات اورغيطيس وكان اورغيطيس عند ما ورث من ابيه
سلطنة مصر وليديا وسوريا وفينيقية وقبرص وليسيا وكاريا وجزاير السكلاده
جهز جيشا ضخما مؤلف من خيل ومشاة وجمع اسطول كبير وفيلة جمع بعضها ابوه من جهات
طروغلوديطيقة وايثوبية وبعضها جمعها هو بنفسه وجلبها الى مصر ورباها وعلمها
التعليمات الحربية واقلع بهذه القوى الى اسيا ومن بعد ان فتح كافة الاقاليم الواقعة في
تلك الجهة من نهر الفرات وهي سيليسيا وبمفيليا ويونانية والهليبون وتراسة عبر
نهر الفرات مع كافة قوى الممالك التي فتحها وملوك هولاء الامم واخضع ميزوبوتاميا و
بابل والسوس وفارس وميديا وعموم الجهات الى حد باكطريانه وبقيت فارطيا وباكطريانه
من دون ان يمسهما سوء من بطليموس ويحتمل ان ذلك لامرين ظاهرين له الاول بسبب ما كانتا
عليه من قوة الحصانة والمحافظة الى صلة من شجاعة وحزم راي وتدبير ملكيهما والثاني بسبب
ان هذين المملكتين كانا في عصيانهما الجديد في كراهة وبغض شديد لملكهما الاحق بهما من دون غيره
وما كان قصد بطليموس الا الانتقام والاخذ بالثار ومن بعد عود بطليموس الى مصر قام سيليقوس
كالينيقوس واخوه انطيخوس الصغير وسمي بهذا الاسم بسبب عدم قناعته من السلب والنهب

والنهب في الحروب العدوانية التي وقعت بينه وبين اخوه من اجل تقلد ايهما زمام السلطنة
ونشا بما اجراه من هذه الحروب خراب المملكة السورية ودمارها وكانت هذه الحروب طويلة
مدة شديدة العنف حتى انه في مدة استمرارها بينهما وجد كل من اردشير وطورودطوس سنوح
فرصة عظيمة في تقوية انفسهما في ممالكهما ومد كل واحد منهما حدود مملكته فوق الجهات المجاورة له
وفي المدة التي كانت فيها الاقاليم الشرقية من المملكة مقصورة على توسيع مشروعات هذان
الملكان قام يومينيس واطالوس ملكان تولبا خلافة التخت في مملكة برغاموس على التعاقب
وعملا غارات شديدة على الاقاليم الغربية من المملكة وتغلبا على القسم الاعظم من اسيا الصغرى
والى حد حصول هذه الاختلافات والارتباكات ما حصل فتور في الحرارة الدموية القايمة بين
الاخوين وما منعهما عما هما فيه احساسات ادب او حشمة او قرابة سياسية او واجبات اهلية
ثم من بعد ان لاقى سيليقوس اشد المصاعب واقبح الاهوال في ميدان الحروب ساعدته المقادير
وطرد اخوه انطيخوس من حدود اسيا وارغمه الهرب الى مصر والالتجا فيها حتى قضى امره
وقتل ثم ان سيليقوس من بعد ان ظفر باخيه عدوه وجد لنفسه فضا تام في عداوته على تدبير
الاعمال الداخلية للمملكة واعادة نظام الامن واستتباب الراحة واصلاح ليتر من العيوب
والاختلالات القبيحة التي حصلت من طول ما كان من شدة الحروب والاشغال المهولة التي
كانت حلت في كل جهة وكل اقليم من المملكة وكان من الحزم والعقل لهذا الملك التي اشتهرت
اعماله العسكرية بنصرة واحدة فاصلة له لو كان بذل جهده وحزم رايه في ادارة الاعمال
الداخلية لاقاليم مملكته التي ما زال لم يدخل فيها العفو والشقاق لكان ذلك احمد له من
افتتاح وقعة واحدة فيما شرع فيه من الهجوم مباشرة على اردشير قاصدا بذلك عود
فارطيا وخطفها من مخالب هذا الغاصب الشديد البأس فجاءت عاقبة هذا الهجوم وخيمة عليه
وانهزم شر هزيمة وراى ارتباطا قويا في دولة خصمه ومن المحقق ان اردشير كان متعاهدا
في هذه الحرب بحليفه ملك باكطريانه ثم ان سيليقوس لم يعتبر ما حصل له من مصايب هذه
الهزيمة ومعرفته بسوء الطالع بل تقدم بنفسه مرة اخرى الى حرب ما كان له اهلا على
اردشير وساق نفسه وعسكره الى قايد اهل جبال ووعر مصممين على استقلال حريتهم ولو
ان عساكر سيليقوس كانوا كثيري العدد الا انهم كانوا ضعفا القلوب مجردين عن النظام وحسن
العبارة فجمع اردشير لذلك كامل عقله وجراته وحسن تدبيراته وما يلزم من التدبيرات
الحيلية التي تكون لقايد جليل القدر في حركة عسكرية ذات تاثير وقال يوسطين ان اردشير
لما وجد كثرة عساكر سيليقوس تقهقر بعسكره نحو الجهة الشمالية ووصل في شعاب الجبال فيما
بين الاصبهانيين وبث في سيليقوس جيوشه الى هذه الاراضي الخطرة الداخلة في جبال
قوقازه وعلى شواطي بحر الخزر وكان ذلك سببا في هلوك عساكره من شدة الجوع وعدم
وجود الموونة ومن سهام ونبال الفارطيانيين فانهم كانوا يطاولونهم ثم يحملون عليهم
حملات مهولة من امامهم ومن خلفهم حتى سنح للفارطيين فرصة وهجموا على عساكر سيليقوس
هجوما شديدا وجالوا في صفوف اعداهم وهم على حالة غير منظومة فهزموهم شر هزيمة واسروا
الملك سيليقوس نفسه وشتتوا عساكره وابيدت جيوشه وعد الفارطيون هذا اليوم الذي حصل
لهم فيه النصر وتمام الحركة العسكرية يوم نصرتهم واتخذه الفارطيون يوم عيد وسرور في عموم
المدة التي قامت فيها مملكة فارطيا وكان تاريخ فرح لتمام خلاصهم من ربقة ملوك سوريا
واما سيليقوس فانه حمل بحالة الذل والهوان الى عاصمة فارطيا واستمر ماسورا في ديوان
اردشير مع الشرف والاكرام الملوكي الى ان قضى نحبه وفرغ عمره وهلك من بعد مضي اربع
سنوات من اسره ومن ثم كان هذا في الواقع هو العصر الكبير للمملكة الفارطيانية في انتشار
شوكتها وتوسيع اراضيها وممالكها لانه من بعد هذه النصرة استحوذ اردشير مباشرة على كافة
هذا القسم من ممالك الملك الماسور وراى انه من الحزم عمل الطريقة اللازمة للمحافظة عليه
وتراى له في ظرف هذه المدة انه تقلد زمام عموم الشوكة ولو انه لم يستلم قضيب ملوك سوريا
وراى ان عموم شانه وسمو شوكته مقصورة في الحكم بالعدل والانصاف لا بالهتافات الملوكية
ومواكب وبرهانات رسمية وسقطات بلقب سير وتوش الى الصاعقة ثم كانت مدة سلطنة سيليقوس

ثلاث سنوات ما اتخذ فيها شيئاً يعار عليه منه قوة او مجداً او تأثير يختص بالاسعادة مما رية
يعود بالنفع العام على آسيا ولا تولد من موته مفاجأة في سنة ٢٢٥ قبل الميلاد فتح طريق لروايات
عاليه وتشخيصات سامية في الملعب الكبير في آسيا ورمى لذلك في بداية الوقت صاحب الهمة
والحمية الوافرة المشهور بالفطنة العسكرية اخوه انطيخوس الاكبر وكان تغنيه بهذا اللقب من
عدة مظفرات حازها في ميدان الحرب الا انه من قبل ان ندخل في ميادين مفصلات هذه المظفرات
بالنسبة لشهرتها في حروب فارطيا وباكطريانه والهند لان تاريخ هذه الممالك في نحو هذه المدة
كان ممتزجاً في بعضه يلزمنا ان نوجه التفاتنا الى احوال مملكة باكطريانه ونذكر الثورة المهولة
التي قامت فيها وحصل منها تأثير شديد على الراحة العمومية والامن والرفاهية الداخلية وكانت
سبباً في انقراض عائلة الملوك الجريقية المتسلطنة في تلك المملكة وذلك انه لما ظهر اوطودوطوس
الثاني ملك باكطريانه كان جالس على تختها مع الثبات ومتقوي بمعاهدته مع ارودشير ثم وقع
الهجوم عليه بغتة في مدة صغر انطيخوس بجيش ضخم رأسه اوثيديموس صاحب مغنيسيا قال
المورخون انه كان اخوه والصحيح انه ما كان له به قرابة لانه لو كان قريبه فكان يلزم
ظهور هذا من الفاظ سعيره وقت ما ارسله بعد تغلبه على باكطريانه في شأن عقد معاهدة
سلمية مع انطيخوس وانه من بعد هزيمة مهولة في واقعة كبيرة اوقعها عليه المنصور [illegible] طرده
من باكطريانه واغتصب تخته وجلس عليه وذكر طايبوس ان حصول هذه الواقعة كان في سنة
٢٢٠ قبل الميلاد وقال ان هذا الغاصب كان صاحب مغنيسيا لان هذه المدينة دخلت في
امر كاليتيفوس في حال لقاء مع مدينة ازمير من اجل معاهدته مع الحمية وشدة البأس وما
زالت هذه المعاهدة موجودة تقرأ بحروف كبيرة باللسان الجريقي منقوشة على عمود من الرخام
محفوظ الى الان في مدينة اوكسفورد من اعمال انكلتره ويحتمل انه كان نفي في صفة قائد
من طرف ملك سوريا في شأن عمود هذا الاقليم وارسل معه القوى الملاكية ثم سول له طمعه
وحرصه وكثرة تولعه بشهرة نفسه على تغلبه على ما لا ينبغي بوجه العدل والانصاف فاستحوازه
عليه من حقوق ملكه الشرعي الذي ارسله في طلب المحاربة عن اجله وهذه الحالة ولو انه
معقولة القول في هذه المادة الا انها غير مستوفية بسبب ان الملك لما ارسل رسوله الى او
ثيديموس ما حصل منه ادنى اعتراف في طاعته الواجبة عليه لملك السورية ومن الممكن ان
اوثيديموس جعل هذه الفعلة بجعلها حجة او علة في اغواء اصدقاء الحزب الملكي والمنتمين اليهم
حتى ينضموا اليه تحت بيرقه من دون ان يحصل منه ادنى تنازل عن السلطنة لو نجح في الوصول
اليها ويظهر من اسم اوثيديموس انه كان جريقي الاصل وكان في سير حركة اعماله وبناهضه
في العسكرية في حالته الراهنة والمستقبلة شواهد ودلايل كبيرة على انه كان جريقياً ومهما كان
من امر الغارة واحوالها التي لا يعلم من تفاصيلها الا قليلا فانه تم امر الثورة وانهزم طو
دوطوس شر هزيمة في واقعة مهلكة وطرد مجرياً مدموغاً من على تخته وجلس عليه اوثيديموس
وحكم رعاياه مع الحزم وجودة العقل والعدل والانصاف وسار فيهم مع السيرة الممزوجة بالعفو
والرحمة ورفع منار مجد وفخر الاسم الباكطرياني وغرس اساسات مملكته غرساً عميقاً قوياً
ولنترك الان اوثيديموس مستحوذ على تخت باكطريانه في حالة لا ارتباك فيها ولا قلقلة
ونرجع الى انطيخوس فنقول ان انطيخوس استخلف على تخت سوريا وتتوج في مدينة انطاكيه و
عمره خمسة عشرة سنة في سنة ٢٢٥ قبل الميلاد ثم ان اخوس صاحب القدم الراسخ المؤيد
لسعادات عائلته والمتقدم الاعتبار الملك الب سيليقوس والى خط التاج المملكة اخذوه
بزعامه نار عقله الرطب في حب الفخر وعلو المجد وعرضوا عليه انه هو الوارث الشرعي والارشد
في الجلوس على التخت ومن ثم لم تشتبك مملكة من الممالك في اصعب الاعمال واخطرها اكثر مما وقع
لمملكة سوريا في خلافة انطيخوس فاما اخوس فقد فانه ما كان عديم الهمة والثبات طالب ميدان
الحرب فانه بمجرد تعيينه حاكماً في آسيا الصغرى اعاد الجهات التي كان اغتصبها الجسور
الشجاع اطالوس من المملكة ورده على اعقابه في داخل حدود مملكته برجاموس وتعين ايضا
واحد اسمه مولو واخر اسمه اسكندر اثنان من اشراف الناس ووجوههم كانا عند ابيه
الملك الب انطيخوس حاكمان احدهما في ميديا والاخر في فارس ومعهما اوامر صدرت
لهما من الملك بحفظ اقاليم آسيا العالية وضبطها من ايدي الغاصبين لها فاستحوذ هذان

هزيمة طودوطوس

هذان الحاكمان حكومة الملك الب انطيخوس وسولت لهما نفسهما حب الاستقلال وضبط
الاقاليم التي عهدت اليهما محافظتها والحكم فيها وتقلد كل منهما زمام سلطنة فاستحق اليهما
قوى عديدة فانهزمت هذه القوى على شواطئ نهر دجلة وبهذه الوسايط تم لهما حالة العصيان
وصار لهما طاقة على ان اضافا لمملكتهما اللاتي اغتصباها الاقليمان العليا ن بابل وميزو
بوتاميه وكان الملك الب انطيخوس مشغولا في اجتهاده عود سوريا السفلى من ايدي
بطليموس اورغيطيس وكان تغلب عليها في مدة سلطنة كاليتيفوس الب ابيه وكانت ما زالت
تحت يده وفي حوزته ولما بذل الحاكم المصري جهده واحترز وتيقظ في اعماله وقوى كافة
معابر ودروب الجبال الموجودة في سوريا السفلى وشحنها بالمقاتلة صبر عند انطيخوس امل
قليل في نجاح مشروعه في وقت ظهرت فيه اعمال مدمرة للجهات الشرقية ورأى ان الحالة فيها تحتاج
لزيارة بذل الجهد زيارة عن سوريا السفلى وصرف النظر في الحال عما كان عاملا فيه وعازما
عليه من امر سوريا السفلى وعمودها وشرع في سيره نحو الفرات معتمدا على ان ظهوره بنفسه
في تلك الجهات في رأس جيش ضخم اما وقوع الهول والفزع في قلوب الثايرين ودخولهم تحت طاعته
باختيار انفسهم او بواقعة عمومية توطئ النصر لمن يستحق الملك في آسيا فانفس فيما كان
يامله وينتظره من حركته هذه وذلك انه بمجرد قرب الجيش ما بعضها ترك الكثير من عساكر
العصاة جيوشهم ومن بعد واقعة ليست عنيفة ولا طويلة المدة انهزم العصاة شر هزيمة
ومن بعد ان هرب زعماهم وحجزوا من دون طايل على سلامة انفسهم بما قدروا عليه من الهرب
وقطعوا اليأس بما جنته ايديهم على انفسهم وعلى اهاليهم قتلوا شر قتلة بسبب جريمة عصيانهم
ولما حصل لانطيخوس الظفر والنصر بهذه المثابة في الجهة الشرقية من مملكته عزم على قدر
امكانه ان يعود لهذه المملكة امتداد حدودها القديمة التي كانت عليها في عصر سيليقوس
نيكاطور او المنصور موسسها الكبير وبراعره في اخضاع كافة الممالك المنفصلة ومن ضمنها
فارطيا وباكطريانه ثم انه في الحال الحاضرة ساق اعماله العسكرية نحو الزوس الاعجمي من الحريق
العزيز وطنوا انفسهم في الاقاليم المجاورة وخصوصا في ارض ميديا (اذربيجان) في القسم
المعروف باسم اطروباتيا وكان ما زال باقيا في حوزة ذرية الحاكم اطروباتيا الذي كان
تعين من طرف اسكندر نفسه حاكما على هذه الجهة ومن بعد موت اسكندر ولي وسط المنازعات
والحروب التي كانت واقعة بين القواد المقدونية استقل هو بنفسه في تلك الاقليم وتقلد اسم
ملك فتم انطيخوس هذه الاعمال وكان ميزانه من المنصورين الفايزين ثم ان انطيخوس وقع بينه
وبين بطليموس فيلوباطر او محب ابيه واقعة مهلكة في نواحي عريش مصر كانت متحوسة
منكوسة عليه وقام عليه في ثورة اوخوس في آسيا الصغرى فدمره وقطع دابره وهذا اليوم
محله وما لنا هنا الا ان نذكر انه من بعد تمام تلك الوقايع رأى عنده فرصة الفضا في شنع
المقصد الكبير الذي كان عقله وقلبه مشتغلا به في شأنه خضوع الاقاليم المنفصلة وهما فارطيا
وباكطريانه ووجد في نفسه حركة شديدة مؤثرة من اجل تيسيره الحصول على هذا المطلب لان
ارودشير الثاني ملك فارس ابن ارودشير الاول مؤسس المملكة الفارطية انتهز مدة غيبات
انطيخوس في وقت اشتغاله بالحروب في الجهات الغربية مع بطليموس واوخوس ودخل ميديا
في رأس جيش ضخم واضاف تلك الاقليم الى ما اغتصبه من الاقاليم الاخرى فغضب انطيخوس
من هذه الوقايع وشرع في الحال في استعداداته وقوى فعاله من اجل البطش به وجعل نفسه
في رأس كافة قواه وعساكره وكانت توجد صحراء واسعة لا بد من مرور انطيخوس وجيوشه
منها من قبل وصوله الى حدود ميديا فاصدر ارودشير الثاني امره بتعطيل ما فيها من العيون
والمنابع وردم ما فيها من الابار قاصدا في ذلك هلاك عدوه من شدة تعب السفر على
رملها مع عدم وجود مياه فيها وحصول الظما في عساكره لكن لما كان انطيخوس حازم مدبر
في اموره نفسه بصيرا متيقظا لما يحصل من الضرر وحصول الخطر فمن ثم سعى لاجل ازالة علل هذه
المضار شرذمات من الخيل من قبل سفره للمحافظة على الصحراء وحفظ ما فيها من العيون والابار
من اذى او ضرر يقع فيها فمن ثم ما حصل ما اجتهد الفارطيين بمرة نافعة فيما كانوا عليه من
السعي واشتد القتال بينهم وبين انطيخوس وكان هذا القتال غير موافق لقواعد واصول
محاربات الفارطيين فقيل انهم انهزموا وتقهقروا وفي اثناء هذه الهزيمة ما اهلك جواس
ارودشير وما اسرها وما ضاع عقله في الاعمال المعتادة لقومه وكان هرب والى فارطيا

وقايع ارودشير الثاني ملك فارطيا مع انطيخوس ملك سوريا

سير انطيخوس على مملكة باكطريانه

ثم مر الى دروب الجبال الوعرة في نواحي هرقانيا وكانت هذه مدينة محصنة ومكرا ويحتمل ايضا انها كانت فزعا وخوفا وشدد انطيخوس في عزمه وقصده واسرع في سيره خلف هذا الملك الهارب واخرج عساكره من خنادقهم التي كانوا فيها فوق اسنان الجبال وشتتهم في وسط الدروب الضيقة ثم جمع جيشه المشتت في سهل هرقانيا وسار به الى سيرنغيس عاصمتها وحاصرها بكامل قوته وما كانت مدينة سيرنغيس في بنا قوي واسوار محكمة لفنا ومع حصار ولا كان فيها طاقة على دفاع ومات جيش انطيخوس مدة طويلة فسلمت نفسها مع السرعة وصار انطيخوس في ذلك الوقت سيد العاصمة ثم ان الشجاع ارديشير الذي كان مغتصبا مملكة هرقانيا جمع جيشا ضخما من كافة الاقاليم والجهات التي تظاهر مرها وكان هذا الجيش مؤلف من مائة الف مقاتل من المشاة وعشرون الفا من الخيل وشرع في محاربة مهولة مع انطيخوس سفك فيها دما الجيش المحارب وحصل في ذلك مدة وقايع جزوية سفكه كان الفارطيون فيها هم المنصورين وما حصل في هذه المحاربات واقعة عمومية واخذ جيش انطيخوس كل يوم في القلة والضعف من يئس الحصول على ادنى ثمرة فاصلة ولما تعب وكل في اخر امره من هذا العطل الذي حصل في حرب ما راى لنفسه فيه نجاح ولا طالع سعيد حضه عجله على استماع ما يعرض لفصل الخلاف الواقع بينه وبين ارديشير فكانت هذه الاعراضات من اسعد الاوقات عند ارديشير لان عرضها وكان انطيخوس ايضا منتهضا لقبولها وتكررت بينهما الرسل فكانت مادة الاعراض في غاية من الايجاز وهي مرغوب ارديشير وشروطها ان ارديشير الثاني يلزم ان يستمر على استحواذه مملكتي فارطيا وهرقانيا وخادما للبيت الملوكي ومساعدا لانطيخوس بجيشه في عود ممالكه الشرقية الاخرى التي استقلت بنفرعها من سلطنته وتم لانطيخوس هذا الغرض وتقوى جيشه كثيرا بعساكر ارديشير وكانت معاهدته مع ملك باكطريانا انفسخ امرها بسبب طرد عائلة طرودطوس من على تخت باكطريانه وسار ملك سوريا نحو مملكة باكطريانه وهي مستقلة تحت احكام ملكها اوتيديموس وكانت على غير اهبة واستعداد لمثل هذه الغارة التي تحمل بها بغتة وكان اوتيديموس واضعا على ضفة نهر اريوس وهو نهر في مملكة اريا او ايرانا قوة مؤلفة من عشرة الاف مقاتل من الخيالة من اجل تعطيل سيرهم ومراقبة حركاتهم وكان هو معسكر في قوة من جيشه في نواحي طاغورية وهي مدينة في قسم طاغوريا ليست على مسافة بعيدة الان موقعها الان لا يعلم له وجود ولما علم انطيخوس من جواسيسه هذه الاخبار وكان على مسافة سفر ثلاثة ايام من النهر اسرع في حركة سيره اليه ولما صار على مسافة سفر يوم منه وردت اليه اخبار في هذا اليوم ان الخيل المحافظة على النهر في مدة النهار لها عادة في مدة الليل على العود الى مدينة في تلك الضاحية يلتجيون فيها بعيدة عن النهر بمسافة عشرون استاديا فاصدر انطيخوس اوامره السريعة باستعداد الجيش والحملة لحركة المشي الى الاقدام عند انشقاق الفجر وامر قواده باتباع حركته واما هو فانه من بعد ان استراح قليلا اخذ فرقة من الخيل والعساكر الخفيفة من جيشه واسرع في سيره الى شواطي نهر اريوس فوصلها في هدو الليل من دون ان يراه احد وعند انشقاق الفجر كان عدى النهر واسرع في شجاعة وسرعة قوية في الهجوم على العدو من قبل ان يصل اليه جيشه فوجد عدوه مستعد الدعي نفسه لملتقاه ولما راى انطيخوس نفسه على شرف الواقعة عزم على ان يوقع الرعب في قلوب اعداه وتقدم في راس ما كان معه من عسكره وكانوا لا يزيدوا عن الفي مقاتل وهجم بهم على العشرة الاف خيال الباكطريانيه فاوقع القتل في الفرقة الاولى منها وانهزمت فتقدمت الفرقة الثانية والثالثة في قوة جديدة لخلاص اخوانهم والاخذ بثار هزيمة اقرانهم وكان الملك وشجعا مع عساكره يحاربون في جانبه واحاط بهم الجم الغفير من اعداهم وكانوا اشرفوا على الهلاك لولا ان هب عليهم طالع السعد ووصل الى الملك وهو على اخر رمق قايده بانيطولوس بما كان باقيا معه من العساكر الخيالة السورية وخلص الملك من بعد ان جرح وقتل حصانه تحته في مدة الواقعة وكان يحارب عدوه مع الشجاعة فوق اقدام واوقع بانيطولوس بالباكطريانيين وهزمهم شر هزيمة وسار خلفهم حتى وصلوا الى معسكر ملكهم اوتيديموس وعادت العساكر السورية مع الظفر الى النهر في هذه الليلة وانضموا الى جيشهم الكبير ومن هذه الجهة شرع انطيخوس في السير نحو عاصمة الملك اوتيديموس وكان الجرح الذي اصاب انطيخوس

انطيخوس شديدا حتى انه سقط منه عدة من اسنانه من شدة اللطمة الا ان عاقبته كانت سليمة وما حصل له منه ضرر ولا اذى ثم الى ما وقفت على اخبار اورجها في شان الحروب الطويلة التي جرت بين انطيخوس واوتيديموس في شان خلوص انطيخوس باكطريانه من اوتيديموس الا ان انطيخوس تعب وملّ من طول هذه الحروب وما راى من شدة وقوة اوتيديموس ونباهته في اجرا حركاته العسكرية ومن ثم حصل عنده تشاوريه في هذه الحالة على كونه يسمع من اوتيديموس كما سمع من ارديشير شروط الصلح والمسالمة فارسل اوتيديموس لهذا الصدد واحدا من طرفه اسمه طيليس في صفة سفير الى انطيخوس وكان هذا السفير على غاية من الوقار والشهامة وثبات الجنان فتكلم بما يوافق في حق ملكه وقال انه من عيب عدم العدل والانصاف عند انطيخوس هياجه حربا مدمرة على باكطريانه كانت سببا في خراب البلاد وهلاك العباد والغضب على سلطنة ملكه ما عنده ادنى حق في الطاعة له بل وانه تغلب على مملكة باكطريانه بحق تغلبه على الذين ضبطوها مدة طويلة من قبل واستقلوا بها ونبذوا طاعة المملكة السورية وراءهم ظهريا وتغلب هذا الملك على ذراريهم بالحرب وطردهم من على تختها فنهاكان من الكراهة والعداوة فهم الذين كانوا جنوا على انفسهم بالجريمة والعدوان وما نال انطيخوس من هذا الملك ادنى امر يوجب العداوة وان لقب ملوك سوريا في مملكتهم ليس على اساس ثابت احسن من اساس لقب هذا الملك في باكطريانه وما ارى في ذلك عدلا ولا انصافا ولا حكما فيه الا جمع اتعاب ومصاعب وسفك دما كثيرة في ميدان الحرب ثم قال طيليس انه من الحزم والعقل والراي اصابة الواجب اجراه والحالة هذه حتى كل من الطرفين على شيم السيوف واغماد السيوف السوح المحرب لمعارضة ومهلك العباد وسيل على قبائل الصيطيين او التتار المتحمين على الحدود الشمالية من باكطريانه وما زمت على انتهاز الفرصة في هياج حرب عنيف مستطيل يبرهنون به انفسهم ويعززون به ممالكهم وهم منتظرون في وقت سنوح الفرصة على انهم يصيبوا في واضح المملكة الوفا من المبتريين منهم ويأخذون الجايزة التي يريدونها من ايدي المتحاربين مع بعضهم وبهذه الاقوال التي عرضها طيليس تقوى انطيخوس فيما كان يطلبه بشروط ليست مجردة له من شرفه ولا من سمو سلطنته في وضع انفصال حرب في الوقت ليست عايدة عليه بثمرة فضلا عما طوله وملقها ودخل في المواد السلمية التي انفصل بها الخلاف الذي كان واقعا بينه وبين اوتيديموس وكان من جملة مواد هذه الشروط انه يسلم لانطيخوس كافة الفيلة الموجودة في جيشه وفي نظير ذلك يلزم ان يكون مثله مثل ارديشير من ان يكون حايزا لقب ملك وتحت طاعة البيت الملوكي السوريالي الذي هو السيد الاكبر لاسيا ومن اجل التصديق على هذه المعاهدة وغرس محبة انطيخوس ارسل ملك باكطريانه ابنه ديمتريوس الى معسكر انطيخوس وكان شابا جميلا ظريفا فاكرمه انطيخوس وراعاه مراعاة ابن ملك ووارث لمملكة كبيرة وقرر انطيخوس عمومية لقب ابيه بانه ملك باكطريانه وستر هذه المخالفة بزواج هذا البرنس الشاب بابنته واما المواد الباقية من المعاهدة فانه صار المداولة في كل واحدة منها على حدتها ووقع التصديق عليها من الملكين وعقدت بينهما الايمان الاكيدة وكان ذلك في سنة ٢٠٥ قبل الميلاد وفي السنة الحادية والخمسين من تاريخ الملوك الباكطريانية ومن بعد مضي مدة قليلة من بعد ان استلم انطيخوس الفيلة التي وقع الاتفاق عليها وانعم انعامات جليلة على عساكره من اصل الهدايا الوافرة التي ارسلها له اوتيديموس ساق عساكره نحو جبال خرق زو المصدى او الهند وقوه والتقا مع سوفاغسينوس ملك الهند وربطه في معاهدة موجزة كما ذكرنا في الفصول التي وعدنا او انطيخوس عاد قليلا الى ماية وحين قيلو عبر ثانيا نهر السند وسار من ارض اراخوسية ودرنغيانه وكانت الاعمال العمومية الحربية في الجهات الغربية وفي الجهات التي مر منها محتاجة لوجوده وحضوره من اجل عود النظام والهدو واستتباب الامن وقضى فصل الشتا في ارض كرمانيه وفي اوايل فصل الربيع شرع في حركة سيره راجعا من ارض فارس وبابل وحيز ميسوبوتاميا ووصل انطاكيه من بعد ان غاب عنها سبع سنوات وعاد عليها من غزواته وعلى لقب الكبير الحقيقي وكانت نتايجها شهرة اسمه واذاعة صيته وما كان عليه من التدبير وحسن العقل وزيادة التأمل والتبصر في العواقب وكان من طالع سعده ايضا لو كان في اعماله الاخيرة في مدة حروبه الطويلة ومصايبه الشديدة مع

الرومانيين بواسطة السير الذي كان عليه ومحترزا فيه في الجهات الهندية وارشده الى ذلك مجلس
نجيبه او مرشد من اهل الحزم والعقل فلا شك انه لم يكن في مثل الاعمال فانه ليست من خصايص هذه
الاقاليم بل يلزمنا الان ان نعود الى تاريخ الملوك الجريقية في باكطريانه فنقول اننا ما وجدنا
الا شي معلومات قليلة مخصوصة بالملك اوتيديموس زيادة عن كونه ثبت على تخت مملكته والاول
ما اعتنى به هو توجيه جيشه على رحالة الصيطيين وكانوا في اثنا الحرب بينه وبين انطيوكوس
ازعجوا المملكة بغاراتهم عليها ولا اخبر ما حصل من هياج هولاء البربريين من وقوع غاراتهم
قضى ما بقي من حياته في توسيع اراضيه الهندية والظاهر ان هذه الغزوة الاخيرة كانت
مشهورة عليه الا اننا لا نعلم شيا حقيقيا يختص بامره من بعد هذه المدة ولا بما يختص
بموته وانتهى سلطنته بل استدلينا من بعض تواريخ ان ابنه ديميتريوس ما وصل الى خلافة
تخت باكطريانه والزمته الاحوال ان يسجد امام صاحب البأس ميناندر الذي سنبسط الكلام
تاريخه ونلقب باسم ملك باكطريانه والهند

الفصل التاسع

ذكر الاستمرار في القول على تاريخ مملكتي باكطريانه وفارطيا بسبب اتصال الجامع الهند = و
ذكر ميناندر الملك الرابع من ملوك باكطريانه = وامتداد فتوحاته وعلو درجة صفاته =
وفتوحة ديميتريوس ابن اوتيديموس في ممالك الهندية العربية = وجلوس اوكراطيدس الملك
الخامس على التخت = وهجوم الجيش الصيطي على عاصمته = وطرد الصيطيين بمساعدة مثريداطيس
ملك فارطيا = والعود لذكر تاريخ مملكة فارطيا = وارتقا هذه المملكة الى درجة عالية من
الفخر في مدة سلطنة مثريداطيس = ومساعدته لاوكراطيدس في قطع مقاصده = وفي مدة
غيبة اوكراطيدس حصر ديميتريوس عاصمته = وهزيمة ديميتريوس وموته = والقبض على
اراضيه الهندية وقسمتها بين اوكراطيدس ومثريداطيس = وذبح اوكراطيدس بواسطة
ابنه المدعو اوكراطيدس ايضا وجلوسه على تخته ومن بعد سلطنة قبيحة لبثت اثني عشر سنة
هجم على مملكته الفارطيين من جهة والصيطيين من اخرى وهلك مقهورا مفضوحا وانطفا
نور المملكة الباكطريانية وضاع مجدها = وذكر تاريخ مختصر سفيفق يعني بل الصيطيين او
الذين تار الفاطنة في الاقاليم الشاسعة من اسيا الشمالية وذكر طرف من الوقايع المهمة
التي حصلت حتى صارو اسيادا مملكة باكطريانه

قال بعض المورخين ان ميناندر كان اخو اوتيديموس وقال بعضهم انه كان من اقاربه
فيما كان من ذلك فانه الظاهر انه وطد جلوسه نفسه على تخت باكطريانه من بعد مضي عشرين
من توجيه انطيوخوس او في سنة ١٩٥ قبل الميلاد ومن المحتمل انه كان واحدا من الملوك الجريقيين
الذين بجرمهم وعلو مقدارهم صار لهم طاقة على توطين انفسهم في الاقاليم الجنوبية من الهند
والظاهر ان هذا هو ميناندر الذي ذكرناه سابقا وقال اريان المورخ انه وجد نقودا
مضروبة باسمه وعليها صورته في مدينة باريغازه او باروش وقال انه اخضع امما عديدة
وزيزيروس على ساحل المليبار ومنها جرى الى باكطريانه وورابب وقيل انه استحوذ على
هذه المملكة الواسعة باتحاده مع ديميتريوس وعلى حسب قول اخر انه لا صحة في القول باتحاده
باتحاده مع ديميتريوس لان هذا ما استحوذ على شي في خلافته على قطعة من مملكة ابيه ولم
يدرج اسمه في قايمة الملوك الباكطريانيه وهذا هو الصحيح لانه كان من تخيم سحب الوقت
التي غشت على كافة اعمال ميناندر وغطت على ضوء فخر سلطنته التي لبثت خمسة عشرة سنة
ثم ان ميناندر من بعد ان وسع مملكته بواسطة فتوحاته في الهند ورفع فخر المملكة الجريقية
في باكطريانه الى اقصى درجة في العلو اصابته حمى شديدة كانت سببا في قطع حياته في عين
الوقت الذي كان عزم فيه على توجيه النقاشانه للغلبة على السلطنة السورية وكانت في
هذا الوقت ضعفت بالكلية وعجزت عما حصل بها من المصايب التي اصابتها من كثرة محاربتها
مع روما ثم اعقب الغزوة الاولى التي غزاها انطيوخوس في باكطريانه غزوة سليفوس
الملقب بمحب ابيه اي فيلوباطر وكان ملكا ليس خاليا من الشجاعة والحزم والحكمة وقد

وقد ذكر بلوطارخوس الاراء الحميدة والصفات العالية الجيدة التي كان عليها ميناندر فقال
انه كان عالي القدر عظيم الهمة والمروءة وما كان يتحول عن ما شهد به اغراضه عن محبة العدل
واستعمال الرفق واللين في سلطنته وشوكته التي كانت لبثت تحت حدوده وحتى ان الكثير من
مداين مملكته اختلفوا اختلافا كبيرا في وقت موته في تشريف مداينهم بوضع جثته عندهم ولما لم
توجد طريقة في رضا هولاء المداين واطفا ما حصل بينها من الاختلاف حرقت جثته
الملك ووزع رمادها على الست وهي بين المداين فوضعوها في مباني مفخرة فشيدت لها با
بخصوص في كل مدينة من المداين الكبيرة الموجودة في مملكة باكطريانه ولو ان باير المورخ
ادرج ديميتريوس في صنف الملوك الجريقية الباكطريانية الا اني اظن انه لا يجب اخراجه من
هذه العايلة الملوكية خصوصا وانه من بعد موت ميناندر الملك نظر انه بلغ درجة السلطنة
لا على الاقاليم الهندية الواقعة مباشرة على حدود باكطريانه فقط بل وعلى الاقليمات التي
فتحها ميناندر الى فم نهر السند وساحل مليبار وذكر باير مدينة يقال لها ديميتريوس كانت
هذه المدينة عاصمة ارشوسية وقد ذكرنا ان هذا الاقليم كان قسما من مملكة باكطريانه فمن المحتمل
ان الذي انشا هذه المدينة هو ديميتريوس هذا وكذا ذكر في جغرافية بطليموس مدينة واقعة
بين نهر هيداسب ونهر السند الا انها اقرب لنهر السند من نهر هيداسب تعرف بمدينة اوثيديمونيا
فمن المحتمل الكبير ان الذي كان بناها ديميتريوس وسماها باسم ابيه تعظيما له ولو
ان ديميتريوس ما كان مندرجا في صنف الملوك الذين خلفوا بعضهم بعضا بوجه الانتظام على
تخت باكطريانه الا انه حاز الثت مملكة الواسعة في الهندوستان فتشهد له بالشهرة والامتياز
وعلو الدرجة في صحايف هذا التاريخ وانه من بعد ان تسلطن وتمتع بسلطنته الهندية في راحة
وامنية وعدم حصول ارتباكات وقلاقل مدة طويلة من السنين و[illegible] جيش جريقي جرار
فيما ورا نهر الكنج ومن بعد انه حاز شرفا مثل شرف انطيوخوس في مدة شبابه وجنى ثمرات
شهرة سيئة في حروب غير منصفة ولذة في ميدان الوقايع قضى هذا الرجل العظيم حياته في سوء
بخت منكوس تحت ستر هزيمة وخزي ومات مهينا منفيا كما سنذكره في فصول هذا التاريخ
في السلطنة الاوثية ومن قبل ان نذكر هذه الفصول يجب ان نذكر مع غاية الايجاز ما جرى
من الاعمال وما وقع من الحوادث في المملكة الفارطية حيث ذكرنا انه في مجاري الثورة التي
اشتهرت الى مملكتين مستقلتين كانتا اتحدتا اتحادا حبيا مع بعضهما وذلك انه من المعلوم
المعاهدة التي كانت بين مملكتي باكطريانه وفارطيه انفسخت من تلقا نفسها في مدة هجوم انطيوخوس
على مملكة باكطريانه وثب عمه انطيوخوس بقسم من جيش فارطيه على مقتضى نص معاهدة الصلح
بينه وبين ارداشير الثاني ثم جلس على تخت فارطيه من بعد ارداشير الثاني بيريباطوس ولو ان
اسم المعتاد كان ارداشير ايضا لان ملوك هذه العايلة المشهورة كانت اسماهم جميعا
ارداشير وكان هذا الملك ما عنده ادنى سماع نختص به شهرته ولا بباطنه ورداوة في
اعماله ومن عاشه واصابه مرض حاد ومات مذموما مدحورا من بعد سلطنة لبثت خمسة
عشرة سنة وجلس من بعده ابنه فراهاطيس او فراعطيس الاول فاكتسب قطعة كبيرة
من الشرف والشهرة بواسطة تغلبه على الميديين وهم قبيلة اهل عنف وشدة من الهمج قاطنة
في جبال ميديا في ضواحي بحر الخزر وما كانوا خضعوا لاحد الى حد غارة اسكندر ثم صاروا
من بعدها في غاية الشرة والصعوبة ثم وصى فراعطيس الاول بقضيب ملك فارطيه الى
اخيه مثريداطيس الاول وفتح حقوق اولاده في السلطنة وكانوا لم يزالوا الى الان
قصيري السن وكان مثريداطيس ملكا صاحب قريحة وشطارة وتدبير وحكمة مشهورة عالي
الهمة والمقدار صاحب عدل وصدق وامانة واتفق عموم المورخون على ان المملكة الفارطية
بلغت اقصى سعادتها وعلو مقدارها وعظمتها في مدة سلطنة هذا الملك الدرس زيادة عن
السلطنات التي سبقت ومن ثم اطلق عليه مثريداطيس الاكبر وانه مع ما تم من الفتوحات التي
كانت حصلت في عهد السلطنات الماضية من كثرة الحروب مع العايلة السليفوسية فقط بل و
مع فتوحات فارطيه حتى وصلت الهند من الجهة الشرقية وشواطي نهر الفرات في الجهة الغربية
وفي مدة سلطنته كانت اول مقابلة الفارطيون والرومانيون ليس في حالة حرب بل اجتماع
سفرا اجل تنظيم معاهدة سلمية بين الدولتين الكبيرتان في ذلك العصر وبواسطة تدبيره
وجودة قريحته صير ممالك اسيا الكبرى تقريبا تدفع اليه خراجا معلوما سنويا ولما تمزق على

قوله ان هذه المعاهدة كانت لمدة ما في السنة والله اعلم مؤلفه

التدريج من المملكة السورية ايالاتها وعمالاتها الغنية واطمع متريداطيس على الاستقلال من
ايراداته الواسعة على طرف اغتصاب وسعيه الباقي من عاجز اليد والعقل سيليكوس نيكاطور
الملك المتسلط في سوريا وكان سيليكوس عرفانا في بحر ملاهيه وشهواته في انطاكية او
انه كان مشغولا في حروب مع رفقائه في مواقع العصاوة عليه في الجهات الغربية من ممالكه و
ما كان عنده ميل او خطر في ذلك الوقت في التفاته الى شيء يختص بالجهات الشرقية ومع هذا
فانه ما زال كان باقيا في سهول اسيا رجل حربي مقدام شجاع هو ديمتريطوس المتقدم
ذكره وكان في هذا الوقت كامل العقل قوي الجسم ولو ان السنين احنت ظهره الا انه قبض
على السيف بيد ثابتة قوية وحمى الثغور الهندية في نفس الموضع الذي ازدرى فيه بوروس محاربة
اول محارب حربي كان طمعانا في كل اقليم في ارض المعمورة وهو اسكندر الاكبر وكان من طالع
السعد وفوز البخت له ديمتريطوس لو استمر على المدافعة مع بطء الحركة وكان مما وقع من متريداطيس
من التصنع والحيل والمكر وما اجراه من سياسته استحوازه بما هدة سلمية ووزارات جيدة
على الامر الذي قطع الياس من خضوعها له بطرق صعبة جمع من الناس من ماية الى اوكراطيد
يس الملك المتسلط في باكتريانه ضد الصيطيين وكانوا في محاربات شديدة مع اوكراطيديس
وكانوا هم العدو الالد الذي لا يغفر عنه كل من هذين الملكين ومن ثم انعقدت صحبة قلبية
بين ملكي فارطيه وباكتريانه واثنى ملك باكتريانه الجميل على ملك فارطيه في نظير ما
قدمه له من الالتماس وهو في اصعب الاوقات واضيق الاحوال وبواسطة اجتهادهما واتحاد
قواهما وكثرة عدد عساكرهما ظفروا ونالوا ما كانا شرعا فيه من امر الصيطيين ثم من بعدها
ومرا ديمتريطوس وقسمت ممالكه الهندية بين هذين الملكين صاحبي الباس الشديد وقبل ان
سعدها وثبت في مملكته فانه كان يوجد بين محبي الاستقامة من اهل الحمية والغيرة من
الروساء الذين اصلهم من الجريق وخلفوا اسكندر في ممالكه الاسياوية الذين داسوا تحت اقدامهم
على الروابط الطبيعية وعقد الواجبات الاهلية وما زالوا كانوا في عبرة مستمرة وهم دايما
في حروب وبطش وانتقام فوي فتل هذا كان موجودا بين اوكراطيدس وديمتريطوس في
مدة سلطنتهما جميعها من دون حصول فكره او حزم راي في عدم الاختلافات الواقع
بينهما حتى صيرت الافكار في الغرابة بينهما مختلفة التصديق ثم ان وقت تاريخ جلوسه على
التخت وضبط حقيقة مدة سلطنته في غاية لا تدرك بسبب اطلاعها ولو قال يوسطين ان
ابتدا سلطنته في باكتريانه كانت تقريبا في نحو الوقت الذي جلس فيه متريداطيس على تخت
فارطيه وابتدا جلوس بايرد ان جلوس اوكراطيديس على تخت باكتريانه كان في سنة ١٨١
قبل الميلاد الا ان الصحيح انه في ذلك الوقت كان فراهاطيس او فراعطيس جالسا على تخت
فارطيه ولا افل من ان الفرق بين مبدا جلوس كل منهما على تخته خمس سنوات ومهما كان من
معرفة المدة او عدمه وكونه جلس على هذا الموضع العالي بالقوة او بالوراثة فالظاهر ان
القسم الاول من سلطنته انقضى جميعه في حروب وكروب دموية مستمرة مع القبايل البحية
الصيطية وكانوا مثل الطيور حايمين على الدوام على الثغور الشمالية من مملكته وعلى عدم صبر في
ضبط هذه المملكة كما كانت حقيقة حالتهم عند ضعف حكومة ابنه وخلافته على الاراضي
ان سعة الطريقة وقال يوسطين ان اقليم الصغد ودرنغيانه المتكلات قسما من المملكة
الباكتريانية قاما بالسلاح على اوكراطيديس فاصدان اخذ كل ما يدعوه طمعه والفارطيين
وكان الجريق المقدونيين الد الاعدا للفارطيين بسبب ما كانوا عليه من الثوران والهياج
والظلم الجاير حتى نصرته عليهم ولوازم نا حرت سنين عديدة ومن المحتمل ان اوكراطيديس عند
عدوله عدة العساكر الفارطية في هذا الشان اعان ملك فارطيا جيشه ومنحه نفسه
لملك الباكتريانيين رغبة في مقاصدا طماعه حتى رفع الشوكة ودرجة زايدة عما كان قبلها
وحتى زيارة على ملك سوريا فراى اهل الافكار والعقول من الجريق ان مداومة هذا الاتحاد
في خفض مصالح الفارطيين وزيادة الانضمام الى حكمهم هو تجريد من الشوكة وكانه يلتزم تابع
لملك فارطيه واما كل عمل يعمله في سلطنة اوكراطيديس يعود عنه بجد او فخر حتى له انه يحوز
على عقل كبير او سياسة عسكرية او طمع حذاقي في اخر الامر فهذا الاتحاد مع الملك الفارطياني
بصفة انه لو كان مغاصبا فكان من الضرورة الواجبة تقلده الحكومة على جميع العاصين عليه

عليه من الجريق وان كان ملكا شرعيا فكان هذا من الاعمال القاطعة والاحترازات الصايبة من
الصيطيين ثم انه في مدة غيابه الطويل من عاصمته دخل اشراف المدينة ووجوهها من الجريق ابن
ملكهم وجيرانهم القديم للحضور ليكونه سلطانا عليهم ووعدوه في بذل جواهرهم ومساعدته في جلوسه
على تخت ابيه فما جبن ديمتريطوس لحظة من الزمن في اطاعة طلبهم ودعواهم ومن بعد عوده
الى البرية ما حرف الصغد شوهد مع الاحتفال والابهة ولما وجد اوكراطيديس في قوة قليلة
ومجرد من خزاين ... فقوده حصانة ديمتريطوس في عاصمته بالحصار بعزة مؤلفة من ستين الف
مقاتل وكان ديمتريطوس يدعي في ذلك الوقت بملك الهند فاما من جهة الحصار فاننا ما وقفنا
على مفصلات ... وقفنا عليه من يوسطين المورخ فانه قال ان الحصار امتد مسافة خمسة
شهور وكانت نتيجة الاخيرة وخيمة منكوسة على ملك الهند ديمتريطوس فانه انحطم بواسطة
غارات ضباط عدوه على عسكره خارج اسوار المدينة مع الشدة وبذل الشجاعة حتى انه من بعد
مضي الخمسة شهور التزم ديمتريطوس على ترك ما هو فيه من مشروعه وفي هذه الحالة رجع اوكراطيديس
هو وضباطه وصار المحصورون هم الى حدود وباتحاده مع حليفه ملك فارطيه ارغم ديمتريطوس
على الرجعة في داخل الثغور الهندية واخذ منه كافة فتوحاته التي افتتحها على التدريج في هذه
الاقاليم الواسعة واخيرا طرده من بعد ان بلغ من العمر ثمانية وسبعون سنة من تخت كان جلس
عليه مع الظفر والابهة مدة طويلة من الزمن في شوكة تامة قوية ومجد وابهة كريمة وقال بايرد
ان ملوك هذه العايلة حتى اعموم الهند وفتكيرا عليه فمن المحتمل ان قوله هذا كان مقصورا الى
ممالك طاكسيليس وبوروس والممالك الموجودة على كل من ضفتي نهر السند الى حد بنكالة وهذه
جهة كبيرة الاتساع في الحقيقة تمتد في الطول الى ما يفوق عن الف ميل الا انها قطعة قليلة
السعة بالنسبة لاقليم الهند وقدر الشدها في ذلك الوقت انها كانت ثلث المعمور من الكرة
ومن ثم فيلزم ان يكون ديمتريطوس حاز في مدة سلطنته الطويلة سلطنة الاقاليم القاصية
الشرقية الهندية اذ لم يكن في مقتبس حجازونيه فيفي الاقاليم الواقعة في نحو النهر الذي استعلت
اسماها منه وهو نهر الكنج لانه وجدنا انه في وقت قسمة مملكة ديمتريطوس بين ملك باكتريانه
وملك فارطيه من بعد تمام الحرب ان متريداطيس ملك الفارطيين خصه في القسمة الاقاليم
الواقعة بين نهر هيداسب ونهر السند وخص اوكراطيديس جميع ما بقي في الجهة الشرقية
والجنوبية من ممالك الهندية ثم ان متريداطيس من بعد مضي بضع سنين ومن بعد قتل
اوكراطيديس بواسطة ابنه بخيانة وغدر امد فتوحاته كثيرا نحو الجهة الشرقية لان هذا الملك
السياسي العسكري الباس الذي رفع منار شوكة المملكة الفارطية وعظيم سلطنتها وصارت
الى اعلى درجات اوجها كان قد اضاف الى ممالكه غالب الاقاليم الكبيرة من اسيا العليا التي كانت
شكلت قسم من المملكة السورية ولما التقى طالع السعد في الحرب حفا لبدء ليد هذا الملك التغلب
ايضا على كافة الاقاليم الواقعة على نهر السند ونهر الفرات وهي فارس وميديا وبابل وميزو
بوتاميا ووقعت ارمينية ايضا في يدي هذا البطل الهمام ثم انه من بعد موت اوكراطيديس
اشتبك حليفه مع ابنه في حرب دعوى وفتح لنفسه طريقا ولوج سهلة لداخل الاقاليم القاصية
الشرقية التي كان استحوذ عليها اوكراطيديس في الهند وطوقه من دون ريب بواسطة طرقه
المنادرة في هذه الاقاليم في مثل هذه العصور المرتبكة فمن ثم ما كان نهر الكنج هو المشكل
للحد الابعد للمملكة العجيبة التي حازها هذا الرجل الجزلي الكبير متريداطيس فيتفق ان شرع كنه
وبهذا كان ملك فارطيه ملك الهند في احكام وسلطة وسرور ما كان عليه باكتريانه واستمرت
سلطنة العايلة الاورشيرية او الوسعا بيانية على هذا القسم الهندي الذي كان فتحه مقدوني
الجريق بدرجة كبيرة او قليلة الى ان تدهورت شوكتهم وزالت دولتهم وسلطنتهم في نحو سنة
ماية بعد الميلاد بواسطة اردشير بابك مؤسس العايلة الساسانية في ارض فارس
ثم اننا ما وقفنا على منصوص تختص بموت ديمتريطوس من القطع التاريخية التي وصلت الينا
المختصرة بهذه الجهة المظلمة من ميلادها وخبارها واما اوكراطيديس فانه لما رجع لنفسه
سلطنة المملكتين عاد الى باكتريانه وتقلد زمام السلطنة وضرب السكة باسمه ونقش عليها

الملك الاكبر وكان في الحقيقة اهلا لهذا الاسم فانه في مدة غيبته وحتى في مدة بقائه للغزوة
في اسيا الجنوبية كان الزحف الصيطيون خاليين القوة بالكلية الا انه اجتمع امم كثيرة من كل
جهة واوقعوا الدمار المهول المفزع في الاقاليم الشمالية من اسيا وهددوا بعدم المملكة بالدمار
والخراب فمن شدة ثباته وقوته وتيقظ في اموره اخمد هذه الهيجانات ومع هذا فانه اليوم
المشئوم ما زال كان كالمتأمل في المستقبل وذكر استرابو ان اوكراطيديس لاجل ما يوقع الرعب
في قلوب الصيطيين شيد مدينة كبيرة فوق باكطريانه وسماها اوكراطيديا وكان ختام حياة
وعاقبة امره مثل ختام حياة ديمتريوس المهزوم بغير مجد ولا شرف وذلك انه لما طحنته
السنين والاعوام والمشاق والاتعاب من هذه المملكة الكبيرة اتسعت استصوب ان يكون
ابنه المدعو ايضا اوكراطيديس شريكا معه في سرير المملكة من اجل المحافظة عليها الا ان هذا
الابن لما كان يكره ما كان ابوه راغبا فيه من الاتحاد والمحالفة مع الفارطيين سنحت له فرصة
في وقت ما كان الاثنان راكبان في عربة واحدة في يوم سفر فقتل اباه الطاعن في السن
خفية وهلك بهذه الحالة اوكراطيديس الاول مهانا وكان اشهر الملوك الباكطريانية واشجعهم
شكيمة وقوة وحسب القاتل الذي قتله والوحشة التي اعترته في قتل ابيه بعلامات الدعاء
والسخط من رب الارباب لانه في ظرف مدة اقل من اثني عشرة سنة طرد مع الذل والخزي
القاتل من على تخت تغلب عليه بواسطة هدر دم ابيه وانقرضت المملكة الجريقية الباكطر
يانية وصارت لا تعد من الممالك السلطانية الكبيرة الاسياوية وكان وقوع هذه الحادثة
على ما ذكره بايير في جدول تدويناته السنوية في سنة ١٤٥ قبل الميلاد وفي سنة ١١٠
من تاريخ قيام المملكة الباكطريانية ووجدت صورة اوكراطيديس ولقبه المذكور انفا
منقوش على صحيفة من الفضة في ضواحي مدينة استراخان على سواحل بحر الخزر وتلك
الصحيفة محفوظة الان في ضمن الذخائر الامبراطورية الروسية في مدينة سنت
بطرسبورغ ثم ما اسرع من انه من بعد جلوس اوكراطيديس الثاني على تخت باكطريانه مع
المهلكة والبشاعات حتى زحفوا بغيرة وحماس في محالفة قوية مع ديمتريوس ملك
سوريا وكانت معاهدة قاعدتها والاعتراف بها ودمار وانقراض شركة ملك فارطيا و
دولته بالكلية ودخل في هذه المعاهدة غالب الاقاليم المجاورة لمملكة فارطيه خصوصا اهل
فارس وميديا والعلميناينين وكانوا في هدو وسكون متحملين من مدة طويلة مع
غاية الاشمئزاز والنفور اثقال مظالم وجور الملك الوحشي من الاوشغانيين وكانوا
يراعونهم انهم من وحوش همج الصيطيين فاما ديمتريوس بما انه كان على غير طائل من قبل
في بشره الحصول على فتح اقاليم الشرقية من الشوكة التي كانت اغتصبت منه من مدة طويلة
فانه لم يتقوى بهذه المعاهدة وشرع في سيره وحركته الى اسيا العليا وعبر نهر الفرات في
راس جيش ضخم جرار الا انه قليل الغيرة والشجاعة واجتمع تحت بيرقه الكثير من شجعان الجريقية
وحاربهم من كل جهة وجابه عدوه هو لا نال في اول امره عدة نصرات على عدوه الا ان
عدوه ما زال كان على غاية من الاحتراز واليقظة والحزم والعقل واما ديمتريوس فكانت
له خبرة بالاعمال العسكرية وكان ما زال عاكفا في مدة الحرب على لذاته وشهواته مجبولا في عقله و
جسمه وكان القايد الفارطياني جاري حركاته العسكرية على حسب قواعد غير منظومة كانت عادية
عند الامة الفارطيه وعرض ديمتريوس جيشه وعساكره حتى انعبهم في سير وحركات طويله
وراء العساكر الفارطية في وسط اقاليم جبلية محلة وقتل منهم قتلى كثيرة واخيرا اختار القايد
القايد الفارطياني في نهو هذا الحرب وغش ملك السورياينين في مقابلة لابد من حصول بين
الاوشغانيين وكانت هذه المقابلة عاقبة سوء على ديمتريوس وكان جيشه معسكرا في ذلك
الوقت في موضع رأى صار فيه صيدة لعدوه وهجم القايد الفارطياني بغتة عليه واخذ الملك
اسيرا وشتت جيشه وتذمر حاله وارسله منكوسا محفظا عليه بفرقة قوية من العساكر الفارطية
الى ديوان الملك مثريداطيس فامر بحمله مع غاية الذل والهوان وطيف به الاقاليم الكثيرة
التي كانت قامت ونقضت معه وكان يعرضه في كل اقليم وصل اليه الى السكان الثائرين الذين
كانوا منتظرين خلاص انفسهم من تحت النير الفارطياني بواسطة الجنس السيليفوسي القاهر

الاقليم الجاه ثم ارسله من بعد ذلك بحالة ليست اقل من ردية سموه الى هرقانيا التي بسبب
بعدها ووعرة جبالها كانت اهلا لان تكون مرة ثانية ملكا لسوريا بسبب في قلوبهم وخلالها
باسره مع غاية الاشمئزاز والكراهة وكان اوكراطيديس ملك باكطريانه موجودا في هذا
مع ملك سوريا فنجى مع القليل من الجيش الباكطرياني من هول المذبحة العامة ولما وصل الى
مملكته احس في ذلك الوقت بالعاصفة والزعزع الذي كان اصلا في هياج وغارة سوريا
عليه وعلى مملكته وهجم مثريداطيس من جهة مع جيش كثيف زهرة جيوش فارطية و
ارها على عاصمة اوكراطيديس القليلة الحماية الضعيفة المقاومة ومن جهة اخرى قامت
العصابات والنفور من القبائل العتيقة الصيطية الموجودين في نواحي هندوقوه ونهر سيحون
قاطنين بدارهم ومتفقين من اعدائهم وانقضوا في تيارات شديدة كالسيل سريعة الجريان لا يمكن
دفعها ولا حجزها مع شدة الغضب والحنق على الحدود الشمالية والحدود الشرقية للمملكة البا
كطريانية وقال استرابو انه كان يوجد من ضمن القبائل الصيطية التي غارت على المملكة
الباكطريانية قبائل سماها باسم بسيانى وطوخاري وساكيا وهذه كانت قاطنة فيما
وراء نهر سيحون فاما قبيلة بسيانى فانها كانت واقعة في الاقليم الواقع في اقصى الجهة
الشمالية بين نهري جيحون وسيحون واما قبيلة طوخاري فانها كانت قاطنة على بعد
بعيدة من ضفة نهر سيحون واطلق اسمها على البلاد والاراضي المعروفة الان باسم
طخارستان في الجهة الشرقية من بلخ واما ساكيا فكانت قبيلة قوية الباس كثيرة العدد والعدة
قاطنة فيما وراء نهر سيحون واطلق قدماء الفرس اسمها على كافة الجنس الصيطي الشرقي ثم
وقفت الغيطا تاج البربرية الوحشية مثل الامواج الهائجة لبحر الخزر الموجود في بلادهم موجة
على اخرى متتابعة وطردوا امامهم الجريقي الى الاقاليم الجنوبية والغربية من المملكة
ووقعوا في مخالب من لا رحمة في قلوبهم الفارطيون وآلت حالتهم الى الدمار والخراب والانقراض
كليا واما اوكراطيديس نفسه فانه كد واجتهد اجتهادا لا ثمرة فيه في جمع ما تفرق من رعاياه
ورقه وفقد اسم كاسر في خلاص مملكته الواقعة في عزعزة طلوع روحها فتقطع اربا اربا
واسمهم وهلك في هذه التدميرات المهولة واما مثريداطيس فانه انتهز من هذه الفرصة في
ذلك الوقت واتسع صدره من شهرته وصيت اسمه وما تغلب على القطعة الطريقة الغنية
من المملكة الباكطريانية فقط بل وكافة الممالك الواسعة الهندية عند سقوط ملكها وحتى ما وراء
نهر الكنج ومن وجه الاحتمال الحقيقي ان هذه الممالك اسرت خاضعة لهذا الملك القوي الباس
الى ان انقضى نحبه ومن بعد هذه المدة بقليل زحف على نفس الفارطيين ما لا كان يخطر لهم
على بال من تيارات اسراب من المتبربرين انصبوا عليهم من الجهات الشمالية فطردوا بعضهم
واغموا بعضهم على الدخول في طاعتهم الا انه ما زال كان يوجد للفارطيين عدو اشد
جراءة واشد هولا وهم الروماينيون وذلك ان الروماينيين زحفوا على التدريج على
الحدود الغربية للمملكة الفارطية واخضعوا معهم مدة طويلة من السنين في محاربات عملية دموية
ما سبق لها مثيل من قبل في اسيا وكانت نتايج هذه الحروب تارة بالنصرة وتارة بالكسرة
لكل من الطرفين الا ان الكسرة كانت على الروماينيين شديدة وكانت اول المحاربات
الشهيرة بين رومة وفارطية في مدة سلطنة باقوروس الاول الملك التاسع من هذه
العائلة الارشيرية او الاوشغانيانية وذلك ان هذا الملك كان ارسل من طرفه في سنة
٩٠ قبل الميلاد رسولا الى القنصل سيلا وكان في ذلك الوقت حاكما في نواحي قبدوقيا
وقابل جيش ايضا جنرال دحتى بعد مضي سبعة وثلاثون سنة في مدة سلطنة عورويس الاول
الملك الى ري عشر من هذه العائلة وفي نحو سنة ٥٤ قبل الميلاد انتهت الحروب الداخلية
في رومة مدة ما من الزمن وتقلد تريومفوس كراسوس زمام قيادة الجيوش الرومانية في نواحي
اسيا وكان رفيقا في الحكومة مع القيصر يوليوس وبومبي وكانت رومة على الدوام مشغولة
بحرب او اثنين او ثلاثة ثم احدث في سرعة التقدم في احراز الثروة وسعة العيش او
الرفاهية مع كثرة غرور الغنايم والاسلاب ما جهات الامم الى ارادة سوق الحروب عليها وازع
مطامع ظفر تام وطلب كراسوس الغارة على فارطيا وذلك ان الحضرات التي حازها بومبي في

في نواحي ارمينية حتى ان سولت له نفسه وتصور في عقله الوانه بمجرد وصوله الى حدود تلك
المملكة تقع في الحال في قبضة يده وكان كراصوس فارسا شجاعا وتحت قيادته سبعة الاف
من اجود العساكر الموجودة في الدنيا الا انه احتقر عدوه وكثرة طمعه في الذهب جلبا عليه
سوء عاقبة امره وكان مشهورا جدا في طمعه في الذهب وكان قايد عساكر عوروديس ملك
فارطيا شخص اسمه سورناس اول رجل شريف في المملكة وكان رجلا ذا حزم ورأي ومكنة
كبيرة واتى خدمات جليلة وطهر ووطد بها عوروديس على تخت فارطيه وفي ٦ يونيه من عام
الف وتسعماية واربعون سنة مضت كانت اول واقعة سحب فيها الرومانيون والفارطيون
والفرس سيوفهم على بعضهم في نواحي كاريا بالقرب من منابع نهر الفرات وكان سورناس اكمن
جيشه خلف التلول والجبال وما اظهر للرومانيين في الابتداء الا الخيل الثقيلة من الجيش الفا
رطياني ثم ان بوبليوس كراصوس ابن كراصوس القايد من دون ان يختبر القوة الفعالة
للعدو هجم عليهم في رأس الخيالة الرومانية فاجرى الفارطيون حركة الفرار مع حرصهم في الحرب
وفكوا بجيشهم واظهروا كسرتهم وفرارهم فاتبعهم الرومانيون في الهجوم ولما وصلوا الى
مسافة بعيدة من الجيش الروماني عطف الفارطيون على الخيالة الرومانية واحاطوا بهم كامل
جيش سورناس وقطعوهم اربا اربا ومن بعد هذه النصرة جال الفارطيون حول الجيش
عساكر المشاة الرومانية وشرعوا اليهم الرماح والسيوف واشتبكت الواقعة وما فر الفارطيون
الا قليلا وتحت سخونة الحر وكثرة الظما عصيبة الرومانيين وعند غطوس الشمس واثناء
الضباب على السهول صار لا قوة عند الرومانيين واما الفارطيون فانهم انسحبوا على حسب
عوايدهم عند حلول الليل معولين على تجديد الهجوم في صباح اليوم الثاني وفي ظلام الليل
هرب الرومانيون تاركين اثقال مصابيهم وخسايرهم وتاركين قتلاهم وجرحاهم في ميدان
المعركة واستمر تأثير الهزيمة والخوف في قلوب ما بقي من العساكر الرومانية حتى ان كراصوس قبل
مع انشراح الصدر كل ما عرضه عليه سورناس في وقت الصباح ولما نزل في السهل من اجل
عقد مجلس مع القايد الفارطياني للمداولة فيما يجب الالتفات اليه من امر الصلح راى كراصوس
في الحال رداءة عاقبة امره وانفض المجلس على شيء واحد وقبض على كراصوس وقطع راسه و
ارسلها الى عوروديس ولما وصلت الراس الى امام عوروديس امر بحشو فمها ذهبا وقال
له اكتفي بما اشتهيت رغبته وما بقي من الجيش الضخم الذي ساقه كراصوس في داخل اسيا سوى عشرون
الفا على قيد الحياة منهم عشرة الوف اخذوا اسرى في الحرب وامر عوروديس بتوطينهم في نواحي
مارغيانه واخذ الجيش الفارطياني كافة البيارق الرومانية واشتهر بذلك صيت العساكر
الفارطية وعلا قدرهم حتى ان ملك فارطيه ما اكتفى بعد فتوحاته الى الاقاليم القاصية
التي منها شرعوا في التداخل في الاعمال الحربية الداخلية وفي الدخول في الحروب بين
القيصر يوليوس وبومبي فقط وبل وسكر الفارطيون بنجاحهم وظفرهم حتى تغلبوا على كافة
سوريا واسيا الصغرى الى ان صدهم وتطيديوس قايد مارك انطوني على اعقابهم مع خسارة
جسيمة وذكري موضع احرازه في مدة سلطنة فراعطيس الرابع وهو الملك الثالث عشر من ملوك
هذه العايلة ظفر حرب روماني على يديه وسببه انه قبل موت عوروديس كان هذا الملك اشرك
معه في الحكم ابنه باكوروس وكان رجلا عسكريا كاملا وكان سياسيا فتح سوريا وحكم فيها وفي
فلسطين بالحكم اللين والرفق الغير موافق لاحكام الرومانيين الذين طردهم منها فيرانه بالرعايا
باكوروس انهزم وقتل في اخر امره والذي قتله القنصل الروماني ونطيديوس وحررت
فارطيا كافة الاراضي التي كان فتحها باكوروس على سواحل البحر الابيض المتوسط فتقوى
مارك انطوني بهذه الظفرة وعزم على الاخذ بثار بيشوس كراصوس ودخل بنفسه في سنة
٣٣ قبل الميلاد في حرب مع الفارطيين وكان الرومانيون ما نسوا ابدا حالة الهزيمة الجاطمة
التي حلت بكراصوس والعساكر الرومانية واخذ البيارق في المدة الطويلة التي كانت فيها حاربة
مداومة على شدة بأسها وشديدة حاجز حصين لا يمكنا عبوره ضد تقدم العساكر الرومانية
في داخل اسيا الوسطى فاعد انطوني لذلك استعدادات كبيرة زيادة عن كراصوس وحول
في عقله في ذلك الوقت على ان فارطيا لا بد من فتحها لا محالة وكان عقد اوجيش مولف مما ينايف
القمقاتل من حنة لا اقل من اربعين الف خيال معولين على منازلة ما لا يعلم ما حيا له
فارطيا وكان جيش انطوني مشحونا بالذخاير والمؤونة والات الحصار وكان نفس انطوني

انطوني نفسه قايدا شجاعا حايز صفات العسكرية التي لا توجد في غيره وتفوقت حالة لوعا بروعة
الفارطيون حتى تصوروا في عقولهم انه معهم في حالة سلم ولما صارت العساكر الرومانية على مقربة
من فارطية تيقظ فراعطيس من غفلته ورأى مملكته على الشرف من الدمار والتهديد بتلك الغارة
المفزعة التي ما رأت فارطيه مثلها من قبل فلاجل مقابلة هذه الداهية العظمى والافة الدخيلة
ما امكنه ان يجمع الا اربعون الف خيال الا انه كان اهلا لمقابلة تصدره هذه الغارة وشرع
على الفور بحيلة له في الهجوم على حملة عدوه وقتل حفرها وكان مؤلفا من سبعة الاف وخمسماية
مقاتل وكان انطوني في ذلك الوقت محاصر مدينة فراعسبة فالجم على ترك الحصار فتبعه الخيالة
الفارطية مع الشدة والعنف فتقهقر انطوني مع غاية الصعوبة ونجى بنفسه مع غاية الضيق اما ال
جيد في قهقرته وعدوه يتعقبه حتى وصل الى نهر عراس اخر حدود ارمينية من بعد خسارة مقدارها
عشرون الف نفس من عساكره وعبر النهر مع غاية المشقة ثم ترك الفارطيون وعادوا الى بلادهم وكانت
هذه المصيبة التي حلت بالرومانيين سببا في وضع الحرب بين فارطية وروما ولبثت روما غايبة
سنة من بعد هذه الواقعة لا تتجاسر على عمل اي هجوم على فارطية وفي العصور التي اعقبت هذه
المدة تكرر العساكر الرومانية اجتيازها في الدخول في قلب مملكة لا يرون من امرهم سوى
الخيبة وعدم حصول ثمرة وكانت روم ناجحة ظافرة في كل جهة الا انها وجدت ثغور فارس شكلة
حواجز قوية متحكمة مانعة تقدم حركة سير عساكرها في داخل اسيا الوسطى ومن اجل ذلك يلزمنا
ان نقول وندرج في صحايف هذا التاريخ انه من عموم الامم القديمة كان الجنس الوحيد الذي
صمد في وجه روما وعساكرها وقوادها وصد حركة الرومانيين هم الاجناس الذين تفرعوا فوق
ارض فارس وفي عقب هذه الحوادث خلع فراعطيس من على تخته بثورة قامت عليه تحت رياسة
اخيه طريداطيس فهرب فراعطيس الى قوران او سيطيا وقيل انه نجح في ان جمع جيشا من
تلك الاقاليم كبيرا واسرع في تجريد غاصب تخته من شوكته والزمه الهرب فالتجأ في هروبه في روما
واحتمى في حضن الرومانيين بنجح ما معه وابنه ووعدهم المواعيد الجليلة لو ارادوا اعانته
فما قبل الرومانيون قوله ثم ان فراعطيس الملك الى مرضاة القيصر اوغسطوس والتماسه
رد البيارق التي كانت اخذت من الرومانيين في واقعة كراصوس في سنة ٢٠ قبل الميلاد
وكان الخوف من شهرة اسم اوغسطوس اشد من حركة العساكر الرومانية في الميدان وفي اثناء
المدة التي لبثت فيها في سلم مع روما حصلت الاختلافات والشقاق والحروب الداخلية
وصار يقوم ملك ويسقط اخر في دوره واضمحلت عاصمة المملكة بدأ قتل الاخوان
بعضهم بعضا وانحطت شوكة العايلة الملوكية من بعد ان كانت قوية وفي وسط زوابع هذه
الشقاقات والاضطرابات قام الملك المشهور بالشجاعة حايز الكمالات والفضايل وولوغيس
اول الملك الثالث والعشرون من ملوك هذه العايلة الاشقانية واظهر لينة ورفقة
وكرم نحو اعضاء عايلته وفي سنة ٦٣ بعد الميلاد انتشب حرب مع روم كان الظفر
فيه تارة للرومانيين وتارة للفارطيين ثم كانت نتايجه الاخيرة الظفر للفارطيين ثم بعد
ذلك جرت وحقق الامبراطور الكبير الروماني وسبسيان مع وولوغيس الاول في محالفة
ودادية كانت نادرة الوقوع في مثل هذه العصور المرتبكة ومن بعد مضي نصف قرن غار
طراجان القايد المشهور وامبراطور روما على الاراضي العربية في مملكة فارطية وولوان
هذه المملكة كانت اخذت في سرعة الانحطاط والاضمحلال والشيخوخة فان طراجان ما
اكتسب فيها مجدا ولا شرفا في حربه وتشهر معترفا بان الحد الحقيقي لروم في جهة الشرق هو نهر
الفرات واشتهر ايضا من ملوك هذه العايلة وولوغيس الثاني وهو الملك الثاني والعشرون
بموته في سنة ١٤٨ بعد الميلاد من بعد ان بلغ من العمر ستة وتسعون سنة وبمدة سلطنته
التي ما سبق لها مثال وعدتها احد وسبعون سنة وفي مدة سلطنة وولوغيس الثالث
الملك التاسع والعشرون غار كاسيوس القنصل الروماني على الاراضي العربية لمملكة فارطيا
وهزم وولوغيس الثالث في واقعة كبيرة وتجول كاسيوس في مملكة فارطيا حتى وصل اقليم
بابل وكانت عاصمة مدينة سيلوسيا وكانت اشهر مدينة مشحونة بالتجارة والاموال وتعداد

واهلها اربعمائة الف نفس فاحرق كاسيوس النار في المدينة وحق اهلها بالسيف وكانت حراب
سيلوسيا من اكبر الجرايم واعظم الاثام التي لا تكفر ولا تغتفر على مر الازمان وما شفت فارطيا
ما نتايج على حربها الاخير مع روما ولا فوت روما فقد رحل باسقة في نواحي فارطيا والله
اعلم ثم ان حكاية النازلة التي حلت بهذه المملكة المشهورة وهي مملكة فارطيا والتي ذكرها
مورخي الصينين الذين كانوا في عصر تلك المدة هي انه في نحو سنة ١٢٦ قبل الميلاد [illegible]
هجرة كبيرة في قبايل التاتار من جهة الاقاليم الواقعة على الحدود الصينية ووجهاتها راح
هذه المهاجرات نحو الاقاليم الغربية والاقاليم الجنوبية من اسيا واستمرت هجرة هولاء
التاتار آخذة في الزيادة فتولد منها عدة حوادث ونتايج جسيمة في كافة اقاليم اسيا الجنوبية
وتولد منها تولد جنس ملوك جديدة على تخت مداينها وقراين هدية حتى ثم يجب علينا ان نتحص
تحصا تاما دقيقا عن السبب الاصلي الذي تولد عنه انتجاع هولاء الهمج الى داخل الاقاليم
الخصبة من اسيا حتى يتيسر لنا تمام المقصود في معرفة الاسباب التي اتخاذ بها هذا الجنس
على اغلب الاراضي المعمورة في ذلك الوقت وحيث كانت سرعة سقوط المملكة الباكتريانية و
انطفاء نورها من بعد ان كانت يانعة زاهرة تحت سلطنة عدة ملوك مختلفة في مدة
لبثت نحو قرن ونصف يعني من سنة ٢٥٥ قبل الميلاد الى السنة التي اسبقت فيها طرد وطرده
بالاحكام الى سنة ١٢٦ قبل صدور هذا التاريخ المسيحي

ومن اجل الوقوف على معرفة القبايل المشهورة من التاتار القاطنين في التتار الكبرى نسرد
هنا تاريخا موجزا في حقهم من تاريخ واحد من اهل بلادهم فنقول انه في سنة ٢٥٠
قبل الميلاد وفي السنين التي كان فيها اسوكا وخلفاؤه متسلطين في المملكة الواقعة على
اسفل نهر الكنج فتح ملوك المملكة الباكتريانية الجريقية اسيا الوسطى كما ذكرنا ووجدت اثار
القبايل الجريقية في اقصى الاقاليم الواقعة بين نهر السند ونهر جيحون في القرن الاخير
قبل الميلاد ثم انقطع دابر ملوك المملكة الباكتريانية الجريقية بغارات حلت عليهم من قبايل
رحالة نزالة من الاراضي الواقعة الى شرق نهر جيحون ثم نزلت القبايل المعروفين با
لصيطيين او التاتار قبيلة بعد قبيلة من الهضاب والمنحدرات البارزة والصحاري الواسعة
من تركستان ومنغوليا واندفعت هذه القبايل الى الجهات الشرقية ليتيسر لهم الحصول
على مواطن جديدة في الاراضي الزاهية وجالوا في الاقاليم المعروفة الان ببخارى
وافغانستان وبنجاب او بانجاب وجاسوا في خلال المعمور من الكرة وقال ابو
الغازي من مورخي التاتار ان اوغوز خان اول من اغار على الاقاليم الهندية من هذه
الامة التاتارية فتولوا انه ما سعى في تشييد سلطنة مستمرة في الهند ولا بد من غاراته
قد طمست جميع العوايد والطبايع التاتارية خصوصا بين الامم الحربية واما الغارات
الاخرى التي حصلت في اسيا الجنوبية من هذا الجنس الهمج في مدة اردشير والدولة الا
شقانية ونهبهم تلك الاقاليم الخصبة الظريفة وطردهم وزحفهم من بعده سلطنة مدة
لبثت ثمانية وعشرون سنة فانه هذه ايضا كانت من الامور المهمة في سبب انتشار عدة
شرذمات منهم من بعد طردهم من جديد يا على كافة اراضي الاقاليم المجاورة لها وكذا ارى
انه ولو لم توجد تسجيلات موضحة في كتب السنسكريت فمعت ان جماعة من هذا الجنس
دخلوا في الاقاليم الهندية الا انه من معرفتنا من وجود جنس جوال يعرف بالجنس التو
سوري كان متوطنا في النواحي الغربية من شواطي نهر السند رحال نزال على حسب
العوايد الصيطية يرحل من محل الى اخر حسب ما يجده من كثرة المراعي وقطع
ومن ان هذه الجهة تعرف من القديم بالهند الصيطي وكذا وجود الف عيطيين الذين كانوا
قاطنين في النواحي القاصية الشرقية المجاورة للهند وكانوا معدودين من اشراف قبايل
الصيطيين ومشهورين بانهم جدود الغيطيين وهم جنس مهول من الشلاقين اللصوص
ورآهم تيمور لنك عند مارحل الهند من هذه الاراضي وتفرع منهم القوطيين فاثبتا لو قارنا
هذه الاحوال جميعها ببعضها يلزمنا ان نعترف بان الهند كانت في ثغورها الغربية لا اقل
انه لم يكن قد وقع في حركة شديدة وتاثير قوي من حركة ارتجاج هولاء الصيطيين الذين

اندفعوا عليها وكذا الحروب الشديدة التي وقعت بين الامم الهندية وقبايل تاتار الحوز
وحش القبايل الصيطية واردأها بربرة وهمجا وكانوا قاطنين في الاصل في سرماطية اسيا
ثبت لنا وقوعها من منقوشات مكتوبة باللغة السنسكريتية القديمة وجدت منقوشة على عمود بالقرب
من بوتال ترجمها للسير ويلكينس وما امكنه ان يحدد تاريخا اقل من التاريخ الذي وجده محفور
على صحيفة من النحاس في مدينة مونجير وكان تاريخها في السنة الثالثة والعشرون قبل الميلاد
وفي هذه الكتابة انه من ضمن المشروعات الخطيرة التي اجراها الملك القوي البأس الذي رتب هذا
العمود والذي بني ما قيل انه مملكته كانت ممتدة من فم البطرة الى هو سيلون هزم وخضع هذه
العنيفة الاهولة ومن دون ريب انه تولد من هذه الغارات القديمة التي حصل لهذه القبايل فيها النصر
والظفر في داخل اقاليم خصبة ظريفة الموقع زيادة على صحاريهم الرملية المهلكة احيانا نفوسهم حتى
صاروا في كل وقت واوان عاكفين مع الحمية والنشاط على السلب والنهب وتجديد الفظايع والقبايح
في حضارة اسيا وكانت العساكر المنتظمة الجريقية التي توطنت على حدود المملكة الباكتريانية في حروب
ومناوشات مع رواحية منهم وكانوا يطردونهم ويصدونهم في وقت غاراتهم على المملكة الباكتريانية
اوان القارطيين لما غاروا عليها واعقب غاراتهم موت اوكراطيديس الفتح قلب هذه المملكة
وغارات خطفهم وسلبهم وكان من قبل هذه المدة وقعت حادثة على الحدود البعيدة من مملكتهم
في نواحي الصين في شان عدد زيادة للطايفة وصيرورتهم حرفا واحزابا عسكرية ثم زاد
عنفهم وشدتهم وقوتهم فكانوا لا يهزمون ولا يقهرون بسبب ما كانوا عليه من كثرة العدد والقوة
وفي هذا المحل يجب ان نوجه التفاتنا نحو الاقاليم والامم البعيدة جدا من الميدان الحالي للتاريخ
الهندي الان ان تاثيرها في ذلك الوقت الحالي وفي المستقبل اخر في ميدان الهند تاثيرا شديدا بواسطة
وقايع وقعت من هولاء الامم التي سنذكرها وكذلك انه يظهر ان السهول الواسعة من تاتار
اسيا كانت من العصور القديمة جدا كما هي عليه الان محل غراس وبنات شعوب وقبايل وبطون
من جنس عاكف نفسه على العيشة الرعوية والصيد والقنص ومن توالي حروبهم ووقايعهم فيما بينهم
ومع ما جاورهم شرقا وغربا تهوروا وتطبعوا على حمل السلاح وطرق استعماله وقسم مشهوري
قدماء المورخين عشاير هذا الجنس الى ثماني امم كبيرة اشهرها ما ذكرها هيرودوط وهي العشيرة
المسماة بالعشيرة الملوكية فقال انها كانت قاطنة او متوطنة على شواطي نهر طانيس وهذا
النهر ينصب من سرماطية اسيا وهي الارض الاصلية للقبايل الحوترية واما القبيلة المعروفة
برهالي الصيطيين فانها كانت مجاورة للعشيرة الملوكية في الاقليم الشمالي الغربي من بحر الخزر
وقبيلة صسطيه عدلاني متوطنة في شمال جبال قوه قازه وقبايل ماغيطية التي تقدم ذكرها
كانت ممتدة من السواحل الشمالية الشرقية لبحر الخزر الى قريب حدود الهند والجنس السفاح او الدموي
الذي كان يقرب القربان الى ديانا من الذبايح القبيحة من الاغنام الهزلية على حلاهم العقيم
المحل كانوا قاطنين في بحيث جزيرة طوريك وهي القرم التاتارية الحالية وقبايل البودينيين
وكانوا ينعشون انفسهم على مايدة دم بني آدم وكانوا ايضا من السرماطيين والتولوي خصفا
كانوا جدود القبايل الكثيرة العدد التي مازالت موجودة لحد الان في صحاري التاتار الموجودة
في هذه الايام المتاخرة وهذه الامم مقسومة على حسب تاريخ الامة التاتارية الى ثلاث شعوب
كبيرة وكل شعب مقسوم الى عدة قبايل وبطون صغيرة مختلفة وهذه الثلاث شعوب مركبة من
اولا التاتار الاصليين القاطنين في اقاليم اسيا الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من بحر
الخزر وثانيا من القلموق المتحوزين على كافة الاقاليم الوسطانية من اسيا الشمالية و
ثالثا من المغل او المنغول الذين تمتد مملكتهم من تخومها الشمالية ومحدودة بالاوقيانوس الاكبر
الشمالي ثم تفرع من هذه الشعوب قبايل اخرى مثل الاوزبك والنوغاي والزغطاي و
القوزاق والمنشو وغيرها وسنذكر في اخر هذا الفصل عدد الشعوب والقبايل والبطون
والخيام التي جمعها الان هذه الاجناس والهيئة الجغرافية لاقليم تركستان الواسع الذي دخل فيه
امم اسيا الشمالية وصار محلا عموميا لهم من قديم الزمان من قبل طرد التركمان منه بواسطة قبايل التاتار
تحت قيادة جنكيزخان ولا بد وان تكون هذه الجهة هي ارض طوران او توران التي ذكرها مورخي
الفرس والغالب ان هذا الاسم مشتق من تور بن فريدون ملك فارس القديمة احد ملوك العايلة
البشدادية حيث انه نفى تركمان الافندي ماخوذ من اسم ترك الذي ذكره مورخي الاسلام وقالوا

١٢١

انه كان الولد الاكبر ليافث بن نوح واشتهر بانه هو اول من اسس هذه الامة القديمة ولا ريب
انه يستدل من الروايات والتاريخ الشرقية كانت او بشرية ان هذا الاقليم الشاسع من الارض
اول من سكنه الشعوب اليافاثية وان ياجوج وماجوج المذكورة في القرآن الشريف هم من نسل
الابن الثاني ليافث بن نوح وان المغل من ولد مغلي او ماجوجلي اولاد ماجوج واما
لفظة تاتار او تتار او تتر التي صارت علما على هذه الامم فانها ماخوذة من اسم تترخان
النجل السادس من ولد يافث والاخ التوامي لمغل وكان هذان الاخوان مقسم بينهما عموم
القسم الشمالي من اسيا من قديم الزمان ثم توالت الحروب والشقاقات بين ذراريهما وامتلأت
صحف التاريخ القديم لكل من هاتين الامتين بالخرافات في حقهما فما روى عنهما انه في واقعة
حربية هاجت بينهما انقطع دابر عموم جنس مغل وذريته الا عائلتان من النسل الملوكي فانهما
اعتزلوا من اجل المحافظة على حياة انفسهم في وادي عميق منحط الا انه ظريف الموقع محدود
من كافة جهاته بجبال شاهقة العلو واسعة لا يمكن حبورها الى هذا الوادي الا من طريق واحد
وعر ضيق فتوطنوا فيه معتزلين عن الامم الاخرى من اسيا مدة اربعمائة سنة وفي مدة
اقامتهم في هذه البقعة الارضية قيل انه من تناسلهم تكاثر عددهم زيادة وافرة
عجيبة حتى ضاق بهم هذا الوادي السعيد المخصب الواسع وصار غير كاف لما يلزم من المواد
اللازمة لحياة انفسهم فضلا على ان منافذ الخروج من هذا الوادي كانت محصورة من كل
جهة بجبال شاهقة العلو لا يمكن الوصول الى رؤوسها بواسطة وقوف انحدارها وضيقها
ومحيطة بارغنانه خان واشتهر بهذا الاسم في وقت خروجهم منه ومعنى ارغنانه بلسان
المغل وادي ومعنى خان هاوية فاجتهدوا اعظم الاجتهادات حتى يتيسر لهم الخروج من هذا
الوادي وذلك ان الطريق الضيق الذي كانت العائلتان دخلا منه في ابتداء امرهما في هذا الوادي
بقيت عليه الادوار والاحقاب وخفقتها الاشجار وصار امرها مجهولا ولا اثر لها ومن طبقات الجبال
ان جزءا الواصلة الى رأس السحاب والتي صار تحت رؤوسها في السحب منزعجهم السجن والحبس
المستر ويجوه بانزعاجات وقحط وجوع على شرف الوقوع فاتفق في اخر الامر ان واحدا منهم
كان يشتغل بصنعة الحداد فظهر له جهة من الجبل اقل وقوفا وسمكا من الجهات الاخرى ووجدها
كلها مركبة من مخلوط الحديد فعرض لكبار الامة انه له طاقة على هدم هذه الجهة بواسطة
النار ويفتح منها طريقا واسعا لمرورهم ومواشيهم ويهاجروا منها من هذا الوادي فصغى القوم
وبذلوا مجهودهم في نفاذ امره واعتنى كل واحد من الامة كبيرا كان او صغيرا حملا من الحطب
والفحم ووضعه الحداد تحت ذيل الجبل طبقة من حطب وفوقها طبقة من فحم حتى صارت هذه
الطبقات في علو ملائم واضرموا فيها النار مرة واحدة وكان لهذا النيران تاثير شديد ذاب
منه طبقات مخلوط الحديد وسالت تيارات مثل سيل الماء وانفتح بذلك طريق واسع كاف لمرور
الجمال المحملة بالاثقال وخرجوا من هذا الطريق فرحين مستبشرين وجعلوا لهذا الخلاص
الاولي يوم تذكار فقيل ان المغل استمروا على قيام شعائر عيد هذا اليوم سنويا يحتفلون فيه
احتفالات عظيمة بينهم ويظهرون زينتهم ويشعلون نيرانا كثيرة يلقون فيها قطعا من الحديد
وعندما تحمر هذه القطع في النيران يخرجونها منها واول من يطرق عليها بمطرقة الخان الاكبر
ثم من بعده الخانات على التوالي ثم من بعدهم كل شخص من ارباب المجلس وذكر ابو الغازي في
تاريخه ان هذا العيد او الموسم كان مرعي في اقامة شعائره في عموم انحاء المملكة المغلية وكان
هذا اليوم يوم حرمة كبيرة عند الامة المغلية ولما خرج المغل من وادي جبل
الحديد ساروا مباشرة عازمين على البطش والانتقام واخذ الثار من عدوهم القديم وهم
امة تترخان ولو ان امة تتر كانوا اكثر عددا منهم الا ان المغل هزموهم شر هزيمة في
واقعة ومحقة وذبحوا الشباب والشيوخ والنساء والاطفال وصار المغل بهذه النصرة الجليلة
منزلتهم الاولى مدة طويلة من الزمان حتى ظهر جنكيز خان واعاد مجد اسم التتر ورفعه الى اقصى
درجة في مدة سلطنته وضاع اسم المغل في وسط اسم التتر وخلطت الامتان في جامعة واحدة
تحت اسم التاتار وصار علما عليهما وعلى كافة الاراضي الواقعة في شمال قارة اسيا وكان داخلا
فيها اراضي سيبريا وانتشرت القبايل المغلية على الجهة الشرقية من اسيا المجاورة للمملكة
الصينية من ابتداء منحدرات اينوس الى حد السهول الخصبة من هذا الاقليم البهج المنظر من اسيا

ص٤ ج

البحر الزاخر

تاريخ الهند

محمود ...

من اسيا وكان يوجد في الاماكن ملاجئ ومقاطيع واحدة وهيئة وعوايد ومعاملات
مزيج مختلفة شعر الدقون وصفر الصبوت ومقطيس الانوف ثم ان المغل عكفوا على غارات
السلب والقطائع على جيرانهم من الصينيين حتى اقلقوا راحتهم ودمروا حصارينهم
ولو جلوا حد غاراتهم وقبارهم ثم حجر عاشيتهم على المملكة الصينية امر الامبراطور شي
- وتنغ - تي وكان من اهل الباس والشدة صاحب على التخت الصيني قبله نظيره وكان
هو الملك الثاني من العايلة الصينية الملوكية المعروفة باسم طسنغ وهي العائلة
الرابعة بالتشييد باتخاذ هذه الامة القوية في سنة ٢١٥ قبل الميلاد على حسب ما ذكره
علماء السنين وقال اخرون انه في مدة اقدم من هذه المدة خط الاستحكام الطويل المعروف
بالسد الصيني وكان هذا السد من اكبر الاشغال في مثله وفي عموم ارض المعمورة وقد
هذا السد واقيم فوق الجبال الشامخة والعدران والسهول الواطية وعلى القدران والانهار
حزرة عنوة وقنوات صنعة البناء في طف المهابط الصعبة والسفوح الوعرة والوديان
العميقة في طول مقداره الف وخمسمائة ميل من ابتداء مياه البحر المحيط الاوقيانوسي
الى قرب الكنشغة اقليم يشيلى من الجهة الشرقية الصينية الى نهاية اقليم بيشنزى في الجهة
الغربية وامر الامبراطور بتغريق عدة سفن مشحونة بالحديد والاحجار في قاع مياه
هذا الاوقيانوس من اجل عمل اساس ثابت قوى بالقرب من ساحل البحر لتقام عليه
ابراج ضخمة من البناء وامر الملك باخراج ثلث من بلغ الحلم من الامة الصينية من الشبان
والرجال من كافة اطراف واكناف مملكته الواسعة من اجل العمل مدة في اشتغال هذا الخط
المستحكم المهول العمل وكان ارتفاعه من عشرين الى خمسة وعشرين قدما وفي عرض كاف
لمرور ستة من الخيالة راكبين وسايرين جنبا بالمواجهة وكان هذا الخط محميا بثلاثة الاف
برج ومحفوظ في مدة ايام الملوك القديمة الصينية بلا اقل من مليون من العساكر الصينية
وكان هذا الشغل الجليل اثباتا كافيا على علو درجة الامة الصينية في العقل والتقدم في
العلوم الميكانيكية ومهندسي الابنية حتى شيدت مثل هذا الشغل الضخم من مدة مضت
مقدارها الفان وثلاثمائة واربعون سنة وما زالت اثاره باقية الى الان واستدل من
هذا الشغل ايضا على ان هذا الامبراطور كان مطلق الحكم والتصرف في رعيته حتى ارغم كافة
امة كبيرة مثل الامة الصينية على الشغل في انشاء واقامة هذا السد وفي الواقع فانه في بعض
اعمال اخرى وقعت في مدة سلطنته ثبت على انه كان مستبد في احكامه ولا سيما عنده امر
في اعماله وقد ذكر في التسجيلات السنوية الصينية انه امر بحرق كتب العلوم والمعارف
من كل صنف التي كانت موجودة في عموم المملكة وقصص وتواريخ كافة الملوك الذين
سلفوه وسبقوه في السلطنة حتى يكون هو الفرد الوحيد في الاعمال والاشتغالات والاحكام
في المستقبل ولا ينظر لاعمال من كان قبله وامر بذبح وقتل العلماء الذين سعوا واجتهدوا في
المحافظة على بعض من هذه الذخاير المقدسة ذات المجد القديم من حرقها في لهب النيران
وكان في هذا الخط المستحكم او السد الكفاية التامة في صد ودفع الاجنبين على المملكة وكانت
العساكر المحافظين في هذا الخط مسلحين بالسيوف والاقواس والنشاب وبواسطته حصل
الامن واستتب الراحة في المملكة وما وقع من بعد انشائه من قلاقل او ارتباكات لمدة
تنيف على سبعين سنة الى حد سلطنة الملك القوى الباس او - طى الامبراطور الخامس
من العائلة المعروفة هان وقد ذكر في التسجيلات الصينية انه حاز على التتار اربع
نصرات كبيرة على التعاقب وتتبع جماعاتهم في وقت هروبهم حتى وصل الى اسيا الجنوبية
واخضع في حركته هذه بيغو وسيام وكانتبابه وحتى جهات بنغاله وجبلها تحت
احكامه فتولد من الطرد العنيف الذي حصل للمغل القاطنين في الاقاليم الغربية
من السد الصيني بواسطة هذا الامبراطور ارغامهم على الهجرة مثل سيول المياه على
جيرانهم من جهة الغرب والجنوب من عموم ذلك الاقليم الواسع من اسيا العليا وكان سببا
في حصول الفزع الاكبر في قلوب سكان تلك الاقاليم وذكر الصينيون عدة نصرات
جليلة انتصروها على المغل واخيرا الى امر المغل الى استحواذهم على الاقاليم الطرفية من
جنوب اسيا وطردوا اعداءهم الامم الواقعة بالقرب من المحيط الهندي والبحر الابيض

المتوسط او اصغرها لاحكامهم وكانه الجنس الهندي من حيث الفتلى الاول الذين افترق بهم هولاء المتوحشون والثانى الفرس فانهم انهزموا على الدخول تحت طاعتهم وسجدت روحه ووضعت راسها على الارض امام كرات الهجوم التى وقعت عليها من الاوندالين اهواله التاتار وكذا روسيا وقواد الجيوش الاسلامية اهوال الشدة والباس فى مدة ما كانوا شارعين فى انتشار العقايد الاسلامية بالسيف وجدوا فى هولاء الشماليين جنس قوى محب لسفك الدماء ولما رحل الى ثار فى الدين الاسلامى وحضرته حاربوا مع الجبية والحماس رغبة فى الدين حتى وصلوا الاقاليم القاصية من اسيا وحتى نصبوا بيارقهم واعلامهم على اسوار بزنطيه وسرايات اسكندرية

واما التقسيمات والحدود الموجودة عليها الان التركمان حتى ان هذه الامم قاطنة فى القسم الاعظم من ارض الصحراء الممتدة فى هذه الناحية اى الناحية الجنوبية من نهر جيحون من سواحل بحر الخزر الى مدينة بلخ ومن نهر جيحون الى جهة الجنوب الى هراة واسطراباد وخلاف الايرادات والمحصولات الخارجة من الارض التى يتيسر لهم الحصول عليها فى طول نهر جيحون ومرغاب طجند ونهر جورغين ونهر اطريك من كثرة استفادتهم بالزراعة فان ارض التركمان تشتمل على صحراء واسعة مخيفة من عجز لا يجتازها بحر او الماء فى خلال اسابيع متوالية الى جرعة من الماء العذب او ظل شجرة كبيرة كانت او صغيرة ينتظر تحتها ويجد فيها فى فصل الشتاء برد فاحش شديد وثلوج متكاثفة ويوجد فيها فى فصل الصيف نفح السخونة وشدة درجة الحرارة وغزارة الرمال فهذه جميعها هى اسباب الخطر وكذا العواصف والزوابع والرياح المختلفة الشديدة فانها مختلفة الهبوب فى هذه الفصول المختلفة وان هذه الصحراء عبور جاهزة للقوافل سواء كانت جافة او رطبة وتنقسم التركمان الموجودة فى هذه الجهات المتسعة شعوب معروفة عند اهلها بالخلق وكل شعب مؤلف من عدة قبايل وعشاير وبطون وهى اولا الشندوريون وثانيا شعب الارساريون وثالثا شعب العليليون ورابعا شعب القرا وخامسا الشالوز وسادسا السارية وسابعا التكه وثامنا غوكلين وتاسعا اليوموت

فاما الشندوريون فهم قاطنون القسم الجنوبى من الاقليم الواقع بين بحر الخزر وبحر ارال او بحر خوارزم وهم عبارة عن ١٢٠٠٠ خيمة وقبايلهم منتشرة الى واحد خيوا وعددهم تسع قبايل واما الارساريون فهم قاطنون على الضفة اليسرى من نهر جيحون من ابتداء شهار جو لا حد بلخ وهم منقسمون الى عشرين قبيلة وعدة عشاير وبطون ويختلف عدد خيامهم من ٥٠٠٠٠ خيمة الى ٦٠٠٠٠ خيمة وبعض اولادهم قاطنون على ضفة نهر جيحون فانهم يدفعون الخراج لامير بخارى واما العليليون فان مقرهم فى نواحى اندخوى وهم ثلاث قبايل صغيرة مؤلفة مما ينوف عن ٣٠٠٠ خيمة واما القرا فهى قبيلة متوحشة جدا ولو انها صغيرة الا انها وطنت راحتها فى بطن الجبلة والرخاوة فى ضواحى بعض ابار فى الصحراء الرملية الكبيرة الواقعة بين اندخوى ومرو واهلها لصوص نهابين لا يوجد فى قلوبهم ادنى رحمة اهل غارات ومفازع على امثالهم من القبايل المجاورة لهم واما الشالوز فانهم اقدم التركمان تسجيلا فى التاريخ وكانوا مشهورين فى الزمن القديم بشجاعتهم وبسالتهم فى مدة استفادتهم بالحروب مع العرب وكانوا فى ذلك الوقت كثيرى العدد ثم قل عددهم مما كثرت عداوتهم على الحروب والان يبلغ عددهم نحوا من ثمانية الاف خيمة وكانوا مستحوزين فيما سبق على الجهة المشهورة من مرو وهم الان قاطنون فى نواحى مرطشاه وهم عبارة عن ثلاث قبايل واحدى عشرة بطنا واما السارية فهم اقل شهرة فى الشجاعة من الشالوز كما وان عددهم اقل من عددهم وهم الان قاطنون فى الاقليم الواقع على نهر مرغاب وهم فى عداوة شديدة مع قبايل التركمان ما عدا جيرانهم الجمشيديون وهم خمس قبايل واثنان وعشرون بطنا وعدد خيامهم يتوف عن ١٠٠٠٠ خيمة ونساء هذه القبيلة مشهورات بشغل نسيج يقال له الكارى يشتغلنه من وبر الجمال او القعدان الصغيرة التى عمرها ثلاثة ايام او اربعة فيا قدر الوبر ويغطسنه فى اللبن مدة اربعة ايام او خمسة حتى يكتسب المرونة مثل الحرير الصافى ثم يغزلنه وينسجنه الكارى وهو نسيج ظريف قوى غالى الثمن والقيمة يتوشحون به

به الرجال والنساء فوق ملابسهم ويوجد فى فارس باثمان غالية جدا واما التكه فانها لحد هذا الوقت اقوى واشد واكبر شعب فى التركمان وهم منقسمون الى قسمين اصليين الاول اخال فى الجهة الشرقية من طجند والثانى فى مرو ومقدار خيامهم ٦٠٠٠٠ خيمة ومستحوزون على اراضى قليلة مشغولون بزراعتها احسن من قبايل عموم التركمان وملزومون من نفس الحالة الطبيعية عندهم على اكتساب انام اللصوصية والسلب ومنقسمون الى ثلاث قبايل وتسعة عشرة بطنا واما غوكلين فانهم بالنسبة لموقعهم الموجودين فيه فانهم اهدا قبايل التركمان واهل مدنية وحضارة نوعا ومشغولون بالزراعة وغالبهم تحت طاعة شاه فارس وهم قاطنون فى القسم الجنوبى المشهور فى التاريخ بجرجان القديم وهذا الشعب مركب من خمس قبايل وسبعة وعشرين بطنا واما اليوموت فانهم قاطنون على الساحل الشرقى لبحر الخزر وفى بعض جزايره واسمهم جورغين يومودو وغير ذلك يوجد خيوا يومودو وهم قاطنون فى الطرف الاخير من الصحراء بالقرب من نهر جيحون وتتركب جورغين يومودو من اربعة قبايل وعشاير وعدة بطون واما عدد خيامهم ١٢٠٠٠ خيمة شندور و ٥٠٠٠٠ خيمة ارسارى و ٣٠٠٠ خيمة عليليون و ١٥٠٠ خيمة قرا و ٨٠٠٠ خيمة سالورو ١٠٠٠٠ خيمة ساريك و ٦٠٠٠٠ خيمة تكه و ١٢٠٠٠ خيمة غوكلين و ٤٠٠٠٠ خيمة يوموت فيكون مقدار الجميع ١٩٦٥٠٠ خيمة فلو قدرنا بوجه التقريب ان كل خيمة بها خمسة نفوس ليبلغ عدد نفوس التركمان ٩٨٢٥٠٠ نفس وهذا اقل العدد عندهم ومن المحتمل انه ازيد من ذلك وفى جهة جورغين يومودو يوجد السد المشهور الذى شيده اسكندر ذو القرنين ليكون خط استحكام او سور يمنع القبايل القاطنة فى الصحارى من الغارة والهجوم على الجهات الجنوبية من نهر جورغين وما زالت اثاره باقية لحد الان وهو مبتدأ من الضفة الشمالية للنهر على مسافة عشرة اميال جغرافية ومجهول والحالة هذه طريق سلامة فى السهول الواطية الواقع فيها واما الطرف الشرقى له فانه يبتدئ فيه من نقطتين واحدة فى الجهة الشمالية الشرقية من جوش تبه على شاطئ بحر الخزر وفى هذه النقطة اكام كثيرة من اطلال واثار قريبة جدا من ساحل البحر والنقطة الثانية على نحو عشرين ميلا الى ما جنوب نهر اطريك وهى قريبة ايضا من ساحل البحر ويخرج من هاتين النقطتين خطان مستحكمات ينتفا بلان فوق ارض عالية تشرف بارض التى وفاق ثم يسير هذا الخط من جوش تبه لامسافة عشرة اميال جغرافية من الغرب الى الشمال الشرقى وظاهر على الارض من ارتفاع عائد فانه مرتفع فوق سطحها بقدر قدمان او ثلاثة اقدام وموجود عليه مع مسافات الغ خطوه اثار ابراج قديمة ابعادها واحدة فى طول الخط ويوجد على هذا الخط ايضا صورة كتبا لا مرتفع فتح بعضها خلق من التركمان فوجدوا فيها قدور واضلاع رجال مايلة للزرقة وبعض نقود من الذهب واشيا نفيسة اخرى وهو معروف لحد الان عند اهل جورغين يومودو بسد اسكندر وتعتقد تركمانه هذه الجهة ان الجن هم الذين كانوا صنعوا هذا السد بامر الملك القادر اسكندر ويقولون ان اسكندر كان على غاية من التقوى فى اسلامه احسن منهم الان وسخرت لطاعته الانس والجن ووصل فى عالم الظلمات والله اعلم بذلك

الفصل العاشر

عود الى الدخول فى تاريخ فارطيه وسورية وتتابع احوالهما لاتصالها بتاريخ الهند = وانه عندما ضعف امر المملكة الفارطية من تكرار هجوم القبايل الصطيبة عليها وتغلبوا على معظمها استغاث ملكها باخوروس بالرومانيين فى مدة دكانه ذلك سببا فى دخول جيوش تلك الدولة فى الاقاليم البعيدة الشرقية من اسيا ومعرفة احوال الجهات الهندية = وذكر فتح انطيخوس اسيا طيقوس من على تخته بواسطة بومبى واضافة سوريا فى اخر الامر الى عدد الاقاليم الرومانية = وذكر الرسل الذى ارسلها بوروس ملك غرب الهند لربط علاقات ودية مع اوغسطوس وعقد محالفة مع الرومانيين = وذكر حرق زرمانوشاغاش نفسه فى مدينة اثينه = وذكر ملحوظات على الرسل المتقدمة ورسل يندبون الى اوغسطوس = وذكر قصة سياحة ياقبولوس فى اسواحل الجنوبى من الهند = وزيارة ابولونوس طياونوس فراعطيس ملك غرب الهند = وذكر المبعوث الذى ارسل من طرف ملك سيلان الى كلوديوس

= وذكر المعاملات التجارية بين الرومانيين والهند حسب ما ذكره بليني وغيره والرسل المختلفة
التي ارسلت في ازمان مختلفة الى طراجان والذين من بعده من الامبراطورات الرومانية
= وذكر اسفار كوسماس انديكوبلوسطيس الى الهند وذكر الحالة الداخلية للهند في مدة اوايل
التاريخ الاسلامي ⟸

تولد مما كان عليه متريداطيس ملك فارطيا من الذكا والعقل والحزم والفطنة العسكرية
وحسن تدبيره في انتظام جيشه وممالكه وما كان عليه في مدة حياته من طرد التقم الممالك
الفارطية وحفظ عموم فتوحاته الهندية من اغتصابها بالهاجمين عليها من الشعوب الصيطيه
والقبايل التاتارية الهمجية ثم انه من بعد موت هذا الملك الشهير من بعد سلطنة لبثت سبعة
وثلاثون سنة اشتهرت بالامن والامنية والفخر والابهة الجليلة سنحت الفرصة الكبيرة
لهولاء اللصوص قطاع السلك الشماليين وما كانوا انسوا ما وقع لهم من الدمار في سالف الايام
وما كانوا اسرعوا في اقتحامهم في الهجوم والغارة بل صبروا وانتظروا الوقت الموافق لهم
وخلف متريداطيس من بعد موته ابنه فراعطيس الثاني فمن بعد جلوسه على التخت بمدة
قليلة هجم عليه جيش ضخم جمعه انطيوخوس سيديطيس الملك السيلفوسي المتسلط في سوريا
في طلب خلاص اخوه ديمتريطوس نيكاطور فانه ما زال كان اسيرا على قيد الحياة في
الممالك الفارطية وكانت نتيجة الواقعة هزيمة فراعطيس في اوايل من ثلاث وقايع
واخذت منه الاقاليم الواسعة الطريفة التي كان ابوه فتحها وطرد منها منكوسا مخزيا على
اعقابه في داخل الحدود الاصلية التي كانت عليها عند قيامها الاول في سلطنة مستقلة
ثم من بعد هذه الهزيمة وقد عليه طالع السعد بسرعة وذلك ان الشراسة والرزالة والجور
والتعدي الذي حصل من السوريين المنصورين في وقت تفرقهم في الاقاليم التي تقلبوا
عليها في مدة فصل الشتا كانت سببا في قيام اهالي هذه الاقاليم يدا واحدة وهجموا
هجوما عنيفا على سيديطيس وعلى كامل جيشه وكان الجيش بالنسبة لعدد وكثرة عساكره
منفرق في جهات بعيدة عن بعضها حتى انه ما كان يمكن جمعه في حالة هجوم وقع على حين
غفلة من امم تجمعت مرة واحدة في جامعة واحدة من اجل المحافظة على انفسهم من
الهاجمين عليهم وقتل الاهالي الجيش في يوم واحد من دون ان يبقوا منه الا الشريد
الذي نجى بنفسه فامتلا اقليم سوريا وجهاتها بالنعي والبكا والعويل على ما فقدوا وهلك
من رجالهم واولادهم وما كان يوجد الا ما ندر من العايلات التي ما فقد لها احد في
هذه الواقعة القطيعة وفي اثنا هذه الواقعة هرب ديمتريطوس من اسره واعاد
لنفسه التاج الذي كان فقدها عليه في مدة اسره بواسطة قتل اخيه الا انه من بعد
عوده التاج لنفسه ما اكتسب شيا من الفخر الذي كان عليه نيكاطور المذكور في اول
امر سلطنته من بعد ذلك الى هزيمات مشحونة بالخزي والعار ومات مذبوحا مهينا
مغلوبا في مدينة صور في سنة ١٢٤ قبل الميلاد واتفق ان فراعطيس لما انهزم
وطرد مقطوع الياس خايب الرجا في الثلاث وقايع العمومية كان ملك [سوريا] من قبل ملك سوريا
قتله وجيشه استغاث بالصطيين القاطنين بالقرب من مملكته من اجل اعانتهم له على
حرب الملك [السوريين] وكان الصيطيون في تلهف وشوق زايد من وجودهم في ميادين
الحروب وسفك الدما للسلب والنهب والحصول على غنايم يعيشون تحت ظلها فاجتمعوا
في جماعات عديدة وفرق كثيرة على حدود مملكته اي على حدود المملكة الفارطية ولما قتل ملك
سوريا وجيشه بواسطة اهل مملكته باتحادهم مع اهل الاقاليم المفتوحة صار لا لزوم
لمساعدة الصيطيين ورفض فراعطيس مع عدم الراى وسوء الحزم والتدبير ان يعطيهم
ما طلبوه من مكافيتهم في نظير خدماتهم التي جمعوا لها انفسهم فغضبوا واشتد حنقهم
وفاض منهم شراسة الاخلاق في وقت رفضه طلبهم والغضب فزحفوا الوحشية فوق
اراضيه وممالكه وفعلوا فيها كل قطيعة وقبيحة ودمار وخراب ثم ان فراعطيس من اجل
الوقوع بهم وطردهم في نظير ما حصل منهم من هذا التعدي جمع تحت بيرقه كافة المتشتتين
من الجريق الذين كانوا طردوا من باكطريانه او كانوا في اسر جور شديد تحت احكام
الفارطيين في الاقاليم المجاورة وبجرد ما استخدموا هولاء الشجعان على الاسلحة في ايديهم
وكانت الحرقة اكبادهم من شدة ما لاقوه من الجور والظلم اسرعوا وتوجهوا الى جامعة

جامعة واحدة الى الصيطيين وانضموا اليهم في السلب والنهب العمومي واوقعوا بالفارطيين
واذاقوهم وبال امرهم من دون ادنى رحمة او شفقة وقتلوا الملك عاجز الراى الذي
جمعهم وسلحهم انتقاما في الاخذ بثارهم وساروا على وجوههم مثل الصيطيين الى جهات
الاقاليم العامرة وحملوا انفسهم من اسلاب اسيا وغنايمها ومن بعد ان رجع الجيش الاول
الصيطي اسرع جيش ثاني وتمم اخذ ما كان باقيا من زهيد الاسلاب والغنايم التي ما كان
للجيش الاول طاقة على حملها وقال يوسطين المورخ ان هولاء الصيطيين كانوا من
الامة المعروفة باسم الامة الطوغاريانية يعني تخارستان تمما اشغال الخراب
والدمار وقتلوا في واقعة دموية الملك الجديد ارطابانوس عم فراعطيس ابن
وكانت هذه الغارات القطيعة سببا في وقوع مصايب مهولة واهوال شديدة على المملكة
الفارطية ومن المحتمل ايضا انها كانت سببا في ان باخوروس الاول الملك الذي جلس
على كرسي فارطية ارسل مبعوثا من طرفه الى سيلا وكان سيلا في ذلك الوقت في اسيا
حاكما في قبدوشيا وقايد جيش من اجل ربط علاقات ودية ومعاهدة اتحادية مع الامة
الرومانية صاحبة الاسم المشهور والجيش المنصور وكان هذا الوقت هو اول وقت تداخلت
فيه فارطية في المحالفة مع رومة فاحس سيلا في نفسه بالعجب والكبريا في كونه صار اول
واحد روماني له القدرة والعظمة في ان ملك كبير مثل ملك فارطيه طلب منه الاغاثة
والمساعدة وان يقبل محالفته مع انه خفا بل رسول باخوروس في قبدوسيا وكان
مشغولا ببعض قضايا هذه الايالة مع الاحتفال الزايد والفخفخة التي يعودها الشرق
من الامة الرومانية ومن المحتمل ايضا انه كان من طالع السعد الكامل للامتين عدم
ارسال هذه الرسول مطلقا او عدم مقابلته عند سيلا لانه تذويبات وتسجيلات اي
امة من الامم القديمة ما وقع فيها تسجيلات حروب طويلة ووقايع مهولة دموية مثل
ما وقع في المدة المستقبلة بين رومة وفارطية من ابتدا اليوم المشوم الواقعة المعروف
بيوم كارثيا الواقعة في نواحي منابع نهر الفرات ومحلها الان حران وكان فيه كاسوق
المقتول من الفصول الف دمار زهرة جيوشها واشجعها وهلاك عساكره بنبال الفارطيين
الى حد خضوع هذه الامة وجعلها خراجية لرومة بواسطة الامبراطور طراجان او وهو
الاقوى في الاحتمال من ابتدا حصول الشقاق بينها وشق عصا الطاعة الى ان انقرضت
العايلة الاشغانيانية وقام مقامها العايلة الساسانية على التخت الفارسي في نحو سنة
٢٠٠ بعد ميلاد المسيح ثم ان مواصلة التاريخ الفارطياني في هذه المدة بتاريخ الرومانيين
ما كان له علاقة بتاريخ الهند الان ما ذكرناه هنا على سبيل نحو اسم الرومانيين وانه
بواسطة هذه الحروب وصلوا اول مرة لمعلوماتهم بالممالك الهندية وقيل انه في عقب
هذه الحروب ارسل الهنود رسلا الى اوغسطوس وسنذكر قريبا سيافي حالة هولاء الرسل
ثم ان ما بقى من ملوك العايلة السيلفوسية من ابتدا عهد ديمتريطوس الى حد المدة
التي خلع فيها بومبي في سنة ٦٥ قبل الميلاد انطيوخوس اسيا طيقوس اخر ملوك هذه العايلة
واضاف سوريا الى عدد الممالك الرومانية ما في تاريخها اعتنا وتخيص بتاريخ اسيا
الا قليلا جدا وكان كل من هولاء الملوك وذرية بطليموس لاغوس المتوطنين في مصر
مشروطا نهم بعيدة جدا فضلا عن انهم كانوا مشغولين البال والبلبال في المدافعة
والمحافظة على ممالكهم من المغايرين عليها من الرومانيين وكانوا سببا في تعطيل مواظبة
الرومانيين من الوصول الى الهند من تلك النواحي ومن المحقق ان الاهالي التي كانت
في حلة على ضفتي نهر السند حتى في مدة الاحكام البربرية الاجنبية كانت مشتغلة بعمل
تجارات كبيرة بينها وبين المصريين اما برفقة من الهنود الصيطيين للتقليين عليهم
او بسبب دفعهم عوايد ما هطة لهم وبواسطة هذه التجارات امتدت المعاملات بين
الامتين ثم ال امر هذه المعاملات الى حالة غير ثابتة وغير مرضية في اخر امرها بسبب
عدم المحافظة عليها من نهب وسلب حتى صارت حالة معيشة الرحلة والنزول وحالة ردية
براعاة المحافظة على حقوق التجارة الا ان الجريق الذين كانوا في باكطريانه دخلوا في داخل
مدايات بحيث جزيرة الهند وطدوا فيها انفسهم ما رتب الثار مع العنف والشدة و
بواسطة التجارات الواسعة التي استحوذوا عليها من اسواق التجارة الموجودة على ساحل

ناظرون صامتون وفرح المتفرجون من هول هذه الى رتبة الجديدة فى بلودهم فكانت نتيجة
هذا الاستغراب والاندهال ان اشيد الاثينيون تذكارا له بناء ظريفا ونقشوا عليه
هذا خبر زرمانوشا غوش الهندى من اهل بارغوسه والمحتمل انه من اهل باريغازه الذى
حرق نفسه طيبا لرض عادة بلاده وما اجمع مورخى الجريق والروماينين الذين كانوا
فى عصر اوغسطوس فى مؤلفاتهم على ان هولاء الرسل كانوا ارسلوا من طرف بوروس ملك
الهند الاوسط والظاهر انه من طلاوة الحكاية الموجودة فى الاكاذيب المكتوبة باللسان
الجريقى ومن عظيم شوكة الملك واقتدار ممالكه يلزمنى ان اميل الى فكر ان هولاء المورخين
نسبوا هذه الحكاية الى بوروس وكان بوروس المذكور اقل مقاما من هذا لان مثل
مثل هذا الشغل يلزم ان يكون شغل ملك قادر حكمه كان جاريا على عموم الممالك الهندية
مثل الملك بيكرماجيت اوسكبهن وكان سبهن فى مبادى التاريخ المسيحى منقعد زمام
السلطنة فى الدكهن اى فى جنوب الهند فان كان الفيلسوف زرمانوشا غوس فى الحقيقة
كما هو منقوش على قبره انه كان من اهل باريغازه فيستدل من ذلك على انه كان ارسل
من طرف ملك متسلطن فى دكهن اباد اى فى الهند الجنوبى وكانت ططره او دو غير
احيانا عاصمة كل من بيكرماجيت او سكبهن كما سبق القول وقد ذكرت هى لفظ احيانا
عاصمة لان امبراطورات الهندوستان يظهر انه كان لهم عاصمتان مثل ما كانت عليه
دلهى واكره فى الازمان المتاخرة وذكر فى القصص السنسكريتية انه كان لهم ايضا
مدينة اوجين فى مالوه وكان ابتنى هذه المدينة بيكرماجيت نفسه وكانت مقرا
عاما لهولاء الملوك واطلق الجريق على قطعة كبيرة من الاقليم المجاور لها اسم سيريا كا
وهذا القسم يشتمل الان على القسم الاعظم من صوبة اوقسم اورنگ اباد والقسم الجنوبى
من كوكان واما القسم الاكبر وقد عامنها فى الجهة الشمالية فانه داخل فيه داوده و
كاليان وساليت وبمبى وجهات اخرى ان حصل كانت جميعها فى ذلك الوقت تحت
حوزة راجا او ملك لوريش ويطلق على عموم هذا القسم الان اسم الجوزرات واما
لفظة لورش فهى لفظة عامة على الارض الموجودة فى تلك الجهة وهى لفظة وطنية و
تطلق ايضا على اسم مدينة بندر لور الواقعة على مسافة حمس فراسخ او ستة من صب
البحر وعلى فرع من فروع نهر السند وكان فى هذه الجهة ايضا مدينة بالوكورى وكانت
وكانت هذه المدينة مقرا ملوكيا لبطلمار اكبر ملوك هذه الجهة وكانت حينئذ كما قيل
تابعة لعاصمة بلغار واما القسم الواسع المعروف عند قدماء المورخين باسم ليميريقا
فانه كان تحت حوزة ملك اخر اقل فى المجد والقوة وسعة الملك من البطلمار بين و
كانت عاصمته مدينة كارورا واقعة على مسافة ما من البحر وجعلها الث حزون الان هى
مدينة كورى الاخيرة وكان اكبر هولاء الملوك عظما وسعادة فى هذا القسم الجنوبى
من الهند الملك القوى البأس المسمى بنديون وكانت مملكته ممتدة الى الراس الجنوبى
المعروف الان براس كوماريا او كومورين ويغلب على ظنى ان الجيش المعروف فى
القديم باسم جيش البنديون او البنديا ويون كان من عسكر هذا الملك وقيل انه هذا
الملك ارسل فى نحو هذا الوقت رسلا الى اوغسطوس عثرا الى ما وقفت على تفاصيل
اخبار هولاء الرسل وكان مقر هذا الملك فى المدينة الكبيرة المعروفة بمدينة
مادوره او ماطوره وبالطبع كانت سلطنته وشوكته ساحلة الاقليم المعروف باسم
بنديى منذ القدم وقال اريان ان الشجاع هرقل الهندى وهو كريشنه كان معبودا
فى مدينة مادوره على نهر جوباريش او جومنه وترك عدة اولاد وكان له ابنة
اسمها بنديا سمها فيادة جيش ضخم وامبرشية عموم مملكته باسمها ومن هذه الحكاية
وحكايات اخرى تولدت بعض حكايات مشهورة عند اهل البلاد وذلك ان ديودور
الصقلى كان نشأ فى مدة سلطنة اوغسطوس قدون حكاية عجيبة تختص بسياحة شخص
اسمه يامبولوس من جريق اسكندرية يمكننا ان ندرجها هنا ولو ان الحكاية جميعها
فى صورة خرافة الا انها فوق العادة فى مثل هذا الموضوع ومع ما هى عليه فيظهر
ان بعضها حقيقى لانها كانت سببا فى كوننا درجنا فى هذا التاريخ الجزيرة المشهورة
المعروفة باسم طابروبانه او سيلان وبما اننا اطلنا القول فى اعمال راما فى
سيلان فيما سبق الان ذكر فى هذه الصحف مختصرا عن سيلان فى الازمان الخفية

المه صنية واضيف بعض مخطوطات تختص بهذه الجزيرة الواقعة فى ذيل القارة الهندية
المعروفة فى كتب السنسكريت القديمة باسم طابوبانه ومعناها صخرة المتقشف اوصيل
النقى الصالح ومطروقة على الدوام بصالحى الهند ودراويشه وتسمى ايضا ديوا لنكا
ومعناها الجزيرة المقدسة والطاهرة ومعروفة عند العرب باسم سرنديب وعند
الاوروباويين باسم سيلان قال ديودور الصقلى ان يامبولوس كان ابن رجل
من التجار يتجر مع العرب فى اصناف البهارات وفى مدة اشتغاله بتجارة البهارات فى بلاد
العرب سافر اليها مع واحد اخر من التجار فقبض عليهما جماعة من اللصوص قطاع الطرق
والسبل فى بلاد العرب واخذوهما اسيرين فى بلاد العرب ثم اشتراهما واحد من الاثيوبيين
الذين كانوا يوفدوا فى طلب التجارة على سواحل بلاد العرب وارسلهما الى اثيوبيا ليقربهما
قربانا فى موسم اهلى يعقد مرة فى كل ثلاثين سنة وكان من العادات القديمة عند اهل
اثيوبيا (الزنج او الحبشة) فى هذا العيد انهم يرموا فى اهوال الاوقيانوس اثنان من
الاغراب فى قارب صغير يصنعونها فيه ويتركونها لرحمة الرياح وانواع المدوالية ات
والعواصف فى صورة تكفير الاثام والذنوب التى اكتسبتها هذه الامة المجموعة فى هذا
العيد فى ظرف الثلاثون سنة للماضية فزينوها باكاليل الازهار وزودوها بموونه
كثيرة لسفر مدته ستة اشهر على شرط ان يكونا فى اثناء هذه المدة المعلومة عرضة لا
خطار الاوقيانوس واهوالها وقاربهما الصغير دفعوها وقاربهما فى البحر فلا
راى يامبولوس ورفيقه ان عودهما مرة ثانية الى هذه الامة مشوم العاقبة عليهما
اتحدا سوية مع بعضهما وبذلا مجهودهما فى سفرهما الى الجهة الجنوبية نحو اى الجزاير المعروفة
عند الاثيوبيين فقط بنقول واخبار معجبة عليهم الا انها لابد وان تكون مسكونة
باقوام او اجناس مشهورة بالمعروف واكرام الضيوف ومن بعد ان جاهدا مدة اربع
شهور مع الحوادث الجوية حملتهما الرياح الشديدة الدورية الشاطئ وجودها فى هذه
البحور ومعروفة عند الاوروباويين بارياح المونسونية الى جزيرة طابروبانه
او طابروبانه وقال ديودور ان شكل هذه الجزيرة فى هيئة مستديرة تقريبا ومحيط
دايرها خمسة الاف استاديا او خمسمائة ميل انكليزى ووصف المتاخرون هذه الجزيرة
وقالوا ان شكلها يشبه شكل الكمثرى وطولها ٢٨٠ ميل وعرضها ١٥٠ ميل فتلقوهما
اهل الجزيرة بالفرح والاكرام فى ضيافتهم وذكرا فى عوايدهم وشهرة كرمهم اوصاف
فوق العادة لا حاجة فى ذكر دقايقها فاننا متى عرفنا اهل سيلان فان عوايدهم
وطبايعهم واحدة ما حصل فيها تغيير وان اصلهم من الجنس الهندى وما اشتهر فى الحقيقة
من هذه القصة ان سكان الجزيرة كانوا منقسمين الى شعوب كل شعب كان منعزل على
حدة تحت حكم رئيس منه وهيئتهم ومرونة اعضاهم التى ذكرها المتاخرون وعبادتهم الشمس
والقمر والاجرام السماوية واعتكافهم على مسايل التنجيم وملبوسهم المصنوع من قطن الاشجار
ومصبوغ باللون الاحمر الارجوانى وخصوبة ارض الجزيرة وما تخرج من العنب (هذا
جهة جافنا فقط طعم حارظ مثل حصرم مصر والبلادات فيه) والزيتون (ليس هو الزيتون
الحقيقى انما هو شبه الزيتون يصنع اهل الجزيره طرشى او نوع مخلل) واصناف الذره
رفيعة كانت او غليظة الحب ومنها النوع الاصفر والابيض بكثرة وافرة يصنعون منها اهلها
صنف من الخبز طريف المطعم وذكر يامبولوس فى رحلته ان هذه الجزيرة واقعة تحت المنطقة
الحارة واهلها فى افراح ليلا ونهارا وفى درجة واحدة وعندهم تعدد الزوجات على العموم
وهم فى هذه الى الان مثل التأبيريون الموجودين على ساحل المليبار المجاورين لهم وكثرة
الافاعى والثعابين الموجودة فى الجزيرة وعظمها وخوفها وانهم يعرضون موتاهم على الساحل
ويقيمون على الموت برغبة منهم مثل ما فعل كلانوس وزرمانوشا غاس الكهول و
الطاعنين فى السن منهم ومن العجيب عند كل شخص له خبرة ودراية بالتاريخ الطبيعى لسيلان
ان لا جرا بحر فى البهارات لا يذكر من بعد مضى سبع سنوات اقاموها فى الجزيرة الا من ضمن
محصولها الظريفة صنف القرفة الداخلة فى جميع العصور والازمان فى ضمن المطلب
الاصلى للتجارة مع الامم الشرقية وكانت هذه الى الان سببا فى ميل معظم الكتاب الى جهة
اخرى او وقعتهم فى الشك بعدم حقيقة هذه الحكاية واما ما قيل من ان الوطنيين كانوا
منقسمين من الاصل فان هذه الحالة حطم جذرها فى اول انتشارها ومن بعدها صاروا
تحت سلطة شخصان وخلدهم الى ذلك القبايل البعيدة واما ما هو مذكور فى اصل

١٢١

الحكاية من وجود طيور ضخمة كبيرة كانت تحمل الاولاد متعودة على الركوب فوق اجنحتها وتطير
بهم في الهواء وعجايب اخرى مثل هذه فان ذلك معدود من تفاصيل وحكايات اهل الشرق كما
واني رايت في خريدة العجايب انه يوجد في سيلان خرفان من الضان اكل واحد منها عشرة ايول
فهذه خرافة مثل ذلك ولنرجع الى ماكنا عليه من حكاية ياامبولوس من اسفاره ولوانه
ماكان في نفي يرى عليه اوائله في الدوران حول سواحل افريقية واسيا وذلك انه هو
ورفيقه من بعدان ما اسبع سنوات في جزيرة سيلان ما قدرا على تحمل عوايد اهلها
وطبايعهم وماقبلا ان يدخلا في دين اهل الجزيرة فشرعا في سفرهما منها في القارب الذي
جاء به الى الجزيرة من بعدان رمماه واصلحاه وشحناه بموونة وذخاير لمدة سفر طويل
معزومان على طول مدة مثل ابتها من بعدان لاقا مصاعب الاسفار الاوقيانوس في
مدة مثل المدة المنقرضة غرق قاربهما على الساحل الهندي في مياه قليلة الغور ومن المحتمل
انه كان قريبا من فم نهر الكنج وهلك رفيق ياامبولوس في شدة الامواج ووصل
ياامبولوس الى البر سالماً فقبضوا عليه اهل الارض وحملوه عدة فراسخ في داخلها
حتى اوقفوه امام الملك المتسلطن في مدينة باليبوثره فعامله الملك بالرفق واللين
ورحمه لان هذا الملك كان على محبة شديدة للجريك والعلوم الجريكية ومن حيث انه سحب
الشك والاوهام معطية على كافة اقوال هذه الحكاية ولايوجد تاريخ او مدة معلومة
حصلت فيها مثل هذه الحادثة فلا لزوم في طلب البحث وتعكير البال والافكار في البحث
عمن كان هذا الملك الذي كان محب للامة الجريكية وقد ذكرنا انفا في مدة المعاهدات
الودية التي كانت جارية في مدة ما بين الملوك الاسورية والملوك الهندية محبة الاجانب
والعوايد الجريكية حتى كان العمل جاريا عليها في كافة دواوين ملوك الهند فكانت
هذه الحالة في درجة عالية في الوقت الذي زار فيه ابولوس الهند العرزلي كما سنذكره
فيما بعد وكان يكرما حيث ظهرها العلم والعلماء ومن المحتمل انه كان في نحو هذه المدة
على تخت المملكة الهندية وكان هو السبب في خلاص ياامبولوس وزوده بكل ما يحتاج
في سفره الى بلاده في الجريس حتى وصل اليها مع السلامة ثم اننا ذكرنا فيما سلف في
مبادي هذا الباب الغزوة المشهورة التي غزاها راما في سيلان وذكرنا اصل
الراماينات وماكان فيها من كثرة الاقوال الخرافية القديمة المروية عند الهندو الا
انه مازال يوجد في الجزيرة علامات وشواهد يستدل منها على تغلب راما على
رافنة اوراونه ملك سيلان وخلاص زوجته سيتا منه وتثبت حصول هذه
الواقعة وكذا توجد حوادث اخرى كثيرة رواياتها موسسة على قواعد ثابتة في الحوادث
التاريخية منها السلسلة الصخرية الممتدة من الساحل الشمالي من الجزيرة الى ارض القارة
الهندية وكانت تسمى في تلك الايام بجسر راما وعلامة اخرى وجدت باسم راما في
مدينة كانت مشهورة في الجزيرة كشفها بليني من تقرير انوش بلوكامدس وسماها
باليسيموندوس وهو من الوطنيين براشري - منذ الا اى سلطنة براشري
وهو باخوس الهندي ودلالة ثالثة اخرى هي الشعاير المطابقة الى باخوس لان
الملك كان مجبورا يعبد باخوس حسب ماذكره بليني او دينيسيوس وهذه لفظة
اخذها الجريك من اللفظ السنسكريتية ديوناهوشا ثم وجدت عند بطليموس
دونيسي وذلك تحريف في اللفظ وكان الجريك يراعون اقامة الشعاير والاحتفالات
الدينية الجارية في معبد راما الهندي بما انها كانت جارية في بلادهم لباخوس الجريكي
وبما ان الاسمين متشابهين في اللفظ فجعلها الجريك واحد في المعنى في لفظة الاله و
اعتقدوا ان باخوس الهندي وباخوس الجريكي واحد ولو ان الهندو كانوا على فكرة
بعيدة ماكان عليه الجريك من افكارهم وكذا وجود الهيكل الواسع الفخم المسمى راما
سيرام احد المعابد القديمة جدا المشهورة في الهند الواقع في جزيرة راماسيرام بين
سيلان وارض القارة فانه تذكرة لهذه المدة الماضية ويظهر منه شدة الغيرة
التي كان عليها الهندو في عبادتهم هذا الاله وكذا مارايت في مناقشة وقعت
هنا من اى واحد من مشهوري العقول من علماء الهند في حكاية براشري او براسورام
ورام شندره بانهما كانا الهين مختلفين وان الثلاث راماث لا بد وانهم كانوا

١٢١

كانوا ثلاثة نايبين عن شخص واحد مشهور وقال السير غينيوم يونس في راى فصل
به هذه المسئلة انهم كانوا جميعا تحت اسم واحد هو رام المذكور في التوراة انه
الملك الاكبر في اسيا ومن هذه الاقوال والحكايات المختلفة التي ذكرناها واخرى كثيرة
يمكن استنتاجها من مقارنة ما حكاه نوكس واخرين من الاوروباويين (راجع تاريخ
جزيرة سيلان) في حكاياتهم المخصوصة باهل سيلان مع الحكايات التي قالها اهل الهند
لاريب اني اظن انه موجود بقايا في هذه الجزيرة او اثار في سهول وجهات هذه الجزيرة
التي ذكرها اسطرابو انها اكبر من نفس بريطانيا تدل على ان اصل عمارها كان من الهند
وانه هذا ليس ظاهر في عوايدهم المدنية واقامة شعايرهم الدينية فقط بل وفي لغتهم
فانه يمكننا ان نحكم من بعض الفاظ ولو قليلة في ذلك ذكرها نوكس سياحي البرتغاليين
والفعنك وكلمات عديدة يظهر انها مشتقة من السنسكريت مثل ديو الله وديو
لوكو الجنة اوالسما او الله الاكبر ومكن اسم اعطاه بطليموس لجبال الجزيرة وهو
مطابق للاسم الهندي مالَيم يعني الارض العالية فوق ارض القارة ومهاجراموم اسم
قديم اعطاه بطليموس لمدينة كندى العاصمة الحالية الموجودة في داخل الجزيرة وكانت قبل
تغلب الانكليز على الجزيرة مقر ملوك السنهاليز في الداخل ومها ويلي جنجا فانه مها
معناه كبير وجنجا معناه نهر ومعنى الكل كنج اليالي الكبير وهو هرقل الهندي الذي
كان اولاد طابروبانه يعبدونه مثل باخوس حسب ما قاله بليني ثم انه يلزمني ان
اترك البحث في هذه المسئلة احسن لي لانه لا فايدة من معاناة الماس الذي انقرض امرها
وانقطع دابرها وماتت بموت اهلها وكانت الاقوام الداخلة للجزيرة مسكونة بجنس من
الناس معروف من قديم الزمان ولحد الان بالويداه وساذكر هذا الجنس في تاريخ سيلان
ان شاء الله تعالى وقبايل وعشاير كثيرة من طبعهم الشرة والقساوة لا يذكرون الجبال القاطنين
فيها وهم عليها لحد الان بل يهيمون فيها وفي الاجام والاورمانات الواسعة المغطاة بها
هذه الجبال ات تحت الانسان وهم في حالة همجية وعدم حضارة مدنية واما اهل الجزيرة
القاطنين على السواحل من جهات البحر فانهم اكثر عددا وتعودوا وجامعة مع الاعراب ولهم
عوايد رقيقة ظريفة واهل بشاشة وفطنة في الاشغال واهل ظرف ومؤانسة في مجالسهم
والفاظهم واداب واكثر مشغولون بالتجارة والحرف والصنايع ولهم دراية تامة بفن الزراعة
والاسبلة وعاكفون على المطالعات التاريخية والعلوم وفن الطب ولهم اعتناء تام على
تهذيب وتربية اولادهم وقيل انهم من نسل الجنس القديم المعروف بالشنجاليس ويغلب
على الظن ان هذا الجنس كان هاجر الى هذه الجزيرة من بعيد مدة بعيدة جدا من الشين
او الصين ومع انه لا هولاء ولا الويداه يظهر انهم هم الجنس القديم الاصلي الذي يعرفونه
وصيره شيد المباني المدهشة القديمة التي عليها الان الباجوداث او المعابد القديمة التي
هي الى لحد الان قايمة على اساسها في الجزيرة صابرة على مقاومة الحوادث الجوية مثل
المباني القديمة المصرية وجميعها مبنية على منوال واحد ومزخرفة في غالب بناها
باشارات وعلومات ديانية مثل المعابد القديمة المحترمة الموجودة فوق ارض القارة
الهندية واما الجزاير العديدة المنتشرة في ناحية من جزيرة طابروبانه المعروفة عندنا
الان باسم جزاير مالديوه فان هذا الاسم ايضا من اسما السنسكريت وهي مؤلفة من
عدة الاف من الجزاير الصغيرة والظاهر انه كانت حصلت رجة في الارض اما من
تاثير الما او من تاثير النار وقعت في مدة قديمة في هذه الجهة من اسيا وكانت هذه
الرجة سببا في حصول هذه الجزاير من اصل الارض القارة وكانت عامة سواء على قدما
سكانها ومع الممكن ان هذه الامة كانت مسجلة في التدوينات القديمة التي راها احد
سياحي الانكليز محفورة بحروف غليظة على بعض صخور في نواحي بندى اوده وفي الجهات
الشاهية من الجزيرة من مدة عدة سنين مضت وحروفها عميقة الحفر في الصخور ومن المحتمل
ان هذه الجهة كانت احد الدينا وقال انه بذل مجهوده في السوال عن معنى هذه الكتابة
من الهندو واهل المقابر والشنجاليس والمسلمين فما ادرك احد منهم معناها فتركها
تحت مباشرة افكار علما الهند الذين حكمهم الان زيارة هذه الجزيرة تحت رعاية حاكم
الانكليزي من اهل العلم حتى تم نقلها بعناية الدقة وعرضها على جمعية معارف اسيا في الهند
للنظر والتحقيق فيها وفك رموزها الى ان يظهر هذه الحروف معاني وتفاسير فيستدل منها

على شى سبق وقوعه من الوقايع والحوادث فى الجزيرة ثم انه عند ذكرنا سلطنة الامبراطور
كلوديوس نعود الى ذكر هذه الجزيرة العظيمة لان مجارى الحوادث تدعونا الان الى
ان نذكرها وندخل فى القارة وذلك ان ما ذكرناه مما تقدم ذكره كان هو موقع الهند
الجغرافى والملوك المشهورة الذين كانوا قابضين على زمام السلطنات فيها فى كل مبادى
التاريخ المسيحى وفى بدارى القسم الاول من القرن الاول المسيحى زار السواحل الهندية
فيلسوف جليل القدر عظيم السجايا ذكر ترجمة حياته فيلوستراطوس فقال انه عند وصوله
الى سواحل الهند استقبله حكماها وعلماها واجلوه اجل الاحترامات وقابله ملك الهند
الغربى باحفى درجات الشرف والاحتفال وكان هذا الفيلسوف هو ابولونيوس طيانوس
وكذا استقبله الملوك الاخر الموجودون فى تلك الجهة وعظموا قدره واعلوا مقداره واكثر
فلوستراطوس فى هذه الترجمة من اقواله وحكاياته صفة دواوين هولاء الملوك و
عوايد معيشتهم وقوانينهم الجارى عليها احكامهم ومعاملة رعاياهم ومفصلات اخرى
تاريخية ومع ما فيه فان حكاية المجازف منفس ابولونيوس طيانوس فى مدة سياحته فى
اقاليم اسيا العليا ممزوجة بقصص وحكايات كثيرة عديمة الاحتمال يظهر عليها انها فى
حيز الخرافات وان ذكره وصف بعض محلات وجهات زارها مشحونة بالخطا الفاحش
مخصوصا ما ذكره من وصف مدينة بابل فى الوقت الذى زعم هذا الفيلسوف انه
اقام عشرون شهرا فى تلك العاصمة وكان هذا الوصف مناقضا بالكلية لما ذكره المؤ
رخون المعاصرون لهذه المدة وكان ذكر وصف لها فى الترجمة لم يغفل من بهجتها وعزها
التى كانت عليها فى الزمن القديم شيأ مع ان الامر كان بالعكس فان اصوات المورخين
فى تلك المدة اى فى سنة ٢٠ بعد الميلاد اجتمعت فى جامعة واحدة واثبتوا سقوط
مدينة بابل ودمارها ودفنها تحت اثار واطلال مبانيها الواسعة وكان معبد بعل
(بعزور) والاسوار واقفة بمفردها ومصفوف فى داخلها حيوانات وحشية فى لذات
الملوك الفارطية عند ما يكونوا مسرورين فى الصيد والقنص ومن المحقق ان ابولونيوس
زار مقر بابل وترك فى مدينة باهرة فتشيدت من اطلالها فى صفراجها ولو ان فيلو
ستراطوس اسهب فى بلاغة وصف توضيحاته التى ربما انه يكون هذا الوصف عن مدة
قديمة عن المدة التى زارها هذا الفيلسوف مدينة بابل وكان اول الملوك الذين زارهم
الفيلسوف ابولونيوس طيانوس من بعد عبوره على نهر السند ديوان فراعطيس الملك و
من الممكن ان هذا الملك كان من ذرية الملوك الفارطية لان هذا الاسم ما هو هندى
وكان متكرر الذكر فى عائلة الملوك الفارطية كما شاهدنا فيما سبق وبذل جهوده
بوسايط اجراها حتى استحوز على مملكة طاكسيليس القديمة وقيل ان اسمها كان باقيا
عليها لم يتغير الى حد ذاك اليوم الذى دخل فيه ابولونيوس فاما استحواذه على
المملكة وبقا اسمها ما دون تغيير او انه اختار عوايد وقوانين الطوايف العتيقة الهندية
وقرابته الى عائلة الملوك الفارطيانية بزواج او بغيره كل هذا مشكوك فيه لا نه يظهر
من المجلس الذى عقده مع ابولونيوس والمحادثة معه باللسان الجريكى اتصال اجداده
بملوك باكطريانه الجريكيين وكان اللسان الجريكى مستعمل فى ديوانه ومن البساطة المفرطة
التى كانت عليها سراية هذا الملك فى سياق عمارتها وبناها والزينة والزخرفة التى
فيها وعلى ما كان عليه من عدم البغى والتجبر وحسن السلوك وعلو درجة هوسه وادراكه
وشدة حبه للكرم والعزى وتجنبه فى مجلسه عن كل ما يشينه من موبقات وملاهى نفسية
وتدبيره فى تصرفه فى اموال مملكته والطرق التى بها استعمالها فيها وحوزته ما كان فيه من مجد
الشوكة وسمو السلطنة كل ذلك يظهر منه فى الحقيقة سمو قدر عالى الملك ذكى عارف عادل
منصف فى اجراآته وحركاته ويمكن ان يقال انه كان هو الملك الفريد فى هذه ... لا
ان الكثير من الملوك الهندية الموجودة فى مثل هذا الموقع الرفيع العالى القدر تحت سلطة
البراهميين وحالتهم مفقودة وغرقانين فى ابهة وزخرفة ولذة سلطانهم وان ما
كان عليه فراعطيس من الفضل والحكمة والعفة وعلو الهمة والرفقة ودقايق ادراكاته
الفلسفية يظهر منها بالطبع تباين او خلاف كبير موجود فى شهوات نفسية لا حصر لها
عند الملوك الشرقية الاخرين وعلى الخصوص ما ذكره اسطرابو وكينطوس قورطيوس
مما اخذاه من المعلومات فى شان طرق العادات الجارية فى تلك الايام وكانت

وكانت معروفة ايضا فلوستراطوس وهى الرفه والاسراف والابهة الكبيرة التى كان
عليها موزيقانوس ملك الدكهن اى الهند الجنوبية فاما فى وصف الهند فاننا نتبع ما قاله
الحكيم طيانه لا ما قاله هذا السياح الهندى العجيب بما انه لا يوجد فى وصف ما ذكره هذا
المورخ ومن التفاصيل التى راها فى الحالة الراهنة لا تحصرها وجمعها من ميدان اشغاله
يمكنا ان نثبت ان الهند العليا او الهندوستان كانت فى القرن الاول ولو انها ما كانت
خالصة جميعها من حدودها القريبة من الحكم الصيطى فانه ما زال كان موجود فى داخل
اقاليمها مملكة واسعة قوية مفتوحة من ابتدا تاسيسها ووجودها الى عدة ايالات مختلفة
التراعية كبيرة محكومة بملوك من اهلها جميعها تحت رياسة ملك واحد معروف بمهاراجا ثم
عرفنا من اقوال اسطرابو وكانت موجودا فى نحو هذا العصر ان الهند كانت فى زمنه منقسمة
الى مائة وثمانية عشرة امة كبيرة كل واحدة منها محكومة بملك مخصوص من اهلها وهذه
جميعها تحت سلطنة ملك واحد رئيس له على حسب قانون المملكة وشرايعها السلطة الكبيرة
الوحيدة فى طلب والبطش بعدو مشترك وجمع كافة الملوك الموجودة تحت يده وسوقها لميدان
الحرب فى رؤس ما تحت يدها من العساكر وكل ملك منهم مستعد كره ومزودها من طرفه
بالسلاح والزاد رغم انفه حسب العوايد القديمة الجارية فى المملكة وان كلا من السمو الملوكى
الذى عليه المهاراجا والذين تحت يده من الملوك وراثيا من الاب الى الابن ولهم السلطة
الكاملة فى سن القوانين وتوقيع احكام الموت وغيره من انواع الجرايم على من اكتسب
جريمة القتل او اى جريمة اخرى فى ممالكهم الا انهم كانوا ملزومين حسب مراعاة الاحوال
على فصل هذه القضايا على موجب رضى قواعد القانون الداخلى المؤسس عليه قواعد
المملكة ونظامها وكان من جملة مواد القانون الترخيص لهم فى الاجتماع فى يوم واحد
معلوم من الايام تجتمع فيه الامة من اجل سماع معروضاتهم واصلاح شكواهم وفصل
قضاياهم واداء اتمام الاحكام المختلفة بين رعاياهم ولا يجوز لهم ترك مجلس هذه المحكمة
ما لم يسمعوا كل شى تعرضه الامة عليهم ويتمموا فصل احكام كل شكوى ودعوى واما فى
المخابرات الاجنبية فانه متى وضع عهد الامة العمومية على اى معاهدة ما او محالفة فانه
لا يفسخ ولا ينقض ويكون مرعى الاجرى على اساس ثابت وحق مقدس ثم ننتقل من هذا
المنظور العمومى الذى عليه المملكة الهندية الى بعض تفاصيل اخرى ذكرها الشهير ابولونيوس
ونذكر ما قاله عندما دخل فى سراية ملك الهند الغربية التى زارها هذا الفيلسوف
والمطلب الذى مدح به هذا الملك واطنب فى وصف المحمود ولاجل ان يكون المطالع على
خبرة تامة من المطلب الاصلى لهذا المورخ من ذكره هذا الوصف اذكر له قبل ذلك
وصف نقلته عن اسطرابو تخيص بدرجة سمو ديوان موزيقانوس بما انى قد
قدمت ذكرى وصف كلانوس وحالته ان اذكر الاوصاف العجيبة التى كانت فى مملكة
موزيقانوس وذلك ان هذه المملكة كانت ممتدة نحو الجنوب الى مصاب نهر السند
ويقال وقد ذكر العالم ... ان هذه المملكة كانت شاغلة موقع سيقوا الاخيرة
وبجمع انهار الثروة والاموال التى كانت حسب ضرورة الاحوال مصبوبة فى اقليم موجود
فى مدخل نهر مجلوب اليه من كافة الجهات مواد ثمينة واصناف مفتخرة نفيسة من تجارة
الشرق كان يوجد بداهة مدخر جسيم من الاموال فى خزاين هذا الملك المتنعم فى لذاته
المترفة فى معيشته والمجد فى سرايته وديوانه وقيل ان ديوانه كان فوق ديوان فارس
فى مثل هذا الافتخار وكانت واجهة سرايته قايمة على عمد شاهقة من حجر البورفير
المغشى بالذهب الخالص ومعلوق حول راس كل عمود دوالى من العنب مصنوعة من
الذهب وفى وسط اوراقها اصناف الطيور الهندية يلمع ريشها بحالة لا مثيل لها
مصنوع من الجواهر النفيسة وداخل هذه السراية مشتغل بانوار الفخفخة وما فيه تسر
الاعين وتلذ الانفس وتتشنف من سماع الاذان وتطرب منه الابدان ويذهل
العقول ويكل عن وصف المنقول والمعقول فكنت ترى الاغراب او المسافرين متنعمون
فى مخادعهم بنزهتهم وسماع اصوات رقيقة ناعمة من الات طرب والحان بديعة وفى اخرى
يسمع سرعة وثب ودب رقص ظريف وفى ثالثة اصوات معالى رقيقة من اهل
جمال وظرافة وفى رابعة تردد اصوات المدمنين على السكر وشرب الاشربة والبسط

والانشراح واما نفس الملك فكان جاعلا معظم سعادته في التمتع بكونه مصدر صدور
الموبقات واللذات والشهوات النفسية فانه كان محلّى بجلبوس باهر من الذهب والجواهر
المكلل بالجواهر النفيسة وكان حوله على الدوام جماعة من النساء يصرفن اوقاتهن في تقطير
جدايل او ضفاير شعره وزينة جسمه وكانت عذوبة الفاظهن وغنجهن مما يزيده انواعا
وسرورا على سروره وعندما يخرج من سرايته للنزهة تحمل امامه مباخر الفضة فيها اجل
اصناف البخور العطرية الموجودة في الجهات الشرقية كانه اله من الالهة الهندية مفتخر
في محفة له من الذهب عليها سجاف منقوش او مكلل بسطور اللؤلؤ النادر والجوهر الغالي
القيمة ومن خلفه ازواجه وسراريه في محفات ايضا مكللة بالجواهر النفيسة ومصنوعة
من الذهب النقي وفي مدة وجوده في محل نزهته او تشغله بالصيد يكون حوله الجم الغفير
من خفره وحكامه والضباط الذين في خدمته حاملين فروع تصدح فوقها اصوات
عذبة من انواع الطيور الموجودة في الاجام الهندية ثم ننتقل الان الى عكس هذا
الوصف ونترك الجنس المترفه في الهند الجنوبية وننظر الى الجنس الهندي الواقع في اقصى
الشمال وندخل مع فيلوستراطوس في سراية فراعطيس التي لا يوجد فيها الا الاقتصاد والوقار
وحسن البساطة وذلك انه ما كان يوجد تحت سقوف هذه السراية طنطنة ولا فخفخة
لا نقوشها ولا حواشي من الخدم سمان اهل وقاحة وسفه مزدحمة تحت بابها العالي ولا
كان الملك ينظر للخزاين والكنوز الكثيرة التي كان لا يستعملها الا في مصالح احقه ورعاياه
وقيعان السراية وايواناتها في الداخل واسعة مع الملايمة ومزينة بزينة حشمة وادب
طريقة خالية من الوهج والاسراف ومعلق في قاعة او فسحة الديوان ميزان العدل مربوط
تحت سقفها العالي برباط قوي ويد محكمة فمن ثم ما كان يسمع في ديوان هذه السراية
صوت تملق ولا ادعاءات بحق لا دعوى لهم ولا تسمع الاذن ولا تنظر العين في داخل حجرات
الحريم ادنى ريبة تشينها وخالية منها في قلة الادب وممنوع فيها اجتماعات السكر
وشرب الاشربة وكانت مقر الاداب ومركز الفضايل الادبية والفلسفة العالية واما
المحادثات التي جرت بين هذا الملك الهندي والفيلسوف الجريقي فاني لا طاقة لي
على درجها هنا لاني لا اعتبرها الا شغل قلم تاليف الفيلسوف الان ما ذكرته هنا
هو قال ما رثها وكل ما تقدم مبني على قاعدة الحق الا ان الفيلسوف فاته ذكر نبذة
فراعطيس لبعض من الفاتحين فانه قال في ضمن حكايته انه ما كانت عمارته ايلاب
امواله وسعادته فقط على المحتاجين من اصدقائه واحبابه بل وكان مخصصا من
ايراداته قسم للمتبربرين الهمج الموجودين على حدود مملكته من اجل صد ومنع غارات هولاء
الهمج وازعاجهم مملكته وجعلهم في صفة خفر للمحافظة على بلاده واهل مملكته من اعداء
المتبربرين الاقويا الموجودين ورآهم فيستدل من هذه العبارة بداهة ان فراعطيس
سواء كان فارسي الاصل او هندي فانه كان في تلك المدة خراجي للصغديانيين
او صبغولي الصيطيين وكان ديانا عندهم مع انشراح صدره في حماية مملكته والمحافظة عليها
من الاشر منهم بربرة وعنفا من القبايل الشمالية يعني قبايل الجوتز الذين تغلبوا
في اخر الامر على مملكة باكتريانه وطردوا منها الصيطيين الذين كانوا امتغلبين
عليها ثم انه من بعد تمام المحادثة بين فراعطيس والفيلسوف دخلا في بستان السراية
وكان فيه الحمام الملوكي طوله اربعون قصبة وفي وسط هذه البقعة المنعزلة
عين جارية ظريفة مياهها منحدرة على الدوام من نبع مياه صافية باردة وفي
كل من جهتي العين منفقدان طويلان وفي جانبها محل ملعب كان فراعطيس معودا
حسب العوايد الجريقية على كونه يلعب فيه رمي النشاب والحلق لانه كان عضلي الجسم
والصورة ومع ما كان عليه من العقل الفلسفي الكبير فان عمره ما كان يزيد عن سبع
وعشرين سنة ومن بعد ان اغتسلا في حمام الملك عادا الى السراية فحطّا الاثنان
حسب العادة الجارية وتقدمت اليهما الاطعمة على صفة الهنود لا على حسب عوايد جريك
فاطيه فكانت مشحونة بلحوم الاسد والمعز والحلاليف والفخاذ المحورة ولحوم اخرى
دسمة الالوان ماكول الملك وابولونوس كان فقط من اصناف الخضروات والفواكه
والاثمار والنوع خضروات كانت كثيرة في الاطعمة المعدة في المادبة وكانت اصناف
المشروبات الجاري شربها في جمعية هذه المادبة في جرار من الفضة والذهب وهذان

وهذان الصنفان من المعادن النفيسة هما اللذان وجدناهما هنا فقط ومع ما كان
موجودا من الاصناف المختلفة من الشراب فان فراعطيس قال في المادبة للفيلسوف
انه ما شرب مسكرا قط او حتى الا عند تقريب القربان للشمس معبوده وكان رنين
الصنوج وصوت المزامير يصدح تهنية للجالسين على المايدة في اثناء طعام العشاء وما
كان هواء قاعة المايدة معطرا بعطريات صناعية فقط بل وبفروع اشجار الغار والريحان
ونباتات اخرى ذات رايحة عطرية ومن بعد تمام هذه الضيافة دخل جماعة من شبان
الهنود لعبوا العابا ظريفة من اجل ادخال السرور على الجمعية ومن بعد ان قضى الفيلسوف
الليل في محادثات ظريفة مع الملك تختص بالفلسفة والحوادث التاريخية افترقت الجمعية
عند انشقاق الفجر ومع ما كانت عليه سراية فراعطيس من البساطة والزخرفة في انشايها
فان الفرق بينها وبين المعبد الباهر للشمس كان كبيرا جدا وكان هذا المعبد مشيدا في
مدينة طاكسيلا الكبيرة وراه الفيلسوف وكانوا يعبدون فيه الشمس مع غاية الخشوع و
الاحترام وبذل ملك المملكة مجهوده على ان عمل فيه اجل الاشغال الصناعية واسرف اسراف
فايق الحد في زينته بالذهب واصناف الاحجار الكريمة والالوان الغريبة من كل جنس وصنف
على قدر ما تفتكره كل انسان ويدخل في عقله من عمله وكان هذا المعبد سببا في تعجيز
معمارية حيولكتره ويبغو وكانت حيطانه مصنوعة من رخام احمر يشبه النار في وقت
شروق الشمس على سطح الكرة ومقطعة على مسافات بصحاف من ذهب احمر عريضة في
في عدتها وعلى هيئة اشكال هرمية تخرج منها اشعة ضوئية مثل اشعة الشمس وارض
المعبد مشغولة بنوع شغل من الفسيفسا من الجواهر في صورة كوكب الصبح وكانوا
يعبدون الشمس باسم اوروتال التي تعني عربة النهار وكان لا يوجد عندهم اي انسان يصير
يفاوضهم به الصنم والتمثال الموجود في داخل هذا المعبد المفتخر المعد لعبادة معبود الشمس
وكانت تقام فيه شعاير دينية قديمة مقصورة على الرقص في داخله ذكرها لوثيان
في تاليفه فقال ان العادة التي كانت جارية عند [illegible] قسس وكهان الهنود انهم
يقفوا ووجوههم موجهة نحو الشرق ويعبدون الشمس في صورة رقص مقدس عندهم [illegible]
يدورون فيه دوران الشمس في مدارها وقال غيليوم يونس ان اشغال اوناليف
واحد من قدما حكما الهند اسمه باراه اكاريا جميعها محتوية على عقيدة الكون ومذهب
الكواكب موسسة على مذهب الجذب والوضع المركزي للشمس وان اسما الكواكب ومنطقة
فلك السيارات موجودة موجودة في التقويمات القديمة الهندية ونحن لا ننكر ذلك
بسبب انه في المدد القديمة كانت الدرجة العالية عند قدما الهنود هي درجة تقدمهم
في العلوم الفلكية ولو ان ابولونوس غرق في بحر التخيلات العالية السحرية الخصوصية
بالكهانة وما يتعلق بالالهة فانه ما شاهد عند توجيه [illegible] الثقافة لدرجة تقدم الهنود
في مدة حكومة اسيادهم من الجريق في الفنون والصنايع وقال انه راى في نفس هيكل
الشمس تمثالين مجسمين من الذهب في صورة اسكندر وتمثالين من النحاس الاصفر
بصورة بوروس المغلوب وواحد من العاج بصورة اجاكس وكانوا عرفوا تاريخ من
الجريق وعند زيارته البراهمة في جبالهم المحترمين فيها في الهند العالية التي زارهم
فيها زرداشت مع دارا هستاسب من مدة خمسماية سنة وجدهم ما زالوا على درجة تقدم
في هذه العلوم الخفية التي كانت في ذلك الوقت اخذة في التقدم في عموم اسيا وراى ما
عندهم من صناعة الرعد والبرق وكانوا يضربون به من ابراجهم العدو الهاجم عليهم ومن
هذه الحالة يتاكد لنا حقيقة ما ذكره هاليهد من قوله ان قدما الهنود كانوا يستعملون
البارود في الهند في نحو سنة ٢٠ قبل الميلاد وكذا السبع حلقات السحرية التي يصير التحفظ
بها من الاذى والضرر واوراها الحكيم ياركاس البرهمي للفيلسوف ابولونوس وكانت
كل حلقة مركبة من سبع معادن عليها صور السبع سيارات ثم انه من انتظام سياق الاحوال
ومجاري الحوادث التاريخية اوصلتنا الحالة الان الى قرب مدة وقع فيها حادثة كبيرة مهمة
تختص بتجارة الجريق الاسكندرانيين والرومانيين مع الهند وحوزه الى انه هي كشف رياح
المونسون او الرياح الدورية بواسطة القبطان هيبالوس ولو ان العالم ونسن
شرح هذه الرياح الدورية شرحا واضحا في البحور الهندية الا انه يعلم انها كانت معروفة

متزعمة قديمة للتجار من الهنود والعرب ومن المحتمل انها كانت مكنونة في صدورهم الى حد
هذه المدة وعدم ظهورها للاغراب من اجل وقوع تجارات الامم الاخرى في بلايا واهوال
واخطار هذه الرياح واعلم انه في البحور الهندية وفي طول عموم السواحل من ابتداء سواحل
جزاير يابونيا الى حد سواحل جزيرة مداغشقره يطلق على الرياح التي تهب في هذه الجهات
اسم رياح المونسون او الرياح الدورية وهي تهب بدرجة انتظام في حصول معلوم وفي
اتجاهات مخصوصة يعني انها تهب في ظرف ستة شهور من السنة من الجهة الشمالية الشرقية
وستة شهور من الجهة الشمالية الغربية وفي مدة تحويل هذه الرياح من احدى الجهتين الى
الاخرى يكون الخطر الاكبر للملاحة فوق سطوح هذه البحور وتكون هذه المدة مشحونة
بالعواصف والتلاطم الشديد التي يطلب لها الملاح النبيه الحاذق صاحب العزم الكبير رجل
من ملاحي الشرق يساعده في ثبات سفينته في وسط هذه الرياح المهولة والعواصف
الشديدة ثم انه بواسطة اجتهادات كبيرة وادراكات جليلة تختص بمعرفة مجاري هذه الرياح
وملاحظات دقيقة تختص بالسواحل المتقابلة ومع الاسواق التجارية الهندية كان
هيبالوس قبطان سفينة اسكندرانية اول واحد جرئ حاد من مصايب واهوال
هذه الرياح بكونه سار في طول سواحل بلاد العرب وفارس وقذف بسفينته في الاو
قيانوس الهندي صار يجد لنفسه طريقا سريعا الى ساحل المليبار بواسطة الرياح الدورية
الخارجة من الجهة الجنوبية الغربية وهذه الحالة ممكنة ومحتملة الوقوع الا انه يوجد واحد
اخر مطالب بهذا الشرف يجب ذكره هنا ايضا وذلك انه في ظرف المدة القصيرة التي مقدارها
نحو من خمسة وسبعين سنة من فتوح اوغسطوس الى سلطنة كلوديوس ملك الرومانيين
القسم في مصر وعدوا املاكهم في داخل بلاد العرب وعلى سواحل البحر الاحمر واليمن المختلفة
التي كانوا يجبون منها الخراج والعوايد السنوية الى حاورا تم المضيق او البوغاز فكانت
جمع الايرادات وجبايتها في مدة سلطنة كلوديوس بمعرفة شخص اسمه انوس بلوكا
موس وكان مطلق العنان في ملاحظته من في دايرات حل فكان اطلاق عنانه في جباية
الايرادات سببا في سرعة اخراجه من دايرة مجرى سيره بشدة الريح الدورى وحمله في مجرى
مخالف لمجراه الاول حتى وصل الى كرمانيا على ساحل فارس ثم رمته الرياح من بعدها
على هيبوره وهي جهة من جزيرة طابروبانه (سيلان) فقابله ملك هذه الجزيرة مع
الاكرام وسئل منه عن عدة مسايل تختص بالقيصر والحكومة الرومانية فاجاب عنها بما انشرح
به صدره وقال بلينى ان هذا الملك امتحن بالخصوص التي كانت مع انوس بلوكاموس ومن
هذا الامتحان وجد ان نقاوة الدنانير ومعرفة على فكرة عالية وعدل قوي وشرحت
كريم عند الرومانيين لانه في مدة امتحانه اياها وجد انها ولو مدفوقة او مضروبة
في دور ضرب مختلفة واشغال ناس مختلفة الا انها بسعر واحد ووزن واحد ومن اجل
ذلك عزم على ارسال رسول من طرفه مع انوس الى روما من اجل ربط علاقات في الفة
ووداد مع مثل هذه الامة المشهورة ولاجل مراعاة هذا التحالف جعل رئيس البعث
اكبر راجا في الجزيرة ومن بعد ان لبث بلوكاموس ستة اشهر في طابروبانه استحصل
من الملك على رخصة السفر وصحب المبعوث وحاشيته حتى وصلوا الى العاصمة الرومانية
فاستغرب الرومانيون مما ذكره لهم بلوكاموس في حكايته من وجود مثل هذه الامة
من المجد والثروة وخصوبة ارض جزيرتهم وكثرة اهلها وسكانها وقال لهم انه يوجد
فيها خمسماية مدينة عامرة غاصة باهلها وثروتها وان باليسيموندوس (كندى) عاصمة الجزيرة
يوجد فيها لا اقل من مايتي الف نفس من السكان ويوجد في ساحل الجزيرة
مينا ظريفة وفي داخل الجزيرة بحيرة واسعة يخرج منها نهران كبيران يفرغ البرهما
مياههم في المينا الكبيرة بواسطة ثلاث خلجان واسعة وانها كثيرة الذهب والفضة
وبها كافة اصناف الجواهر الثمينة خصوصا اللؤلؤ فانه يندر وجود نظيره في جهات
غيرها وبهاراتها احسن بهارات الشرق في الاثمان والقيمة وان الملك يجلس على التخت
بطريق الانتخاب متقدم في السن خالي العيوب المذمومة عظيم السجايا والشمايل على شرط
انه يكون حايز صفات الكمال قبل منح تاج السلطنة عليه وعدد بلوكاموس القوانين
التي على موجبها يلتزم الملك على حكومة نفسه ورعاياه وخشية من صيرورة التاج وراثيا
ويكون الملك خالي ... راوا انه من بعد زواجه لو ولد له ولد الزموه على التنازل عن

عن تخته وان الملك مساعد في كافة اعماله بمجلس مؤلف من ثلاثين عضوا وهذا
المجلس مجلس استئناف مخصوص في الحكم على القضايا الجنايية وهي عبارة عن محكمة مؤلفة
من سبعين عضوا فانه وضع في الحكم الصادر من المجلس الاول تغيير او تحويل ... في المجلس
الثاني متولد من عدم عدل او اسباب اخرى بغير مستوفية في احكامها تجرد اعضاه من وظايفهم
على مقتضى امر لا بد من نفاذه وان تقدرت الجنايات من الملك كان تحت عقاب التجريد
والدمار الا انه لا يقتله احد من البشر لان الدم الملوكي لا ينبغي ان يتلطخ به سيف من
سيوف رعاياه بل يفترس نمر جايع ويقطع اربا اربا او فيل مفترس مهول غضبان
يدوس تحت ارجله وحوادث اخرى ذكرها بليني الا انه من عدم وضع بعضها والغلط
والوهم في بعضها صرفنا النظر عن درجها هنا اذ لا فايدة فيها وفي نحو منتصف القرن
الاول وخصوصا اي في نحو سنة ٧٥ بعد الميلاد ظهر بليني المورخ واريان مؤلف
كتاب البحر الاريتريائي وليس هذا اريان النيقوميدي مؤلف غزوة اسكندر في الهند
فمن اقوال هذان المؤلفان يمكنا ان نجمع بعض تفاصيل نافعة جدا تختص بتجارة الرومانيين
مع الهند وبين والمواد المشهورة التي كانوا يتجرون فيها حتى ضمن هذه التجارات التي كانت
تفرد لاولاد روما يمكن عد كافة انواع البهارات المختلفة الجنس وانواع الالطاف
والعطريات الغالية الثمن الكثيرة المقادير التي كانت الهند تصدرها من ارضها وضواحي
بلادها خصوصا اصناف القرفة التي كانت تصدر من سيلان بمقادير وافرة وقطن كوتوناره
واصناف مختلفة من العقاقير الطبية ذات القيمة الغالية في اثمانها والمراهم والصموغ
العطرية والسنبل الهندي واصناف البخور واللبان واجناس اخرى من الروايح العطرية
المستعملة في البيوت وفي خدامة المعابد والهياكل واما اصناف مشغولات الانوال الهندية
فكانت اجناس الاقمشة الناسية واصناف الحرير سادة كانت او منقوشة او مزركشة
او محيشة بالذهب واصناف الاواني المصنوعة من العاج والابنوس واخشاب اخرى
ظريفة ومن ضمن تصديرات جواهرها الثمينة حجر الجزع واصناف الزمرد الازرق والاحمر
والاخضر العال والالماس واللؤلؤ الجميل وكان من ضمن الواردات التجارية الى الهند
اصناف المعادن النافعة النادرة الوجود عند الهنود وعلى الخصوص صنف الفضة فكانت
وروده مسكوكات وافرة مشغولة كانت او سبايك وبنبيذ ايطاليا والجريس وبلاد العرب
وبعض اصناف خفيفة من الاقمشة الصوفية والكتان والعقيق والى الزجاج باصناف
مختلفة ومقادير متباينة وذكر بليني ان الرومانيين كانوا يرسلون كل سنة من هذه
من هذه التجارة ما قيمته خمسون ... من السسترات او نحو من اربعماية الف
ليرا استرلينية من البضايع الى الهند وكان الربح الصافي الذي يعود عليهم من بعد قيمة
المصاريف المايه ماية فكانت هذه حالة الهند في القرن الاول من تاريخ الميلاد كما ذكره
معتبرى المورخين من الجريس وروما واما على حسب اقوال اهلها على مقتضى ما ذكره
فرشته فانه قال انه من بعد موت بيكرماجيت الملك وسلبهان وقعت المملكة في
حكومة فوضوية وارتباك حتى ان العبيد الكبيرة التي كانت تابعة للملك الاعظم او
المهاراجا تقلدوا زمام الاستقلال في احكامهم وانفرض اسم المهاراجا او الامبراطور
على التدريج من عقول وافكار الامة الهندية والظاهر ان هذه الحالة امتدت مدة
طويلة من الزمن لانه فرشته ذكر ان الشخص الثاني من بعد موت سلبهان كان باشديو
وقال انه من بعد ان اخضع بنقاله وبهار تقلد اسم الامبراطورية الهندية وشيد مملكة
جديدة قوية في مدينة كانوج في سنة ٣٣٠ بعد الميلاد وفي مدة سلطنته كانت
بهرام جات في ذلك الوقت على تخت فارس وقيل ان بهرام المذكور زار الهند متخفيا
في صفة واحد من التجار ثم وقع له واقعة كانت سببا في كشف حالة شرفه وذلك ان فيلا
وحشيا هجم عليه في اثنا مروره واجتيازه على نفسه في نواحي كانوج فضربه بهرام بنبلة
خرقت جبهته فقال بذلك شهرة عظيمة حتى ان الامبراطور باشديو امر باحضار هذا
الناجر امامه فعرفه واحد من اشراف الهنود كان يحمل الخراج الى فارس قبل ذلك ببضع سنين
وهذا دليل كاف على ان تبعة التزامية الهند الى مملكة فارس ما زالت كانت على قيد الحياة
ولما تحقق باشديو من حقيقة بهرام اغدق عليه بالاكرام والاحترام وبذل جهده في اداء
الاحتفالات اليه وشدة المحبة في المدة التي اقامها في الديوان الهندي وتزوج بهرام

ابنه باشديو وعاد الى فارس من بعد مضى من الزمن وحكم باشديو والملوك الذين
تولوا السلطنة من بعده من عايلته المملكة الهندية مدة ثمانون سنة فى امن وطمانينة وراحة
ومن بعد هذه المدة جلس على التخت راجديو وكان اميرا من قبيلة المهرتا وقايد القوى
الامبراطورية وكان جلوسه باختيار اراء مجلس الاشراف فقيل انه كان ملكا شجاعا حازما
مدبرا سخى اليد ومن بعد ان تسلطن راجديو اربعة وخمسون سنة سلم نفسه لعاجية امره
الا ان اعماله الجليلة فى مدة حياته خلدت له ذكرا جميلا فى الحياة الدنيا ومع ما كان فيه
من القوة وشدة البأس فانه حزم رايه واستمر على دفع الخراج المعتاد الى فيروز ابو
كيقباد الاكبر ملك فارس ومن بعد موت راجديو وقع شقاق ومنازعة بين اولاده
فى شان الجلوس على التخت ثم آل امر هذا الشقاق الى حرب داخلى انتهز فيه برطاب شند
فرصة فائدة الارتباك العمومى وكان هو القائد الاكبر عند الامبراطور راجديو
وضبط التخت الفاضى ومن اجل استحواذه مع المملكة عليه هلاك العايلة الامبراطورية
وكان جبارا شديدا وخائنا ومكارا ظالما غشوما وجذب بخدايعه واكاذيبه ومواعيده
ملوك المملكة من محلات احكامهم وقطع دابر الاقوياء منهم والذين بقوا منهم ادخلهم
تحت طاعته وجبروت سلطانه وبذل برطاب شند مجهوده فى تمكين سلطانه و
قام السعد بين يديه وخدمه طالع الوقت وثبتت قوته واهمل ارسال الخراج للعشاد و
دفعه لفارس بمدة سنين وطرد من مملكته سفراء الملك الاعظم كسرى انوشروان
بايديهم فارغة من ديوانه من بعد ان شتمهم وهددهم وحط قدرهم وخفف شرفهم
ومن ثم اسرعت حملة فارسية وغارة قوية على برطاب حتى صار يستحيل عليه الدخول فى
مرضاة الملك السائر فى مملكته وما امنه الامن بعد ان اخضع نفسه على دفع الخراج
الذى كان متأخرا عليه ويدفع مقدما خراج السنة القابلة ويعطى رهائن من طرفه
من اجل تقوية طاعته فى المستقبل وكان جلوس برطاب شند على تخت المملكة الهندية
فى سنة ٥٠٠ من الميلاد ولو انه ترك المملكة من بعد موته فى ايدى عائلته فانها
اخذت فى الاضمحلال والانحطاط فى ايديهم وصار الملوك الذين بعثت لهم مستقلى الاحكام
فى ممالكهم وصار لقب الامبراطور لا شيء ولا شرف فيه وانقرض اسم سمو المهراجا
على التدريج واستبدل بلقب اقل منه سموا ولما مات برطاب شند ضبط اننديو من
قبيلة اسمها بيش على زمام مملكة مالوه الواسعة وفى ظرف مدة قليلة من بعد تغلبه
ارض بحيث جزيرة الجوزورات ومملكة المهرطابين وكافة اقليم بيرار تحت حكم
وكان اننديو فى عصر واحد مع كسرى برويز ملك فارس وتسلطن فى المملكة التى فتحها
ستة عشر سنة وفى نفس الوقت الذى شق فيه اننديو شوكة المملكة وفصلها بما
اغتصبه منها من احسن اقاليمها قام شخص اسمه مالديو دنى الاصل وصار له شوكة
قوية وتغلب على مدينة دلهى واراضيها من العايلة التى كانت متسلطنة فيها ومن بعدها
اخضع مدينة كانوج الامبراطورية وكانت كثيرة الاهل والعمران قيل انه كان موجودا
فى داخل اسوارها ثلاثون الف دكان يباع فيها صنف الفوفل (التى يستعمل المضغة
عند الهنود) المستعمل عند الهنود بصفة الدخان عند الاوروباويين وغيرهم وكان
يوجد بها ستون الف طقم من الاشخاص الطرب والمغانى كلها كان مضروب عليها عوايد
ورسوم تدفع للحكومة واستمر مالديو قابضا على زمام سلطنته اربعون سنة الا انه
ما كان على طاقة من بقاء السلطنة لعايلته وصارت كافة الحكام الصغيرة والرؤساء
الوارثين الاحكام عن ابائهم واجدادهم فى الهندوستان مستقلين فى انفسهم وفقد
الاسم الجامع للمملكة الى ان عاد اليها مرة ثانية عند دخول المسلمين فيها الذين كانوا فى
فارس وعلى التخوم الهندية ثم استهلت مبادئ القرن الثانى من التاريخ المسيحى فى سنة ١١٠
بدخول الامبراطور طراجان فى الميدان الاوسع من اسيا وكان احد الملوك الكبيرة و
القواد المالكة القادرة الذى ما جلس نظيره على تخت روما وحصل منه عدة مشروعات
خطيرة تتوج شهيرة مبادى عنفوان شبابه واشتهرت مدة حياته منها تغلبه على الجنس المدرب
الصعب المراس ذى الباس والشجاعة الجنس الداشيانى من بعد ان قاوم الدولة الرومانية

الرومانية مدة طويلة من الزمن واخضع المملكة الفارطية ولو ان هذا الخضوع كان وقتيا
وكانت الداعية لرومة وسيما فى عجز ايراداتها على الدوام وسفك الدماء الكثيرة من
قوادها وخزانتها ولما وصلت شهرة ما حصل من طراجان من الفتوحات الجليلة الى البلاد
الهندية وكانت من ازمان طويلة تضج تحت سوط المملكة الفارطية ارسل ملوك الاراضى
الغربية الهندية رسلا مفتخرة من طرفهم يقدموا لطراجان تهانيهم القلبية ومن المحتمل ايضا
انه خاف منه اذا تقدم نحو السواحل الهندية فقدم له الطاعة عن نفسه ورعاياه واستقبل
طراجان الرسل مع غاية الابهة والتبجيل واكرم قراهم وشواهم وقد استدل من اقوال
ديوكاسيوس واوطروبيوس وعموم المؤلفين الذين بحثوا وفحصوا فى حوادث ووقايع
هذا الامبراطور انه غار واخلفه الحدة وشدة العنف من وصف وقايع اسكندر الاكبر
ورغب تقليد اسكندر فى حركاته وحروبه والمسابقة فى ميدان شهرته التى لا حد لها وصمم
تصميما جوهريا على غارته على البلاد الهندية وبواسطة ما كان احضره من الرغبة والشوق
وبما كانت سولت له نفسه شرع فى البحث مع العقل والحزم فى معرفة المسايل الدقيقة المختصة
بطبايع وعوايد اهل البلاد الهندية وعمارها ووصف طرائق محاربتها واستطلنا ايضا من
اقوال اوطروبيوس انه امر بالعقل اسطولا فى البحر الاحمر من اجل هذه الغزوة الا ان
تقدمه فى السن احرمه منها لان ديوكاسيوس قال انه بينما كان طراجان متمتعا بفتوحاته
فى طول ساحل بلاد العرب نظر على حين غفلة سفينة مقلعة نحو الهند فتأسف الصعداء
على ان تقدم عمره فى السن منعه من كل امل فى حمل عساكره وجيوشه والمرافقة معها فى البلاد
الهندية ومع ذلك فان الرومانيين من كثرة وفور البعوث من البلاد الهندية الى ارغطس
وطراجان زعموا ان الامة الهندية ما زالت تحت طاعتهم وخاضعة لهم ولو ان قطعة
الهندوستان كانت عند الامة الرومانية عظيمة المجد والفخفخة وقيل ايضا انه وفد
مبعوثون من الهند واعزون من هرقانيا وباكتريانه حاملين للامبراطور انطونينوس
بيوس تهنئات ملوكهم فى وقت جلوسه على تخت روما وكذا فى الموكب المفتخر الذى عقد فى
روما افتخارا بالنصر الذى حصل على يدى اورليان من بعد نصراته على السوريين قيل ان
هذا الموكب كان مؤلف من اسرى من كل مملكة فى اسيا وغيرها وفيشكوس مؤلف حياة
هذا الامبراطور اسرى الهنود فى هذا الموكب الا اننا لم نقف على ادنى شيء من تفاصيل
حرب اجراه هذا الامبراطور على اى ملك من ملوك الهند حتى ثم يغلب على فكرى انهم كانوا
من الهنود الذين كانوا مستخدمين فى جيش ملك فارس فى وقت ما اسرع هذا الجيش
[illegible] عدة مدينة بالميرا (تدمر) وكان اورليان حصر المملكة زنوبيا حليفة ملك فارس
وهدم اسوار مدينتها واسرها وارسلها الى رومة وما وقع ادنى شيء يحط او يخل بحالة
المملكة الهندية فى الاسم والغنية والعوايد الجارية فيها لان الرومانيين ما كانوا يعرفوا
من داخليتها سياسية كانت او جغرافية الا قليلا جدا وما ذكر عنها معتمدى المؤرخين
شيئا فى التواريخ المشهورة الى حد سلطنة قسطنطين الاكبر الذى ذاع ذكره واشتهر
صيته وفتوحاته فى الجهات الشرقية حتى وصلت هذه الشهرة الى البلاد الهندية عندما
شيد المدينة المفتخرة العالية المسماة باسمه وهى القسطنطينية وجعلها مقرا ومركزا للمملكة
الواسعة وفى هذا الوقت وفد عليه مبعوثون جليلوا القدر من الهند حاملين هدايا
جليلة من اصناف عظيمة نادرة الوجود من طرف ملك قوى الشوكة جالس على كرسى المملكة
الهندية فكان هذا الملك مع مقتضى تاريخ السنة التى اثبتها سيدرينوس من رهبان
الجريك وهى سنة ٣٣٠ بعد الميلاد يلزم الا يكون هو المؤسس الاول فى نحو هذه
المدة للعايلة الملوكية الجديدة فى كانوج الذى سبق القول عليه وهو باشديوس وقال
سيدرينوس ان الملك الذى ارسل هذه الهدايا الجليلة الى الامبراطور كان اسمه ميطرو
دوروس وهو اسم عين ميطراجوبطو وهو اسم سنسكريتى انما اخره حركة اللفظ
الاوخرة الجريكية وقيل انه كان على دراية تامة ومعرفة كاملة بالبراهمانيين والعلوم
البراهمانية ثم كان من المستحيل على ملوك مملكة واسعة مثل المملكة التى بناها قسطنطين
ان تكون عاصمتها وابتداح هذه المدينة ان تكون مركزا للتجارة اسيا وباب طيل قوية
فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود صالحة للحافظة على تجارة اسيا الشمالية اذ
اسيا الجنوبية ان تقدم لهم الطاعة المحترمة من كافة الدول الكبيرة التجارية الموجودة على

ارض تلك القارة ثم رأينا عقب ذلك انه من ضمن ملوك آخرين ارسل ملوك الهند ويحتمل
انهم كانوا الملوك الموجودين على ساحل المليبار رسل جليلة الى الامبراطورات الجريقية
مثل طوروسيوس وهرقل ويوسطينيان واجل الوفود والبعوث كان الذين ارسلوا
الى هرقل من بعد نصرته على الفرس وكانت الهدايا مركبة من كمية من اللؤلؤ النقي ومن
الاحجار الكريمة وكانت دلالة كافية على انها كانت مبعوثة من البحر او من بعض ملوك
في الهند كمقربية لا منافع في التجارة الجريبية مع اسكندرية وروما الجديدة اي القسطنطينية
وكانت اصناف هذه الهدايا مرغوبة جدا في هذه البلاد ايضا واما يوسطينيان فانه داوم
على محافظة المعاملات التجارية الواسعة التي وجدها جارية في مدة سلطنته بين الهند و
المملكة الجريقية وقواها ووطدها بسن قوانين وشرائع عظيمة في المحافظة على حقوق
هذه التجارة سن بعضها بنفسه وبعضها كانت مستقرة من عهد الامبراطورات سلفه وجمعها
كلها في مدته وهذبها ونقحها وجعلها في مجلة واحدة عرفت فيما بعد بمجلة يوسطينيان
وقرر اثمان مواد التجارة باوامر امبراطورية من عنده بواسطة اعضاء من تجار البضائع
الجاري ورودها في اسواق القسطنطينية وكذا العوائد والرسوم اللازم دفعها على كل
صنف منها وادرجها في ضمن مواد المجلة وكان اجل تحايف التجارات المجلوبة من الصين من
طريق فارس في المدة القديمة حرير سيرينده اقليم من اعمال دلهي وذكر في ايين اكبري
انه في مرآة الامبراطور اكبر ان وجود هذا الصنف كان كثيرا جدا في اقليم سيرينده
بسبب كثرة تربية دود القز فيه وقال بروكوبيوس مؤرخ حوادث سلطنة يو
سطينيان ان صنف دود القز انقرض بالكلية حتى نزر وجوده وغلت اسعاره الى
ان صار يباع في مدة اورليان وزنا بوزن بالذهب حتى ان الامبراطور والامبراطورة
سولت لهما نفسهما في الطمع والانحطاط من سموهما الملوكي الى الاحتكار العقدي لهذا
الصنف واكتسبا فيه مبالغ جسيمة ومن ثم افتقر تجار القسطنطينية الذين كانوا مخصوصين
بتجارة هذا الصنف وآل امرهم الى السؤال ومد اليد وما مضى على ذلك مدة حتى التزم
يوسطينيان على نية الحصول عليه من محله البعيد بطريق اللف والدوران في السفر
من طريق فارس وكانت هذه المملكة في حروب مستمرة ووقائع مدمرة مع المملكة الجريقية
وارسل اثنان من الرهبان الى اقليم سيرينده ليتعلما صناعة شغل الحرير وخواصه وكيفية
تربية دود القز وان امكنهما الحصول على مقدار وافر من دود القز التي تخرج منه هذا
الحرير فيجلبا معهما معه عن غيورهما حتى من بعد فتقول لهما به يمكنه ان ينشئ معامل مخصوصة
في اقاليم مملكته فاتى هذان الراهبان ما ارسلا من اجله مع الصداقة الا انهما وجدا
انه يستحيل عليهما جلب هذا الدود حيا ويقطعان به اراضي طويلة شاسعة وبحار و
انهار بعيدة فاخذا كمية وافرة من بزره او بيضه وتحفظا عليها في داخل غاب مجوف
من الغاب الهندي ولما وصلا به الى الامبراطور فعلا في هذا البزر مثل ما رأينا عند
الهنود ووضعوه تحت مسحوق من الجلة وجعلوا له سخونة وحرارة صناعية الى ان فقس
وحصل الاعتنا في تربيته فكان اصلا في وجود دود القز في العصور المستقبلة في كافة
جهات الجزاير الجريقية وايطاليا وما بقي من جهات اوروبا وكانت سلطنة يوسطينيان
تاريخا لوقوع حادثة مشهورة حصلت فيها وهي سفر شخص اسمه كوسماس وسياحته
الى الهند وجولانه في داخل اقاليمها وذلك ان كوسماس المذكور كان رجلا تاجرا
من اهالي اسكندرية سافر في عنفوان ايام شبابه في طلب التجارة الى سيلان وساحل
المليبار وحصل منها تجارات وافرة ولما كبر سنه وشاخ تسلطنت الاعتزالات في عقله فتقشف
وتنسك واشتغل في خلوته وعزلته من ضمن اشغال اخرى بتأليفه المسمى بالطبوغرافية
النصرانية او المسيحية مستندا فيها على ما تصوره من اقوال كافة الكتب المقدسة التي
هي مضادة او مباعدة لاي مذهب من المذاهب الفلسفية ومعارضة على حسب رأيه
لما كان متسلطنا في عقول الناس من مبتدعي فلسفة العصور القائلين بان شكل الارض
كروي واثبت كوسماس ان الارض ليست كروية بل على هيئة شكل بيضاوي مسطح
طولها يوافق من اثني عشر الف ميل وعرضها ستة الاف ميل ومحوطا باسوار مناسبة
لسعتها في العلو ومغطاة بقبة العرش الواسعة ووافق في طبوغرافيته طريق الجريقية

الجغرافية الهندية وقال انه يوجد في اقصى الشمال ابراج في حيوث شاهقة الارتفاع تشرق
الشمس من خلفها وتغيب خلفها ومن ذلك يتولد الليل والنهار والفرق بين هذه ان علم الهيئة
الهندية حسب ما هو مذكور في ايين اكبري ان هذا الجبل في وسط الارض بدل وضعه
في طرف منها وقال في هذا الكتاب انه يوجد في وسط جامبو دويبه اي كيف جزيرة
الهند جبل من الذهب واقف في هيئة شكل اسطواني نازل تحت الارض بقدر ارتفاعه فوق
سطحها وارتفاع رأس هذا الجبل ٨٤٠٠٠ يوزوات (كل يوزوا ان سبعة اميال) وقال
آخرون ١٦٠٠٠ يوزوات معروفا عند الهنود باسم سوميرو ويعتقدون انه يوجد فوق
هذه الرأس وعلى اجنابها درجات الجنان المختلفة وعلى اتجاه مستقيم من جبل الذهب المسمى
سوميرو وعلى اطراف اربع جهات الارض يتصورون وجود اربعة مداين اصلية كل منها
محيط بسور مبني بطوب من الذهب وهي جكوتي ولنكا وسيدهابور وروموك
ويظهر من تقرير هذه الاوصاف ان كوسماس اما انه راجع كتب فلكي البراهمين
وانه في مدة وجود المدارس في اسكندرية وفي بنارس كانوا يعتقدون بهذه العقايد
في علم الفلك وما وصف كوسماس اي جهة من الجهات الداخلة في الهند وصفا حقيقيا بل
وصف جزيرة سيلان واليم المشهورة الواقعة على ساحل المليبار وصفا شافيا وقال
ان في مدته كانت سيلان مقسومة الى مملكتين شهيرتين كبيرتين كانت تعرف احداهما
هيا سينطوس وذكر وصفها الجغرافي وابعادها مع الضبط المحتمل الا ان ما ذكرناه سابقا
عن امر سيلان فيه الكفاية وذكر كوسماس على ساحل قارة الهند اسما سندو واورطه
وكاليانه ومن المحتمل انها كاليكوط الموجودة الان وسيبار وماليه وجعل لعموم جهات
المليبار اسما والغاب واحصى بنادره المختلفة كما وجد لبعضها اسما عند بطليموس ولا في كتب
اخرى من الكتب المخصوصة بتقويم البلدان ولا شك ايضا ان الجزاير العديدة الموجودة في
[illegible] فوس المكتشف بالهند اشتق ايضا اسم جزاير لكديو ومالديو ووصف كوسماس
في ذكره البنادر السفن التجارية التابعة لمملكة فارس المستمرة الذهاب والاياب حاملة
محصولات ومشغولات المملكة الفارسية الى الاسواق الهندية وحملها منها الفلفل والقرفة
والاحجار الكريمة والجواهر النفيسة واقمشة الكتان الناعمة والحراير المنقوشة المشجرة وما
يخرج من ارضها من ظريف محصولاتها وما يخرج من معامل انوالها من جميل ثيابها وذكر
ما وجه اليه التفاته من غيرته الدينية ونشر ما كان غرسه القديس توماس على سواحل
الهند من العقائد الدينية وكان مركز الديانة النصرانية في كاليكوت تحت ادارة اسقف
مخصوص وقسس وشمامسة وكانت عموم القواعد الكنايسية في الهند تحت ادارة رئيس اساقفة
قاطن في فارس وكان هذا الاسقف في ذلك الوقت توماس الاسنوس وكان على صداقة
ومحبة لكوسماس فاستحصل كوسماس منه على شهادة بانه الناشر للعقايد الديانة النصرانية
في الهند في القرن السادس من التاريخ المسيحي ثم ان ما ذكره كوسماس في رحلة سياحته في
الجهات الهندية حصل فيه مناقشات ومجادلات آل الامر فيها الى نتيجة جهله وعدم درايته بالموقع
الجغرافي لاسيا الشمالية وعدم ضبط مواقع ممالكها الكبيرة وحكامها وقال كوسماس انه في
مدة ايام حياته كانت الجهات الشمالية من الهند مسكونة باامم كثيرة من الهوتريين وكان
الملك الحاكم على هذه الامم اسمه غولوس وكان جيشه مؤلفا من خياله على الخصوص وتحت
يده قوة مهولة منها غير ما كان عنده من الفيل من الفيلة الحربية الى ان قال ان هذا
الملك حصر مدينة كانت موجودة في وسط مياه بحيرة وما سلمت له الا بعد ما جفت
المياه التي كانت محيطة بها من شرب الخيل والفيلة ويغلب على ظني وعلى ظن كل عاقل انه
هذه الرواية من خرافات كوسماس وذكر ايضا ان الهوتريين في قول الهونيين وان
لفظة هونز تحريف في لفظة هونى هم كانوا في الاصل عبارة عن القسم الاكثر همجية
وتوحشا من الامة الصيطية القاطنة في اقليم سرماطية اسيا المحدودين بنهري
بالوس مايا طيس وطانيس وكيف سموا الماغيطاينين او الفيطاينين او الفطيين
من القديم على الارض الواقعة بين حدودهم كمنوبية وحدود الجهة الشمالية من الهند وزحفوا
بجيوشهم على التدريج في داخل الاقاليم الخصبة في اسيا وسكنوا في الاقاليم الظريفة الواقعة

على نهر السند واطلقوا عليها اسم صيطبة الهندية ثم اننا وجدنا في مبادي التاريخ المسيحي
الهونيون قاطنون في هذه الاقاليم ولا شك ان خصوبة الارض وظرافة مناخ الاقليم
كانت سببا في حضهم من بعد تغلبهم على ساغيطيه وطردهم اهلها منها امامهم الى الجهة
الجنوبية تتبعوا حركة حضرتهم وما كانوا عليه من غارات الخراب والدمار والسلب والنهب
ثم قام مل الهونيين ملك الهند وهزمهم شر هزيمة ووجدت اعماله الخطيرة مكتوبة على
لوح من النحاس في مدينة مونغير وان هولاء الامم الجلف الاشرار الاقرب موطنا من
دائرة التبع الشمالية لما قربوا من دائرة المنطقة الحارة انحلت عزائمهم وضعفت قوتهم
وصاروا على التدريج عبيدا وارقاء لافواج واسراب من الامم المتبربرة ما كانت قواهم
وعقولهم تلبست بالشهوات النفسية وحالة الرفاهة في المعيشة وما كان من خلل الضعف
في اعصابهم حتى احدثها فيهم ثم ان ما ذكره كوشماس ولو وجد في اقواله خطا بسبب
عدم درايته وتوقيعه المواقع الصحيحة الجغرافية لاسيا حتى آل امره الى عدم معرفته
وصف موقع هذه الامة المتبربرة هو في الواقع ونفس الامر صحيح وان استيلاءهم
في تلك المدة على الهند الشمالية كان من طريق الفتح والاغتصاب والخطف والسلب وان
كلا من تكرار الغارات المهولة المزعجة التي حصلت من هذه الامة وتكرار مثلها من
الافارش او الافاريون وهم طائفة من التتر الذين ذكرهم مورخي البزنطيين في مدة
القرون الاول من التاريخ المسيحي في فارس في مدة ملوك العائلة الاسقانيانية
والساسانية وتكرار قطائعهم وارتباكاتهم وكذا بهم اثام القتل والذبح في نواحي
خراسان وفي نواحي عموم اقاليم المملكة الجريقية وارغام ملوكها على ان يكونوا خراجيون
لدولتهم في اسيا وعلى الخصوص ما وقع بينهم وبين الامبراطور موريطوس كل هذا
يثبت ما قاله كوسماس في حكاياته وحكاية ما وقع من الارتباكات والقلاقل الكومية
والفوضى التي تسلطت في ذاك الوقت في حكومة وادارة الهندوستان وضعف حالة
الشجاعة والتمرينات الداخلية السنوية للامة الهندية تحت شدة تاثير هذا الجنس
البربري وفي مدة هذا العصر الطويل اقتحمت جيوش عديدة من الصيطيين وفرق
عديدة ونشروا اهوال التدمير والخراب الفظيع في داخل عموم ايطاليا وجرمانيا والغلية
او انه من شدة الاحتياج وضرورة الاحوال استاجرهم الجبناء والبلداء من الامبراطرة
الغربية من اجل حماية بلادهم وممالكهم من غارات القبائل الاشد منهم قوة وبربرية
وصلابة مثل القبائل القوطية والوندالية وكانوا اجيبهم من الاصل الصيطي المريع
وكانوا تارة يعتنون بخدومهم كما حصل في مدة سلطنة الوحشي الطاغي عطلا لانه
داس تحت اقدامه شرف وسمو المملكتين ومن المحتمل ان الهونيين داوموا على المحافظة
على الاقليم الجبلي من الهند المجاور لهندوقوه وجعلوه في خضوع تام تحت احكامهم حتى
وصل فاتحي العرب وجيوشهم الى هذا الاقليم في القرن الثامن من التاريخ المسيحي لانه في
حالة رجوع المملكة الهندية التي تولدت من غارات العرب او من الغارات الصيطية يظهر انه
ما كان موجود قوى كافية او صالحة لمقاومة العرب في فتوحاتهم وحروبهم واما الجيطيقا
وفي لفظة القوطيون فيغلب على وجه الظن انهم هم الذين استمروا في عيشة رعوية هايمون
في نواحي نومورذي راحالون نازلون في بيوت لهم من خشب ينصبونها ويرفعونها
وينقلونها كيف شاؤوا او ثابتة على عجل يجرونها بمواشيهم في طول شواطي نهر السند في
الجهة المعروفة قديما بصيطية الهندية الا انه ظهر ان الهونيين اختلطوا مع ملوك وطني الهند
او انهم انضموا الى المسلمين وقطعوا دابر القوطيين من الجهات الهندية لانه لا يوجد لهم
اثر في الهند ولا اسم ما عدا بعض تلميحات واهية تدل على انهم كانوا موجودين في الهند
وذكر كوشماس ما حصل من المصائب من هذه الامة كما وقع من امثالهم في اوروبا وانهم
كانوا عاكفين من صغرهم على حمل السيف والسلاح وكانوا يفتخرون به في ميدان الوقائع
الى ان صاروا مع توالي العصور ضحايا وقربانا له فكانوا لا يسمعون بدعوة نهب او
تليح في ضعف دولة الا هرعوا اليها من دون احتياط فرقا فرقا من اجل السلب والخطف
والافتراس ومهما حصل لهم من الصد والقتل فانهم ما زالوا كانوا يعدون دون ميدان
الحرب من دون تعب ولا ضجر ولا ضعف في العزم وكانت سهامهم المزرقة والمجرحة بالرماح

بالرماح والنبال والسيوف تجري سيولا مع تيارات الانهر الكبيرة وترمي عظامهم الغير
مدفونة سهول وعيارين جرمانيا وقيل ان البقية التي فضلت من هذا الجنس الشديد
هم اجداد الهنكاريين او المجر وان لفظة الهنكاريين مؤلفة من كلمتين وهي هن
واقاري اي هنقاري وصحفت الى هنكاري ثم الى مجر والغالب انها تصحيف نكرة
ثم كان حدوث يوسطينيان في سنة ٥٦٥ بعد الميلاد وما ذكر مورخي البزنطيين ان في
حكومته تخص بالهند في صحف مؤلفاتهم الى حد سلطنة هرقل من بعد عوده من الغزوة
التي انتصر فيها على كسرى او خسرو ملك فارس وازاله وكسر شدة شوكته وكان كسرى اراد
بتكرار غاراته المهولة على المملكة الجريقية اطفاء نور الاسم الروماني ونذر على نفسه نذرا
مؤكدا انه لا يعقد صلحا مع المسيحيين حتى يرتدوا عن عبادة الالهه المصلوب ويدخلوا جميعا
في عبادة الشمس الاله المعبود قديما عند الفرس فاجتهد هرقل في تمام النصرات وتكرارها
محافظة على تاجه ودينه ثم بعد ذلك بمدة قليلة اسر وقتل الملعون عابد الشمس الكافر بالله
كسرى ثم ان هذه المملكة الفارسية ما حصل لها من بعد ضعفها من ظفرات هرقل اذ في
استيلائها في زوالها العار الذي حصل لواحد من مشهوري ملوكها كان اقواهم شوكة
مولده في سنة ٥٦٩ بعد الميلاد او في سنة ٥٧٠ وقال اخرون في سنة ٥٧٨ في مدة
جلوس انوشروان الاكبر على تخت فارس ويوسطنيان على تخت المملكة الجريقية ولد
في مكة من اعمال بلاد العرب الصادق الامين محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبدالله
بن عبد المطلب وبسيفه المسلول في نشر عقائد ديانته صلى الله عليه وسلم الاسلامية و
همته وشجاعته التي لا تقهر وعجب بمدة قصيرة سبحانه وتعالى له افتتحت اقاليم اسيا با
بالقتل والدمار والخراب وسلبت تيجان اعظم ملوكها وسلاطينها وما كانت بعثته صلى
الله عليه وسلم الا من بعد جلوس هرقل على تخت المملكة الجريقية بقليل وفي السنة الاربعين
من عمره صلى الله عليه وسلم ومن المحتمل انه كان وقع الاضمحلال والدمار في المملكتين الكبيرتين
الموجودتين في عموم المسكونة وهي المملكة الفارسية والمملكة الجريقية وارتجفتا ارتجاجا
شديدا من شدة ما وقع فيهما من القتل والذبح في استمرار الحروب العنيفة التي حصلت فيهما
على التناول وانتهت منهما بغارات القبائل النجيبة من الامة اليمنية والهونيين وحزبهم القادر
سبحانه وتعالى سبل قيام الديانة الاسلامية والدول العربية فوق اطلال الديانات
الاخرى والممالك والدول وستعقد لدرجة تقدم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بابا مخصوصا
في مشروعاته الجليلة الدينية وهدايته البلاد العربية وحياتها وفتوحاتها في الدين الاسلامي
واجتماع القبائل العربية تحت بيارقه صلى الله عليه وسلم وقيام الخلافة الاسلامية من
المنتقل الى دار البقاء وانتشار الديانة الاسلامية مثل شعلة نار في ارض فارس وما
جاورها من الاراضي الشرقية حتى وصلت الى اقصى الهند مع الايجاز والاختصار لان تطويل
القول على الديانة الاسلامية عند ظهوره صلى الله عليه وسلم وقيام خلفائه من بعده في
الجزء الرابع من هذا التاريخ في الدولة الاسلامية ونعتبر الان ان عموم القسم الجريقي
في مملكة باكطريانة مع قندهار وكابل واراضي كشمير الظريفة عمومها باقية تحت احكام
الصيطيين وان قبيلتي الريشيان وهي المستغيطيه والاولى تمنعا في تخوم السلسلة الجبلية
وصدتا هجوما قويا بالجيوش الفارسية واستعرت هذه الجيوش لمقاومة تلك القبائل ومنعها
من التقدم نحو جنوب اسيا ومن المحتمل ايضا ان الاقاليم التي حلية الواقعة في الجهة الغربية
من ضفة نهر السند كانت ما زالت من عهد طويل مداومة على دفع الخراج لمملكة فارس الا
انها كانت محكومة بملوك من اهلها كما كانت عليه مملكتي لاهور وبنجاب لان كسرى انو
شروان الذي كان على تخت فارس وفي مدة سلطنته ولد محمد صلى الله عليه وسلم وقلد زمام
المملكة لابنه في غلاف حياته من بعد ان توجه بتاج الفخر والنصر كان عنوانه ملك
فارس والهند كما ذكر ذلك ميرخوند المورخ بمعنى ان ملوك الهند الغربية كانوا تبعة
الزامية خراجية ولو انه من المحتمل ان ملك اقاليمها الداخلة المعروف بالمهراجا حاكما لا
تبعة لذلك وانه في مدة عنفوان سلطنته وسلطنة الملوك الحربية من العائلة الملوكية
الساسانية ما كان خاليا من دفع خراجا جسيما كما يشهد عليه تاريخ بذلك في مدة
سلطنة بهرام الملك الا ان هذه العلاقة الخراجية التي كان عليها مع فارس ولوازمها

ضعفت فانه ماكان له تاثير في الممالك الى ضعفة للمهاراجا على حسب القانون الداخلي
للمملكة الهندية مما كونه راس ملوك المملكة واستمرت هذه الحالة حتى ضعف امرها وانقرض
جدرها ويستدل على ان المهاراجا كان راس ملوك المملكة من حادثة كانت تقع سنويا في
شانه وذلك وكانت جارية الى صدسنة ٥٨٨ من الهجرة الموافقة سنة ١١٩٢ من الميلاد
وهذه مذكورة بغاية الايجاز في ابن الكبرى او مراة اكبر في ذكر صوبة او قسم دلهي وذلك
ان مدينة كانوج كانت في ذاك الوقت هي المدينة الامبراطورية وملكها هو المهاراجا
واليه عموم الراجات الصغيرة ملزومة في تلك المدة على اداكهم له رسوم واجبات الاحترام
باتفسهم لا بمبعوثين من طرفهم في يوم عيد كبير معلوم يعرف بعيد راجيسو كانت
تقام شعايره احتفالا به في مدينة كانوج فكان هذا الخراج الاحترامي يؤدى فعلا
الى جنشند المهاراجا المتسلطن في ذاك الوقت في مدينة كانوج من عموم راجات
او ملوك الهندوستان ما عدا بيثورا راجا دلهي واخر ملوكها الوطنية وفي هذا
الاحتفال الجليل كانت كافة الراجات تؤدي رسوم الاحترام الى المهاراجا وكل ما يتبعه
حتى اوانى مطبخه واما بيثورا فانه لاحتقاره بالمهاراجا ماكان يحضر في هذا العيد
وكان يوضع بدله وفي هيئته تمثال من الذهب على باب المدينة دالا على خسة ورذالة
افعاله فكانت نتيجة عدم حزم رايه وبصره في عواقبه حادثة تاج وقطع دابر حياته
في اخر امره ثم ان مثل هذه الملوك الصغيرة وطيف قبائل السمو والرفعة الفضل
بعيدهم اجازهم البقاء في ممالكهم بدفع خراج معين معلوم بحالة منتظمة للمتغلبين عليهم
من المسلمين وتمتع هولاء الروساء ارباب الشرف العالية من قديم الزمن بعدم
احساسهم بشدة ثقل النير الثقيل الذي علقه جبابرة المسلمين حول رقابهم في مدة ما
كانت القوى الاسلامية باذلة مجهودها في كثير من الاقاليم في اخماد كل هياج وثوران
يحصل فيها وقبل ان الخمسة ملوك الكبيرة الذين جمعوا قواهم مع بعضها من اجل دفاع ومنع
المسلمين وصد غاراتهم عن الهندوستان كانوا هم ملوك لاهور ودلهي واجمير
وكانوج وكالنجر ولا ريب انه كان من ضمنهم كانت الهندوستان العالية مفتوحة لهم واما
الاقاليم القاصية الجنوبية من الهندوستان الاصلية المشحونة بالتلول والجبال و
القلوع التي لا يمكن الوصول اليها والتي لا ينبغي ابدا تحت سلطة ملك اجنبي فانها كانت
مملوءة بجنس جسور صاحب شجاعة وجراة من الراجا بوت (اولاد الملوك) ما كثرت انفسهم
فيها من معادي شبابهم وانه ما كانوا في شقاقات وحروب مستمرة بينهم موجبة لضعفهم
ودمار قواهم فانه لا يمكن قهرهم باي جيش يغير عليهم من جيوش اجنبية ومن كثرة وجود
تلك القلوع القائمة على قمم الجبال الواقفة راسيا تقريبا على سطح الارض في عموم الجهات
الهندية يستدل دلالة كافية على ما كان من كثرة المنازعات والحروب التي كانت متسلطنة
في تلك المدة القديمة في الارض من شدة طمع وشح الروساء والملوك الذي لا يحجر وكان
من جملة هولاء الروساء في التسجيلات القديمة السنوية في البلاد الهندية عائلة راتهه
المشهورة التي ذكرها بطليموس في تدويناته وكانت القلوع المشهورة ومداين شيطور
ومندو وكاليور ورنطنبور وغيرها من المداين والقلاع في الاقاليم
الوسطاني مستحكمة استحكاما فوق العادة الاوبالية لعدم تقدم علوم العسكرية في تلك
المدة كانت محافظاتها رديئة التركيب عند هجوم اي قوة من قوى عدو هاجم عليها واما
الملك بلهارا الذي ذكره الادريسي او بالكيور الذي ذكره مشهوري المورخين فيظهر
انه كان راجا في نوريس او الجوزورات وكذا كانت عموم الدكهن او الهند الجنوبية في
خضوع سلمي لملوكها الوطنيين وهم ذرية الملوك الذين ذكرهم بليني وغيره من مورخي الهند
وما كان واقع فيها الى ارتباك او قلقلة من هجوم جيوش اجنبية وكانت سلسلة جبال
يقال غوت الوعرة ان مع الصعبة المرتقى المستمرة في جهات كثيرة منها باجامها و
اوهاداتها لا يمكن الدخول فيها منعة وما منعا للحربيين والمقاتلة من اهلها فكانت
لا يستطاع الوصول اليها بسبب كثرتها وبعدها وكانت مركزا امنا ومفرا سالما وراجعة
اهاليها من غاراتهم على اعداهم ثم الا ما اجراه المسلمون من الجراة والشجاعة في مدة

في مدة متوالي القرون حتى يكونوا روسا على هذه العلاوي والمرتفعات في كل من جهات
الدكهن ونفس الهندوستان وما اظهروه من الاعمال الخطيرة والحيل والمكر والخداع و
غلبتهم على الراجات الهندية والظفر بالعشاير الذين تغلبوا على جبالها نذكره جميعا في
الباب الاول من هذا الكتاب ونشرح فيه ما حصل في الهند من سفك الدماء وسيزارجها
بجلايين من القتلى لو اطلع عليها احد وحقق فكره في هاله امرها واقشعر بدنه
مما كان حاصلا في تلك الايام من الاعمال المهولة والاشغال المدمرة الغائبة وقبل ذكر
هذا الباب نذكر في هذا الفصل قيام الدين من بعد اضمحلاله فنقول

ج ٥ ص ٢٥
تاريخ الهند
الجراب الزاهر

الفصل الحادي عشر

قيام الدين الهندي من سنة ٧٠٠ بعد الميلاد الى الايام الحاضرة

ان الامة الهندية كانت مؤلفة من ثلوث اجناس مختلفة في العوائد والطبائع واللهجة في
المنطق وهي الجنس الاول مؤلف من السكان القديمة الاصلية في الارض والثاني الجنس
الاوريائي الذي وفد على الهند وسكنها من اسيا الوسطى في الازمان القديمة والثالث
الصيطيين او التتار وكانوا ابتدؤا في حركاتهم بين القرن الاول قبل التاريخ المسيحي
والقرن الخامس من بعده فاما السكان القديمة فانهم كانوا شعوبا وقبائل كثيرة من
هيبة وقنص ومن ضمن معيشتهم العائلية هيئة زواج تكون فيه المراة الواحدة زوجة
لعدة اخوان مشتركين فيها والملوك وعقارات الرجل الواحد منهم من بعد موته لا يرثها
اهله ولا اولاده بل يرثها اولاد اخته وكانوا يعبدون اشياء طبيعية ويجتهدون في
اطفاء غضب الروحانيات المعروفة عندهم باسم الالهة بتقريب قربان او ضحايا
من بني الانسان واما الاوريائيون فانهم تقدموا في اشغالهم وتركوا ما كان عليهم
من المعيشة الرعوية والصيد وعكفت انفسهم على اشغال الصنايع وحراثة الارض وفلاحتها
وفي معيشتهم المنزلية ما كان للمراة الا زوج واحد فقط وكانت عوايدهم وشرايعهم وراثتهم
على حسب الشرايع والعوايد الجارية الان عند الهنود وكانوا يعبدون في دياناتهم الهة
براقة وضيئة واما الصيطيون فانهم كانوا متشكلين بحالة وسطى بين الاثنين المتقدمين
وكان التتار او الصيطيون الذين وفدوا في الازمان القديمة الى الهند اشد همجية
وتوحشا مثل السكان القديمة حتى ال امرهم انه صار واحد منهم واطلق عليهم اسم
السكان القديمة الاصلية او ان القبائل الصيطية التي انحصت في داخل البلاد الهندية
من ابتداء سنة ١٢٦ قبل الميلاد الى حد سنة ٤٠٠ بعد الميلاد ما كانوا اهل صيد
مثل السكان القديمة ولا اهل زراعة وفلاحة مثل الاوريائيين بل كانوا رعاة
اغنام وابقار هائمون في سهول اسيا الوسطى مع مواشيهم وكانوا في درجة عالية
من فن الحرب ثم اشتغل الاوريائيون باشغال الحضارة والمدنية في الهند وانقسموا
ثلاث طوائف فطائفة كانت تلقب بالويشية اي المزارعون وكانت مخصوصة بزراعة
الارض وفلاحتها واخرى تلقب بالكشطريانية وهم مقاتلة او فرسان الاوريائيين وتغلب
هجوا على همج السكان القديمة والطائفة الثالثة البراهميين وهم الذين اخترعوا
الديانة والقرا العلوم والاداب والانشاء وكانت الديانة القديمة البراهمانية لا
تاثير لها على الاجناس الدينية فقام في سنة ٥٠٠ قبل الميلاد مذهب اوسع منها
يعرف بالمذهب البودهيستي وكان تاسيس قواعده على الديانة البراهمية فتولد من
هذا الدين الجديد تاثير قوي على قبائل وعشاير السكان القديمة وجلبهم تحت سلطة الجنس
العالي الاوريائي ثم دخل فيه اخيرا القبائل الصيطية الذين وفدوا على الهند من سنة ١٢٦
قبل الميلاد الى سنة ٤٠٠ بعد الميلاد وصار الدين البودهيستي اول عقيدة قوية
في اجتماع الاجناس الهندية مع بعضها في جامعة واحدة وجعل السكان القديمة والا
رباينين والصيطيين امة واحدة في العوايد والطبع والدين وما بعد ان تم هذا الدين

واجبات ما يجب عليه من جمع الامة الهندية في جامعة واحدة طرا من الارض وفي
من البلاد ولازم البراهمانيون اشغالهم وصار لهذه الطائفة القديمة التي كانت من
قديم الزمن في ارقى درجة حتى في مدة شجاعة الدين البودهيستي النهضة الكبرى والشوكة
والسؤدد على الدين البودهيستي الذي ضعف امره وانقطع تقريبا دابر جذوره حتى
ان الزايرين للهند من الصينيين في سنة ٦٤٠ بعد الميلاد اندهشت عقولهم واستغربوا
من علو درجة البراهميين وكانوا معروفين عندهم بالمتشعبذين ارباب البدع ولو ظهرت
شوكة البراهميين مرة ثانية من بعد ان كانت مختفية تحت اقدام الدين البودهيستي
واشتغلت المعابد البودهيستية في ذلك الوقت بالشقاق والنزاع مع المعابد البراهمية
في المحافظة على عقايدها وربما نزلها من البراهميين وفي ظرف القرنان الذان اعقبا
ذلك اخذ البراهمة على التدريج في علو درجة وتقدموا في دينهم ولولا من الحرب بين
الديانتين قيام رسل البراهميين من كهونهم وخروجهم من اجاملهم من الذين كانت
حياتهم وعيشتهم مجعلة الحالة مثل حياة نفس جوتما بوذها وكان اول هؤلاء الرسل
شخص اسمه كوماريلا برهمي مقدس من نواحي بهار وابتدأ في خطابته ووعظه في
القرن الثامن بعد الميلاد وشرع في تدريس العقايد الودايية القديمة تحت اسم الاله الواحد
خالق الخلق وما كانت العقايد البودهيستية موجهة نحو الله ما وفي اخر الامر صار
كوماريلا يخطب خطبه ومواعظه ضد الدين البودهيستي فقط بل وحض ملك جنوب
الهند في الايقاع باهل هذا الدين والبطش بهم ووقوع الجور والتعدي على كل من الدين
واهله فقيل ان هذا الملك امر خدمه وحواشيه وحكامه بقتل كافة المتمسكين با
لدين الهندي من كبير وصغير من ابتداء الجهة الاكثر وقوعا في جهة الجنوب من الهند
الى جبال الثلج ومع هذا فانه ما كان يوجد ملك في الهند وصلت شوكة جوره في الظلم
من جبال حماليا الى راس قومرين فيستدل بداهة من هذه الحكاية انها مبالغة في حق
واحد فحق هذا الجور الكبير من بين ملوك متعددة كانت موجودة في الهند والظاهر
ان البراهميين نالوا ظفرهم بعضه بسبب اضمحلال نفس الدين البودهيستي وبعضه بسبب
ما حصل منهم من قيام عقدة اجتماعات جديدة في الملل الهندية فكانت هذه العقدة
او الرابطة الجديدة في الجامعة هي الدين الهندي وكان هذا الدين مؤلف من شيئين
تحالف اجتماع وعهد ديني فاما كونه تحالف اجتماع فانه فصل واستمر على حالة واحدة
واخذ لنفسه جذرا عميقا في قلوب الامم الهندية واما كونه عهد ديني فانه كان اصلا
في جامعة الدين البراهماني والبودهيستي من جهة وشعاير وعوايد القبايل القديمة
من السكان من جهة اخرى ولنشرح هاتين الحالتين المشتمل عليهما الدين الهندي وهما
جامعة الاتحاد والعهد الديني فنقول ان الدين الهندي بصفة انه جامعة اتحاد فانه
ربت الامة الهندية ونظمها وقسمها الى ما كانت عليه من القسمة القديمة الى طوائف
وطبقات وهي طوائف التوأميين من الاريايين ويدخل فيها طائفة البراهميين
او القسس وطائفة الكشطريايين او المقاتلة وطائفة الويشيايين اي المزارعين
ثم من بعد هذه طوائف التوأم الواحد ويدخل فيها طائفة السودرايين اي الرقيق
من السكان القديمة وطوائف الذراري المختلطة الدم وبني هذا الترتيب في الاجناس
الهندية الى عهدنا هذا وما زال طوائف التوأميين يلبسونه لحد الان خيط مقدس
يزعمون انه خيط الاتحاد او الجامعة ولو انه غير معطا لهم في الكتب المقدسة الودايية واما
طوائف التوأم الواحد فانهم ما زالوا ينكرون هذا الخيط ولا يسمح لهم بدراسة الكتب
المقدسة الودايية حتى شيدت الانكليز المدارس والمكاتب في الهند من اجل تعليم
الامة على العموم الا انه مع ما كان موجودا بين الطوائف من درجة امتياز الشرف فانه
صار تقوية هذه الدرجة من طريق قسمين اخرتين وهما استخدام الناس والجهات
القاطنة فيها وحتى في الازمان القديمة كانت الطوائف منقسمة في الاشغال
المعهودة اليهم فكانوا منقسمون الى براهمانيين وكشطريايين وويشيايين و
سودرايين او الى قسس ومقاتلة ومزارعين وعبيد ثم انقسموا ايضا على

حسب الجهات القاطنين فيها من الهند الى اخر ما حتى وان نفس البراهمة كانوا
مقسومين في حد ذاتهم الى عشرة طوائف متمايزة او امم خمسة منها قاطنة في شمال جبال
وندهيا وخمسة قاطنة في الجهات الجنوبية وكل امة من تلك الامم العشرة على اعتقاد
في تفرعها بانها على حدة من الامم الباقية البراهمانية وكانوا مختلطين في انفسهم ولقد
من ١٨٨٦ قسم او قبايل براهمية منعزلة عن بعضها وبمثل هذا كانت المقاتلة او
الراجابوت كان عددهم ٥٩٠ عشيرة منفصلة في جهات مختلفة من الهند وفي حالة
ما كانت درجة امتياز اسم الطائفة في الاول هي الاصل في ترتيب الامة الهندية الى
اربع طوائف كانت ايضا هي الاسم الذي تولد منه في الحقيقة اختلاط كبير وفصل على
تكون طوائف متمايزة مكونة جنسيا على موضع جغرافي معلوم الوضع ومع هذا فكان من
الصعب احصاء عدد الطوائف الهندية واقول انه كان يوجد منها ٣٠٠٠ لا اقل كل طائفة
منها على حدتها تزاعم في تفرعها انها معزولة عن الطوائف الاخرى وكان الحكم القانوني الجاري
انه لا يجوز لاي واحد من هنود الطبقة العالية ان يمس طعاما طبخه امرء من طوائف
الدرجة الواطية ولا يتخذ وجوده منهم ولا يزوج منهم منهم وان كل طائفة يجب لنفسها الحقوق
الشرعية يجب ان تكون مشغولة بما هي عليه من الاشتغالات في نفس المواطن المعينة فيها
ومن اجل ذلك اقيم لكل جنس او نوع من انواع الخدمات او الاخذ والعطا والمعاملات
اشغال مخصوصة في كل جهة منعزلة على حدتها بدرجات امتيازات مخصوصة ثم حصل
فيها بعد تغيير في هذه الامتيازات وقامت الطوائف الواطية وجعلت تفرعها في
جامعة واحدة منظومة فكانت طائفة الويشيية اي المزارعين مخصوصة من قديم الزمان
بزراعة الارض وفلاحتها فاشتغلوا في عموم الاقاليم وصاروا هم الان اكبر التجار
والصيارف في الهند ولا بد من ان بياض جلدهم وجمال وجوههم وحسن سلوكهم و
عذوبة الفاظهم تفترق عن عهد الايام التي كان فيها اباؤهم واجدادهم يبذرون
الارض ويحرثونها ويحصدون محصولها تحت شمس حارة جدا ومثل هذه التغييرات
ما زالت حاصلة تحت منوال صغير في عموم الهند وكذا حصل من درجة الامتياز تاثير
كبير على ارباب الكارات والاشغال ولذلك منها لكل طائفة من الطوائف مجلس مخصوص
قايم بتدبير اشغالها واعمالها حبير للشبان الداخلة او الت بعد لهذا المجلس كارات
وقوانين مخصوصة في طريق سيرهم في اشغالهم وجعل لهم حرس عظيمة ومواسم
يحتفلون فيها بينهم وجمعيات انس يتداولون فيها مع بعضهم طرق اشتغالاتهم و
حسن معايشهم فكانت المشغولات المشهورة الهندية في القرون الوسطى الاقمشة
الت خيط واصناف الحراير والاقمشة المحبوكة بالذهب واصناف الاسلحة والاشغال
المفتخرة من الاحجار النفيسة كل ذلك تحت مراعاة درجات الامتيازات ومجالس
تجارية معقودة لهذا الخصوص ومثل هذه الجمعيات ما زالت موجودة عاكفة على اشغالها
في كثير من الاقاليم الهندية ومن ثم نوجد كافة رؤس العايلات الصناعية في الاقاليم الشمالية
الغربية من عماله بمبي تحت مباشرة مجلس تجاري خاصا بهم على حسب صنايعهم وحرفهم
وعلى هذا المجلس منع الغيرة والحسد واللغبات التي لا لزوم لها التي تحصل فيما بين تحت
يده من ارباب الكارات ويلتفت الى ما يعود عليهم من المصالح والفوايد في كاراتهم
ويفصل في كل المنازعات التي تقع بينهم مع ارباب الكارات الاخرى ومثاله انه وقع
في سنة ١٨٧٣ بعد الميلاد في مدينة احمد اباد ان ضرابي الطوب ما وجدوا لانفسهم
اشغال يشتغلون فيها فكان رجال اهل هذه الطائفة يقومون في كل يوم صباحا بدرك
ويشتغلونه طول النهار في اشغال اخرى لاجل زيادة ما ياخذون من الاجرا اضافة على
ما ياتيهم كل يوم من اشغالهم ولما تضرر عدة عائلات من عدم وجود اشغال لها اجتمع
مجلس ضرابي الطوب وقرر حكما قال فيه من حيث انه لا توجد اشغال كافية للناس فلا يجوز
لاحد الشغل في طول عموم ساعات النهار بل كل واحد يشتغل نصف يوم حتى يتيسر للكل ما يقوم
بمعيشتهم وكذا حصل في هذه المدينة في سنة ١٨٧٢ ان البزازين اجتهدوا في تقليل اجرة
[illegible] جيتي او الحياكين المعدوم لنسج الاقمشة القطنية فرفض مجلس الحياكين او النساجين

جماعة مشتغلين باجر [illegible] واطية واستمروا على ذلك ستة اسابيع في مشاحنات واخيرا فصلوا
ما بينهم من [illegible] ان حنات بواسطة مجلس عقد من مجلسي الطائفتين ورتبوا ترتيبا فقرر
فيه اجراء الشغل [illegible] في المستقبل وكان كل مجلس من مجالس الطوائف العالية في احد ابار له
رسوم متعلقة [illegible] من شبان الرجال عند رجوعهم في اشغالهم وكانهم والاحرار المخصوصين
هذه الرسوم ومن الغرامات التي كانت تضرب على كل من خالف القانون المخصوص بالطائفة
يصرف في ضيافات ومحافل لوجوه الطائفة ومجلسها وعلى عون [illegible] الفقراء من اهل
كارهم او الايتام من اولاد الطائفة وعلموا في مدينة سورت من عمل بمبي مطلبا في جمع
نقود وذلك انهم اعدوا لانفسهم يوم نزهة او قسمة معلوم تغلق فيه كافة دكاكين تجار
تجار انهم ما عدا دكان واحد يكون مفتوحا في تلك الدكاكين فحل حسب القانون المعمول
بينهم يبيعوا ما في هذا الدكان من اصناف التجارة بطريق المزاد ومقدار النقود التي تجمع
من البيع يصرفوها في يوم نزهتهم او محل اجتماع يشرحوا فيه صدورهم ومن ثم صار
من اللزوم على كل مجلس مراعاة اهل طائفته وعدم تضجر احد منهم او جوعه وكان اشق
العقابات التي تتوقع على الشخص المذنب من الهندو هو اخراجه من طائفته ثم ان الدين (اعتقادات العوايد الدينية للدين الهندي)
الهندي ما كان الى جامعة مضروبة على الطوائف والطبقات فقط بل وكان عهد ديني
مؤسس على عبارات واقامة شعاير ديانية وذلك انه ما حيث ان الاجناس المختلفة من
اعضاء الامة الهندية لازموا ما هم فيه من الطبقات وامتياز الدرجات في العائلات
فجمعوا العقايد القديمة البسيطة من الوداء والعقايد السهلة من عقايد جوتما بودها
والشعاير البربرية للقبايل القديمة ورموها في بودقة ذوبان وسبكوها واتخذوا
خلو صنعها او زبدها مثل معدن نفيس مخلوط وصبوها واشتغلوا منها الهة الهندو فمن
ثم ما اخذ الدين الهندو من الدين البودهيستي علاوة زكاة الاغنياء في بذل الصدقات
فقط بل وتنازل الدين البودهيستي له ايضا عن الكثير من سننه وفرائضه وعادات (تأثير الدين البودهيستي)
ديورة الهندو في اوريسا في ايامنا هذه المجالس البودهيستية التي كان يعقدها
الملك سيلو ديطيا من عهد الف ومائتين سنة مضت وقام في هذا العصر الى تجبير
صيارفة مدينة سورت من عمل بمبي وخصص قسم من الرسوم التي تجمع من فائدة صرف
النقود او استبدالها وشيد دار شفا لمرضى الحيوانات وهذه طريقة كانت سيما في اجـ
الطريقة التي كانت جارية في ما عدة علاج المرضى من الناس والحيوانات التي كانت
اسسها الملك اسوكا في سنة ٢٤٤ قبل الميلاد وكذا العقايد الدينية الجاري عليها
الهندو التابعين للعقايد الوشنوية فانها جارية على حسب شرايع وعقايد قديمة كان
فرزها جوتما بودها نفسه والعالم الكبير البنغالي المعروف باسم رجنترده لولا
انه وشنوى فانه يعتقد بان عيد عربة ياجناث هو اثر من الاحتفالات والشعاير
البودهيستية ثم ان الدين الهندي قوى نفسه باخذه غالب شعايره من شعاير الامم القديمة
الهند فانه ينسب الى هذه الامم عبارة قرم من الخشب واحجار صلبة مقام عليها ديانا
بعض القرى في اقاليم منفالم وكل قرية لها الهة كما هي العادة الجارية عند اهل تلك
القرى ويعبدون تلك الالهة في صورة احجار غشيمة غير منحوتة او قرم من الخشب او شجر
خشبة لونه احمر واحيانا يصنعون كوما من الطين تحت شجرة يكون الاله لهم واما عباد
الوفائي والجيات وتقديم الاحترامات من بعض اهل المذاهب من الهندو الى [illegible]
اشارة قوة الابداع والتكوين فيحتمل ان ذلك كان موجودا في مدة قديمة جدا وعبادتها
ماخوذة عن القبايل الصلطية الذين وفدوا على الهند من اسيا الوسطى من قبل بزوغ نار
ثم تخرج من الدين الهندو عدة من قسسي الديانة من ابتداء سنة ٧٠٠ بعد الميلاد الى (كتاب المتقين)
يومنا هذا نطلق عليهم اسم الاولياء او المقدسين وعيشة هؤلاء القديسين وشرح
العجيبة مدونة في بهكتا - مالا اي اكليل المتقين جمع او الف شخص اسمه نابها جي
من عهد ثلاث قرون مضت وسماه كتاب اكليل المتقين وقبل ان نابها جي كمله وشرح
فيه الدين الهندو [illegible] وسماه بالاسم المتقدم وما ذكر المؤلف في هذا الكتاب رسل
الدين الهندو بل ذكر لهم حياة جامعة مخصوصة بهم عموما وما كان لهم من معجزات
ايات خارقة للعادة اظهروها بل الهامات ومغيبات انبأ بها كل واحد منهم في مدة حياته
وكان غالبهم معمور في صفة يمجد الله وروى بعض الهندو ان البعض من هؤلاء [illegible]
من العذارى واخرين اطاعتهم الاسد الكاسرة واخرون احيوا الموتى واذا قطعت

خطعت ايديهم وارجلهم بنتت لهم ايدي وارجل اخرى جديدة واذا سجنوا افتحت لهم
السجون واذا ارموا في البحار اخرجتهم المياه الى الارض سالمين من دون ضرر ولا
اذى واذا اغتابهم احد انفتحت الارض وابتلعته وكانت حياتهم ومعيشتهم معدودة
من العجائب ومعدودين في موتهم من الشهداء والصالحين

ثم ان الهندو ارخوا ظفرهم الاخير على الدين البودهيستي من ابتداء خطابة كوماريلا
وكان كوماريلا المذكور واحد من براهمة اهل بنغاله يخطب كما ذكرنا الوداء النقي
خالق واحد بديع فاطر وكانت خطابته ضد الدين البودهيستي الموضوع من دون
اركانه بإله خالق وينكر وجود الاله الخالق واهل هذا الدين لا يقولون بالله بل
يقولون الحياة منشؤها العناصر الاربعة فقط وهي النار والهواء والماء والتراب فكانت
خطابة كوماريلا سببا في وقوع التعدي والجور على المتمسكين بالدين البودهيستي وقال
البعض هنا ان التغييرات التي حصلت في ذلك حتى قام الدين الهندو منسوبة الى
احوال طبيعية وانتشار مذاهب وعقايد تغدرت من اسباب جمع عقايد الوداء القديم
مع عقايد البودهيست وشعاير امم وعشاير السكان القديمة والتتار او المغل
ولا يمكن هنا تيسر الحصول على تعقل الدين البودهيستي الاخير من دون الاشارة الى
فهم القصيدتان الشعريتان الكبيرتان المؤلفتان في المهابهرطه او الحرب الكبير و
الراماينات المؤلفة في حق راما فاما القصيدة الاولى فهي مجموع مؤلف من
سجعات وقصايد شعرية طويلة جدا واطول شيء الف الناس في الدنيا وتشمل على
عدة قطع تاريخها اقدم جدا من تاريخ الوداء وقطع اخرى تاريخ تأليفها مطابق
العصور المتوسطة داخل فيها عموم ادوار خرافات الهندو واساطيرهم من قبل تأليف
الوداء وما بعدها ومدونا فيها الوهبية رجال من شجعان الناس معاصرين لبعضهم
واخبار الحلول الالهي واصل منشأها هو هيئة حرب قديم بين عائلتان من
ذرية الملك الغير بخصوص قطعة ارض واقعة في نواحي المدينة الحالية دلهي وكان وقوع
هذا الحرب قبل الميلاد بنحو ست قرون او خمسة ومن ضمن هذه القصيدة الطويلة
مقالات او ابيات ذات الة طلاوة وحلاوة منها تخص بهاجوت وهذه لفظة مطلوقة
على كريشنه احد من حل فيهم ويشنو ذكر فيها ان كريشنه اوحى الى الفارس ارجونه
قبل حصول واقعة كبيرة ان يزيل قلقه ترددة في دمار حياة بني الانسان وعرف منا
هذا الوحي تسلط الروح على البدن ووجود ازليتها في المبدع الاكبر فمن ثم لا ضرر عليها
من الموت وعرفنا تأكيد درجة امتياز الطبقات او الطوائف الا انه يظهر لنا ان هذه
القصيدة مستندة الى الفلسفة الودائية واحوال الالوهيات ويعلم منها ان كافة العالم
هو براهما وان براهما هو خالق كل شيء واليه المرجع ولا أب وقال كريشنه حكاية تخص
نفسه لارجونه هي انا الحكيم القديم ليس لي ابتداء انا الملك المالك الحاكم كل شيء
انا الذي لا يحيط العقل بصورتي اعلم بالذرة ومن يعلم جواهرها الفردية انا اصل
[illegible] وانا اصل الكون وخالقه خلقته واخفيه واسكن في قلوب مخلوقاتي في
صورة حكمة انا ضير الخير وجود الجود والطيب الطيبين انا الاول وانا الوسط وانا
الاخر ابدي لا بداية لي ولا انتهاء لي الخلق والموت بامري خلقت الكل من قطعة مني
[illegible] وكن على ذمة ودين نحوي واعبدني واشغل نفسك في الفكر بي الى ان تأتي
الي يا ارجونه وسترفع الى علو عرشي الذي لا يوجد فيه شمس ولا قمر يحتاجها لنوره
[illegible] على معرفة الكبدة ان كافة الانوار مقتبسة نورها من نوري ومن ضمن ما اوحى
كريشنه لارجونه انه يولد على الارض من وقت الى اخر من اجل اقامة الحق وتوطيد
العدل وقال كريشنه لارجونة في العمل الممدوح اعرف يا ارجونة هذا العمل فانه
[illegible] فعله وانا الظهير الحامي له فان الانسان لو تبع عرف الى انا الفاعل له
وعموم الحرف والصنايع من القدم انا الذي اخرجتها من العدم وتكتسب بالعقل والشغل
وانا ما زلت شغالا فعالا الى الابد لا يحصل عندي تعب ولا نصب وربما ان عموم
هذا العالم يفنى ان لم اشتغل شغلي فيستند له من هذه الاقتباسات ان اشعار بهاجوت
مشتملة على افكار عالية وانها ليست في درجة خفيفة موازية للافكار البودهيستية في
[illegible] السلامة والنجاة بواسطة الامتناع او الحرمان النفسي والتقشف واذلال الجسم

واعطاه ...
والتواضع والخشوع من دون الاستناد الى اله واحد خالق وولو ان كريشنا لم يزل
للنفس صفة مخصوصة بهن في شعره الا انه قال كل من توكل عليه ووثق به وصل
الى العلو ودرجات مكارمه وقال انا لست صديقا لاحد ولا عدوا لاحد انا عند الكل
واحد وهم عندي متساوون في درجة واحدة وكل من عبدني ساكن في قلبي وانا ساكن
في قلبه وانا عند الكل محبوب وقد جعلت هذه المحبة والخشوع في قلوب الذين يلتجئون
في اخر حياتهم وهم من نفس دنية او ناقصة في العقل والادراك او هائمة في ملكوت
الافكار الا ونفعني في هذه الدار وفي الدار الاخرة فالذين يولدون من جديد ما زالوا
يطهرون انفسهم من الادناس والنقايص ويتممون عقولهم حتى يصلون الى مقر عرشي
الاعلى ثم ان تجسيم او حلول الالهة وتكراره له اهمية كبيرة في التدريس والتعليم
ومن هذا الاصل انتشر ما يعرف بالاوتار اي تصور الحلول عند الهندو وهذا
التصور او الوهم عندهم ان الاله مستمر الظهور لارشاد خلقه والمحافظة عليهم وحمايتهم
من كل ما يهلكون فيه انفسهم سدى حتى توالى الدور من ابتداء ظهور الدين البراهماني
الى ان ظهر الدين الهندو وظهرت صور مختلفة لكريشنه حالة في وشنو واستمر تكرار
وجودها وكان ظهوره في صفة شجاع مدافع وولي متنبئا بالغيبات وحكيم ذلل
الارواح الشيطانية واشتغل الاشغال العجيبة التي يعجز عنها غيره ثم تولد من عقيدة
كريشنه هذه ضرورة وجود حلقة رباط وصل بها عقلاء البراهمة فلسفتهم العالية
مع عقائد الامة واظهر كريشنه الدلايل العظيمة المعتبرة في ركاوة الهندو وكتابهم
وخطب في عقائده واشعاره العقيدة العالية التي يستدل منها على وجود الازلية فقال
توجد حياة ازلية غير مرئية وراء هذا المرائي لا تفنى عند فناء غيرها من كافة الاشياء
المرئية حتى عندما تتحول الايام الكبيرة لحياة براهمه الى ليل وتفقد كافة الاشياء في
صورها الى الله من حيث جاءت فالذين ينالون هذه المنزلة الازلية لا يعودون الى ما
بعدها ابدا ثم ويوجد لامع براق مثل الشمس وراء ظلمات هو هو الذي تتبصر
الارواح فيه وتتفكر فيه في ساعة الفناء وهو الحكيم القديم المالك الازلي الجوهر
الفرد الى وفق كل شي في ان ساعة التي يجد فيها كل واحد ما يجب عليه في التذكر في الكون
وفيما عهد اليه فالذين يتقون الي ويتوكلون علي ويبغون نجاة انفسهم من الدم والالام
ومن عذاب الموت وبجزع الامم ويعرفوا ان براهمه هو القوي الاكبر وانه الفاعل الاكبر
والذين يعرفونني في كوني وشخصي وظهوري حيا اي هم الذين يعرفونني ايضا عند الموت
وهم اتت جون حقا =
واما الراماينات او رجيل راما وهي القصيدة الاخرى فهي سجل مدون فيه قصة
الاوريانيين اي الذين وفدوا على الهند من اقاليم اسيا الوسطى في اقليم اخر بدعي اوده
ثم حكايات تقدمهم الى الهند الجنوبية وكان انشاء هذا المدون في مبادي القرن
الثالث قبل التاريخ المسيحي وموضح فيه تصور البراهمانيين حلول الاله في وشنو
في صورة راما بخصوص دمار الشياطين وقال حكايتها انها مبتدأة بحكاية ان
ملك اوده ما كان له اولاد وكان هذا الملك من ذرية اله الشمس ثم ان هذا
الملك قرب قربانا للالهة فولد له اربعة اولاد من ازواج ثلاث فكان في الاكبر
منهم وهو راما نصف خلقة وشنو وفي الثاني وهو بهرطا ربع خلقة وشنو وفي
كل من الاثنين الاخرين الثمن من خلقة وشنو وكانا توأمان واستثني من عقيدة
البراهمانيين هذه تجزية حلول كريشنه فانها كانت تامة الحلول في الشي الواحد لا
كرية مثل حلول وشنو وكان يوجد خلاف هذا حلول كرية من المواد الجوهرية
الالهية في الناس والحيوانات وحتى في الاشيا النامية التي لا روح لها ثم ان اب
العجيب راما تزوج بالجميلة سيتا ومن بعد زواجه بها نفي من الارض معها ومن بعد
موت ابيه رفض اخوه بهرطا تقليد زمام الملك من بعد ابيه ما دام اخوه الكبير
موجودا على قيد الحياة واستمر راما في نفيه حتى يبلغ في مدته التي حكم عليه ابوه بها في
النفي وفي اثناء ذلك سمع الملك الشيطان في جنوب الهند بجمال زوجته سيتا فوصل
اليها وجذبها في عربة سحر وسار بها الى ان وصل الى دار ملكه في جزيرة سيلان فدخل
راما في محالفة مع قبائل وعشاير السكان الاصلية القاطنة في جنوب الهند وجمع جيشا
منها وغار على سيلان وقتل الملك راونه خصمه وخلص زوجته سيتا ثم ما بعد

بعد خلاصها ارتاب فيها واعتقد انها كانت على غير صداقة له في المدة التي قامت في
سراية راونه فنفاها من عنده ثم ظهرت له براءتها من بعد سنة عشر سنة من نفيها
وعادت الى زوجها وما زالت معه حتى ماتا وقضى نحبهما فكانت هذه هي قوالب الاشغال
التي وقع في اثنائها التغيير من الدين البراهماني القديم الى الدين البودهيسي الاخير و
انتشر الدين البودهيسي وشرعت الناس في دراسة عقايده وذكر في هذه القصيدة
ان الشغل الذي حصل به الانتشار الاكبر للدين البودهيسي في الهند ما كان يوجد في وقته
زمن كان يشتغل فيه الدين البراهماني الشغل اللازم مع الحزم وركد العقل رغم احوال
هذا التغيير وزوالها وانه في المجلس الذي عقده الملك البودهيسي سيلاديتيا في
مدينة كانوج الواقعة على نهر الكنج في سنة ٦٣٤ بعد الميلاد الخبير في اول يوم من
عقد المجلس تمثال جوتما بودها وفي اليوم الثاني تمثال اله الشمس وفي اليوم الثالث
تمثال سيوا ومن ابتداء هذا الدين الوقت كان الدخول في تاسيس الدين البراهماني
الاخير وقامت عدة رسل من البراهمانيين على التعاقب في وقت اضمحلال الدين
البودهيسي وكان اول هؤلاء المرسلين كوماريلا بهاطه الذي سبق ذكره وكان قيام
في سنة ٧٥٠ بعد الميلاد فاحيى العقايد البراهمانية وسندها لشخص اله خالق واحد
وهدى غالب الامة الى هذه العقايد وكان كوماريلا او عمر طويل اوصف من مصلحي
الهند بد الديانة البراهمانية اهل النفوذ والشوكة فكانوا حامين انفسهم من اللذات
الدنيوية مثل ما كان عليه جوتما بودها في حياته ثم قام من بعد كوماريلا على عمود
البعثة شخص اسمه سنكارا في المليبار وجالا يخطب في ارض الهند ويعظ الناس
وهو هايم على وجهه حتى وصل الى كشمير ومات في كيدارنات في جبال هماليا او حماليا
وكان سنكارا اجاريا المذكور من اجل التلامذة المشهورة الذين تخرجوا على كوماريلا
ومولده في المليبار وحامات كان عمره اثنان وثلاثون سنة وقلب الفلسفة الودانتية
للبراهمانيين في القالب الموجودة عليه الان وجعلها ديانة الامة ويمكن القول انه من
ابتداء عهد الحياة القصيرة لهذا الرجل الجليل في القرن الثامن وفي القرن التاسع صارت
كل عقيدة هندية جديدة موجهة نحو اله واحد وكان جعل نفسه مواجها في اعلى
طبقات الفلاسفة الهندية وجعل نفسه ايضا من جهة اخرى في ضمن الطوائف الواطية
وترك وراءه هيئات نامية من نتايج اشغال حياته وهي مذهب البراهمة ودين مقبول
محبوب عند الامة وكانت تلقيناته ودراسته ان الاله الاعظم براهما منا زي نقم
وغير براهمن الثلاثي وعبادته يجب ان تكون بالافكار روحانية لا يقرب فيها قربان من
اي مادة كانت واستمر في تعليمه وتلقينه حتى اسس مذهب براهماني يعرف بمذهب
الاسمارطيين وجعل اجرات شعاير الودا وعبادة الاله في هيئة حسنة واجمعت
الروايات العظيمة على انه هو المؤسس لعدة عقايد هندية جارية في الهند لحد الان
وقيل ان عبادة سيوا ما حوزة من شغله ولو انها كانت موجودة من مدة زمن طويل
قبله وتصور تلامذة سنكارا ان سيوا حال فيه وكان سيوا معروفا في الريج ودا
باله العواصف ويعتقدون فيه انه هو الفاني والمحيي او المدمر والمجدد وكان الها
معبودا في عصر ارتقا الدين البودهيسي ومذكورا ذكرا جليلا عاليا في المها برطه اي قصيدة
الحرب الكبير ورفع عبادته اصحاب سنكارا الى ان صار ثاني اثنين من الالهين
الكبيرين في الدين الهندو ومن عقيدة سنكارا ان براهمه او براهمن هو المعبود الاكبر
وهو غير براهمن الثلاثي ووشنو وسيوا الذين كانوا يظهرون في صورته وان براهمن
الاكبر هو الاله لا اطلاقا لا صورة ولا هيئة له حتى لو ميزناه خالي العيوب والنقايص
والاله لا يوجد الا قليل متمسكين بعبادة براهمه او براهمن وحده واما من جهة كونه
خالقا فيعتقدون انه تمم شغله وانقطع جدره ولا يوجد له الان الا معبد واحد في نواحي
بوشكارا من اعمال اجمير وذكر وارد في سنة ١٨١٨ بعد الميلاد ان البراهمانيين
يقرأون في عبادتهم في وقت الصباح والمسا رقيات او عزايم مشتملة على
وصف تمثال براهمه ويقربون لهذا التمثال في وقت الظهر انواع الزهورات فقط وفي
اثناء اليوم تقدمات جارية من صنفها صنف السمن وفي شهر ماغ وفي وقت تمام القمر
يعبدون تمثالا له مصنوع من الطين واقف سيوا على يمينه ووشنو على يساره
ثم ان الاسمرطيين الموجودين في جنوب الهند فهم اهل مذهب وهم كثيري العدد وهم

(marginal notes, in red: كوماريلا بهاطه — سنكارا اجاريا)

تابعون للتلقين او التعليم الفلسفي الذي القاه اليهم سنكارا ويوجد كثير من المعابد والبيوت الديانية مرتبطة مع هذا المذهب تحت رياسة دير سرنغيري في جبال ميسور ورئيس هذا المذهب هو القس الاكبر لهذا الدير ورياسة مقررة من طرف عباد سيوا و يعتقدون انه سنكارا واحد من تجسمات سيوا واله سيوا في الدين الهندو الاخير هو المهاديوا او الاله الاكبر وامرأته ديوي اي المعبودة الكبيرة وحيوانه المقدس وهو الثور متصف بهذا الوصف وفي رؤس معابده صولجان ذي ثلاث شعب و تماثيله مضاعفة الصورة والدليل البراهماني في سيوا واضح في صورته انه رجل ابيض الجلد في اللون جالس في صورة رجل عزيز الفكر وفوق رأسه اشارة مخصوصة لنهر الكنج والثور قريب من يده او قابض على قرن ثور في يده واما مناظره البربرية المهولة فانها على حسب اعتقادات السكان القديمة للهند ظاهرة في هيئة قلادة له من الجماجم ومطوق بثعابين مهولين وجلد من جلود النمور وفي طرف عصاته رأس انسان ويوجد الى

سيوا

سيوا خمسة وجوه واربعة اذرعة وامرأته ايضا تظهر في هذه الحالة في صورتها البراهمانية او الاريانية في صفة اومي ومعناها النور معبودة عاقلة محبوبة وفي صورتها المركبة في صورة دورجا اي امرأة ذهبية اللون طريقة الوانها مهولة مزعجة راكبة فوق نمر ولها مناظر وهيئات بشعة قبيحة في صفة كالي اي الغضب الاسود القبيح الصورة مدهونة بالدماء ومطوقة بالثعابين والحيات ومعلق في دائرها قلادة من الجماجم و الرؤس وهذا على حسب عقائد القبائل القديمة ويوجد في عبادة سيوا هيئات الاولى على حسب ما قرره سنكارا من دون اقامة شعائر في الخارج والبراهمانيون يعلقون في العادة اكليل من الازهار حول تمثال لنجا (تمثال الاعادة) او يضعوا قدامه قربانه من الارز والثانية ان الطوائف الواطية يقربون له قربانا لا تحصى كثرة يذبحونها تحت اقدام التمثال المهول المعروف بكالي والى مدة مضت كان يحصل جنة طاعون مهول وقحط شديد اجتهد المشركين بعبادتهم عند قطعهم اليأس في زوال غضب المعبودة كالي حتى قربوا لها قربانا من الادمية وفي مدة قحط سنة ١٨٦٦ بعد الميلاد وجد في معبد كالي على مسافة ٨٠٠ ميل من مدينة قلقوطة غلام رقبته مقطوعة وعيناه مفقوءتان وجسمها خارج منها والجمل سانه جامد وخارج من بين اسنانه ووجد في معبد اخر في نواحي همجلي وهي محطة سكة حديد على مسافة ٢٤ ميل من قلقوطة رأس انسان موضوعة امام الصنم مزينة بالازهار ومثل هذه الاحوال هي في الحقيقة احياء لطريقة تقريب القربان من النوع الانساني التي كانت جارية عند القبائل القديمة من سكان الهند ثم ويوجد ثلاثة عشر مذهبا من المذاهب الكبيرة عند عباد سيوا جميعها تشكل صفة الهية ومازال براهماني الاشترتا ويون وهم اصحاب سنكارا لا شعائر عندهم في معابدهم في الهند الجنوبي واما الاوتريون او الزهاد فانهم صارفين على الدوام ايامهم في شعوذة وسوال وافكار ومنهم من يعبد سيوا بدون شعائر وسيوا هو الشخص الثالث من الاربابان النعوتي واخوه فيقلدون اصنافا ومنهم بالقبائل القديمة ويخرجونه دوما من داخل معبد قسم الركبة تقربا للاوله في حالة مزعجة مهولة وعموم الديويون تابعين عوائد القبائل القديمة في دفن موتاهم او رمي جثث الموتى في النهر المقدس

وشنو

واما ما قيل في عبادة وشنو فانه وشنو المذكور كان على الدوام الها بشريا من ابتداء الوقت الذي ظهر فيه في الويدا في صورة خرافة شمسية واخترق هذا الظهير الحامي الذي لا يغلب ولا يغفر الكون في ثلاث خطوات بغتة وحلوله وتجسماته الاخيرة جعلته محب صادق لبني الانسان فنجده تنزل على الارض عشر مرات او اثنان وعشرون واتخذه الناس في عبادتهم له في صورة حسنة جميلة وفي صورة بشرية وفي حالة حلوله في راما وفي كريشنة صار لوشنو حكايات عديدة وخرافات عجيبة محبوبة عند عباده فاما راما وهو تجسمه السابع فكان فارس وشجاع القصيدة السنسكريتية المعروفة بالراماينات وفي تجسمه الثامن في صفة كريشنة ظهر وشنو انه الملك صاحب الحزم والعزم الكبير في القصيدة الاخرى المعروفة بالمهابرطة ثم صار معابد هذه الهيئة المذكورة في القصايد الهندية المعبود الاكبر في البرنات (الكتب القديمة) الوشنوية ولقب بلقب باجانات اي اله الكون وعبده الناس في مدينة بري ومن هذا الوقت

الوقت ارتفع صيته وعلا ذكره في كافة انحاء الدنيا المتمدنة وكان وشنو الها حقيقيا لا تقبلا صادقا ووردا لا يطلب من التقدمات الا الازهار وكان على كراهة شديدة من سفك الدماء والمذاهب المشكلة بعبارته تسمى بالمذاهب الوشنوية ثم ان عقايد الدين الهندو الاخير بالنسبة لهيئة شرحها فانها حاوية في البرنات السنسكريتية ثمانية عشرة رسالة بسطها الكثير من البراهمانيين عدة شروحات تختص بعلو مكان وقدر وشنو اوسيوا واجل هذه البرنات وشنو برنه وهي مورخة من القرن الحادي عشر او من سنة ١٠٤٥ بعد الميلاد الا انها مشتملة مثل اسمها برنه ومعناها الروايات القديمة على بعض روايات من العصور الوداثية وروايات اخرى تختص بالمهابرطة والراماينات ومشتملة على كافة حكايات الخلقة الاولية او التكوين الاولي وحكايات فناء الهيئات الدينوية وعودها مرة ثانية وانساب الالهة والمرسلين وسلطنات الماتووبين وقوانين الى معانه بها فيها حكايات درجات امتياز الطبقات من الناس وشعاير جنايز موتاهم وتواريخ الملوك الشمسية والاجناس القمرية وحكايه حياة كريشنه وحكاية نهاية الدنيا وفناها ولا لزوم في تتبعنا درج هذه الحكايات ومثل هذه الروايات لانه يلزم لها مجلدات وضياع اوقات لا ثمرة فيها وعموم القول فيها راجع الى الوهية العالم وان الاله والكون واحد وان وشنو هو الاله الاكبر حال في كريشنه وسهاف وشنو برنه من جهة ممكن تصوره من الالفاظ الاتية المروية في حق هذا الاله الاكبر وهي ما له قدرة على وصف من لا تدرك كنهه وصفه العقول ولا تحس به الحواس اكبر كل شي القوي الاعلا الواحد بنفسه الحي الذي لا يموت الخالي من عموم صفات النقايص والصفات التي يمتاز بها الشبيه والنظير وكل ما يرى الذي لم يلد ولم يولد ولم يتغير ولا يفنى ولا يهرم وهو الباقي الواحد الموجود في كل الوجود وفي وجوده حياة كل شي وهو المسمى واسو ديوا (المنفذ لا منه كل شي) براهما الاعلا الاولي اصل الاصول الجوهر المقدس الخالي عن العيوب والشوايب براهما الى مع كل الاشيا في ذاته من عرض وجوهر الموجود في صورة بوروشا وكالو فاما بوروشا او براشا (الكبير) فانها الهيئة الاولى له اي صاحب الحكومة المطلقة في الكون ومن بعدها صورتان اخرتان وهما العرض والجوهر واما كالو ومعناه الزمن فهي الصورة الاخيرة وكانت هذه الاربعة صور هي الصور الى لعبة النقية العالية لوشنو وهذه الصور الاربعة بنسبة بعضها كانت هي اسباب وجود التكوين والبقا والفنا ومن ثم كان وشنو عرضا وجوهرا وروحا وزمنا وان عموم الهندو بالاجماع يزعمون ان خلق الدنيا ميدانا او دار نزهة ولعب للخالق لها واما حياة كريشنه المدونة في هذه البرنات فانها جميعها خرافات مثل خرافات الف ليلة وليلة لا فايدة في مطالعتها بل يليق لنا ان نقول ان البرنه او الروايات القديمة ما وقفت لنا بالاشغال الكبيرة التي انتشرت في خصوص عبادة وشنو التي كان عليها الهندو في القرن الثاني عشر

وشنو برنة

البرنة

رامانوجه الرسول

وكان يوجد لوشنو مبعوثين وخطباء كان اولهم رامانوجه قام في سنة ١١٥٠ بعد الميلاد اي في القرن الثاني عشر وخطب خطبه قادحا في العقايد الزبيدة الشيوية وقال بوحدانية اله تحت اسم وشنو سبب الاسباب وخالق الموجودات ومبدع الاشيا على غير مثال فجا عليه ملك شولة في جنوب الهند وكان هذا الملك مجتهدا في نشر وتقوية العقايد الشيوية في انحاء مالكه فهرب رامانوجه منه الى چاين ملك ميسور وادخل هذا الملك في الدين الوشنوي باخراج ارواح شيطانية من بدن ابنته فقيل انه انشا سبعمايه دير منها اربعة مازالت باقية قايمة فيها عقايد رامانوجه من بعد موته وقيل انه لاخر القرن الثالث عشر او لحد مبادي القرن الرابع عشر الى ان ظهر انتشار الديانة الكبيرة باسم وشنو على يد القايد الرسولي رامانند من ابتدا سنة ١٣٠٠ الى سنة ١٤٠٠ من بعد الميلاد وكان هو الرسول الخامس من بعد رامانوجه وكان محط هذا المعلم في دير بنارس ونشر عقايده في الهند الشمالية وانتقل من محل الى محل يخطب باسم اله واحد تحت اسم وشنو وانتخب لنفسه اثني عشرة تقيا ليسوا من القسس ولا من الاشراف بل من الطوائف الدينية المرذولة كان واحد منهم جلادا والاخر حجام وكان اشهرهم المشار منهم ابن رجل نساج او حياك وعرض

رامانند رسول وشنو

راما نوجه نفسه بالخصوص على الطوائف العالية الاريانية وتدونت عقايده باللسان
الفصيح البراهماني واما راما ننده فانه عرض نفسه على الوجه نفسها وتدونت علوم
عقيدته باللسان العادي وعاش نقيبا راما نند على الصداقة في دينه وكانوا يجتهدون
في طلب تعليم الدين ويخاطبون الناس باللسان الهندي او اللسان المعتاد لاهل البلاد
واجتهدوا في تذهيب وتنقيح خطابة الدين على حسب القواعد النحوية وتدونت دلائل
انتشارها باللسان الهندي بعضها مخصوص بانشاد اهل الفلاحة وبعضها بانشاد وقايع
الحروب في دواوين الراجابوت وغالبها مخصوص بديانة وشنو ثم قام شخص اسمه

كابير

كابيرة من نقباء راما نند الاثني عشرة ونشر عقايده في بنغاله من سنة ١٣٨٠ الى
سنة ١٤٢٠ بعد الميلاد واشتغل مثل ما كان عليه استاذه في جمع كافة الهنود في
دين واحد عمومي ولما راى كابير ان الهنود ليسوا هم وحدهم سكان الهند اجتهد في نحو
مبادي القرن الخامس عشر في اقامة ديانة مركبة عقايد داخل فيها الهنود والمسلمين
على حد سوى وقرر في عقيدته ان اله الهنود او ربهم هو رب المسلمين ايضا
واسمه الاقرب والغريب وكان يعني بذلك التعلي على امام المسلمين او راما امام
الهنود وقال كابير في الكتب المقدسة لعقيدته حياتنا في الدنيا مستخفة لعلي
ولراما وان تكون قلوبنا ملائنة بالرافة والحنية لكل من كان حيا وكان الهنود
يصوموا اليوم الحادي عشر من كل شهر والمسلمون يصومون شهر رمضان ومدينة
رب الهنود واقعة في جهة الشرق وهي بنارس ومدينة رب المسلمين واقعة في جهة
الغرب وهي مكة وقال ماذا ينفعك من غسل وجهك والعد على سبحتك والاستحمام
في الانهر المقدسة والركوع والسجود في المعابد والجوامع والحال ان ذا ينفعك
من همهمتك في صلواتك وسفرك الى الحج وقلبك مريضا مغشوشا وقال في خصوص
المسلمين من هو الذي كون الشهور والايام الباقية حتى انكم لا تحترموا من الشهور
الا واحد فقط ثم قال لا يجب ان يحترم الا واحد فقط وهو خالق هذه الدنيا ابو
العابدين وهو على عند المسلمين وراما عند الهنود وقال ان المطامع المختلفة وتغيير
حالة الانسان من آمال ومخاوف وتنوعات دينوية ودينية جميعها منسوبة لا له
واحد قادر ومتى حصل الاعتراف انقرض دابر الغرور المعروف بالخطايا والموت
الارواح راحتها ولا ينال الانسان ذلك بقربان بخرف او بضحايا تذبح بل بالدين
والنية والتفكر في الخالق الاعلى ويحافظ الانسان على طهارة قلبه ولسانه وكان لكابير
اصحاب واتباع عديدة في نواحي بنغاله وكان محط قرار عقيدته في كابير

كايطانيه

شوره في بنارس ثم قام كايطانيه من سنة ١٤٨٥ الى سنة ١٥٢٧ بعد الميلاد
وكان مولده في سنة ١٤٨٥ فنشر العقايد الوشنوية وعبارة ياجاناث (اله
الدنيا) ومن بعد موته عبد في صورة بخشم وشنو في هيئته وخطب عقيدة ديانته
للهنود والمسلمين على حد سوى ونشرها في عموم دلطان بنغاله واوريسا ومع
صرفنا النظر عما قيل في حق هذا الرسول من الخرافات وما قاله من اقوال الاعجوبات
فانه لو درينا لنا باصل حياته المخصوصة به الا انه كان ابن واحد من البراهمة
كان قاطنا في نديا من اعمال بنغاله وانه تزوج في شبابه ابنة واحد من الاولياء
المشهورين ولما بلغ من العمر اربعة وعشرون سنة ترك الدنيا ورفض ان يكون رب
بيت وتوجه الى اوريسا وقضى مدة حياته في تشريع الدين وقال ان الناس حيث ويتق
في الدين وليس في طوايف الامم درجة امتيازية كما هي عليه الان وكلهم واحد وكانت
طريق دعوته موجهة نحو السلامة وطرق النجاة والمحافظة على التواضع والخشوع لا على
اقامة الشعاير والنذر لتلامذته واصحابه باحترام استاذهم كابا مالوية لا في
صفة الهة يعبدونها واختفى امره وحاله في سنة ١٥٢٧ بعد الميلاد وقال ان
الروح ربما تجد لنفسها خلاصا من العيوب والاثام الواقع فيها الجسم وانه من بعد الموت
تسكن ارواح المؤمنين في اعلا عليين في غاية من الظرافة والتنعم بالراحة الكاملة
وترى وشنو نفسه ثم ان اصحاب كايطانيه من كل طائفة الفانون او الشريعة
التي كان عليها النقباء وفتح الدين بابه لدخول الاعزب والمتزوج وانث كانا من يحب
على وجوههم الان فنقبا الدين كانوا عموما من الناس المتزوجين وكانوا متوطنين

متوطنين مع ازواجهم واولادهم في عشش واخصاص حول هيكل كريشنه في بخشم وشنو
ومن ثم كانت عبارة كايطانية هيئة عبارة عائلية في كافة جهات اوريسا فكان
ارباب الاملاك والعقارات يعبدونه في كل يوم بشعاير تقام في معابد مبنية في
محلاتهم مخصوصة له ومن بعد موته احدث او ابتدع اصحابه مذهب ادخلوا فيه
رهبانية النسا وكان الذكور والاناث في حظاير ديورة معدودة لهم متذهبون فيها
وكان النسا يحلقن رؤسهن ما عدا خصلة واحدة من شعورهن وتختلط الاناث و
الذكور سوية وينشدون الانشادات والمدايح لوشنو وكايطانية معا في مجالس رقص
وكان معتبر في اصل هذه العقيدة ان النسا معلمات ايضا للنسا اللاتي لسن داخلون
معهن واستمرت النسا مدة طويلة من الزمن معلمات في اماكن الطيبين من العايلات
الكبيرة في بنغاله ومن بعد مضي خمسون سنة حصل تغيير في حسن تربية الاناث وتهذيبهن
وانتشر هذا التعليم حسب مقتضيات اصل العقيدة ونصوص قواعدها في داخل قلعوطه
ومن بعد موت كايطانيه حصل اختلاط قوي روحاني في عبادة وشنو واختلف الناس
حتى بعده فمنهم من خطب الديانة على وجه التمتع واللذة ومنهم خطبها على وجه المحبة والعشق
ومنهم من عبد كريشنه الصغير في صورة راعي بقر الى ان قام في نحو سنة ١٥٢٠ بعد الميلاد

ولد بناسامي

ولد بناسامي وخطب في الهند الشمالية وقال ان خلوص الروح وعتقها ونجاتها ليس مقصورا
على عذاب الجسم وان التقرب الى الله ليس بكشف الجسم والعورة والجوع والعزلة بل
يكون في وسط سرور وافراح في هذه الحياة الدنيا واسس ثمانية شعاير يغل
فيها تمثال كريشنه مثل غلام محبوب ويدهن ويعطر بالروايح الزكية ويلبس الملابس
المفتخرة ويطعم فدخل في هذه الاحتفالات النسا الظريفة اهل الشهوات والموبقات
وصارت الديانة ديانة نزهة وسرور ومجمعا للموبقات والسكر ثم انه من قبيل الدخول
في شرح هيئات العبادة في الدين الهندو الاخير يلزم ان نذكر على وجه الاختصار
التاثير الذي حصل من الدين البودهيستي وديانات اخرى قامت في الهند على الدين
الهندو وذلك ان الكثير من العقايد الهندية قرر امر المواخاة وتمام تفرقها ودخلت
مرة ثانية جماعات الديورة البودهيستيه في كثير من محلات عبادة اخوانهم من الهنود
واختلطت الشرايع الوشنوية والبودهيستيه بالشرايع البراهمية وكان عند اخوان
اصحاب كابير ان اول عقيدة قانونية عقيدة بودهيستيه وهي ان حياة الانسان
والحيوان وهبة من الله وفي الحقيقة فان هذه اول عقيدة وهي جليلة يجب الاعتقاد
بها وان سوء الظن ومرض القلوب والجهل بمعرفة الله منبع الكذب والاثم والاعتزال
عن الدنيا محبوب وحب الدنيا مذموم في رضا راحة الروح وعدم الاشتغال بذكر الله
ومثل هذا قامت التصورات الثلاثية البودهيستيه وهي بودها ودهرما (الشريعة)
وسنجها (الجامعات) وظهرت هذه الافكار كثيرا او قليلا جهرة في الدين الهندي واختلط
الدين الهندو بالاديان الاخرى حتى صار عباد سيوا يتوجهون الى جبل ادم في سيلان
من اجل عبادة وزيارة اثر قدم الالهة والبودهيست يؤدون رسوم الاحترام لهذا
الاثر ويزورونه ويسجدون له بصفة انه اثر قدم جوتما بودها والمسلمون يعرفون
هذا الاثر في صفة انه اثر قدم ادم ابو البشر فكان هذا منوال زيارات المسلمين
والهنود واسفارهم التي يؤدون فيها رسوم الاحترام والتبجيل الى هذا الشيء المقدس
عندهم ودخل في الدين الهندي ايضا عدة هيئات من السنن والفرايض وشعاير من خرافات
الامم القديمة الهندية مثل عبادة الثعابين والتنين وعبادة التماسيح وعواد التناسل
والفيتيش اي الاصنام والاشجار والى اخره ووجدت عبادة عواد التناسل لتفرقها
جيدا واسعا عند السيويين اي اصحاب سيوا وكان معبودها هو المعبد والفالي
واما الفيتيش او الصنم اله العزلة او البيت فكان في صورة حجر غشيم غير منحوت يعرف
باسم سلجرامة او شجرة او نبات كل هذه كانت اشارات معبودات الوشنويين اي اصحاب
وشنو وما كانت شعاير عباداتهم في قليل من الاحوال عبارة عن شعاير الحجيين المنزربين
فيما سكان الهند الا قليلا بواسطة دخول الطوائف الواطية فيها
ولنشرح الان وصف الالهة الكبيرة الهندية الجاري عبادتها عند الهنود فنقول ان براهما

وصف الالهة الهندية براهم

الخالق كانت صورته في هيئة رجل احمر اللون له اربعة رؤس ومتزر بلباس ابيض وراكب
فوق ظهر اوزة وامراته سرسوطي معبودة الحكمة والمعرفة في صورة امراة شابة

بيضا لها اربعة اذرعة قابضة فى واحدة من ايديها اليمنى زهرة تهديها الى براهمة وفى
اليد اليمنى الاخرى كتاب من ورق النخل وفى واحدة من ايديها اليسرى عقد من اللؤلؤ ونزل
فى الهند بربطه باسم اوم وتعبد فى كل سنة مرة واحدة فى نفس الشهر الذى يعبد فيه براهم
ويكل من كان فى قلبه ذرة من العلم ويكون فى هذه العبادة الاقلام والمداد والورق والكتب
ولا دخل للنساء فى هذا الموسم   واما وشنو فانه كان يعبد بالوشنويين الداخلين فى وشنو
عقايده لهيئة لفارل عبارة براهم او زيارة عنها وملقب بالحافظ والتطهير وغيره
من الاحزان والاكدار والالام ويوجد فى البرنات او الروايات القديمة اوصاف طرالحية
تختص بالالهة الاخرى فى خضوعها لوشنو العالم بكل شئ والقادر على كل شئ وفى التصاوير
المصور بها وشنو مصور فى صورة رجل اسود اللون له اربعة اذرعة قابض فى احد
ايديه بنوت وفى الثانية صدفة او فوقعة وفى الثالثة حلقة وفى الرابعة لوفرة
وراكب فوق طير اسمه الجارود ووصف بعض الكتاب كل من الدين الوشنوى والدين
الشيوى فقال انه دين توحيد اى يقول باله واحد لا بالهة متعددة ولا يقولون
اصحاب هذان الدينان بالمثل او الثالوث الثلاثى لبراهم ووشنو وسيوا فى معبودهم
القائمون على عبادته الا انه ارتاب فى كثير من الوشنويين فى اعتقادهم بالقول بالتوحيد
وزيادة ما عندهم من كثرة الالهة التى لا يعرفون ماهى ومن اراء اكابر العلماء من الهنود
انهم يقولون ان الدين الوشنوى هو الدين الحقيقى للامة الهندية وفيه مواصلة كبيرة
مع الديانة النصرانية على اى رأى اخرليس نطرانى واقوال هذا الدين موجهة نحو اله
معبود واحد ميله موجه نحو زوال ما يحصل من الضرر والاذى لبنى الانسان ووهب
المنافع فى اشغال الانسان بواسطة نزوله فى الارض وتجسده فى صورة ووشنو كما هو
معدود لوشنو فى البرنات ثمانية وعشرون صورة جسدية وتسلسل وجود هذه الصور
فى هيئة اجسام بشرية تولدت من ولادته من والدين ارضيين من عنصر جوهرى من الالهة
وليس لهذه الصور دخل فى جسم الاله نفسه لان جسم الاله ما زال باقيا ما دون تغيير
ولا تبديل وعدوا من ضمن هذه التجسدات الحوت الذى تجسد وشنو فى صورته من
اجل خلاص مانو (نوح) ابو البشر من الطوفان العام واستخلص مانو على معروف
ورضا وشنو ومن رافة وشفقة عليه انذره بمجئ الطوفان وامره بصناعة الفلك
او السفينة وان يدخل فيها سبعة من الشيوخ وبذر كل شئ مماله روح ولما جاء الطوفان
تجسد وشنو فى صورة الحوت وجر السفينة بحبل ربطه فى قرن فى راسه الى ان وصل
بها الى جبل عالى وحفظها فيه حتى نزل الطوفان وتجسد ايضا فى صورة سلحفاة و
خلوف واسد ورجل بشع المنظر وفى صورة راما وقد صرفنا النظر عن حكايات هذه راما
الصور هنا   واما راما   او راما شندره او راما الذى يشبه القمر فاننا ذكرناه
فيما سبق فى الرامايانات وهى القصايد والسجعات التى هو اصل اختراعها وكل
رجل وامراه وطفل فى الهند ومن المحتمل انه لا يوجد فى ذلك استنت مشغوفة بتعلق
بكتب المشروعات الجليلة التى اجراها راما فى خلاص زوجته سيطا من محل اسرها
التى كانت فيه فى جزيرة سيلان عند ملكها راونه ولا يوجد عالم ولا جاهل الا وعنده
دراية تامة بان سيطا كانت امراة راما ومن كشمير الى حد راس كومرين فى اقصى
جنوب الهند يوجد اسم راما على شفايف كل واحد من الهنود فى الهند وله احترام
كبير وذكر جميل فى كافة المذاهب والعقايد ويظهرون احترامهم له فى كل حالة من الاحوال
فمثلا اذا تقابل صاحبان مع بعضهما فيسلمان على بعضهما بذكر لفظ راما وهذا الاسم
شايع على عموم الاولاد فى التسمية ولا يوجد اسم اكثر اغاثة له فى حالة الجنازات
او فى حالة الموت وساعة الاراما وهو ملقب وصل فى كافة المشهورين من الناس
والطوايف والمذاهب الا ان كريشنه الملقب بالحافظ كان ايضا اكثر شهرة ومعزة
ومقبولا فى كافة تجسدات وشنو وكان يظهر فى كامل هيئته الجوهرية وكان على
الخصوص اله او معبود الطوايف الواطية وكان العوبة بين رعيان المواشى والفلاحين
وقيل فيه حكايات وقصص غريبة الا انه يظهر من تاريخ كريشنه العلمى واعماله بالهند
انه كان مثاله مثل راما فى صورة رجل شجاع وقال احد الكتاب انه كان رجلا قوى
البأس فى قبيلة يدوا راجابوت فى الهند الوسطى شرقى نهر جوقنا واما راما فكان
اصله ابن ملك اودهه ثم كانت هذه اثار عبادة الالهة ممزوج بالكثير من الخرافات

المخلوقات البشرية للمبالغة فى علو وتاليه السجيان من الناس ثم انه لا غرابة فى كوننا
وجدنا جوتما بوذها يرضى فى نفسه ان يكون واحدا من تجسدات وشنو وكانت عقايد البراهمة
فى ذلك انه قالوا ان وشنو من اجل رأفته وشفقته على الحيوانات نزل فى صورة جوتما بوذها
من اجل الغاء وابطال القربانات الدموية الجارى تقريبها من طرف المتمسكين بالعقايد البراهمية
وقيل ان البراهمانيين قبلوا ان يكون واحد مثل جوتما بوذها له تاثير وسلطة ونفوذ على
المخلوقات احكامه تجسيم صورته فى صورة اله من الالهة لان تاثير عقايده كان مضادا لعقايدهم
وقالوا انه ربما اضل اعداء الالهة وحطم عقايدهم حتى ضعفت العقايد البراهمانية على التدريج مع
عقول الناس حتى صاروا وصيرة سهلة القبض عليه وما اكتفى الوشنويون بالتجسدات
التى اظهروها حتى قالوا ان وشنو ينزل فى المستقبل فى صورة تجسم كالكى ويكون ظهوره
فى اخر الزمن عندما يبلغ الفساد فى الدنيا قاطبة فيرى فى الجو جالسا فوق حصان ابيض
شاهرا سيفه من اجل دمار الفساد والمفسدين وتطهير الدنيا من الفساد وما ادخلنا ياجانات
من ضمن تجسدات وشنو بسبب انه كان يظهر فى الصورة الاصلية لنفس وشنو لا فى تجسيم
وبسبب انه كان الاله الاصلى للقبايل القديمة حسب ما هو مذكور فى الدين الهندى وكان
[illegible] يته صاحب المذهب تجسد اخر لوشنو حسب المشهور ولو ان حياته كانت فى العصر
الاخير وكانت لكشمى امراة وشنو معبودة فى صفة الهة الحب والجمال والنجاح وكانت
زوجتها فى صورة براقة طالعة بلون ذهبى واقفة على لوفرة ولها ذراعان معنا ران
واما سيوا الملقب بالزمر فانه فى هيئة مقطب الوجه غضبان معبوس كانه طالب الانتقام
والاخذ بالثار الا انه ما زال كان مرعيا انه اله المحن وبما ان الموت عندهم حالة انتقال
الى هيئة حياة اخرى جديدة فكان سيو هو المميت والمحيى ومعنى اسم الابيض او
السعيد واسم فى الودا رودرا او الغضوب وظهر سيوا فى الرامايانات بصفة انه
زوج اوم ابنة داكش وكانت اوم هذه تعرف ايضا باسم بروطى ودورجا
وكالى وقيل انه حصلت مشاحنة بين سيو وداكشا ابو زوجته فاهلكت اوم
نفسها فى هذه المشاحنة فى لهب النيران ثم ولدت مرة ثانية وسميت بروطى ومن
هذا الوقت تنسك سيوا وعاش مع بروطى فى جبال حماليا مجتهدا وعاكفا على
قهر الشياطين وكان يظهر احيانا مع بروطى لافا حول رقبته السوداء ثعبانا وقلادة
من الجماجم وشئ كثير من الرموز والاشارات مثل ثور ابيض كان يركب عليه وجلد نمر
وحصان جرى وكان له ثلاثة عيون واحدة فى وسط جبهته ورايت فى سيلان المتمسكين
بعبادة سيوا يضعون دايرة بيضا فى وسط جبهتهم واخبرونى ان سيوا كانت له عين
مثل هذه الدايرة فى وسط جبهته وهى عين الحكمة ويجب ان اسم كان المهاديوا اى الاله
الاكبر وكان يرى فى صورة رجل ناسك متلبد الشعر متكئا على الفكر وخلق النظام و
وقاطنا فى اورمان وقيل ان سيوا وقعت بينه وبين براهم فتنة فقطع الراس
الخامسة من رؤس براهم بضربة واحدة ضربها له هذا المدمر ولاجل خلاصه من تبعة
هذا الخالق للجبار هرب سيوا الى بنارس وتطهر من الذنب والجريمة والتعلق من
راس براهم وكان ذلك هو السبب الخصوصى فى صيرورة هذه المدينة مقدسة وبسبب
ان سيوا كان ظهيرا للثور كشبه ركوبه له صار عند الهنود عادة فى قيام شعاير
الحفاية انهم يعتقوا ثورا مهما كانت هيئته ومهما كان عندهم من الطاقة فى عتق
الثوار ولهذا الثور صفة مقدسة انه لا يجبا سراحه على اذاه او ضرره مثل عجل العذب
او عجل السيد فى مصر وهذه من ذلك واحيانا يعتقون سبعة اثوار اعتقادا فى
التقرب الى سيوا كما تذبح المصريين مواشى واغنام فى موالد الاوليا خصوصا فى مولد
السيد البدوى ويعتقدون التقرب بها الى السيد البدوى وللعاقل نظر فى العقلة واقول
انه بذلك صارت لحوم الاثوار والابقار محرمة على الهنود السيويين لحد الان لحوم
وشحوم وهى مقدسة بالعقل عندهم من اجل خاطر ثور سيوا ومثل ذلك حيث
انه كان ناسكا وكان اصحابه يتمثلون به فى الزهد والنسك والتقشف فى المعيشة
وكانت هذه الحالة كثيرة الوقوع فى الازمان الاولية زيادة عن ايامنا هذه الحاضرة
بسبب ان الحكومة الانكليزية اضعفت هذا الامر واصبح الكثير من الناس عما مثل
هذا العذاب والنسك والصبر على الجوع والزهد وخشونة المعيشة وكان الكثير من عباد

سيوا في المدة السابقة يدخلون كلاليب من الحديد في ظهورهم او يقذفون بانفسهم من محلات
عالية على حد سكاكين حادة او سيوف او يدخلون قضبانا من الحديد في لحم افخاذهم مثل افعال
الرفاعية في مصر واقول ان الشيخ الرفاعي رحمه الله يكون اتخذ هذه الافعال من الهنود وجعلها
في مذهبه وعقيدته وجرى عليها اصحابه وبعضهم يجعلون ايديهم وارجلهم ممدودة في
وضع واحد مدة سنين حتى تطول اظافرهم وعيونهم موجهة نحو الشمس على الدوام وما
زال يوجد الوف في الهند بهذه المثابة والسيوبوت عاكفون في عباداتهم على المكرات
ويعتقدون ان ذلك من نوع الابتهاج والسرور لالوله واما زوجته فانها كانت على موجبا
عظيما في صفة اوم وبروطي واما في صفة دورجة فانها باسلة ذات بأس وقوة
بوجه مقطب وهيئة بشعة عنيفة وتظهر بهذه الصفة في عدة تجسمات او تجسدات وهي
معبودة عند الهنود ولقبت باسم دورجه بسبب انها بحثت شيطانا اسمه دورجه وهذه
الحكاية من الخرافات والمبالغات في حق امرأة سيوا ومع ما هي عليه من بأسها وعبوسها
فانه يظهر من هيئتها انها عاقلة بوجه جميل ذهبية اللون ولها عشرة اذرعة قابضة في
كل يد آلة من آلات الحرب وهذه الهيئات المختلفة موجودة ايضا في كالي (المرأة السودا)
ويحتمل ان كالي هذه كانت معبودة في قبيلة من القبائل الهندية وحصل لها النصر على
الشياطين وشربت من دماهم بما عدة شنقري وهي صورة اخرى الى كالي ومن تمثال
فامت شعاير احد المواسم في نواحي بنغاله بصفات من صفاتها وكانوا يقربون في هذا
الموسم قربان من النوع البشري وضحايا من الحيوانات الكثيرة الى كالي ومن مضي الف
سنة كانت قربان البشر مقبولة عند كالي فكان عبادها من اجل سرور وابتهاج
معبودتهم يقطعون قطعا من لحوم اجسامهم ويحرقونها في طلب رضاها وما زال قبايل
الهنود المطلوق عليهم اسم كالي او دورجه او طاره في خشوع وعبادة لها لحد الان
وكان جانيزه الابن الكبير لسيوا من بروطي اله الحزم والفطنة وراسه رأس
فيل وكان اله البلاغة من اهل بنغاله وله خرطوم وناب واربعة ايدي وكرتكيا
الابن الاصغر لسيوا من بروطي ايضا اله الحرب واسمه في الهند الجنوبية سرمانيه
وكان له احترام فائق لكبار الهة الهنود جنجا (نهر) او الكنج ومولده وافعاله مطبب
خرافات منقولة ملفقة ويعتقدون انما هو من الطاقة الكافية لغفران الذنوب
والاثام ومحوها وزوال الموبقات والكبار من الجسم البشري في الماضي والحال والاستقبال
ويوجد على شاطئ هذا النهر ميدان مقدس مخصوص في جزيرة صغاره وهي ملتقى
النهر بالاوقيانوس الهندي تذهب اليه الهنود افواجا واسرابا في كل شهر يناير
للاغتسال والاستحمام فيه والانشراح في علو هامياهم ويقصدون في عباداتهم عبادة
هذا الخط الطويل من صنف الالهة وله قسس مخصوصة يقيمون للزايرين صور وتماثيل
هذا الاله ويأخذون منهم رسوم وهدايا لان معلومة ومع ما سردناه هنا من ذكر
الالهة الكبيرة الهندية فانه يوجد ايضا كثير من الالهة الهندية في الدور ومنازل
السكن حتى بلغ احصا هذه الالهة ثلاثماية وثلاثون مليونا من الالهة وفي الواقع
فان الالهة المنزلية والشياطين وجدت لها ميادين عبادة واسعة في الهند والصين
وتسلطنت عبادتها في تلك الجهات وكان يوجد في كل قرية صغير او محافظ مخصوص
ملقب بالام ولها زوج مشترك معها في المحافظة والام هي المعبودة الكبيرة ويعتقدون
انها تستجيب الدعا وتقبل النذور والهدايا وان حصل ادنى اهمال في ذلك غاضبت
عبادها واحلت بهم المصايب والافات وكان عند الكثير من الناس الهة مخصوصة
يعتقدون فيها المحافظة على انفسهم من البلايا والافات ودهية ولادة الاولاد وكان
وكان يوجد ايضا كثيرة مشهورة في صفة الهة ومثل هذه الاشباح والاشباه معتقد
فيها ان لها قوى وتاثيرات طبيعية سرية كامنة فيها وفيها قوى سحرية كانت سببا
في عبادتها وقال بعضهم انه درجة علو اعتقاد الهنود خصوصا اعتقاد اهل القرى
هو الخوف والفزع من الارواح الشيطانية وانها السبب الاصلي في حصول كافة المضار
والافات ولها اوقات ومواعيد في الدمار والخراب وهذه الشياطين اجسام مادية
قوية في وقوع الفتنة زيادة على الناس وفي طوائفها اجناس مختلفة الصور وفيها

وفيها القدرة الكافية في كونها تتصور في اي صورة شاءت واي هيئة كانت وتجري في
الجو الى الحاجة اختارت ومن هذه الطوايف طوايف الشياطين الذين خلقوا مع ابتدا
خلق الدنيا ويعرفون باسم الاسوريانيين والذين خلقتهم الالهة من بعد ذلك ولا يمكننا
هنا سرد طوايف هولاء الشياطين الان نقول ان غالب الشياطين معتقد فيها انها
على العموم مخلوقات من البشر بحيث ارواحهم الشيطانية حية في صورة اشباح وروحانيات
من الشياطين من بعد انقراضهم وان كافة الافات والجرايم والمصايب والفتن متولدة
على الخصوص من ابالسة مخصوصة لهم حاجة في الاطعمة وعلى الخصوص دما الحيوانات
الحية وان الكثبان والاعمدة المصنوعة من الطوب هي مزارات لهم وعندها يعبدونها و
يقدمون الطعمة وافرة ويقرؤن عزايم وتعويذات ويقيمون شعاير عبادة كبيرة ويوجد
في كل قرية شياطينها القايمة فيها المخصوصون بها ولو سردنا مثل هذه الحكايات لاقتضت
لها ميادين صحف مجلدات من الكتب واما في الجهة الجنوبية من الهند فان لهم اعتقاد في
الرقص والمغاني وضرب آلات الطرب لو انتشر الطاعون او الوبا في اي جهة من الجهات
وهذه العادة موجودة ايضا في الديار المصرية وينتخبون لهذا المخصوص بعض من الاشخاص
ينقشون وجوههم بنوع دهان ويلبسون براقع قبيحة الصورة وملابس خيالية و
يسلحون انفسهم باسلحة غريبة ويشرعون في انواع رقص ثقيل الهيئة يقصدون به
طرد ارواح الشياطين او ارغام تلك الشياطين على خروجها من ابدان الناس المتلبسة
بها كما في حالة الزار في مصر وهي اصل ومستخرج من هذه وانه تخرج هذه الشياطين
وتدخل في ابدان الذين يرقصون ثم يهيجونه في بعضهم ويصرخونه ويضربون الطبول
وينفخون في الابواق وفي القوقع والقرون ويضربون الاجراس والنواقيس ومن ثم الرقص
قعدوا وغرقوا في بحر الغيبوبة واعتقدوا ان الالهة اجابت ما طلبوه ومنحتهم اياه
وخلصوا ما اصابهم من الطاعون وكثير من مثل هذه الاحتفالات والشعاير العجيبة
كانت جارية في الابتداء مع هذه العبادة الشيطانية في البلاد الهندية وكانت متسلطنة
عملا وعملا بين الاجناس والامم المتبربرة الهمجية الهندية وما زالت عبادة الحيوانات
من البقر والثعابين والقرود والى اخره وعبادة الاحجار والاشجار التي كانت موجودة
في قديم الزمان موجودة عند الكثير من الطوايف الهندية لحد الان وجميعها ماخوذه
من طريق تقديس الحياة وتطهيرها والقول بتناسخ الارواح البشرية ودخولها في
اجسام الحيوانات من بعد خروجها من البدن التي كانت حالة فيه وكذا يظهر ان عبادة الكبر
من الناس معروسة غرسا قويا في عقول الهنود زيادة عن غرسها في عقول الصينيين
وعبدوا الكثير من الروسا والخطبا والاساتذة والاوليا وجعلوهم الهة وادعوهم
انهم تجسدات وشنو وسيوا وكذا عبدوا اهل الفطنة والعقل والحزم من الناس مما
بعد موتهم وجعلوا لهم مزارات في محال مخصوصة عرفت بهم ثم ان ما ذكرناه هنا كاف
في تقرير ان الهنود كانوا اشهر موحدين باي حالة كانت في عباداتهم القوى المؤثرة العالية
من عموم الصور والهيئات التي يعرفونها ولنذكر الان عبادة الهنود على حسب الدين
الهندو الاخير فنقول

الدين الهندو الاخير او الجديد

انه عند ما شرحنا الاعمال الدينية الهندية والعبادة التي كان عليها الهنود وجدنا عدة اجتماعات
او جماعات متباينة كثيرا في الشعاير الدينية والعوايد الداخلية وكلها مغايرة بعضها بعضا
وعمومهم يزعم ويدعي ادعاءات واحدة في ان شعايرهم وعباداتهم داخلة في الدين الهندو
فمن ثم لا يوجد امامنا ميدان اوسع ارضا من ميدان هذه الديانة وذكر في تعداد النفوس
الحديث الذي حصل في بنغاله ان الدين الهندو ليس له مذهب ولا عقيدة ولا جنس
ولا له هيكل عبادة وان اهله ليسوا بامة معدودة انما هو لفظ مجردة عن الضبط
والاتفاق واصل فيها على التساوي والتعادل اهل الفرقة الودانية والطايفة العالية
البراهمانية والطوايف الواطية الذين يعبدون عموم الالهة الهندية والطوايف نصف
المتبربرة من اصل السكان الهندية الذين لا يدرون شيا ويجهلون الخرافات الهندية و
اساطيرها ويعبدون حجارة الاحجار عند ما يحل بهم مرض او ضرر او تحل بهم نكبة

من نكبات الزمن وانه من وجود فرق كبير جدا فى هيئات العبادة الموجودة الان باقسام
وجهات مختلفة من الهند ووجود اختلافات كبيرة فى الجامعات الشخصية والداخلية على
حسب اختلاف الدرجات والجهات ووجود تغييرات كثيرة فى الازمان الاخيرة استحال علينا
بالكلية ان نشرح هذه العبادات والشعائر المختلفة الا فى حد محدود وفى شرح موجز
موفى بالمقصود وذلك ان عموم الامم الهندية فى اعتقاد ان عباداتهم مضى عليها اعوام
وازمان وعصور وما حصل فيها ادنى تغيير وعلى هذا الراى والاعتقاد وافقهم علماء
الاوروبا وبين الازالة فى حالة ما كان الدين الهندى باقيا على طبيعته وحالته الاصلية
تغيرت فيه العبادات واختلفت فيه الاراء ودخلت عوج فى الدين الهندو كما وان الحكيم
او العيد الكبير الجارى اقامة شعائره الى عرنة باجانات (اله الكون) ما هو الا عبارة
عن تعديل او اصلاح فى عيد بورهيستى ومن ثم يمكن تقدير الحجة ادلة وبراهين يستدل
منها على حصول تغييرات وقعت فى الدين الهندى وانا لو تأملنا ما نحن تحت فيه الحال
امة اهل دين الثراث عما واعتدادا من الامة الهندية قال بعض الكتاب ان
حالة العيشة المعتادة عند الهندو وهى وصف ديانتهم وشرح حالتهم فانه من قبل الولادة
الى مفارقة الحياة مجتمعة حالة الامة الهندية فى احتفالات ورسوم وعوائد تقام فى
اوقات معلومة اغلبها مستنبطة من علم الروح (قال ارسطاطيس ان علم الروح هو
العلم الذى يبحث فيه على ان الروح اصل حياة البدن ونموه وزعزعه) والسحر والتنجيم
والكهانة وما يماثل ذلك من الاعتقادات القديمة مثلا انه قبل ولادة الطفل تمنع
امه من انها لا تلبس ملبوسا زرقت عليه الطيور وان تكون على الدوام رابطة حزامها
معقودة حول خصرها وان لا تمشى ولا تجلس فى حوش البيت لكى تكون محافظة على
نفسها من الارواح الشيطانية وتلف على رقبتها حجاب او تعويذة فيها ازهار مقدسة
من ازهار الالهة له باباتا كورو وان تشرب كل يوم نقط قليلة من الماء بعد غمس
هذه التعويذة فيها وان تسمية المولود عندهم من الاحتفالات الكبيرة يدخلها اداء
الشكر للمنعم الذى انعم بهذا المولود مع اهل نام وعطايا رحمة لاجداده وينتخب له اسم
من اسماء الالهة او القديسين الذين تألهوا مع اسم اخر ينتخبه له المنجم بحسب هذا
المنجم طالع المولود ويوجد لكل بيت ولو فقيرا عائلة قسيسية ما عدا اذا كان رب البيت
اى صاحبه براهميا فهذا القسيس يقيم شعائر خدمة العبادة فى المنزل المرتب فيه مرتاه
فى كل يوم فى G موجود فيها صنم اهل البيت ويوجد مقابل باب البيت مسطبة من
اجل تلقى التماثيل المصنوعة فى شأن المحافل والاعياد والمواسم السنوية ومن وظيفة
القسيس انه يغسل الصنم ويدهنه بالروايح العطرية ويقرأ عزيمة وتقدم عائلة البيت
له فواكه وثمار وازهار واحيانا لا تكون العائلة حاضرة بتمامها فى هذا الموسم
فيجرى القسيس هذه الشعائر بمفرده مع من حضر اذ ان وجوده لا بد منه وهذه
التقدمات زيادة على اجرته وتنفق على العائلة بعائلته ايضا او عائلتان ولا شك
فى وجود هذه الشعائر فى كافة المواسم فى الدور والمنازل واما الجورو او معلم

الجورو او معلم الديانة

الديانة فانه ممتاز فى وظيفته ومن وظائفه تعليم اصول العقائد الديانية الهندية
اسرارها لا يقيم فى منزل احد من تلامذته ويعتقد الهندو انهم اذا اغضبوا الالهة اهون
عليهم مما اذا اغضبوا معلمهم لانهم لو اغضبوا الالهة وجدوا معلمهم واسطة بينهم
وبين الالهة فى الرضا والعفو عنهم لكنهم لو اغضبوا المعلم فلا توجد واسطة بينهم
وبين معلمهم فى رضاه عليهم ويتولد عليهم من غضب المعلم وسخطه عليهم عواقب غير
محمودة وتحل بهم الرزالة والمهانة ويزور المعلم تلامذته فى كل سنة مرة واحدة ما لم
يكن محتاجا فيقور ويقابلوه فى اثناء زيارته لهم باجل الاحترامات وعظيم الترحاب
واما الهندو المتمذهبون فانهم يصفون المعلمين بكثرة الطمع ويستزلونهم و
يحطون بمقامهم ويقولون انهم اهل فجور وموبقات واجل ما مرة الجورو مع تلامذته
طلبه سجادة جديدة ومفروشات جديدة وهدايا كثيرة ويلقى اليهم بعض من العقايد الدينية
وكل طفل عمره ثمانى سنوات واحيانا اكثر وذلك من اولاد الهندو يأخذ من معلم
وهذا المعلم يلزم ان يكون براهميا كتاب مقدس او منظومة يسمى نسخة القواعد
الابتدائية او كتاب البذرة الاولية يتعلم فيها الصبى بمفرده عبادة الاله الذى يختاره له

المعلم وهذه النسخة معمولة باسم الاله وكل نسخة من النسخ التى توزع على الصبيان مختلفة
فى العبارة عن الاخرى ويقرأها الصبى فى السر مائة مرة وثمانية مرات فى كل يوم وبعد المرار
[illegible] معه ومن قبل تلقيها من المعلم يصوم الصبى ويغتسل ويلبس ملابس طاهرة واما
كان من طوائف الشوا مين اى براهمانيا او كشطريا من المقاتلة او ويشيا اى من طائفة
المزارعين فانه يلف حول رقبته الخيط المقدس المختارة به طوائف الشوا مين وهذه اول
مرة له واتصال علاقات المحبة بين التلميذ ومعلمه مستمرة ما داما على قيد الحياة ثم ان الجنس
الموجود والحال هذه من المعلمين ارباب ارتكابات وموبقات واجهل الناس قاطبة واما
الكاهن او المنجم فانه من الضروريات لاشغال البيت فلا يشرع احد من اهل البيت فى
شغل ولا يبتدئ فى عمل او شغل من دون استشارته واخذ افكاره واقواله وهو الذى يعين
[illegible] اعياد افراح الزواج واقامة الشعائر الدينية واشياء اخرى مخصوصة فى الزمن الموافق
الذى يخبر به ثم ان القواعد الكبيرة المبنى عليها العبادة الهندية مقصورة فى اولا

قواعد العبادة الهندية

الشفاعة ثانيا اشتغال الفضيلة والواجب ثالثا مشترى المعروف والبركة والولاية وعدم
حصول غضب الالهة بواسطة هدايا او قربان ولا ريب ان منتهى الهنود يبغون شرهم
الحصول على ما يقربهم الى الخالق الاعلى وهذه الحالة مزعومة فقط عند النساك من البراهمين
واما الباقون من الذين ليسوا براهميين فانهم يعتقدون بواسطة اعمالهم الدينية انهم
سيولدوا فى الحياة القابلة فى صفة طوائف عالية حتى يصلوا الى نعيم الدين البراهمانى
وقد ذكرنا فيما سلف ما هو عليه البراهمانيون من الفرائض المرعية فى الكتب المقدسة عندهم
وكثرة عددها والاشتغال بها وهم مخصصون لانفسهم ساعتان فى وقت الصبح وساعتان
فى وقت الـ... وساعة فى منتصف النهار وفى هذه الساعات يشتغلون بالعبادة شغلا
تاما واما الزهاد فانه عندهم اوقات خصوصا لتلك العبادة واما المشتغلون بالاشغال
من البراهميين فانه يشق عليهم ذلك ومن ثم يتوبون عنهم نوابا من القسس ومن قبل ان
يدخلوا فى اى هيئة او عمل من هيئات العبادة يغتسلون ويتوضؤن وضوءا تاما بشروط
وادعية مخصوصة ثم يشرعون فى عبادة الشمس بالنيابة عن براهما ووشنو وسيوا
وبعد ذلك يقرؤن النسخة المعروفة عندهم بالجاياطرى وتكرر قراءتها ثلاث مرات وتفصل
المرة الواحدة عن الاخرى باخذ النفس لحظة من الزمن وفى اثناء قراءة هذه النسخة يجرون
ويقولون اوم (معبودة فى الودا) ارض جو سماء نتوجه فى عبادتنا الى الشمس
والضوء اللامع المستحق العبادة المولد للحياة الحاكم على لبنا وفكرنا والتى الى الجلالة
والشفاعة والعتق هى القوى المؤثرة فى افكاره براهما ارض جو سماء فمن
اجل هذا كان ضوء الشمس هو الماخوذ وحدة لكافة القوى النورانية وقال احد
الشراح من الوطنيين انه يلزم ان تكون الشمس معبودة عند الذين يخافون عواقب الولادة
وانواع الموت ويرغبون فى اجتهادهم الوصول الى طوبى ويلزم ان تكون هذه الادعية
مسبوقة بتكرار اسماء الدنيات السبع وهى اولا هذه الدنيا وثانيا دنيا غيبوبة
الموت من بعد قضاء العمر الحالى وثالثا جنة الصالحين او دنيا الصالحين ورابعا الدنيا
الوسطانية وخامسا الدنيا التى تولد فيها عموم الحيوانات التى فنيت عند انقضاء كل اجل
وسادسا الدنيا التى فيها مقام اولاد براهما وسابعا مقام براهما الاعلى واما
تكون لفظة اوم مكررة قبل هذه الالفاظ ومن بعدها ويتبع ذلك عدة احتفالات
ويعرفون ان قلوبهم تنظفت من الجرائم والاثام باستنشاق قليل من الماء فى احد المنخرين
وخروجه من المنخر الاخر واحد الادعية او الصلاة هو اغفر لى ذنبى وجريمتى التى

دعا مروج

جنيتها على نفسى فى الليل من فكر او قول او عمل وما جنيته على نفسى فى النهار سرا او علانية
من جريمة من فكر او قول او عمل ثم انه من قبل قراءة الودا التى يعقبها تقدمات
من الحبوب وغيرها المصنوعة للالهة يلزم دعوة الالهة اليها حتى يكونوا حاضرين فى
مدة قراءة الودا ثم يقدموا تقدمات من الاطعمة الى يا كا وارواح الاجداد الكبيرة وكجنس
البشرى ثم لارواح اجداد براهمة ولكافة الناس يقصدون بذلك النجاة والعتق من شر
عذاب نار جهنم وزيادة الاجر والثواب فى الجنة وما بعد انقضا هذه الرسوم وما قبل
ان يضع البراهمى اول لقمة فى فمه يقدم لقمة من طعامه للالهة والجدود ولكافة المخلوقات
ويعد ان ذلك من الواجبات عليه فى كونه يطعم ضيفه من قبل ان يطعم نفسه ثم يلزمه ان

ان يغسل يديه ورجليه ثم يشرب من بعد ذلك الماء وعندما يجيئ اليه بطعام يقول ان الله
رزقني اياك وعند تمام طعامه يقول مرجوعك الى الارض وتنلقاك ولا يأكل الاكل بعد
ان يمرر يده حول الصحفة لينصلح من صحاف باقي الجمعية ويقدم خمس لقمات الى يأتا
وخمس لقمات الى نسيم الحياة ويندي عينيه بالماء ويضيف الى هذه الرسوم التي هي هنا
خصوصية رسوم اخرى تختص بالمذهب التابع اليه الشخص الواحد واخرون ينتظرون قبل
طعامهم حضور جيوعهم لانه براهمه يكونه حاضرا في كل ضيافة الا انه يلزم ان اقول انا
كافة جماهير الهندو ليس عندهم مثل هذه الرسوم كل يوم وفي الواقع فان مذاهب كاظم
ومعظم عناصر المذاهب الاخرى يوجد عندها احتفالات كبيرة كل يوم جميعها متماثلة
على تصورات واحدة من طهارة الجسم والتجنب من غضب الاشباح او الجدود وتقديم القربان
الى الالهة الكبيرة من الذكور والاناث وقراءة قرائنهم كما هو مذكور في البرهنه او الاحاديث
والروايات القديمة وغالب الهندو يغسلون كل يوم ويرفعون ايديهم ويسجدون الشمس
عند شروقها وعند البياعين وارباب الدكاكين تمثال جانيشه موجود في دكاكينهم يحرقون
امامه بعض روايح عطرية من البخور في وقت الصباح وكذا عند الوشنويون صورة او
عدة صور من الالهه خصوصا تمثال سالجرامه وهي محفوظة عندهم كانها موجودة على قيد
الحياة يغسلونها في مدة فصل الحر ويعبدونها كل يوم ويقربون لها القربان اللازمة ويقرأ
اسم الالهة عدة مرات في اليوم الواحد واما في الايام التي لا تكون موافقة لعمل اقامة
شعاير كبيرة وهيئات جامعة فانه الهندو الواحد يكتفي بقراءة النسخة التي اعطاها له
الجورو او المعلم عدة مرات في اليوم الواحد
واما الهياكل والمعابد العمومية فانها تشتمل على كافة الاحتفالات الدينية للامة الهندية
ابوانه لا يلزم ان يتصور من ذلك ان هيكلهم على منوال متسع لانها لم تكن على العموم محلات
اجتماع جم غفير من الناس وان سعة المعبد الواحد لا تزيد عن عشرة او اثني عشرة ذراعا
مسطحا وهي ابنية صغيرة بسيطة في عهدة بعض القسس اي ان كل معبد في عهدة واحد
قسيس محافظ على الصنم الموجود في المعبد ويعتقدون فيه انه محل مقام الالهة ويتقبل
هذا القسيس التقدمات من العباد الذين يدخلون في المعبد واحد بعد واحد ويسجدون
امام الصنم وكثير من هذه المعابد مبني بمصاريف موزعة على ناس من الهندو وبعضها
مبنية من طرف الحكام وبعضها من طرف اهل الخير والاحسان رغبة في صعاد [?] لاحسانهم
فيه نهم ولو كانه لهم رغبة في تقديم خيرات كبيرة فانهم لم يبنوا معبدا كبيرا وتوجد معابد
صغيرة تختلف مقدارها من سبعة الى احد وعشرون او ازيد من ذلك غير مسقفة كما وان
المعابد القديمة التي من هذا النوع متروكة مدمرة خاوية على عروشها ليس لها من يصلحها او
يرممها وان ناس هذا العصر لا يرغبوا ان يضيفوا احسنة من الحسنات الى حسنات الناس
الاخرين الذين شيدوا هذه المعابد المرمرة من مصاريف انفسهم وقدموا اجراهم على ربنا
وللمعبد في العادة بناء خارج عنه محيط بطرفه من الاعمدة او مثابة وهذا البناء مخصوص
لرفاهة وراحة الزوار الذين يأتون لزيارة المعبد من جهات بعيدة واما نفس المعبد فانه
يشتمل على جزئين اصليين ديوان والمزار الموجود فيه الصنم وذلك كان فقط لاقامة القسيس
واحدى الهيئات الجارية في المعبد هي دق او ضرب الجرس من اجل ايقاظ الاله وتوجيه
التفاته نحو عابده ثم يطوف العابد حول الصنم ويقدم ما معه من التقدمات ويسلمها للقسيس
ثم يسجد امام الصنم ويخرج من المعبد واما قسس هذه المعابد فهم جميعا براهمانيين
وهم الذين يؤدون فقط حق العبادة من دون ان يراهم احدا كما هي العادة الجارية
عندهم وخدمة القسيس في المعبد هي انه يغتسل في اول الامر ثم يدخل المعبد ويسجد امام
الصنم ثم يدهن التمثال بزبدة من السمن نقية او زيت مغلي ثم يصب عليه ماء صافي
ثم يجففه ثم يسحق مسحوقا ابيض ويمزجه او يعجنه بالماء ويغمس اطراف اصابعه الثلاثة القدمية
في هذا المعجون ويجرهم على التمثال ويضع على رأس نفس ازهار ثم فوق رأس التمثال
ثم ازهار اخرى على التمثال واخرى واخرى وفي كل مرة يقرأ عزايم مقدسة ويضع
مسحوق ابيض وازهار واوراق وبخور ولحوم وارز وموز وقناديل مضيئة امام
التمثال ويكرر اسم سيوا ويثني عليه وفي وقت غروب الشمس يسجد امام الصنم من بعد
ان يغسل يديه واقدامه ويضع قنديل امام الصنم مع تقدمات من اللبن والحلوى وقبل انه

وانه يعود من منزله في وقت الغروب ويغسل اقدامه ويسجد امام الباب ثم يفتح الباب ويضع
قنديل مع تقدمات من اللبن والحلوى والاثمار امام الصنم ويسجد له ثم يغلق الباب ويتوجه
الى لـ[?] سبيله هذا في معبد سيوا ومثل هذه تقريبا في معبد وشنو وذلك ان القسيس
يغتسل ثم يوقظ الاله النايم بكونه يضرب على صدفة او يدق جرس وفي نحو الظهر تقدم
تقدمات ونذور كثيرة زيادة عن الجاريه في معبد سيوا من فواكه وجذور مثل البطاطس
والقلقاس وحبوبا لا مقشورة وانواع حلوى والى اخره وفي قريب المساء ارز مسلوق و
انواع حابش [?] مقلية في السمن او في الزيت واصناف من البهارات الا انه لا توجد لحوم ولا
اسماك ولا دجاج وفي العصر يقدم تلقا الفوفل وورق التنبول ثم يترك الاله ينام ويغلق
الهيكل بعض ساعات وفي نحو الغروب يقدم لبن صافي وزبده وحلوى وفواكه وعند غروب
الشمس يعاد القنديل في الهيكل وتقدم تقدمات جديدة وتشعل الانوار امام الصنم ثم يدق
جرس صغير وتجلب الماء ويغسل فم الصنم ووجهه ويديه وتنشف بفوطة ومن بعد مضى بعض
دقايق يوقد القنديل والتقدمات والنذور ويترك الاله نايما في الظلام واما العبادة
في داخل الهيكل فهي ان يحضر او يجهز مقعد للاله ثم يأتي القسيس حضوره ويغسل الصنم ويلبس
ملابس حسنة ويلف حول رقبته خيط وتقدم له التقدمات من الازهار والروايح العطرية
وتقاد القناديل وتقدمات من الفواكه والاثمار واشيا اخرى من اصناف المأكولات
وتقا الفوفل وورق التنبول وتقام الصلاة والادعية والطواف حول الصنم وعند
ما يقدم واحد من العباد العوام تقدماته يطوف حول الصنم مرة او مرتان وما بقي عليه
من الشعاير يجريه القسيس بنفسه بالنيابة عنه وفي اثنا هذه العبادة تقرا النسخ
المقدسة وهي عبارة عن ادعية وهمهمة لانها بلسان السنسكريت وليس لها معنى مفهوم
ولا معلوم عند الهندو ولا شك ان عبارات هذه النسخ مختلفة على حسب اختلاف الالهة
او التجديد الذي يعين له العباد وخواص هذه العبادة كما ذكرنا معصورة في معاملة الصنم
واحترامه كانه مخلوق موجود على قيد الحياة والقسيس هو خادمه فيغسله ويلبسه و
يطعمه ويزينه ويرقده في فراشه كل ذلك مع غاية الاحترام والادب والاعتنا التام
وفي ذلك لا يمكنه لاي انسان يدخل في خدمة الصنم الا ما عليهم من جلب التقدمات
وهذه تكونه ملكا للقسيس لا يشاركه فيها انسان ولا شك انه في حالة ما يكون للالهة
شعاير يحتاج الامر فيها لتقريب قربان من الحيوانات فانه يوجد اشغال كبيرة في عملية
ذبح القربان ومن بعد تمام عملية الذبح تؤخذ اللحوم التي لا يحتاجها القسس لنفسهم
سوق بيع حاضر تباع فيه باثمان غالية بسبب انها مقدسة الصفة ثم ان انتظام حالة
العبادة اليومية الجارية في المعابد هي عبارة عن قسم من العيشة الدينية للهندو فضلا
عن ان الهندو الواحد موجه افكاره والتفاته على الخصوص الى المواسم والاعياد التي تقام
شعايرها في غالب اوقات السنة وان اغلب الالهة لها ايام مواسم خاصة بها مثل ايام
الموالد في مصر واخريين من الالهة يجري عبادتها علنا في ايام معلومات وان لا تكون
هذه الشعاير للاصنام والتماثيل الموجودة في الهياكل فقط بل ولكثير من اشخاص منازلهم
في صورة معابد عمومية لموسم ينعقد يوم او ايام يزوره الجم الغفير من الناس ومن
بعد تمام الاحتفالات المعلومة تقام شعاير السرور والحظوظ من رقص والعاب وضرب
الات طرب وحفلات وغير ذلك واحيانا تجتمع اهل قريتان او ثلاثة قرى في عمل مثل
هذه الاحتفالات وكل قرية تدفع ما يخصها في مصاريف هذا اللهو
واما الصور والتماثيل التي تعمل في هذه المواسم والاعياد فانه مقرر عملها على ناس من النجار
وهي عبارة عن حزم او اطنان من الغاب مربوطة ربطا محكما ومغطاة بقش وملطوسة
بطين ماخوذ من نهر مقدس مصور فيها صور الالهة ومن بعد صنعها مع الاتقان تجفف
في الشمس وتنقش وتلبس بملابس واحيانا تزخرف على حسب الطريقة المقررة في كتب
القوانين المقدسة وعندما تحمل الى محلات العبادة فتتقلد القسس باجراء ما يلزم من
رسوم الاحتفالات المعروفة عندهم بوهبة الحياة وفيها يدعون الاله الى الاقامة في التمثال
يوم او يومان او ثلاثة وحين ثم يصير التمثال مقدس ولا يمسه احد الا اذا كان براهميا
ولا يقرب منه احد الا اذا كان هنديا وتقام شعاير عبادة كاملة امام هذا

التمثال صباحًا ومساءً ومن بعد تمام احتفالات العبادة في اثناء مقام شعائر الافراح وفي اليوم الاخير يودّعون الاله ويثنون عليه في نظير ما فعله من الخير والمعروف في ارضنا على عباده ويلتمسون منه العود في السنة القابلة وعندما يسافر الاله ويترك التماثيل يعود التمثال طينا كما كان ويعمه كل انسان وعند غروب الشمس تحمل عموم هذه التماثيل الى شاطئ نهر او بركة باحتفالات اصوات الات الطرب ورقص النساء واشتعال الشعل والى ان يذهب بها الى وسط النهر او البركة وتلقى في الماء فيتحول التمثال الى طين يرسب في قاع النهر او البركة كما كان اصله ثم ان مقادير مذاهب العبادة الجارية عند الهنود دائرة بحسب ضرورة الحادثات من الاضطرار الى صلة من الهة اخرى غير الهتهم وبسبب ما كان لهم من القصد في تيسرهم الحصول على منافع ومصالح خاصة بهم ولا يمكننا هنا سرد او تدوين المواسم الكبيرة العمومية الى صلة في كافة شهور السنة الواحدة لانها مختلفة الاصناف والهيئة بحسب اختلاف المواضع والجهات وحاصل عددها كبيرا جدا ويوجد في عموم بنغاله مواسم عديدة تقام الى عربة ياجاناث ونظيرها مواسم كبيرة في مدينة برى مشحونة بتماثيل و اصنام ومواسم خصوصية الى ستي الحافظ المراقب على النساء في اثناء حملهن و المحافظ على الاطفال وفي اثناء اقامة شعائر كريشنه تحصل العاب في صورة معجزات وآيات كبيرة عجيبة تذكر فيها حوادث الالهة ووقايعهم وتوريها المشخصون للمتفرجين والزايرين وبمثل هذه واشياء اخرى وصل جهال طوايف الهنود الى افكار واعمال نيرة في تواريخ الهتهم زيادة عن كل امة موجودة فوق سطح المسكونة

واما موسم دورجا في بنغاله فانه مخصوص لاولاد دورجا سروطي امراة برهمة ولكشمي امراة وشنو وصورهم مصورة في هذا الموسم فاما دورجا فلها عشرة ايدي قابضة في كل يد على الة حربية دلالة على نصراتها ومظفراتها وفي هذا الموسم تقرب قربانات من الحيوانات واحيانا جواميس ولاهل بنغاله اعتنا تام في اقامة شعاير هذا الموسم حتى ان المزارعين واولادهم يتركون اشغالهم ويقيمون في منازلهم احتراما لهذا الموسم وهذا يسمى عندهم بعيد بنغاله وتقام شعايره في الشهر السادس من السنة في قسم من سبتمبر واوكتوبر ومن بعده موسم لكشمي وفيه يسهر الناس طول الليل في لعب الورق وغيره من الالعاب وانواع افراح وحظوظ اخرى لاعتقادهم ان المعبودة تمر في اثناء الليل على الناس المشتغلين بالسهر في الليل وتذورهم في مجالسهم ويوجد في الشهر التاسع احتفال قبيح الصورة يشهدون فيه دورجا في مناظرها البشعة القبيحة المسفكة للدماء وتكون في صورها التي تظهر بها في هذا الموسم تكون حالكة السواد مثل اسمها كالي وزوجها مطروحا ومرمى تحت اقدامها ولسانها خارج من فمها واربعة من اذرعها ممدودة يد قابضة على سيف واخرى على راس جبار واثنان ممدودان نحو اعداها وينظر من عينيها الغضب و معلق في اذنيها مثل حلق جثتي رجلان مقتولون من اعداها ورقبتها مزينة بعقود من الجماجم ولابسة في وسطها منطقة مصنوعة من ايدي اعداها الذين انتصرت عليهم وشعورها مرخية في هيئة ضفاير وجدايل الى حد حقوها وعرقانة في دماء اعداها وعينيها تتوقد نارا من شدة الغضب وحواجبها مخضبة بالقرمز والدماء سايلة على صدرها وفي هذه العبادة تقرب قربان الحيوانات في منتصف الليل ويتوسلون ويتضرعون في استغاثاتهم بالمعبودة ويشربون المسكرات وفي بعض مواسم يعلقوا كلاليب من ظهور الناس ويتطوحون في الهوا ويقذفون بانفسهم من محال عالية الى الان هذه العادات انقطع دابرها واستبدلت الكلاليب بحبل يلف حول جسم المرء ثم ان العبادة الاكثر اهمية ووقعا عند طوايف الامم الهندية من بعد هذه المواسم المتقدمة هي الاوقات المخصوصة بالزيارات والحج الى محال مخصوصة معدّسة او الى هياكل خصوصية ومن اجل هذه يوجد جم كبير من الهنود ليس عندهم او في افكارهم شيء سوى الرحلة من محل مقدس الى اخر وكثير منهم في تلهف وشوق من زيارة مزار ولو مرة واحدة في عمره ويشتغلون عدة سنوات في الصرف على اسفارهم

والاستعداد والتجهيز في التقدمات التي يقدمونها على الهتهم معتقدون انه بزياراتهم يوطدون لانفسهم ثنا وشكرا كبيرا وذكرا جميلا في هذه الحياة الدنيا وفي الاخرة فتلقاهم من هذا الاعتقاد تحمل المشاق والاتعاب في الاسفار ويظهرون الافراح والسرور في ما يرون من بعد محلات الزيارة او يرون التمثال المقدس عندهم وقال احد الكتاب انه راى الناس مرمية على الارض يلثمون الارض والتراب بمجرد ما يدخلون في ارض مدينة بنارس المقدسة وياخذون التراب من تحت عجلة عربة ياجاناث ويضعونه فوق رؤسهم تبركا وفرحا بوصولهم لمحل الزيارة وتنفجر الافراح في وجوههم عندما يشاهدون محل مجمع مياه نهر الكنج بالاوقيانوس عند جزيرة صيغاره او صوغوره وفي هذا الوقت الحالي سافر الكثير من الناس بواسطة السكك الحديدية الى مزارات مشهورة وبواسطة السكك الحديدية صارت اسراب وافواج الزوار في الى هذه المزارات زيادة عما كانت عليه في سابق الاوان ما زال الكثير منهم يتوجه للزيارة من طريق البر من اجل زيادة الثواب والاجر وبعضهم يسافر في السفن والقوارب فيغرق البعض ويموت البعض على قارعة الطريق وبعضهم يحمل نذورا وزوادة بسبب طول مسافات السفر من طريق البر وذات قربانا لحيوانات مع حب مشتهى النفس وطلباتهم ولا تذكر هولاء القسس للزوار نقود كافية من اجل عودهم الى بلادهم بل يسلبونه كل ما كان معهم من نقود وغيره من اجل ما لهم من غفرات ذنوبهم ولا يمكن حصر التعب والعناء وعذاب الاسفار التي تحصل للزوار وكثرة المصاريف التي يصرفونها في ذهابهم وايابهم في مثل هذه الزيارات الديانية والاستحمام في مياه نهر الكنج وتقريب القربان والطواف حول التماثيل و الاصنام وفي مدة وجودهم في محلات الزيارة فتشغلهم القسس ببذل الخضوع والتخشع في العبادة وكذا تجري هذه الزيارات في طلب تيسر الحصول على ولادة ولد او وفاء نذر كامن نذر في اثنا مرض او وصول عاهة من العاهات ولا طاقة لنا على سرد كافة العوايد الجارية في مثل هذه الزيارات لكثرتها واختلاف هيئاتها وطرقها وتنوع عمومها مثل الزيارات واقامة الشعاير والموالد في مصر للاولياء وما يعتقده المصريون في اوليائهم هو عين ما يعتقده الهنود في الهتهم تماما وكل ذلك من عمى البصيرة والجهل ويمكننا ان نذكر هنا طبعا لمعرفة ذلك المحلان الشهيران الكبيران في الهند المعدان لكثرة ورود الزوار فيهما وهما مدينتي بنارس في الهند مثل طنطا في مصر ومدينة برى مثل مدينة ابه في مصر فاما بنارس فهي المقام الاكبر لسيوا مثل طنطا في مقام احمد البدوي وبرى مقام وشنو وانه مقام ابراهيم الشعطاعي في مصر والعوايد والاعمال واحدة انما تختلف على حسب العقايد والمواضع والعوايد وانه لا توجد مدينة في الهند اكثر اصنامًا ضخمة قوية من مدينة بنارس ويوجد في كافة جهاتها اصنامًا قبيحة المنظر فظيعة الصورة والهيئة وكثيرا ما بنيت معابد وهياكل وكثيرا ما صرفت مبالغ من النقود فيما تختص بشؤون العبادة في مدة الحكومة الانكليزية زيادة عن المدة التي كانت فيها السلطنة الاسلامية قايمة في الهند تحت سلطة ملوك وامبراطورات مسلمين قبل تغلب الانكليز على الهند وكل هذا معدود من اعتنا الامة وحرصها في اعمالها الدينية وعباداتها وانه من عهد مضى بضع سنين احصي في نفس مدينة بنارس الف معبد في داخل اسوارها اصنام وتماثيل شتى وكل هذه المعابد مخصوصة لالهة مختلفة بعضها لسيوا تحت اسما مخصوصة او لالهة اخرى مرتبطة مع سيوا في جامعة واحدة وما اكتفى الهنود بوضع تمثال واحد يعبد في هيكل مخصوص بل اضاف القسس على حسب ضرورة الاحوال عندهم تماثيل اخرى وصفوها في قبلات مصنوعة في الحيطان او صفوها صفوفا حتى انه صار يوجد في الصف الواحد احيانا مائة صنم وتؤله من زيارة وطهارة وحرمة مدينة بنارس انه صار على مسافة عشرة اميال من نهر الكنج عموم قطعة الارض المحدودة بطريق طوله خمسون ميلا محتوية على مئات من الهياكل وان السير او المشي في طول هذه الطريق من اعمال الخير والثواب وصار المقصود في عقول الناس من السكان ان الانسان يجب عليه او من الفروض الديانية انه يمشي في طول هذه الطريق ولو مرة واحدة في السنة وكل من مات في طول هذه الطريق ولو كان من اهل البدع والفجور غفرت ذنوبه ودخل

الجنة لا محالة والمعبد الجليل الموجود في المدينة هو معبد بِشْيشْوار (اله الدنيا) وهو
اسم عطى الى سيوا بصفة انه ملك عموم الالهة في ارض بنارس وان الهة الطريق المقدس
هم قومه واعوانه وحفظه ويعتقدون انه حال في حجر عليه اشارة الغضب ويرى امامه
زحام من الناس في كل يوم ومعهم تقدمات من الارز والاثمار والازهار والحبوب
والدهون والنقود وكثير من هولاء العباد عند ما يقربون من الاله تظهر عليهم علامات
الخوف ويخافون ان يحل بهم غضب الاله ومن ضمن المحلات الكبيرة الاخرى المجذوبة قلوب
الناس اليها من الهندو بئر مَنكرنيكا وهي حوض مملوء من المياه ويعتقدون ان كل من
اغتسل منه خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وترى الزوار الذين يمشون الخمسون ميلا
الدوفة حول مدينة بنارس في فرائض صعبة وذلك انهم يغتسلوا قبل السفر ان امكن لهم
ذلك في اول النهار وفي اخره ويمشون حفاة الاقدام ويحترزوا ان يا خذوا شيأً من
الغير او يعطوا شيأً مما معهم وان لا ينسوا زعلوا ولا ينطقوا بالقبيح في الطريق وان
يقدموا تقدمات في صفة هدايا للقسس بئر منكرنيكا من بعد قضاء وتمام السفر

مدينة بُرى

واما مدينة بُرى فانها على طريقة مخالفة في شعاير مواسمها وعبادتها عن بنارس وهذه
المدينة واقعة على ساحل اوريسا وهي مشهورة ومقدسة عند الهندو ويعبد وشنو في
هذه المدينة في صفة ياجانات (اله الدنيا) وتقام فيها عدة مواسم مشهورة في طول
السنة يتولد منها هياجات وفيامات دينية منثرة وتنتهي بعيد مشهور اسمه عيد
العربية يجتمع فيه ما ينوف عن ١٠٠٠٠٠ نفس من الزوار وهنا شك وهو انه يظهر
ان مدينة بُرى كانت في السابق معبداً بودهيسيا لان المعبد الحالي الموجود فيها الان
تاريخه من علوق القرن الثاني عشر وهو بناء هرمي الشكل قايم على قاعدة فوق سطح
الارض بارتفاع عشرون قدما فوق الارض المحيطة بها ولقد اصبح كابطانيه عبادة
وشنو وتخبها دعم الناس ان الدين والعتق اكثر قبولا عند الاله من الذبايح واقامة
الشعاير وتقريب القربان وكان المعبد من الاصل له حظيرتان باسوار عالية فقال كابطنيه
انه في داخل اسوار المعبد يلزم ان تكون عموم الناس من كافة الطوائف على حد سوى وياكلوا
جميعاً سوية من الطعام المقدس وسعة الحظيرة الداخلة للمعبد الكبير ٤٠٠ قدم في
٣٠٠ قدم فيها جملة من الهياكل الصغيرة والمحلات المقدسة والاشجار ونفس المعبد
الكبير ويحتوى المعبد الكبير على اربعة صحون اصلية منها صحن للتقدمات وصحن للرقص
والانبساط وصحن للاستقبال والاحتفال والمزار الاصلي وكل من صحن الاستقبال
والمزار ثمانية عشرة قدما مسطحا وفي القبلات الموجودة في داخل المزار ثلاث تماثيل
ضخمة في صورة تجد وشنو واحدة في صورة رب واخر في صورة رجل اسمر و
الثالث في صورة قبيحة زميمة واما التماثيل المصنوعة الى ياجانات فانها مدهونة باللون
الاسود واخوه بلوراما مدهون باللون الابيض واختهما سوبهادرا باللون
الاصفر الذهبي وكل صورة من هذه الصور مصنوعة في قرمة واحدة من الخشب
المعروف بخشب الحديد وفي هيئة بشعة في صورة اجسام من البشر ما دون ايدى وارجل
واذرعة منقورة في القرمة مثبت فيها ايدى من الذهب وعلو صور الذكورة
اقدام والانثى اربعة اقدام ونصف ويجرى تغيير ملبوس وهو زينة هذه الصور
عدة مرات في اليوم الواحد حتى تم تظهر في هيآت مختلفة في ساعات مختلفة فيكون
ملبوسها تارة اصفر مثل ملبوس بودها وتارة مثل ملبوس كرشنه واحيانا مثل
ملبوس جانيزه وحكيت حكايات مختلفة في شأن هذه التماثيل القبيحة منها انه قيل
ان الاله في درجة فوق العادة لا يمكن تصوير صورته الاصلية ومن اجل ذلك عملت
هذه الصور والتماثيل القبيحة الزميمة حتى يتولد منها الرعب والخوف في قلوب الناس
ويطفئوا غضب الاله بالتقدمات والهدايا وكذا يوجد في المزار ايضا قرمة من الخشب
بصورة فيها علوسنة اقدام قيل انها اشارة على عجلة فوق قمتها عجلة القانون
البودهيسي ويوجد اثر مدفون في تمثال ياجانات وادخل هذا الاثر مع المحافظة
والمحاذرة التامة في التصاصعة التماثيل وليس لاحد دراية بسر هذا الاثر الا القسس
ومن

ومن المحتمل انه اثر بودهيسى ويوجد عدة الهة اخرى او صور في هيئة الكسر الاله الاصلي
في داخل المزار عليا القرب منه وتحمل التماثيل المشهورة في ايام المواسم الكبيرة فقط الان الخدمة
والعبادة اليومية جارية على الدوام مع الكمال في هيئة ما اذا كانت هذه الاصنام مخلوقات
بشرية موجودة على قيد الحياة وذلك انه في ظرف الاربعة اوقات المعدة للاكل في اليوم الواحد
تقدم مقادير وافرة من الاطعمة المطبوخة في داخل المعبد وتقدس بواسطة جلبها امام الصنم
والذي طبخه ناس من الدرجة الواطية وتاكله الزوار من كافة الطوائف ومن بعد تقديسها
بهيئة عظيمة وحتى يوخذ منها الى البيوت على سبيل البركة كانها كنوز مقدسة وفي بعض
المواسم تكون هذه الاطعمة كافية لاكول مائة الف نفس ولا شك انه ما كثرة وورود
هذه الاطعمة تزداد فوايد القسس المعهود اليها خدمة هذه المعابد والمواسم الكبيرة
في مدينة بُرى هي موسم الدول جاترَه وسنان جاترَه وذلك انه عندما تغسل
التماثيل بمياه مقدسة وتلبس بملابس ظريفة يعرض انه اصابتها نوع حمى شديدة من كثرة
تغريزها وغسلها فتوضع في قاعة المرض مدة خمسة عشرة يوما وفي اثنا هذه المدة يجرى
دهنها وتفريخها ثم يعقب ذلك موسم ياجانات او راث جاترَه اى عيد العربية وهو
وقت شروع الالهة في الركوب فوق عرباتها وهذه العربات ثقيلة في الوزن جدا وفي المحل
الذى عربة ياجانات علوها خمسة واربعون قدما ولها ستة عشرة عجلة وتوضع الاصنام
في العربات في وسط زعيق وصراخ وازدحام كثير وتصبح فوقه متعا عدلها وتلبس وتنجم
فيها اباري من الذهب واذرعة ومتى تم هذا الشغل يكنس الحقير الكبير للهيكل المعف
باسم كوورا راجا اى كناس للعبد الطريق على مسافة مائية يارده في مواجهة العربات
ويلمس بيديه حبال العربات كانه يجرها وفي اثنا ذلك يسجد للتماثيل ثم تجتمع مئات من
الهندو وعلى الخصوص من الذين تركوا اشغالهم ويشاعدون بالموجودين من الزوار ويجرون
العربات الى محل من الهياكل على مسافة ميلين وهذا الشغل يتم اجراه في ظرف اربعة
ايام ومتى وصلت العربات الى هذا المحل المعدود لها يوخذ تمثال الكشمي لاجل انها ترى
ياجانات ومن بعد مضى اربعة ايام او خمسة يشرعون في العود ثانيا ويجرون العربات وفي
هذا الموسم تقرب الزوار ضحايا لها على حسب عادة الموسم وتزدحم الناس تحت عربة
ياجانات فتحطم منهم ناس كثير ويموتون تحتها وهذا مخالف في الواقع لعبادة وشنو الا ان
مثل هذه الضحايا لا شك انها كثيرة الوقوع بسبب ان العباد يظنون انهم تطهروا من
الذنوب والاثام وليس لهم رغبة في العود الى الدنيا مرة اخرى كى يكتسبوا فيها جرايم
جديدة وفي مدة الزحام لا ريب انه كثيرا من الناس تحطمه العربة ويموت تحتها الا ان
هذه الضحايا البشرية ليست معدودة عند القسس ولا على رضا منهم باى حالة كانت
لانه عندهم هدر نقطة من الدم يجس قذر في حضرة ياجانات والقسس والناس
والطعام المقدس ولوحات واحد في داخل اسوار المعبد وقفت شعاير العبادة مرة
واحدة وابعدوا التقدمات عن نظر الالهة بسبب ما حصل لها من الغضب ويوجد ايضا
في مدينة بُرى عدة مواسم متعاقبة العمل ليس للناس الا الاشتغال بها ثم ان المعابد
الكبيرة المحلية المشهورة في الزيارة هي معابد طاجور وما دوره وراميشوره و
راميشوره جزيرة بين الهند وسيلان وهي مركز عبادة سيوا ومن الاعمال الجليلة عند
الزوار زيارة مدينة بنارس وجلب منها جرة مملوءة من مياه نهر الكنج وتوصيلها الى
راميشوره وصبها على هيكل سيوا الموجود في معبد تلك الجزيرة ثم الاستحمام في البحر
ولا ريب ان على هذا دفع عوايد ورسوم ونذور وللهندو اقوال كثيرة في ذلك ورغبة
كبيرة في مثل هذا العمل المبرور عندهم وروى ان رجلا وابنه زارا مدينة بنارس وجلبا
منها جرة مملوءة من مياه نهر الكنج ومن بعد انه سافر الرجل مع ابنه اشهرا وذاق الام المشقة
وعذاب السفر وتعب طول السفر المتوالى وهما حاملان هذه الذخيرة النفيسة وهى الجرة
فلما صادفا بها جزيرة راميشوره وصارا على مراى من معبد جزيرة راميشوره مات الاب
على حين غفلة في الطريق وترك ابنه وكان طفلا لا يعرف من الدنيا شيأ ولا يوجد معه من
يحفظه وما ترك الاب للطفل شيأ عنده سوى الجرة الملآنة من مياه نهر الكنج فبذل

الصبي بجهوده في كونه لو صبرها على التمثال المقدس لسيوا لتمت تربيته وعفوت ذنوبه و
زالت عنه الغابه فحمل الجرة مع غاية الشوق وتوجه مسرعا الى المزار فوجد باب المزار مقفول
فوقعت الجرة من يديه وانكسرت فتنفس الصعداء وركبه الغم والحزن على ما اصابه فتحقق على
انه ما كان عنده رسوم يدفعها للقسيس القايم بالمعبد

واجل معبد لوشنو واشهره في الهند الجنوبية هو معبد سري رنگام في بريشنبولي و
هو عبارة عن سبعة حظاير مربعة الشكل داخل بعضها بعضا مشتملة على محلات فاطنها
ميات من البراهمة وفي كل جهة من الاربعة نواحي الموجود فيها ابواب الدخول برج ظاهر
البناء هرمي الشكل وكافة هذه الجهة معروفة باسم جنة وشنو وصورة وشنو مصطجع
فيها ويعتقدون انه لا يمكن تحريكها ويوجد مزار فوقه صورة اوم وصورة اخرى
لوشنو محفوظة في المزار تحمل في موسم عيد العربية وتاج الصنم مخيش بالالماس و
اللؤلؤ واصناف الزمرد وزينات اخرى غالية القيمة وفي المعابد التي من نوع هذا المعبد
عدة جماعات يضربون بالات الطرب والموسيقات وعساكر من الفتيات الراقصات في
مواسم الاحتفالات

عقايد وشنو

ولنشرع الان بوجه الاختصار حكاية المذاهب والعقايد المنقسمة بها طوايف الهنود
فنقول انه قد سبق القول على ما تختص بعبادة وشنو او الالهة الاخرى بطرق متنوعة
ووجوه مختلفة على حسب عقايد ومذاهب مصلحين قاموا بها ونبدا هنا بالعقايد
والمذاهب الوشنوية فنقول انه يدخل في هذه العقايد الراما نوجايون اي اصحاب
راما نوجا والراما نندبون اي اصحاب راما نند وعقيدة كابير وعدة مذاهب اخرى
اسسها اشخاص اخرين فعموم الداخلين في هذه المذاهب لهم علامات مخصوصة يعرفون
بها وذلك انهم ينقشون على جباههم من بعد اغتسالهم في المواسم الكبيرة والصغيرة وعلى
العموم من بعد الغسل لهم علامات مخصوصة بلون ابيض من تراب ابيض او من رماد جلة
البقر فاما الراما نوجايون فانهم يميزون انفسهم بتخطيط عمودين مبتدئين من منبت
شعر الراس الى مبدء منبت شعر الحواجب وخط احمر قاطع لهما مار بطرف الانف وفي
الوسط خط قاطع احمر اللون ويصنعونه ايضا بقع حمرا وبيضا على صدورهم واذرعهم
ليكونوا معروفين انهم من اصحاب وشنو او وشنويون ومن اعتقادهم ان وشنو
هو براهما الخالق الاعلى واما الراما نندبون فانهم يعبدون وشنو في صورة
راما شندره مع زوجته سيتا ولهذا المذهب عدة هياكل واديرة وكثير من الزوار
يجمعون النذور والنذور ويزورون المزارات والهياكل وغالبهم في حالة العزوبية
ولا يراعون درجة امتياز الطبقات او الطوايف واما اصحاب كابير واتباعه
فانهم يعتقدون في اله واحد ولا دخل لهم في الاتحاد مع الهنود في عبادة الهتهم الا
انهم يتشرون ويغنون سجعات مغانيهم في حق كابير موسس قواعد دينهم ومشيد
مذهبهم وشريعتهم العلمية طريقة تشمل الحق والعدل وعلو المروة والوفا بالعهد
وتبغض الشرة والعنف والقساوة وسوء الاخلاق ويوجد كثير من عباد وشنو
يعتقدون في جوبال وهو طفل صغير راعي بقر وهذا المذهب اخترعه وشنو
سامي ونشره والمعبد المنسوب الى جوبال في اجمير والذي نشر مذهب كبنو
سامي شخص اسمه ولبها مشهور في عقيدة وشنو سامي وما يتبعها من عدم مراعاة
حالة الزهد والتقشف واما المادواديون في الهند الجنوبية فانهم اتباع مادهو
قيل انه تجسد الاله وانه في القرن الثاني عشر وهؤلاء يتزرون بازار وسخ ابيض
او اصفر اللون ويحلقون عرايا الراس وعليهم علامات صورة وشنو مدموغة بحديد
الحديد المحمي على اكتافهم وصدورهم ويعبدون جماعة كبيرة من الالهة الا انهم يعتقدون
ان ارواح البشر ممتازة عن ارواح الالهة وانها متحدة معها ومن ثم لهم علامات
مغايرة لعلامات الهنود في الاعتقاد وغالب عباد وشنو في بنقاله تابعين للمذهب
الذي اخترعه كايتانية وكان تاثير هذا المذهب سياني اقامة شعاير المواسم و
الاحتفالات السنوية في مدينة بري الى ما هي عليه من العقول والاعتقادات الان
واصحاب كايطانية يعتقدون ان وشنو هو الروح الاعلى وانه اصل جوهر العالم
وان كايطانية تجسده ولهم اعتقاد كبير في مذهب معروف عندهم بالبكطي وهم فيه على خمس

تاريخ الهند من البحر الزاخر محمود ... ج ٢

حسن درجات الاولى السلم والهدو والثانية العبودية او الخدمة والثالثة الصداقة
والصحبة والرابعة المحبة القلبية للبيلن والخامسة الرقة والظرافة ومذهبهم مذهب
سرور وتفريح ... قلبية للعمل وفي ايام مواسمهم لا دخل لدرجات امتياز الطبقات
او الطوايف

عقايد سيوا

واما العلامات المميزة للسيويين اي اصحاب سيوا فانها خطوط افقية بدل ان
تكون خطوط راسية واختلافات في العرض واللون المخصوصين بهذا المذهب والسيويون
هم من البراهمة وليست مذاهبهم واسعة ولا مقبولة عند الناس مثل مذاهب الوشنويين
ومن الطوايف السيوية طايفة الدنديون وهم الذين يحملون العكاكيز وهم نساك
متقشفين يصرفون اوقاتهم في الاعتكاف على الافكار ومن ثم صاروا في حالة تقريبا
من البله والبلادة والحماقة من كثرة مواظبتهم على عدم الكلام وكثرة الافكار ثم
طايفة اليوجيون ولهم مذاهب اخرى في الافكار مع حالات مخصوصة بهم يعتقدون
انه يتولد لهم منها قوى عقلية والسير الى مسافات بعيدة بحيث لا يراهم احد وغالبهم اهل
مكر وشعوذة يسافرون من محل الى اخر وللناس فيهم سرعة التصديق ثم طايفة الساكطانيون
وهم ايضا داخلون في هذه المذاهب واهل هذه الطايفة عاكفون على عبادة صور
من اناث في صفة الالهة مثل سرسوطي ولكشمي وسيطا وبروطي ودورجه وكالي
والساكطانيون يراعون في عباداتهم الاناث من اجل عزهن عندهم وهو ان الشاكتي منبع
خلق المخلوقات ومحدودات العنصر الاناثي لا يولد شي في العالم وجاري تعليم هذه
العقيدة على الخصوص في الكتب المدونة اخيرا المعروفة عندهم باسم طنطره وطلق
عليها اسم التوراة الساكطانيه وكتبهم هي ما ئله للكتب وعقايد البرانات في بعض
تراجم وعبارات فيها وغالبها خاص بالشعاير والعبارات الساكطانية والتعويذات
والعزايم والرقيات وتصيغها في هيئة محاورات ومجاورات بين سيوا وزوجته
ولا ريب ان الدين الهندي وصل في مثل هذه العقايد الى درجة واطية جدا وتولد
منه تشتت حواس الافكار في اعتقاد ان قبول الشهوات والاعتكاف على اللذات
التي يرتاح اليها العقل ويتبعها في جهة الاله الاعلى هي العمل الانفع وصار شرب المواضع
والمشروبات الطيارة له هيئة كبيرة في العقايد والعبادة الساكطانية وكذلك اكل
اللحوم والروحانيات المعروض انها مكتسبة من كتب الطنطره وتعويذاتها وحقت عند
الساكطانيين موقع التصور في العقل حتى صار يمكن الانبا بها عن ما ياتي في المستقبل
وحصل الناس انه لا يصدقون في شي باي حالة كانت الا في العقايد الساكطانية وفي هذه
... يمكننا ان نوجه الالتفات الى هيئة مضادة في الدين الهندي الاخير
وهي ... عقايد القول بالوحدانية وميل الناس اليها مع زيادة وحسن الاعتقاد
الزايد قام فيه السيكيون بواسطة نانك شخص من اصحاب كابير في القرن الخامس
عشر بعد الميلاد وكان مولد نانك المذكور في قرية على مسافة قريبة من لاهور

نانك من اصحاب كابيره

في سنة ١٤٦٩ بعد الميلاد ولما شب وترعرع وتهذب صار جورو اي معلم وعرفت
تلاميذه باسم السيكيين اي التلامذة ونشر دينا وعقايد خالية من درجة
امتياز الطوايف ومن العبارات الوثنية وتقوى هذا الدين جدا مع تقدم الدين
الاسلامي حوله الا انه ما زال كان باقيا على القول بالوهية العالم زيادة عن القول
بالوحدانية ومن عقايده ان الاله يلزم ان يعبد باسم هاري وهذا الاسم واحد
من اسما وشنو والقابه ومن بعد موت نانك خلفه سلسلة من كبار المعلمين كانوا
في الابتدا على صداقة كبيرة مع المسلمين ثم وقع بينهم وبين المسلمين عداوة كبيرة
وصاروا فرقا عسكرية وستذكر تاريخ هذه الطايفة عند ذكرنا التاريخ الاسلامي
في الهند ثم ان المعلم الرابع من سلسلة كبار المعلمين وكان يدعى ... اما داس شيد
هيكل البحيرة في الحوض المقدس في امريتسر وهذا المعبد راس عبادة السيكيين
وثم المعلم الخامس ارجون التوراة الاولى السيكيه من اقوال وسجعات

جوفند

اسلافه وضم جوفند المعلم العاشر كتاب ثاني او تكملة مشتملة على هيئة من حكايات
المعرة وذكر فيها عهد اتخلص بعدم عبادة الاوثان وعدم السجود لوحد الا اذا كان
جورو سيكيا وربط علاقات قومه واتخاذهم بعدة وسايط وجعل الحرب من الواجبات
الدينية ثم ان جوفند ماقبل ان يوهب لواحد من بعده ان يكون معلما واخترع التوراة
السيكية مطلبا ثابتا في العبادة ولقبها بلقب صاحب وصارت من هذا الوقت دليلا
المعتمد في العبادة وكانت التوراة السيكية مكتوبة باللغة الهندية القديمة وبهيئة
مخصوصة في الكتابة وتعلن بوحدانية الاله الا ان هذه العقيدة كانت مبنية على
القول بالوهية العالم وذكر فيها كثيرا من اسما وشنو باسم الاله الاعلا وتنهى عن عبادة
الاوثان والتماثيل ولقب المعبود الاكبر باسم غرانث وهو لقب صاحب المتقدم وصار
غرانث يعبد ويلبس ويزخرف حتى ارتفعت درجته الى صنم ودخل في التوراة السيكية
كثير من الخرافات الهندية مثل الاعتقاد في تقديس البقرة وتناسخ الارواح وغير
ذلك مما لم للمعلم تدوينه وفي السنين الاخيرة ارتد الدين السيكي وتوجه نحو الدين
الوشنوي واستصوب الكثير من السيكيين درجة امتياز الطوايف ولبس الخيط المقدس
البراهماني وعمل المواسم والاحتفالات الهندية ولجوفند معبد مشهور في مدينة بتنا
مشتمل على عدة اثار منه او بقايا والمعبد الموجود في امرتسر احد المعابد الذي
تدهش العقل وتذهل الابصار في الهند وهو مخصوص لعبادة اله واحد اسمه
هري الا ان الاعتقاد فيه على حسب الكتاب المقدس ثم حصل للدين الهندي الاخير
علو في الدرجة بواسطة قيام الدين المعروف براهما سوماج فكان هذا الدين
سببا موجبا في احيا عقيدة القول بالوحدانية الموجودة في الودا ويتقوى بدلايل
كثيرة من الديانة النصرانية وكان المؤسس للدين براهما سوماج شخص اسمه

رام موهون روي

راموهوم روي ولد في سنة ١٧٧٤ بعد الميلاد وكان ابن واحد من الطايفة العالية
البراهمية ومن المتمسكين بعقايد وشنو وتهذب حتى بلغ الدرجة العالية في اللغات
الفارسية والعربية والسنسكريتية ولما بلغ عمره ستة عشر سنة كتب مقالة او
خطبة ضد العبادة الوثنية وهيج مثل هذه المضادات حتى التزم على كونه يترك
بيته عدة سنوات وتوجه الى ارض التبت وتعلم فيها الدين البوذهيسمي ثم بعد ذلك
درس اللغة الانكليزية ودخل في خدمة الحكومة الانكليزية وامتزج مع الاوروباويين
ومن بعد موت ابوه خلص من مضادته الى ما كان يراعيه من الزيغ والضلال عن
الحق في الديانة الودائية ووجه النكاية بالخصوص لمسئلة حرق الزوجة الارملة المطلقة
مع زوجها لان الودا لا تصدق على مثل هذا العمل القطيع وفي سنة ١٨١٩ من بعد
انه درس التثليث النصراني نشر كتابا يذكر فيه احكام عيسى المسيح المرشدة الى
السلم ودار السعادة وذكر فيه ان عقايد المسيح اكثر توجها الى العقايد الدينية والكن
رفض مع الصلابة قبول الشك بعقيدة التثليث النصرانية لانه راعاها انها في درجة
واحدة مع درجة القول بتعدد الالهة ومن ثم صار عدوا من الموحدين ثم انتخب الاجود
من كافة الديانات معتقدا ان الالهامات الربانية ليست مقصورة في عصر من
العصور ولا في اي امة من الامم واستصوب ما كان احسن في الكتب المقدسة لعموم
الامم وفي سنة ١٨٣٠ قام الدين المسمى براهمو سوماج مخصوص في شان عبادة

براهموسوماج

اله ازلي ثابت لا يتغير مكنون لا يمكن وصفه ولا تصفه الواصفون خالق العالم و
حافظه وهذا الدين لا يقبل تمثال ولا صورة كبيرة كانت او صغيرة ولا تقريب قربان ولا
شئ تعبده الناس من اجل ما يوصل بعبادة الاله الاعلا ومع ان براهمو سوماج كان لا
يقبل ويكتب في ضد حالة درجة امتياز الطوايف او الطبقات فانه ما كان حاشيا لاجل
اقواله ولا مع كتابته وما ترك الخيط البراهماني وكانت الودا تقرا في حضوره وما قرات
التوراة عنده وفي سنة ١٨٣١ بعد الميلاد توجه زايرا انكلترا في دعوة ومطالب كان يقصدها
فاشتد عليه طرشه ومات في سنة ١٨٣٣ في مدينة بريستول واليه تنسب عقيدة

دوبندره نات طاغور

عقيدة اول مشروع في ارتقا الدين الهندي الاخير وتنقيحه وتهذيبه ونقاوة ما كان
فيه من الخبايات وكان خليفته الذي قام من بعده عالما وعلاوة دوبندره نات طاغور تجور
ولد في سنة ١٨١٨ بعد الميلاد وفي سنة ١٨٣٩ شكل جمعية لمعرفة الحق وفي سنة ١٨٤١
انضم الى براهمو سوماج اي الى عقيدته واعمر مشروعا لترتيب هذه الجمعية في هيئة كنيسة
في سنة ١٨٤٣ وادخل في هذا الترتيب سجلا عهود تؤخذ على اعضا الجمعية وهي الاجتناب
عن عبادة الاوثان وعبادة الاله الاكبر خالقا حافظا مغنيا وحب الله وعمل الاعمال
المحبوبة عند الله والاستغفار وحسن السلوك في طهارة المعيشة والبحث عن طريق الغفران
بترك الجرايم والخطايا والذنوب وعين لذلك خطبا ووعاظا وفي سنة ١٧٤٨ دخل في
هذه العهود نحوا من ٧٦٧ نفس وانضم اليهم اخرين وفي سنة ١٨٥٠ حكم بان الودا
ليست منزهة عن الخطا وعدم الصواب وان لا يقبل منها الا ما كان معادلا وموافقا
لحق القول بالوحدانية واستنبط استنباطات من الودا ومانو وسطبتا وبراهم و
الى اخره وادخل في هذه الاستنباطات القول بابوية الاله الا انه قدر على عبادة
وبده فوقهم مدبرا امورهم سميعا لدعايهم وان التوبة هي الطريق الوحيد في تكفير الذنوب
والعفو والوصول الى طريق السلامة وان الاعمال الواجبة الدينية هي الاعمال الطيبة
والصدقات والخشوع والخضوع واما امثال الزيارات والكفارات فهي اشيا لا فايدة
فيها وتقريب القربان هو عدم التقرب الى ما يغضب الاله والمعبد هو صفا القلب
ودرجة امتياز الطبقات لا صحة لها وما زالت هذه القواعد باقية في الدين الهندي

كيشاب شندرسن

وفي سنة ١٨٦٥ قام كيشاب شندرسن في صورة مصلح في الدين وانذر بعثته و
قواها باقوال وافكار قوية وحركات حماسية ورغب ابطال كل ما عليه درجة امتياز
الطبقات فادت هذه الحالة الى ان تركه بعض الناس الذين كانوا دخلوا في عقيدته
فشرع في هيئة عقيدة جديدة وهي حيلة قبول النسا واصلاح مسايل الزواج الجارية
ثم انه من بعد ان اشتغل شغلا قويا استمر عدة سنوات اتفق كيشاب على زواج ابنته
بطفل صغير لمهراجا كوش بهار راعى فيه بعض الاحتفالات الهندية وكانت هذه
الحركة سببا في ان اوقع الفضيحة والخزي على نفسه ومع هذا فان كنيسته وكانت معدة
للانتشار وتقدم الدين البراهمو سوماج في الهند اظهرت الثبات والبقا تحت استبداد
احكامه والى حد سنة ١٨٨٤ بعد الميلاد ما زالت جارية في اشتغالها الى الان الى هذه الجمعية
المعروفة باسم بهاري سوماج وكانت تحت اوامر دوبندره نات طاغور فتضعضعت
ورجعت نحو الدين الهندي وكان كيشاب ما هو عارفا فيما اصلح في الدين وادخل فيه
احتفالات وشعاير الهند القديمة وادخل الاجتماعات الدينية في هيئة احتفالات
عمومية بالات الطرب والمغاني واثبت لنفسه انه اوحي اليه بقطع دابر مذاهب الطوايف
والغا الاختلافات الواقعة بين المذاهب والعقايد وما زال تاثيره باقيا على
قيد الحياة الى اليوم ثم ان رسول باب كنيسته رفض قبول الصورة الموجودة عنده في
التعليم عموما واعلن ان كيشاب ما زال هو راس الكنيسة وكانت هذه الحالة سببا في
تاليف وتشييد الحزب الذي ترك كيشاب من بعد زواج ابنته كنيسة قوية زيادة عن
الكنيسة الذين تركوها ولقبوها جامعة السوماج واختاروا لانفسهم حكومة مؤلفة
من القسيس بقصد ابطال الحكم الاستبدادي المقرر من رجل واحد وكان الاعضا الذين
دخلوا في هذه الوظيفة هم الذين خرجوا عن عبادة الاوثان وازالوا عن انفسهم درجة
امتياز الطبقات فاجتمع في هذه الوظيفة ١٥٠٠ عضوا من الاشرا ينتمي اليهم نحو من
٨٠٠٠ نفس من الطوايف المختلفة الهندية الذين يعترفون بالقول بالوحدانية موزعين

القضا والقدر

على ١٧٨ كنيسة ومن العقايد الموجودة عند الهنود الاعتقاد بالقضا والقدر ويقولون
ان حياة الانسان تحت احكام الاله وانه لا يمكن للمرء رد القضا والقدر وما امر
الله من احكامه وكانت هذه العقيدة سببا في تسليم امورهم الى القضا والقدر
خصوصا في حالة الموت واما الاعتقاد في البلايا او التضرع او المكر والخديعة فهي ايضا
من حقايقهم وقالوا ان كافة البشر ضحايا وقربان لمكرهم وخداعهم خصوصا عند ما

يتصوروا في انفسهم انهم شي آخر مخالف لاعمال الاله ويقولون ان الاله يتعب وكل من
طول البقا منفرداً بمفرده في وحدته فخلق الدنيا العوبة وتسلية لنفسه واما كل ما يقع
من مهنة او حقارة فان منبع البلايا او الخديعة وان المخلوقات على جهل كبير من انهم في
الحقيقة واحد مع الله وكذا الاعتقاد في القول بتناسخ الارواح متسلط وجوده في
عموم الهند وهذه العقيدة لها هيئة كبيرة في الدين البوذهيستي ولنسردها هنا بحالة
مختصرة التفصيل الضروري المبني عليه هذه العقيدة وهو ان الحياة قالوا انها بعد الموت
حالة لا نهاية فيها وهي علو درجة طيبة عالية في جنة او علو درجة قبيحة في عذاب
جهنم ثم من بعد مدة طويلة او قصيرة تعود الروح الى الارض حتى تولد مرة اخرى في
درجة عالية او واطية يعني سعيدة او رديئة على حسب اعمالها الطيبة او الخبيثة وكذا
المواليد لا حصر لعددها وتكون عالية او واطية فقط حسب حسن السلوك وخسته و
يعتقدون ان كثيراً من الالهة في جنات انفسهم يأخذون فيها عبادهم لمدة من الزمن
طويلة او قصيرة ويكونون عندهم في درجات مختلفة من القرب والبعد من انفسهم وان
كثيراً من الاعمال تكون هي السبب الاصلي في اختلاف درجات هذه الامتيازات وعلى
الخصوص اعمال الزيارات واشغال العبادة وتقريب القربان وابتناء المعابد والصدقات
واعطاء الهدايا للبراهمة واحترام المعلمين والاساتذة فاما درجات الحد العالية فهي
مخصوصة للبراهمة واما الطوائف الواطية فيمكن انه بواسطة اعمالهم الطيبة يولدون
في درجات عالية الى ان يصيروا في آخر امرهم براهمة واما جهنم طبقات جهنم ودرجات
الجنات فانه مطنب في وصفها في البرانات وقالوا ان عدد طبقات جهنم مائة الف
طبقة كل طبقة منها معدودة لعرقة من اهل الجرايم وترمى الناس فيها كرمي الحب في
الزيت المغلي فالذي يوذي انسانا من الطبقات العالية فانه عذابه وعقابه تمزيق
جسمه بواسطة جنازير والذي يحتقر بمعاملة زاهد متقشف في دينه يضرب بالطين
والوحل من راسه الى اسفل قدميه لكن من اجل سعادة اهل الذنوب والجرايم من الناس
الطيبة وتقريب القربان وقال مانو ان المرء صاحب الجرايم الثقيلة يولد مرة
فان هذه العقابات يمكن غفرانها بالاستغفار والتكفير والتوبة والاعمال
ثابتة في هيئة نبات او حجر وفي الذنوب اللعظيمة يولد في هيئة طير او حيوان
وفي الذنوب الفكرية يولد في صفة انسان دني واما الذي يقتل براهميا فانه يولد
في صورة كلب او خنزير او حمار او ثور وكل من سرق ذهبا من قسيس يحل الف
مرة في بطون العنكبوت والافاعي الا ان الكتب القديمة زادت جداً عن الكتب الجديدة
في تفاصيلها في هذا الصدد وذلك انه يوجد في احدى برانة ان كل احد قبل مولد
البشر ولد ٨٠٠٠٠٠٠ مرة في وسط مخلوقات دنية من قبل ان يصل الى الارض في
صورة انسان ومن هذا العدد انه يولد ٢١٠٠٠٠٠ مرة بين اصناف الاجسام النابتة
العديمة الحركة مثل الاحجار والاشجار و ٩٠٠٠٠٠ مرة بين الطوائف المائية و ١٠٠٠٠٠٠
مرة بين طوايف الحشرات والديدان و ١٠٠٠٠٠٠ مرة بين الطيور و ٣٠٠٠٠٠٠ مرة بين
الحيوانات واذا ارتفع ميزان اعماله فانه كانت اعماله مقبولة عاش ٤٠٠٠٠٠ مرة
او حياة بين طوايف الناس الواطية و ١٠٠ مرة بين البراهمانيين ثم من بعد ذلك
ينتقل الى براهمه وبمثل هذه التخويفات كانت تفزع الامة وتهرع الى الاعمال الطيبة
او الدينية ما يطلبونه القسس منهم وما زال الهندو لا ينكرون صعوبات احوال تجيلاتهم
الموجودة في عماراتهم القديمة فكانت هذه العقابات معدودة بجرايم المكتسبة في هذه
الحياة الدنيا ومثل هذه الافكار مذكور في شان الموت واقتراب نهو يلات وتخويفات
هي السبب في السعي والاجتهاد على بشر الحصول في المستقبل على حالة عظيمة في الخلاص
والعتق والنجاة من انواع العقاب والعذاب ومن اعتقادات الهندو ان روح من
مات منهم تجول في اسوء حالة واشقاها ما لم يمت بالقرب من نهر الكنج او بالقرب
من مجرى الانهر المقدسة اي ما لم يحرق جسمه على شواطئها او لا تلقى بالقرب من ما
مقدس يرمى شي من رماده فيها وكانت هذه العقيدة سببا في صيرورة عادة عند
الهندو يعرضون فيها موتاهم ومرضاهم على شواطئ الانهر ومن اجل ذلك توجد
صفوف من اخصاص وعشش ومباني قذرة على شواطئ الانهر تعرف باسم محلات

حدوث خروج الروح او جاءات وبسبب ما كانوا عليه من اعتقادهم ما يعود واهل الموتى
من صالح الاعمال الكبيرة في اجرائهم وكثرة الرأفة عليهم فكانوا يخاطروا بهم في الاسفار
ويعرضونهم لاشد الخطورات ليقدموا بهم الى شواطئ المياه المقدسة فكان الكثير منهم
يهلك في هذه الحالة الخطرة في اثناء السفر سيما اذا كان المريض مصابا بداء شديد مهلكا
وكانوا تابعين لاقوال الاطبة الوطنية ويسرعون في نقل المرضى خشية من موتهم في داخل

سبب هلاك المرضى

البيوت فكان هذا العمل من اقبح الاعمال وارداها والاشغال المذمومة المضرة في اعلا
درجات الاخطار ومن قبل حلول الموت ببعض دقايق او في اثناء غرغرة طلوع الروح
يجيب المريض الى حافة النهر ومن بعد خروج روحه يلقى في النهر ولا ريب انه كان يستعمل
تدبير السموم القاتلة في مثل هذه الاحوال قال احد الكتاب من الهندو ان الناس
المعهود اليهم خدمة المرضى والمحافظة عليهم في اخصاص الموت كانوا يضجرون ويتعبون
سريعا من تكليفهم بهذه المارة فكانوا يدبرون مواد صناعية يموت بها المريض المشرف
على الموت وكان لا يسمح للنساء في الحضور في هذه المحلات وكانت عملية التغطيس في
المياه المقدسة حكاية اخرى في حصول الاختناق وبسبب ما كانوا عليه من اعتقاد عملية
التغطيس والتمسك بها واصرارهم على انه لا بد من اجرائها للمريض فكانوا يغطسونه المريض

عملية التغطيس

الموجود على قيد الحياة تسع مرات او عشرة ثم يعودون به الى المنزل مرة ثانية ومن بعد
هذا لا يرا عونه المريض في مدة حياته وكان يعقب الموت في الحال عملية حرق الجسم وذلك
انه من بعد خروج الروح ينقل المريض من بيته الى محل الحرق في جهة معلومة ويعد له
عمود حرق ثم يضجع الميت عليه ويستر بقطعة من قماش جديد وهذا العمود هو
عبارة عن كومة من الخشب الجاف اعلاها واسفلها مركب من حزم من حطب الوقيد
ومعها القليل من خشب الصندل وبعض اخشاب لها رايحة عطرية ثم يقرأ القسيس
البراهما في بعض سجعات وترتيلات على راس الميت وهو مضجوع على كومة الحطب ثم ان
ابن الميت او واحد من اقاربه يغير هدومه القديمة ويلبس هدوم جديدة مربوطا في
طرفها مفتاح من الحديد من اجل طرد ارواح الشياطين ويضرم النار في كومة الحطب

حرق الموتى

فيحترق الجسم ويؤول الى رماد وان بقي شي من دون حرق صار رميه في النهر ومن بعد
ان يصب الابن بعض قدور من الماء المقدس على محل كومة الحطب من بعد الحرق يغتسل
في النهر ويعود الى منزله مع اخوانه واحبابه ويعقب ذلك حزن وعويل وحتى عند
النساء والذي رأيته في عملية الحرق في سيلان عند الاغنياء من الهندو انه متى مات
الميت عندهم ذهب بعض من اهله الى النهر وامامهم الطبول والابواق والزمور
ويأتون بمياه في قدور من الفخار جديدة محمولة على اعناقهم وامامهم تضرب الطبول
والزمور والنقاريات حتى يعودوا الى المنزل ويغسلوه بتلك المياه ويلفونه في
قماش جديد ابيض ثم يضعوه في نعش مصنوع من القاب الهندي جريدا طوله ثلاث
يارادات وعرضه ياردة ونصف تقريبا ويجعلون له مقدم طويل نحو سبعة اقدام على
هيئة رقبة الجمل ويزين بالبيارق الملونة والازهار واوراق الاشجار وجريد نخل
النارجيل واثمار الجوز الهندي ثم يحمل على اعناق الرجال مغطى بأقمشة مفتخرة ويسيرون
به الى محل الحرق والى ما يلون النعش لا يمشون على الارض بل تفرش لهم طاقات طويلة
من القماش يمشون فوقها وامامهم الطبول والزمور ويصرخون في مجار الفوقع مثل صراخ
الحواة في مصر وفي اثناء هذه المدة يكون عمود الحرق تم شغله وهو كومة من جذوع
الاخشاب مستطيلة الشكل طولها سبعة اقدام وعرضها اربعة اقدام وارتفاعها

عملية الحرق في سيلان

اربعة اقدام طبقتان من اعلاها مركبتان من اخشاب الصندل ويضعون في كل
جهة من هذا العمود عمود من الاغصان مزينة ببيارق ملونة وازهار واوراق
اشجار ومتى وصل النعش الى هذه الكومة لغوا او داروا به حولها ثلاث مرات
ثم يضعوا النعش بجانب الكومة ويحملون الميت ويضجعوه فوقها ويأخذون ما كان
عليه من الحلي والاقمشة الفاخرة ويستروه بقماش ابيض ويضعوا فوقه اخشاب وفي هذا
تكون اهل الميت حاضرة ومعهم بعض من الارز المسلوق في طاسات من نحاس اصفر
وسمن وزبده وكل واحد منهم يدور حول الكومة مرة ويرمي بعض ارز مسلوق على
راس الميت وسمن وبخور من النحاس ومتى فرغوا جميعا من هذا الدوران والطواف

رموا اسمنا وزبدة فى احطاب الكومة ودهنوا احشابها بها ثم ان ابن الميت وان لم يكن
له ولد فالاقرب له من اهله يحمل قدرة كبيرة مملوءة من ماء النهر مخروقة خرقا صغيرا
من قاعها ويلف بها ثلاث مرات حول الكومة وماء القدرة يسيل على ظهره من الخرق الصغير
الموجود فى قاعها وفى اخر المرة الثالثة يرميها من فوق عنقه على الارض فتنكسر القدرة
فيسيل ماؤها على الارض ثم يضرم النار فى شعلة من القش ويلهبها فى كومة الخشب من اربع
جهاتها فتشتعل الكومة من كثرة ما على احطابها من الدهن وتشرع العائلة والمعزيون
والمشيعون حتى تنتهى عملية الحرق وفى اليوم الثانى تملأ قارورة من رماده ويختم عليها
بالجمع الاحمر وترسل الى نهر الكنج وترمى فى مياهه ولا ريب ان البراهمة يعملون فى
احتفالات جنايز موتاهم اكثر مما ذكرته هنا والذين لا يقدرون على مشترى الاحطاب الكافية
لحرق الجسم يحرقون بعض الجسم وبعضه يتركون للثعالب والعقبان ويعقب عملية الحرق الاخرى
الشعاير التى يعبرون عنها بالرحمة على الميت وهذه الشعاير اما ان تكون بغير مصروف
او يصرفون فيها مصاريف باهظة وتقرب فى اليوم الثالث عشر من بعد الموت اصناف
الاطعمة والحلوى وغير ذلك على روح الميت وعلى ارواح اجداده او اجدادها ان كانت
امراة ويحضره الجم الغفير من البراهمة والقسس والطوايف الاخرى ومن الادعية التى
يدعى بها فى هذه الشعاير هو ارغب ان الذين حرقوا من عايلتى فى النار والباقين
على قيد الحياة من دون حرق ان يكونوا رضوا بالاطعمة التى قدمتها على الارض
وان يكون ثواب هذه الاطعمة طريقا لهم الى موصلا الى الطريق الاعلى واحب ان
هؤلاء الذين لا اب لهم ولا ام ولا قريب وليس لهم طعام ولا شئ يقتاتون به
اكتفوا بهذا الطعام الذى قدمته على الارض ويبلغوا به دار السعادة ومستقر دار
النعيم الاعلى ويرمى ببعض الطعام فى النار على اعتقاد انه يصل الى الذين عمل هذا
الطعام من اجلهم وتكرر البراهمة هذه الشعاير عدة مرات فى السنة الاولى من بعد موت
الميت ومن بعد ذلك مرة واحدة فى السنة وابن الميت او الاكثر قرابة له من العصبة
هو المكلف باقامة هذه الشعاير واما عند عدم الذكور فالبنات او غيرهم من الوارثين
وذكر فى البرانات وفى الكتب المقدسة ان الذين يقيمون شعاير الجنائز والى حزين
فيها تغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم وتمحى عنهم سيئاتهم واما ما يتعلق بتاثير الافكار
الديانية على عقول الهندو وهيئة حالاتهم فاتفق الكثير من الكتاب ان ذلك متوقف
على حالة النساء وموقفهن وانهن ما دمن فى عنق وطلاقة حالة وعلو مقام فلا يمكن
حصول اصلاح او تقدم فى الهندو وقالت واحدة من سيدات نساء الهندو فى كتاب
صنفته فيما يجب على الزوجات لازواجهن ان الزوج هو دين الزوجة وهو المثل
المعبود للزوجة وهو الكل فى الكل ويلزم ان الزوجة تتفكر فى زوجها كانه هو براهمة
من آبائهم الاولى واله الزوجة المعروف زوجها فاذا رضى الزوج من رضا براهمة
والزوج استاذ الزوجة ومعلمها وهو شرفها وسعادتها والمحسن عليها بالخيرات و
الايمان والجنة وهو المخلص لها من الاكدار والاحزان والخطايا والذنوب ولا
شك ان احتجاب النساء غير ممكن الوقوع عند الطوائف الواطية الا انه المقصد الاصلى
عندهم وهم ايضا على عقيدة كبيرة من ان ولادة البنت من اكبر المصائب التى تحضر
بنات الهندو فى مدة حياتهن فمن ثم تبذل نساء الهندو مجهودهن فى الدعاء وعمل
الزيارات والصوم وتقريب القربان الغالية من اجل ان يلدن اولادا ذكورا يقومون
باقامة شعاير الجنايز من اجل خلاص اباؤهم واجدادهم من العذاب بعد الموت وعموم
عبادة المراة والبنت ودعائهن موجه نحو تيسرهن الحصول على ازواج طيبين او اولاد
ذكور يقومون بالفرائض وشعاير لا حصر لعدها هنا وكذا لا يمكننا الدخول فى سرد
عقد الزيجات الشيطانية القبيحة التى تعقد على البنات وهن فى عمر سبع سنوات
الى عشرة او تعدد الزوجات فى الطوايف العالية ولا كيفية سرد تفاصيل احتفالات

احتفالات الافراح المطاعم فيها شعاير ديانية فاما ازواج الفقراء من الناس فهن
فى حرية تامة من انفسهن واما زوجات اهل الغنا والثروة فانه الزوجة ليست خادمة
زوجها فقط بل والكافة عجايز البيت من اهله ويلزمها ان تزور على الدوام اسلافها
او اخوات زوجها ولا يلزم ان تخاطب زوجها فى مدة النهار ولا تأكل ولا تشرب معه
وهى على الدوام عرضة للسب والاذى والظلم من جهة عجايز البيت وعيشتها فى ضيق
وشدة وكرب كعيشة ارملة لا ولد لها ولا قريب يعولها وتنتظر على الدوام حرق نفسها
فوق كومة الحطب وموتها خير لها من عيشتها فى مثل هذا الذل وان حرقت نفسها مع زوجها
من بعد موته فهى العظيمة المحمودة وان لم تفعل فهى المذمومة المعنونة وكان الكثير من
الارامل فى الزمن السابق لا قوة ولا شجاعة فيهن فى اداء ما يجب عليهن من حرق انفسهن
مع ازواجهن بعد موتهم فى كومة واحدة من الحطب فكن يوثقون بالقوة ويسحبون
على الارض ويحرقن مع ازواجهن وهن على قيد الحياة وكان لبعض النساء يمشين مع الصمت
والسكون وشدة الرغبة وعدم الخوف والجزع نحو النار ولا يبكين ولا يصرخن ولا
يظهرن ادنى توجع ولا الم معتقدات انهن فعلن ما فيه السرور لاهلهن ويسرهن
صدور ازواجهن الميتين وفى سنة ١٨٣٠ صار الغاء قانون حرق الارامل مع ازواجهن
من الايالات الهندية الموجودة تحت الحكم الانكليزى الا انه ما زال جاريا فى بعض الايالات
الموجودة تحت احكام الراجات من الوطنيين والى حد سنة ١٨٨٠ بعد الميلاد كانت
هذه العادة جارية والى هنا انتهى ما امكننا جمعه فى شأن ما يختص بالدين الهندو
والله اعلم

الباب الثاني
العصور الإسلامية في البلاد الهندية

مولد سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم = حالة المملكة الجرافية والديانة المسيحية
فى تلك العصر = مختصر يتعلق بصفة وتقدم الجيوش الاسلامية والديانة المحمدية =
غزو القواد العربية ارض فارس وتقدمهم نحو الثغور الهندية = واقعة القادسية
= نهب الاطيسفون اى المداين = موت يزدجرد اخر ملوك العائلة الساسانية =
عبور فاتحى المسلمين نهر جيحون والتغلب على ما وراء النهر = الهيئة الجغرافية للجهات
الواقعة فيما وراء النهر = مختصر تاريخ العايلات الطاهرية والصفارية والسامانية
= العايلة الغزنوية = البتكين وسبكتكين = تخريب سبكتكين الثغور الهندية
ثم تمهيد اعمالها لما عزمه له بحضور جيبال ملك لاهور ودخوله فى معاهدة معه = فسخ
جيبال المعاهدة = غضب سبكتكين وتواليه انواع الهجوم والغارات على ما كان من
انحاز ملوك الهندوستان وهزيمتهم فى وقايع كبيرة حصلت بينه وبينهم وتجريده
السلب والنهب وما كان عليه فى العهد الاول وعوده محملا باثقال الاموال التى لا تحصى
الى غزنته =

الفصل الاول
من مولد محمد صلى الله عليه وسلم الى سلطنة محمود بن سبكتكين

من سنة ٥٧٠ الى سنة ٩٧٧ بعد الميلاد المسيحي

قام الدين البودهيستى فى البلاد الهندية واخذ الدين البراهمانى ثم تقوى الدين البراهمانى
من بعد ضعفه وحصلت بينه وبين الدين البودهيستى مشاحنات ومضاربات وال الامر
لطرد الدين البودهيستى واحتل محله سلطنة الدين البراهمانى وفى هذا الاثنا ولد فى
مكة من اعمال بلاد العرب محمد صلى الله عليه وسلم واختلف المورخون وعلماء الاله المصلوبه
اختلافا كبيرا فى السنة التى ولد فيها عليه الصلوة والسلام وكان هذا الاختلاف محصورا

بين سنة ٥٦٩ بعد الميلاد وسنة ٥٧٨ بعد الميلاد الا ان اغلب المورخين الغربيين
اتخذوا سنة ٥٦٩ اوسنة ٥٧٠ اوسنة ٥٧١ ميلاده صلى الله عليه وسلم ولنذكر
هنا على وجه الايجاز حالة العصر الذى ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم وهيئة الدين الجديد الذى
اجتهد صلى الله عليه وسلم فى نشره والمملكة الكبيرة الشاسعة التى اخضعتها الجيوش المحمدية الا
سلامية فنقول اما نسبه فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر
بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار
بن معد بن عدنان بن اد بن ادد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن
~~عوص~~ نابت بن حمل بن معد بن عدنان بن ادد بن الهميسع بن سلامان بن
عوص بن بوز بن قموال بن ابى العوام بن ناشد بن حزا بن بلداس
بن يدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخى بن عيض بن عبقر بن عبيد
بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربى بن يحزن بن يلحن بن ارعوى بن عيض
بن ديشان بن عيصر بن اقناد بن ايهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن
سمى بن مزى بن عوضة بن عرام بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل
عليه السلام بن تارح وهو ازر بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن
عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ
بن اخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث ابن ادم عليه
السلام وقال ابن عباس وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل سنة اثنين
واربعين من سلطان كسرى انوشروان وارسله الله تعالى لمضى اثنين وعشرين
سنة من ملك كسرى برويز بن كسرى هرمز بن كسرى انوشروان وهاجر لاثنتين
وثلاثين سنة مضت من ملك برويز ومهد الله سبحانه وتعالى له طريق نشر دينه الجديد
بعواصف واهوال شديدة واختلافات كبيرة عديدة ارتجت فيها الكنيسة الجليلية واشرف
نور الديانة المسيحية فى الشرق على الانطفا وصار لا يوجد له الا شعاع ضوء ضعيف
جدا وارتجت المملكة الجريقية وتقلقلت اساساتها القوية من هجوم الاعراب عليها وتسلطن
الاختلافات الداخلية فيها واسرعت دولة الفيا حرة فى الاضمحلال والخمود وكانت ايها
ايضا على غيرة وحسد شديد وعداوة كبيرة وفى قلق وجزع شديد من مدة طويلة
من قيام ونشر ديانة الخليلى الحنفية المذموم عندهم وحضانة قسطنطين الاكبر لها
وتقويته لها وتزيينها بزينة المجد والابهة ونشرها باوامر شديدة سديدة مما
يستعد لدمار هذا الدين المبغوض عندهم بما انه كان سببا فى دمار واطفا نور
دينهم وفاحت الفرس ايضا متدهلة العقول فزعين وجلين من انتهاك الحرمات
الفظيعة القبيحة التى وقعت لهم من تعصب وحدة مقاتلى عباد الاله المصلوب
وتجبرهم واجتنائهم الاثام والكبائر فى داخل معابد النيران وولولت الديانة
الوثنية ونعت نفسها لنفسها ونذرت على نفسها الانتقام والاخذ بالثار فى نظير
تكسير اصنامها والمهنة ودمار معابدها وما بقى للديانة المسيحية صديق ولا خليل
الا ما قل وندر وكان ما زال قدما اعداها موجودين فى قلبها وهم مخترعى او مبتدعى
العقايد والمذاهب العديدة شراع الاوهام والخرافات اهل البدع والضلال
محرفى الكتب المقدسة على مواضعها المعتقين باسما الاوريانيين اصحاب اريان
اسقف اسكندرية (مصر) والابليانيين واليعقوبيون والنسطوريانيون
والمانيخيانيون والغوطيقيانيون وهؤلاء اشتهروا اعلنا هذه المذاهب المبتدعة
حتى افسدوا كل شى من امور الديانة المسيحية وفقدوا عزم كل جاحد منكر لها واضعفوا
حالتها واهانوها ومحوا قيمتها وكانت كل هذه تمهيدات وارهاصات فى تلك
المدة لقيام الدين الاسلامى وقام صلى الله عليه وسلم وتسلح بسيف صارم بتار
لديه وارغم الناس على الدخول فيه والتمسك به ودلوا انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يقرا ولا يكتب اى كان اميا فكان مستحوذا على ذكا عقل الهى وادراكات
ومعلومات الهية وهبية فوية وقام هذا الصادق الامين باعبا الرسالة وهدى

وهدى الامة من طريق الضلالة الى طريق الحق المستقيم وقضى سنى شبابه صلى الله عليه وسلم
فى اشتغاله بالتجارة وسافر فى هذا الصدد عدة اسفار الى فلسطين وسوريا ودخل اغلب
المدائن التجارية الموجودة فى هذه الجهة من اسيا واكتسب من صغره فى هذا الميدان صفات
وفضايل حكمية زيادة عما كان يدركها من كتاب او يلقنونها له الذين لهم دراية بها من
من اساتذة اسيا وظهر عليه صلى الله عليه وسلم ان منحه الله سبحانه وتعالى وهبة القوى
العقلية والبلاغة والشجاعة التى امكنته بها نشر دينه وتاليف قلوب قومه وفى اثنا
اسفاره واشتغاله الكبيرة بالتجارة مع تجار البلاد الاخرى وما فيها من العقايد
الديانية المختلفة نظر صلى الله عليه وسلم بعين الفراسة الى ما عليه الناس من الحالة وتامل
بعين بصيرته فيما هم عليه من الشعاير الديانية والاحوال السياسية الى ان صار على دراية
تامة من اجراء المشروع الصعب الذى عزم على الدخول فيه وانزل الله سبحانه وتعالى عليه
القران المجيد مجموعا فيه القواعد الكبيرة الرئيسة والعقايد الديانية الموجودة بين اليهود
والمسيحيين وما انبا به موسى وعيسى وقصص ومواعظ وحكم واداب والزواجر العالية
الموجودة فى الكتب المقدسة الاخرى وجعل الديانة التى قام بها مقصورة فى عقيدة
وحدانية الاله سبحانه وتعالى ووصف صلى الله عليه وسلم الجنة ونعيمها وزخرفها للمتقين
والنار وعذابها وشدتها للفجار ارباب الشهوات من فاسدى الاداب واجتهد فى ان يدخل
فى دينه اهل الاصنام والاوثان وبهذا جمع فى مدة قليلة تحت البيارق المحمدية الجم الغفير
من اهل المذاهب المختلفة من الاقاليم القاصية من اسيا وكل من رفض عند الدخول
فى الدين او دخل فيه وارتد عنه فجزاه السيف وعليه غضب الله وغضب رسوله ونكح رسول
الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة يومئذ ابنة اربعين
سنة وكانت امراة تاجرة ذات شرف ومال وكانت اوسط نسا قريش نسبا واكثرهن مالا
وشرفا وقوى امره وزاد حرصه فى الدين وكان عنده معاونات الهية حقيقة زعم اهل الانجيل
وهم عباد الاله المصلوب انه كانت لديه عدة سرية من شخصين من علما الطبقة الاولى
كانا له اعوانا فى نشر الدين احدهما عبد الله بن سلام حبر من احبار اليهود من اهل فارس
وكان على دراية تامة من المبهمات الخفية الغامضة للتلمود والاخر ذكره عباد الاله
المصلوب ان اسمه جرجيس او سرجيس المعروف عند العرب باسم بحيرا الراهب وكان
راهب نسطورى له دراية تامة بكافة العقايد والمذاهب المبتدعة فى ذلك الوقت المتسلطنة
فى عالم الدنيا المسيحية وانه بواسطة هذين الحبرين الف العقايد المخالفة لدينهم المسيحى الواهية
طريقة جميلة فى حد ذاتها وسماها بالقران كذبوا وافتروا على الله وعلى رسوله ولعنوا فى
الدنيا والاخرة بكفرهم بل هو قران مجيد فى لوح محفوظ كان فى ام الكتاب مسطورا ثم انزل
الى اللوح المحفوظ ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم قطعا مفصلة وايات بينات على حسب الحوادث
والوقايع ومن قبل بعثته صلى الله عليه وسلم استمر على العزلة والزهد اللذان عليهما الانبيا
من قبله واعتزل عن كافة المعاملات والجامعات فى غار فى جبل حرا على مسافة فرسخ
من مكة كان يتعبد فيه ويتفكر فيما يلزم اجراه من مشروع قيام دينه المفتخر ونشره ومن بعد
بعثته صلى الله عليه وسلم انذر قومه ووعدهم النعيم الازلى وخوفهم بالعقاب والعذاب الابدى
ثم اخرجه قومه من مكة وهاجر الى المدينة وكانت هجرته صلى الله عليه وسلم من اشهر الحوادث
وقعا واتخذها المسلمون تاريخا لمبدا سنيهم وحوادثهم وكانت وقوعها فى سنة ٦٢٢
بعد الميلاد فى ١٦ شهر يوليه فاستمر عقبها بشرع الدين ويغزو الغزوات ووفد عليه
الناس افواجا للدخول فى دينه صلى الله عليه وسلم الى ان انتقل الى دار البقا من بعد مضى عشر
سنوات من هجرته اى فى سنة ٦٣٢ بعد الميلاد وكافة احاله ومدة حياته صلى الله
عليه وسلم وغزواته وشريعته اشتغلت بها علما العرب والعجم والمسيحيين وشرحوها و
فصلوها واسهبوا القول فيها حتى صار لا ضرورة لى فى هذا المحل ان اذكر زيادة عما ذكرته
فى الجزء الرابع من هذا التاريخ فى هذا المحل ولا ان اذكر ما حصل من مظفراته وما حازه
من علو درجة شانه وما احاط خلفاه صلى الله عليه وسلم به من بعده وما حصل لهم من الظفر
ولعساكرهم من النصر فى ميادين سهول وافريقية الا ما كان مخصوصا هنا بالهند من
الاعمال التى اجراها العرب فى ذلك الاقليم المتغزل على حدة من نفسه واجتهد فى سرد
وذكر ما وقع فيه من الاعمال الكبيرة والحوادث المهمة الخطيرة تاركا الدقايق المملة و
الوقايع الصغيرة التى لا عبرة بها والمذابح التى حصلت ليدوم من كان له عقل الوم من

١٧٨

عملي وبسبب الفعال هند مع فارس الصالح التجاريا او وهو المعتمد ارجاعها على انه تكون
تابعة لها من مدة عصور عديدة تحت ملوك العائلة الاشغانية او الفارطيين وملوك العائلة
الساسانية وبقا ملوك العائلة الاشغانية متسلطة مدة طويلة في مملكة فارس صار من
الضروري في العمل الذي سنتخذه في الفتوحات الاسلامية في الاقاليم القاصية الشرقية مناسبا
ان نوجه عيني المطالع الى المشروعات الجليلة القديمة التي اجراها قواد المسلمين في ايران
اولا ثم منها وجهوا فتوحاتهم ووقايعهم نحو السهول الهندية الشمالية لان مظفراتهم في الجهات
الجنوبية من اسيا ما كان لها تاثير على الهند وكانت فارس من قبل غارات العرب مبيحة في حال
ضعف فقام برويز كسرى بقوة سلاحه ومدافعته ونجح في ان اعاد لمملكة فارس ما كانت
عليه من الشهامة وعلو الدرجة والسعة القديمة لكن عواقب انواع الهجوم والغارات التي
اجراها عليها هرقل قيصر الروم رجعتها وزعزعتها مرة اخرى حتى وصلت الرجعة الى قلبها
وكانت سببا في خلع وقتل هذا الملك بلا فاتل والده ابنه شيرويه وخلف كسرى برويز
عدة ملوك من اهل الجبن وضعف الرأي او من اهل الاثم والفواحش على تخت فارس الى
ان غار العرب عليها اول مرة ولو ان بعض المورخين جعل هذه الغارة الابتدائية في
مدة خلافة عمر بن الخطاب الا ان الصحيح والمعتمد انها كانت في السنة الاولى من خلافة
ابو بكر رضي الله عنه وما كانت خصوبة وجمال واموال واغنية ملوك فارس الجسيمة هي
السبب الاصلي الذي هيج عرب صحاري بلاد العرب بسبب ما كانوا عليه من الفقر والمسغبة
بل كانت حمية دينية وغيرة اسلامية في نشر الدين المحمدي على كافة ارض المعمورة ومن ثم
عزموا في الابتداء من خضوع هذه المملكة المجاورة لصحاري بلادهم واهاجوا عليها حربا
دمرا اهلها ونفي من ارضها شعاير مجدهم وعبادة نيرانهم وكانت العراق او مملكة اشوريا
القديمة قسما من مملكة فارس ان سعة متاخمة لارض العرب فكانت اول غاراتهم عليها
وكان للعرب سير سريع في حركاتهم ومظفراتهم واستمروا في حروبهم وتغلبهم حتى وصلوا
نهر الفرات وراوا انه من الضروري عقد جسر على هذا النهر لعبوره والهجوم على الجيش
الفارسي وكان معسكرا في ضواحي مدينة بابل القديمة وكان هذا الجيش تحت قيادة
فروخزاد فحاربت ميمنة العرب في الهجوم وهجم فروخزاد على عساكر العرب الذين
كانوا امتطوا على الجسر ما بعد عقده على النهر وحرق سفنه وهجمت خيل الفرس من
كل جانب على العرب وهم في غفلة فشرعوا في الهزيمة مع الاحتراز وقد اتى رجعتهم
انقطعت عنهم مواد المؤنة وزادت عليهم هجومات الفرس وتقهقر والى حدود سوريا
وقيها وصلت اليهم امدادات قوية من نواحي سوريا وبلاد العرب فكروا من بعد مدة
قليلة الى ميدان الحرب بغيرة وحمية وحدة شديدة فقابلهم في هذا الهجوم الثاني واحد
من اكبر اشراف فارس من ارباب الدرجات العالية اسمه الهرمزان في راس جيش ضخم
فما كان للفرس من طاقة على المقاومة والثبات امام حملات الجيوش الاسلامية
وكان المسلمون خافوا الفضيحة والعار من هزيمتهم مرة ثانية مثل الاولى فامتلأت
قلوبهم غيظا وحنقا وحمية مقدسة اسلامية على عباد النار وآل امر الواقعة الى هزيمة
الفرس بالكلية وقتل الهرمزان والقسم الاعظم من جيشه في اثناء هول هزيمتهم وسرعة
رجعتهم وما نجى منهم الا الشريد
وفي هذه المدة كان حصل ارتباك وقلاقل شديدة تولد منها ان اجلس الفرس على تخت مملكتهم
الملكة ارزميد دخت وكانت ماهرة حاذقة فايقة ابنا جنسها من النساء الوان الاحكام
الداخلية والتربيات النظامية في مثل هذه الحالة المرتبكة بالحروب والاهوال لا يمكنها اجراها
وتنويرها بواحدة من النساء بما وانه اسم امراة لها الحكم والسطوة في المملكة يتولد عنه
الضعف والانقراض درجة سمو التخت وجلالة وجبر شعاير العبادة على التدريج وبالفعل
حصل الضعف في المملكة وفي شعاير العبادة فاجتمعت اراء الامة الفارسية على خلع ارزميد دخت
واجلسوا على تخت المملكة شابا صغيرا من احفاد الاكاسرة وقيل انه عظيما من الفرس اسمه فرخ
هرمز كان والي خراسان فارسل اليها يخطبها لنفسه فامرته بالحضور فلم حضر عندها امرت
حاجبها بقتله فخلفه ابنه رستم على خراسان وسار في عسكر حتى نزل المداين وسمل عيني
ارزميد دخت وقتلها وكان الذي اجلسه الفرس على تخت مملكتهم ما بعد هذه الملكة هو
يزدجرد بن شهريار بن برويز وكان يزدجرد اخر ملوك العائلة الساسانية المشهورة التي
فيشت القضيب الفارسي وجلست ملوكها على تختها نحو من اربعماية سنة وكان عمره في
وقت جلوسه على التخت خمسة عشر سنة وقال الواقدي واغلب مشهوري الوقايع الكبار

١٧٩

الاسيا وية مثل ابو الفرج الاصفهاني وابن العميد ان التاريخ الصحيح لابتداء جلوس يزدجرد
كان في غلوف السنة التي استخلف فيها ابو بكر رضي الله عنه في مكة من بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم اي في السنة الحادية عشرة من الهجرة وفي ١٦ من الشهر الذي توفي فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الموافق ١٦ يونيه من سنة ٦٣٢ بعد الميلاد وابتداء حكم ابو بكر
في خلافته المدة القليلة التي لبثت نحو سنتان الا ان حصول الغارة الاولى للعرب على عراق
فارس جعلها ابو الفرج وابن العميد من بعد مضي سنتان اي في سنة ٦٣٤ بعد الميلاد وقالوا
انها كانت في مدة خلافة عمر بن الخطاب وبسبب عدم استعداد يزدجرد في اعماله وضعف رسمه
على السلطنة سارت الحروب بدرجة كبيرة وبما انه كان يوجد رجل مشهورا اسمه رستم ولو ما كان
مطلوقا هذا الاسم على كافة المشهورين من شجعان فارس وفرسانها من عهد كيرس الاكبر
وان رستم هذا كان مشهورا ومعدودا في هذه الشهرة انه من شجعان الفاتحين
الا انه بذل مجهوده في ادا كل ما يجب عليه من حماية المملكة وان احماله حسب ما روته المؤرخون
ما افادت بفايدة بسبب سرعة ضعف المملكة واختلاط فوزها وجمع رستم جيشا ضخما مؤلفا
من ماية وعشرين الف مقاتل والتقى مع العرب وكانوا لا يزيدون عن ثلاثين الف مقاتل
الا انهم كانوا اهل قوة ونجدة اشدا على الكفار مثل سيوفهم المصنوعة من الفولاذ وكان العرب
تحت قيادة سعد بن ابي وقاص وكان قايد لا يعرف الخوف ولا يرهب من الموت واشتبك
في الحرب مع رستم بن فرخ هرمز على السهول الواسعة للقادسية وهي مدينة واقعة على حدود
صحراء العراق واستمرت هذه الواقعة ثلاثة ايام متوالية وكانت من اطول الوقايع واشنعها
وقامات هدت اسيا وقعة قبلها مثلها قط ولا انفصل فيها امر مملكة كبيرة مثل فارس
وبحسب ابن الاثير هذه الواقعة في سنة اربع عشرة من الهجرة وقال ان عمر بن الخطاب الخليفة انتخب
سعد بن ابي وقاص وكان على صدقات هوازن وكتب اليه بانتخاب ذوي الراي والنجدة والسلاح
وجعله اميرا على حرب العراق ووصاه وقال له لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء
بالحسن وليس بين الله وبين احد نسب الا طاعته فالناس في ذات الله سواء الله ربهم وهم
عباده يتفاضلون بالعافية ويذكرون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذي رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسرحه فيمن اجتمع اليه من المسلمين وكانوا اربعة
الاف وما زال سعد سايرا حتى نزل بالقادسية وبث غاراته في نواحيها وخرج رستم في راس
ماية وعشرين الفا من المداين حتى نزل القادسية وكانت الواقعة المشهورة التي انقضى فيها تخت مملكة
فارس وقال ابن العميد في تاريخه انه في ظرف الثلاثة ايام التي كانت فيها الواقعة عشر بكة هلك
من الفرس ستون الفا بسيوف المسلمين ومن المسلمين لا اقل من سبعة الاف وخمسماية في هذه
الواقعة الفاصلة وكانت هزيمة الفرس في هذه الواقعة سببا في استحواذ المسلمين على
كامل اقليم العراق الجليل ومن بعد هذه الواقعة شرع المسلمون في تشييد مدينة البصرة على
ات طي الغربي من النهر الكبير المسمى بشط العرب المتكون من اتصال نهر الدجلة ونهر الفرات
وفتوا اهل هذا الاقليم واحكموا تجارته ومن بعد ان انتعشت قلوب العرب واستخفت ارواحهم
من كثرة ما حازوه من الغنايم والاسلاب من واقعة القادسية واراحوا نفوسهم مدة
قليلة من الزمن ووصلت اليهم امدادات وتقويات جديدة زحفوا الى الامام مع غاية
السرعة في نشاط وحمية وحماس وتسلطن الطمع فيهم على تغلبهم على مدينة اقطيسفون المعروفة
عند العرب باسم المداين اي الشريفة التي ليس لها عدو ولا خصيم وكانت عاصمة مملكة
فارس وما كانت خضعت لاحد قبل ذلك وكان اسم العرب وما وقع منهم من شدة الحروب وشانهم
في الوقايع اوقع الرعب والرجفة في انحا اقاليم فارس وانكسرت شهامة اهلها وختم الله
على قلوب حكام المداين والاقاليم والقلاع بخاتم الضعف والوهن وزال من قلوبهم
حب اعزاز الوطن حتى صار لا يرفع رمح ولا يرمى سهم ولا يضرب بسيف في مقاومة تقدمات
تخريب العرب في قلب هذه المملكة الظريفة الفارسية ولما وصل جيش العرب المؤلف من
اسد كاسرة مثل جراد منتشر من بني ارم الى المداين وجدوا ان العايلة الملوكية عندما
علمت بقربهم اصابها الخوف والفرق وهربت من المدينة ومعها القسم الاعظم من الكنوز
والذخاير والاموال الملوكية من سرايها المزخرفة الى الجبال الوعرة من ارض ميديا
اي اذربيجان وما قتل شجعان المدينة واعيانها الذين كانوا محافظين ابوابها

واقعة القادسية

تغلب العرب على المداين

تسليم المدينة للعرب من اول وهلة حسب ما اتفقوا عليه في داخل اسوارها العالية الا
انه عدم معرفتهم ودرايتهم بفن المدافعة كان سببا في عدم حصول فايدة في مقاومة العرب
فاجمع العرب امرهم وحثوا نهم وحملوا حملة واحدة على الاسوار وتغلبوا على المدينة عنوة و
اوقعوا بالفرس الدمار واعملوا بهم دار البوار وضبطوا اسيوفهم من رقاب الفرس واغتنموا
غنايم لا تحصى ولا تحصر من اصناف الاجناس المختلفة التي كانت الغاب وخاق هولاء
العساكر الاسلامية المظفرة في وقت تغلبهم على هذه العاصمة الواسعة الجليلة واستحوذوا
على كميات اصناف الذهب والفضة والسبايك والنقود المضروبة من الذهب والفضة
التي ما كان ليزدجرد طاقة على حملها معه الى جبال ميديا والامتعة الثمينة والفرش والبسط
الغالية والسجاجيد الظريفة المنقوشة باظرف النقوش واعظم اشغال انوال وكارخانات
الهند وفارس والاشغال الظريفة المشغولة من الاخشاب الغالية الثمن والاواني
المشغولة من العقيق والبلور المرصعة بالجواهر النفيسة واصناف الحراير الغالية ومواد و
اصناف اخرى وتحايف والطاف كانت مخزونة ومشحونة بها مخازن البخار والباعة
وبالجملة فان كافة اموال الملك واشراف المدينة جمعت في محل واحد واغتنمت المنصورين
زيادة عما كان يخطر ببالهم هذا ما ذكره ابو الفدا وابن العميد في مؤلفاتهما ونحن على
شك قليل من هذا القول لانه علم لنا من حكاية جيرهنوند وبعض مورخي الفرس ما كان
من مقادير المبالغ الجسيمة التي كانت مدخرة في دهاليز تحت قبوات وعقود السراية التي جمع
كسرى برويز الملك الكبير جد يزدجرد وزخرفة هذه السراية بالاسلاب والغنايم التي
اغتنمها من مصر وسوريا وجزاير البحر الابيض المتوسط فقالوا في هذه القضية ان
الملك الكبير برويز المفتخر جعل الدور الاعلى من السراية في هيئة تخت او عرش مرتفع في
الهوا فوق الف عمود من الفضة تعمل فيه الاحتفالات والاستقبالات العمومية للسفراء
والنواب الوافدين افواجا واسرابا الى اكطيسفون (المداين) من الجهات القاصية
والاقاليم والممالك البعيدة وقبتها المقعرة المشكل من اعلاها مزينة في داخلها بالف
كرة من الذهب على هيئة الكواكب والسيارات الكبيرة فكانه يظهر لرائيها انها جارية
في مداراتها الطبيعية وعموم حوايط هذا المبنى المفتخر مغطاة بنسيج مشغول بازهار
واثمار من الذهب مرصع باللؤلؤ والاحجار الكريمة الاخرى وفي اسفل السراية دور
ارضي يشتمل على مائة قبوة او عقد ملآن بالكنوز والذخاير والاموال وفي وقت
خلع هذا الظالم الطاغية بسبب ما كان عليه من حب الشراهة والعنف والشدة
سجن في واحدة من هذه القبوات حتى انه يظهر له عدم موته وانه ما دام ناظرا
الى هذه الاموال ربما يسهل عليه تنازله عن تخته ويخف عنه قطع امل ما كان جمع
من الكنوز من سلب الدنيا ويهون عليه الموت ثم انه من بعد ان نهب العرب المداين
سار جيشهم المنصور الى داخل الاقاليم واوقعوا الرعب في قلوب الحكام من كثرة عددهم
وما حصل من عاقبة عاصمتهم ففتحوا لهم ابواب المداين والقلاع ودخل الكثير منهم في
الديانة الاسلامية نجاة لحياتهم وحفظا لاموالهم واملاكهم ونطقوا بكلمة الشهادة
واقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فليما ولنا ومن قالها حفظ دمه وماله وصار
من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وتبدلت العداوة بالاخوة الاسلامية وزال
عنه الرق والعبودية فاما القاعدة الاولى الاساسية للدين الاسلامي وهي شهادة
ان لا اله الا الله فانها انطبعت طبعا عميقا في قلوب الفرس الذين ما كانوا يعبدون
الا الاله الحي في صفة لهبة النار المقدسة عندهم واما القاعدة الثانية وهي محمد
رسول الله فانها انطبعت في العقول الفلسفية التي كانت تزدري عبادة الاباطيل
والاصنام بقليل من الاشمئزاز والكراهة وقوى السيف الاقرار والاعتراف بها و
انعشت القوى الادراكية الفعالة للعقول البشرية على حسب ضرورة الايام والاعتراف
العمومي بقانون وشريعة دينية اكثر من المذاهب المعاة الفاحشة الدعوية التي ما دامت
كانت مفضية في بربرة الضحايا البشرية على محاريب الميثرة الفارسية والسيبو الهندية
وكان محمد صلى الله عليه وسلم نشر القرآن وجمعه اصحابه من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
فصار القرآن هو الشرع الديني السياسي الجاري العمل على مقتضاه ونص اياته واحكامه
الشريفة المقدسة ولو انه ما زال كان موجود شعاع حقيقي من الديانة المسيحية نافذة

نافذة مما كان في الطبقة المنيرة التي عقدها القرآن على كرة الارض فاند احبار اليهود ما زالوا
كانوا متمسكين بعقايدهم الدينية والرهبانات المسيحية كانت في درجة عالية من الارتقاء فلا
اليهود ولا النصارى حصل لهم خوف او جزع كبير مما وقع في الابتداء من انتشار الديانة المحمدية
وتلقى اهل الاوثان القرآن مع غاية الرغبة والشوق وليس من العجب ان السبب ما في القرآن
من مواعيد المكافأة العظيمة في هذه الحياة الدنيا والنعيم والسعادة الابدية التي يتمتع بها
المؤمن في جنان عالية والتلذذ باحسن ما فيه اهل اسيا من النعيم والرفاهية فسلطنة الاسلام
في كل من فارس والهند مع غاية السرعة على جموع جمة من الذين دخلوا فيه ودخل فيه الناس
افواجا وتأيدت حرمته والاقرار به والاعتراف باحكامه في قلوب الذين حضروه عندما
راوا ان الموت لا بد منه على الذين يقطعونه عهده ويرتدون منه وكان من اجل الذين دخلوا
فيه الهرمزان من اجل اشراف فارس وكان حاكم اقليم خوزستان اي السوس القديم وكان
لبث مدة طويلة يحارب المسلمين ويدافع عن اقليمه مع البسالة والشجاعة وفي اخر الامر تغلبت
عليه جيوش الاسلام واستحوذوا على امره واقليمه واخذوه اسيرا وارسلوه الى مكة من اجل
غ ريثما رسوم الاحترامات اللازمة لامير المؤمنين عمر بن الخطاب فاسلم على يدي عمر وحسن
اسلامه ورتب له الخليفة راتب كبير من بيت مال المسلمين قام بمعيشته مكافاة له على دخوله
في الدين ومن بعد ان تغلب المسلمون على مدينة السوس وكانت فيما سبق من اجل مداين
فارس صارت المداين الملوكية الفارسية همدان واصبهان وجرجان (برسيبوليس) وكافة
المداين المشهورة وسرايات الملك الاعظم شاهنشاه اي ملك الملوك صيدة سهلة على الغالب
الجيوش المنصورة الاسلامية فما خافوا ولا اعتبروا ما شاهدوا من الاطلال والاثار
والرسوم المفتخرة لمدينة اصطخر ولا تحرمت من تخريبها قبور الاكاسرة وحتى انه ذلك
جمع المنحوس المنكوس الطالع يزدجرد في جبال ميديا ما بقي من الجيش الفارسي المتشتت
وضربت المجوس طبولها المقدسة ونفخوا في ابواقها في المواطن القديمة لديانة زرادشت لانه
زرادشت كان اقام شعاير ديانته في الابتداء في كهوف في الجبال الميدية وارتفعت الاعلام
الموكبية الكسروية على رؤوس الجبال الميدية تدعو شبان فارس واهلها للمدافعة عن كل
ما بقي محترما عندهم من القوانين والشرايع الداخلية لابائهم واجدادهم وانتشب الحرب مع
الحمية والغيرة في نواحي جلولا وكانت هذه الواقعة من بعد مضي ستة اشهر من تغلب
العرب على المداين فكانت عاقبة هياجها بشرة وخيمة وحالة مكدرة على اقوال شمس فارس
الى الابد ولو ان يزدجرد كان صبيا شابا فانه اظهر في الواقعة ما يجب عليه من اعمال
ملك كبير وشجاع باسل وقايد متدرب في الاعمال الحربية ومن بعد هزيمة عسكر جيشه
استمر في هروبه مع عايلته الملوكية اولا نحو فارطيا ثم من بعد ان اقام فيها برهة من
الزمن وراى انه ليس بامن على نفسه من تعقب العدو له سار نحو سلسلة الجبال الوعرة
الكبيرة الموجودة في اقصى الحدود الشمالية لمملكته ثم اخذ في هروبه نحو اقليم فرغانة او اقليم
جيحون وهناك استقبله ملك الصيطين اولا ثم نار المدعو طرخان مع الاحترام والاكرام وتوفاه
وفي اثناء عقد محالفة قوية مع ملكي تركستان والصغد وصعب عليهما الحالة المشؤومة
والضرر الذي وقع لملك كبير مثله وجمعا جيشا ضخما لمساعدته ورجوعه الى تخت اجداده
وقد ذكر بعض مورخي الشرق من الاوروبا ويين ان يزدجرد ارسل رسولا معتمدا عليه
الى امبراطور الصين الواقع مملكته في اقصى الشرق يبث اليه حزنه وما لاقاه من المصايب
والاوجال التي حلت به ويستغيث بما عنده وفي مدة ما كان يزدجرد يستغيث على
مساعدة تقيه بالاجانب والاغراب دبت الغيرة والحمية في بعض اصدقاء الوطن من
رعاياه في المملكة وقطعوا اليأس من حياة انفسهم واجتمعوا من كافة الجهات المختلفة
والنواحي البعيدة في جهة نهاوند وهي مدينة من اعمال فارسيستان واقعة على تل
او جبل وفي الجهة الجنوبية من همدان بمسافة اربعة عشر فرسخا وكان الجمع الذي
اجتمع بها مولف من مائة وخمسين الف مقاتل وعزموا على بذل مجهودهم واكبر ما في
وسعهم وطاقتهم على الدفاع والمحافظة على ما بقي من القليل من لهب النار المقدسة ومن
الدمار المخيم على فقد المملكة فكانت واقعة نهاوند احدى الوقايع الجسيمة في السجلات التاريخية
العربية وكانت واقعة دموية شديدة العثار قال ابن العميد انها استمرت ثلاثة ايام متوالية
وفي اليوم الاخير حصل للمسلمين الظفر وهزموا اعداهم قتلا واسرا من اخر ميادين حربهم

وصف سراية كسرى بالمداين

١٨٣

وقال ابن الاثير ان واقعة جلولاء كانت في سنة ست عشرة من الهجرة وسببها ان الفرس لما انتهوا بعد الهروب من المداين الى جلولاء وافترقت الطرق باهل اذربيجان (ميديا) والباب واهل الجبال وفارس قالوا لبعضهم لو افترقتم لم تجتمعوا ابدا وهذا وكان اخذ افنا فهلموا فلنجتمع للعرب ولنقاتلهم فان كانت لنا فهو الذي نحب وان كانت الاخرى كنا قد قضينا الذي علينا فاحتفروا خندقا واجتمعوا فيه على مهران الرازي وتقدم يزدجرد الى حلوان واحاطوا خندقهم بحسك الحديد المعروفة في فن الاستحكامات بالوهامات الفارغة فبلغ ذلك سعد ابن ابي وقاص فارسل الى عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمران سرح هاشم بن عتبة الى جلولاء واجعل مقدمته القعقاع بن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثني عشرة الفا ففعل وسار بهم القعقاع حتى قدم جلولاء وحاصرهم ثم قاتلهم وضيق عليهم وهجم عليهم عنوة وقتل منهم مائة الف وقيل وسار فيهم خلف الهاربين ولما بلغ يزدجرد الهزيمة اخذ في وجهه في الهرب من حلوان نحو الري واما واقعة نهاوند فقال انها كانت في سنة ثمانية عشرة او تسعة عشرة او سنة احدى وعشرين من الهجرة وانتخب عمر بن الخطاب لهذه الواقعة النعمان بن مقرن المزني مع ثلاثين الفا من فرسان العرب واهل النجدات ولما قرب النعمان من نهاوند عبى اصحابه ووقفت عليه امداد المدينة والفرس وقوف على تعبيتهم تحت قيادة الفيرزان وهاج الحرب ولبث الحرب يومان سجال بين الجيشين حتى انجحر الفرس في خنادقهم وحصرهم المسلمون ما شاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا بالخيار كما ارادوا فخاف المسلمون ان يطول امرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع عبى النعمان جيشه وبعيثا ثم لوا حتى يا زنا لهم واقبل الفرس عليهم يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان الا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم ايذن للناس في قتالهم فقال النعمان رويدا رويدا وانتظر احب الساعات في القتال التي كان يلقى رسول الله عليه الصلوة والسلام العدو فيها وذلك عند زوال الشمس فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال لهم اني مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فاني حامل فاحملوا وان قتلت فالامير من بعدي حذيفة بن اليمان ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان اول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم اني اسالك ان تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا ورجع الى موقفه فكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه واقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت اشد منها وصبر لها المسلمون وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس والدواب وقتل النعمان في هذه الواقعة وانهزمت الفرس شر هزيمة وكان النعمان اشجع قواد المسلمين وحاز الفخر الجليل في هذه الواقعة وكان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقام مقامه من بعد موته حذيفة بن اليمان فسار على منوال النعمان من بعد تمام هذه الواقعة الفاصلة وصير عموم فارس خاضعة ساجدة للتاج العربي ما عدا الاقليمان البعيدان التابعان لها وهما كرمان وسجستان فانه حكامها استمروا على طاعة ملكها ولبث عدم الارتجاج والقلقلة في هذين الاقليمين عدة سنوات وهما مقاومان لكل قوة او جيش يرسل اليهما من طرف المسلمين ويدافعان عن ملكهما المضني الكئيب ويعينانه بما فيهما من الرجال والاموال ثم ان هذين الاقليمين وقعا في احرازهما في قبضة الشوكة القوية الاسلامية وتحت الحمل الثقيل لتمثال هذه القوة الذي ظله ممتدا على نصف اسيا ثم انه لاجل تمام ما وقع من المصائب والافات على العائلة الملوكية فقد فر يزدجرد مع قليل من اشراف قومه وما بقي من الجيش الذي كان ملازما له ومدافعا عن امره الى ارض خراسان واستمر في هذا الاقليم القاصي عدة سنوات محافظا على هيئة ملوكية وخيال فخر وعظيم مملكته وكانت هذه الحالة احسن حالا له مما كان عبدا ذليلا قاطنا بين قبايل الصغد والترك الذين هم ذراري الميا غيطانيين الذين كانوا الد الاعداء لمملكة فارس غير ان حالة تجريد يزدجرد من ملكه ونفيه من ارضه اذهبت ما كان عندهم من الضغينة والعداوة وقدموا له محافظتهم والدخول معه في امره على المسلمين ايضا المحاربون لفارس من حمية وغيرة شديدة من اجراهم اشعال نار الهجوم على كامل المملكة قاصدين فيه اعادة يزدجرد الى تخته او ضبطهم المملكة لانفسهم فاتفق في هذا الاثنا ان حصل في احدى المداين القليلة الباقية تحت يد يزدجرد وهي مدينة مرو الروز او مرو الواقعة على نهر جيحون لتمييزها عن مرو اخرى في اقليم خراسان

١٨٤

خراسان ان انبعث ثورة مهولة راسها نفس حاكم خراسان ودعي هولاء العصاة قبيلة من الترك مجاورة لهم من اجل معاونتهم على مقاومة الحكومة الملوكية ومضادتها ولما وصل يزدجرد مع جيشه القليل لاخماد ثورة الثائرين راى سيوف مخالفيه من الترك والصغد الغادرين متوجهة نحوه في واقعة انهزم فيها وتشتت جيشه الزهيد الذي كان معه فهذه واحدة مما حكايات مورخي العرب وقال اخرون انه بواسطة تكرار ارتباطات معلاقاته توصل اخيرا الى ان ملك الترك الذي صحبه في راس جيش ضخم ليعيده الى تخت فارس استغنى يزدجرد عن معونته لما راى في مدة تقدمه نحو فارس ان جيشه اخذ في زيادة كبيرة فتفكر في نفسه انه صار له قوة كافية بدون اشغاله من رواتب عدة ملك الترك وارتاب في السر منه واحتج بحجة باردة في طرد المعين له فغضب ملك الترك من ذلك وجعله واحدا من اكبر الخائنين اسمه فهو لا كان في خدمة يزدجرد في الباقي حتى سقط ملك الترك بكامل قوته على الفرس وهزمهم شر هزيمة وارغم يزدجرد على ان يبحث لنفسه على محل نجاة وعلى ما سلامة في كونه اسرع في هروبه وما زال مجدا في هذا الهرب حتى وصل مضني فاقد القوة والحواس من شدة ما لاقى من التعب والعناء المنقلب الى ضفة نهر ووجد رجلا سماكا في قارب له او رجل طحان حسب قول اخرين فقدم له وهو على اخر رمق خواتمه واساوره وحلى اخرى ملوكية ليعديه من النهر بسرعة بمفرده لانفرازه من شدة غضب العدو المعقب له وفي اثنا ما كان هذا الجلف الطحان عديم الهمة والمروة يتردد في تعديته بما ان الملك ما كان اعطاه نقودا حسب العادة الجاري المعاملة بها في بلادهم ورد خيل الترك على اخر نفس ولما عرفوا شخصه شرعوا رماحهم عليه وسحبوا خناجرهم وقتلوا هذا الملك المنكوس شر قتلة وكان قتله في السنة الخامسة والثلاثون من عمره وفي السنة التاسعة عشرة من سلطنته وبه انقرضت ملوك العائلة الساسانية وذكر ابو الفدا وابن العميد ان حصول هذه الحادثة كان في سنة ٣١ من الهجرة الموافقة سنة ٦٥١ بعد الميلاد وقيل ايضا في سبب قتله انه هرب من كرمان في جماعة الى مرو ومعه فرخزاد اخو رستم فرجع عنه الى العراق ووصى به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزدجرد مالا فمنعه وخافه اهل مرو على انفسهم فارسلوا الى الترك يستنصرونهم عليه فاتوه فبيتوه فقتلوا اصحابه فهرب يزدجرد ماشيا الى شط نهر المرغاب فاوى الى بيت رجل ينقر الارحاء فلما نام قتله وتبعوا اهل مرو اثره الى بيت نقار الارحاء فاخذوه وضربوه واقر بقتله فقتلوه واهله واخرجوا يزدجرد من النهر وجعل في تابوت وارسل الى اصطخر فوضع في ناووس فيها وذكر ابن الاثير اقوالا مختلفة في قتله لا حاجة بذكرها هنا

وفي سنة ٣١ من الهجرة الموافقة سنة ٦٥١ بعد الميلاد امر الخليفة عثمان بن عفان كلا من عبيد الله بن عمر حاكم البصرة وسعيد بن العاص بالدخول من طرق مختلفة في خراسان وفتحها وصيح بين المسابقة في ميدان هذا الفتح ووعد حكومة هذا الاقليم العظيم وهو مملكة باكطريانه القديمة الواسعة مكافاة لكل من دخلها وافتتحها اولا فاستحوز على هذه المكافاة عبد الله بن عمر وقال ابن العميد ان عبد الله بن عمر سار في اعماله المنصوره وحروبه المنصورة المشهورة وما وقف في طريقه حتى شرب من مياه نهر بلخ عاصمتها الواقعة على فرع من فروع نهر جيحون وما تم في ظرف مدة قليلة مقدارها احد وثلاثون سنة خضعت الممالك الواسعة فارس ومصر وسوريا لخلفا النبي صلى الله عليه وسلم واضافوها الى اقليم بلاد العرب لكنه واقع خلف نهر جيحون مباشرة المملكة العظيمة الزاهرة الغنية المعروفة عند العرب بمملكة ما وراء النهر وكان ما زال طمع العرب لم يقف لحد محدود ولم يهدا ويسكن حتى يسطون ويتغلبون على هذه المملكة بواسطة جيوشهم المنصورة وما سكن لهم جاش الى ان تغلبوا عليها واستحوزوا على ثروتها واموالها وكانت لا تحصى ولا تحصر ولنذكر هنا الوصف الجغرافي لهذه المملكة الخطيرة مع الضبط حسب ما ذكره الجغرافيون من اهل الشرق فاقول ان لفظة ما وراء النهر مطلوقة على الجهة الواسعة من الاراضي الواقعة بين نهر جيحون ونهر سيحون وممتدة من الدرجة الرابعة والثلاثون الى الدرجة الرابعة والاربعون من العرض الشمالي ومن درجة ٩٢ الى درجة ١٠٧ من الطول الشرقي وما فيها نحو من ٦٠٠ ميل مسطح ومحدودة من جهة الشمال بمملكة تركستان الكبيرة او مملكة صيطيا القديمة ومن جهة الشرق بمملكة التبت ومن جهة الجنوب بفارس والهند ومن جهة الغرب بمملكة خوارزم وهي معروفة عند مشهوري الجغرافيين بايران فارس والصغد معروفة عندنا

قتل يزدجرد

وصف مملكة ما وراء النهر

اهل هذه الايام باسم مملكة بخارى الكبرى و ولو ان هذه المملكة كانت محكومة با
لاوزابكية خاناتها فانها ما زالت كانت في سعة كبيرة ومشتملة في داخل حدودها الواسعة
على مملكتي الصغد وباكطريانه القديمتين وكانت هذه الاقاليم ايضا متصلة في التكوين مع
مملكة فارس المحكومة بالعائلة الكبيرة الساسانية والسبب الاصلي الذي اوجبنا ذكر وصف
وحالة هذه الاقاليم لانه تولد في بذرتها الجنس القوي الباس الغزنوي الذي فتح البلاد
الهندية وقد ذكرنا فيما سبق وصف خصوبة وظرافة اقليم باكطريانه او خراسان
فكذلك كان اقليم الصغد في بركة زايدة ونعيم دايم مثل اقليم باكطريانه ظريف المناخ
جميل المنظر كثير المحصولات والخيرات جباله العالية مكسوة بالاورمانات والاجام ذي ثروة
كبيرة في المعادن ويخرج من وديانه اصناف مختلفة وافرة من الحبوب وبه مراعي واسعة
من المرعى كما فيه يرعى ما لا يحصى عددا من الاغنام والانعام واصناف الماشية وانهاره
العظيمة مشحونة باصناف الاسماك المختلفة ذات اللذة الفكهة في الطعم وجوه على الدوام
صاف نقي والقسم الاعظم من هذا الاقليم واقع في العرض الواقع فيه مملكة ايطاليا ومع
زيادة ارتفاع اراضي هذا الاقليم مناخه بارد الهواء الا انه غير مضعف كما لسكانه وما زال
لحد الان اسم هذا الاقليم المشهور واقع عليه وهو اسم وادي الصغد وهو احد جنان اسيا
والمحل المرغوب المحبوب لكل شاعر وعالم وصاحب اداب وحكمة من الشرقيين وطول هذا
الاقليم ١٢٠ ميل وعرضه ٦٠ ميلا ونهره الكبير يعرف بنهر كاكي يجري فيه ويفرع
نحو من مايه غدير جميعها تروي وتسقي بساتين واراضي المزارع المشهورة في ارض الوادي
وذكر ابن حوقل انه موجود في وسط هذا الوادي وعلى الضفة الجنوبية من النهر مدينة
سمرقند الظريفة المعروفة عند القدماء باسم مرقنده وقيل ان [illegible] شيدها
اسكندر الاكبر عندما عبر النهر الى الصغد تابعا اثار دارين من الباكطريا بين واما
على حسب ما ذكره ابو الفدا في جداوله فان سمرقند واقعة في عرض ٤٠ وفي طول ٨٩
غير ان عرضها على حسب الارصادات الاكثر ضبطا ٣٠ ٤٦ من العرض الشمالي و ٩٥ من
الطول الشرقي وهي المركز القديم الملوكي لمملكة ما وراء النهر الى ان نقلت العائلة
السامانية كرسي دولتهم الى بخارا وقال ابن حوقل ان بها قلعة حصينة مستحكمة
ومسجد جامع مفتخر وسرايات باهرة عظيمة ومظللة باشجار خضرة ومناظر نضرة
وشوارع متسعة واسواق مزدحمة ملانة بتجارات الشرق النفيسة وجميع محيطها او
دايرها الواسع الى مقدار محيط بخندق عميق واسوار عالية وابراج مصففة على
مسافات متساوية وصفح ابوابها من حديد فضلا عن ان المدة التي زار فيها ابن
حوقل سمرقند ما كانت مدة تاريخ مجدها وشهامة علو شانها وسنذكر في سلطنة
تيمور ايضا وصف مجدها وابهتها وظرافتها في المدة التي جعلها فيها تيمور عاصمة
مملكته الواسعة ويوجد على مسافة سير سبعة ايام من سمرقند مدينة بخارى مركز ومقر
الملك الذي كان في مدة حياة ابن حوقل وقال ابن حوقل انها كانت محيطة على عدة
اميال باليكات وبساتين وجنان تسقى بالنهر الصافي الظريف الاعوجاج في جريانه
الجاري في وسط مراعي وبساتين وتعاريش سمرقند وذكرها ابو الفدا في جداول
تقريبا انها واقعة في عرض ٢٠ ٣٩ وفي طول ٥٠ ٧٠ فالعرض مضبوط و
الطول مغلوط والصحيح انه ٥٠ ٦٥ وبها قلعة حصينة قوية مركز مقر الملوك
السامانية وبها مسجد كبير جليل وسوق عظيم مشهور وهي مركز تجارة اسيا العليا
وبما ان بخارا وسمرقند كل منهما واقع على ارض سهلة وكانتا سهلة الوصول لهجوم
كل عدو هاجم عليهما وكانت بخارى في داخل سورين قويين محيطين بسطحها
مستحكمة قويتين للسور الداخل سبعة ابواب وفي الخارج اثنى عشرة بابا ولا ريب ان
الاسوار كانت في ارتفاع وتناسب ظريف الى سمو المحل ومجده ومن بعد مدينة سمرقند
وبخارا المدينة العظيمة الاكثر بها جلالة المعروفة بمدينة فرغانه وجعلها ابو الفدا
على عرض ٣٠ ٤٢ وكانت عاصمة اقليم خصب يعرف باقليم فرغانه مشتمل على عدة مداين
وذكر قال ابن حوقل انها موضوعة على سهل وعلى ضفة من نهر وهي مدينة كبيرة من مدن
الشرق بها سراية جميلة للحاكم وقلعة للحماية ومسجد جامع للعبادة واسوار كبيرة الامتداد
للمدافعة وهي المدينة التي كان هرب اليها منحوس العاقبة يزدجرد حسبما ذكرناه انفا

ما ذكرناه انفا من اجل حماية نفسه من تتبع المسلمين خلفه وهي المقر الاصلي ومسقط راس الفلكي
المشهور الجليل القدر المعروف بالفرغاني وارضها مشتملة على عدة محصولات وافرة ذهبية من
ذهب وفضة ونحاس ومن فيط اخرى من المعادن وكان يوجد في جبالها حجر الجزع اليماني
وملح النوشادر او الامونياك وعيونه معدنية يسيل منها زيت النفط المغلي ومحل مأوى لما
بني على معابد الديانة المجوسية وكذا مدينة كش مسقط راس تيمور الاكبر وهي مدينة ظريفة
بعيدة مسير يوم عن سمرقند وكذا مدينة نخشب وعرض وانقيل في مؤلفاته انها هي مدينة
نوطيقة القديمة ولو انها اهملت وتركت في هذه الايام فانه يستدل من اثارها واطلالها ما كانت
عليه هيئتها في العهد القديم من الابهة والمجد والحصانة ومدينة جيحون المعروفة من عند الجغرافيين
بمدينة اوكسين الواقعة على شط نهر جيحون ومعدودة في كافة العصور انها محل تعدية
او عبور هذا النهر بين بلخ وما وراء النهر فانها ايضا مدينة كبيرة مشحونة بالسكان وفي غاية
من الحصانة والاستحكام وشيد فيها قلعة ومتاريس قوية لاجل حماية معبر النهر ومدينة
ترامذ مشهورة بوجود اجود المن الاشيوري فيها ومدينة اوشروسنة مدينة مستحكمة وعاصمة
اقليم موجود فيه اربعماية حديقة ومن ثم كانت توجد مداين قوية كاملة التحصين والحماية
مشحونة بالعساكر والمحافظين في ما وراء النهر في مدة الغزوات والغارات الاسلامية موجودة
في ضواحي الاراضي التي تغلبوا عليها فتولد من عدم فتحها بسبب كثرة عوائقها وموانعها
على المسلمين اضطرام نار الحمية والغيرة في قلوبهم وكانت محبتهم للذهب والسلب اصلا في تولد
شدة الشجاعة والفخر والعزم بسبب ما كانت عليه هذه الجهات من وفرة الثروة والمحصولات
والاصناف الغالية المختلفة من معادن الذهب والفضة والنحاس والزيبق والجواهر
الغالية النفيسة واصناف الحرير المختلفة والاخشاب وملح النوشادر واجود المن وكافة
المحصولات النادرة العظيمة اللذيذة المطعم الخارجة من ارضها وبساتينها وكونها كانت
ايضا مركز التجارات الواسعة الجارية بين الهند وفارس مع الروسية والصين والاطراف
القاصية الشمالية من اسيا وازدحامات جمعيات اغنياء تجار البلاد الذين سراياتهم
وايراداتهم معادلة لسرايات وايرادات الملوك كل هذه سلبت فؤاد العرب وطمعوا في
كل هذه الاموال والتغلب على الاراضي والبلاد وعبرت جيوش العرب وفرقهم وكتائبهم
نهر جيحون مع غاية العجلة واشعلوا في وديانه نيران الحروب واضرموا النار في جنات
اسيا وبساتينها ومن قبل الدخول في تفاصيل احوال هذه الوقايع رأينا من الضروري
انه نذكر الوصف الجغرافي لمملكة اخرى مشهورة في الغنية والثروة والخصوبة واقعة في هذه
الجهة من اسيا معروفة قليلا للجغرافي الاوروباويين ووصفها من الاعمال اللازمة لتدوين
وقايع وحوادث هذه المملكة من الاشيا اللازم درجها في هذا التاريخ وعدها ابن حوقل
من ضمن الممالك المشهورة في ما وراء النهر وهي مملكة خوارزم ولو انها في الحقيقة ليست
معدودة منها الا انني سأتبع راي ابن حوقل واذكر في هذا المحل وصف هذه المملكة البعيدة
على حسب اقواله فيها واضيف ما قاله ابو الغازي بهادر خان الاصلي بما انه لا ريب
انه كان عالما بتاريخها ولا شك ان اقواله لا يجيب منها المطالع من يشير الحصول على منفعة
فوايد تاريخيه خاصة بهذه المملكة احسن من اقوال اخرين وكان ابو الغازي خان
من جنس مشهور اشتهر في اعماله واحكامه وكان ملكا قوي الباس شديد البطش حاكما
على قسم كبير من مملكة خوارزم ووصف خوارزم وصفا محكما والف تاريخا جليلا مخصوصا
بالامة التاتارية بلسان المغول ورسالة جليلة في علم الجغرافية وقال كاتب حوادث
لا غرابة في الشرق من وجود ملوك من ضمن العلماء والمؤلفين والكتاب الذي نقلنا منه
وصف خوارزم هو تأليف ابو الغازي وشغل ابنه والاثنان كانا خانا خوارزم وهذه
المملكة المعروفة باسم خوارزم او خارزم وذكرها بطليموس باسم خورازميه فانها
واقعة على كل من ضفتي نهر جيحون بعضها منسوب الى ايران وبعضها منسوب الى ما وراء
النهر وهي واقعة بين ٣٨ و ٤٤ من العرض الشمالي ومحدودة من جهة الشمال بتركستانه
ومن جهة الجنوب بخراسان ومن جهة الشرق باقليم ما وراء النهر ومن جهة الغرب ببحر
مازندران او بحر الخزر وطول حدها الكلية ٨٠ فرسخ مسطح ومن الضروري هنا انه نذكر
وصفا وجيزا مخصوصا بعلو وزيادة وجريان نهر جيحون قال ابن حوقل في رسالته
الجغرافية ان منابع هذا النهر المشهور موجودة في اراضي بذخشان في وسط الجبال

وصف مملكة خوارزم

ان هعر التي تعصل ما لك المغول الاكبر (ملك الخز او امبراطورها) من التاتار الكبرى وذكر ابو الفدا انها واقعة على عرض ٣٠ َ ٣٩ ومن بعد جريانه هذا النهر في اراضي بخارا الكبرى يدخل في ارض خوارزم ويتفرع فرعان كبيران فاما الفرع الموجود في جهة شمال المجدر في النهر فانه يجري نحو الجهة الغربية ويصب في بحر الخزر في عرض ٣٠ َ ٣٨ واما الفرع الايمن الذي كان يجري من تحت اسوار العاصمة ثم يصب ايضا في بحر الخزر على مسافة ٢ فرسخ نحو الجهة الشمالية من الفرع الايسر فانه مدة تنوف عن مائتين سنة ترك مجراه القديم واتخذ مجرى نحو الشمال الغربي وخلط مياهه مع مياه نهر داريا او خيبيل وكان سببا في توسع مجرى هذا النهر من بعد ان كان قليل العرض وكان نهر داريا يصب في الابتدا في بحر الخزر فلما كره الاوزابكة التاتار وهم حكام خوارزم دخول الروسيين لما طلب مالكهم من هذا الفرع حولوا مجراه وجعلوا مياهه تجري في ثلاث خلجان او ترع حفروها باشغال اليد وصرفوا مياهه في بركة ارال وتولد من ترك نهر جيحون مجراه القديم دمار وخراب مدينة كوركنج وعموم المداين التي كانت واقعة على ضفته وهجر غالب اهلها وسكانها وتحولت الاقاليم والاراضي التي كانت في الوهاد بخصبة ظريفة الى صحرا رملية قبيحة كما ذكر هذا ابو الغازي في تاريخه ولننتقل الان من هيئة تخطيط النهر الى هيئة المملكة التي يروي ويسقي ارضها بمياهه فنقول ان عاصمتها المعروفة عند الفرس بمدينة كوركنج واسمها الان اورگنش فانها كانت واقعة على الضفة الغربية لنهر جيحون ومن هذه النقطة كان النهر ينعطف في مجراه الى جهة الشمال ووضعها ابو الفدا على عرض ١٧ َ ٤٢ وعلى طول ٨٥ وكان اسمها القديم جدا خارزم اما اسم الجرجانية وكان يوجد في الازمان القديمة في هذه المدينة اشتغال بتجارات كبيرة من كافة الاصناف التجارية الشرقية مع الاقاليم الواقعة في غرب بحر الخزر والاقاليم البعيدة عن [illegible] بنحو خمسة وعشرون فرسخا جرمانيا وكان هذا الاقليم مشهور بفواكهه الظريفة وعلى الخصوص البطيخ والضميري او عبد اللاوي لما كانت عليه هذه الاثمار من لذة الطعم ونكهة الطعم وكانت هذه الفواكه مطلوبة على الدوام لسرايات الملوك الكبيرة في اسيا وكان يخرج منه مقادير وافرة من اصناف الحرير الخام والزعفران وكانت مدة شماخة وسعة هذه المدينة وعمرانها وبهجتها في مدة سلطنة السلطان محمد الاكبر الذي تغلب على تخته جنكيزخان في سنة ١٢٢١ بعد الميلاد ويمكن ان نحكم على ما كانت عليه هذه المدينة من القوة والحصانة وكثرة عمارها وشجاعة سكانها بما استدلينا به من مورخي الشرق بانها لبثت سبعة اشهر في حصار شديد بواسطة الجيوش المغلية واخيرا عند ما تغلب عليها المغول عنوة قتلوا من اهلها لا اقل من مائة الف وقال اخرون مائتين الف كما ذكر هذا فضل الله في تاريخ جنكيزخان وفضل الله هذا مورخ مشهور من مورخي القرن الثالث عشر وكان وزير غازان خان خليفة جنكيزخان على تخت فارس وكان اهل خوارزم مشهورون في كافة العصور بشجاعتهم وبجل حالتهم واظهروا شجاعتهم وبسالتهم فوق شجاعة كافة عساكر الجيوش المختلفة في اسيا في مدة الحروب الصليبية وبشدة شجاعتهم ومقاومتهم في الحروب لقوى عسكر تيمور في سنة ١٣٨٨ امر هذا الفاتح الجبار بهدم خوارزم ونسفها بالارض وزرع ارضها بالشعير ثم ان تيمور من بعد مضي ثلاث سنوات امر بعودة بناها وتجديدها وتزيينها من جديد بسبب موافقة محلها الا انها من بعد خرابها القديم ما عادت لبهجتها القديمة ومن عهد الوقت الذي غير فيه الفرع الشمالي لنهر جيحون مجراه وترك اسوار المدينة التي كان يجري من تحتها الى ان يصب في بحر الخزر اضمحلت خوارزم وصارت في عداد المداين الثانوية حولها مشهورة بنعيمها وخصوبة ارضها المشهورة وحرمت الاراضي التي كانت من المياه العذبة التي كانت ترويها الى ارض قليلة المنفعة والجودة في هيئة صحرا رملية ووقعت خوارزم مثل اقاليم ما ورا النهر المجاورة لها في حوزة الاوزابكة التاتار واستمرت تحت ايديهم المدد الطويلة وكانت المدينة الثانية في مملكة خوارزم مدينة قاث او خات وكانت في الاول هي العاصمة ومن المحتمل انها كانت في المدة التي ذكر فيها ابو الفدا ان مياه نهر جيحون فاضت بغتة دفعة واحدة الى ارتفاع عالي جدا وغرقت خوارزم وضواحيها ومدينة قاث ووضعها ابو الفدا على عرض ٤٥ َ ٤١ على الضفة الشمالية لنهر داريا نحو حدود بخاري الكبرى وكذا مدينة منكيشلوك ولو انها قصبة صغيرة الا انه بالنسبة لمينتها المعتبرة الا فهنة العميقة الوحيدة التي لا يمكن وجود مثلها على ساحل بحر الخزر فانه لا يمكن صرف النظر عنها

عنها وذكرها في زوايا النسيان وهي واقعة على الضفة الشمالية من الفرع الجنوبي لنهر جيحون المعروف بفرع امو والاقليم الاول جدير بالذكر هنا ايضا بسبب ان اسم مطلوق على البحيرة التي يصب فيها نهر داريا ويستخرج مياهه من نهر جيحون ولو ان المداين الاخرى الخوارزمية كانت عامرة زاهرة في هذا العصر على حسب اختلاف الاحوال الى مدة في ذلك الوقت وسكانها القديمة فانه ازابكة التاتار كانوا سلاطين ظالمين وجنسهم رحال ليس للزراعة عندهم همة ولا لهم اليها التفات بسبب ما كانوا عليه من نهبهم اموال وثروة جيرانهم ثم ان الفرس اهل خوارزم بسبب ما حصل لهم من الاهمال وتغيير مجرى نهر جيحون اخذت حالتهم في سرعة الضعف والاضمحلال ومن قبل ان نترك الوصف الجغرافي لهذه الاقاليم الشمالية التي فيها في المدد الاولية نوع التي كان الفتح الاسلامي مشيدا ظلاله عليها شيد ملوك العائلات الغزنوية والغورية والخوارزمية تخوت سلطنتهم القوية لا يمكننا ان نصرف النظر او نسكت عن وصف الاقاليم التي منحت اسماءها الى العائلتين الغزنوية والغورية بما اننا الان على شرف الكلام على هاتين العائلتين فاما الاول منها فهي غزنة وهي واقعة في القسم الجبلي من خراسان وفي عرض ٣٣ تقريبا كما ذكرها ابو الفدا في تقويم البلدان وغزنة معدودة من العواصم الاربعة في خراسان وكان لكل مدينة من تلك المداين دور في مدة وايام وليالي وابهة وجلالة وكانت مراكز الملوك الغزنوية لها والثلاث مداين الاخرى بلخ ومرو ونيسابور هذا ما ذكره ابن حوقل وابو الغازي خان في شأن موقع غزنة جعلها بعض جغرافي الشرق مدينة زابلستان واخرين جعلوها مدينة قندهار وعلى هذا يلزم ان حدود هذه الاقاليم المتفرقة الواقعة بين الهند وفارس كانت على الدوام في تغيير في مدة تتوالى الف تحيق عليها من تلك العائلات وعدم اتفاق الجامعة وفي الوقت الذي صنف فيه ابن حوقل جغرافيته كانت غزنة بلا محالة وصلت الى اقصى شهرتها بين مداين اسيا حتى انه لما جعلها محمود بن سبكتكين مقر سلطنته في القرن العاشر بعد الميلاد رفع شأنها وشيد درجة بهجتها قال ابن حوقل ان مدينة غزنة بسبب ما كانت عليه من رواج وتجارتها وموقعها ووقوعها في الدرب الموصل الى الهندوستان فانها كانت اظرف مداين اسيا بعد بلخ واجلها والان ما بقي ادنى اثر من بهجة سراياتها التي كانت مقر سلاطين العائلة الغزنوية ولا قلعتها الحصينة ولا جدرها التي كانت لا يعادل اتساعها وعرضها مثيلها ولا اسواق تجارتها الواسعة وحماماتها وخاناتها ولا المباني العمومية التي كانت اقيمت بشأن الدولة الغزنوية او محلات الصدقات المذكورة في تاريخ هؤلاء الملوك ولا الغنايم التي سلبوها من الهند في مدة الحروب المرعبة ودخول الهياج والارتباك في المملكة وان ملوك العائلة الغورية عندما استخلفوا على تاج غزنة وجلسوا على كرسي سلطنتها اطفيوا نار غضبهم وحدة كراهتهم بتخريبهم هذه المدينة المشومة الطالع وبالخصوص علاء الدين عم السلطان محمد الغوري الملقب بحراق الدور عدا عن ما قرره فرشته في تاريخ الهند فانه من بعد ما غلب على امر بهرام شاه احد ملوكها الاخيرة مكث نفسه في حرق ونهب وتخريب غزنة مدة سبعة ايام كاملة حتى نبش قبور ملوكها واحرق الغبار في قبورهم وقد ذكر غيليوم بوتيش في كتابه وصف اسيا ان حالة المدينة الحربية الملوكية التي كانت مقر سلطنة الملك القوي الباس الشديد العزم صاحب الهمة والمروة السلطان محمود بن سبكتكين وصلت الى حالة دنية جدا يرثى اليها ويبكى عليها حتى ان سكانها التزموا على ارسال اثمارهم وخضرواتهم الى بيشنه من بعد العز والابهة فسبحان من لا يدوم الا ملكه وهو الذي يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

واما الغور فقد ذكره احد المؤرخين عند كلامه على غارة انطيخوس او انطخس الثالث على اوتيديموس ملك باكتريانه وسماه ايضا باسم غوريا فهو اسم اقليم واسم مدينة واقع في حدود بارو باميسوس او قوه الهند وقال ابن حوقل ان الغور اراضي جبلية وعرة كثيرة العمران مشتملة على عدة نهيرات جارية وجعلها هذا الجغرافي من ضمن اعمال ومداين خراسان وذكر ريتر في استكشافاته في اسيا ان مدينة الغور واقعة في الجهة الجنوبية من بلخ وعلى نحو عرض ٣٥ ومن المحتمل انه في مدة حياة ابن حوقل ما خضعت هذه الاراضي تماما للجيوش الاسلامية بسبب وعرتها وصعوبة السير فيها لانه ذكر في وصفها انها كانت مسكونة بالكفار وفي الواقع فان العائلة الغورية المشهورة ما شيدوا ملكهم على اطلال مملكة غزنة الا في سنة ١١٥٨ بعد الميلاد وكانت مدينة غزنة ومملكتها محكومة مدة قرنان من بعد وجود هذا الجغرافي بملوك مستقلة من اهلها واستمرت غزنة ساحة معتبرة عاصمة مملكة

الشاهقة المطرزة ... من الزخرف ما صنعته العائلة الغزنوية المسماة باسم هذه المدينة الجليلة
ولا شك ان مدينة الغور بزينتها وصارت لها جلالة ومجد نفيس مثل العواصم الاخرى الاسيوية
بسبب احاطتها برؤوس الجبال والتلال الوعرة المشكلة لها حواجز وتحصينات قوية لا يسهل
الوصول والدخول منها اليها لهذا في اى عدو لها الهجوم عليها زيادة عن اى مدينة اخرى من
المداين الملوكية الموجودة في هذه الجهة من اسيا ومن اجل هذا بقى لها مجدها مدة طويلة من
الزمن لا ينحط ولا ينطفئ ولما نقل ملوك الهند الغزنوية مركز المملكة الى مدينة لاهور ليكونوا
بالقرب من املاكهم الجليلة في الجهات الهندية كانت هذه ضربة تخص قوتها اصبحت هذه المدينة
الجليلة الحياة وال الامر اخيرا الى ان تم خرابها ودمارها بواسطة الغارة المهولة التي اجراها
جنكيزخان ومغوله وصير ورثه هذه الاقاليم الظريفة في اسيا بلاقع وصحارى ثم انه من
بعد تمامنا شرح هذه الهيئة الذي كنا اوعدنا بذكرها هنا ننتقل لسرد مختصر جليل
بحكاية الاعمال نفسها والوقايع فنقول ان الغزوة او الغارة الاولية التي غارها العرب
على الاراضي النفيسة المحصورة الواقعة في ماوراء نهر جيحون فقالوا انها كانت في مدة خلافة
معاوية بن ابي سفيان في سنة ٥٤ من الهجرة الموافقة سنة ٦٧٣ بعد الميلاد تحت
قيادة عبيدالله بن زياد المشهور حاكم البصرة سابق وكان تعين من طرف الخليفة معاوية
حاكم خراسان وكان عمره في ذلك الوقت خمسة وعشرون سنة فجرد عسكره انه شابا
من بعد تعيينه بمدة قليلة على عبوره نهر الجيحون فساق اول جيش عربي الى سهول بخارا
فقاومه جيش ضخم كثير العدد الا ان جمع هذا الجيش كان على عجلة وما كانت عساكره على دراية
من الاعمال والاجراءات العسكرية مثل ما كانت عليه العساكر الاسلامية وتمرنها في ميدان الحروب
وتدربها على كافة حوادث الاخطار والاهوال والكروب في هذه المدة وهجم عبيدالله
بن زياد بجيوش المسلمين هجوما عنيفا لا يقاوم على هؤلاء الجموع واوقع هزيمة عامة
مهولة على اهل بخارا وعساكرها فما وقفوا في هزيمتهم وهروبهم عندما وصلوا الجبال
والتلول الواقعة في شمال بخارا بل استمروا في هروب لا حد لانقطاعه وكانت مملكة بخارا
في ذلك الوقت محكومة بملكة وجاءتها الهزيمة فجأة حتى انها وجدت لنفسها فقط وقت
تلبس فيه خف واحد من رجلها وتركت الخف الاخر في ميدان الحرب استحوذ عليه المسلمين
المنصورين وكان مزينا ومرصعا بالجواهر والالماس وقالوا ان قيمة هذا الخف وحده
بلغت نحو اعز الفي دينار وحيث وقفنا على تفاصيل السلب والنهب الذي وقع في مدينة بخارا
الا انه يتاكد لنا من صفة عنفوان المسلمين وخوفهم ان مذ ميدانهم في بخارا كانت مهولة
وبسبب ما كانت عليه العاصمة من الثروة وكثرة الاموال والتجارات كان من وجه
الاحتمال ان الغنايم والاسلاب التي استحوذ عليها المسلمون لا حصر لعظمتها وفي السنة
التالية عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن خراسان وجعله حاكم البصرة ومن
بعد قليل عين معاوية سعيد الاصغر ابن زياد اخو عبيد الله على خراسان فبدره
شرف فخر السلب والنهب والغارة وجمع منتخبات العساكر الموجودة عنده في هذا الاقليم
ووزع عليهم الخيول الجياد العربية التي امكنه وجودها في تلك الجهة وشرع في غارة جديدة
على ماوراء النهر فاستمر في حروبه الى ان وصل الى سمرقند ومع كثرة عدد الغزاة
الاسلامية تدمرت تحت ارجل خيولها في انتشارها الايكات والبساتين والجنان والاراضي
المتزرعة الموجودة في السهول النضرة الظريفة الخصبة لبلاد الصغد وامتلأت من كثرتها
قلوب سكان الصغد بالخوف والروع والفزع وقطعوا الأمل من انفسهم حيث لا توجد
عندهم قوة معارضة لصد غارات المسلمين وصاروا لا ريب ولا شبهة في انشراح صدر في
مشترى الصلح مع المسلمين بتسليمهم على رغبة منهم الغرض المطلوب عند هؤلاء الغايرين على
بلادهم من ذهبهم وفضتهم وامتعتهم الغالية الثمينة وكانت هذه الاموال عند بخارا اهل
سمرقند بنسبة وافرة فاشبع سعيد ولا التفى بهذه الغنايم والاسلاب الكثيرة بل وطمع
في سلب المجوهرات التي كان مزينا بها تاج ملكة الصغد ولا شك ان هذه الجواهر كانت
من احسن الجواهر واجلها قيمة وكان اخذ معه زوجته في هذه الغزوة وكانت حامل
وهي اول امراة عربية عبرت نهر جيحون كما ذكره بعض المورخين فولدت ولدا ذكر في
صغد سمرقند فلقب بالصغدي وفي مدة نفاسها ارسلت الى برنسيسات الصغد
استعارت منهن جواهر تتحلى بها في يوم الاحتفال بالمولود فارسلن لها البرنسيسات تاج
من الذهب مرصع بالجواهر النفيسة والاحجار الكريمة فاستحوذت عليها وعلى جواهر اخرى
وافرة خلاف جواهر التاج وما رجع التاج ولا الجواهر وحملت مع الاسلاب الى خراسان

خراسان وقال ابن الاثير انه في سنة ٥٤ من الهجرة استعمل معاوية بن ابي سفيان عبيد الله
بن زياد على خراسان وسببه انه قدم عليه من بعد موت ابيه فقال له معاوية من استعمل ابوك
على الكوفة والبصرة فاخبره فقال لو استعملك ابوك لاستعملتك فقال عبيد الله انشدك الله
ان يقول لي احد بعدك لو استعملك ابوك وعمك لاستعملتك فولاه خراسان وقال له اني
... ولا تؤثرن على تقواه شيا فان في تقواه عوضا ووقر عرضك من ان تدنسه واذا اعطيت
عهدا فف به ولا تبيعن كثيرا بقليل ولا يخرجن منك امرا حتى تبرمه فاذا خرج فلا يردن عليك
واذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الارض فلا يغلبوك على بطنها ولا تطمعن احدا في غير حقه
ولا تؤيسن احدا من حق هو له ثم ودعه وكان عمره خمسة وعشرين سنة وسار الى خراسان
ثم قطع النهر الى جبال بخارا على الابل فكان اول من قطع جبال بخارا في جيش ففتح مدنا وقرى
... اعمالها وغنم من البخارية غنايم لا تحصى ولما لقي الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته
... فاعجلوها عن لبس خفيها فلبست احداهما وبقي الاخر فاخذه المسلمون فقوم بمايتي الف درهم
... فقال له الترك ... زحوف خراسان التي تذكر فظهر منه باس شديد واقام بخراسان سنتين
وذكر ابن العميد المؤرخ الذي شب في مصر تحت حماية السلطان صلاح الدين ابن ايوب في تاريخه
الذي جمع من تاريخ الطبري وغيره وسماه تاريخ الاسلام واقعة سلم بن زياد في سمرقند
... مخالفة لما ذكرناه اعلاه فقال ان سلم ... قايده المهلب في راس جيش ضخم من
عساكره وامره بالتوجه الى مملكة بخارى وكانت تدعو خاتون ويحتمل انها استعملت اسمها
... خاتون وهو اقليم واسع في هذه الجهة من اسيا فلما رات هذه الملكة انها في قوة قليلة
... المسلمين وانه لا طاقة لها بدفاعهم بعثت لمدتها ملك الترك ووعدته ان تتزوج
به ... لو حصل لها الفوز والنصر وان يضم قواه الى قواها فاجاب ملك الترك هذه الدعوة
... في الحال لمدتها في راس جيش مؤلف من ١٢٠٠٠٠ نفس ومع ما كان فيه المهلب
من قلة عساكره في تلك الحالة فانه ما قبل تنازل نفسه عن هياج الحرب وانتشب به وقعة
وقعة شديدة دموية فقتل فيها ملك الترك من بعد اظهاره الشجاعة والبسالة في امر عظيم
وبعد الزواج ملكة بخارا انتصر المسلمون وانهزم البخاريون اشر هزيمة وتبددت جيوشهم بالكلية
وكانت مملكة خوارزم قريبة جدا للمسلمين وبسبب ما كانت عليه هذه المملكة من الغنى
والثروة فانها ما خلصت من السلب والنهب ايضا وكانت ثروة الخوارزمية في ذلك الوقت
ثروة المواشي والانعام والاغنام التي كانت ترعى في نعيم مراعي هذا الاقليم الخصب وما
... بين الناس والحيوانات وجعل على كل راس من الناس والحيوانات مبلغ نقود معلوم
كافة انحاء المملكة وجمع وما ... من اطراف حدود المملكة حملا بنقد خمسين مليونا من
... دنانير واخرج من هذا المبلغ القسم اللازم لعساكره وارسل الباقي الى دمشق ليقدم
... اعتاب يزيد بن معاوية وكان في هذا الوقت خلف ابوه معاوية على تخت الخلافة
قال ابن الاثير ان يزيد بن معاوية استعمل في سنة احدى وستون من الهجرة سلم بن
زياد على خراسان وسجستان وسبب ذلك ان سلما قدم على يزيد فقال له يزيد
يا ابا حرب اوليك عمل اخويك عبد الرحمن وعباد فقال ما احب امير المؤمنين فولاه
خراسان وسجستان ولما سار سلم الى خراسان كتب معه يزيد الى اخيه عبيد الله بن زياد
... ينتخب له ستة الاف فارس وانتخب سلم الوجوه ومن ضمنهم المهلب بن ابي صفرة وسار الى
خراسان ... وعبر النهر غازيا وكان ... خراسان قبله يغزون فاذا دخل الشتاء رجعوا
... مرو الشاهجان فاذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة مما يلي خوارزم فيتعاقدون
على ان لا يغزوا بعضهم بعضا ويتشاورون في امورهم وكان المسلمون يطلبون الى امرائهم
غزو تلك المدينة فيابون عليهم فلما قدم سلم غزا فشتا في بعض مغازيه فالح عليه المهلب
بن ابي صفرة وساله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة الاف فحاصرهم فطلبوا ان يصالحهم
على ان يفدوا انفسهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على ما يتوف على عشرين مليونا وكان في
صلحهم ان ياخذ منهم عروضا فكان ياخذ الراس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة
ما اخذ منهم خمسين مليونا فحظيت بها المهلب عند سلم واخذ سلم من ذلك ما اعجبه وبعث به الى
يزيد في دمشق وغزا سلم سمرقند وعبرت معه النهر امراته وهي اول امراة من العرب قطع بها
النهر فولدت له ابنا سماه الصغدي واستعارت امراته من امراة صاحب الصغد حليها فلم تعده
اليها وذهبت به كما سبق ذكره والظاهر ان هذه الاراضي التي تغلبت عليها جيوش العمال
الاولية العربية فيما وراء النهر سلبها منهم بعد ذلك اتحاد وقوى تالف من قوى خانات الترك
وكان هؤلاء تغلبوا في المدة القديمة على هذا الاقليم الخصب في اسيا من رجال الصيطيين

او فرقها النار باسمهم بعد هذه الوقايع لم نقف على اعمال تختص بوقايع حصلت في هذه الجهة الى حين
الى حد مبادى القرن الثامن من تاريخ الميلاد اي في سنة ٨٥ من الهجرة الموافقة الى سنة
٧٠٧ بعد الميلاد ارسل الوليد بن عبد الملك بن مروان سادس خلفا بني امية قايدان جلدان
شجاعان جارحان احدهما قتيبة بن مسلم والاخر محمد بن القاسم فاما قتيبة بن مسلم فانه
بقين لعبور وفتح ماكان فقد في هذه الجهة من الاقاليم ومحمد بن القاسم بجتهد في فتح وضبط
نفس البلاد الهندية للتخت القاصي البعيد المسافة لجالس عليه الخليفة الوليد وسار قتيبة
واشتق اسم هذا من قتب الجمل وملازمته ركوبه عليه وعبر نهر جيحون في راس جيش ضخم
موافق لاجرا مايلزم من الحركات الحربية وشرع في حصاره وتغلبه على النواحي بخارا وسمرقند
وفرغانه ومداين اخرى كبيرة فيما ورا النهر وهجم على ملك الترك وشتت جيشه وضبط عاصمة
وحاز اموال وغنايم لا تحصى ثم سار نحو خوارزم وما بعدان تغلب عليها ونهبها عقد صلحا
مع ملكها على شرط انه يفصل هو ورعيته متمسكين بدين الاسلام وشيد في مدينة خوارزم
مسجدا جامعا كان يخطب فيه في كل يوم جمعة وامر بسلب معابد الاوصنام والتماثيل وكانت
الاوصنام والتماثيل مثبتة في حوايط المعابد بمسامير من ذهب فجمعت هذه المسامير العديدة
ووزنت وبلغت جملتها ما يقرب من خمسين الف درهم عزلي وحرقت الاصنام والتماثيل واخرج
منها الذهب ايضا ووضع في جملة الغنايم والاسلاب الاخرى وعين قتيبة مقدار الخراج
السنوي اللازم دفعه من طرف خان خوارزم الى الخليفة بدمشق اثنين مليون دينار
وقيمة الدينار الان ثلاثة عشر شلن انكليزي ونصف شلن واما غارة محمد بن القاسم
على السند فان ابن العميد مع ذكر بعض التفاصيل زيادة عن كونه قال انه ضبط هذه المملكة
المملكة الغنية وانه هجم على ذاهر الملك المتسلط في السند وهزمه في واقعة وقطع راسه وذكر
في موضع اخر انه من بعد مضي خمسة عشر سنة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارسل الخليفة عثمان
بن عفان غزوة بحرية الى طانة وباروش على سواحل بمباي في سنة ٦٣٦ بعد الميلاد
وحصلت عدة غزوات على السند ايضا في سنة ٦٦٢ وسنة ٦٦٤ بعد الميلاد كانت من دون
تحصيل حاصل وفي سنة ٧١٢ زحفت الشاب محمد بن القاسم نحو السند بسبب ما وقع لمراكب من
من مراكب العرب كان وقع القبض عليها في واحدة من المين الهندية وحصل له النصر والظفر
في السند وقرانا في تاريخ ابن الاثير ان المهلب بن ابي صفرة غزا ثغر السند في سنة اربعة
واربعين من الهجرة ووصل كابل والملتان وقاتل العدو ورجع ظافرا منصورا وفي سنة
٧٥ من الهجرة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن اسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية
ومحمد ابنا الحرث العلافيان فقتلوه وغلبا على البلاد فارسل الحجاج مجاعة بن سعر التميمي الى
السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح اماكن ومات مجاعة من بعد سنة بمكران فقيل فيه
ما من مشاهدك التي شاهدتها الا يزيدك ذكرها مجاعا وفي سنة ٨٩ من الهجرة قتل
محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي بجمع هو والحجاج في الحكم داهر بن صعصعه
ملك السند وملك بلاده وكان الحجاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسير معه ستة الاف
مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المال والابر والخيوط فسار محمد بن القاسم الى مكران
واقام بها اياما وسار نحو السند ففتح مدنا وفتحها حتى بلغ حده داهر ملك السند فاستعد
لمحاربته فلقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة وعسكره فاقتتلوا قتالا شديدا
لم يسمع بمثله وترجل داهر فقتل عند المسا ثم انهزم الهنود وقتلهم المسلمون كيف شاوا
وقال قاتل داهر

الخيل تشهد يوم داهر والقنا ... ومحمد بن القاسم بن محمد
اني فرجت الجمع غير معرد ... حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلا ... متعفر الخدين غير موسد

فلما قتل داهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امراة لداهر
تخشى ان تؤخذ فاحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها وعاث محمد البلاد السندية وفتحها
وحاز اموالا وغنايم لا تحصى وعظمت فتوحه ونظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت
ستون مليون درهما ونظر في الذي حمل اليه فكان مايه وعشرين مليونا فقال ربحنا
ستون مليونا وادركنا ثارنا وراس داهر ولما مات الحجاج بن يوسف كان محمد بن القاسم في
الملتان محاربا لكل من لم يطيعه ومات الوليد بن عبد الملك وجلس على تخت الخلافة من
بعده اخوه سليمان بن عبد الملك فولى يزيد بن ابي كبشة السكسكي السند فاخذ محمدا وقيده
وحمله الى العراق فقال محمد متمثلا ... اضاعوني واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
فبكى اهل السند على محمد فلما وصل العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط وعذبه في رجال من

آل بيت عقيل حتى قتلهم وكان الحجاج قتل آدم اخا صالح فقال حمزة بن بيض الحنفي يرثي محمدا

ان المروة والسماحة والندا ... لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة ... يا قرب ذلك سوددا من مولد

وذكر بعض مورخي الفرس والعرب ان المسلمين في غزواتهم الاولية هذه تجولوا في الهند وفتحوا البلاد
والاراضي الواقعة على كل من ضفتي نهر الكنج الا ان هذا القول قليل الاعتبار والتصديق في
المدة الاولى حتى وان هذه الجهات كانت صعبة الفتح بواسطة محمود بن سبكتكين في مدة
كانت بعد هذه المدة بنحو ثلاثمائة سنة ومن وجه الامكان لا يحتمل ان محمد بن القاسم من بعد
تغلبه على السند عبر نهر السند بجيشه واوقع الفزع والدمار في اراضي بانجاب ومع هذا فانه
في ذلك المدة كانت الهند كثيرة العمران وانه باتجار قوى رجالها او ملوكها وجمعهم قواهم مع
بعضها من اجل المدافعة على ارضهم ودينهم كانت هذه القوى كثيرة العدد بحيث لا يمكن لاي عدو
اجنبي الدخول في داخل الاقاليم الهندية ومن المعلوم في هذه الحالة ان العرب استحوذوا على
اراضي وبلدان شاسعة واسعة موفية لهم بما كانوا في بالهم من الحكم والسلب واغتنام الغنايم
صاروا في درجة عالية استحوذوا فيها على ثروة الاقاليم الخصبة والكنوز المعدنية الجمة التي كانت
مجموعة في المعابد والباجودات والاصناف المختلفة التجارة تلك الاقاليم ومعلوم لا ريب ولا
شك ان القسم الاعظم من هذه الاموال الجسيمة التي حازها العرب في غاراتهم انصبت في صناديق
خزاين الوليد بن عبد الملك ومن المحقق انه بواسطة هذه الاموال الجسيمة صار له قدرة تامة
في تشييده الجامع المفتخر الذي بناه في دمشق بناء محكما وزخرفه وصرف عليه مبالغ جمة قال ابن
العميد انه الوليد بن عبد الملك صرف على هذا المسجد الجامع لا اقل من اربعمائة كيس كل كيس كان
فيه اربعة عشرة الف دينار يعني خمسة مليون وستمائة الف دينار وعلق في سقفه ستمائة
قنديل في سلاسل من الذهب وما اجراه فيه من الزخرفة والنقوش اذهل ابصار عمار
السلطين في داخله وبني مسجد المدينة والمسجد الاقصى واما قتيبة فانه تمتع بحكومة ما وراء النهر
والاقاليم الاخرى التي فتحها للخليفة في مدة خلافة الوليد ولما مات الوليد سولت لقتيبة
نفسه الاستقلال المطلق فقام عليه المسلمين المخلصين لدار الخلافة الموجودين في تلك الاقاليم
وحاصروه في اغراض طبعه واقتحموا عليه في جمع غفير وقتلوه وما شوهد في التسجيلات السنوية
لعموم العالم ما حصل لمثل قتيبة من سرعة امتيازه وشهرته وسرعة صعوده الى اعلى درجة اوج
ثم سرعة هبوطه وقتله
من حيث انه من بعد هذه المدة لم يذكر اسم الهند في صحف اوراق المورخين من المسلمين المدونين
لاعمال الشرق مدة زمن طويل فاستنتجنا من ذلك ان الاقاليم التي كان فتحها محمد بن
القاسم في الهند والاقاليم التي ذكر المورخون الاخر انها واقعة على شواطي نهر الكنج ولو ان
هذا القول لا صحة له فانه عموم الجهة الداخلة في هذه القضية استمرت تحت ايدي حكام وعمال
خراسان في مدة ما كانت شوكة الخلفا في ارقى درجة من العزة والجلال والممالك العاملين
بها تحت طاعة الخلفا ويعطون الخراج المقرر عليهم سنويا بمعرفة مامورين من الخلافة
دار الخلافة الا انه لما دخل هولاء الخلفا في التنعم والرفاهية ولذة المآكل والمشرب بدون
حدود محدودة واختلت خلافة الامويين بني امية وقامت الدولة الثانية بني
العباس بواسطة دعاتهم الى تخت الخلافة الذين زعموا انه تأسس بدماء مذابح وجرايم لا تحصر
عددها كان ذلك سببا في فساد وسايط عمومية انحرف فيها قانون الخلافة وقام مع
هذا الحرف الوهن والاسترخا والضعف العمومي عند الحكام والعمال وعكفوا انفسهم على
الملذات والشهوات وضعفت قوى العساكر العربية واجتهد نواب وعمال الاقاليم البعيدة
عن كرسي دار الخلافة في رمي النياف القبيح الذي كان على رقابهم واعلنوا لانفسهم استقلالية
الحكم المطلق من الخلافة التي فقد لهم زمام احكام هذه الاقاليم وتقلدوا صفات الملوك
وصار كل واحد منهم ملكا في اقليمه فلما سقط الخلفا وصار لا طاقة لهم في وقت الاخطار
والاهوال على حماية انفسهم بسبب وهن عساكرهم وشدة قوة عمالهم دعوا لانفسهم من
قبايل ممالكهم شجعانا وفرسانا مقاتلة الشمال حتى وانه في مدة خلافة المعتصم بالله
من خلفا بني العباس كان موجودا ما يشرف على خمسين الف مقاتل من اشداء الحربيين من
اراضي تركستان ممن قطعت سيوفهم ومزاريقهم على سراية بغداد وخزاينها المهددة
من الطامعين والثايرين عليها فكانوا على ايدي هولاء الحاميين الاقويا بالفعل الظلم
والجور الذي لا لزوم له افول شمس مملكة الخلافة العباسية ببغداد التي كانت دعائمها
محاطة بعيرها وتمكين دعايم اركانها وصاروا كما يحبون يعزلون ويولون ويقتلون
ويجبنا والبدا من ذرية العباس المشهور عم النبي صلى الله عليه وسلم وفي تاريخ مصايبهم وكربهم

من وطايف خلافتهم ما يأسف عليه ويرثى كما لم ونقشعر الجلود السليمة منه وهذا خارج عن
حدود المقصود من هذا المحل لان هذا المحل معد فقط لسرعة فيام بتقدم الدول الاسلامية
على التدريج في اسيا مقدمة لتاريخ فتحهم البلاد الهندية وهي الجهة الخصبة العظيمة للسلب
والنهب الذي وقع منذ الى العايلات الغزنوية والغورية والخوارزمية
وكان اول واشهر هذه العايلات التي كرست سلاسل قيود ارجلها في اسيا واستقلت في اطراف
العايلة الطاهرية المنسوبة الى طاهر بن الحسين موسس هذه العايلة وكان اسنح طالعه وا
سعدة في سنة ٨١٣ بعد الميلاد وذكره هو وعايلته ميرخوند وميرخوند هذا كان
مشهور من اهل فارس ازهر طالعه في سنة ٨٧٥ بعد الميلاد من الهجرة الموافقة ١٤٧١
بعد الميلاد وصنف تاريخا عاما في الدنيا ذكر فيه من ابتدا الخليقة الى مدة حياته ونشره
على سبع مجلدات ضخمة في الكامل ثم اختصره ابنه خوندمير بعد موت ابيه فقال ميرخوند
ان الامين لما نكث العهد وجرد اخوه المامون من الخلافة التي كان عهد له بها ابوه هارون
الرشيد كان طاهر بن الحسين هو القايد الاكبر الذي دافع عن حقوق المامون وحافظ
عليها وهزم الجيوش التي ارسلها الامين لحرب اخوه وبطش بالامين وقتله واجلس سيده
المامون على تخت الخلافة في بغداد وبواسطة هذه الواقعة وخدمات اخرى اداها طاهر
بن الحسين للخليفة المامون احسن اليه بها له خراسان بحكومة ليست معصورة تحت حدود
في تلك الجهة من اسيا ولما مات طاهر بن الحسين احضر هذا العز وهذه الدرجة العالية
ابنه وصار وراثيا في عايلته واستمرت العايلة الطاهرية متمتعة بهذا الشرف الى الجيل
الرابع منها وارتقى الفروع الدنية من العايلة الطاهرية الى درجات عالية في المملكة وصار
لهم اعتبار وثقة فيها وفي سنة ٨٦٥ بعد الميلاد استدل لنا من ابن العميد ان واحدا من
سلالة هذه العايلة اسمه محمد بن عبد الله بن طاهر حكم بغداد عاصمة الممالك الاسلامية
وكان محمد هذا فارسا بارعا مدبرا في اعماله واستمر في صداقة ووثاقة تامة نحو المستعين
بالله ولما ورد على المستعين خبر وفاة طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب سنة
٢٤٨ من الهجرة فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر على خراسان ولمحمد بن عبد الله بن
طاهر على العراق وجعل اليه الحرمين وشرطة بغداد ومعاون السواد وافرده به نحو
المستعين وجده مجرما في تداخله في دسيسة الرابعة مع القواد الاتراكية اعداه وكانت
هذه الدسيسة اعدت لقتل المستعين حتى تم انضم محمد بن عبد الله الى الحزب الذي كان سببا
في جلوس المعتز على كرسي الخلافة وخلع المستعين وكان النفوذ الاكبر في المملكة لهذه
العايلة الطاهرية الحربية الكبيرة التي كانت سيرة فيه مع الحزم والعقل والمقام العالي
سببا في تولد الخوف في قلوب الخلفا واظهر الخلفا انهم منحوا عليهم هذا العقو وحتى فسخ
لهم الفرصة في سلب هذا النفوذ بالعنف من هذه العايلة وكانت درجة سيادة الحكم
ومقام الخلفا في ذلك الوقت محصورا في ايدي حفرهم من الاتراك وكانوا يولون خليفة
ويعزلون اخر على حسب ما يشاؤن وفي سنة ٢٥٢ من الهجرة خلع المستعين وجلس على كرسي
الخلافة المعتز بواسطة محمد بن عبد الله بن طاهر واصحابه وما شوهد في تاريخ الخلفا
حادثة اشنع واقبح من الحادثة الكئيبة التي وقعت لنفس المعتز وخلعه من على كرسي الخلافة
وكان السبب في ذلك ان الاتراك ساروا الى المعتز يطلبون ارزاقهم فلم يكن عنده ما
يعطيهم فنزلوا معه الى خمسين الف دينار فارسل المعتز الى امه المعروفة باسم قبيحة وكانت
اجمل اهل عصرها و بجمالهم يسحبهم على ابنها وتقرضه ان تعطيه ما لا يعطيهم فارسلت
اليه ما عندي شي فلما راى الاتراك انهم لا يحصل لهم من المعتز شي ولا من امه وليس في
بيت المال شي انفقت كلمتهم على خلع المعتز فساروا اليه وجلسوا على باب داره وبعثوا اليه
ان اخرج الينا فقال قد شربت بالامس دواء وقد افرط في العمل فان كان امر لابد منه
فليدخل بعضكم وهو يظن ان امره واقف على حاله فدخل اليه جماعة منهم فجروه برجله الى باب
الحجرة وضربوه ضربا مبرحا بالدبابيس وخرقوا قميصه واقاموه في حر الشمس في الدار فكان
يرفع رجلا ويضع اخرى لشدة الحر وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ثم ادخلوه حجرة
واحضروا جماعة شهدوا على خلعه وكانت ام المعتز قد اتخذت في دارها سردابا فخرجت منه وهرب
واخت المعتز ولما توامنعوا كل احد يجوز اليها وسدوا المعتز الى من يعذبه فمنع الطعام
والشراب ثلاثة ايام ثم ادخلوه سردابا رطبا مظلما وجصصوا عليه فمات فيه ... من درجة
من العذاب جيعانا عطشانا ومن بعد جلوس المهتدي على كرسي الخلافة وقع البحث والتفتيش

بنجمهم

تاريخ العقد من البحر الزاخر محمود فهمي

قصة ام المعتز

والتفتيش على قبيحة ام المعتز فلم يظفروا بها ولما رات ان ابنها قتل والذي كتخفية عنده رجال
وطمع في اموالها اظهرت نفسها وكان لها اموال فاحضرتها وهو مقدار خمسماية الف دينار
وظفروا لها بخزاين تحت الارض فيها اموال كثيرة ومن جملتها دار تحت الارض وجدوا فيها
واحد معبوسه ونحو ثمانماية الف دينار ووجدوا في سفط قدر مكوك زمرد او بوشل او نحو
كيله مصري زمرد لم ير الناس مثله وفي سفط اخر مقدار مكوك من اللولو الكبار وفي
سفط اخر مقدار كيلجة من الياقوت الاحمر الذي لم يوجد مثله فحمل الجميع الى صالح بن وصيف
فسبها ولعنها وقال عرضت ابنها للقتل من اجل خمسين الف دينار وعندها هذه الاموال كلها
لعنها الله وسميت قبيحة لشدة ما كانت عليه من الحسن والجمال وفي هذا القدر يلزمنا ان نسمح
لمثل هذه المبالغات لان مملكة الخلفا كانت في ذلك الوقت ممتدة اسما على ثلاثة ارباع الثلاث
المعمورة وان تعويدات قبيحة وطلوعها وحرصها على ما كانت مستحوذة عليه من الاموال
والكنوز ادخلها في شراء ما لا وجه اصلح وشحها وبخلها على ابنها ويجب على القارئ ايضا
ان يعفو عن مثل هذه الاحداث التي صار اجراها وارتفعت بواسطتها الى الدرجة
العالية ارباب الوقاحة والسفاهة من غلمان الاتراك الذين كانت الخلفا عهدت اليهم
في حفظ انفسهم وممالكهم فانه بواسطتهم اهتزت شوكة الخلفا في سرعة الاضمحلال وسقطت
درجة الاستقلال في العايلات البعيدة عند العايلات الطاهرية والصفارية والسامانية
وما انحصر ذلك في الجهات الشرقية من مملكة الخلفا فقط بل وعم اخيرا على كافة المملكة
وتولد من المشروعات التي اجراها خليفة بغداد الموجود في ذلك الوقت على شرف الزوال
وقربه في عموميات الشقاق والبلايا وصار عرضة لها وصار التابع الخاضع لدار الخلافة
في هذا اليوم مع تغيير حالة المملكة وتدبيرها عاصي وغريب في اليوم الثاني واسرع
الخليفة في السقوط من درجة علو شوكته وسلطنته ومجده الى درجة حضيض الفقر والتجريد
وصار في ايدي السفها للقديرين المتحزبين الغالبين من الاتراك وغيرهم من المغاربة
والفرغانية ولا شك انه بواسطة هذه الاسباب استخرجت وتسلطت طرق للطامعين
حتى ذرية طاهر بن الحسين في تغلبهم على ممالك ما وراء النهر وخراسان والقسم
الظريف من فارس وتمتعوا فيها نحو من ستين سنة اي من سنة ٨١٣ الى سنة ٨٧٢
بعد الميلاد الى ان هجم على خراسان وفتحها يعقوب بن الليث الصفار وكان ابوه
يشتغل في صنعة النحاس الاصفر وكان هذا هو اصل شغل موسس العايلة الصفارية
واستبدل يعقوب صنعة سبكه النحاس الاصفر بصنعة استعمال السلاح وكان من اهل سجستان
وكان ابتدا ظهوره ان انسانا من اهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني تغلب على سجستان
ومعه يعقوب بن الليث فحاربه طاهر بن عبد الله بن طاهر امير خراسان وخلصها
من يده ثم ظهر بها انسان اسمه درهم بن الحسين من المتطوعة وتغلب عليها وكان غير ضابط
لعسكره وكان يعقوب بن الليث هو قايد عسكره فلما راى اصحاب درهم ضعفه وعجزه
اجتمعوا على يعقوب وملكوه امرهم لما راوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بامورهم
فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الامر وسلمه اليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالامر
وضبط البلاد وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية ومد فتوحاته في كل جهة
وضبط هراة وكرمان وبلخ وكابل وزحف اخيرا على نيسابور مركز الحكومة وارسل
رسولا الى محمد بن طاهر اخر العايلة الطاهرية يامره بتسليم مفاتيح المدينة وفتح ابواب
القلعة وكان محمد معترفا بطاعته للخليفة واستحصل هو ومن سلفه على منحات جديدة بحكومة
خراسان فلما رجع الرسول جوابه الى يعقوب انه متقلد زمام احكام خراسان عاملا
للخليفة وباوامره وانه يرغب ان يرى اوامر الخليفة في يد العامل الذي عينه الخليفة
بدله فاخرج يعقوب سيفه من غمده وقال للرسول قل لمحمد ان هذا رسولي اليك وجلس
يعقوب بسيفه على تخت خراسان وانتهكت حرمة محمد الطاهري وعايلته وصنف امرهم
وجمع سنين في سجن الرابة التي كانوا عاجزين فيها في عز ابائهم وجلالة ليست اقل من
ابهة وجلالة بيت الخلفا في بغداد ثم ان الاراضي والممالك التي استحوذ عليها جيوش
يعقوب بن الليث ما كانت كافية لسد جوعته وملء يديه من اموالها وثروتها وراى
انه لا يروي ظماه ويسد جوعه سوى تغلبه على تخت الخلافة ويدخل الخليفة في طاعته وتكون
مملكته ضمن ممالكه ومن بعد ان لبث برهة من الزمن مشتغلا فيها بالاستعدادات اللازمة شرع
في سيره من نيسابور ليمتحن طالع سعده في الميدان مع عسكر الخليفة وفي مدة سيره
اخضع عراق العجم وضبط الاهواز ونهب ما كان موجودا في سرايتها في ابن العميد

وصدق قفيه ابن الاثير ان مقدار المبلغ الذي اخذه يعقوب من قلعة ابن واصل اربعين
مليون درهم والمظنون ان هذه مبالغات فيما كان من الاموال التي جمعها محمد بن واصل
من طول احتكاراته وحروبه وكان عاصيا ايضا مثل يعقوب ونهبه في المملكة مدة طويلة ا
هزم يعقوب جيش ابن واصل وصلبه ثم انه بسبب ما كان متمكنا في عقله من اعتقاده على
اجرائه انه سيكون في ظرف مدة قليلة سيد آسيا وسلطانها زحف يعقوب في رأس جيش
مجهول العدد والعدة نحو بغداد ووقع بينه وبين الخليفة الموفق واقعة انهزم فيها ورحل عنها
ثم فاجأه الموت ومات في معسكره بداء القولنج تاسع شهر شوال سنة ٢٦٥ من الهجرة
بجنديسابور من كور الاهواز وامره الاطباء بالاحتقان بالدواء فلم يفعل واختار الموت
وكان المعتمد قد انفذ اليه رسولا وكتابا يستميله ويترضاه ويقلده اعمال فارس فوصل
الرسول ويعقوب مريض فجلس له وجعل عنده سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار ومعه بصل
واحضر الرسول فادى الرسالة فقال له قل للخليفة انني عليل فان مت فقد استرحت منك
واسترحت مني وان عوفيت فليس بيني وبينك الا هذا السيف حتى اخذ بثاري او تكسرني
وتفقرني واعود الى هذا الخبز والبصل واعاد الرسول فلم يلبث يعقوب ان مات ولما مات
قام بالامر بعده اخوه عمرو بن الليث وكتب الى الخليفة بطاعته فولاه الموفق خراسان
وفارس واصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد واشهد بذلك وسيره اليه
مع الخلع وما كان عمرو تحت مطامع لا نهاية لها ولا صاحب حزم وجراءة وقوة مثل اخيه
فمن ثم دخل تحت طاعة الخليفة وعهد عليه المملكة الاوسع وجعلها وراثية في عائلته ثم ان عمرو
جار في احكامه وحصل لاهل خراسان مضايقة شديدة من جوره وكانوا اهل خير قلبهم
سقيم نحو الخليفة وعمرو بن الليث فدعوا الشجاع اسماعيل الساماني وكان جعل نفسه
مستقلا فيما وراء النهر لعبوره نهر جيحون وهجومه على عمرو بن الليث وياخذ
خراسان مكافاة على اتعابه فاستحصل اسماعيل الساماني على امر الخليفة وعبر نهر
جيحون في رأس عشرة آلاف خيال وهجم بهذه القوة القليلة على جيش الصفار وكان
مؤلفا من ثمانين الف مقاتل واسر عمرو بن الليث وارسله مقيدا في السلاسل والاغلال
لاعتاب تخت الخلافة ومع هذا فان عائلة الصفار ما انقرضت جميعها بل بمعروف من
وكرم وفضل من اسماعيل الساماني ورضا من الخليفة استمرت هذه العائلة عدة سنين
متسلطنة في سجستان مع العز والابهة في سلطنتهم الوراثية والاقاليم المجاورة لها
ولا حاجة في هذا المحل لذكر ما كانوا عليه من جراءة اعمالهم لان المقصود هنا هو فقط
قيام شوكة هذه العائلة وانقراضها بما ان ذلك باب يدخل منه لبعض حكايات
مخصوصة بالعائلات السامانية والغزنوية في تلك الجهة وكانت كلما اقدحت شوكة
الخلفاء في الضعف والوهن زادت شوكة حكام الاقاليم البعيدة عن تخت الخلافة ومن
بعد موت الخليفة الراضي في سنة ٣٢٩ من الهجرة الموافقة ٩٤٠ بعد الميلاد وكان
هو الخليفة الخامس عشر من خلفاء بني العباس ثبت ما كان حاصلا من الارتجاجات الواقعة
في المملكة وصارت حكومة الخلفاء خيالا وهميا تابعين في اقسامهم لسيادة الاتراك الذين
كانوا جلبوهم حفايا عرايا وربوهم وادخلوهم لنائبات المصايب ووزرائهم وقوادهم
وبسبب ما وقع بين هولاء من الشقاق والحروب في شان علو الشوكة ومناصب السعادة
في ذلك الوقت حصلت الزعزعة والتشنج في اعصاب هذه المملكة وانفصل منها سوريا
ومصر تحت سلطنة العائلات الملوكية الطولونية والاخشيدية الذين تاريخهم في
ذلك العصر شكل اجماعا كبيرة من التسجيلات والتدوينات السنوية في الاسلام وفي
سيوف بني بويه التي لا تشهر وكانوا ثلاثة اخوان فرسان اسموا العائلة
المشهورة المعروفة عائلة بني بويه واحكموا لانفسهم عموم فارس ما عدا خراسان
وكان هذا الاقليم وما وراء النهر تحت حوزة العائلة السامانية حاليا حتى الارتجاج
والشبك والغفلة ومن ثم ما حصلت حروب بين اسماعيل الساماني واولاد بويه
وكان واحد من هولاء الثلاثة اخوان شيد مركز حكومته ودولته في مدينة شيراز
في فارسستان او فارس والاثنان الاخران في اصبهان في الاقاليم الجبلية او
فارطيا القديمة وكانت اشغال اسماعيل الساماني من الحزم والعقل الا انه فتح ميدان
فتوح جديدة ووجه عينه وجيشه نحو الاقاليم الممتدة بين حدود خراسان والهند
وكانت جيوشه في مظفرات عظيمة في حروبها وفي ظرف مدة قليلة اتسعت مملكته ودخل
فيها قندهار وزابلستان ومن وجه الاحتمال يقال ان غزنة كانت عاصمتها ودخل فيها

اوائل السبكتكين

ودخل فيها ايضا كابل او قابول وعموم السلسلة الجبلية المسكونة بالقبائل المتوحشة الحربية
الافغانية وكان مركز ومقر العائلة الملوكية السامانية في مدينة بخارا وكانت في غاية
من الاحترام بسبب ما كانت عليه من حزم السياسة في تدبير اعمالها والعفة والاشتغال
بالعدل وحسن سير الاعمال وكانت هذه العائلة متمتعة بالراحة العمومية في ممالكهم التي
استحوذوا عليها قديما وجديدا واستمرت دولتهم قايمة مدة تسعين سنة وفي ظرف هذه
المدة تولد من جلوس الصغار من هذه العائلة على تخت سلطنتهم فتن واضطرابات داخلية
انتهت بعتبة هذه المملكة السامانية فاما البتكين او البتكين الحاجب حاكم خراسان من طرف
العائلة السامانية وكان من اشراف الناس وعلى شهرة كبيرة وقريحة وقادة في الاعمال
العسكرية فانه غضب من فتح سير الملك منصور الملك الشاب المتسلطن من العائلة السامانية
الى سن على كرسي ما وراء النهر وقبض على خراسان وزابلستان وهزم الغزي والعسكر
الذي ارسلها ضده منصور لاجل اخراجه من خراسان وامر بتتويج نفسه في غزنة عاصمة
زابلستان في السنة التالية وتسلطن خمسة عشرة سنة في مملكته التي سلبها واستحوذ عليها من
دون حصول ادنى ارتباك ومن بعد موته حيث العائلة السامانية طلبا لها وكررت عليها
واخذت انها في اخذ وعود المملكة من ابنه ابي اسحاق واخيرا عقدت شروط صلح وقع الا
الاتفاق على عود البيت الساماني من بعد طرد الجيوش السامانية المرار العديدة بواسطة العبد
الفارس سبكتكين قائد جيوش ابو اسحاق بن البتكين وقررت السامانية استقلالية المملكة
ومن بعد موت ابو اسحاق في سنة ٣٦٥ من الهجرة الموافقة لسنة ٩٧٧ بعد الميلاد جلس
سبكتكين على تخت هذه المملكة وكان سبكتكين هذا قدم في الاصل الى بخارا ايام الامير
منصور بن نوح مع ابي اسحاق فعرفه ارباب تلك الدولة بالعقل والعفة وجودة الراي والصرامة
وسار معه الى غزنة فلم يلبث ابو اسحاق ان توفي ولم يخلف من اهله واقاربه من يصلح للتقدم
فاجتمع عسكره ونظروا فيمن يلي امرهم ويجمع كلمتهم فاختلفوا ثم اجتمعوا على سبكتكين لما
عرفوه من عقله ودينه ومروته وكمال خلال الخير فيه فقدموه عليهم وولوه امرهم وحلفوا
له واطاعوه فوليهم واحسن السيرة فيهم وساس امورهم سياسة حسنة وجعل نفسه كاحدهم
في الحال والمال قال ابن الاثير وكان يدخر من اقطاعه ما يعمل منه طعاما لهم في كل اسبوع
مرتين وذكر ابن الاثير هذه الحكاية في سنة ٣٦٦ من الهجرة وقيل ان سبكتكين كان
تاتاري المولد وعسكري سعيد الطالع واستخدم في اول خدماته في عسكر خيالة الوارعون
وجيش استاذه وتزوج سبكتكين ابنة البتكين لاجل تقوية نفسه على التخت ومن
بعد جلوس سبكتكين على التخت بقليل فتح ابواب حركات الحروب لارباب الهياج و
الشغب الافغانيين اهل الكل والحروب وكانوا استطلعوا اقساما عظيما من اعمال رعاياه
وابتدأ سبكتكين في اعماله بالجهة الغازية في الدين وهي هياج حرب هجوم على عبدة
الاوثان والاصنام في الهند والتقى في غارته هذه بتخريب ونهب الثغور الهندية
وعاد محملا باثقال الغنائم والاسلاب الى غزنة والظاهر انه من بعد هذه الحالة التي
حاز فيها هذه الغنائم استعمل انواع طرق جديدة في السعي على فتحها وكان جيبال هو
الملك المتسلطن في ذلك الوقت في لاهور وكان اقليم لاهور ممتدا في الطول من فم
نهر السند الى حد يمغان وفي العرض من مملكة كشمير الى مولتان وتضرر جيبال
الملك تضررا شديدا من هذه الغارة والغارات الاخرى التي حصلت من خطا في المسلمين
وصار على دراية تامة من هيئة الحروب الجارية من طرف ملك غزنة وخاف من حصول
هذه الغارات وتكرارها فعول على اجراء المدافعة عن بلاده على التدريج وجمع جيشا
ضخما وعزم على هياج الحرب على بلاد المحارب لبلاده والتقى سبكتكين مع جيبال
ملك الهند على اطراف حدود مملكته واستعد الجيش لانتشاب الحرب فحصل في الليلة
السابقة ليوم الحرب قيام زوبعة او عاصفة شديدة نسبها مورخي الهنود الى تاثير
من السحر وكانت هذه العاصفة مختلطة برعد وبرق وبرد وريح شديد فتلفت
منها الخيول وركابها فوق ارض السهل وتولد منها الفشل الاكبر في معسكر جيبال على
الخصوص حتى انه التزم على ربط علاقات صلحية وبدفع خراجا معلوما سنويا وهدية
جليلة من الذهب والفضة فرفض سبكتكين في الابتدا قبول الصلح وما عرضه عليه
جيبال فمن ثم وقع في معسكر الهنود الفزع العام وكانت فرقة خيالة المعسكر الهندي
هلكت في العاصفة وظهر على وجوه الهنود الحزن والكآبة والخوف ووهن امرهم
في انتشاب الحرب وما كان سبكتكين نفسه على رغبة من منحهم الصلح على حسب ما عرضه عليه

الملك جيبال عن الشروط وكان ابنه الشاب محمود الصاعقة القاتلة للهندوستان معه في الجيش
وكان اشهر ... وفاق على اقرانه في بعض المناوشات والوقايع وكان يحب الفخر والحماسة
ما كان عليه ابوه جندل غاية مجهوده في منع ابوه من قبول شروط الصلح ومن اجل هذا
عقد جيبال مجلسا عاما واظهر لسبكتكين ان يحترز او يتشفظ لطريقة حرمانه من هذه الواقعة
وفي هذه الحالة قطع الهنود اليأس من انفسهم واصروا على قتل ازواجهم واولادهم اولا
ليخلصوا من رق العبودية وفرضوا ان ما حل بهم هو مما غضب الالهة عليه ومن بعد قتل
الازواج والابناء يضرمون النيران في المساكن بما فيها بما انه لا حاجة لهم بالاقامة بعد ويشقوا
شعورهم ويصرخون باصوات مهولة ويسقطوه على عمودهم ولا يتركوا ميدان الواقعة الحربية
حتى يموتوا جميعا او يبيدوا شمل اعداهم فاشمئز سبكتكين من هذه الفعلة والرأي الذي
عزموا عليه وسمح لهم بالمغفرة مع السلوة الى لاهور على شرط ان يا قدمنهم واحد مليون
من الدراهم سنويا وهدية مقدارها خمسين فيلا وما وقع للهنود من الضرر والاذى بعد
عقد الشروط والرجعة استحال ايفاء ما عقدوا عليه الصلح وصارت حالتهم وموقفهم صعب لان
شروط المعاهدة ما كانت جائزة عندهم لما كان عليه ملك الهند من الغنية والثروة
وانه ينبغي عليهم شرعا الايفاء بما عقدوا عليه الشروط والرهاين التي صار تسليمها مما
الطوايف العالية ثانيا على دفع المبلغ كانت مخالفة لكل قانون مسنون مخصوص بالشرف
والعهد الديني ومغاير لرأي المجلس الزوجي وهي جمعية او مجلس مفتخر كان في هذا الوقت
موجود في الديوان الهندي مؤلف من عدد واحد من البراهميين والكشطريايين او الفرسان
من رجال الطبقة الاولى الهندية وهذا المجلس مصفوف في كل من جهات التخت الملوكي من
اجل فك معضلات القضايا ولاكن ما قبل هذا المجلس شروط المعاهدة ولا دفع المبلغ
الذي تقرر دفعه في المعاهدة وتداولوا كثيرا فيما بينهم والزموا الملك جيبال على عدم دفعه
ومن ثم رفض الملك قبول دفع المبلغ المقرر في الشروط وامر بسجن الرسل المندوبين من
طرف سبكتكين من اجل استلام المبلغ ~~...~~ فقام الغضب الشديد في وجه سبكتكين
واخذته الغيرة الاسلامية وامتلأ جسمه بالحماسة الحربية وعزم على محق وقطع دابر كل جامعة
وثنية تشرك بالخالق الاعلى وهدم وتخريب عموم تماثيل واصنام الالهة المعبودة المقام
شعاير عبادتها في البلاد الهندية ومع ان سبكتكين ما كان يخلو من صفات السلب فانه
كان في ذاك الوقت حايز درجة الكمالات العالية ودرجة شرف عظيمة كان يدير عبادها جمع
كل من الاثنين في جامعة واحدة قلبا ولسانا لا يحصل فيها نقض ولا ابرام مدى الايام
وتوالي العصور واما جيبال فانه رأى اعداه في صفة انهم نهابين سلابين قاطعي السبل
ليس لهم قانون يمنعهم ولا رادع يحجبهم ويردعهم وجعلهم الالد اعداء اليه وجار عاهم
بما يجب من الواجبات عليه ونسيه ما كان عليه من الاسباب الخفية التي كانت مكنونة
في صدره من فسخ هذه المعاهدة ان جلب للمضار والاهوال على قومه في مدة الغارات
التي حصلت في هذه السلطنة وسلطنة السفاح محمود بن سبكتكين ولما اشتعل بن سبكتكين
بنار الغضب وتردد في نفسه في الانتقام والاخذ بثار هذه الوقاحة والسفاهة التي وقعت
من الملك جيبال سار في الحال بكافة قواه غايرا على الهندوستان وكان جيبال قوى
نفسه واحكم امره بالمساعدات من عموم الراجات او الملوك الكبيرة للهندو من نهر السند
الى نهر الكنج وجمع جيشا كثيفا مؤلف من ماية الف حصان وماية الف من المشاة تحت
قيادة ملوك دلهي واجمير وكالينجر وكانوج وملحقات هولاء الملوك من اجل صد الغارات
الواقعة عليه ومواجهة ملك غزنه واما سبكتكين فانه كان في راس جيش اقل من ربع هذا
الجيش الضخم مؤلف من اهل جبال ثغور مملكته وتنظر من دون خوف وفزع لكثرة قوات
وطوابير عدوه المتقدم عليه فقام في عسكره ووعدهم ومناهم بلسان فصيح ووعظهم و
حصنهم واحيى نفوسهم في اكتسابهم الفخر والشرف واراهم التباين الاكبر الموجود بين اشداء
البأس والقوة في الافغان والعجز والوهن الموجود في اهل السهول الهندية ولو ان
قوة سبكتكين كانت قليلة العدد الا انها كانت على جودة من النظام وحسن الترتيب في
الحركات العسكرية وكانت في احسن تسليح وتطقيم وعلى دراية تامة من ضرب السهام والنبال
وفي درجة عالية فوق اعداهم ونظروا باعينهم خصوبة وغنية الاراضي المشرقين على
حفظ عهدها لانفسهم وحسن وجمال الغنايم والاسلاب المتحقق قسمها بينهم وعهد سبكتكين
قيادتهم الى الشجعان القواد والرؤسا الذي يعتمد عليهم ويعول في حربه اليهم وقسم جيشه

جيش وكان مؤلف على الخصوص من خيالة وفرسان الى فرق صغيرة كل فرقة مؤلفة من
خمسماية حصان وامرهم بالحملة على التعاقب على العدو ومن ثم لم يشغل الجيش الاصلي
بالمحاربة حتى اننا ما كان الجيش الهندي يتخطى بعساكر جديدة القوة وتقدم الهنود لميدان الواقعة
على خيول ليست معادلة بالكلية لخيول عربية شريفة الاصل سريعة الجري مثل لهب النار
خيول ضخمة مقصورة على شلبق الجبال الوعرة من جهة قابولستان وكان زحف الهنود
طابور بعد طابور ولو انهم كانوا يسابقون لميدان القتال مع الشجاعة الحربية ومتعودين
على الحروب فوق الاراضي الهندية الا انه بمجرد انتشاب القتال كانوا ينكسرون ويتشتتون
وما ذكر شيء في هذه الواقعة فيما يختص بالعملية والاعمال ولا تفاصيل اخرى ذكرها فريشتة
مؤرخ الا قوله ان الهنود عملوا وجهدوا من الحرب وما حصل من ثباتهم ادنى مقاومة او
حصول حركة صد للخيالة الغزنوية وانهزمت عموم عساكر الجيش الهندي مع السرعة وهربت
باشد ما عندها من الحيل والقوة بحتشوا طى نهر بيلاب او النهر الازرق واحد من فروع
نهر السند وسار خلفهم العساكر المنصورة الاسلامية وقتلوا منهم عدد لا يحصى وهلك غالبهم
غرقى في مياه النهر في وقت ازدحامهم على تعديته وكان عميق سريع الجريان وصارت كافة
موجودات المعسكر الهندي التي لا يحصى مقدارها في الفيلة والعدد واختلاف الاصناف التي كانت
موجودة مع عدة ملوك تركوا سراياتهم ومحل لذاذة عيشهم وبرزوا لميدان الحرب معتمدين
على النجاح والظفر وعموم اراضيهم الواقعة مما طى الغربي لنهر السند في ايدي المسلمين
وما قبلة ظهروا المنصورين ورئيسهم سبكتكين ثم ان سبكتكين اوقف عزم نفسه عن الدخول
في داخل الاراضي الهندية في الحالة الحاضرة من اجل عدة امر العايلة السامانية في بخارا
وكان تحت ملك هذه العايلة حصل فيه درجة من ضعف تاثير احكامهم ووهنهم ووقع
الفساد والشقاق في مملكتهم وحكاية مشروعاته الجليلة في هذه الغزوة التي اشتغل بها مدة
من السنين في اخر حياته والمشروعات الجديدة للفتوحات الهندية التي اجراها ابنه محمود
ملآنة بها صحايف التواريخ الفارسية والعربية وهذه لا يمكن بسطها هنا بسبب ان هذا
ليس محلها لها حصلا عن كثرة تباين الاقوال المطولة المملة فيها ومن ثم ما اخذت ولا
اخذ الا ما كان مختصا بالتاريخ الهندي وما كان متشتتا من الاقوال والحكايات والوقايع
والحوادث التي يمكن الوصول بها الى واقعة او حكاية تتعلق بالهند واقول انه في هذه
الغزوة وفي عموم الغزوات التي اجراها سبكتكين كانت على غاية من النجاح وعاد مع ابنه
محمود الى خوراسان متوجان بالنصر والظفر ومن بعد ان تسلطن مدة عشرين سنة مع
الفخر والاجلال مات في سفرة كان متوجها فيها من اجل تبديل الهوا والحصول على صحة نفسه من بلخ
الى غزنه من بعد ان بلغ من العمر ستة وخمسون سنة وكان موته في سنة ٣٨٧ من الهجرة
الموافقة سنة ٩٩٧ بعد الميلاد

ومن بعد ان جمعت هذا الفصل وبحضني عثرت على نسخة قديمة باللغة الانكليزية تشتمل على
تاريخ الهند ايضا فاحببت ان اذكر ايضا ما قراته فيها من دخول المسلمين في الهند من بعد
وفاة امير المؤمنين عمر بن الخطاب اذ انه لا يخلو من فائدة زيادة عما ذكرته سابقا فاقول
وعلى ما هو المنقول انه من بعد موت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه صارت مملكة فارس
مشرقا الى حد هراة تحت حوزة المسلمين وفي سنة ٦٥٠ بعد الميلاد امتدت حدود هذه المملكة
العربية الى حد نهر جيحون داخلا فيها بلخ وعموم الاراضي الواقعة في شمال هندوكوه اوجبل
الهند وصار السند حدها الشرقي قال فريشته انه في سنة ٦٦٤ بعد الميلاد سار ابو صفرة من
امرا العرب الى كابول وادخل في الدين الاسلامي اثنى عشر الف نفس وصارت فرقة من
هذه الجهة نحو الهند وتجولت حتى دخلت مولتان ولما نهب عساكر هذه الفرقة البلاد والعباد
عادوا الى مقر مركزهم في خوراسان وجلبوا معهم جما غفيرا من الاسرى ادخلوهم في الدين
الاسلامي وكانت كابول في هذا الوقت خضعت وعلى حسب روايات الفرس ان يزيد لما
عرف ان ملك يملك الارض نقض بيعته وخلع طاعته ارسل اليه مع قوة من اجل خضوعه
وعودة الاقليم تحت سلطنته فانهزم يزيد في واقعة شديدة دموية ولاجل الاخذ بثار
هذه الهزيمة جمع حاكم سيستان قوة كبيرة واخضع كابول وعين لحكومتها حاكما عربيا
ومن بعد هذه الواقعة بثمانية عشر سنة سار عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بجيش
مؤلف من اربعين الف مقاتل على كابول لاخضاع ملكها رتبيل بسبب انه خلع الطاعة وقتل
فرقة من المسلمين كانت تحت قيادة ابن ابي بكرة حاكم خوراسان مع قايدها وعند بعد ان
اخذ عبد الرحمن الاحترازات اللازمة في عدم هجوم حصل على جيشه دخل ارض كابول ثم انه
خلع عنه وبيعته للخليفة وكان الخليفة في هذه المدة عبد الملك بن مروان والحجاج

بن يوسف الثقفي عاملا من طرف عبد الملك على البصرة والكوفة وفارس وكان الحجاج عينا
سفاحا للدماء فاستأذن عبد الملك في تسيير الجنود نحو رتبيل ملك كابول بسبب قتله للمسلمين
فاذن له في ذلك عبد الملك فاخذ الحجاج في تجهيز الجيوش وفرض على اهل الكوفة عشرين الف
وعلى اهل البصرة عشرين الف مقاتل وفرق فيهم الفين مليون درهم سوى اعطياتهم و
اخذهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان
الحجاج يكرهه ويقول ما رايته قط الا اردت قتله فسمع هذا القول منه واحد فاخبر به عبد
الرحمن فقال والله لا حاولن حتى ازيل الحجاج عن سلطانه وسار عبد الرحمن بهذا الجيش
حتى قدم سجستان فجمع اهلها فخطبهم ثم قال ايها الناس ان الحجاج ولاني ثغركم وامرني بجهاد
عدوكم الذي استباح بلادكم فاياكم ان يتخلف منكم احد فتمسه العقوبة فعسكروا مع الناس
وساروا جميعهم وبلغ رتبيل الخبر فارسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه وسار اليه ودخل
بلاده وترك له رتبيل ارضا ارضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبد الرحمن يحوي ذلك
وكلما استحوذ بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه اعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب
ووضع المسالح والخفر بكل مكان مخوف حتى اذا جاوز من ارض عظيمة وملا الناس ايديهم من
الغنائم الجسيمة منع الناس من الوغول في ارض رتبيل وقال نكتفي بما قد اصبناه العام من
بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفي العام المقبل ناخذ ما وراءها
ان شاء الله تعالى حتى نقاتلهم في اخر ذلك على كنوزهم وذراريهم واقصى بلادهم حتى يهلكهم
الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد ان يفعل وكان ذلك في سنة ٨٠ من
الهجرة وفي سنة ٨١ من الهجرة كتب الحجاج جوابه الى عبد الرحمن ان كتابك كتاب امرئ
يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة فقد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا
كان بلاؤهم حسنا وغناهم عظيما فلا تكف عن هذا العدو وامض لما امرتك به من الوغول
في ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ثم اردفه بكتاب اخر بنحو ذلك
وفيه اما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتح الله
عليهم ثم كتب اليه ثالثا بذلك وقال له ان مضيت لما امرتك به والا فخل اسحاق
بن محمد بن الاشعث امير الناس فدعى عبد الرحمن الناس وقال لهم ايها الناس اني لكم
ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط به نفعكم ناظر وقد كان رايي فيما بيني وبين
عدوكم بما رضيه ذوو احلامكم واولو التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فا
تاني كتابه يعجزني ويضعفني ويامرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو وهي البلاد
التي هلك فيها اخوانكم بالامس وانما انا رجل منكم امضي اذا مضيتم وابى اذا ابيتم
فثار اليه الناس وقالوا ابل نابى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع وفي هذا
الوقت خلع الناس الحجاج وبايعوا عبد الرحمن على خلع الحجاج ونفيه من ارض العراق
وعلى النصرة له وعقد عبد الرحمن صلحا مع رتبيل على انه ان حصل الظفر لعبد الرحمن
فلا خراج عليه ابدا ما بقي وان هزم فهو المدافع عنه والمانع له ورجع عبد الرحمن بجيشه
الى العراق ولما بلغ فارس اجتمع الناس الى بعضهم بعضا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك
فكانما خلعنا معه عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن واجتروه وخلعوا عبد الملك ايضا
وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته بايعوا على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى جهاد اهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد
الملك بخبر خلع عبد الرحمن وسأله ان يعجل بعثه الجنود وفتح عبد الرحمن حربا على عدوه
الحجاج وعلى الخليفة عبد الملك وهزم جيوش الحجاج وتغلب على البصرة وسار عنها الى الكوفة
وتغلب عليها ومن بعد حروب شديدة ووقائع مهولة لبثت سنتان انهزم عبد الرحمن
وهرب الى حكومة الغدم وبينما كان على شرف الاسر في سيستان وصل اليه رتبيل ملك
قابول فخلصه وانجده وجدد عبد الرحمن استعدادا وحروبا وكانت نتيجتها هزيمة عبد الرحمن
وهرب عبد الرحمن من هراة الى رتبيل فتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل ان ابعث بعبد
الرحمن الي والا والله الذي لا اله غيره لاوطئن ارضك واحد مليون مقاتل فعمل
رتبيل الحيلة مع عبد الرحمن وقطع راسه وارسله الى الحجاج وقيل ان عبد الرحمن كان
قد اصابه داء السل فمات فارسل رتبيل اليه فقطع راسه قبل ان يدفن وارسله الى الحجاج
وقال فريشته انه في عموم هذه المدة دخل الافغانيون في الاسلام وعلى حسب رواية

ودلائلهم واحاديثهم انهم دخلوا في الدين الاسلامي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخالد
ايضا الله في سنة ٦٣ من الهجرة الموافقة سنة ٦٨٤ وسنة ٦٨٥ خرج الافغانيون
من جبالهم واغاروا على الاراضي المعمورة واوقعوا فيها الخراب والفساد مثل كرمان و
شنوران وبشاور وهزموا مع محالفيهم الجوكوربين راجا او ملك لاهور واغنوه
عن التنازل لهم ابدا ما داموا عن قطعة ارض من اراضيه وفي نظير ذلك دخلوا معه
في معاهدة سرية انه يلزم عليهم المحافظة على الثغور الهندية من الغارات الاسلامية
وكان ظهور المسلمين في الجهات الهندية في سنة ٦٦٤ بعد الميلاد والسبب في ذلك ان
المهلب بن ابي صفرة من بعد ان ظهرت شجاعته وبراعته في بلاد فارس والعرب انفصل في
راس قوة من جيش العرب المحارب في فارس واغار على المولتان ووصل بلادها وحاز
منها غنائم شتى ورجع قافلا ومن بعدها ما سمع بحكاية او سعى حصول على الهند الشمالية
في مدة وجود واستقرار الحكم العربي فكانت غارة المهلب اول غارة وقالوا ان الغارة
الثانية كانت اكبر وابلغ وكان وقوعها من الجهة الجنوبية الشرقية لفارس في داخل الاراضي
الممتدة من فم نهر السند وكانت هذه الاراضي تحت حوزة ملك من الهنود اسمه داهر
وكانت عاصمة حكمه مدينة الور بالقرب من بكار وهذه الاراضي داخل فيها المولتان
وعموم السند والسهل السندي المجاور له الممتد الى الجبال الى حد قنباغ وقيل ان اول الغارات
العربية التي حصلت على الهند كانت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب وقال فريشته ان
الافغانيين اول المسلمين الذين بقوا على قيد الحياة من بعد طردهم من السند في
القرن الثاني من الهجرة اقول انهم لو كانوا وصلوا في غاراتهم في المدة الاولية من
التاريخ الاسلامي في المدة التي كانت فيها خلافة عمر فيلزم من كافة الوجوه ان كانت
غاراتهم غارات سلب ونهب لان هذا الاقليم اللاتي كن على حسب ذوق العرب اهل
جمال بارع ولكن غاية الارتقاء والعظمة في سرايات ودور المملكة العربية ثم توالت
السنين الى ان بلغت المملكة العربية درجة اوجها في مدة خلافة الوليد بن عبد الملك بن
مروان ووقع القبض على سفينة عربية في جهة ديبال او الدوال او الديبل وهي
مينا بحرية متصلة مع السند فطلب المسلمون عوض هذه السفينة من الملك داهر فرفض
قبول دفع العوض واحتج بان هذه المينا ليست تابعة لمملكته فارسل المسلمون فرقة مؤلفة
من الف من المشاة وثلاثمائة من الخيل من اجل تقوية طلبهم وتنفيذ امرهم فقطع الهنود
دابر هذه الفرقة اجمع فجمع الحجاج بن يوسف جيشا منتظما مؤلفا من ستة الاف مقاتل
في نواحي شيراز وعهد قيادة هذا الجيش لابن اخيه محمد بن القاسم وكان عمره في ذلك
الوقت عشرون سنة فسار بهذا الجيش الى ان وصل الى اسوار الديبل وكان مع محمد بن
القاسم كافة اصناف المنجنيقات والدبابات والالات الحربية اللازمة للحصار وشرع في
اعمال هجومه على معبد او هيكل على مسافة قريبة من المدينة وكان لهذا المعبد او الباجوده
احترام كبير عند الهنود وكان محكم البناء والتحصين محيط باسوار شامخة مبنية من احجار
مهولة ضخمة وفيه محافظين كثيري العدد من الراجبوتيين زيادة عما كان فيه من سكانه
طائفة البراهمانيين وكان فوق البرج الاعلى علم معلق على صاري جسيم تهزه الرياح
وكان اهل هذا المعبد وسكانه يعتقدون بانه ما دام هذا الصاري والعلم ثابتا في محله
فانه لا يمكن تنجيس الباجوده ولا تدنيسها ومهما كانت قوة الهاجمين عليها ومتانة استقلالهم
في الهجوم فلما بلغ محمد بن القاسم هذه الحكاية وجه حجر المنجنيق على هذا العلم المقدس وحزبه
فكسره فوقع الى الارض فتطير الذين كانوا موجهين امال سلامتهم بسلامته وقطعوا الامل
من حياة انفسهم وتغلب محمد من دون حرب على الجهة ثم امر محمد الاهالي باختتانهم
فرفضوا القبول فغضب من مقاومتهم وعنادهم له فامر بقتل كافة الذكور من فوق سبعة
عشر سنة وصاعدا واسترق ما بقي من الاطفال والنساء ولما تغلب محمد على المعبد خضعت
له المدينة ايضا فاستحوذ العرب منها على غنائم لا تقدر وغنية وارسل محمد الخمس الى الحجاج
وقسم الباقي في عسكره ثم ان ابن الملك داهر وكان اميرا حاكما في الديبل او كان خليفة
لم يهرب فهرب الى مدينة براهمن اباد فتبعه محمد بن القاسم الى تلك المدينة وارغم على تسليمها
ونزوله على حكمه ثم تقدم محمد بن القاسم نحو نيرون وهي اليوم حيدر اباد السند ومنها على
سهوان ووضع الحصار على هذه المدينة ولو انها كانت مستحكمة جيدا الا ان اهلها
اجبروا على تسليمها من بعد مضي سبعة ايام وهرب محافظها الى قلعة تسمى سالم محاصرها محمد وتغلب

قبلها ايضا واما الملك زاهر فانه ما كان يجلس في اثناء الحرب الا حيث في شان هاجم واضخ من تقدمات وزحف محمد بن القاسم ومع هذا فانه سرح ابنه في راس قوة كبيرة من اجل صده وحجز تقدماته ثم التحق بابنه في راس عساكره وبذا صار جيشه مؤلف مما جنين الف مقاتل وما كانت القوة العربية تزيد عن ستة الاف مقاتل وهجم الهنود على المسلمين حتى خالطوهم في صفوفهم وفي اثنا ما كان الهنود على شرف النصر على المسلمين قذف واحد من رجال العرب كرة مشتعلة بالنفط على الفيل الابيض الذي كان راكبا عليه الملك زاهر فاثر النفط تاثيرا شديدا على الفيل واسرع في جريه الى النهر وقذف بنفسه فيه رغما عما اجراه راكبه من الاجتهادات في توقيفه ومنعه من دخوله في مياه النهر فلما شاهد الهنود سرعة الحركة التي خرج بها ملكهم من ميدان الواقعة انقلبوا على اعقابهم ودفع فيلهم الفشل والارتباك وتركوا ميدان الحرب شاردين مع السرعة والكد لسعد طالع اعدائهم ولما خرج الفيل من النهر اظهر زاهر نفسه لعساكره الهاربة وجمعهم وجدد الحرب على شواطئ نهر السند وكان طالعه منحوسا ايضا فاصابه سهم رماه من فوق مجلسه على الفيل ولو ان جرحه كان شديدا فانه اصر على ركوب حصان وحمل حملة بطل شجاع على جيش العرب الكثيفة فقتل في هذه الحملة وضعفت حركة الجيش الهندي عندما فقدوا ملكهم وهربوا مع الفشل والارتباك وصار محمد بن القاسم عساكر لا تحصى ولا تحصر من هذه النصرة فلما رأت امراة زاهر ماحل بزوجها وقتله جمعت جيشا مؤلف من خمسة عشرة الف مقاتل من الراجابوتيين واستعدت لملاقاة عدوها على ارضها فارغم المسلمون على الالتجاء في داخل تحصينات اجهور وحاصروها فيها وضيقوا عليها الحصار وعندما وصلت حالة المحافظين في هذه المدينة الى اخر رمق قاموا على ازواجهم واولادهم وحرقوهم واجتمعوا على ارملة زاهر وهجموا على المسلمين في معسكرهم فقتلوا جميعا عن اخرهم في هذه الحملة ثم وقعت واقعة اخرى مهولة في نواحي اسكندره ومن بعد هذه الوقعة وقعت مولتان في ايدي المسلمين من دون حرب وسار المسلمون في مظفراتهم حتى استحوذوا على كافة اراضي وممالك الملك زاهر وطلب محمد بن القاسم من كل مدينة تغلب عليها اما الاسلام او الجزية فاما الذين رفضوا قبول الاثنين فقتلوا بالسيف واسترقت عائلاتهم واولادهم وكان الذين رفضوا الدخول في الاسلام او الجزية اربعة من المداين كان الف كرال سلاحية الذين مقدارهم ستة الاف نفس هم المقاتلون او الجرارون واما التجار وارباب الصنايع فانهم ما كانوا داخلين في هذه المادة ورضوا بدفع الجزية واعيدت اليهم امتيازاتهم وافامتهم شعاير دينهم وصاروا تبعة العائلة ملك يدفع عنهم خراجا سنويا ولو ان محمد بن القاسم كان في عنفوان شبابه الا انه كان حازم الراي كتب سلم الفتح اليه الكثير من ملوك الهند في وقت الحرب ولما انتهت تلك الحروب واستراح اهلها انتخب محمد بن القاسم الوزير الاول للملك زاهر وكان رجلا نحريرا بارعا مدبرا وجعله ملكا بدل الملك زاهر لمراعاة الحقوق والمحافظة على الديانة القديمة وبقاء القواعد والقوانين والعوائد على ما كانت عليه وقيل انما محمد فانه بعد هذا سار نحو مدينة كانوج على نهر الكنج ووصل مدينة اودبيور ثم وقفت حركة تقدمه بعارض وحتى وذلك ان العرب لما استحوذوا على مدينة اجهور وجدوا في تلك المدينة بعضا من الذين نجوا بحياتهم من الذبح والقتل ومن جملتهم بنتان للملك زاهر كانتا بارعتان في الحسن والجمال ويوافقان ان يكونا هدية مفتخرة جليلة للخليفة فمن ثم صار ارسالهما الى الحجاج ليرسلهما الى سراية الوليد بن عبد الملك امير المومنين فلما وصلتا هاتان الجميلتان الى سراية الخليفة شغف بعشق الكبيرة منهما ورغب ان يطاها فاكدت وابتثت له على انها لا تستحق هذه الشرف وهذه الدرجة العالية لان الفاجر الشهواني محمد بن القاسم هتك عرضها وانتهك حرمتها فاشتد بالخليفة الفاجر ايضا الغضب وكتب بيده امرا الى محمد بن القاسم بقفل نفسه وضع جسمه في جلد ويخيط عليه ويرسل الى دمشق فلما وصل جسمه بهذه الحالة الى ديوان الخليفة السفيه طلب الجقورة المنتقمة الهندية الى حضرته وقال لها انظري محمد بن القاسم في غلافه وكيف انا عاقبت هؤلاء الخدمة ارباب الجرايم الذين اجتروا في الوقاحة والسفاهة على خليفة رسول الله فاجابته مع التبسم المملوء بالظفر والاستهزاء اعلم ايها الخليفة ان محمد بن القاسم ادى الى مراسم الاحتفال والاكرام ولو انه قتل ابي واخي واهل بلادي فاني ما كنت ارغب موته بهذه الحالة وكنت اود ان اخذ بثاري على طول المدى في مدة من موته حيا سبق ومن بعد موت محمد بن القاسم شيدت قبيلة من القبايل قبل ان اصلا

اصلا من الاوضار حكومتها في السند ومن بعدها اغتصبوا الامتيازات الشوكة من هذه العائلة وصاروا في احكام مستقلة قايما بانفسهم مدة خمسماية سنة الا انما وقفنا على اسما ملوكهم ولا تاريخ يختص باحوالهم ووقايعهم ومن بعد توالي ايام وتعاقب عصور غير معلومة اضمحلت عائلة اخرى اسمها سومنه البلاد وفي مدة سلطنة هذه العائلة كانت غارات ملوك المسلمين على الهند الاصلية وهم ملوك غزنه والغور ووالي على السند وكان من ضمن هولاء الملوك ناصر الدين قباشه استقل بنفسه في اعماله

ثم انه بواسطة موت محمد بن القاسم وقف تقدم حركات الجيوش الاسلامية في السند وانتقلت فتوحاته الى واحد اخر خلفه من بعده اسمه تميم واستمرت عائلة تميم هذا حاكمة نحو ستة وثلاثين سنة يعني الى حد سقوط الخلافة الاموية في سنة ٧٥٠ بعد الميلاد وكان سبب سقوط عائلة تميم قيام ثورات حصلت من الراجابوتيين وما حصل من الخلفاء بعدة في اخماد هذه الثورات وطردوا المسلمين من الهند وعادت كافة فتوحاتهم الى الهنود واستحوذوا عليها نحو خمسماية سنة وقال بعض المورخين ان الراجابوتيين خرجوا من السند بواسطة خلفا بني العباس وصار المسلمون بانجاب من دون مقاومة كبيرة واستمرت عائلة في ملكها في السند من دون ان يطرق احكامها خلل او ضرر الى حد خلافة القادر بالله العباسي وهي ما ينا له وستة وثمانين سنة فرنية الى ان طرق السند جيوش السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنه واوقع الدمار والخراب في الارض والعباد الواقعة بين غزنه ومولتان وفي اثنا هذه المدة جميعها بلغت الدولة العربية والخلافة الاسلامية اقصى درجات الاوج وتغلب المسلمون على الاقاليم الخصبة من شمال افريقية وعلى الكرسي الجليل للديار المصرية والمنتزهات العظيمة الصورية التي ربة والسهول الواسعة العتيقة الاسبانية واراضي القارة الشرقية وعلى امهات الممالك القديمة الاصلية مثل نينوى وبابل وصور واصطخر ومكة واورشليم وغير ذلك من المداين المشهورة التي كانت معدودة اسواق تجارات واسعة الا انه ما اسرع ان بذر بذر الشقاق على هذه المملكة الواسعة فانه في النصف الاول من القرن الاول من تاريخ الهجرة قتل الخليفة عثمان بن عفان وهو واضع المصحف الشريف في حجره وما راعى المسلمون حرمة المصحف وانتهكوا حرمته وسال دم الخليفة على ايات صحايفه الشريفة وحصل من الثورة الكبيرة التي كانت عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم راسها وقيامها بحجة قتل عثمان وتوجهها الكوفة ان سار فخلفها علي بن ابي طالب امير المؤمنين وتولد من ذلك نقل كرسي الخلافة بعيدا عن تخوم الارض والمدينة التي هي مسقط راس النبي صلى الله عليه وسلم وقتل علي وقيام الامويين وارتفاعهم الى درجة الخلافة العالية من بعد قتل علي بن ابي طالب ولبثوا فيها تسعين سنة وكانت خلافتهم ودولتهم في ارتجاج وزعزعة من تكرار المنازعات والشقاقات من الذين زعموا انهم احق بالخلافة منهم لكونهم من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم ومن ابنته فاطمة فتولد من هذا وجود ثورات وعصاوة الى امرها الى قوة كبيرة في نواحي خوراسان كانت سببا في ضعف الخلافة الاموية وقطع دابرها وسببا في جلوس على تخت الخلافة في سنة ٧٥٠ بعد الميلاد ذرية العباس عم محمد صلى الله عليه وسلم ودخلت اسبانيا تحت احكام الامويين وانكر استقامة المملكة الاسلامية من ذلك الوقت ابدا ولما اخذت خلافة بغداد في الضعف والانحلال قام الى الشوكة العالية والدولة الشامخة قبيلة من التاتار من جبال الثاي عرفوا باسم الاتراك وكان قيامهم على التدريج وبواسطة ما وقع منهم من الغارات الشديدة اخضعوا الى احكامهم جميع القبايل المجاورة لهم واخذوا جوامع العرب واشتركوا معهم في الحروب والوقايع وبقوة اعمالهم ومهارة حركاتهم العسكرية ارتقوا الى قيادة الجيوش وحكومة الاقاليم واعتمد الخلفا عليهم وانتخبوا منهم غفرا لامير المومنين وبمجرد ما ابتدات قوة الخلفا في الضعف والضنك وابتدأ ايضا الانحطاط في الشهامة والغيرة والحمية العربية ظهرت نتايج ودلايل هذه الاشيا في المملكة الاسلامية من دون ريب ونصب حكام الاقاليم البعيدة اعلام العصاوة وبيارق الثورات وقامت ثورة شديدة في اقاليم ما وراء النهر دعت اليها هارون الرشيد المشهور الذكر في التواريخ العربية والخامس من الخلفا العباسية من مركز حكومته فاسرع الموت يجري من خلفه وقضى في طريق سفره نحبه واجتهد ابنه المامون وكان مقر حكومته في تلك الاقليم الى اخر التاثير وبجده هذه الثورة حفظ ما وراء النهر تحت الخلافة ومن خروج هذه الاقاليم عن طاعة الخلافة فصار للمامون قدرة وقوة كبيرة على سحب قضيب الخلافة من اخيه الامين ولما استحوذ المامون على بغداد ورتب ديوانه وشيد احكامه فرح ابتدأ

طاهر بن الحسين وكان قائد جيوشه واليه ينسب على تخت الخلافة جلوسه في وضع اساس
استقلالية نفسه في حكومة اقاليم في ماوراء النهر وخراسان وكانت ارض خراسان ممتدة
من سواحل بحر الخزر الى نهر جيحون ومكنا الانتخاب انه من ابتداء هذه المدة كان ابتداء تاريخ
سقوط المملكة العربية الاسلامية وتمتع طاهر بن الحسين وذريته الملقبة بالعائلة الطاهرية
بالسلطنة الملوكية في هذه الاقاليم من سنة ٨١٢ الى سنة ٨٧٢ بعد الميلاد اعني تسعة وخمسين
سنة ثم غلب على ممالكهم واطفأ نور مجدهم ابن الصفار يعقوب بن الليث وهذا ارتقى
من صنعة صب النحاس الاصفر بدخوله في المخاطرات والمجازفات الحربية حتى صار قائد جيش
وصار لطائفة على ان اجلس على التخت عائلته المعروفة بالعائلة الصفارية ثم اطفأ نور
هذا البيت واخمد سلطانه مجازف اخر مثل يعقوب وهو اسماعيل الساماني وحل محل بيت الصفار
البيت ال ساماني واشتهر ملوك هذا البيت في التواريخ الفارسية بمحبتهم العدل والجود والكرم
والعلم والعلماء وقيل انهم استلبوا من ممالك الخليفة بعضا من اراضيه الخصبة الغنية وكانت
سلطنة ملوك ال سامانية على بخارا وخراسان وقسم كبير من المملكة الفارسية وقندهار
وزابلستان وكابول والجبال الافغانية وحكمت العائلة ال سامانية من سنة ٨٩٢
الى سنة ١٠٠٤ بعد الميلاد اي مائة واربعة عشرة سنة ودولتهم لم تغزوا الهند
فانها كانت اكثر ارتباطا معها زيادة عن سلفهم في تاريخ الهند وكان وصول ال سامانية
الى الهند في الاصل من نواحي بلخ لانه في سلطنة عبد الملك السلطان الخامس من هذه
العائلة صار البتكين ابو اسحق وكان مملوكا تركيا لل سامانية الشهرة الكبيرة في القيادة
العسكرية وتعين حاكم الاقليم الاوسع خراسان ولما مات عبد الملك اجتهد البتكين في
خطف قضيب السلطنة ال سامانية من عاجز الرأي ضعيف القلب منصور بن نوح ليجلس
منصور لديوان سلطانه في بخارا ثم ان البتكين ترك بخارا غضبان اسفا وتفجر ملؤها
قلبه بالطمع وحب الذات مع اتباعه والذين يعتمدون عليه في شجاعته واستوطن مدينة
غزنه الواقعة في اقصى الجهة الغربية من نهر الكومول احد النهيرات العديدة التي تصب
مياهها في نهر السند فبذل الملك الساماني مجهوده ما في وسع طاقته في حطم شوكة البتكين
فكانت اجتهاداته على غير طائل وفي ظرف سنة عشرة سنة ضم البتكين اراضي الى مملكته و
شهرة الى شهرته وكانت القوى التي حفظ بها استقلاليته تتم مؤلفة من ثلاثة الاف
مقاتل من المماليك التركية كانوا صحبوه في وقت عزلته وخروجه من بخارا ولا ريب انه
التحق به ايضا بعض العساكر الذين كانوا في خدمته في مدة ما كان حاكما غير انه من
المحتمل المؤكد ان معظم قوته كانت مؤلفة من بذرة الارض التي اختارها لنفسه واتخذها
مقرا وموطنا لعائلته وكان سبكتكين احد مماليكه فترقى في مدة سلطنة سيده
على التدريج حتى صار مستشاره وزوج ابنته وخليفته من بعد موته على تخت سلطنته
ولو ان سبكتكين كان في الواقع ونفس الامر سلطانا في غزنه الا انه ما كان مرعيا
عند ال سامانية الا بصفة حاكم اقليم من اقاليم دولتهم واجتهد سبكتكين في جذب محبة
قلوب ضباطه وعساكره باعترافه عليهم بكرمه وجوده وصفات شجاعته التي كان مستخدما
عليها في الاعمال الحربية ومهارته وجرأته واودع حب نفسه في قلوب رعاياه وبتبسم السلم
وضحك الامن واستتباب الراحة فوق ارض بلاده في مدة احكامه وكان جيشه دينه
على مظفرات نافعة وتوفيقات ناجحة في الهند وهدم معابد الاوثان وخرب اقليم
بانجاب وابتنى معبدين بنشور وقصدار بالغرب من السند وعاملة المملكة ال سامانية
في صفة حليف له زيادة عن كونه واحدا من رعاياه وتوفي سبكتكين في شهر شعبان
سنة ٣٨٧ من الهجرة وكان مقامه ببلخ وقد ابتنى بها دورا وبساتين فعرض وطال
مرضه واشتاق الى هواء غزنه فرحل عن بلخ اليها فمات في الطريق فنقل ميتا الى غزنه
ودفن بها وكان مدة ملكه نحو عشرين سنة وكان عادلا خيرا كثير الجهاد حسن الاعتقاد
ذا مروءة وحسن عهد ووفاء ولما حضرته الوفاة عهد الى ولده اسماعيل من بعده بالملك
والله اعلم

الفصل الثاني

من ابتداء سلطنة محمود بن سبكتكين الى موته

من سنة ٩٧٧ بعد الميلاد
الى سنة ١٠٣٠ بعد الميلاد

ترك البطل سبكتكين من بعد موته وراءه ابنان له مختلفان كثيرا في الصفة
وكان ابوهما ينظر اليهما بنظر مخالف لبعضهما فرأى في اسماعيل ابنه الثاني السخاء
والكرم واللين وحسن الوداد في حكم مملكته واسعه مع العدو والاطمئنان وعدم عزمها في
عواصف حروب وزوابع كروب واما محمود ابنه الاول فانه جسمه كان مشتعلا بنار الحرب
مثل ابيه وكان لا يتغير ولا ينشرح صدره الا في ميادين حروب دموية وسيرى في مستقبل
ايامه ما كان عليه من كثرة الغارات وسفك الدماء وكان محمود محترما عند ابيه واما اسماعيل
فكان محبوبا عند ابيه وفي وقت موت سبكتكين كان محمود ابنه في جهة بعيدة في نيسابور
عاصمة خراسان وكان والي خراسان من طرف الامير نوح الملك الساماني فمن ثم حض
اسماعيل ابوه مخافة من وقوع ارتباكات او فتن في المملكة او اغتصابات بربرية وتسلطن
عيله على عقده في الوقت الذي كان مشرفا فيه على الموت حتى عهد عليه زمام السلطنة والحكومة
الى ان يعود اخوه الاكبر المستحق وراثة التاج والتخت من بعد موت ابيه وتوج اسماعيل
عاجلا في بلخ واستعد لتوطيد ما استحوذ عليه بالحيلة بقوة السلاح وفتح ابواب الخزاين الملوكية
وفرق النقود والهدايا الكثيرة الجليلة على كبار ضباطه وحكامه واشرافه وحلفوا له واطلق
لهم الاموال وكان اصغر من اخيه محمود فاستضعفه الجند فانشطوا الى الطلب حتى افنوا
الخزاين التي خلفها ابوه وزاد في مرتبات العساكر حتى اغرقهم في السفاهة والفسق والفجور
واما محمود فانه عندما بلغه موت ابيه جلس للعزا في نيسابور ومع ما كان عليه من الحدة
والعنف والغضب الذي جبل به من الجناية التي حصلت من اخيه اسماعيل فانه ما رغب ان
يلطخ حبارى طفولية سلطنته بدم اخيه وارسل الى اخيه اسماعيل يعزيه بابيه ويعرفه
ان اباه انما عهد اليه لبعده عنه ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير ويطلب منه الوفاق
والانفاذ مما يخصه من تركة ابيه وارضا بالتنازل عن حقوق كل ما يزيد عليه على تخت ليس له
فيه ادنى حق في طلب وراثته ويأخذ في نظير ذلك حكومة خراسان فقصد اسماعيل ازناه
لكن كلما عرضه الرسول عليه وعمي عن حزمه وسداد رايه وسار زاحفا من بلخ ليفصل هذه
المعرة بالسلاح ووجد ايضا محمود احوال مستقبلة الراحة فزحف من نيسابور الى هراة عازما
على قصد اخيه بغزنه وعلى حيازته التخت او سجنه في سجن مظلم ولما وصل محمود الى هراة
واجتمع بعمه بغراجق جعلها قاعدة على اخيه اسماعيل وسار نحو بست وبها اخوه نصر فتبعهم واعانه
وسار معه نحو غزنه فسبقه اخوه اسماعيل اليها وكان الامراء الذين مع اسماعيل كاتبوا
اخاه محمودا يستدعونه ويعدونه الميل اليه فجد في السير والتقى هو واسماعيل بظاهر
غزنه وكانت الواقعة مثل عادة خصام الاخوان عنيدة شديدة دموية كانت نتيجتها
هزيمة اسماعيل وعسكره بالكلية وهرب اسماعيل مع قليل من اتباعه الى قلعة غزنه
واعتصم بها فحصرها اخوه محمود وضيق عليها في الحصار حتى التزم اسماعيل والذين معه
على تسليم انفسهم وكان العقاب الذي اصدره محمود على اخيه اسماعيل هو سجنه مدة
حياته وكانت مدة ملك اسماعيل سبعة اشهر او سنة وجلس محمود على التخت المستحق
شرعا جلوسه عليه في وسط سرور وافراح الناطقين من خدم المملكة وحواشيها وسفاهة
الجم الغفير الذين كانوا قبل ذلك بستة شهور منتمين الى خصمه وحلفوا له بطاعتهم لو كانوا
وعدوه النصر على اخيه وفي الشهر الاول من سلطنته وقع الكشف على عين عظيمة على
عروق نفيسة من الذهب الخالص في نواحي سجستان وكان هذا المعدن متفرع فروع في
داخل بنية الارض مثل فروع شجرة فعد الناس وجود هذا المعدن فالا عظيما لهذا
الارتقاء القريب الذي حاز فيه مملكة غزنه درجة هذه الابهة والسعادة والثروة
وفي وسط الاضطرابات الداخلية التي كانت واقعة بين محمود واخوه اسماعيل اجتهد الامير
منصور ال ساماني ملك بخارا وعين حاكما جديدا اسمه بكتوزون الى خراسان ويسلبه منها
القسم الاعظم من المملكة الواقع التي حاز فيها فتنزل من هذا العمل غير السياسي الذي اجراه
ضعيف الراي الامير منصور سرعة اطفاء نور العائلة السامانية ثم ان محمودا لما فرغ من
امر اخيه اسماعيل وملك غزنه وعاد الى بلخ رأى بكتوزون قد تولى خراسان فارسل الى
الامير منصور بن نوح يذكره طاعته والمحاماة عن دولته ويطلب خراسان فاعاد الجواب
معتذرا عن خراسان ويأمره باخذ ترمذ وبلخ وما وراءها من اعمال بست وهراة فلم

يقنع محمود بذلك واستغلت نيران غيظ بين حكومة خوراسان وكانت خوراسان عهدت
الى سبكتكين في صفة التزام وراتب في نظيرها اداه من الخدمات الجليلة ومدة حكمه فيها وللا
محمود الطلب فلم يجبه الى ذلك فلما يئس من المنع سار الى نيسابور وبها بكتوزون فلما بلغه خبر مسيره
نحوه رحل عنها فدخلها محمود وحكمها فلما سمع الامير منصور بن نوح سار من بخارا نحو نيسابور
فلما علم محمود بذلك سار عن نيسابور الى مرو الروز وعسكر عند قنطرة راغول ينتظر ما يكون منهم
وكان محمود يرعى حقوق احترام البيت الساماني ولوانه كان على شرف السقوط والدمار
فخص محمود نفسه على اعماله الاولية وبذل جهده في انذار منصور انذارا لينا ولما خاب مجهوده في
ذلك وفي كل امر سعى اجتهد فيه عزم في الحال على حط وهشم هذا الخيال الملوكي المظلل بالكذب
واطفأ نوره ومن بعد ان وضب اعمال مملكته ووطدها سار نحو الثغور الشمالية من خوراسان
وكان بكتوزون سار الى الامير منصور فاجتمع به فلم ير من اكرامه وبره ما كان يؤمله فشكا
ذلك الى صديق له اسمه فايق فعاتبه باصحاف شكواه فاتفقا على خلعه من الملك واقامة
اخيه مقامه واجابهما الى ذلك جماعة من اعيان العسكر فلما اجتمعوا به قبضوا عليه وامر
بكتوزون من سمل عينيه فاعماه ولم يراقب الله ولا احسان مواليه واقاموا اخاه عبد الملك
مقامه في الملك وهو صبي صغير ليكون العوبة في ايديهم في شؤون اغراضهم ومطامعهم وكانت
مدة ولاية منصور سنة وسبعة اشهر وهاج الناس بعضهم في بعض وارسل محمود الى فايق
وبكتوزون يلومهما ويقبح فعلهما وقويت نفسه على قتالهما وطمع في الاستقلال بالملك
وسار نحوهما ومعهما عبد الملك بن نوح والتقوا بمرو واقتتلوا اشد قتال وآوى الناس
الى الليل فانهزم بكتوزون وفايق ومن معهما شر هزيمة فقتلوا واسروا وخرج عبد الملك
مع فايق الى بخارا مع غاية المشقة ليرى فيها عاقبة وبال امره وتغلب محمود بن سبكتكين
على خوراسان الى ان وصل عبد الملك وبكتوزون وفايق وغيرهم من الامراء فقويت نفوسهم
وشرعوا في جمع العساكر وعزموا على العود الى خوراسان فاتفق في هذا الوقت
ان مات فايق فضعفت نفوسهم ووهنت قوتهم لانه كان المشار اليه من بينهم فلما بلغ
خبرهم الى ايلك الخان واسمه ابو نصر احمد بن علي ولقبه شمس الدولة سار في جميع الاتراك
الى بخارا وكان ملك كاشغر وبخارى الصغرى واظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحمية
له فظنوه صادقا ولم يحترسوا منه وخرج اليه بكتوزون وغيره من الامراء والقواد فلما
اجتمعوا به قبض عليهم وسار حتى دخل بخارى فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلة عدده
فاختفى ونزل ايلك الخان دار الامارة وبعث العيون وبث الطلب على عبد الملك حتى
ظفر به وقتله وكان اخر ملوك السامانية وبه انقرضت دولتهم من بعد ان كانت زاهرة
وبلغت الى اقصى درجات الابهة والفخر مدة نحو مائة وسبعة وعشرون سنة وكان
حصول هذه الى رتبة المشهورة في سنة ٣٨٨ او سنة او ٣٨٩ من الهجرة الموافقة
سنة ٩٩٨ من الميلاد وانقرضت دولتهم على يد ايلك ومحمود بن سبكتكين كأن لم
تغن بالامس كدأب الدول قبلها ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وكانت دولتهم قد
انتشرت وطبقت كثيرا من الارض من حدود حلوان الى بلاد الترك وما وراء النهر
وكانت من احسن الدول سيرة وعدلا والله يؤتي ملكه من يشاء سبحانه وتعالى
واستهل القرن الحادي عشر من التاريخ المسيحي بسلطنة محمود بن سبكتكين وسار في جيوشه
وباشر حروبه حتى غلب على عراق فارس ومن بحر الخزر الى نهر الكنج في الهندوستان
ومن ما وراء النهر الى ضواحي اصبهان صار هو الحاكم الوحيد والسلطان المجيد وكانت
نار الحمية الاسلامية والغيرة المحمدية اشتعلت في جسمه ونذر نذرا مؤكدا الى الله
سبحانه وتعالى في وقت جلوسه على تخت غزنه ان رزقه الله سبحانه وتعالى كمال الهدوء
والامن في ممالكه فانه يسير على قدم ابيه ويغزو بكامل عساكره وقواه عباد اصنام
الهندوستان فجاءت له هذه المدة حسبما تجري في ارادته نحوه فوطد العدل والسياسة
واحكم قواعد الاحكام وصير نفسه معززا محترما في ممالكه عند رعاياه وبسبب علو مقام
شجاعته وتدبيره في الحروب صارت عموم جيرانه القريب منها والبعيد في خوف
وجزع منه وكانت مدة سلطنته راحة واستتباب امن وتمتع باللذات في عزته
من زوابع وعواصف ومحن في الهندوستان وكانت سنة ١٠٠٠ من التاريخ المسيحي
مبادي الاثنتي عشرة غزوة المهولة المفزعة التي ازعج بها محمود بن سبكتكين منكوسي
الطالع اهل الهند ووقع بالهند الاهوال الشديدة التي نتعجب من فاتح والغضب و
شدة الخلق الذي يحصل منه متهوري في مدة تطرحه وتهدمت الاصنام والتماثيل التي

التي لا يحصى عددها المقامة في هياكلها وسراياتها مع كل بها ناس من اهل الفلسفة لهم
عقول نيرة فاحدث بعبادتها النيابة عن الاله الخالق الاكبر وصفاته المختلفة حتى
انفضحت هذه الالهة لسبب ضعف ووهن عبادها الوثنيين وصارت اصنامها معنى
لا في ذاتها وصفاتها وارغمت جميعها على السجود امام البيارق الاسلامية والاعلام
المحمدية ومحيت وحرقت وهدمت معابدها وابا جيدراتها المفتخرة العامرة الذين كانوا
يعتقدون ان اشغالها لا تفنيها الايدي ولا تقدر الناس على بناء امثالها وكانت مجهولة
عند الهنود مباني سماوية وتوزع ما كان مجموعا من مدة دهور وعصور في هذه المعابد
من الكنوز والذخائر المقدسة على العساكر المنصورة التي ساقها البطل المشهور محمود بن
سبكتكين على الهند

وصف لاهور او بانجاب

وكان ختم لاهور وملحقاته اول مطالب هجومات محمود بن سبكتكين ذكر في آيين اكبري او
مرآة اكبر ان لاهور هو احد الاقاليم الاكثر غنية وخصوبة واكثر عمرانا واهلا في
الاقاليم الهندية ويسقى بخمسة انهار كبيرة ومن اجل هذا اطلق على هذا الاقليم اسم بانجاب
من بانج يعني خمسة وآب يعني ماء وطوله ١٨٠ كوسا طول كل كوس ميلان انكليزي
فيكون ١٨٠ كوس = ٣٦٠ ميل وعرضه ٨٦ كوس = ١٧٢ ميل وبما ان حدود هذا الاقليم
واقع فيها التغيير والتبديل على الدوام من وقت الى اخر على حسب مظفرات الفاتحين فلا
حاجة لذكرها في هذا المقام وتجتمع انهاره الخمسة مع بعضها تحت مدينة مولتان وتشكل
نهر السند وعاصمة لاهور واقعة في عرض ٣٢ شمالا

وقائمة على شطي او ضفة
نهر راوي وهو نهر هيدراوتس
القديم وهذه المدينة قديمة
جدا ولكن لم يمكن اصلاح بوسفالة
القديمة التي كان انشاها
وشيدها اسكندر الاكبر في
مدة وجوده في بانجاب فيصعب
علينا ذكر حقيقة موضعها لانه لم
يذكر في آيين اكبري شيء عنها في هذا الخصوص ولاهور واقعة
على الطريق المستقيم الموصل مباشرة الى قلب الهندوستان
وهي من الازل في ضيق وكرب وشدة ضجر وتعب في كل من التاريخ
القديم والتاريخ المتوسط من جيوش الملوك المحاربة مع بعضها ونالها كل
مشروع حربي وقع فيه نصرة او هزيمة على التعاقب اجراه كل ملك على
عاصمة من العواصم ومن عهد اسكندر الى الوقت الحالي ارض بانجاب ملطخة
بالدماء والقتل زيادة عن كل اقليم اخر في المملكة الهندية ومن كثرة الوقائع
والحروب التي هاجت في ارضها تولد استمرار روح الحياة وشدة الحمية والجراءة التي كان
عليها معركها والرعايا الذين كانوا تحت احكامهم واشتهر اهل لاهور بالشجاعة في
الحروب فانهم قاوموا بشدة عزمهم وجراءتهم تقدمات اسكندر المقدوني وقواد الوليد

الغزوة الاولى الهندية من غزوات محمود بن سبكتكين

بن عبد الملك بن مروان ومنعوهم من التوغل في البلاد الهندية الى نهر الكنج وعلى
الخصوص شجعان محاربي سكان الحدود وبالسبب الذي عزم فيه محمود بن سبكتكين على
الغارة على البلاد الهندية وخراب اراضيها وجد مع غاية العجلة فرصة بتجديد المبارزات
والحروب مع جيبال اقرب ملك من ملوك الهند واقع على حدود مملكته من جهة الشرق وكانت
حجته في ذلك اما تاخير دفع الخراج او عدم دفعه بالكلية وسار محمود على بيشاور وهي
محالة من ملحقات لاهور في راس عشرة الاف من منتخبي جياد الخيل فقال فريشته ولوان
جيبال كان هزمه سبكتكين قبل ذلك فانه عزم على الحرب وجمع جيشا مؤلفا من ١٢٠٠٠ من
الخيل و ٣٠٠٠٠ من المشاة و ٣٠٠ من الفيلة وتقدم في راس هذا الجيش لمحاربة
سلطان غزنه وهذه عدم حزم وعقله على ازدراء بعض من محمود وقلة ما معه من
الجيش او بسبب ما كان عليه من الطمع في الاخذ بثار هزيمته القديمة وكانت نتيجة
المواقعة اثر معركة طويلة عنيدة استمرت بين الطرفين ولو ان محمود كان دون جيبال
في قوة الجيش وعدد العساكر فانه انتصر نصرة كاملة على جيبال وقتل من عسكره خمسة آلاف

نفس واسر جيبال مع خمسة عشرة من كبار رجاله واولاده واخوته ومن ضمن الغنائم ا
الاسلاب التي حواها محمود في هذه الغزوة ان وجد معقوف حول رقبة الملك الاسور جيبال
ستة عشرة عقد من الجوهر كل عقد قيمته ١٨٠٠٠٠ روبية او ٣٢٠٠٠ ليرا وبالطبع
كان الفدا الذي اخذ من الوفرين الذين كانوا في الاسر مع جيبال والغنايم والاسلاب التي
اخذت من العسكر الهندي فانه يلزم ان كانت لا تحصى ولا تحصر ثم ان محمود اخلى سبيل جيبال
واصدقاءه واحراه واتباعه من بعد دفع الفدا وزاد في الخراج او الجزية اللازم دفعها كل
سنة زيادة كبيرة وانفصم ظهر جيبال من الخزي والعار والحزن والاسف وعاد الى عاصمته
فكبست عليه عواصف الآلام وكثرة التردد في الافكار بعضها مما وقع له في الحرب وبعضها
من انه يلزم ان ينقاد لعادة كانت جارية في هذا الوقت عند الهنود وهي بتجريد كل ملك
هندي لو هزم المسلمون مرتان من تقلده زمام السلطنة والحكومة ومن ثم سلم تخته لابنه
وامر باستعداد عمود حرق نفسه واحزام النار فيه وقذف بنفسه في لهب النيران على حسب قواعد
وقوانين الهند مقدما شيئا عما كان في حياته

وكانت الغنايم التي حواها محمود في غزوته الاولى الهندية لا تحصى حتى وانه في غزوته الثانية
الهندية الغليلة التفصيل في التدوينات التاريخية يظهر ان هذه الغزوة كانت على اكثر
ما حفظ محمود على بلاده لا في شان اتساع واعتقاد اراضيه الجديدة التي حازها ووجه
جيوشه في هذه الغزوة على المداين الحصينة العديدة والمعاقل والقلاع الموجودة على
الثغور الهندية التي لها طاقة في اي وقت من الاوقات على تعطيل حركاته وصعوبة ان
فتوحاته الا ان هذه الغزوة الصغيرة كانت استهلالا ودخولا في مشروعات
كبيرة لازمة لتمام ما اجراه من دون انقطاع الاستعدادات التي سنذكرها ورجع في
الغزو لا اليها وذلك انه في سنة ٣٩٥ من الهجرة الموافقة سنة ١٠٠٤ من
بعد الميلاد ابتدا محمود في غزوته الثالثة الهندية بسبب ما حصل من منع الخراج والسفاهة
التي حصلت من بعض الحكام على الثغر من امير هندي اسمه بجيرة من توابع انندبال وكان
انندبال منع ان يدفع متاخرات الخراج اللازم دفعها بسبب ما كان عليه من الضعف و
العجز في حكومته فاتخذ ذلك محمود ان ~~تعجل~~ بجيرا اذ درى به وكانت عاصمة هذا الملك
اسمها بهاطية وكانت جيدة التحصين يحيطها سور شامخ وخندق واسع عميق وسلسلة
من القلوع والطوابي والاستحكامات حربية بالخصوص لحفر الدروب والمنافذ والموصلات
القريبة من عاصمة الملك ~~تعجل~~ بجيرا فقيل ان هذا الملك حفظ نفسه من هجوم محمود في داخل
تحصيناته مدة ايام وكان عند سنوح الفرصة له يغير بعسكره على معسكر محمود ويقتل جملة
ويعود الى متاريسه حتى اشرف محمود على قطع الياس من تغلبه على هذا الملك ثم انه خرج
الى ظاهرها فقاتل المسلمون ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع عبى محمود جيوشه ورفع يديه الى
السما وقال اللهم يا خير الناصرين انصرنا يا رب العالمين على القوم الكافرين اللهم
انصرنا وثبت اقدامنا على لقا عدوك اللهم انزل علينا نصرك وصبرك الذي نصرت
به عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وامر بالهجوم فانهزم بجيرا واتباعه واتقدوا في الانسحاب
الى المدينة فسبقهم اليها المسلمون وملكوا ابوابها عنوة واعملوا السيف في اعناقهم ومن
خلفهم فقتل محمود المقاتلة وسبى الذرية وقيل ان بجيرا التجأ في داخل اسوار عاصمته فارسل
جنده محمود وشغل عساكره في ردم الخندق مع العنف والشدة ومن العدوان مكثوا في ردمه
بضع ايام من دون انقطاع واشرف الخندق على تمام الشغل انتهز الملك المكار الفرصة
وهرب من المدينة في ليلة مظلمة وساق معظم جيشه معه من باب سر من ابواب الاسوار
وعسكر بهم في اورمان صعب الوصول على شواطئ نهر السند ولما بلغ محمود اخباره
ضم قوته وفصل النصف من اجل استمرار الهجوم على مدينة بهاطيه وامر النصف الاخر
بالتعقب اثر بجيره والهجوم عليه وشرع هو في هجوم مهول على المدينة والقلعة فنجح نجاحا
تاما في هجومه وتغلب على مدينة بهاطيه وقلعتها واستولى على ما كان فيها من ذهب وفضة
وكان من ضمن الغنايم والاسلاب ما ينال من الفيلة ومن اجل ان لا يحصل له اي عطل
او ناخير او صعوبة عند مروره من جهة بهاطية في حروبه المستقبلة اضاف هذه المدينة
واراضيها وملحقاتها الى مملكة غزنة ابدا ما دامت وفي اثنا هذه المدة قد الجم العسكر من
عسكر الراجا بجيرا وتركوه وما بقي معه الا القليل عزلوا على البقا في صداقة تامة لا

لا مره الذي آل الى العدم والهبوط فاحاط بهم الجيش الغزنوي من كل جانب فاجتهد واتسع فيهم
على انهم يا خذون لهم طريقا بالقوة يمرون منه من وسط صفوف حصارات اعداهم فكان
طالع سعدهم غير معادل شجاعتهم واخذوا في عزمهم هذا وقطعوا تقطيعا او اسروا واما
بجيرا فانه لا جل بعد نفسه من الاسر وخلاصه من هذا الامر المهول وعدم مقابلته اياه اتكأ
على سيفه وقتل به نفسه فاستدل من قتل هذا الملك نفسه بنفسه في وقت نزول الاهوال والمصائب
على ما كان عليه قدما ملوك الهند من شدة القوة التي لا تقهر والشجاعة التي كانوا عليها ومعتقداتهم
في تسلط عقيدة تناسخ الارواح عندهم والظاهر ان مولتان اصابها هذا الذل المعوي
الذي حصل لواحدة من مدايتها في التوران وكان لا يؤدي حاكمها الاول قدم خضوع طاعته
الى محمود بن سبكتكين في مدة غزوته الاولى على هذه الجهات ثم ان ابنه داوود رفض
بالكلية تبعية لهذا الملك ولا اخذ لنفسه عبرة مما حصل الى بجيرا ملك بهاطيه من سوء الحال
وخراب الديار وقتل النفس واخضع نفسه العالية للطاعة وكذلك ملك لاهور من اعتبر
ما حصل لعايلته من الاذى والضرر في انبلي ونصب في نواحي بيشاور بيرق العصيان
ومن ثم شرع محمود في غزوته الرابعة الهندية وبما ان هذه الغزوة اول توجيهات هجومها
على مولتان فيجب ان اذكر في هذا المحل الوصف الجغرافي الذي عليه مدار فهم هذه الحكاية
المختصة بهذه العاصمة والاقليم التابعة له وهذا الوصف منقول من آيين اكبري او
مرآة اكبر وهو ان مولتان وطاطاه يشكلون القسم الاعظم من السند واسم السند
المشهور عند العرب مطلوق على الاراضي الواسعة الواقعة على كل من صفتي نهر السند من
ابتدا منابعه الى الاوقيانوس الهندي ومولتان واقعة على عرض ٥° ٢٩° وطول
هذا القسم او الصوبة بقدر ٤٣٣ كوش = ٨٦٦ ميل وعرضه ١٠٨ كوس = ٢١٦ ميل
واذا اضفنا الى هذه الاقليم صوبة او اقليم طاطاه فان الطول الكلي الى حد كاشتي
من مكران يمكن مقاسه على خط طويل مقداره ٦٦٠ كوس = ١٣٢٠ ميل وفي الجهة الشرقية
من هذا الاقليم واقع سرهند ويتصل به من جهة الشمال قسم شور ومحدود من جهة
الجنوب بقسم او صوبة اجمير وفي الجهة الغربية منه واقع كانتش ومكران وكل من
هاتين مملكة مستقلة في حد ذاتها وتسمى صوبة طاطاه بالانهار التي ذكرت في لاهور
فانها تجري من وسط هذه الصوبة وتجمع مياهها سوية ويتشكل منها نهر السند والجبال
ممتدة في طول الجهة الشمالية من هذا الاقليم وهو شبيه به لاهور في كافة احواله وخواصه
وارضه لذيذة الطعم الا ان الامطار قليلة السقوط فيه جدا ونزولها نادر ودرجة السخونة
او الحرارة حادة جدا وموجود بين سيبوي وباكور برية او قفر واسع تهب عليها في
ظرف ثلاث شهور الصيف رياح شديدة السخونة معروفة في بلاد العرب والسودان
برياح السموم ومما ذكر في آيين اكبري من المداين في هذه الصوبة الا مدينتان مشهورتان
فقط الاولى مدينة مولتان العاصمة وهي احدى المداين الاكثر قدما في الهند وقيل انها
كانت عاصمة الماليون ومنها اشتق اسم مولتان او مالي ثنم او بثن او مولتان
يعني مدينة الماليون وكان لها قلعة قوية مستحكمة ومعبد مفتخر او باجوده والثانية
مدينة باكور قيل انه كان لها قلعة قوية وتسمى في الكتب القديمة باسم المنصورة وكانت
مولتان تشتمل على ثلاث مديريات وكل مديرية مقسومة الى ثماني اخطاط ومن ضمن هذه
المديريات مديرية طاطاه وكانت في الاصل مستقلة بنفسها ثم انضمت الى المولتان
وكان لها شهرة في شرف الذكر عند مؤلف تاريخ دولة السلطان اكبر ملك الهند زيادة
عن اقليم المولتان التي انضمت اليه وطاطاه كاينة في الاقليم الثاني وعاصمتها الموقوفة
ايضا باسم طاطاه كاينة على حسب آرا مؤرخي الاوروباويين في عرض ١٠ ٢٤ وعلى
حسب ما ذكره رنل في عرض ٥٠ ٢٤ قال في آيين اكبري ان فصل الشتا في هذه الاراضي
معتدل جدا حتى انه لا يحتاج فيه الى لبس الفرو وحرارة الصيف ملطفة جدا ما عدا في
نواحي سيوبستان وفي طاطاه توجد اصناف فواكه لذيذة وصنف المنجو او العنب
مشهور فيها بجودته ولذة طعمه وبها يوجد صنف من البطيخ الصغير الحجم ينبت فيها مثل
البطيخ الجبلي اي الخارج بالطبيعة من الارض وفيها اصناف ازهار شتى وجبالها وابلها
في غاية الجودة عالية الاثمان واهل هذا الاقليم ينزهون فوق المياه على الخصوص
ولهم قوارب وسفن مختلفة الجنس والصناعة وكان يوجد عندهم لا اقل من ٤٠٠٠ قارب

من اربعة الاف قارب وسفينة ويصطادون كل جنس من اجناس الحيوانات الوحشية ولهم محبة عظيمة غريزية في لحوم الاسماك والمزارعون يقاسمون الحكومة في محصولات مزارعهم فلهم الثلثان منها وللحكومة الثلث ويوجد في هذا الاقليم معادن الحديد وبرك الوحل ويغتذي اهل البلاد الارز والسمك والارز عندهم في وفرة كبيرة واما السمك فهو جنس مخصوص اسمه بلوه يدخل من البحر الملح في نهر السند لتزيد الطعم ويجففون الاسماك في الشمس ولهم فيها منافع تجارية كبيرة ويستخرجون من السمك زيتا يستعملونه في عمارة السفن وانشائها وجبال هذه الصوبة كثيرة العدد وتجري في جهات مختلفة منها عائلات او مستوطن في جهاتها وفوق رؤوسها جنس متوحش جبلي يعرف بالبلوچيين ولهم اعتناء زائد في تربية الخيل والجمال فوق ذرى هذه الجبال وسمى ابو الفضل احدى من هذه القبائل باسم النومردي وبما ان هذا القسم كان قسما من الجهة المعروفة عند قدماء المؤرخين باسم صيطيا الهندية فلا ريب ان اهل هذا الجنس هم ذراري الراحلين النازلين عن الصيطيين او التتار والدليل القوي في ذلك يرى فيما هو مشاهد عندهم في هذا العصر من العادة الموجودة عندهم التي كانت مخصوصة بالسكان القدماء من صيطيا وهي ان اهل المراعي القاطنين في قرى على ضفتي نهر السند لهم عادة في تغيير محلاتهم ويرحلون ويتنقلون في طول اعوجاجات النهر وكانت العاصمة في الازمان القديمة جدا مدينة براهمن اباد فكانت في ذلك الوقت كثيرة الاهل والعمران ويحكم على ما كانت عليه من الابهة والجلالة من قلعتها فانه قيل انها كانت مشتملة على ١٤٠٠ برج طيوله او برج تحمي بعضها حماية عكسية والى الان توجد اثار هذه الاستحكامات ويوجد الى الان اطلال واثار مدينة تعرف باسم براهمن اباد تشاهد على مسافة ارباع اميال من مدينة طاطاه ثم انه عند سير محمود الى المولتان كان في راس جيش ضخم فوق العادة في جودة التنظيم والتسليح وكانت اول وقعة اجراها مع انندبال بن جيبال وكان انندبال دخل في اتحاد قوي مع داوود من اجل مصادمة ومنع حركة تقدم سير محمود ثم ان محمود مع قوة اخذها عددها في الغلبة من الوقائع والحروب في مدة سيره الى المدينة الحصينة عاصمة السند انشب مع انندبال وداوود حربا شديدا عنيفا سريعا ولو ان العساكر التي كان ابن جيبال جمعها كانت كثيرة العدد والرفائق الحربية الا انها كانت اقل منه ونفقا ما على عساكر محمود فمن ثم اوقع بهم السلطان هزيمة وشتت شملهم وبدد حالهم حتى ارغم انندبال على الهرب الى جبال كشمير من اجل اعتصام نفسه فيها واسرع المنصور محمود بعساكره المظفرة واما افتتحه ولا عساكره راحة حتى نصب العلم الاسلامي فوق هياكل مولتان ومعابدها البحرية ورمى تحته علم سيوا الهندي ولاشك ان الغنائم والاسلاب التي حازها محمود في مولتان كانت مناسبة لابهة وثروة وسعة تجارة هذا المحل الا انه ما ذكر احد من مؤرخي الفرس والعرب معنى قريبته ويعرفون تفاصيل ذلك واما العاصي داوود فانه هرب الى الجهات الاورمانية من السند وذل وخضع حتى استحصل على عفو من السلطان وعاد في المستقبل الى اطاعة اوامره من دون حصول ادنى مناقضة وزاد على نفسه خراجا كبيرا ومن بعد ان مهد محمود الامن واستتباب الراحة في المولتان عاد مؤيدا منصورا الى غزنة ورأيت في تاريخ ابن الاثير انه في سنة ست وتسعين وثلاثمائة من الهجرة غزا محمود بن سبكتكين المولتان وكان سبب ذلك ان واليها ابا الفتوح نقل عنه خبث اعتقاده ونسب الى الالحاد وانه دعا اهل ولايته الى ما هو عليه فاجابوه فرأى محمود ان يجاهده ويستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى الانهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور فارسل الى انندبال بن جيبال يطلب اليه ان يأذن له في العبور ببلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان ودخل بلاده وجاسها واكثر القتل فيها والنهب لاموال اهلها والاحراق لابنيتها ففر انندبال من بين يديه وهو في اثره كالشهاب في اثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى ان وصل الى كشمير ولما سمع ابو الفتوح بخبره علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه فنقل امواله الى سرنديب واخلى المولتان فوصل محمود اليها ونازلها

ونازلها فاذا اهلها في ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة والزم اهلها عشرين الف درهم عقوبة لهم وسار منها الى قلعة اخرى سماها ابن الاثير باسم كواكير وفي اثناء محاربته هذه القلعة وحصارها بلغه عن خراسان اختلاف بسبب قصد ايلك الخان لها فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة الاف منا فضة وعاد محمود الى خراسان لاصلاح ما اختلف فيها وقد ذكرنا فيما سبق ان ازبك ايلك خان ملك كاشغر او بخارا الصغرى اهلك العائلة السامانية وكان محمود غضب لما حصل من منصور الساماني من كفرانه وجحوده النعمة وخيانته فرأى انقراض العائلة السامانية مع الفرح وانشراح الصدر واتخذ ايلك خان من اصدقائه ووافقه وتزوج ابنته وانعقدت بينهما مصاهرة ومصالحة فلم تنزل السعادة حتى افسدوا ذات بينهما وكتم ايلك خان ما في نفسه فلما سار محمود الى المولتان اغتنم ايلك الخان خلو خراسان ونقض ما كان عليه من العهود المعقودة وسير سباشي تكين صاحب جيشه الى خراسان في معظم جيشه في سنة ٣٩٦ بعد الميلاد وسير اخاه جعفر تكين الى بلخ في عدة من الامراء وسبب ضعف هذين المحلين التي منهما كان السلطان يخشى حصول ضرر او حرب من صديق واب مثل ايلك الخان اخذ القسم الاعظم من العساكر التي كانت موجودة في المحافظة بهما لاجل تقوية جيشه في جنوب الهند فكان هذا هو السبب في اغواء ايلك على هذا الفعل الذي ثم انه تندم على ما اجراه فيما بعد وكان محمود قد جعل بهراة اميرا من اكابر امرائه يقال له ارسلان الجاذب فامره اذا ظهر عليه مخالف ان ينحاز الى غزنة فلما عبر سباشي تكين الى خراسان سار ارسلان الجاذب الى غزنة وملك سباشي هراة واقام بها وارسل الى نيسابور من استولى عليها ووصلت الاخبار الى محمود وهو بالهند فرجع الى غزنة لا يلوي على دار ولا يركن الى قرار فلما بلغها فرق في عساكره الاموال وقواهم واصلح اعلالهم واستمد الاتراك الخلجية فجاءه منهم خلق كثير وسار بهم نحو بلخ وبها جعفر تكين اخو ايلك الخان فعبر الى ترمذ ونزل محمود ببلخ وسير العساكر الى سباشي تكين بهراة فلما قاربوه سار نحو مرو ليعبر النهر فلقيه التركمان الغزية فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم سار نحو ابيورد ليتعذر العبور عليه فتبعه عسكر محمود فكلما رحل نزلوا حتى صار في خوف من الطلب الى جرجان فاخرجه عنها ثم عاد الى خراسان فعارضه محمود فمنعه من مقصده واسر اخو سباشي تكين وجماعة من قواده ونجا هو في خف من اصحابه فعبر النهر وكان ايلك خان قد عبر اخاه جعفر تكين الى بلخ ليلهي محمود عن طلب سباشي فلم يرجع وجعل رأيه اخراج سباشي من خراسان فلما اخرجه منها عاد الى بلخ فانهزم من كان بها مع جعفر تكين وسلمت خراسان لمحمود ولما اخرج محمود عساكر ايلك خان من خراسان راسل ايلك خان قدرخان بغراخان ملك الختن لقرابة بينهما وذكر له حاله واستنجده واستنفر الترك من اقاصي بلادها وسار نحو خراسان واجتمع هو وايلك خان فعبر النهر وبلغ الخبر محمودا وهو بطخارستان فسار وسبقهما الى بلخ واستعد للحرب وجمع محمود الاتراك الغزية والخلج والافغانية والهنود والغزنوية وخرج عن بلخ فعسكر على فرسخين بمكان فسيح يصلح للحرب وتقدم ايلك خان وقدرخان في عساكرهما فنزلوا بازائه واقتتلوا يومهم ذلك الى الليل فلما كان الغد برز بعضهم الى بعض واقتتلوا واعتزل محمود الى تل مرتفع ينظر الى الحرب ونزل عن دابته وعفر وجهه على الصعيد متواضعا لله تعالى وسأله النصر والظفر ثم نزل وحمل في فيلته على قلب ايلك خان فازاله عن مكانه ووقعت الهزيمة فيهم وتبعهم اصحاب محمود يقتلون ويأسرون ويغنمون حتى عبروا بهم النهر ومن بعد هذه الهزيمة ما قاتل ايلك خان في ميدان الحرب في مدة سلطنة محمود ولو ان حالة البرد كانت شديدة جدا كان محمود مجتهدا في حط شوكة الخائن الغدار ايلك خان ابدا ما بقي وعزم عزما قويا على السير خلفه فعارض عليه امرائه واجل ضباطه بعدم تعقبه في هروبه وكان سيره في شدة فصل الشتاء وما كان لعساكره طاقة على تحمل مشاق السفر وزادهم شدة على شدة صعوبة برد الفصل وفي الليلة الثالثة من سيره خلف ايلك خان هب عليه وعلى عسكره عاصف من ريح البارد مختلط بالثلج والثلج في تلك الجهات الموحشة التي لا مأوى لهم فيها فنصبت الخيام السلطانية مع غاية الصعوبة ودخل السلطان وامراؤه فيها واما الجيش فكان تحت الكشف والسماء ووضع في خيام السلطان الدفايات والمناقد واشتدت فيها الحرارة حتى ابتدأ الكثير من الامراء في قلع ملابسهم فدخل عليهم في هذا الاثناء امير ينتفض من البرد وشدة الصقيع فنظر اليه السلطان محمود وقال له باسمه يا دلشوك اذهب وقل للشتاء يبذل جهوده ويخرج ما في طاقته من شدة الصقيع فانا ها هنا لا نرى سطوته ولا قوته فخرج دلشوك كما امره السلطان ورجع من بعد مدة قليلة وقال اني بلغت رسالة السلطان للشتاء كما امر

الغزوة الخامسة الهندية

وكانت هذه الليلة شديدة على الجيش وفي الصباح وجد محمود ميات من رجاله وخيله هلكوا
من شدة صقيع البرد واظهر محمود في هذه الواقعة مايبيض صحايف تدوينات تاريخ
وهذه الحركة لم تدخل في تاريخ هذا المحل ولم ترجع الى الصحة مع في غزوته الخامسة التي ليست
هي الغزوة الاخيرة من المشهورة في غزواته في سهول الهندوستان وكان السبب في هذه
الغزوة الخامسة انه في سنة ١٠٠٨ او سنة ١٠٠٩ بعد الميلاد خلف اننديال بن جيبال
من حمله فوق عاتقه ثاف اجنبي فاجتهد بحسب مولتان من مخالب السلطان محمود فثار
من هذا العمل قيام الغضب والحنق في وجه محمود واستعد مرة اخرى لصب العذاب عليهم و
البطش به في خطار بانجاب وصمم اننديال على الموت والهلاك ولا البقا على مثل هذه الحال
وارسل الى عموم الراجات الموجودة في الهندوستان يدعوهم مرة اخرى في جمع قواهم سوية
ضد هذا العدو الكبير الذي غضبه المنهك الرجات لم يخمد ولا يقنع الا من بعد اطفا
نورهم ودمار دينهم وهلاك ابنا جنسهم بالكلية واستمال اننديال بمثل هذه الاقوال
الكبيرة راجات اوجين وجاليور وكالنجر وقنوج ودلهي واجمير والجميع
هولاء الملوك في جامعة واحدة وجمعوا قواهم سوية وزحفوا في جيوش كثيفة كبيرة
مع عزم وشجاعة غير انه لم يوجد لهم راس يوحدهم ويوجههم اليه مجردين من العقل والحزم
ومعرفة حركات تعبية الجيوش التي كان عليها محمود في نواحي منابع نهر السند وقيل ان
الهند صارت من قرون عديدة مضت عليها مثل كثرة هذه الجيوش ولم نظرت او لم تر مثلها تحت
السلاح بهذه الصفة جميعهم على عزم قوي وجامعة واحدة في الاخذ بثار ما حصل للهنود
من انتهاك الحرمة وكان محمود معسكرا في سهل واحد بالقرب من تخوم بيشاور ومقابل لل
وعلى مراى منه معسكر الهنود وكانت عساكر الهنود اخذة كل يوم في الزيادة والكثرة
وتقويات جديدة وامدادات عديدة واستمر لبثا في هذا الموقع مدة اربعون يوما
وكلما كانت هذه المدة جميعها مملوءة بالشوق والرغبة لملتقا الحرب وراى محمود وكان
قواه قليلة جدا في العدد كثرة الجيوش المتحدة اخذة كل يوم في ازديادا فما فزع ولا ارتاع
من هذه الكثرة واحاطت بشجعان عسكره فاجتهد محمود واشغل نفسه في عمل تحصينات
وخنادق ومتاريس لاجل ان يحفظ بها نفسه وعسكره في داخل معسكره والمحاذرة من
وقوع خطر او تهلكة تحصل من هجوم عمومي من الهنود على عسكره عند عموم وجود هذه الاثار
ثم امر الف من نبالته يزحفون في مواجهته حتى يوقعون بحرب نبال الغضب في عسكر
الهنود وبهجومه على تحصيناته فنجح في هذا المشروع بناسا لهم ورايه تامة بخدايع حرب العرب
ويجرها قرب الهنود من المتاريس اهلكتهم عساكر محمود ولو ان الكثير من شجعان
الهنود خاطروا بانفسهم واقتحموا داخل المتاريس وقتلوا عدة الوف من المسلمين الا ان
خسارة المسلمين ما كانت تحت نسبة مع خسارة عسكر الهنود فان خسارة الهنود كانت
مهولة جدا واستمرت حالة الهجوم هذه طول النهار حتى ان العدو ضعفت قوته وابتدا
الكثير من العساكر الهندية في التراخي في عنف هجومهم ولما راى محمود منهم هذه الحالة اقتحم مع فرقة
كبيرة من جيشه من الخيل العربية والافغانية كانت مدخرة امدادا لهذا المقصد وهجم على
الهنود من المتاريس هجوما مهولا وقتل المسلمون في هذه الحركة من الهنود الجم الغفير الا ان
عدد العساكر الهندية مازال كان كثيرا جدا ومع حصل عند الهنود هزيمة ولا فترة ومع هذا
فان نتيجة هذا الهجوم كانت عاقبته نصر وظفر لمحمود وراحة عسكره في الوقايع الحربية وهو
محمود بواسطة الاثر حربية حصلت تاثيرها صدفة فخر هذا اليوم وطالع سعده وذلك
انه قنبرة حربية مشتعلة بالنفط يظهر انه جاري استعمالها في تلك الايام في وقايع الحرب
في ميادين حروب اسيا فرجعت على حين غفلة بالقرب من الفيل الذي كان راكبا عليه
اننديال ملك لوهور قايد عموم هذه الجيوش الكثيفة العدد فارتاع الحيوان وخاف حتى
صار لم يمكن ضبطه بواسطة سايقه ومهما اجتهد في تسكينه وحمل الفيل الراجا رغم انفه واسرع
في جريه تاركا ميدان الحرب وكانت هذه الحركة سببا في هرب عموم الجيش الهندي لانه كان
يوجد في عموم الوقايع التي كانت جارية في الهند قاعدة جديرة الذكر بضرب المثل
في صحف هذا التاريخ وهي انه في اثنا الحرب كانت كل عين تنظر على الدوام نحو القايد
وكانت العادة ان القايد يركب فيلا مزينا مزخرفا باصناف الجواهر والحلي لاجل
فيلي في الابهة والجلالة والعظمة وكانت روية شجاعة القايد لعسكره وفيها اطمينا ن

الطمينان وشدة ثقة لهم بوجوده في الميدان وكان هروبه او اسره يوقعهم في القنوط وقطع
الاماني ويكون الظفر والنصرة لمن يثبت في الميدان ومن ثم لما رات العساكر الهندية قهقرة قائدهم
تخيل للالوف من هذه العساكر ان رئيسهم تركهم وفر من الميدان فتركوا الميدان وركنوا الى
الفرار وولوا الادبار وما كان للقواد من طاقة على توقيف العساكر وتوجيه الحال سبيلهم
وقيل ان الجيشين عسكرا في سهل موافق للحرب في نواحي بيشاور واستمرا مدة اربعون يوما من
دون حصول واقعة وكانت العساكر الهندية اخذة كل يوم في ازدياد وقامت عموم الامة الهندية
في جامعة ونشاط وجد واجتهاد واحد حتى ان النسا باعوا مصاغهم وحليهم وصبوا ذهبهم
وسبكوا فضتهم التي كانت زينتهن وصرفوها في اشغال وصناعة الاقواس والنشاب والاوتار
وكل ما يلزم من مقتضيات العساكر غيرة منهم على حب اوطانهم وارسلت هذه اللوازم من
كافة الاقاليم القاصية من البلاد الهندية وانضم الجوكوريون وقبايل اخرى حربية الى
تلك الاتحادات الهندية واحاط بالمسلمين ما لم يكن يتصورونه في الاصل فالتزموا على ان
يخندقوا على انفسهم تحافظهم هذه الاعمال الدفاعية من غارة الجوكوريين عليهم واقتحم
عدة من الجوكوريين نحو من ثلاثين الف نفس عرايا الرؤوس حافيي الاقدام متسلحين باسلحة
مختلفة واختلطوا بخنادق المسلمين وفي ظرف بضع دقايق قتلوا منهم نحو خمسة الاف بالسيف
ولولا انهم ظفروا في هذه الحملة الاولى فان طالع سعد اليوم كان ضدهم لان الفيل كما سبق
ذكره الذي كان راكبا عليه القايد او ملك لاهور خاف من فرقعة القنبرة النارية وهرب الجيش
المهول الكثيف من قتل وارتباك لا يوصف والتقى محمود في هذه الواقعة عسكر ضعيفا و
قوى عديدة وليلة مهيبة مثل التي ... فيها اردشير ملك فارس على الجريس وسار محمود خلفهم
وراءهم كافة حياته سفكا في دمائهم خاربا لبلادهم اسرا نساءهم واولادهم سالبا
ذخايرهم واموالهم وكانت الغنايم والاسلاب في هذه الواقعة من الاصناف النفيسة
بمقادير وافرة واستمر تعقيبه لهم مدة يومان وفي هذه المدة احصى من القتلى في ميدان
الواقعة عشرين الف قتيل من الهنود واخذ محمود عدة افيال محملة بالاموال والكنوز مع
قوى العقيلة المشهورة وفاقت الشهرة التي حازها في هذا العمل المفتخر كل عمل حصل في
ميادين اسيا واشتهر صيته واسمه في كافة اطراف واكناف القارة وعزم محمود في هذا
الوقت على استعمال كافة الوسايط التي في طاقته في تشييد مملكة على الدوام في الهند
مؤسسة على شريعة احكام القران وشرايعه على الذين تغلب عليهم من الهنود وفي اثنا تقدماته واعماله
المضايقة للبراهمانيين وعقد هياكلهم وهدم معابدهم وبلغه بان في ارض نوغركوط وهي
قسم من السلسلة الواسعة ذات الرؤوس المتجهة للجهة الشمالي للهندوستان قايم فيها
قلعة من الازمان القديمة شيدها راجا مشهور اسمه بيمي او بهيم فيها معبد مفتخر مقدس
من اصنام الهنود وهذه القلعة المعروفة باسم بهيم تغر لم يمكن الوصول اليها ومعبدها مخزنا
عاما لعموم الاموال والنذورات والذخاير المقدسة للمعابد والهياكل الموجودة حولها ذكر
كتبة الاثار القديمة الهندية ان مدينة نوغركوط كانت مدرسة عامة مشهورة لعلما
الهند محيطة بالبركات والبساتين الواسعة وبها معبد مفتخر لعباد الهنود وارضه مغطاة
بصفايح الذهب وكانت اقامة الشعاير في هذا المعبد شعار رسمية لانه من اجل ان
العباد ينالون سرورا او بشرا من الاله الغضبان المقطب الوجه كانوا يقطعون السنة
بعضهم ويقربوها تقدمات مقدسة للاله وقال ابو الفضل ان مدة اقامة هذه الشعاير
كانت تمتد يومان او ثلاثة ايام وكانت قلعة بهيم تغر الحافظ لغنم او صوبه نوغركوط
مبنية بنا محكما واسوار قوية في اعلا قمة الجبل وتحت قنوات عقودها مخزون في هيئة
التقديس والامن الذي لا يفسخ كافة ما كان يجمع من الاموال والذخاير للهياكل والمعابد
الموجودة حول هذه القلعة وقيل ان البراهمة كانوا جمعوا في هذه القلعة الحصينة مقادير
وافرة من الذهب والفضة والاحجار الكريمة واللالي النقية ما لا يجمع نظيره في خزاين
اي ملك من ملوك اسيا ولما ابتدا محمود في غاراته على البراهميين ومعابدهم نقلوا اليها
ايضا عموم الاشيا الغالية الثمن من المجوهرات والاواني الذهبية والفضية التي كانت
معهودة لديهم كلهم فاقت حد الغيرة الاسلامية والحمية الحديدية في كافة اعضا جسم محمود بن
سبكتكين وطمع في هذه الكنوز وصمم على التغلب على هذه القلعة وكان محافظها خرجوا
منها والتحقوا الى اخوانهم في الجيش وانهزموا معهم في الواقعة الاخيرة ومن قبل ان
يعودوا ما كانوا اخذه من القتل والارتباك ورتب عساكر جديدة في محافظة القلعة

اسرع محمود متى بعد تغلبه عدوه وشنشن عساكره الى هذه القلعة وتازلها وامر بالاحاطة
بها من كل جانب وكان ملوك الهند ولما ساروا لملاقاة محمود على امل حصول النصر والظفر
لم اخذوا معهم كافة المحافظين لاجل نظرية عساكرهم وما تركوا الا القسس فى خفارة
هذا المزار والقلعة الموجود فى داخلها وارسل محمود فى هذا الوقت فرقة من عساكره
لاجل توطيد الامن فى الاراضى الواقعة حولها وذلك لا يكون الا بدمار كل شى بالنار
والسيف ومع ما كان فيه محمود من استعداداته المهولة فان البراهمانيين الذين كانوا
رؤساء على هذه القلعة وكانوا محافظين عليها ليلا ونهارا فانهم صمموا على امر
فيهم مع ما كان عندهم من المحافظين القليلة على مقاومة الذى غلب على جامعة القوى
الهندية وظنوا ان قلعتهم حين الكفاية التامة للحماية والمدافعة بواسطة الهلم الذى لا يؤلى
وان صواعق المنتقم الجبار سيفوا لا يمكن ان تنام ولا تهدم عندما ياتى غاصب اجنبى لهدم
معبده المقدس المفتخر مع ما كانوا فيه من كثرة الادعية واللعن والسهر سار محمود فى اشتغاله
مع الشدة المؤثرة والعنف حتى رأى البراهمانيون انه لا ينجيهم من الدمار ولا ينفعهم طول
الانتظار عن المدافعة شى الا اذا طلبوا مع الخضوع والخشوع رخصة التسليم فمنحهم محمود
سؤالهم وتلطف معهم فى شروط التسليم لو فتحوا له ابواب القلعة فى الحال وما كانت هذه
الابواب فتحت من قبل وداس اعتابها بجنة غير طاهرة ففتحت ابوابها فى الوقت و
استقبلت فى داخل ارضها سلطان غزنه وامرايه وضباطه فدخلوا ونظروا بعين الا
نذهال والاستغراب رصانة واستحكام وغنية هذا المحل المقدس اث فتح البنا العد
للمهرة والالتجاء فى داخله ووجد محمود فى داخل معبد بهيم تعز مخزون قيمته ٧٠٠٠٠٠
دينار من الذهب و ٧٠٠ موند من الذهب وصفايح الفضه وقيمة كل موند وزن
اربعون ليره وقال فى القاموس ان الموند معيار هندى وزنه مايه ليره ووجد
اربعون موند من سبايك الذهب الخالص و ٢٠٠٠ موند من سبايك الفضة و ٢٠
موند من جواهر مختلفة جميعها كانت محجوزة وحدها فى المعبد من عهد بهيم وعاد السلطان
بهذه الكنوز الوافره الى غزنه وقال فرشته ان المحافظين فتحوا الابواب وخروا
على وجوههم ساجدين وعفروها بالتراب امام الملك المنصور وكان مقدار الذهب و
الفضة واصناف الاحجار الثمينة التى وجدت فى قلعة بهيم تزيد عن كل ما ياتى فى خزاين
اى ملك من ملوك الارض ومع هذا فان بعض مورخى الانكليز قدر هذه الكنوز وراى
انها لا تزيد عن ٣٠٠٠٠٠ ليره انكليزية ومن المحتمل انه كان فيها اصناف من الجواهر الكر
والالماس واللالى وبها الى غزنه فرش هذه الجواهر فى صحن داره وكان قد اجتمع عنده
رسل الملوك فادخلهم اليه فراوا ما لم يسمعوا بمثله وقرات فى تاريخ ابن الاثير ان محمودا
اخذ منها من الجواهر ما لا يحد ومن الدراهم تسعين مليون شاهيه ومن الاوانى الذهبية
والفضيات سبعماية الف واربعماية منا وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون
ذراعا وعرضه خمسة عشرة ذراعا الى غير ذلك من الامتعة ووزع منها قسم عظيم على قواد
ومشهورى امرايه وشجعان عساكره وعلى العلماء والفقراء وبسبب ما حصل للهند فى
هذه الغزوات من الدمار والخراب وسلب المعابد وكان الموت فيها اهون لهم من ذلك
التزم الاهالى والناس على الاقرار بالرسالة المقدسة الطاهرة التى جاء بها محمد صلى
الله عليه وسلم وكل من رفض ذلك ولم يقبله فاما القتل او الرق المستمر المنفى فى
اراضى بعيدة وكان عود محمود من الهند الى غزنه فى هذه المرة فى سنة ١٠٠٩ بعد الميلاد
واشتهرت سنة ١٠٠٩ بعد الميلاد بتغلب محمود بن سبكتكين على سلطنة الغور ومن
المرور على هذه المملكة لانها كانت وطنا لعايلة من الفاتحين تغلبوا فيها بعد ملك غزنه
والهندوستان وذلك ان موقعها الجغرافى كاين فى وسط جبال بارو بيسيه العالية
الارتفاع وقد ذكرنا وصفها فيما سلف وكانت ارض الغور موطنا سكونا بقبايل
وحشية ذوى باس شديد اهل حروب وغارات من الافغانيين فغار عليها محمود وادخل
الاسلام بها ولو ان بعض المورخين اثبت انهم كانوا دخلوا فى الاسلام قبل ذلك بسنين
وحتى الى ان قال ان دخولهم كان فى زمن امير المومنين على بن ابى طالب رضى الله عنه
وكان الافغانيون مشهورون جميعا عنهم فى مدة سلطنة الملوك السامانية اصحاب
ماوراء النهر وخراسان وكانوا فى هيئة حاجز قوى بين مملكة مولتان ولاهور فكان
وذلك هو السبب الاصلى فى كون الجيوشات السامانية ما حصل منها غارة على السند وطاتها

تغلب محمود بن سبكتكين على مملكة الغور

وطا طاه والظاهر ان حكومة غزنه لما انتقلت الى ابى اسحاق البتكين وغار قايده سبكتكين
عدة مرات على المولتان ولمغان فقابل معا وهزم شرذمة من الافغانيين وما دخلوا تحت
طاعة واحدة من الدول العربية وظنوا انهم مطمئنين على انفسهم فى جبالهم الوعرة التى لا
يمكن الهجوم عليها تقريبا ونظروا الى كل غارة عليهم بعين واطية واكتسبوا كافة الاثام فى
اجراتهم غارات وحشية قبيحة على كافة الجهات المتاخمة الى ثغورهم واوقعوا فيها العسف و
الخراب فلما بلغ سلطان غزنه ما وقع منهم من انتهاك الحرمات اخذه الغضب والحنق واخذ
انه يعزم على اجراء ما لم يتجاسر احد على فعله قبله واجراء شغلا ما كان يظن عدم فعله وغار
فى راس عشرة الاف فارس من اشد واقوى عساكره على ارض كانت غرقا نخر من قبل
مطمئنة بقبور شجعانها من ابتداء تاسيس الممالك فى اسيا فما زال ذراريهم اسماهم وما
هالوها بل افتخم الواقعة مع الغضب وقوة الباس مثل الحيوانات المفترسة الذى تربت
فى الاوديات والاجام وقال فرشته ان الحرب اشتغلت نيرانها من وقت الصباح
الى وقت الظهيرة وكان النصر متبادل بين الطرفين واخيرا طردهم كثرة عدد اعداهم فى
داخل مطاريسهم والحصرت عساكر الغور مدة طويلة من الزمن فى وادى ضيق بالعدو الهاجم
عليهم حتى اظهر محمود رجعة فى صفة انه كل وتعب من الحرب وقطع الامل من النصر ولكن
جيشه اثر فى السهول المجاورة لهم والى حد جهة معلومة اوقف محمود جيشه فخرج عساكر
الغور تابعين اثره الى ان صاروا على مرأى من عساكر غزنه فامر محمود بالحملة عليهم مع
العنف والشدة فخطفوا ريشة النصر من الطير الذى لا يوخر واسر فى هذه الواقعة ملك
الغور وجلب الى حضرة السلطان فتامل هذا الملك فى سوء عاقبة نفسه ومصيره وهينا فى
المعقول الاسر فابتلع فى الحال السم فاتل كان مخفى عنده على الدوام فى خاتم فى اصبعه
وهلك فى الوقت ومن ابتداء هذا الوقت صارت مملكة الغور من ملحقات مملكة غزنه مدة
طويلة من الزمن وفى اثناء توالى الايام والاعوام استخلف فرع الغورية وعايلتها واخذت بثار
ملوكها وانتقمت من الذين تغلبوا عليها انتقاما شديدا فى تدمير ما تعلق بالسبكتكين
او مزق العقاب الصغير بمخالبه قلب نسر غزنه واحشاه وقال ابن الاثير انه فى سنة
احدى واربعماية غزا محمود بن سبكتكين بلاد الغور وهى فى مجاورة غزنه وكان الغور
يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضايق غلقة وكانوا يحتمون
بها ويعتصمون بصعوبة مسلكها فلما كثر ذلك منهم انف محمود ان يكون مثل او لك المفسدين
جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكفر فجمع العساكر وسار اليهم وعلى مقدمته التونتاش
الحاجب صاحب هراة وارسلان الحاجب صاحب طوس وهى اكبر امرايه فسار فيمن
معهما حتى انتهوا الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع محمود
بالحالة فجد فى السير اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى ملك الغورية المعروف
بابن سورى فانتهوا الى مدينته التى تدعى آهنكران فبرز من المدينة فى راس عشرة الاف
مقاتل فقاتلهم المسلمون الى ان انتصف النهار فراوا اشجع الناس واقواهم على القتال
فامر محمود عساكره ان يولوهم الادبار على سبيل الاستدراج ففعلوا فلما راى الغورية ذلك
ظنوه هزيمة فاتبعوهم فبعدوهم حتى ابعدوا عن مدينتهم فحينئذ عطف المسلمون عليهم ووضعوا
السيوف فيهم فابادوهم قتلا واسرا وكان فى الاسرى ملك الغورية ابن سورى ودخل المسلمون
المدينة وملكوها وغنموا ما فيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التى لهم جميعها فلما عاين ابن
سورى ما فعل المسلمون بهم شرب سما كان معه فمات وخسر الدنيا والاخرة واظهر محمود فى
تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرايعه وعاد الى غزنه وقرات فى
كتاب قديم ان اصل اسم الافغانيين مشتق من افغان بن ارميا بن طالوت ملك
بنى اسرائيل ولما اخذت ذريته طالوت فى الاسر الى بابل اسكنهم بخت نصر جبال الغور
وقندهار وغزنه قال اهل التواريخ انهم اقاموا فى تلك الجهات محافظين على دينهم
متمسكين بشرايعهم وعقايدهم الى ان ظهر امام المرسلين ورسول رب العالمين محمد صلى الله
عليه وسلم وفد واحد منهم واسمه قيس على خالد بن الوليد وتوجه الى مكة ودخل فى
الاسلام وحارب عدة حروب مع خالد بن الوليد ثم عاد الى ارضه واهل بلاده واستمرت
اولاده وذريته متمسكين بهذا الدين الجديد فاتمين شعار عقايده عاكفين انفسهم على فتح
بلاد الكفار فيستدل من نص هذه العبارة ان اصل الافغانيين من القديم من اليهود واظن
ان هذه من الموضوعات لانى ما رأيت براهين او دلايل تثبت هذا القول والله اعلم

الغزوة السادسة الهندية

وفى سنة ١٠١١ بعد الميلاد شرع محمود فى غزوته السادسة الهندية وكانت هى الغزوة الثانية فى الهندوستان الاصلية وفى هذه الغزوة وقعت مدينة تانيشر او تهنيشر المقدسة ومدينة دلهى الكبيرة تحت اصوات وصفائح هذا المجاهد الغريب فاما مدينة تانيشر المذكورة فى جغرافية بطليموس باسم تانيسيس دلالة على عظم قدرها وشهرتها فهى واقعة فى قسم او صوبة دلهى والى جهة الغرب منها على مسافة نحو ثلاثين ميلا وقال فى آئين اكبرى ان مدينة تانيشر مدينة مقدسة محترمة عند الهنود ويجرى من تحتها نهر سيرسوتى المعكفى المعتبر على عبادته وقداسته وفى ضواحيها بالغرب منها بحيرة كوركيت المقدسة وكان هذا الاقليم محل الزحف العظيم ميدان المهابرطه او الحرب الكبير وان مدينة هستنابور التى كانت واقعة فى القديم فى هذه الجهة كانت المقر الملوكى والمقام السلطانى لراجا او ملك برطه وكان ملكا مهابا مشهورا بالعدل محبوبا عند رعيته وكان من ملوك الهندوستان والى شعيت العابدين من الهنود الذين يؤدون حق العبادة لعموم المحلات المقدسة بمعرفة قسيسهم وكذا قدماء الملوك من العائلة الشمسية كانوا يؤدون ايضا شعار عبادتهم واحترامهم الى مدينة تانيشر والحاصل ان مدينة تانيشر كانت عند الهنود مثل مكة عند المسلمين واورشليم عند المسيحيين فى الاحترامات والزيارات والعبادات وكانت هذه المدينة مملؤة بالمعابد والهيا كل المشحونة باصناف الاصنام والاوثان والتماثيل وان منشأها من ابتداء الخليقة فبلغ محمود بن سبكتكين هذا الوصف مع صعوبة الوصول اليها ووعرة مسالكها مثل قلعة بهيم نغر وانه مخزون فى داخل معابدها كنوز واموال مقدسة مجموعة فيها على التدريج من اعوام وعصور مضت والهها الموجود فيها فى الحالة الراهنة فى وسط الف من الالهة اعوان له اسمه يجسوم ومن المحتمل ان هذا الاسم مطابق لاسم سوما ومعناه بالسنسكريت القمر وكانت البراهمة تفتخر فى القول ان يجسوم قديم المجد والابهة والعظم من قبل خلق الدنيا وكانت الطريق اللازم مرور محمود منها الى هذه المدينة واقعة فى وسط ارض مملكة اننديال راجا پانجاب وكان من بعد ان غلب محمود على امره وهزمه اختار علو الشرف والمجد لنفسه وصار حليفا خاضعا خراجيا لمملكة غزنه فمن ثم ارسل السلطان محمود يطلب الى اننديال انه فى مدة حركة سيره يلزمه اداء يؤدى واجبات كل ما يفعله الصديق المحالف من استعدادات وخفر للحماية وكل ما يلزم له مدة جيشه وكان هذا الراجا المتصنع لاوامر محمود مع حمية وغيرة ~~معاولة~~ للمحافظة معاولة لما فى قلب محمود من حمية وغيرة هدم المعابد الهندية فكانت بغيرة محمود وغيرة اننديال هذا يرغب الهدم وذاك يرغب الحفظ على منوال واحد فى خصوص مدينة تانيشر فاجتهد اننديال وكان اجتهاده على غير طايل فى ان يزيل من قلب محمود ما عزم عليه من الخراب وقدم له مبلغا وافرا من ايراد ذلك الاقليم يلزم دفعه اليه فى نظير المصاريف وعدد من الفيلة مقداره خمسون فيلا ومقادير وافرة من سبائك الذهب والفضة فاستمر محمود مصرا على رايه فالتزم اننديال على موافقته فى عزمته فى كسر الاصنام واعدام الكفر والزخار التى طلبها السلطان وكان الجواب الذى ارسله اليه محمود فى مناقضته التى حاج محمود فيها عقايد السيد الغزنوى جدير بالذكر هنا لانه يستدل منه على ما كان عليه محمود من شدة تمسكه بالدين الاسلامى والاحوال التى سار فيها هو وجنكيز خان وتيمور وعموم العايلات الذين دخلوا فى المحاربات الهندية والتدميرات التى اجروها فى الاقليم الظريف الاكثر ثروة وغنية وخصوبة فى الارض فكان الجواب الذى ارسل الى اننديال انه يوجد فى الدين الاسلامى عقيدة جليلة كبيرة وهى ان المجد الاكبر والفخر الاعظم للنبى محمد صلى الله عليه وسلم والعلو الاكبر الذى ارتقى اليه اصحابه مقصور فى تكسير الاوثان ولهم الثواب الاعظم والجزاء الاوفى وذلك هو جنة عالية قطوفها دانية ومن ثم كان ما عزم عليه بعون الله وحوله وعناية رسوله صلى الله عليه وسلم هو قلع عبادة الاوثان من على سطح ارض الهندوستان وبمجرد وصول هذه الاخبار الى راجا او ملك دلهى وكانت مدينة تانيشر يانعة زاهرة تحت حمايته اسرع فى الحال بارسال رسل الى كل جهة من جهات الهندوستان يدعو اخوانه الراجات مرة اخرى الى البروز لميدان الحرب وحضهم مع قدر ما فى طاقتهم على المحافظة على الفرائض القديمة للالهة الهندية من النجاسة والنهب وانتهاك الحرمات واجتمع فى هذا الوقت جيش تحت قيادة محمود مثل طوفان او فيضان علا واغرق الارض

الغارة على مدينة تانيشر

والارض واسرع فى حركة سيره حتى انه من قبل يجتمع اى قوة كبيرة كانت صغيرة من العساكر الهندية لمقاومته وصل امام اسوار مدينة تانيشر وضبط كل طريق وكل منفذ موصل اليها فرأت المدينة ان قيام شعار ديانتها وسبب عدم حمايتها جيرانها من المدافعة عن نفسها والترعت على سرعة التسليم فى ظرف بضع ساعات ولما نظرت العساكر الغزنوية بعين الاستغراب والاندهال الى عظيم سعادتها وجمالها وكثرة ثروتها واموالها ارتكبوا فيها النهب والدمار من دون رحمة واعتذار وصيروها فى ادنى حالة من الخراب والاذى والفاقة وسلبوا وهدموا سراياتها الباهرة ومزاراتها المحترمة المقدسة ورموا الصور والتماثيل التى كانت مزخرفة بها حوائط المعابد والمزارات ومزينة علابس وافتنة معتزة من فوق الحيطان وكسروها وجميعها كانت غير مشغولة بالاحجار والمعادن النفيسة فكسروها قطعا ورموها فى الاوساخ والاوحال على قارعة الطرق واما الصنم الاكبر يجسوم فانه بسبب ما كان عليه من العظمة وعلو الدرجة فانه عومل باقبح المعاملة والغضب ولاجل ان لا ينطفى من اثر صورته المحترمة عند الهنود شئ فى الهندوستان يتولد منه اشتغال بال واشعال نار فى قيام شعار الديانة الوثنية مرة اخرى ارسله محمود ماسورا الى غزنة ومن بعد ان صار اشهاره علنا فى المدينة كسرت اعضاه ورميت فى شوارعها وصار مداسا للمسلمين ووجد محمود فى هذه المدينة جواهر وافرة الاثمان ما وجد فيها شئ من سبائك الذهب والفضة كما وجد فى مدينة بهيم نغر وكان من ضمن هذه الجواهر حجر من الزمرد لا يمكن تقدير قيمته وعاد محمود وعسكره مؤيدين بالنصر والظفر الى غزنه وكان حصول هذه الواقعة فى سنة ٤٠٥ من الهجرة

وصف صوبة او اقليم دلهى

ثم ان راجا دلهى ولو انه اجتهد وكان على غير طائل فى هياج كافة الملوك الهندية وقيامها بالسلاح على محمود فانه اعلن حربا عليه وشرع السلطان فى الحال بالزحف على مدينة دلهى وحيث ان قسم او صوبة دلهى وعلى الخصوص المدينة هو من الان وصاعد مقصد توجه التفاتنا فى صحف هذا التاريخ فيجب ان اذكر فى هذا المحل ما هو مذكور فى آئين اكبرى وفى كتب اخرى تاريخية وجغرافية قولا شافيا يحكم من الفائدة قال فى آئين اكبرى ان هذه الصوبة او القسم واقع فى الاقليم الثالث وطوله الاكبر ١٦٥ كوس = ٣٣٠ ميل وعرضه الاكبر ١٤٠ كوس = ٢٨٠ ميل وفى جهته الشرقية واقع مدينة اكره وجهته الشمالية جبلية ومحدود من جهة الجنوب باكره واجمير وفى الجهة الغربية لوديانه وانهاره الموصلية نهر الكنج ونهر جومنه ومناخه معتدل جدا ومعظم ارض هذه الصوبة تنقطع عنه المياه فى مدة فصل الامطار الدورية وقيل ان بعضا من اراضيها يزرع ثلاث مرات فى السنة الواحدة ويخرج من ارضها غالب اثمار وفواكه ارض فارس والتتار والهندوستان ومقادير وافرة من الازهار المعتبرة لا حصر لاختلاف اصنافها ومبذور فى عموم سطحها كثير من المبانى الظريفة المبنية بالاحجار او الطوب المحروق اى الآجر وهى مخزن لمحصولات كل قسم وكل جهة من الكرة ويوجد فى قسم من الجبال الشمالية لهذه الصوبة تعرف بجبال كاماوون معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والصفر والبوراكس او البورق ومقادير وافرة من مسك الغزال ودود القز وبارات مختلفة الجنس والصنف وكثير من انواع العسل وقال فرشته ان الذى اسس مدينة دهلى شخص اسمه ديلو كان اغتصب تخت الهندوستان الغزلى فى نحو سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ثم استديليا من قول اخر ان اورنجبول من عشيرة طينور هو المؤسس الحقيقى ومن المحتمل انه اختنق على اطلال واثار عاصمة قديمة كبيرة فى سنة ٤٢٩ من تاريخ بكرماجيت وهو تاريخ لا يختلف عن التاريخ المسيحى بكثير واستمرت هذه المدينة مدة من العصور محكومة بملوكها والظاهر انهم كانوا فى حصانة كبيرة فى المملكة وكان لهم شركة تامة فى اشغالهم وصدهم كل من قدماء الفرس والتتار من غاراتهم على الهندوستان وكانوا من ذرية عائلة تعرف بعائلة چان او پول وليثوا مدة من الزمن يدفعون الخراج للملوك الكبيرة فى لاهور وكان اسم بول مشهورا فى عصر الشجاعة فى هذه الارض واطلق فرشته على هذه العائلة اسم چيبال وقال اخرون چپال وبهذا الاسم كان چيبال مشهورا بانه اقوى ملك ذى باس وشوكة فى الهندوستان وفى محل اخر كانوا

مشهورين بانهم كانوا ملوك كانوج اوقنوج ولوان ذلك خطأ وكانوا في سعة من الصفا
والثروة والابهة والعظمة وقالوا ان بال بن اندال او اننديال كان اكثر شوكة وغنية
في الهندوستان واظن انه لا يوجد هنا شك او ريب لو راعينا شهرة حركاتهم الكبيرة
وما كانوا عليه من البلغا وحتى ان جنس بال هذا الطويل المدة والوراثة في التخت هو نفس
جنس بوروس الذي ذكره مشاهير المؤرخين ومعتمديهم وقال في آيين اكبري ان عشرين
ملكا من هذا الجنس او النسل تسلطوا على التوالي مدة ٤٣٧ سنة على تخت دلي وحكموا
اراضي واسعة شاسعة في شمال دلي وفي جنوبها وتمتعوا باثمارها وخيراتها وقال
فرشته ان كلا من المدينتين المقدستين تانيشر ومارره او متهره الواقعتان على مسافة
ستون ميلا وستة اميال في شمال اكره كانتا تحت احكام ملوك دلي وما زالت
المدينة الواسعة العريضة وهي مدينة تانيشر تحت حماية ملك دلي وكان اخر ملوك دلي
حسب ما هو مذكور في آيين اكبري ملك اسمه بيتهوره وتغلب عليه احد عائلة كتاب
الدين ايبك من ملوك الغلمان او المماليك المسلمين وجعل دلي عاصمة المملكة التي
شيدها في الهندوستان كما سنذكره في محله ان شاء الله تعالى وقال فرشته ان الملك
الذي احدث مدينة دلي كان اسمه كنكدي ووجدت في سياحة ماركو بولو في الهند
اسم يشبه هذا الاسم قال انه كان رأى اربعة ملوك متسلطين في شبه جزيرة
الهند وحضر كندي تخته في اواخر القرن الثاني عشر وكانت سياحة ماركو بولو في
منتصف القرن الثالث عشر من الميلاد ومن المحتمل ان هذه العائلة المنقية ولو انه
ما كان لها طاقة على مقاومة وصد تيار رطغرات كتاب الدين المسلم فانها استمرت
محافظة على اراضي كانت مستورة عليها في الاقاليم الجنوبية من تلك الاراضي
الواسعة كما وانه يوجد في كتاب الآثار الهندية القديمة ارض مسماة من عهد ثلاثة
وعشرون سنة قبل الميلاد باسم واحد من ملوك هذه العائلة وما زالت معروفة باسم
دج بول دج ومن ضمن مستقربات اخرى انه قيل ان بول كان ابن دهرمو بول
وتزوج ابنة ملك مشهور اسمه بودوبال فاتحد هاتان العائلتان في اسم واحد
اطلق على ملك دلي قال في آيين اكبري ان مدينة دلي كائنة على عرض ٣٧ ٢٨
لكن على حسب التصحيح الجغرافي الذي عمله رنل وجدت على عرض ... وذكر في المهابهارت
انها واقعة فوق موقع المدينة القديمة جدا المعروفة باسم اندربوث وابتنه هذا
القول في آيين اكبري فقال ان مدينة دلي قديمة جدا وكانت تعرف في الازمان القديمة
باسم اندربوط واخذت دلي في المجد والابهة والشهرة كلما اخذ نور كانوج في
الانحطاط وارتفعت حالتها وقويت شوكتها في مدة عائلات الملوك الاسلامية وصارت
مدينة امبراطورية مهمة واستمرت اخذه في الازدهار والبهاء مثل اعظم العواصم
الكبيرة في آسيا ومن بعد دمار وخراب مدينة كانوج في مدة احكام عموم سلاطين
العائلات الغزنوية والغورية والخوارزمية حكان كل سلطان ياتي بعد الاخر يزخرف
هذه المدينة بشيء من تحايف المباني العمومية والتذكارات السلطانية واحيطت ببساتين
ظريفة والبركات واورمانات واجام جميلة وامتلأت بالمباني العديدة التي شيدت
في شئون التجارة ومدارس العلم ومعابد الديانة والعبادة

غارة محمود على دلي ونهبها

ثم ان محمودا ساق جيشه المنصور نحو هذه المدينة الكبيرة وعلى ملكها المدافع عنها وسار نحو
ثمانين ميلا من تانيشر مكدا مسرعا بحسب ما كان عليه من الحدة والحمية في علو ما كان
يتوقعه من كثرة الغنائم والاسلاب التي كان ينتظرها فتولد من سرعة سيره وشدة
هجومه صيرورة كافة المدافعات والمقاومات لا ثمرة فيها واستقبلت احدى القلاع
والسرايات المتفخرة البهية الهندية في داخل اسوارها وحيطانها ملكا اجنبيا وراى اهل
هذه المدينة ان جوامع الفزع والفرق اعلام بلاد العرب تهفهف في اعلا اسوار
مدينتهم فوق الاعلام المعزولة لبوشنو الحافظ ودخلت فرق وعساكر جيش السلب
والنهب في الدور المزخرفة لمدينة دلي وسرايات ملكها وملؤا ايديهم واعنق افراسهم
ومتولوها من كافة المعادن وحمولات الاموال والاثقال الظريفة والتحايف
الجميلة المزين بها دور دلي و... عاكرها وقطعوا الاقمشة النفيسة بالذهب و
الموبسطة والسجاجيد المنسجة بالسجادات الظريفة التي كان حوائط السرايات مزينة
بها

مزينة بها ومن بعد الفضة التي كانت مسمرة في سقوف قاعات السرايات الملوكية
وجمعوا كافة ما كان من الذخاير والاموال واصناف الذهب والفضة وابتهج محمود
وانشرح صدره من هذه الجهة حتى انه استحضر من عوده ثانيا فخضب الملك الى ادراجا
المغلوب حسب شروط اجراها معه في دفع جزية اصطلح على تقديرها عليه حسب العادة ورغب
اضافة هذه الصوبة الغنية والمدينة البهية الى حكومة غزنه ابدا ما واحث الا ان
مستشاريه اشاروا عليه ان هذا لا يمكن ولا يكون الا من بعد دمار سلالة الملوك
المتسلطين في لاهور الكائنة بين دلي وممالكه الشمالية وقطع دابر دولتهم وخضوع
الموالين خضوعا كاملا والا فبغير هذا لا يمكن له المحافظة على املاكه من الفتوحات
والاربا كات التي تنتج من ملوك دلي فقبل محمود ما قالوه من قول الحق والانصاف
وعزم في الوقت على اجرا خضوع كامل وقطع دابر سلالة ملوك تلك الجهات الا
ان اننديال بمكره وشجاعته عند وصول السلطان في ارضه عازما على هذا المقصد
وجد لنفسه خلاصا من هذه الغائلة بكونه قدم هدايا ثمينة وتحايف غالية القيمة
وتلطف وتملق في الاقوال والالفاظ واستعطف السلطان بالكرم الوافر ليبعد
السلطان من قصد بطشه به وعداوته له وسار الجيش في حركة هدو واخذ نحو غزنه
ومعه اربعون الف اسير واصناف من الذخاير والاموال لا حصر لعددها ومن ثم
لم يجد محمود ادنى علة او حجة يجددها حربا على اننديال وما عزم ابدا على فتح الهند
بل كان يسقط من وقت الى اخر كعقاب ينقض في طيرانه من مسافة عالية من وسط
جبال قوه الهند ويخطف صيدته ويعود الى جباله وما حقق عسكري من عسكر الجيش
من دون ان يكون له ثروة واموال وكثير من العبيد والرقيق
والظاهر ان محمودا كان دخل في معاهدة ودادية لا تنقض مع اننديال الى ان مات
هذا الملك ثم انتها ما بعد مضي سنتان وجد تاه اشتبك في حرب مهول مع بيطور
وجيبال وكان استخلف على تخت لاهور وحاصر محمود قلعة اسمها نندونه يتبع هذا
الراجا قيل انها كانت واقعة في جبال تلتنات الا ان لا القلعة ولا الجبال موجودات
على خرط ومذكرات رنل فما لم يكن لهذا الملك الجديد جراءة يقابل بها في ميدان
الحرب عساكر غزنه المتدربة على الحروب والوقايع ترك قوة قوية في القلعة يلتجي
بها سلطان غزنه واعتزل نحو كشمير في الجبال المنعزل ... هذا الاقليم على حدود
موقعه الوطني ان ... على نفسه من غوائل محمود واذاه ... بعد ان تغلب محمود على

غارة محمود على كشمير

نندونه ونهبها ساق جيشه خلف الراجا ... والزمه الهرب من كشمير والالتجا
في الجبال ... من السلسلة الكبيرة الشمالية المتطاولة حدا بين كشمير والتاتار
واما نفس كشمير المعدودة انها جنة ارضية وجذبت قلب محمود بن سبكتكين اليها حتى
انه عاد عليها مرة ثانية من بعد مضي سنتان فالي ان ذكرنا ما يستوفي به الخاطر من
اخبارها ووصفها الجغرافي قال في آيين اكبري ان طول اقليم كشمير ١٢٠ كوس =

اخبار كشمير ووصفه الجغرافي

٢٤٠ ميل وعرضه من ١٠ الى ٢٥ كوس = ٢٠ او ٥٠ ميل وقال بعض مورخي
الانكليز ان هذا القدر زيادة في الطول والعرض وقالوا ان الطول فقط ٨٠ ميل
والعرض ٤٠ ميل وهيئته بيضاوية الشكل وعد مورخي الشرق اقليم كشمير من
اعدل الاقاليم هوا واجودها في الصحة حتى انهم عدوه جنة الهند ومقفول من
جهاته بجبال واسعة واطلقوا عليه اسم جنة بسبب مداومة فصل الربيع فيه والجبال
المحيطة به المشكلة استحكامات طبيعية حوله ارتفاعاتها عجيبة الشكل ثم كانت سعادة
هذا الاقليم وجودة مناخه لا يخيب فيها ابتهاج وسرور العاكفين على تغيير الاهوية
ولا الذين عندهم شوق ورغبة في العزلة ومياهه مشهورة بجودة العذوبة وحلاوة الطعم
وشلالاته عديدة وظريفة الهيئة وينبت في وادي كشمير اصناف ازهار البنفسج والورد
والنرجس والفل واصناف ازهار مختلفة عديدة وفصل الربيع والخريف ميادين الظرافة والحبور
ومنظر الجمال والسرور وفيهما يخرج الكثير من اصناف الفواكه اللذيذة الطعم خصوصا البطيخ
والتفاح والخوخ والمشمش ولا ينزل المطر فيه طوفانا كما يقع في غيره من نواحي الهندوستان
بل سقوط الامطار فيه بخفة ومع ما في هذا الوادي من المزايا والمنافع فان اهله لم يخلصوا
من حصول مصائب وآفات كبيرة تحصل لهم في غالب الاوقات من الزلازل حتى ان هذا

السيب لا يبنون دورهم بالاجر ولا بالاحجار بل يشيدونها من الاخشاب ومن لطف الله
سبحانه وتعالى بهم ان ارضهم ملآنة بالاخشاب ويوجد في كشمير اصناف متعددة مختلفة من
الصوف وعلى الخصوص الشيلان الكشميرية العظيمة الشهيرة فانه جارى تصديرها من كشمير
الى عموم الجهات وهي غالية الثمن في الاثمان خصوصا في الديار المصرية وفي سيلان وغير
ذلك وكذا اصناف المشغولات الحريرية وبسبب ذلك فان غالب اراضي كشمير مزروعة
باشجار التوت من اجل تغذى دود القز من اوراقه ويأخذون ابذار هذا الدود و
يربونها مع غاية الاعتنا والمحافظة عليها واهل كشمير غذاهم وعيشتهم على الارز و
السمك طريا كان او جافا وكذا اصناف الخضروات واما الحيوانات فان عندهم اصناف
من الضان تعرف عندهم باسم الهونذو لحومها لذيذة للطعم وفي اكلها صحة وعافية و
عندهم خيل صغيرة الحجم قوية الجسم وبعضهم اسود اللون بشع المنظر البانه عظيمة واوزة
وليس لهم في تربية الخيل ولا الجمال نصيب ولا يوجد في اقليم كشمير افاعي ولا ثعابين
ولا عقارب ولا حشرات سمية وقالوا ان سرينا جور كانت عاصمة كشمير في مدة
سلطنة الامبراطور اكبر سلطان الهند ولبثت مدة عصور يانعة زاهرة ثم تغير اسمها
على اسم اله فليم وهي مدينة ضخمة واسعة مشيدة على صفتي نهر شيلوم وهو نهر هيداسب
القديم ويلف هذا النهر حول وسط الوادي ومن هذا النهر كان الوادي حسب
الروايات القديمة في هيئة بركة واسعة وهي واقعة على عرض ٤٩ ٣٤ وعلى طول
٧٤ وقالوا ان اول من اصلح مجرى هذا النهر وصرف المياه مما فوق ارض الوادي
في الازمان القديمة شخص اسمه فوشوب اشتهر في الاحكام والاعمال بحذاقته وذكا
عقله وحتى بعد تصريف المياه حث البراهمانيين على التوطن والاقامة في الوادي
ولما زاد عدد السكان مع توالي الايام رغبوا ان ينتخبوا لانفسهم هيئة حكومة مدنية
فعقدوا لذلك مجلسا عاما من اجل انتخابهم واحد من انفسهم حازم الرأى صاحب
عقل وذكا فكان اول الحكام الذين انتخبوه مشهور بالفضايل وما حصل منه ما يكدر
عيش رعاياه حتى انهم استقاموا في الخضوع له وما ندموا على ما فعلوا ثم فاحت
بينهم السلطنة الملوكية وسن القوانين العادلة الشرعية واستمرت هذه القوانين الى
حد سلطنة الملك غونتردة ثم قتل غونتردة في واقعة وقعت في نواحي متهطرة
والذي قتله بيده اسمه كيشن من قواد ملك مجدها وبهار فقام ابنه دامودر
وهجم على كيشن وعايلته على صفتي نهر السند وهو متوجه في سفره من اجل عقد زواج
في قندهار وقتل كيشن واخذ دامودر بثار ابيه واستخلف من بعد موت كيشن على
كشمير ابنه ومن بعده خمسة وثلاثون ملكا مدة سلطنتهم وحياتهم مشحونة في
الروايات القديمة بالموبقات والفجور وانتهاك الحرمات والظلم ثم جلس على التخت
عدة ملوك اخرى لم يذكر في اين اكبرى اسم واحد منهم ولا وصفا فيهم ولا بعضهم ولا
تواريخ ومدد سلطنتهم وذكر في تاريخ كشمير اسما ملوك اشتهرت مدة سلطنتهم الا انه
لا يوجد لهم مدة تاريخ فكان من ضمن هؤلاء الملوك ملكا اسمه ليو كان حازما عادلا
وهو الذي اسس مدينة كراجه او مدينة لولو وبقيت اثار هذه المدينة الى ايام
سلطنة اكبر وكذا الملك اشوج وكان مع الملك اسوكا في عصر واحد واشهر هذا
الملك في مدة سلطنته الشعاير البراهمانية وجاء عنها شعاير ديانة جاين وقيل انه
كان ملكا عادلا ساس رعيته ودبر امورها واحكمها ثم ابنه من بعده جيلوك وكان
ملكا عظيم الادارة والسياسة مد فتوحاته الى ساحل البحر وعند عوده الى كشمير جلب
معه من مدينة كانوج تخت الهندوستان جماعة من علما الرجال فانتخب من اذكاهم
واعلمهم سبعة نفوس من اجل ادارة العدلية والمالية والتركة والجيش والتجارة
وادارة دار السلطنة والتنجيم والكيميا وفي مدة سلطنة الراجا ويرك قام البرا
همانيون قياما واحدا في جامعة واحدة على البوذهيستيين وحرقوا معابدهم وقيل ان
مدة هذه السلطنة كانت في سنة ٤٩٠ قبل الميلاد وفي سنة ٣١٠ قبل الميلاد كانت
سلطنة الملك ميهيركولا او ميهركولا ووقع في مدة هذه السلطنة حكاية في كشمير
من اغرب الحكايات وذلك ان حجرا كبيرا ضخما ظهر في واحد من انهارها وسده بالكلية

بالكلية وكلما حل ما كسروا منه شيئا بالمعاول والفؤوس في مدة النهار عاد ثانيا في مدة
الليل حتى فاضت مياه هذا النهر على جميع المزارع وغرقت الاماكن وترك الناس اشغالهم
مدة طويلة الامر قانطين من حياة انفسهم فسمعوا صوتا لا يرون شخصه وقايلا
يقول لهم ان مست او لمست هذا الحجر امراة فاضلة طاهرة عفيفة النفس شريفة بيدها
زال هذا الحجر وسرت او جرت المياه في مجراها فاصدر الملك امرا من عنده وجلب كافة
النسا لذلك الغرض ولمسنه واحدة بعد الاخرى فما حصل من ذلك ادنى تاثير فامر الملك
بقتل هؤلاء النسوة بسبب ما كن عليه من الفواحش والزنا هن واولادهن لانهم اولاد
زنا وازواجهن لانهم في عيشة زنا مع ازواجهم فقيل انه قتل في هذه الحادثة ثلاثة
ملايين من الانفس حتى تقدمت امراة حقيرة مسكينة خاشعة كانت مشتغلة في كارها
بصناعة الفخار طاهرة من العيوب والشوايب ولمست الحجر بيدها فغاب واختفى في الما
في الحال وانفتح طريق مجرى الما وانتهت هذه السلطنة الدموية بقتل ملايين من اهلها
بسبب استبداد احكام ملكهم فكان هذا الملك كلما تقدم في السن صار عرضة لمصايب
ومصاعب الامراض ومن شدة ما حصل له من الام الامراض استشعر بالام ما كان ارتكبه
على رعيته من العذاب والقتل وندم على ما وقع منه من طياشة عقله ورغب في تكفير ما جناه
من الذنوب والاثام بعزمه على موته اختيارا بنفسه فامر باقامة عمود الحرق وصعد عليه
هذا الملك المجرم وطرح جسمه وروحه حسب اعتقاده بحرق نفسه في لهيب النار مكافاة ما جناه
من الجرايم وخلفه في السلطنة من ذريته ابنه واكا او باكا وبقي اسمه مخلد الذكر على
اسم مدينة اسسها على ضفة النهر اسمها واكا واطي واقام فيها شعاير ديانته واما اسما
الاربع خلفائه فانه استغنى ذكرهم في مدة سلطنتهم فمنهم كوباريط او جوباريط فانه حكم
رعيته بالعقل والحزم والثروة والعدل وكان ملكا عظيم الحلم والرأفة قيل انه في سلطنته
عاد العصر القديم الذهبي في المملكة ونظر بعين الاحترام والالتفات الى شعاير الديانة
ودرجاتها وطبقات الامة وهذب حالة القسس واصلح ما كان حاصل منهم من
الاعمال الدنية والجنايات وقوى النظام والعدل وقوى الاداب البراهمانية ورفع درجة
الفضل والفضيلة في مملكته ومنع عموم اهل مملكته عن ذبح الحيوانات وامتنع الناس من
اكل لحومها وذكر مؤرخي الاسلام انه ابتنى بالقرب من العاصمة معبدا اسماه تخت سليمان
وعدة معابد اخرى اعدها لعبادة الهنود ثم هدم هذه المعابد اسكندر المعروف بكاسر
الاوثان والتماثيل اول ملوك المسلمين في كشمير ومن بعده تسلطن الملك جوباريطا سنين
سنة فعقبه ابنه كورينا او جوكيرانه وما ذكر عنه شيء الا قيل انه ابتنى معبدا وكان
اخر ملك من هذه العائلة جلس على تخت كشمير اسمه يوديشطيره وكان يلقب بالاعمى
لصغر عينيه فعكف على الموبقات والجور حتى اخرج رعاياه واوقع الفظايع في جيرانه من
الملوك الى ان اجتمع اهل كشمير في جامعة واحدة مع ملوك الهندوستان والبنت قال في
آيين اكبرى انه انهزم واسر واودع في سجن قبيح وقال اخرين انه لما لم يجد في نفسه امل
في الملك ومنه هرب واختفى نفسه في الاورماتات والجبال مع نسايه وقليل من اتباعه ولما
تعب ما حل به من المصايب والانتحاب في عزلته ووحدته هرب الى ديوان واحد من ملوك
جيرانه اشفق عليه فما زال مطرودا حتى مات وبموته انقرضت سلطنة هذه العايلة في
كشمير ومن بعدها صار تاريخ هذه المملكة ملحوقا بتاريخ مملكة مجدها وشندره جوبطه
واسكندر الاكبر وغيرهم ولنرجع الان الى ما كنا عليه من ذكر السلطان محمود ابن سبكتكين
الغزنوي فنقول ان حكاية فريشتة فيما يختص بحرب محمود في كشمير مختصرة جدا وغيرها فيه
كافية وذلك ان محمودا ما اوغل في الارض السهلة في هذا الوادي مع ومع مثل ما اوغل في
اسلافه في صعيد سير فقد الطريقة وترك فرق عساكره المدمرة منفكة محلولة في بعض
في جهات هذا الاقليم الجميل فنشروا الذبح والخراب في عموم هذا الوادي السعيد وضربت
الطبول والنفريات الغزنوية تخبر السكان بالخوف والفزع ونزول المصايب والافات
وان يأخذوا لانفسهم كلمة الامان وهي الدخول في الاسلام والاقرار بكلمة لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله او الرق والعبودية فكانت اجتهادات محمود في اخضاع القلوع
التي شيدها قدما ملوك هذا الوادي فوق روس الجبال المطلة عليه والحاكمة في بعض
جهات عليه في محله الاول على غير نجاح وفلاح الا انه مهما حصل فانه نهب مداين كشمير
واهلها وعاد الى غزنة محملا باثقال الغنايم ثم في سنة ١٠١٢ او ١٠١٣ بعد الميلاد

الغزوة السابعة الهندية

كانت غزوته السابعة في كشمير مقتفي اثر جيبال ثالث راجا في لاهور وكان هرب ملتجئا اليها ومن اجل اخضاع القلاع التي كانت ما زالت خارجة عن احكامه فقطع اثر العصاة عليه وقرر الدين الاسلامي في اقليم كشمير واخضع معظم القلاع على العموم ما عدا قلعة جبلية اسمها لوكوتي على ارتفاع وحصانة فوق العادة فاجتهد وبذل ما في طاقته في الغلبة على هذه القلعة فكان اجتهاده على غير طائل وصرف فصل صيف هذه السنة في كشمير ولما قرب فصل الشتاء التزم على العود الى عاصمة غزنة خائبا في اعماله مرتبكا في اشغاله ويضاف لما ذلك انه بسبب حصول خطا عارض او اختياري ضل دليل جيشه في الطريق حتى دخلوا بالجيش في اراضي جسيمة واسعة جدا فاخرج منها الا مع غاية الصعوبة وفقد الكثير من جيشه قال ابن الاثير الله في سنة ٤٠٦ من الهجرة غزا محمود بن سبكتكين الهند على عادته فضل ادلاؤه الطريق ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه اياما حتى تخلص وعاد الى خراسان وفي سنة ١٠١٦ وقال ابن الاثير في سنة ٤٠٧ من الهجرة كان قتل خوارزمشاه وتغلب محمود على خوارزم وكان السبب في قتل خوارزمشاه ابو العباس مامون بن مامون انه كان تغلب على خوارزم والجرجانية وخطب لمحمود على المنابر فزوجه اخته وارسل له يلازمه الخطبة على منابر بلاده فاجابه الى ذلك واحضر امرا دولته واستشارهم في ذلك فاظهروا الامتناع ونهوه عنه وتهددوه بالقتل ان فعل فعاد الرسول وحكى لمحمود ما شاهده ثم ان امراؤه خافوه حيث ردوا امره فقتلوه غيلة ولم يعلم قاتله واجلسوا مكانه احد اولاده وعلموا ان محمود سيسوؤه ذلك وربما طالبهم بثاره فتعاهدوا على مقاتلته ومقارعته واتصل الخبر بمحمود فجمع الف كردوس زحوهم والتقى معهم في واقعة سفكية دموية لبثت من الصباح الى ان انتصف النهار ثبت فيها الخوارزمية واحسنوا القتال ثم انهزموا وركبهم اصحاب محمود يقتلون ويأسرون ولم يسلم الا القليل وجمع محمود قواد جيشه الماسورين وصلبهم عند قبر ابو العباس خوارزمشاه وضبط محمود تاج المملكة الخوارزمية بسبب احقيته له بالفتح والنسب وبما انه كان ملك بخارا من قبل فصار في هذه الحالة ملك عموم اقاليم ما وراء النهر الواسعة وقسم من تركستان ومن بعد فراغه من خوارزم عاد الى غزنة

الغزوة الثامنة الهندية

وفي سنة ١٠١٧ او سنة ١٠١٨ بعد الميلاد جمع من كل جهة من جهات مملكته جيشا كثيفا ضخما مؤلف مما لا اقل من مائة الف مقاتل من منتخبات فرسان عساكره الخيالة وثلاثون الفا من المشاة وشرع في غزوته الثامنة في الهند ووجه كامل قوته على مدينة كانوج او قنوج وكانت في ذلك العصر اعظم عاصمة في عموم عواصم الهندوستان والمملكة الواسعة ولا شك ان ثروة مدينة دلهي واموالها ومجدها كان ذلك سببا لتهييج افكار محمود الى هذا المشروع الخطر لان كانوج بعيدة عن غزنة بسفر ثلاثة شهور والطريق الموصل اليها من غزنة مقطوع بسبعة انهار كبيرة وهي الفروع الاصلية المشكلة لنهر السند وبما اننا الان داخلين على تاريخ حوادث ووقايع اقليم في الهندوستان ما وصفناه من جبل وهو القسم الواسع الذي كان مشكلا في الاصل من القديم مملكة براشي (مجوقها وبهار) وجنجاريوت (بنغاله) وممتد من خليج بنغاله على كل من ضفتي نهر الكنج الى جهة الشمال لحد الجبال المشير اليه فيجب ان نشرح هذا الوصف الجغرافي للاراضي التي ستجري فيها جيوش محمود بن سبكتكين حركاتها العسكرية وذلك ان تلك الناحية مشتملة على الاقاليم الغنية لاوده وبنغاله وبهار واله اباد وقسم كبير من ارض اكره وعلى حسب ما هو مذكور في آيين اكبري فان مدينة كانوج كانت قايمة على ارض هذا القسم وكان اسمها في الاصل مطلوق على هذا القسم الذي كانت عاصمة للمملكة وكانت مدينة اكره داخلة فيه واذكر حكاية مختصرة على الاربعة اقاليم اوده وبنغاله وبهار واله اباد نقلا عن آيين اكبري وابقى القول على اكره الى ان اعود اليها مرة اخرى عند عودي لذكر هذا الاقليم وباتكالي على التواريخ الانكليزية المفرقة في هذا الصدد فانه لا يخيب مقصودي لان كافة هذه الجهة الواسعة التي تسقى بنهر الكنج من ابتداء دخوله في الهندوستان الى حد مصبه في الاوقيانوس جهات واسعة قدرها رنل بان طولها ١٣٥٠ ميل وهي الان في حوزة الامة الانكليزية بعضها في محالفة معها وبعضها خراجية لها وابتدأ في ذلك باقليم اوده بسبب انه في مدة حرب المهابرطه اي الحرب الكبير كانت مدينة كانوج اول مدينة امبراطورية في الهندوستان وقيل انها كانت عاصمة اوده واسند بناها

وصف صوبة اوده

على ان الذي بناها وشيدها كريشنه احد قدماء ملوكها بمعنى انها مدينة قديمة جدا حتى ان الهندو التزموا على ان يجعلوا اصل منشاها في عهد العصور الخرافية وقال غليليوم يونس في الاستكشافات والتفحصات الاسيا وية ان هذه المدينة القديمة ممتدة لو صدقنا اقوال البراهمة يتبين على خط طوله عشرة يوجنات او نحو اربعين ميلا وان مدينة لوكنو الموجودة الان هي فقط قطعة من احد ابوابها ويعتقدون انها محل مسقط راما وقال في آيين اكبري ان صوبة او قسم اوده يحده من جهة الشرق ارض بهار ومن جهة الشمال جبال ومن جهة الجنوب مانيكبور ومن جهة الغرب كانوج وطوله ١٣٥ كوس = ٢٧٠ ميل وعرضه ١١٥ كوس = ٢٣٠ ميل وانهاره الاصلية جوجره وجونطي ونهر سي ومياه هذا القسم وهواه عظيمين وفصولها في المناخ معتدلة والزراعة في درجة عالية من الكمال ويزرع في هذه الصوبة بعض من اصناف الارز لا تماثل غيرها في درجة البياض ولذة الطعم في الماكل والنكهة وتبذر مزروعاتها قبل مزروعات اي جهة من جهات الهندوستان مقدما بثلاث شهور ويجري فيضان المياه عليها فتظهر منها السنابل ويدخل منها من نواحي الجبال الشمالية كثير من المواد الغريبة التجارية فمن ضمن اصناف هذه المواد اصناف البهارات والمسك والشوك (حمض مركب من الجير وعصير الليمون مغلي ومجفف) والتنكار والزبد والصوف الاحمر والعنبر وغير ذلك من المواد وفي نظير ذلك قصد التجار مواعين الفخار وعاصمة هذه الصوبة مدينة لوكنو واقعة على ضفة نهر الجونطي وهي مدينة مفتخرة باهرة مع ضواحيها المزهرة البهجة وعموم هذا الاقليم سهل واسع يجري في وسطه نهر الكنج المقدس وهو عبارة عن الاقليم الوسطاني من مملكة براشي القديمة

وصف صوبة بنغاله

واما بنغاله فهي محدودة من جهة الجنوب بخليج بنغاله ومن جهة الشمال بالجبال وواقع على حدودها الشرقية تبيره وفي الجهة الغربية منها بهار قال في آيين اكبري ان طولها يقدر ٤٠٠ كوس = ٨٠٠ ميل وعرضها ٢٠٩ كوس = ٤١٨ ميل وبما ان حدودها كانت على الدوام في تغيير وتبديل على حسب تعاقب الملوك وتوالي الاحكام وتوسط او علو شوكتهم من زيارة سعة ممالكهم او تقصرها فلا اعتماد على هذا الحساب في الطول والعرض وهذا الاقليم يعادل في الخصوبة اقليم الديار المصرية في خصوبته والزرع والماء في محصورة من ابتداء نهر الكنج وفروعه فاطمة هذا الاقليم من اجل ري ارضه وسقيها واصلا لنتاج الخضرة وكثرة وجود المياه في هذا الاقليم الواسع وهو اقليم بنغاله جيد الاعتدال ويبتدي نزول الامطار الدورية فيه في شهر ابريل وتلبث ما ينوف عن ستة اشهر وفي مدة هذا الفصل تغرق الاراضي الواطية ويتولد من العواصف والزوابع والرعد والبرق والرياح الشديدة والامطار الاتية من الجهة الشمالية الغربية التي تعقب فصل الامطار الدورية تلطيف درجة الحرارة والسخونة وينتهي فصول الامطار على العموم من اول شهر يونيه واذا فتحت بدري فانها تكون في شهر سبتمبره ويكون الطقس شديد الحرارة ويحصل فيه للسكان امراض وعلل كثيرة وهذه الصوبة لكثرة الانهار والغدران واجل انهارها واشرفها نهر الكنج وصنف علماء الهندو كتبا جمة في مدح نهر الكنج والثناء عليه جميعها قائلة بانه نهر شريف مقدس الى انه قالوا ان من لم تطهره مياه نهر الكنج فلا يطهر ابدا مادام حيا وبعض هذه الكتب يثني عليه زيادة عن كتب اخرى وتعتقد الامة الهندية ان مياه هذا النهر آتية لهم من مسافات بعيدة فمن ثم يجعلوا لها شعائر واحتفالات دينية مخصوصة بها كما يجعل المصريون لمياه نيلهم عند ورودها شعائر احتفالية وافراح نظام عندهم مخصوصة بها ومياه نهر الكنج مشهورة في كافة العصور والاجيال بشرف تقديسها وطهارتها وعذوبتها وخفتها وصحة شربها وعدم تعفنها ولو مكثت سنين وغالب شواطئ انهار بنغاله مزروعة بالارز وهو على اصناف مختلفة وارضها خصبة جدا في بعض محلات حتى ان البذرة الواحدة من بذر الارز يخرج منها اثنين سير و(رطلان وهي السير الواحد) او ثلاثة وبعض الاراضي تزرع ثلاث مرات في السنة الواحدة واجناس الخضروات سريعة النمو والنبت في هذا الاقليم حتى انه بمجرد سقيها بالماء ينمو نبات الارز فوقها ومن ثم لا يحصل لنبات الارز غرق من كثرة وجود المياه وغذاء اهل بنغاله مقصور في الارز والسمك ودورهم مشغولة بالخصوص من الغاب الهندي وبعضها واسع وقوي الصلابة وبيوت قرون بواسطة المياه مقصورها في مدة فصول الامطار ولهم

قوارب للحرب والحمولة والاسفار وعندهم الخيل نادرة الوجود ويشتغل في بعض جهات
هذه الصوبة نسيجا جيد وبسط من التيل واظرفها المصنوع من الحرير ويجلب الى مين بنغاله
من الجهات البرانية الماس والزمرد واللؤلؤ والعقيق وحجر اليشم وغيره من الاحجار الكريمة
واثمارها وازهارها كثيرة ظريفة وكانت مدينة غور او جنجيار نجيا التي ذكرها بطليموس
بطليموس عاصمة هذه الصوبة من سنة ٧٥٠ قبل الميلاد المسيحي وكانت واقعة على
شواطئ نهر الكنج الا انه من توالي العصور والايام ترك هذا النهر مكانه وذلك سببا في زوالها
وخرابها على التدريج واطلالها واثارها المهولة موجودة في مسافة طولها ١٥ ميلا وعرضها
ثلاثة اميال وقايمة على قطعة منها عدة قرى وما بقى منها مستور باورمانات كثيفة واحجار
للنمرة او النمورة وثمة رتل مسجد من مساجدها مبني بالرخام الاسود وبوابتان كبيرتان
ظريفتان من بواباتها موجودة من ضمن اطلالها تشهدها بما كانت عليه من السؤدد
والعمارة ودلالة كافية على ما كانت عليه من العماريه في المدة القديمة ولا حاجة لتوضيح
مداين اخرى في هذه الصوبة بما ان هذه المداين اخذت في النمو وزيادة الشهرة من بعد
عمارة ابن بلكتكين وسانذكرها في الصحايف الاتية فيما بعد

واما بهار فانه ذكر في آيين اكبرى انها موضوعة في الاقليم الثاني ولتوضيح ذلك يلزمني
ان اوضح قبل الكلام على بهار ان جغرافيي الشرقيين قسموا الجهات المعمورة من الكرة الارضية
الى سبعة اقاليم على حسب قربها او بعدها من خط الاستواء واما متأخري الجغرافيون
فانهم قسموها الى ثلاثين اقليما فقيل ان بهار كانت محدودة في عهد الامبراطور اكبر بصوبة
بنغاله من جهة الشرق وباله اباد واوده من جهة الغرب وبجبال كبيرة شامخة من جهة
الشمال والجنوب وطولها ١٢٠ كوس = ٢٤٠ ميل وعرضها من طيرهوت الى الجبال الشمالية
١١٠ كوس = ٢٢٠ ميل ومن حيث اني ذكرت فيما سبق تغيير حدود المملكة الشرقية فان هذا
القياس لا يعتمد عليه وانهارها الاصلية نهر الكنج ونهر الشون وان الثلاثة انهار وهي
نهر الشون ونهر نيربودا ونهر شيلوم تخرج من منبع واحد بالقرب من كوراه ومياه نهر
الشون باردة عذبة الطعم لذيذة ويجرى الى جهة الجنوب حتى يصل الى مونيته ويصب في
نهر الكنج ويجرى نهر جندك من الشمال ويصب في نهر الكنج بالقرب من حاجيبور وشهور
فصل الصيف في هذا الاقليم حارة جدا وفصل الشتا ملطف جدا ويستمر نزول الامطار
ستة شهور والارض مغطاة على الدوام بالخضرة وصلبة جدا صحيح انه في مدة عواصف
الرياح التي تهب فيها لا يقابل المرا فيها ادنى غبار او عفار وحالة الزراعة فيها في
درجة عالية من الكمال وصنف الارز ظريف لا يضاهيه ارز في غيرها وفي هذه الصوبة
يزرع قصب السكر بوفرة وبدرجة عالية ولذا ما يعرف عندهم بالموجى وهو اصناف من
ورق التنبول مستعمل بوفرة عند اهل بهار له رايحة عطرية وظرافة في اللون ولذة
في المطعم وغالب دور السكن في هذا الاقليم سقوفها من شقف الفخار وقيل ان اهلها مهرة
في صناعة السفن والقوارب وصناعة الزجاج المموه بالذهب وعندهم فيلة عظيمة بوفرة
واما الخيل والجمال فهي نادرة الوجود عندهم وبهار مشهورة باصناف طيور الدرة والمعز
والديوك المناقرة وبها اصناف كثيرة من الصقورة والشواهين وقيل انه يوجد في قسم
مونغير سد مصنوع من حجر ممدود من نهر الكنج الى الجبال مشكل حدا بين بنغاله وبهار
وفي قسم باهاية يوجد المحل المشهور المعروف باسم جايا المعدود لعبادة الهنود ومعروف
من عهد براهمه باسم براهمة جايا واما طيرهوت او تيرهوت الذي ذكره غيليوم
يونس وقال انه كان مقر مستعمرة فرس كانوا وفدوا الى تلك الجهة من الديار المصرية
فانه تاكد انه كان من قديم الزمن مقر علماء الهنود ومياه طيرهوت وهواها صحية
وبها اشجار ايكات البرتقان منتشرة على مسافة ٣٠ كوس = ٦٠ ميل وكانت مركز التعلوم
والافكار والاختراعات الهندية والمحل الثاني المشهور في بهار هو قلعة روطاس الحصينة
الواقعة فوق جبل شامخ صعب المرتقى والوصول دايره ٤٠ كوس = ٨٠ ميل وعموم الاراضي
الداخلة في هذه الجهة منزرعة وفي داخل هذه القلعة كثير من المنابع والعيون وحكى
انفجار المياه من اي جهة من جهاتها لو حفر فيها بقدر نحو شبر يا زرادات او اربعة تحت سطح
الارض

وصف صوبة بهار

ذكره فريشته في تاريخه وكان حصول هذه الحادثة في سنة ١٠٠٠ قبل التاريخ المسيحي
وقالوا ان العبادة التي نصه التي شرعها مانو الهند المشرع الكبير في خصوص عبادة الاله
الواحد الحق كانت في نحو هذه المدة وادخلت عبادة الاوثان والعناصر الطبيعية
بالنيابة عن الاله واقيمت الشعاير والاحتفالات الموضوعة في شانها واقيمت المعابد
والتماثيل وسنت شعاير مقدسة تذكارا لشرف كبار الفرسان وارباب الاشغال في
الصنايع والحرف والحروب وتزينت كانوج بالمباني الفاخرة العالية التي شيدها الملوك
وكان السبب في تشييدها الخزعبلات والخرافات العارية وكان سنكول من اهل
كانوج هو الامبراطور الثالث في خلافة تخت كانوج من بعد انطفاء نور العائلة
الشمسية وقال فريشته ان سنكول ربث في هذه العاصمة جيشا كانت ابهته و
كثرة عدده مقصورة في عدد المشاة والخيل واحصى بلوطارش هذه القوى وبالغ
في عدد الفيلة والبافي حسب ما ذكره ديودور وقال فريشته ان سنكول اخرج
في ميدان الحرب للتغلب على افراسياب ملك فارس ٤٠٠٠ فيل و ١٠٠٠٠٠ حصان و
٤٠٠٠٠٠ مقاتل من المشاة وهذه قوة لا يمكن لاحد ان تصديقها على الهند ما عدا الفيلة
يعني انها مقبولة الصدق على الهند لانه ان لم ننقل باردشير وعليونه من الف كرفانه
تيمور قيل انه كان في راس ٩٠٠٠٠٠ مقاتل في ميدان الحرب وكذا اورنكزيب في
القرن السابع عشر بعد الميلاد كان جيشه الثابت مؤلف من ٥٠٠٠٠٠ مقاتل والجيش
الذي سار محمد شاه المهول الكرنال كان ضخما جدا واشتهر عند معاصري المورخين
بكثرة عدده وكذا عامل الهند الجنوبي في اوائل القرن الثامن عشر من الميلاد كان
في طاقته من ان يخرج لميدان الحرب جيش مؤلف من ٨٠٠٠٠ حصان و ٢٠٠٠٠٠ من
المشاة وفي القرن السادس من التاريخ المسيحي اخذت هذه المدينة في التقدم والعمار
وكثرة الاهل والسكان حتى قالوا انه كان يوجد فيها ٣٠٠٠٠ دكان يباع فيها
ورق التنبول والفوفل المستعمل مدخة عند الهنود مثل مدخة المصريين وشرب الدخان
عند الاوروباويين و ٦٠٠٠٠ طقم الويته ومغنيين قاطنين فيها يدفعون عوايد
ورسوم للحكومة وما مثل هذه الحالة تحكم بان المدينة كانت على سعة كبيرة وشهرة
عظيمة في الاسراف على الخلاعة والمجون وذكر في آيين اكبرى ان صوبة اكره الواقع فيها
مدينة كانوج مشهورة بزراعة اجود ورق التنبول في البلاد الهندية ومن ابتدا هذه
المدة الى مدة غارات محمود بن سبكتكين حصل تخويفات واهوال عديدة فامت صاحب
درجة ملوك كانوج واتحاد قواهم مع قوى الخمس راجات الكبيرة الاخرى التي كانت موجودة
في الهند بشان مقاومة سبكتكين وابنه محمود وكذا اثبت سياحي العرب في القرن التاسع
والعاشر قواهم ومجدهم كما واثبتت ذلك في آيين اكبرى وكل هذه النتايج والاعمال
راجع البير غيليوم يونس ومن استنتاجاته واستنباطاته اوسع منه في التفصيل
ذكرها بطليموس وجغرافي الانكليز فويت نقى على الميل ان اقول ان كانوج وبتن
كانتا الوثنيتان مشغلتان عاصمتان لملك واحد مثل ما كانت عليه دلي واكره
في القرون الاخيرة وهذه الحكايات نقلها سياحي الاغريق والرومانيون الذين زاروا
هاتان المدينتان ووجدت ذلك ايضا في مؤلفات مشهوري المورخين ومتقدميهم
واما ما يتعلق بسفر محمود بن سبكتكين وتعبه وما حصل له في سيره مدة ثلوث شهور
ودخوله في الهندوستان من جبال الافغان وكانت طريق مروره واقعة فيها فاتنا
ما وقفنا على تفاصيل مخصوصة بها الا انه بمجرد ما وصل مع جيشه الضخم امام اسوار
مدينة كانوج قيل انه نظر الى مدينة راسها في عنان السما وليس لها نظير في قوة
حصانتها ومتانة استحكاماتها وابنيتها وقالوا ان الراجا كورا الذي كان متسلطا
فيها كان عاكفا في طول حياته على الفخفخة والعظمة وانه من الطريق الغير معتاد الذي
سلكه محمود المارة من الجبال الشمالية لولاية كشمير وسرعة حركة الغير الذي سار فيه
حياته الكثيرة العدد حتى انصبت من الجبال مثل تيار الانهار وقرب جيش ضخم بهذه
المثابة الى المدينة جعل هذا الملك لا طاقة له على جمع قوة من عساكره من اجل مقاومته
في الميدان وابتدأت المائة الف خيال في الحال في نهب وسلب ضواحي هذه المدينة
الكبيرة وحصل من تلك الحالة المهولة والصلابة والعزم القوي الشديد للافغانيين و
التتار وقوع الخوف والرعب الذي لا يطاق في قلوب الشعب واهل المدينة والعسكر

وصول محمود امام كانوج

والعساكر الهندية التي كانت مؤلفة حفر القلعة وكانوا من الثلاثة فضعفوا ووهنوا
بما انهم كانوا مثل معلم منهمكين في اللهو والفجور واللعب وهربوا في كل فج من السيوف القاطعة
والعساكر الداهية التي حلت بهم ورأى كورتاه ملك كانوج انه لا فايدة في كل شغل يجريه
فيما يختص بالمدافعة والمقاومة على حضوره الاهوال فخرج مع اهله وقومه من المدينة وسار
في طريق التوسل والتضرع حتى وصل الى معسكر محمود وطلب منه الرحمة وربط علاقات حماية
له فتمم محمود طلبه وسلم الراجا مفاتيح مدينة العاصمة الهندية وسرايتها الى السلطان
وعامل محمود مدينة كانوج واهلها بالرفق واللين واقام فيها ثلاثة ايام مع جيشه
وقدمت له هدايا والطاف وتحايف لا نظير لها وكان في هذا الاقليم الهندي الخصب المعمور
بالاهل والعمران عدة قلاع ومعاقل حصينة ومداين مشحونة بالاموال والثروة فتولد
من نقل الاخبار بها لمحمود حرصه وحثه على صرفه هذه المدة في السير مع كافة قواه الى
هذه القلاع والمداين وكان اول مقصده ومطلبه في هجومه ميراث او ميوات الواقعة
في الدوآب او الارض الوسطانية الممتدة بين نهر الكنج ونهر جومنا وعلى نحو ٣٠
كوس = ٦٠ ميل من مدينة دلي لكن لما كان نفس الراجا او الملك الكبير ما وجد في
نفسه طاقة على مقاومة بنارسيل غرفه وحمل كل شي وجده امامه وكنس اموال عاصمته
ومجدها فمن هو العاجز الذي يمكن قيامه حاجزا وصدود المقاومة مثل هذا التيار
المهول مثل راجا صغير القدر والقوة في الدوآب فمن ثم اسرع هذا الراجا في سلامة
نفسه وتجارتها وهرب من ميراث من بعد ان ترك فيها قوة من المحافظين يلتمس بها
السلطان في عدم تعقبه اياه وفي بضع ايام التزم هولاء المحافظين على التسليم و
نهب محمود مدينة ميوات وغنم منها من الاموال والذخاير ما استكفى بما حازه منها
من النقود والفيلة ووجه التفاته الى مدينة ماقين وهي قلعة حصينة واقعة على
نهر جومنا ودعى ملكها الى الطاعة قدر الراجا وكان اسمه كلشندر او كلجند مع غاية
الاشمئزاز والكراهة عازما على السلم في راس جيشه لمقابلة محمود فتولد من الكراهة
الشديدة المكمونة في قلوب الهندو او من الحالة الوحشية الموجود عليها العساكر الغزنوية
او يحتمل من تضاد الجنسية قيام مشاحنة ما كانت تخطر بالبال بين بعض اشخاص من
الجيشين وسرت على حين غفلة على صفحتي النهر حتى قام الغضب والحماس في عساكر الجيشين
والتحما في حرب مهول ووقعت بينهم ملحمة شديدة ذبح فيها الجم الغفير من الهندو واما
كلشندر او كلجند وعايلته وكانوا في وسط هذه المعمعة المفزعة فانه راى ان الانتحار
له واصل من الموت فقطع الياس من نفسه وعايلته وسحب سيفه من غمده وقتل به زوجته
واولاده ثم اتكأ بصدره على سيفه وقتل نفسه وسلم المحافظين القليلي العدد الذي كان
تركهم هذا الملك في القلعة لمحافظة عمرها القلعة الى السلطان فوجد فيها غنايم وذخاير
عديدة وسبعين فيلا من الفيلة الحربية وهذه دلالة على ما كانت عليه هذه القلعة
من المجد وما كان عليه ملكها من القوة وقرات في تاريخ ابن الاثير ان محمود سار الى قلعة
كلجند وكان من اعيان الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض واوعر ما نات ملتفة لا يقدر
السالك على قطعها الا بمشقة فسير كلجند عساكره وفيوله الى اطراف تلك الغياض يمنعون
من سلوكها فترك محمود عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة الى القلعة فلم يشعروا به
الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فاصبح هزمهم واخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا
عميقا بين ايديهم فاقتحموه فغرق اكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين الفا
وعمد كلجند الى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون امواله وملكوا حصونه
وكان واقع في طرف الحد الجنوبي لممالك راجا دلي وعلى مسافة ٣٦ ميل فوق مدينة اكره
المدينة القديمة الغنية الاكثر شهرة في الاطراف والاكناف الهندية وهي مدينة ماتره
او متهره التي ذكرناها سابقا حسب ما ذكرها بطليموس وبما ان هذه المدينة كانت محل
مولد او مسقط راس الاله الاكبر الشجاع المحبوب عند الهندو كريشنه اوسيوا في تخمه
الثامن وقالوا انها مبنية من عهد الـ ٤ اربعة الاف سنة وكان يوجد اعداد وافرة من
تماثيل كريشنه في هذه المدينة وفي الجهات الاخرى من ضواحيها فاثبت التاريخ القديم

ان متهره كانت مرعية عند الهنود عموما انها فى درجة عالية من الطهارة والتقديس لانها بيت المعبود مرمى الشرف والاحترام وعلى حسب ما هو مذكور فى آيين اكبرى ان كافة الاراضى والجهات المحيطة بها على مسافة ٤٨ كوس = ٩٦ ميل معدودة مقدسة ولا يمكن للعقل حصر ثروتها واموالها وزخرفتها وكانت مقرا للمعبد القديم لعائلة يادو الزهار وتزورها الملوك والاولياء والزوار من عصور عديدة ويكومون فيها خزاين وذخاير واموال لا تحصى ولا تحصر قال فريشته ان محمود الرجل الكاسر فى الحرب المفتخر بتدميره وخرابه المداين المقدسة والمبانى الدينية الهندية اندهش وانشرح صدره واستغرب من جمال وعظم سمو هذه المدينة الكبيرة وكثرة ما فيها من الهياكل والمعابد والمزارات وكثرة الهدايا والنفحات المجلوبة اليها من الجهات القاصية الهندية ومضى فيها على الدوام الزيوت النقية ومعطرة بالروايح العطرية الغالية القيمة وامتلا بدنه بالفرح عند ما بلغه اخبار ثروة متهره وكثر اموالها فوجه زحفه المدمر عليها والجيش الضعيف المهين الذى جمع راجا لها لحمايتها اذ انها كانت من قديم الزمن معهودة بمحافظتها وحمايتها اليه فما اجراه هذا الراجا من اعمال المدافعة عنها كان على غير طايل واشتعلت نار الحمية الاسلامية فى قلب محمود وعسكره بخصوص هدم وتكسير الاصنام الهندية واستحواذهم على المعادن الكريمة المصنوعة منها هذه التماثيل وسار محمود وعسكره بحركة لا تقهر ولا تزال الى ان وصلوا وسط هذه المدينة الكبيرة المقدسة فما قابلهم ادنى مقاومة الا قليلا وكانت معابدها وهياكلها فوق كل درجة عالية عن عموم المعابد والهياكل الموجودة فى هذا الاقليم المخصب العامر واستحوذ محمود فى الحال على كافة الاموال والذخاير التى لا تحصى ولا راى امثالها فى الهندوستان فى غاراته السابقة وما كان فى قلوب عسكره شى سوى الافعال المزعجة والاهوال والتدميرات المرعبة وتدمير كل شى مقدس غالى القيمة فى عاصمة مقدسة خالية عن الذنوب والجرايم مأوى ناس من العالم معظمهم قسس ورهبانا ليس لهم سلاح الا الاعتكاف على العبادة والصلاة وامالهم فى سلامة حياتهم ونجاة ارواحهم موجهة نحو الخالق الاكبر الذى لا يوجد فى سماه قال غيليوم يونس ان اناث الهندوستان فى حالة خشوع لكريشنه وسيرهن على حسب اقواله ورواياته وشريعته ولهن شغف وحب كبير فى هذا الاله وكانت متهره الارض التى نشأ فيها كريشنه للمحبوبين وهم شرع نشأ من اجلالنا الرقص المقدس مع تلك النسوة الفاتنات المنتخبات للرقص المقدس من اشراف العايلات ومعروفات باسم فتيات الصنم ولا شك ان عموم اهل المدينة كانوا فى زحام فكان صراخهن وعويلهن ولذ بهن مع تغيير حالهن وزعيق القسس والرهبان مع الغضب وسوء الحال فى وسط الشوارع والحارات بشان تكسير اصنامهم ومحاربيهم زيادة جسيمة فى الاهوال والمصايب التى حصلت فى هذه الايام وفى مدة ما كانت العساكر مشغولة بالسلب والنهب فى داخل هذه المدينة الواسعة كان محمود مشتغلا مع فرقة من منتخبى عسكره فى نهب المعابد والباجوداث وحرق البعض وكسر البعض من التماثيل العديدة والصور الكثيرة التى كانت فى داخل الهياكل وكانت كميات الاموال والذخاير التى حازها محمود من مدينة متهره كبيرة جدا فانه بخلاف ما نهبه من السرايات والاماكن الخصوصية كان فى هياكلها المختلفة خمسة اصنام ضخمة من الذهب الاحمر الخالص مرصعة باصناف الجواهر اعينها من الزمرد الاحمر كل عين من هذه العيون قيمتها خمسون الف دينار ووجد على صنم آخر قطعة من الزمرد الازرق وزنها اربعماية مثقال ولما صار تسييح الصورة بلغ وزنها ٩٨٣٠٠ مثقالا من الذهب النقى وغير ذلك وجد ما ينوف عن مايتى صنم من الفضة قال فريشته ان هذه الاموال والذخاير وسبايك الذهب والفضة كانت حمل مائة جمل حمل واحد واقام محمود فى متهره عشرين يوما وفى اثنا اقامته فى المدينة شبت فيها نار على حين غفلة اما بالعرض او لشى مجهول فاحرقت قسما كبيرا من المدينة وكانت سببا فى زيادة وقوع المصايب والضرر بسكانها المرعوبين ثم سار من متهره الى بعض قلاع موجودة فى هذا الاقليم بعضها قاوم مع الشدة مدة من الزمن ثم سلم فى آخر الامر وبعضها سلم بمجرد الطلب وبعضها اكتفى ان يشترى حياته بتقديم مبالغ جسيمة من النقود وعدد كبير من الفيلة وذكر فريشته اثنان او ثلاثة من هذه القلاع فقال انه محمود سار الى

الى قلعة ابراهن فحاصروه وثبتوا ولما عرفوا انهم لا طاقة لهم به استسلموا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار وحاصر قلعة اسى وهرب صاحبها وتغلب عليها محمود ثم سار الى قلعة شروه فلما فاز بها نقل صاحبها جندراى ماله وفيله الى جبال منيعة يحتمى بها وعمى خبره فلم يدر اين هو فنازل محمود حصنه وافتتحه وغنم ما فيه وسار فى طلب جندراى جريدة وقد بلغه خبره فلحق به فغافله فقتل اكثر جند جندراى واسر كثيرا منهم وغنم ما معهم من مال وفيل وهرب جندراى فى نفر من اصحابه فنجا ولما ثقلت بهذه الاعمال الاحمال النفيسة من الجواهر والذهب التى حملها محمود فوق ظهور فيلته وجماله عطف على التدريج فى سيره مع البطء من طريق لاهور الى غزنة وكان حصول هذه الوقايع فى سنة ٤٠٧ من الهجرة ولما وصل غزنة فتحت الخزاين والاحمال والبضايع والادوات التى جلبها السلطان ليراها اهل سكان غزنة فاندهشت ابصار الناس وعقولها من رؤية المواد النفيسة واصناف الجواهر الثمينة والنفايس والالطاف الجليلة التى ما سبق لها نظير فى القرون السابقة وكان الضباط والعساكر فى ازدحام كبير مع اسراهم وانتقال احمالهم من سبايك الذهب والفضة التى غنموها زيادة عن كل ما حازه نفس السلطان وتولد من سرعة توزيع هذه الاموال الكثيرة فى داخل المدينة ارتقا غزنة الى اقصى درجات المجد والثروة فوق رؤس شامخات مداين آسيا وبنيت الجوامع والمساجد والزوايا والاربطة والحمامات والخانات والسرايات والاسواق وشيدت مجارى توصيل المياه فى كل خط من اخطاط المدينة وبذل السلطان مجهوده وصرف مصاريف واسعة من غنم الاموال التى حازها فى كونه شيد شكرا لله سبحانه وتعالى مسجدا جليلا ظريفا من احجار الرخام والصوان وفرش ارضه بافخر البسط واجل مفروشات اقطار الهند وفارس الممكن تحصيلها فيها وزينه بشمعدانات من الذهب واصناف الزينات والزخارف الثمينة المكلفة وقناديل الذهب والفضة حتى اشتهر فى كافة جهات آسيا باسم عروسة السما وكان محمود مع ذلك شاعرا محبا للعلم واهله فابتنى بالقرب من جامعه من الاموال الهندية مدرسة جامعة ودار كتب نافعة جمع فيها كافة اصناف الكتب على اختلاف انواعها ولغاتها وكان من جملتها كتب نفيسة مخصوصة بالحكمة والتواريخ الهندية فقدت فى عصور مضت مع فقدان المدينة ودمارها وما كان الذى فقد اصناف الكتب فقط بل واصناف اشغال اخرى غريبة الصنعة دقيقة العمل صنعها رجال لهم دراية تامة وذكاوة كاملة فى اشغالها ووظف محمود معلمين واساتذة فى المدرسة اى معهد من كل صنف من اصناف العلوم وجعل لهم مرتبات كافية تقوم بمعاشهم وحياة القسم وكذا للشبان من الطلبة الذين يتلقون عنهم العلوم وما كان محمود يصرف فى هذا الكرم والسخا على هذه المدرسة وتعميرها الا الجزء القليل من الكنوز والاموال التى جمعها من ارض الهند وكانت مقادير هذه الاموال والجواهر التى لا تحصى تأخذ فى الزيادة الكبيرة فى كل غزوة او غارة جديدة يجريها محمود على البلاد الهندية

ولما رنّ صدى الاعمال والخدمات التى اداها محمود للاسلام فى كافة الممالك والجهات والاراضى الاسلامية صار تدوين هذه الاعمال الجليلة وخدمته الى الخليفة فى بغداد فامر بقراءتها علنا على المسلمين فى مساجد بغداد وجوامعها وارسل اليه الهدايا والخلع ومنشورا بعهد خراسان وما بيده من الممالك ولقب نظام الدين وكان من قبل ملقبا بيمين الدولة وقيل فى محل آخر انه لما وصلت اخبار صيته واستمرار فتوحاته فى الهندوستان وعظم انتصاراته وتقريبه على عباد الاوثان كان لها وقع جليل عند الخليفة القادر بالله وعمل لها يوم عيد مشهور اقيمت فيه احتفالات للمسرات والابتهاجات فى بغداد ولقبه الخليفة بالقاب عالية القدر والشرف ومن ثم اظهر محمود فى سنة ١٠٢١ بعد الميلاد شكر ما انعم الخليفة به عليه من الاجلال والاكرام وارسل جيشا تحت قيادة احد قواده من اجل تنظيف وفتح الطريق الموصل الى مكة والمدينة وكانت مغلقة من مدة طويلة بواسطة العرب من قبايل الصحارى فكانوا يقتلون حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام وينهبون القوافل والتجارات وما كان فى طاقة الخلافة ازالتها فكتب الخليفة بذلك الى محمود فتم ثم شرع فى زوال ما كان بها من العصاة وقطع دابر قطاع السبل ومهد السبيل وفتح المجارى والبارى للزوار والحجاج ثم ان عقل محمود وافكاره تشتت من جهات مكة والمدينة نحو الهندوستان وشرع فى اجراء غزوته

الغزوة التاسعة الهندية

التاسعة الهندية وكان السبب في ذلك انه قام بالهندوستان غضب مهول وحنق شديد من انه كان محمود الزمان وادمانه على الفساد والخراب الذي اوقعه في منهره وتنزر ملوك الهند على انفسهم انهم ينتقموا من الراجا كوراه صاحب كانوج ويبطشون به بسبب انه دخل في معاهدة مع عدو الاوثان والاصنام والالهة الهندية الذي سبب ارضه وبلاده وجمع مهاراجا ملك الاقاليم جيشا في ثنائه دمار ملك كانوج فلما بلغت هذه الاخبار محمود وكان صار قافلا اعاله محبا لاجابة ما عهد بها الا اوفاه شرع في الحال في الغزو الى البلاد الهندية واحتشد وجمع واستعد واعد اكثر ما تقدم وسافر السفر الطويل متوجها الى مدينة كانوج فوصل اليها متاخرا جدا من اجل خلاص عبده ومحسوبه مما وقع عليه من شدة الهجوم وكان ننده وقيل بيندا ملك كالنجر شاعر بالملوك جيرانه واهاج على ملك كانوج حربا مهولا انتهى بهزيمة وموت كوراملك كانوج وتغلب ننده على المدينة ومن بعد ان بذل سلطان غزنه مجهوده في سرعة هذه السفرة الطويلة وعبر بالقوة والاقتدار نهر جومنا زحف نحو كانوج فوجد ننده على غاية من الحصانة والرصانة ومنتظر قرب محمود وتقدمه لاجراء الواقعة معه فعسكر محمود عساكره على اراضي المقابل لمعسكر خصمه في ارض على الاخر من نهر جومنا ثم ان بعضا من ضباط محمود من اهل الغيرة والحماسة خصتهم حميتهم في ظلام الليل من دون امر من سلطانهم فسبحوا في مياه النهر وعدوه وهجموا على معسكر العدو وبما ان الهندو كانوا على جهل من مقدار القوة التي هجمت عليهم فظنوا ان ورا القوة الهاجمة كافة فرق الجيش الاعجم فشرعوا في الفرار وولوا الادبار فلما وصلت هذه الاخبار الى مسامع محمود اخذه الغضب واشتد به الزعل وكان مقصده الهجوم على عدوه بكامل قواه وجيشه وارغامه على الدخول معه في محاربة وواقعة عمومية وكانت المسئلة تنتهي في الميدان فلو جل مداوته ما وقع من هذا الخطأ امر جيشه في الحال بالسير متعقبا لعدوه حتى وصل الى حدود ممالكه وكان ننده جمع جيشه ووقف الجيش ذو استعداد للقتال وكانت قوة ننده مؤلفة من ٣٦٠٠٠ خيال و ٤٥٠٠٠ من المشاة و ٦٥٠ فيل ذخوة مثل هذه تحت قيادة ننده معدة لمقاومة محمود في تقدمات زحفه دلالة كافية على ما كان عليه راجا كالنجر في هذا الوقت من القوة وعلو الشوكة ولو ان بلعيني قال ان رعاياه كانوا كالنعيم جنجاريديه وجعل مقامهم بالقرب من الاوقيانوس وكان ملكهم في كافة العصور ذي قوة وباس من متانة قلعته وحصانتها وعلوها زيادة عن ملك كالنجر وكذا ذكر في آيين اكبرى منعة وحصانة قلعة كالنجر وقال انها كاينة فوق جبل شامخ وهي قديمة التاريخ جدا في السجلات الهندية السلوية حتى انه لا يعرف من المؤسس لها وانه موجود في داخل محيطها عيون وينابيع واراضي مزارع واسعة يخرج منها محصولات من الحبوب كافية للمحافظين فيها مدة حصار مهما كان في طويل المدة ولما وقف ننده بجيشه على حدود مملكته حضر السلطان في معنى وقوفه انه ينتظره للقاء معه في واقعة فاصلة عمومية فصعد محمود فوق كثيب عالي فحدا كشف قوة عدوه وعلى معتمد من هجوم جيشه سجد على وجهه لله سبحانه وتعالى وعفر وجهه بالتراب ودعى بحرارة شديده ان الله ينصر المسلمين والاسلام تحت اعلام غزنه وكان الليل قرب وقته فعزم محمود على عدم الهجوم حتى يصبح الصباح فمن قبل انشقاق الفجر صرف الراجا التعبان الجهدان هذه الواقعة وفك جزءا معسكره مع غاية الهدو والسكون من الميدان وترك ما وراه وما خلفه لعدوه من خيام وحملة وامتعة وهرب الى حال سبيله مما عزم محمود على اتباعه ولو السير وراه من اجل محاصرة القلعة التي لا يمكنه تقريبا التغلب عليها ولا الوصول اليها التي التجأ فيها هذا الراجا بقواه واكتفى محمود بما حازه من غنايم واسلاب المعسكر مع عدد كبير من الفيلة المربية في الاورمانات المجاورة وخرب الارض والبلاد على عدة كوساة في داير معسكره ومن بعد ذلك عاد قافلا مع جيشه الى غزنه وكانت هذه الغزوة في سنة ٤٠٩ من الهجرة

الغزوة العاشرة الهندية

وفي سنة ٤١٣ من الهجرة الموافقة لسنة ١٠٢٢ بعد الميلاد شرع محمود في غزوته العاشرة الهندوستانية فتغلب في هذه الغزوة على اراضي خيرات ونارزين الواقعة على الحدود الهندية وكانت هيجت غضبه من شدة ما كان واقعا فيها من مفاسد الخرافات وكانت الخزعبلات المتسلطة عند السكان اهل تلك الاراضي انه قيل

قيل انهم كانوا يعبدون السباع ومعنى هذا انهم كانوا يعبدون وثنا في صورة سبع ومعناه اسد او سبع فلو كانوا يعبدون صنما حجرا او خشبا بدل اسد فلا فرق في ذلك عند محمود وكانت هذه العبارة مقام شعارها في معابد مزخرفة بالذهب والجواهر واربابها متحوزون على اموال جمة والقسس متحوزة على كميات وافرة من الكنوز والذخائر مجموعة عندهم من عصور واعوام مضت فالظاهر ان مثل هذه الاشيا هي التي كانت سببا في هياج محمود على قصده وقيامه في هذه الغزوة واظهار العزة الاسلامية وحرارة الطمع الدينوية وكان ملك خيرات مستعبدا في طاعته لهذا الملك الذي لم تخمد حرارة حروبه وغاراته فاطاع عروس محمود في الحال قوانين مدنية وديانية جميعها جديدة لهذا الملك ولقومه واما ارض نارزين فانه اخضعها واخذ منها مهرة قواده وجهابذة قسم من الجنود فاصدر محمود امره لهذا القايد بتشييد قلعة قوية لاجل امن واطمئنان كل ما بقي من الاوربيا كان عند سكان هذه الاراضي في داخل بلادهم وصد كل غارة تاتي من الخارج واستمر محمود في سيره نحو لاهور وكان اقليم كشمير قصده منها وعزم على اخضاع قلعة لوكوط او لوكوت المشهورة التي كانت قد وقعت فيما سبق هجوم مانه وجدد الهجوم عليها مع الشدة والعنف مدة شهر كامل ولما رأى عدم تاثير من شدة هجومه على هذه القلعة التي لم يمكن التغلب عليها تقهقر عنها غضبان اسفا قاصدا نزول غضبه وانتقامه على عاصمة مملكة لاهور وصمم تصميم الاخير على اضافة هذه المملكة الى حكومة غزنه ولما كانت لا طاقة لملكها بانوروجيبال على مقاومة محمود ولا على الحرب التجأ بنفسه الى جبال كشمير تقهقر نحو الجهة الجنوبية الى المعاقل الحصينة في نواحي اجمير ودخل السلطان المدينة من بعد مقاومة قليلة من محافظيها فأمر السلطان بنهبها واستحوذ على كل ما كان فيها من اموال وذخاير وحيث ان لاهور كانت من قديم الزمان مركز تجارات واسعة جارية مع الاقاليم الشمالية من ممالك آسيا حتى مع التتار والصين وكانت الغنايم والاسلاب التي اخذت منها لا تعد ولا تحصى ولا امكن تعيينه حصرها و صرف محمود فصل الشتا في هذه العاصمة وحصل اعمال الاقاليم وعين في حكومتها نايب من طرفه وعين ايضا في المداين الصغيرة والاقاليم الواقعة على الحدود الهندية حكام ونواب من امهر قواده واشجعهم ومن اشرافهم وعاد قافلا في فصل الربيع محملا بكنوزها وذخايرها الى غزنه

الغزوة الحادية عشرة الهندية

وفي سنة ١٠٢٣ بعد الميلاد شرع محمود في غزوته الحادية عشرة الهندية وكانت في اوايل السنة وسار من الطريق الواقعة في الاراضي التي استحوذ عليها وهي لاهور ثم عطف في زحفه المدمر دفعة واحدة نحو نهر الكنج البعيد الشقة وعزم على اخضاع قلعة كالنجر والراجات الاخرى المتحدين مع ملكها وكانوا دخلوا في جامعة واحدة مع بعضهم على مقاومته واطفاء نور مجد وشرف حروبه الاولية التي انتجها في هذه الجهات الهندية وكان من الضروري للجهات المعروفة عند محمود قوة كبيرة من العسكر حتى يكون الهجوم عليها في غاية من النجاح وكانت هذه الجهات هي القلاع الجبلية الموجودة في الهندوستان وكان من ضمن هذه القلاع قلعة جالور وكالنجر وكانتا على جودة من المتانة والاستحكام فاما قلعة جالور فانها كانت مبنية فوق راس جبل عالية الابراج في وسط ارض سهلة مبسوطة بسطا تاما واطراف الجبل القايم عليه القلعة واقفة من كل جهة كانها مصنوعة بواسطة الصناعة وقايم بالقرب من ذيل الجبل مدينة كانت في عصر محمود ضخمة واسعة هي عاصمة مملكة جالور واسم المدينة ايضا جالور وهذه المدينة وعموم قاعدة الجبل محيطة بسور واحد وقد شبهها بعض الذين رأوها من الانكليز لهيئة قلعة جبل طارق في وضعها ووضعها الطبيعي وحصانة اسوارها واستحكام ابنيتها المشيدة فيها وموجود فوق قمة او صحن الجبل سهول قابلة للزراعة واسعة ومنابع وعيون نابع منها المياه على الدوام وكان الهندو يزعمون ان قلعة جالور لا يمكن التغلب عليها ولا الوصول اليها وهي واقعة في قلب الهندوستان الاصلية وعلى مسافة نحو ٨٠ ميل في جنوب آكره و ١٨٠ ميل في غرب مدينة كانوج وذكر ان الجبل الذي كانت قايمة عليه قلعة جالور طوله اربعة اميال الا انه ضيق ومختلف في العرض وفيه سهل ومقدار ارتفاع هذا الجبل يختلف من ٢٠٠ قدم الى ٣٠٠ قدم وجسم الاستحكامات داير مع خط طرف الجبل او نهايته في كافة

محيطه والطريق الموصل الى القلعة مقطوع في هيئة مدرجات في الصخر الصلب وحافظة جهة
الارض السهلة بسور وبسطيونات وسبعة ابواب جميعها مصنوعة من الصخر الحجر المنحوت
واهل القلعة مشحون بالمباني المصنوعة من الاحجار وحيضان المياه وخزانات واراضي
مزروعة واما ما اجراه محمود من اعماله فانا ما وقفنا على تفاصيل تختص به الا انه على
حسب حالة الوصف الذي ذكرناه اعلاه في شأن القلعة فانه ما حصل لاهلها جوع ولا
قحط ولا هجوم ومن بعد بضع ايام انهزم محمود من امامها من بعد ان عقد صلحا مع ملكها
بدخوله في طاعته وقدم له هدايا جليلة كبيرة وخمسة وثلاثين فيلا ثم من بعد هذه وجه
كامل قوته على ملك كالنجر فتجنبه ايضا هذا الملك عن العاصفة او الزوبعة الذي رغب
محمود وقوعها عليه بعقد صلح معه واهدى اليه هدايا نفيسة كبيرة زيادة عن ما اهداه اليه
ملك جالور وقدم له نحو ٣٠٠ فيل ومن بعد ان هدأت نفس محمود حصل بعد ذلك
بقليل ان هاج الغضب في وجهه من حادثة خلت بعهد وثاقة بالراجا فيما اجراه معه من
الصلح وهو ان الراجا ننده عزم على الايقاع بالسلطان واراد ان يجرب نفسه وقوة
عسكره بواسطة الفيلة فجمع ما عنده من الفيلة وصفها صفا واحدا وامر بالضرب فيها
وجرها نحو معسكر محمود مع السرعة حتى تختلط عساكر السلطان بارجلها وخراطيمها فلاحظ
محمود حركة هذه الحيوانات المفترسة واسرع في الوقت اجواد خيالته في الهجوم عليها و
طردها الى الاورمانات المجاورة وطاردوها واجتمعت الفيلة مع بعضها سوية في الآجام
وبطلت حركتها وارتاب السلطان من اللعب الذي اجراه الراجا ننده فصنف موشحا
وشيا بالاشعار الهندية يمدح به محمود على ما اجراه من هذا العمل وارسلها اليه ذكر فيها
استغرابه ومدح شجاعة العساكر الغزنوية وجسارتهم ومهارتهم في الحروب وطاقتهم
وجلدهم على اخضاع الفيلة للهولة الوحشية وكذا صنف شعراء العرب والفرس والهنود
قصايد واشعار ومدايح شعرية وسجعية اثنوا فيها على السلطان وعساكره في هذه
الواقعة فوقع عند محمود ما ارسله اليه الراجا ننده من المدح والثنا موقع القبول و
الاستحسان وما تركه محمود مستوليا على قلعته الحصينة فقط في امن وراحة بل واضاف
له خمسة عشر قلعة اخرى اصغر من قلعته كان افتتحها في غزوته هذه وفي الغزوات
السابقة وقرأت في تاريخ ابن الاثير ان محمود بن سبكتكين اوغل في سنة ٤١٤
من الهجرة في بلاد الهند فغنم وقتل حتى وصل الى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد
الا من موضع واحد وهي كبيرة تسع خلقا وبها خمسماية فيل وفي رأس الجبل من الغلات
والمياه وجميع ما يحتاج الناس اليه واقول ان هذه القلعة ربما تكون هي قلعة جاكور
المذكورة اعلاه فحصرهم محمود وادام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم
كثيرا فلما راوا ما حل بهم اذعنوا له وطلبوا الامان فامنهم واقر ملكهم فيها على
خراج يأخذه منه واهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمري من خاصيته
اذا احضر الطعام وفيه سم دمعت عينا هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك
وجعل على الجراحات الواسعة الحمها الا اني ما رأيت في كتب اخرى حكاية هذا الطائر
ولا ادري من اين اخترعها ابن الاثير ووضعها في تصنيفاته

وفي سنة ١٠٢٤ بعد الميلاد وسنة ٤١٦ من الهجرة كافأ الله سبحانه وتعالى محمود بن سبكتكين
وجزاه خير الجزاء بما منح عليه في تطهير انقاضه الطاهرة المقدسة في غزوته الثانية عشرة
الهندية بتغلبه على قلعة سومنات ومدينتها في اقليم الجوزرات وكانت سومنات هذه
موصوفة بانها اكبر واشهر محل معبد لعبادة الاوثان في جنوب الهندوستان وفي الواقع
ونفس الامر فان الصنم الذي كان معبودا في هذه الجهة المعروف باسم سومنات و
اسم مطلوق على المدينة والجهة الارضية المحيطة بها نظرا ان عبادته كانت عمومية في
عموم الارض وكان اعظم اصنام الهند لان الملوك او الراجات المختلفة الموجودة في هذه
الاراضي اوقفوا نحو الفين قرية مع اراضيها لسد مصاريف محله الواسع وكانت
عدد القسس الملازمين لهيكل سومنات تنوف عن الفين نفس في العدد ووصف كل من
ميرخوند وفرشته الهيكل وصفا فوق العادة واطنب الاثنان في علو قدر ابهة المعبد
والصنم وما كان فيه من الزخرفة والزينة المصنوعة من الذهب والجواهر وكانت المدينة
والمعبد موضوعان في بحيث جزيرة داخلة في الاوقيانوس الهندي يكتنفها الماء من كافة

الغزوة الثانية عشرة الهندية لمحمود وهي غزوة الاخيرة في الهند

كافة جهاتها الا جهة واحدة وفي المعبد خمسماية من الفتيات والبنات الراقصات يرقصن
على بابه وثلثماية رجل يغنون معهن ونحو ثمانية رجل حجام او حلاق وكان سومنات
معدودا عند الهنود بانه قاضي الموت وكانوا يزعمون ان الارواح اذا فارقت الاجساد
اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء وان المد والجزر الذي عنده انما هو عبادة
البحر له على قدر استطاعته وكانوا يحملون اليه كل نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وقد
اجتمع في المعبد الذي هو فيه من نفيس الجواهر ما لا تحصى قيمته وكان هيكل سومنات من
الذهب الخالص والمدينة واقعة بالقرب من بندر ديو او مينة ديو قال فرشته
ان لفظة سومنات مركبة من سوم وهو اسم الراجا الذي شيده (والاغلب عندي انها
من سوما ومعناه القمر) وناث ومعناه اسم الصنم او الخالق وجعل بعض الكتاب اسم
هذا الصنم اللات وحقق قسيس هذا الصنم مع ما كان متمكنا في عقولهم من الاعتقاد
انه بسبب ما كان عليه اهل المدينتان الكبيرتان دلهي وكانوج من الذنوب والموبقات
والجرايم فان الاله سومنات تركهم وشانهم حتى وقعوا في شر اعمالهم وكانت عاقبة امرهم
هذا ان وقعوا في قبضة محمود فخربهما واما هم فانهم في امن وامان من شره وشوكته
وكان كلما فتح محمود من الهند فتحا وكسر صنما يقولون ان هذه الاصنام قد سخط عليها
سومنات ولو انه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء وكان السقف العالي لمعبد سومنات
محمولا على ستة وخمسين سارية او عمود جميعها مصفحة بصفايح الذهب ومنقوش في بعض
صفحات منها بالزمرد والياقوت والاحجار الاخرى الكريمة ومعلق قنديل واحد لنور هذا
المعبد الواسع فتنعكس نور هذا القنديل من كثرة الجواهر وينشر ضوءا شديدا في داخل المعبد
وفي وسط نفس المعبد قايم سومنات نفسه وهو صنم مصنوع من كتلة واحدة ارتفاعه خمسون
ذراعا منها سبعة واربعون مدفونة في الارض وزعم البراهميون ان سومنات معبود
في هذا المحل من مدة تختلف من اربعة الاف سنة الى خمسة الاف سنة وهي مدة من عهد طوفان
نوح الذي لا يمكن من بعده لتسجيلات الامم الدخول في عدد قبله وصورة سومنات
كانت تغسل في كل يوم صباحا ومساء بمياه جديدة مجلوبة من نهر الكنج على مسافة الف
وماتين ميل وعبد وحول العبد الالوف من الاصنام المصنوعة من الذهب والفضة
بصور وهيئات وابعاد مختلفة ويستدل من هذا انه كان مجموع جم غفير من الالهة المحترمة
في الهند وسناد في هذا المحل المعتبر انه المحل الاكبر لاجتماع الالهة فلما وصلت اخبار
هذه الاموال والذخاير المجموعة في سومنات الى سمع محمود وتهديد هذا الصنم
وحركته في الغزوات لو تقرب من مزاره المقدس عزم على كسر شوكة هذا الاله وان
يجرب نقمه ويدمره ويهلكه ظنا منه ان الهنود اذا فقدوا صنمهم وراوا كذب ادعايهم
الباطل دخلوا في الاسلام فاستخار الله سبحانه وتعالى وسار من غزنة في رأس جيش
ضخم مؤلف من ثلاثين الف فارس من عسكره سوى الف كثير من المشاة والمتطوعة وسلك
سبيل الملتان واجمير فوصل الملتان في منتصف شهر رمضان وفي طريقه صحراء ان
قفر ليس يسكن فيها ولا ماء ولا ميرة فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين
الف جمل تحمل الماء والميرة لاسعاف هذا الجيش من هلاكه في القفرين من الجوع والعطش
الصحراء الكبرى راى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها ابار قد غوروها ليتعذر
عليه حصرها فيسر الله له فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه في قلوبهم وشتتها وقتل
سكانها واهلك اوثانها واستقروا منها الماء وما يحتاجون اليه وسار الى اجمير الذي
ذكرها ابن الاثير باسم انهلواره فوصل اليها في ذي القعدة فراى صاحبها واهلها قد
اجفلوا عنها وتركوها فاستولى محمود عليها وكانت قلعة قوية حصينة جدا في الهجوم عليها
وكذا تغلب على مدينة نهرواله عاصمة الجوزرات وكان تركها اهلها بالحالة المتقدمة ومن
بعد ان عبر الصحراء الثانية وصل مع السلامة امام اسوار سومنات فكان مجموعا على
شرافات الاسوار ما لا يحصى من الناس متسلحين بالاسلحة للمدافعة والمحافظة على سومنات
فلما قرب محمود من الاسوار ارسلوا اليه رسلا يخبرونه ببطش الاله به ويخبروه بانه الههم
سومنات ما جاء بهم جميعا الى هذا المحل الا من اجل هلاككم وحطهم على اخرهم في طرفة
عين في نظير ما فعلوه من الدمار العام والخراب التام الذي اوقعوه في الالهة الهندية
فمع ما كان من التهديدات والتخويفات فان محمود شرع في الحال في هجوم عنيف على القلعة
وطرد المدافعين من فوق الاسوار وصعد عليها المحاربين بواسطة سلالم التسليق وزعقوا

تغلب محمود على سومنات في الجوزرات

بصوت واحد الله اكبر الله اكبر فتشتت جنود الهند والى المعبد ودخلوا على صنمهم وسجدوا
له وعفروا له خدودهم وسألوه النصر ووقفوا امامه ينتظرون نزول صاعقة او علامة
تنزل من السما بامر من الآلهة تقطع دابر اعداهم الهاجمين عليهم ولما راوا ان انتظارهم لا يفيد
شيا بذلوا جهودهم في المحافظة على محلهم الى اخر رمق فيهم واقتحموا جميعا يدا واحدة على المسلمين
وردوهم مرة واحدة من فوق الاسوار واوقعوا فيهم القتل فوصل الى اعلا الاسوار
قوة جديدة اخرى فاقتحموا عليها وردوها ايضا واستمر الحال على ذلك يومان في محاربات
مهولة يتحاربون ويقاتلون مثل الذين عقدوا نياتهم على الموت واعتقدوا في ان طريق
او مذهب تناسخ الارواح يوصلهم الى طريق المجد ودرجة السعادة وفي اليوم الثالث

واقعة محمود مع الراجا بيرام ديو

وصل جيش من عباد الاوثان من اجل خلاص مدينة سومنات واهلها فوجه محمود الثقات
من جهة الحصار الى ملاقاته بنفسه وجيشه مع هذا الجيش القادم وترك فرقة من عساكره
مستمرة في حصار القلعة وانتخب لنفسه موقعا عاليا واشتغل بالعدو الجديد وكان
سوق هذا الجيش الى القلعة تحت قيادة الراجا بيرام ديو وهو اسم عايلة اشتق
اسم ارض ديو وراجات اخرى كبيرة من اهل النجدات والباس معتقدين ان
الامر الداخلين في المحاربة فيه معطي النصر والظفر لجيوشهم فمن ثم كانت محاربتهم من الشجاعة
والشدة بالنسبة لما كان مكنونا في صدورهم من الخزعبلات ومن قبل حصول النصر لمحمود
قتل عسكر محمود خمسة الاف من الهنود وتركوهم ملقى في ميدان الواقعة وانزل الله
نصره على محمود وعسكر الاسلام حتى هزموهم فمن بعد هذه الهزيمة راى محافظي سومنات
خراب حالهم ودمار امرهم فخرجوا من بابه من جهة الاوقيانوس ونزلوا في قوارب
في عدد يفوق عن اربعة الاف نفس عازمين على التوجه في هذه القوارب الى جزيرة
سرنديب او سيلان الا انه ما ساعدهم طالعهم لما بلغ السلطان خبرهم بهم ضبط كافة
السفن والقوارب التي كانت موجودة في الميناء وارسل وراهم عسكرا من اجواد فرسانه
فقبضوا على البعض واغرقوا البعض وما نجى منهم الا الشريد الطريد المختفي في الذات
والصفات ومن بعد ان وضع محمود جماعة من عساكره على الابواب وحول السور
وحول المدينة فلما قرب من المعبد هاله عظم ومجد وسعة هذا البنا القديم ولما دخل
فيه وراى الاموال والكنوز التي لا تحصر الموجودة في داخله استغرب واندهل عقله
وزاد فرحه وسروره ومن شدة غيرته الاسلامية ضرب انف الصنم بخنجر كان في
يده وامر بكسره وفي اثنا ما كانت الالة جارية في تنفاذ امر السلطان عرض الجم الغفير
من البراهمة وفي وقت صدور هذا الامر المدمر لالهتهم للامرا والتمسوا منهم التوسط
في خلاص الاله وعفوه ويدفعوا عنه ما يطلبه السلطان من اموال وجواهر فدا له ولا
يكسر صورته فعرض الامرا على السلطان وحضوه على ان كسر الصنم لا يفيد في ابادة
ومحق العبادة الوثنية في داخل اسوار مدينة سومنات وان مبلغا جسيما مثل الذي
قدمه السدنة يجري توزيعه بين المؤمنين فيه الشغل الموافق لنا فعلهم فقال لهم
محمود ان كل ما قلتموه حق عندي غير اني لا ارضى ان اكون في صورة او صفة دنية
وهيبة ويسمعني الى بياع اصنام ومن ثم ابتدا الناس الذين عينهم السلطان في اشغالهم
ومن بعد ان سحبوا القسم الاعظم من اجزا الصنم وكسروا جسمه قطعا واستخرجوا ما كان له
في داخل بطنه من الجواهر المختلفة من الالماس والياقوت والزمرد واللؤلؤ النقي
الصافي الذي لا يعرف له عديل ولا يماثله مثيل صار نصيبه هذه الكنوز التي ما كانت
تخطر على بال احد هي وكافة الغنايم والاسلاب التي اخذت من المعبد والمدينة في صناديق
وارسلت الى غزنه وقال ابن الاثير ان البيت الذي فيه سومنات كان مبني على ست

وصف معبد سومنات

وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة اذرع ثلاثة
مدورة ظاهرة وذراعان في البنا وليس بصورة مصورة فاخذه محمود واحرق بعضه
واخذ بعضه معه الى غزنه فجعله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلم وانما الضوء الذي
عنده من قناديل الجوهر الفايق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مايتا من
كلما مضى طايفة معلومة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طايفة من
البراهمين الى عباداتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها
الستور المعلقة المرصعة بالجواهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمايهم وقيمة ما في
البيوت يزيد على عشرين مليونا من الدنانير فاستولى عليها محمود جميعها وكانت عدد
القتلى تزيد على خمسين الف قتيل ثم من بعد هذه عزم محمود على معاقبة بيرام ديو

نظير ما وقع منه من الوقاحة وقلة الادب وكذا الراجات الاخرى بسبب ما حصل منهم من الاذى
الذين اوقعوه عليه في مدة حصاره سومنات ولبث محمود مدة من الزمن في اقليم الجوزرات
واتجه وانشرح صدره من خصوبة الاقليم واعتدال هواه ومناخه وصحة الموجودات حول مدينة
نهروالة عاصمة هذا الاقليم حتى انه تردد في الاقامة على الدوام في نهروالة ويجعلها مقر حكومته
ومركز دايرة سلطنته وقواه على هذا الامر ما بلغه من وجود معادن الذهب في هذه الجهات
وهذه المعادن لا تزال الان على فرض ان وجودها كان حقيقيا وقيل ايضا انه رغب
انشا اسطول في البحر من اجل فتح جزيرة سيلان والتغلب عليها وكذا ارض بيغو وكان بلغه
عنها اخبار ما يوجد في تلك الجهات من معادن الذهب والجواهر والزمرد والياقوت فحثه
الامرا والقواد على عدم ترك مملكته ووطنه وعاصمته لبعد هذه الجهات القاصية عنها
والظاهر ان البراهمانيين كانوا في هذه المدة في اعلا درجات مجدهم وعزهم في الاقامة
في ارض الجوزرات لان الكثير من ملوك الجوزرات كانوا من هذه الطايفة العالية القدر
ومن بعد ان اخضع محمود الراجا بيرام ديو ورفقاه ترك الحكومة في ايدي دابيسا ليمة
واحد من علية قوم البراهمانيين وعقد عوده الى غزنه من طريق السند وملتان من بعد
غيبته سنتان وستة اشهر لاقى اشد المصايب والاهوال وضل عسكره في الصحاري الواسعة
ثلاثة ايام وثلاث ليالي بواسطة دليل كان اتخذه من الهنود فضلا عن تهديد عسكره بالجاتيين
بالجوتيين وهم قبيلة متوطنة في الملتان وكانت هذه القبيلة حاكمة على مياه نهر السند
بقوة قواربها الحربية وسرعة سيرها فوق سطح مياه السند ومات اغلب عسكره في الاراضي

اغارة محمود على قبيلة الجاتيين

السبخة من عدم وجود المياه فيها وكذا الخيل والمواشي والجمال من عدم وجود الحشايش و
المراعي والعلف فارتاب محمود من الدليل وامر بتعذيبه فاتضح انه من سدنة الصنم
سومنات وانهم ارادوا الانتقام من محمود وعسكره في نظير ما وقع منه من انتهاك حرمات
الهتهم فامر بقتله في الحال واما الجاتيون فان محمود شرع في الغارة عليهم في السنة التالية
من بعد ان اعد لهم الكثير من القوارب الصغيرة المسلحة بالمناجل واصناف الحراب والمزاريق
ومن بعد اشتباكه معهم في محاربة شديدة عنيدة هزمهم شر هزيمة حتى اهلك عموم هذه
القبيلة تقريبا قتلا واسرا ومن بعد وصوله الى غزنه اخذت صحته تعلما في الضعف والهزال
وتولد من ضعف جسمه ضعف عقله وركاكة اعماله وفي مدة تضعضع حياته ضم اقليم عراق
العجم الواسع الى ممالكه بغزوة اجراها في داخله وكانت عواصم هذا الاقليم مدينتي الري

تغلب محمود على عراق العجم

واصبهان المشهورتان وكان حكام هذا الاقليم من بيت بويه من مدة طويلة جارين
فيه احكامهم وسلطنتهم مع الاستبداد واطلاق الحكم وتنازل القاهر الشهير مجد الدولة
اخر امرا عايلة بني بويه عن منصب ملكه الى السلطان محمود من دون طعنة ولا ضربة
تقربا اليه بدون فايدة معتقدا في نفسه على انه اذا تنازل عن تخت امارته له فانه من
حسنه عليه يعيده ثانيا الى تخته بافخر رتبة فلما دخل على محمود سأله فقال له هل لا
قرات انت الشاهنامة او تاريخ ملوك فارس الذي صنفه الفردوسي فاجابه مع الثبات نعم
قراته فقال له هل لك دراية في لعب الشطرنج فاجابه ايضا نعم لي به دراية تامة فقال له
هل رايت في وقت قراتك الشاهنامة او في وقت لعبك الشطرنج ان ملكين تواجدا سوية
في محل واحد يحكمان بدرجة حكم واحدة فاجاب مجد الدولة حاشا فقال له محمود كيف
جئت الان والحقت نفسك بمحمود وضيعت ما كان منك من حزم الراي والعقل ورميت
نفسك بين يدي وجعلتني سيد نفسك ومالكك ثم امر بارساله الى غزنه مع المحافظة الكاملة
عليه ووجد في خزنة هذا الامير مليون دينار من الذهب المضروب نقودا وجواهر وحلي
بلغت قيمتها ما يفوق عن خمسماية الف دينار ووجد ايضا في سراية مدينة الري كميات
وافرة من الذهب وصحايف الفضة وكثير من الاشيا والمواد النفيسة وعاد قافلا الى عاصمته
وفي ظرف مدة قليلة لما وجد هذا الفارس الشجاع السعيد ان اجله اشرف على الاقتراب
والدنو امر بجلب كافة اكياس الذهب وعلب المجوهرات والاواني النفيسة الموجودة في
خزاينه ووضعها امامه فاختارها ورفع نظره اليها وتحقق منها واستمر ببعض دقايق
يتاملها ولا ينطق بشي سكب عبرات دموعه على خدوده وفي اليوم الثاني امر بعرض حشمه
وفيلته وجماله وخيله عليه ومن بعد ان نظر بعينه اليها من فوق تخته العالي بكى وسكب
العبرات الغزيرة من عيونه على خدوده وعاد مهموم القلب حزينا كئيبا الى سرايته واخذت
حالته للمرض تزداد عليه في كل يوم عهد لابنه الاصغر محمد بالخلافة من بعده على عدم

ممالكه الواسعة ما عدا عراق العجم فانه اعطاها لمسعود ابنه الكبير ومن بعد ذلك بقليل مات في سراية غزنه في السنة الثالثة والستون من عمره وفي السنة الخامسة والثلاثون من سلطنته وفي سنة ٤٢١ من الهجرة الموافقة سنة ١٠٣٠ بعد الميلاد وكان مولده يوم عاشوراء سنة ستين وثلثمائة وكان مرضه سوء مزاج واسهالا وبقي كذلك نحو سنتين وكان قوي النفس لم يضع جنبه في مرضه بل كان يستند الى مخدته فاشار عليه الاطباء بالراحة وكان يجلس للناس بكرة وعشية فقال اتريدون ان اعتزل الامارة فلم يزل كذلك حتى توفي قاعداً فلما حضره الموت اوصى بالملك لابنه محمد وهو ببلخ وكان اصغر من مسعود الا انه كان معرضاً عن مسعود لان امره لم يكن عنده نافذاً وسعى بينهما بعض اصحاب الاغراض فزادوا اباه نفوراً عنه فلما وصى بالملك محمد توفي فخطب لمحمد من اقاصي الهند الى نيسابور وكان لقبه جلال الدولة وارسل اليه اعيان دولة ابيه يخبرونه بموت ابيه ووصيته له بالملك ويستدعونه ويحثونه على السرعة ويخوفونه من اخيه مسعود فحين بلغه الخبر سار الى غزنه فوصلها من بعد موت ابيه باربعين يوماً فاجتمعت العساكر على طاعته وفرق فيهم الاموال والخلع النفيسة فاسرف في ذلك فكانت فتنة وحالته مع اخوه مسعود كفتنة ابيه محمود واسماعيل وذلك ان مسعود لما توفي ابيه كان موجوداً في اصبهان فعندما بلغه وفاة ابيه سار الى خراسان واستخلف باصبهان بعض اصحابه في طائفة من العسكر فحين فارقها سار اهلها بالوالي عليهم بعده فقتلوه وقتلوا من معه من الجند واتى مسعود الخبر فعاد اليها فحصرها وفتحها عنوة وقتل فيها فاكثر ونهب الاموال واستخلف فيها رجلا بطلا كافياً وكتب الى اخيه محمد يعلمه بذلك وانه لا يريد من البلاد التي خلفها ابوه بها شيئاً وانه يكتفي بما فتحه من بلاد طبرستان وبلاد الجبل واصبهان وغيرها ويطلب منه الموافقة وان يقدمه في الخطبة على نفسه فاجابه محمد جواب مغالط وكان مسعود قد وصل الى الري فاحسن الى اهلها وسار الى نيسابور ففعل مثل ذلك واما محمد فانه اخذ على عسكره العهود والمواثيق على المناصحة له والمعاضدة وسار في راس عساكره الى اخيه مسعود محاربا له وكان بعض عسكره يميل الى اخيه مسعود لكبره وشجاعته ولانه قد اعتاد التقدم على الجيوش وفتح البلاد ومعظمهم يخافه لعزة نفسه وكان محمد قد جعل قائد جيشه عمه يوسف بن سبكتكين فلما هم بالركوب في داره بغزنه سقطت قلنسوته من راسه فتطير الناس من ذلك وارسل اليه التونتاش صاحب خوارزم وكان من اعيان اصحاب ابيه محمود يشير عليه بموافقة اخيه وترك مخالفته فلم يصغ الى قوله وسار الى تكناباذ اول يوم من رمضان واقام الى العيد فعيد هناك فلما كانت ليلة الثلاثاء ثالث شوال سار به جنده فاخذوه وقيدوه وحبسوه وكان مشغولا بالشرب واللعب عن تدبير المملكة والنظر في احوال الجند والرعايا ولما حنقوا عليه نادوا بشعار اخيه مسعود وكان ذلك وسيمة من عمه يوسف بن سبكتكين وعلي خويشاوند صاحب ابيه ورفعوا محمداً الى قلعة تكناباذ وكتبوا الى مسعود بالحال فلما وصل الى هراة لقيته العساكر مع الحاجب علي خويشاوند فلما لقيه الحاجب علي قبض عليه وقتله وقبض بعد ذلك ايضاً على عمه يوسف وهذه عاقبة الغدر وقبض ايضاً على جماعة من اعيان القواد في اوقات متفرقة وكان اجتماع الملك له واتفاق الكلمة عليه في ٣ ذي القعدة وكان وصول مسعود الى غزنه ثامن جمادى الاخرة سنة ٤٢٢ من الهجرة فلما وصل اليها وثبت ملكه بها اتته رسل الملوك من سائر الاقطار الى بابه واجتمع له ملك خراسان وغزنه وبلاد الهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والري واصبهان وبلاد الجبل وغير ذلك وعظم سلطانه وخيف جانبه

وكان محمود بن سبكتكين عاقلا ديناً خيراً عنده علم ومعرفة وصنف له كثير من الكتب في فنون العلوم وقصده العلماء من اقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم وكان عادلا كثير الاحسان الى رعيته والرفق بهم كثير الغزوات ملازما للجهاد وفتوحه مشهورة مذكورة وقد ذكرناها وفيها ما يستدل على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد ولم يكن فيه ما يعاب الا انه كان يتوصل الى اخذ الاموال بكل طريق وجدد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا وهارون الرشيد واحسن عمارته وكان ابوه سبكتكين اخربه وكان اهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم عن ذلك وكان سبب

فعله انه راى في المنام امير المؤمنين علي بن ابي طالب وهو يقول له الى متى هذا فعلم انه يريد امر المشهد فامر بعمارته وكان ربعة مليح اللون حسن الوجه صغير العينين احمر الشعر انتهى من تاريخ ابن الاثير وقيل انه الذي غطى على محاسن محمود شحه وطمعه الذي ما كان يشبع منه ولا يقنع فانه مع ما كان عليه من جمع الاموال الكثيرة التي جمعها في حروبه المختلفة وعلى الخصوص من غزواته وحروبه في البلاد الهندية كان عنده اسباب يطيرها في جمع اموال غيرها حتى ان ذلك انه بلغه ان انسانا من نيسابور كثير المال عظيم الغنى فاحضره الى غزنه وقال له بلغنا انك قرمطي فقال لست بقرمطي ولي مال يؤخذ منه ما يراد واعفى من هذا الاسم فاخذ منه مالا وكتب معه نسخة بصحة اعتقاده وفي اثناء الهجوم على بغداد سلب من الخليفة القادر بالله خمسة ملايين درهم ومن ذلك ايضاً سلوكه مع شاعر عصره العالم الكبير واثر الخطير الفردوسي هميروس اسيا في الشعر فان هذا الرجل الكبير اتفق له انه وجد كتابا يشتمل على تاريخ فارس وتاريخ مدة قديمة جدا فطالعه مع الرغبة والشوق فوجده مشحون بالخرافات الواردة فيه دلالات واشارات فتشهد لفارس في الزمن القديم بعلو المجد والابهة وظهر له من غالب مشتملات هذا الكتاب وعلى الخصوص حروب افراسياب وكيرش اوكيخسرو اوكسرى الكبير مطالب طريفة للشعر فيه حماسة وشجاعة فشرع في الوقت في تصنيف هذه الاشعار والقصائد الحماسية وعرض للسلطان محمود بعضا منها فامره بتنقيح الكل وعمل تاريخ جامع لفارس في صورة ابيات شعرية فاطاع الفردوسي امر السلطان وبذل جهده وصرف فكره وذهنه وجمع معقولاته ومنقولاته وسهر الليالي الطويلة وايامها مشتغلا بتاليف هذا الكتاب ومن بعد مضي نحو ثلاثين سنة تم تصنيف الكتاب فجاء كتابا جامعا في حجمه ستين الف بيت من الشعر في غاية البلاغة والفصاحة وقدم نسخة من كتابه البليغ الى محمود فاثنى عليه ووعده على مهارته وعلمه مع البرور وصرفه من عنده ومضى على ذلك مدة شهور ولم يسمع الفردوسي على كتابه ادنى خبر من جهة الملك فذكره بامره ببعض قصائد ظريفة مدحه بها وتكلم ادبية عربية فرأى ان هذه المدائح والاداب تاثير ابدا وفي اخر الامر اتى اوان المكافأة وكان محمود لما امر الفردوسي بتصنيف الكتاب وعده ان يكافيه على كل بيت من الشعر دينارا ذهبا واحدا فامر له بصرف مبلغ بخس من الدراهم الفضية قيمته لا تزيد عن عشر المبلغ المطلوب له وكان زهيدا جدا في نظير اتعاب شغل مكث فيه ثلاثون سنة فحين قبض الفردوسي هذا المبلغ وصار لا طاقة له على كسر حدة نفسه بما دفع له من هذا الامر وترك ديوان محمود مع غاية الغضب وتوجه الى محله وابتدأ في ذم السلطان فمن ضمن اقواله ان مجد وابهة ديوان غزنه بحر محيط لا قرار له ولو سبحت لبثت مدة طويلة اصطاد فيه فما وجدت فيه لؤلؤة واحدة ولما نشر اقواله في غزنه تركها ليلا وتوجه ناجيا بنفسه من محمود حتى وصل بغداد فحماه الخليفة واحسن نزله وحفظه من مخالب محمود وكان طلبه من الخليفة بمكتوب مملوء بالتهديد والغضب ثم ان محمودا اطلع على الفردوسي وصرف النظر بحق القصائد والاشعار التي ذمه بها وتذكر ما كان قبل من الفردوسي وندم على تهديده واز عاجه وارسل له في نظير ذلك مائة الف دينار ذهب فكان وصولها اليه متاخرا جدا لوقت المنية وبينما من طرف السلطان دخلوا حاملين اكياس الذهب من ابواب من احد ابواب مدينة طوس بلد الفردوسي وجثته اذ خرجت محمولة على الاعناق الى القبر من باب اخر وقيل ان ابنة الفردوسي رفضت في الاول قبول هذه الهدية ثم قبلتها بامر من السلطان وصرفتها في خيرات وبناء سبيلات في مدينة ابيها وكان محبا لها ولاهلها ومعطرا اسم وذكر بعض الناس محمود بذكر حسن وجعلوه انموذج كمالات الملوك في الكرم والحلم ووصفه اخرين بانه كان جبارا شديدا شجاعا خالي العدل عديم الانصاف خطاف سلاب والظاهر انه كان حائز صفات وخصال متضادة لبعضها وممزوجة في بعضها وكان حريصا جدا على ادا ما يجب عليه من اشغال الملوك فيبذل جهده في المحاماة عنهم من طوائف المزارعين والتجار من سلب وغارات القبائل القاطنة في الجبال وكان سهل الوصول لكل صاحب وعدو وكان يقع على ديوانه من اي جهة من جهات ممالكه فمن ذلك ان امراة وصلت الى ديوانه من اقصى اقاليم فارس واشتكت له ان ابنها قتله قطاع الطريق واخذوا ما كان معه من تجارته فقال لها محمود ان هذه الجهة محل بعيد وليس لي طاقة على كوني امنع حصول مثل هذه الحوادث والقلاقل فاجابته المراة بحماسة وشدة حرارة لماذا تفتحون ممالك وتتغلبون على

اراضي وممالك لاحد فذلك بجارتها والمحافظة على اهلها وباى جواب يجاوب به عن هذا القتيل يوم القيامة فما كان هذا التوبيخ الذى وبخت به المرأة شيئا صغيرا في حق ملك كبير مثل محمود فظهر الغضب في وجهه واصدر امره في الحال بتسريح العساكر اللازمة لحفظ العراق وحماية لمن عزيز في تلك الجهات البعيدة وكان محمود عادلا منصفا في ممالكه وقيل ان واحدا من اهل غزنة عرض له ان رجلا ذى قوة وباس من الديوان عشق زوجته وانه ياتى في كل ليلة في منزله ويهدده بالقتل ويقيم في محله مع زوجته فقال له محمود مع شدة غضب وحنق قائم في وجهه لا تعلم بذلك احدا واحذر من نشر هذا الخبر وعند حضوره الى منزلك اخبرني في الحال مجاء الرجل لما بعد مضى ثلاثة ايام كان الملك ينتظره فيها واخبره بدخول الرجل في بيته فاسرع محمود ومعه بعض من خدمه متقلدا درعه وسيفه الى دار الرجل وامره باطفاء النور الموجود في داخل منزله وتقدم محمود في الظلام وقبض على المجرم وضربه ضربة فصل راسه عن بدنه وامر بايقاد النور ثانيا فلما نظر القتيل ملقى في الدار خر ساجدا على الارض وحمد الله واثنى عليه فلما سئل عن معنى اطفاء النور قال انه امر باطفائه خيفة من ان الشخص ربما يكون من المقربين عنده ومن المحتمل انه كان احد اولاده فلو رآه في النور ربما حصل في قلبه رحمة له وهذا غير موافق لما كان عليه من العدل

الغضري

وكان الكوكب الزاهري دايرة الاداب والعلوم في مدينة غزنة العنصري وكان مشهورا في علوم الفلسفة والشعر وجعله محمود رئيس المدرسة الجامعة التى انشاها في غزنة وجعل له سلطة قانونية على طايفة مؤلفة من اربعمائة نفس من العلماء وانه لا يشغل ولا تصنيف ولا مدح يعرض على الملك الا بتصديق ورخصة من العنصري وما كان يوجد في هذه المدة نظيره الا انه كان الثاني من بعد الفردوسي في الشهرة وكان الفردوسي في شرف النفس في الحياة الدنيا فوقه طاقات قال بعض الكتاب ان العنصري كان ذات ليلة يسامر الملك في مجلسه فغلبه السكر على الملك فقطع جديلة من جدايل سراريه فنظم قصيدة بليغة من الشعر فلما وصلت الى يدى الملك امر بحضوره اليه وامر ان يحشو فمه ثلاث مرات بالجواهر وكان من ضمن رجال العلم الذين نزلوا غزنة ابو ريحان المشهور وكان ارسطو الماء مون من بعد او حضار محترما مكرما عندها وكان تقريبا خصيم على بن سينا وبخلاف ما كان عليه من علومه في المنطق والمعقولات فان شهرته الكبيرة كانت منحصورة في فن السحر قيل ان السلطان محمود ارسل له ذات يوم فلما حضر امره ان يفعل مع شخص ثالث شئ دقيق في آن واحد انه يمكن للملك ان يترك الايوان الجالس فيه في ذاك الوقت فلما وضع الورق قبل ان يخرج الملك من واحد من الابواب المتعددة امر ان يفتح له شرم في حايط الايوان يخرج منه ثم غاب عقله وتحير فكره فراى انه واسعا يلزم ان يرحق فيه فتفزع محمود وخاف وقال ان هذا الرجل العالم رجل سحار واصدر في الحال امره بالقاء من شباك من شبابيك الايوان ومن ثم صار القاؤه من الشباك فوقع على فرش ناعم من القطن ومخدات من الحرير كانت معدودة لذلك فما حصل لهذا الحكيم الماهر ضرر ولا اذى ثم بعد ذلك صار احضار ابو ريحان امام السلطان وسئل هل كان له علم من قبل بعلم هذا من قبل بهذه الحادثة التى حصلت له في هذا اليوم فاجاب ان اوراقه التى كان يمكنه ان يعرف منها وقوع هذه الحادثة التى حصلت له فقط منه وكان محمود عظيما متواضعا وجبارا وضعيفا ومحسنا وشديدا ولينا وقويا وامتدت مملكته من سواحل بحر الخزر الى نهر السند ومن نهر الدجلة الى نهر الكنج وما بلغ واحد من ملوك الاسلام قبله درجة الارتقاء والجد والثروة والشوكة التى حواها محمود في كثرة الاموال وسفك الدماء وكانت نتيجة الاثني عشرة غزوة التى غزاها محمود في الهندوستان واوصلها بعض المورخين الى سبعة عشرة غزوة انه اخضع الاقاليم الغربية من بانجاب الى حكومة غزنة وترك البافي مما غزوا انه المستقلين كالموج في جهة الشرق والجنوب ماعدا الجنوب وكانت حروبه في بانجاب في هيئة فارس شجاع ديني اشتغل في جسر نار غيرة الديانة الاسلامية وكانت غاراته مقصورة في سلب المداين الموجود فيها الاوثان وتكسير الاصنام وكانت هذه بغيته وليس له مقصد في الفتح والغلبة لانه لم يقم في الهند في صفة ملك الهند وبما ان ابيه سبكتكين كان ترك اقليم بيشاور اخر حدود مملكته في المحافظة فترك محمود ايضا

ابو ريحان

ايضا بانجاب اخر الاقاليم الشرقية من مملكة غزنة

ثم ان مسعود حسن بعد ان سجن اخوه محمد في قلعة بكتاباد وسمل عينيه من بعد ان تسلطن خمسة شهور من بعد موت مسعود اعيد الى التخت ثانيا فحكم سنة واحدة ثم قتله ابن اخيه مسعود وفي مدة التسع سنوات التى تسلطن مسعود فيها سال من نواحي الاقاليم الداخلة في اسيا تيار من تيارات المد المهولة الكبيرة في الفتوحات والمهاجرات تولد منه تغيير وجه قارة اسيا وكان هذا المد هو نزول الاتراك تحت امرة العايلة المعروفة بالعايلة السلجوقية المشتق اسمها من الرئيس الذى اسسها وهو سلجوق وتغلبوا على خراسان وفي مدة خلفاء الامير سلجوق قامت المملكة التركية حتى بلغت اقصى اوجها في الشوكة وكسفت ضوء ونور كل مملكة اخرى قائمة في اسيا واخضع طغرول او طغرلبك تخت دار خلافة بغداد ودرج الممالك والبلاد حتى وصلت الرجة الى القسطنطينية ومن بعده الب ارسلان الذى كتب على ضريحه في مدينة مرو يا من رايتم مجد وفخامة الب ارسلان وعلو درجة سلطانه وعزه حتى بلغ عنان السماء تعالوا انظروه مدفونا تحت التراب وكان هؤلاء الاتراك اهل قوة وباس في الحروب حتى ان سلالة محمود ما كان لها طاقة على هياج حرب معهم وتغلب هؤلاء الاتراك منهم على الاقاليم الجبلية والسهول الطريقة من خراسان وايران وحتى بلخ وانحصرت مملكة عايلة محمود في داخل الخراج الجبلية من جبال قوه الهندوستان وما زال كان تحت احكامهم في الجهة الشرقية لاهور الى بانجاب فعزموا عزما قويا على مد سلطنتهم على الاراضي الهندية الا ان هذا العزم كان نجاحه وقتيا وهو ان مسعود لم يجر في مدة سلطنته الا ثلاث غزوات في ارض الهند كانت الاولى منها في سنة ١٠٣٣ بعد الميلاد فكان سيره من الطريق الواقع في جبال كشمير ولاقى في هذه الغزوة بعض مقاومات قليلة وانتهى امرها ووقع في هذه السنة قحط شديد وجوع من المجاعات المعتاد وقوعها في الشرق فحلت اقاليم الهندوستان كاملا من سكانها وما سلم من اقاليم المملكة الا بعض دور نادرة جدا وفي سنة ١٠٣٥ بعد الميلاد تولد من عصيان واحد من راجات الهند هياج الغارة الثانية وفي السنة التالية سار مسعود بنفسه لخضوع ارض سوالك وهي مملكة واقعة في طول قاعدة الجبل الذى يدور من تحته مياه نهر الكنج اول دورة وتدخل في السهول الهندية فقالوا ان عاصمة تلك المملكة كانت قوية التحصين وفي درجة عالية من المدافعة والمحافظة لكنها سلمت من بعد مضى ستة ايام من الهجوم عليها وكانت الغنايم والاسلاب التى وقعت في يد مسعود على ما قيل وافرة المقدار ثم استمر في سيره من هذه المدينة للغلبة على قلعة سنبوت وكانت واقعة على مسافة اربعين ميلا من دلهى وعلى الطريق الموصل الى لاهور ولما قرب مسعود وعسكره من المدينة او القلعة تركها محافظوها والتجأوا في الاورمانات فقصد في سيره ايضا واحد من الراجات اسمه رام كان خفيا لم تعقد مصلحة وقدم له الراجا هدايا نقيسة والى هنا وقفت حركة سيره الهندية بما وصل اليه من مبادى عدة حركات ووقايع من فاتحي المسلمين فكانت نتيجة هذه الحركات دمار البيت الغزنوى وتشييد حكومة سلطانية في الهند ومقام ملوكها فيها بواسطة الاتراك ممن بعد دخولهم في الديانة الاسلامية وحيدرابم عسكرها القايمون بالمحافظة عليها

وكان الذكر الاولى هؤلاء الاتراك في تاريخهم انه في الحرب الذى هاج الامبراطور هرقل في مبادي القرن السابع من التاريخ المسيحي على كسري برويز ملك فارس كان الفرس في نجاح عظيم بسبب مساعدة ومعاضدة الافاريون لهم وهم قبيلة من قبايل التاتار كانت القبايل التركية طردتهم من ارضهم وبلادهم فاستخدموا من ضعيف العقل والراى الامبراطور يوستنيان على رخصة في ان يمدوا مواشيهم في داخل حدود مملكته ومقاومة وصدما هو حاصل من السلب والخراب من الفرس للمتوحشين الذين قطنوا في تلك الجهة عقد الامبراطور هرقل معاهدة مع الاتراك فاخرجوهم من الارض وخرجت قبيلة منهم اسمها الخزر تحت امرة رئيسهم زبيل من سهول الولغا والتحقت مع الامبراطور في جورجستان وفي القرن الحادى عشر لكثرة عدد الاتراك وصاروا اعظم من الامم المهولة الرعوية وكانت السلطنة التى ضعفت فيها صحة محمود واخذت عاقبتها في الاضمحلال كانت مرتبكة من كثرة عددهم وقوة شجاعتهم وكانوا حاربين في طيرانهم على نهب بخارا وخزائنها وكان في ديوان محمود واحد من الاتراك نايب عنهم فسئل محمود مع اللين واللطف ما المقدار الذى انا انتظره من رجالكم لمساعدتي في وقت الهجوم والحرب

العائلة السلجوقية
غزو مسعود ابن محمود البلاد الهندية
اصل الاتراك

فاجابه الذكي قايمنا على نشانة اوبنبلة ارسل هذه فيأتي تحت يدك من قومي خمسين الف
خيال فقال له محمود هل لا يمكن زيادة هذا العدد عند الخوف والخطر فقال له لو احتجت الى زيادة وارسلت جمجمتي هذه الى غب يرى قايدها يتبين الف خيال يلبون الطلب فلما سمع
محمود هذا الجواب ارتاع وخاف في امره الى ان الزوبعة او العاصفة التي كان يحث هاتين
هذا التهديد الكبير ما انفجرت الا من بعد موته من السحب التي كانت مكونة فيها وكان محمود
سخيم مع عدم حزم الرأي وعلك لما اشار عليه مستشاري دولته رفض عبورهم نهر جيحون مع
الغنائم ووابهم واقام منهم في السهول المقفرة العديمة سكونة بارض خوراسان فاستمروا
اربع قرون يعقون القسم ويرطون امرهم وعند ما سخم هذه الرخصة عبر نهر جيحون
ثلاثة ابناء اولاد الامير المعتقة سلجوق وسكنوا السهول خوراسان واخذ عددهم في الازدياد
كل يوم من ميادين اراضيهم الكثيرة الاهل والناس التي تركوها وراءهم وفي مدة سلطنة
المحسن لم ماحصل منهم اي شي يشتكي منه ولا حصل من تحزهم تشكي بسبب غايلوت وقعت
منهم دولوان بعض روسا الاتراك صعدوا من قبل الى اعلا درجات القيادة والمناصب
في الحكومات التي كانوا موظفين فيها مثل المماليك في بغداد ومثل البتكين موسس العايلة
الغزنوية نفسها الموجوده متسلطنة في غزنة فان السلجوقية كانوا في العصور المتوسطة
اول ابناء جنسهم في تمكين الاستحواذ القوى الدائمي في جنوب نهر جيحون وكان سلجوق
الذي اتخذت هذه الامه اسمه على عليها ابن امير اسمه ويكنك كانت سلطنة ونفوذ
امره على الملك قويا جدا وعند موت هذا الوزير كان سلجوق موظف في رياسة قيادة
جيوش سلطانه فوقعت منه اسباب لم لم تمنع حصول الغضب في داخل السراية واشتبك
في مخاصمات مع امراة وكيلة في داخل السراية عليها قيام المملكة وحرارة اخت عدت بواحدة
من زوجات السلطان وصار سلجوق مذموم العاقبة وتزايد العنف في حق السلطان
فهرب بعائلته واحبابه وتوابعه من ديوان سلطانته الى الاراضي المجاورة لسمرقند ثم
وفي هولاء التتار في مدة هجرتهم الى الجهات الجنوبية في دين القوم الذين قطنوا معهم
وفي داخل ارضهم وبلادهم واخذ اصحاب سلجوق في الزيادة وصار محله ملجأ وماوى
لكل من هاجر وجاوز من القبايل المجاورة له وعكفوا انفسهم على شهوات التغلب والسلب
والنهب فلما مات سلجوق لم يمت معه الاراء والمشروعات التي كانت متسلطنة في افكار
في خصوص توسيع دايرة ملكه فاشتغل حفيده طغرول بك وجقمغربك بالحروب
على ملوك ماوراء النهر واشتهر ذكرهم واسمهم في الطول والعرض حتى امتلأ قلب الملك
مسعود بالخوف وفي اثنا استعداد مسعود سلطان غزنة وتجهيز نفسه للغزوة الثالثة
الهندية اشار عليه مستشاري دولته قبله توجيه النفاثة الى حد واطفا العايلوت
والاربنات التي حصلت من السلجوقية وكانوا تغلبوا من قبل على سمرقند وبخارا في
قبل هذه المشورة المبنى قاعدتها على السلامة لسوء طالع بخته وترك حفيدي سلجوق في
يشنون الغارات ويقيمون دعايم شوكتهم وعمد دولتهم في الاراضي التي استحوذوا عليها
جديدا وتناقشوا اي اراء بينهم على توسيعها وعدها في المستقبل فلما اراد مسعود
اتخاذ الاحتياطات الشديدة كان عدوه على طاقة تامة في هزيمة هزيمة كلية وتوطد
تاج نصرتهم في زندقيانة من اعمال خوراسان تحت قيادة طغرول بك فكانت هذه
نصرة فاصلة تولدت منها نتايج مهمة كبيرة فقلعت منها المملكة الواسعة الغزنوية و
انكسرت شوكتها وانطفا نورها وضعفت حالتها ومن ثم صار طغرول بك اول سلاطين
العايلة التركية وصار ملك مملكة واسعة ممتدة من بخارا الى سوريا ومن نهر السند
الى البحر الاسود وعمر طويلا ومات في السنة السبعين من عمره ووصى بتخته الى ابن
اخيه الب ارسلان فتسلطن هذا الملك القوى البأس من دون خصم ولا معارض ولا مضاد
ودخل في محالفة قوية مع خليفة مصر وتقلد سيفان دلالة على انه سلطان المشرق
والمغرب وهجم الاتراك على غزنة وطردوا منها مودود بن مسعود من بعد ان جلس على
تخت ابيه وجده فتقهقر الى ممالكه الهندية واهلك الكثير من عسكره وقوته التي كانت
باقية معه في الاخذ بثار قتل ابوه من عمه واولاد عمه وكانوا حبسوا ابيه وقتلوه من
بعد هزيمته واهانته ولما اخذ بثار مقتل ابوه ابتنى المدينة المعروفة بفتح اباد تذكارا
له وكان لمودود من المملكة الهندية جهة لاهور وملحقاتها وهذه من بعد موته وقعت
في ايدي خلفاه هي وعموم الاراضي الواقعة في شرق نهر السند الى حد هانسي وثانيتهما

٢٩ ق
تاريخ الهند من البحر الزاخر

وثانيتهما ثم انه لاجل عود ثانيتهما وفي الحقيقة لاجل طرد الدولة الاسلامية من الهند
والاخذ بالثار في تطهير القطايع وانتهاك الحرمات وما حصل من الضرر وسفك الدما وخراب
المعابد الهندية وتكدير اهل الهنود من المسلمين قام راجا دلهي باتحاده مع ملوك اخرى
من الهند والبراهميون وخطب حربا معترب على المسلمين المتغلبين على بلادهم ثم قام
من بعد هذا بنصف قرن الحرب الاولى الصليبية على المسلمين وكانوا اوقعوا عين هذه
القطايع وانتهاك الحرمات على عباد الاله المصلوب مثلما اوقعوها على عباد الاوثان
فكان مبدء تاريخ الحرب المقدس الهندي في سنة ١٠٤٣ بعد الميلاد ومبدء الحرب الاولى
الصليبي لعباد الاله المصلوب في سنة ١٠٩٥ بعد الميلاد وسار الهنود في قواهم الى نغركوط
ومعبدها وقد سبق وصفها واستمروا محاصرين لها ومكدين في التغلب عليها مدة اربعة شهور
ولما انقطعت الواردات عن المحافظين فيها وفرغ ما كان عندهم من المؤن والمواد وقطعوا الامال
من ورود امدادات ونجدات لهم من جهة لاهور بسبب ما كان فيه المسلمون في ذلك الوقت من
الفلاقل والاربنات سلموا القلعة على غير شروط اخذوها من الهنود وافتخر الهنود بما حصل
لهم من الظفر والنصر وحسبوا في انفسهم حساب عودا استقلال بلادهم وقيام نقدا هيكلات
عن اصنامهم وصور الهتهم على ما كانت عليه في الف لوم من المجد والافتخار والشوكة ومن ثم ابتدأ
راجا دلهي في نشرة روية مناميه قيل انه رآها في منامه وذلك انه رأى الصنم الكبير
المقدس عندهم الذي كان السلطان محمود عامله باقبح المعاملات واراها من مدة بضع
سنين مضت في نغركوط وقال له انه الان استعد استعدادا تاما في الاخذ بثار انتهاك
الحرمات والاهانة التي كونها المسلمون فوق راسه برفع العقاب الشديد والعذاب الاليم
على غزنة والمسلمين وانه سيتقابل مع الراجا في معبده الاول في نغركوط فاعتقد الهنود
في حقيقة هذا المنام واصطفت ابدانهم بالحمية الدينية والغيرة الوثنية ووعد عليه ارباب
البحثات واهل القوة والباس من كل فج وراى نفسه في ظرف مدة قليلة في راس جيش ضخم واتى
بحصول المساعدة له من الاله ومستعد لكل خطر والمجازفة على كل تهلكة وحاصر بهذا الجيش
نغركوط الى ان وقعت في يديه واستلموها من المسلمين وفي صباح اليوم الثاني وجد في
بستان في وسط المدينة صنم وافق يماثل في الجسم والهيئة والصفة الصنم المحبوب عند
عباد الهنود وكان السلطان محمود كسره قطعا ورماها على قارعة الطرق من بعد هجوم
شديد كان اجراه على المدينة والمعبد وكان عباد هذا الصنم يوردون واحيانا العبادة
وشعر الاحترام الى هذا الصنم في هذا البستان فاستغرب الهنود وفرحوا المارا واصبحوا
واحتف في البستان وقالوا ان الههم عاد منصورا من غزنة وما وقع عند الناس اي شك ولا
ريب من ان هذه خدعة او مكر من راجا دلهي والبراهميين ونسبوا فتح المدينة لعودة
وبانى الههم وصدقوا قيام راه معك ودلهاحه رؤياه وانتشرت شهرة مزار هذا الصنم ومعبده
وخمسة واحدة في كافة الاقطار الهندية حتى صارت تاتي اليه الوف مؤلفة من كافة جهات
الهندوستان للزيارة والعبادة والتبرك بالاله ومجاورة الوحي في كل ما سيقع من الحوادث
وما يحدث من الوقايع وقال فرشتة احد مورخي الاسلام انه في زمانه في القرن السابع عشر
كانت هدايا الذهب والفضة والجواهر المجلوبة والمرسولة من كافة الاقطار المختلفة من الهند
ومن البعيد والقريب مساوية تقريبا للاموال والذخاير التي كان استحوذ عليها محمود الذي
من ظفر معك دلهي وبنجاح قيام الغيرة والحمية في ملوك بانجاب وغيرهم من الملوك الاخر ولو
انهم كانوا قبل هذا الوقت مثل الثعالب يخرجون من اجحارهم ويرجعون على ايديهم وارجلهم
خوفا من جيوش المسلمين فصاروا في هذا الوقت مثل اسد الغابة واذدروا باسيادهم عدة
وزحف ثلاثة من الراجات متحدين مع بعضهم في جيش مؤلف من عشرة الاف حصان وعدد
لا يحصى من المشاة نحو لاهور واحاطوا بها واستمروا محاصرين لها سبع شهور فكان المسلمون
يحاربون مع غاية الفروسية والشجاعة في كل جهة من جهات المدينة ويدافعون عن شوارعها
شارعا فشارعا من بعد ما تهدمت الاسوار وصارت اكواما من التراب فلما قطع المسلمون
الياس من ورود امداد او مساعدة نابتهم وراوا انه لا بد من الغلبة عليهم جمعوا انفسهم في
ربط حزمة واحدة وتحالفوا مع بعضهم وعقدوا ايمانهم على النصر او الشهادة وهجموا هجمة واحدة
وحملوا حملة شديدة مع عبيدهم فاوقعوا القتل والاربنات في اعدائهم فولوا الادبار وتبعهم
المسلمون فقتلوا واسروا وما نجا منهم الا الشريد الطريد

واما الحروب الصغيرة الوارثة كانت في ذاتها شديدة والخيانات الفظيعة التي حصلت في مدة تولي ملوك العائلة الغزنوية فانها جميعا ذكرناها مفصلة في الجزء الرابع من هذا التاريخ ومع هذا فيكفينا ان نقول هنا ان ما حصل من الاجتهاد وشدة العزم الذي صار اجراؤه في عهود غزنة كان نجاحا وفتحا والحروب الفاصلة والمذابح التي حصلت مع الاتراك والملوك الغورية ومع امرا بينهم كانت جميعها لمنافع نفسية وشهوات شخصية وان واحدا منهم لا الملوك الاتراك كان حازم الرأي شديد البأس اعاد للاتراك كافة الاراضي التي كانت سلبت من اهل بيته وقيل انه في مدة سلطنة مسعود الثالث عبر جيشه نهر الكنج وفتح فتوحات في الهندوستان ما فتحها قبلهم ملك الا السلطان محمود وقيل ان السلطان بهرام كان متحليا باعلى صفات شريفة وسخاء وكرم وكان محبا للآداب والعلوم وكانت سلطنته في سنة ١١١٥ بعد الميلاد واصدر امره بترجمة عدة كتب من لغات شتى وكان من جملة هذه الكتب كتاب اسمه كليلة ودمنة صنفه احد فلاسفة البراهمة وكان قد ترجمه الى اللغة الفارسية واهدي مع قطعة الشطرنج الى كسرى انوشروان الملقب بالملك العادل صاحب فارس قبل دمار المملكة الهندية فكان المقصود من الشطرنج ولعبه تجربة في امتحان ادراكات الوزير وتدبيراته وبيان انه في اشغال المملكة واعمالها الكبيرة يجب الالتفات ودقة النظر والتبصر في عواقب الامور المهمة زيادة عن كل صدفة واما الكتاب فيشتمل على احكام وحكم ودروس في البلاغة ومواعظ في اخر كل جملة منه موفقة بما يلزم للانسان من الارشادات في اعماله على لسان الحيوانات وفي مدة ما كان بهرام في عز وفوز ونجاح نام عزم عرنان على عقاب واحد هندي من بتعينه كان من العاصين عليه وكان هذا هو حاكم لاهور فعزله في اول زيارته هذا الاقليم في سنة ١١١٨ بعد الميلاد ثم رده في وظيفته مرة اخرى ومن بعد ذلك بقليل ابتنى هذا الخائن قلعة ناجور ونقل اليها اهله وامواله وكان اسمه محمد بيلام وجمع جيشا من الاشقياء الجارفين واوقع الدمار والخراب في عدة ممالك وايالات هندية ورغب ان يكون سلطانا كبيرا فلما علم السلطان بهرام مقصده واتجاهه سار اليه مرة ثانية لمعاقبته فقام محمد بيلام واولاده العشرة وكانوا جميعا حكام اقاليم وجمعوا اقوامهم سوية لمقاومته فكانت النتيجة هزيمة محمد بيلام واولاده العشرة وفي اثناء فرارهم مع اتباعهم غرقوا جميعا في ارض سبخة وهلكوا فيها هلاكا مهينا ولما عين السلطان بهرام حكاما على الجهات التي فتحها عاد في الحال الى عاصمته وكان العمل الثاني الذي اجراه السلطان بهرام هو قتل صهره اخو زوجته محمد ملك الغور ثم ندم على قتله لان سيف الدين اخو محمد الغوري جمع في الحال اتباعه وعساكره للقتال من اجل الاخذ بثأر قتل ملكهم ولما كان لا طاقة لبهرام على مقاومته اخلى له عاصمته ولما رجع قواده اسرع بعد ذلك في رجوع غزنة واسر عدوه واهانه واذله واركبه فوق ثور بالمقلوب بان جعل وجهه نحو ذيل الثور وداروا به في شوارع غزنة وضواحيها في وسط غوغاء العوام ثم عذبه عذابا شديدا وقطع رأسه وصلب وزيره وارسل رأسه الى سلطان الاتراك فتولد من هذه الفعلة البربرية سرعة سقوط العائلة الغزنوية واحتقار نورها وشوكتها وانقراض دولتها وذلك ان علاء الدين اخو الاثنين المقتولين اسرع في الحال وجمع حوله كافة الجنود والملتفين من القبائل الغورية للاخذ بثار قتل اخويه فسار السلطان بهرام للتلاقي وكثرة ما كان تحت يده من الف عسكري له طاقة وقوة على المدافعة في محاربة شديدة مع الغور اهل البأس والقوة والصلابة الجبلية ثم انهزم بهرام اخيرا وهرب مع عساكره المنتشتة نحو الهندوستان فمات فيها من كثرة تراكم الاحزان عليه في سنة ١١٥٢ بعد الميلاد من بعد ان تسلطن خمسة وثلاثون سنة وسار علاء الدين الغوري الى غزنة ودخلها مؤكدا انتصاره وكان يوم دخوله فيها يوما عبوسا فاق غيره فيه من فاتحي الشرق في القسوة والبربرية لانه امر ان تكون هذه المدينة الفخيمة نهبا عموميا للغورية مدة سبعة ايام وهدموا سراياتها وابنيتها التي كان شيدها فيها محمود من الغنايم والاسلاب الهندية وساووها بالارض وما نجي من قطاعهم وقتلهم الا بعض قبور قليلة واقعة في وسط اثار واطلال غزنة وهرب الوارث الذي بعد بهرام والتجأ الى لاهور وكان اسمه خسرو ملك حفيد السلطان بهرام ولو ان غزنة ردت فيها الروح مدة قليلة من الزمن لكونها صارت عاصمة للملوك الغورية الا انها خربت مرة اخرى وصارت بلاقع واطلال واكوام وما بقي فيها الا القبر الاوسع والمزار الكبير المدفون فيه السلطان محمود في داخل قبة كبيرة فيها بعض من خشب الفران يعزون القبر فيها من بعد ان استمرت مدة طويلة شاهدة في علو درجتها ومجدها مقرا ومركزا لسلطنة فاتح

الفتوحات الآسيوية ومدمر الآلهة والاصنام الهندية واستمرت العائلة الغزنوية في سلطانها الصغير الضعيف مدة من الزمن واخيرا اطفأ نورها محمد الغوري خليفة علاء الدين ومن بعد ان اخضع محمد الغوري هذا غزنة سار نحو البلاد الهندية وتغلب على بيشاور وافغانستان ومولتان والسند وفي سنة ١١٨٥ بعد الميلاد زحف نحو لاهور وحاصر خسرو مالك في سرايته فقاومه خسرو اشد مقاومة على اخر نفس حتى توفر عنها مرتان ومن بعد مضي اربع سنوات من هذا الهجوم جدد معاهدة خداعية مع خسرو وحثه على الخروج من قلعته لمقابلته فلما خرج منها احاط به بحركة دوران سريعة ومنعه من الدخول والوصول الى لاهور وهو ومن كان معه من جيشه القليل حتى ارغمه على التسليم واظهر له في مبدأ الامر رحمة وشفقة وسجنه في قلعة حصينة وفي سنة ١١٨٦ بعد الميلاد اطاع محمد الغوري احد المنجمين في ان يعين على سوء نفسه من عائلة اعداه وامر بقتل كافة العائلة الغزنوية وانقطعت مملكتهم الى البيت الغوري من بعد ان لبثت السلطنة في البيت الغزنوي من سنة ٩٧٧ بعد الميلاد الى سنة ١١٨٦ بعد الميلاد اي مايتان سنة وتسع سنوات والعديد تولى ملكه [illegible]

الفصل الثالث

البيت الغوري

محمد الغوري الملقب شهاب الدين

من سنة ١١٨٦ بعد الميلاد الى سنة ١٢٠٦ بعد الميلاد

كان محمد الغوري مؤسس هذه العائلة الغورية جاريا اشغاله واعماله اساسا تحت امرة اخيه وكان حائزا لكمالات المهارة والشجاعة والقريحة الوقادة والادراكات الكاملة في الاعمال المدنية والحربية وكان مستحوذا على حكومة غزنة في سنة ١١٧٤ بعد الميلاد وضبطها من حقوق اخيه وحقوق نفسه اثنتا وثلاثون سنة في غبطة وسعادة مثل الذين كانوا قبله من الملوك والسلاطين ثم ان محمد الغوري بمجرد عوده الامن والراحة وحسن النظام في لاهور من بعد ان تغلب عليها من خسرو مالك اخر سلاطين غزنة عاد الى غزنة ولكنه ما اقام فيها طويلا بل عاد في سنة ١١٩١ بعد الميلاد الى الهندوستان مرة ثانية وجعل لاهور عاصمة ملكه وقصد في ذلك مد سلطنته على الاراضي الهندية وجمع قواه وهزم امرنقم وزحف على اجمير واخضعها فعقد راجا دلهي محالفة ومعاهدة مع عدة من الملوك جيرانه لاسيما في خلوص اجمير من هزايمه محمد الغوري في راس جيش مؤلف من ٢٠٠٠٠٠ مقاتل من الخيالة و ٣٠٠٠ من الفيلة وقيل مايتي الف حصانه بدل مشاة فاعتمد محمد الغوري على شجاعة قبائله الجبلية واقتحم ما دون خوف ولا مبالاة في الهجوم وكانت الواقعة على مسافة ثمانون ميلا من دلهي فاحاطت الهنود بسبب كثرة عددها بالغوري وعسكره وضايقوه واوقعت الفيلة الفشل والارتباك في عسكر الغوري وكانوا اهل الوصل في حالة على غير نظام فهرب الكثير من قواده مع عساكرهم وتركوا ملكهم الغوري محيطا به العدو وكانت عساكر العدو اخذة كل يوم في زيادة العدد والتقى الغوري وهو على حصانه بملك دلهي راكبا على فيله وتحاربا يدا بيد ومن بعد ان حارب الغوري محاربة شديدة وصل اليه رمح فجرحه فوقع من فوق ظهر حصانه الى الارض جريحا فحمله فرقة من اتباعه من الميدان مع غاية المشقة والصعوبة وتمت الهزيمة على الغوري واصحابه وتبعتهم الهنود اربعون ميلا

ومن بعد هذه الهزيمة توجه محمد الغوري مجروحا الى ديوان اخيه في الغور ولبث سنة يرمم في حزن هذه المصيبة ويستعد لعمل غزوة جديدة وعزل الامراء والقواد الذين كانوا هربوا وتركوه في معمعة الحرب من مناصبهم واذلهم واهانهم ودورهم حول المدينة حاملين على اكتافهم مخالي مملوءة بالشعير ياكلون منها ثم انه لما شرع في الغزوة الثانية ظهر له انه حرم نفسه من خدمة الكثير من فرسان المملكة واحسن عساكرها فاعادهم الى مناصبهم ووظائفهم كما كانوا وما كانوا عليه من الشهرة والصيت في السابق وعندما جمع محمد الغوري كافة قواه وكانت مؤلفة من مائة وعشرين الف حصان من اجود الفرسان معظمهم من الاتراك والافغانية سار الى الهند عازما على عود ما حضرو من ممالكه وكان سيره من طريق بيشاور على الملتان ثم عطف في سيره نحو لاهور

ولما وضع ارسل رسولا الى ملوك الهند يعلمهم بالحرب وبما ان هؤلاء الملوك كانوا في اعتقاد تام منا وبينهم وافتخروا بنصرتهم التي حازوها حديثا على الغوري فاجابوه اقبح جواب واعدوا القوة اكثر عددا من القوة التي كانت عليها في السنة الماضية وربطوا انفسهم في رابطة واحدة واقسموا بماء نهر الكنج على النصرة او الموت وزحفت الملوك الهندية نحو الغوري في همة وامل كبير وارسلوا له انذارا وزيا قالوا له ان كان محمد الغوري مستغنيا عن حياة نفسه وفي تعب منها فانه يرحم الناس الذين معه مما سيحل بهم من الضرر والاذى وما زال طريق رجعتك مفتوحا لك وان كنت ما زلت مصمما على اعمالك الردية الشيطانية فانتظر اجتماعنا وتظافرنا وحلفنا بالهتنا انا نزحف عليك صباحا بدري بفيلتنا الى ظهرا وخيلنا ومشاتنا او رجعنا الشجاعة لحطم جيشك المنحوس الطالع وقطع دابر اصلك وفرعك فرد محمد الغوري جوابه اليهم مع اللطف واللين فقال لهم ان اجراء الحرب هذا هو فقط اطاعة لامر اخوه وما دون صدور امر من اخيه لو طاقة له على رجعة مهما كانت وله رغبة في توضيب واصلاح شروط هدنة حتى ياتي له امر من اخيه في شأن هذه الرجعة وكان للعسكرين واضعان على شواطئ نهر سورستي فسكن من هذا الجواب اللطيف جاش الهندو واطمئنوا في انفسهم وصرفوا ليلتهم في فرح وسرور وكان محمد الغوري يترقب الوقت الذي لا يلتفتون فيه بالكلية للتحفظ على مواقع عفرهم ولما لاحت له فرصة هذا الاهمال هجم على معسكرهم في ظلام الليل وهرب الجم الغفير من عساكر الكفار امام هجومه وكان خط دابر معسكرهم طويلا جدا حتى تم ما كان للهندو طاقة في تعبية عساكرهم الا صباح اليوم الثاني وتعبوا في عدد كاف لحطم كافة الجيش الهاجم عليهم واما الغوري فانه سار على الطريقة القديمة التي كانت عليها الصليبيون او التاتار في الازمان السالفة في هجوماتهم وصار يهجم عليهم بفرق المحالة واحدة بعد الاخرى وكلما تعبت فرقة استبدلها باخرى الى ان حان وقت المساء وظهر على العدو حالة الهبوط والانحطاط وكل الهندو وتعبوا الحمل عليهم في راس عساكره الخيالة الخاصة وازال ما كانوا عليه من المصاعب والمقاومات وطرد جيش الهندو امامه في غاية جيشه من القتل والهزيمة واسر ملك دلهي في هذه الواقعة وقتل عدة من الملوك الاخرى وحاز محمد الغوري اسلابا وغنايم لا تحصر ولما زحف نحو دلهي تقدم له مبلغا جسيما فداه ودخل دلهي فترك فيها قوة كبيرة تحت رياسة نايبه كتاب الدين من اجل ضبطها وقيام شعاير حكومتها في هذه الجهة الهندية ومن بعد ذلك بقليل جمع كتاب الدين جملة كبيرة من اتباعه وتغلب على تخت دلهي وصار هو العامل فيها وما تم كانت هذه اول مملكة اسلامية تاسست وقامت اول مرة في قلب المملكة الهندية وفي واحدة من مداينها الكبيرة ثم من بعد مضي مدة من الزمن غزا محمد الغوري الهندوستان مرة اخرى وانضم في حركة غزواته الى كتاب الدين وهزم ملك كانوج ومنها توجه الى بنارس وكسر اصناما كانت موجودة في الف مزار فيها وحمل اربعة الاف جمل من اموال وذخاير هذه المدينة المقدسة وسار في غزواته وغاراته على منوال الغزنوية في غزواتهم الهندية ولما تشبع غزوات في الهند وجمع اموالا وذخاير فاقت الاموال والذخاير التي كان جمعها محمود الغزنوي قبله الا ان هذا الفتح الجليل انطفأ امره مرة واحدة وذلك ان محمد الغوري في اثناء سفره من لاهور متوجها الى غزنه ضرب خيمته في ليلة على ضفة نهر السند او على شاطئ فرع من فروعه وكان قاطنا في هذه الجهة جماعة من القبيلة الجبلية الوحشية المعروفة بالجيكواريين اقتل الكثير من عائلاتهم في حرب مع محمد الغوري فنذروا نذرا على انفسهم وحلف عليهم من انفسهم ان يأخذوا بثار القتلى من عائلاتهم واهليهم وبما ان الوقت الذي كان نزل فيه محمد الغوري بخيمته على ضفة النهر كان شديد الحرارة في الليل فما وضع الحوافظ المعدة للخيمة الملوكية وجعل الخيمة مفتوحة من اجل دخول الهواء في داخلها فقام عشرين من هؤلاء الثائرين كانوا عزموا في انفسهم على عادة اخذ الثار وساروا من دون ان يراهم احدا فقتلوا الخفير وهرب ما كان من الخفر الباقي ودخلوا خيمة الملك وكان نايما فيها مع اثنين من سراريه فضربوه في الوقت بخناجرهم كلهم مرة واحدة في قلبه وجرحوه اثنين وعشرون جرحا وبهذا هلك هذا الفاتح الكبير الذي امتدت مملكته تقريبا كامتداد مملكة محمود الغزنوي وقال فرشته انه كان مثل محمود وما كان خاليا من الفضايل والصفات الجليلة وترك وراءه شهرة محمودة وعاقبة مشكورة ومرؤة عالية وهمة غير فانية وبه قامت العائلة الغورية وبه انقطع دابرها لانه ما ترك وراءه الذرية ضمانا في العقل والغيرة والشهامة الكافية لحمل اعباء موازين مملكة مختلفة الاطراف والاكناف وكان خليفته الظاهر في الاراضي الجبلية وكتاب الدين في الاراضي الهندية يتفاقم من بعد موته

موته سلطنات لا تعيها استقلوا بها حتى بعضها وكان قتل محمد الغوري في سنة ١٢٠٦ بعد الميلاد وقرأت في كتاب ان قيام البيت الغوري الافغاني كان في سنة ١١٥٦ بعد الميلاد واستمرت بالبنجاب قرن ونصف تحت احكام خلفاء محمود الغزنوي في صفة اقليم اسلامي وكانت الحرارة والشقاق والبغضاء الكبيرة موجودة بين المداين الغورية الافغانية ومدينة غزنه وكان محمود قهر الغور وتغلب عليها في سنة ١٠١٠ وفي سنة ١٠٥١ بعد الميلاد تغلب ملك الغوريين على غزنه وسحب مشهوري رجالها في الاسر الى عاصمته وذبحهم فيها وجبل من رماد موتاهم بنى بها استحكامات العاصمة ومن بعد انتقامات عديدة واقتدارات مهولة شديدة انتصرت مدينة الغور على مدينة غزنه في سنة ١١٥٢ بعد الميلاد وهرب خسرو ملك حفيد السلطان بهرام الغزنوي واخر العائلة الملوكية لمحمود الغزنوي الى لاهور عاصمة البلاد الهندية الغزنوية وفي سنة ١١٨٦ بعد الميلاد اخذها منه محمد الغوري الملقب شهاب الدين وقتله وقطع دابر العائلة الغزنوية وابتدأ هذا الملك الغوري في فتح الهند على حساب مصاريف نفسه فحاربت كل مملكة هندية مع غاية الشدة والشجاعة مدافعة عن اهلها وبلادها وفي سنة ١١٩١ بعد الميلاد قامت ملوك الهندو في جامعة واحدة مقاومة لمحمد الغوري فانهزم في اول غارة اجراها على دلهي شر هزيمة من الهندو في نواحي تانيشر وانجرح جرحا بليغا ونجى بنفسه مع غاية المشقة وسار الهندو وراء عساكره المهزومة اربعين ميلا فجمع محمد الغوري ما تشتت من عسكره في لاهور وربطها ربطا جديدا وورودت اليه الامدادات من اسيا الوسطى وزحف ثانيا على الهندوستان في سنة ١١٩٣ ومن حصول شقاقات ومنازعات داخلية وعقب بين الراجابوتيين حصل عدم اتفاقهم في جامعة واحدة على محمد الغوري وكانت كل من مدينتي دلهي وكانوج مركز لمنازعة الملوك الهندية وكل من الملكين الموجودين فيهما يدعي ان مدينته هي عاصمة الممالك الهندية الشمالية وكان شوهان الملك حاكم دلهي واجمير ملقب بالاسم العالي وهو بريثوي راجا ومعناه ملك الملوك فاشهر ملك كانوج المسمى راهطور والذي ما زالت عاصمة موجودة في شعة حماسية اعيال مسطحة من طرف مكر وروم وافتخر يوم عيد احتراما لتقديم اضحية الحصان القديمة التي كانت جارية في المدد القديمة عند الهندو ومن اجل اشهاره لقب ايضا انه ملك ملوك الهند وكان يلزم في هذا العيد ان تكون الملوك عبيده موجودة في مجلس الاحتفال ولكل واحد منهم مقام معلوم ولما لم يحضر ملك دلهي في احتفال هذا العيد شماخة منه وكبرا فوضع تمثاله في صفة بواب على باب ايوان مجلس الاحتفال احتقارا وازدراء به ومن العوايد الجارية ان الملك اذا كان له ابنة فانها تختار لنفسها بعلا من هذه الجمعية وهذه العادة على مقتضى نص القواعد والشرايع السنسكريتية وكان للملك ابنة لها حب كبير مع ملك دلهي فلما دخلت في ايوان مجلس الاحتفال لتختار لنفسها زوجا نظرت يمينا وشمالا في دايرة الملوك المجتمعة ثم خرجت مع العظمة والابهة نحو باب الايوان ووضعت الاكليل زواجا على رقبة الصورة الذليلة لملك دلهي وهو واقف في صورة بواب بجانب الباب واغار ملك دلهي بحصانه واخذ ابنة ملك كانوج وراح بها الى عاصمة دلهي فقام الغضب في وجه ابيها وجمع جيشه وسار عليه ولما طلب في امر الافغانيين وهجومهم على دلهي رفض القبول وكان ذلك سببا في دمار المملكتين ولما زحف محمد الغوري على دلهي كان فيها شعب يعرف باسم طوطاره وفي مدينة اجمير الشوهانيين وفي كانوج الراهطوريون وكانت هذه الممالك عبارة عن الاستحكامات الطبيعية المانعة الطايرين من الجهة الشمالية وجنوب ما كان بين هذه الممالك من الحزازات والشقاق دخل ملك دلهي واجمير في جامعة واحدة تحت رياسة شوهان واحد اي ملك واحد وفي سنة ١١٩٣ بعد الميلاد اغار الافغانيون وكسروا بالبنجاب وانهزم بريثوي صاحب دلهي واجمير وقتل واحرقت الملكة زوجته نفسها مع الشجاعة فوق عمود الحرق ولما احتل محمد الغوري دلهي كبس على اجمير واخضعها وفي سنة ١١٩٤ تغلب على كانوج من بعد واقعة دموية قتل فيها ملكها وترك الراهطوريون من اولاد ملوك كانوج وشعوب اخرى في الهند الشمالية اوطانهم وبلادهم افواجا افواجا اصوب لهم من تسليم انفسهم للاغراب وهاجروا الى الاقاليم الواقعة على حدود الصحراء الشرقية لنهر السند واسسوا الممالك العسكرية الحربية المعروفة باسم راجابوتانه الى اليوم وفي سنة ١٢٠٣ زحف محمد الغوري على بنارس وتغلب عليها وعلى جالور واما قايده بختيار خلجي فانه فتح بهار في سنة ١١٩٩ بعد الميلاد وبنغاله السفلى الى حد الدلطا الكنجية ولما قربت في سنة ١٢٠٣ ولما قربت جيوش المسلمين من بنغاله اثار البراهمانيون على لكشمن سن ملك بنغاله ينقل مقر ملكه من مدينة نادية الى مدينة بعيدة وبما انه كان رجلا دينا وكان بلغ عمره الثمانون فما كان فيه طاقة على فعل شيء حتى ان القايد الافغاني تغلب على عاصمته ودخل في سرايه

فاقلق راحته وكدر عليه عيشته على حين غفلة فى اثناء ما كان يتناول طعام على مائدته فترب الملك من باب سر كان خلف سرايته حافى الاقدام لولا ما وجد لنفسه زمن يلبس فيه نعاله وكان هروبه الى موتنه ببرى من اعمال اوريسا حضرف فيها ما كان باقيا من ايام حياته فى خدمة الولو ياجات صنم كريشنه وفى هذا الوقت كان السلطان محمد الغورى قاسما ايامه بين حروب فى ارض الافغان وفى الغزوات الهندية وكانت غزنة عاصمة ممالكه وما كان عنده الا مدة قليلة من الزمن فى توطيد فتوحاته الهندية وفى سنة ١٢٠٣ بعد الميلاد خرجت القبائل الجكهورية من جبالها وتغلبت على لاهور واوقعوا الخراب والدمار فى عموم الاقليم وفى سنة ١٢٠٦ سبح جماعة من تلك القبائل نهر السند الى الضفة التى كان معسكرا عليها العسكر الافغانى وقتلوا السلطان محمد الغورى وهو نايم فى خيمته وما كان محمد الغورى فارس من فرسان الديانة الاسلامية مثل السلطان محمود بن سبكتكين الا انه كان رجلا فارسا فاتحا وما كانت مقاصده فى غزواته البعيدة خراب معابد وكسر اوثان ودمار اصنام بل تغلب على اقاليم واراضى فمن ثم كان سبكتكين تركا فى سنة ٩٧٧ بعد الميلاد اقليم بيشاور الحد الاقصى الشرقى لمملكة غزنه واخضع محمود ابنه بانجاب الغربية فى سنة ١٠٣٠ بعد الميلاد وكانت هذه نتيجة الغزوات التركية فى الهند واما محمد الغورى فانه ترك كافة الهند الشمالية من ابتداء دلتا السند الى دلتا نهر الكنج تحت قيادة قواد ماهرين من المسلمين ضبطوها لانفسهم من بعد موته فى سنة ١٢٠٦ بعد الميلاد

وقد ذكرنا فيما سبق ان السلطان محمد الغورى كان عين فى حكومة دلهى عاملا له عليها قائده كتاب الدين ايبك فتغلب على السلطنة من بعد موت سيده وتقلد زمام الملك فى سنة ١٢٠٦ بعد الميلاد واعلن نفسه سلطان الهند فى دلهى واسس عائلة ملوكية استمرت فى السلطنة من سنة ١٢٠٦ الى سنة ١٢٩٠ بعد الميلاد ونشر حكمه على كافة القواد والعساكر الاسلامية الموجودة فى الهند من ابتداء بنغالة السفلى وخلد ذكر اسمه فى عاصمة مملكته بجامع انشاه فى دلهى اسمه جامع كتاب الدين ويلفظون به كتب الدين بعمود مزخرفة منقوشة بالنقوش الهندية ومأذنة اسطوانية الشكل دقيقة فى صناعة بنائها مكتوب عليها ايات قرانية وهى الان قايمة فوق اطلال واثار دلهى القديمة واسمها عمود كتب الدين وعرفت العايلة التى اسسها باسم العائلة الافغانية وكان كتاب الدين دلى الاصل والمولد فكان مملوكا فى الاصل اطلق على عائلته اسم عائلة المماليك فذهبا فى اصل نسبهم وكان جلب اسيراقى الاصل من نواحى تركستان وابتاعه واحد من اهل نيسابور ولما راى فيه فريحة عظيمة علمه فى صنايع وفنون وعلوم شتى ولما مات سيده بيع مع ما كان موجودا من التركه ودخل فى حوزه محمد الغورى فحظى عنده بشجاعته وجراته وحسن ادارته وارتقى فى العسكرية عند الغورى حتى بلغ اول درجة فى قيادة الجيش ومن شدة ما كان عليه السلطان من وثوقه به واعتماده عليه فى اموره كان عنده هو اول شخص موافق معتمد فى بقائه عاملا له فى الاراضى التى فتحها فى الهند وعاد السلطان فى قفلو الى جباله وبلاده واستمر كتاب الدين صديقا للسيد الوالد بالنسبة لبعد موضعه عنه كان متسلطا فى صفة مستقل بنفسه مدة حياة السلطان مدة اربع سنوات فلما مات محمد الغورى اعلن كتاب الدين سلطنة نفسه على الهند وكان مشهورا بالشجاعة والعدل والمروة وكرم النفس وسخا اليد فكان سخاه وكرمه ليس تحت حد محدود وكان يضرب بكرمه المثل فى الهند فكان يقال فلان عنده كرم وسخاوة كتاب الدين واهاج كتاب الدين حروب محرقة على الملوك المجاورين له كان فى جميعها مؤيدا منصورا وانه فى حروبه مع الراجابوتيين ما حصل له الا هزيمة واحدة ومع هذا فانه غرق فى اخر ايام سلطنته فى اللهو واللعب والفجور والرفاهية فى عيشته حتى سبح لخصمه الطغرل بالغلبة على غزنه وعلى مدة من اقاليم الحدود ومات كتاب الدين فى سنة ١٢١٠ بعد الميلاد

وخلفه من بعد موته تاج الدين يلدز وكان مملوكا مثله وكان السلطان محمد الغورى احسن عليه برتبة حمل العلم الاسود الغرنوى وكانت رتبة امتياز خاصة بولى العهد ولما مات محمد الغورى اعلن تاج الدين ملك غزنه وكان اول اعماله من بعد جلوسه على التخت ان اغار على بانجاب واحتل لاهور الا انه فى مدة سيره فى فتوحه انعقدت حركته بالمعاصرة فى الهند كتاب الدين ايبك وجرده كتاب الدين من مملكته ثم اعاده اليها من بعد قليل فاستطمع فى نفسه فتح الهند ومن ثم جمع جيشا جرارا من قبل موت كتاب الدين وفى اثنا ما كان جاريا حركاته فى

سلطنة كتاب الدين ايبك

تاج الدين يلدز

فى حضرة الاقاليم الشمالية هزم بالقرب من دلهى شمس الدين التمش ومات فى السجن فى سنة ١٢١٥ من بعد ما تسلطن تسع سنوات ولاجل فهم هذه الحادثة المخصوصة بالتاريخ الهندى الذى تركها بعض المؤرخين وبعضهم ذكرها بعبارة غير مفهومة يلزمنى ان اذكر مختصرا وجيزا لتتم هذه الواقعة فى وقت ما كانت مملكة محمد الغورى مقسومة فى الحكم بين اربعة من مماليكه وابن اخيه الوارث الشرعى للمملكة من بعد موته فقد سبق القول على اثنين منهما واما الثالث وهو بهاء الدين طغرول فانه ارتقى من درجة الرق الى موضع اشتهر فيه فى خدمة محمد الغورى ولما ترك محمد الغورى الهندوستان اصدر امرا الى طغرول بان يكون حاكما فى قلعة فى ضواحى جاليور اوجالور ووعده بانه ان فتح هذا الاقليم فانه يعهد اليه حكومته ولما كان لا طاقة له على تغلبه على قلعة جالور بطريق الهجوم عنوة احاطها بطواى منعزلة وحصر الجبال التى حولها وصمم على انه لابد من تسليمها اليه وكان راجا جالور على راية تامة من عاقبة هذا الضنك بسبب ان عواقبه تاتى بالوخامة عليه لانه يلزمه اخذ الاحتياطات اللازمة فى رفع هذه الضائقة التى حلت به فلاجل صده ومنع هذا العقاب الجارح من انتظاره لوقوع صيدته فى مخلبه كتب فى السر الى كتاب الدين ايبك بانه يسلمه القلعة فشرع كتاب الدين فى الاستعدادات اللازمة واشتهر فرصة التغلب على هذه القلعة المفتخرة ولما صار كتاب الدين وطغرول على شرف وقوع الحرب بينهما مات طغرول فجاءة وكان موته سببا فى عدم هياج حرب

واما الرابع وهو شمس الدين التمش فانه كان فى الحقيقة اول ملوك عائلة المماليك فى الهندوستان من بعد موت كتاب الدين ايبك وهذه العائلة وجدت نفسها وجها لوجه امام ثلاث مصايب او عقبات صعبة وقفت الاحكام الاسلامية فى الهند من ابتداء سلطنتها وهى اولا الثورات او العصاوات التى حصلت من عمال او حكام الاقاليم الاسلامية فى الهند وثانيا الهياج و الثوران الذى حصل من نفس الهنود وثالثا غارات كبيرة اهمها واكبرها ما وقع من المغول من نواحى اسيا الوسطى وكانت سلطنة التمش من سنة ١٢١١ الى سنة ١٢٣٦ بعد الميلاد ولو ان التمش كان شريف المولد تترى الجنس فانه كان مثل كتاب الدين بيع مملوكا واشتراه كتاب الدين فارتقى بمهارته وبراعته الى درجة عالية حتى صار قايد عموم جيوش كتاب الدين وتزوج ابنة الملك كتاب الدين وكان كتاب الدين كما سبق جلس على تخت المملكة وغلب على امر آرام المستحق الشرعى لوراثة التخت من بعد موت عمه وبسبب زواج التمش ابنة الملك كتاب الدين وعلو درجة رتبته فى قيادة الجيش جلس على التخت وغلب ايضا على امر آرام وصار ثالث الملوك الاسلامية فى الهندوستان واكبر سلاطين هذه العائلة واصلح ما كان من المفاسد التى تفشت فى مدة سلفه وهزم الطغرل من غزنه واخذه اسيرا ووسع المملكة فى كل جهة من جهاتها واخضع كافة حكام المسلمين فى بنغالة السفلى وفى جهة السند وكانوا استقلوا بالاحكام فيها وجعل كلا من بنغالة وبهار ممالك خراجية لدولته وكانت هذه اول مرة وفتح اقاليما اخرى وعين اولاده نوابا له فى هذه الاقاليم وفتح جالور من بعد حصار امتد طويلا واعتبرها انها هى المعقل الاصلى لشوكة الهندو وكانت جالور واقعة على قمة جبل عالى اجنابه قايمة راسيا على الارض ومحفوظة من كل جهة بتحكمات واسوار حصينة وجيها المياه وافرة ولا يمكن التغلب عليها ولا الوصول اليها تقريبا وقد اطنبنا فى وصفها فيما سبق واشتهر التمش ايضا بفتح مالوه وضبط مدينة اوجين وهدم تمثال ويكرماديطيه المحترم عند الهندو وكان مشهورا فوق كل ذلك بحزم الراى وجودة الاعمال والتدبيرات واتفق انه فى هذا الوقت قامت زوبعة شديدة وعاصفة مهولة كنست الحدود الهندية من طوارئ العربية الا انه من السعادة انها لم تمس الا اليد التركية النقية وكان السبب فى ذلك ان جنكيزخان من بعد ان خرب اسيا من البحر الى وقيانوس الجنوبى الى حد بحر الخزر واخضع ممالك كثيرة لدولته وممالكه هجم على ملك الافغانيين وطرده امامه حتى ارغمه على الهرب والالتجاء فيما وراء نهر السند فلم يقبله التمش فى ممالكه ومن ثم دور جنكيزخان جيوشه وبعد عن دخوله فى الاقاليم الغنية الهندية الممتدة الى الشرق والشمال ومن المحتمل ان خيول جنكيزخان المنصورة فقط على اجرا الحروب فى سهول التتار وفارس ما كان لها طاقة على اجرا الحروب فى الجبال الصعبة الوعرة المسالك وهى جبال قوة الهند ومن قبل موت التمش فى سنة ١٢٣٦ بعد الميلاد قطع الهند اشغال الحروب مدة من الزمن وحكم عمال ولاة من المسلمين عموم الهند الواقعة فى شمال جبال وندهيا بما فيها بانجاب والاقاليم الشمالية الغربية واودهه وبهار وبنغالة السفلى واجمير وجالور ومالوه والسند وفى حقيقة بعد ان الهند مملكة مفصولة من المملكة الاسلامية فى مدة سلطنة

بهاء الدين طغرول

ملوك عائلة الغلمان او المماليك

سلطنة التمش شمس الدين

التمش ووقف نفوذها على صدرها اقرارا بانها مملكة جديدة وكرسيها دلهي في سنة ١٢٢٩ بعد
الميلاد ومات التمش في سنة ١٢٣٦ بعد الميلاد وبعبارة اخرى ان التمش المذكور ارتقى مع غاية
السرعة في النعم الملوكية عند كتاب الدين ايبك ومع توالي الايام تزوج ابنته وصار قايد جيشه
ومن بعد موت صهره كتاب الدين لم يرض التمش بان الابن يخلف ابوه بل عزم على ان يجعل
الامر لنفسه وبسبب انه كان محبوبا عند الجيش وزوج ابنة الملك الفقيد تم مقصوده الطامع
فيه وزحف بالجيش على دلهي وفي سنة ١٢١١ بعد الميلاد طرد الذي لا جريرة ولا ذنب له صهره واخو
زوجته من على تخته واعلن نفسه ملكا فراعى بعض الناس ان مثل هذه الاشغال التي اجراها وتغلب
بها على التخت من الغدر وعدم العدل والانصاف ومن ثم تركه معظم قبائله وزهرة جيشه من
الاتراك وانضموا مع عدو اخر للوارث الشرعي للتخت ابن الملك كتاب الدين وزحفوا الى
قوة كبيرة على دلهي فهزمهم التمش بمهارته وكثرة عساكره ومن بعد هذه الواقعة لما رفض راجا
جالور اداء ما يجب عليه ارغمه على ادائه وكان خراجيا لدلهي ثم سار على الملك المتسلطن في غزنة
ربيبه الحاكم عليه في ذلك الوقت وكان في بانجاب فهزمه واسره وحبسه فمات فيه من بعد قليل
قيل انه من سم دبره له وحاز التمش ايضا نصرة كاملة في سنة ١٢١٧ على صهره على شواطي نهر
شناب وفي سنة ١٢٢١ لما انهزم المشهور جلال الدين المنحوس الطالع في الجهة الشمالية من
جنكيز خان متقهقرا نحو لاهور فخابت اماله في حماية نفسه وسلامته فيها وارغم على الالتجاء
نحو سوسيتان وفي سنة ١٢٢٥ بعد الميلاد ساق التمش جيشه المنصور نحو بهار ولوكنو
عاصمة الغور وجبى الخراج من ملكه بتمامه وامر بان تضرب نقود هذه المملكة باسمه وعين
ابنه حاكما في بهار وعاد مؤيدا منصورا الى عاصمة دلهي وفي هذه المدة غرق منحوس الطالع
صهره فمات فقبض التمش على عموم مملكته وفي سنة ١٢٢٧ فتح اقليم مالوه وفي سنة ١٢٣١
حاصر قلعة جالور وعد بنتي وتغلب عليها من بعد ان كان الهندو تغلبوا عليها مرة اخرى وسار
منها الى مالوه وفتح قلعة بيلسا وتغلب على مدينة اوجين وهدم معبدها الكبير المماثل
في الاصفاح والاموال لمعبد سومنات وهو معبد ويكرماديطيه وقيل ان هذا المعبد كان
مبنيا من عهد نحو ثمانماية سنة مضت ومحيطا بسور ارتفاعه ماية ذراع ووجد في هذا المعبد
تمثال ويكرماديطيه وكان مشهورا بالاحترام عند الهندو وتماثيل غيرها كانت مصنوعين من
الحجر وتماثيل اخرى من النحاس فارسل هذه التماثيل الى دلهي وامر بتكسيرها على باب مسجد دلهي
وفي اثناء عوده الى دلهي وقف كبرياه وعظمته واعماله المدمرة بمن لا وفاق في قوته الاقوى منه
قدرا وشوكة فاصابه المرض الشديد فرجع الى عاصمته وقضى فيها نحبه وانتهت فترة حياته في
٣٠ ابريل سنة ١٢٣٦ بعد الميلاد من بعد ان سلطن ستة وعشرين سنة وكان في اخر سني
سلطنته تمثل بخليفة بغداد واخذ لقبه ووزيره لقبه نظام الملك وكان خليفة بغداد في
ذلك الوقت المستنصر بالله العباسي وكان لقب نظام الملك الذي اختاره لوزيره الاول
في مدة سلطنته لقبا لكل وزير بقين في السلطنات التي جاءت بعده

سلطنة ركن الدين فيروز

ومن بعد موته جلس ابنه ركن الدين فيروز على تخت دلهي من دون معارض وكان موجودا
بالصدفة في وقت موت ابوه في دلهي واتفق مورخي الاسلام عموما على ان مدة سلطنته
كانت جميعها انهماك في الموبقات والخلاعة والفجور والعسف وشدة الغباوة وقضى مدة
في خلاعته مع النساء واهل اللهو واللعب وارباب الاوثان والراقصات من الغنيات وترك
الحكومة واشغال المملكة في قبضة امه وكانت سرية تركية فاظهرت صفتها الدنية في ظرف
هذه المدة القصيرة وكانت مهولة عنيفة فتولد من اعمالها جرح حواس رعاياه الذين
كانوا اسيا في جلوسه على التخت وصدوا عنه واعتزلوه ولما رفع اخوه الاصغر حاكم اوده
بيرق العصيان ساروا اليه افواجا ودخلوا معه في ثورته وترك كبار المملكة ووجوهها فيروز
الملك القبيح المهين ومن بعد ان سلطن مدة ظهرت فيها فجوره وخلاعته لبثت سبعة اشهر
وضع قضيب المملكة في يد اخته واودع هو في سجن مات فيه وشاركته امه في هذه العاقبة
المشؤومة

سلطنة الملكة راضية بيجوم ابنة التمش

وكانت راضية بيجوم ابنة السلطان شمس الدين التمش اول سيدة جلست على التخت الاسلامي
في دلهي وكانت اشتغلت في صغرها بحفظ القران وظهرت عليها النجابة والذكاوة في الاعمال
العمومية حتى ان السلطان التمش ابوها لما سافر في غزوته على جالور جعلها نايبة عنه
في حكومة دلهي بعجزها وراعاها انها الافخم واحسن اولاده في ضبط وثبات ميزان الحكومة

الحكومة والاعمال ولما صار خلع اخوها بسبب انهماكه في الفجور وقلة الادب تقلدت هي
زمام المملكة وكانت اكبر اولاد التمش ومن المحتمل انه بسبب ما كانت عليه من درايتها باعمال
المملكة وحسن سياستها ومهارتها وذكاء عقلها صار انتخابها للسلطنة بدلا عن اخيها حاكم
اوده وكان في هذا الوقت قايم بالسلاح تحت العصيان فاثبتت لنفسها في مدة سلطنتها
درجة انتخابها للسلطنة وساست الحكومة ودبرت اعمالها وقوت قوانينها وشرايعها واحدثت
كل سعي واجتهاد ليقع من ناس ينتهزون الفرصة في شأن منافع انفسهم عند ضعف النساء و
كانت تجري كل يوم مراسم احتفالات وراجعت قوانين ابوها وسارت في الاعمال على منوالها
وكانت صرف النظر عنها في ظرف المدة القصيرة التي سلطن فيها اخوها ووجهت التفاتها
نحو العدل وحسن المعاملة مع الاستقامة وعدم الاغراض والمحاباة ثم تألف اتحاد قوي عليها
فاحبطت حركته وابطلت اغراضه ومقاصده بحزمها ورأيها وقوتها وكذلك تشكل اتحاد
قوي من راجات الهندو عليها فاخمدته وهدمته ودبرت احوال رعاياها وامورهم مع الحزم
الكامل في كافة الاعمال واجتهدت في مداواة وتسرية الحواس المجروحة عند رعاياها حتى
جذبت الى محبتها قلوبهم الا انه في اخر الامر وجهت راضية وجهها للذلة والاهانة المتلاحقة
في ابناء جنسها من النساء وعشقت مملوكا حبشيا اسمه جمال ورقته الى اقصى درجات المناصب
فتولد من ذلك الغضب والحنق في قلوب كبار مملكتها وامرائها وكان ذلك سببا في اشتعال
ثورة مهولة ولو انه في الابتداء حصلت مقاومة الثائرين غير ان هذه الثورة صارت فيما
بعد مهولة وحتما صار اخوها بيرام راس هذه الثورة وكان مستحقا بالطبع لوراثة التخت
فانهزمت الملكة الجليلة المتقلدة ازمة المملكة الاسلامية الهندية واودعت في السجن وجلس
اخوها الاصغر على التخت ثم انها فتنت بجمالها واحدا من اشراف قومها وكبارهم وتزوجته
فكانت نتيجة هذا الزواج ان صار له طاقة على جمع جيش وقدم له الكثير من الروساء المشهورين
بين القبايل المجاورين طاعتهم وخضوعهم واحترامهم وجمعوا قوتهم في جامعة واحدة
وزحفوا على العاصمة وخلصوا راضية من سجنها وسارت مع زوجها والتقى الجيشان بالقرب
من دلهي وانتشب بينهما حرب شديد سفاك فانهزمت الملكة راضية وهربت الى قلعة
بيطنده ومن بعد مدة قليلة اجتمع اصحابها مرة ثانية واتفقوا على اجراء حركة جسورية
وهي القبض على تاج المملكة فكانت نتيجة هذه الحركة هزيمتها ووقع القبض على الملكة وزوجها
وقتلهما الى ثلوث الذين لا يفترون عن ارتكاب الاثام والجرايم وكانت مدة سلطنة راضية
نحو ثلث سنوات

سلطنة بيرام بن التمش

ثم انه في مدة ما كانت راضية بيجوم في قلعة بيطنده جلس اخوها بيرام على التخت في سنة
١٢٤٠ بعد الميلاد وفي السنة التالية وصلت الاخبار الى ديوان دلهي بان الخطر الذي كان
متوقع وقوعه من مدة قرب اوانه الان ووصل الى الابواب وذلك ان جيوش المغول تحت
قيادة جنكيز خان حاصرت لاهور وخرجت عساكر لاهور عن الطاعة ومن ذلك هرب حاكم
لاهور ليلا وهو سائر في طريقه الى دلهي واتى العدو تغلب على لاهور ونهبها وحمل في الاسر
الوف من اهلها فاصدر سلطان دلهي بيرام امره بعقد مجلس عام صار الاتفاق فيه على
ارسال الوزير وكبار الضباط الذين لهم خبرة بالحروب نحو لاهور من اجل مقاومة حركات
المغول وصدها وما كان هذا السلطان المنحوس في يقظة مما هذا الوزير في الد عداوة له وكان
قام عليه في ثورة من قبل بقليل عوقب بعد ان رحل جيش دلهي بانجاب ووصلوا الى نهر
الخم المشهورة في هذه الارض وهو نهر بياس الواقعة عليه الان مدينة سلطانبور
ابتدا الوزير الملعون في بذر بذار الغباوة والغضب في قلوب الضباط ولاجل تسهيل
غاياته ومقاصده في خلال هذه المدة كتب في السر مكتوب الى الملك يشكو فيه نفور وثوران
عدة من الاشراف ويطلب منه اما ان يحضر بنفسه الى المعسكر ويتولى امر قيادة جيشه او
يصدر له امر من عنده بتقليده شوكة قوية حتى يتمكن بها من عقاب الخاينين فلو ان الملك
كان مرتابا في صداقته واعتماده على وزيره الا ان هذا الوزير المخادع المكار اغراه باقواله
في مكتوبه على ان مال الى الاعتماد والوثاقة به من سوء حظه ووثق بهذا الوزير المهين وتوقف
كاملا واجابه بيرام ردا على مكتوبه ان الضباط الذين يستحقون العقاب يرجع الوزير
توقيع حكم العقاب عليهم فان الملك يامره ويوصيه باخذ الاحتياطات الكبيرة في المحاذرة
الى ان يسكن غضبهم ويطمئنوا في انفسهم وامورهم ويبدا لهم صرف النظر عما فعلوه من
الجنايات وما جنوه من الذنوب والعيوب ثم يجري توقيع العقاب عليهم من دون ان يلتفت الى
عواقب غير محموده او نتايج مذمومة فاظهر للضباط هذا الامر فما حصل عندهم ادنى شبهة
فيه واشتعلت فيهم نيران الغضب وهيجهم اللعين في النفور من ملكهم وضلهم عن طريق الرشد

والاصواب وملأ قلوبهم بالخوف والرعب من جراءة الملك عليهم وعلى نفسه وصاروا في اردى حالة من الاهانة
الملك ومن بعد مداولات ومجاورات فيما بين بعضهم عزم الضباط الذين وقعوا في ورطة مع الوزير
على انه يتحدوا معه على الملك ومعاضدته عليه فتحصلت اعتبار هذا الاتحاد الى ازالة الملك الا ان
الوقت كان مضى وفات واشتغل ابن الحرام اشغاله وبدل ان يسير هذا الجيش نحو العدو عاد
من حركته نحو العاصمة فلما وصل امام اسوارها رابط لحصار عليها واستمر اهل المدينة ومن فيها
مدة ثلاث شهور والضيف واقفين في صدا قذائف ما ملأ في الحرب هم وملكهم وفي اخر الامر لما ضعفت
حالتهم ووهنت شوكتهم وفرغت موونتهم ابتدا النفور فيهم ايضا وفي شهر مايه سنة ١٢٤١
بعد الميلاد صارت المدينة والملك حيدره لهذه القوة العاصية وجروا الملك المحبوس من فوق
تخته واودعوه في السجن وما بعد مضي بضع ايام شرب كاس حمامه فما بعد سلطنة مدتها قليلة
في غاية من الارتباك استمرت سنتان وشهران ثم تولد من الفوضى والقتل والارتباك الذي
حل في عموم جهات المملكة بسبب ضبط المدينة والملك المنقصة لا قرين كما قيل في المثل المشهور
مصائب قوم عند قوم فوايد او وذلك ان احد الجوريين اغتصب طريقه الى داخل السراية واصدر
من عنده امرا باعلان نفسه ملكا فكان ملكه قصيرا جدا وعجب الصباح على جلوسه على التخت و

سلطنة علاء الدين مسعود

اسغرائه وبشهم لخليفته على التخت علاء الدين مسعود وكان علاء الدين من العائلة الملوكية
غير انه ما كان ولي عهد السلطنة وكان الوزير ما زال متمكنا في نفوذه وسلطته الى ان حاق
به وبال امره من بعد مدة قليلة كما اقتضته الارادة الالهية والحكمة الربانية وقتل شر
قتلة مذبوحا مذموما ممقوتا باغراء من الاشراف فانهم ما بقي فيهم جلد ولا صبر على تحمل
اعبا كبره وطاغوته وسفاهته وجرائمه وفي هذه السلطنة غار في سنة ١٢٤٤ بعد الميلاد
جيش من مغول التتار على بنقاله من طريق الخطا والبتبت فارسل مسعود قوة لمساعدة
طوغان خان حاكم بنقاله فهزم المغول شر هزيمة وردهم على اعقابهم ناكصين على ادبارهم
وفي السنة التالية غار جيش اخر من المغول من نواحي قندهار والطالقان وزحف حتى
وصل نهر السند وحصر قلعة غوكا فساق الملك مسعود جيشه تحت قيادته شخصه على التتار
فلما وصل الى شواطي نهر بياس رفع المغول الحصار وشرعوا في القهقرة وانجلوا بالكلية عن
البلاد واراح الله منهم العباد ثم ان الملك مسعود صار خلعه من على تخته من بعد سلطنة لبثت
اربع سنوات بسبب غضب رعيته عليه من كثرة ادمانه على الشراب وانهماكه في الفجور والموبقات
وجلس مكانه على التخت عمه ناصر الدين محمود وقيل ان المغل كرروا غاراتهم على بنجاب
مدة تكونه واربعون سنة اي من سنة ١٢٤٤ الى سنة ١٢٨٨ بعد الميلاد وكذا دعر
متوحشي القبايل الهندية مثل الجيكوريون واهل الجبال من مالوه والاراضي الواطية الاخرى
حتى وصلوا في تدميراتهم الى العاصمة تقريبا

سلطنة ناصر الدين محمود

وكان ناصر الدين محمود ابن السلطان شمس الدين التمش وكان ابوه عينه حاكم بنقاله
وعند موت ابوه اعتدت عليه اخته الملكة رضية وسجنته ولما خلعت من سلطانها خلص
هو ايضا من سجنه وكان حاويا لجاموت الفضايل وبها جلس على تخت دلي وفي مدة ما كان
مسجونا رفض قبوله المعاش الزهيد التي رتبته له اخته وعائلته وصار يقتات من نسخ
مصاحف وبعض كتب علمية يتعيش باثمانها فلما خلص من السجن بامر ملك صاحب همة
ومروءة احسن عليه بحكومة صغيرة فاظهر فيها معلوماته وبراعته وشجاعته ودرايته في تمكنه
بالاعمال العسكرية والحركات الحربية واشتغل بالحروب مع الهندو واظهر العدل والسياسة
والادارة اللازمة ومن ابداع وسرعة تقدمه الاقليم الحاكم فيه انجذبت قلوب الناس الذين
قاموا في الثورة الاخيرة اليه واعتمدوا عليه وعلى عقله وحزمه حتى انه عند جلوسه على التخت
قوبل بالتبجيل والاجلال والرضا العام فطابت اعمال الناس في اي حالة من الاحوال
وقال فرشته انه كان محب للعلم واهله حافظ لقدره كهف الفقراء والمساكين وفي وقت
ما عين وزيره الى وظيفته العالية قال له انه معتمد على شرفه في طاعته له وحسن سلوكه
وانه لا يلزم عليه ان لا يشتغل بما لا طاقة له على المجاوبة عليه عند الله وفي سنة ١٢٤٧
بعد الميلاد برز الى ميدان الحرب وسار في راس جيشه نحو مولتان ومنها اوقع مصايب العذاب
والعقاب على الجيكوريين بسبب ما هو واقع منهم من الفساد ومساعدتهم غارات المغول
واخذ منهم الوف من رجال ونسا وامر ببيعهم في الاسواق وامتنع عدة من قدما الاشراف
كانت تحت ايديهم اراضي التزاميه في بنجاب عن تقديمهم العوايد التي كانت جارية عندهم
من ذخاير ومؤن للجيش فجردهم من الغابات شرفهم وارسلهم الى دلي وسجنهم فيها ومنع

ومنع اخذ عاداتهم او التزاماتهم او ابعدهم او اقاربهم على شرط ان يؤدوا العوايد اللازمة
للجيش حسبما كانت عليه في العهود السابقة وبواسطة هذه الاعمال السياسية والاشغال الشديدة
صارت ايالتي المولتان والبنجاب في درجة عظيمة من الانقياد للطاعة وثبتت فيهما حكومة
الملك ناصر الدين محمود وفي سنة ١٢٤٧ بعد الميلاد ساق جيشه نحو ارض الدوواب بين نهري
الكنج وجومنا وتغلب على قلعة بيطنده من بعد حصار شديد ومقاومة عنيدة وهي الان
بندرشهر وسار في تقدمه في حركاته فالتقى في نواحي كورّا اثنان من الراجات جامعا له
قواها سويا عليه فهزمهما ونهب بلادهما وجاس خلال ارضهما واسر عدة من عائلاتهما
وكانا قبل ذلك تغلبا على كافة الاراضي الواقعة في جنوب نهر جومنا ونهبا بلادها
وافسدا ارضها وهي قسم من اراضي ممالك دلي ودهرا محافظات الملك من مالوه الى كورّا
فكانت هذه اسباب هذه الحرب وفي سنة ١٢٤٩ بعد الميلاد سار في راس قوة عظيمة الى
مولتان وكان سببه انه عين حاكمان في ناجور وغوكا وفي السنة التالية اجتهدا
في نقض بيعته وخلع طاعته فهزمهما شر هزيمة وارغمهما على ان يطلبا منه عفوه وكرمه فعفا
عنهما واعادهما الى حكومتيهما ثم بعد هذا وجه عزمه واليقاته نحو عقابه واحد من ملوك الهندو
اسمه جاهير ديو كان عصى عليه وحصن قلعة نوورد تحصينا قويا واستعد لحمايتها على
افرامن فيه ولما قرب الملك وعساكر المسلمين منه سار لملتقاهم مع الجبارة في راس
٥٠٠٠ حصان و ٢٠٠٠٠٠ مقاتل من المشاة فهزمه الملك ناصر الدين وسلم القلعة من بعد حصار
قصير ثم فتح شنقري ومالوه واقام فيهما احكامه وعين لها حاكما من طرفه وفي هذا
الوقت صد نائبه حاكم لاهور ومولتان هجوم مهول وقع في جهته من هجومات المغل وفي
نحو غلوق سنة ١٢٥٧ بعد الميلاد عبر جيش من المغل نهر السند ثم تقهقر عند قرب الملك
منه وفي سنة ١٢٥٩ بعد الميلاد تشكل اتحاد من الراجات ومن الراجابوتيين في حوالي
وجمعوا قوة عظيمة ونهبوا البلاد والاراضي المجاورة لهم ولما قرب منهم عساكر دلي تقهقروا
والتجأوا في القلاع الحصينة في جبال سيوالك وكذا في نواحي رنطنبهور وكانوا
حاصروها ومن بعد مدة قليلة نزل الراجابوتيين من معاقل جبالهم وهجموا هجوما
شديدا على المسلمين المتغلبين على بلادهم وصدهم المسلمون على ادبارهم خاسرين وطردوهم الى
جبالهم مع كثرة القتل والاسر فيهم وقتلوا الرؤسا الذين وقعوا في الاسر وباعوا الباقي
من الاسرى في الاسواق ومن اغرب ما وقع في اواخر سلطنته من الاعمال السياسية المدونة في
تواريخ الامم ان سفارة وصلت الى ديوان دلي من ديوان فارس فخرج الوزير لمقابلتها في
خمسين الف من الخيالة راكبين على خيول عربية في اجود هيئة واعظم حالة مجملة في الملبوس
والتطعيم والفين من الفيلة وثلاثة الاف نفس من العرب حاملين اثقال الالعاب
النارية ووصل السفير الفارسي بهذه الحالة الجليلة في المدينة وسار من وسط شوارعها في وسط
الخيول العربية الحربية في ابهة وطنطنة حتى وصل الى سراية الملك وكان الديوان مرتب
ومنظوم في احسن منوال حاضر فيه كافة الاشراف وحكام المملكة والقضاة والمفتيين
او المفاتي والعلما وكبار الناس واعيان المدينة وكل واحد جالس في محله المعد له خلاف
خمسة وعشرون ملكا من عراق العجم وخراسان مع حواشيهم وخدمهم وكثير من الملوك الخراجية
الهندية كانوا حاضرين في يوم هذا الاحتفال وجالسين حول تخت الملك ومات هذا
الملك الذي ما زال اسمه باقيا في غاية من التعزيز والتبجيل في سنة ١٢٦٦ بعد الميلاد من
بعد ان شاهد سلطنة سنية بهية لبثت عشرين سنة وفي مدة جلوسه على هذا التخت الشرفي
المفتخر الباهر كان زاهدا متقشفا يصرف عموم الايرادات الواردة في خزينة المملكة في
لوازمات المملكة واحيانا جائزتها لا غير واستمر على اكتساب معايشه بنفسه وبيده من كتابة الكتب
وبيعها وكان يكتب منها دون الطفيف الكافي لحاله رجل فقير وما كان مثل غيره من
الملوك والسلاطين سرايته ملآنة بالجواري والسراري بل كان مقتصرا على زوجة وحدها
والزمها باشغال بيته وخدمة نفسه حتى ان الملكة عندما احترق اصبع من اصابعها في مرقة
الطبيخ وسالته خادمة لها تساعدها في الطبخ وفي اشغال الخدمات المهنية في البيت لم يقبل طلبها
ورفض قولها ومن اظرف النوادر انه اورى بعض من الكتابة الذي كان مشتغلا بها على الدوام
في كل يوم في كتابة مصاحف القرآن لواحد من الامرا كان عنده من المحترمين فاشار له على

سلطنة غياث الدين بلبان

ببعض كلمات وقال انه خطأ فتشوش الامبراطور في الوقت ولما خرج الامير من عنده عاد حالا
اصلح ولما سئل عن السبب قال ان الالفاظ كانت صحيحة الوضع الا انى ما رغبت ولا احب
انه رجلا قليل القدر مثل هذا يتفطر من قولى لان هذا خطأ منه
وكانت مدة الحكومة الطيبة العظيمة لسلطنة ناصر الدين محمود الذى سبق ذكره مقصورة في اتخاذ
الاحترازات الضرورية في انتخاب الوزير وكان هذا الانتخاب هو اصل هذه السعادة ودوام
استتباب راحة الملك والرعيه وكان الوزير الذى انتخبه الملك لنفسه اسمه بلبان ولقبه غياث
الدين وبسبب ما كان عليه هذا الوزير من الحزم والعقل وتدبير الاحكام والعدل صار معززا
مقبولا عند عموم الناس والحواشى والاطراف ومن ثم بمجرد موت الملك ناصر الدين وما كان له
عقب يخلفه في ملكه فاحتل غياث الدين محله وجلس على تخت المملكة من دون معارضة او منازعة
ومن النادر ان غاصبا يصعد على تخت مملكة ما دون ان يعرف نفسه في هدر الدماء والقتل
الا هذا الوزير الاانه كان واحد من ضمن اربعين رئيس تركى اشتركوا مع بعضهم في تقسيم
المملكة فلما تعين للوزارة وكان ملوكا ايضا حل عقدة منهم وبعد عتقهم ومن بعد ان جلس
على التخت حفظ سلامة نفسه منهم فقتل بعضهم بالسيف وبعضهم بالسم ومن بعد ما اوطد
بهذه الجريمة سلامة نفسه وحياته منهم وكانت فاتت العبرة والحد في ابدائهم عليه ما ارتكب
يده مرة اخرى في هدر دما وسفك ارواح بل اقام العدل وسلك طريق الرأفة واللين
وجذب قلوب رعاياه للمحبة واجرا اجراآت عادلة ما فعلها اشهر الملوك قبله الذين حكموا
في الهندوستان وكان بلبان ايضا من طائفة الملوك المماليك وكان المغل قبضوا عليه
وارسلوه الى بغداد وباعوه لاحد تجار البصرة فلما عرف هذا التاجر انه من اقارب السلطان
التمش توجه به الى دلهى واكتسب في نظير ذلك مكاسبه جمة من شمس الدين التمش ورقته
مهارته وجودة قريحته في اقرب مدة الى درجة القيادة في العسكرية ولما صعد امر السلطان
بيرام جهرة كان بلبان احد الالات المؤثرة الفعالة في خلع الملكة راضية وتولد من
حصول الدمار والخراب في اسيا الوسطى من قبايل المغل وجيوشهم طردا ما منهم جما غفيرا من
الملوك والايمة والشعرا والفقها فمن راى هولاء محلا يلتجئون فيه الا الديوان الهندى فكان
يوجد على مائدته ما لا اقل من خمسة عشر ملكا كانوا مستقلين في سلطنتهم يأكلون من
خيراته ويتلذذون بنعم الايلة وسمى شوارع دلهى باسماء ممالكهم التى كانوا ملوكا فيها مثل شارع
بغداد وشارع خوارزم وشارع الغور ولما جلس على تخت السلطنة غير بالكلية الهيئة
التى كان عليها الديوان في مدة سيده واعاد كافة الرفاهيات التى كان عليها اسلافه وكان
يظهر للعموم في هيئة جمال وابهة تذهل العقل ما كان لها من مثيل في الشرق واشتغل على
التدريج في جذب قلوب رعيته اليه واسكن الملوك الذين وفدوا عليه هاربين من المغل
وما خلفا جنكيزخان وكان من جملتهم اثنان من اولاد الخلفا في اماكن واسعة فسيحة
لا يليق بمقامهم واحترامهم واجرى عليهم كلما يمكن به ان ينسوا ما حصل لهم من سوء الحال ونكث
الطالع وكانوا يصطفون في مجلسه حول تخته مظهرين اجل احترامهم له وكانوا جلبوا معهم
الجم الغفير من العلما والشعرا ومهرة الناس واذكاهم الذين كانوا متزينين بهم دواوينهم
ومصالح اشغال دولتهم فنشر الملك غياث الدين بلبان على كل هولاء سحايب سخاه وكرم
وبذل جهده في اسداء الخيرات والمعروف والمنة والمرفة عليهم التى من المحتمل انه لا يمكن لملك
غيره اجراها ولا فعلها ورعى العلما والايمة واهل الادب وانتدب الفنون والعلوم
من الاطراف القاصية من اسيا الى ديوانه وبذل جهده وفعل ما في طاقته في حض وحث
الشيخ السعدى رئيس فارس في العلم والادب والزهد في حضوره عنده وان يترك رحاب
شيراز فما نجح في هذا السعى ورضى ولدى الملك وهما شهيد وقرة في مباريتهما لا بيهما
حتى جعلوا ديوان الهند من اجل نظام واعظم صلاح وتهذيب وابهة في كامل عموم
المعمورة في ذلك الوقت وكان شهيد يجمع كل ليلة في سراية مجلس من الايمة اهل الدين
والفلاسفة وكان رئيس هذا المجلس الشاعر شيزرو واما قرة وهو البرنس الصغير فكان
مجلسه الاوليه واهل الالعاب والحكايات والمطربات ومما تم حاز الانسان معلومات
وادراكات وتنور في العقل وصار على نجابة وبراعة تامة وفي وسط هذه المظاهر الجليلة
ما كان بلبان يقصد الغرض في كونه يكون رجلا فانما حتى انه لم يغفل الفرصة التى سنحت له
في وقت وفد عليه يعرف فيه ممالكه ويوسعها مع ما كان عليه من المحافظة على رعيته مع غاية

غاية الشدة والعنف من كل شقى يتعدى ويجور عليها وهزم راجا بوث مواز فقتلوا واسراوكان
قد تولد من غاراتهم وسلبهم خراب عظيم من المملكة حتى تركه اهله وهاجروا منه فلو انه
لم يمكنه اخضاع هولا الاشقيا الاقويا اولاد الصحرا فانه امر بتنظيف اوزمان واسع
كانوا يهربون ويلتجئون فيه وانشأ خط قلاع من اجل المحافظة على الاقليم حتى جعله في اقرب
وقت قابل للزراعة وذاق المغل من سلاحه وعساكره اشد المصائب والالام وقتل طغرول
كان حاكم بنغالة وكان اقام بيرق العصاوة عليه وهزم جيشان ارسلا اليه وافنى
تقريبا راجا بوتى مواز وهى واقعة في جنوب دلهى وقتل منهم غاية الف بالسيف ومات غياث
الدين بلبان في سنة ١٢٨٦ بعد الميلاد في السنة الثمانين من عمره وتسلطن احدى وعشرون
سنة وعد المسلمون مدة سلطنته من اجل العصور وافخرها في الهند
وكان شهيد بن بلبان الابن الكبير الاكثر علما ونجابة مات قبل موت ابوه ولما مات
بلبان كان قرة ابنه غايب في بنغالة وكان حاكما فيها ومن ثم جلس كيقباذ بن قرة على
تخت المملكة بما انه ما كان يمكن ترك التخت خاليا لحظة من الزمن فكان شابا نجيبا مؤملا فيه
الخير والبركة شرب مما شرب به اهله لكنه بمجرد جلوسه على التخت ترك ما كان عليه من الصفات
الجليلة الحميدة ووجه وجهه نحو الرفاهية والخلاعة وترك ازمة الحكومة في يد شخص اسمه نظام
من احقر واخبث الناس المعروفين في نعمته فجار وظلم الرعية وقتل كل مجتهد في معارضته في جوره
وظلمه وفي هذه المدة كان قرة مكتفيا في نفسه بحكومة بنغالة ومحافظا على ما كان عليه من
عهد ابيه فراعه وازعجه ما بلغه من الاخبار والاقوال في قبح سلوك ابنه كيقباذ ومن المحتمل
انه ما كان يرغب ان يتقلد زمام سلطنة مملكة فلما تحقق له الانحراف الذى فيه ابنه طريق الغى
والفساد جمع جيشا ضخما وسار به الى بهار فقابله الامبراطور ابنه في كامل قوته وعدته على
شواطى نهر جوجره فتحركت في جسم قرة الحمية الابوية وارسل رسولا الى ابنه يستعطفه
ويقول له انه من قبل الدخول في الوقايع الحربية وانتزاعها بسفك وهدر دما يجب الاب
المقابلة مع ابنه والاتفاق معه على راى فاصل حسن فوقع الاتفاق مع هذا وانتفخ كيقباذ
في كبريائه وعظمته وجلس على تخته الامبراطورى في اجل عظمة واعظم ابهة واما ابوه قرة
فانه بمجرد قربه منه التزم على تقبيل الارض ثلاث مرات امام ابنه طاعة وتعظيما له وزعق
حاجب صولجان الامبراطور باعلا صوته ارسل الشريف النجل قرة السلامة والعافية لملك
الدنيا فلما راى هذا الملك الاختيار نفسه عرضة لهذا الذل والهوان سكب عبرات دموعه
على خدوده ولما نظر كيقباذ ذلك الاب والده تحركت فيه حاسية الحمية الابوية ورمى بنفسه من فوق
تخته على اقدام ابيه وطلب منه العفو والسماح فرفعه قرة من فوق الارض وحضن الاب ابنه
وسكبا عبرات دموعهما مع خدودهما واتفقت بينهما المحادثات الحبية الابوية وبعد مدة عشرون
يوما اتفق الاثنان في اثنائها على ان كل واحد منهما يكتفى بما تحت يده من الاستحواذات
والاملاك ونصح قرة ابنه كيقباذ في تغيير السير القبيح الذى هو عليه وان لا يعتمد على نظام
ولا يثق به ويبعد عن ما هو فيه من الترفه والخلاعة والفجور ويلتفت الى ادارة اعمال مملكته
ويجتهد في اصلاحها فوعد كيقباذ ابوه باجرا وتنفيذ كل ما امره به واشار به عليه ورجع في الحال
الى دلهى عازما على اجرا نصايح ابيه خيرا عليها مدة قليلة من الزمن فجمع له الوزير الملعون كل
سحر وفتان وكل جميلة من القينات الموصوفات بالحسن والجمال حتى ان الامبراطور ما كان
عليه من السكر والفجور في الان فضعفت صحته وازدرى بحالة رعيته وصار للمغل في مدة
سلطنته شوكة كبيرة ويد قوية في ديوان دلهى وما كانوا قبل سلطنته لهم شهرة او ذكر
او فعل شيء في الاقاليم الشمالية من الهند وصار لهم طاقة على اجرا اشغال انفسهم بعيد قوية
كبيرة ومع هذا فكانوا في اتحاد وجامعة تامة مع العايلة الملوكية فلما تحلل عقل الملك كيقباذ
وضعف امره وزاد فجوره ولهوه دبر الامرا من المغل الامر قتله بينهم وجعلوا السلطنة لابنه
وكان طفلا عمره ثلاث سنوات وفي هذه المدة ما كان يوجد في دلهى رجل له شوكة وقوة
وباس اكبر من امير اسمه فيروز من عايلة خلجى وكان قايد الحزب الوطنى وصدر امر الملك بنفى
كافة المشهورين من الوجوه الخلجية فقاموا على الملك فقتلوه واجلسوا على التخت فيروز هم
ومن بعد قليل قتل الملك الصغير وبقتله انقرضت عايلة المماليك في سنة ١٢٩٠ بعد الميلاد
من بعد سلطنة مكثت اربعة وثمانون سنة وفاخت من بعدها العايلة الخلجية كما سنذكر
ذكرها من اول الصحيفة الاتية والله المستعان وعليه التكلان

ملوك العائلة الخلجية
من سنة ١٢٩٠ الى سنة ١٣٢٠ بعد الميلاد

كان الخلجيون تاتار الاصل منذ اسلافهم الغوريون وكان جلال الدين فيروز في سن السبعين من عمره في الوقت الذي ملأ فيه يده من دم مليكه وابن مليكه وجلس على التخت فلولا ان هذا الرجل الغاصب لطخ نفسه ووسخها بهذه الدماء الان اعمال العبيحة المذمومة تمهدت بما حصل منه من لينه ولطفه في الاعمال والسياسة التي دبر بها قواعد المملكة ولما حفظ مركز موقعه بحسن سلوكه وزكاء عقله تاسف والتزم على ما كان وقع منه من فعله واعتنا له بعكسه وادى واجبات الاحترام الى اسلافه عند ما قام واصدر من اعضا البيت الملوكي الذي انقطع دابره واجتهد في عود سعادة البيت القديم على ما كان عليه ولكان سعيه واجتهاده على غير طايل وعفى عنه فيروز وانعم عليه بايالة يحكم فيها وكان جلال الدين فيروز محبا للعلما والعلم وحايز اصفات المروة والهمة العالية وصاحب كرم وخيرات واحسانات وفي اول سلطنته غار مايه الف مقاتل من المغول على الهند وسنان فاف عليهم حيث تحت قيادة نفسه لمقاومتهم وتمنعهم ومن بعد واقعة صعبة شديدة عنيدة انهزم المغول شر هزيمة فما اجتهد في وقت هذه الفرصة التي سنحت له ان يوقع بالمغول ويصب عليهم صوت العذاب بل فعل بالعكس ومنحهم السلم والامن والامان وسمح لهم بالانسحاب والخروج من ممالكه فبسبب ما وقع منه هذا اللطف واللين وبما كان له في مطمع كلا جسورا مجازف وشجاع الكتاب ميدان هذه الصفات الجيدة قطع المغول الامل من عودهم لديارهم بعوادهم ودخل اوغلي خان حفيد جنكيز خان مع ثلاثة الاف من اصحابه في خدمة جلال الدين فيروز ومن بعد قليل زوج الملك بابنته وحضن المغول الدين الاسلامي ودخلوا فيه جميعا وشيدوا لاقامتهم مدينة معروفة بمدينة مغولپور وكانت اشهر حادثة وقعت في مدة هذه السلطنة هي انتشار الجيوش الاسلامية اول مرة في الدكهن اي الهند الجنوبية في سنة ١٢٩٤ بعد الميلاد وسببه ان علا الدين ابن اخو جلال الدين فيروز الملك المتسلطن كان حاكما في نواحي كورة وعاصمة هذه الجهة اسمها ايضا كورة واقعة على نهر الكنج وعلى الطريق الموصل من اله اباد الى كانپور وعلى مسافة اربعين ميلا في الجهة الشمالية الغربية من اله اباد فطلب من عمه رخصة الهجوم على هندو بيلسا الواقعة على مسافة ٣٠٠ ميل من اقليمه وكانوا افسدوا في اقليم حكومته فسمح له في ذلك من دون بطء عليهم عابرا سلسلة جبال وتدهيا فاخضعهم وعاد محملا باثقال غنايم واسلاب جمعها من نهب معبد ومدينة بيلسا وارضها وبلادها وارسل منها جانبا الى الملك عمه في صورة هدية فانشرح صدر الملك من سير وسلوك ابن اخيه وما حصل له من الظفر في هذه الغزوة فضم الى حكومته في تطير ذلك اقليم اوده ولما بلغ هذه المنزلة الرفيعة عرض على الملك انه موجود على مسافات قريبة من ارضه بعض من الراجات في سعة كبيرة من الاموال والذرة فان سمح له الملك فانه يخضعهم لطاعته ويفتح مدائنهم واراضيهم في مدة قليلة وكانت لذة الاكل وحلاوته تمكنت في جسم هذا الملك العجوز فسمح لابن اخيه فيما اعرضه عليه ورضي له بالحركة وبنا على هذا ابتدا علاء الدين في سنة ١٢٩٤ بعد الميلاد بالاستعداد للفتوحات بعيدة الشقة والغالب على وجه الظن انه كان يرغب تشييد مملكة جديدة في الاقاليم الوسطى من البعيد جزيرة وربط علاقاته مع الكثير من الرؤسا المشهورين الذين كانوا منتمين الى البيت الملوكي السابق وسار بجريدة في راس ٨٠٠٠ حصان من اجود الفرسان والخيل ومن اقرب طريق واقصرها مغايرا على راجا الدكهن او الهند الجنوبية وكان يسمى راجا دينو اموال وخزاين وذخاير مجموعة منذ ازمان مضت من عهد الملوك القديمة اجداده فلولا ان علاء الدين قوبل باعظم مقاومة في حركة مغارته الا انه كان ناجحا مويدا منصورا في حركته وقبل من وجه اخر ان علاء الدين بعد ان حرب نفسه وعسكره مع ملوك هندو يتركنده ومعلومه نصورا انصبابا في عقده على اجرا مغارة كبيرة على الدكهن فرمى سترا منه قليله مؤلفه من ٨٠٠٠ حصان كما سبق ودخل في الهند الجنوبية واظهر انه هربانا من ديوان عمه وانه جاري التفتيش على خدمة لنفسه تحت يد ملك الهندو راجا مهنديري ثم مما حصل من ملوك الراجات ادنى هجوم او تفكير بكدر بخاطر رجل يبحث عن سلامة نفسه في مدة هربه وخشوا عاقبة الفضيحة والعار فهجم علاء الدين بخيله على مدينة دوغيري الكبيرة المعروفة الان باسم مدينة دولت اباد ودخل على حين غفلة في شوارعها واعلن نفسه انه طليعة او مقدمة للجيش الملوكي

الملوكي وكانت هذه المدينة في ذلك الوقت عاصمة مهاراشترة مملكة الهندو فضبط تجارها وبراهمتها وصفعهم تحت العذاب الشديد من اجل اعترافهم بالخزاين والاموال والذخاير المخباة عندهم او لهم دراية بمحلات وجودها ولما استلم من الراجا مبلغا قيمة ما بين اثني عشر الف الى خمسة عشرة الف وزنة ليرة من الذهب غير ما اخذه من الكميات الوافرة من اللؤلؤ والجواهر والاحجار الكريمة وضبط الفيلة التي كانت في اسطبلات الملك اخلى سبيل اسراه واتفق على انه يتخلى عن المدينة من بعد مضي خمسة عشرة يوما من دخوله فيها وجد لنفسه في ظرف هذه المدة عمل في فتح معاهدته ووعده وجمع مبلغا جسيما وحاز في الارض قدما ثابتا بالملك زل له عن المدينة ومحافظتها قريبة فيها من فقط كافية وقال مؤرخو الاسلام انه يندر حصول حادثة مثل هذه الحادثة سواء كانت في قصورا امرها وجسارة اجراها او في السعادة العظيمة والاموال الجسيمة التي حازها علاء الدين في هذه الغزوة ولما سكر علاء الدين من مدام كثرة الاموال والظفر وما حصل له من الفوز والنصر اشتعلت نيران شهواته النفسية وكانت احدى هذه الشهوات عزمه وتعويله على دمار وهلاك المرخص له في اعماله وجمع امواله عمه جلال الدين فيروز ومع ما بلغ الملك من انذار الاقربون له ومن اعز اصدقائه واحبابه فانه جعل نفسه في قبضته من دون مانع ولا مدافع ووافى كاس حمامه وبطش به مما كان اقرب الناس اليه واعز هم عليه واهدر هذا الدم الملوكي في حب الاستحواز على تاج والجلوس على تخت وكان قتله في سنة ١٢٩٥ بعد الميلاد

ومع بعد موت جلال الدين فيروز خابت المسعى والاجتهاد في جلوس ابنه على تخت ابيه وبذر علاء الدين ما غنمه من الاموال والاسلاب في الهدايا والانعامات والصدقات ومع هذه وهوزته للمهارة الشائعة في الاعمال العسكرية والحركات الحربية افتتح لهذا القاتل عديم المروءة والرحمة طريق باب السلطنة وهرب ابن جلال الدين فيروز والملكة الارملة امه والتجوا بملتان احتمى بها ودخل علاء الدين الغاصب مدينة دلهي متوجا بتاج النصر والملكة ولما جلس على تخت المملكة وكان قد فتح في مدة قليلة الاراضي التي سبق ذكرها في الهند الجنوبية ارسل وزيره كافور لفتح الكرناتيك والممالك الاخرى الجنوبية وكان كافور مويدا منصورا في حركاته واعماله وحاز غنايم واسلابا قيل ان قيمتها بلغت مائة مليون ليرة وتفصيل ذلك ان العشرين سنة التي تسلطن فيها علاء الدين جعلت للمسلمين سلطنة قوية في الهند الجنوبية فانه فتح اقليم الجوزرات وتغلب عليه من الهندو في سنة ١٢٩٧ بعد الميلاد وضبط مدينة رنتمبور من بعد حصار ثقيل صعب من راجابوت جايپور في سنة ١٣٠٠ وفتح قلعة شيطور واخضع راجابوت سيسوديا في سنة ١٣٠٣ بعد الميلاد ولما اخضع بهذه المثابة الهندو الواقعين في الجهة الشمالية من سلسلة جبال ونذهيا استعد لفتح الدكهن اي الهند الجنوبية ومن قبل سفره في غزوته هذه الكبيرة التقى مع المغول في خمس وقائع او ستة وذلك ان اول جيش لهم وصل لاهور هزمه ايلك اخو علاء الدين هزيمة كلية ومن بعد مضي سنتان انصبوا في قوة مؤلفة من ٢٠٠٠٠٠ مقاتل وكانوا عولوا على فتح عموم الهند والقبضة عليها فاستمروا في غاراتهم وسلبهم ونهبهم الى ان وصلوا اسوار دلهي وهرب عموم الناس من الاراضي والبلاد امامهم وازدحموا في العاصمة ناجين بسلامة انفسهم من غارة هولاء المتبربرين فجمع علاء الدين قواه وخرج لميدان الحرب وكان ظفر الرقواده قايد جناح الايمن والفيلة فحمل على المغول بحملة شديدة حتى كسر العدو وكسره كاملة وسار خلفهم عدة اميال ولما لم يرسل اليه الملك معدات اللازمة والامدادات الكافية خرج عليه كمين من المغول واحاط به وقتل ومع هذا فان المغول ذاقوا اشد المصايب والالام حتى انهم ما عادوا للهجوم مرة اخرى وتقهقروا الى الى جهة الغرب وارسل علاء الدين الاسرى من رؤسهم وعسكرهم الى دلهي وامر برمي الرؤسا تحت اقدام وارجل الفيلة لتحطمهم بارجلها وقتل العسكر بالسيف صبرا وفي هذه المدة ايضا اخمد عدة عصاوات وثورات كانت قامت عليه من عائلته وسمل عيني اولاد اخيه وولديه الكبيرين ووضع ابنه الصغير في السجن لجري عليه مثل هذا العقاب المهول ولما غرف الامبراطور علاء الدين في بحر مظفراته شرع في اجرا اكبر مشروعات خطرت في باله وتمكنت في مخه وكانت هذه المشروعات فوق العادة اكبرها اثنان كانا معقولان عنده فالاول انه كان في نيته ان ينافس في ميدان المسابقات بينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسكندر الاكبر في فتوحاتهما وهما اسمان مشهوران واقفان فوق روس

سلطنة جلال الدين فيروز

قتل جلال الدين فيروز

سلطنة علاء الدين من سنة ١٢٩٥ الى سنة ١٣١٥ بعد الميلاد

بعموم عالم المعمورة في الشهرة والامتياز ولو انه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب فانه شرع في ان ان يجعل للناس دين جديد يجمع فيه المسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم واصحاب براهم الهندو في جامعة عبادة واحدة والثاني قصد ان يترك لنفسه نايبه في الهند يحكمها ويسير هو بنفسه مثل اسكندر المقدوني ويشتغل بفتح الدنيا المعمورة فلما فحص عزمه وافكاره على ارباب مجلسه اثنى عليه المتملقون له واما الذين عندهم احساس وعقل فانهم غضبوا من هول فكرته وعقله وخرجوا من عنده صامتين لا يتكلمون ولا ينطقون وقام علاء الملك من مجلس الملك غضبانا حزينا وكان رجلا طاعنا في السن جليل القدر محترم وكان نايبه دلهي فعزم مهما وقع له من الكرب والخطر عزما قويا على مناقضته في هذين الامرين وقول الحق عند هذا الملك المستبد المهول ولما طلبه الملك في السراية دخل في عزم قوي على مناقضته هذان الامران الزلالا اختل عقله في احضاحها ولما اخذ معه شرع في مناقضته في الامر الديني واخذته الغيرة الاسلامية والحمية الدينية المحمدية حتى اوقع الفزع الاكبر والخوف الشديد في قلب الملك وقال له انت اذا في شك وريب في كتاب الله سبحانه وتعالى واقوال نبيه صلى الله عليه وسلم وما شرع من الدين حتى تزعم ان تجعل دينا جديدا او تشرع شريعة جديدة وتامر الناس بما لا يمكن الدخول فيه من دينك وشريعتك فاما هذا الدين الذي ترغب اعماله وانت عازم عليه فيملك اجراه بين المسلمين الموجودين الان هولاء يعظمون مجدك ويرفعون قدرك واما انتقال الهندو من دينهم فهذا امر مستحيل عندهم لانهم ما زالوا الى الان وهم في مقاومات شديدة لكل غارة حصلت عليهم واما رايك وتصميمك على انك تفتح الدنيا باجمعها وتتغلب على ارض المسكونة فان استحواذك على بلاد الهند غير منتظم و ليس مامون العاقبة ومع هذا فانه ما زال فيها اقاليم وايالات ليس منها شي ما خضع لسلطانك فضلا عن انه يوجد في ممالكك الحالية جهات مشتعلة فيها الشقاق والفساد والهياج والارتباك ومن المحتمل ان المملكة تنتقل في حال غيابك الى غيرك بثورة تحصل فيها او غارة تحل بها في حال انك انت في شك من استحواذك على غيرها فما رغب علاء الدين في ابداء مناقضات قوية وتامل وتدبر فيما قاله وانذره به علاء الملك نايب دلهي وبدل ان يقطع راس هذا الحكيم العاقل المدبر الناصح له كما كان الناس ينتظرون منه ذلك اعترف له بالحق وقول الصدق وصرف من ذهنه هذين الرايين الخياليين ابدا ولما نبت في عقله انذار علاء الملك وكانت هيئة حكومته محلولة مختلة وعلى غير نظام وقواعد تدبير وسياسة وتولدت فيها تكرار عدة ثورات كانت واحدة منها اشرفت على فقد حياته فكان لهذه المواعظ والحكم تاثير مع وجود الثورات تاثير عظيم في عقله فعزم في هذا الوقت على اصلاح طريقة الاحكام واخذ الشقاق وثوران الاشراف والكبار من اهل مملكته وربت ادارة عدلية قوية حتى جعل التجار الذين كانوا في سابق الامر عرضة للسلب والنهب في اسفار تجاراتهم يسافرون مع الامن والطمانينة من بنكاله الى قابول ومن راس قومرين على ساحل الاوقيانوس الى الكشمير وامر بعدم شرب العرقي والانبذة واصناف المسكرات وكسر جرارها ورماها في الشوارع وارغم الامرا على الاقتدا بمثاله و من ثم لبثت دلهي عدة ايام غرقانة في بحور الاشربة وقلل مرتبات جباة الايراد والاموال وكانوا يجمعون لانفسهم اموالا جمة فضيق على حالتهم واستعمل الجواسيس والبصاصين ليخبروه اخبار الحوادث السرية التي حصلت في دور الرعية ومساكن الاهالي وفي الجهات البعيدة من اقطار مملكته ومنع الامرا من الاختصاص لهم بالزواج او مما عمل ولايم ودعوات في منازلهم ما لم يكن برخصة صريحة منه وجمع لنفسه اموالا جمة من غرامات ومن ضبط املاك من ادعات مختلفة فكان ذلك سببا في خراب الكثير من الاشراف والامرا الذين كانوا في ثروة وغنية وعز كامل في مملكته وقلل مرتبات الجيش وشهرياته الا انه لما راى ان العساكر يحصل لهم الضرر والاذى من تقليل مرتباتهم امر بتقليل اثمان الغلول ومواد الماكول بالنسبة لذلك واصدر امرا من عنده في شان ذلك واتخذ الاحتياطات المؤثرة الفعالة والاجراءات القوية الشديدة التي صار اجراها يقع من دون ريبة ولا خشية وخفة على الرعية وامر لاجل تقليل اثمان الخيل منع بياعها عن اي تاجر فيها الا الى اجل معلوم فخالف هذا الامر الكثير من فقراء التجار فجلد بعضهم و قتل بعضهم وبواسطة هذه الاوامر وتقوية الادارة العدلية وصد ما كان عليه الامرا من الفجور والشهوات النفسية راى معظم الاهالي مدة سلطنته مدة الخير والبركة ولما تم علاء الدين اشغاله ونظم ممالكه في الهند الشمالية شرع في الغلبة على الدكن وكان ارسل في سنة ١٣٠٣ بعد الميلاد خصيه وعبده مالك كافور في راس جيش ضخم من نواحي بنغاله من اجل الهجوم على ورنجال

عاصمة طلنجانه وهي مملكة للهندو وفي سنة ١٣٠٦ بعد الميلاد سار كافور وظفر انتصارا من ماقوه وكانديش الى بلاد المرطا وارضها وتغلب على دوغير وهي الان دولت اباد وصيّر ملك الهندو رام ديو على العود معه لاجل اداء رسوم الاحترام للملك في دلهي وفي مدة ما كان علاء الدين مشتغلا بالفتح في نواحي مارواز وخضوع الراجابوتيين كان عبده القايد مالك كافور مشتغلا بالفتح وشن الغارات في مهاراشترا والكرناطيق حتى وصل الى جزاير في جنوب الهند الواقع بينها وبين سيلان وابتنى مسجدا لله تعالى في اخر طرف الهند وفي سنة ١٣٠٦ بعد الميلاد امتدت الشوكة الاسلامية وانتشرت الديانة المحمدية في البلاد الهندية وفي مدة سلطنة علاء الدين وفد الكثير من المغل وسكنوا البلاد الهندية فحصل منهم عدة دسايس وخيانات فقتل منهم علاء الدين ما يتوف عن ٥٠٠٠ انفس وباع اولادهم ونساءهم في الاسواق في سنة ١٣١١ بعد الميلاد وبواسطة القوى العسكرية التي جمعها علاء الدين من الاتراك و الافغانية والمغل وكانت لا حد لها صار له طاقة وقدرة على ارسال جيوشه الى ابعد الاقاليم في الاقطار الهندية الجنوبية التي ما وصل اليها جيش احد ممن سلف من الملوك والسلاطين ثم ان علاء الدين اظهر رغبة في الفخر العالي المبني على معرفة ودراية القراءة والكتابة فدعى الى ديوانه اجل علما العصر ويوجد مولانا قاضي القضاة الكرمي وفوزي بيان واحزين من فحول الرجال من العلما والايمة والحكما صار ديوان علاء الدين في الوزر والفخر مختصر في العلوم الدراية والشريعة الاسلامية المحمدية ولما خجل الامبراطور في نفسه بسبب عدم درايته بالقراءة والكتابة وغزارة جهله اجتهد مع غيرة وحمية وابتدا في الاشتغال بالقراءة والكتابة وفي ظرف مدة قليلة صار له طاقة على قراءة اللسان الفارسي وكان هولاء العلما في مجلسه على الدوام مشتغلين معه بالمحادثات من دون ان يظهروا له ادنى حاسية بجهله ولازموه لقراءة الحديث وتفسير القرآن حتى صدق وامن بها وكان قبل ذلك في مذهب مغاير لها وقيل انه كان اول سلطان في الهند كان يحتقر العلما وكان العلما والقضاة يخشونه حتى انهم ما كانوا يجيبون على سوال ما لم يسالوا عنه وحتى اذا قيل لهم ان الملك اخطا في القران وخرج عما حدا الشريعة يقولون ان اعماله بحسب قواعد السياسة ووقع علاء الدين في مدة سلطنته في حبايل العشق والغرام وذلك انه في وقت ما فتح مدينة نهروالا عاصمة مملكة الجوزرات استحوذ منها على ذخاير واموال ونساء ملكها المغلوب وكان من ضمن النساء ست اسمها كملادي مشهورة بانها وردة الهند ومن جمالها وحذاقتها وكمال شمايلها وقع علاء الدين في بحر عشقها حتى انه رغب ان تكون ملكته من دون مراعاة اي مذهب او عقيدة في الدين فارغبت في الامتناع من كونها تصير ملكة الهند وسلطانه فاظهرت الرغبة الكاملة على شرط ان يكون معها ابنتها ديولدي وكان عمرها في ذلك الوقت ثلاثة عشر سنة وطلعت امها في الشهرة فكانت اجمل اهل عصرها في الشرق فرضي علاء الدين بما طلبته كملادي وارسل قايده الب مع قوة قوية في طلب هذه الابنة وجلبها الى دلهي من دون ان يا خذ اي راي منها او من ابيها فحدثت هذه الحادثة على غير الغرض المقصود وهو ان الب وجد ديولدي في طريق سفرها لزواجها مع سنجلديو احد الملوك في الهند الجنوبية فاستغاظ الب لنفسه وعرف ان شغله مع واحد لا يقبل العفو مثل علاء الدين فالتقى مع السرعة والطم الخفر واوقع فيه الفزع وهزمه وهرب الخفر الى الجبال فلاقاه جماعة من الفرسان الملوكية لملك الدكن وانتشب الحرب بينهم وكانت الفتاة الجميلة المقصودة موجودة في هذا الوقت على ظهر حصانها في الميدان فوقعت نبلة في جسم الحصان فقتل الحصان وكادت الجميلة تسقط لولا ادركت بها ولولن وحرضن حتى صارت معروفة بانها من هي فوقف الجنود عنها وتلقوها مع التبجيل والاحترام وارسلوها في الحال الى امها في دلهي فاشتغف خضر ابن الامبراطور بحبها وقيل ان عشقهما لبعضهما كانت من اكبر العادات ومثل هذه الحادثة حصلت لعلاء الدين في العشق ايضا وهو انه لما هزم راجا شيطور واخذه اسيرا وكان اسمه راتنا وكان واحدا من كبار ملوك الراجابوتيين فعرض علاء الدين عليه انه يخلي سبيله ويفك عنه قيود اسره على شرط انه يرسل ابنته الى السراية وكانت مشهورة بالجمال وفريدة عصرها في القد والحسن والاعتدال وجاء ان هذا الراجا كان مغلوبا على امره ووقع في اشد المصايب فرضي مع غاية الاشمئزاز والكراهة غير ان ابنته الجميلة لما رات ان هذا الامر من اكبر الفضيحة والعار ومخل بشرف بيت ابيها استعملت حيلة في راي دبرته في عقلها من اجل خلاص ابوها واظهرت استعدادها للزواج ولما استحوذت على امر من الديوان الامبراطوري اعدت طقما او جماعة من هوادج في هوادج السفر كا هيئة نساء في اجل زينة وجلست هي في واحد من هذه الهوادج ولما وصل الموكب البهيج الى دلهي طلبت مع غاية الشوق والتلهف مقابلتها مع ابوها من قبل دخولها السراية فتح لها

الامبراطور علاء الدين رخصة حفا بمراسمه و دخل كلا منها معها في محل سجنه و لما فتحت الهوادج
ظهر ان الذين كانوا معها ما كانوا نساء حاشيتها بل كانوا جماعة من المقاتلة في حالة كبيرة
من التنظيم والتسليح فقتلوا الخفر وخطفوا الملك المسجون واركبوه فوق حصان سريع ونجوا
به وراوغوا في تعقيبه وقيل ان الراجا وابنته نجيا بسلامة انفسهما الى قلعة شيطور واما
العساكر فانهم قتلوا جميعا وفي يد كل واحد منهم سيفه ومن بعد هذه بقليل حاصر علاء الدين مدينة
شيطور وقلعتها اثنتي عشرة سنة وكانت المدينة على جبل كبير لا يمكن الوصول اليها فلما قطع الراجا ونسا
الامل من انفسهم اقاموا محل الحرق واحضروا جميع النيران وسارت النساء في موكب جليل مع البخور والهوبا
الى ميدان الحرق والقين بانفسهن في لهيب النيران ولبس راجا وما بقي معه على قيد الحياة ملابس
معصفرة وخرجوا الميدان للموت شاهرين سيوفهم في ايديهم الا انه من طالع سعدهم كان طريقهم
من جهة المحاصرين مقطوعة فتهربوا من طريق آخر ونجوا بانفسهم وتوجهوا الى جبال اروالي وكان
علاء الدين حاكما قويا جسورا شجاعا واول من صمم على فتح كامل البلاد الهندية الا انه ما كان
حكيما طبيبا ولا رجلا طيبا وكانت السني الاخيرة من سلطنته مشحونة بالاهوال والارتباكات وحاق
الجدب والقحط والجوع برعيته من كل جانب وصارت اولاده عرضة للشهوات والارتياب وغرق علاء
الدين في بحر الفضايح والثورات واضمحل سلطانه ولما لزم فراش موته ترك الزوجة والولد و
اجتمع على راسه … يثران الثورات والخروج عن طاعته وابتدأت في الانفجار وكان اول ما
ظهر منها في الجوزرات فارسل اليها قايده لاخمادها فظهر من ثورانها قاهرة الراجا بوينين
وقتلوه شر قتلة وقام الراجا بو نيت في جهة اخرى وطردوا منها حكام المسلمين واستقلوا بانفسهم
وقامت الدكن بالسلاح وطردوا حكام المسلمين منها وما كان في ارضهم من عساكر المحافظين
فلما تجمعت عليه هذه المصايب والاهوال اشتعلت نار الغضب في بدنه وصار ينهش في لحم
نفسه ومن شدة احزانه وتوالي الاكدار عليه اختلت نظامات عقله وغابت فيه كافة العلامات
الطبية ومات في هذه الحالة المرتبكة من بعد ان وهن جسمه وضعفت حالته وسار الى خالقه
وفاطره ولا ريب انه كان من سم دبره له القبيح الذي رفع من فوق التراب الى الشوكة و
السلطنة مالك كافور وكان موته في سنة ١٣١٥ بعد الميلاد او سنة ١٣١٦ وفي السنة
الحادية والعشرين من سلطنته

موت علاء الدين

واظهر مالك كافور خبث النية قبيح الطوية المشبوه في تعجيل قصف حياة سيده الرغبة الكاملة
في تسمية الابن الصغير للملك الفقيد خليفة على التخت بدل ابيه وجعل نفسه الوصي والنايب
وكان علاء الدين سمل عيني ولديه الكبيرين شيزر وشادي بدسيسة من كافور وقلد كافور نفسه
زمام السلطنة على اسم عمر الصغير وسعى الولد الثالث ليحل به هذه العاقبة وكان اسمه مبارك
خان وفي هذا الوقت تزوج المدافع عنه ام هذا الملك الشاب وكان حصول هذه الوقايع
في ظرف مدة قليلة لانه في اليوم الخامس والثلاثون من موت علاء الدين قتل الخفر مولاهم
النايب وكانوا رغبوا منعه من فعل مثل هذه الجرايم المكدرة في اجراها ووقعوا عليه في مخدعه وضربوه
حتى قتلوه امام بعض من المنتمين اليه واجلى البرنس الشاب الذي عمر خان طريقا لاخيه الكبير
الوارث الشرعي لتخت ابيه

سلطنة مالك كافور وقتله

وجلس مبارك خلجي على التخت في سنة ١٣١٧ بعد الميلاد وقابل ضباط الخفر الذين كانوا اسدوا
طريق وصوله الى التخت بسيوفهم بمكافاة ما كانت تخطر على بالهم وقتلهم جميعا على زعم انهم تجرؤوا
كثيرا في خدماتهم وكان اول شغل اجراه في سلطنته قطع آمال اخوه الاصغر من تقلد نفس
زمام السلطنة وان لا يوجه افكاره اليها واخرجه من نظره وسمل عينيه ولاجل تكفيره عن هذه
الجريمة القبيحة التي كانت عادة وحشية عند الملوك الهندية افرج عن سبعة عشر الف نفس كانوا
مسجونين وامر بعودة المنفيين والمطرودين وجعل نفسه سهل الوصول لارباب الاقتضا واهل
الشكاوي واعاد كافة الاراضي التي كانت الحكومة ضبطتها لنفسها لاربابها وامر على التدريج
بالغا وابطال الحدود والعقوبة المذمومة التي كانت التجار مقصورة تحتها والعوايد والضرايب
الثقيلة التي كان ابوه ضربها وفي السنة الاولى من سلطنته احدثت ثورة قوية كانت قامت
في الجوزرات وفي السنة الثانية سافر جيشا الى الدكن من اجل معاقبة هارپول وكان قام
بيرق العصاوة والاستقلال ولما لم ينجح هارپول في هذه المادة قتله ابن علاء الدين شر
قتلة ما كانت تخطر له على بال ثم ان ترقيته لندماه ومن لا يصل الى رفيع الدرجات والشوكة
كان لها تاثير شديد في وقوع الخزي والعار عليه زيادة عن كل شي كان يجريه من اشتغاله الشديدة
والفضايح في توجيه احتياجات رعاياه له وانحطاطهم في جامعة معه وكان اجل ندماه رجلا هنديا

سلطنة مبارك ابن علاء الدين

هندي اسمه مالك خسرو خاين غدار من ادانى طوايف الامة الهندية رفعه الى اعلى درجات
الشرف واغدق عليه بالانعامات الملوكية وجعله حاكم الجوزرات وكان خسرو المذكور من ابتدا
ترقيته مصرا على الخيانة في قلبه ولو ان ما كان مكنونا فيه من الخيانات والغدر وصل جميعه الى سيده
فان الملك ما حصل عنده ادنى تاثير من الاقوال والحكايات التي بلغته وما وقع منه ادنى التفات
وهمة في مراقبة خياناته بل وثق به وثوقا ليس تحت حد حتى وانه كان ينام معه في قاعة واحدة
وكانت السراية ملآنة بحواشي خسرو وابناه وسهل عليه كل شي في نفاذ مرغوبه مع عدم حزمه وقلة
عقله ولما كان الملك والسراية في ايدي هولاء الثايرين في الخفية فكان ما عزم عليه خسرو من
الاول من جهة الملك مطلب المحارشات العمومية في المدينة لكن لمعلومية اهل المدينة ما هو فيه
خسرو من الشوكة ونفاذ الكلمة لم يتجاسر احد توصيل هذا الخطر الجسيم للملك الذي سيحل به الا واحد
فقط وكان هو القاضي استاذه عندما كان صغيرا فدخل القاضي على الملك مع غاية الاحتراز
وافصح له علنا عن دسيسة خسرو واثبت له وجودها واوصاه ان يأخذ الاحترازات اللازمة
في القبض على هذا الخاين الغدار فسمع خسرو في هذا الوقت بهذه الحكايات ودخل على الملك في
صورة انثى مزينة راخيا شعوره على اكتافه في صفة فتنة غناجة فقام الملك المسلوب العقل
من حبه فيه واعتنقه وضمه اليه وصرف من ذهنه كل ما قيل في حقه من الانذارات وما بلغه عنه
من الايهامات وفي الليلة الثانية ما هجع القاضي ولا اخذ لنفسه راحة خشية من وقوع الخطر بالملك
وخرج من محل نومه في نصف الليل ليرى الخفر ان كان متيقظا ام لا وفي اثنا طوافه تقابل مع
عم خسرو واشتغل معه بالمحادثة ثم ضربه بسيف من خلفه ورماه على الارض وتركه وما بقي فيه قوة ولا
حيل الا ان صاح بقوله خيانة خيانة قاتل خيانه خاينين موجودين هنا وهرب حشم القاضي
وخدمه مع الرعب والاهياج وصيحوا بقتل سيدهم فقام الخفر في غاية الارتباك ومن قبل ان يستعد
الخفر هجم الثايرون على الخفر وقتلوا عسكره فارتاع الملك من هذه الثورة وسال خسرو وكان نايم
معه في قاعة واحدة عن السبب الموجب لهذا الهياج فقام الخبيث في صفة سؤاله عن السبب
وعاد وحدث الملك حكايات خداع ومكر صرف بها عن الملك ما كان يخيل عقله حتى قرب الثايرون
من قاعة نوم الملك وذبحوا خدم القاعة ولما سمع مبارك قعقعة السلاح وشخير المقتولين نط
مع غاية الفزع وجرى نحو الحريم من باب سر فلحق خسرو من نجاته بنفسه وجرى خلفه وقبض عليه
من شعره واهدر دمه الثايرون وضربوه بسيف وفصلوا راسه عن جسده واخذوها وخرجوا
بها الى حوش السراية وزعقوا بصوت واحد ان الله انتقم من عايلة علاء الدين واهلك اهلهم
في نظير ما حنق من خياناته بعمه جلال الدين فيروز وهدره وما الناس المطعمين الذين
سفك دماؤهم بنفسه وقبض خسرو على قضيب المملكة و… جلس على تختها وانعم بمواعيده وعطاياه
لمن طلب الكسب بمحبة الرؤسا اليه فنجح في ذلك مع البعض وهرب آخرون من دلهي وجمعوا
انفسهم تحت قيادة غازي بك طغلق حاكم لاهور وديالبور وباتجاه سار طغلق الى
دلهي ومن بعد ان هزم الغاصب خسرو وجده من قبر كان هرب فيه وقتله شر قتلة واعلن نفسه
ملكا في سنة ١٣٢١ بعد الميلاد وبخس خسرو الغدار وهتك حرمته وجعله في هيئة مقعد
يجلس عليه وغير منابر … وجعلها قواعد لاصنام الهنود وقضت الله سبحانه وتعالى
عليه صوت عذابه وعقابه وخاف افنج موته وخرجت روحه الى النار وبيس القرار وكانت
هذه السنة هي تاريخ انقراض العايلة الخلجية من الهند وقيل انها كانت في سنة ١٣٢٠ بعد
الميلاد والله اعلم بالصواب

مقتل مبارك بن علاء الدين

سلطنة خسرو وقتله

الفصل الرابع

العايلة الطغلقية وغارة تيمور وعايلة السادة وعايلة لودي

البيت الطغلقي من سنة ١٣٢٠ الى سنة ١٤١٤ بعد الميلاد

جاء مع تغيير العايلة الملوكية تغيير العاصمة ايضا فان غياث السلاطين الطغلقية انشأ قلعة
في بيت نار مشتغل بالعصاوة والثورات مثل مدينة دلهي وما ثم نقلوا تخت سلطنتهم الى
قلعة مستحكمة قوية بعيدة عن دلهي بمقدار ستة اميال او سبعة ما زالت معروفة لحد الان باسم
طغلق اباد واجداد العايلة الطغلقية مجهولة غير معروفة الان فرشتة قال انه لما كان
في لاهور في مبادي القرن الرابع عشر من تاريخ الميلاد سمع حكاية رواها في تاريخه الى
هذه السلسلة الملوكية كانا ابن مملوك ترك من قبيلة الجاينين الحربيين الواقعة على اطراف

سلطنة غياث الدين طغلق

حدود الهند ولما مات غياث الدين طغلق في خلعه وقتله الملعون مالك خسرو الهندي وطد الامر
وسكن الناس واكد لهم انه مساعد لهم ومعاضد لاغراضهم في انتخابهم واختيارهم من يولوه عليهم
ملكا فلما رأى الناس ما هو فيه من حسن السيرة وذكا العقل وهبوا له التخت الخالي في نظير ما
اجراه من جليل خدماته لان مالك خسرو كان افنى كافة العائلة الملوكية وما ابقى منها رجالا
ولا اطفالا يستحق واحد فاستوى غياث الدين طغلق الامر ودبر المملكة واحسن [illegible] واعاد
استتباب الامن والراحة وقطع دابر الفتن والارتباكات والقلاقل التي كان وجودها مستولي
في المملكة ورمم القلاع والاستحكامات وكان اهلا لامرها وذوي التجاره وعين رجال العلم والادب
الى ديوانه وسن القوانين على مقتضى نصوص القران والاحاديث واكثر مورخيه ان مدة سلطنته
كانت معادلة لعوائد وهيئات السلطنات القديمة في دلهي ومن وجه التفاتاته للمدافعة والمحافظة
فرتب العساكر في طول حدود كابول وانشأ القلاع والحصون وشحنها بالمقاتلة والمحافظين
وصد الغارات والنزاع الهجوم الواقعة من المغول فكانت هذه التدبيرات واخذ الاحتياطات
والمحاذرات سببا في سلامة نفسه ورعيته في مدة سلطنته من الغارات والارتباكات التي كانت ازعجت
اسلافه وتولد منها خراب عام وطالما تخت الهند وهدر الدماء وكانوا على الدوام في نفور
شديد من دخول الاعراب في بلادهم ومعتدين في وجوههم واقاليمهم على السعي في هزيمة المسلمين
وطردهم من البلاد الهندية عولوا في هذا الوقت على حرب المسلمين مرة ثانية حربية هائلة
يستقلون فيها بانفسهم ويتخلصون من المسلمين ودخلوا في جامعة واحدة مع بعضهم ومن اجل
هذا رفض كل من راجا ورنجال وروجوز ارسال الجزية او الخراج المرتب عليهما سنويا
بسبب ما كان واقعا من النفور والعداوة فارسل غياث الدين طغلق جيشا منظما فقاوم
راجا ورنجال المسمى سدار ديو عساكر المسلمين مع الشدة والعنف وفي اخر الامر طرد من
ميدان الواقعة والتجأ في داخل اسوار قلعته فحصره ابن طغلق وضيق عليه وفي مدة الحصار حصلت
تلفيات وخسارات كبيرة عند الطرفين وكانت المدينة صارت حصونها وقلاعها منيعة من عهد قريب
فمن ثم ما كان للمحاصرين من طاقة ان يشرعوا في اسوارها شرعا للهجوم عنه وفضلا عن انهم ما
كانوا على مهارة تامة في فن اعمال الحصار وحصل في معسكر المسلمين المحاصرين علل وامراض
تولدت من شدة سخونة الهوا وحرارته فكان يموت كل يوم منهم مئات من العساكر فالتزم
المسلمون اخيرا على رفع الحصار وفي مدة قليلة حاقت بهم الآفات والمصائب وهلك منهم الوفا
من الطاعون والسيف وما عاد من المسلمين الا ثلاثة الاف نفس الى دلهي من الوف مؤلفة
كانت مشكلة للعسكر الاسلامي في هذه الغارة ثم من بعد مدة قليلة حاصر جيش من المسلمين
مدينة ورنجال وارغمها على التسليم وارسل ايضا غياث الدين طغلق غارات على جاجنا جر
وعلى طير هوت وفي اثنا هذه الانتصارات مات طغلق على حين غفلة وكان سببه سقوط
بنا جديد عليه كان اعده لاحتفال ابنه يونس خان وكان موته في سنة ١٣٢٥ من بعد ان تسلطن
اربع سنوات وفتح اراضي بنغاله وترهت وطيلوجو

واستخلف من بعد موت غياث الدين طغلق ابنه يونس خان ولقب نفسه باسم محمد طغلق
وكان يوم جلوسه يوما مشهورا عند الامة حتى انه في وقت مروره في موكبه في شوارع دلهي فرشوا
له الشوارع باصناف الورد والزهور والرياحين وبدل ان يسير على منوال ابيه خاف نحو
وعسفه وغشمه ومونفاته ابر المجرمين من الذين خلو من قبله حتى صار ذكره في مدة سلطنته
التي لبثت سبعة وعشرين سنة لطخة كبيرة من لطخات الدهر وسقطة قبيحة من سقطات الشرق
فكان مبارك خلجي وحش القبائح والفجور ومحمد طغلق وحش الغلظة وشدة القسوة ومن ثم
محت هذه الصفة ما كان عليه من كثرة الكرم والسخا الذي كانت فيه يده على غير حد محدود
وكان محبا لاهل العلم ورجال الادب واظهر علو درجته بينهم فقيل انه كان لمصنفاته في
الالقيش العربية والفارسية اقوال عزيزة وفصاحة كبيرة وذوق سليم حتى مارسها الناس منه
بعده ودرسوها وكان له مناقب وشمايل حسنة موصوف بها وما كان فيه الا شائبة او عيب
واحد هو المتقدم ذكره وهذه الث بية شطبت صفاته الجليلة لانه كان عديم الاحساس القلب
ذي صفات اسود القلب وعلق على هدر الدما وسفك الارواح حتى فاقت اعماله في الجرايم
والسفاهة ما كان عليه اشرار وفجار القياصرة الرومانيين وفي مدة سلطنة ابيه ما كان

سلطنة محمد طغلق من سنة ١٣٢٥ الى ١٣٥١ بعد الميلاد

ما كان للمغول اولى في غاراتهم ظفر ولا نصرة فلما تقاعس محمد طغلق في اشغاله وظلم وجار وعتى
جدد المغول غاراتهم مرة اخرى ومن قبل ان يقدر محمد حكومته ويثبت قوائمها غار قائد من مشهوري
رؤسا المغول على الهندوستان في راس جيش ضخم قاصدا في غارته هذه فتح عموم جزيرة
الهند وخضوعها فتغلب على لمغان وملتان والاقاليم الشمالية وزحف مع سرعة السير نحو دلهي
ولما كان لا طاقة لمحمد طغلق على ملتقى هذه القوة المهولة طلب الصلح واجل امان والاطمينان لمملكته
وقبل بدفعه فداء عنها مبلغ جسيم يعادل ايراد المملكة ومع هذا فان هذه الداهية والمصيبة ما تولد
منها اضرار ما كان مكنونا في صدره من حب الشهوات واخضع الاقاليم البعيدة خضوعا كليا مثل
اقليم دور سمندره والمعبر وكنبيلا وورنجال ولكنو وشيطا جونك وسونجام وجعل
هذه الاقاليم في اتحاد وجامعة واحدة مع المملكة كاتحاد القرى المجاورة في ضواحي دلهي
اليها وفتح ايضا الكرناطيق الى حد سواحل البحر غير ان فتح هذه الجهة وضبطها ما كانت قصيرة
المدة لانه في العاصفة التي جاءت عقب هذه الفتوحات ورجت مملكته التي ورثها عن ابيه حتى
اشرفت على تحلحل اساسها التزم على كونه يترك عموم هذه الفتوحات من قبضة يده وما عدا
الوزرات والفتحت عليه ابواب مصاريف ايرادات المملكة في مصاريفه الكبيرة التي كانت فوق
العادة وفي تطفيه وتسليح عساكره الكثيرة العدد حتى ان الايراد والغنائم والاموال والذخاير
التي جمعها من الاقطار التي فتحها ما وفت بمصاريفه ومطلوبه وصرف كل ما حازه اسلافه من تكرار
ختفهم وسلبهم ونهبت خزاين حكومته بالكلية وما بقى عليه الا طريقة واحدة موجودة امامه
في ان يهيئ نفس رعيته تحت اسم القانون تحملهم ما لا يطيقوا حمله من المصايب والاهوال وضرب
عوائد ورسوم ثقيلة جدا على اهل الدوآب وهو القسم الواقع بين نهر الكنج ونهر جمنا
وعلى اقسام وجهات اخرى في المملكة واستعمل النقود النحاس بقيمة نقود الفضة في معاملات
البيع والشرا والاخذ والعطا باوامر عمومية صدرت عنه وجمع نصف مليون من الخيل الحربية
وغاراته والكسب جرايم الذبح والقتل في المسلمين والهنود فتولد من هذا كله نفور عام في
القلوب استنكر ونفخ من الرحمة وآل الى غضب وحنق ونزلت اسعار المعاملات والارباح
عمومية تزول فآفات دعم القحط والطاعون واستبدل النقود النحاس بقوايم من الورق فتولد منها
وبارة الضرر ازيد مما كان عليه وحصل منها الاختلال الكبير في المالية في مملكة دلهي بسبب ان
المعاملة بمثل قوايم اوراق هذه النقود بدل نقود النحاس والفضة والذهب كانت غير
معروفة عند ارباب البنوكة في ذلك العهد البعيد قال فريشته ان محمد طغلق اختار مشروع
المعاملة بالورق من اسوا طبايع رعيته من عادة صينية كان جاري فيها المعاملة بنقود الورق مختومة
بالختم الملوكي الصيني وكانت معدودة نقودا حاضرة فاتخذ هذه العادة منها وصنع قوايم اوراق
النقود بختمه الملوكي ثم استبدلها بنقود من النحاس جعل قيمتها قيمة القوايم الورق واصدر اوامره
بالتعامل بها في كافة اقطار الهندوستان وكانت دار الضرب تحت قواعد غير منتظمة فكانت
ارباب البنوكة يكتسبون من رق النقود وتجار الاعراب يدفعون نقودا من النحاس الى ارباب
معامل التشغيلات في الهند ولوانهم كانوا ياخذون اثمان البضايع نقودا من الفضة والذهب
في اسواق الممالك القريبة من الهندوستان ثم وقع الغش في نفس دار الضرب حتى تناقصت
اجرة المعاملة الذين كانوا فيها وضربت التجار نقودا فتولد منها النقص في اسعار النقود الموجودة
وعجزت الحكومة نظرها عن هذا الغش وكان ذلك سببا في وقوع فتن وقلاقل شديدة تنازلت
فيها اسعار النقود حتى التزم الملك على جمع كافة نقود النحاس الجاري التعامل بها وصرفها في
حوالات وجهها اليها وقيل من وجه آخر انه لما تحرجت مالية محمد طغلق وخلت منها النقود ضرب
نقودا من النحاس وامر الناس بالتعامل بها في اقطار الهندوستان قيمتها معادلة لقيمة النقود الفضة
وفي نفس هذا الوقت او القرن استعمل قبلاي خان المغولي فاتح الصين قوايم الورق للتعامل
بها في ممالكه وهي من الواحدة احداث الولاية الصينية وادخلها منكوكيخاتو اوكيكاطو ملك فارس
في فارس فرفض تجار الاعراب قبض هذه المعاملة الدنيئة البخسة القيمة النحاسية المزعولة واشرفت
حالة التجارة على الوقوف* وكان الملك يقبل دفعها في العوايد والرسوم ثم ان محمد طغلق سولت
له نفسه ما كان في نفس علاء الدين قبله ورغب ان يسير على منواله فتأمل في فتح الدنيا وتدبير
حيه طويلا ثم رفضه مع حزم العقل واما اجرها انه وما عدا التي اجراها خلاف هذا الرأي فانه
شرع في ارسال مائة الف مقاتل لفتح البلاد الصينية فلما دخل هذا الجيش الكثيف الجرار في معابر

* انتهى هذا المشروع [illegible] ارباب البنوكة والتجار [illegible]

ودروب جبال حالبا وكان غير مستعد للعبور منها ذاق جنده الموت مشقة التعب الى ان هلك معظم
وما رجع منه الا نفر قليلة الى دلهي ثم اعد ايضا قوة جسيمة من اجل فتح خراسان وما وراء النهر
بما فيها من سمرقند وبخارا فخابت جهوده فكانت الثورات الداخلية في مملكته فمنعته وعطلته عن اجرائه
هذه الغزوة وابتدأت الاقاليم في الخروج عن طاعة حكومة دلهي وان ترمي نافية من فوق اعناقها
وكان محمد طغلق مستخلف من سنة ١٣٢٥ على هذه المملكة الكبيرة التي استقرت في عالم الاجور الى
هذا الوقت وهو سنة ١٣٣٨ بعد الميلاد وزمامها في قبضة يده ومن غيرته الاسلامية حرم
نفسه من الوثوق بواحد ما من ملوك الهند او من حكامهم والتزم على ان يعين في عموم الهند
والخدمات حكام اجانب من شجعان المسلمين ليس عندهم ادنى صالح في توطيد وتامين حكومة البلاد
فوق قاعدة قوية فانفجرت الثورات في المملكة خالعين طاعته فاخمدها واخضعهم واحدة
بعد الاخرى بشدة باسه وقوة شكيمته ورفع ابن اخته بيرق العصيان عليه في نواحي مالوه
فقبض عليه وقتله في سنة ١٣٣٨ بعد الميلاد وفي سنة ١٣٣٩ عصى حاكم بنجاب فاخمد
شوكته وقتله ورفع كل من العاملين المسلمين في بنغاله وساحل كورومنديل بيرق عصيانه
واستقل كل واحد منهما بنفسه في سنة ١٣٤٠ بعد الميلاد ثم اقتدر محمد طغلق على اخضاعهما و
اعادت مملكتي الهندو كرناط وطيلونجانه في سنة ١٣٤٤ حالة استقلالها وطرد ما فيها من
المسلمين وقام الحكام المسلمين ايضا في الدكن في عصاوة وقامت الفكر الاسلامية في
الجوزرات في ثورة فاضطر محمد طغلق في حركة سيره الى الجهات الجنوبية وبطش بمن قام في
عصاوة عليه وما صدق في نفسه ان اخذ كل من الثائرين في تلك الجهات حتى وجه الثورات
للحضور في الجوزرات وماليوه والسند فنقل مقر مركز سلطنته الى مدينة دوغير وسماها
دولت آباد وانتقل بعض الفلاحين وارباب الاراضي والمزارعين اثقال ضرايب الارض حتى
فروا امام جباة ايراداته وتركوا ارضهم وقراهم وسكنوا الاورمانات والآجام وجعلوا
انفسهم في هيئة مناسر ولصوص وقطاع سبل فاحاط محمد طغلق بفرق من جيشه هذه الا
ورمانات واصدر اوامره بسير عساكره في داخل الاورمانات وصيد كل من كان موجودا في
داخلها من الناس كصيد الحيوانات المفترسة وذبحهم وصدر منه مثل هذه الواقعة عدة مرات
وبواسطة سبب من الاسباب امر بحصول مذبحة عمومية في اهل كانوج المدينة الكبيرة فتولد
من ذلك قحط شديد ومجاعة مهولة وصل بالمملكة ما لا يمكن وصفه من المصايب والاهوال و
المحن والشدايد ولما زعمه الثوران في الجوزرات وماليوه والسند للحضور فلجج في اخماد الثورة
في الجوزرات وماليوه وكانت حرب بنجاب قبل ذلك اشتبكت في حروب مع الافغانية ثم من
بعدها مع الجيلوريين الا ان اشد الحروب واكبرها وقعا الحرب الذي ارغم فيه الامراء الجديده
(هذا الاسم كان مطلوق على الذين دخلوا حديثا من المغول في الاسلام ودخلوا في خدمة علاء
وكانوا اهل جراة وشجاعة وقوة باس واسرعوا في رجوعهم عن طاعتهم وخلعوا) الى الانقياد
لطاعته وفي اثناء سيره من اجل معاقبة راجا السند في نظير حمايته لهولاء الامراء مات في طريقه
سعرة من اكله سمك افرط فيها وكان موته في سنة ١٣٥١ او سنة ١٣٥٧ بعد الميلاد
من بعد ان تسلطن سبعة وعشرين سنة وخلصت الهند من شدته وهول صوت عذابه وجوره
وظلم في احكامه

سلطنة فيروز شاه طغلق

ومن بعد موت محمد طغلق استخلف على تخت المملكة عمه فيروز شاه طغلق من سنة ١٣٥٧ الى سنة
١٣٨٨ بعد الميلاد وكان من طالع سعده انه كان موجودا في المعسكر في وقت موت ابن اخيه
فاعلن الجيش ملوكيته وبوصية ايضا من الملك الفقيد فقام عساكر المغل وكانوا من ضمن
عساكر الجيش ونهبوا الخزينة السلطانية وكان اول شغل اجراه فيروز شاه هو وقوع
العذاب والعقاب على عساكر المغل الامدادية او المساعدة وتلقى السفراء في ديوانه من جهات
بنغاله والدكن وكانوا خلعوا طاعتهم من تحت تخت دلهي وما كان حصل معاقبة هولاء الملوك
بسبب ما كان من كثرة اشتغال الملك في جهات اخرى وكانت الدكن استقلت تحت سلطنة
شخص اسمه حسن كانكو من رؤساء المغل وتلقب بلقب علاء الدين الاول واسس عايلة كبيرة
قوية البانى والشوكة في مدة سلطنة محمد طغلق وكانت مقابلة فيروز هولاء السفراء اعترافا
رسميا منه باستقلال هذه الاقاليم من مملكة دلهي وكان الرعب الذي وقع في قلوبهم من سنة
١٣٥٦ سببا في دفعهم خراج قليل جدا سنويا وفي سنة ١٣٥٨ اغار المغول على البلاد حتى وصلوا

وصلوا الى ابنكو بور ومن جيلان بصل الجيش لهما ومنهم نفر عزوا لحاليق بانتقال الغنايم والاسلاب
وفي سنة ١٣٥٩ سار فيروز الى جهة لوكنو وفي مدة سيره اخضع تحت شروط وحدود معلومة حاكم
جاجنكر وحرب ارض ستغور وجاجنكور وعاد قافلا الى دلهي ثم سار منها الى جبال نغراكوت
وما جنب الراجا المرحوم منها ثم تركه مستمرا على ارضه وبلاده كما كان وذكر مورخي الاسلام نادرة
حصلت في زيارته هذه فقالوا ان اهل نغراكوت اخبروا فيروز شاه بان الصنم المعبود عند الهنود
في معبد نغراكوت على صورة زوجة اسكندر الاكبر وانه وجد في هذا المعبد دار كتب من كتب
الهنود فيها الف وثلاثمائة مجلد جميعها منسوخة بخط اليد ثم سار بالسعة الاسفل الى طاطاه
من اجل اخماد ثورة كانت حصلت بها ولما كبر سنه وضعفت قوته من كثرة اشتغاله بالمحافظة على
المملكة سلم قضيبها وزمام قيادتها وتخت سلطنتها لابنه في سنة ١٣٨٧ بعد الميلاد او سنة ١٣٨٨
وما زال يوجد لحد الان شواهد ودلايل يستدل منها ما كان عليه هذا الملك من حسن الالتفات و
جودة التدبير في زيادة المحصولات الطبيعية للاراضي الزراعية وعلى الخصوص توصيل المياه الى
الاقاليم والجهات فانه حفر ترعة من نهر الستلج الى كجره وترعة اخرى بين جبال منده في
[illegible] نهر جمنا وصبها بسبعة غدران صغيرة تصب جميع مياهها في هانسي ومنها
الى مدينة رزين وابتنى في هذه الجهة قلعة سماها حصار فيروز وهي قلعة قوية مستحكمة وعمل
حفرة ما بين نهر كجره ومرورها من فوق نهر سرسوتي الى قرية برى فرة وفي هذه الجهة اسس
مدينة فيروز آباد وحفر ترعة اخرى خارجة من نهر جمنا تصب مياهها في بركة واسعة
بناها في قلعة حصار فيروز وبالاختصار فانه انشأ على ما قيل ثلاثون خزانا للمياه من اجل
ري الاراضي بشرع وخمسين تصب مياهها فيها ومائة قنطرة واربعون مسجدا وثلاثون مدرسة
واكثر من اشغال اخرى جليلة القدر كثيرة النفع وخصص للاشغال حفر ترع اخرى خمسون الف
[illegible] وفي مثل هذه الاشغال استكشفوا عظام فيلة وعظام من البشر كثيرة العدد كانت جميعها
مدفونة وغطى جميع الذابة في ميادين الوقايع والحروب فلما تنازل فيروز شاه عن السلطنة
لابنه محمد فيروز وراى منه سوء السلوك وقبح السيرة وعدم التدبير والادارة في احكامه التزم
[illegible] على تقليد زمام السلطنة مرة اخرى ومن بعد مدة قليلة سلمها الى حفيده فتح خان ومات
هو في السنة [illegible] من عمره وفي سنة ١٣٨٨ بعد الميلاد من بعد ان تسلطن ثمانية وثلاثين
سنة تمتعت فيها الهند بالراحة من فتن اعداها وغاراتهم ومن بعد موته حل بالمملكة مصايب
واهوال جديدة

سلطنة محمد بن فيروز وخلعه

موت فيروز شاه

ولما جلس فتح خان على تخت المملكة تلقب غياث الدين طغلق فترك هذا الملك الثاني بتنقله للملاهي والفجور
وعكف على اللهو واللعب وغرق في بحر اللذات والخمور ولما تمكنت هذه الاحساسات فيه صار
لا يمكنه منعها ولا صده عنها وقامت عليه غيرته وحده وانتشر اذاه وضرره وكان اخوه
وبعض من اقاربه ضحية لهذه الغيرة والحسد ثم تولد من قبح سلوكه وسوء تدبيره اذ تركها
كانت الحاجة الطبيعية الزمتهم الالتجاء اليه والخضوع لديه وصار ضحية لانتقام اعداءه من بعد
ما تسلطن خمس شهور وسار في غير مجراه

سلطنة غياث الدين طغلق

وخلفه من بعد موته عمه ظفر فكانت سلطنة هذا الملك ايضا قصيره ولما جلس على تخت المملكة لقب
نفسه ابو بكر طغلق وكان الامراء الجديدة في نواحي سمانه قتلوا رئيسهم مالك سلطان وارسلوا
راسه الى محمد بن فيروز الذي كان اثناء سيرة وجود ابوه وتحت المملكة من الجلالة والاحترام
وهيبه ومواثيقه واجتهدوا في هذا الوقت بحجة وحماس في اصطناع المعروف معه ودعوه للحضور
عندهم من اجل اثبات حقه فلما وصل اليهم اعلن نفسه ملكا وسار في راس جيش نحو دلهي فانكسر
في اول هجوم ما ثم عدة مرات ثم نجح اخيرا في حربه واستظهر الملك المتسلطن في سنة ١٣٩٠ بعد
الميلاد ومات بعد ان تسلطن سنة وستة شهور

سلطنة ظفر شاه

وذكرنا فيما سبق ان محمد بن فيروز الملقب ناصر الدين كان جلس على تخت المملكة في مدة حياة ابيه
وخلع والان ما صدق بعود زمام السلطنة الى يده حتى انفجرت ثورة في الجوزرات والقايد
الذي ارسل لاخمادها عصى واعلن استقلاله بنفسه ووقعت حركات اخرى ارتجت منها لاهور
ومولتان وفي الواقع ونفس الامر فانه من عهد الفتنة الاخيرة ارتجت المملكة رجة شديدة حتى
وصلت الى صميم فوادها واشرفت على الوقوع في التجزي والتقسيم وصارت صيدة لكل من طمع وجعل
[illegible] طريقه الى الوصول اليها في الدول ووقع الوزير في شبهات كاذبة في مدة وقوع النهب على
ابن اخيه فقضى نحبه وذاق كاس حمامه وفي سنة ١٣٩٢ بعد الميلاد سافر الملك في حرب نحو [illegible]
[illegible] ثورة الثائرين القايمين في تلك الجهة فاصابه توعك حمى شديدة وفي اثناء شدة مرضه

سلطنة محمد بن فيروز ثانية الملقب ناصر الدين

موت ناصر الدين

وصلت اليه الاخبار بان عدوا نهب البلاد وخرب الاراضي الى ان وصل قريبا من ابواب دلهي
فلولا انه كان في شدة المرض وما حصل له نقاهة منه فانه اسرع في سيره الى ميدان وهجم على
العدو وهزمه وبدد عسكره والزمه الهرب من البلاد ثم انفجرت ثورة اخرى في لاهور فارسل
ابنه لاطفائها ثم قبل ان يترك ابنه ارض دلهي وصل اليه خبر موت ابيه فتاخر عن
سفره ومات ناصر الدين محمد بن فيروز في سنة ١٣٩٤ بعد الميلاد من بعد ان تسلطن
ست سنوات وسبعة شهور ثم تبعه ابنه وخليفته من بعد موته الى القبر من بعد مضي خمسة
واربعين يوما وكان اسمه همايون فتقلد من بعد موت همايون الملك اخ شاب على حين غفلة
دسايس ومنافسات قوية بين الاشراف في خصوص التخت الخالي عن السلطان واخيرا
وقع الانتخاب في محمود الصغير وجعلوه ملكا عليهم وتسبب مما صغر سن الملك وكثرة الشقاق
الحاصل بين الاحزاب المختلفة وبعضها فيما يخص مصالح انفسهم صيرورة الحكومة في غاية من
الضعف والوهن حتى ان نواب وعبيد المملكة انتهزوا واستوح الفرصة الموافقة لهم التي
قدمت نفسها لهم في اثبات استقلالية انفسهم وما حصل عند واحد منهم تردد في تقليد نفسه
زمام الاستقلالية ورشيد فرح جهان وزير الملك الاخير وما كان الملك محمود عزله
من وظيفته مملكة مستقلة في جوانبور وصار له قوة وباس شديد الى ان صار له قوة
على كونه ضرب الخراج على الملك الاقدم منه صاحب بنغالة واطلق على العايلة التي
شيدها اسم العايلة الشرقية ومثيارها من عايلة بنغالة وكانت عاصمة سلطنته في
مدينة لوكنو واطلق عليها اسم بوربياه ومعناه المدينة الشرقية وفي الجهة الغربية
هزم سرنك خان حاكم مولتان والاقاليم الشمالية الغربية [illegible] هزيمة
ومن بعد هذه بقليل في سنة ١٣٩٥ ضبط مولتان ووسع دولته وارضه وعدد احوال
المملكة بكل سهولة ونجاح في اتمام ما في قلبه من الطمع مما نواله مرغوبه وكانت المملكة
في هذا الوقت انهدمت قواعدها ووقعت حكومتها واعمالها في الفوضى وهاجت الحروب
الداخلية واتخذ كل مكين مع بعضها سوية في المصالح والفوايد المتقابلة بين بعضها وجعلا
دواوينهما في عاصمة واحدة وما سبق مثل هذه الحالة حالة نظيرها ابدا فزحف سرنك
خان في جيوشه نحو دلهي وتغلب على سمتنه ثم انه مما بعد هذا بقليل زلق [illegible] اعماله
وانقصر زحفه وارسل عليه احد الملوك اعداه جيشا فهزمه والزمه الهرب الى مولتان و
حاصره فيها ست شهور وفرغت المؤنة والذخيرة في داخل مولتان فالتزمت على التسليم و
احتل العساكر المعركية السلطانية مولتان واما سرنك خان فانه دبر لنفسه طريقة هرب
بها وفي غضون هذه المدة بذل معاضدي محمود انفسهم في اقتضاح لانفسهم من صار
تابعا لهم وفي ايديهم قولا وفعلا وملكا بالاسم واما خصم سرنك خان فانه من بعد هذا
التجا بيلاء نفسه في ملحقات الاقاليم البعيدة ثم سار ملو اقبال خان قايد الجيش
المنصور مصحوبا بالملك معه نحو المدعي نصرت خان والمحامي عنه تترخان في نواحي بانيبت
ووقعت بينها واقعة في خصوص دلهي فكانت على غير نتيجة وهرب تترخان الى الجوزرات
وعاد القايد المنصور الى العاصمة وشرع في عود النظام واستتباب الراحة وابدى
نتايج التاثيرات المدمرة التي حصلت من القلاقل والارتباكات الفاظة ثم وقع الفا[illegible]
في طرق هذه الاصلاحات بخطر ومصيبة اخرى زعزعت المملكة من شدة تاثيرها ودكتها
بالدمار والخراب وكانت هذه المصيبة غارات المغول التي كانت مصايبها وبلاياها عامة
من قبل عموم اهل وسكان اقاليم الهندوستان فكانت هذه اكبر المصايب واشدها
وقعا وذلك ان تيمور بك المعروف عند الغربيين باسم تيمورلنك (تيمور او ديمور او د[illegible]
لفظة واحدة مغولية معناها حديد قال شرف الدين بن عرب شاه ان سبب عرج تيمور
من جرح اصابه في حصار قلعة في وقت حركاته العسكرية الابتدائية)
وكان تيمور واحد من الذين اشتهروا بالفروسية والشجاعة بين فاتحي اسيا ودو[illegible]
غزواته وفتوحاته لم يدخل فيها ما فتحه جنكيز خان من الصين وموسكو غير ان مظفر[illegible]
في الهند وفارس وفي المملكة التركية التي اشرفها على الخضوع لنفسه كان له شهرة كاملة في
الدنيا الغربية ومدحه الكثير من الناس واثنوا على ما كان عليه من الشرف والعدل والا[illegible]
والمروءة والاقدام وكان هذا الشجاع القادر والاسد الكاسر من نسل جنكيز خان

سلطنة محمود

غارة تيمور سنة ١٣٩٨ بعد الميلاد

تاريخ الهند من البحر الزاخر

جنكيز خان من النساء وهو ابن طرغاي الذي نسله الرابع قرهجار نويان من قبيلة البرلاس
الكبيرة كان وزير جغتاي او زغطاي بن جنكيز خان وكان ابو تيمور متحوزا على اقليم ناحية
كيش في صفة اقطاع او التزام وكان مولد تيمور في مدينة زيش احدى مداين هذا الاقليم
وهي واقعة على مسافة ١٣٠ ميل من الجهة الشرقية من بخارا وعلى مسافة ٣٠ ميل في الجهة
الجنوبية الشرقية من سمرقند وكان مولده في سنة ١٣٣٦ بعد الميلاد الموافق سنة ٧٣٦
من الهجرة وكانت اشواقه الاولية موجهة نحو الفتح ومن ابتدا حالة شبابه كان له طمع كبير في
حكم الدنيا وعالمها ومن الروايات والاحاديث التي ذكرت في مولده انه قيل انه عند مولده
وجد الدم متجمدا فوق يده وثابت فوقها وكانت اشغاله الاولية اعمال عسكرية وكان له دراية
كاملة في الضرب بالسيف والمزراق وخضع لطاعته اقوى الخيل واجاها واشرها وكان يفرح
في وقت ركوبه اشد الخيل في العنف والخطر والحرارة وهو في درجة عالية بفطانته وزكاوته وقدرته
ونجابته وجراءته على اقرانه في ميدان المسابقات وكانت الفتوحات وتخوت الممالك مطالب محاربات
العمر مع رفقاه في محلات اجتماعاتهم ولما بلغ عمر تيمور اثني عشرة سنة دخل في اشغال العسكرية
وقال بعض المورخين ان اول دخوله في الاعمال العسكرية من بعد ما بلغ عمره خمسة وعشرون
سنة ولما مات ابوه في ظرف هذه المدة خلف عمه في سيادة القبيلة كالعادة الجارية حينها ثم
تولد من كثرة الحروب والمبارزات التي بها تمزقت ممالك ما وراء النهر فتح طريق الاعمال الى
تيمور فتحقق ميله مع الحمية والحماسة وكانت مملكة جغتاي او زغطاي حاملة في داخل بطونها
سريعة الانحطاط والهبوط فتولد من عداوة وثوران النوقيان (نوقيان لقب وراثي ملقب
به وزرا ابناء الملوك فقط) ضعف شوكة السلطنة في جغتاي بالكلية حتى انه في اقل من
ظرف جيل او قرن جلس على تختها عشرين خانا من خاناتها وكان قازان اخر خانات هذه
العايلة سر المذاق لا يطاق في ظلمه وشدة جوره وجبروته وهلك في واقعة مع اعداه الذين
قاموا عليه من الامرا وفي هذه القلاقل ما حصل من عم تيمور اي [illegible] عليه بالنخرو في واحد
من الانقلابات التي اجراها حزبه هرب هو ناجيا بنفسه واوى في خوراسان واما تيمور ابن
اخيه فانه خضع لمن ظفر بقازان خان ومن ثم جعله رئيس قبيلته والقم عليه بحكومة ايالة
كيش وقيادة عشرة الاف عسكري ولما بلغ عمره سبعة وعشرون سنة ادى خدمات جليلة للامير
خوراسان وما وراء النهر ضد الغرطيين وكانوا اوقعوا الدمار والخراب في اراضيه فلما
عرف الامير حسن تاثير خدماته ووثق باعماله انعم عليه بزواج اخته (قيل ان امير ما وراء النهر
وخوراسان في ذلك الوقت كان اسمه السلطان حسين) ومن بعد موتها ابتدا تيمور في الشقاق
والمبارزات مع صهره السلطان حسين وضبط مدينة بلخ عاصمة اراضيه وهدم تيمور القلعة
وافنى اولاد الامير وصارت املاك وخزاين واموال وحرم الامير صيدة لتيمور وكان حصول
هذه الواقعة في سنة ١٣٧٠ بعد الميلاد وصارت مملكة زغطاي او جغتاي تحت رحمة تيمور
ثم من بعد هذا انتخب تيمور لنفسه مدينة سمرقند مقر حكومته ومركز دايرة سلطانه وحصنها
تحصينا محكما وزينها بالسرايات والبساتين وزينته له درجة ارتقاه الى هذه الحالة هيئة الابهة
والجلالة التي تصورت امامه واوصلته الى ما كان يفتكر فيه من قبل من الفتوح والتغلب ونظر
الى الارض في صفة انه مخلوق منها وانزله وقال لا اله الا اله واحد في السما فمن ثم لا ينبغي
ان لا يكون الا ملك واحد في الارض فابتدا في فتح ارض توران اي الاراضي الواقعة
ورا نهر جيحون ولما اخضعها وجه وجهه لفتح ارض ايران الواقعة في الجهة الاخرى من النهر
وكان بها عدد كبير من الممالك المستقلة مشيدة فوق اطلال واثار مملكة جنكيز خان وفتحها وكذا
فتح مع غاية السرعة اقاليم خوراسان وسيستان وزابلستان ثم شرع في حروبه على فارس
والموصلية واشتغل بفتحها ثمان سنوات واظهرت المملكة الفارسية لتيمور منظرا وهيئة يشابه في
الهيئة والمنظر الذي راه في دلهي عند قربه من تلك العاصمة وهو ان هذه المملكة كانت مقسومة
الى سلطنتين في بيتين عدوين لبعضهما ومن شدة ما كان بينهما من العداوة ما اتخذا في جامعة
واحدة دقاوما الغارة التي حلت بارضهما وكان هاتان العايلتان هما عايلتي موسى
في عراق العجم واقليم فارس وعايلة الخاقان في عراق العرب واذربيجان فاما الملك الذي حكم
مستقلا في عراق العجم وفارس فانه سلم نفسه لتيمور من دون طاعة ولا حرب ولا مقاومة وزوج

الثاني

ابنته الى حفيد تيمور واما السلطان احمد سلطان عراق العرب واذربيجان فانه قاوم تيمور مقاو[مة]
شديدة الا ان تيمور انتصر عليه نصرة شديدة وارغمه على التسليم والالتجاء ولطاعته وبارت الممالك
المجاورة على منوال هاتين المملكتين وهي جورجستان وشيروان وعيلان وارمينية وميزوبوتاميا
او الجزيرة واخضعت رقابها وحملت على اعناقها نير تيمور وفي مدة حروب تيمور في ارض فارس
رفع طقطمش خان ملك القرب او التتار الكبرى بيرق العصاوة والاستقلال وكان قبل ذلك باثني
عشرة سنة رفعته عناية تيمور الى تخت هذه الجهة فتلقى عقاب خيانته ونكثه مخالفته وعذره
في عصاوته وسوق تيمور العساكر التي فتحت فارس واخضعتها وصيرها في التتار الكبرى وتغلب على
امم الغوط وغيرها من ارض مخولبستان وهرب فباصرتها او ملوكها حوجه اغليش وقرا الى
الى نواحي نهر ارطيش وجاس ضباط تيمور وجيشه ممالكها الواسعة الواقعة في الجهة الشمالية الغربية
واظهروا فيها البدع وحرقوا الاشجار الضخم العتيقة من اشجار الجوز والبلوط وغيرها ووقعت
واقعة شديدة بين عساكر طقطمش وجيش تيمور انهزم فيها طقطمش وتبددت عساكره وكانت
واقعة فاصلة وقعت على شواطي نهر الولغا وقضى تيمور فصل شتا سنة ١٣٩١ بعد الميلاد
في سمرقند في وسط اعياد وافراح ورسوم احتفالات وفي نفس هذه السنة اسرع في عمل الا
ستعدادات والتجهيزات اللازمة لحربه مقبل وفي سنة ١٣٩٢ بعد الميلاد ترك رايزة معسكر
شتوية ودخل في غزوه قضى فيها خمس سنوات في اثناها تمم فتوح فارس وضبط بغداد
وقلاع الجزيرة وسار في مظفراته في ارمينية وجورجستان وهزم طقطمش مرة اخرى وعبر نهر
الدانوب والدينيستر ونهر الدون ودخل روسيا وفتح المدينة المقدسة وهي مدينة موسكو ال...
بعد هذه الاعمال التي توجت بتاج النصر عاد بعد غيبة خمس سنوات عن سمرقند اخذ لنفسه راحة ...
من الزمن وصرف السنة التالية في ماوراء النهر في وسط اعياد وافراح وكان له سراية جميلة
مفتخرة شيدها في ضواحي عاصمته واحسن على ابنه شاه رخ بسلطنة خراسان وسيستان
ومازندران الى حد فيروزكوه والري وارسله يقيم في هرات وتلقى سفيرا من طرف امبراطور
الصين ولو ان تيمور كان عمره بلغ في هذا الوقت اثنان وستون سنة فانه تزوج بزوجة
جديدة ومع كان حصل هبوط او ضعف في قوته وشدة نشاطه في اشغاله ومع استمر في هذا
الوقت لا يعود عليه من الفخر والاجلال من الاعمال فقط بل والمخاطرة تبعث على الدخول في
اصعب المشروعات واشقها وعزم على فتح الهندوستان ومن اللزوم انه كان تغوى على هذا
المشروع بما كان حاصل من ضعف المملكة ووهن حالها خصوصا حالة الخراب والدمار التي صيرت
في حالة يرثى لها ويحزن عليها وحصل لعموم ممالك الهندوستان الروع والفزع مما سرعة قرب
المهول تيمور وهاجت في حروبها ومظفراتها على نفسها زيادة مما كانت عليه في الابتداء ولما
شبع امرا تيمور وقواده مما كثرة الاموال والقاب الشرف التي اعطيت لهم عارضوا تيمور
في هذا الحرب فازال ما كان في قلوبهم من المعارضة بدلايل قطعية من القران الشريف
واوراهم شدة رغبته وميله في اجراء حرب على امم غالبها مازال عاكف على عبادة الاوثان
وحتمك بديانة الاصنام وسرح حفيده بير محمد في راس جيش مقدمة له وسافر تيمور من
سمرقند في غاية شهر مارث سنة ١٣٩٨ بعد الميلاد وهجم في اثنا عبوره من اروب
الجبال الثلجية على سكانها وكانوا مكروهين عنده ومبغوضين في عينيه ليس بالنظر لاعتكافهم
على عبادة الاوثان فقط بل وكانوا لصوص وحرامية وقطاع السبل وقتل منهم عدد لا يحصى
واما ما وقع له من الاخطار والمخاطرات فانها كانت كبيرة شديدة هلك فيها معظم الخيول من
التعب والبرد والصقعة وتغلب ايضا على كثير من القبايل الافغانية وغيرها ومن بعد سفر
مدة لبث ستة شهور وصل الى شواطي نهر السند وعبره على قنطرة نصبت فوقه في الموقع الذي
عبر منه السلطان جلال الدين صاحب فارس في وقت هروبه من جنكيز خان الى الهند
وكان سير تيمور وقربه الى دلهي مما اكبر الاهوال واشد المصايب والبلايا في سفك الدماء
ودمار الارض وخراب البلاد فانه سار في طول مجرى النهر حتى وصل الى مجمع نهر شناب و
راوي وكان في هذه الجهة مدينة طولانبة الحصينة وقلعتها المستحكمة الرصينة ووقعت
مولتان وبطنير في حوزته ولوني ولما وصل الى بانيبوت عبر النهر في رسم سياحة ...
من اجود جيشا لنفسه ... دلهي و... فلما راى الدهليون قلة هذه العساكر اعتبروا انفسهم

سفر تيمور الى الهند وغارته عليها

انفسهم في خمسة الوف حصان ومشاة وسبعة وعشرين فيلا وهجموا على جماعة تيمور فانهزم الدهليون
واخبر تيمور بان عدد الاسرى الموجودة في معسكره من وقت عبوره نهر السند بلغ مقدارهم ما ينوف
عن مائة الف اسير وانه في اليوم السابق لما رأوا ما حصل لتيمور من الخطر من هجوم العساكر الهندية عليه
ما تمالكوا انفسهم من الفرح الذي حل بهم ومن المحتمل ايضا انه في اليوم الذي حصلت فيه الوقعة كانوا
مشتاقين للانضمام مع اهل بلادهم عليه فامر بقتلهم جميعا فقتلوا بالسيف صبرا وفي ١٤ يناير
سنة ١٣٩٨ بعد الميلاد انتصر نصرة كاملة تحت اسوار دلهي اعقبها نهب المدينة وحوى غنايم لا
حصر لها وجما غفيرا من الاسرى ثم من بعدها حاصر ميرات وفتحها عنوة وهدم اسوارها الحصينة
ودكها الى الارض وسار في طريقه الى جبال سيواليك الواقعة على حدود مملكة دلهي واظهر طريق
مساره بالسيف والنار حتى وصل الى شواطي نهر الكنج وعداه وحرب الناحية الخصبة الممتدة بحرالجهة
الشمالية التي ينعطف منها النهر في وقت نزوله من الجبال ويأخذ مجراه في السهول وفي مدة زحفه غلب
على راجا جامو جور وارغمه على الدخول في دين الاسلام وقطع راس الشيكا صاحب لاهور و
اهلك العدد الكثير من اهل البلاد الموجودة على كل من ضفتي النهر واخضع عدة ملوك وارسل
اليه ملوك اخرى بطاعة انفسهم ومن جملتهم شاه اسكندر ملك كشمير وعاد تيمور الى سمرقند من
طريق قابول في ٢٨ ابريل سنة ١٣٩٨ وكان حربه الثاني مع السلطان بايزيد بن عثمان صاحب
البلاد الرومية وامتد هذا الحرب من سنة ١٤٠٠ الى سنة ١٤٠٢ بعد الميلاد وكانت ابو الوقايع
التي وقعت في هذا الحرب واقعة انجوره المشهورة وقبل هذه الواقعة اول واقعة اوقعها
تيمور انتظام في عسكره وملبوس الزرد وكانت واقعة شديدة دموية عنيدة بين الطرفين لبثت
طول النهار وانتهت بمهارة وبراعة تيمور في حركات تعبية عساكره بهزيمة السلطان بايزيد هزيمة
كلية فاصلة وتبددت عساكره وكانت مدينة انجوره اخر التخريبات التي اجراها تيمور في الجهات
الرومية ثم من بعد الواقعة حاصر مدينة ازمير وكانت هي اخر حدود فتوحاته في جهة الغرب
وعاد الى سمرقند متوجا بالنصر والفخر في هيئة ملك اسيا الاكبر وتلقى السفراء من امم مختلفة و
اقام افراح زواج ستة من احفاده واحتفل فيها بالاحتفالات الجليلة والليالي والاعياد العظيمة
التي ما سبق لها نظير ثم شرع في سفره متوجها نحو المملكة الصينية عازما على فتحها والتغلب عليها
فمات في طريق سيره في اوطرار في ١٩ فبراير من سنة ١٤٠٥ بعد الميلاد من بعد ان بلغ
من العمر احدى وسبعين سنة وكانت مدة سلطنته ستة وثلاثين سنة وذكر على وجه الايجاز و
الاختصار في محل اخر ان تيمور كان زوبعة او عاصف من عواصف الدنيا مثل جنكيز خان وكان
مولده في ارض سمرقند في سنة ١٣٣٦ ويدعي انه من ذرية جنكيز خان من جهة النسا اسس
مملكة في بخارا واقام مملكة مثل مملكة جنكيز خان وكانت اعماله واشغاله النهب والقتل فكان
جنكيز خان معروفا انه نقمة من الله وتيمور عاصفة رعتوية وكان عمر تيمور ثلاثة وستين
سنة لما عبر نهر السند وتغلب على مقاطع البنجاب وقلاعها بالهجوم عنوة وتوبل في هجوم و
زحفه ببعض الف وهاث وكان مجردا من الرحمة فقتل كافة اسراه مسلمين وهنود ودخل دلهي
في يناير سنة ١٣٩٩ واعلن فيها نفسه امبراطور الهند الا ان طريقته كانت النهب لا التملك
ولما جمع غنايم دلهي وامتلا صدرها على القاصي والداني والقريب والبعيد عاد قافلا الى بخارا
واستمرت مدينة دلهي في حالة فوضوية مدة شهرين من بعد سفر تيمور وحل بها القحط والطاعون
مع الثقل الشديد واخيرا طلبت القوانين المحلية والاحكام الداخلية عود النجاح والسلامة
وابتدأ الناس في العود الى اوطانهم وافتقدت عاصمة دلهي في كونها تتقلد زمام عمارها الاول
وزحف محمود طغلق مرة ثانية من دار هروبه وهجرته في الجوزرات وعاد اسما الى دلهي وما
كان بقي لهذه المدينة من ملحقاتها واملاكها الواسعة الا سعة سوى القطعة ارض الضيقة
الواقعة بين النهرين وقطعة صغيرة من الارض حولها واستقل حكام الاقاليم التي انفصلت
منها في مدة هياج الحرب بانفسهم وهي الجوزرات ومالوه وكانوج وما فيها اوده وكورا
وجونبور ولاهور مع ديبالبور ومولتان وسمنه وبيانه وكالبي ومهوبا كان اهل فرخ
حكام وتولب مخصوصة اغتصبوا لقب الملك وسموا انفسهم به واعلنت سلطنة محمود طغلق
اسما لا حقيقة ولا وجودا فكان الة لا يبتاع واستمر في عيشة ذميمة رزيلة حتى هلك في عاصمة
في سنة ١٤١٢ بعد الميلاد من بعد ان تسلطن سبعة وعشرين سنة وبموته خلت مملكة

عود محمود طغلق الى السلطنة وموته من بعد رجوع تيمور الى سمرقند

دلى وديارها من حكومة الاتراك مماليك الامرا طورشاه برهان الدين محمد الغوري ملوك العائلة
الثانية الاسلامية في الهند وجلس على التخت شخص اسمه دولت خان افغاني المولد وكان في الاصل
كاتب بيده وارتقى الى الدرجات المختلفة في هذه الوظيفة واجلسه على التخت الكثير من الاشراف والا...
بعد ان تسلطن سنة وثلاثة شهور احاطت به ارتباك وقلاقل مدعى للتخت اقوى منه شوكة فاخذه
وسجنه ومات من بعد قليل في سجنه في سنة ١٤١٦ بعد الميلاد

سلطنة دولت خان لودي

وقام من بعد موته خضرخان وكان هو الذي غلب على امره فكانت له الكلمة وعلو المنزلة في المدة
القليلة التي تسلطن فيها محمود طغلق من بعد عوده المرة الثانية وكان ابوه ابن شاه ورباه
حاكم مولتان ويزعم ان اهله من نسل محمد صلى الله عليه وسلم ومع ما كان عليه من زعمه واصله وصفاته
فانه تلقب بالسيد وقبض على تخت المملكة في صورة عامل الى تيمور خيرا الاعمال وابر الامور
وساس الرعية مع الحزم والعقل والشدة وراعاه تيمور واغدق عليه بكرمه ونعمه ومنحه الى
حكومة مولتان وبانجاب ودبالبور ثم تدرك في صعوده الى هذه الدرجة التي اصعده اليها
تيمور اذ صار لطافة تيمور في فتح طريقه الى التخت والاعمال التي اظهرها في يوم ظفره بالتخت كانت
جميعها منسوبة لثبات مركزه وتوطيد دائرة ملكه وفي مدة اجراه كافة المتعلقة بالسلطنة وتعيين
الحكام في المصالح العالية والوظائف بينه وغيرها في المملكة تجنب تقلد نفسه باي لقب من الالقاب
الملوكية واعلن نفسه بانه تابع تيمور وخراجي له وبهذا الرأي والحزم والعقل وطد لنفسه قاعدتان
جليلتان فاما الاولى فانه نزع الغيرة والحسد التي كان محتوى به قلوب اصحابه من الاشراف
الثانية انه امن لنفسه موقعه وحفظها بمعاهدة تيمور وكان اسم تيمور صاعقة كافية وشرارة
نار محرقة في جند كل رئيس قلقلة وارتباك ومن ثم كانت الاعمال الاولية لخضرخان هي نفوس
الرؤسا المارقين المقلقلين الثائرين الموجودين حوله الذين ما لهم رغبة الا الاستقلال لانفسهم
فاخضع كوتهر وقوطاعة حاكم بدونه وجمع الخراج والايراد وكان متاخر دفعه من مدة طويلة
من جابنور وكنبيلة وشتدوار واعاد جاليشوار من ايدي راجابوت شتدوار وتغلب على
جهة ايطاوه كل هذا تم في السنة الاولى من حكمه وفي سنة ١٤١٥ بعد الميلاد قامت ثورة
من الاتراك في داخل اقليم سرهند وقتلوا الحاكم فارسل اليهم خضرخان جيشا لقمعهم وصدهم
فانهزموا عابرين نهر الستطيج ومن حيث ان الجبال في هذا الوقت كانت في حوزة زميندارية
مستقلة وكانوا في معاهدة واحدة مع الاتراك فما وقفنا في هذه المادة على نتايج تحقق بها
ثم ان ملك الجوزرات بسبب ما كان مكنونا في قلبه من عداوة نفسية بينه وبين خضرخان زحف
بجيشه نحو دلى وتقدم حتى وصل الى باجور ولما قرب منه خضرخان عطف طريق مساره نحو
مالوه وسار خضرخان الى جاليور وجمع منها الخراج والايراد وفي سنة ١٤١٩ بعد الميلاد كشف
خبر لثورة كانت تشتملت على فقد حياته مؤلفة من رجال ذوي قوة وباس كانوا من اصحاب
محمود طغلق فرفع الحصار حتى بدوانه وكان في هذا الوقت محاصرا لها وعاد قافلا الى دلى وجه
منها ارباب الثورة واسرع كرخضره بالوقوع بهم فاهلكهم بالسيف وظهر في هذا الوقت مدعى
كذاب على التخت باسم الملك محمود طغلق المتوفي وجمع لنفسه شرذمة من الثائرين فانهزمت هذه
القوة وترك الذين فضلوا على قيد الحياة قايدهم وانسحب كل واحد منهم في السر الى بيته وتوارى
ايضا قوى دلى المحطانهم ومراكزهم وفي السنة الثالثة ظهر المدعى مرة ثانية وضم قوته الى
قوة رئيس اخر ثائر ووقع الكشف على ان هذا الرئيس عنده اموال وكنوز وجواهر مجموعة في
داره فامر خضرخان بقتله وفي مدة غزواته في جاليور وايطاوه منبع القلاقل والثوران في
مدة حكومته وما حصل فتحها وما وقع عليها من العذاب والعقاب اصابه مرض شديد فعاد الى
دلى ومات فيها في سنة ١٤٢١ بعد الميلاد من بعد ان تسلطن سبع سنوات وبضع شهور

عائلة السادة من سنة ١٤١٤ الى سنة ١٤٥٠ بعد الميلاد

سلطنة السيد خضر خان

وتسبب من الاحترام الذي حافظ عليه اهل دلى في تذكاره من بعد موته توطيد وتثبيت الدولة
لابنه السيد مبارك وانتخب باغلب اصوات مجلس الاشراف والنبلاء وحيث ان اباه ما تلقب
بلقب الملوكية فكان اجتماع الاشراف وانتخابهم ملكا جديدا حكم قاطع على تقلده زمام السلطنة
ومن ثم جلس السيد مبارك على تخت المملكة وصار ملك الهندوستان وكانت مدة سلطنته في
اشتعال حروب مستمرة اظهر فيها الشجاعة والبسالة وتتوجت جيوشه بتاج النصر والظفر واشتهر
من ابتدا جلوسه الى ان قضى نحبه في حروب وكروب اهاجها عليه زعما ومدعيين اهل قوة وباس

سلطنة السيد مبارك خان

وباس فاسدا متلهفين على القبض على تاجه وفي الشهر الذي قبض فيه زمام الحكومة وردت اليه الاخبار
بان جسرت الذي هزم في السنة الماضية على شاه ملك كشمير واسره سولت له نفسه مباهيا
بنصره وظفره انه في الرغبة والشوق على التغلب على تخت دلى وما مضت عليه سنة الا وبدا عزمه
في الثانية وتكررت عليه انواع الهزيمة وخسارة النفوس وكثرة المصاريف التي كان يجمع ويبددها لمطامع
اغراضه ومن المحتمل انه بواسطة النهب والسلب والخطف الذي كان جاريا من اهل جباله في السهول
الخصبة المثرية كان ذلك هو السبب في ملازمته الحروب ومن بعدها زيادة عما كان عليه من الاعمال
التي كان مجتهدا اجتهد في الغلبة على تخت دلى واخيرا ظهر في سنة ١٤٢٩ بعد الميلاد في الميدان مجازف
اخر كان لحركته نصيب في القلقلة والارتباك وسببه ان واحدا من خدم السلطان اسمه السيد سليم
مات في نفس هذه السنة وفي ظرف او مدة ثلاثون سنة كان فيها في قوة ونفوذ كلمة جمع اموالا
جمة وقالوا انه كان في صناديق امواله ما يعادل ما في الصناديق الخصوصية للملك نفسه من الاموال
فبموجب العوائد الهندية كان حكمه اخذ هذه الاموال لجهة الحكومة الا ان الملك تجنب هذه العادة
وتنازل عن كافة الاموال لولدي السيد الفقيد الموجودين على قيد الحياة فضلا عن انه رفعهما الى
الدرجات العالية من الرتب على قدر امكانه من الاحسان عليهما فما حصل من هذه الالتفات والتعطف
والاحسان ادنى صداقة عند هذين الاثنين بل قابلا كل هذه الاحسانات بما خالفها من العيب
وقبح السلوك وارسلا شخصا اسمه فولاد مملوك تركي من اجل هياج ثورة سرية باسمهما في
نواحي سرهند ثم بعد مضي قليل من ارسال هذا المملوك وقع الكشف على هذه الدسيسة فاودع
الملك الاثنين في السجن واما فولاد فانه اكد وثاقة اسياده به وبذل جهده وما في طاقته
فيما ارسل فيه وعندما وصل الى سرهند دخل في مخابرات مع ضباط الجيش السلطاني وقواده الذي
كان متوطنا في سرهند ونجح في كونه وطد لنفسه الاماله وهجم في منتصف ليلة مع جماعة من اتباعه
على معسكرهم في امل امكانه الغلبة على المعسكر وكان في ضلال مبين من حسابه الذي حسبه في عقله
لان الجيش راقب قربه وقابله بقوة مرعبة خاب فيها هجومه وانكسرت اصحابه فما حصل من هذه
الكرة بردوحه حية وحرارة فولاد فانه تقهقر بعد هذه الهزيمة الى قلعة احتوى مع اتباعه
والذين انضموا معه وشاركوه في هذا الفعل الردي واجتهد اجتهادا اخر في الليلة الثالثة وشن عدة
في هجومه بيتران بقبيله من اشغاله تحول بعسكر دلى الفزع والارتباك ووقع فيهم القتل فهربوا و
قلوبهم ملأنة من الخوف تاركين معسكرهم ومهماتهم وادواتهم للاجئين عليهم وكانت هذه الواقعة
سببا في خروج نفس السلطان الى ميدان الحرب واحتل فولاد سرهند عاصمة اقليم سرهند وحاز
من الاموال والنفوذ شيئا كثيرا وصمم على حفظ المدينة من تغلب الملك عليها على اخر رمق فيه ولبث
ست شهور محافظا عليها مع الامن والظفر والشجاعة ولو انه في اخر هذه المدة حلت به الشدايد
العظيمة والمصائب الجسيمة ولما راى انه لا يوجد له طريقة لخلاصه منها دخل في محالفة مع حاكم قابول
وما كان بينه وبين سلطان دلى علاقات ودية وارتباطات حبية فارسل حاكم قابول قوة
لمعونته ولما عبرت هذه القوة نهر بياس انضمت الى المقاتلة من الجيكوريين واوقعت
هذه العساكر المتحدة الخراب والدمار في الاراضي التابعة للرؤسا الذين لهم املاك واراضي
في بانجاب وكانوا ملازمين على حصار مدينة سرهند ومن ثم التزم الجيش السلطاني الدهوى
على رفع الحصار وكافى فولاد عساكر قابول على ما ادوه من جليل خدماتهم وعند عبورهم
نهر الستطيج مرة اخرى نهبوا بانجاب وحووا منها غنيمة ما ايه قرة ومقدار المكافية التي
اعطاها لهم فولاد وفي اثنا فخرة فولاد اظهر كل حذر واتى ممكن ووقع على ارض وقعت
الغارة عليها من قبله ولما وصل لاهور ضرب على اهلها خراج سنة وجباه منها وسار
من لاهور الى دبالبور فدمر هذا الاقليم ايضا وقيل انه قتل اربعين الفا من الهنود وخلف
الوف اسرها ثم وجه حركة سيره نحو كوثيلبور وعبر نهر راوي وخرب اقليم وواديه حتى
وصل الى واحتل بعض اجبال من اسوار مولتان وهزم في هذه الجهة جيش دلى واسرع
الى الهجوم على مولتان فما نجح هو وعسكره في هذا الهجوم الا انه استمر محاصرا لها واخذ عسكره
في السلب والنهب كل يوم وقتلوا كل من لاقاهم او قابلوه واخيرا لما اتاه اوان ساعة وكانت بهم
وصارت قريبة في ايديهم النقا هؤلاء النهابين السلابين بقوة امداد من الدلطيين فوقعت

بينهم واقعة شديدة منفكة انتصر فيها الدهليون وانهزم النهابون شر هزيمة وحضروا كل ما نهبوه وسلبوه ونجى رئيسهم فولاذ ناجيا بسلامة نفسه في جماعة قليلة من اتباعه وابادوا الدهليون عموم جيشهم قتلا واسرا وغرق منهم في نهر جيلوم في وقت كدهم في هروبهم الجمع الكثير منهم ولما بعد هذه الهزيمة ما ضعف فولاذ وما وهن بل خرج ايضا للهجوم من قلعته على لاهور فارتد خائبا على اعقابه منهزما مرة اخرى في هروبه ومن بعد هذه الوقعة بقليل شيد السيد مبارك مدينة على ضفتي نهر جومنا سماها باسم مبارك آباد وغزا غزوة نحو سرهند وفي اثناء غزوه وصلت اليه الاخبار بانه حصل التغلب على قلعة فولاذ وجيء براسه اليه واما الاعمال الاخرى التي حصلت في مدة سلطنته حتى اجتهاده في عمورة الاراضي والجهات الشرقية التي كانت اخذت من مملكته في مدة هذه الانقلابات واخماد ثورات اهل الجبال ودخولهم في طاعته وكانوا اخذوا في تخوم مملكته وكرروا غاراتهم وقطعهم في داخلها وخاف ملك مالوه وجوانبور قوة عساكره والزم الرتهوربون اهل روهيلند عند وجوده في ارضهم بدفع ما كان مرتبا عليهم من الجزية والخراج واطفأ غارات النهب والسلب التي كانت حاصلة من الميواتيين وكان السيد مبارك حسن الاخلاق حميد السيرة حتى قيل انه ما كان يتكلم قط بحالة غضب او زعل وكان في كافة احواله محاربا كريما سخيا وما كان عنده او في قلبه عداوة لواحد من الاشراف الا ما كان منهم من يوجب هذه العداوة لنفسه ومع هذه الاخلاق الحسنة والصفات الجليلة فانه ما كان يخلو من عداوة الناس فكان على مثال من قال ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل وفي سنة ١٤٣٥ قتله وزيره وكان بين الاثنين عداوة في النفس مكنونة في القلب من ميعاد تسلطن ثلاث عشرة سنة واربعة شهور واجلس الوزير المذكور من بعد ان تواطأ في اعماله ورتبها المعتمد في وثاقه به حفيد الملك المقتول على تخت المملكة وكان يدعو السيد محمد

فقابل الناس اصعاد السيد محمد على التخت بوجه بشوش وحالة فرح وسرور وكان الوزير النائب والاشراف الاخر في هذا الوقت في المعسكر فاحدوا الثائرين مع شدة العنف وانطفت الثورة العقب وقتيا لاجل عدم حصول اهوال تنتج من حروب داخلية وعولوا على الطاعة والانقياد لهذا الملك الجديد ثم هاج هذا الحرب مرة اخرى عند ما راى اهله ان اثنين من الهنود الذين كانوا داخلين في قتل السلطان السيد مبارك ارتقيا الى درجة شرف عالية في حكومة الاقاليم واخرين منهم صاروا مكافأتهم على خيانة جليلة ووقع الظلم والجور على الضباط والحكام الذين كانوا في حكومة السلطان المقتول وقتل بعضهم بحيل لا اصل لها وعرف الكثير من الاشراف بانهم على شرف اغتصاب ارضهم واملاكهم منهم التي كانوا استلموها من الحكومة لنزاعتها واصلوها وفلحوها ودخل هؤلاء من اجل حماية انفسهم في جامعة واحدة واتحاد قوي وقاموا حاملين سلاحهم تخشى الملك من عاقبة غدرهم وحافظ على حياة نفسه وصانع الوزير وعهد اليه قيادة الجيش لاخضاع هؤلاء الثائرين تجمعوا افواجهم سوية وساروا على دلهي للبطش بالملك ووزيره واتباعه فاتخذ الملك في هذه اثناء الاحترازات اللازمة في سلامة نفسه وعزم على ترك الوزير ودخل في مخابرة مع المحاصرين من اجل سلامة حياته وقطع دابر الوزير فاحفت هذه المخابرات على الوزير فدبر الوزير اشغاله وجمع لنفسه شرذمة ودخل بها في محلات الملك عازما على قتله فقابله ومن معه قوة شديدة وقطعت دابر هذه الشرذمة بما فيها الوزير واقر الملك على المتحالفين الايمان الوثيقة في دخولهم تحت طاعته ورفعهم الى درجات الشرف في مناصب الحكومة ووظائفها ووافق كل من كان اشترك في قتل السلطان مبارك كاس حمامه وخاف الكثير من الرؤساء ذوي النفوذ والشوكة فجاؤوا وقدموا طاعتهم للملك وسار على منوالهم ما كان نافرا من الناس الاخرين ومن بعد هذه اظهر السيد محمد حزمه وشهامته وقوته واجرى حربا في جهة مولتان وسار ايضا نحو سمنة ووصل فرقة من جيشه سرحها نحو جوشروت جوكور فنهبت ارضه وبلاده وعاد الملك الى دلهي وعكف على الملاهي والالعاب وترك اعمال الحكومة واشغالها بالكلية وابتدا نتايج الاعمال التي لا مفر منها والآثار نقمها في الميدان وهي ان الحروب الثورة بين الافغانية وقام بهلول لودي ابن اخو واحد من القواد الرؤساء من صنف المتحالفين وتغلب على سرهند وضبط لاهور ودبالبور وكافة الاراضي الى حد باني بوت في اثناء ما كان السيد محمد مشتغلا معه زهت تلك ما لوا في راس قوة حتى صار ... قد نكد

تعدوت اميال من دلهي مهددا لها فارتج السيد محمد من هول هذه الحادثة وعقد صلحا مع بهلول لودي وبعد ما لما عدة دلهي فان بهلول لم يمد للعاصمة في راس عشرين الف حصان في جودة من التسليح والتطقيم وحصد عنها ما هدده بها ملك مالوه من الخطر وسولت لبهلول نفسه في التخت ولم يزل طارح احكامه في لاهور ودبالبور التي اغتصبها وتثبت وقوي نفسه ادخل جماعة عديدة من الافغانية تحت بيرقه وفي غضون ذلك ومن بعد ان يسير في ما امره به السلطان من هياج الحرب على جوشروت جوكور العدو القديم لدلهي حث هذا الرئيس في الاثناء اكرامهم وضبطوا عدة اقاليم تابعة لدلهي وحاصروا نفس دلهي بالفعل ثم ان بهلول التزم على كونه يتنازل من هذا المشروع وبوجه التفاتاته الى اشياء اخرى كبتت عليه وضغطت على نفسه وكان هذا هو السبب في ضعف شوكة دلهي من سوء تدبير الحكومة حتى انه زمينداران بيانه ادخلوا انفسهم تحت احكام حكومة مالوه وهلك السيد محمد بالموت العادة في سنة ١٤٤٥ لبعد الميلاد من بعد انه تسلطن اثني عشرة سنة وبضع شهور

ومن بعد موته خلفه على تخت المملكة علاء الدين ابنه واخذ على كافة اشراف المملكة البيعة لنفسه ما عدا بهلول لودي وما كان اذرا بهلول بهذا الملك الشاب بنوع حنق او عقاب وفي سنة ١٤٤٦ بعد الميلاد جمع علاء الدين جيشا من اجل خلوص بيانه وعمورها وفي اثناء سفره اليها وصلت اليه الاخبار في طريقه بانه جيشا عدوا لدسايرا الى دلهي من اجل الغارة عليها فولو ان وزيره نصحه واشار عليه في كونه لا يصدق هذه الاخبار الكاذبة فانه عاد قافلا لحماية عاصمته وظهرت اكذوبة هذه الاخبار كما قال له وزيره فكان ذلك سببا في دمار شهرة اسمه وجعل الناس من اكبر المغفلين زيادة عن ابيه ثم وقع منه شغل اخر كان اشد كراهة عند رعاياه وهو انه احب المقام في دلهي وقضى مدة اوقاته في النزاهة في البساتين وانشائها وانشأ وبنا السرايات وعمل الولائم والاحتفالات وفي مدة اشتغاله بهذه الملاهي جد بهلول لودي وطلب اغراضه نحو العاصمة ولما ترك الوزير الملك من سوء رايه وعدم حزمه وعقله اتحد علاء الدين مع الطامع عدوه بهلول وكانت النتيجة ان تنازل علاء الدين عن تخت دلهي الى بهلول على شرط ان يترك في حوزته العاصمة التي اتخذها دار مقام له من دون حصول ازعاج فيها وفي نظير ذلك اخذ من بهلول مبالغ جمة واعتزل بنفسه وقضى في هذه العزلة الثمانية وعشرين سنة التي كانت باقية من حياته وشهور سبع سنوات وكان اخر ملوك عائلة السادة وقيل ان علاء الدين هذا خرب المملكة وافقرها حتى ضبطها بهلول لودي مدة ثمانية وثلاثون سنة ضبطا قويا واشتهر ابنه اسكندر الاول في اعماله وجاء من بعده ابراهيم الثاني ولو انه كان شديد الباس شجاعا الا انه كان محقوتا مكروها وما كان على استقرار من مقابلة الارتباكات والقلاقل الكبيرة التي حاقت بالمملكة وسنذكر اخبار ملوك عائلة بهلول لودي في الفصل الاتي على وجه التفصيل ان شاء الله تعالى

الفصل الخامس
الافغانيون والمغل

من قبل ان نذكر تاريخ العائلة الافغانية نغتنم فرصة الفائدة في هذا المحل ونذكر التقسيمات الادارية التي كانت عليها الهندوستان في هذا العصر وجميع مواد هذه التقسيمات ماخوذة عن فرشته وذلك ان جزيرة الهند كانت في اواسط القرن الخامس عشر مقسومة الى عدة امارات منفصلة من بعضها حائزة استقلالية نفسها وهي الدكن ومالوه والجوزرات وجوانبور وبنقاله وكل واحدة من هذه الامارات لها ملك مخصوص مستقل في احكامه بنفسه وبانجاب وديبالبور وسرهند الماجة الجنوب لحد باني بوت متكلة اراضي بهلول وتملكه بهلول لودي خان ومهرولي والاراضي الداخلة على بعض اميال من مدينة دلهي الى حد سراي لادو تحت يد احمد خان الميواتي وسنبهل الى صونجي دلهي تحت يد داريا خان لودي ولوبچابور في الدواب تحت يد عيسى خان التركي ورابري وملحقاتها تحت يد كتاب خان الافغاني وكنبلا وبتياني تحت يد راجا برتاب سنك وبيانه تحت يد داوود خان لودي وكانديش والسند وموتلتان كل منها له ملك مسلم مستقل ومن ثم ما كان لمدينة دلهي الا القطعة صغيرة من الاراضي ملحوقة بها عرضها اثني عشرة ميل من الاسوار في جهة وفي اخرى اقل من ميل في الوقت الذي استحوذ

سلطنة السيد محمد ابن السيد مبارك

سلطنة علاء الدين ابن السيد محمد

قيام عائلة لودي

فيه عليها بهلول لودى وتلقب بلقب ملك او سلطان
كان بهلول لودى الملك الجديد فى دلى من ذرية الافغانيين وتزعم الافغانيون على ان اصلهم من اليهود
وان اسمهم مشتق من افغان بن ارميا بن طالوت ملك بنى اسرائيل الذى حملت ذريته الى دار
الاسر فى بابل واسكنهم بخت نصر فى جبال الغور وقندهار وغزنه وقيل انه هولاء اليهود حافظوا
على تمسكهم بعقايدهم الدينية الى ان ظهر محمد صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا وسيدهم فتوجه واحد من
الزعماء اسمه قيس بدعوة من خالد بن الوليد الى مكة ودخل مع الذين كانوا معه من اهل بلاده
فى الاسلام وانضموا الى البيارق الاسلامية والعساكر المحمدية وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده
ثم عادوا الى ارضهم وبلادهم ونشروا فيها الدين الاسلامى واستمرت ذراريهم متمسكة بهذا الدين الجديد
وقايمين شعار عقايده وعباداته ومجاهدة الكافرين وعار الملحدين المضلين واقول ان هذا
الزعم لا اصل له لانه لا توجد ادلة يستدل منها على حقيقته ويزعمون ايضا انهم فى مدة قاصية اولية
جدا كانوا امة تجارية وتجارتهم جارية بين الهند وفارس وفى مدة سلطنة فيروز طغلق كان
جد بهلول لودى اموال كثيرة وشوكة عظيمة وارتقى الى حكومة مولتان وكان عمه ايضا فى خدمة
خضر خان قايد الفرقة الافغانية واشتهر بشجاعته فى الحروب وكافاه خضر خان على شجاعته وسلامة
فى خدمته بكونه جعله حاكم سرهند ولقبه اسلام خان واشترك معه اخوته فى هذا الطالع السعيد
وانعم خضر خان على كل واحد منهم وكان من جملتهم ابو بهلول انعم عليه بحكومة احد الاقاليم ولما
مات ابو بهلول دخل بهلول فى الخدمة العسكرية تحت يد عمه اسلام خان وتزوج ابنته ولو
ان اسلام خان كان كثير الاولاد فانه جعل بهلول ابن اخيه الوارث له واوصى ان يكون هو الخليفة
من بعد موته فى قيادة العساكر المؤلفة تحت يده وكانوا فرقة مركبة من اثنى عشرة الف مقاتل من
الافغانيين ثم تولد من زيادة قوة الافغانيين كل يوم فى سرهند وشوكتهم هياج الغيرة
والحسد عند الدولة الحاكمة فى دلى وارسل السيد محمد جيشا ضد الافغانيين واغوى ايضا جوسروت
جوكور فى شن الغارة عليهم وفى مدة تقلبات هذه الحرب التزم بهلول على المهاجرة الى الجبال
مع النساء والاطفال ووقع ابن عمه فى ايدى العدو وقطعت راسه وحملت الى جوسروت فرماها
الى ابيه وكان وقوعه فى يد العدو غدرا وخيانة فانكر الوالد ان هذا راس ابنه الا انه لما سمع كلام
الفروسية التى جرحها عدوت خيانة اذرفت عينى هذا الفارس العجوز بالدموع وبكى وقال نعم هو
ابنى الا انى لا اعترف بهيئته وذاته حتى اعرف ما اراده من الشرف لقبيلته ثم قال ايضا ان ابن
اخى بهلول ربما لم يكن فى الواقعة او كان فيها وقتل فان كان مازال باقيا على قيد الحياة فانه لا بد
سيكون يا خذ بثار ابنى وكانت النتيجة اثبات ما قاله وهرب الرجل العجوز والتحق بابن اخيه
واعاد بهلول سرهند مع غاية العجلة وتغلب على كامل اقليم بانجاب وانهزم الوزير فى رأس جيش
ضخم ومازال الوزير حميد وكانت لا تطرأ له الحكومة بدسايس كان يحبوها على نفوذ وشوكة
كبيرة وباس شديد وتوصل فى مبادى هذه السلطنة باجل الاحترامات الا ان الملك اما انهم
عنه بعض خيانات وسابقى كالذى فعله مع سلفه او ظن انه صار مغرورا فى ظل الشوكة الكبيرة
للملك الذى احسن اليه بالتخت فعمل الملك حيلة فى القبض عليه وارغمه على الاستعفى والاستقالة من
وظيفة الوزارة واقامته او اعتزاله فى بيته من بعد ان حط شوكته وكسر كلمته ولما جلس بهلول
على تخت دلى اعاد لها شبابها القديم وشوكتها واضاف لها الاراضى التى فقدتها واخضع لطاعته
عموم الملوك الصغيرة الذين حولها وكانوا فى جد واجتهاد فى خلع طاعتها ونابذت سلطنة
بهلول وشوكته على الكل وفتح ايضا امارة جوانبور وكانت هاجت حربا شديدا فى مدة سلطنة
ثلاث ملوك متوالية لبث ما ينوف عن سنة وثلاثين سنة ما كان فيها الا مدة يسيرة وقصيرة الدوام
وعاش بهلول من بعد هذه الحرب عشر سنوات ومات طاعنا فى السن فى سنة ١٤٨٨ بعد الميلاد
من بعد ان سلطن تسعة وثلاثين سنة

ولو ان بهلول كان حاوى الفضايل واللطف واللين والعدل وكان ناجحا مظفرا فى مداولة
فى مشروعاته واعماله الا ان قسمته مملكته الواسعة اجزا بين اهله قاصدا فى هذه القسمة انه
احتراز من الاوب على اهله فانه كان من عدم الحزم والعقل والتدبير وفى مدة سلطنته دار
كثير من الاراضى والاراضى فى المملكة وترك ارضها فى وقت موته ممتدة من نهر جون فنا الى سلسلة
جبال همالايا والى حد بنارس فى جهة الشرق خلاف جهة فى غرب هذا النهر ممتدة الى بندلكهند

العايلة اللودية الافغانية

سلطنة بهلول لودى

٢٧٣

بنذ بكوند ووصى بهلول لابنه نظام خان المعروف باسكندر بالتخت وكانت وصيته له من بعد معارضة
مع اشرافه فانهم كانوا عارضوه فى وصيته هذه وقالوا له ان الاحق بالخلافة من دون ريب هو حفيده
الاصغر وكان ابو هذا الحفيد قتله واحد من قومه وما وقع قبل هذه المرة ان ملوك دلى كان لهم
قوة وشوكة فى الوصاية بالتخت بل كانت امتيازاتهم وحدود شوكتهم مقصورة فى الاحكام لا فى الوصاية
بالتخت وكانت العادة عند موت الملك ان حق انتخاب الملك مقصور فى كبار المملكة واشرافها ثم صار
المطالب للتخت ثلاثة انفس واحد منهم الذى وصى له الملك بالتخت والاخر حفيد الملك طفل صغير و
الثالث احد الكبير الباقى على قيد الحياة ثم انفصلت قضية الجلوس على التخت لاسكندر فعارض فى
انتخابه اثنان من اخوته فحاربهما واخضعهما لطاعته وقابلهما بالاحسان والمعروف واعاد عليهما حكومتيهما
واعتزل راجا جاليبور وحاكم بيانه لطاعته وعزل حاكم بيانه من اقليم وعينه حاكم جاكيسور و
شندوار ودهولبور وسيكيت واتخذ اگره تخته ثم هاجت ثورة بين زميندارات جوانبور واعتدوا عليها
وفزعها وانتشرت حتى التزم الملك على البراز الى الحرب فى راس جيش مؤلف من مائة الف مقاتل ولو
ان الزميندارات اوقعوا الفزع والهرب فى اصحاب السلطان الا انهم خضعوا فى اخر امرهم لطاعة
الملك واتسعت ظهر الى حد تخوم بنقاله الى حكومة دلى وخضع كل من راجا دولپور وجاليبور
واستولى اسكندر على شندرى ثم جرد استعداده لمشى اخر على جاليبور فاصابه مرض ومات بدا الخانق
فى سنة ١٥١٧ بعد الميلاد وظهر من اسكندر فى مدة سلطنته صفات حميدة موجودة فى ملك جليل القدر
وكان فارسا شجاعا فى ميدان الحرب وما حصل منه اهمال فى الاعمال الداخلية والادارات المدنية وكافة
مواد القضا واحتياج المعايش كانت موجودة بوفرة مع رخص اثمانها واسعارها واستتب الامن
والراحة فى داخل المملكة وكان فى غالب اوقاته يقضى مدة النهار فى الاشغال وكان عادلا وشفيقا
رفيقا فى احكامه وادارة اشغاله واذا توجه لوقعة مع احد اخصامه كان يقابله على الدوام
فى طريقه رجل منجم يسلم عليه ويقول له ان الله سبحانه وتعالى بعث اليك النصر فيقول له الملك ادع
الله ان يعطى النصر لمن يحب الخير والاصلاح لرعاياه وعباده وادخل فى العسكرية فى مدة سلطنته
نظامات وقوانين جديدة وحدد الصفة والدرجة التى يرتقى بها كل ضابط فى درجات العسكرية
ووظايفها والسؤال عن اصله وتربيته وتهذيبه وكانت نتيجة ذلك ان صار عموم الضباط من
المهذبين وشيد محطات بريد الخيل فى كافة جهات المملكة وكانت الحوادث والوقايع تاتى اليه مع التنظيم
من كل فرقة عسكرية قريبة المسافة او بعيدتها وتقارير ويوميات الجيوش وتقارير المحاكم والاخبار
من المداين الكبيرة والصغيرة كل يوم وكان ملكا صالحا عابدا خاشعا لربه متمسكا فى دينه له غيرة
كبيرة وحمية جسيمة فى الدين وخرب معابد وهياكل الهند وامر بتكسير اصنامها وتماثيلها وابتنى الجوامع
والاسواق فى مواجهة محلات الاستحمام فى عرينة متبره الموجودة فى النهر واصدر اوامره عنده
بان كل من استحم او اغتسل فى النهر فى هذه الجهة من الهنود ذاق وبال امره وعذب عذابا شديدا
وامر الحجامين بعدم حلق رؤس وذقون الهنود لاجل حرمانهم من اقامة شعار ديانتهم ومن قبل
جلوسه على التخت كانت وقعت بينه وبين رجل مقدس من هنود وكان هذا الرجل قال انه لا يجوز
للملك من الملوك الدخول فى مذاهب وديانات رعاياه فقال له يا نجس يا شيطان اتبحث لدين
الهنود حقا فى هذا المجال فقال له حاشا وكلا انا كلامى من اصل نص القوانين والشرايع
وهو ان الملوك لا يجب عليهم ان يلزموا رعاياهم بترك عوايدهم والتداخل فى دينهم باى حالة كانت
وكان اسكندر اديبا شاعرا محبا للعلم والعلماء ولبث سلطنة ثمانية وعشرين سنة واعط علم
ولما مات اسكندر فى اگره جلس على التخت من بعد موته ابنه ابراهيم فابعد ابراهيم عنه اهله
واقاربه من اول دهلة بطاعة ادخلها ولوازمها كانت مكروهة عندهم الا انها كانت ايضا اقبح
واحسن لحالة انسان مستقر لحكومة امم مختلطة والمعنى انه امر بمعاملة عموم رعاياه بالعدل و
الانصاف والرحمة وان لا يكون للملك اهل ولا اقارب وان يكون نظره الى عموم الناس بدرجة
واحدة ونظر واحد فى صفة انهم رعايا المملكة وخدامها فاقتضى انه من حب رفض هذه
القاعدة التى ادخلها فى المملكة انه بدل ان يرفع الوجهين من الافغانيين الى درجة المناصب العالية
جردهم من مناصبهم وجعلهم فى حالة واحدة مع جماهير العالم وكان للافغانيين درجة امتياز
فى جلوسهم عند الحضرة السلطانية فالزمهم فى هذه الحالة على الوقوف امام التخت ايديهم ملفوفة
وراء ظهورهم فى حالة الذلة والمسكنة فابتدأ حصول نفور الروسا اللودية من ابراهيم فى مبادى
سلطنته وانفصل اثنا مع بعضهم على انهم يتركوا فى حوزة دلى وبعض الاقاليم التابعة لها ويرفعوا

سلطنة اسكندر بن بهلول لودى

سلطنة ابراهيم بن اسكندر لودى

٢٧٤

اخوه جلال الدين خان الى تخت جونفور وكان في هذا الوقت حاكم جهة كالبي فوطد ابراهيم
لنفسه كافة وجوه واشراف وعمد الاقاليم الشرقية ولما استقر احضار ما سيحصل من الحزن والوزن
المتولد من تقسيم المملكة ندموا على ما فعلوا من الاول الا ان الوقت كان فات وصنع عليهم واصدر
ابراهيم اعلانا من عنده بان السلطنة والحكومة بريئة من عموم الاشياء الذين يشيعون الزعيم
ويدخلون في امره وارسل في هذا الوقت هدايا وارسل الى عموم رؤسا المصالح العالية فتولد من
هذه الاجراءات عود الاشراف جميعا الى جهته واستعد جلال خان لاثبات زعمه وطلباته واحتوى
على محالفات قوية وجمع جيشا جرارا وهجم به على قوى اودهه والزوهه المتحيزة تحت لو كنه فلما
وصلت اخبار هذه الحوادث الى ابراهيم قبض على اخوته الاخرين واودعهم في السجن وساق عساكره
وقواه نحو اودهه فابتعد محالفي جلال خان عنه وتوجهوا الى الملك وساروا هو على اكره موملا
انه ربما يتغلب على هذه المدينة او ينهب الخزاين الملوكية الموجودة فيها فمنع من بشره الحصول
على كلا الشيئين ثانيين وصل اليه من ابراهيم بانه منح عليه حكومة كالبي مستقلا فيها ولما
تغلب ابراهيم على كالبي فسخ هذا التامين ولما ترك عسكر جلال الدين رئيسهم جلال الدين
المذكور التزم على الهرب الى جاليور من اجل البحث عن سلامة نفسه تحت ظل ملكها فارتاب ابراهيم
في هذا الوقت من تغلب اهوا الوزير فوضعه في الاغلال واغدق على ابنه من بعده بالشرف
والنعمة ووجه جيشا لحصار جاليور فهرب جلال خان منها الى مالوه ولما لم يقبل بل فيها بالاكرام
هرب نحو جوراكوطا فوقع القبض عليه في طريق سعره وارسل ماسورا الى الملك فارسله
الملك الى السجن قلعة هانسي وكان مسجونا فيه اخوته الاخرين وكانت الاوامر صدرت بذبحه
في الطريق فقتل وهو متوجه الى السجن هانسي واما جاليور وكانت من عهد مائة سنة مضت
وهي في حوزة الهندو فانها دخلت في حوزة ابراهيم وتولد من شدة قساوة ابراهيم الذي
لم يصبغ يداه فقط في دم اخيه بل وصبغ يديه ايضا في دم الكثير من الامرا والرؤسا
هياج وثوران وعصيان اخر عليه حتى بلغ جيش الثايرين اربعين الف حصان وخمسماية
فيل وقوة كبيرة من المشاة وساروا بهذا الجيش الجرار لمصادمة القوى السلطانية وكانت
تحت قيادة احمد خان فانهزمت هذه القوة الضخمة وتركت واحد من رؤسها ملقى قتيلا
في ميدان الواقعة ووقع الاخرين واموالهم وحللهم في ايدي العساكر السلطانية واعقبت هذه
النصرة عدة مذابح واهوال واظهر ابراهيم الكراهة الشديدة والادرام الشنيع لعموم الاوليا
الذين كانوا في ديوان اسكندر فتولد من ذلك ايضا هياج وثوران تشتت عدد فيه حاكم بهار بعدة
رجال من اهل النجدات والباس ولما مات هذا الحاكم تقلد ابنه بهادر خان لعيب ملكه وسمى
نفسه محمد شاه فكان ما فعله ابراهيم من القبايح والعيوب والظلم والجور سببا في ان هذا الرئيس
انضم اليه الكثير من الرؤسا والقواد الناقمين ورأى نفسه في رأس ماية الف مقاتل استحوذ بها
على عموم الاراضي الى حد سنبهل وهزم العساكر الملوكية في عدة وقايع متواليه وقام غازي خان
لودي طالما متمكنا من ديوان دلهي مسرعا من لاهور في رأس جيش ط عدة دلهي ولما بلغته
الاخبار في طريق سيره بما هو واقع من الخيانات وسفك الدما ارتاع وخاف على سلامة نفسه
وعاد فارا الى ابيه دولت خان لودي ولما رأى دولت خان لودي عدم سلامة نفسه وعائلته من
غائلة الملك ابراهيم رمى نفسه تحت حماية بابر الملك المتسلطن في ذلك الوقت في قابول وكان بابر
معولي الاصل وشجعه وقواه على الشروع في فتح البلاد الهندية ومن قبل حصول هذه الغزوة
وتمامها سعى علاء الدين سعيا اخر وكان اجتهد في الهرب من اخيه ابراهيم وسار الى قابول
حتى دولت خان وقواه من طلب له التخت وكان مقصودا دولت خان تنظيف الطريق وتمهيدها
وتجهيزها والمداومة على ما كان عليه من مطامع اغراضه فانضم الى علاء الدين اخو
الملك ابراهيم الكثير من الرؤسا الناقمين وما ظهرت مدة قليلة حتى صار في رأس جيش مؤلف من
اربعين الف مقاتل وسار به نحو دلهي فالتقاه الجيش السلطاني ومن بعد واقعة شديدة انهزم
علاء الدين وهرب منقهرا نحو بانجاب ومن بعد هذه الواقعة ما وقعت وقايع مهمة ولا
ثوران ولا شي يذكر الى حد سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد حتى جاء بابر في الهند وفي واقعة بين
بين الدهليين حصلت في نواحي بانيبوت انهزم الدهليون وفقد فيها ابراهيم تاجه وخسر
حياته وترك مملكة دلهي واكره صيدة سهلة لذرية تيمور المنصور وكنت سلطنة ابراهيم
لودي عشرون سنة

ولنشرع الان في الكلام على بابر واصله وفصله وما كان له من تغلبه على البلاد الهندية فنقول
ان القليل جدا من فاتحي البلاد الهندية اشتهروا في العالم الا ان بابر فاق عنهم في شهرة غاراته
وحروبه وفتوحه في البلاد الهندية واسس عائلة قوية صار عنها في تاريخها تاريخ اجدادها

دولت ابراهيم لودي

العائلة المغولية سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٨٥٧ بعد الميلاد

جنكيزخان وتيمور وفتح بابر القسم الاعظم من البلاد الهندية وكان مولده في سنة ١٤٨٢ بعد
الميلاد وهو النسل السادس من ذرية تيمور وكان افل وارث ورث في الممالك التي تغلب عليها تيمور
وما ورث منها الا قليلا جدا وكانت اجراآته واعماله عسكرية كانت او سياسية شديدة جلا حتى عاد
عليه منها في الغايل السعادة الكبيرة والابهة والمجد العظيم وذلك انه من بعد موت تيمور وابنه
شاه رخ تقسمت ممالكه قطعا ليست اقاليمها البعيدة فقط بل ونفس المملكة الاصلية في ماورا
النهر فانها تقلقت شظيات بين فروع عائلته المختلفة وصاروا في محاربات ومطاردات بين بعضهم
وان الممالك الواسعة التي كان استحوذ عليها جد بابر المعروف بابي سعيد تقاسمها العدد الكثير
من اولاده فاستحوذ واحد منهم اسمه احمد مرزه على سمرقند وبخارا ووقعت بلخ او باكطريانه
القديمة في يد واحد اخر وقابول لواحد ثالث اسمه اولغ بك والابن الرابع وهو الشيخ
عمر مرزه ابو بابر كان خطي له في الاول قابول ثم انتقل منها الى فرغانه وهو اقليم واقع
على المجرى الاعلا لنهر سيحون ولو ان هذا الاقليم قليل السعة الا انه خصب غني ظريف وكان
بابر يتذكر محبته وشغفه له على الدوام وقيل ان مولد بابر كان في اندريجه في شهر فبراير من
سنة ١٤٨٣ بعد الميلاد وهي السنة التي ولد فيها صاحب الاصلاح المسيحي الانجيلي الحبر الاكبر
لوثير مهذب العقايد الانجيلية البروتستانتية وفي السنة التي جلس فيها بابر على تخت فرغانه
كانت سنة غارة شارل الثامن على ايطاليا ولما مات ابو بابر من عارض حصل له من سقوط
سقف بيت الحمام عليه قدم اشرافه بابر ابنه واجلسوه على تخت فرغانه ولقب نفسه ظهير الدين
بابر في سنة ١٤٩٤ وكان عمره في هذا الوقت اثنا عشرة سنة وكان ابو بابر مشتغلا في حرب
مع كل من اخيه وصهره فاملا الاثنان رضاهم وكفايتهم في هذا الملك الصغير وحسبوا ان بهم
انهما الوارثين وكان في تقسيم مملكته بين بعضهما مع غاية السهولة فلاجل خلاص بابر من هذا
الكرب الشديد والامر العصيب عرض اهل بابر عليه ارسالهم الى الجبال والنجاة فيها فما رغب بابر
فيما عرضه عليه اهله وما قبله وشرع في الاستعداد لهذا الكرب المهدد لمملكته وفي هذا الوقت
حصلت حادثة ظهر منها شجاعة بابر وفراسته في المستقبل وهو ان واحد من خدم ديوانه ظهر
عليه انه في مخابرة مع العدو فامر الملك باحضاره عنده وذبح بيده كما يذبح القصاب الشاة
وخاب المخذولون بالخيبة في هجومهم على عاصمته وهاج الوبا والطاعون في معسكرهم على حين
غفلة وهلك معظم خيولهم وكان يموت منهم كل يوم نحو ماية فعقدوا بينهم وبين بابر مصالحة
ومن بعد هذه ساق كل من خان كاشغر وخوستان جيوشهما عليه ولما خابا في اعمالهما عقدا
معه صلحا ايضا ثم عصى عليه حاكم اشيره فحاصر بابر مدينته وارغمه على الخروج منها معلق سيفه
في رقبته وكفنه مربوط فوق اكتافه وسار بابر منها الى شاروكيه والتقا فيها مع خاله وعقد
معه صلحا وربط معه علاقاته وكان ملك سمرقند احتل ارطيبه احد الاقاليم التي كانت تابعة
ابو بابر في مدة حياته فعول بابر على عود هذا الاقليم وسار بجيشه نحوه ولبث الحرب قايما
ثلاث سنوات ولما ترك ملك تركستان خليفه ملك سمرقند تزوج ملك سمرقند في حاشية قليلة
من اتباعه مقدارها ٢٠٠ حصان من اجل ربط علاقات مع عمات خسروشاه ملك هندوش
فانتهز بابر فرصة غيابه من سمرقند واسرع في سيره ودخلها فتلقاه اشرافها مع غاية القبول
واجلسوه على تختها في سنة ١٤٩٧ بعد الميلاد وفي السنة الى من عشرة من عمره فلما غاب
بعض الرؤسا مع صد بابر اياهم في عموم نهب المدينة ذهبوا في جمع منهم وجعلوا رئيسا عليهم
اخوه الاصغر جهانكير مرزه وطلبوا له من بابر اقليم اندجان مما غال النفس من شدة الغضب
ونسب هذا الفعل الى اتباعه والى الذين كانوا تركوه وكان ذلك في تولد الكراهة والغضب عند
الباقين من ضباطه حتى ذهب الكثير منهم الى اعداه وزادت عليه مصاعبه واكداره فاصابه من
هذا الغم مرض شديد جدا كاد يقضي على حياته ولما حصلت له النقاهة من هذا المرض وجد اعماله
في ارتباكات كبيرة وكان الضباط والعساكر قطعوا الامل من حياته وشرع كل واحد منهم فيما يعود
على نفسه من الفايدة والمصلحة ولما بلغ على دوست اخبار موته سلم اقليم اندجان للعصاة فارسل
بابر الى عمه محمود في طلب المساعدة ولو ان عمه سارع نجدته الا انه كان خاليا من الادراكات العسكرية
وسمع ما عرضه عليه اهل الدرب يس والجبانات فعاد راجعا الى محله واعقب هذه المصيبة اما

قيام بابر واصله وفتوحه الهند سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد

بابر او بابور ابن ميرزا عمر بن ميرزا ابو سعيد بن ميرزا محمد بن ميرزا ميرانشاه بن تيمور انتهى مؤلف

تركه كافة عساكره ما عدا ثلاثمائة نفس منهم استمروا تابعين له في صداقتهم وشاركوه في نفيه
وسقوط طالع سعده فاتخذ دار مقره خوقند وهي مدينة صغيرة تساعد بحصولاتها وايراداتها
على حياة نفسه واصحابه وهاجت في احشائه نيران الفتح والسلطة والغلبة على الاراضي واشتعلت
حدة مطامعه وموقعه هذا القبيح حرارة شبها منه وسهلت له نفسه الدخول في ميدان اعمال شريفة
كبيرة وساق في فصل شتاء سنة ١٤٩٨ بعد الميلاد العصابة القليلة الملازمة له وتغلب على
كافة معاقل يار عيلاق سواء كان بالمعاهدة او بالهجوم او بالحيلة وكان اول ظهور طالع
سعده العظيم ان عاد على دوست طاغاي الى طاعته ثم ارسل له السلطان محمود عمه جيشا
لمساعدته واتفق في هذا الوقت ان الرؤساء العاصين وقعت منهم مظالم وجور شديد حتى
استاءت المداين من القيام عليهم وتركهم عاقبة امرهم وفي سنة ١٤٩٩ بعد الميلاد عادت اليه
مملكة ابيه بالكامل ثم بواسطة رعونته وطياشته التزم بالحرب مرة اخرى وذلك ان
جماعة من العصاة الذين كانوا سلموا انفسهم ودخلوا في طاعته دخلوا على شرط ان ترد اليهم
كافة املاكهم وكان اتباعه نهبوا باحرفته ثم خاف المغول الذين في خدمته وتركوه وساروا
عنه في عدد مؤلف من اربعة الاف نفس وعرضوا خدمتهم الى سلطان من جيرانه فصار له بهذه
المغورية طاقة على هزيمة قوى سيدهم الاول بابر ومن بعد عدة حركات واعمال متواليه حصل اتفاق
بين بابر واخوه جهانگير ان جهانگير يلزم ان تكون له الاراضي الواقعة في شمال نهر سيحون وان
يكون لبابر اندجان واوزكند وفي الى ان الشيباني لبابر الحصول منها على استيلاء سمرقند يلزم
ان يتنازل عن الكل الى جهانگير وربط جهانگير نفسه في عقد واحدة مع اخيه وضم قواه الى قوى
اخيه في الغارة على ارض سمرقند وبواسطة تكرار الغارات الطبيات صار حقيق بابر على كونه يكيد
اغراضه على سمرقند ومن ثم ساق عساكره اليها الا انه من قبل وصوله اليها وردت اليه الاخبار
بان كلا من سمرقند وبخارا تغلب عليها الاوزابكة اصحاب كاشغر ومع ذلك الوقت اسست
تلك المملكة التي استمرت باقية فيما وراء النهر الى ان تغلب عليها الروسيون ثم انه في مدة غياب بابر
تغلب تانبول مرة اخرى على فرغانه وهرب بابر واتباعه الى الجبال في الجهة الجنوبية في ارض
فرغانه وفي مدة هربه هذا وردت اليه الاخبار بان شيباني خان رئيس الاوزابكة ترك
سمرقند وتوجه في بعض غزواته وترك لمحافظة المدينة حمية اوستة الاف نفس فعزم بابر على
الهجوم عليها في مدة غيابه وسار اليها في عصابته القليلة وكانت مؤلفة من مائتين واربعين
نفس راكبين خيلهم طول ليلهم ولما اخذ المحافظون راحتهم في المدينة تسلقوا اسوارها من
دون ان يحصل منهم ادنى روع او فزع فخلف هو اهل المدينة مع الشكر والثناء على نجاحهم واتحدوا
معهم فقتلوا ما على الهجوم على المحافظين وساعدوهم بالنبابيت والمدق والطوب والاحجار
في طرد المحافظين عن المدينة ولما وصلت اخبار هذه الحادثة الى شيباني خان بصورة هذا
الهجوم الفجائي اسرع قافلا من غزوته فراى ابواب المدينة مسدودة في وجهه فانسحب الى بخارا
وخضعت شهرسبز وصغديانه مع قلاعها ومعاقلها الى طاعة بابر في بضع شهور قليلة وفي
سنة ١٥٠١ بعد الميلاد سار بابر على الاوزابكة فذاق شر هزيمة قبيحة حتى انه نجى مع غاية
المشقة مع شرذمة قليلة من اصحابه ودخلوا سمرقند من بعد ان عبروا النهر كوهك على ظهور
خيلهم وعاموه وعول بابر على ان يجعل مدينة سمرقند معقل حياته ومماته فحصر الاوزابكة هذه المدينة
وضيقوا عليها حتى ال امر اهلها الى اقصى درجات الاهوال والمصايب واكل الفقراء الكلاب
والقطط والحمير وكانوا يجمعون اوراق الاشجار من اجل علف الخيول وغذا بعض الناس كان
من قشور الاخشاب المخدرة مع المياه في ثنيان النار ولما صار لا طاقة لاهل المدينة والعساكر على
تحمل هذه المصايب والاهوال تحمل بابر هيئة تسليم وخرج من المدينة في منتصف الليل والمعف
ذلك سنتان كانتا على بابر من اصعب الاشياء وامرها مذاقا ذاق فيها حرارة كل صعب وشدة
ومحنة ورهبة وكان يمشي حافي القدم في وسط الجبال مع اصحابه وقال هو بنفسه ان اقدامهم
احترقت على الحفى وصعوبته حتى صاروا في اخر امرهم لا يستشعرون بانهم ماشيين على صخر او حجر
او تراب وتركه خدمه من قلة وجود الزاد والمؤنة وكان تارة يشاهد الاصعدا من شدة ما نابه
وما حاق به من هذه المصايب والاهوال وجولانه في الجبال تحت الامطار والاقطار واختل
عيل امره وفرغ صبره وقال في نفسه بدل الوقوع في هذه المهنة الشديدة القبيحة الاحسن لي ان
اهرب من عين كل انسان على قدر ما يمكن لرجل ان يختفي وعول على الرحيل الى الجهة الشمالية من البلاد
الصينية وفي اثنا هذه الافكار وردت اليه اخبار من فرغانة من اصحابه فرح وطرت له امالا
عادت اليه بواسطة عمه محمود عاصمة وانضم اليه اخوه من بعد ما كانت الاعداه وعمي عدوه

عدوه المداين القديم طانبول طمعا بعد عمه على الاوزابكة القوية فانهزم بابر ايضا وهرب مع قليل من
الناس يحارب ويضارب في كل خطوة خطاها وعجز عدوه من شدة حرارته وحميته حتى ان الخفر الذي
كان معه وقع جوادا بعد واحد في ايدي الاعداء وضعف حصانه جدا من كثرة التعب حتى اشرف
على ان يا هذه في الاسر اثنان من عسكر طانبول ونادوا عليه بصوت المحبة والوداد ان يقف لكنه اسرع
في سيره الى بعد وقت العصر الاولى فحلف له كل منهما قسما مؤكدا ان طانبول له رغبة شديدة في عودته
الى حكومته واقسما له ايضا بالقران الشريف انهما يكونا في خدمته معا ووجهاه فسار مع غاية المشقة
وانضم الى عمومته الا انه من دون منفعة لنفسه لان شيباني خان رغاه طانبول فوصل في جيش
كثيف وهزم المغول في واقعة حسكة واسر عمومة بابر وهرب بابر الى ارض مغوليستان واستمر
مدة سنة بتمامها يجول في ارضها في اضيق عيشه وحالة وذلة في وسط الجبال وصرف اماله من عودة
مرة اخرى الى مملكته التي ورثها عن ابيه وعزم على كونه يبحث عن طالع سعده في نواحي خراسان
ولما راى عدم اعتبار نفسه في طول هذه المدة في ارضه ووطنه خاطر بنفسه وجال فيما وراء جبال هندو
كوه ولو انه تقلبت عليه هذه الاهوال والشدايد وذاق مر الاخطار والمصاعب فانه سنه كان
بلغ في هذا الوقت ثلاثة وعشرون سنة فقط قال بعض المؤرخين ان بابر كان اشجع شجاع
في تاريخ الشرق وكان فارس اسيا وحز غاريها الكاسر صرف كامل حياته في التغلب على الممالك ثم جميلها
من يده فكنت تراه في وقت ملك مملكة كبيرة وفي وقت ما يحكم لنفسه الا على صف بلطي فيه وفي وقت
قائد جيشا ضخم جرار وفي وقت لا طاقة له على جمع مائتين نفس ولما دخل بابر من بعد ما تغلبت عليه الاهوال
والاوقات في ميدان جديد من ميادين التي طاف كانت اصحابه اقل من نحو ثمانية نفس وما كانوا معهم
الا خيمتان وكانت بلخ وباكطريانه في ذلك الوقت تحت احكام خسروشاه احد اخلاء عم بابر المتوفي
ومن بعد كان وزيرا لابنه وطرد خسرو هذا البرنس من سمرقند وقتله واشترك في قسمة ما كان باقيا
من ممالكه وكان بابر عند رعايا خسروشاه الذين استحوذ عليهم واراضيهم في هذه الجهة محبوبا جدا و
نظروا اليه بانه هو المالك المستحق للمملكة فاتفق انه ما بعد ان وصل بابر امام المغول الذين في خدمة
خسروشاه قدموا طاعتهم له ووصل اليه اخوه مع عموم عائلته وقدم اليه طاعته واعقب ذلك دخول
الجيش تحت طاعته وراى بابر نفسه في هذا الوقت في قوة كبيرة فسار بها الى فتح قابول وكان عمه اولغ
بك ملك تلك الارض مات في سنة ١٥٠١ بعد الميلاد اي من قبل هذه الحادثة بسنتين وترك
مملكته لابنه وكان غلاما صغيرا فطرده وزيره من مملكته ثم قام امير من قندهار قتل الوزير
وضبط المملكة وفي سنة ١٥٠٤ بعد الميلاد دخلت قابول وغزنة من دون ضربة ولا طعنة مع
كافة ملحقاتها من الاراضي اليه في طاعة بابر فتوطن في هذه الارض والبلاد اثنان وعشرين سنة
من قبل ان يشرع في فتح الهند وتسلطنت ذريته في هذه الارض الى اخر القرن السابع عشر من
التاريخ المسيحي وكانت كافة التقلبات والاعمال التي استحوذ عليها بابر في ظرف هذه المدة قاصرة
في داخل هذه الاراضي واخضع قندهار واخمد ثورة وعصاوة كان السبب فيها اخوه واهاج
حروبا على اعداءه القديمة الاوزابكة وضبط باكطريانه اي بلخ وبخارا واستحوذ مرة اخرى على
سمرقند في سنة ١٥١١ بعد الميلاد الا انه من قبل وحتى اثني عشر شهرا طرده الاوزابكة منها ولو
انه ثبت في الميدان بمساعدة الفرس ومحالفتهم له وداوم على الحرب سنتان فانه تجرد من كافة فتوحاته
ما عدا بلخ في سنة ١٥١٤ بعد الميلاد

ثم اتفق انه في هذا الوقت وجه بابر التفاته نحو الهند ودخل في المشروع الذي خابره فيه دولت
خان حاكم لاهور واولاده وكانت المخابرات التي ذكرها دولت خان لبابر مصحوبة بالبيعة
له والدخول في طاعته فقبل بابر ما عرضه عليه دولت خان وما ضيع لحظة من زمن في اجراء
الاستعدادات اللازمة وسار بابر في حركة من وسط ارض الجيكوريين واخضعهم لطاعته ووضع
على اعناقهم نير سلطانه وانهزم بهار خان لودي والامراء الافغانية الذين كانوا محافظين
على بيعة السلطان ابراهيم لودي وما تقيس كل مجازف ومحارب يغير على لاهور وارضها ونهب
جيش بابر المنصور مدينة لاهور ثم فتح ديبالپور عنوة واعقب هذا الهجوم مذبحة عمومية واما
دولت خان وكان طرده ملك دلهي من لاهور وهرب الى ارض بلوجستان فانه انضم الى بابر
مع اولاده الثلاثة وتلقاهم بابر مع غاية الرحب والقبول والاكرام وعرض دولت خان
على بابر في هذا الوقت ان يفصل فرقة من عساكره ويرسلها الى ولده اسماعيل خان وكان معه
عدة من اشراف الافغانيين جمعوا قوة عظيمة للملتقا بابر فاصير دلاور بن دولت خان في السر

ببر ان ابيه واخيه لا يريدان من هذا العصيان الا تفريق الجيش فقط وضعف قوته ولما احيط ببر علما
بهذا الخبر اودعهما في السجن ثم اخلى سبيلهما فيما بعد فقليل ان امنا على انفسهما بهذا الخلاص وهربا الى
الجبال الشرقية واستحوذ دلاور على املاكهما واستحوذ علاء الدين على ديبالبور وقامت فيه الاعمال
على ان يكون نائب اخيه السلطان ابراهيم في دلهي فنظرا لما حصل من الانحراف والعجز من اجل قوى
الباس مثل دولت خان وبعض اعمال اخرى لبث مواقف العمل حتى ببر على عوده الى قابول وبمجرد
انسحابه قام دولت خان وغازي خان وضبطا مدينة سلطانپور واودعا دلاور في السجن وارسل
السلطان ابراهيم جيشا من اجل دخولها في طاعته فدخل هذا الجيش في ارض ديبالبور وانتصر القائد
على علاء الدين فلما طرد علاء الدين من ديبالبور هرب الى قابول ثم عاد الى لاهور وجلب معه امرا
من ببر لقواده فيه بلزوم مساعدته في جلوسه على تخت دلهي وانه حربيا عند ببر على قدر ما يحتاج
له حالة الاعمال فاستعد دولت خان وابنه للمشاركة معه في هذا الامر ولما استحوذ رؤساء المغول
على اسم ببر كافة الاراضي الواقعة في غرب لاهور سعوا الى علاء الدين بالانضمام مع دولت خان
من اجل السعي والاجتهاد في تنفيذ طلباته وضما قواهما سوية وسارا على دلهي فزحف ابراهيم لما
اكره من اجل دفعهما ومقاومتهما فهجم دولت خان وعلاء الدين على جيشه في ظلام الليل وشتتاه
ولما جمع ابراهيم جيشه في صباح اليوم الثاني خطف النصرة من ايدي العصاة وتم له الظفر وتركوا
المدعي المنحوس علاء الدين ابتاعه فهرب مسرعا الى پنجاب في اسوء حال واكبر نكبة وكان ببر في هذا
الوقت على طريق سيره في العود الى الهند من اجل تجديد حروباته ودخل غازي خان لودي في طاعة
حكمه القديم السلطان ابراهيم وضم قواه معه عندما بلغه خبر تقدم المغول واستمر صديقا له حتى
مات ابراهيم

وفي سنة ١٥٢٥ ابتدأ ببر في حربه الى مس الهندي وفي مدة سيره في طريق لاهور شرع نفسه في
صيد بقر الانهر ووجد لنفسه فرصة كبيرة في تجربته شجاعة رؤساء وعساكره بير حجم في الحركات
العسكرية وفي دبسمبره من هذه السنة عبر نهر السند في رأس مائة الف حصان وكان دولت
خان وابنه في هذا الوقت مع جيش في طاعة امر السلطان ابراهيم مقداره اربعون الف حصان
معسكر على شواطئ نهر راڤي بالقرب من لاهور فما انتظر وصول ببر وانهزم دولت خان الى قلعة
مولوريت فحاصرها ببر وسلمت فيما بعد وقضى بضع ايام وعفى ببر عن العجوز الخائب دولت خان
واستقبله ايضا مع الاحترام وقربه وحباه وفي اليوم الثاني سار ببر في طلب غازي لودي
وكان هرب الى الجبال فانتصر عليه وهزمه وفيما بعد هزيمته ضم عسكره الى الجيش الموجود تحت
قيادة ابراهيم لودي سلطان دلهي وجزم ببر على التوجه الى دلهي وقواه لما هذه الغاية بلاكا
وورد اليه من بعض الاشخاص الموجودين في ديوان السلطان ابراهيم وفي اثناء سيره انضم اليه
رئيس افغاني هربان من ابراهيم ومعه ثلاثة الاف نفس فما انتظر السلطان ابراهيم وصول
ببر ويلتقيه تحت ظلال اسوار دلهي وحاربه بل برز الى ميدان الحرب مع جرأة وشجاعة فلما
وصل ببر الى مسافة مرحلتين من شاه عباد وردت اليه الاخبار بان مقدمة ابراهيم على مسافة
ست اميال او ثمانية امام مؤلفة من سبعة وثلاثين الف حصان فسيره لصد تقدم حركة
قام ببر بسرعة حركة جناحه الايسر لصدم هذه المقدمة فالتقيا عند شروق الشمس من صباح
اليوم الثاني وانتشب الحرب بين الفريقين مع الشدة والعنف فكانت الحالة وخيمة على اهل
دلهي وانهزموا شر هزيمة ووقع قائدهم في وقت الهزيمة وقتل عساكر ببر الاسرى اجمع قتلا
بالسيف ولما وصل الجيش الاصلي تحت قيادة ببر الى ميدان الواقعة عسكر فيه ست ايام امر
في ظرفها ببر ربط طقومة المدافع بسيور من الجلد الخام مثل الحالة الجارية في جيوش اسيا
الصغرى ولو ان جيش ابراهيم كان مؤلفا من مائة الف حصان ومائة فيل وكان جيش
ببر مؤلفا من اثنى عشر الف مقاتل فان ببر عزم واجتهد في الهجوم على الدهليين بجميع الالف
حصان في اجتهاده في هذه الحركة وفي صباح اليوم الثاني ساق ابراهيم عساكره الى السهل
المشهور في ارض پانيپوت وكانت پانيپوت ايضا ميدان الواقعة المشهورة حصلت بين
المراطيين واحمد شاه نذكرها فيما بعد في سنة ١٧٦١ بعد الميلاد وكان اليوم الذي
التقى فيه ببر مع السلطان ابراهيم من الايام الكبيرة المعدودة في تاريخ البحث جزيرة وهو الذي
في يوم ٢٠ ابريل من سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد صار الجيشان على مرأى من بعضهما فقسم ببر قواه
الى صفين كل صف مؤلف من اربع فرق واعداد وراء كل من الخطين عسكرا
ربت فرقة من الخيل في المواجهة لاجراء حركة المناوشة وربت الف كرخفيفة في الامام

الامام واوقف كل قايد في محله وجعل نفسه في القلب في الجزء الاول واما ابراهيم فانه رتب
قواه وعباها في صورة طابور على صف واحد وامر الخيالة حسب قواعد الحروب الهندية بالحملة فثبتت
المغول لهذا الهجوم ثباتا قويا حتى ان الدهليين اخذوا في تثقيل حركتهم في الهجوم من قبل ان يقربوا
من خطوط عدوهم فما تشتت هذه الفرق التي تقدمت وحملت على جزء ببر بل ولوا الادبار على اعقابهم
وفي اثناء رجعتهم صدرت اوامر ببر للامداد بالالتفاف والدوران حول اجنابهم فضغطوهم الى القلب ووقعوا
على مؤخرتهم وبهذه الحركة وهجوم ببر بالخطوط انقطع ادبار الافغانيين فقريبا وكان ابراهيم قتيلا
في وسط القتلى من عساكره وكانت عدتهم خمسة الاف قتيل ملقيين حوله ومن ضمنهم راجا گاليور
وقال بعض مؤرخي دلهي ان عدد القتلى بلغ الى ستة عشر الف نفس واوصلهم اخرون الى خمسين
الف نفس وقيل ان ببر سار على دلهي في رأس ١٢٠٠٠ مقاتل والتقى السلطان ابراهيم في رأس
جيش مؤلف من مائة الف حصان والف فيل الا ان شجاعة وفروسية اولاد الجبال اهل القوة
والشدة كانت اكبر بكثير من هذا العدد الكثير لان اهل دلهي ما كان لهم المام بفن الحرب وهذا
هو السبب في ان ابراهيم عبى جيشه في صورة خط طويل فلما هجمت عليه عساكر ببر وقع الارتباك
في الافغانيين وتقدم السلطان ابراهيم بنفسه مع زهرة خيالته وهجم على قلب عدوه واضرمت
الحرب في الاثنين طالبي السلطنة فقتل ابراهيم في اثناء الحرب وهرب جيشه وجلس ببر في سنة
١٥٢٦ بعد الميلاد على تخت دلهي وذكر ببر في حياة نفسه ما مضمونه انه من عهد النبي محمد صلى الله
عليه وسلم الى يومي هذا ان الثلاث ملوك الكبيرة الذين فتحوا الهندوستان وكانوا من غير اهلها
ثلاثة وهم السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي والسلطان محمد الغوري ونفسي (ببر) وما
ذكر ببر فتح جده تيمور الهندوستان لانه يحتمل انه بسبب ان تيمور ما اسس مملكة هندية لنفسه
في الهندوستان او وطن عائلة ابقت له الذكر من بعد موته وكان محمود الغزنوي ومحمد الغوري
من اكبر الملوك الا انهما كانا على الدوام معترضين براجات الممالك الصغيرة واما انا (ببر)
فولو ان كافة شوكة الراجات المشهورة في ممالكي من الجهة الشمالية الغربية فالتي تقدمت في رأس ثلاثة
عشر الف مقاتل هم جميعا اتباعي واصحابي وزحفت على امبراطور عموم الهندوستان وكان
جيشه مؤلفا من مائة الف حصان والف فيل فكانت وكالتي في ثقتي بالخالق جل جلاله وتعالت
اسماؤه انه لم يسمح لي بضياع تعبي سدى وما تحملته من المصاعب وهزم عدوي المهول صاحب
القوى والعساكر الجمة والباس الشديد ومنحني قضيب الهندوستان واجلسني على تخته ثم تولد من
الكراهة الكبيرة التي كانت مكنونة في قلوب كل من المغول والافغانيين لجهة بعضهم بعضا تصميم
الافغانيين على رفض الطاعة وعدم دخولهم تحت احكام ببر وضبط كل واحد من الامراء
الافغانية اقليما على حدته وحكم فيه وجعلوا حكم المغول حكم اغتصاب اجنبي وجمعوا انفسهم
ملوك الراجپوت واشجع امة الهند وقاموا بالسلاح في كل جهة وعمروا قلاعهم وحصنوها
وضبطوها في اعظم المدافعة والمقاومة وحتى الذين كانوا انضموا اليهم مع ببر تركوه وقام
المزارعون والفلاحون الموجودين حول اگره وصاروا يغيرون على المغول من كل جانب وقطعوا
عنهم العلائف وكل ما يكون من مؤنة بني الانسان والحيوانات وكان الاقليم الموجود فيه المغول
يبيسا ومتعودين على المقام فيه فمن ثم قل عددهم من الامراض والموت ولما اخذت هذه الحالة
في التكبس الثقيل على ببر حثه رؤساء عساكره بالعود الى قابول او لا اقل الى الاقاليم الواقعة
في غرب نهر السند فصرف بشدة جوابه مع الغضب وتطييب الوجه لقصور العود او الرجعة من دون
حرب في هذه المملكة الواسعة وقال لهم ان صوت الشرف والاقبال صار له قعقعة
كبيرة في اذنيه ولاجل هياج حمية هذا الشرف في ابدان اصحابه وامرائه قال لهم من حيث ان
الموت لا بد منه ولا مفر عنه فمن الحزم والعقل والشرف مقابلته في واقعة وجه لوجه احسن من
وقوع الانسان في الذلة والمسكنة ويحيي حياة وهمية حقيرة في مدة قليلة في الدنيا بما ان
الواحد منا لا يكسب منها شيئا ولا يرث شيئا سوى الفخر والشرف من بعد دخوله في ظلمات القبر ثم
قال ايضا ان هذه المملكة التي كلفت علينا الكلفات ودفعنا من اجلها اعظم الالام حتى
وصلنا الى الغلبة عليها والجلوس على تختها لا يمكن انفصال احد منا الا بالموت واصدر من طرفه
منشورا حيث فيه عزمه على البقاء في الهند ورخص فيه لكل من احب لنفسه السلامة عن الفخر
والشرف بالعود الى قابول فكان هذا المنشور من اكبر المصالح والفوائد لنفسه لان الرجال اهل
الباس والشدة الذين كانوا ينتظرون عوده وانسحابه من الهند الى قابول دخلوا جميعا معه في
اغراضه وثابروا في امره وفي هذا الوقت كان الجيش عند المتحزبين من الافغانيين مؤلف من

خمسين الف مقاتل مسفرة في ميدان الحرب الا ان معسكرهم كان حاويا لكل الدسايس والخيانات
وترك الوزير فتح خان الذى كان وزير السلطان ابراهيم المعسكر واغوى الكثير من الامراء والاشراف
على الدخول في طاعة والانقياد لامره فحانوا لدى هذه القسمة اطفئت آمال الوطنيين بل وحقن
الجم الغفير من رؤسائهم احمد محمود بن اسكندر لودى وعزموا بجيش مؤلف من مائة الف حصان على عود
العائلة الافغانية الى التخت ولكن فكان ذلك سببا في وقوع واقعة وقعت في نواحي راكو قرية على
نهر بانجنى وعلى مسافة اربعة اميال من بنر طبور واظهر الافغانية في هذه الواقعة الفروسية
في الحرب ومن بعد ان اظهر اليوم طالع سعده توهم انتهز بير فرصة صالحة لجهة وحمل حملة واحدة
مع عسكره الى صف كانه اسد قام شعره فوق جسمه من شدة غضبه ومن بعد ملحمة شديدة عنيدة
انكسر جند الهندو وركبهم الفشل وولوا الادبار واقتدوا في الفرار وعمل بير تذكارا لهذه النصرة
هرما من رؤس القتلى فوق كثيب مرتفع بالقرب من ميدان الواقعة وتلقب بلقب غازى وكانت
هذه الهزيمة سببا في ضعف قوة الافغانية وصار لا طاقة لهم بعدها على هياج اى مادة من
مواد الحرب واهل المغلوبون عليهم لم يقتلهم اجل فترة من الزمن وارسل بير ابنه همايون عائدا
الى قابول باوامر تتضمن اضافة اوطن جهة بلخ الى قلعة قابول فاخضع همايون جملة من
القلاع والمعاقل وفى سنة ١٥٢٨ بعد الميلاد طاف بير في مملكته الجديدة وفى غلاق هذه السنة
تغلب البرنس محمود بن اسكندر لودى على اقليم بهار وقام البلوجستانيون الى ثورة في مولتان
فسار بير بنفسه الى بهار وهزم محمود واخرجه منها وترك البرنس همايون اخاه هندال مرزه
نائبا عنه في قابول وعاد الى الهند من اجل زيارة ابوه وفى ٢٤ ديسمبر سنة ١٥٣٠ بعد
الميلاد مات بير في الهند واوصى بدفن نفسه في قابول وكانت مدة سلطنته ثمانية وثلاثين
سنة ومات في السنة المتممة للخمسين من عمره وكتب بنفسه شرح حياته وصفاته وما وقع له في حروبه
وحركاته باللغة التركية ثم ترجم هذا الشرح الى اللغة الفارسية في مدة سلطنة حفيده اكبر ثم
صار ترجمه الى اللغة الانكليزية والفرنساوية وغيرهما من اللغات الاخرى وقال فريشته ان
بير كان جميل الصورة ظريف الخطاب مجيب القاصد بشوش الوجه جامع صفات المحاسن والكمالات
عذب المنطق صاحب احساس وفراسة ونجابة وفطنة وكان عالما عارفا لا يناظره الا القليل
في الشعر وتركيب الاساليب والسجعات والالفاظ وفن الموسيقى وكانت بخارا وسمرقند في
عصر جده جنكيز خان اول مداين الحضاره والتمدن في تلك الجهات ومع ما كان فيه من اشتغال
بالحروب فانه ما بعد وما اشغله ذلك عما يجب عليه من لذة نفسه فكان معتكفا على الفراغ
والسرور مداوما شرب الكاس واجتماع مع النساء ولما مال الى الزواج امر بانه يملأ حوض في
بستانه الى حده بالشراب والمدام

ممالك الهندو في الجهة الجنوبية من الهند

وقد رأيت الآن ان اذكر من قبل ذكر سلطنة همايون بن بير بن ميرزا عمر بن ميرزا ابو سعيد
ابن ميرزا محمد بن ميرزا او جلال الدين اميرانشاه بن تيمور على وجه الايجاز والاختصار ما
كانت عليه الممالك الصغيرة الموجودة في هذه الحالة تحت يد الملوك الهندو والملوك المسلمين الواقعة
في الجهة الجنوبية من الهند فاقول انى قد ذكرت فيما سبق ان عائلة السادة حكمت من سنة
١٤١٤ الى سنة ١٤٥٠ بعد الميلاد والعائلة اللودية الافغانية من سنة ١٤٥٠ الى سنة
١٥٢٦ بعد الميلاد وحطها بير تحت اقدامه في نفس هذه السنة وكان يوجد بعض من سلاطين
العائلة اللودية متسلطنا في جهات قريبة على بعض اميال حول مدينة دلهى وفى ظرف عموم
هذه المدة كان ملوك الهندو والملوك المسلمين مستقلين في احكامهم في عموم القسم الاعظم من
الاراضى الهندية في هذه السنة واستمرت هذه العائلة المغولية متسلطنة في الهند الى ان خلع
اخر ملك من ملوكها منفيا بواسطة الحكومة الملعونة الانكليزية في مدينة رانجون سنة ١٨٦٢
بعد الميلاد بسبب تغلب الامة الخاسرة الظالمة لعنها الله الانكليزية على الهند ومن قبل الدخول
في تاريخ المملكة من بعد موت بير نشرح ما كانت عليه ممالك الهندو والمسلمين في جهة جنوب
جبال وندهيا وكان يوجد من القديم في تلك الجهة ثلاث ممالك عظيمة وهى شيرا وشولا
وبندريا وكانت مشتملة فوق الدراوريانه وعمومها مسكونة باجناس من الامم يتكلمون بلغة
التمل وكانت مملكة بندريا اكبر هذه الممالك واعظمها وعاصمتها مدينة مادوره او ماطوره قيل
ان هذه المدينة تاسست في القرن الرابع قبل الميلاد واما مملكة شولا فكان فيها عاصمتان
مشهورتان كنجاكونوم وطانجور ومدينة طالكاد في ارض ميسور وهى الان مدفونة

مدفونة تحت رمال كاوريرى كانت عاصمة مملكة شيره من سنة ٢٨٨ الى سنة ٩٠٠ بعد الميلاد
ثم ان الملك الثانى وتسعة عشر من ملوك العائلة الباندريانية او البندريانية تغلب عليه القائد
المسلم ملك كافور في سنة ١٣٠٤ بعد الميلاد غير ان المسلمين خابوا في ان يقيموا لهم دولة
في الطرف الجنوبى من الهند وحكمت مدة عائلات هندية من ماطوره على المملكة القديمة البندريانية
الى حد القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحى وما وجدت مملكة اوروباوية او غيرها تمادت عمرها
مدة قرون وعصور وهى على حالة واحدة لم تتغير مثل مملكة بندريانه او ماطوره فانها لبثت نحو
من ما ينوف عن الفين سنة واما مملكة شيره فان عدة ملوكها بلغت خمسين ملكا وبلغ عدد
ملوك شولا ستة وستين ملكا خلاف فروع صغيرة تولدت من عائلات هذه الملوك وكان
التاريخ الصحيح المعول عليه في الهند الجنوبى مبدؤه مملكة الهندو في ويجايا نجار من سنة ١١١٨
الى سنة ١٥٦٥ بعد الميلاد واثار عاصمتها ما زالت موجودة في داخل اقليم مدراس المعروف في
القديم باسم بلارى على الضفة اليمنى من نهر طنجابهدره وهى اطلال ورسوم واثار واسعة من
معابد وهياكل واستحكامات وخزانات مياه وبرك وقناطر واحجار ملانة بالافاعى و
الثعابين المهولة والعنبوعة وحيوانات وحشية مفترسة واستمرت ويجايا نجار حاكمة على
القسم المثلثى الشكل من الهند مدة ثلاث قرون لا اقل تهيج اجنادها حروبا او تعقد صلحا مع ملوك
المسلمين في الدكهن

الممالك الاسلامية في الدكهن

واما الممالك الاسلامية في الدكهن فان سلاطينها في الهند الجنوبية كان اصل وجودهم فيها من فتوحات
شمس الدين علاء الدين من سنة ١٣٠٣ الى سنة ١٣٠٦ بعد الميلاد ومن بعد مدة مشتعلة بنار
حروب قامت دولة بهمانى في الدكهن نائبة عن السلطنة الاسلامية في الهند الجنوبية وهزم
ظفر خان احد القواد الافغانية في مدة سلطنة محمد طغلق من سنة ١٣٢٥ الى سنة ١٣٥١
العسكر الدهلية وشيد في الدكهن السلطنة الاسلامية وبما ان ظفر هذا كان في صغره مملوك
واحد من البراهميين عاملة بالرأفة واعتق عليه بالرحمة ورعاه في صغره وانباه بسعادة
مقبلة فتلقب بلقب بهمانى واستمر هذا اللقب في خلفاه من بعده وكان قيام هذه الدولة
البهمانية في سنة ١٣٤٧ ولبثت ١٧٨ سنة اى الى سنة ١٥٢٥ بعد الميلاد وهى السنة التى دخل
بير فيها في الهند وكانت مداين هذه المملكة جولبارجاه ووارنجال وبيدار وكلها في حيدر
اباد وجميعها داخل اليوم في ارض نظام الملك محبوب على حيدر وفى مدة علو ارتقاء شوكة
الملوك البهمانية امتدت سلطنتهم على نصف الدكهن من ابتداء نهر طنجابهدره في جهة الجنوب
الى اوريسا في جهة الشمال ومن ابتداء بنتم في جهة الشرق الى جوواه في جهة الغرب
ومع هذا فان حكومتهم كانت (صارت) ضعيفة واستحصروا على عدد انفسهم في حروبهم الاولية مع
ملوك دلهى ممالك الهندو الجنوبية لويجايا نجار ووارنجال وفرقت العائلة البهمانية في مدة علو
شوكتها امر الاسلام وثابت عنه ضد الديانة الهندية في الجهات الجنوبية من سلسلة جبال وندهيا
وكانت محافلهم وحروبها مركبة من مسلمين وهندو فقتاله ان ملك ماللوه غار على الممالك البهمانية
في رأس جيش مختلط مؤلف من ١٢٠٠٠ مقاتل من افغانيين وراجبوتيين وكذا الراجا الهندو
صاحب ويجايا نجار الف جيوشه من مسلمى الافغانيين وقرر لهم اراضى اقاموا فيها وابتنى
لهم المساجد والجوامع لاقامة شعائر دياناتهم فيها وكانت العساكر البهمانية تساق لميدان الحروب
تحت رياسة قواد من الهندو دخلوا في الاسلام وكانت نفس الجيوش البهمانية في عصبتين
اسلاميتين معاديتين لبعضها وهما عقيدة الشيعة الداخل فيها بالخصوص الفرس والترك
او التتار من اسيا الوسطى والسنة وداخل فيها المولودين في الهند الجنوبية مع اولاد المسلمين
ومن وجود هذه العداوة الكبرى بين هاتين العقيدتين في الاسلام كان التخت البهمانى عرضة
للاخطار في غالب الاحوال ووصلت العائلة البهمانية الى اعلا درجات علوها تحت سلطنة
علاء الدين الثانى في نحو سنة ١٤٣٧ بعد الميلاد ثم انكسرت شوكتها بما وقع فيها من الفساد
والشقاق بين احزابها من سنة ١٤٨٩ الى سنة ١٥٢٥ بعد الميلاد ومن ابتداء سنة ١٤٨٩
الى سنة ١٦٨٨ بعد الميلاد تشكل على ارضها خمس ممالك اسلامية مستقلة في الدكهن وهى
اولا عائلة عادل شاه وعاصمتها مدينة بيجابور وكان قيامها في سنة ١٤٨٩ بواسطة
ابن مراد خان الثانى سلطان العثمانيين ثم تغلب عليها الامبراطور المغولى اورنك زيب
في سنة ١٦٨٦ وسنة ١٦٨٨ بعد الميلاد وثانيا عائلة كتاب شاه وعاصمتها احمدنابكار

قامت في سنة ١٤٩٠ بعد الميلاد بواسطة واحد خاين برهاني من ديوان ويجايانجار واضمحلت
الامبراطور المغولي جهان في سنة ١٦٣٤ ورابعها عائلة اسماعيل شاه من بيرار وعاصمتها
ايلشبور قامت في سنة ١٤٨٤ بواسطة واحد هندو من ويجايانجار ثم اضيفت الى مملكة
احمدناجار في سنة ١٥٧٢ وخامسا عائلة بريدشاه وعاصمتها بيدار قامت من سنة ١٤٩٢
الى سنة ١٤٩٨ بعد الميلاد بواسطة رجل تركي او مملوك جورجي الاصل وكانت ارضها صغيرة
وليس لها حدود واستمرت مستقلة الى حد سنة ١٦٠٩ بعد الميلاد وتغلب اورنگزيب على قلعة
بيدار في سنة ١٦٥٧ بعد الميلاد ولا يمكنني هنا ذكر تاريخ هذه العائلات الاسلامية الموجودة
في الهند الجنوبية لان هذا شيء يطول شرحه ويحتاج لمدة طويلة في الجمع والنقل والتبييض لا طاقة
لي به انما اقول انهم داوموا على استقلالية ممالكهم الى ان توطدت المملكة المغولية في الجهة الشمالية
من الهند تحت ايدي خلف الامبراطور جلال الدين اكبر بن همايون بن بابر واستمرت هذه
الممالك الاسلامية في محاربات طويلة مدة من الزمن مع مملكة الهندو الكبيرة في ويجايانجار
وفي سنة ١٥٦٥ دخلت هذه الممالك الاسلامية في جامعة واحدة مع بعضها على هذه المملكة
وبث عدتها بما كان في داخل حدودها واراضيها من العاصين على هذه المملكة من اهل بلادها
وانتصروا عليها في واقعة وقعت في طاليكوت في سنة ١٥٦٥ بعد الميلاد فكانت واقعة
طاليكوت الة الجازمة بسقوط مملكة ويجايانجار سقوطا لا رجعة بعده وحفظ امراؤها
المملكة من وطني الهندو اراضيهم التي كانت في صورة التزام تحت ايديهم وما كان لملوك الاسلام
قدرة او طاقة الا على اضافة البعض من اراضيها الى ممالكهم ومن ملوكها هولاء الامراء المعروفون
باسم النايكيون تناسل البالييجاريون في عمالة مدراس والمهراجا الحالي الموجود في ميسور
وهرب واحد من العائلة الملوكية من ويجايانجار الى شندره جيري واسس سلطنة من الزمن
سارت على منوال ما كانت عليه من هيئة سلطنتها القديمة وهذه العائلة هي التي وهبت مدينة
مدراس للامة الانكليزية في سنة ١٦٣٩
واما بنغالة فانها دخلت حكم دلهي من فوق رقبتها في سنة ١٢٤٠ بعد الميلاد وشيد حاكمها الملك
فخر الدين سلطنة لنفسه وصار سلطانا وجعل عاصمة مدينة الغور وضرب السكة باسمه وخلفاؤه
تختها عشرون ملكا الى سنة ١٥٢٨ ضمها الامبراطور المغولي همايون ضما وقتيا واخيرا دخلت مملكة
بنغالة في مملكة جلال الدين اكبر في سنة ١٥٧٦ وكذا قام اقليم الجوزرات الكبير في صورة
مملكة اسلامية مستقلة لبث قرنان من سنة ١٣٧١ حتى فتحها اكبر في سنة ١٥٧٢ وقامت مالوا
ايضا في هيئة مملكة مستقلة تحت حكام المسلمين واضافها ملك الجوزرات الى مملكته في سنة
١٥٣١ بعد الميلاد وكذا جوانبور بما في داخلها من اراضي بنارس في الوادي الاوسط في نهر
الكنج قامت في هيئة مملكة مستقلة اسلامية مدة مائة سنة من سنة ١٣٩٣ الى سنة ١٤٧٨
بعد الميلاد في مدة الاحكام المرتبكة لعائلة السادة واوايل العائلة اللودية في دلهي وكانت
الحالة الاولية لسلاطين المسلمين في دلهي من اصعب الامور واشدها خطرا بسبب توالي ورود
الجيوش الاسلامية من الاتراك والافغانيين والتاتار وتنزلهم من جبال هندوكوه و
اغتصابهم الاراضي الهندية من ايدي اخوانهم المسلمين الذين سبقوهم في فتحها والتغلب عليها
ومن ثم حاق بمملكة دلهي ثلاث موجات عالية مهولة كانت اشد خطرا واكبر كربا الاولى
حصول غارات جديدة من المسلمين ساحت بمدها من اسيا الوسطى والثانية عصاوة القواد
والرؤساء او الحكام المسلمين في داخل الاقطار الهندية والثالثة موجة اجناس الهندو الذين
كانوا قد فتحت ملوكهم في دلهي وما حصل بينهم وبين الملوك المسلمين وفاق واتفاق وربط علائق
واستمرت هذه الامواج تضرب في مملكة دلهي حتى عالجها وبنا جلال الدين اكبر الارصفة القوية
في صدها واحيى موضع دلهي من بعد ضعف وتلطيفه باشتراك الهندو في حكومته وردع
الغايرين الوافدين من الجهات البرانية من المسلمين وكسر نفوذ وشوكة سلاطين المسلمين
الموجودين في داخلها وارغمهم على الدخول تحت طاعته وصاروا في قبضة يده
ولنرجع الان الى ما كنا عليه من ذكر سلطنة همايون بن بابر فنقول انه لما مات بابر في مدينة
اگره في سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد ترك مملكة ممتدة من نهر اموا في اسيا الوسطى الى حدود
الدلتا الكنجية في بنغالة السفلى وخلفه من بعد موته ابنه همايون شاه وكان ملكا
الذوق والعقل مهذب وبمجرد جلوسه على التخت اشتغل اخوه ميرزا كامران في ان يغتصب

سلطنة همايون بن بابر من سنة ١٥٣٠ الى سنة ١٥٥٦ بعد الميلاد

منه بانجاب ويجعلها مستقلة لنفسه فلما عرف همايون اغراضه ما رغب ان يشتبك معه
في حرب حفظا للطبيعة البشرية وامتزاجه بكونه ارسل له رسولا بحكومته في بانجاب وقندهار
ولتقام وكان محمود بن اسكندر لودي ما زال تحت السلاح في امل عوده السلطنة الوراثية التي
كانت لاهل بيته وكان متحوزا على جوانبور فرد همايون لتلك الجهة وطرد محمود منها واعادها
لاملاكه ثم وقع الكشف على ثورة تشكلت على فقد حياة همايون مؤلفة من ناس من اهل بلاده
وصدر عفوه على الوزير الذي كان سببا في تحريك هذه الثورة وتشكيلها وعاقب بعض الذين
كانوا اشتركوا معه في الخيانة وكانوا من الحكام الممتازين في خدمته واما ميرزا كامران وكان
عفى عنه من بعد ان اخذ عليه العهود والمواثيق والايمان المؤكدة باطاعته لاخيه فانه انتهز
لنفسه فرصة وهرب من اخيه والتجأ في ديوان الجوزرات عند بهادرشاه ملكها والتحق به في
هذا الديوان ما ينوف على سبعة الاف من اصحابه من المغول والافغانيين والراجابوتيين
فطلب همايون من بهادرشاه تسليم ميرزا كامران فما قبل بهادرشاه تسليمه فشرع همايون
في الاستعداد لوجوب نفاذ طلبه وكان بهادرشاه في هذا الوقت مشغولا بحصار قلعة شيطور
وسار نحو الجوزرات الا انه بسبب بعض اشيا مجهولة ولو ان همايون وصل الى جاليور واعلن
الملك رانا سنكا حماية همايون لنفسه فانه من بعد شهرين فك معسكره ورجع قافلا بالسلامة
الى اگره وكان بهادرشاه مضايق الحصار على رانا سنكا فلما قطع رانا سنكا الامل من خلاصه من
يد بهادرشاه ارسل له هدايا جسيمة ثمينة حتى رفع الحصار عن مدينته ثم ان ما وقع من عدم توالي
المداومة في اخذ ما كان عليه بهادرشاه من خط مع اغراضه من طرف حكومة دلهي وجرا ماله الى
امال كبيرة جدا هي طرد عائلة بابر الجديدة من فوق تخت دلهي واعلن هذا التخت الى علاء الدين
بن بهلول لودي ولاجل اثبات طلبه جمع جيشا مؤلفا من اربعين الف مقاتل وجعله تحت قيادة
علاء الدين لتنفيذ امره وعوده الى تخت عائلته وزحف علاء الدين بهذا الجيش الى اگره وعند
قربه منها هرب منه غالب رجال الجيش عندما رأوا الجيش المصادم لهم وما وصل معه مع شدة ثمانية
ضباط قطع جيش همايون دابرهم وقتلوا جميعا ثم من بعد قليل برز بهادرشاه الى ميدان الحرب
في راس جيش وافر وجمع مقدارا من الطوبجية والمدافع وخندق على جيشه ووضع الافواه النارية
في متاريس في شكل بالتفات وانتظر صدور الهجوم من جيش المغول فاستمر الجيشان على مرأى من
بعضهما مدة شهرين واخيرا انقطعت الذخاير والمون عن بهادرشاه ووقع الغلا والموت في الرجال
والخيول والجمال والفيلة التي كانت معه فكان يموت كل يوم منهم مقدار كبير من عدم وجود المؤونة وتسلط
العلل والامراض فلما رأى بهادرشاه ان حالته اضمحلت واختل امره وضعفت قوته ترك معسكره
مع خمسة من اتباعه في اثنا الليل الى لكك واسرع في التوجه الى مندو وفي اليوم التالي تشتت
جيشه وتبعه عسكر المغول فقتلوا واسروا وكان في مدينة مندو قوة كبيرة مؤلفة من الوف من الناس
تابعة لبهادرشاه فتسلق في اثنا الليل اسوار المدينة ثلاثمائة مقاتل من المغول واوقعوا القتل
والارتباك في المحافظين ونهبوا من المدينة وهرب المنحوس بهادرشاه الذي التجأ فيها مع خمسة
الوف حصان الى شامبانير وكانت في ذاك الوقت عاصمة الجوزرات وفي اثنا هروبه كان على
شرف القبض عليه بواسطة همايون نفسه لولا ان واحدا من اصحابه من اتباعه رمى نفسه بين
مغفر همايون وسيده ومن ثم كان سببا في نجاة بهادرشاه ففر وخلفه همايون مع شدة الحرارة
ومن بعد ان تغلب همايون على مندو بثلاثة ايام وصل الى مدينة شامبانير فاخذ بهادر كافة
كنوزه وهرب منها الى احمداباد وصدر امر همايون بنهب مدينة شامبانير الا ان قلعتها كانت
مستحكمة وفي غاية من قوة الحصانة والمحافظة وملآنة بالذخاير والمون واربعت همايون في طول
مدة صرفها بالمدافعة عن نفسها واستمر همايون في تعقيب ملك الجوزرات بهادرشاه في هروبه حتى
وصل الى مدينة كامبای وهرب منها الى جزيرة ديو ومن شدة سرعة همايون في سيره في تعقيبه
وصل كامبای بعد في اليوم الذي ترك فيه بهادرشاه وهرب منها وبما ان القسم
الاعظم الثمين من الخزائن الملوكية لمملكة الجوزرات كان مخزونا في قلعة شامبانير فرجع همايون
اليها وحاصرها وضيق في حصاره عليها واظهر الملك ... همايون في تغلبه على هذه القلعة
النجابة والمكنة والشجاعة مشاركا في ذلك ضباط عساكره وذلك انه كان يطوف في يوم
من الايام في الكشف على جهات القلعة فرأى جماعة من اهل البلاد حاملين مونا وذخاير من
طريق مخفي مار من وسط اوراق ... وهو في خفية وهم لا يعرفونه ان يا قدوه معهم الى

الجهة المتوجهون اليها ولما كشف الحال وتحقق منه جيدا انتخب في الليل ثلاثمائة نفس من اجود رجاله
واستعد لتسليق اسوار القلعة واجرى انواع هجومات كاذبة في جهات اخرى وسار هو وشرذمة
قليلون من اصحابه وقد بدا من الجهة التي كشفها من الاستكشافات وكانت معدودة بحيث عند محافظي
القلعة انه لا يمكن الوصول اليها ولا الهجوم عليها ولا القرب منها باي حالة من الاحوال ومن ثم كانوا
تركوها من دون حماية قطعا واستصحب الدريد بانات من ... فقط اخرى من الاستكشافات قابلة للهجوم
العدو عليها فثبت الملك سلالم التسليق في احجار الاسوار وبعد عدة اصعد الشعة وثلاثون من ابطال
اصحابه الى اعلا اسوار القلعة وصعد هو من بعدهم وكان تمام الاربعين ومن قبل شروق الشمس
كانوا جميعا في داخل اسوار القلعة واعطى الملك اشارة الهجوم لجيش المغول فهجم الجيش من كل جانب
هجوما شديدا على القلعة وسار الملك في راس اصحابه شاهرا سيفه في يده وما زالوا يضربون
في طريقهم حتى وصلوا بابا من ابواب القلعة وفتحوه والجيش عسكر همايون في داخلها وقتلوا
كافة الحامية وقطعت بالسيف واما الحاكم فانه بسبب صداقته وشجاعته خلص بحياته وكانت هذه
الواقعة من اجل وقائع يفخر بها همايون واشهرها في تاريخه واما الكنوز والذخائر التي وقعت
في يده وكانت مجموعة من اعوام وعصور مضت في هذه القلعة فانه اعطى لضباطه وعساكره
من ذهبها وفضتها وجواهرها على قدر ما يمكن تكويمه فوق ترس ... على حسب استحقاقهم ودرجات
رتبهم ووظائفهم واما بهادر شاه فانه لم ينحط ولا انحط من مصيبته هذه بل جمع ايضا جيشا
مؤلفا من خمسين الف مقاتل واخذت حالته كل يوم في القوة والشوكة الى ان انهزم هزيمة
اخرى في واقعة حصلت بينه وبين همايون بالقرب من محمود آباد ولما قسم همايون اقليم الجوزرات
بين حكامه وضباطه وجه سيره نحو برهانبور وفي مدة سيره قدم اليه ملوك الدكن خضوعهم
وطاعتهم له وبمجرد خلوصه من هذه الحادثة وصلت اليه الاخبار بهياج ثورة مهولة ...
في الجهة الشمالية راسها شيرخان وكان شيرخان اخضع اقليم كالنتبش وسار الى ...
الى اكره وبسبب ما كان لبهادر شاه من الاصدقاء والاحباب وكذلك بسبب طمع وخيانات
بعض ضباط المغول الذين كان لهم رغبة كلية في جلوس اخو همايون ميرزا عسكري على
التخت صار همايون مالوه والجوزرات وكان ثم فتحهما مع كل مشقة وخطر كبير وكان ضياعهما
منه في سنة ١٥٣٥ بعد الميلاد ومن قوة القلاقل والارتباكات التي وقعت في الجهة الشمالية وكانت
كل يوم تأخذ في الازدياد ما سنح للملك ان يأخذ لنفسه يوم راحة ينشرح فيه صدره وفقد ...
عاصمته اكره في سنة ١٥٣٧ وسار نحو شيرخان زاحفا بجيشه عليه وكان شيرخان منتسبا
في اعال الهندوستان والافغان وقيل انه كان حفيد ابراهيم خان واحد افغاني كان يدعي انه
من ذرية الملوك الغورية وكان ابوه اسمه حسن متحوزا على جاكير من بهار وكان حسن المذكور
له ولدان شيرخان ونظام خان فاهمل ابوهما تربيتهما فترك الولد الكبير في عنفوان شبابه
ابوه وذهب مجازفا في طلب سعادة نفسه فدخل في كار العسكرية في جيش حاكم جوانبور وفي مدة
وجوده في العسكرية ما اهمل في نفسه من ان يغرس في عقله النجابة والزكاوة وجودة التربية
والتهذيب وعكف على المطالعة والتدريس الى ان صار له قدرة على تركيب سجعات الاشعار
وبعض عبارات الاداب والعلوم الشرقية واشتغل بدراسة ومطالعة عموم الشيخ السعدي
الشيرازي الفارسي واشعاره وادابه ثم لازم ابوه واشتغل في اشغال جاكير ملك ابيه
الى ان ترعرع اخوه سليمان وكان من ابيه وبواسطة ما حصل من خبائث ودسائس ام سليمان
وجد شير نفسه مطلق الراحة وفي تعب زائد فاخذ اخوه نظام في يده وكان نظام في طاعة
اخيه وترك وطنه وبيته ودخل في خدمة السلطان اسكندر لودي وكان اسكندر في ذلك
الوقت ملك دلهي واستمر في خدمة الملك حتى هلك ابوه واخذ عمه السلطان جاكير
سنة ... ومن بعد الواقعة المشهورة التي وقعت في بانيبات وخسر فيها السلطان ابراهيم
لودي تاجه وحياته عاد دخل شيرخان في طاعة الملك الفاتح بابر بل دخل في خدمة محمد شاه
اللوهاني وكان تقلد لقب وسمو ملك جوانبور وبهار فلما بلغ هذا الملك دسائس وفتن
سليمان اخو شيرخان من ابيه وسحبها الملك منه حبس عليه جاكير ملك ابيه وجعلها في حوزته
وخرج منها شيرخان غضبان اسفا والتحق شيرخان مع اتباعه الى الجنيد وكان ... اليه
حكومة جوانبور في سنة ١٥٢٧ بعد الميلاد وبواسطة مساعدة الفاتحين له صار له طاقة على جمع
جماعة من اتباعه في جبال بهار واخذ اقليم جاكير لنفسه وصار ... الى الجنيد سيده
الاخير واعترف على انه من رعايا بابر ولما قدم نفسه الى بابر واتى اليه رسوم احترامه مع
صحبه

صحبه الى شانديري في سنة ١٥٢٨ بعد الميلاد وفعل الى استحواذه ارضه الوراثية واثبتها له وعينه
في وظيفة العبادة في بهار ومن بعد وفاته سنة اي في سنة ١٥٢٩ تواجد شيرخان مرة ثانية في
معرض ابناء جنسه من الافغانيين ولما تشتت جيش محمود لودي في هذه السنة كان من ضمن الروساء
الذين دخلوا في طاعة بابر ومن ثم دخل جلال بن محمد شاه اللوهاني في طاعة بابر من بعد موت
ابيه محمد شاه في ذلك الوقت وكان جلال المذكور صغير السن تحت وصاية امه فقابله بابر مع غاية
الاكرام والتبجيل وقلده اعظم درجة في احكامه وجعله مع شيرخان ... صار له نفوذ كبير على ام
الملك جلال ومن بعد مضي مدة قليلة ماتت وصار جلال في قبضة شيرخان الشديد البأس وخاضعا
وتابعا له في كافة اعماله وصار شيرخان في هذا الوقت سيد بهار وقلعتي شونار وروهطاس
القريبتان الحصينتان فكان حصول هذه التوسعة الكبيرة في مبادي سلطنة همايون شاه ولولا ان
همايون نظر بعين الفراسة والادراك هذه الاغراض وحزم المرة بعد الاخرى على صد حقا صده
وطاعة فانه ضرورة الاحوال في وجوده في جهات اخرى وخصوصا في الحروب الحربية التي وقعت
في نواحي الجوزرات ومالوه منعته من اتخاذه الطرق الفعالة في صده وقمعه ومن اجل ذلك
صار لشيرخان طاقة على توطيد وتأمين كامل استحواذه على بهار واستعد استعدادا كبيرا في
الغارة على مملكة بنغاله الغنية واتجه شيرخان بهذه الجراءة دولته وشوكته وقواها حتى انه في
الوقت الذي كان فيه همايون مشتغلا اثر بهادر شاه خرج ابنه مع عدم المبالاة بفرقة من الخيل
الى عدة بهادر شاه وكان من الاحوال التي انبعث عليها التنازع مع بنغاله ان جلال لما رغب استقلال
نفسه استحوذ على مساعدة ملك بنغاله على شيرخان فاذرى شيرخان بالاثنين اذ دار جنيا وما
منع اجتماع او انضمام قواهما سوية فقط بل ودخل في حرب معهم واتى منتصرا ظافرا فيه وصار بالفعل
مدينة غور عاصمة المملكة وفي اثناء ما كانت هذه الاعمال جارية بهذه المثابة في الجهة الشمالية عاد
همايون من حروبه وصار على شرف توجيه انتقالاته الى الجهات حسب مقتضيات الاحوال اليومية
للاعمال وما بقي له خصيم يزدريه ولا عدو يلتقيه واعد شيرخان استعدادا يجب ما تقتضيه احوال
الموقع بحالة ما سبق له مثال في التاريخ الهندي ولاجل ضرورة ان يكون له طاقة كبيرة على تمام
فتح بنغاله شحن قلعة شنار الحجرية الجبلية بالمقاتلين وملأها بالمؤن والذخائر الحربية الكافية
لمحافظتها مدة حصار طويل لمدافعة قوية عنيدة وكانت هذه القلعة واقعة في نهاية فرع
من قطعة منفصلة من جبال وندهيا ستخرج منحدرة نحو نهر الكنج في قسم ميرزابور وهذه القطعة
مكونة من صخور حجرية رملية اخذة في العلو من ضفة النهر الى ارتفاع ١٤٠ قدم وتبلغ في اعلى
ارتفاعها نحو من ما يشق ياردة الى الجهة الجنوبية الشرقية ١٤٦ قدم وتنعطف الجبال من هذا
الموقع نحو الغرب وتنتشر نحو الجهة الجنوبية الشرقية على بهار وبنغاله وتتصل الطريق الواقع
في طول الضفة الجنوبية لنهر الكنج في جهتين واحدة بالقرب من شنار والاخرى في سيكراجالي
في شرف بابها لبور وحيث ان سير جيش المغول كان واقعا في طول نهر الكنج وطرحه موصولة
من طريق الماء في النهر فكان مقصد الجيش بداهة التغلب على هذا المعقل في صده المغول وشرعوا
في حصاره ستة شهور ومن بعد فتحهم هذه القلعة افتتحوا في سيرهم في طول نهر الكنج ومن قبل
وصولهم الى مدينة بتنا قابلهم المنحوس ملك بنغاله وكان طرد من ارضه وبلاده وفي الم شديد
من جرح حصل له في الواقعة الاخيرة وحثه لما قرب جيش المغول من درب سيكراجالي ارسل فرقة
من اجل احتلاله غير ان هذا الدرب كان محفوظا من قبل فاجتهد المغول في اغتصابه والغلبة
عليه فانهزم عساكر شيرخان مع فرط تعصبهم وعندما قرب الجيش الاصلي من الدرب واراد
الهجوم على الافغانيين وجدوهم تركوا الموقع وانفتحت لهم الطريق الموصل الى عاصمة بنغاله وما
بقي لشيرخان رأي في اعماله العسكرية التي كان صمم عليها في مقابلة القوى الكثيرة العدد الموجودة تحت
قيادة عدوه في حربه الاول هذا في ميدان مفتوح فعزم على التوجه الى الجبال الواقعة في الجهة
الجنوبية الغربية وكان نقل اهل بيته وذخائره وامواله الى قلعة روهطاس وفي مدة التاخير
في شونار وقعت مدينة غور وحصلت واقعة بنغاله التي هرب فيها ملكها وارسلت الفرقة التي
كانت تحفظ من درب سيكراجالي اليه مع تعليمات انها لا تجري اي حركة تقصد بها تأخير تقدم المغول
وان تكون على استقرارات تامة في التحرز الى الجبال ومرتفعات الاراضي وكان تسليم مدينة
الغور من دون طعنة ولا ضربة ولولا ان ضباط المقاومات وسحب المبارزات انقطعت
واضاف الغور على بنغاله فانه ما زال موجود على ابواب دور اهلها عدو ذو باس شديد اخوى
من العدو الذي احتمى وجه عنها بسرعة وهم المغول فكان دخولهم في بنغاله في ما فصل

المطر الذي بلغ في هذا الوقت اعظم درجاته في الحلو وكانت دلتا نهر الكنج جميعها مملوءة بالمياه الفايضة على ارضها ومياه الانهر الكبيرة والغدران الصغيرة منتفخة وطافحة فوق شواطيها وجروفها والاراضي والثغور والسهول مغمورة جميعها بالمياه في كافة جهاتها ثم توقفت الحركات العسكرية بالجيش المغولي وانقطعت سكك المواصلات مع الهند الشمالية واستمر هذا التوقف والتعطيل عدة شهور وانتشرت الامراض من شدة رطوبة المناخ وعدم موافقة صحة الاقليم في العساكر وكان يموت كل يوم منهم الجم الغفير ويجرر جرف مياه الامطار وانقطع طرق المواصلات هرب منهم جموع شتى وترك البرنس هنداد اخو الملك همايون مركز حكومته وكان اخوه همايون اقامه مقامه في حكومة بهار الشمالية ومن قبل انقطاع سقوط الامطار كان شيرخان ايضا في ميدان الحرب فتغلب على بهار وبنارس ومع حذاقة مواصلاته في اطراف نهر الكنج الى حد مدينة كانوج وضبط الطرق والمسالك على همايون حتى صار لا يمكنه المواصلات والمخابرة والمعاملة مع عاصمته اگره فكانت نتيجة حركة شيرخان هذه الكبيرة الزام همايون تركه كل ما تغلب عليه جديدا من الجهات بسبب عدم كفايته في حفظها من شيرخان وكان هو نفسه وما بقي معه من جيشه انقطعت طريق تقدمهم نحو اگره وكان همايون ما سلم في هذا الرأي الا مع الكراهة الشديدة والاشمئزاز ومن بعد ترددات ومداولات كبيرة مع رؤساء جيشه اقتضى نصف فصل الجفاف من قبل ان يبتدئ في حركة رجعته وارسل فرقة كبيرة من جيشه في صنف جيش كاف تحت قيادة واحد من اشجع قواد ابوه فلما وصل هذا الجيش الكافي الى مونگير اغار عليه فرقة من جيش شيرخان وكانت خرجت من الجهة التي كانت معسكرة فيها في مدة حصول المطر وابتدأت في حركاتها الهجومية في ميدان الحرب فهزمت هذه الفرقة الجيش الكافي المرسول من طرف همايون ولما وصل همايون وجيشه الى باكسر بين مدينة پتنا وبنارس وجد شيرخان وكان قد تقدم في هذا الوقت لغلبة ملك بنگاله بسرعة سيره واستعد لتوقيف حركته وعدم تقدمه ادنى خطوة الى الامام فالتزم همايون ان يوقع بأولائك العساكر الذين وصلوا وهم في غاية من التعب والنصب من بعد ان قطعوا خمسة وثمانين ميلا في يوم من غير واحد فما حصل من همايون هجوم ولا المقاتلة في هذه الحركة وفي اليوم الثاني خندق شيرخان على نفسه وعسكره وجعل نفسه في حالة حصينة جدا حتى صار لا يمكن العبور ولا الهجوم بحالة نجاح او ظفر فالتزم همايون في هذا الوقت ان يخندق على نفسه وعسكره ايضا وجمع عدة من السفن والقوارب لعقد جسر على نهر الكنج يمكن بواسطته تعدية عسكره الى الشاطي المقابل له النهر ويسير في طريقه في طول ضفة النهر فكان في غاية من العجلة والسرعة في هذه الحركة وكذلك الشوق واللهف في انجازها بسببه انه حالة ارتباك الاحوال والقلاقل في اگره كانت تحتاج

مصائب همايون وهربه الى الهند

مراجعة لوجوده فيها فسمح لشيرخان في اجراء هذه الاستعدادات من دون ان يحصل منه زعزعة مدة شهرين تقريبا ولما اشرف الجسر على التمام ترك شيرخان معسكره في يوم من الايام واخذ معه قوة كافية له في مقصده ولف بحركة مخفية من عدوه من طريق واسع ووراء معسكر همايون وعند انشقاق فجر صباح اليوم الثاني قسم عسكره ثلاث فرق وهجم على معسكر المغول من كل جهة فذهب همايون باشد ما عنده من السرعة من وقوعه في الخطر على اخر نفس من حياته وبما ان الجسر ما كان تم شغله فقذف نفسه فوق ظهر حصانه في مياه نهر الكنج فتعب حصانه وهو فوق ظهره من العوم واشرف همايون على الغرق مع حصانه لولا ان تداركه واحد كان يعوم في النهر على جراب او قربة مملوءة هواء فتقرب من الملك بجرابه واخذ بيده واسنده على الجراب وغرق في النهر من المغول في هذه الواقعة ثمانية الاف نفس وكان حصول هذه الرزية في سنة ١٥٣٩ بعد الميلاد ولما خرج همايون من النهر اسرع مع قليل من حاشيته الى كالپي ومنها الى اگره وتغلب شيرخان على زوجة همايون من بعد ان اجتهد همايون اجتهادا لا طائل تحته في خلاصها وعاملها شيرخان بأجل الاحترامات والوقار وارسلها الى محل محترم من اجل المحافظة عليها وفاء لقرينته ان الملك همايون اعترف في ذلك الوقت بالثناء والشكر على السقاء الذي انجاه من النهر ولما وصل الى عاصمة ملكه اگره امر له بالجلوس على تخته نصف يوم ورخص له ان يكافي اهله واقاربه بالهدايا والانعامات الملوكية في ظرف المدة التي جلس فيها على التخت الملوكي

وفي مدة هذه الحرب الاخيرة بدل ان تتحد اخوان همايون في جامعة واحدة من اجل مقاومة عدوهم المشترك اجتهدا حتى انه يأخذا منه مملكته واجتهدا في الاستحواذ على مدينتي اگره ودلي وبذل همايون جهده وما في طاقته في نصيحتهما لها والاجتماع سوية يدا واحدة في المنفعة العائدة نفعها على بينهم وعلى تخت مملكتهم فكانت نصيحته معهما حاصل على غير طائل ومن بعد هزيمة همايون هذه الهزيمة الاخيرة خشي هذان الاخوان من ان تحل بهما غائلة الافغانيين ويكونا السبب القوي في انقراض شوكة بيتهما وخجلا مما وقع منهما ومن قبيح سلوكهما فعزما على [illegible] احتيالا واجتمع الثلاثة في اگره وانفصل كامران من المجلس وعاد الى لاهور وفي اثناء ما كان همايون مجتهدا في ترميم خسارته زحف شيرخان من بعد فترة من الزمن على ضفة نهر الكنج واحتل الاقاليم المجاورة لضفتي النهر وفي مبادي سنة ١٥٤٠ بعد الميلاد برز همايون الى ميدان الحرب من بعد ان تقوى جيشه بفرقة مؤلفة من ٣٠٠٠ نفس تركها له اخوه كامران فكانت الواقعة التي حصلت مع شيرخان مشؤومة على المغول وانهزم همايون وتبدد جيشه بالكلية وطرد من ميدان الحرب هاربا نحو نهر الكنج وانجرح حصانه ونجا هو بنفسه على فيل عبر عليه النهر وكان الشاطئ المقابل عن النهر واقفا جدا حتى اشرف همايون على الهلاك لولا وجود اثنان من العساكر اتفق وصولهما الى الشاطئ في هذا الوقت وربطا عمائمهما سوية ورميا طرف اليه فمسك طرف العمامة واخرجاه من النهر وبذا سلمت حياته وفي اثناء سيره انضم اليه اخوه [illegible] وبعض من عساكره ومن بعد نجاته بقاية الشقة سعب في طريقه ووصل الى اگره في حالة شنيعة واخذت شوكة شيرخان في العلو والصعود وصارت كل حين دليله واگره عبر ما فونه بالكلية ليست [illegible] ومن ثم صار نقل العائلة الملوكية مع كل ما يمكن حمله من الامتعة والاثاثات والمنقولات الثمينة والجواهر والخزاين الى لاهور ومن بعد هذا بقليل خرج همايون واهله وتوجهوا الى لاهور وترك اگره ودلي ومع هذا فما كانت لاهور مقرا امينا وحصنا حصينا لهمايون لان كامران خاف على نفسه من ان اخيه همايون يطرده من هذه الجهة ويجعل محله فاشترى سلامة نفسه من شيرخان وتنازل له عن البنجاب واعتزل بنفسه الى قابول وترك اخوه همايون يواطي ملككه نفسه على قدر ما في طاقته ووجهده بما ينفع له من جوده طرق [illegible] فار همايون في هذه الحالة الاخيرة نحو السند وكان اخر حدود ممالك اخوه كامران على امل [illegible] في عقله وتخيل له في مخه انه موجود في السند الكثير من الرؤساء مرتبطين مع دولته المنصورية الوهمية وانهم لا بد من ان يكونوا في طاعة سلطانه وتحت احكامه فعبر نهر السند الى الجانب السند من جهة اوچ واجتهد اجتهادات لا ثمرة تحتها ومن ضمن هذه الاجتهادات حصاره مدينة بهكار على نهر السند ومدينة شيهوان وقضى سنة ونصف في هذه الاجتهادات بدون طائل وصرف ما كان عنده من النقود ووقع الموت في اصحابه حتى قل عددهم وتركه بعضهم وزحف عليه ملك هذه البلاد من اجل الهجوم عليه واحاط به في اثناء حصاره مدينة شيهوان وقطع المؤنة والزاد عليه من كل جهة وعمي الى [illegible] في المدينة ايضا ولما ترك الاهل والاطفال والاصدقاء همايون مع عدم الزم على الرجعة فما امكنه ان يجد مدة ايام بعض

٢٨٨

من القوارب اللازمة لمفرية اصحابه الصادقين معه فى هزيمته من نهر السند وفى هروبه من عدوه الى
من جيسلمير الى ناجور واجمير وكانت فى هذا الوقت تحت احكام مالديو راجا ماروار اقوى
واشد ملوك فى الهند وكان سير همايون من تلك النواحى بدعوة من الراجا مالديو فنظرا الى ما آل اليه
تجرد حال همايون وانحطاط طالع سعده واضمحلال شوكته وهبوط دولته وقلة عساكره صمم
بالتخلى عنه ورأى عدوه شيرخان اخذ فى صعود الدولة وقوة الشوكة فعزم على القبض
على همايون صداقة لشيرخان وتسليمه اليه فلما انذر همايون بحصول هذا الخطر الذى سيحل به
ركب حصانه فى الليل وهرب الى امركوت والعدو مضايق له فى سيره خلفه معقبا له وكانت
طريق سيره واقعة فى وسط صحراء او قفر رملى تحمل فيه اصحاب همايون وهمايون شدة الفاقة
والعوزة وما كانوا يجدون جرعة من الماء حتى شرب بعضهم بول افراسهم ومكث العطش وما بقى
عندهم سوى البكاء والعويل والنواح على انفسهم فضلا عن تعقب العدو لهم على حرف قريبة وما
بقى مع الملك الا حاشية قليلة جدا فركب همايون سنحا قويا فى فرسه ووجه توجيها جيدا ورمى
فارسا فى صدره فاصابه بيد الجادة المعقبين له فسقط ميتا ووقع الرعب والفزع فى اصحابه وهجم
همايون ومن معه على هذه الشرذمة ففروا بين ايديهم هاربين وتخلص همايون من ذخائرهم
وحفظ سلامة نفسه وما معه من حاشيته من هذا الخطر الذى حل بهم واخذوا كثيرا من الجمال
المنزولة وحازوا اعوانا واشياء ضرورية لحياة انفسهم فى القفر ولما وصل همايون امركوت
استقبله ملكها مع غاية المحبة والوداد واكرمه وبذل جهده فى حمايته وقراه وفى مدة اقامته
فى هذه الجهة ولد له ابنه وخليفته جلال الدين اكبر فى سنة ١٥٤٢ بعد الميلاد وكان ملكا
نجيبا زكى العقل حسن التدبير فى سياسته واعماله وارتقت المملكة الهندية فى اعماله وايامه
الى اقصى درجات المعالى والكمالات كما سنذكره فى فصل مخصوص بدولته وسلطانه وقيل ان
ان همايون من بعد هروبه من ملك الى ملك استحصل على حماية نفسه عند مالديو وكان مالديو
قدم فيما سبق محالفته وصداقته له الا انه لما رأى ان هذا الملك الدنى الاصل عول على
القبض عليه وتسليمه لعدوه شيرخان التزم على السرعة فى الحركة من عنده مع ما بقى معه من القليل
من حاشيته واصحابه عابرا الصحراء الغربية الى شواطى نهر السند فذاق فى هذه السفرة اشد
الالام وتجرع الغصص والاهوال التى ما وقعت لواحد من ملوك الشرق الذين سقطوا من اعمالهم
ملكهم مثله ومات حصانه من شدة التعب والظمأ فى الصحراء وما امكن لملك الدنيا همايون
ان يجد حصانا غيره حتى ان واحدا من عساكره اعاره حصانه وركب مع والدته على حصان
بعد انه اشرف هو ومن معه على الهلاك من شدة العطش والظمأ وصلوا الى بئر فيها مياه
كثيرة وما كان معهم الا دلو واحد فلما ملوا الدلو وارادوا اصعاده من البئر ازدحموا عليه
فانقطع الحبل وسقط الدلو فى قاع البئر وسقط وراءه عدة منهم وفى اثناء هذه الرزايا
كانت مؤخرة همايون مداومة على تكرار الهجوم على العدو المعقب لهم حتى اهلكوا الكثير
عسكره الى ان وصل همايون واصحابه الى امركوت على الحد المقابل من الصحراء وفى هذه
والضيق الشديد اخبر الامبراطور همايون بان سلطانته وضعت له ولدا ذكرا كان هو جلال
الدين اكبر المشهور الذى صار فيما بعد اكبر ملوك الشرق ولما تقوى همايون بعد
حصين ملك امركوت سار نحو قندهار فصده عن دخولها اخوه وكانت فى حوزته وحكم
عليه اخوه فالتزم همايون على الهرب الى خراسان ومعه عشرون من خيله وسلطانته الملكة
ومن شدة جزعهم وخوفهم فى هربهم تركوا البرنس المولود ورائهم تحت الدلى عمه واعتنى
بكليته على ابن اخيه وشغف به وتفلمع مع عمه الى قندهار فى ١٤ ديسمبر سنة ١٥٤٣
ولما قطع همايون الامل من كل امان من اخيه اشرع فى حركة سيره الى سيستان وجعل سلانه
تحت حماية شاه طهماسب صاحب فارس فما خاب فى امله واستقبله حاكم سيستان بكل
ما تقابل به الملوك واعد له النفور والخدم وكافة ما يلزم له وسار من سيستان الى هرات
فاستقبله فيها ابن الشاه وولى العهد مع الاجلال والشرف والعزة واعد له كل شى بكياده
الى ديوان فارس واستقبله فى طريق سفره عموم حكام الاقاليم وقدموا له رسوم الاحترام
الواجب تقديمها للملوك وضيافته ضيافات جليلة ولما دخل همايون ديوان الشاه طهماسب
قابله احسن مقابلة وانزله منزلا جميلا كريما لا يليق بمقامه زيادة عما كان فى مملكته ورتب له الخدم
والحشم والتبع وكان يجتمع معه ويسليه ويصرفه عما نابه من المصائب والاهوال وبما ان
همايون

مولد جلال الدين اكبر

نزول همايون فى ديوان شاه طهماسب صاحب فارس

٢٨٩

ك ٢١ ج
تاريخ الهند من البحر الزاخر محمود فهمى

سلطنة شيرخان من بعد طرد همايون

همايون الان عرفنا انه بحر نعم شاه طهماسب صاحب فارس فنتركه مقيما فى هذا المحل
الجليل بعيدا عن مملكته التى خرج منها خائفا يترقب ونذكر الكلام على ما هو حاصل فى
المملكة من النوازل والشقاقات ونذكر المظفرات التى تتوج بها عزم وحزم شيرخان
من بعد طرده همايون من مملكته الهندية ونفاه بعيدا عنها فنقول انه لما تم من قهره
همايون استحوازه على الاقاليم والاقطار التى سببت شجاعة اهلها والمدافعة عنها فاستولى
على كامل اقليم البنجاب وشيد قلعة قوية حصينة على نهر جيلوم من اجل المحافظة عليه
واشتهر اسم هذه القلعة وسماها قلعة روهتاس على اسم قلعة روهتاس الجبلية الموجودة
فى اقليم بهار وشحنها بالمقاتلة والمحافظين وعاد الى مركز المملكة ابن بهار وهى اكره فقضى
عليه الرئيس الذى كان شريكه فى الحكومة فى بنغالة فاخمد عصاوته مع السرعة والعنف
الشديد وادخل فى المملكة نظامات قوية جيدة من اجل عدم قيام فتن وقلاقل وارتباكات
مرة اخرى وفى ظرف بحر السنة التالية اعاد مالوه الى طاعته وفى رجوعه هذه فتح قلعة
رايزين ولو ان محافظيها سلموا على مقتضى رضى شروط معاهدة فانه شيرخان
قتلهم جميعا بالسيف صبرا بسبب ما كان حصل منهم من الشجاعة فى مقاومته ومدافعتهم
عن القلعة وكان حربه الثانى فى داخل ارض مرواز وفى اثناء عبوره الصحارى
الرملية القفرة عمل متاريس بالنطاق من سبعات من اجل المحافظة على نفسه وعسكره
وبهذه الواسطة عبر من ارض راجا ناجور واجمير فالتقاه مالديو اقوى واشد
راجا مستقل فى الاقطار الهندية فى رأس جيش مؤلف من خمسين الف مقاتل من
الراجابوتيين واستمر الجيشان على مرأى من بعضهما مدة ثلاثين يوما وكان شيرخان
منتظر علامة ظاهرة بينهزم او يرجع بها فاشتغل فى مدة هذا الانتظار فى الدسايس و
المكر والخدايع من اجل تيسره الحصول على منفعة ذاتية لنفسه ولو ان هذه الدسايس
ما كانت معلومة الاصل الا انه من اسبابها حصل له فوز ونجاح وهو ان اشراف الراجا
بوتيين كان صار اخضاعهم لاحكام مالديو فامر شيرخان بكتب مكاتيب باسماء
الاشراف يقول فى كل منها انه على حسب ما صار اخضاعهم بواسطة الراجا فانهم سايرون
معه وفى صحبته على حسب ضرورة الاحوال الا انهم فى السر الد الاعداء له واذا كان شير
خان يعود اليهم املاكهم وما كان من قبل فى حوزتهم فانهم على رغبة قوية فى ان يدفعوا
له خراجا ويعترفون بسيادته وسلطنته عليهم وكتب على هذه المكاتيب باللغة الفارسية
لا خوف عليكم من شى واذا ما قطعتم على هذه الاقوال والشروط فانه ينيلكم كل مقصود
ومطلوب حسب ما ترغبون وتختارون وارسل بعض هذه المكاتيب بالسر والخفية بكل
حيلة الى مالديو فارتاع مالديو عندما رآها وخاف وبدل ان يهجم على عدوه شير
خان امر بالرجعة والهزيمة فعلا فانجرح قلب واحد من عقلاء كبار الراجابوتيين من
هذا الامر وقال للراجا مالديو ان مثل هذه الخيانة ما سبق لها عادة ولا نظير بين
اخوان الراجابوتيين وانه عزم على ان يمحو هذه اللوثة القبيحة والعيبة الرزيلة
عن شهرة اسم الراجابوتيين بنفسه وحده او يقع شيرخان ويهزم بقبيلته وحدها
واخذ معه حمية الراجابوتيين وهجم على شيرخان فى رأس اثنى عشر الف مقاتل وكانت
قوة شيرخان مؤلفة من ثمانين الف نفس فادفع بشجاعته وشدة قوته القتل و
الارتباك فى قوة شيرخان من تكرار هجومه عليها حتى ان شيرخان ما وجد لنفسه وقت
فى وصول امدادات اليه وفى اثناء حرارة المعمعة من بعد ان كان الراجابوتيين على
شرف اكتساب النصرة ظفر منهم شيرخان وهزمهم شر هزيمة وقال شيرخان انه فى
اثناء محاربته مالديو والراجابوتيين كان على شرف ضياع المملكة الهندية من شان حفنة
ذرة وارض قفيرة لا اهمية بها ولا معنى فى ايرادها ومحصولها وسلمت قلعة شيطور
على شروط معلومة واعطى جهة رهنتبهور اقطاعا لابنه ثم سار على كلنجور احدى الحصون
الحربية فى الهندوستان فعلى مقتضى ما حصل من شيرخان من قطايعه وسوء افعاله
وقبح سلوكه ونكثه معاهدة رايزين وقتل اهلها وهى قطيعة غدرا وخيانة صمم راجا
كلنجور على المدافعة عنها الى اخر رمق فيه وكان شيرخان ندم واسف على ما حصل
منه هذه الفعلة المجرمة وانكسر خاطره من فعله اياها فاحاط بقلعة كلنجور وانشأ
الطوابى والبطاريات بالقرب من اسوارها ووضع فيها طوبجية وركب عليها افواهم النارية

وسقط على الاسوار نيران طوبجية حارة فترم فيها شرما وامر بحركة هجوم عمومية فوقع
صاروخ من القلعة ووقع في بطارية كان شيرخان واقفا فيها ووصلت شظية من هذا
الصاروخ الى مخزن بارود فالتهب البارود ووقع وكان صار تلك هذا المخزن
فاصيب شيرخان وجملة من امرائه من فرقعة البارود بجروح مهولة مهلكة وحمل شيرخان
وارسل الى خيمة على اخر رمق فيه وفي اثناء ما كان في اخر حياته كان يغري اصحابه بدوام
الحصار ويصدر اوامره حتى سلم عدوه ولما وصلت اليه الاخبار بتسليم القلعة وفتحها صار
مسرور البال وحمد الله واثنى عليه ثم شهق شهقة وخرجت روحه من بدنه من بعد ان تسلطن
خمس سنوات واجرات حربية استغرقت عشرون سنة وكان موته في سنة ١٥٤٥ بعد الميلاد
ودفنت جثته في سهسرام وله فيها مدفن بمقصورة عظيم موجود لحد الان في وسط بقعة
من المياه صناعية واعرضها ميل ومبني على المدفن سور من الحجر النحت يصعد اليه بدرجات
سلالم خفيفة تنزل الى الماء

موت شيرخان

وكان شيرخان معدود من الغاصبين في الغلبة على تخت المملكة الهندوستانية وكان هذا
الحكم اصلا لعود التخت الى ذرية تيمور وكانت صفته وشهرته احسن صفة وشهرة ما
حازها بحيث لم يحز قبل ومن ابتداء عمله وقيامه سولت له نفسه واضمر في قلبه ان السيادة
التي تدعي بها المغول على اقاربه واهل بلدته الافغانيين ما كانت مقصورة الا في السهم
لم يحز فقط وعزم عزما قويا على خلاص ارضه واهل بلده من جنس المغول اهل الستير
والغش والغارات والخيانات في الارض ويستدل من فطنته وجودة حاسيته واهليته
وده وحبه للخير والفضايل التي اتصف بها في اعماله في اصلاح رعاياه على الموضع
الذي كان مشتغلا فيه ولو ان مدة سلطنته كانت قصيرة وكان على الدوام مشتغلا
بالحركات العسكرية فانه اوصل ممالكه الى اعلى درجة في الفلاح والاصلاح وذكر في منتخب
التواريخ المصنف من بعد موته بخمسين سنة انه عمر طريقا سلطانيا ممدودا على مسافة اربع
شهور سفر من بنقالة الى روهطاس الغربية الواقعة على ضفة نهر السند وانشأ
خارجها خانات ومنازل على كل مرحلة وعلى مسافة كل ميل ونصف بيرا للشرب ورتب
في كل مسجد اماما ومؤذنا وموظفا للفقراء في كل خان ومنزل في السفر مع الخدم اللازمة
حرا وكبار الهنود والمسلمين الذين ينزلون في الخانات وغرس الاشجار في اجناب الطرق
للظل ورتب بريد الخيل في كافة الجهات على مسافات معلومة من بعضها من اجل مراسلات
الحكومة والمصالح التجارية والمخابرات الخصوصية وعمل هذا عمر من اكره لنا منذو طرقا
طولها اربعمائة وخمسون ميلا وبواسطة هذه الاطمئنانات والامن واستتباب الراحة
قالوا ان السياحين والتجار كانوا يضعون حوايجهم على قارعة الطرق وينامون بجانبها
من دون ان يسطو عليهم احد او لص او سارق وقيل انه لما قال الناس له ان ذقنه شابت
قال انه استحوذ على تخت المملكة في سن شيخوخته وان هذه حالة يأسف منها لكونها ما بقيت
له وقتا قصيرا اشتغل فيه لاهل بلاده الاشغال التي تعود عليهم بالمنافع وارتقا قومه
الى اعلى درجات الرفاهية والسعادة

صفة شيرخان

ومن بعد موت شيرخان انتهز ابنه الثاني سليم شاه سور فرصة غياب اخيه الكبير
وكان ابوه اوصى له بولاية العهد والخلافة من بعد موته على تخت المملكة وجلس على التخت
وكان اخوه الكبير ذي قريحة وفادة ورجلا معروفا بالبأس والشدة وساعده الاشراف
والجيش في جلوسه على التخت وضمن اربعة من كبار المملكة ورجالها كفالة الكبير امنية
للاكبر بسلامة حياته وتكفلوا له باعطاه احسن الاقاليم واغناها في المملكة وعقوه
على التنازل شرعيا عما يستحقه في وراثة التخت بالنسبة لبكوريته فتنازل عن استحقاقه
وطلبانه واعلن اخوه الصغير سلطانا باسم لقب سليم شاه وخصص جهة من المملكة
بالقرب من بيانة لاخيه وكان اسمه عادلي ثم بعد ذلك رأى سليم ان مركزه غير
مأمون العاقبة ما دام اخوه على قيد الحياة فاصدر من طرفه اوامر في السر بالقبض
عليه وطرده من مركز حكومته وبواسطة هذا الفعل القبيح التجأ في الحال اخوه
الى اربعة امراء الذين اوقفوا انفسهم في الاصلاح المتقدم ذكره فثار بهم وكان ذلك
سببا في هياج ثورة مهولة اطفاها سليم شاه بثباته واقدامه وسرعة حركته
وهرب عادلي الى بهار وما سمع له خبر من بعد هذا ثم هاجت ثورة اخرى فاخمدت
ايضا وما بقي من مدة هذه السلطنة على غير اهمية في الذكر ثم ان سليم شاه وصلت
اليه اخبار هجوم شديد سيحل به عاقبته وخيمة عليه وهو ان همايون الذي كان

سلطنة سليم شاه بن شيرخان

كان عرفانا في بحر مقرات شاه طهماسب صاحب فارس لما اتفق معه على ابادة مذهب السنة
والجماعة وحقق في العقايد الشيعية وكانت هذه العقايد ولم تزل متسلطنة في فارس
ورتبها هي الدين الاسلامي الحقيقي جهزله شاه طهماسب عشرة الاف مقاتل من الفرس لاجل عود
مملكته التي خسرها فسار همايون اولا الى قابول فلاقاه فيها اخوه بالعداوة الاهلية
وكان هذا الاقليم اغتصبه منه اخوه كامران فتقدم الى قندهار وحصرها فسلمت له
بسرعة ثم سار بقوة كبيرة الى قابول وكان اخوه كامران فيها منتظر قدومه فعند وصوله
اليها ظهر له اخوه من فوق اسوارها واورى له ابنه اكبر وقال لو اكبر ان حصل من ابيك
ادنى حركة لا بد من قتلك واعد له صورا من الخشب يحرقه عليه ثم ان كامران هرب اخيرا
من المدينة الى الهند ودخل همايون قابول وحضن ابنه وعاد له الملك مرة ثانية فوصل
كامران في هروبه الى سليم شاه ودخل تحت حماه ومن بعد قليل وردت الاخبار الى سليم
شاه بعبور همايون وجيوشه نهر السند فاخذ سليم في اعمال الاحترازات اللازمة في سلامة
نفسه ومع انه كان مشتغلا باخذ دم بالحجامة او العلق فانه شرع في السفر في الحال من مقر
ملكه واصدر اوامره لجيوشه بحركة السفر وفي مساء هذا اليوم عسكر على مسافة ست اميال
من مدينة دلهي فكانت هذه الحركة حركة تخويف كاذب وتقهقر همايون ورجع سليم الى
دلهي ثم اعتزل في جاليور واقام بها وحصن الاجمة والسعي مرتان على قتله فكان على
غير طائل وقيل ان الكثير من اشرافه كانوا على هذا العزم ووصلت اليه الاخبار عنهم في
السر فقتلهم من دون ان يتفحص في امرهم وما اتهموا فيه ومن هذا الوقت صار مرتابا
خوافا عنيفا واستمر في حالة وحشية حتى مات وانقبر في سنة ١٥٥٣ بعد الميلاد من بعد
ان تسلطن تسع سنوات وكان مثل ابوه جميلا في ديوانه وملبوسه محب للجمعية مع المسافرين
والسياحين فكانوا في ضيافته على المصاريف العمومية وابتنى قطعة من سراية دلهي وذكروا
ان همايون اصدر امره بتسميتها نور غور الان اسم سليمجار وما زال كان مطلوقا
صحيح

عود همايون من فارس

ومن بعد موت سليم شاه خلفه على التخت ابنه الامير فيروز وكان عمره في هذا الوقت
اثني عشر سنة وكانت سلطنته ثلاثة ايام فقط وقتله مبارز خان صهر سليم شاه
وابن اخو شيرخان واغتصب التخت وتلقب باسم محمد شاه عادلي وكان ملكا فاجر
الفجار واجتمع ذوي العيوب والموبقات عكف نفسه على اللهو واللعب والخلاعة وابى الفجور
والسفاهة وحط اثقال اشغال الحكومة عن اكتافه وكان موصوفا بالجهل والغباوة وما
كان له ذوق في شي سوى انه كان صاحب شهامة ومكنة وكان احد اعمال سلطنته القبيحة
المكروهة ان اصعد واحدا من الهنود من ارباب الدكاكين الباعة الى رتبة وزير
وما كان هذا الملك له دراية بالقراءة والكتابة وكان يصرف اوقات ايامه في جمعيات
النسا والحريم واسرف في ايراد المملكة وقفل كل موهبة ومنح من رجال اهل خلاعته و
شلته الذين كان لكل واحد منهم راتب يومي مقداره عشرة او اثني عشرة روبية واحد
صحبه اسمه انتلي ومعناه اعمى اورجل مشتغل باشغال المجون والجنون جعل هذا
الملك كل يوم في حالة من الغرايب من فرط خلته وكثرة اسرافه فاتفق انه في يوم من
ايام الاحتفالات العمومية شرع يقسم في الايالات والحكومات على الناس من اهل حزبه
ومن ضمن هذه التوزيعات نقل قسم كان نوج من يد حاكمه القديم وكان ابن حاكم كان نوج
شابا موجودا في هذا الاحتفال منكمل الذات شامخ الصفات فقبل الحزم فصرخ بصوته
نحو الملك وقال انتم الملك حينئذ بلكي على بياع الكلاب وكان الذي عطى له هذا
الاقليم رجل صلب قوي اسمه سرمست خان وكان ابن حاكم كان نوج اسمه اسكندر خان
فقام سرمست وقبض على اسكندر خان من زوره حتى كاد يغشى عليه فضربه اسكندر
خان بخنجره في صدره ورمى رمته تحت اقدامه وقتل عدة من الامراء كانوا ارادوا
تقريره وتسكينه واسرع الى التخت وهجم على نفس الملك فهرب الملك بنفسه من فوق تخته
وجرى في داخل السراية ونجى بسلامته من اسكندر خان وهو وراه يغلق الابواب في
وجهه ثم جا ابن عم الملك وصهره وهو ابراهيم خان سور وقتل اسكندر خان وقطع
خلعه وقام ثار خان في راس جماعة من الثائرين واستحوذ على الخزينة العمومية للمملكة
واشغال الحكومة وجمع لنفسه مع غاية السرعة جيشا مهولا وبهذا الزم الملك على الخروج

سلطنة فيروز شاه وقتله وجلوس محمد شاه عادلي

لميدان الحرب مع جيشه فالتقى الجيشان على شواطى نهر السند حوالى شونار فانهزم الثائرون لا شر هزيمة وكان نجاح هذا الواقعة والنصر فيها منسوبا للاعمال العظيمة التى اجراها ابراهيم خان ابن عم الملك الذى انجاه من غضب اسكندر خان وبطشه به فتولد مما حصل من ابراهيم خان من اداء هذه الخدمات الجليلة وما ظهر من شجاعته وبناهة تدبيره اشتعال لهب نيران الغيرة فى احشاء الملك فامر بالقبض عليه فى السر فاخبرته زوجته اخت الملك بالخطر الذى سيحل به فهرب الى ابيه حاكم هندون فارسل الملك وراه جماعة من العسكر فهزمهم ابراهيم خان ومن بعد هذه جمع ابراهيم قوة كبيرة تحت فيادته ودخل دلهى وسار منها الى اكره واخضع لطاعته الاقاليم المجاورة لها وتقلد بالهيئة الملوكية والرسوم السلطانية وهرب محمد شاه الى شونار واكتفى بحكومة الاراضى الشرقية ووطد ابراهيم حوزته على الاراضى الغربية وقام فى هذا الوقت زعيم اخر وهو رفع بيرق العصاوة وهو الامير احمد خان وكان ابن اخو شير خان واخته زوجة محمد شاه عادلى ولقبه نفسه اسكندر شاه وزحف فى راس اثنى عشره الف حصان نحو اكره وهزم ابراهيم شاه ولو ان ابراهيم كان فى راس سبعين الف حصان فما سمح الدهر لاسكندر شاه باجتناء اثمار نصرته لانه ارتحل بانجاب طلبته للحضور اليها بما ان همايون لما عاد من نفيه الطويل الذى لبث فيه ثلاثة عشرة سنة وصل اليها فى طريق رجوعه من اجل عود مملكته التى كان خرج منها فى اول بدء وما حصل لابراهيم شاه من ضعف قوته من الهزيمة التى وقع فيها اخبار مع اسكندر شاه صار لمحمد شاه امل وثقة واستعد فى عود ممالكه الغربية وهجم الوزير الهندو هيمو من طرف محمد شاه على ابراهيم شاه فى كالبى فهزمه وتبعه الى بيانه وحصره فى هذه المدينة ثلاث شهور وما بقى من اعمال ابراهيم شاه لافايدة به فى هذا المحل ثم اخذ وسجن فى اوريسا فى مدة سلطنة اكبر الاولية ومات فيها مقبوضا.

ولما وصل اسكندر شاه فى بانجاب بسبب دواعى حضوره اليها وبسبب وصول همايون فيها وجد تترخان وكان تركه فيها فى القيادة والحكومة هرب من قلعة روهطاس الجديدة الى دلهى واسترجع المغول من دون حصول ادنى مقاومة كافة الاراضى والبلود الى حد لاهور فرح اسكندر اربعين الف حصان من اجل صد حركتهم وتقدمهم فانهزم هذا الجيش شر هزيمة فى واقعة واحدة واستحوذ المغول على الحلة والفيلة وما امسك الدبابين سروج خيولهم الا فى داخل اسوار دلهى فاقطع اسكندر الامل من هذه الهزيمة فى احيا طالع سعده وسار فى راس ثمانية الاف حصان الى بانجاب وتقوى بقوة كبيرة من رعاياه وفى هذه الحالة اعجزه امر بيرام خان استاذ البرنس اكبر خانه النقاه بالقرب من سرهند وهزمه وهرب اسكندر الى جبال سيواليك ثم طرد منها فالتجأ فى بنغاله وتقلد زمام حكومتها ومات من بعد قليل ومن بعد هزيمة اسكندر افتخر عسكر همايون ببصرتهم واندفعوا فى حركة سيرهم وفى ظرف مدة قليلة تغلب همايون على دلهى واكره ومن بعد هذه الوقايع مباشرة ظهر الوزير هيمو الذى كان ارتقى من موقع دنى الاصل الى درجة القوة والبأس وذلك ان هذا الوزير لما هزم ابراهيم خان بالقرب من اكره سار متتبعا اثار محمد شاه سور حاكم بنغاله وكان شيدر جيشه وقتل فانضم الى سيده ابراهيم خان عادلى فى شنار وشرع فى الاستعدادات اللازمة لهياج حرب على همايون الذى عاجلته المنون بعد همايون عائق حياة ابراهيم اشرف على الدنو لانه فى اثنا ما كان متمتعا باستنشاق الهواء فى سطح دار كتب دلهى وجد وقت الصلاة واذن المؤذن فقام همايون ووقف فى الصف بين اعوانه المسلمين ومن بعد قراءة الفاتحة والاية فى الركعة الاولى ركعوا او سجدوا وهو معهم ثم قام الناس للركعة الثانية فما قدر همايون على القيام فاقام واحد من اعوانه فسقط على الرخام المصقول على جبهته فحمل من الصف من دون احساس فيه ومات همايون فى مسا هذا اليوم فى سنة ١٥٥٦ بعد الميلاد وكان عمره احد وخمسون سنة ومدة سلطنته خمسة وعشرون سنة فتولد فى موت همايون انتصار للوزير هيمو امال جديدة وقوة وبأس وسار فى راس ٣٠٠٠ مقاتل من اجل عود العاصمة التى ضاعت من ملكه محمد شاه عادلى وترك سيده فى شونار

شونار المتينة ابراهيم خان وزحف من وسط ارضى موافقة له بما حسب زعمه ووفد عليه الجم الغفير واتى راجرا تحت بيرقه وتغلب على اكره وكان جيش المغول الذى كان مع همايون قاطنا فى دلهى تحت قيادة تاردى بك فر الافغانيين اليها ولما انهزم المغول هجموا على المدينة فهزمهم هيمو على كونه لا يعطيهم ادنى فترة من الزمان فاسقفه وسار خلفهم الى لاهور وعول على حرب فاصل بينه وبينهم فعبر المغول نهر السوطليج وجمعوا قواهم فى اقليم السوطليج وقيل ان همايون لما عاد الى الهند كان عمر اكبر ابنه اقل من اربعة عشرة سنة واشتغلت الهند من ايدى الافغانيين الى ايدى المغول وانقرضت سلالة شير خان وكانت سلطنة همايون بضع شهور فى دلهى ومات فى سنة ١٥٥٦ كما تقدم

ولنذكر فى اخر هذا الفصل فى هذا المحل ملخص القول على بير وابنه همايون فنقول انه من بعد مضى ثلاث قرون من بعد موت جنكيز خان ظهر مغول جزلى فى اسيا الوسطى هو بير او بابر واسس مملكة فى الهند الشمالية فى سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد وفى هذا الوقت كان المغل فى اسيا الوسطى اعظم تهذيبا واجل تمدنا من اثنا ما اهل الرحلة فى الجبال ودخلوا فى دين الاسلام الا انهم مغول فى القلب وكانت حكومتهم وقوانينهم وسنتهم وعوايدهم مغولية زيادة عن كونها اسلامية وكانوا متمسكين بديانات اخرى وما كانت غاراتهم على الهند بخصوص هداية اهلها الى الاسلام هو بل من تخييدا حكامهم فيها وصيرورتهم ملوكا متغلبين على ارضها وخاضعين بلودها وكان الواحد منهم يتزوج من النسا زيادة عن اربعة خلاف للمنصوص فى القران الشريف ومدمنين على شرب العرقى والمسكرات واكل لحم الخنزير وفى دورهم الصور والتماثيل المنهى عن ذلك جميعه فى القران الشريف وكان المغل فى عداوة مستمرة مع الافغانيين وكان بابر مغول جزلى واستغرق غالب حياته فى حروب مع الافغانيين وكان مولد بابر فى سنة ١٤٨٢ بعد الميلاد وهو من ذرية تيمور وجنكيز خان ولما بلغ عمره اثنى عشرة سنة ورث عن ابيه مملكة خوقند الواقعة على نهر سيحون ولما بلغ عمره سبعة عشرة سنة فتح بخارا وتسلطن فى سمرقند ولما بلغ عمره ثلاثة وعشرون سنة طرده الفرس والاوزبكية الى جنوب نهر جيحون فاسس مملكة فى افغانستان ومن ابتدا هذا الوقت وجه عنان التفاته للغارة على الهند عملية وحل محل السلاطين الافغانية فيها وكان ملوك الراجابوتيين حاكمين ايضا وطرد الافغانيين من الهند فارسل راناسنغ الى بابر رسلا من طرفه يعرض عليه الهجوم على اكره ان كان فى طاقته الهجوم على دلهى فرضى بابر بذلك واستعد وفى فصل صيف سنة ١٥٢٥ و ١٥٢٦ بعد الميلاد سارت جيوش المغول من وسط ارض بانجاب وهزمت الافغانيين فى الميدان العظيم للوقايع فى بانيبوت ودخل بير دلهى فى شهر مايه سنة ١٥٢٦ وتقلد لقب بادشاه الهند الى سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد ثم انحدر فى وادى جومنا نحو اكره فوقع الغضب بين الرانا وبير لان الرانا ما كان له رغبة فى فتح المغول الهند بل كانت رغبته ان بابر ينهب دلهى ويرجع قافلا الى بلاده كما فعل تيمور ويتركه يجتهد فى اشغاله مع الافغانيين فى اكره ومن ثم عبى الرانا عساكره من اجل محاربة المغول فتذكر بابر ان الراجابوتيين اهل اوثان واصنام فحث المسلمين على المحاربة فى سبيل الله ورسوله وندر على نفسه انه لا يعود لشرب العرقى والمحرمات ان نصره الله على هولاء الوثنيين فكانت الواقعة شديدة جدا بالقرب من اكره انهزم فيها الراجابوتيين شر هزيمة وهربوا الى وجوههم فى الجهات الجنوبية من الهند نحو جبالهم واورمانهم وكانت نصرة فاصلة بين بير والراجابوتيين وقضى بابر ما بقى من مدة سلطنته وحياته فى قطع دابر الافغانيين ومات فى سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد

ومن بعد موته خلفه ابنه همايون على التخت فتسلطن اول مرة من سنة ١٥٣٠ الى سنة ١٥٤٠ بعد الميلاد وما كان همايون فى حزم وقوة وبأس مثل ابيه لانه سمح للافغانيين تحت قيادة شير خان فى احتلالهم قلعة شونار على نهر الكنج وكانت هذه القلعة حاكمة على المعابر والمنافذ الموصلة الى بنغال برا وبحرا وتوجه الى الجهة الجنوبية من اجل محاربة السلطان المسلم المتسلطن فى الجزرات ولما عاد الى اكره وجد شير خان سيد بهار وبنغاله وقلعة شونار فاقفل عليه مخافة ان يفك من نواحى اكره فقضى همايون ستة شهور محاصرا قلعة شونار الى ان انحط محافظيها وسلموا القلعة فسار الى بنغاله

ملخص القول على بير او بابر وابنه همايون

وكان سيره من الدرب الواقع بين نهر الكنج وجبال راجا محل فحضره الافغانيون في هذه
الجهة ومن سوء طالعه ابتدأ فصل المطر وكان هذا الدرب على الدوام غير صحي الطقس في
مدة فصل الامطار والهواء ثلاث فتولد من رطوبة الحراره حمى شديده واسهال مفرط فتك
من المعول الجم الغفير مثل الطاعون فاجتهد همايون اجتهادا منقطع اليأس في العود الى
اكره فانهزم هزيمة جسيمة ومن ثم هرب مع ما بقي من جيشه من وسط الصحارى السندية
في طلب الوصول الى المملكة الفارسية وحماية تقيفها وفي اثنا سيره الطويل الممل المتعب
من الصحارى الرملية المحرقة ولد ابنه اكبر فكان اجل واعظم واشهر ملوك عصره
وقضى همايون خمسة عشره سنة منفيا في ارض فارس وتمسك بالعقايد الشيعية على وجه
ضرورة وعرض شاه فارس ومن ثم اعطاه شاه فارس جيشا لما عدته وفي سنة ١٥٥٥
بعد الميلاد رجع الى دلهي وطرد الافغانيين وابتدأ في بنا القبر المفتخر الذي هو ال
واقفا فوق الارض بالقرب من دلهي وفي ما يوم كان واقفا بجانب حايط سراية
فسقط على راسه ومات وفي اسبابه اختلافات بين المسلمين والاوروباويين فقال
مورخي المسلمين ان همايون صعد الى سرايته ليؤدي صلاته فحاث في اثنا الصلاة وقال مورخي
الاوروباويين انه تدحرج من فوق درجة القبر من بعد ان اخذ مقدارا من الافيون في
والله اعلم بالحقيقة

الفصل السادس

سلطنة جلال الدين اكبر

من سنة ١٥٥٦ الى سنة ١٦٠٥ بعد الميلاد

كان اكبر بن همايون بن السلطان بابر بن ميرزا عمر بن ميرزا ابو سعيد بن ميرزا
محمد بن جلال الدين اميرانشاه بن تيمور في وقت موت ابوه همايون عمره ثلاثة عشره
سنة واربعة شهور وكان في مدة هذه الحادثة في اقليم بانجاب فحضر استاذه الاعظم
بيرام خان وزيره من بعد ان حصلت منه دلايل عديدة استدل منها على همته وقدرته وصداقته
لتلميذه وتقلد بيرام عموم الشوكة والسطوة والنفوذ المدني والعسكري وتولد ما حصل
من الارتباكات والقلاقل والمخاوف التي حصلت من اسكندر شاه ومن ثوران وتعصب
بعض ارباب المقاطعات والالتزامات عدم وجود الفرصة عند الملك اكبر ووضع بيرام
خان في توجيه النفقات ثم ادى وجود زمن كاف عندهما في سرعة السير لما عدو الف
دلهي واكره وكانت اخبار الثورات والمظاهرات التي وقعت اخيرا والتي بواسطتها سلب
من اكبر عموم ممالكه ما عدا بانجاب سببا في حصول الفزع الاكبر والهول الاعظم في كافة
دواير الجهات الكبيرة واخذ قرار المجلس عند اكبر ووضعه على الهجرة الى كابول فعارض
وجادل بيرام خان في هذا الرأي اشد المعارضة واوقف حركة الهجرة وعزم على انه
لا بد من التقا العدو في ميدان الحرب ولو ان قوة العدو كانت تفوق عن مائة الف
حصان وكان جيش اكبر مؤلف من اقل من عشرين الف حصان وساعد اكبر شدة
حرارة وحيته قول وزيره وفي يوم ٥ نوامبره سنة ١٥٥٦ بعد الميلاد التقى جيش
اكبر وجيش الوزير هيمو في ميدان باني بوت ولو ان هيمو حارب اشد محاربة مع
اكبر شجاعة وتمثل به عساكره في ضربهم وحربهم واقتحموا المعمعة وظهر عدم طالع سعد
هذا اليوم في جيش اكبر ومال عساكر هيمو الى قلب جيش اكبر فانه حصل الظفر و
النصر لاكبر وبيرام خان وعساكرهما ووقع الوزير هيمو في الاسر من بعد ان اصابه
سهم في عينه خرقها ولما جيء بالوزير هيمو الى حضرة الملك اكبر حث هذا الملك
الشاب وزيره بيرام خان على قتله بيده وقال انه لا بد من قتل هذا الكافر اللعين
بيده وقام اكبر وقتله بيده ولقب بلقب غازي ومعنى غازي قاتل الكفرة والمشركين
وما لطخ اكبر يده بدم هذا الجريح المسكين الا وزيره الحنق الغضوب بل ضربه في رقبته
بسيفه حادة قوية ضربة واحدة ففصل راسه من جسمه وما بعد هذه الواقعة استولى
اكبر على دلهي واكره وتمكنا ان نورخ من هذا الوقت عهد السلطنة في الهند

بيت تيمورلنك
وكان هذا العهد
منسوب بالطبع الى
المقدرة الكاملة و
الشجاعة التي كان
عليها الوزير بيرام خان
وما لم صار اصغاره الى اعلا
درجات الشرف لكل غرض من
الاغراض وكان في الوزير بيرام
عيوبات اصليات متسلطنة في
جسمه وفي عقله وهي الشدة والقساوة
والغيرة والحدة وادمانه على هذين العيبين
حتى ابتداء من اول الامر عن محبة تلميذه
الملك اكبر ومن فطنته على وداده وما كان
العقاب الذي اجريه للوزير هيمو من الاعمال
الجديدة في علو شأنه همم الرجال وما كانت هذه
اول مرة وقعت منه فقط فانه قيل انه في يوم
من الايام عندما كان الملك اكبر في مدينة اكره
هاج الغضب في فيل من فيلته وقتل فيل اخر كان
للوزير بيرام وكان فيال بيرام ما قدر على قيادة الفيل ومنعه من الفيل الاخر فامر
بيرام بقتل الفيال وهذا ايضا من اقبح الفعال ومن بعد بضع قليل من الايام بينما
كان في زورق على سطح مياه النهر اذ قاد فيال سايقه الى النهر للنزول في الما فغضب
الفيل واسرع هائجا في الما حتى وصل بالصدفة الى الزورق واشرف الزورق على
الغرق فاشتبه الوزير في هذه الاحوال ووقوعها ونظر اليها بعين الريب وجعلها اعمال
جاري السعي فيها على فقد حياته فطلب بيرام في الحال من الملك توقيع العقاب على قائد
الفيل فلاجل رضاه وزوال الجاني نفسه من الوهم امر الملك اكبر بارسال سايق الفيل
اليه ليعاقبه كيفما يشا ويختار فامر بقتله وتوالت منه عدة افعال بهذه الحالة مما
القساوة وشدة العنف حتى انجرح قلب اكبر من نحوه وآلت النتيجة ان صار اكبر
مستقلا في اشغال واحوال مملكته من دون وزير وقبض بنفسه على زمام سلطنته

وجود وصيه ونايبه من الشوكة وما كان فيه من النفوذ بسبب ما فصل عنه من سوء
الاخلاق وشراسة الطبع ثم اجتهد بيرام وسعى عدة مساعي جنابية في ان يجعل نفسه ملكا
بالپنجاب فخاب في سعيه ولكنه حالته الى اقبح الاحوال وارذلها حتى التزم في اخر امره على
ان يرمي نفسه تحت رحمة الملك الذي انجرح قلبه من نحوه فكانت الحالة التي قابل بها اكبر وزيره
بيرام من اجل الصفات التي اتصف بها اكبر في المروة والمروءة وعلو شرف الانسانية وذلك انه
عندما قرب هذا الوزير المعزول الواقع من اعلى درجات منزلته من عاصمة الملك ارسل
اكبر جماعة من الاشراف والامراء لملاقاته بالنيابة عنه وتوصيله اليه مع غاية الاحترام
والاكرام اللايق بمقامه وعندما دخل بيرام ديوان الملك شنق عمامته في رقبته وتقدم
مع غاية السرعة ورمى نفسه باكيا اسفا تحت اقدام التخت الملوكي فمسكه اكبر من يده ورفعه
وامر برفعه من الارض وجلوسه في محله الاول في راس الاشراف وعرض عليه قايلا
له ان كنت ترغب المقام والحياة العسكرية والغنايم والاسلاب فان حكومة كالبي و
شنديري معدة لمقامكم ولكم فيها ميدان حرب واسع وان كنت ترغب المقام في ديواننا
فانه معروف وجزيل احساناتنا لا تمنعك من الذي احسنت الى عايلتنا واعترف عليها بمروتك
وصداقتك واذا رغبت العزلة والاعتكاف على قيامك في الدين ورغبت التوجه الى
مكة للحج وزيارة البيت وقبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاننا نعد لك الحالة الموافقة
لمقامك من الخفر وكل ما يكون لازما لك حالا في هذه الامور تحت امرك وعندك
فاختار بيرام الحج والعزلة في مكة ومجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرتب اكبر
له الخفر والخدم اللايق بمقامه ورتب له معاشا سنويا قيمته خمسين الف روبية او
٥٠٠٠ ليرة ثم اخذ بيرام رخصة الملك وتوجه لحال سبيله فما وصل مكة ولا زار
قبر محمد صلى الله عليه وسلم لانه في وقت وصوله الجوزرات في طريق سفره الى مكة ضربه
رجل بخنجر في قلبه فمات من هذه الضربة وكان بيرام قتل ابوه في واقعة من الوقايع
وفي سنة ١٥٦١ بعد الميلاد شرع اكبر في الفتوحات التي تمم بها اجتماع الممالك المختلفة
والامارات المستقلة التي كانت الهند منقسمة بها الى اقسام عديدة وعاد جيش اكبر
على مملكة مالوه وانهزم باس بهادر واخذت منه اراضيه واظهر اكبر جودة قريحته
وبداهته وثباته واقدامه في سرعة حركات اشغال مملكته ثم ان ادم خان قايد
القوى العسكرية السلطانية في مالوه وزع الغنايم والاسلاب على اصحابه وجعل
لنفسه الكنوز والذخاير والاثاثات الثمينة والجواهر النفيسة الملوكية التي حازها من
بيت سلطنة مالوه وسيدات الحريم وما ارسل للملك اكبر سوى بعض الفيلة فاعتقد
اكبر في نفسه من هذا الفعل العجيب ان ادم خان عول ان يجعل نفسه ملكا مستقلا في
مالوه فسار اليه بكرما لوه بنفسه من دون ان يظهر ادنى شبهة او فزع في سفره او يظهر
لاحد غرضه المكنون في قلبه واخذ هذا الرئيس على حين غفلة وعاد في فلاح كافة
الاموال والذخاير التي كان ادم خان جمعها ومن بعد هذه بقليل حصل منه فعل من
افعال الرجال ذوي القدرة والشجاعة والجراءة وذلك انه في اثناء ما كان في الصيد
في نواحي نرور اعترض طريقه نمر من اوحش النمرة واهولها فما تردد اكبر في ان
ضربه ضربة واحدة بسيفه رمى راسه في الشمال ثم ان شيرخان بن محمد شاه عادلي
وكان من بعد هزيمة هيمو وقتله غرق في بحر ظلمات توالت عليه فقام وزحف في
راس اربعين الف من الافغانية من بنغاله من اجل اخضاع اقليم جوانبور فارسل
اليه خان زمان لمقاومته وصد زحفه فانتصر خان زمان نصرة كاملة على عدد
ونسي ان يرسل النصيب المعتاد من الغنايم والاسلاب للملك وما استشعر بالحالة
ادا ما يجب عليه من الواجبات المفروضة عليه الا بقرب اكبر منه على حين غفلة في راس
جيش ومن بعد هذه الحادثة بقليل حضر باش بهادر حاكم كندنيش ويبراز على عدم
نفسه فتقوى بما عدتهم له واعاد عموم ممالكه في مالوه فكان فوز هذه عدة قليلة
من الزمن بيد اكبر هزم شر هزيمة وطرده هربانا باجيا بنفسه الى جبال كمبولية واما
محمد خان عتقه وكان تعين وزيرا في دلي فانه حاز النفوذ الاعظم والسودد

قتل بيرام خان في طريقه الى الحج

والسودد الاكبر فقام عليه ادم خان فقتله فصدر امر الملك بالقاء ادم خان من فوق
دروة علوها اثنان وعشرين قدما وفي سنة ١٥٦٣ نجى اكبر مع شدة الضيق من القتل
وهو انه اطلق عليه سهم وهو سائر في طريقه الى دلي وسكن السهم في كتفه فصار بتقطيع
الضارب للسهم قطعا من قبل اخراج السهم من كتف الملك والتام الجرح وشفي اكبر منه
في ظرف عشرة ايام ثم تولد من الفتن والدسايس التي هاجت وماجت واحاطت بعايلته
واقاربه ان قام الكثير منهم في العصاوة جهرة وجمعوا لانفسهم قوة مؤلفة من ثلاثين الف
حصان واوقعوا الدمار والخراب والنهب والسلب في بهار وجوانبور واستحوذوا على
كميات وافرة من الخزاين السلطانية فارسل اليهم اكبر جيشا فهزموه فارسل جيشا ثانيا
وتبعه بنفسه ولما عبر هؤلاء المتمردون نهر جومنا تحت قيادة اسكندر خان وبهادر خان اشعلوا
نار الارتباكات والاضطرابات في اقليم الدوداب وهزم خان زمان فرقة من عساكر
الملك على شاطئ نهر الكنج فلما وصل جيش الملك الى اسكندر خان ورفقاه الزعماء على هياج
الحرب ولوانهم كانوا في اجتهاد كبير في اصلاح الحالة والمسالمة مع الملك وكانوا ارسلوا له
رسلا في هذا الصدد فانهزم جيش الملك شر هزيمة كلية وهرب عساكره مع القتل والا
رتباك لا يلوي بعضهم على بعض حتى وصلوا الملك في كالنوج وهجم اسكندر خان ورفقاه
على مدينة جوانبور وتغلبوا عنوة عليها فسار اكبر في هذه الاثناء الى ميدان العمل ولما
انضمت اليه القوى من الاقاليم المجاورة وكان دعاها لمعونته هرب العصاة من
طريقه وفروا من امامه وبعد هذا بقليل سلموا انفسهم خاضعين لاحكامه وسلطانه
فعفى عنهم ورد اليهم املاكهم ودرجة شرفهم وفي هذا الوقت وصل عند اكبر رسول من
قابول واخبره بان سليمان ميرزا رئيس بدخشان عين واحد نايب عنه في قابول
واشتغل انتقال الحاكم المستقل بنفسه فاشتغل الخوف في قلب اكبر من جهة اعداه الموجودين
في الجهة الغربية زيادة عن الموجودين في الجهة الشرقية فاصدر من طرفه امرا للضباط
بالپنجاب بان يجمعوا انفسهم في جامعة واحدة وتحت حكم وقيادة حاكم مولتان فلما علم العدو
بما صدر من الملك صرف بوله والتزم عساكر الملك على الفرار منه وفي اثناء هروبهم في
طريقهم قابلهم الجيش الذي ارسل عدنهم تحت قيادة فريدون خان واوصى هذا الى بن
محمد حكيم ميرزا اخو الملك ان يضبط لاهور واكد له بان اكبر في حالة ضعيفة لا يمكنه
بالمرة ومنه بحالته الان مشبوك في حرب مع اقاربه الذين قاموا وضبطوا الاقاليم
الشرقية وانه لو استحوذ مرة على لاهور فانه يسهل عليه بلا ادنى تعب طرد الداخل في
قابول فلما اشيعت هذه الفتنة عند اتباع الملك احتلوا لاهور وحاولوا من كل سعي
واجتهاد بحثهم وتحريضهم على الخروج من تحت طاعة الملك فاسرع اكبر في سيره الى بالپنجاب
من اجل حسم هذه الحركة الشديدة وارعب اخاه في لاهور فهرب منه مسرعا خايفا
يترجف واستقبل اهل لاهور اكبر مع غاية الفرح والحبور والحبوة ثم ان رؤساء الازابكة
انتهزوا لانفسهم فرصة غياب الملك وضبطوا كانوج واودهم وعدوا فتوحاتهم
في كل جهة فاسرع اكبر في عوده من بالپنجاب وسار متوجها نحوهم ولو ان الوقت
كان شديد المطر فانه ما اهمل في مشروعه ومقصوده وطرد العصاة حتى ارغمهم على
عبور نهر الكنج وركب فيله وعبر النهر وراءهم ومن بعد انه سار مختفيا في اثناء الليل مع
معرفة حفره وكانت مؤلفة من الفين حصان هجم على اعداه في وقت شروق الشمس
فقتل رئيسهم وضبط واحد منهم اكبر قوادهم ووقع في عساكر عدوه القتل والارتباك
حتى هربوا في كل فج وواد ومن بعد هياج حرب امتد سبعة ايام انطفت نار عصاوة
الازابكة وحدث بالكلية في سنة ١٥٦٧ بعد الميلاد ومن قبل تمام هذه الحركات
قامت حركة تولد منها عواقب مهمة كبيرة وذلك ان ميرزا سلطان احمد بن ميرزا ابو
سعيد بن ميرزا محمد بن جلال الدين امرانشاه بن تيمور وكان اصطحب مع بابر في غارته
على الهند كان هو المحرك الاول لهذه الحركة وكان في مدة سلطنة همايون هو السبب
في حصول للمصايب السوداء واجتمع الجنايات على همايون وكان همايون عفى عنه من كرمه
وقرابته له ولما جلس اكبر على التخت علا ميرزا سلطان احمد الى الهند فاحسن اليه اكبر
باقطاع سنبهل وكان له عم اربعة اولاده وثلاثة اولاد اخوه جميعهم اندرجوا في
قايمة الاشراف في ديوان اكبر ولوانهم كانوا صغار السن ولازم الاربعة اولاد

ابنا ميرزا سلطان الملك في حروبه مع الاوزابكة في جوانبور ولما عاد الملك من حروبه
توجهوا الى مملكتهم في سنبهل وفي اثناء غارة الملك في بانجاب انتهزوا الوقت لهم فرصة
غيابه وقاموا كافرين بنعمة جاحدين احسانه وخيراته بالسلاح وجمعوا لانفسهم جماعة
من الاشقياء وابتدأوا احقهم في جمع اموال ووزعوها على رعايا الملك فقام الملتزمين و
ارباب المقاطعات عليهم بالسلاح وقبضوا على ميرزا سلطان احمد وطردوا الاشقياء باكمل
طريقة فالتجأوا في مالوه وبذروا في عموم مملكة الجوزرات بذر الشقاق والقلاقل الفتنة
حتى ان هذه القلاقل ما حصل اطفاها واخمادها الا من بعد الغلبة على نفس الجوزرات
وكان اكبر مشروع اجراه الملك اكبر في حروبه هو مشروع الحصار الذي حصر فيه مدينة
شيطور فكان موجود في المدافعة عن هذه المدينة ثمانية الاف من الراجابوتيين تركهم
فيها رانا اوراجا او ملك شيطور وذخاير ومؤن بكثرة وافرة واعتزل الراجا و
عايلته في موقع اكثر صعوبة في الوصول اليه وشرح فريشته وصفا كاملا لهذا الحصار
استدل منه مع البداهة على ان فن عمل الالغام وانشاء الاستحكامات كان معروفا في قرون
عديدة مضت عند امم الهندوستان وان لما حصل من المهارة والبراعة في حصار مدينة
احمدناجور في سنة ١٥٩٥ عند المغول وفي حصار مدينة كيرولي في سنة ١٨٠٧ بعد
الميلاد وفي بهورطبور في سنة ١٨٢٦ بعد الميلاد عند العسكر الانكليزية الذين
ما تعلم الهنود منهم صنعة فن الالغام هذه جميعها كانت دلايل وبراهين كافية
على ما كان لاهل الهند من المعرفة التامة والدراية الكاملة بفن المحافظة وطرق شغل
الالغام تحت الارض ومعرفتهم بقواعد واصول وفروع فن الاستحكامات وشغل
التحصينات وقال امير الالاي بريجش في خصوص هذه الاشغال انه من العجب
والغرابة كون المرء ينظر الى طرق هجوم وقواعد تحفظ ومدافعة عند اهل الهند
مطابقة بالكلية لاشغال الشهير فوبان واشهر المهندسين ومدربها في القرون
المتوسطة واشتغل الهنود تحت استحكامات شيطور في وقت حصار اكبر لها حفيرتين
الهنود هناك عساكر اكبر
كبيرتان وسراديبان تحت البطيونات خارج منها عدة دهاليز صغيرة موجهة الى نقط
مختلفة في نهايتها كوانين الغام محشوة بالبارود والسجفان بشرط ممكن طلقها
في الاوقات المعلومة واحد بعد الاخر وبعد فتح ثروم في الاسوار فلما طلقت
الالغام وانفتحت الثروم ظن اكبر ان الالغام طلقت جميعها دفعة واحدة فهجم
العيني نفس من عسكره للدخول في المدينة من الثروم التي فتحت فانطلقت عليهم الالغام
التي بقيت فقتل منهم خمسماية نفس وعدد كبير من المحصورين كانوا مزدحمين في البطيونات
وخاب الهجوم وفي اثناء ما كان اكبر مباشر وملاحظ اشغال تقدم الهجوم شاهد
حاكم القلعة في يده مشعل ومباشر اشغال ترميم الثروم فاخذ بندقية محشوة من
واحد من اتباعه وضربه فاسكن رصاصها في جبهته فخار عساكره وضعفت قوتهم
من نزول هذه المصيبة التي حلت بفقد قايدهم وتركوا امل نجاتهم وعزموا و
جمعوا ازواجهم واولادهم وحرقوهم فوق عيدان الحرق مع جثة قايدهم واجتمعوا
في هياكلهم ومعابدهم ولما هجم اكبر على هذه الهياكل والمعابد بالهجوم عنوة قتل
من الراجابوتيين بالسيف ما يفوق عن عشرة الاف نفس ومع ما حصل للرانا من
فقده عاصمته فانه ما زال كان مستقلا ومن بعد مضي تسع سنوات صار تجريد ابنه
وخليفته رانا برتاب من قلعته كومولومر وجوجنده ومن المحتمل ان ذلك كان
في سنة ١٥٧٨ بعد الميلاد والتزم على الهروب مدة من الزمن نحو السند الا انه كان
نشيطا في اشغاله مجتهدا في اعماله مثل ابوه وصاحب حزم وشهامة عالية توج
بالنجاح والفلاح فانه من بعد موت اكبر اعاد القسم الاعظم من اقاليم مملكته وسمى
العاصمة الجديدة المعروفة باسم اوديبور وما زال لحد الان موجود فيها ذراري هذا
الملك وبيته فقط هو الذي رفض من دون بيوت الراجابوتيين [illegible]
الزواج مع الملك اكبر ومع ملوك دلهي من بعده وكان اكبر حتى هو بعض الراجات
فانه وتزوج من بناتهم حبا في طلب معاودة توطيد الامن وارتباط العلاقات بينهم
قيل ان اكبر لما فتح جايبور وحصل افتتاحها للمملكة سمح لنفسه هذا الفتح بزواج
ابنة ملك الهنود ولما فتح جودهبور زوج ولي عهده سليم الذي تلقب جهانكير بعد
بلقب جهانكير حفيدة راجا جودهبور وعاد اكبر من شيطور الى اكره ووصلت اليه الاخبار

الاخبار فيها بان الميرزات لما تركوا الجوزرات عادوا الى مالوه وجددوا مبارزاتهم و
ضيعهم الحصار على اوجين فالتزموا على البحث عن سلامة انفسهم مرة اخرى في سنة ١٥٦٨
بعد الميلاد في داخل ارض الجوزرات
ثم انه ما وجدت عايلة من العايلات التي حكمت البلاد الهندية في السابق الى حد بيت تيمور حصل
تقلبات مختلفة في خصوص التخت مثل ما حصل لعايلة تيمور وكانت درايته باي حالة كانت
اغراب في الدين واللسان والدم وكان ملوك هذا البيت عند المسلمين في الهند هم والهنود
في درجة واحدة في الكراهة والعداوة وسبب كراهتهم للاجناس المولية من الغزنوية
والغورية فما كان يجاورهم ممالك لاهلها الحق في الادعاء بطلبها اشيا وراثية او ايرادات
مقررة مثل ما كان لملوك المماليك الذين كانوا يجعلون منها ابناء عمهم ويقوون انفسهم حتى وان
الاصلاحات التي اقامها ببر في قابول دمرها جميعها ميرزا كامران عم اكبر بافعاله
واحراقاته وخضوع الاجتهاد والسعي المستمر الذي حصل من جهة الافغانيين من اجل المدافعة والمحافظة
عن طلبهم الاولية في السلطنة كانت سببا في صيرورة هذه الامة الافغانية الحربية
وعموم المسلمين الموجودين في الهند الد الاعداء لبيت تيمور والظاهر ان اكبر قد عرف مبادي
سلطنته عرف جيدا عدم امان واطمئنان مركزه وهذا مع الطرد الفني الشديد الذي حصل
لابيه والفعل الذي اجراه ابوه حتى عاد الى تخته مرة ثانية بواسطة قوى موثرة فعالة من
الجهة البرانية كبس على شبابه واحوجه الى ضرورة توزيع القوى الداخلية للمملكة فمن المحتمل
انه بواسطة هذه التوزيعات سار اكبر في طريق شكل فيها غرض عظيم لنفسه وعزم على
كونه يجعل نفسه في راس عموم الامة الهندية ويجمع اهل البلاد والاراضي في جامعة واحدة
تحت حكم وسلطانه من دون تمييز في الجنس والارض ومن ثم اتخذ هذه الطريقة السياسية
في مدة عموم سلطنته واصعد الهنود الى اقصى درجات الشوكة والمسلمين من كل جنس
الى ارفع المنازل في المملكة كل على حسب درجاتهم واهليتهم فيما يناطون به واختار في خصوص
هذه السياسة العالية لنفسه زوجتان من بنات الراجابوتيين وزوجة اخرى لابنه
ولي عهده وبواسطة هذه الارتباطات وصل الهنود الى اقصى درجات الشرف والثروة
من دون النظر الى امتياز درجة طبقاتهم في الاتصال والاتحاد مع اكبر ودخولهم معه في
سلطنته
وفي سنة ١٥٦٩ بعد الميلاد حصر الملك بجيوشه القلعتان الحصينتان رنطنبهور وكالنجور
وفتحهما وفي سنة ١٥٧١ بعد الميلاد جاءت البشرى للملك وهو في ميدان قريب اسمها
سيكري بولادة ولد له فاطلق على هذا الميدان اسم الميدان السعيد وشيد فيه مدينة
سماها فتحبور ومن بعد ذلك شرع اكبر في مشروع كبير كان مشتغلا به من مدة وانتهز
في هذا الوقت فرصة نفاذ مفعوله وهو اضافة مملكة الجوزرات الى مملكته وقد ذكرنا
في سلطنة ابوه همايون ما وقع لبهادر شاه ملك الجوزرات من بعد ان بلغ الدرجة العالية
في النفوذ والسلطان وكان له شهرة كبيرة في التاريخ الهندي من هزيمته بواسطة همايون
المرة بعد المرة وارغمه الهرب والفرار من مملكته ففي مدة توالي الاختلافات والمحن الشديدة
على ملك دلهي جمع بهادر شاه جيشا واعاد تخته لنفسه كما كان وكانت مملكة الجوزرات
في الاصل قسم من مملكة دلهي وفي مدة الاحكام المرتبكة التي وقعت في مدة السلطنة
الطغلقية استحوذت الجوزرات على استقلالية لنفسها وهي ممتدة من ابتداء جهة جنيقة
من الارض على السهل من ابتداء الناحية الجبلية الموصلة جبال ابراوادي بسلسلة
جبال وتذهب الى حد الصحراء واحتوت فيها القطعة المعروفة باسم رين في جهة الغرب
والى حد البحر في جهة الجنوب والبحر يكتنف جزءا منها وتشكل بحيث جزيرة كاتيوار وهي
معادلة في المساحة لما بقي من ارض الجوزرات ومحدودة من الجهة الشمالية بخليج كاتش
وارض راجابوتانه ومن جهة الشرق بارض كانديش ومالوه ثم انه من بعد موت
بهادر شاه انتقلت مملكة الجوزرات الى ابن اخيه محمود الثاني ولما مات هو باشر اشغال
المملكة مملوك هندي اسمه اعتماد خان وكان ارتقى الى ارفع الدرجات في نعمة محمود الثاني
وحكم اعتماد خان المملكة على اسم طفل صغير اشتهر انه ابن محمود الثاني فقام رئيس
من الجوزرات اسمه جنكيز خان وادعى ان اعتماد رجل غاصب لتخت المملكة فاتفق انه
في مدة سلطنة اعتماد في الجوزرات وصل الميرزات في هروبهم اليها من اجل التجائهم

والاطمئنان على انفسهم فيها فتولد من ارتباكاتهم وقلاقلهم واحوال طمعهم وقوع العداوة
والكراهة بينهم وبين الحامي لهم وطردهم جميعا من المملكة بقوة السلاح ومن بعد ان كان
جنكيزخان مقتولا وعاد الميرزاوات بقصدهم انتهازهم الفرصة المتوقفين حصولها لهم
في راحة انفسهم مدة من سنة ١٥٦٨ الى سنة ١٥٧٢ تدمرت المملكة مما كان حاصلا من الشغائب
والمحاربات والقلاقل بين هولاء الاحزاب المختلفة حتى اجل هشم هذه الاحزاب المتحاربة
وحدة القلاقل والارتباكات وعدم النظام دخل اعتماد خان في مخابرة مع الملك اكبر
وحثه على السير نحو الجوزرات لاطفاء هذه الفتن الواقعة فيها واستحواذه على المملكة فخرج
اكبر متوليا لهذا الصدد في شهر سبتمبر سنة ١٥٧٢ بعد الميلاد ولما وصل باتن قابله
الصبي المتوطن وسلم زمام السلطنة له تسليما رسميا ودخل ملكا ولي في ارض الجوزرات
وحزم امره ورايه وعاقب الاشراف العاصين اهل البأس والقوة وربت اشغال الحكومة
واعمالها في الجوزرات واستعد للسير خلف الميرزاوات من اجل قطع دابرهم وكان واحد من
الميرزاوات في راس جيش مستقل في مدينة باروش واخر في راس قوة كبيرة في نواحي
مدينة سورت فعزم اكبر على الهجوم على الميرزا وقوته الموجود في باروش فلما علم ميرزا
حسين قايد هذه القوه بقرب اكبر منه توجه بجيشه الى بانجاب من اجل هياج ثورة
فيها على الملك فاسرع اكبر في راس فرقة صغيرة من خيله في صده وقطع طريقه وعدم
وصوله الى بانجاب ومن بعد ان سافر اكبر يوما طويلا وجد نفسه مع نفر قليل مقداره
١٦٥ مقاتل امام عدو له معه ١٠٠٠ مقاتل من الاعداء فابتدأ اكبر بحركة الهجوم
بهذه القوة القليلة وبواسطة استخدام الهندو بالة التي هم عليها وكان الملك
عليها معهم في مدة سلطنته ومحافظتهم على حياته وملكه الكثيب اكبر نصرة اليوم
وهو انه كان في هذه الشرذمة القليلة عدة من الرؤساء المشهورين فكان فيهم راجا
بتجون سنها صاحب جايبور وابن اخوه وابنه المتبنى راجا من سنها وساق
راجا من سنها المقدمة ولما عبر النهر هجم في الحال فارصد في هجومه وبما ان الملك كان
مع هذه الشرذمة القليلة من الراجابوتيين فالتزم على كونه تعيق في زقاق محيط
بسياج من النفال لا يسع زيادة عن ثلاثة من الخيل تمشي في طوله بالمواجهة فهجم
عليه في هذا المضيق ثلاثة من الاعداء وهو واقف في مقدمة رجاله فاندفع راجا
جايبور الى الامام لحماية ملكه مع غاية البسالة والشجاعة وطعن واحد فقتله وحمل
على الاخر وهرب العدو وفاز الميرزاوات في هروبهم والنجاة بانفسهم ثم بعد ان
تفرقوا وتشتت شملهم ومن بعد مضي قليل قتل واحد منهم في الجوزرات وهرب بعضهم
الى الجهة الشمالية من الهند فلما انهزموا بالقرب من ناجور هربوا الى امارة سنبهل
فطردوا منها فدخلوا بانجاب فكانوا ينهبون فيها اينما توجهوا ثم هربوا نحو السند
فوقعوا في ايدي الملك فقتلهم قتلا ذريعا وما نجى منهم الا ميرزا حسين فانه هرب
من الجوزرات الى الجبال الواقعة في حدود كانديش ولبث فيها من دون ان يعرفه احد
وخضعت عموم الجوزرات لاكبر والحقها الى سلطنة دلهي كما كانت في سابق الامر
ولما تمم اكبر فتحها عاد قافلا الى اگره عاصمته ومن بعد مضي شهرين من وصوله اگره ورد
اليه الاخبار بان ميرزا حسين اتحد مع واحد من الرؤساء المشهورين في الجوزرات
واختلق عدة حوادث في تلك الاقاليم وهما حاصران الان مدينة احمداباد وكان ميرزا
حسين هذا من اقارب اكبر لانه ابن ميرزا منصور بن ميرزا بيقرا بن معز الدين
شيخ عمر بن تيمور كما سبق في شجرة تيمور واولاده واحفاده ولو ان فصل المطر دخل
فانه ما تولد منه ادنى تعطيل او تاخير في حركة الملك الشجاع الجسور اكبر من اتخاذه
الوسائط الفعالة في هشم هذا السعي الجديد وانتخب العين نفس من منتخبات خياله
وارسلها امامه ثم تبعهم بنفسه ومعه ثلاثمائة نفس من الاشراف والامراء راكبين على
الهجن السريعة السير والتحق بهم القوة الاصلية التي كانت موجودة في مدينة باتن
فكانت حركته هذه سريعة الفصل حتى انه رغما عما كان عليه الطقس من عدم الرحمة
ووعرة الطرق والسكك قطع مسافة اربعمائة وخمسين ميلا في ظرف تسعة ايام
وكان عدد جيشه اقل بكثير من عدد عساكر الجيش الذي وصل من اجل الهجوم فلما
قرب من المدينة المحصورة ارسل واحد من الضباط يخبر خبر حضوره فاندهش العصاة

فاندهش العصاة من وصوله على حين غفلة ووقع في قلوبهم الرعب من حصول هجوم
مهول عليهم من كافة الجيش الذي ورد عليهم جديدا ومن المحافظين الموجودين في القلعة
وكان حسين ميرزا لما راهم سئل لمن هذا الجيش فقالوا له ان هذا جيش تحت قيادة نفس
الملك فقال هذا شيء من المستحيل لانه واحد من جواسيسي راه بعينه في اگره من مدة
اربعة عشر يوما واني لم ارى الفيلة الملوكية في الجيش فاجابه واحد انه ابتدأ في
سيره من منذ تسعة ايام فقط ومن هذا يظهر انه ما كان اخذ معه فيلة ثم انشب الحرب
وكانت واقعة شديدة مهلكة فاصلة الكتيب فيها اكبر نصرة اليوم بشدة عساكره و
شجاعة حقه وقتل ميرزا حسين وصاحبه في ميدان الواقعة وخلصت القلعة ومحافظها
وعاد الفاتح بالثاني الى مقر سلطنته ومركز حكومته

ثم ان ميادين الحروب الثانية لاعمال العسكرية كانت في جهة بنغاله وهو انه من بعد ما هزم
شيرشاه الثاني في سنة ١٥٦٠ بعد الميلاد احتل المغول قسم من بهار وما كان باقيا من
هذا الاقليم مع عموم الاراضي الواقعة في الجهة الشرقية من القطعة المحتل فيها المغول كان
لا بد من فتحها والتغلب عليها ومن قبل عودها بون من ارض فارس كانت بنغاله استقلت
في نفسها تحت سلطنة محمدشاه عادلي كما سبق الذكر وكان طرده ابراهيم شاه من اگره
الى بنغاله ومن هذا العهد حكمها ملوك من الافغانيين تواليا على تختها وكان الملك
الجالس على تخت سلطنتها في هذا الوقت ملكا اسمه داوود خان ضعيف العقل خايب
الرجا جسم ملوث بالعيوب والموبقات فتولد من المقت والعار والفضيحة التي كانا
عليها هذا الملك مطامع كبيرة وآمال واسعة عند وزيره في خلعه وجلوس نفسه على التخت
بدله فلما عرف داوود خان مقاصد وزيره واغراضه امر بقتله في نظير خيانته هذه
فانجر من ذلك حرب داخلي اضمحلت فيه بنغاله وصارت على شرف الدمار والخراب
فلما فرغ اكبر من حركاته العسكرية في جهة الغرب تفكر في نفسه ان هذا هو الوقت الموافق
له في الهجوم على ما كان تابعا في الاصل لمملكة ابيه وبذلك ارغم داوود على كونه اعطى
موعدا وموثقا في دفع خراج سنوي وانقطعت الارتباكات في بنغاله ثم ان داوود
انغمس في مجلس مشورته وحمله المجلس على استقلال نفسه من سوء حزم وقلة عقل قام
بالسلاح معلنا استقلالية نفسه فعزم اكبر على مباشرة الحرب بنفسه في بنغاله وفي غزارة
فصل المطر نزل في راس جيش ضخم في الف سفينة فوق مياه نهر الكنج فكانت اعماله المهولة
الابتدائية والمصائب التي اوقعها في الحرب سببا في ارعاب داوود خان وفزعه ووقوع
الخوف في صدره فارسل نائبا عن نفسه في عقد شروط صلح مع اكبر فصمم اكبر على التسليم من
دون شروط فتقهقر داوود في داخل بنغاله وترك لاكبر ارض بهار جميعها ثم بعد ذلك
هرب داوود من بنغاله الى اوريسا وانهزم عسكر اكبر في واقعتين متتاليتين وفي
الواقعة الثالثة انتصروا نصرة كاملة على عسكر داوود واخذوا منهم فيلتهم وذخايرهم
وساروا خلفهم الى خليج بنغاله فخلوا انفسهم في هذه الجهة وبقي داوود مستحوذا على
ارض اوريسا وكطاك وتنازل عن كافة ما يدعيه من حقوقه في بنغاله وبهار في
سنة ١٥٧٥ بعد الميلاد ولما تذبذب داوود ما حصل له راحة من الزمن مدة طويلة
لانه انضاف اليه عدة من رؤساء الافغانيين في بنغاله وبهار ورأى نفسه في ظرف مدة
قصيرة في راس خمسين الف مقاتل وتغلب مرة اخرى على قسم عظيم من بنغاله فوقع
بينه وبين اكبر واقعة انهزم فيها داوود ووقع في ايدي عدوه فقتله شر قتلة ومن بعد
قتله بيومين لحق ابنه الى القبر وانطفأ بالكلية ما كان باقيا في الهند من سلطنة
الافغانيين والله يؤتي ملكه من يشاء فيعز من يشاء ويذل من يشاء وهو الواحد القهار
ثم انه ما تولد من التغلب الاخير على بنغاله دفعة انها كانت مملكة مستقلة والقراضة
البيت الذي كان متسلطنا فيها تمام اخماد كافة الارتباكات والقلاقل في هذا
الاقليم وما كانت بنغاله تغلب عليها اي واحد من ذرية تيمور لنك واغتصبها من
الافغانيين وصيرها صفة توقعها الجغرافي ملجأ ومأوى امينا موافقا لارباب
الارتباكات والنافرين من الافغانيين وغيرهم فانه ممتد في جهتها الجنوبية جهة
من الاراضي جميعها جبلية واورمانية كثيفة وشمالها عبارة عن جبال وعرة متصلة
مع بعضها مقطعة بالاورمانات ومستنقعات واراضي سبخة واجام او جنكل ممتدة

الى البحر وهرب فيها كل مجازف وجسور من الاشراف الافغانية الذين رأوا ان حياتهم غير مامونة عند المغول ووجدوا فيها بين اقاربهم وعشائرهم اخوان واصدقاء وما فقير وكان ما وقع من الذل والاهانة للافغانيين سعادة وثروة للمغول على اي من كان القائد هوم عند قوم فوايد اوالاراضي والاملاك التي كانت في حوزة الكثير من الافغانيين من الحكومة دخلت في حوزة المغول وكان تمام فتح مملكة بنغاله في نحو الوقت الذي عمل فيه اكبر الاصلاح التجاري الكبير فكان ذلك فرصة في الغاء ما كان واقعا في هذا الاقليم من المفاسد وشرع اكبر في نظام وتعديل ايراد بنغاله وجعله تحت قواعد منظومة ثابتة وحصر كافة اراضي المزارع التي كانت اخذت من الحكومة وفرض نصيب العسكر على كافة ارباب الاراضي المالكين لها في الى ل فتولد من هذا النظام الكيس الشديد على ارباب الاراضي والالتزامات من المغول الذين لهم القوة والبأس فاستعدوا لمناقضة هذا النظام ورفضوه بالفعل وانتشر ذلك بحدة وشدة في عموم انحاء الاقليمين بنغاله وبهار وزاد عدد الثائرين الى ما يتوف عن ثلاثين الف نفس وقام بيرق العصاوة ورأى الملا نفسه انه سعيد على حين غفلة من اجتنا اثمار مظفراته بواسطة القوى التي كان بواسطتها اكتسب النصر والظفر فدخل مع هؤلاء الثائرين في حرب مشووم لبث ثلاث سنوات وانتهى في اخر الامر بواسطة اعظم خان خانه وزع توزيعات كثيرة من اراضي وغيرها على الثائرين وبواسطتها اخذ الحرب زيادة عن اخذه بالسيف وفي مدة هذه الارتباكات والثوران ما اهل الافغانيون في انفسهم من هذا الوقت الذي وفد عليهم وقدم نفسه لديهم وكان سببا في حصول المنفعة لهم ان ضبطوا اوريسة وعموم الاراضي الى حد نهر دامودير بالقرب من باردوان ثم وغفق تقدمهم من بعد قتل رئيسهم ومن بعد قليل وجد اكبر فرصة في طردهم فطاردهم نحو كوتاك ثم خضعوا ودخلوا تحت طاعته في سنة ١٥٩٠ بعد الميلاد وكان اخر عصيانهم وكدحهم بالسلاح في سنة ١٦٠٠ بعد الميلاد عندما قطعوا اليأس والامل بالكلية من عودهم بنغاله تحت احكامهم

ثم كان من جملة اخبار ثورة المغول ان طلب حضور اكبر في بانجاب من اجل صد واخبار ثوران وغارات اخيه حكيم ميرزا حاكم قابول فلما وصل اكبر في بانجاب هزم اخيه حكيم ميرزا وارغم على الهرب ملتجئا في الجبال ومن بعد قليل خضع لاخيه فاعاده مكرما الى حكومته الاولى ومن بعد هذه ما جرى في مجلس او اجتماع مع اخيه وعليكم ابدا في وقت عود اكبر ورجوعه شيد قلعة اتوك في سنة ١٥٨١ بعد الميلاد فما زالت هذه القلعة لحد الان قائمة عند المعدية المشهورة لنهر السند ودالة على البقعة التي عدى او عبر منها اسكندر الاكبر وعدة من الذين فتحوا البلاد الهندية نهر السند ومن بعد مضي سنتان امر باتنا قلعة الهاباد في نقطة مجمع نهر الكنج ونهر جومنا وانقضت مدة العشر سنوات بين سنة ١٥٨٠ وسنة ١٥٩٠ بعد الميلاد في حروب مهولة كبيرة وذلك ان الافغانيين غاروا غارة شديدة وقطعوا كافة المواصلات بين قابول والهند وصدوا وطردوا على اعقابهم خائبين وكانت الجوزرات اجتهدت اجتهادا كبيرا في استقلال نفسها فاخضعها اكبر وضمها لممالكه مرة اخرى وكانت ومازالت بنغاله لم تنم وكانت عصت على السلطان عادلي قبل عود همايون واستمرت تحت حكومة سلطنة عدة ملوك من الافغانيين فتمم اكبر فتوحها بالكلية وفي سنة ١٥٨٥ بعد الميلاد مات ميرزا حكيم اخو الملك اكبر فاستحوز اكبر على املاكه وعقاراته وفي مدة هذه الاستقلالات طرد الوزابكة ميرزا سليمان من بدخشان فتولد من مظفرات الوزابكة بوجه الاحتمالات ضرورة السفر الذي سافره اكبر بعد ذلك بقليل الى قابول وتحصنه بها او من المحتمل ان الوزابكة لما شبعوا بواسطة ما ترك في ايديهم من الاستحواذات التي استحوذوا عليها في غاراتهم الاخيرة من دون حصول ارتباك استمر السلم على ما كان عليه وبواسطة هذه الاعمال والحركات صار اكبر على منزلة ما سلسلة الجبال الشمالية وكان فيها قسم عظيم معدود من ممالكه الان سكانه تحت الطاعة اسما فقط دون حصن وحثه على اثبات حقوقه وعد سلطنته واحكامه على اهل هذه الجبال

الجبال وكانت الحروب التي اشتبك فيها بهذه الناحية مشحونة بالمتاعب الكبيرة زيادة عن كل مشروع شرع فيه قبل ذلك فكان اول حرب اهاج من هذه الحروب هو فتح كشمير وقد ذكرنا فيما سبق وصف هذا الاقليم الظريف ومبدأ تاريخ عمارة وكيف كان هذا الاقليم تحت سلطنة ملوك الهندو يتوارثونه واحد بعد الاخر على التعاقب الى حد مبادي القرن الرابع عشر من التاريخ المسيحي ثم تغلب عليه واحد من قواد المسلمين فاستمر في حوزة ملوك مسلمين حتى فتحه اكبر واخضع اهله واضافه الى المملكة الهندية في سنة ١٥٨٦ بعد الميلاد ومن زيادة شهرة هذا الاقليم في ظرافته وجودة واعتدال طقسه التزم اكبر على التوجه لزيارته وكانت هذه الزيارة منه مرة واحدة فقط ثم صار من بعده دار عزلة ومراقبة في مدة فصل كل صيف لاقامة الامبراطورات المغولية خلفاءه فكانوا يتمتعون فيه بجودة مناخه وطلاوة وصحة هواه ومن بعد هذه كان حرب الامبراطور اكبر مع قبيلة افغانية اسمها الروشينانية من روشن ومعناه الضوء او النور وهذا الاسم مشتق من عقيدتهم والمذهب الديني الذي كانوا عليه وكانت هذه القبيلة متوطنة في الاقليم الجبلي الواقع على حدود درب اوبو غاز خيبر في جبال هندو قوه وقام في هذه القبيلة رجل كذاب اسمه بايزيد وادعى النبوة وصار له سلطة ونفوذ كبير على اهل القبيلة فضللهم عن دينهم حتى رفضوا العقايد الاسلامية والايات والاحكام القرانية ومن شريعته لهم ان لا شي باقي في الدنيا سوى الله وانه موجود في كل الوجود وانه اصل كل شي ومادته الجوهرية ومن عقايده لهم ايضا ان الله حال في الصور البشرية من اصل الطبيعة مثل وجود الملح في الماء ومثل الحب في غلافه وهو واحد في عموم مخلوقاته وانه سيد الجميع وربهم وحيث انه لا يوجد شي سوى الله فمنه الصواب والخطأ والطيب والردي والمليح والقبيح وما على المرء سوى الطاعة مع التقة التامة لمعلمه في دينه فانظروا وتبصروا فاني انا ربكم ونبيكم ومن ثم لا يكون لكم عمل مستجاب تعملوه الان فاطيعوا وصاياي عليكم وما اشرع لكم من الدين فان كنتم تؤمنون اذا ما اشرع لكم وتسلكوه سبله ومنهاجه فاني اعيدكم من بعد موتكم في هيئة الرجال بني الانسان كما كنتم في هذه المرة والا فاني اعيدكم في صور الكلاب والخنازير والدباب واهلك الذين يقاومونني ويعارضونني في اوامري وشريعتي وجحد بايزيد عقايد الاخرة بالكلية وامر اصحابه بالادمان والانهماك على الموبقات والشهوات في كل شي وشرع لهم بان كل شي مما كانوا يعقلونه فانه داخل في حواد عقيدته ومذهبه واحكام شريعته وكل شي استحوذوا عليه بغزاتهم وحد سيوفهم وسنان رماحهم من سلب وخطف وسرقة فانه يمين شريعته ولما اعد اصحابه وجمعهم واثبت في عقولهم وابدانهم كل ما امرهم به وشرع لهم عودهم على استعمال الاسلحة وسكن الجبال والجهات العالية من الارض وابتدأ في سلب التجار وقطع السبل واصل الرقيق وخان الصديق ووزع الجباة وجمع الخراج والجزية ونشره عقايده بالسيف ومن ثم مد سلطنته واحكامه واقام شوكته وسلطانه واوقع الرعب والفزع حتى في داخل قلوب الملوك حتى صارت هذه الحركة الشديدة محتاجة في اخمادها شدة يلزمها لسيرة السلطنة المغولية ولو ان شوكة الافغانيين كانت انكسرت وانحطت دولتهم وانخمدت فيما وراء نهر السند الا انها ما زالت كانت قوية عند اهل الصلابة والباس الذين لا يقنعوا ولا يخافوا ولا يفزعوا سكان الجبال الواقعة على الحد الشمالي الشرقي القائمين مع غاية الصلابة على استقلالية انفسهم واطمئنانهم في اراضيهم وبلادهم العالية وكذا سكان السلسلة الجبلية القائمة في غرب سهل بيشاور التي توصل السلسلة الجنوبية الواطية هندو قوه مع سفيد قوه وسلسلة جبال الملح وجبال سليمان كل هؤلاء السكان كانوا ما زالوا في خطف وسلب وقطع سبل ووقايع مسفكة دموية كما كانت عليها في الاصل اباؤهم واجدادهم فكان لبايزيد مظفرات ونصرات عديدة في هذه الجبال حتى انه من جسارته ووقاحته وصلابة وجهه نزل من حيزاته وعلاوي جباله لملتقى العساكر السلطانية في السهل فانهزم شر هزيمة ووقع القتل والذبح في اصحابه ومات بايزيد من بعد ذلك بقليل من كثرة التعب والنصب وتراكم الهموم والاحزان عليه وما شرع من الدين والاعتقاد بما ذهب اليه من العقايد كان سببا في احياء اسم قبيلة اصحابه عظامه وولد مرة اخرى في صفة اثر نفيس

نبوة بايزيد الكذاب

دعوة بايزيد الكذاب

من الغور عند اهل دينه فعرفوا بالروشنيانيين وقالوا ان هذا الاثر النوراني كان يتلألأ
من وجهه ونوره في راس فوق نهم وطوا ئير عساكرهم في وقت سيرهم للوقايع والحروب وما بعد
هلاكه بقليل خلفه ابنه الصغير المدعو جلاله في الاحكام والقيادة فكان جلالة شديد
الغيرة والباس حتى ما امكن لعسكر كابول اخماد حركته فعزم اكبر على التقرب من نهر السند
ونقل ديوانه وقتيا في لاهور من اجل هذه الغزوة التي احدث في النمو والزيادة
وارسل الفرق العسكرية متواليه وراء بعضها عابرة نهر السند من اجل اطفاء هذه الحركة
وعهدت قيادة هذه العساكر الى زين خان صهر الامبراطور اكبر والى راجا بيربال
اول المقربين عند الامبراطور فنهضت جبلة من القبايل الافغانية من دون عدة
الروشنيانيين لها العساكر الامبراطورية شر هزيمة فتبعتهم في الميادين في جبال سوات
المعروف انها هي جبال قره قره وبيلادتدراى وبتدد الجيش الامبراطوري عن اخره
وقتل واحد من قواده والكثير من رؤساه وبواسطة تغيير هذه الاحوال استمر جلالة
متيرا حربا الى حد سنة ١٦٦٠ بعد الميلاد وصار في قوة كبيرة استحوذ بها على غزنة
ثم طرد منها ثم سعى سعيا اخر في عودها فانضد عنها وانجرح في وقت هجوم عليها عنوة
وفي اثنا هروبه وقع القبض عليه وقتل شر قتلة واستمر اصحابه قايمين هذه الحرب
الدينى مدة السلطنتين الاثنين وهما سلطنة جهانكير الاول وشاه جهان وقاومت
القبايل الافغانية انواع الهجوم التي توالت عليها من الامبراطورات المغولية ومن ملوك
فارس وفي كابول ولو ان الانكليز غلبوهم وانتصروا عليهم في حرب سنة ١٨٣٩ الى بعد
الميلاد وسنة ١٨٤٢ فانهم مازالوا باقيين على استقلال مملكتهم ودولتهم وما حصل
ادنى انحطاط في قوة اكبر ولا عجز في ايراداته من المداومة على هذه الحروب الشديدة
وفي اثنا مواظبته عليها فتح السند وقندهار واضافهما الى ممالكه وكانت السند انتقلت
من ايدي الافغانيين الى حوزة ناس اخرين اهل قوة وباس ويجهرها لاني اكبر
استتباب الامن والسلم في ممالكه حصل عنده امل كبير في قدرته على عوده هذا الاقليم
الذي كان تابعا في الاصل لملوك دلهي ومن اجل ذلك سرع حيث هنا لاهور من اجل
الدخول في السند من الجهة الشمالية فتنازع السنديون في هذه الحرب بعرفة من البرتغال
وهم ينتمون نفس من الوطنيين في زي الاوروباويين وكان هولاء اول من عرفوا بالف
الاسباهية في الهند وقيل انه كان لهم قلعة محفوظة بحما قطعين من العرب وكان وقوع
السند في يد اكبر في سنة ١٥٩٢ ومع الاربناكات والقلاقل التي كانت حصلت في
السنين الاولى من سلطنة اكبر ان صار لملك فارس طاقة على عوده واحتلاله اقليم قندهار
وكان هما يون تغلب عليه من فارس بالمكر والحيلة ولما ضعفت قوة شاه عباس ملك
فارس من كثرة تعدد هجوم الاوزابكة على ممالكه حتى سلبوا منه اغلبها وكان له رغبة في
انتزاع اكبر منه في نعمهم فاوجد لنفسه وقت اوجوة لمقاومة اكبر في تغلبه على اقليم
قندهار وبواسطة اضافة اكبر اقليم قندهار الى ممالكه تم له عود وارجاع كافة
الاقطار والاملاك الوراثية الواقعة في الجهة الغربية من نهر السند وتم لاكبر ايضا
فتح الهندوستان الاصلية على وجه التقريب وكان ماتم فتحها لاحد من الذين خلوا
من قبل اكبر ابدا غيران راجا اودبيبور كان مازال على استقلاله وارتبط
كافة ملوك الراجابوتيين بتخت اكبر وحصلوا معه في علوقات ودية وارتباطات
سياسية وخرسوا لانفسهم مايعود عليهم من جهته بالنفع والصلاح وصاروا من
اكبر واجل اتباعه الى ضعيف لدولته وسلطانه

الوصف الجغرافي للدكهن او الهند الجنوبية

ثم ان الامبراطور اكبر وجه وجهه والتفاته في الفتح نحو الدكهن او الهند الجنوبية ولكن
قبل ذكر تغلب اكبر عليها نذكر هنا وصفها الجغرافي وما اشتملت عليه من الجهات
والاقاليم فنقول ان عموم ارض الهند الواقعة في جنوب جبال ونذهيا تعرف باسم
الدكهن وقطعة من هذا القسم الكبير من البحيث جزيرة تعرف بالهند الجنوبية مشتملة
على كافة الاراضي الواقعة في جنوب نهر كيستنا والهيئة الظاهرة الممتازة للدكهن
محصورة في السلاسل العالية لجبال التي تحف بها من كل جهة المعروفة بجبال غاث الشمالية
والجنوبية والشرقية والغربية والحد الاخير لها ساحل المحيط الهندي وساحل خليج
بنغالة وتختلف ابعاد الجبال عن السواحل من مدة ميل الى عشرة اميال وابعادها الموجودة
عن السواحل الشرقي كبيرة وتختلف ارتفاعات هذه الجبال من ثمانية الاف قدم الى

ما دونها وكذلك ويوجد في الطرف الجنوبي من جبال غاث الغربية جبال نيلجري ممتدة الى
جهة الشرق وهي مشهورة في كافة اقطار الهند الجنوبية بظرافة مناخها وخصوبة اقاليمها وسهولها
المرتفعة ويوجد في الطرف الشمالي للسلسلة الغربية وفي اتجاه بمبي مباشرة جبال ماهابليشوره
قائمة على ارتفاع ٥٣٦٠ قدم وجبال غيلجري وهي فرع من سلسلة جبال غاث الجنوبية وفي
هذا القسم من الدكهن المعروف بالهند الجنوبية عدة ممالك مستقلة واما الدكهن الاصلية
فانها تشمل عموم قطعة البحيث جزيرة الواقعة بين وادي نربودها في الجهة الشمالية وبين
النهر العميق المعروف باسم غاب كوامباطور الجاري من الشرق الى الغرب في نحو ١١ درجة
تقريبا من العرض الشمالي والاراضي السطحية المرتفعة المحصورة بها التقسيمات الطبيعية للدكهن
خصبة جدا وجبالها على العموم مخللة ما عدا في بعض وديان قاطعة لهذه الجبال فانها مغطاة
بالورمانات واسعة وان الاهالي الساكنة في عموم هذا القسم المعروف باسم الدكهن غالبهم
من الهندو وعلى الخصوص السكان القاطنة في الاقاليم التي كانت فيما سبق تحت رياسة
المرهطا وبينهم ويوجد كثير من المسلمين في الاراضي المعروفة باسم نظام الملك غير ان
المسلمين الذين من ابتدا وجودهم في هذه الاراضي وهم مشتغلين بزراعة الاراضي وفلاحتها
انطبعوا بطبايع الهندو وعوايدهم حتى لا يمكن الان تمييزهم منهم ثم ان التقسيمات الاخيرة
للدكهن هي الاتية جوندوانة واوريسا والسركار الشالية وكاندبش وبيرار وحيدر
اباد واورنج اباد وبيجابور

اقليم جوندوانة

فاما اقليم جوندوانة فانه يمتد من درجة ١٨ الى درجة ٢٥ من العرض الشمالي ومحدود
من الجهة الشمالية بقسم الله اباد وبهار وفي جهة جنوبه بيرار وحيدر اباد واوريسا
وفي شرقيه بهار واوريسا وفي غربيه الله اباد ومالوه وكاندبش وبيرار وحيدر اباد
وطوله ٤٠٠ ميل تقريبا وعرضته لا اقل من ٣٠٠ ميل وهذا القياس كان في عصر ما كانت
عليه جوندوانة من عظم درجة اتساعها الان جوندوانة الاصلية اقل بكثير من ذلك
بكثير واغلب ارضها وعرة وحشية مستورة بالغابات واهلها محكومة بملوك صغيرة
او مشايخ قبايل وحيلة ري الاراضي في هذا الاقليم ضعيفة جدا ولا يوجد في ارضها
نهر من الانهار العظيمة فيها قابل للملاحة في داخل حدود ارضها وفي جبالها منابع
نهر نربودها ونهر الصونه وبعض قطع من هذه الجهات الجبلية صحاري قفرة وسكانها
في اقصى درجات الجهل والغباوة

اقليم اوريسا

واما اقليم اوريسا فانه ممتد من درجة ١٨ الى درجة ٢٣ من العرض الشمالي
وفي شماله بنغالة وشرقيه خليج بنغالة وغربيه اقليم جوندوانة وامتداده نحو من
٤٠٠ ميل من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وعرضه المتوسط سبعين ميلا ونصف هذا
الاقليم موجود الان تحت يد الحكومة الانكليزية مضافا الى ايالة بنغالة والقسم الثاني
في حوزة زعيم اراف من الوطنيين فالقسم الانكليزي واقع في طول خليج بنغالة وهو
مخصب وواطي الا انه قليل العمران والسكان وهو مشهور بمعبد ياجاناث وقد تقدم ذكر
هذا المعبد في الديانة الهندية في الفصل الاخير من الباب الاول والقسم الموجود في حوزة
الوطنيين فانه قسم جبلي مشحون بالاحجار والصخور والاورمانات والجنائل وهو قسم موحش
الروابة يستغل منه غلال زيادة عن احتياج السكان القليلة الموجودة فيه فتحمل هذه
الزيادة وتباع في اسواق بنغالة

اقليم السركار الشمالية

واما اقليم السركار الشالية فانه يمتد في طول خليج بنغالة من درجة ١٥ الى درجة ٢٠
من العرض الشمالي وطول خط ساحل هذا القسم ٤٧٠ ميل من ابتدا نهر جوطابلي
وهو حده الشمالي الى ما نوال على حرف بحيرة شيلكا ومفصول من حيدر اباد بجبال
منعزلة واطية ممتده الى نهر جوداوري ومفصول في شمال هذا النهر عن جوندوانة
بسلسلة جبال عالية وتنعطف سلسلة هذه الجبال من هذه الجهة الى الجهة الشرقية وتتصل
مع بحيرة شيلكا حاجز مقداره خمسين ميلا الى جهة الشمال بخلاف راس اولان من الارض
بين هذه البحيرة والبحر ويوجد حاجز الجنوب نهر جو ندرجه يصب مياهه في نهر جوطابلي
هو الفاصل السركار الشالية من اوراجول والكرناطيق تحت جبال الغات ومناخ هذا
الاقليم حار لا رطاف حتى في نهر كيستنا ترتفع درجة الترمومتر الى ١١٠ وفي مدة ستة ايام
او ثمانية مع هذا الارتفاع وقيل ان درجة الحرارة مكثت على ١١٥ ما بعد غروب الشمس بساعتين

فلا يتحمل الزجاج ولا الخشب مثل هذه الحرارة وطقس الجهات العالية من هذا الاقليم مخصوص
من الابخرة المتولد منها العلل والامراض فلا يمكن لاي احد من الاوروباويين مقاومتها من
دون ان يصاب بحمى شعبية ومن مثل هذه الجهات حصل ايضا الموت في كثير من السكان الموجودين
في هذا الاقليم وكانت الاركار الشمالية كثيرة المحصولات في الغلال وكانت في ال ... اشجار
الفول والحبوب التي ترسل الى الكرناطيق وفيها كثير من برك الماء وزراعة الدخان فيها في اعلا
درجة وتصديرها في هذه الاصناف كبيرة وسكان هذا الاقليم على العموم هنود ويوجد
بينهم الكثير من المسلمين

اقليم جانديش

واما كاندیش فهو اقليم من الدكهن وهو تابع لعمالة بمبي الان وكان احد الاقاليم الملحقة
بالمرطا وبين وكان قسم واسع منه مع اقليم مالوه المجاور له مقسوم بين هولكار وسنديا
والبشوا وعموم هذه الاراضي موحشة بالكلية ومسكونة باممم من الهمج

اقليم بيرار

واما بيرار فهو اقليم من الدكهن واقع بين درجة ١٩ ودرجة ٢١ من العرض الشمالي وهو
محدود من جهة الشمال بكاندیش ومالوه وفي جهته الجنوبية اورنج اباد وبيدار وفي شرقيه
جوندوانه وفي غربيه اورنج اباد وكاندیش وارضه معروفة بارض القطن السودا
وهي خصبة جيدة في كل جهة من جهاتها ويخرج منها اصناف الذرة والقمح والبسلة والحمص
والكتان والنيل وقمح ناجبور اعظم واجود قمح في البلاد الهندية وهذا الاقليم داخل في

اقليم بيدار

حكومة نظام الملك وكذا بيدار قسم من الدكهن داخل في ممالك نظام الملك

اقليم حيدر اباد

واما اقليم حيدر اباد فهو واقع بين ١٥ و ١٩ من العرض الشمالي وطوله ٢٨٠ ميل
في عرض ١١٠ ميل وارضه كثير المحصولات عظيمة الري يستغل منها اجود القمح والانهار
هذا الاقليم غير قابلة للملاحة ومن ثم كان حاصل التعطيل في تصدير الكثير من المحصولات
الواقعة للتصدير الى الخارج قبل انشاء السكك الحديدية وغالب سكان هذا الاقليم مسلمون
ومدينة حيدر اباد وهي عاصمة الاقليم فعيلة المكسب والفايدة ولوانها معدودة من المدائن
الكبيرة

اقليم اورنج آباد او اورنك اباد

واما اورنج اباد فهو اقليم واقع بين ١٨ و ٢١ من العرض الشمالي وفي شماله الجوزات
وكاندیش وبيرار وفي جنوبه بيجابور وبيدار وفي شرقيه بيرار وحيدر اباد وفي
غربيه المحيط الهندي وهذا الاقليم معروف ايضا باسم احمدناجور

اقليم بيجابور

واما اقليم بيجابور فهو واقع في الجهة الجنوبية من الاقاليم التي تقدم ذكرها ولا يوجد
شيء يمتاز به في وصفه من الاقاليم الاخرى للدكهن حتى نذكره في هذا المحل واقليم

ساطره

ساطره اقليم من عمالة بمبي الان واقع في داخل هذا الاقليم وكافة الاقاليم التي
جميعها تابعة للدكهن الاصلية واما الاقسام الاخرى المطلق عليها ايضا اسم الدكهن
فهي محصورة في القسمة الطبيعية التي اختارها الكثير من الجغرافيين تحت اسم الهند الجنوبية

وصف الهند الجنوبي

او الهند الواقعة في جنوب نهر كيستنا ومن الضروري لنا ان نذكر وصف الاقاليم
الواقعة في هذه الجهة من البحيث جزيرة وهذه الجهة هي عمالة مدراس الان وغيرها
من الجهات ثم ان اراضي مدراس مازالت مرعية على العموم انها غنية واجود ارض في
الممالك الانكليزية غير ان الاقاليم الداخلة في هذه القسمة خالية من الفوايد والمنافع
الكبيرة وليست مثل اقاليم وادي الكنج واقليم مدراس صعب الطقس والمنافي جدا

وصف اقليم مدراس

على مزاج وبنية الاوروباويين في بعض فصول من السنة وفصوله ومنافه مخالفة
لفصول ومناخ العمالات والجهات الاخرى الهندية وفي هذا الاقليم شهري يناير
وفبراير ابرد شهور السنة ودرجة الترمومتر فيهما محصورة بين ٧٥ و ٧٨ وفيهما
يسقط المطر برذاذة خفيفة صغيرة ويكون سقوطه بعض كسور من اصبع ومن شهر
مارث الى شهر يونيه تنتقل درجة الترمومتر بين ٧٦ و ٨٧ ويبتدئ نزول المطر
في شهر يوليه وتنزل درجة الترمومتر الى ٨٤ وتقف عند هذه الدرجة مع تغيير قليل
في مدة شهر اوغسطس ومقدار سقوط المطر فيه اربعة اصابع تقريبا وفي شهر سبتمبره
تنزل الترمومتر الى ٨٣ ويزداد المطر وفي شهر اكتوبر تتكاثف السحب ويظلم الجو
وتبلغ فيه درجة الترمومتر مقدار متوسط حرارته ٨١ ويبتدئ نزول المطر بشدة تنقلبه
كما في العمالات الاخرى حتى يبلغ لا اقل من ١٤ اصبع وفي شهر دیسمبره ينزل الترمومتر

الترمومتر الى ٧٥ وتسكن الامطار ومن شهر نوامبر الى شهر مارث فيستحب لبس الملابس
الصوفية عند الاوروباويين وفي ما بقي من السنة يستحب لبس الملابس البيضاء من القطن
ولا يمكن لاحد ان يخاطر بنفسه ويمشي في الشمس ما دون ان يكون فوق راسه مظلة او شمسية
واف سعة كافية تمنع عنه شدة حرارة الشمس وبنية الاوروباويين في هذا الاقليم عرضة
للهجوم عليها وامراض كثيرة والامراض المنتشرة فيه هي الحميات والدوسنتاريات والاسهال
وامراض الكلا ووجع المفاصل والاعصاب وبعض امراض وبائية ويوجد ايضا بعض امراض
عديدة صغيرة تحدث من تاثير المناخ وهي انتفاخات قليلة او كبيرة فلمن ينجو منها وهي
حبي ان يحصل في الجلد من فساد الدم فيكون منه دمامل وقروح وتكبر الدمامل بحجم كبير
حتى يحصل منها للجسم تالم شديد واضطراب فاذا شقت بمبضع زال الالم والوجع من بعد
نزول ما بها من القيح والدم الفاسد وكذا حالة القبض من البطن عامة في الاقليم والشكوى
منها كثيرة فتعطى لها المليّنات من الادوية مثل الشرب والمسهلات والاشربة

تقسيمات اراضي مدراس

ثم انه يوجد في اراضي عمالة مدراس جهة واسعة من الارض مفرق بالكرناطيق مشتملة على
اقاليم نيلور واوجور واركوت الشمالية واركوت الجنوبية وشنجلبوت وتانجور و
تريشنبولي ودنديجول ومادوره وتينفلي وكان الكرناطيق قسم هندو جغرافي قديم
يحاوي الارض المرتفعة او الصحن العالي من الهند الجنوبية الواقع فوق جبال الغات ثم اطلق
هذا الاسم وهو الكرناطيق على التدريج على الاراضي الواطية الممتدة الى ساحل البحر ثم انحصر
اخيرا في الاراضي المنخفضة المعروفة في هذا الوقت الحالي باسم الكرناطيق وكنارا وكانت
هذا القسم الكبير من الهند الجنوبية في المدد القديمة من التاريخ الهندي مشكل لمملكة قوية
البأس والدولة تعرف بمملكة كمنكا وما زالت طبايع وعوايد كنارا او كنكانا مختلطة
مع اللهجة واللسان عند الامم والسكان الموجودة في عموم الاقليم من ابتداء كوانبانور
في جهة الشمال الى بالكي قريب من بيدار وبين جبال الغات الشرقية والغربية قاطعا

وصف اقليم كنارا ومدينة بينانه وسلطانه

بحيث جزيرة فاما اقليم كنارا فانه ممتد من الدرجة ١٢ الى الدرجة ١٥ من العرض
الشمالي وهذا الاقليم غير معروف عند اهل البلاد باسم كنارا ولا لهذا الاسم ذكر في المدد
السابقة من التاريخ الهندي بل كان معلوما على حسب موقعه الجغرافي الى شمالي وجنوبي ويحده
من جهة الشمال قسم جوواه وقسم جندوك من بيجابور وفي جهة جنوبه المليبار وفي جهة
جنوبه الشرقي ميسور وبلاغوت وفي جهته الغربية البحر المحيط الهندي وفي هذا الاقليم
تقرب جبال الغات الغربية من البحر في عدة جهات وفي اخرى يخرج منها فروع جبلية متجهة
نحو البحر وهيئة الارض تارة مضايق وخيران موحشة وعرة واحيانا براري حقرة صعبة
المسلك ووعرة الطرق صعبة السير مانعة او حاجزة في كثير من جهاتها نقل المواد التجارية
حتى ان الاشغال الخفيفة او الكبيرة تلزم اربابها على حملها فوق الاعناق وتحمل الفلاحون
فوق روسهم احمال ثقيلة حتى يخرجوا من هذه المحلات الوعرة ثم يجدون الطرق امامهم الا
ان هذه الطرق اقل صلاحا وجودة من طرق المليبار والظاهر ان الحكومة ليست ملامة في
مثل هذه المادة لان الفلاحين متخذين مجاري المياه طرقا لاغراض تجارتهم وما على الحكومة في
هذا الاقليم سوى تغيير وتصليح السكك العسكرية والقرى في كنارا ليست كثيرة العدد والا
اهالي ساكنة مثل اهل المليبار في مساكن لهم على شرط زراعة الارض وفلاحتها ومساكنهم
مبنية محتقرة الواحها تحت ظلول الاشجار وبسبب كثرة الحرارة وشدتها ترى هو بواتكا
محتقري الطبع مختفيين على الدوام من اعين المتفرجين والسياحين ومع هذا فانهم في ارغد عيش
وزيادة عما يظهر عندهم من قبح ورهينة مساكنهم فانهم متملكين الاراضي الجاري زراعتها وفلاحتها
من طرفهم ومن المحتمل ان تملكهم عليها من مدد قديمة جدا لان هذه الحالة مخالفة للحالة العمومية
الموجودة في الهند التي فيها الاراضي تابعة للقرى او للامم وليست في استحواذهم ولا يوجد
شيء من المواد الخام اللازمة للتشغيل تخرج في عموم هذا الاقليم بوفرة ومحصولاته الوفيرة
مقصورة في الارز ومن كثرة نزول الامطار وشدة حرارة الشمس في هذا الاقليم ميسر
الحصول على مواسم زراعة في الارز عديدة وكنارا اجل واعظم واشهر سوق في الارز
عند بلاد العرب وبمبي وجوواه والمليبار ويخرج من كنارا الشمالية خشب الصندل وقصب السكر
والقرفة وجوزة الطيب والفلفل والكاد الهندي ومن كنارا الجنوبية جوز الهند والكالوفيلوم
والموفيلوم ومن ابذارها وحبوبها يستخرج زيت العبادة وفيها الكاد الهندي وغيره وفي
هذه الجهة الابقار وصنف الجاموس غالي الثمن وهذا الاقليم على العموم جري محفظا بارحانات
وجبا كل واطية والاهالي الموجودة في داخل الاقليم منسوبة لطايفة تعرف باسم بنطار

وساحل البحر مرصع بقرى براهمانية ويوجد بين تلّشيري وأوتولّور حمسة امم مختلفة ولو ان
هذه الامم مختلطة مع بعضها سوية من مدة غير معروفة الا ان كل امة منها محافظة على لغتها
وعوايدها وطبايعها وحياة روحها وهذه الامم هي التاييريون والكورجانيون و
التلاواتيون والكونكانيون والكنارايزيون وحيث وجود الديانات المختلفة بينهم كاهل
المقرال اما الى بينيون والبودهيستيون فانهم قليلي العدد وعلى الخصوص البودهيستيين
واما للسيحيين الوطنيين فانهم كثيري العدد والمسلمون بقدر الخمس اى في الخمسة واحد منهم و
مقدار البراهمة الثلث وبراهمة كنارا يميلون للمسلمين زيادة عن ميل المسلمين لهم وكل من
البراهمة والمسلمين في تعصب شديد في دينهم ولهم اعتقادات كبيرة في الخرافات والشرف
والحق والذمة منزوعة من قلوبهم بسبب ما هم عليه من التعصب
ومدينة كروار على مسافة ٥٦ ميل في الجهة الشرقية من جوواه وهي اهم المداين الاكثر
شهرة في هذا الاقليم وكان به الى بينيون في الاصل هم المستحوزون على الارض وبسبب ما كانوا
عليه من الزكا وجودة العقل والتدبير ازهرت الامم المجاورة لهم فتقدم عليهم البراهمة
وقطعوا دابرهم تقريبا من قتل وفتك وداوموا عليهم بالهجوم من اجل خلوص ارضهم من
هذا الدين المكروه عندهم وجزيرة انجيديبوا على مسافة ميلين من ساحل ومحيطها ميل
واحد فقط ومرجيو واقعة في القسم الشمالي من الاقليم وصفها بعض الكتاب بانها
ميزيريس القديمة وكان يصدر منها محصولات ظريفة مختلفة من الحرير وروايح عطرية
غالية والبانجة واصناف اخرى من الجواهر وعلى الخصوص صنف الالماس ومقادير وافرة
من الفلفل ومازال الفلفل موجود بوفرة في تلك الضاحية والان خفيت عموم المواد
النفيسة من تجارتها ومينة اونور ذات تجارة واهية وكانت في الاصل مخزنا للبن
وفي طول الساحل من ابتدا مدينة كاواى الى حد اوريجارا متوطن امة اسلامية
تعرف باسم الموبلاهيين وفي داخل الارض الناييريون فاما هولا الناييريون
فانهم لا ينتسبون لامة من الامم ولا لطايفة من الطوايف الاجابية ولوانهم يتكلمون
بلهجة مخصوصة مثل الطوايف المتمازة وهم اهل اوثان واصنام وفي جهل وغباوة
وظلمة ومن اعتقاد الموبلاهيين ان اعظم اجر وثواب في الاشغال والاعمال عند النبي
محمد صلى الله عليه وسلم هو القبض على واحد من النايريين وختانه بالرغم عنه ان لم يدخل
في دين الاسلام برغبته في وقت عرضه عليه فما كان هذا الغرض الواقع من الموبلاهيين
مقصور في جيانة النايريين وحدها ومنهم للمسلمين فقط بل وحصل هذا التعدى ايضا على
الى بينيين والبراهمانيين والنصارى الوطنيين واوقعوا بهم اشد المصايب والمضار
وبلغوا في جورهم هذا التعدى حتى جاروا على الاوروبا وبين ايضا والظاهر ان
هولا الناس من المسلمين كانوا على عقايد مختلفة في جهات مختلفة من الهند لانه كان
يوجد في الملبار المذهب الذي انتشر حديثا المعروف بمذهب الوهابيين ومذهب
الزبيدية في بنغالة متمسك به فيرزى داكا وبرشيت وغيرها وبور وشكل هولا
الناس جميعا فرقة سرية مع بعضهم تتفرع منها فروعا وكان يخرج منها الواحد بمفرده
او بزمرة سوية يقتلون اغنيا الهندو واخرين من المذاهب الدينية الاخرى في
طلب الجهاد في سبيل الله وما كانوا يعتكفون في مسجد او في ماوى الى ان يصير
القبض عليهم او يقتلوا فكانوا يبيعون انفسهم مع الشرف والمعزة في الجهاد على قدر
امكانهم وعلى قدر ما يهلكون من الكافرين وخاب القانون المدني فيهم في توقيف مادة
القتل المتر ونشر اولى الاحكام والادارات قوانين شديدة في حقهم في المملكة فما
حصل من هذا القانون توقيف بل زاد الامر زيادة فاحشة على الاول وعم ضررهم
وازاهم الى ان سن قانون يعرف بقانون الشبانة وبواسطة هذا القانون كان يقع النفى
على الداكاويين والموبلاهيين بمجرد الشبهة وانه ما لغوا القانون ضبطت املاكهم
وعقاراتهم ويجرى قتلهم في الحال الى ان انقرض دابر هذه العصابات
وفي الجهة الجنوبية من كنارا عدد المولودات من الاناث اكثر من عدد المولودين من
الذكور وعلى العموم فانه يوجد في الهند الجنوبية تفاوت مماثل لهذا غير انه كثير في
جهة كنارا زيادة عن كل جهة اخرى من البحث جزيرة وبما كانه التعدى الى اصل من
البراهمانيين والمسيحيين في هذا القسم على الى بينيين فان الى بينيين استمروا على قدم
ثابت وعمر وكثر عددهم زيادة على الجهات الاخرى ولهم نوعان من المعابد في كنارا
الجنوبية معابد مسقوفة واخرى مكشوفة للسما فيوجد في المعابد المكشوفة تماثيل ضخمة

مخصوصة باسما ناس من الاوليا عندهم ويوجد في فركولا صورة تمثال علوه
ضخم الجسم وثلاثين قدما وسمكه ثمانية اقدام وصنع من صخرة واحدة من حجر الصوان فيقال
ان هذا التمثال موجود من مدة تفوق عن خمسماية سنة ومنجلور مدينة بحرية ذات فايدة
ووضع ظريف ويوجد على مسافة عشرة اميال من النهر ضم النهر صاعدا مدينة مشهورة
وكذا مدينة هوشينا حيث اخرى الان ليست كبيرة الاهمية مثل منجلور وهي مشهورة
بوجود طايفة فيها من المعتبرين معروفون بالكنكانيين وهم ذراري اهل مدينة كنكان
وكانوا هربوا الى هذه الضاحية من جهة جوواه في وقت تعدى البرتغاليين عليهم و
تمييزوا من دخولهم في العقايد اليسوعية التشكبه الجزويت وكانوا على مذهب قديم
من الديانة المسيحية الشرقية

واما الملبار فهو اقليم كثير الاهل والعمران ممتد في طول الساحل الغربي من ابتدا رأس
كومرين الى حد نهر شندراجيرى وطوله نحو ماتين ميل وبواسطة امر من مجلس الشركة الهندية
الشرقية الانكليزية كشف العنوان سيلبي من مستخدمي العمارة الهندية ساحل الملبار في
سنة ١٨٤٩ وفي سنة ١٨٥١ بعد الميلاد فاستدل من تقاريره ان الملاحة في طول ساحله
خطرة وانه شدة التيارات وكثرة سلاسل الشعوب الخفية تجعل الملاحة عرضة للاخطار
والاهوال جمة ويزيدها في الخطر كثرة العواصف والتلاطيم الشديدة وقال شيرابيرى
من اهل الهند في نسخة كتبها ما يخص سلسلة شعوب بيراجور وجزاير لكديوه فقال ان
اهل جزاير لكديوه يطوفون على الدوام هذه الشعاب من اجل صيد الاسماك فيأخذون
منها كميات وافرة وهذه الاسماك هي وجوز الهند الموجود بوفرة عندهم غذاهم و
طعامهم فقط ومن جزاير لكديوه جزيرة شيتلاق واقعة في جهة الشمال من مجموع

الجزاير على عرض ١٤° ١١' من الشمال و ٣٠ ٤٢ ٧٢ من الطول الشرقي وهي جزيرة رملية
واطية مغطاة باشجار النارجيل وطولها ميل ونصف وعرضها نصف ميل ونظرها للراى
على ظهر السفينة ان طولها عشرة اميال وجهة الشرقية كثيرة الهبوط والانحدار ولا يوجد
للمياه عمق غزير على مسافة ما يتين يارده من الساحل وفي جهتها الغربية حاجز من
شعب بعيد عنه مجرى عميق ممتد في بعض جهات الى نصف ميل اخذ في زيادة العمق على
التدريج من حرف الشعب الى حد خمسة عشرة قامة من العمق ويوجد بين الشعب والجزيرة
حوض كانه طبيعي في الشعب يدخل فيه قوارب اهل الجزيرة ويخرجون منه وعندما
تتزاحم عليهم القرطونات والعواصف يلتجأوا فيه وقاعه رملي ظريف موجود فيه شعوب
العقيق واعظم موقع لاستقبال السفن بعيد عن الطرف الجنوبي للجزيرة وغزارة المياه
فيه من سبع الى تسع قامات وشعوب العقيق على مسافة اربعماية يارده من الساحل و
يبلغ علو المد سبعة اقدام ومدة المد والجزر بقدر عشر ساعات ويوجد في جزيرة شيتلاق
من السكان خمسماية نفس من جنس الموبلاهيين المسلمين وهم مثل كافة سكان مجموع الجزاير
فقراء الى حد جدا غير انهم اهل ادب ظاهر ولا حزن ولا اذى منهم عايشين على السمك وجوز الهند
ومحصول جزيرتهم مع قليل من الارز المجلوب لهم من ساحل الملبار ويصدرون لساحل
الملبار كميات ومقادير كبيرة من ليف النارجيل الخام ومن الحبال فيأخذونه منهم تجار
كاناتور ومنجلور باثمان معلومة واسعار ثابتة والليف المصدر من طرف اهل هذه
الجزيرة اجود صنفا واحسن من ليف الملبار والحبال اقوى واصلب من الحبال المعمولة في
الملبار وجزيرة كيلتان واقعة على عرض ٣٠ ٢٧ ١١ شمالا وطول ٤٠ ٥٩ ٧٢

شرقيا وطولها نحو ميلان وعرضها من ربع الى نصف ميل وهي مثل جزيرة شيتلاق يحيط
بجنبها الغربية سلسلة من شعب وبالقرب منها محلين لاستقبال السفن عظيمين في كل من
طرفيها الشمالي والجنوبي ويوجد فيها مياه المشروب بكثرة ولا يخرج من ارضها سوى النارجيل
ويصدر منها اجود الليف والحبال واهلها في الصحة والفقر والفاقة والغذا مثل
اهل جزيرة شيتلاق

والعمران للملبار ساحل رملي ويمتد السهل الرملي في داخل الارض نحو ثلاثة اميال والتلول الواطية
التي تنفصل الارض المستوية من جبال الغات الغربية جميعها مستورة بالاورمانات
والجهة المقطرة على غير انتظام ومن كثرة هذه التلول منظرها وديان فسيحة ظريفة وهذه
التلول قابلة للزراعة ولها رؤس وقمات اخفية ولو ان سطحها صخرية فقد يبا فيها كثيرة

المحصول والخيرات ومزروعة على هيئة مدرجات وتنحدر الاراضي الواطية من البحر الى
الغربية وجميعها مزروعة باشجار النارجيل ومغنية التربة والجداول والغدران المارة

١٠

من تحت هذه التلول بمجرد خروجها من جبال الغات الغربية فانها لكثرة العدد كافية لرى عموم الاراضى واشجار النارجيل لا حصر لعددها فى الاراضى العالية ويزرع فى ساحل المليبار الفلفل الاسود وخضروات كثيرة والاراضى فى حوزة اربابها من عهد قديم مثل اهل اقليم كنارا

فرى المليبار

وفى بساحل المليبار طريقة المنظر ومتوطن بها على الخصوص البراهمانيين ونساؤهم فى غاية من الجمال واظرف نساء الهند فى الطبع والملبوس والزينة وحيوانات هذا الساحل قليلة فى كل صنف والاقليم مقطوع ومشبك بالطرق والسكك

كورة كورج

وكورة كورج ايالة هندية قديمة وواقعة فى جبال الغات الغربية وملحوقة باقليم المليبار ومن نواحى كورج يأخذ نهر الكاورى منبعه ولو ان الاهالى فى هذا الاقليم على غير حضارة وتمدن فانهم بيض البشرة والوجوه زيادة عن اهل الاراضى الواطية وهم فى بياضهم مثل اهل اوروبا الجنوبية وعلى ساحل المليبار توجد عدة بلاد مشهورة ولا اهمية فى تجارتها من هذه المدن

كاناتور

كاناتور وكانت فى الاصل مستعمرة للفلمنك وتلكيرى على مسافة ١٢٦ ميل من

سرنجبتم

سرنجبتم استمرت مدة طويلة من الزمن قاعدة التوطن الانكليزى على هذا الساحل ثم انها اضمحلت وضعفت حالتها عندما انتقلت الشركة الهندية الانكليزية مقر مركزها فى قاليقوت او فى ومعنى فى حوت او سمك وجهة كاليكوت

كاليكوت

قسم ثانوى من المليبار وهو المقر الاصلى للنايريين ومدينة كاليكوت مشهورة بشغل الاقمشة القطنية المسماة كاليكوت واهلها على الخصوص من المسلمين الموبلاهيين وجهة

كوتشين او كوشين

كوتشين او كوشى (سمكة) جهة واطية الارض تحت كفالة نايب انكليزى تابع حكومة مدراس

بلارى وكوداف او كوداباه

وقسم بلارى وكوداف من الجهات المعمورة بالسكان الا انه لا يوجد فيها شيئا يستحق الذكر غيرها ومعادن الالماس التى كانت موجودة فى كوداف وجرى الشغل فيها زمانا من السنين كان الالماس المستخرج منها قليلة القيمة صغيرة الحجم والعيوب جدا وكانوا يستحصلون عليه من حفر الارض وغربلتها او من الصخور الحديثة العهد بالتكوين

كوانبتانور

وقسم كوانبتانور اقل عمارا بكثير من الجهات التى سبق ذكرها وهو واقع فوق جبال الغات الشرقية وسطح ارضه غير مستوى بالكلية اى انه عبارة عن مرتفعات ومنخفضات على غير انتظام ولو انه موحش ووعر فانه ظريف المنظر وتوجد اراضى واسعة لا قيمة لها ولا اهمية لها عند الحكومة وعند الاهالى تضيع فى مرعاها الزهيدة مواشى الاهالى فى كل سنة واما قطع الاراضى القابلة للزراعة فى هذا الاقليم فانها تعادل اراضى الزراعة فى الجهات الاخرى الهندية فيوجد فيها غيطان ارز واسعة تسقى من خزانات عديدة فى جهات الاراضى التى ليست معرقلة بالصخور والاحجار وفى هذا الاقليم يوجد عدة مداين ظريفة مثل مدينة كوانبتانور وكرور وغيرها

ساليم

وناحية ساليم وهى تقريبا مثل كوانبتانور فى الحال والسكان وفى وصفها العام صور وهيئات تستحق الذكر وهوان مدينة او قلعة

قلعة رايا كوتا

رايا كوتا او رايا كوتاى موضوعة وضعا عظيما وهى مفتاح الكرناطيق والاراضى الواقعة حولها فى غاية الجودة والكمال فى الزراعة ومناخها لطيف ولا تعلو فيه درجة الترمومتير عن ٨٠° وفى ارضها اشجار التوت وبعضها اشجار الاثمار الاوروباوية التى لا تنبت فى الجهات الحارة فى الهند الجنوبية

مدينة سونغور

ومدينة سونغور موضوعة وضعا محكما عظيما والاراضى الصخرية الموجودة حولها ظريفة المنظر وبها بعض من الاشجار الباهرة العظيمة المشهورة فى الهند الجنوبية نابتة فى هذه الاراضى الوعرة ويكثر بها شجر التمر هندى واشجار البنيان ذات العمر الطويل والجسم الكبير وكانت هذه الاشجار سببا فى توجيه التفاتات علماء النبات الى التوجه الى هذه الارض وزيارتها ومشاهدة اشجارها وكان لنواب الكرناطيق فى مبادى القرن التاسع عشر بساتين واسعة فيها يستغلون منها الفواكه والاثمار

تقسيمات الكرناطيق

وتوجد عدة نواحى واسعة من عمالة مدراس فى الكرناطيق والحدود الشمالية للكرناطيق تبتدى من الحد الجنوبى الى جنتور وتمتد منه الى راس كومرين وهى مسافة مقدارها خمسماية ميل والعرض المتوسط لارض الكرناطيق نحو ٧٥ ميل ويمتد الكرناطيق الشمالى من ابتداء نهر بنار الى نهر جنوجة على حدود جنتور وكان هذا الاقليم الى وقت قريب اقليم متسلطى فيه ملوك هندية قوية البأس والشوكة ويمتد الكرناطيق الاوسط من نهر بنار الى نهر كولاروم ويشتمل على ناحية يريتشنبولى وقسم بيلور وبه ايضا مستعمرة بوندتيشيرى الفرنساوية وعاصمة مدراس وجهات الكرناطيق الجنوبى واقعة فى جنوب نهر كولاروم وفى داخل هذه الاراضى

١١

عادة الانكليزية وارضها وتانجور وقطعة من ارض يريتشنبولى ومناخ او طقس عموم هذه الاراضى المعروفة بالكرناطيق شديد الحرارة جدا واشد جهة حارة فى الهند ومع هذا فانه معتدل نوعا بنسيم البحر واختلاف موقع بعض الاراضى والكرناطيق ملآن بهياكل الاوثان والتماثيل الكبيرة الابعاد والمختلفة قليلا عن بعضها فى العمارة وهذه الهياكل محيطة على العموم باسوار عالية من اجل ستر المبانى الفوقانية الموجودة فى نفس المعبد وتارة توجد عدة معابد فى داخل سور واحد مستدير والدين المتسلطن فى هذا الاقليم هو الدين البراهمانى والمسلمون موجودون فيه بكثرة واهله اقل جودة فى الادراكات والصفات العقلية من اهل الهند العالية واشتغال الاراضى وزراعتها جارية بمعرفة السودراپيون وهم طائفة اقل من طائفتى البراهميين والراجابوتيين وكانت زراعة الارض جارية فى الاصل بواسطة الرقيق وتسمى البراهمة من حكمهم الحراثة او الاشتغال باى شغل مخصوص بالزراعة فهم كتاب او كتبة وسعاة ما بعرين لجباية الايرادات او بوابين على ابواب المزارات والهياكل او فى خانات الفقراء والسياحين وعلى العموم فان هولاء البوابين وسخين قذرين ومهما كانوا عليه من الفقر والاحتياج فانهم ليسوا نظيفى الملبوس واهل هذه الجهة يستعملون التنوق وبعض الطوايف الواطية يستعمل شرب السجار والدخان وعوايد الهنود محفوظة عندهم على اصلها العديم من دون تغيير فيها حتى فى ضواحى مدينة مدراس والفراخ التى لا يأكلها الا المسلمون فى بنقالة فقط جارى اكلها فى الكرناطيق عند كافة الطوايف واهل الديانات والطوايف الواطية تستعمل الحبير وتوجد طائفة مخصوصة فى الكرناطيق تشرب اهلها البان الحبير وتأكل لحومها

مدينة مدراس

ومدراس التى هى الان مقر حكومة الهند الجنوبية واقعة فى الكرناطيق على حل خليج بنغالة وعلى عرض ١٣° ٥ شماليا وطول ٢١ ٨٠° شرقيا وساحلها منخفض خطر وقلعتها سنت جورج فى غاية الاستحكام والمتانة يمكن حفظها بقليل من المحافظين ومدراس واقعة فى الجنوب الغربى من كلكوته على مسافة ٨٧٠ ميل وفى الجنوب الشرقى من بمبى على مسافة ٦٥٠ ميل وفى الجهة الشمالية من القلعة المدينة السوداء ومفصولة عنها برحبة واسعة وحرارة الشمس فى وقت الظهيرة شديدة جدا فلا يمكن لاى امرء ان يخرج من باب داره الا فى ضرورة جدا وفى وقت العصر تزور الناس بعضها بعضا وتمشى من دار الى اخرى والاراضى الواقعة حول مدراس وضواحيها لا تخلو من ظرافة فى منظرها الا انها قحلة كيئبة لا تدعو اى انسان اليها واذا جاء الفصل بامطار عظيمة كان هو موسم زراعة الارز عظيما وجميع الحيوانات فى الدكهن على العموم صغيرة الجسم الا انها احسن من الحيوانات الجارى تربيتها فى الجهات الجنوبية من بنغالة والجاموس فى عمالة مدراس اصغر فى الجسم من جاموس بنغالة الا انه اقوى واصلب واكثر قوة على جر العربات وفيها جارى استعماله بكثرة

ناحية بيلور

وناحية بيلور مشهورة بنشفيل وصناعة الملح ومدينة بيلور مشهورة بما جرى من المدافعة العنيدة التى حصلت فيها فى حرب الانكليز معها وذكر احد حرفى الكتاب انه فى سنة ١٧٨٧ بعد الميلاد بينما كان احد الفلاحين يسابق محراثه فى فلاحة ارضه اذ عثر سن المحراث فى قالب من طوب تحت الارض فكشف اثار معبد فوجد تحت هذه الاثار قدرة ملآنة من نقود من ذهب من نقود الامبراطورات الرومانية فباع اغلبها وصار سبيكها وحفظ بعضا منها واتضح انها من الذهب النقى واغلبها جديد وظريف وبعضها ممسوح ومخرق كأنها كانت مستعملة للزينة وغالب هذه النقود كانت فى مدة طراجان وادريان وقسطنطين وقسطنطياس

اركوت الشمالية

واما قسم اركوت الشمالية فانه كان مشهورا بسلطة المسلمين فيه وعلو درجة دولتهم وعلى الخصوص عاصمة اركوت

قلعة شندراغيرى

وقلعة شندراغيرى مبنية فوق راس صخرة مهولة وتحتها مدينة مستحكمة حصينة واحد المحلات الاكثر شهرة فى ارض اركوت من الكرناطيق او من عمالة مدراس هو مدينة تربيتى والمعبد الاكثر شهرة وفخرا الواقع فى جنوبه تركيتتا داخل فى هذا المحل وهو مشيد على قطعة عالية من الارض محيطة فى دايرها بالتلول والجبال وروى انه ما وجد احد من المسلمين ولا من المسيحيين وسخ ونجس بقدميه داخل دايرة هذه التلول ودوام البراهمانيون على حفظهم هذه المحافظة بدفعهم لحكام المسلمين ولمن جاء بعدهم من حكام الاوروباويين مقدار معلوم من الايرادات والخيرات الواردة من المتمسكين بعبادة الاوثان والزوار الى هذا المحل المقدس عندهم ويأتى لهذا المعبد زوار لا حصر لعددها من الجهات القريبة والبعيدة من الاقطار الهندية معهم هدايا ونذور من كل صنف وجنس من اجناس الحيوانات المختلفة

٢١٢

من الخيل والابقار والجاموس والفيلة والفواكه والاثمار والغلال واصناف الحرير والاقمشة
القطنية والذهب والفضة والجواهر واصناف الملابس المختلفة وحلى من المعادن النفيسة
وتدفع الجبايات للاجانب من جهات قاصية فى الجوزرات وغيرها والاله الموجود فى هذا
المعبد معروف بالالة التجارة ويوجد فى المعبد الوف من الناس المعتقدين بقدسيتهم وطهارتهم
متمتعين بهذه النعم الكثيرة وكثير من ارباب الصنايع والخدم منتشرة فى عيشتها من هذه الهبات
والنذور الوافرة وتختلف اركوت الجنوبية اختلافا قليلا فى الصفة والهيئة عن اركوت

ناحية شنجلبوت

الشمالية ومنها مستعمرة بوندیشیری الفرنساوية واما قسم شنجلبوت فهو اصغر واقل
عمارا من عمالة مدراس وهو محدود من جهة الشمال باقليم نیلور ومن جهة الجنوب باركوت
الجنوبية ومن جهة الشرق بخليج بنغالة ومن جهة الغرب باركوت الشمالية الجنوبية وارضه
موحشة جبلية والاشجار الشوكية والقوسج مغطى قسم عظيم من ارضه وفى عقيطانه وميادينه
صخور صوانية مهولة هى العلو محيطة بقطع الارض القابلة للزراعة وتكثر
فيه اشجار البالميرا وكان هذا الاقليم فى الاصل معروف باقليم چاغير وفى هذا الاقليم

مدينة كونجيفيرام

مدينة كونجيفيرام او كنشيبورا ومعناها المدينة المذهبة وهى مشهورة وكاينة على
قدة اقل من ٥٠ ميل من مدراس وهى قايمة فى وادى طوله ست اميال او سبعة و
جميع الوادى معمور بالسكان وفى المدينة كثير من الاهل والسكان وشوارعها عريضة
وليست مثل مداين الهند الوسطانى او الهند الشمالى الغربى وفى الشوارع مغروس
شجر النارجيل وشجر السرو الكاذب للكثرة وجود الظلال فيها وزوال شدة سخونة الحرارة
وهواها ظريف وشوارعها قاطعة بعضها فى زوايا قايمة وقد اطنب المورخين فى وصفها
وليس هنا ميدان كاف لذكر مثل هذه الاوصاف وكانت مشهورة فى الاصل بطرافة
منسوجاتها ومهارة الحياكين فيها ودقة اشغالهم فى عموم اقطار الهند الجنوبية وكانت
ملابس اهلها والعمايم والمنديل الاحمر الهندى جارى شغلها فيها مدة سنين ولما دخلت
فيها المنسوجات الانجليزية من نواحى مدراس اطفأت نور منسوجاتها وبا جوداتها ملحقة

مدينة سنت تومى

تشبه باجودة تانجور ومدينة سنت تومى واقعة على مسافة ثلاثة اميال من
مدراس فى سهل ظريف يحفها البحر بواسطة جون والمدينة قايمة على راس هذا الجون
وارض السهل وراء المدينة مغطاة باشجار النارجيل ومن ثم هذا السهل محافظ على
خضرة السنة وسكان هذه المدينة روحان كاثوليك ويوجد فيها ايضا فطوريون و
كلهم ينوون نصارى وكانوا فى الاصل كثيرى العدد ثم قل عددهم بما وقع عليهم من جور
البرتقاليين وظلمهم والروحان الكاثوليك الموجودين فيها الان هم نسل الزواج الذى
حصل بين الوطنيين والبرتقاليين وهم سود السحنة على كل طايفة من طوايف سكان
المدينة وهى معروفة عند الهنود باسم ميلابورم او مدينة الطاوس ولما تغلب
عليها الانكليز فى سنة ١٧٤٩ بعد الميلاد خرج منها قسس الرومان الكاثوليك واهلها
الى بوندیشیری الفرنساوية وسببه ان الانكليز بروقت تملكها من هذا الوقت استمرت

تانجور

فى حوزة الانكليز وقسم تانجور دلوانه قليل المساحة الا انه كثير العمران وعاصمة تانجور
مشهورة بباجوداتها ومعابدها وهذه الباجودة مرتفعة انها اعظم عمارة او
مبنى فى هيئة شكل هرمى فى الهند وفى داخل هذه الباجودة الرفيعة الثور الاسود
المشهور مصنوع من صخرة واحدة من الرخام دقيق الصنعة فى النقش ومن المدينة
والمعابد والهياكل والباجودات والطرايق وغيطان الارز وميادين الزراعة و

مدينة كومبوكونم

الاورمانات والجبال تحيط بشكل منظر بهيج ظريف ومدينة كومبوكونم على مسافة
٢٠ ميل من تانجور كانت العاصمة القديمة لعائلة ملوك شولا وتوجد فيها آثار
ظريفة واطلال وبقايا يستدل منها على ما كانت عليه هذه المدينة فى المدد القديمة
من الابهة والغنى ومن هياكلها وباجوداتها كثيرة العدد والبراهمة يتوطنون بها كلهم وهى
احد مراكز شوكتهم وقوتهم وبها بركة مياه مقدسة مخصوصة يزاحمون فضائلها عند
الدوام كبيرة حقيقية عند الهنود ان هذه المياه تعلو وتفيض فى كل اثنى عشر
سنة مرة وهى معدة لشفا الامراض والعلل وتغسل المذنبين مما اكتسبوه من الجرايم

مدينة ترنكبار

والاثام فيها تقدم وتجرد عقول المدد المعلومة هذا الفيض ينزح العدد الذى لا يحصى
من المرضى والمذنبين ويغتسلوا فى مياه البركة من اجل حصول الشفا وغفران الذنوب
ثم يعودون الى كانوا عليه من الذنوب والجرايم الى ان تمضى الاثنى عشرة سنة وتفيض
مياه البحيرة مرة اخرى تغسل خطاياهم وتشفى مرضاهم ومدينة ترنكبار معروفة

٢١٣

معروفة عند الاوروباويين بانها كانت مستعمرة دنماركية تاجرة الى ان دخلت تحت حوزة الانكليز
وتغلب عليها من دولة الفلمنك وهى على مسافة ١٥٠ ميل من مدراس ولا يحتاج قسم ترشينوبلى
لوصف مخصوص به وجزيرة سرنجام فى نهر كاوري مشهورة بمبانيها المقدسة وباجودة سرنجام
مركبة من سبعة اسوار داخل بعضها وارتفاع كل سور خمسة وعشرين قدما والتخانة اربعة اقدام وهى
بعيدة عن بعضها بمقدار ٣٦٠ قدم وفى كل سور اربعة بوابات كبيرة مع برج شامخ فى وسط كل
ضلع من اضلاع الاسوار مقابل للاربعة نقط الاصلية من الكرة ومحيط السور البرانى اربعة اميال
تقريبا والبوابة الجنوبية مزينة بعمد كثير منها مصنوع من الاحجار وارتفاع كل عمود ثلاثة وثلاثين
قدما وقطر العمود الواحد خمسة اقدام والعمد الحاملة او الحمل فوقه السقف اكبر فى التخانة من هذه
العمد ويوجد فى الداخل الجوانى للاسوار المعابد ويوجد ايضا فى الجزيرة باجودة اخرى اقل فى الوجاهة
من هذه الباجودة والبراهمة فى هذه الباجودات كثيرة العدد والثروة وفى تمتع من رفاهية
العيشة ولذتها ولا يحتاج قسم مادوره لوصف ومدينة مادوره عاصمة هذا القسم قذرة حقيرة
غير صحية المناخ واقعة فوق ارض منحطة بالنسبة للاراضى الواقعة حولها وهذه المدينة مشهورة
بمعبدها المعروف باسم تيرومالاي مخصوص لاله يعرف باسم ويلياده وبخليه عبّاد هذا الاله
لا تقدمات كثيرة من جلود المراكيب والنعال مزينة على حسب العوايد الشرقية فى هيئة زينة
والاحتفاف وسببه انهم يعتقدون ان الاله موجود دايما ابدا فى الصيد وان الاورمانات
والآجام والاراضى الوعرة ربما يحصل منها اذى لقدميه وهذه المدينة واقعة على مسافة ٣٠٠
ميل من مدراس وفى مقابلتها ارض بينها وبين جزيرة سيلان واقع جزيرة رامسيرام المقدسة
او رامسيرام ومعناه عمود راما وطول هذه الجزيرة احد عشر ميل وعرضها ستة اميال
وبها باجودة مشهورة من قديم الزمان علو مدخلها من جهة البوابة الكبيرة مائة قدم ومغطاة
الى فتحة بعقد واحد وعلو الباب اربعون قدما وبناها مصنوع من احجار راسية واقفة وسطح
داخلها ستماية قدم وهى معدودة من اجل العمارات النفيسة والابنية الفخيمة فى الهند والصنم
الموجود فى داخل هذه الباجودة ايراد كبير من المياه المعروفة عند الهنود بانها لازمة لمشروبه وتجلب
هذه المياه من نهر الكنج على مسافة بعيدة بمصروف واتعاب زايدة وتصب على الصنم فى صباح كل
يوم ثم احتفظت هذه المياه واخذ سدنة هذا الصنم قيمة تكاليف ورود المياه من الزوار
وسدنته او خدام هذه الجزيرة تعرف بعايلة تنبورم واما قسم تنبوولى تنوولى فان ساحله
مشهور ببركة اللحية وداخله ظريف المنظر ومناخه معتدل بالنسبة لمواقع التلال والجبال وهذا
القسم عرضة لهبوب رياح الموسميين الدوريين وهو كثير الامتداد والسعة

وصف نواحي بمبى ومدايرها

قد ذكرنا فيما سبق الوصف العمومي لقطعة الهند المعروفة فى التاريخ باسم الدكهن فقطعة صغيرة
منها تابعة الى بنغالة وقطعة كبيرة تابعة الى مدراس وما زال موجودا سعة كبيرة من ارضها داخلة
فى عمالة بمبى والحالة هذه ومن الضرورى لنا ذكر هنا وصف جهات ونواحى هذه الاراضي جل
فتوح الامبراطور اكبر هذه الجهات حتى يكون لمطالع تاريخنا هذا دراية تامة بمعرفة مواقع تلك
الجهات والاحوال والصفات التى كانت عليها فنقول ان المداين البحرية او المين الكبيرة المشهورة
فى عمالة بمبى هى سورت وباروش وكامبايا وبهونجور وجوجو وبوربندر ومقداوى فى
اقليم الكاتش ومن هذه المداين موجود اعظم واجود رجال ملاحى او بحرية الهند وعلى الخصوص
فى طول الجهة الغربية من خليج كامبايا ويوجد فى الجزيرتين الصغيرتين كالسيت واورم و
الحزام الصغير من الارض التابع قلعتى وبكتوريا ودبخولا فى الكونكان سفن وقوارب وملاحين
او بحرية فى طبقة عالية ومهارة تامة فى فن الملاحة وتسقى عمالة بمبى بمياه انهار نيربوداه
ونهر طابتى ونهر محى ونهر مهندرى وعدة انهار اخرى صغيرة تصب فى خليج كامبايا وفى
الاوقيانوس الهندى وكذا يجرى نهر السند فى الاقاليم السندية ويصب مياهه الغزيرة فى البحر وتجارة
بمبى عريضة واسعة مع بلاد العرب وعلى سطح بحر عمان وخليج فارس وجهاتها اوثر ابيها هى احمداباد
واحمدناجار او احمدنجور واسترغور وبلجار وبرووده وبلجوم وباروش وهلوج وبمبى
ودبودى ودزوهر وبيتا ودرجنم وحيدراباد وهوسوله وكوره وكيتركى دكرشنى
دكلدبجى وبلجوم ولكهنا وبكر وبونه ورنجلوت وستاره وسورت وسروز وشيكور
فهذه هى الجهات المعروفة بالمواقع العسكرية
وعاصمة العمالة مدينة بومبى وهى واقعة على جزيرة صخرية واقعة على الساحل الغربى من الهندوستان
على عرض ٥٦ ١٨ شماليا وطول ٥٧ ٧٢ شرقيا وكان يوجد فى الاصل بعض جزاير جبلية غير ان
هذه الجزاير مما تاثر على المد عليها اتصلت مع بعضها وصارت الجزيرة الان مركبة من سلسلتين عن
مت ويتين من الصخور الجرية طول كل منهما من خمسة الى ثمانية اميال وبعيدتان عن بعضهما بقدر ثلاثة
اميال تقريبا ومدينة بمبى اكبرجهة غير موافقة للصحة بالكلية وقلعتها واقعة فى الطرف الجنوبى
الشرقى من الجزيرة وعلى رقبة ضيقة من الارض والمادة الرئيسة فى تصديراتها التجارية القطن وسكانها
مؤلفين من نصارى ومسلمين ويهود وهنود وفارسيين وواقعة فى الجهة الغربية مع الجنوب
من كلكوته او قلقوطة بمسافة الف واربعين ميل ومن مدراس بمسافة ٦٢٥ ميل وصفة
اهل بمبى متفرقة او تابعة مذاهبهم الديانية فاما البراهمانيون فهم اهل ذكا وآداب وتجالة
كما فى غيرها من جهات الهند وهم مشهورون بالمهارة والبراعة فى الاشغال والصنايع الميكانيكية
واشغالهم فى المشغولات القطنية من الاقمشة والحراير والاصواف فى اعلا درجة من الكمال والاتقان
اشغالهم فى العاج وسن الفيل مثيل وكذلك فى اشغال المعادن المختلفة وعندهم حب الذات والغش
والمكر والخداع وعدم صفاء القلب وشدة العداوة وعمومهم اهل اوثان واصنام ولهم شعاير
هيئات متعددة فى الزيارات الخاصة السفر والصوم القاسى وغير ذلك والجاينيون اهل
متعلقين على مذاهبهم الدينية ومعابدهم مثل دور السكن وتمتاز عنها ببعض نقوشات على ابوابها
ويوجد فى جزيرة بمبى القليل جدا من البودهيستيين وليست المسلمون فيها كثيرى العدد مثل ما هو فى
الدكهن والهند الوسطانية والشمالية ومدراس ويوجد فى المسلمين فى بمبى الكثير من الاغنياء ارباب
الاموال والثروات فى غاية الاحترام والاعتبار فى المدينة قاطنون فى الجهة الغربية منها والفارسيين
او الجبريون كثيرى العدد وسنعقد لهم فصلا مخصوصا فى اصل وفودهم من فارس الى الهند حتى
وصلوا وقطنوا بمبى وهم اغنى اهل الجزيرة واليهود ايضا كثيرى العدد واهل اموال وغنية و
النصارى الارمن كثيرى العدد ومرعيى الجانب ولهم فى القلعة كنيسة صغيرة واشغالهم
الاقمشة والجواهر والبعض منهم مشتغل فى بيع الخيل ولهم دراية تامة بمعرفة صفاتها واحوالها
الحيوانات الاخرى وملابسهم مثل ملابس اهل فارس ويخضبون لحاهم بالحنا وشعورهم بالصبغة
السودا وذرارى البرتغاليين غير مرعيى الجانب وهم مبغوضون عند كل طايفة من الطوايف
دناءة وتعصب وغباوة ويوجد فى الجزيرة ايضا بعض من الجريق لا يختلفون بشى عن الجريق الموجودين
على سطح المعمورة
ومن ابتدا انشا المواصلة مع اوروبا من طريق البحر الاحمر اكتسبت بمبى درجة اهمية حتى صارت اول

مدينة بمبى

اول محل تشتغل فيه السفن
الكبيرة ذهابا وايابا من
والى الجهات الشرقية و
الغربية وهاك ابعاد المسافات
الكائنة بين بمبى وبين
المداين الكبيرة والصغيرة
الموجودة فى الهند

ميل		ميل	
٩٧٧	اله اباد	١٠٥٢	جاجرنون
٣٢١	احمداباد	٤٥٦	اندور
١٨١	احمدنجار	١٠١٠	لاهور
٧٢٢	اركوت	٩٢٣	لوكنو
٢٦٠	اورنج اباد	٧٥٨	مدراس
٢٢١	باروش	٦٨٦	مسالبتم
٠٢٧	ززاين	٩٥٢	ميرزانور
٤٥٢	بدنور	١٢٥٩	مرشداباد
٣٩٨	بيجانغور	٩٢٠	مولتان
١٣٠١	قلقوطه	٦٥٠	ميسور
٢٩٨	كابرج	٥٥٢	نجيبور
١٢٢٣	كشمير	١٠١٢	اودهم
١٠٣٤	كطاك	٤٨٦	اوجين
٧٨٠	كوشى	١١٥٤	بتنا
٨٨٠	دلهى	٩٨	بونه
٢٥٨	دولت اباد	٦٢٢	سرنجبتم
٢٩٢	جرواه	٨٢٦	سنجبلور
٤٧٥	جولكنده	١٧٧	سورت
٧٦٨	جاليور	٦١٥	تلكشرى
٤٨٠	حيدراباد		

ثم انه من عهد فتح خليج السويس حازت مدينة بمبى موقعا مهما زيادة عن قلقوطه فى الثروة والاموال
وسعة التجارة وكثرة السكان والشوكة لان المسافة من الخليج الانكليزى الى قلقوطه من طريق راس
الرجا الصالح (؟) تابعة اجود الطرق التى تسير فيها احسن السفن ١٣٠٠٠ ميل ومن طريق البحر الابيض المتوسط
مارا من خليج السويس والبحر الاحمر والاوقيانوس الهندى نحو ٨٠٠٠ ميل فالمكسب بين الطريقين فى
الطول ٥٠٠٠ ميل ومن طريق الراس الى بمبى ١١٥٠٠ ميل ومن طريق قنال السويس ٦٢٠٠ ميل
فالمكسب هنا ايضا ٥٣٠٠ ميل وبواسطة خليج السويس امكن وصول العساكر الانكليزية من مالطه
الى بمبى فى ظرف ثلاث اسابيع والى سيلان او مدراس فى ظرف اربعة اسابيع والى قلقوطه فى ظرف

فى ظرف خمسة اسابيع وبالطبع فانه كلما زادت سرعة السفن البخارية فى حركة السفر قلت مسافة زمن
الوصول ولهذا صارت بتورقة الجديدة فى امريقة بالقرب من بمبى بنحو ٧٢١٧ ميل واورليان
الجديدة بنحو ٧١٧٨ ميل والقسطنطينية بنحو ١٢٩٠٠ ميل وسنت بطرسبورغ ٨٥٥٠ ميل
وكذا الممالك الواقعة على سواحل البحر الاحمر وخليج فارس والساحل الشرقى من افريقية والهند ومملكة سيام
والصين الشرقى ويابونيا ومملكة الصين الواسعة مع ملايين اهلها وجزاير فيليبين واوستراليا
وزيلنده الجديدة ومجموع جزاير الاوقيانوس الجنوبى صارت كلها الان قريبة من البحر الابيض المتوسط وشمال
اوروبا بنحو ٩٠٠٠ ميل تقريبا وصارت عموم اقسام المعمورة قريبة من بعضها بعضا بواسطة فتح خليج
السويس الذى كان السبب فى وقوع الضرر الاكبر بالاقليم والاراضى التى فتح فى داخلها واهلها

وضواحية بمبى ظريفة جدا ومجموع الجزيرة منظر بهيج متباين ومشتمل فيها بعض التلال والاحراش مزوّدة
من علو درجة طقس المناخ وانحطاط ارض المدينة وكثرة وجود غيطان الارز حول عموم ارض الجزيرة
ويوجد بها سمك وطرق ظريفة واهلها فرحون مسرورون بركوبهم وجولانهم فى تراهتهم فى الجهات
المجاورة لها وطرقها معوجة ومنحنية بسبب تعاوج سطح الارض ومساكنهم ولها مختلفة المنظر وفى ارضها نوع
دودة رفيعة تمسك فى الجلد وتسبب قرحة متولد منها الضرر الاكبر والاذى للاوروباويين والوطنيين معا
ومن ضرر هذه الدودة واذاها تلزم الاوروباويون على الخروج منها والعود الى بلادهم او يتوجهون
الى جهة اخرى خلاصا منها ومن اختلاف حياتها وامراضها واخ الفنا فى الاوروباويين الذين يعرفون
انفسهم كثير الطقس هواء الجزيرة وهواها معتدل بالطبع بسبب ما فيها من الاوراماناث ومزارع الارز
الا انه من بعد فتح خليج السويس اخذت بمبى فى سرعة الاصلاح والعمار وتشييد المبانى الجليلة والاراضى
الظريفة والمبانى العمومية والخصوصية واصلاح الطرق وعمل الطرق اللازمة لاصلاح الاهوية الفاسدة
وصارت الان اعظم موقع فى الصحة فى المواقع الهندية وبها دور شفا وحمام دار شفا للحيوانات

وناحية سورت واقعة فى الطرف الجنوبى الغربى من اقليم الجوزرات وهى قسم من ارض الجوزرات مجاورة
لخليج كامبايا ويصعب علينا تحرير هذه الجهة بسبب تشبكها مع ممالك الملوك الوطنية واستغراقها
مدة من الزمن مشهورة بالنهب والخطف الواقع من لصوص نهر طابتى والخليج الى ان اجرت التراب
الانكليزية فى دواوين الملوك الهندية الاجراءات المؤثرة التى بها انقرض دابر هولاء اللصوص واراضى
سورت كثيرة العمران والاهل وفى درجة كاملة من الزراعة فيخرج منها القمح والجورى والجاورس
وغلول اخرى هندية ويخرج منها ايضا القطن والنيل والكتان والدخان واجناس النباتات
والابقار وقطن سورت اجود مادة فى المواد التجارية ومدينة سورت واسعة حقيرة قذرة مجردة
من المبانى العمومية العظيمة ولا يوجد فيها الا القليل الواهى من الاوروباويين ويوجد فيها سورت دار
شفا للحيوانات كما فى بمبى الا ان هذه المدينة مشهورة بخزفها وحرارتها وبها من الغزلان والقرود
والبق والبراغيث والحشرات المضرة ما يعجز عنه الوصف وموقعها غير موافق للتجارة لان اغلب
السفن لا يمكنها الصعود فى النهر والاستقبال تحت المدينة الا ان الارض من خلفها خصبة جدا
ومحصولاتها وافرة مختلفة الاصناف فمن ثم تجارتها واسعة ويا ساسى على حالتها التهذيبية واهلها
مسلمون وهنود وفارسيين فى عداوة وشقاق ونفور مستمر بينهم وليست درجة امتياز الطوايف
متسلطنة فيها كما فى غيرها من الجهات الاخرى ومسافتها من بمبى بقدر ١٧٧ ميل ومن قبل استيلاء
الانكليز على بمبى كانت سورت عاصمة الاقليم واهلها ما زالت اكثر عددا من اهل بمبى وسواحلها
الداخلية منحطة مسطوحة رملية لا يوجد فيها منظر سوى المنظر الواسع الفسيح للتلول والجبال البعيدة
عنها ومناظر شوارع مدينة سورت فيها مائلة ومشابهة لشوارع بمبى ويوجد بها ايضا زيارات
على اختلاف مذاهب ديانة المتقدم ذكرها الجاينيون والهنود والسوريون والارمن والجرجيون وزوار
البرتقاليين والاكثر شهرة من اهل العرب فانهم فى بعض الفصول ينصبون خيامهم على ضفة
نهر طابتى ومنظرهم فى الهيئة والذات اعظم منظر من كافة طوايف السكان ويصنعون خيامهم فى
اعظم مواقع يتخيرونها فيستطاب لمن اتى منهم فيها ومن الوان ملابسهم الظريفة وتجملهم فى الملبوس
وظرافة سحنتهم تنجذب القلوب لحسن النظر اليهم وتوجيه الالتفات عليهم ويوجد كثير من الاثار
والاطلال القديمة تشهد لهذه المدينة بما كانت عليه من الغنى والرفاهية وهذه الاثار معظمها
فى الباقى من الابنية والقصور التى كانت فى السابق لامراء التجار والوجوه والاعيان من اهل
المدينة من قبل ان تمزق بمبى اجفان عيناها وهذه القصور والابنية موضوعة مع الذوق
والظرافة فى ضواحى المدينة وفى جهات مختلفة على كل من ضفتى نهر طابتى ويوجد على مسافة
اميال من المدينة محل ظهور دينى معروف باسم بلبوتنه الى هذا المحل ايكاع مقدسة ومحاريب

ومحاريب وهياكل بوحرة ويوجد فوق جبال الغات فى هذه الجهة هياكل ومعابد وقبابها و
عمدها مطلة على النهر وهى جهة معدة لحرق الاموات وتذرى رماد الموتى فوق مياه النهر ويسمى
بلبوتنه هذا الجهة الظريفة فى ضواحى سورت فقط بل كافة ضواحيها مستطابة ظريفة على قدر ما
يوجد فى المدينة من الدناءة والوساخة والظلام والعفن

واما باروش فهى ناحية ايضا من الجوزرات يحدها من جهة الغرب خليج كامبايا والقليل من مين
الهند الغربية معمورا عمارا تاما وعاصمة هذا الاقليم المعروفة ايضا بباروش فهى قايمة على علوة
على الضفة الشمالية لنهر نيربوداه وعلى مسافة ٢٥ ميل من فم النهر وهى وسخة قذرة مثل سورت
محيطة باجود الاراضى خصوبة وسوقها احد الاسواق المشهورة فى الهند وكانت هذه المدينة فى القديم
مقر تجارة واسعة خصوصا فى الاوقات القطنية الظريفة الشغل والبياض الشاهق ومنظر ضواحيها
بهيج بسبب جودة المزروعات ويوجد فى ضواحيها الكثير من بقايا رسوم واطلال مساجد مهدومة وقبور
وقباب منتشرة حولها وعلى مسافة عشرة اميال من المدينة موجود جزيرة فى النهر يدفنون الهندو المعرين
فى السن والمرضى انفسهم على قيد الحياة نادبين على ما سبق منهم من الذنوب والجرايم فى مدة حياتهم وقيل انه
موجود فى هذه الجزيرة شجرة بنيان فوق العادة فى العمر وكانت فى الاول اكبر مما هى عليه الان
بسبب انه فى مدة الفيضانات الكبيرة للنهر اتهلك قطعة من الجزيرة كانت فروع جذور هذه الشجرة
ممتدة فيها امتدادا كبيرا وما زال محيط دائر الشجرة العتيق قدم مقاسها حول فروع الجذور المختلفة
منها ومقاس الفروع المعلقة والجذور التى ما وصلت الى الارض كبيرا جدا وعدد جذوع الشجرة
ثلاثمائة وخمسين جذعا والفروع الصغيرة الكبيرة تنوف عن ثلاثة الاف فرع وقال اهل الوطنيين
ان عمرها ثلاثة الاف سنة وانها تظل تحتها سبعة الاف نفس وانها نبتت فى الاصل من عود مسواك
كان يتسوك به ولى من اولياء الهنود

واما قسم احمد اباد فانه ليس مشهورا بشى يذكر سوى المدينة
وضواحيها وكانت مدينة احمد اباد عاصمة الجوزرات ثم اخذت فى السقوط والاضمحلال وكانت فى
غاية الابهة والجلالة فى مدة سلطنة الامبراطور جلال الدين اكبر حتى ان اطلالها واثارها وسورها
مغطاة مساحة محيط دائرها ثلاثة عشرة ميلا وفوق الارض رسوم وبقايا السرايات والقصور
والجوامع والمعابد والخزانات ومجارى المياه واشغال اخرى عجيبة كانت معدة للمنافع العامة

واقليم قاهره اكبر ناحية فى قطر الجوزرات وهو اقليم موحش غير مسكون وليست عاصمته القاهرة
مشهورة بشى واقليم كانديش اقليم من الدكن وقد ذكرناه فيما سبق وكانت المهرطا يولون حكام
هذه الجهة وملوكها فى مدة شوكتهم ودولتهم كما سياتى ذكره فيما بعد وقسم كبير من اكانديش
تابع لعايلة هولكار وكذا اقليم مالوه المجاور له مقسوم بين البيشوا وسيندايا وهولكار
وكل ذلك سيأتى شرحه فى محله ان شاء الله تعالى ودولو ان نهر طابتى ونهر نيربوداه وفروعهما
الجارية اليها تسقى هذه الاراضى فانها على غير جودة فى الزراعة وداخلها مقطوع بخيران عميقة
يختلف عمقها من ٣٠ الى ٤٠ قدم سايرة بطول اميال وسلسلة جبال الغات الغربية ممتدة
فى طول نهر طابتى ويوجد بين التلول ومجارى المياه كثير من قبايل البهلو طه متوطنين فى هذه
الاراضى ويشمل قسم اكانديش كافة الاراضى التى كانت داخلة تحت اسم الكانديش فى مدة سلطنة
جلال الدين اكبر وهى اخصب واعمر جهة فى الاراضى الموجودة فى عموم الكانديش وعاصمتها القديمة
برهانبور واقعة فى سهل ظريف عظيم الزراعة وكان محيط هذه المدينة عشرة اميال الا ان رونقها
انطفى وزال عنها مجدها وهى بعيدة عن بمبى بمسافة ٣٤٠ ميل وعلى عرض ٢١ ١٩ شماليا
وطول ١٨ ٧٦ شرقيا ومدينة حسين اباد مشهورة فى هذه الكورة بانها نقطة عسكرية
عظيمة الموقع وانها مفتاح هذا القسم من الدكن وليست المدينة ظريفة البنيان ولا العمار فى السكان
وبونه حتى الان قسم من بمبى وكانت فى السابق عاصمة مملكة المهرطا وبين كما سياتى بيانه
وهى واقعة على عرض ٣٠ ١٥ شماليا وطول ٢ ٧٤ شرقيا وعلى مسافة ٣٠ ميل فى شرق
جبال الغات ومن ٩٨ ميل الى ١٠٠ ميل من بمبى وبلدة هذه المدينة عالية فى السعة وكثرة
السكان وشوارعها مسماة باسما اشخاص من اهل الاسرار والهة الهنود ومنقوشة على ابواب
دور السكن فيستدل من اسما الشوارع ودلايل اخرى على انها كانت اكبر مدينة ديانية بين عموم
مداين المعمورة وعند هذه المدينة يلتقى نهر موتا ونهر مولا ويصب فى نهر بيما ويجرى نهر
بيما ويصب فى نهر كيشتنا وهذا المجرى يكون طريق السفر فى مدة فصل الامطار على مسافة

وسبعين ميلا مبتدأت من الغربي للهند الى حد خليج بنغالة والسراية القديمة لمدينة بونة محيطة
باسوار سميكة ثابتة البنيان وصنراجيها مشهورة بعيد الحلاليف ومعبد بزبتوتي الموجود فيها
ما زال مرعي الجانب لحد الآن ولو زالت عنه ابهته القديمة ومعبد بتولي المعبودة الجليلة قايم في
موضع ظريف فوقه راس جبل عالي ومحيط ببساتين ظريفة وفي ضواحي بونه ايكة من اشجار المنجو
او العنب غرسها البشوا في مدة فقد حياة اخيه وبين قنطرة سنجوم بالقرب من بونه وناحية
كركي كهف معبد مقطوع في الجبل في وسط عمد مستديرة على منوال عمارات الهنود حاملة صخور
ضخمة مهولة من الحجر تحتها الثور المقدس الذي كان يركبه سيوا وعمد كثير من الاعمدة حاملة
السقف الصخري للهيكل وصنفتي نهر سنجوم في ضاحية بونه ظريفة المنظر

اقليم ستّاره

واقليم او ناحية ستّاره بسبب انضمامه مع اقليم بونه فانه جدير بالذكر هنا وان البشوات حكام
بونه حكموا هذا الاقليم مدة تنوف عن مائة سنة وللراجا اسم الشوكة العالية فقط ويرعى البشوا
طاعة له ويقدم له خضوع ظاهري والراجا مسجون في قلعة ستاره الجليلة وسميت باسم ستارة
او سبعة عشرة بسبب انه كان يوجد بها سبعة عشرة من الاسوار والابراج والبوابات والقلعة
قايمة فوق راس جبل عالي يصعد اليها من طريق لولبي مع غاية الصعوبة والكورة كاينة في وسط
وادي محبوب محيط بتلول وجبال متوجة في كل جهة منها بقلعة معدة للمدافعة والمحافظة وقلعة
بورنا بقور قايمة على سن من جبال الغات مطلة على تلول مرتفعة بشوار اي الرب الاكبر الطيب
ومطلة ايضا على المنظر البهج من كونكات الجنوبية ومبني في هذه الجهة هيكل لالهة الخراب و
الدمار وكان راجا ستّاره يقدم اليها كل سنة ضحايا من نوع بني الانسان من قبل ان الحكومة

ناحية طنّاغ

الانكليزية هذه الاعمال القطيعة المهولة وناحية طنّاغ اخرج هذا الاسم من جهة جزيرة وقلعة
ما جزيرة سالسيت وطول هذه الجزيرة ثمانية عشرة ميل وعرضها المتوسط ثلاثة عشرة ميل وهذه
الجزيرة كانت منفصلة في الاصل من بمبي ثم اتصلت معها بجسر مرصف من الجهتين وسكانها قليلي العدد
وهي ظريفة المنظر الا انها رديئة الزراعة مع قربها من بمبي وفي الجزيرة عدة كهوف ومغارات منقورة
في جبال بني البرتغاليين لا تقسم في واحد منها كنيسة ومحا النقوش والصور الوثنية منها ومع
هذا فانه ما زال باقيا صورتان ضخمتان من صور بوذها وواقع في هذه الجهة جزيرة الفنتا
وهي في جون بمبي على مسافة سبعة اميال من القلعة وهي محل اجتماعات وملاهي وذهاب واياب
لاهل بمبي وهي عبارة عن جبلين طويلين بينهما واد ضيق ومحيطها نحو ستة اميال وبها الكهوف
المشهورة المعروفة بمغاير الفنتا وهي محلات عبارة قديمة فيها صور وتماثيل ضخم وصغيرة وناحية
دهوار ورتنا غيري وكانا تابعين لقسم بيجابور القديم فان وصفهما مثل الاقاليم والبلاد
التي ذكرت من الدكهن ويلحق بعمالة بمبي قسم كولابور ولو انه تحت حكم اهله وهذه الارض
الصغيرة قطعة من ارض ميسور الكاينة في جنوب الهند ومحيطة باراضي عمالة مدراس ومدينة
ميسور مشهورة بولادة علي حيدر بها وابنه تيبو المشهور في التاريخ الهندي وسياتي ذكرهما
في العصر الانكليزي في الهند وكان حيدر علي وابنه تيبو من ضمن ملوك ميسور وشيد تيبو لابيه
بنا ظريف جدا على قبره دانت بالقرب منه جامع ومدرسة للمولوية وهذا ما امكننا الان جمعه في
وصف الدكهن وعمالة مدراس وبمبي وطبقا فانه من بعد ذكرنا سلطنة جلال الدين اكبر
ان وجدنا او عثرنا على اوصاف زايدة في التوضيح والشرح عن ما سبق ذكره فانه لابد لنا من ذكرها
ولنرجع الان الى ما كنا عليه من ذكر فتح جلال الدين اكبر الدكهن وضمها الى ممالكه فنقول وعلى الله
العون وحسن القبول

عود ذكر سلطنة جلال الدين اكبر

ذكر في الشجيوت السفرية للبحث جزيرة الهندية ان راما في المدة القديمة جدا اضاف الدكهن
الى مملكته اودهه في مدة سيره وراء راقنا ملك سيلان وكان خطف زوجته الجميلة سيتا وقد
ذكرت ذلك في الراماينات وكانت تقسيمات الدكهن القديمة الجغرافية هي دراويده واوارها
اندهل دكرناط وطيلنجانه ومهاشتا واوريشا وهذه الاسماء مشتقة من اللغات
الخمسة المشتقة من اللغة القديمة المعروفة باللغة السنسكريتية وفي سنة ١٣٢٥ بعد الميلاد
تم السلطان محمد طغلق فتح الدكهن الا انه لم يضبط مدة طويلة وكان راجا طيلنجانه و
الكرناطيق اول من اعاد استقلالية انفسهما وفي سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد صار العصيان عام
وحامت عائلة بهماني وتقررت استقلاليتها في دلهي ثم ان الدمار الاخير الذي حصل لبيت
بهماني في الدكهن في سنة ١٤٩٤ بعد الميلاد تولد منه استقلال الممالك الاسلامية في الدكهن

الدكهن وهي بيجابور واحمدنجار واحمد ناجور وجولكنده وبهار وبيرار وفي مبادي سنة ١٥٨٦
بعد الميلاد حضر الى اكبر فضيته برهان اخو مرتضى نظام شاه الملك الرابع من ملوك احمد ناجور وكان
برهان هيج حكومة اخوه بسبب ما حصل من اختلال عقل الملك وارسل اكبر جيش لتاييد دعوى برهان
فخاب في دعواه واستمر برهان بعض سنين عند الامبراطور اكبر وفي سنة ١٥٩٢ مات مرتضى
نظام شاه وطلب اخوه برهان للتخت فوجد المملكة غرقانة في بحر المصاعب فخاب اجتهاده في توطيده
التخت ولما مات برهان في سنة ١٥٩٥ زادت حالة المملكة في المصاعب زيادة عما كانت عليه في
ابان بقى من الطالبين للتخت المملكة كانوا اوافق من اربعة انفس وكل منهم معه جيش ضخم في الميدان
فرح الامبراطور اكبر جيشا لاجل عودة المدعي في استحواذه على العاصمة الا انه من قبل ان يجري هذا
الجيش حركة تعود بالنفع على المدعي للتخت وقعت المدينة في ايدي شنده سلطانه النايبة عن ابن
اخيها بهادر نظام شاه وكانت طفلا صغيرا وكانت هذه الحادثة في سنة ١٥٩٥ وكانت هذه
الرشيبة من اكبر النساء عقلا وحزما وتدبيرا وما ماثلها مثيل في الميادين الهندية وهو انه عند قرب
جيش المغول منها رات ان المقصد الاصلي من تسريح هذا الجيش ليس مقصورا في اصلاح احوال
الخلافات والشقاق الذي تولد منه خراب مملكتها بل المقصود التغلب عليها فبذلت مجهودها
واظهرت شهامتها وعزمها في كونها فتحت عيون الممالك المستقلة جيرانها وانذرتهم بقرب حصول
الطوفان المتدفق المدمر لهذه الممالك ولها واستغاثت بغريبها راجا بيجابور ووطدت تحالفها
معه ثم اجتهدت في اصلاح مادة الشقاق الذي كان واقعا بين الاحزاب وكان سببا في
ضعف الحكومة ووهن المملكة وبحثت في هذا الامر وقطع دابر عموم الاختلافات والمنازعات
بين الاحزاب وجمعتهم في جامعة واحدة من اجل ملاقاة القوة ومقاومة الشوكة الطامعة المهددة
لاحزابهم جميعا واسرع تهنگك فابرجشتي من اجل صدمها واتخذ طريقه الى العاصمة من وسط
عداتٍ وصفوف جيش المغول المحاصر المدينة وشدد المغول في حصار المدينة مع العنف وازدهام
عند اقتراب جيش بيجابور وتقوت السلطانة بحزبين من الاحزاب التي كانت نافرة وصار لها
قوة وباس شديد وداوم المحصورون على المدافعة عن انفسهم واتخذوا سلطانتهم اسوة في اجتهادهم
ونشاطهم وكانت شنده سلطانه في مدة هذا الحصار لا تكل ولا تتعب وما خافت من شيء كما كان
حاصل من شدة سقوط الامطار وقوت قومها وعسكرها بتقديم نفسها في كل نازلة وداهية و
اشتغل المحاصرون لعمل تحت استحكامات القلعة فكشفها المحصورون من طالع سعدهم واقتدوها
حتى صار اغير قابلي الاستعمال ثم اشتغلوا لغاية ثالثا تحت الاسوار فاكتشفه المحصورون وفي اثناء
الهجوم صار طفق فانفتح شرما واسعا في الاستحكامات فوهن المحصورون وخافوا على انفسهم وحولوا
وجوههم نحو المدينة واداروا ظهورهم نحو فرق العساكر التي اسرعت في هجومها على الشرم ثم قرعوا من خوفهم
وفزعهم وقطع امالهم ان تقووا بسلطانتهم وثبتوا في ميدان حربهم وذلك ان السلطانة تدرعت
بدرع حربي كامل وطرحت برقع فوق وجهها واشهرت في يدها سيفا واقتحمت في الهجوم امام
قومها وعسكرها ووقف المغول مستغربون لهذه الهيئة وصدت السلطانة اول هجوم وصل من المغول
واستمرت هذه المحاربة الغير متعادلة في القوى حتى هجم جيش ضخم لما بعدها على المغول من كل
جانب ودام الحرب مع الشدة والعنف من كل من الطرفين الى ان دخل الظلام وفصل الجيشين من
بعضها وكان النصر في هذا اليوم للسلطانة شنده فما حصل لها من هذه النصرة راحة برهة من
الزمن بل اشتغلت في ترميم الشرم حتى لاح الفجر واعادت الاستحكامات الى اقوى ما كانت عليها
في ابان بقى ثم انعقد الصلح من بعد ان اطلقت مدافع استحكاماتها مرارا متوالية بتقدوم من النحاس
والفضة والذهب ثم شرعت في اطلاق النيران بجواهرها وحليها وبواسطة المعاهدة التي عقدت
في سنة ١٥٩٦ سلم ملك احمد ناجور للامبراطور اكبر في طلبانه في بيرار وكان فتحها حديثا ثم ان
هذا الصلح لم يلبث طويلا وارتبكت الاحوال في احمد ناجور وزادت فيها الشدايد والمحن عما كانت
عليه واختلت عقده الاتحاد التي عقدتها شنده سلطانه بمهارتها وبراعتها وقتلت هي من بعد
وتغلب اكبر على عاصمتها وارسل الملك الصغير مسجونا في قلعة جاليور الجليلة ولو ان هذه الوقايع
كانت مهمة في نتايجها الا انها ما وطدت خضوع كافة المملكة وحبس ملك اخر على التخت وما حصل
عمل موثر في فتحها لحد سلطنة شاه جهان في سنة ١٦٣٧ ومن قبل التغلب على مملكة احمد ناجور

انقضت مملكة كنديش الى دلهي

ملخص القول على سلطنة جلال الدين اكبر بن همايون بن بابر

ثم ان ملخص ما قيل في سلطنة اكبر ودولته من سنة ١٥٥٦ الى سنة ١٦٠٥ بعد الميلاد ان جلال الدين اكبر الاكبر المؤسس الحقيقي للمملكة المغولية التي لبثت نحو مائتين سنة خلف ابوه همايون وعمره اربعة عشر سنة وكان مولده في سنة ١٥٤٢ واستمرت سلطنته احدى وخمسين سنة تقريبا وكان معاصرا للملكة اليزابث ملكة بريطانيا من سنة ١٥٥٨ الى سنة ١٦٠٣ وكان ابوه همايون ترك له مملكة صغيرة في الهند ممتدة وراء الاقاليم المجاورة اكره ودلهي وفي وقت همايون كان اكبر غايب في بانجاب تحت وصاية استاذه بيرام خان محارب اكبر مع وصيه بيرام خان الثايرون من الافغانيين وكان بيرام خان تركماني الاصل وساعد همايون في منفاه وعهد اكبر الى بيرام القيادة وقوة العسكرية كانت اومدنية واجلس اكبر على تخته من بعد واقعة بانيبوت ولقب بيرام بلقب خانابابا يعني ابو الملك وكان بيرام شجاعا حازما مدبرا الا انه كان فظ غليظ شديد الطباع هيج الكثير من الاعداء وكلما كمل اكبر ونجب من استبداد بيرام له مدة اربعة سنوات قذف من فوق رقبته نافذ هذا الوزير في سنة ١٥٦٠ بعد الميلاد ولما عزل هذا الوزير من وظيفته هاج حربا بينه وبين ملكه انهزم فيه بيرام شر هزيمة فعفى عنه اكبر ورتب له معاشا كافيا وافيا وفي اثنا ما كان متوجها في طريقه للحج الى مكة قتله واحد من الافغانيين كان بيرام قتل بيده ابوه في احدى الوقايع وكانت مدة سلطنة اكبر معدودة من العصور السعيدة وفي وقت جلوسه على التخت في سنة ١٥٥٦ بعد الميلاد وجد الهند مقلقة فعفا ومشققة شقفا الى ممالك صغيرة فجمعها كلها في جامعة واحدة حتى انه في وقت موته في سنة ١٦٠٦ بعد الميلاد تركها مملكة واحدة قايمة على عروشها كاملة في ذاتها وصفاتها وكانت الغارات الاولية للترك والافغانيين والمغول تركت في الهند ناس من المسلمين اهل قوة وباس تحت قيادة واحكام روساهم فاخضع اكبر هذه الممالك الاسلامية المستقلة الهندية وجمعها في جامعة واحدة مع مملكة دلهي وكان الكثير من ملوك الهندو واهم الراجابوت اعادوا استقلالية انفسهم مرة ثانية وخضعوا طاعة ملوك المسلمين فلم اكبر في بنعة اداراته تحت سلطنته وسوى اكبر هذه الاعمال بعضها بقوة السلاح وبعضها بالمحالفات والارتباطات وربط ملوك الراجابوت مع نفسه بالنسب والزواج والاتحاد معه في مساعدته على المحافظة على تخته ومما تم استخدمهم في المصالح والوظايف العالية وهيج قواده ووزراه من الهندو على حرب المغول القايمين عليه في الهند العالية وعلى حرب الافغانيين الموجودين في بنغالة وكان همايون ترك مملكة صغيرة لابنه اكبر محصورة في بانجاب مع اقليمي دلهي واكره فوسعها اكبر مع العجلة والسرعة على مصاريف الغريب له من جيرانه وهم الراجابوتيين وجعل مملكة جايبور الزاعية لمملكته وستر اكبر فتوحاته ووطدها بزواجه ابنة ملك جايبور الهندو وبالمثل تغلب على جودهبور وزوج اكبر ابنه وولي عهده سليم شاه الذي تسلطن من بعده وتلقب جهانگير بجعيدة راجا جودهبور ثم تغلب على راجابوت شيطور من بعد حرب مهل طويل بني القول عليه الا ان راجا شيطور وقومه ما امكن ان يخلطوا دم طبقات درجاتهم العالية مع اي من اجبرا طوراته المغول وهربوا والتجأوا في الجبال وفي وسط الصحارى السندية ولما نفوا خرجوا من ملاجئهم ومحلات مأواهم واعادوا غالب ممالكهم القديمة واسسوا عاصمتهم اودايپور الباقية على قيد الحياة لحد الآن وهم الذين فضلوا من القبايل الراجابوتية الكبيرة في انفة عالية ودرجة شامخة وما زوجوا بناتهم لاي واحد من ملوك المغول وربط اكبر علاقاته السياسية ووجه التفاتاته وحسن وداده لكل امارة وايالة من امارات وايالات ملوك الهندو وحافظ على عدم اذى الاشراف المختلطة الدرجة من الهندو وعين صهره ابن راجا جايبور حاكم في بانجاب وكان راجا مان سنها نسيب اكبر ادى خدمة جليلة لاكبر في الحرب من قابول الى اوريسا فاستقله حاكما في بنغالة من سنة ١٥٩٨ الى سنة ١٦٠٤ بعد الميلاد وكان الوزير الكبير لماليته راجا طودار مال من الهندو والغى اكبر الجزية التي كانت مضروبة على كل من لم يكن مسلما وجعل عموم رعاياه تحت قاعدة محدودة واحدة متعادلة في العوايد والضرايب وهو اول من مسح الارض وفصل امر حدايدها في الهند وكان من ضمن ٤١٥ منصبدار او قواد الخيل واحد وخمسين نفس من الهندو وكان عنده الكتب المقدسة السنسكريتية وقصايد الاشعار مترجمة باللغة الفارسية وظهر على وجه رغبته لدين رعاياه الهنود فاحترم شرايعهم وقوانينهم الا انه ابطل عوايدهم وشعايرهم الوحشية ومنع الفحص بواسطة العذاب وقربان الحيوانات وزواج الاطفال الا من بعد بلوغ الحلم فالذكر من بعد ستة عشر سنة والانثى من بعد اربعة عشرة سنة ورخص للارامل من الهندو بالزواج الا انه خاب في تنفيذ امره في عدم حرق الارامل من انفسهن فوق عمود حرق بعولتهن ولو انه اصدر من طرفه منشورا ان لا يكرهن هذا الحرق الا مع الرغبة والخيرة وبهذه الوسايط اشرك اكبر رعاياه الهندو معه في دولته واعمال مملكته وبمساعدتهم له اخضع الملوك الاسلامية في الهند الشمالية المستقلين من ابتداء بانجاب الى بهار ومن بعد حرب شديد تغلب على بنغالة من ملوكها الافغانيين من بيت شيرشاه وكان هذا البيت متسلطا في بنغالة من سنة ١٥٣٩ الى سنة ١٥٧٦ ومن ابتداء سنة ١٥٧٦ استمرت بنغالة مدة قرنان اقليما من المملكة المغولية تحت ادارة ونيابة حكام معينون من دلهي اي من سنة ١٥٧٦ الى سنة ١٧٦٥ وفي سنة ١٧٦٥ انتقلت بواسطة منحة امبراطورية الى الانكليز وفي اثناء حل المغول من الهند تغلب اكبر على الجوزرات من ملوكها المسلم في سنة ١٥٧٢ ولو انه ما تم فتحها الا في سنة ١٥٩٣ وفتح مالوه في سنة ١٥٧٠ وكنديش اوكاندیش في سنة ١٥٨٦ بعد الميلاد واخمد ثورتها الاخيرة في سنة ١٥٩٢ واضاف السند الى ممالكه في سنة ١٥٩٢ وبواسطة غدره قندهار في سنة ١٥٩٤ مد اكبر مملكة المغول من قلب افغانستان عابرة كافة الهند في شمال جبال وندهيا نحو الشرق الى اوريسا وكانت سلطنته في الجهة الشمالية الغربية من افغانستان وكشمير وفي الجهة الجنوبية الشرقية على بهار وبنغالة الى اخر حدود مملكة اسام وفي جهة الجنوب اقام سلطنته في الراجابوت وفتح الجوزرات ومالوه وكانديش واحمدناجور وبيرار وفي الجهة الغربية من ممالكه ضبط قلعة سورت بالقرب من فم نهر طابتي اعظم مينة بحرية في المملكة ومركز تجارة جامع ونقل مركز حكومته ودولته من دلهي الى اكره واسس فتحبور سكري عاصمة في المقابل للمملكة ثم اختار لنفسه موقع اكره بسبب وقوعها على مجرى مياه نهر جومنا وفي سنة ١٥٦٦ انشأ قلعة اكره وما زال لحد اليوم الزوار اجا ترها الحمرا المبنية بها اسوارها تقضيا على ضفة نهر جمنا ومما وصل اكبر في فتحه الى الاقليم السفلى الواقعة في جنوب الهند لان السنين الاخيرة لسلطنته تعكرت جدا وتكدرت بما وقع فيها من الدسايس والغش من اهل بيته وبما حصل من ولديه من جمح السلوك والسيرة فاحرقت بهذا الملك من بعد ان طعن في السن ومات ابنه الاصغر غرقا في بحر السكر والادمان على المشروبات وكان ابنه الاكبر سليم شاه الذي تلقب فيما بعد جهانگير فظا غليظ القلب عنيف الطبع سكير ملعون الذات والصفات عصى على ابيه المرة بعد المرة وحصلت له عدة غيرة من ابنه خسرو وكانت كل هذه الافعال الفظيعة المزعجة سببا في تراكم الهموم والغموم والاحزان على اكبر فمات في سنة ١٦٠٥ بعد الميلاد حزين القلب مكسور الفؤاد من بعد ان تسلطن خمسين سنة وبضع شهور ودفن في مقصورة طريفة البنيان عركب بناها من هيكلان بوذهيته ومعمارات بحجية تشبه لموسس المملكة المغولية باختلاط عقايده الدينية وفي سنة ١٨٧٣ فرش العامل الانكليزي لورد نورثبروك الواح الرخام والمرمر المدفون تحتها اكبر بالجوخ العظيم

صفات اكبر الاكبر الجامعة

كانت ام اكبر فارسية الجنس حتى ثم كان نصفه فارسيا وكان طويل القامة اسمر اللون مشرب بالحمرة صلب الجسم قويا جميل الصورة عريض الصدر طويل الزراعين استمر عشرون سنة في محاربة مع الافغانيين وكان اكبر حازم في محارباته مع الراجابوتيين فكان معدودا عند المسلمين ابن مسلما ولما تزوج من بناتهم وشرب من مشروب ازواجه العقايد الهندية تحزب عليه علماء اكره وفقهاءها فاعد اكبر ووزيره ابو الفضل وليمة كبيرة ودعى فيها كبار العلما في اي يوم من الايام ومن بعد تمام الوليمة عقدوا مجلسا معهم فيه الوزير ابو الفضل على المناظرة مع بعضهم في المسايل والقواعد الفقهية الدينية فاستمروا في مناظراتهم حتى سبوا بعضهم بعضا شتما وقاحة ولعنا امام نفس الامبراطور حتى ثم ضعفت شوكتهم وحذفت قوتهم وجعل اكبر نفسه فصل المفرق في القضايا الشرعية والعقايد الدينية فترحل من مذهب الشيعة واجتهد ان يكون خليفة وشرع في ان يجعل نفسه هو المهدي المنتظر الامام الثاني عشر من الايمة العلوية ونفى العلما المتحزبين المتعصبين الى اسيا الوسطى وابتدأ ان يكون في هيئة براهمي ويعبد على حسب قواعد وديانة نشأة من الراجابوتيين ووزيره ابو الفضل وكان اكبر اميا لا يقرا ولا يكتب فتعلم القراة في اخر عمره وما زال كتابه الى الان محفوظ لحد اليوم من اجل الاستقراب على ما كان فيه اكبر من العمى ويشير على الحصول على كافة معلوماته من وزيره

ابو الفضل وبعض من العلما مختلفى الامة والعقايد الدينية كانوا يحكون له حكايات غريبة ومعلومات
تعليقات عجيبة ويصفقون تحت رجليه ويخافون شر يوم عبوس يأتى من بين يديه وكان اكبر ملكا
محبوبا معظما فى عيون الهنود وكان فى كل يوم سوا كان فى العسكر او فى المدينة يقضى قسما طويلا
من اليوم فى الهوا المكشوف ويظهر نفسه فى كل يوم صباح فى شباك فى مؤخر سرايته او خلف حجرته ويصلى
صلوته ويدفق عليه ارباب الامنيات من اجل السلام عليه ويزدحم السابل بالناس والعوام من
اجل تقديم اعراضات او مدايح او تقديم شكر وثنا واحيانا يتفرج على عرض العسكر والخيل والجمال
والفيلة وعلى الحروب بين الرجال والحيوانات وعلى الخصوص مضاربات الفيلة مع بعضها او مضاربة
رجل ونمر وكان فى كل يوم حضورها عند ما يكون فى اگره او فى واحدة من المداين الاخرى يعقد
مجلس او دربارا من اجل تلقى الملوك او استقبال السفرا الوافدين عليه وكان اشراف وكبار
رعيته يجلسون فى هذا المجلس صفا واحدا على حسب درجات امتيازاتهم ويصرح للعوام بالدخول
مع الحرية ويعقد فى كل ليلة مجلس مخصوص فيه الوزرا والعلما والاشراف ويدعو اليه ناسا اخرين
وكان اكبر مشهورا بالعدل والانصاف ويذكره اهل الهند الى هذه الايام انه كان ملكا رؤفا
رحيما على قومه ورعاياه وكان يقف كل يوم بجانب تخت المرمر وينظر فى الاعراضات والالتماسات
المقدمة له بواسطة وزراه او كتاب يده ويحكم فيها ما يشا على حسب غرضه من دون الحكم بها
الى قانون او شريعة غير معروفة عند الهنود وكان اكبر اول ملك من ملوك الهند ارسل او
دروباويين فى خدمته ومارس دياناتهم ودرسها وتمثل فى ذلك بما كان عليه الخانات الكبيرة
فى مغوراث وسهول تاتارستان لان فى القرن الثالث عشر قبلاى خان حفيد جنكيز خان
اكرم ماركوپولو من اهل فنيسيا من اعمال ايطاليا واظهر له احترامات وتصديقه بالاربعة
انبيا الكبيرة الذين وجدوا فى ارض المسكونة وهم عيسى المسيح اله المسيحيين او النصارى ومحمد
نبى العرب وموسى مشرع العبرانيين وسكيامونى رجل البودهيستيين ودرس اكبر ديانات مختلفة
من هذا القبيل واظهر وزيره ابو الفضل اعتقاده بان عموم الناس وافق منها البحث فى اثبات
وحدانية الحق سبحانه وتعالى سوا كانت الكنايس المسيحية او الجوامع الاسلامية او المعابد
الهندية واذن اكبر الانكليز فى خدمته من تشغيل المدافع وصبها وجعل منهم طوبجية ودعى مرسلى
الكاثوليك من جوا ليدرسوا له الديانة النصرانية واسكنهم فى اگره واجاز لهم بينا كنيسة
وحملهم الصليب فى احتفال شعايرهم الدينية العمومية وتزوج بواحدة من الاوروباويين اسمها
ميرى او مريم وعرفت فيما بعد باسم مولى بيجوم وسرايتها فى فتحپور بالقرب من اگره باقية
الى اليوم ومن المحتمل انه كان على العقايد المسيحية الكاثوليكية الا انه ما امكن ان يتعمد او يظهر
نفسه نصرانيا وكان يدخل فى دين ويخرج منه الى اخر حتى اخترع لنفسه دينا مخالفا للاديان و
الصحيح المعول عليه ان اكبر مات مسلما ولا شبهة فى ذلك واما ما ذكر من دخوله فى العقايد
المغايرة للاسلام فتلك اقوال كاذبة لا صحة لها عندى وزواجه بنصرانية او هندية او بودهية
او سماعه عقايد الديانات المختلفة فهذا شى ما اخرجه عن دين ابايه واجداده والله اعلم بما كان
عليه من حقيقة الدين ولما كان اكبر توجه لفتح احمدناجور عصى عليه ابنه جهانگير وقتل وزيره
ابو الفضل ولما مات اكبر اشتهر الى موته بان ابنه جهانگير دبر له السم وقال جهانگير ان
السبب الذى اوجبه لقتل الوزير ابو الفضل هو تحسينه لابيه الخروج من الاسلام والدخول
فى عقايد الهنود وقال الانكليز الذين كانوا فى خدمته اعظم القول واجله فى حق اكبر فذكروا
انه كان رجلا محبوبا محمودا جوادا كريما رؤفا رحيما على عوام امته زيادة عن ارباب الرتب
والوظيفات ذات عنده واشراف واكابر دولته وانه ولو ما كان يتعاطى اى صنف من المشروبات
فانه سمح للاوروباويين بشربه فى مايدته وقال ان الشراب ضرورى لعموم الاوروباويين مثل الما
للسمك وكان يفصل الامور الصعاب بنفسه وكان سليم القلب صافى النية خالص الطوية وامره
منشورا من عنده بانه لا يجرى عقاب اى مذنب او مجرم الا اذا كان يتصدق منه وقطع دابر
اللصوص والخطافين وقطاع السبل وكان اهل عفو ورحمة ان وجد للعفو او الرحمة محل وكان
لا يصدر امره بقتل القاتل او صاحب الجريمة الا بعد الاعلان ثلاث مرات وكان مغرما بالصيد

بالصيد والالعاب الاخرى وكان يعتزل تعاطيه لحوم الحيوانات وكانت عيشته على الخصوص على الارز
واللبن واصناف الحلوى ولما اخضع اكبر عموم الهند الى شمال جبال وندهيا وثركها فقط بل ورتبها
ونظمها فى صورة مملكة وقسمها الى مديريات وعين فى كل مديرية حاكم او نايب وقلده كامل الحكم
المدنى والعسكرى وكان هذا الحكم منفصلا فى ثلاث طبقات العسكرية والعدلية وجبايتها الايرادات
وجباية الاموال او الايرادات وبسبب عدم حصول ثوران من العسكر او تداخلهم فى حركة استقلال
تشتيت قوادهم ربت عساكر الجيوش تحت قواعد جديدة ورتب للعساكر رواتب شهرية ونزع ايديهم من
الاراضى المسموح بها لقوادهم ولما تم نفوذ مفعول هذا التغيير جلب ارباب الاراضى من الاقطاعات
والالتزامات القديمة تحت ادارة الحكومة فى دلهى عند حركة استقلالية نشأ من قوادهم فى الاقاليم
ورتب طرق الالتزامات فى الاراضى الى انه صارت الملوك الخراجية من الهنود فى درجة واحدة مع
قواد واشراف المغول واما الادارة العدلية فكانت تحت رياسة قاضى قضاة ملقب بلفظ ميرى
عدل فى العاصمة وله قضاة نواب فى المداين المشهورة وعساكر الضبط فى المداين تحت مباشرة
او كتوال تابعيا ايضا واما فى الاقاليم فما كان يوجد عساكر ضبط بل كانت محافظتها محولة على
جباة الايراد وارباب الاراضى وما كان يوجد فى عموم ريف الهند عساكر محافظة على الارواح
والاملاك الى ان اقامت الانكليز شوكتها فى الهند وكان عفر قرى الهنود وراثيا وكان له رجال
مخصوصة به وكان لجباة الاموال والايرادات عساكر مخصوصة لنفسه ينهبون الفلاحين على اسم
وضرب اكبر خراج وايراد مملكته على مقتضى رضى القواعد والعوايد القديمة للهنود وما زالت باقية
لحد الان وامر بمسح الارض وقياس ما فيها من القرى وحصل للحكومة نصيبها من محصولات الارض
وجعل قيمة ثلث المحصول ثم صار تقدير اسعار كل ما خرج من الارض من المحصولات الزراعية
واخذ نصيب الحكومة نقودا وبهذه الطريقة كان جارى تقدير اسعار المحصولات كل سنة فخلص
فلاحين الفلاحين من الضرر والاذى الذى كان يحل بهم سنويا فى السوال عن المحصولات واسعارها
وقص اكبر المارة وجعل العشر على كل محصول يخرج من الارض فكان الايراد الوارد لخزينته من
الخمسة عشرة مديرية بما فيها قابول وراء حدود الافغان وكانديش فى جنوب الهند اربعة عشرة
مليون ليرة سنويا واذا طرحنا من ذلك قابول وكانديش والسند فكان $12\frac{1}{2}$ مليون وفى
سنة ١٨٨٣ بعد الميلاد كان ايراد الارض الانكليزية من هذه المساحة الواسعة فى الهند
الشمالية ٢٠ مليون فقط ولما ضرب اكبر عوايد ورسوما اخرى على الارض بلغ ايراده ثلاثة امثال
ما تاخذه الانكليز الان ثم ان اكبر اوصل الايراد الى ٢٢ مليون بالنسبة لعوايد ورسوم العسكرية
وكانت توجد عوايد ورسوم اخرى وصل منها ايراد اكبر الى ٤٢ مليون ليرة فكان هذا هو
المقدار الكلى لايراد مملكة اكبر وكان من جملة وزرا الهنود عند اكبر راجا طودارمال فكان
وزير ماليته ومباشر جمع وجباية الايرادات والعوايد والرسوم وما زال اسمه مشهورا الى الان
عند فلاحى بنغاله والوزير ابو الفضل كان كاتبا تحريرا وقيل انه كان وزير مالية اكبر وكتب
بيده راجا طودارمال فى مباشرة جمع الخراج ومسح الوزير ابو الفضل اراضى المملكة الهندية وصنف
تصانيف ظريفة تختص بهيئة ديوان سيده ومعيشته واعماله واشغاله اليومية وسماها آئين
اكبرى او مرآة اكبر تحتوى كافة ما حصل فى مدة اكبر والذين سلفوه من الوقايع والحوادث
والاحوال وجارى الانتفاع بهذه التصانيف الى الان ومات الوزير ابو الفضل مقتولا فى سنة
١٥٠٣ باغرا من ابنه سليم ولى العهد وكان موته الداهية الكبرى والمصيبة العظمى على حياة اكبر
والى هنا وقف القلم عما تختص بجلال الدين اكبر وسلطانه وفى هذا القدر الكفاية والله اعلم

جهانگير بن اكبر بن همايون بن بابر بن [illegible] بن ميرانشاه بن تيمورلنك

الفصل السابع

سلطنة جهانكير بن اكبر من سنة ١٦٠٥ الى سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد

وفى ١٠ اكتوبر من سنة ١٦٠٥ بعد الميلاد جلس سليم بن اكبر على تخت ابيه وكان عمره ثمانية
وثلاثين سنة وكانت المملكة فى هذا الوقت مقسومة الى خمسة عشرة صوبة او مديرية وهى اله اباد
واگره واوده واجمير والجوزرات وبهار وبنغاله ودلهى ولاهور وكابول وملتان

وماليوه وبيرار وكاندويش واحمد ناجور وفي كل مديرية حاكم او نايب يعرف باسم صاحب سيلار مستقل الشوكة والقوة الموثرة في الاحكام العسكرية والمدنية ومن ثم كان جباة الاموال والايراد والجيش والعسكرية وعساكر الضبط والمحاكم العدلية جميعها تحت ادارة ومباشرة الحاكم والاعمال جارية حسب نص الاوامر والمنشورات الصادرة من طرف الملك وتلقب جيم في وقت جلوسه على تخت مملكة ابيه باسم جهانگير يعني فاتح الدنيا واصدر منشورا من طرفه بكتابة العنوان المفتخر الحالي على نقود مملكته وذكر اسمه في خطبة الجمعة فكان هذا المنشور اول الاعمال التي اجراها ملكا ولي و كانت صورة عنوان النقود ضرب في اگره بامر خسرو حامي الدنيا ملك الدين المجيد جهانگير بن الامبراطور اكبر ويستدل على مجد هذه الدولة وابهتها التي تحمت الان وانهدمت قواعد اركانها من الطنطنة والابهة الفايقة الحد والتي حصلت في الرسوم والاحتفالات التي وقعت تتويج جهانگير فكانت جواهر التخت الامبراطوري وحدها بقيمة مائة وخمسين مليون من الليرات ومقدار وزن الذهب الداخل في تشغيله اربعة طولونات كل طولونا نه في الوزن اربعة قناطير عربية يعني انه كان فيه ستة عشر قنطارا من الذهب وتقل ارجله وجسمه سبعة قناطير انكليزي وان كل قنطار مائة واثني عشر رطل مصري جميعه من العنبر او الند وكان حكمه فكه وتركيبه قطعة قطعة مع ما كان عليه من الجواهر والصفايح ونقله لاي جهة كانت وبوجوده في الجهة كانت تنبعث منه روايح العنبر الزكية وكان لا يحتاج الامر لتعطير ولا تبخير وكان التاج وكلل باللآلئ ويواقيت قيمتها اثنين مليون وسبعين الف ليره والساحة الدايرة بالتخت مفروشة بالسندس العالي القدر العظيم والبسط المحبكة المنقوشة بالذهب وموضوع حيا خرمن الذهب والفضة في نقط مختلفة تحرق فيها اصناف العقاقير العطرية واحسنها في البخور وثلاثة الاف شمع مشغولة من الكافور طول كل واحدة ثلاثة اذرع موضوعة في شمعدانات من الذهب راكبة فوق فروع واغصان من الذهب معطرة بالعنبر تضيأ في المحل من اول الليل الى اخره وعدة من الشبان الاقمار ارباب الحسن والجمال لابسين اجل الملابس المفتخرة الغالية الثمينة من الحرير المخيش بالذهب ومنطقين بمناطق مرصعة بالجواهر ومعممين باجيجة يتحول منها النور من كثرة ما فيها من الالماس والياقوت الاحمر والازرق والزمرد واقفون على حسب مراتبهم وجمالهم وهيئتهم منتظرون ما يفعلون حسب ما يؤمرون وكافة امرآ المملكة من ابتدآ فايد اربعماية حصان الى حد فايد خمسة الاف حصان مسفورون من رؤسهم الى اقدامهم بالذهب والجواهر ومصفوفون صفوفا حول التخت منتظرون ما يفعلون حسب ما يؤمرون كل ذلك كان هو الهيئة الجليلة الامبراطورية التي ما كان يوازيها ولا يقاربها حالة ملك من الملوك في مدة سلطنة اكبر وفي وقت احتفال تتويج ابنه جهانگير ومن جملة الاوامر الصحيحة التي نشرها جهانگير في ابتدآ سلطنته هو انه اصدر امرا قاطعا بابطال تشغيل العرقي او بيعه او اي مادة من مواد المشروبات المسكرة وقال انا شرعت في سن هذا القانون ولو ان المشهور عني اني من المدمنين على شرب الشراب والمسكرات من ابتدآ ما بلغت سن ستة عشرة سنة الى ان بلغت هذه الدرجة فاني كنت احتال الى كنت على الدوام في جمعية شبان ذوات عقل واحد استنشق هوآ الاقاليم الجميلة فيها دواوين ومحلات جميلة مفتخرة كل جهة منها مزخرفة بالنقوش الملونة الذي يسر ويبهج كل ناظر اليها واجلس مفروشة بالبسط الغالية المشغولة من الحرير المحبكة بالذهب والفضة ومع الكرم والعقل في مثل هذه المحلات الجميلة وجمعيات الشباب الظريفة عدم قبول تعاطي الاشربة المتولد منها الفرح والسرور فاي شراب منعش مجلب للفرح والابتهاج الطبيعية يفوق عصير الكروم ومع هذا فانه بالنسبة للمواد الصحية يلزمنا ان نعرف ان تجاوز الحد في هذه المشروبات تجعل المرء عرضة للضعف والسقم ويبعد عنه قوته وعزمه ومقصده وتضر بكافة حواس الجسم والقوى المحركة له واما من جهة نفسي فانه لا يمكني الان ان اعرف ان مثل هذا التجاوز والافراط الذي حصل في نفسي عن الوزن كان فيه حتى سمحت لي عاداتي اليومية الى ان وصلت لان اشرب كل يوم عشرون كارافة (الكارافة معيار انكليزي للسوايل مقداره ربع غالون والغالون ١٤٤٠ درهم مصري فالربع

فالربع ٣٦٠ × ٢٠ = ٧٢٠٠ درهم = ١٨ اوقة بحساب كل اوقة ٤٠٠ درهم) وبهذه الحالة ان فضلت ساعة واحدة من دون شراب ابتدات يداي في الارتعاش ووجدت في نفسي عدم الراحة لم يحصل لي منه الضرر والاذى فشرعت في ان اقلل منه شيا فشيا حتى بلغت في اليوم الواحد الى خمسة كارطات اي الربع وفي الواقع فانه من بعد جلوسه على التخت وصار من الضروري له توجيه التفاتاته الى اعمال المملكة وادارتها ما زاد عن خمسة كاسات في مشروبه ثم تركه بالكلية مثل ما كان جده همايون بتجنب هذا الشراب واما اموال السلطنة وذخايرها التي احصيت من بعد موت اكبر فكانت شيا فوق العادة وقال جهانگير ان الجواهر والذخاير التي جمعها ابوه من اموال وامتعة مفتخرة ما استحوذ على عشرها تيمور فاتح الدنيا وخاضع امرها الذي ما كان يفتح في حروبه ولا يغلب في حركاته ولما رغب جهانگير حصر الاموال والذخاير الموجودة في خزاين اگره كان موجود اربعماية ميزان مشغولة بوزن الذهب والجواهر ليلا ونهارا ومن بعد مضي خمسة شهور ما حصل الختام في عملية الوزن وما انتهى هذا الشغل ودواعي الاسباب غير معلومة ثم ان احد المصنفين ذكر مقدار قيمة الكنوز جميعها من الذهب والفضة والاحجار الكريمة والنقود والاستحضارات الاخرى التي وجدت في خزاين اكبر عقب موته ودون حقاديرا ثمانها وقال انه كان موجود تمالي جعاب مملوئة من جواهر وسبايك واحجار كريمة قيمتها لا تحصى ولا تحصر وكان موجود من النقود التي ضربها اكبر في مدة سلطنته وكانت معروفة باسم روبية اكبر ما قيمته ١٩٩٬١٧٣٬٣٣٣ كراون قيمة الكراون الواحد خمسة شلنات = ٥٠٬٠٠٠٬٠٠٠ ليرا استرلينية ومن الجواهر ما قيمته = ٩٥٠٢٣٧٠ ٣٠٬٠٢٦٬٠٢٦ كراون ومن تماثيل الذهب من كافة المخلوقات المختلفة ما قيمته = ٥٨٦٦٨٩٥ كراون ومن صحاف الذهب والاواني والكاسات والامتعة البيتية ما قيمته = ١٢٥٥ ٨٧٣ كراون ومن الاواني الصيني الغرفوري وغيره من اصناف الفخار ما قيمته = ١٢٥٥ ٨٧٣ كراون ومن السندس واصناف الاقمشة المحبكة بالذهب والفضة والشاشات الرفيعة المنقوشة ما قيمته = ٧٦٥٤٩٨٩ كراون ومن الخيام والستاير والابسطة والمفروشات ما قيمته = ٤٩٦٢٧٢٢ كراون واربعة وعشرين الف نسخة من الكتب مخطوطة الخط والتجليد قيمتها ٣٢٣١٨٦٥ كراون ومدافع وذخاير قيمتها ٤٢٨٧٩٨٥ كراون واسلحة صغيرة وسيوف وحقوات ودروع ومزاريق وطوارق وقسي ونبال قيمتها ٢٧٧٧٧٥٢ كراون وسروج والجم واشيا اخرى من الوان حربية من ذهب وفضة قيمتها ١٢٦٢٨٢٤ كراون واقمشة من الصوف قيمتها ٢٥١٦٢٦ كراون واواني من النحاس والتونج قيمتها ٢١٦٢٥ كراون ومجموع هذا الكل من النقود ٢٧٤١١٣٧٩٣ كراون = ٦٨٥٢٨٤٤٨ ليره استرلينية

ثم ان الكينونة والحيل الذي كان جهانگير عرفانا في بحره في مدة حياة ابيه والجرايم التي اكتسبها ما وصل منها ادى تشجيع يغريه على عمل الاجراآت اللازم عليه اجراها في وقت اصعاده الى تخت المملكة وكان اول شي اجراه ولو انه من المواد الواجبة عليه فكان فقط وطلبا للمدح وحب الثنا وذلك انه مد سلسلة الى شرافات برج سراية وسماها سلسلة العدل وكانت مصنوعة من الذهب وارخى هذه السلسلة في قاعة جلوسه ومدها الى مسافة معلومة في طول ضفة نهر جومنا وعلق فيها ثمانون جرسا صغيرة بقصد انه لو حصل لاي واحد اذى او مظلمة او عدم عدل ما فانه يجب الامر حتى ان المظلوم بهز السلسلة فتضرب اجراسها وتصل مظلمة المظلوم في الحال الى مليكه وفضل بعض العوايد والضرايب التثقيلية التي كانت مضروبة على فقرا رعاياه وحفظ الاملاك والارواح واعاد عمار الاقاليم والجهات التي كانت تخربت من الحروب والوقايع وامن الطرق والمسالك للذاهب والاتي والسفر وحمى التجار وحفظ التجارة مما كان يحصل لهم من الارجاف والفزع في وقت فتح طرود بضايعهم وتجاراتهم من دون رضا منهم ومنع اقامة العسكر وسكناهم في وسط الاهالي ومنع حكم التشويه لاي امر مما كانت جريمته من قطع الانف والاذان ومنع الكبار والوجوه من التعدي الذي كان حاصلا منهم على اراضي العامة او من مجاوزة ادارتهم واحكامهم خلف حدود املاكهم و مزارعاتهم ورتب دور الشفا ومحلات العلاجات وكل ما يلزم للمرضى والمبتليين على المصاريف العمومية واصدر منشورا اثبت فيه لاهل الشرف وارباب الاقطاعات ما كانوا فيه في مدة سلطنة

٤٢٦

ابيه من التشنع في مدة حياته ورفع رتب الضباط والحكام درجة واحدة واصدر عفوا عموميا
واخرج عن الكثير من المسجونين وكان يوجد في داخل حدود الهندوستان لا اقل من اثنين
واربعماية قلعة مشهورة في الرسم والتحصين وكان من جملة هذه القلاع قلعة جاليور فكان فيها
سبعة الاف مسجون جميعهم حصلوا الافراج عنهم ومع انه كان مشتغلا بهذه المسائل في الادارة الداخلية
فانه حط همته وشهرته في الفتح ما انطفيت وورث من ابيه ميل وصبوة لتوسعة مملكته وكان مثل
ابوه مشغوفا دايما ابدا بحب رعود وفتح ممالك اجداده وامعن نظره وتامل في امره وحيثما كانت
عليه مقاصد ابوه اكبر من تمام فتح الدكهن غير انه منعه عن ذلك كثرة الاعمال التي تقدم ذكرها
وكانت المملكة في استتباب امن من ابتداء الجهة الشمالية من نهر نربوداه الى الاوان اشتغالات في
مقابلة ما كان اكبر تمم اخادها والقسم الباقي على استقلاله من مملكة احمد ناجور اخذ في زيادة
القوة والصلابة كل يوم وفي استعدادات من اجل عود الباقي من المملكة دعى حتى الاسباب التي
اوجبت عدم توجهه لفتوحات في الوقت حركة كانت عنده قوية هي انه مع عدم السياسة والحزم
تركه مملكته من دون وجود عسكر كثير تحت ادارة اي واحد من اولاده وفي هذا الوقت ولوانه
كان مظهر الشفقة والميل لابنه خسرو الاول فيه كان مملوءا حقدا بالغيرة والحقد وما كان حصل
تطبيق في هذه الارواح سوى العداوة التي كان خامرها في مدة حياة ابيه وتولدت منها الزام
امام البرنس الشاب على قتل نفسه بنفسه من بعد ان ادعى في مدة مرض ابيه مرض الموت على بطلانه
ثم انه شرع في فتح الدكهن وتممه ولما تم له ذلك خطر في باله ان يوجه عساكره المنصورة نحو سمرقند
لانه كان وصل في هذا الاقليم بعض بتبديلات الزمنة على توجيه التفاتاته اليه ثم تراى له
ان مداومة الحرب مع ارانا صاحب اودايبور من اهم الامور فسرح نحوه جيشا تحت قيادة ابنه
الاصغر برويز ومعه اجل الضباط المعتمد في امور عليهم ذوي التجارب والدراية بالحرب و
حركته ثم انه بمجرد وصول برويز لميدان العمل ومع اجراءه شيئا مع ارانا دعاه ابوه مع
جيشه بسبب ما وقع من عصاوة اخوه الاكبر خسرو ولوان هذا البرنس كان تحت المراقبة والمحافظة
الا انه كان في مخابرة مع اتباعه والمقربين منه وكان خاله احد اقوياء الرجال الاشراف في
المملكة حاكم بنغاله ووصل في السلطنة البالغة امر ابن اخته مع الشدة والعنف وفي شهر مارث
سنة ١٦٠٦ بعد الميلاد قام جهانكير في منتصف الليل من نومه على حين غفلة واخبر بان ابنه خسرو
هرب نحو دلهي قاصدا التوجه الى بانجاب وارسل على الفور فايده المقدم عنده المعروف باسم امير الامراء
مع تعليمات امره باجرائها في كونه يلقي هذه المارة على اثرها فخاب في اجرا التعليمات التي عهدت
اجراها عليه لانه ما كان له تحت يد شوكة الملك لا ولد ولا قريب فكان هذا الرجل الغريب الذي
نفسه في حفظ مصالح الملك احسن من الف ابن او قريب وارسل وراء هذا المقدم كافة العساكر التي امكن
جمعها ونظمها وامر وزراءه بارسال الاوامر والاخبار اللازمة الى الامراء الموجودين في الحدود
مع اجل حضورهم في الحال وانضمامهم الى العساكر الملوكية وكان خسرو عند هروبه التقى بفرسان نحو ثمانية الاف
من الخيالة على طريق دلهي فانضموا معه واسرع الى دلهي وفي وقت ما وصل بانجاب كانت قوته بلغت
ثلاثون الف حصان ونهب اتباعه الاقاليم والجهات التي مروا منها والتي كانت طريق سيرهم وافقد
جيشه وسار ابوه خلفه من هذه الطريق في رأس ما ينوف عن عشرة الاف من العساكر راكبة فوق
ظهور الخيول واسرعها في حركة السير وعلى الهجن من الاسطبلات الملوكية وفي هذه السفرة حدث
للملك عن نادرة غريبة وقعت له فقال اني ركبت فرسي وما سرت بعيدا في مشيتي حتى جاءني رجل
ماله معرفة ابدا بشخصي فسألته عن اسمه فقال اسمي مراد خانجاه يعني مراد السعيد الله بخ
اعمالك فقلت في نفسي سابلغ ما اريد ثم سرت قليلا حتى وصلت قبر الامبراطور بابر رجلا اخر
سيف امامه حمار محمل فوق ظهره حطب وفي وحامل فوق ظهره حزمة من الحطب الكثير فقلت له
ايضا ما اسمك فقال لي مع غاية الانشراح اسمي دولت السعيد فالتفت الى خدمي وحشمي وقلت لهم
اي تفاؤل وشيء بجيع يكون لنا لو قابلنا شخص ثالث اسمه سعادة السعيد وكان من اغرب الاشياء
انه لما سرت كثيرا صادفت صبيا صغيرا على شط غدير يرعى بقرة له فجاوزت وسألته
عن اسمه فقال اسمي سعادة السعد فوقع اللغط الكبير بين اتباعي واستشعرت في نفسي بالامن
والطمانينة وعرفت من هذا الوقت ان اعمال حكومتي واشغالها تكون محصورة في تلك السعادات

عصاوة خسرو على ابيه

٤٢٧

السعادات الثلاثة وسميتها ثلاث فالاوت السعادة واستحوذ خسرو على مدينة لاهور وقبض بيده
على زمامها وفي وقت اشتغاله بحصار قلعتها وردت اليه الاخبار بقرب ابوه منه ووصلت مقدمة جهانكير
الى لاهور فحمل عليها العصاة تحت قيادة اربعة من القواد المشهورة الموجودة مع خسرو فكانت عساكر
الملك هم المنصورون ووقع في ايديهم اثنان من قواد العصاة والقواسير فامر الملك بعقابهم عقابا
مختلفا فمنهم من شنق ومنهم من وضعت فوق رقابهم نافات واخرين القوا في النهر وما بقي صار ربطهم
تحت ارجل الفيلة فطحنتهم بارجلها وخراطيمها فاوهن خسرو وقوته وما فرغوا من هذه الهزيمة و
استعدوا في الليل مع ١٢٠٠٠ حصان من اجل الهجوم على معسكر الملك ولما تم تركوا حصار لاهور فوصلت
الاخبار الى جهانكير من سلطانبور فامر عسكره للهجوم واسرع مع جيشه المؤلف من عشرة الاف حصان
لميدان الواقعة ولما وصل الى جوندوال ورد اليه امداد مؤلف من عشرين الف حصان وخمسين
الف هجان ومعهم الاسلحة والبنادق فارسلهم جميعا لمساعدة الشيخ فريد القايد المعهود اليه حركة الواقعة
وابتداء عساكر الملك في الحملة قال جهانكير ان جيش ابنه خسرو بلغ في ذلك اليوم ما ينيف الف مقاتل قتل
منهم في ميدان الواقعة ثلاثون الفا وما بقي هرب مع شدة الخوف والرعب واما خسرو فانه ترجل من
فوق ظهر حصانه ودخل في زريبة قاصدا الالتجاء فيها والنجاة بنفسه في مدة التعقيب فاحاطت به عساكر
الملك فسلم نفسه وانتهت هذه الواقعة الفاصلة وقيل ان خسرو لما انهزم وتبدد جيشه ذهب هاربا
على وجهه نحو قابول فنزل في قارب لمعدية نهر هيداسب (شناب) فوقع القبض عليه وجيء في السلاسل
امام ابيه وعلى اي حالة كانت فانه وقع القبض عليه في نفس ليلة الواقعة وارسل في هذه الليلة امام
ابوه وكان مشعورا في نفسه بمخافة احتمال حصول النصر لمن منهما ودخل جهانكير متوجا بتاج النصر
في مدينة لاهور وذكر جهانكير في تذكاره ان خزينة خسرو وكان فيها ما ينوف عن ثمانية عشر مليونا
من الليرات وقعت في يد واحد وما وقع له على اثر من بعدها ثم وضع خسرو تحت المحافظة الشديدة
وصار توقيع العقاب الشديد على اتباعه وكل من كان دخل معه في هذه الثورة قال جهانكير اني جلست
في خيمتي وامرت بنصب عدة من خوازيق حادة في فرش النهر وامرت في الحال بصلب السبعماية
نفس الى يتيني الذين قاموا مع خسرو مقاومين حكومتي فتولد من خوف هذا العقاب الذي لا مثيل
له ولا نظير صد ومنع ثورات اخرى صغيرة بماثلها كانت على شرف القيام ومن بعد مضي سنة تقريبا
من هذه الوقايع عاد جهانكير الى اكره واما البرنس برويز الذي كان ابوه طلبه من اودايبور
فانه ما وجد لنفسه وقتا في الوصول الى اكره وكان طلبه من اجل تقليده زمام الحكومة في اكره في مدة
غياب ابيه من قبل اخماد الثورة وصدر له امر ابوه بالتوجه الى لاهور ثم ان جاغيردارات اقاليم
قراه وسيستان اجتمعوا تحت قيادة حاكم لاهور من طرف شاه عباس ملك فارس ظنا انه بموت
اكبر وعصاوة خسرو على ابيه انتهزوا فرصة لهم ووضعوا الحصار على قلعة قندهار فقاومتهم
هذه القلعة مع القوة والشجاعة الى ان التزموا على ترك هذا المشروع وتنازل ملكهم عنه وعفى عما كان عزم
عليه ثم قامت ثورة في ناجور فاخمدت وطفئت شرارة نارها ووضعت عساكر للمحافظة في اجمير
وخضع بخلاف وكان في عصاوة سنتها وقابله جهانكير بالمعروف والاحسان وفي سنة ١٦٠٦ بعد
الميلاد دار الامبراطور دورة صيد في بانجاب وترك خسرو في لاهور تحت محافظة اكبر معتمديه وهو
امير الامراء ويعرف باسم عاصف خان واعلن جهانكير في هذه السنة ان ابنه الصغير خرم ولي عهده
والوارث لتخته وامر باعتاق وتصديقه على عدم النهب ورفض الامتيازات وفي سنة ١٦٠٧ قامت ثورة
من الافغانيين ودعت حضور الامبراطور جهانكير في قابول فارسل وهو في قابول لابنه سلطان خسرو
واظهر له بعض الراحة والشفقة وحنان الاب لابنه فحصل الضغط على هذه الشفقة من الكشف على
ثورة كان القصد منها خلاص خسرو وقتل الملك ابيه ولما عاد جهانكير الانتظام في قابول وجيوشه
من بعدها على الجزرات والدكهن وكانت حاز الف الثورات ملتهبة بنارها فيها فعاد من قابول
ووصل الى اكره ثم سار منها دلهي وكان ارسل محبت خان الى راجا اودايبور وخان خانان في قيادة
جيشه الى الدكهن فحصل في حملتين الى اللتين نجاح من واحد منهما فوضع بدل محبت خان واحد اخر
اسمه عبد الله خان وبدل خان خانان عين سلطان برويز ومن قبل وصوله الى ميدان الحرب بقليل
انتصر عبد الله خان نصرة عظيمة على رانا اودايبور وحصره في مضايق الجبال وفي ظرف هذه المدة
قام رجل اسمه كثاب الدين كذاب دلي الاصل زعم انه السلطان خسرو وانه نجى بنفسه سالما من السجن

هزيمة خسرو والقبض عليه

٤٢٨

نورجهان

وجمع لنفسه اتباعا واصحابا الى ان صار له طاقة على ضبط مدينة پتنه وهي واقعة على شواطى نهر گنج
فاطر بنفسه جنها وقاوم مقاومة لطبالية ثم هرب فانبعه العساكر الامبراطورية حتى دخل في مدينة
پتنه فاوجد لنفسه وقت في غلق ابوابها عليه ووقع في يد افضل خان فقتله شر قتلة واما الحرب في
الدكهن فكانت العساكر الامبراطورية لاقت فيها اشد الاهوال والمصائب بسبب انه كان يشق امرها وتحمل
الاحمال في ايصال المون والذخاير اللازمة لها فصار هذا الجيش عرضة لاهوال الجوع والقحط وكانت عاصمة
المملكة وهي مدينة احمدناجور تغلب عليها الجيش المغول وكانت في ايدي الاحباشيين من عهد سقوطها في يدي اكبر
فانعقد صلح على غير شرط وشرف والتزم الجيش على القهقرة في غاية من الغضب مع فايده فطلب الامراء للديوان
في اگره وقوبل بابرد الملتقا بلاشك

وفي سنة ١٦١١ صارت كابول ايضا ميدانا للعصاوة بهولة صار رياسة شخص اسمه احمداد رجل افغاني
وحزم عزما قويا كان لا تاثير فيه وهجم على المدينة حصد عزمها مع اتباعه فقتلوا اسرا ثم ان اكبر الحوادث التي
وقعت في سلطنة جهانگير في هذه السنة اي السادسة من سلطنته وعدها المورخون من اكبر الحوادث
والوقايع وكانت سببا في حصول الوقايع المستقبلة هي زواجه مع نورجهان اي مصباح الدنيا وكانت
جنية تاتارية ولدت في صحارى تاتارستان ابوها فقير الحال ولو انها من اشراف الناس وكانت
جلبت الى دلهي فنشبت وترعرعت فيها وكانت اجمل نساء عصرها في الهند ولقبت مهر النسا يعني شمس
النسا ثم لقبت نورجهان واحيانا نورمحل وكان الامبراطور جهانگير راها من قبل جلوسه على التخت
وشغف بحبها واندهل من جمالها وتبادلت المحبة والعشق بين الاثنين غير انها كانت خطبت لرجل
اسمه شير افگون وكان بطلا شجاعا فارسا حتى ان جهانگير ما تجاسر على قتله جهرة بل راى في نفسه انه
يلزم اخذ الاجرآت الفعالة في قتله وكان شير مشهورا بين التركمان بشجاعته فتزوجها وكان اكبر
ابو جهانگير ما رغب زواج ابنه بها فلما جلس جهانگير على التخت كشف ما في قلبه من العشق والهيام
والميل في محبة نورجهان ثم دبر على قتل شير بطريق الحيل والخيانة فاخترع له حيلة ان شيكه في مصارعة
مع فيل فقتل الفيل ثم في مصارعة مع نمر فقتل النمر وكان الملك رغب قتله بواحد من هذين الحيوانين
فخلص شير منهما بقوته وشجاعته ثم تكلف بقتله رجل من وجوه جهانگير اسمه كتاب الدين كان اصعده
الملك الى وظيفة عالية وهي صوبادار او نايب بنغالة على شرط خلاص سيده الملك من شير
فقتل شير اكثر من اربعين نفس كانوا ارادوا قتله في شان هذه المادة وقتل ايضا كتاب الدين الذي
اعداه وهو راكب على فيل وكان معه عدة من المشهورين ثم غلب على امره وقتل من كثرة ضربه با
لنبال والرماح فلما بلغ نورجهان قتل زوجها بغتة وارادت قتل نفسها من بعده تخابث في قتل
نفسها بواسطة الامبراطور عاشقها وما ثم لبثت اربع سنوات متروكة في ركن من اركان السراي
لا يراها الامبراطور واخيرا دبرت له الحيل في اشتعال نيران محبته لها وسحرته بجميع ضروبها وجمالها
الى ان صارت زوجته وكان جمالها لا يعادله جمال وعقلها وتدبيرها وذكاها في اعلا درجات
الكمال وقيل انها اسرته وسحرته وقبضت على زمام الامور بيدها وبذوقها وحسن تدبيرها ذاع
ابهة الديوان جاهو وقللت المصاريف بحسن ادارتها وفي مدة قليلة صار ابوها وزير اول المملكة
واخوها امين السراية الامبراطورية يعني مدير ادارة سراية الملك وتخولت اليها كافة اشغال المملكة
واعمالها وكانت تجلس خلف ستارة من الشبكة وكافة الامور والوجوه يقدمون لها الطاعة وفرت
النقود باسمها وصارت هي الحاكمة الامرة الناهية في المملكة وتجاوزت سلطتها ونفوذ كلمتها
شوكة نفس الامبراطور

وفي سنة ١٦١٢ انهزم افغان بنغالة شر هزيمة وخسروا قايدهم عثمان شاه وكان هذا الرئيس
من عهد سنين مضت العدو المثير للارتباكات والقلاقل وبموته خضعت اتباعه والذين كانوا
داخلين في حزبه وفي هذا الوقت عقدت معاهدة مع البرتغاليين دعا سفير البرتقال ومع عدة
من الغرايب التي امكنه الحصول عليها من جملتها عدة طيور عجيبة وحيوانات غريبة وديك تركي فال
جهانگير انه طير عمره ما راه ابدا كل هذه جلبها سفير البرتقال من مملكته هدية الى الامبراطور سلطان
الهند عن عوده من لسبون الى اگره ثم نتولد من تاخير الوقايع الحربية في الدكهن وطولها ان
الا عزم جهانگير على تصميم سعي قوي واجتهاد عمل كبير لاجل معرفة حالة الاعمال اللازمة الكائنة

٤٢٩

ملك عنبر

الى ان انتكرار الوقايع قبل ذلك معظمها بعدة سنوات وكان من بعد تغلب الامبراطور اكبر على مملكة احمد
ناجور ومن شدة سلطانه اسس الحبشي مالك عنبر الذي كان اشتهر بشجاعته في حرفة صفوف
جيش المغول الذي كان محاصرا احمدناجور في طلبه مدة شدة سلطان حسب ما سبق ذكره ومدينة
مدينة في موضع مدينة اورنگ اباد الحالية وبواسطة ما اجراه من المشروعات وحظ طالع سعد نظام
... واثبت لنفسه انه رجل له طاقة وقدرة تامة على الادارة المالية ومن رجالها كما اشتهر عنه لحد الان
في الدكهن وهزم مالك عنبر جيوش المغول عدة مرات واعاد احمدناجور والتزم خان خانان على
القهقرة في مدينة برهانپور وبسبب ما حصل من الخيبة لخان خانان نصب بدله في قيادة الجيش خانجهان
وصدر الامر الى عبدالله خان نايب الجوزرات بالدخول في الدكهن من جهة اقليم الجوزرات وزحف
سلطانه پرويز وخانه جهان لودي حتى بعد ان صار تفويضها براجا مان سنها مع كانديش وبرار
ولو ان هذه الاعمال العسكرية كانت على راي صائبة وتقسيم محكم الا انها خابت جميعها بسبب ما وقع
من عبدالله خان من الطياشة وسوء الحزم والراي وهو انه زحف من قبل اوان الوقت المحدود في
وصول الجيوش الاخرى اللازم اشتراكهم معه في الحرب فما اهل بعدوه الماكن الغادر وما غفل عن هذا الخطأ
وكان قرب المبين المتحيز عليها الاور وباويون جعلت له قوة وقدرة على ان يكون عمده حظ كاف من
الافواه النارية وبواسطة صار له ايضا ماوى يمكنه جمع عساكره فيه ولمها من بعد شتاتها لو حصل
له تقهقر او هزيمة فلما زحف عبدالله خان من قبل اوان الوقت اجرا مالك عنبر اجرآته العسكرية من قطع
خط رجعة عدوه ووصول المون اليه وبذل جهده في حط عساكره في مدة حركة سيرهم وبهذه الاعمال
ما وجد لنفسه فرصة في اجرا واقعة مع عبدالله خان ورحل الخوف والوجل في قلوب عساكر المغول والت
جالتهم الى الضيق واجبروا على العزم على الرجعة فحث عبدالله خان الكثير من عسكره وشجعهم حتى
وصل في رجعته الى جبال داور ما نات بجلونه ومنها الى الجوزرات من حصول ضرر له وفي اثنا
رجعته زحف رفقاه فتولد من الخيبة التي حلت بالجيش المعتدين علىهم عدم ثقة لهم مع بتبعيتهم
مع بعضهم وما حصل له من المضرات حينئذ ان صار عندهم من الحزم والعقل ترك الحرب والرجعة
الى مدينة برهانپور لكن حالة جهانگير كانت سعيدة في جهة اخرى وهو انه كان ارسل ابنه سلطان
خرم في قيادة جيش ضد الرانا صاحب اوداپور فنجز وصول خرم الى المحل الذي تعين له سار
في حركة موثرة واعمال ماهرة بارعة وسرح من جيشه فرق جاست وجاست في الاقاليم الخصبة ودرج
وطردت امامها عساكر الرانا المنهزمة الى الجبال واعيانه الرانا وذله حتى انه تدارك امر تفريع الرجعة
في عقد الصلح فسمح له ابن الامبراطور بذلك وفي الوقت الذي فيه الرانا امير سرها ادى فيه رسوم
الاحترام بحالة اعظم واكبر حتى ان الحالة التي كان اداها لجده اكبر مسكه سلطان خرم بيديه الاثنتين
ورفعه من الارض واحتضنه واجلسه معه في محارته وداراه طويلة واعاد اليه كافة الاراضي التي كانت
اغتصبت منه في مدة الستين سنوات الاخيرة وكافة المنافع والمزايا التي تولدت من هذا الفتح ذكرها
جهانگير في مذكراته فقال ان الله من الاتفاق ان احتفى في حوزه عالي وتوالي اجدادي الجهات اليانعة
الزاهرة من الارض ومن جملة المداين التي دخلت في حوزة مملكتي مدينة پتنه المشهورة بشغل قماش
المحيك بالذهب الذي لا يعادله مثيل في عموم الهند وكذا التنازل عن مدينة احمدناجور واقليم
خانديس الذي حضرته نشر الناظر ونزوف الخاطر وجودة مناخ لا يعادلها مناخ واقليم بيرار
الذي يحيط دايره شهر سفر الغامض بالاهل والعمران الذي لا يماثله اقليم في الهند كل هذه انتقلت
الى ادارة سلطتي مع طقم من الفيلة مولف من اربعماية فيل من اكبر الفيلة واقواها واضخمها وهذه
تقدمت الي مع رحوت ورعيات واجراس من الذهب واستقبل جهانگير مظفرات ابنه العزيز بالسرور
والمحبة ونظر اليه من هذا الوقت بنظر انه الخليفة من بعده على التخت وكانت امالة تمكن حصولها في
هذه الامارة وكان زوجه من قبل ابنة اخو نورمحل وتلقب بلقب شاه وصار هذا اللقب علما
عليه في عموم ذكره في المستقبل وكان تمام هذه الوقايع في سنة ١٦١٤ بعد الميلاد وفي السنة
التالية انضمت جوركا الى المملكة المغولية واما البرتغاليين فانهم كانوا اخترقوا المعاهدة الذين
كانوا عقدوها حديثا بكونهم قبضوا على بعض مراكب تجارية بالقرب من مينا سورت واسروا عدة
من المسلمين وسعوا في التغلب على قلعة سورت فضدهم الانكليز صدا عنيفا وكان الانكليز متوطنين

تحت هذه الحماية تحت حماية الامبراطور وكان تاريخ عقد المعاهدة البرتغالية في سنة ١٦١٣ وعرف الانكليز بتيران مدافعهم عدة مراكب وسفن للبرتغاليين واتلفوا بهم الاصابة هولاء الشريرة حتى اجبروا على الهزيمة وزعم البرتغاليين ان الانكليز هم اول من اعتدى بالعداوة والمنافسة
ثم ان سلطنة جهانگير اشتهرت وامتازت عن غيرها بوصول مبعوثين الى ديوانه من طرف الحكومة الانكليزية وكان ذلك في عهد سلطنته ويمكن لنا ان ندرج ما قالوه في خصوص ديوان جهانگير على الوجه الاتي وهو انه في سنة ١٦٠٧ بعد الميلاد ارسلت الشركة الانكليزية القبطان وليم هوكنس مع القبطان كيلينگ لاجرا رحلة فتح علاقات تجارية مع الهند وعلى الخصوص مع ممالك المغل الاكبر الى الامبراطور المغولي في الهندوستان فانفصل هوكنس من كيلينگ في جزيرة سوقطره ووصل في مدينة سورت في ٢٤ اوغسطس سنة ١٦٠٨ وانتظر امر الحاكم فورد اليه خبر بانه لا يوجد تصريح يرخص له بنزول بضايعه ما لم يكن بمخابرة مع مقرب خان نايب الحكومة وكان مقرب خان مقيما في كامبايا فارسل هوكنس بلاغا الى النايب في كامباية وعن شدة الامطار وانتفاخ مياه الانهر وفيضانها ما وصل اليه الجواب الا من بعد مضي عشرين يوما وفي ظرف هذه المدة صدرت اوامر الحاكم مرخصا فيها بنزول البضايع والبيع والشرا في هذه السفرة ثم وردت اوامر اخرى بعدم انشاء محل تشغيل وبيت تجارة مهما كانت حالته ولا تشييد محلات سكن دوامية ما لم تكن باوامر مخصوصة من الامبراطور وهذه الاوامر يمكن تيسر الحصول عليها بالذهاب الى ديوان اكره البعيد عن مدينة سورت بسفر شهرين لا اقل ثم انه بمجرد نزول البضايع الانكليزية وتخزينها حصل عند تجار الاهالي ضيق شديد واجتمعوا سوية وتداولوا في امر نتايج المؤثرات المضرة بحالة تجارتهم من هذا العدو الجديد وشرعوا في امرهم بجوزويت البرتغاليين وكانت سياسة هولاء الجزويت المدنية والدينية وغاية مساعيهم واجتهاداتهم دمار الامة الانكليزية وخرابها ثم انه في يوم من الايام وردت الاخبار المكدرة الى هوكنس بانه قاربين من قواربه في اثنا سيرها بين السفن وقع القبض عليهما البرتغاليين فارسل هوكنس رسولا الى القايد البرتغالي يخبره بما وقع من هذه الوقاحة وقلة الادب فما حصل عند القايد البرتغالي ادنى احساس ولا هزة في حصول هذه المادة بل وخاطب الرسول خطابا جنبيا يزري بملك انكلتره وقال انه ملك صياد الاسماك وانه سيد جزيرة حقيرة صغيرة فقابل هوكنس واحد من ضباط البرتغاليين واخبره بما حصل من هذا السفه وقلة الادب فاجابه الضابط البرتغالي بقوله ان هذه بحار تابعة لملك البرتغال ولا يمكن لواحد من الناس التجارة فيها ما دون رخصة منه فقال له القبطان الانكليزي ارسل الى سيدك واطلب له هذه الرخصة فقام بينهما الغضب واشتد النفور والحنق الى ان وصلت الحالة بينهما على شرف المحاربة وفي اثنا هذه المدة كانت القوارب مع حمايلها وبحريتها ارسلت الى جوواه فبدل ان ينتظر القبطان الانكليزي امل في تمام اغراضه من حكومات الهند وجد سببا يعتمد عليه في انه لو داوم على هذا الشان حد في اشغاله فان عدوه يكون له طاقة على جمع سفنه شيا فشيا وتكون عاقبة الحال وخيمة عليه وعلى سفنه ووقف البرتغال يعلن له بالحصار واجتهد واتى كربية وصار لا يمكنه حمل اي شي من المدينة ما دون ان يكون عرضة للنهب والقتل وفي هذا الاثنا وصل مقرب خان عامل الامبراطور فبدل ان يجتهد في خلاص القوارب والبضايع التي اخذها البرتغاليين او يامر بدفع العوض بدلها نظر الى البضايع الباقية واخذ منها ما اعجبه باثمانها وما دفع الثمن فلما تجمعت هذه المصايب والاكدار على هوكنس عزم على ان يتبع نصيحة ومشورة اعطيت له في وقت حضوره من اجل زيارة نفس الامبراطور في اكره فبذل مقرب خان مجهوده في منعه من السفر حيفة من انه ربما يعرض على الامبراطور ما رآه منه من الخبايث ووقوع الناس في الارتباكات وعدم فصل احكام القضايا والمشكلات الى صلة في الاقليم بنيابته واعد له قليل من الخفر قصدا في ذلك تعطيله ووقوع القبض عليه في طريق سفره فارتاب هوكنس من هذه المادة واخرج كرها على مصاريف نفسه وطلب من حاكم الدكهن خفرا فاعد فرقة من اشجع قبايل الافغانيين فكرب بقي عربة هوكنس سكرا في الطريق واعترف له بانه اتفق مع العامل على ذبحه وما محض هوكنس وجدا ايضا ان الرجال كانوا منقادا لمادة القتل هذه وما زال هوكنس في سفره الى ان وصل مدينة برهانپور مقر ومركز العالمة فاستقبله عاملها مع الاكرام وسفره الى اكره حتى وصل اليها في ١٦ ابريل سنة ١٦٠٩

بعد الميلاد وتوجه على الفور الى سراية الامبراطور فراى جهانگير جالس فوق عرشه الملوكي فقدم الكتوب الذي كان معه فاخذه الامبراطور وتخصص في خطه مع عناية الدقة ثم رغب ان يقرأ عليه وكان في الديوانه واحد من الجزويت من مدة قديمة فقراه عليه وترجم بحالة غير ملايمة وقال انه غير منقود في تحريره وكتابته ونص عباراته ومن بعد هذا وجد الملك ان هوكنس الزاير له دراية ومعرفة باللغة التركية فشرع في المحاورة معه وانشرح صدره من الفاظه وعذب كلامه فامر هوكنس بالحضور كل يوم في ديوانه وكان الامبراطور يطيل المحاورة معه ويسأله عن صفات الممالك المختلفة في اوروبا وعلى جهات الهند الغربي والجهات التي كان على غير تصور من وجودها ولا دراية له بمحلات وقوعها ثم ان هوكنس عرض عليه ما في ضميره من ان مقرب خان معامل الانكليز بالذلة والمهانة في جهة سورت فارسل الامبراطور اوامر شديدة مرخصة لهم بكل شي يلزم لهم في اشغال تجاراتهم وبيعهم وشراهم ثم ان الامبراطور رغب اقامة القبطان هوكنس في الهند الى ان يرسل رسولا من طرفه الى اوروبا وجعل له مدخول ٣٠٠٠ ليره سنويا وارضا فيهم بالخدمة هذا المقدار لنفسه فراى هوكنس نفسه في هذه الحالة ان صار في قدرة وطاقة كافية على جلب المصالح والمنافع لدولته واهل بلاده ونفس رتبته واتبع هوى طريقه ثم حثه الامبراطور على ان يتخذ لنفسه زوجة ومن بعد ان تردد وعرف انه لا يوافق عدم قبول ما امره به الملك ولو انه على غير رغبة عرض على الملك انه لا يرغب الا زواج مسيحية فظنا منه ان هذه الجهة لا يوجد فيها نسا من المسيحيين ويتخلص من هذه المشكلة فبحث جهانگير حتى وجد فتية ارمنية لا علة للقبطان في عدم زواجها فتزوجها ولو ان ذلك كان غير موافق في شريعة الانكليز الا ان هذا الزواج وافقه وتوافق مع زوجته وحلت الايام بينهما حتى قال ان ايام معها كانت من ايام سعادة حياته وفي اثنا ما كان هوكنس غرقانا في بحر نعم الامبراطور وردت اليه الاخبار بانه سفينة اسمها الصعود وصلت من جزيرة سوقطره الى سورت فاستحصل من دون صعوبة على رخصة ملوكية بختم الملك ترخص لاهل بلاده بالتجارة وتم مرغوبه ايضا فيما وقع من الشكاية من جهات اخرى في حق عدوه الالد مقرب خان فطلب الى ديوان الملك وعوقب بضبط املاكه وطرده من وظيفة العمالة وكانت املاكه كثيرة وايراداته واسعة حتى ان الملك اشتغل بالفحص فيها مدة شهران وفرز اجودها واحسنها لخصوص ومنافع نفسه ثم ان القبطان فرز ايضا من عنده جملة هدايا وقدمها للملك ولو انها ما كانت شيئا بالنسبة لقيمتها ودرجة المهدية له ثم ان حدود الشفقة السلطانية والرحمة الامبراطورية التي بلغت الى هذا الوقت اقصى درجة في العلو اخذت في النزول والهبوط وسببه ان مقرب خان من بعد طرده من خدمات حكومة الامبراطور وضبطت املاكه الغالية الجسيمة عفى عنه الامبراطور واعيد الى درجته الاولى ورخص له بتقليد زمام نيابته وحكومته كما كان ومن قبل سفره اخذ لنفسه الاحترازات اللازمة في وقوع الضرر الكلي لكل انكليزي بكل قدرما في امكانه وطاقته واتحد معه في ذلك كل من كان متقربا عند الملك من الامرا والحكام والقواد وعلى الخصوص الجزويت وعدوه مع بعضهم له في وقوع كل ضرر وازى على هولاء الاغراب الكفار فعرضوا على جهانگير انه لو فتح باب تجارة هذه الامة الغريبة فيتولد من ذلك غضب البرتغاليين وهم امة اهل ثروة وشوكة وبأس فانهم لا يتركون ميني بلاده فقط بل ويمنعون كل سفينة من الدخول في ميني بلاده فانطبعت هذه الاقوال على قلب الملك الى ان قال بصير التدقيق في عدم الرخص للانكليز مرة اخرى في ميني بلادي وسافر مقرب خان ومعه تعليمات واوامر بعدم الترخيص للانكليز في حق سواحل الملك بمراكبهم فما خاطر هوكنس في مواجهة هذه العاصفة الشديدة بعنادها ومكابرة بل صرح لعدوه بما يجريه ذلك ولما انحرفت الصحة وتحقق هوكنس من حصول الدسيسة انتظر لنفسه سنوح فرصة موافقة وحضر بنفسه امام الامبراطور في شكل مطلوب ظريف وحث الامبراطور على توجيه نظره والنفقات التي تنشأ من المنافع التي تعود على بلاده والتي عرضت محكمة في شأنها من المعاملة التجارية بين المملكة الهندية والانكليزية فعند ذلك استحصل على امر من الامبراطور للوزير بكتابة امر سلطاني مشتمل على مواد عظيمة زيادة على الامر الاول في خصوص الانكليز فانتشرت هذه الاخبار في الحال عند ارباب الحزب المضاد له وارسلت الاخبار الى مقرب خان وبذل المضادين مجهودهم حتى انه من بعد كتابة الامر

مبعوث الكمپانيا الانكليزية في طلب ربط علاقات تجارية

هوكنز في ديوان اكره

السلطاني وختمه بالختم الكبير الملوكي وصار على شرف التسفير حتى ان الامبراطور على القاه مرة ثانية ولما لم
يجد الكبتن هوكنس صديقا ولا حتى رفيقا في الديوان ولا وقتا موافقا له ولا عنده هدية ثمينة يبذلها حفظ
منفعته في وقت الغروب ونحو مقصوده الا ان اشغال اخصامه كانت على الدوام معاكسة له وفوق اغراضه
وحتى انه لا محالة وفي اثنا هذه المدة رأى المرء الا ارتباكات من عبد العال حسن الوزير الاول وكان
العدو المهلك له فانه منعه من دخوله في الديوان ومن التقرب في داخل الحواجز الحمراء التي هي
محل التشرف وبقصد انتهاز الفرص في المكالمة مع الامبراطور في العادة الجارية ولو ان هذا الوزير ايضا
ما امكنه معاندة الامر الصادر من الامبراطور بمنح الارض اللازم هوكنس ان يأخذ معاشه منها فانه
حصل له في اقليم مرتبك ومشوش بالثورات واللصوصية حتى ما كان يأخذ الا قليلا مما ايراد الارض
واحيانا لا يأخذ شيئا بالكلية ومن بعد مضي سنتين ونصف ومن بعد مرض وانقطاع اجتهاد لتأثيره
جهة عزم الكبتن الانكليزي على اخذ الرخصة وفي ٢ نوامبر سنة ١٦١١ سافر من دون تيسر الحصول
على اثبات امتيازات تجارية حتى ومن دون مكتوب لملكه ومن بعد ان سمع من عبد العال حسن انه
لا يناسب للامبراطور المغولي الاعظم كتابة مكتوب لملك صغير القدر قليل الشأن من مقامه
ثم انه من بعد مضي بضع سنين حصل العزم في لوندره على عمل سعي واجتهاد آخر في وضع الاعمال الا
نكليزية على قدم ثابت مرضي في الهند بواسطة ارسال سفير مباشرة الى ملكها حاملا هدايا والطا
وتحايف وافرة على قدر ما تنشرح به صدور ملوك الشرق فتعين في هذه السفارة السير توماس
رو فاخرج من غراوسند في ٢٤ يناير سنة ١٦١٥ بعد الميلاد مع سفينتين كل واحدة تحت رياسة
واحد كبتان ومن بعد ان مر في طول الساحل الشرقي لافريقية وقف جزيرة سوقطره ووصل في
مدينة سورت في شهر سبتمبر ونزل مع غاية الابهة والعظمة وكان ارساله من طرف جمس الاول
وكان حصول القرار على ارساله في مدة سلطنة سلفه الملكة اليزابث الا انه تولد من اسباب لزومها
عدم تنفيذ القرار فوصل هذا السفير في اجمير في ٢٣ ديسمبر سنة ١٦١٥ وصحب الامبراطور الى
مندو والجوزرات وما تركه الى حد سنة ١٦١٨ وفي سنة ١٦١٦ بعد الميلاد ظهر طاعون ما شوهد مثله
ابدا في الهند وحشيا وكان ظهوره في بانجاب وكانت هذه اول مرة فانتشر منها الى لاهور
ثم اخذ منها في الهبوط والتجري في الدوآب ودلهي واهلك فيه جما غفيرا من الانفس وخرب بيوت
عديدة وكانت حركات الجيش آخذة كل يوم في الدكهن في زيادة نحس الطالع من سوء ادارة سلطان
برويز وتولد من الشهرة والصيت الذي حازه شاه جهان في حربه الاخير عزم الامبراطور على
ان يعهد اليه زمام قيادة جيش الدكهن ويسير بنفسه لمساعدته وتعضيده ومن اجل هذا الصدد
ارتقى شاه جهان الى رتبة ملك ولقبه بعض مؤرخي عصره بلقب شاه خسرو واحزن شاه جهان
وهو سمو ودرجة رفيعة كانت مطلوقة على الامبراطورات من بيت تيمورلنك ومن اجل ذلك
المكان في عربة واحدة يجرها اربعة من الخيول على حسب العادة الانكليزية والذي اخذ
لهم هذا المنوال السير توماس رو ولما عبر شاه جهان نهر نربوده استقبله خان خانان
وكبار قواد الجيش في الدكهن ودخل مدينة برهانبور في ٧ مارث سنة ١٦١٧ بعد الميلاد
ومن بعد قليل وفد عليه ملك بيجابور واخضع اليه وكان قد ترك اتحاده وميله للبرنس الشجاع القدير
مالك عنبر وبما ان مالك عنبر ارتقى من درجة واطية الى درجة عالية بما حازه من الظفر والحذق
والتدبير في الاعمال والحروب وصار في سعة ودنيا عريضة حسده حلفاؤه ورفقاؤه ونظراؤه
وحتى ضباطه ابتدوا في البعد عنه فلما رأى مالك عنبر نفسه منبوذا وحيدا الزم على الدخول
في طاعة جهانكير من طرفه نظام شاه وسلم لابنه شاه جهان مفاتيح مدينة احمدناجور
وعموم الاراضي التي كان تغلب عليها من المغول ومن بعد تمام مواد المعاهدة وشروطها عاد
شاه جهان الى مندو للالتحاق بابيه في سنة ١٦١٧ بعد الميلاد وعهد الى خان خانان حكم
كنديش وبيرار واحمدناجور ولا بأس من ان ندرج هنا هذه التفاصيل الخصوصية وهي ان
الدخان كان صار ادخاله في الهند قبل ذلك ببضع سنين بواسطة البرتغاليين فصدرت اوامر
الامبراطور بتحريمه ومنعه بعلة ان استعماله مضر بالصحة وسار الامبراطور في هذا الامر على منوال
شاه عباس ملك فارس وكان حرم دخوله واستعماله في كافة اقطار مملكته تحت عقابات شديدة

عود هوكنس الى لوندره

عقابات شديدة وفي ٢٦ ديسمبر سنة ١٦١٨ بعد الميلاد ظهر في نحو ساعتين او عشرين دقيقة
من قبل شروق الشمس على سطح الافق سحاب قليل منير فكان يظهر كل يوم في وقت الصبح قبل
شروق الشمس باربعة وعشرين دقيقة الى تمام ستة عشر يوما ثم اتضح انه كوكب من ذوات
الذنب ذنبه اسود وكان مداره من برج العقرب الى برج الميزان فاعتقد الهنود في الكوكب
انه منذر بحصول طاعون يعقبه ثم انشاب او هياج حرب بين شاه جهان وابوه وظهر في هذا
الوقت في قندهار سرب بهيئي من الجيذان هلكت المزارع ودمرت المحصولات الارضية بالكلية
وخربت الكثير من اشوان الغلال فقتل الناس منها شي لا يحصى ولا يحصر وزال الباقي واختفى
وفي اخر السنة ظهرت امراض في كشمير هلك منها عالم كثير وكانت هذه الامراض اوجاع في
الراس ونزول دما من الانوف وظهرت ايضا انواع الحميات فما نجى منها الا القليل ولبثت
ثلاثة ايام فكان يحصل منها ضعف في القوة والم في المفاصل وفي اثنا ما كان الامبراطور
مقيما في احمدناجور اصابته هذه الحمى وزاد منها اشد الالم ثم تولد من الحكايات الغريبة
التي بلغت جهانكير في خصوص الاوقيانوس واتساعه وعموميا هم وما كان رآه الرغبة و
الشوق في زيارة اقليم الجوزرات الساحلي حتى يشاهد الاوقيانوس وعلى الخصوص مدينة
احمداباد المشهورة في ثروتها وجمالها وابهتها وكان له رغبة ايضا في ادخال السرور على
نفسه في ميادين صيد الفيلة الوحشية فاصطحب بعزيزته السلطانة نورجهان وركبت على
فيلها وقتلت اربعة من النمورة ببندقية كانت معها فانشرح صدر زوجها منها ومن
شجاعتها وجسارتها حتى انه اهداها زوج من الاساور ذات قيمة وافرة واحيلت نيابة
هذا الاقليم الى الحكومة التي كانت عهدت على شاه جهان وفي سبتمبر سنة ١٦١٨ بعد الميلاد
ترك الامبراطور اقليم الجوزرات وعاد قافلا الى مقر ملكه وما حصل في السنتين اللتين اعقبتا
هذه السنة الا ثورة قامت في بانجاب والتغلب على نجركوت وزيارة الملك اقليم كشمير
ثم انه في اثنا ما كان الملك في انسه وسروره مع ملكته وعزيزته نورجهان في كشمير وردت عليه الاخبار
بهياج ثورة في الدكهن فرجع قافلا الى اكره مقر ملكه وكان سبب هذه الثورة ان مالك
خان ما وجد في نفسه طاقة على البقاء في الذل والمسكنة التي خضع لها فقام بالسلاح وما رأى
امامه احد يقمعه ويصده ورأى الضعف والعجز في السلطنة فاستحوذ على الاراضي وطرد امامه
حكام المغول نحو مدينة برهانبور فمن اجل هذا حث الحكام جهانكير على اسعافهم وتقوية حالهم
فاصدر الامبراطور امره بارسال شاه جهان من اجل خلاصهم واغاثتهم في راس جيش ضخم فما قبل
شاه جهان التوجه في هذه الغزوة الا على شرط ان يكون اخوه تحت محافظته لانه افتكر في
عقله ان خسرو المسكين منكوس الطالع ربما في مدة غيابه ينال رضى ابيه وثقته به ويكون
سببا في سد الطريق الموصل له الى التخت المشتوق على الجلوس عليه فسلم له ابوه في ذلك وما عاد
خسرو من هذا الحرب واتفق في هذا الوقت لشاه جهان ان اباه اصابه مرض الربو وضيق
النفس حتى اشرف على الهلاك فكانت هذه حالة سعيدة عند شاه جهان واستمر مع هذا الداء طول
المدة التي كانت باقية من حياته ولما شرع شاه جهان في هذا الحرب كان عمره ثلاثون سنه
وفي مدة ملازمته للحرب ما وفى بما كان عليه من الشجاعة والبسالة ثم الا في واقعة شديدة
صار مظفرا فاصلة والزم خصمه القوي البأس مالك خان على عقد الصلح وبما ان هذه النصرة
كانت محتة جليلة فامر شاه جهان ببنا قلعة من الحجر سماها ظفراباد وفصل الاعمال في الدكهن
على وجه التمام ومن بعد مضي فصل المطر رجع هذا الفاتح مع جيشه الى مدينة برهانبور ثم انه
من بعد المخابرات والمعاملات الودادية التي كانت جارية مع الحكومة الفارسية من بعد الهجوم التي
كان سبق اجراه على قندهار براحد من قواد فارس تصور جهانكير ان هذا الاقليم في حفظ وطمانينة
من حركة هجوم تقع عليه من اي جهة من الجهات فما ابقى فيه الا قوة محافظة قليلة فما غفل شاه
عباس على هذه الحركة وسار بغتة في راس جيش ضخم وتغلب على هذا الاقليم من دون طعنة ولا ضربة
ولاجل مسح هذا العار والاخذ بالثأر صدر الامبراطور لفاتح الدكهن بالتوجه الى قندهار فاجاب
شاه جهان الامبراطور ردا على امره انه لا يحتاج لاي مدد من الامدادات ومن اجل تيسره الحصول

تاريخ الهند من البحر الزاخر

على ظفره ونجاحه يلزم ان تكون له السلطة التامة والحكم المطلق في الجيش وان لا يكون لاحد عليه
حكم ولا نفوذ شوكة وطلب ايضا من الامبراطور ان يعهد اليه حكومة بانجاب بسبب قربها من جهة
قندهار وان تكون قلعة رنتطور تحت محافظته واوامره فكانت هذه طلبات فوق العادة وميزان
شاه جهان عرضة لشبهة الاستقلال وقال بعض المورخين ان هذه كانت مجرد طلبات اتخذها
شاه جهان للاحتراز من اجل المحافظة على نفسه من تاثير قوي يكون سببا في ذله واهانته وسببه
اننا قد ذكرنا فيما سبق ما كانت عليه الامبراطوره نورجهان او نورمحل من قوة الشوكة والنفوذ
الكلية على الامبراطور جهانكير ومملكته وكان شاه جهان عقد معها حولا وتزوج بابنة اخوها
فتمكن وتقوى بهذا الزواج وبما كان فيه اخوه الكبير من الذل والاهانة عند ابوه ولولا
موجود اثنان من اخوته حايلون بينه وبين التخت الا ان الدرجة الكبيرة والامتياز الاعظم الذي
وصل اليه جعل له املا كبيرا في جلوسه على التخت من بعد موت ابيه فبعد موت خسرو اخوه
الكبير الذي تم به اماته واطمينانه على التخت اذ جاءت احوال على فقد حياته وكان ابو نورجهان
من بعد زواجها بالامبراطور نصيب رئيس الوزراء ثم مات وفي مدة مرضه زاره الامبراطور و
الامبراطوره في يوم قبل اليوم الذي مات فيه وكان رجلا فاضلا مدبرا عاقلا ماهرا سائسا
المملكة في مدة وزارته وقمع شوكة ابنته وضغط عليها فلما مات هذا الكيس العاقل عادت
لها شوكتها وسطوتها ونفوذ كلمتها على غير حد محدود وقبضت على كافة اعمال المملكة واشغالها
بيديها وصار لها الامر والنهي وسلم الامبراطور ليدها مقاليد الامور فكان العضب والرفع
والعزل والخفض بمعرفة حكمها وغرضها ثم تاملت في حالة الخطر والكرب التي ربما تحصل لها في حال
حياتها من بعد موت الامبراطور وانه لو حل محله ملك عارف بالامور والاحكام وفصل القضا
وحل المشكلات صاحب عزم وقوة مثل شاه جهان على التخت فانه لا بد من سقوط شوكتها و
نزولها الى درجة الذل والاهانة وبدل ان تنقاد لاحكام علام الغيوب وتصاريف الايام
والليالي عزمت على ان تشغل شوكتها ونفوذ كلمتها الحالية في حرمان شاه جهان من جلوسه على
التخت واشركت في هذه الدسايس اخوها معها ولو ان ابنته كانت تحت هذا البرنس الا انه
كان مدبرا امرها وسايرا على اغراضها وتحققت ايضا في نفسها انه لا يلزمها ضياع زمان في
هذا المقصود وكان لها ابنة من زوجها الاول عقدت عقد زواجها على شهريار الابن الرابع
للامبراطور واصغر اولاده وكان هذا الزواج عندها من اهم الاشياء والاعمال التي وجهت
بها افكارها الى اقصى عمل وابعده في ربط امرها وجرئتها على رفعة زوج ابنتها الى التخت ولانه
بانه من ضعف عقله تستمر في شدة نفوذها عليه وحسبت في نفسها انه بتوزيعها واسرافها
في خزاين الاموال تكون على قدرة كاملة من بلوغ مآربها وشرعت من هذا الوقت وصارت
في كونها لا تضيع فرصة تنفع لها في انحطاط شاه جهان من الرفعة وعلو الشان الموجود فيه
ابوه ومن المحتمل ان الشوكة والنفوذ الكبير الذي طلبه من ابيه ان يعهد اليه به كان في طلبه
حماية نفسه من القوى الموثرة من بعد ان تحقق له الاحتياج في الاستقلال من نورجهان وانه لا بد
عموم الاشتباه في قراين الاحوال حصل التعويل على ارساله الى جهة بعيدة من المملكة مثل قندهار
محضت نورمحل الملك على ان طلباته هذه يستدل منها دلالة واضحة على انه يقصد بها خلع
من التخت وكررت هذه الشبهات مرارا امام الامبراطور حتى هيجت حرارته وصدقت بها ولما
بحثت في هذه المادة عرضت على الامبراطور ان تكون مصاريف هذا الحرب من كيس مصروف
الخاص بها اذا كان الامبراطور يخلع على شهريار قيادة الجيش وكان لهذه الامبراطوره طاقة
على عمل ذلك لانه من المعلوم ان كافة املاك زوجها الاول وعقاراته واموال ما بعد
كانت دخلت جميعها في يدها وكذا احسن الامبراطور عليها حديثا باموال ابوها واملاكه
بعد موته فوفى لها مطلوب العقد جهانكير بكافة طلباتها واصدر امره الى شاه جهان بارسال
جانب جيشه الى العاصمة ليكون تحت قيادة شهريار في التوجه الى قندهار وارسلت الاوامر
الى كبار القواد بحضهم على الحضور الى معسكر شهريار وانتقلت الوظايف التي كانت معطاة لـ
شاه جهان ليد شهريار وصدر الامر الى شاه جهان في كونه ينتخب لنفسه نظيرها في الدكن وللا

والجوزرات ثم ان نورمحل ما صناع من عقلها وحزمها صغر سن البرنس محفوظها وعدم خبرته بالحروب
والوقايع وان اخاها ولوازمه والثقة به وعاكف نفسه على ما يعود لها منه المصلحة ما كانت له قريحة
وادراك في هذا الامر فنظرت بعين بصيرة حزمها طريقة قودها ونجاحها من بعد اعمالها
المخصوصة بنجاح هذه الغزوة وراث ضرورة اتخاذ الاحترازات اللازمة حتى انه لا يحصل خيبة
وعدم نجاح حتى كل ما يكون لازما في تنفيذ مفعول اغراضها ومن ثم طلبت محبت خان اكبر قواد
عصره الا انه كان عدوا لاهلها من حكومته الى الديوان وكان حاكما في قابول وقوبل باجل
مراسم الاحتفالات والوداد وتعين ميرزا رستم وكان حاكم قندهار مدة سنين طويلة وعلى
ما قيل انه كان احسن اهل عصره ادارة وتدبيرا اتابكا الى شهريار وقايد كامل قواه وارسل
الى لاهور في طلب الاستعدادات والتجهيزات اللازمة وكان جهانكير في هذا الوقت في كشمير
بسبب ما كان عليه من ضعف صحته وبجزعافيته حضر في مبادي هذه الاختلافات وجعل مقر حكومته
في لاهور ليكون حاضرا فيها حسب ما تقتضيه الاحوال ثم ان مطلوب الامبراطوره ومرغوبها
والاشتغال التي سارعت فيها كان يمكن بها سرعة سهولة المطلوب لو كان شاه جهان اتفق
مع الذل والمسكنة لغاية نهاية ثم مرغوبها من دون حصول تلبك وارتباك وانه لو قام بالسلاح
لجعل نفسه عرضة لمقت وعار وفضيحة بخصوص عصيان يبتدأ به وحيث انه من ان الامبراطوره
بالنظر لما هي عليه من الطاقة ربما تهشه وتخطه وكان بجهلها وطمعها مقصورين في الحرب فمن ثم
شرع شاه جهان في المخابرة مع ابوه وذكره مع رعاية الادب من دون ان يكدر عليه حياته ما
اداه من جميل خدماته لابيه ونفى اليه انه ليس مع امان تحت سمو نظر ابيه من دون وقوع ادنى
ذنب او قباحة جناها او عداوة فعلها في خصوص تاكيد طمع امراة دنية الاصل سايرة
في طريق صعود زوج ابنتها وانه يطلب الرخصة والاذن من ابيه في الاعتزال الى سورت
باب المؤمنين والصالحين الى التوجه الى مكة ومجاورة بيت الله الحرام ومشاهدة قبر نبيه عليه
افضل الصلاة والسلام ويقضي ما بقي من حياته في العبادة ويدعو لسمو والده بالصحة والعافية
والعز والنجاح فلما عاد الرسول الذي كان ارسله شاه جهان بهذه الرسالة الى ابيه ابلغ له
مؤكدا ان كافة الامور صارت في اكبر الاشكالات والنصايح لا تفيد شيا والخضوع للطاعة
هو عين العار والموت فلما سمع شاه جهان هذه الاقوال من رسوله جزم على شغل العنف
والقوة ومن دون ضياع ادنى لحظة من زمن سار بالجيش العاصي نحو اكره فلما وصلت اخبار
هذه الحركة الى جهانكير في لاهور ساق جيشه بنفسه ووصل في داخل عشرين ميلا من المعسكر العاصي
على مسافة اربعين ميلا في جنوب دلهي وعهدت قيادة العساكر السلطانية الى النديم الجديد و
الكل الوحيد محبت خان ومعه البرنس برويز فتقهقر شاه جهان وكانت نتايج الواقعة ان
القوة التي كانت تركها شاه جهان لمحافظة الدروب الواقعة في جبال شامبال هربت الى العدو
وطرد اقليم الجوزرات حاكم وتركه خان خانان من بعد ان كان متحدا به فانجبر على عبوره نهر نربوده
من اجل الالتجاء والاحتماء في مدينة برهانبور فانصد عن الدخول فيها فتقهقر الى تيلونجانه
وتركه غالب اتباعه من قبل ان يصل الى مدينة مشاليتم على طريقه الى بنغاله وكان في تقهقره
متوجها اليها وتم هذا السير الطويل المتعب في اوايل سنة ١٦٢٤ بعد الميلاد ثم حصل بينه
وبين حاكم بنغاله واقعة انهزم فيها حاكم بنغاله وتغلب شاه جهان على الاقليم ومن بعدها
بقليل تغلب على بهار ولما صدر شاه جهان من دخوله مدينة برهانبور استحوذ عليها العساكر السلطانية
وعسكروا بها في مدة فصل المطر ولما وصلت اليهم اخبار مظفرات شاه جهان في بنغاله تحركوا وساروا
نحو مدينة الله اباد وعبر شاه جهان نهر الكنج من اجل مقاومتهم فما قوبل في هذه الجهة لا بمساعدة ولا
بالقبول وخابت طلباته وقطعت طرق مواصلاته ومونته من طريق النهر وتركه الجموع التي كان
جمعها وانهزم وتشتت ما كان معه من العسكر فهرب الى الدكن محل الكثير من مظفراته فقابله في هذه
الجهة عدوه القديم مالك عنبر وكان في هذا الوقت قايما بالسلاح على المغول وحاصرا الاثنان
سوية مدينة برهانبور ثم تركاها عند قرب محبت خان بالعساكر الامبراطورية منها ولما ترك شاه
جهان كل من كان معه واقترت صحته في الوهن والضعف واظلم طالع سعوده وعاندته الايام والليالي
رغب العفو عن نفسه من ابيه واظهر غشا اطاعته وانقياده لاوامره فكتب جهانكير بيده جوابا

قبض محبت خان على الامبراطور جهانكير

يقول له فيه انه اذا ارسل ولديه داراشكوه واورنك زيب الى الديوان وتسليم القلعتين المسميتين
باسمه وهما روهطاس في بهار واسيرجهار في الدكهن فانه يعفو عنه عفوا تاما ويعيد اليه
املاكه في الدكهن فرضي شاه جهان بهذه الشروط مع الصداقة واما الوفاة مفاجأة الامبراطور
فانه كان من طريق حلاته تحصيل الخطر والاسبل وقع منها الفزع الاكبر في سائر اقطار المملكة وحصل
منها تغيير كلي في هيئة الاعمال وهي انه وقع القبض على الامبراطور نفسه بواسطة محبت خان وكان
السبب في حصول هذه الى رتبة انه من بعد ان ادى الخدمات الجليلة في خضوع واذلال شاه جهان
صار عدوا ذي رتبة عند نور محل والت حالته الى الذل والاهانة وكانت التهمة التي اتهم بها
واقيمت فقينتها عليه نهب وسلب ومن مقتضاها صار طلبه الى الديوان ومن بعد ان نزل في ام
توجهه الى الديوان رغب التوجه اخيرا فرأى انه لا قبول له فيه وانه من بعد علوه ورفعته في الديوان
ونفوذ كلمته لابد وان يكون اضحية لاعداه وكان الامبراطور في هذا الوقت معسكرا على نهر شناب
وعبر جيش النهر زاحفا نحو كابول وفضل الملك خلف الجيش مع خدمه وحاشيته وخفره فجئ محبت
خان في خمسة الاف من الراجابوتيين تحت حكمه وامره ونهيه فحصل منهم الفين نفس من اجل حرق
الجسر المعقود على النهر واحاط بالباقي دائرة الامبراطور وانتخب مائتين نفس للتوجه والدخول
في خيمة الامبراطور وهجم بهم على خدم الامبراطور وحاشيته وكان الامبراطور من مدة حائز الحزم
الراى والبصر في عواقب الامور ماحصل له فاقة من شدة تاثير السكر والشراب وما كان من الفسق
والفجور ففزع من الفاجعة والضجة ونظر حوله وهو في شدة الحيرة والارتباك واخيرا حصل عنده
لما راى محبت خان وحاشيته للخيمة حدة شديدة في حواسه وادرك مع غاية السرعة ماحل بموقعه
من الخطر وزعق اهو محبت خان الخاين ما هذا فقال له محبت خان ان الذي الزم الخاين من كل
هذه الفعلة العنيفة هو المحافظة على سلامة نفسه من دسايس ومكايد وحيل عاصف خان
ورمى نفسه على اقدام الملك وقال اذا كان الامبراطور يصدر له على قتل فانه يقبله في حضرته
بيده فاشتد بالامبراطور الغضب من الحالة الفظيعة التي حصلت له وما صار فيه عقل ولا طاقة لان
يسمع اقوال السلامة الى رجة من فم خادمه الذي الان كل صعوبة والزم على ان يعفو عن هذه الحالة
ويدع عقاب كل مجرم الى الله سبحانه وتعالى واذدحم الراجابوتيين في خيمة الامبراطور وطردوا
خدم الملك وحاشيته واظهر محبت خان نفسه للعساكر ومنعهم من قتل كل قبيح يسكن وقوع ظلمهم
حواشي الملك او معاملة الملك فطلب الامبراطور الاذن من محبت خان في التوجه الى الحريم من
اجل تغيير ملبوسه وكانت هذه حجة في التوجه فقط للمداولة والمشورة مع الامبراطوره وكانت معه
في المعسكر فتصور ايضا محبت خان هذا التصور وما قبل من الامبراطور هذا الطلب ورخص له بجلب
حصان من الاسطبل الملوكي فرفض الامبراطور ركوب كل حصان جيئ له به ولما خرج للركوب
استقبله الراجابوتيين مع الاحترام والاجلال وتفكر محبت خان المحافظة الاوفية على الامبراطور
وشهرته للعيان فاركبه على فيل سابق الفيل تابعين له الوالي الخطأ الاكبر الذي وقع فيه محبت خان
هو عدم ضبط الامبراطوره في الوقت الذي ضبط فيه زوجها وظهر له خطاه في الحال الا ان
الوقت كان مضى وفات لانه عند عوده من اجل القبض عليها وجدها ذهبت خلف شوكة ودرأ
قوته وذلك انها لما تحققت من القبض على الملك واخذه وانه لا سبيل لها في الوثوق به غيرت
زيها وملبوسها في الحال واخفت نفسها في هيئة الناس الفقرا العادة وكان الجسر الذي تركه
محبت خان من اجل المحافظة على الجسر امره برخصة العبور على الجسر كل من اراد العبور ثم لا يسمح
لاحد بالعود حتى تم ما وجدت نور محل صعوبة في وصولها الى متاريس اخوها عاصف خان
وكان هروبها من اكبر الاسف والندم عند محبت خان ثم توجه ايضا الى خيمة البرنس شهريار فوجده
هرب ايضا ونجى بنفسه ولما وصلت الامبراطوره بين اتباعها طلبت عقد مجلس من الرؤسا وفي
بالتوبيخ الشديد واللعن ونسبتهم الى الجبن والخيانة وقالت لهم باصعب الاقوال واقبح الالفاظ
ما بقي لهم من سبيل في اظهار صداقة بيناتهم وذمتهم الا بعبور النهر والهجوم على الخاين محبت خان
وخلوص مليكهم من يده فوصلت اخبار ما اجرته الامبراطوره من شدة شهامتها وبأسها وما
امرت به الرؤسا الى محبت خان بواسطة جواسيس من طرفه فازعج محبت خان بتهديداته وانذاراته
جهانكير حتى الزمه على ارسال رسول من طرفه معتمد مع مكتوبه موقع عليه بختمه بسلامته وحفظه

وحفظه ويطفئ به ما في قلب زوجته واخوها من نار الغضب ومن وقوع اخطار تحل به او ضرر يحصل
اليه فيه وهو بين يدي عدو احمق وربما انه بواسطة ما هو حاصل عندها من الغضب تتولد نتايج
وخيمة يخشو عاقبتها عليه فلما وصل هذا الرسول الى نور محل واخوها اشيرا الاثنان في ان هذا
المكتوب ربما يكون الامبراطور كتبه من طريق الالزام من حصل الالتفات الى ما فيه من الانذارات
وعولوا على عبور النهر في صباح اليوم الثاني وفي مدة الليل حصل سعي واجتهاد كان على غير طائل
في خلوص الامبراطور بواسطة بعض الشجعان اهل الهمة والنجدة وذلك انهم لما رأوا كسر الجسر عاموا
النهر على ظهر خيولهم فغرق منهم ستة والستة الذين حصلوا على قيد الحياة نجحوا مع رئيسهم في تعدية
النهر حتى وصلوا الى الشط المقابل ودخلوا في المعسكر فلما انكشف امرهم التزموا العود ومن بعد ان
قتلوا خمسة من العدو عدوا النهر مرة اخرى وفي صباح اليوم الثاني تحركت العساكر السلطانية من
موقعها قاصدين عبور النهر وجعلت الامبراطوره صاحبة الشجاعة والبسالة نفسها في رأس
عسكرها وجلست في هودج مشهور على فيل عظيم مسلح بخوص ومجنين ونشاب وحفيدتها
الصغيرة بجانبها فحرق الراجابوتيين الجسر وعزم الجيش على خوض النهر من مخاضة تشعرها في اسفل
النهر وكانت مخاضة ضيقة في كل من جهتيها مياه غزيرة مشحونة بدوامات وهولة في تزلقت
ارجل كثير من العساكر في هذه الجهات الخطرة وغرقوا ولكنهم سرعان ما بنار مياه النهر فحصل الارتباك
والفشل والخوف من هذه الى نوا او الخطب والخطر واما الذين نجوا وسلموا من الغرق افقد
بارودهم من الماء وثقلت عليهم ملابسهم مما كثرة ما تخللت من المياه واطفيتهم والتزموا على
المحاربة من اجل خروجهم الى البر مع العصاة القابضين على الحط عليهم فكانت نور محل اول
واحد خرجت على البر من النهر وكان معها اخوها وشجعان قوادها ومع هذا فانه ماكان لها
من طاقة في طرد العصاة الذين كان عندهم ميدان من الارض متمنعين به في حركاتهم وجلبوا
صواريخهم ورصاصهم ونبلهم ووجهوها على العسكر في المخاضة وطردوهم وسيوفهم في ايديهم في
داخل مياه المخاضة وارتجت المخاضة بالخيل والرجال والفيلة وقطع الكثير من العسكر اما السلامة
او الموت واقتحموا بانفسهم في النهر وما حصل من الهجوم الشديد على الامبراطوره وهذا منها ولا عجب
امام عدوها واحاط بفيلها الراجابوتيين وحارب خفرها مع غاية الشجاعة الى اخر رمق فيهم
وكان الرصاص والنشاب والحراب نازل عليها وحولها مثل المطر فما هي فانه ما حصل لها شي خطر
بضربها واما حفيدتها الصغيرة فانها اصابها جرح واصاب فيلها سهم نفذ من خرطومه وقلب يعني
الفيل وخرج الفيل مما جرحه ونزل مسرعا في النهر واخذه التيار ثم وصل الى الشط بالعناية الربانية
والقدرة الالهية وخلص الامبراطوره من الغرق اتباعها وحواشيها فراوا هودجها ملطخا بالدماء
وهي نفسها بازالة جمهورها في اخراج السهم وتقطيب جرح الطفلة حفيدتها ثم ان الرئيس الذي لا يخشى
الموت فدائي خان الذي كان هجم بنفسه في الليلة الماضية بفرقته وصل الى شط النهر وطرد كافة
العسكر امامه وذهب الى خيمة شهريار واشتدت المعمعة في هذا الوقت وحمي الوطيس حتى غطت السنان
والرماح في خيمة الملك وصول النشاب الذي كان جاث عليه جهانكير ولما وجد فدائي خان نفسه انه لا طاقة
له على اداء اي خدمة بجرحها تقهقر بفرقته نحو قلعة روهطاس وكان حاكما فيها ووصل اليها في اليوم
الثاني واما نور محل فانها لما خابت في كل ما كانت تؤمله بجدة سعيها عولت على شغل اخر فوق العادة
وهو انها توجهت الى معسكر محبت خان وسلمت نفسها ليعدها برغبتها ورغبت ان تشترك زوجها في
حبسه واعتمدت على ما اجرته من هذا الفعل بالخلوص وكذا الاعتماد الذي كانت معتمدة عليه فيه في
محتوطها الاول استخفى بوثاقته وخضوعها واستقبلها محبت خان مع غاية الاحترام ومن ابتدا
هذا الوقت صارت معاملة الامبراطور جهانكير بالمحافظات اللايقة لمسنده الرفيع العالي وبقي
محبت خان وزير اول واعاد نظام المملكة بالفعل ووقع اخو الامبراطوره واولاده والكثير من
اصحابه في يده وبعد ذلك بقليل قاصص البعض منهم باشد العقوبات القاسية وقرر عموم الجيش قيادته
ومع هذا فان ادارته وسلطته كانت غير مأمونة وكان الراجابوتيين هم العقول الوحيد الصادق
على وعملا مع محبت خان فتولد من اطلاق العنان لهم على حسب معاملتهم لضرورة الاحوال ان صاروا
مهولين الى الد على نفس محبت خان وسيما في هياج معظم جماعات الجيش وعقبهم منهم واوقعوا الفزع
في الاهالي حتى تولد من اعمالهم ارتباكات شديدة ثم توجه منهم جماعة الى محل صيد الملك بسبب من

٢٢٨

الاسباب وكانت حبايل الوشاة المضروبة فيه فما رخص لهم حفر المحل بالدخول فيه فاتفق الراجابوتيين
من ذلك واشمئزت نفوسهم فقتلوا رجال الحفر فاستغاث اولياء الدم بالامبراطور فى شكواهم
ودعواهم الاولة مباشرة ما هو واخذ عليه من الجرائم على ان يدور مع الراجابوتيين فذهب
اولياء الدم فى شدة الغضب والحنق وقاموا فى صباح اليوم التالى فى فرقة كبيرة وهجموا على
الراجابوتيين وقتلوا منهم نحو الف نفس من جملتهم الكثيرين من اصدقاء محبت خان وفى اثناء هذه الثورة
هرب محبت خان الى خيمة الملك من اجل سلامة نفسه فتداخل الامبراطور فى هذه المادة وزال الخوف
وعاد الامن ومن بعد هذه وقع القبض على خمسماية من الراجابوتيين كانوا مع محبت خان فى
المملكة وارسلوا خلف جبال هندوكوه وباعوهم ببيع الرقيق ثم ان مثل هذه الخسارة التى وقعت
فى حق الوف نفس كانوا مع محبت خان اضعفت قوته جدا وهدت حيله وابقته مع هذا الوقت
فى احساس انه لا يمكنه بنفسه الحصول على مقاصده واغراضه الا من طريق حسن السلوك لا من طريق
الخوف والتهديد واما نورمحل فانها كانت على يقظة تامة من المشاكل والمصاعب التى حلت بمحبت
خان واستعدت من اجل تيسيرها الحصول على اغراضها ومنافعها فى هذا الوقت الذى سنحت لها
فيه الفرصة العظيمة فاشارت على الامبراطور انه يتنازل لمحبت خان عن كل ما يبتغيه ويطمع فيه
ويطبع على عقله انه فى غاية من الانشراح والسرور مما خلاصه من السلطة والشوكة التى كانت كابسة
عليه هو واصدقاه واحبابه ويوريه انه فى غيظ وحنق شديد مما كانت نورمحل تفعله به وانها
على غاية كبيرة من الاحتراز من الدسايس والفتن التى تلقى فى حقه وكانت نورمحل فى هذه المشورة
على نجاح وفوز عظيم وهو ان محبت خان وثق الوثوق التام بالملك المأسور فى يديه وغرق
فى بحر الاوهام الكاذبة وما حصل عنده ادنى التفات فيما يقع منه شى وارشدت بزكا
عقلها فى الجهات الاخرى كافة النواب والعمال باتمام الشغل اللازم لدماره وهلاكه الى ان
محبت خان وخلوص الامبراطور من حرابته وبعض الرسل المندوبين من طرف نورمحل الامراء
على الاخذ بثار الفضاحة والوقاحة القطيعة التى وقعت لملكهم وانه مثل ما حصل له يحصل لهم
وهيجوهم على انهم يظهروا ما عندهم من صداقتهم وخلوص نيتهم فى خلاص الملك من اسره
وكان واحد من اجل واكبر معتمدى الملكة جمع جيشا فى السر مؤلفا من الفين نفس فى قابول
وكان فى حركة سيره والنواب فى الجهات الاخرى فى اشغال مختلفة وبعضهم منتظر صدور الاوامر
وبعضهم قرب وصوله من معسكر الملك ولما صار الالفين خيال الوافدين من قابول على مسافة
سفر يوم من قلعة روهطاس التى كان الملك مسجونا فيها اصدر الملك اوامره الى نوابه بجمع
عساكرهم فلما اجتمعت تقدم جهانكير وحده لمعرض اولعرض العسكر فلما قرب من قلب الجند
الاول احاطت به العساكر وقتلوا حفر الراجابوتيين الذى كان ملازما للملك وبهذا فقد الا
مبراطور حريته واعادها ثانيا لنفسه على شواطى نهر واحد ولما تحقق محبت خان على انه الان
صار لا بقاية له ولا وزارة انسحب بعسكره ودخل فى مخابرة العفو والامان ومن بعد قبول ام
الامبراطور بالافراج عن اخى الملكة والناس الاخر ذوى المراتب والمسائد الذين كانوا فى
قبضة محبت خان وشوكته ثم انه ما حصل من هذه الوقايع المشؤومة التى حصلت حديثا
اطفا ما كانت عليه هذه المرأة الداهية العجيبة من مطامع رغبتها واشواقها واستحبت امالها
بعود الملك الى حريته ولاجل تمام خلاص عاصف خان اخيها التزمت على الصلح مع محبت خان
وعهدت على تفرقهم بواسطة الالات الموجودة تحت اقتدارها تمام هلاك السلطان شاه جهان
وكان شاه جهان لما وصلته اخبار عصاوة محبت خان سار فى الحال فى راس الف خيال
لمساعدة ابيه وفى اثنا سيره مات اجل اصدقائه واقواهم شوكة راجا خان سنها وكان
تحت قيادته خمساية من عساكره فتشتت هولاء العساكر بسبب موت ملكهم وهرب شاه جهان
بالباقى تحت يده من العساكر الى اجمير ومنها الى ناجور ومنها الى جدهبور ومنها الى جسلمير
ثم الى طاطاه فى السند وجعلها محل مأمن سلامته وقطع الامل فى هذا المحل من شروق
طالع سعده وعزم على التوجه الى ديوان فارس لولا ان منعه عن ذلك ضعف صحته وقصد الا
الى محبت خان بالتوجه فى طلب الهجوم على شاه جهان فى طاطاه فاسرع فى سيره الى تلك الجهة

٢٢٩

الجهة وكان البرنس المنكوس فيها مع جماعة من اتباعه مؤلفة من خمسماية نفس وكانت قلعة طاطاه
محفوظة بثلاثة الاف من الخيالة والفين من المشاة وهجم محافظ القلعة على شاه جهان فصده
فى هجومه وطرده راجعا على اعقابه ونقوى شاه جهان بهزيمة محافظ القلعة ورغب الاخذها فى الهجوم
عنوة على المدينة وكان اجراه على غير طائل وفى اثناء ما كان محبت خان فى سفره على طريقه الى طاطاه
انقلبت الامور وتغيرت الاحوال والاعمال لجهة مستقبل البرنس المنحوس الطالع وذلك ان اخاه
برويز كان من مدة طويلة فى حالة ضعف ردى ومات بسبب ادمانه وانهماكه فى الشرب ووقع
محبت خان فى الذل والاهانة مرة ثانية وارسلت نورمحل خبرا الى شاه جهان بعوده واشارت
عليه بالتوجه الى الدكهن والاستعداد للمحافظة على نفسه من اى غارة تقع عليه بغتة واما محبت خان
فانه اجتهد فى الهرب ناجيا بنفسه من سطوة جيش قوى سلطانى ارسل فى تعقبه ودخل الهندوستان
وفى اخر شغله وحركته عزم على رمى نفسه على رحمة خصمه القديم والجديد وقدم خدماته الى شاه جهان
فاستعد شاه جهان لقبول خدمته ووصل اليه مع الفين من الخيالة فاستقبله شاه جهان مع
غاية التبجيل والاحترام ثم زاد العيا والمرض والالم على الامبراطور الى ان صار لا طاقة له على
تحمل حرارة الهندوستان وكان عاد من قابول الى لاهور ولما اجرى الاصلاحات الضرورية
ووجد لنفسه برهة من الراحة رغب بتغيير الهواء فى كشمير ومن بعد سفره بقليل اصابه مرض
شديد عدم منه اخر عافية حياته وكان ابنه شهريار فى لاهور ايضا من اجل تغيير الهواء منتظر
ايضا وفاته وفى اليوم الثالث من سفره اشتد عليه داء الربو او ضيق النفس وطلب كاس
من العرقى فما وجد فى نفسه طاقة على بلعه فنقل الى خيمته فمات فيها من بعد قليل فى يوم ٢٨ اكتوبر
من سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد فى السنة الستين من عمره وفى السنة الثانية والعشرين من سلطنته
واستقطت نورمحل من نفوذها ومناصبها التى كانت فيها وزال عنها كل ما كانت فيه من الشوكة
والدولة ونفوذ الكلمة بموت زوجها وكان عزيزها شهريار غائبا واعلن اخوها عاصف
خان الملك لشاه جهان زوج ابنته وكان يعطيه على الدوام اخبار دسايسها ومكرها وحيلها
وكان فى جامعة واحدة معه فى السر وضعف الطلبات زوج ابنته وعمه وماعد جميع ادلى
برهة من الزمن فى طلبه من الدكهن ولاجل تمام مشروعه اخرج من دواربن خسرو من السجن
واعلنه ملكا ووضع نورمحل تحت حجر وقتى ولوانها عاشت من بعد موت زوجها اربعة وعشرين
سنة الا انها كانت بعيدة عن الاعمال السياسية وقضت هذه المدة ارملة حزينة على زوجها
وترتب لها معاش سنوى قيمته مائتين وخمسين الف ليرة سنويا ومن بعد موتها دفنت فى مقصورة
جميلة البناء شيدتها على مصاريف نفسها بالقرب من مقصورة زوجها فى لاهور

موت جهانكير

ملخص القول على سلطنة جهانكير

ثم ان ملخص القول على سلطنة جهانكير فانه بعد موت ابوه الامبراطور اكبر التى لبثت من سنة ١٦٠٥
الى سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد ان جهانكير وطد التخت لنفسه وقام ابنه الكبير خسرو ولى عهده وسعى
فى ضبط التخت من ابيه بقوة السلاح فكانت حكاية مكدرة وخيمة وقتل اصحاب خسرو بالبليات
من بعد العذاب الشديد ووقع القبض على خسرو واودع فى سجنا فى السراية عدة سنين وقيل ان جهانكير
كان مسلم ردى باى حالة كانت فانه كان يحب لاكل لحم الخنزير ومدمنا على شرب الاشربة المسكرات
وكان يهدد المسلمين بقوله انه يرتد الى النصرانية ان لم يتركوه يفعل حسب ما يشتهيه نفسه الخبيثة
ومن العجب انه كان مدمنا على الشراب واصدر اوامر من طرفه بعدم شرب المشروبات والدخان
والكل الافيون ويعاقب باشد العقاب كل من خالف اوامره ومنشوراته وكانت هذه الاعمال
جارية فى حالة ما كان عبدا مملوكا او رقيقا لزوجة فارسية الاصل اسمها نورجهان او نورمحل
وكانت تزوجت من قبله رجلا اخر وخلفت منه ابنة فامر جهانكير بقتل زوجها ليتزوج بها فلما
تزوج بها جلبت معها ابنتها الى السراية وقيل ان جهانكير كان رآها وهى بنت صغيرة ورغب
فى زواجها الا انها كانت مخطوبة ومنع اكبر ابوه هذا الزواج ومن المحتمل ان هذه حكاية اخترعت
من اجل عدم القدح فى جهانكير ومع ما كان من انها كانت حقيقية اولا فانها من مقلقات
حوادث تاريخ جهانكير وجعلت نورمحل جهانكير تحت الحجر بسبب ادمانه على شرب الشراب ومن طمعها فى
الشوكة والسلطة ونفوذ الكلمة اوقعت ارتباكا وهياجا مستمرا فى العائلة الملوكية واصعدت ابوها
الى رتبة وزير اول ومن بعد موته نصبت اخوها عاصف خان فى الوزارة وحاولت نورجهان

من جهانگير اولاد وكان له اربعة اولاد من زوجات اخرى وكانت العادة الجارية للاباطرة
ان يكون له اربعة اولاد لا غير وان مات واحد منهم اخذ واحدا من السراية وتبناه وصار من اولاد الملوك
وكان الابن الاكبر لجهانگير وهو خسرو مودوعا في السجن ولم يمكنه تحصيل العفو عنه من ابيه في ايام
مع الايام ويكون ولي عهد ابيه على التخت والابن الثاني شاه جهان فعمل اعماله الحيابية في قيام
مقام خسرو وتزوج بابنة الوزير عاصف خان وهي ابنة اخت الملكة العزيزة نورجهان وكان
في الديوان منتظرا ما تؤول اليه عاقبة الاحوال والايام والابن الثالث برويز ارسله ابوه
ليقيم مع الجيش في الدكهن والابن الرابع كان طفلا صغيرا اسمه شهريار وفي اثناء ذلك تولد كثير من
الوقايع والحوادث في الدكهن وجود فرع كبير وعائلة قوية وهو ان حبشيا ارتقى الى وظيفة ارقى
الوزارة في مدينة احمدنگر نا چور وطرد امامه المغول نحو شمال نهر طابتي ووقف الجيش امام
في مدينة برهانبور وما فعل القائد المسلم المعروف بخان خانان شيئا في هذه الوقايع فقيل انه
ارتشى من سلاطين الدكهن من اجل ذلك ارسل جهانگير ابنه الثالث برويز مع خان خانان
وكان برويز سكيرا مدمنا على شرب الشراب فنقل جهانگير ديوانه الى جهة الجنوب نوعا نحو اجمير
في مدينة راجابوتان وارسل ابنه الثاني شاه جهان في قيادة الجيش في برهانبور وفي سنة
١٦١٥ بعد الميلاد نزل واحد من وجوه الانكليز اسمه السير توماس رو في مدينة سورات
في صفة سفير من طرف جمس الاول صاحب انكلتره وتوجه لمقابلة امبراطور الهند فمر في طريقه
على مدينة برهانبور وتقابل مع برويز بن جهانگير وسار من طريق سيطور حتى وصل معسكر
الامبراطور في اجمير وشاهد توماس رو الابهة الكبيرة والفخفخة المجيدة عند جهانگير وقوبل
باعظم الاحتفالات في الدوربار العام وكان يأتي كل يوم عند الامبراطور في مجالس الليل
وفي تناول الطعام وكان جهانگير محسنا جدا الا انه ما كان على سمو ودرجة شرف تامة وكانت
لياليه في الدوربار خاصة بالرقص والمغاني بالبنات والقينات وكان العدل من صفته
وينظر الى توقيع الاحكام بعينيه فطالما صلب مجرمين او عذبهم او رماهم تحت ارجل الفيلة
حطمتهم باقدامها وخراطيمها وما كان جهانگير يتناول الشراب في مجالس الليل امام السفير الا
نكليزي وصحب توماس رو الامبراطور المعروف عند الاوروبا وبين بالمغول الاكبر وسار
معه نحو الجنوب ووصف توماس المعسكر في كل جهة عسكر فيها من هيئة صارانه وشوارع المظلة
من الخيام والسرادقات وقال ان سرادقات الامبراطور كانت مرتبة في هيئة سراية كبيرة مثل
سرايات اگره ودلهي من اسوار واستحكامات من الاقمشة ومقام الامبراطور في السرادقات
الداخلة ما عدا اذا خرج للصيد او شوهد في الدوربار العمومي في جمعية الليل وسمع توماس علاوة
حكايات على هذه السرادقات الداخلة وما كان في داخل فيها الا امة ما كان يسمح لدخول
احد فيها الا الامبراطور او احد اولاده وكانت فرقة عسكرية في الداخل مؤلفة من نساء التتار
او من القلموق في هيئة العساكر وكانت هيئة المعسكر غير مفرحة الصدر فان العساكر كانوا
عبارة عن تجار صغيرة وبعض الناس ما كان عندهم مؤنة او ما للحرب وكان الراجابوتيين
خارجين عن الطاعة يعيثون في الاراضي المجاورة ويقطعون السبل وينهبون الخيل والانعام
وكان عند توماس امل كبير ونظر حاد في خسرو فانه على ما قيل انه كان مسيحيا ومتزوجا بامرأة
واحدة فقط وكان هذا البرنس في محافظة ذليلة رهيبة فكدره الحالة وموجود ماسورا في الهند
وكان رو يبغض شاه جهان ويكرهه بسبب ما كان عليه من علو الانفة والتعاظم في النفس
وكان على ملازمة للفتن والهياج على خسرو ومن اجل خلاصه منه وفتح طريق باب التخت له ثم
ارسل الامبراطور ابنه شاه جهان في قيادة الجيش في الدكهن فهزم مالك عنبر مرارا وانتصر
عليه واثبت لنفسه بهذه الانتصارات معزة ابيه له وفضلا عن ذلك فانه كان زوج ابنة الوزير
الاول عاصف خان وهو اخو نورجهان او نورمحل ثم ما بعد مدة صار شاه جهان الد
الاعداء الى نورمحل لانه كما سبق كان لها ابنة وانه لو كان تزوج هذه البنت وجعلها امرأة
ثانية لنفسه فانه كان يحصل له الكمال عداوة من نورمحل وكان جل رغبتها ان ترى ابنتها
ملكة الهندوستان وكانت تشتغل بنفوذها وشوكتها في حمل جهانگير على ان يعهد بالخلافة
من بعده لزوج ابنتها فاحتال زوجها شاه جهان فعرضتها على خسرو فما رغب في زواج
على زوجته الموجودة تحته فغضبت نورمحل واخذها الحنق على شاه جهان وكان برويز

خارجا وبعيدا عن السلطة حتى ثم عزمت نورمحل على زواج ابنتها للابن الرابع لجهانگير وهو شهريار
وتوطيد قضية خلافة التخت له وفي هذا الاثناء عاد رو الى انكلتره وترك الامبراطور
الدكهن وسار الى دلهي ثم منها الى لاهور مع ديوانه وحاشيته وبقي خسرو تحت محافظة وخفارة
خان خانان ثم وصلت الاخبار بموت جهانگير فقتل خان خانان خسرو ليخلو طريق الاشاه
جهان فلما حصل للملك نقاهة من مرضه غضب على قتل ابنه خسرو وتوالت عليه الاكدار والاحزان
واصدر امره الى شاه جهان بارسال قوة قوية مع الامداد لقندهار من اجل محاربة العجم
وطردهم منها وعهد الامبراطور للابن الكبير لخسرو وكانت باسم بلاقي بولاية العهد على التخت
واحاطت المصائب بجهانگير من كل جانب بشاه جهان وما حصل له من قتل خسرو والاسرة الاولى
فلو قتل بلاقي مثل ابيه وعمه شهريار فان شاه جهان ينجح في مسيرة الحصول على التخت حتى ثم
ما امكنه القيام في عصاوة لان زهرة جيشه وشجعان عسكره كانوا توجهوا الى قندهار فارسل
وسيفه الى صهره عاصف خان في كونه يحمل اليه الخزاين الملوكية الموجودة في اگره وكان عاصف
خان ما زال وزيرا اول فحث الامبراطور على كونه يصدر امرا بنقل الخزاين الملوكية من اگره
الى لاهور وارسل الاخبار في السر الى شاه جهان بالقبض عليها في الطريق وقتل المعينين معها
وكانت قيمة صفائح الذهب والفضة والجواهر والنقود الموجودة في خزينة قلعة اگره ملايين
من الليرات وانه ربما بواسطة هذه النقود وكثرتها يميل كل عسكري ومجازف في الهند للدخول
تحت بيرق شاه جهان فاخرجت هذه الكنوز من خزاينها ووضعت في صناديق وحملت فوق
ظهور الجمال في جهة من جهات القلعة فشاعت الاخبار في هذا الوقت بان شاه جهان وصل من
الدكهن في سرعة السير فوقع الرعب والخوف وصار تنزيل الكنوز من فوق ظهور الجمال واعيدت الى
خزاينها واغلقت ابواب القلعة خوفا من شاه جهان فتولد من هذه الاسباب حرب كبير بين
الاب وابنه وتسبب عن العداوة الكبرى التي كانت بين المسلمين والراجابوتيين وصول المملكة
الى اقصى درجات الخراب ودوام نورمحل حالة الحرب وحلا على وحلا وجمعيت من الافغانيين
لنصرة شهريار والت الى ان احاط بالخيام الامبراطورية الراجابوتيين وصيروا جهانگير
ماسورا في ايديهم ولبثوا مدة من الزمن هم اسياد المملكة واخيرا خلص جهانگير من ايديهم ومات
في سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد وسقطت شوكة نورمحل من بعد موت زوجها واجتهدت في قيام الافغانيين
مع الراجابوتيين مساعدة لشهريار فرهنتها حالة الوقت وصار قبول بلاقي بن خسرو خليفة
من بعد جده جلس على تخت المملكة في دلهي ثم لما شاه جهان بلغ غاياته وتوصل الى مقصوده و
مزاياه بحيلة والخديعة وكان هروبه في الدكهن فاذاع انه مات وعرض اصحابه رغبتهم في دفنه
في قبر اكبر في اگره فرضي بلاقي بذلك وسار في تشييع جنازة عمه وكان في تشييع الجنازة جيش
كبير من الراجابوتيين ولما وصلوا الى اگره نط شاه جهان من نعشه في وسط القوم ففزع
بلاقي وهرب فاقتفوا اثره وقبضوا عليه واعقب ذلك مذبحة كبيرة في البرنسات وبهذه
الحيلة غلب شاه جهان على تخت الهندوستان واختفت نورمحل الى الابد اما في سجن او لانها
ماتت مسمومة وفي مدة سلطنة جهانگير استمرت ضرائب الارض على سبعة عشرة مليون
ونصف وبلغ الايراد الكلي للمملكة في مدة هذه السلطنة خمسين مليون ليره والله اعلم

الفصل الثامن

سلطنة شا[...]ان من سنة ١٦٢٨ الى سنة ١٦٥٨ وسلطنة ابنه اورنگ زيب
من سنة ١٦٥٨ [...] سنة ١٧٠[...] او الكل من سنة ١٦٢٨ الى سنة ١٧٠٧ بعد الميلاد

كان عمر شاه جهان سبعة وثلاثين سنة بعد ما جلس على كرسي مملكة دلهي في يوم غرة فبراير
من سنة ١٦٢٨ بعد الميلاد وكان اخوه شهريار الذي كان ينتظر انتقال جلوس التخت اليه
غائبا في لاهور في وقت ما سلم جهانگير روحه الى خالقها وكان معه ولدا اخوه وكانت عهدت
اليه محافظتهما من غوائل نورمحل وكانت ترغب هلاكهما حتى لا يكونا ضدوا ان ما فقدان سبيل
اغراضها ومقاصدها فقعد شهريار في هذا الوقت معها اتفاقا وقبض على الايرادات العمومية

وخزاين المالية وغلب بتفريبها على امر العسكرية وزحف عاصف خان في راس جيشه من اجل
تعضيد واثبات حقوق صهره او زوج ابنته فسار اليه شهريار والتقاه ووقعت بينهما حرب
جهولة انهزم فيها شهريار واتباعه والتزم على الحرب في داخل المدينة والالتجأ فيها فخانه اصحابه
وقتل مع ولدي اخوه بامر من شاه جهان واما نفس شاه جهان فانه لما وصلت اليه الاخبار
بخلو التخت اجابه مسرعا مع غاية العجلة طلب عاصف خان ووصل الى اگره مصحوبا بجيشه فانه
واستحوذ على التخت وجلس عليه وكان يوم جلوسه معدودا من ايام الاعياد المشهورة الكبيرة
صرف فيه واحد مليون وستماية الف ليره استرلينية وكان اول تشويش لكنه سلطنته
ولبشرها غارة الاوزابكية في داخل قابول فسار اليهم فلما قرب منها تقهقروا نحو الجبال ثم
ارسل محبت خان وكان راس العسكر الى الدكهن من اجل اخماد بعض ثورات شديدة قامت فيها
وكان سبب هذه الثورات ان خان جهان لودي رجل ردى الاصل افغاني الجنس كان في خير
ونعمة وافرة في مدة سلطنة جهانگير وكان قابضا على زمام العسكرية تحت قيادة السلطان
برويز قبل موته في الدكهن وحق جديدا في معاهدة ودادية مع ابن الشجاع العظيم مالك
عنبر وكان في هذا الوقت راس حكومة نظام شاه وكان خان جهان لودي المذكور رفض
قبول التوجه مع جهان شاه في وقت قيامه وسعيه من اجل تقليده زمام احكام السلطنة
وسار الى مالوه ووضع الحصار على مدينة مندو واستعد في وقت عدم فصل احوال المملكة
في تنظيم وتجهيز الطريق اللازم لاستقلال نفسه فارصد في هذا التهديد ولما وطئ جهان
التخت لنفسه اظهر له عدم العداوة فرجع لطاعته واعاده موقتا الى قيادته ثم من بعد قليل
عزله من وظيفته في الدكهن وارسله الى مالوه وتعين محبت خان حاكم الاراضي المعزولة في
الدكهن ثم من بعد قليل طلبه الى الديوان وعومل فيه بانواع الشرف وجعل الملك يلاطفه فوسوس
له الناس ان هذه امور خداعية والاستعدادات جارية على هلاكه ودماره فارتاب
من هذه الوشايات سواء كانت حقا او كذبا وخاف خوفا شديدا ثم من بعد قليل قام
في منتصف الليل والتفاريات تضرب امامه في راس الفيت نفس من اتباعه وخرج من
اگره ومعه اولاده الاثنى عشر ولد فاتبعته الف كر السلطانية واحاطوا به على نهر شنبال
الكيفية في جو بندوانه وفتح في هذه الجهة الحصينة مخالفة مع خليفة القديم ملك احمدناجور
ثم نقل من ارتكاب الاعمال في تلك الجهة حضور الامبراطور فسار اليها في راس جيشه ضخم ولما
وصل برهانبور قسم جيشه ثلاث فرق كل فرقة مولفة من خمسين الف مقاتل وسرحها
الى جهات مختلفة في داخل الارض وكان من جملة الاسباب التي تسبب فيها جهانگير لدمار
ابنه شاه جهان ستوح الفرصة الان منه للتشفي من ملوك الموجودة في الدكهن عن هذه الاراضي
عن ممالكهم التي كانت سلبت منهم وكانت سلطنة الامبراطور محدودة بالنصف الشرقي من
ارض كاندیش وقسم من ارض بيرار وكان اقوى هذه الممالك مملكة احمدناجور وكانت
على شوكتها ودرجتها فتحها منسوبة الى الرئيس القديم الحبشي الحالة مالك عنبر ومات قبل
جلوس شاه جهان على كرسي السلطنة بقليل ولما مات هذا البطل الاثت الفرصة للاحزاب
اهل الفساد ودواعي حب غاياتهم النفسية في نهب محصولات وفتح طرق وايراداتها ووقوع
الخراب في المملكة حتى صارت صيدة سهلة لكل عدو وغريب يجتهد لهزم مطالب عليها والمملكة
الثانية مملكة بيجابور وكان نزلها ملكها الوحيد منها بعد موت ملك عرة يا نعة وكانت اعماله
معاصرة لاعمال مالك عنبر والمملكة الثالثة مملكة جولكنده وكان ملكها في حيادة
عن المحاربة مع ملوك المسلمين ووسع مملكته بتغلبه على اراضي من اراضي ممالك راجات الهنود
المجاورين له واما خان جهان وكان على الدوام مراوغا من الحرب خائفا وقعت الغارة عليه
اخيرا ووقعت حملته وذخايره في ايدي المغول وطردوه بحيث لم يسلم نفسه في الجبال و
الاورمانات فاستغاث بملك بيجابور وكان على غير طايل فتح في طلب الاغاثة من ملك احمدناجور

٢٤٤

احمدنا جور فمن سوء طالع سعده انهزم ملك احمدنا جور فی واقعة بینه وبین المغول والتزم على
البحث عن سلامة نفسه فی داخل قلاعه فاحدوث هذه الهزیمة المنحوسة ما كان علیه خان جهان من الوعد
فی هذه الجهة وهرب الى الجهات الغربیة وكان مؤملا منها المساعدة فغلبه المعقب له فی طلبه واسره
وقتل مع بعض ابناءه بالسیف صبرا ومن بعد موته ما حصل تمام الحرب وهیاج على جیف مرتضى نظام
شاه ملك احمدنا جور فنسب مرتضى نظام كل ما وقع له من المصائب الى وزیره واعاد لوزارته فتح خان
بن مالك عنبر وكان غضب علیه واودعه فی سجن ضیق وكان فتح خان الوزیر الجدید ما زال متألما وحنق
مما حصل له من الملك مرتضى نظام فانتهز الفرصة التی قدمت بنفسها لیدیه فی هلاك ملیكه فقتله
مع بعض من اهله واحبابه وارسل فی الوقت بتقدیم طاعته الى شاه جهان مصحوبة بهدیة مقبولة
واجلس على التخت طفل صغیر وجعل سموه ودرجة سلطنة على الفاظ هرا تحت طاعة الامبراطور
ثم ان عادل شاه ملك بیجا بور الذی كان رفض فی الابتداء قبول الاشتراك مع خان جهان فی
مقاومة المغول استشعر فی هذا الوقت بما وقع منه من الخطأ الفاحش فارسل بالعفو حیث لمساعدة
ملك احمدنا جور السابق وكان شاه جهان سرع الیه جیوشه فاهملا الى ابن المضنع فتح خان ما اجراه
من اعماله الاخیرة فی تقدیم الطاعة وضم قواه مع قوى ملك بیجا بور ثم اسرع فی تركه وانضم بقواه
الى جیش الامبراطور شاه جهان فاظهر ملك بیجا بور اقدام وجسارة فهزمه آصف خان الذی جاء
لمحاربته والزمه على الهزیمة والهروب فی داخل استحكامات عاصمته فحاصره فیها آصف خان واشتغل
هذا القاید المغولی باشتغال المكر والتضنع وفی ظرف هذه المدة وقع القحط والطاعون فی عساكره
واجری كل واحد منها شغله فی فناء وهلاك عساكره ثم انه من عدم نزول الامطار فی الهندوستان
فی سنة ١٦٢٩ بعد المیلاد والسنة التی جاءت بعدها اصاب الهندوستان قحط موحش وخابت
مؤنات العلف وهلكت الحیوانات وكان یموت كل یوم من الاهالی بالمیات والالوف وما تم وقع
فی الجیش السلطانی هذه الصاعقة الشدیدة فالتزم آصف خان فی اخر امره على رفع الحصار
وفی تطهیر هذه الجبهة انتقم من البلاد واوقع الدمار زیادة فی الاقالیم الخصبة من هذه المملكة
وترك شاه جهان میدان الحرب وعاد الى اكره وترك محبت خان فی القیادة فاظهر هذا الرجل
الكامن القادر باسه وقوة المشارة وكانت النتیجة ان دخل فتح خان فی داخل استحكامات مدینة
دولت اباد واغلق ابوابها علیه ودافع عن نفسه فیها بمساعدة من ملك بیجا بور فانهزمت
عساكرها فی واقعة مع عساكر المغول وسلم فتح خان نفسه ودخل فی خدمة شاه جهان وارسل
الملك الشاب الذی كان تحت حمایة فتح خان ماسورا الى قلعة جالیور واودع فی سجنها وانفصلت
الفصلت مملكة الدكن وانتهت حروبها واختلطت المقاومات والاعداء اهل القوة والباس
الذین كانوا فی شدة المقاومة للامبراطور ما خضعوا له فقط بل واجتمع امرهم جمیعا على ما یعود
علیه بالنفع فی مصالح ممالكه وقطاعها ثم من بعد ذلك حصلت مقاومة ما كان ینتظر وقوعها
من قبل وظهرت فی هذا الوقت وهی انه لما تجرد ملك بیجا بور من كافة الملـ عمراح البرائیة
حصلت منه المخابرة فی المسالمة فما حصل من هذه المخابرة قبول مرضی فالتزم على حمایة نفسه
وكانت نتیجة مقاومته ان خابت كافة الطرق العنیفة التی اجراها محبت خان فطلب الى
الدیوان الامبراطوری وانقسمت الدكن الى حكومتین فما حصل بنجاح من الذین جاءوا من بعده
وصارت حالة الدكن فی ارتباك وخروج عن الطاعة فرأى شاه جهان انه من الضروری لم
عوده بنفسه الیها وعمل الطرق اللازمة فی خضوعها وفی مدة استمرار هذا الحرب ابقى ملك
بیجا بور لنفسه شهرته فی الحرب وصارت العساكر الامبراطوریة عرضة فی الغالب لهزیمة ابتلاع ونشاط
اعماله ومن ثم آلت النتیجة الى عقد معاهدة بشروط الفیا دد لوخ ١٠٠٠٠٠٠ لیره سنویا الى شاه
جهان وفی نظیر ذلك اخذ قطعة ارض من اراضی مملكة نظام شاه حصل منها توسعة فی ملكه
فی الجهة الشمالیة وفی الجهة الشرقیة وفی هذا الوقت صار الغاء الخراج الذی كان مضروبا على ملك
جولكنده ومملكة احمدنا جور وفی مدة هذه المحاربات ظهر فی المیدان ما كان معدودا فی الروایات
الهندیة هو شاهجی بونسله وكان فی مدة سلطنة مالك عنبر حصلت له شهرة وذكر ومن بعد
سقوط مدینة دولت اباد اعتزل الى الجهة الغربیة من الدكن وتقوى فیها وصار له نفوذ وشدة
تأثیر حتى صار له طاقة على ان یجلس على تخت احمدنا جور زعیم من زعماء التخت وتغلب على عموم
اقالیم تلك المملكة من ابتداء ساحل البحر الى عاصمة احمدنا جور ومن بعد مسالمة عادل شاه فتح

٢٤٥

فتح وترك الزعیم ودخل فی خدمات ملك بیجا بور برضا شاه جهان ومن بعد ذلك كان طالع
سعده ومكانة كبیر فی تاریخ الهندی وكانت عائلته هی المؤسسة لمملكة المهرطا وبین اوالمطاویة
وفی اثناء ما كانت المغول مشغولة فی الدكن بالحالة المتقدمة حصلت اشغال فی جهات اخرى من المملكة
جدیرة بالذكر كان اشهرها تغلب البرتغالیین على قلعة هوجلی على مسافة قریبة من قلقوطه
وكان حاكم بنغاله تغلب علیها فی سنة ١٦٢١ بعد المیلاد من بعد حصار طویل وسنذكر فی فصل البرتغالیین
كیفیة وصولهم الى ساحل الملبار والان یلزمنا هنا ان نذكر على حسب ضرورة الاحوال والموقع
ما اشتهر فی هذه المدة من اعمالهم فی هذا الوقت وهو ان البرتغالیین تحت قیادة الرجل المشهور
واسكو داجمه ظهروا فی شهر مایه سنة ١٤٨٩ بعد المیلاد فی مدینة كالیكوت الواقعة على
الساحل الغربی من الملبار وفی سنة ١٥٠٥ حصلت محاربة فی شولة بین لورینزو بن فرنسیسكو
دوالمایدة وبین اسطول سلطان مصر وكانت هذه اول مرة سمع فیها اصوات مدافع البرتغالیین
بین عرب حد مدشتره وكانت شولة فی هذا الوقت تابعة لمملكة احمدنا جور ثم انه بواسطة
ملك هذه المملكة استمر البرتغالیین فی معاملات وداریة عدة سنوات وفی ٢٠ دیسمبرو سنة
١٥٠٨ بعد المیلاد دخلوا فی نهر داپال ونهب النایب فرنسیسكو دوالمایده المدینة وحرقها
وكان اول الاراضی التی حازوها لانفسهم الجزیرة العظیمة الواقع علیها الان مدینة جوواه
وكانت من اعمال مملكة بیجا بور ثم ان اللص قطاع الطریق طیموجی رجل من اهل كنارا
وشوس لالفنسو البوفرق الهجوم على جوواه فهجم وتغلب علیها فی ٢٧ فبرایر سنة ١٥١٠
بعد المیلاد ثم عاودت لاصلها من بعد قلیل فهجم علیها البوفرق ثانیة وفتحها فی ٢٥ نوابر
من السنة المذكورة وفی سنة ١٥٣٤ نزل البرتغالیون على الساحل وحرقوا عموم المداین من
ابتداء شیكل طریور الى حد باسین وهدموا كافة ما حصل تشییده من الاستحكامات ووزعوا
الترتیبات من الثغور حتى بوصلها على الشكل وجعمرها من ابتداء طقناح الى بمبى ومن بعد مضی
سنتان تغلبوا على دامون والزموا السلطان بهادر صاحب الجوزرات وكان فی ضیق شدید من
الامبراطور همایون على كونه یتنازل لهم الى الابد عن باسین ویرخص لهم فی بناء قلعة فی دیو
ویجعل لهم حق مناززا فی جمع العواید على التجارة مع سواحل البحر الاحمر وفی نظیر هذه الامتیازات
یساعدوه على المغول ثم ان اعمال المغول فی الجوزرات وفی اخرى اشغلت البرتغالیین عدة
سنوات وفی سنة ١٥٤٨ اوقعوا خرابا مهولا فوق ساحل بیجا بور ودمروا كافة المدن
بالسیف والنار من جوواه الى تنكوت ثم حصل التوسل والاغاثة بعد عدتهم فی خلع ابراهیم
عادل شاه وجلوس اخوه عبد الله على التخت وكان مقیما عندهم فی جوواه تحت حمایتهم ثم
ترك هذا التوسل وفی سنة ١٥٧١ وقع هجوم اتحادی على البرتغالیین من ملك بیجا بور وملك
احمدنا جور وحصر على عادل شاه مدینة جوواه فانصد عنها صدودا عنیفا وكذا المدافعة
عن شولة وكان محاصرها مرتضى نظام شاه والحامی لها لویز فریره دو انذراده وارتقع
شان البرتغالیین بواسطة هاتین الوقعتین ارتفاعا كبیرا وكانت حالة المسلمین انه فی وقت
ما ینهزم جیش وطنی ینسبوا هزیمته للخیانة والاختلاس فال فرشته ان ضباط نظام
شاه انفذا امرهم من هدایا العرقی والشراب الذی كان یهدى الیهم ثم ان شاه جهان اخضع على
الحوالی فی لمملكة البنت الصغرى وارسل جیش لاخضاع سرنا جور فانهزم هذا الجیش وقوة
الفرى كان حصارها لفتح قوه بهار فارغمها شدة وصعوبة مناخ الاقلیم بترك هذه
الجهة لما بعد ان حصل التغلب علیها فی سنة ١٦٣٧ بعد المیلاد وفی هذه السنة اعیدت قندهار
من الفرس بخیانة عملها علی مردان خان وكان ملكه عاملا با صعب المعاملات فخره سیده
الامبراطور الجدید بوافر النعم ورقاه الى اقصى الدرجات وحاز الشهرة ودرجة الامتیاز بما فی الدیوان
اجراه من الاشغال العمومیة التی بناها وشیدها والخلیج الذی حفره فی دلهی الذی ما زال
معروفا باسمه الى الان ثم صار ضم اقالیم باكطریانه وبلخ وبدخشان الى المملكة وساق
الامبراطور بنفسه حركة الاعمال لان علی مردان وراجا سیاتان سنها كانا قبلا سبق خابا فی حركة
اعمالهما ثم من بعد قلیل حصل ارتباكات فی هذه الفتوحات فارسل الامبراطور ابنه اورنك زیب
لاعادة النظام والاحكام فیها وسار هو فی راس جیش ضخم لـ عونه فما افادت هذه الاعمال بفایدة
والتزم المغول على الرجعة والتقهقر ولو ان البرنس اورنك زیب نجى بنفسه مع البعض من عساكره

فان القسم الاعظم من الجيش هلك من شدة العطش وصعوبة في الجبال او من تكرار سطو الهجوم عليها
من اهل الجبال واشتدت المصاعب زيادة لمن الوهلة بالتغلب على اقليم قندهار الذي اعادوه
حديثا وترع من ايدي المغول في سنة ١٦٤٨ بعد الميلاد فمن اجل ذلك رتب شاه جهان ثلاث غزوات
كبيرة من اجل عود هذا الاقليم كانت الغزوتان الاوليان تحت قيادة اورنك زيب والثالثة تحت
قيادة اخوه داراشكوه وكان ترتيب الحرب الاخير في لاهور في فصل شتا سنة ١٦٥٢ بعد
الميلاد وتحرك الجيش في فصل ربيع السنة التالية وساوراه شاه جهان بنفسه الى قابول وولوان
الحصار كان على غاية من المداومة والعنف فان المغول من بعد ان خابوا في الهجوم نجدة مرات الزموا
على الرجعة والهزيمة وفي اثناء رجعتهم ذاقوا اشد الالوم والاقطار مما وقع عليهم من هجوم الفرس
والافغانيين ومن ثم انتهى السعي الاخير والاجتهاد الكبير في عود هذا الاقليم مرة اخرى ثم ان عقب
هذا الكدستان ما وقع فيها ادنى تغيير ولو ارتجاج في الامن والراحة وفي ظرف هذه المدة رغب
شاه جهان الاجتهاد في اصلاح ونظام الاراضي التي حازها حديثا تجمع حكومتي الدكن في حكومة
واحدة وعين ابنه اورنك زيب عاملا عليها فكانت اجل نتيجة من نتائج فتح الدكن هي تمام
مسح اراضي الاملاك المغولية في هذه الجهة من بعد ان لبثت عشرين سنة والعمل جاريا فيها
تحت مباشرة طودارمال الرجل المشهور في اعماله وكان مشهورا بمهارة الاعمال في مدة سلطنة
جلال الدين الامبراطور اكبر وعلى مقتضى نظام اعماله واشغاله ضربت الضرائب على الاراضي بنسبة
خصوبتها وعلو درجتها في الزراعة على حسب رسوم مختلفة من نصف الى سبع كامل الحصول على
حسب مصاريف الزراعة والمتحصل منها وعين نصيب الحكومة وجعلها نقودا معادلة لهذا
النصيب ولما تمت القياسات وتسجلت اراضي المزارع على اربابها تخصص ربع المحصول الى [illegible] من
الموارحن في عموم السنة ضريبة على كل فدان وصار ثابتا في التسجيلات السنوية لسلطنة شاه
جهان واتخذ اورنك زيب مقر حكومته ومركز ادارته ودايرته في مدينة كيركي وكان الذي شيد
هذه المدينة مالك عنبر في طلق عهدها اوربخ او اورنكاباد ثم ان حالة الامن والراحة التي
كانت متسلطة في هذا الوقت ما كانت موافقة لعمل هذا البرنس الشاب وهوى نفسه فانه في
سنة ١٦٥٥ بعد الميلاد سنحت له فرصة التداخل في اعمال جولكنده وهذه المملكة من عهد
تشعبها الاخير كان عبد الله قطب الدين شاه يدفع ما عليه من الخراج المقرر سنويا على وجه
الانتظام واستمر في محاذرة ثامر موطدا معروف وخير شاه جهان فكان شاه جهان لا يرغب
حصول ارتباك ولا قلقلة ولا اذى باي حالة كانت لهذه المملكة وفي هذا الوقت كان مير
جمله وزير اول ملك جولكنده وكان في مبادي امره تاجر الماس ومشهورا بجودة الفهم
والذكا والمهارة في عموم ارض الدكن ولما تولى مسند الوزارة كان مرعي الخاطر والاحترام
عند كل ملوك هم في ارض الدكن وعموم الهندوستان وكان له ولد اسمه محمد امين خليع
شهواني النفس فاجر الا انه كان حايز الاعتماد والوثاقة التي كان عليها ابوه فلما وقع من
محمد امين ما اغضب عليه ملكه عاقبه الملك فاستقبح ابوه هذه المعاملة وتغيرت الحالة
بينه وبين الملك فتدارك جمله امره ودخل تحت حماية الامبراطور وبعده اورنك زيب
بكل ما في وسعه فتوسل من ذلك غراس محبة في علو ارتقا اورنك زيب وصار مصاحبا
لاحترام نادر بحيث ما حد شدة طلب اشتغاله الى ان حرقت المملكة بتمامها وروي ان جملة
هذا كان فارسي الاصل ومولده في اوزرشتان قرية في ضواحي اصفهان وروي ان والداه
كانا من اشراف الناس الا انهما كانا في حالة فقر كبيرة فاجتهد جملة حتى صار له دراية
تامة بالقراءة والكتابة وحضره بالتحريرات ومن ثم خدم عند واحد من تجار الالماس في
صفة كاتب تحت يده وكان هذا التاجر له عادة بالتوجه الى جولكنده وله عملا ومعاملات
فيها فصار جمله وكيل سيده في تجارة الالماس في جولكنده وحاز سعادة كبيرة حتى صار
له طاقة على كونه يشتري لنفسه محل خدمة في ديوان كتابة الدين ملك جولكنده طيلوتخاله
وهو منه شيء من جولكنده فاشتهر اسمه في الديوان وطرقت شهرته مسامع الملك
فاصعده الى مسند رياسة قواده ولما عمد اورنك زيب جمله حضن شاه جهان امره
بشدة وقوة حسب مرغوب ابنه وارسل مكتوبا قاطعا الى ملك جولكنده فغضب ملك
جولكنده من هذا التداخل فاسرع بالغارة على ارضه وبلاده ومن دون ان يعلن اورنك زيب

حربا وكان ملك جولكنده من شدة غضبه اودع محمد امين في السجن وضبط املاك ابوه
فكان ذلك سببا في عزم شاه جهان على معاقبته واصدار امرا من طرفه الى ابنه باستعداد جيش واخذ
الطرق الفعالة في خلاص محمد امين وطلب رضا جمله فيما حصل له من الضرر والاذى وان لم يقبل ملك
جولكنده فاسرع بالغارة على ارضه وبلاده فارسل اورنك زيب قوة منتخبة من جيشه على زعم انها
تحت سير ابنه الكبير محمد في توجهه الى بنغاله بالقول انه متوجه لزواج ابنة عمه السلطان شجاع وسار
اورنك زيب نفسه خلف هذه القوة في راس الجيش الاصلي وكانت الطريق من اورنكاباد الى بنغاله
مدورة ولوحة حول مدينة مستالبنم من اجل عدم الدخول في اوراضات جولكنده ولا القرب من
مدينة حيدراباد عاصمة هذه المملكة وكان عبد الله شاه ما عنده فكر ولا ارتياب ولا التفات في
خيانة ينتج منها مساعي عدوانية حتى انه يستعد بما يعامل به هذا البرنس الشاب وما استشعر بوقوع
اي خطر حتى وصل العدو ووقف على ابواب مدينته فهرب الى قلعة جولكنده في الجبل على مسافة
ستة اميال او ثمانية من المدينة ووقعت حيدراباد في ايدي المغول وهجموا عنوة على قلعتها وفتحوا
المدينة والقلعة وحرقوا الضواحي وقطعوا الطرق والمسالك على العساكر التي ارسلت من الجهات لمساعدة
ملك جولكنده ودفع ملك جولكنده في الذل والاهانة الى اخر درجة وكان عبد الله شاه ولما وصل
اورنك زيب اصدر امره بالافراج عن محمد امين واعاد ما كان ضبط من املاك ابيه وامواله
الا بعد ان اجتهد عدة اجتهادات في رفع الحصار بالقوة التزم على الانقياد للطاعة باصعب شروط
املاها اورنك زيب والتزم على زواج ابنته الى السلطان محمد بن اورنك زيب ودفع ما كان متاخرا
عليه من الخراج حسب ما قرره اورنك زيب ودفع ايضا واحد مليون ليرة عقابا على ما حصل منه
من وقاحته الاولى ومن بعد جولكنده وجه الامبراطور شاه جهان كافة اجتهاداته والتفاتاته
الى مملكة بيجابور المجاورة لمملكة جولكنده والسبب في ذلك انه من عهد عقد معاهدة الصلح الاخيرة
التي عقدت مع هذه المملكة في سنة ١٦٣٦ بعد الميلاد غرس محمد عادل شاه بذر المحبة والصداقة
مع الامبراطور ودخل في وداد ومحبة كبيرة مع ابنه الكبير المعز عنده داراشكوه فتسبب من هذه
المحبة الغزيرة ارتباك وهياج في قلب اورنك زيب وكان في غيرة وجسم محشو بالحسد في السر والخفية
الى هذا الوقت اي في سنة ١٦٥٦ بعد الميلاد مات ملك بيجابور وجلس على تخته ابنه وكان
شابا عمره تسعة عشر سنة وكانت خيرات ومحصولات بيجابور واسعة وافرة وكان عند هذا
الملك الشاب خزنة مملوءة من النقود واراضي عظيمة خصبة غنية وجيش جرار ضخم وكان الجيش
في هذا الوقت موزع منه فرق كبيرة في جهات المملكة من اجل قمع الزميندارات العاصين في نواحي
الكرناطيق فاغوى الابن الصغير شاه جهان ابوه وحثه على كونه يمنع احقية هذا الملك
الشاب للتخت ويثبت لنفسه الحق في تعيين من طرفه ملك لمملكة هذه الخراجية وسار اليها اورنك
زيب ولاقى في احتفائها مقاومة ضعيفة وفتح قلعة كاليان وولو ان قلعة بيدر كانت
قوية التحصين والمحافظة فانها وقعت في ايدي اورنك زيب في اول يوم من ايام الهجوم وقيل
ان سبب وقوعها فرقعة جبخانة كبيرة من جبخاناتها فرقعة عارضية واخذت كيلبورغه بالهجوم
عنوة وارتشى الوزير الاول محمد خان لمملكة بيجابور وكان قايد عساكرها فاهمل بخيانته كل فرصة
سنحت له في صد تقدمات المغول وارغم الملك المنحوس الطالع على عقد شروط صلح مهينة بمواد مذلة
وفتحت جيوش خصم اورنك زيب على تمام وقوع المملكة جميعها والكبس مع شدة العنف على حصار العاصمة
لولا ان حدثت حادثة ارغمته على تغيير عزمه ورايه وهي ان اباه اصيب بمرض حاد واختلت
شعوره وحواسه وشوهد فيه تمام انقضاء حياته وكان داراشكوه ابنه الكبير وعزيزه الخطير
موجودا في مركز الحكومة فتقلد زمام ادارة وظائف ابوه وكان اول اعماله ان طلب جمله
لكافة كبار الحكام والقواد المتوظفين في الدكن ومن المحتمل انه التزم على اجراء هذه الحالة
باسباب مخصوصة كانت في عقله مخصوصة بمملكة بيجابور وبسبب كراهته ايضا لاورنك زيب
فانه كان فزعا خائفا منه وكان يتصوره موسسا على قاعدة كبيرة عنده وهي شدة طمع اخوه البرنس
اورنك زيب في التخت وصيرورته لقبه مجيرا عند المسلمين بسبب شدة غيرته الاسلامية وشدة غفلته
ودقته والملازمة على دينه واما داراشكوه فانه كان بعكسه فانه كان يميل لما كان عليه جده اكبر

وبواسطة تمسكه بما كان عليه من عقايد ومذاهب زوجاته اغضب منه المتمسكين حقا بالديانة
الاسلامية فاشار جمله على اورنك زيب انه يقبل المخابرات الجارية من على عادل شاه ويفصل ارجاعه
ويوجه الى النقابة الى ما ورا ذلك فاخذ اورنك زيب من على عادل شاه مبلغا جسيما وعقد معه
معاهدة سلمية بواسطتها سلم له ما كان تغلب عليه من اراضي وقلاع مملكته ثم سار الى اكره من اجل
صد اغراض دارا شكوه وكان لشاه جهان اربعة اولاد جميعهم كبار السن وكل واحد منهم شائق
ومتشوق لنيل الحصول على التخت وكان دارا شكوه عمره اثنان واربعين سنة وشجاع عمره
اربعون سنة وكان في هذا الوقت نايب بنجاله واورنك زيب عمره ثمانية وثلاثين سنة والاكان
مراد بخش اصغرهم متخذا ما في اهم وظايف القيادة وكان في هذا الوقت حاكم الجوزرات اذ جمع
ابوهم صفاتهم فقال ان دارا شكوه له فطنة وذكا وقريحة في الحكومة ومحبة للتنافح العولية لكنه
انه متعصب في كل ما يؤول منه الشرف ودرجة الرفعة وهو طيب مع الردي وردي مع الطيب وشجاع
سكير ومدمن على الشراب وهو اوشره الطباع فاسد الاخلاق والاداب فاجرتهم الى التنفس و
اورنك زيب موافق جدا في العقل والتدبير وتحمل اثقال الاعمال العمومية الا انه كثير الريب والشك
ومع انه لم يجد عنده احد يعتمد عليه وكل واحد من هولا البرنسات جمع لنفسه جيشا عظيما من اجل
استحوازه بالقوة على طلبه وكل شي مكنون في عقله ووصلت الاخبار في اثر الى اورنك زيب
من اخته وعزيزته روشن آرا بما حصل اجراه من الاعمال في الديوان فكان اول اشتغال اورنك
زيب ان عرض على اخيه مراد انه ليس له طمع في تقليد نفسه زمام الحكومة وان عزمه ان يجازي امره
ان يقضي ما بقي من حياته مشتغلا بعبادة خالقه والاشتغال بامور دينية على معزل من الناس وان
سلامته والمحافظة على حياة نفسه الجأته لحمل السلاح ضد عدوهما المشترك دارا شكوه وانه من
الواجبة فرضا عليه ان عدته له حتى يجلس على تخت ابيه وبواسطة هذه الاقوال الكريهة والتضليلات
الخداعية اغوى مراد وحشد في جمع قوته مع قوته ومن بعد واقعتين صغيرتين وقعتا على الكل
انهزمت الجيوش السلطانية والتزم دارا شكوه على الهروب ومن بعد واقعة اخرى انهزم فيها دارا
خانه اصحابه ووقع في ايدي اورنك زيب فامر في الحال بقتله ثم حصل الشفا للامبراطور شاه
جهان على حين غفلة من مرضه ولو انه ارسل عدة اوامر لاولاده بخطه ووضع اثقال الحرب
ودعى كل واحد منهم الى حكومته ودايرة ادارته وشغله فانهم زاعوا هذه الاوامر بانها من
مختلقة ما اطاعوها واستحوز اورنك زيب على نفس الامبراطور ابيه واودع اخوه مراد
في السجن وغلب على امر جيشه وخلع الامبراطور وجلس على التخت في سنة ١٦٥٨ بعد الميلاد ومن
بعد قليل سار نحو اخيه شجاع وهزمه وارغمه الهروب الى نواحي مملكة اركان فمات مقتولا فيها
ومن ثم انقرضت طلاب التخت وصار اورنك زيب جالسا على تخت المملكة من دون منازع ولا
معارض وعاش شاه جهان مخلوعا سبع سنوات عومل في ظروفها باجل احترامات المعاملة و
كانت مدة سلطنته من اجل مدد العز والفلاح في الهند وكان شاه جهان اجل وافخر ملوكها في
الابهة والرونق والجلالة وكانت حواشيه وهيئة حكومته واتباعها وفخامتها في اكبر درجة ما وصل
اليها اسلافه فكانت مصاريفه في هذه الفخفخة العالية الكبيرة وافرة وما حصل منها يجري في حساب
ما يابانه واجل عمل عمله في مدة سلطنته هو تشغيله التخت الطاوسي المشهور وكانت هيئة هذا التخت
على صورة طاوس نافش ذنبه او ذيله والوانه الطبيعية مشغولة بالزمرد الازرق والياقوت
والزمرد الاحمر وجواهر ثمينة اخرى من حجارة الالماس والاحجار الاخرى الكريمة تدهش الناظر
اليها وبلغت تكاليف هذا التخت ستة ملايين ونصف من الليرات حسب ما قرره طافرنير
احد المشهورين من الجواهرية والصياغ وكانت مدة سلطنة شاه جهان ثلاثين سنة حيوتها
في غاية الرخا والقبول عند رعاياه وكان عمره في وقت خلعه سبعة وستين سنة ومات فيما
بعد ان بلغ من العمر اربعة وسبعين سنة

[خلع شاه جهان]
[موت شاه جهان]
[محصل القول عن سلطنة شاه جهان]

ثم ان محصل ما قيل في ذكر سلطنة شاه جهان من سنة ١٦٢٨ الى سنة ١٦٥٨ بعد الميلاد
انه بمجرد وصول الاخبار اليه بموت ابيه جهانكير اسرع في السير من الدكهن الى جهة الشمال و
نصب نفسه امبراطورا في اكره في غرة فبراير من سنة ١٦٢٨ واخذ حبس الامبراطوره نور جهان
الى الابد وامر باعتزالها والحجر عليها في عيشة مرضية قايمة بها وربط لها معاش ومصاريف لا
وحاشيتها وقتل اخوه شهريار مع كافة اعضا بيت اكبر الذين كان يعرف منهم عداوتهم له في

طلب التخت الا انه كان عادلا منصفا في رعيته محبوبا عندهم ممدوح الصفات مهارا في امور
ماليته وايراد مملكته مدبرا في اموال المملكة مهما كانت فيه فخامة الديوان والاشغال العمومية
المفتخرة وبعد صرفات غزوات جيوشه على قدر ما تسمح به له طاقته وفي مدة سلطنة شاه جهان
انفصل من المملكة المغولية اقليم قندهار في افغانستان الا انها مدة قصيرة جاءتها في الدكهن
وشيدت المباني المفتخرة في الهند الشمالية التي تشهد لها الان بما كان عليه ملوكها من الابهة والجلالة
ومن بعد احتلال بلخ وعود قندهار بواسطة عساكر دلهي في سنة ١٦٤٧ حضر شاه جهان الكثير من
اراضيه في افغانستان وتغلب الفرس على اقليم قندهار مرة ثانية في سنة ١٦٥٣ ومناوشات اخرى
ارغم في الدكهن الى المملكة المغولية في سنة ١٦٣٦ مملكة احمد ناجور وفي سنة ١٦٥٧ قلعة
بيدار ومملكتان من الخمس ممالك وهما بيجابور وجولكنده وارغما على دفع الخراج لخزينة شاه
جهان ولو انه ما تم خضوعهما الا في سلطنة اورنك زيب ثم ظهر في هذا الوقت في الميدان المرهطاويون
او المرهطيون وشرعوا في تاسيس مملكة لهم في احمد ناجور في سنة ١٦٣٧ وكان مشروعهم على غير
طايل واشغل اورنك زيب واقوته بنيران الحروب في جنوب الهند وفي افغانستان باوامر
صدرت لهم من ابيهم واجرى شاه جهان بنفسه غزوة او غزوتان وعاش من بعدها في عيشة هنية
رضية في ابهة وجلال في شمال الهند وشيد السراية في دلهي واحاطها باسوار الاستحكامات والسلطنات
من الاحجار الحمرا وبالبساتين والمنتزهات وكان لها مع استحكاماتها وابراجها منظر ابيس الناظرين
ويدخل اليها من بابين مفتوحين على الميدان الكبير او السوق العمومي وكان احد البابين مخفورا
بفيلين جسيمين مصنوعين من الحجر راكب على ظهر كل فيل رجل شجاع حربي من الراجابوتيين مصور
من الحجر وفي هذا الميدان العمومي ملوك الراجابوت والامراء راكبين على خيولهم في الخفر بالنوبة مع
تبعتهم مدة اربعة وعشرون ساعة ليلا ونهارا وبابان اخران مفتوحان على شارعين كل واحد
في وسطه عين ماء خارج منها مجاري تجري منها المياه من نهر جومنا بواسطة ترعة قديمة كان
حفرها فيروز طغلق وهذه المجاري توصل المياه الى عموم الغيطان والحجرات والدهاليز
والاوفاح وابنيتين والف في وفي جهة من جهتي احد الشارعين مقام المباني المكونة بالمصالح
العمومية وغيرها الكتابة والمستخدمين على ارتفاع او علو ثمانية اقدام او عشرة من عامة الفكر
والخيل المارة اسفل منهم ومن الشارع الاخر شيد مباني مكونة لاشغال الملابس والجوهرية
واشغال العطريات والروايح واشغال النعال والمراكب وارباب صنايع اخرى للسراية ياتون في
كل صباح ويذهبون في المسا والشوارع الاصلية مقطوعة بحارات وعطف توصل الى سرايات
وايوانات وفي هذه العطف واقف امرا المغول راكبين على خيولهم في الخفر بالنوبة مثل ملوك
الراجابوتيين والامرا في الميدان العمومي فاما الراجابوتيون فانهم ما كانوا اهل ثقة واعتماد
لان وجودهم من داخل السراية او في داخل اسوارها ما لم يكونوا مصحوبين بجنباط من الخفر المغولي
وكان محل خفرهم خارج ابواب السراية واما المغول وامراءهم فكان خفرهم في داخل استحكامات السراية
وكان في اخر الشوارع الدوربار العمومي او ايوان الاستقبال المعروف بالديوان العام وكان الامبراطور
يجلس في هذا الايوان على تخته كل يوم نحو الظهر وحوله امراءه من المغول والراجابوتيين جالسين
تحت التخت على حسب درجاتهم وفي هذا الديوان يتلقى الامبراطور الاعراضات المقدمة اليه وهم
يعرضون عليه العسكر والخيل والفيلة اليه ومصارعات الحيوانات وارباب الالعاب اصحاب الروايات
والمغنيين والمغنيات والراقصين والراقصات وارباب الملاعب السحرية من الحواة وغيرهم وتتفرج
العوام مع الحشم والاوباش في حوش السراية على مسافة محترمة ومن بعد الديوان العام الديوان
الخاص او ديوان المقابلات الخصوصية يستقبل فيه الامبراطور الملوك والسفرا ويعقد فيه جمعيات
المشاورة والمسامرة في مدة الليل وهو بنا ظريف من الرخام المموه بالذهب واللازورد وسقفه
في غاية الظرافة من النقوش المدهشة البديعة ومنقوش بالكتابة في داير كرنيشه ان كان موجود
في الدنيا محل جنة فهو هذا ومن بعد ذلك الايوانات والحجرات الداخلية للسراية وهي محلات الحريم والنسا
ومنها الملكة والبرنسيسات متمتعين بارغد العيشة والرفاهية ولذة الماكل والمشارب والملابس
والخفر الخاص بالامبراطورة في رواق الحريم مؤلف من نسا من التاتار او القلموق متسلحين في هيئة الرجال
ومن الاشغال الغريبة التي اشتغل بها شاه جهان التخت الطاوسي وقد سبق الكلام عليه وابتنى شاه جهان
في اكره تاج محل وهو ضريح مخصوص لعزيزته زوجته ابنة عاصف خان اخو نورجهان فقيل انه صرف
على بناه مبالغ وافرة وكان احد المباني التي اسرفت عليها النقود فوق ارض المعمورة وعقوده وقبابه

[وصف سراية دهلي]
[تاج محل]

المصنوعة من الرخام العظيم المصقل والمجلاة في هيئة تدهش بعقول الناظرين اليها وابوابه المزخرفة ورخام
حيطانه المرصعة بالجواهر ونقوش الطيور والازهار وهو مطل على بساتين واسعة ومماشي وكذا ابنى
جامع اللؤلؤة في داخل قلعة اگره وهو اجل مسجد واحسن جامع في الدنيا وشرع في بنا مسجد الجامع في
السنة الرابعة من سلطنته وتم بناه في السنة العاشرة منها وبلغت المملكة المغولية في دورة سلطنة
شاه جهان اقصى درجات مجدها وعلوها في القوة والابهة وكان الايراد المحصول من الاراضي في مدة
سلطنة جلال الدين اكبر ١٧½ مليون ليره وفي مدة سلطنة شاه جهان بلغ ٢٢ مليون ليره
واتفق في ذلك كشمير والجنس اقاليم الموجودة في افغانستان وكان ايراد المملكة المغولية في داخل
الهند فقط ٢٠ مليون ليره من محصولات الاراضي –

سلطنة اورنگزيب من سنة ١٦٥٨ الى سنة ١٧٠٧ بعد الميلاد

كانت معيشة شاه جهان وسلطنته غالبها في اگره وما اختلط مع رعاياه كما اختلط جده اكبر وكان
لا يحب المقام في العسكر مثل ما كان يفعل ابوه جهانگير وكانت اسفاره بين اگره وكشمير فقط
وفي مدة سلطنته انقلب الامن والعز والفلاح الذي كان متسلطنا في سلطنته بحروب اهلية
وقعت بين اولاده الاربعة داراشكوه وشجاع واورنگ زيب ومراد فاما داراشكوه فانه
كان يميل للاجتماع مع الاوروباويين وكان محبا للعلوم والاداب وكان يعامل الراجابوتيين
بالوزارة والهوان ويرجح النصرانية على الاسلام وكان شجاع يميل الى فارس ومنها ثم كان
متمسكا بمذهب الشيعة وفي وداد وصحبة مع ملوك الراجابوتيين وكان اورنگ زيب يميل الى
الاتراك ومتمسكا تمسكا قويا بمذهب السنة والجماعة وله غيرة شديدة على الاسلام وكان مراد
شابا خالص النية صافي القلب حار سهل الانقياد للغواية والخدايع وكان متمسكا بمذهب السنة
مثل اورنگ زيب وكان دارا الابن الكبير مقيما في الديوان منتظرا خلافته على التخت من بعد
موت ابوه والثلاثة الاخرين ارسلوا للاحكام في اقاليم بعيدة واستعد الكل للمحاربة مع
بعضهم بعضا من اجل التخت لو حصل لابيهم شاه جهان شي وقضى به حياته وكان شجاع عامل
بنقاله فاشتغل بجمع النقود ولم العساكر من اجل حرب مقبل وكان اورنگ زيب عامل الدكن
وحاكم على الاقليم الجديد لاحمد ناجور وبيرار وعيناه ناظرتان الى مملكتي بيجابور وجولكنده
نظرا حادا طويلا واشتغل ببنا الف حد والاشتراك مع فقرا ودراويش المسلمين وقلبه مشغول
بخلافة التخت وكان مراد عامل الجوزرات وكان شابا عسكريا محبا الصيد السباع والاسد
في الغابات والاجام ومدمن على شرب الشراب المحرم عند كل مسلم سني وما اقام اورنگ زيب
في عاصمة احمد ناجور بل اقام مع دايرته وخدمه وعسكره في مدينة جديدة سماه اورنگ اباد
على اسمه وكان يقرأ كلام الله وحديث رسول محمد صلى الله عليه وسلم ويجتنب شرب الشراب واكل
بعض اللحوم فاتفق ان حصل في هذه المؤامرات والدسايس ان مرض شاه جهان
فبرز شجاع لميدان الحرب في بنقاله وسار الى جهة الغرب نحو اگره واعلن ان الامبراطور
قتله داراشكوه بسم دبره له فانهزم ورجع مكسورا الى بنقاله وكان اقليم اورنگ زيب في
الحال من جهة النقود والعسكر غير انه ما اظهر ضعف نفسه وكتب الى اخيه الاصغر مراد مكتوبا
يذكر له فيه انه لا يرغب في التخت وانه يرغب صرف ما بقي من ايام حياته في العبادة والخشوع لربه
واقامة الصلاة وانه لا رغبة له في مطامع الكافر داراشكوه ولا الرافضي الشيعي شجاع
وان احب ما عليه مساعدة مراد وجلوسه على التخت لانه من خيار المسلمين ومحامي اهل السنة والجماعة
فتشوق من هذا المكتوب انضمام اورنگ زيب مع مراد وجمعا خزاينهما وعساكرهما وتقدم الاخوان
سويا جهة الشمال نحو اگره وما كان حصل موت شاه جهان بل كان اصيب بمرض شديد وجعل
له الشفا على التدريج فحمل الى قاعة الدوربار فافتكر الناس ان هذه رجعة جاوا اليها الايهام
وما صدقوا ان شاه جهان على قيد الحياة فسار داراشكوه نحو العصاة في راس جيش كثيف
من المسلمين والراجابوتيين الا ان الخيانات كانت متسلطنة في جيشه فتركه المسلمون وذهبوا
الى اورنگ زيب وحضر الراجابوتيين حالهم في الميدان وهربوا من ميدان الواقعة وهرب
دارا ناجيا بنفسه الى راجبوتانه مع شرذمة من اصحابه وكان لشاه جهان ابنتان موجودتان
في داخل السراية كانت الكبيرة منهما تدعى بيجوم صاحب والصغيرة اسمها روشنآرا اي
بيجوم وما كانتا متزوجتين وكانت الكبرى معززة عند ابوها ومعاضدة امر دارا و
الصغرى كانت بارزة بجهودها فيما يتعلق بامر اورنگ زيب وسار اورنگ زيب ومراد من

بعد هزيمة دارا متوجهان بتاج الظفر نحو اگره مدعيان انه اباها قتله دارا بتدبير السم له
ولما في عصاوة على ابيهما بل جا من اجل اخذ الثار بقتل ابيهما لو كان حصل قتله وكان شاه
جهان في هذا الوقت شفي من مرضه فدعى اورنگ زيب من اجل محادثة فانذرت بيجوم
الصغرى اخاها بانه اذا دخل في داخل محلات السراية قتله جماعة الخفر من مناة التاتار فمن
ثم حصر اورنگ زيب السراية بعسكره واخذ المفاتيح وغلق الابواب ووضع الحرس والخفر على كل فرجة
ومنفذ فيها وصار شاه جهان من هذا الوقت مسجونا في داخل السراية في اگره وما عمل له ضرر ولا
جلية اشر من بعدها خارج حيطان السراية وفي غضون ذلك استغاث دارا بملوك الراجابوتيين
وامراؤهم في ربواعهم اورنگ زيب اشد محاربة ثم انهزموا فلما راوا ان اورنگ زيب صارت
له الغلبة والسيادة خضعوا له وسلموا انفسهم واما دارا فانه سار مع عايلته وبعض من الذين
بقي من اتباعه سيرا صعبا مملا طويلا نحو احمد اباد في اقليم الجوزرات وكان الحاكم فيها وعده
بالمعاونة في امره وكان برنيير الطبيب الفرنساوي مع حزب دارا مع واحدة من زوجاته كانت
مريضة من جرح شديد اصابها قال برنيير المذكور انهم قاسوا في سفرهم الاهوال واكبر التعب من
شدة الحرارة وكثرة الغبار وغار عليهم القبايل الكحية المعروفة بقبايل الكوليين ونهبوهم وما زالوا
في كد وتعب الى ان وصلوا على مسافة بعيدة محل ما قواهم وراحتهم واشتياق نفسهم وهي مدينة احمد
اباد فوصل اليهم مكتوب على حين غفلة من حاكمها الى دارا يامره بعدم التقرب من المدينة وغلق ابوابها
في وجوههم وامر الاهالي بحمل السلاح من اجل مقاومة دارا وعدم دخوله في مدينتهم فلما قراه
دارا انكسرت منهم القلوب وضعفت حالة الاب والتاث وصرن في حسك وشدة من التعب والنصب
واحاط بالضباط والناس الفزع والانزعاج فارتهم دارا ينصحهم ويعدهم ويمنيهم فكان على غير
طايل من امرهم واخيرا ما بقي عنده ممن باقية الا عبوره صحرا السند المحرقة التي هي مقبرة الجيوش
والعساكر من عهد ايام محمود الغزنوي مع علاقي النجاة بنفسه مثل ما حصل جده همايون فكان
برنيير الطبيب عازما على التوجه معهم الا انه لم يجد لنفسه حيوانا يسافر عليه في مثل هذه الصحرا
المهلكة فاتخذ طريقه الى دلهي وجانة الاخبار فيها ان اغلب اصحاب دارا والكثير من الناس هلكوا
في الرمال او قتلهم الكوليين واما دارا فانه نجى بنفسه الى قابول وفي هذا الوقت رجع اورنگ
زيب ومراد من اگره وكان مراد منتظر اعلانه امبراطور الهندوستان غير ان اورنگ زيب كان
نفسا مع فتح من اعيده حفل لمراد وليمة احتفل له فيها ودعاه اليها واسكره بالعرقي والمسكرات
ورقص النساء والقينات الى ان غاب رشده وضاع عقله فتركه اورنگ زيب في السرادق وعاد
الى خيمته واعلن ان مراد لا يصلح للتخت وحمل هذا البرنس وهو في شدة سكره فوق ظهر فيل وارسله
مسجونا الى قلعة جاليور وصالح اورنگ زيب جيشه بالهدايا والمواعيد حتى دخل الجيش في
امره ومن بعدها ما سمع على مراد بخير وقال برنيير انه هلك من سم صار تدبيره له مدة طويلة
حتى ضعفت حواسه وقواه ومات موتة قبيحة ثم ان واحدا من الافغانيين خان دارا وباعه
وبلغ الى اورنگ زيب وجي بدارا الى دلهي في حالة مهينة واركب على فيل مهين وطيف به في شوارع
المدينة واسواقها وشاهد برنيير هذه الحركة فناح الناس وولولوا على دارا ولعنوا الافغاني
لكن ما تحرك واحد منهم بخلاصه فارتاع اورنگ زيب من ذلك وما قتل دارا جهرة بل ارسل من
قتله في السر وكان لدارا ولد شاب ظريف الوجه جميل الصورة اسمه سليمان شكوه كان قايد
الجيش الذي هزم شجاع الى بنقاله ومن بعدها الى اراكان وقتل فيها بامر الراجا وعاد سليمان
مسرعا من اجل مساعدة ابوه الا ان الوقت كان مضى وفات فهرب سليمان الى كشمير فنفى
امره الى اورنگ زيب وجيب في دلهي مقيدا بالاغلال وقيود من الذهب فاطافوا به امام العوام
مثل ابوه بل امام اورنگ زيب وارباب الديوان في قاعة الاستقبال الخصوصي وكان برنيير
الطبيب حاضرا هذه الحالة فقال ان البرنسيسات والستات بكين وعدون وولولن من خلف
الستاير فقال له اورنگ زيب ان حياته مضمونة مأمونة فاجابه البرنس بقوله انه يرغب الموت
في الحال ولا يلزم بشرب السم الطويل المدة فوعده اورنگ زيب بعدم شرب السم ومن بعدها
ما سمع على سليمان بخبر وحقق برنيير الطبيب انه هلك مسموما واعلن اورنگ زيب امبراطور

الهندوستان وكان تاريخ سلطنته من ابتدا يوم ١٢ مايه سنة ١٦٥٩ وكانت سلطنته ثم اولاد
وابوه شاه جهان مسجونا في سراية اكره

ولما جلس اورنك زيب على تخت المملكة المغولية لقب نفسه عالمكير يعني سيد العالم ولما زال الطالبين
للتخت من طريقه وقطع دابرهم وجه جيوشه على راجا بكابتر وكان ذلك ميلا في الدكن
ما زال باجا عدوه فاخضعهم الى طاعته واما جمله الذي اسمر في صداقة اورنك زيب واولى
له خدمات جليلة صالحة لمنافعه فانه صار في هذه الحالة مطلب الريب والشبهات وكان اشتغال
اشغال جمله الذي اداها في المدة الحديثة هي عودة النظام والامن في اقليم بنغاله وعند عودة
الى عاصمة دلهي اشغله خصما في فتح ما هو ابعد من بنغاله وهي نواحي اسام فادى جمله هذه المأمورية
التي عهدت اليه على حسب طاقته المعتادة وفوزه وظفر انه وسار في طول مجرى نهر برهمبوترا
واخضع مملكة قوه بهار الصغيرة وتغلب على اراضي اسام واستحوذ على عاصمتها غير جوخ وارسل
الى الامبراطور اورنك زيب تقريرا عاليا موضحا فيه ما اجراه من الحروب والفتوح وشرح ما في
عزمه من فتح طريق الى الصين ثم حل فصل المطر وفاضت المياه على عموم الاراضي الواطية الخالية
المؤنات والعلف فاعل اهل البلاد في سوح هذه الفرصة التي عرضت نفسها اليهم فقطعوا
كل مواصلات العسكر ومن ثم حصل الرزية للعسكر والتجرت الامراض والعلل فيهم ولو ان جمله
كان في قوة فانه التزم مع غاية الاشمئزاز على تنازله عن نصيباته الكبيرة والتزم على الس
الاجبار في اجرا حركة القهقرة من دون حصول اولى اختلال في شرف جنابه ولو انه كان طعن
في السن والعمر فانه شارك عسكره التي صارت في حالة مهيئة في كافة المصاعب والاهوال ومات
من بعد عوده بقليل وارتقى محمد امين الى درجات الرفعة والشرف التي كان بلغها ابوه وقال
برنيير انه تولد من موت هذا الرجل الجليل القدر المشهور الذكر حركة ارتجاف وبلبلة في عموم
الهند واعتبر الكثير من اهل الحزم والدراية ان اورنك زيب صار الان قد فقد ملك بنغاله
ولو ان الامبراطور ما كان قانعا بحسن اعماله وتدبيراته فمن المحتمل ايضا انه ما تأسف على
فقد نايب ذي شوكة وعقل واحساسات وادراكات بلغت في خدمته الى اقصى درجات البلد
والالم في خصوص ما يلزم لراحته واطمئنان قوامه سلطانته وتوطيد تخته وحياته ومع ما كان
ملكوتا في قلبه فانه قال لمحمد امين انك تبكي موت والد محبوب عندك وانا حزنت اوفقدت
اقوى احبابي واشدهم خطرا ثم انه من بعد مضي خمس سنوات من جلوس الامبراطور اورنك زيب
على التخت اصيب بمرض شديد اشرف منه على الهلاك وتولد منه ارتباكات وقلق فلم يدوم في
مدة استمرار حالته في هذا المرض توالت عليه ادوار حمى شديده ووقعت منها حركات ل نه وكان
ويظن في بعض الاوقات انه قضى نحبه ومات وفي مدة هذه الحالة ارتجت سلطنته الجديدة
ارتجاجا شديدا كاد يخل بقواعد اساسها وحتى حصلت الاشاعات بان راجا جاسونت
سنتها حاكم الجوزرات في طريق سيره من اجل خلوص شاه جهان من سجنه وان محبت خان
وكان حصل منه فيما سبق معاداة ومقاومة كبيرة ومحاربة شديدة ضد حكومة اورنك زيب
ثم خضع له واعترف به حديثا ترك محل حكومته في قابول وهو مكد في سرعة السير نحو اكره
من اجل خلوص شاه جهان وان اطبار خان المعهود اليه المحافظة على شاه جهان فتح ابواب
ابواب سجن شاه جهان ووقع بين اولاد الملك المريض اورنك زيب شقاقات مهولة وان
سلطان موسوم الدسايس وتداخل مع الامرا وجمعت البرنسيسه روشنآراي اوروشنارا حزبا
حزبا من اجل مساعدة السلطان اكبر وكان هو الابن الثالث لاورنك زيب وعدد في
هذا الوقت تماني سنوات وادعى كل واحد من هذه الاحزاب محبته في خلوص شاه جهان ومع
كل خانه كان ينذر وجود رجل في المملكة له شوكة ونفوذ كلمة محب لخلوص شاه جهان الواجلوس
ستها ومحبت خان وكافة ما بقى وجهوا مع الدناءة والمهانة طاعتهم الى الملك فانثل اخوته
التخت من ابيه وما حصل من المرض الشديد الذي كان متسلطا في بدن الامبراطور اورنك زيب
ادخل رعاد في حركة اعماله العمومية بل كانت اوامره تصدر بما كان يلزم اجراه من ادارة الحكومة
والمحافظة الاكيدة على سجن ابيه واشار على السلطان موسوم ابنه ونصحه نصيحة مؤكدة وقال
انه في وقت موته يخرج جده من سجنه وارسل في هذا الوقت امرا شديدا الى اطبار خان
باجرا المحافظة التامة على المسجون عنده وفي اليوم الخامس من مرضه ارسل وهو في شدة المرض

الامرا منه الى الامرا يعرفهم بانه ما زال على قيد الحياة وحضر رجاله في فرشه على زيارتهم له في
اليوم السابع والتاسع والعاشر وفي اليوم الثالث عشر حصل له اغماء شديد وغشي عليه حتى ظن اتباعه
وخدامه انه مات ووصلت الاخبار مع غاية السرعة الى اهل المدينة بموته فاستفاق من غشيته ولما اخبر بما وقع
من اتباعه وخدامه من مجرى هذه الهياجات خلاص ابوه من سجنه ارسل لبعض كبار الاشراف اخبرهم
بوجوده على قيد الحياة واستدعاهم الى مسنده وطلب تحرير بعض اوامر وارسل مكتوبا الى الجبار
خان يامره فيه بدقة المحافظة على ابيه وطلب الختم الكبير للمملكة ووضعه في داخل كيس صغير وختم عليه
بالبصم وربطه في ذراعه خيفة من استعماله وختم به اي امر يكون على غير مرغوبه فتولد من قوة العقل
التي اظهرها في هذا الوقت والاحترازات القوية الى زمن ضعف ووهن حاصل مقاصد اعداه و
الاحزاب الكبيرة المتحزبة في داخل السراية والديوان واطمأنت الخواطر على وجوده وتحقق الناس من
شفاه ونقاهته من مرضه واظهرت له الدسايس والفتن التي وقعت في مدة هذا المرض الى الحقيقة
الاحوال العمومية وعرف من هذا الوقت ان سلطان موسوم الذي كان عنده في درجة ولاية العهد من
بعده كان على شوق ورغبة وتلهف من موته لا شفاه من مرضه وان اخته التي بذلت جهدها وسعت
في منافعه ومصالحه وكان نجاحه وفوزه منسوبا اليها كانت وجهت اجتهادها نحو منفعة ابن اخيها
وهو اكبر وكان اكبر هذا محبوبا عن المسلمين جدا زايدا وبالخصوص عند الوجوه والاشراف وكانت
والدة اخوته الكبار بنات راجات من الهنود وكان المسلمون ينظرون اليهم بنظر النجاسة والوساخة
لانهم من دم عباد الاوثان واما اكبر وهو الابن الاصغر فانه كان من الدم الاصلي لبيت تيمور
وهو ابن ابنة شاه نواز من ذرية قدما ملوك صفوية ومن البيت الملوكي لعايلة صيفي وروشن
الفرس الموجود منهم الكثير في الخدمات العمومية كانوا في رابطة واحدة مساعدين اكبر هذا وحسب
ما حصل من الدسايس والفتن مع اخوته وما وقع بينهم من الشقاق توجهت اليه محبة ابوه وعزم على
ان يفتح له طريقا للتخت وكان موجودا على قيد الحياة من عموم عايلة دارا شكوه بنت واحدة فقط
وكانت لما هلكت اهلها سعوها لجدها من اجل المحافظة عليها فكانت مقيمة عنده مع عمتها في اكره
فشرع اورنك زيب في كونه يعقد عقد هذه البرنسيسة على ابنه اكبر ومن بعده يوطد له حقوق
جلوسه على التخت فكتب مكتوبا من بعد شفاه من مرضه لابيه يطلب منه الاعتراف رسميا بجنس
رضى ابنة اخيه على ولده اكبر فرفض شاه جهان قبول هذا الطلب مع غاية الاحتقار واعاد
الجواب بان سفاهة اورنك زيب ووقاحته معادلة بالتمام لجرايمه وسوء افعاله وخافت البرنسيسه
من ان زواجها ربما يحصل بالجبر والقوة على اعتراضها فاخفت على صدرها وتحت ثيابها خنجرا وعولت
على قتل نفسها بنفسها وانها تموت مائة موتة ولا زواجها بابن قتل ابوه ابوها فلما وصلت هذه
الاخبار الى مسامع الامبراطور اورنك زيب كف عن قضية الزواج ثم من بعدها طلب في وقت اخر
بعض الجواهر الملوكية التي راى انها لازمة لتمام زينة التخت الطاووسي المشهور فاجاب شاه جهان
ان الشواكيش والدقاميق جاهزة مستعدة لسحقها ترابا لو اجتهد اورنك زيب في تنفيذ طلبه
هذا بالعنف وقال دعه يحكم بالعدل والانصاف ويوطد الامن والراحة وينظر الى رعاياه
بعين الرأفة ويبرهن فيهم سير الاب بين اولاده فان هذه هي الجواهر التي يتحلى به تخته ورفعة سلطانه
واما الان في تعب شديد عن شغف فاتركوني حتى لا اسمع مرة اخرى باسم جواهر ثمينة ولا مجوهرات
ثمينة فنظر اورنك زيب الى هذا الجواب بعين البرود وقال ان الذي يوجب غضب الامبراطور
ليس في عزم ما يجب على ابنه من حقوق الوالدين دعوا الامبراطور محترزا ومحافظا على جواهره
وغنى على كل ما تحت يده اورنك زيب وقع من هذا الرد ادخال السرور على شاه جهان وارسل
لابنه قسم من الجواهر مصحوب بتذكرة وجيزه مكتوب فيها خذ هذه الجواهر فاني لست محتاجا لها
مرة اخرى والقد شد طن طالع سعدك غير ان الرفق مع شاه جهان له نفوذ وقوة فوق طالع
سعدك فاستقل هذه الجواهر في العز والاجلال وفيك العوض عن اهلك الذين حلت بهم
مصايبهم واقل طالع سعدهم بشهرة نفسك فلما وصل هذا الجواب عند اورنك زيب اذرفت
عيناه بالدموع وكانت دلالة على حسن نواياه وصداقته لجهة اباه ثم جد بكافة اساليب اخيه
شجاع ووضعت تحت اقدام تخته فاستشعر بالاسف والغضب وامر بحلها من امامه وقام من
قاعة جلوسه في غاية من الكدر وكانت معاملته لابيه ولو انه كان تحت محافظة شديدة في غاية
الاحترام والاجلال كما سبق القول وترك حرا في كافة جهات السراية ومحلاتها ورخص له بالاجتماع
بالسارة مع اعز بناته وكافة خدمه وحاشيته مع التمتع بجميع المغنيات والراقصات والطباخات

واحزن من الناس وقضيت طلبا له على حسب اغراضه وفي وقت اضمحلال حياة هذا الامبراطور الطاعن
في السن سمح له بالاجتماع والمجالسة مع العلماء وتسليته بقراءة القران والتفسير والاحاديث النبوية
ورخص له ابنه اورنك زيب بكل ما يدخل عليه منه السرور لذلك من كافة ملاعب الحيوانات والمتبل
وكانت تجلب امامه وحوش الحيوانات مثل وحش البقر والغزلان وانواع الفيلة واعترف عليه ابنه
بالهدايا العظيمة ويشاوره في الامور ويكتب اليه بما هو واجب عليه من طاعته له فكان هذا الالتفات
تاثير كبير زال به غضب شاه جهان وهبطت حرارة حدته وكان يكاتب ابنه في المواد الوداية
وارسل له ابنة اخوه دارا شكوه وروى انه ارسل اليه بعض الجواهر الثمينة التي كان هدده بسحقها
وجعلها ترابا ناعما وفي مدة الاعمال التي جاءت مباشرة عقب نقاهة اورنك زيب اعاد ابنه
السلطان موسوم ورضي عنه من بعد ما كان جرده من وظايفه بسبب ما كان وقع منه من السعي في تشكيل
حزب جمع لنفسه واعاد عليه وظايفه وارسله الى الدكهن من اجل تقليده زمام قيادة الجيش السلطاني
في سنة ١٦٦٤ بعد الميلاد وعند وصوله خلف المهراجا الذي كان عهدت اليه مقاليد الحكومة في
مدة مرض شيسته خان خال الملك اورنك زيب وكان لخاله هذا شوكة كبيرة وحظوة نسب اليها
اشيا كبيرة كانت سببا في ارتقا وعلو مملكة اورنك زيب ولاجل معرفة حالة الدكهن في وقت
قدوم سلطان موسوم اليها يلزمنا الرجوع الى ورا كثيرا من اجل معرفة تاريخ شيسته خان
وهو انه من قبل واقعة كيجوا بمدة قليلة عندما ترك اورنك زيب عاصمته من ملتقى سلطان
شجاع ارسل شيسته خاله حاكما في اكره ثم لم يلبث مع بعدها في الدكهن وجعل منها رئيس قيادة
القوى العسكرية والاحكام ثم انتقل من هذه الوظيفة عند موت مير جمله الى وظيفة القيادة
العظمى في بنغاله ولولا ان شيسته المذكور خلف رجلا مدبرا ماهرا فانه ايضا بذل مجهوده
وما وقع منه ما يخل بحالة مركزه واجرى الاجراءات التي وسع بها اقليمه وما كانت تحت انظار سلطته
وذلك انه موجود في الجهة الشرقية من خليج بنغاله بينما درجة ١٨ و ٢١ من العرض الشمالي
اقليم اركان كان مشتملا في الاصل مملكة محدودة من جهة الشمال باراضي شيطا جون ومن جهة
الجنوب بعشر من بيجو ومن جهة الغرب بخليج بنغاله وطولها الاعظم من جعبر كنكلي الى نهاية
كلاودين وسندوي جميعه مشكل من جيران واجوان صابعة في الارض والسحر والاعشاب
كثيفة تنتهي هذه جميعها بذيول سلسلة الجبال الواطية وتجري منها غدران وانها صغيرة وكان
هجية من البرتغاليين من عهد مدة سنين قطنوا السواحل وكثير منها ارقا المسيحيين وطوايف غير مندرجة
والهاربين من جهات جوواه وسيلان والصين الجنوبي وكافة الاربابين
البرتغاليون تغلبوا عليها واحتلوها جعلوا هذه الجهة مأوى وملجأ لسعوة انفسهم وعموم هؤلاء
الناس والبحرية هكذا كان يوجد احد منهم له اعتبار الامة شهرت جرأته وعناده في اذرار
وخانوا رفيقهم وقطعوا طريقهم وتزوج كل واحد منهم بثلاثة واربعة من النساء وما فوق ذلك
واستمروا مدمنين على القبايح والجرايم وكانوا مسيحيين بالاسم فقط وكانت عيشتهم مذمومة
قبيحة يقتلون بعضهم بعضا بالسوط والسموم من دون رافة او رحمة وكانت قسسهم الذين
يهدون الى الحق ويعرفون منهج الطريق القويم اضل منهم في هذه الجرايم وبذل ملك اركان
جهده في تقوية هؤلاء المجرمين وسلم لهم في بعض اراضي شيطا جون وميناها وبعض الاراضي
المجاورة لها واستخدمهم في حفر حدود مملكته وحمايتها من غارات المغول عليها فلما تقووا
بهذه الحالة تعودوا على سفك الدماء وهدرها وصارت اشغالهم مقصورة في النهب والسلب
وقطع السبل فقط وانشاوا قوارب وزوارق خفيفة حكموا بواسطتها كافة الغيران والغدران
الواقعة في طول السواحل وجاسوا البحار المكشوفة ودخلوا في الفروع الكثيرة العدد ما منها

نهر الكنج وكانوا يسطون في غارات
على سكان القرى في ايام
جمعهم في معابد اعيادهم او في اسواق
تجارتهم او في احتفالات افراحهم
ويخطفون السكان والاولاد ويجعلونهم
عبيدا وارقاء والمنهوبات والاسلاب
التي ينهبونها وما لم طاقة على حملها
يحرقونها ويحرقونها وكان ذلك هو
السبب الاصلي في كون الجزاير الطريفة
الموجودة في فم نهر الكنج وكانت عامرة
باهلها وعمارها تركها الجنس الانساني
بالكلية وصارت مأوى ومسكنا للنمور
والحيوانات الوحشية الاخرى وكان
البرتغيز في جوواه وسيلان والقديس
توماس وجهات اخرى بيتا عرف هؤلاء
الاسرى لك كيف من دون تردد ولا
شبهة ويحملون هذه التجارات البشرية
الى نواحي هوجلي في بنغاله وفي
نواحي جزيرة عايش بقرب من
راس النخل المعروف براس بالم وكان
الملك البرتغاليين في هوجلي صار
اجراه بوخصة من الامبراطور
اكبر وجعل البرتغاليين تحت
حمايته وكانت له منافع عظيمة
ومكاسب جسيمة في التجارة فهذه
الجهة واشتغل البرتغاليين ايضا
في تحرير وعتق خليج بنغاله من
كافة ما كان واقع فيه من السلب
والقبايلات غير انه وجهوا
كافة على غيرة كبيرة من دينه فحصل
عنده غضب ونفور شديد من مثل هذه التجارات القبيحة في الاحرار التي كان يجلبها هؤلاء المسيحيون
سيما مع سكان اركان فلما لم يقبلوا اوامره وتحليهم او كفهم عن تجارة بيع هذا الرقيق وخطفهم
الاولاد الناس وبيعها اوقع عليهم اشد العقاب الذي لا يطاق واخذ منهم في الابتداء مبالغ جسيمة
من النقود ثم حصر مدينتهم وتغلب عليها وامر بنقل عموم سكانها الى اكره وبيعهم في اسواق الرقيق
وما سبق نظير ما حصل لهم من الذل والاهانة لا من قبل ولا من بعد ودخل الاطفال والقسس
والزهاد والنساك في هذه المادة العمومية وامر بادخال النسا اهل الجمال سوا كن متزوجات
او غير متزوجات في السراية وختن الاطفال الصغار والزم المراهقين على الدخول في الاسلوم
والاوقيفوا تحت ارجل الفيلة تحطمهم باقدامها وخراطيمها وكان من قبل التغلب على مدينة هوجلي
قدم اللصوص اعراضا سيما بتسليم مملكة اركان الى عامل جوواه فراى هذا العامل ان من الحزم
والعقل عدم حضور سمو وشرف ملكه في استحواذه على مثل هذه المملكة وفي هذا الوقت صار الفس
جوان وكان مشهورا بالزهد والنسك والعبادة ملكا سعيدا موقع جليل المنفعة حاكم على مصب
نهر الكنج وكان هؤلاء اللصوص هم منبع الارتباك والفزع المستمر المضر بحكومة المغول ورغب
القس جوان الملك ان يجعل في مملكته قوة كبيرة على حسب ضرورة الاحوال من اجل المحافظة على مداخل
الاقليم بنغاله الا ان اهل مكة غير كافية في هذه المادة فاتحد في اعانة الجمهورية بلصوص البحر

وشدد بهم في اعراضه حتى ان اربعة او خمسة من قواربهم السريعة الحركة في الجري ما حصل عندها
تردد في الهجوم والغارة على عشرين سفينة من سفن المغول وهزمتها واهووا منها خمسة
ومن اجل ذلك عزم شيسته خان على عمل تصميم عظيم كبير في خلوص حكومته من هؤلاء الشرار على
المدعوة وكان مقصوده ايضا عقاب ملك اركان بجرائم كان في محالفة مع قطاع السبل وزوج
فكبيرهم صاحب الفرقة والبابس المشهور المعروف باسم باشليمان كوتتسكو وكان ايضا
سلطان شجاع وعائلته عندما حلت بهم مصائب الدهر والتجاوا في الحروب ... اجل سلوك
انفسهم في داخل ارضه وبلاده وبالنسبة لما كان عليه شيسته خان من درايته وخبرته بالمصاعب والمشاق
التي تحصل لجيشه في وقت سيره في داخل مملكة اركان بسبب ما فيها من كثرة عدد خلجانها وغدرانها
وخليجانها وزيادة اعماقها في الارض وشدة قوة اللصوص فوق المياه رغب في هذه الى الامر
سياسة الكاملة ان يتحد مع الفلمنكيين وكانوا في موطن ... في بتاوية ... ثم ارسل من
طرفه معتمدا مرخصا للمخابرة مع القايد الحاكم المتولي الاجارة في بتاوية في امر الاهتمام على
احتلال ارض اركان فقبل الفلمنكيون هذه المخابرة مع شدة الرغبة والقبول بالنظر لانهم
لانهم كانوا في انتظار فرصة تسنح لهم في اضمحلال وافول طالع سعد البرتقاليين وارسل الحاكم
الفلمنكيه في بتاوية الى الخور سفينتان حربيتان من اجل نقل عساكر المغول الى شيطاجون
حتى ... ذلك فتح شيسته خان مخابرة مع لصوص البحر واستمالهم نحوه بالخوف والتهديد والوعد
بمسح لهم في بنغاله بالاراضي التي يزرعونها ضرورية لمعاشهم ويضاعف لهم اجورهم ومعاشهم الحالي
فركبوا في خمسين سفينة واسرعوا ... في الوصول اليه حتى انهم ما وجدوا لانفسهم
وقتا كافيا يحملون معهم اولادهم واثاثات ما كانهم في السفن واستقبل شيسته خان هؤلاء
الخائنين المطرودين مع غاية الترحيب والسعة وانعم عليهم بنقود كثيرة وانزل لهم منزل الراحة في
مدينة داكا ولما وثق اللصوص عنه بهذا الاكرام الذي عزهم به ساعدوه في العقبة على سونديف
دكاحد تغلب عليها ملك اراكان وصحبوا الجيش المغولي الى شيطاجون ولما وصلت سفن الفلمنكيه
شكر شيسته خان هؤلاء اللصوص على ما قد جزوه من معروف الثقة بهم وما ادوه من خدماتهم
واخبرهم بانهم لا لزوم لهم الان في الخدمة قال برنيه في تاريخه على الهند الى ... بعيني
هذه السفن في بنغاله مع الكثير من الضباط والقواد الذين رجعوا من العسكرات الهندية قليلا
جدا لا ينفع فيها بالنسبة لما ادوه من الاشغال لجانب شيسته خان ... ليعود خان
شيسته خان ما عاملهم حسب ما كان يجب عليه بل بحسب ما كانوا عليه ... هم واولادهم
و... في قبضة شوكته وصار ... بسبب لبغضه خدمة اللصوص عنده ...
انهم اهل خيانة فيما كان اعتمد فيهم ثم ... ترك الجنوص ارض اركان بنجاة
... شيسته جمع جيشا مؤلفا من عسكر ... من الخيل والمشاة في مدينة
داكا وقلد زمام قيادته الى ابنه عبيد خان وساعد هذا الجيش في هذه الغزوة في
اول الفصل الموافق في سنة ١٦٦٦ بعد الميلاد وعبر ... ايام ... الفاصل
ارض شيطاجون عن بنغاله والاخير ملك اراكان ... قليلة ثم هرب الى عاصمته
وتحصن في قلعتها وانهزم اسطوله في ... عاصمته وصارت مملكته ضمن
للمنصورية ووجد عبيد خان في القلعة ... وعشرون ...
... فاطلق على المدينة اسم اسلام اباد واضاف عموم المملكة الى ملك
بنغاله

ولما ان اورنكزيب كان بعيدا عن خطرات الموت في اليوم ... خانه كان
جدا واستمر في حالة ضعف كبيرة مدة ... فاسد ... اطباؤه والحوا عليه
العزيزة وكانت ... لزيارة ارض كشمير الظريفة في الموجة الى كشمير من اجل النقاهة
في اقليمها الصحي فتوجه الى كشمير ... كان ... في هذه العزلة
الربيعية في الجهة الشمالية من مملكته ابتدا حصول وقائع في الدكهن لزم توجيه الالتفات اليه
ومداومتها وهي ان المهرشتة او مملكة المرهطا ... كانت واحدة من جملة الحسن ...

تاريخ الهند من البحر الزاخر محمود ...

مبادئ قيام مملكة المرهطا

التي هي ممالك او الايالات المتوسطة بها الهند الوسطى المعروفة بالدكهن وتبتدا من جبال سوطبوره ٢٤ درجة
شمال وتمتد حتى ... في جهة الغرب في طول هذه الجبال الى حد ... في
ناجبور وحدها الشرقي مكون من ضفة هذا النهر الى ان يصب في نهر ... ويتجه
من ابتدا ملتقى هذان النهران على الضفة الشرقية لنهر ورده الى ... ثم يتجه
الى الغرب الى حد ماهور ويمتد من هذه الجهة خطا متعرجا الى حد مدينة جوواه وتشمل
هذه الناحية على ١٠٢٠٠٠ ميل مسطح والهيئة الرأسية للارض هي عبارة عن الجبل
المعروف بجبل سيادرى اي جبال الغات وتجري هذه الجبال على بعد مسافة متوسطة من البحر
يختلف مقدارها من ٣٠ الى ٤٠ ميل في طول القسم الغربي من الارض ويختلف ارتفاعها
من ٣٠٠ الى ٥٠٠٠ قدم والصفة الرئيسة الموجودة فيها هي التباين والاختلاف الموجود
بها بين الجهات المتصلة منها واما في جهة الغرب فان اراضي هذه المملكة تعلو بغتة من
من ابتدا البحر وتشكل حاجزا او سدا لا يمكن الدخول او العبور منه تقريبا وفوق هذه الجبال
صحن واسع من الارض مرتفع عن سطح مياه البحر بمقدار ١٥٠٠ قدم الى ٢٠٠٠ قدم وهذا
الصحن ياخذ في الميل على التدريج نحو الشرق حتى يعبر حدود المرهطا ثم يتصل بخليج بنغاله
والجهة الواقعة بين جبال غات والبحر تعرف باسم الكونكان وغالب جهاتها وعرة جافية
شقفة ومقطوعة بجبال مكونة من صخور هشيمة واوديات واجام كثيفة مقطوعة بغدران
وجداول كثيرة العدد وهي مكللة ماوى وملاجئ للحيوانات المفترسة الموجودة في تلك الجهات
وجبال غات والجبال الاخرى الموجودة في هذه الاراضي اغلبها مكون من صخور ... من احجار
البازلت في هيئة قلاع وحصون طبيعية ومن اجل هذا لا يوجد اقليم يماثلها بالنظر للموقع
العسكري في المنعة والحصانة وجماهير السكان القاطنة في عموم هذه الاراضي البالغ مقدارهم
في ذاك الوقت ست ملايين او سبعة من الانفس جميعهم هندو وما كان المرهطا
يعدون امة من الامم في الهندوستان ولا عند قدما مورخي الاسلام حتى انهم ما كانوا في
بنغط لحالة وجودهم ومعا ذكر فرشته لفظة مرهطا الا في تدويناته حوادث ووقايع سنة
١٤٨٥ بعد الميلاد وفي منتصف القرن السادس عشر استخدم ملك بيجابور لسان المرهطا في اوراق
ماليته بدل اللسان الفارسي وربت جيشا وكان مؤلفا في السابق من الاعراب ونظم داخله
فيه الكثير من المرهطاويين وكانوا في الابتدا مقتصرون على الدرجات الواطية والاشغال
الدنيئة وكانوا متوظفين على الخصوص في وظايف الخفر ثم بعد ذلك ظهرت فيهم النجابة والصفات
العالية في ركوب الخيل وارتقوا مع السرعة بمهارتهم في خدمات حكومتي بيجابور واحمدناجور
وارتقى القليل منهم في خدمة ملك جولكنده وارتقى الكثير منهم الى درجة قواد فرق وحكام
في العسكرية واحسن اليهم بالاراضي اللازمة لمعيشتهم وحياة انفسهم بسبب وجودهم في وظائف
العسكرية وما كان روسا المرهطاويين في الاول لهم طاقة او قدرة على جمع فرقة عسكرية
رغبة رتبها تجاوزوا هذه الصفة حسب ما يشتهون ومنحت الالقاب على هؤلاء الروسا وعلى
الخصوص روسا الهندو مثل لقب راجا وراى وراو وقولوا ان هذه الالقاب عطيت
لهم من طرف امبراطورتهم المسلمون فانهم قبلوها مع غاية الممنونية وحب الشهرة والطمع
وما كان المرهطاويون من اصل اصولهم قبيلة حربية مثل الراجابوتيين ولا كانوا حائزين
نفس الشرف العزة الشخصية التي كان عليها الراجابوتيين بسبب ما كانوا عليه من صغر الهيكل
وعموم انتظام الذات وهيئة الخلقة وكان بسبب ان معاش هذه ذاتهم وصفاتهم انهم لصوص
قطاع سبل لا عسكرية وقالوا ان كنديش او كانديش وقسم من بهار كان المسكن الاصلي لهذا
الجنس واثبت بعض المورخين انهم اعراب جاؤوا الى الهندوستان الوسطى من الجهات الغربية من
من ارض فارس من نحو الف وماتين سنة مضت وانهم في مدة ما كانوا على غير قبول ومحبة
في اوطانهم وليسوا امة لها لسان مخصوص بها ولا دين ولا عقيدة ولهذا السبب لهم على بعضهم بعضا
واستمرت بينهم هذه العادات والمطاردات العقلية التي توارثوها من اجدادهم وخاصة فيهم الشقاقات

٤٥٨

عكايد من الممالك جيرانهم حتى منعهم من ان يجمعوا امرهم في جامعة واحدة ويؤلفوا الاقسام
دولة وحكومة مستقلة وتركوا انفسهم لمجرد الاثبات بالاجرة لكلامه وقع منه سعي واجتهاد
شأن نفسه واستخدمهم فيه وكان المرهطاويون صغار الاجسام ذوي شجاعة وبسالة اقوياء
البنية والتركيب ولوانهم ما كانوا في هيئة جميلة الخلقة وكانوا اهل نشاط وحدة في الاشتغال
والاعمال يتحملون المشاق والمصاعب والمداومة على الاشغال ولو انه ما كان عندهم شيئا من
عزة الراجابوتيين وعظمتهم فانه ما كان عندهم ايضا شيئا من رخاوتهم وعجزهم ومن عدم
احتياجاتهم للفضايل الدينوية وكان الرجل الحرلي الواحد من الراجابوتيين لا يفعل ابدا ما
يخل بشرف جنسه ويجتنب على الدوام وقوع النتايج التي يتوصل بها في عمله الى بخس شرف الجنسية
واما الرجل الواحد من المرهطاويين فانه ما كان يتفكر الا في النتايج التي يتوصل بها الى مرغوبه
ولا عنده ادنى التفات ولوا عتنا بشي يخبض بامر شرف الجنسية فمن ثم كان يعرف قوة الادراك
عقله ويجتنب لذاته وشهوات نفسه ويخاطر بنفسه في كافة الاعمال غير انه ما كان يخاطر بنفسه
في تهلكة او يفقد حياة نفسه في تيسر الحصول على شرف نفسه او جنسه فكانت هذه هي الاختلافات
الظاهرة بين الجنسين وكان يوجد حقل جليل عند الراجابوتيين مشهورين به وحقل قبيح
عن المرهطاويين مشهورين به وذلك ان الراجابوتيين كانوا من اكبر المداهنين للمرهطاويين
والمرهطاويون الد الاعداء لهم ومع هذا فما كان يجيب طلب المرهطاويون في مساعدة وعانة
الراجابوتيين لهم في وقت العوزة والحاجة وكان الراجابوتيين يعاضدونهم ويساعدونهم
مع غاية المواظبة والنشاط في الاعمال وكانت هذه الخصال موجودة في عسكر الراجابوتيين
واما المزارعين فقولوا انهم كانوا اهل بساطة في عيشتهم متيقظين على الدوام لحركة ادارة
اشغالهم فانهم كانوا اهل شغل وحرف وصنايع وارباب مكر وخدايع الا انه ما كانوا يعملون
فلوقا ولا ارتباكات ولا خيانة ولا نقض عهود في صداقتهم ومواثيقهم ومشروطين بينهم درجة
امتياز الطوايف وهي درجة العالي والقاصي والداني والعبد
وكان اول موسس لمملكة المرهطاويين او اول شخص اخرج للمرهطاويون من ظلمات الجهل و
الغباوة الى النور وارتفاع الدرجة شخص اسمه سواجي وكان يدعي بدعوة مشكوك فيها انه
اصله من ذرية راناث او ملوك اودايبور وكان ابو سواجي المسمى شاهجي بونسلا
او بهونسيلا او بوشلا صاحب في خدامة اخر ملك من ملوك من ملوك بيجابور وكان
ابو شاهجي اسمه مالوجي واشتهر بنفسه بجودة وحسن ادارته في عدة مصالح كان يفتنيها
ولو انه كان من ذرية عائلية ليست تحت شرف واعتبار كبير الا انه حاز درجة الشرف والاعتبار
في خدمة نظام شاه ملك مملكة احمد ناجور وكان منتمي الى جادو راوو كان قايد عشرة
الاف حصان في الجيش الذي كان موجودا تحت قيادة مالك عنبر الذي تقدم ذكره وبسبب
ما حصل لهذا الرئيس من الاحوال العارضية مواجهة شاه جهان انهزم هذا الرئيس ولما كان
عمر شاهجي بن مالوجي خمس سنوات كان ظريف الخلقة حسن الوجه فذهب مع ابوه في يوم من
الايام الى وليمة في دار رئيسه جادو فاستقبل جادو الصبي شاهجي مع غاية الشفقة والاكرام
واجلسه بجانب ابنته جيجي وكان عمرها في ذلك الوقت ثلاث سنوات فلعب الطفلان مع بعضهما
فقام مالوجي في وسط المجلس وقال اشهدوا يا اخواني ان جادو خطب هذا اليوم ابنته
لابني وروى من وجه اخر ان مالوجي لما راى الطفلان يلعبان مع بعضهما قال مع غاية الفرح
مزاحا يا بنتي ان تتزوجي بهذا الصبي ودور وجهه للجمعية وقال ان الاثنان موافقان لبعضهما
فقبل امه جادو استغرب من هذا الامر وما تكلم بكلمة واحدة وفي اليوم الثاني دعى جادو
مالوجي لتناول الطعام معه فما قبل مالوجي الدعوة حتى يصادق على ما وقع من القول في اليوم
الماضي وكان ذلك سببا في وقوع الخلاف بين الرئيس جادو وصاحبه مالوجي فصار مالوجي
على غاية من الاحتراز واليقظة وكان في هذا الوقت راكبا طريق السعادة وجمع ثروة وشوكة
التي بها يطيق على حياة نفسه في ديوان مملكة احمد ناجور الا هذه في هذا الوقت في الوضع الى
السقوط وارتقى في هذا الديوان الى قايد خمسة الاف حصان مع لقب مالوجي راجابونسلا

واضاف اليه ملك احمد ناجور بعض مقاطعتين من اجل بقاء درجة سموه وشوكته وقلعتي سفنيري
وشاكون مع الاراضي التابعة لهما جعلها تحت محافظته وصار ابنه في هذا الوقت موافق للزواج
جيجي ابنة جادو راوو فوقع الزواج مع الرضا والقبول وكثرة الهدايا والتحايف والخدمات في
سنة ١٦٠٤ بعد الميلاد فكانت نتيجة هذا الزواج ولادة سواجي موسس مملكة المرهطا
وفي مدة اشتعال نيران الحروب في الدكهن اشتغل شاهجي في الحروب تارة مع مملكة احمد ناجور
وتارة مع مملكة بيجابور وما زال كان تحت يده مقاطعاته ومن ثم صار اشتغاله في اختفاء الاراضي
الواقعة في جهة جنوب الهند فاستحوذ على اراضي واسعة في ميسور بما فيها مدينتي سيرة وبنجلور
وولد له سواجي في شهر مايو من سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد وفي مدة حصول الزوابع والعواصف
التي جات عقب ولادة هذا المولود التزم على امه فقط على سلامة حياته وتربيته مع غاية الاعتنا
التام وكان روسا المرهطاويين على اختلاف درجاتهم عندهم في خدماتهم كثير من البراهميين من
كتاب ومستخدمين في اشغالهم فكان شاهجي له اعتماد وثقة كبيرة بواحد منهم اسمه داداجي كوندو
فقلده عليه وكالة اوصاية عائلته وتهذيب ابنه وتربيته وارسلهم من اجل الاقامة والاستيطان
في مقاطعته في بونه وكان المرهطاويون ينظرون بعين واطية الى اكتساب العلوم والمعارف
فشب سواجي وترعرع مثلهم وما تعلم شيئا قط ولا كتابة اسمه الا انه اكتسب المهارة التامة والنجابة
في استعمال السلاح وحمله وكان مشهورا في حمل القوس ورمي النشاب ماهرا في الضرب بالرمح والمزراق
وفي كافة الات الحرب الجاري استعمالها في ذلك الوقت في الدكهن وكان لا يعادله مثيل في ركوب الخيل
بين اهل بلاده واشتهر عقله وجسمه واشتعلت نيران حدته من سماعه الحروب العجيبة
والاعمال المنصورية الغريبة التي اجراها شجعان الهندو وما حدثوه به من رواياتهم وخرافاتهم
وتهذب مع الدقة في الديانة الهندية حتى صار العدو الالد لكل مسلم ومن اجل ذلك بذل جهده
والحرج ما في طاقته ووسعه في ان يكون حامي بلاده ومحب وطنه ولما بلغ عمره ستة عشر سنة اخذت
حالته في النمو والظهور وكانت اصحابه منتخبة من اقوى واشجع الشبان المجازفين على انفسهم في
الوقوع في الاخطار واصعب الاشغال حتى سولت له نفسه في مجاري امره بالاستقلال وشاور
اصحابه جهرة في هذا الشان وقضى مع اصحابه كثيرا من ايامهم في الجولان في الجبال وفي ميادين الصيد
والصحاري والجولان فوق رؤس المرتفعات حتى صار له دراية تامة ومعلومات كبيرة بما كافة طرق
ودروب الجبال وما يليها وسهلها ووعرها ومارس حالة العقدة والمعاقل المجاورة
وكان حسن الصفات سخي اليد كريم النفس على اصحابه وسكان تلك الجهات الموحشة عموما ثم سولت
له نفسه الدخول مع اصحابه في طرايق النهب والخطف والسلب التي كانت اعمالا منتشرة في ذلك
الوقت في نواحي كونكان فكانت هذه الاعمال التي دخل فيها هذا الشاب الرئيس سببا في ازعاج وجه
قامه بذلك هذه الاشغال القبيحة والالتفات لمباشرة اشغال ارضه وما يتعلق بها من ادارة
زراعتها وزار في هذه الحالة كافة الوجوه والاعيان من الناس الموجودين حوله ودعاهم على ان يكونوا
تابعين له ولاعماله وليبعه وكانت سلسلة الجبال الشمالية من بونه مسكونة باهل تعرف بالراهيليين
وفي جهة الجنوب امة تعرف بالراوسين وكانت الوديان الواقعة في جهة الشمال في حوزة
المرهطاويين ومعروفين باسم المواليين وكان سواجي محبوبا جدا عند المواليين وكانت القلاع
الجبلية الموجودة تحت حكومة ملوك المسلمين وعلى الخصوص قلاع بيجابور اهمل امرها جدا والسبب
في ذلك انها كانت بعيدة الموقع جدا وفي جهات ومنازل غير موافقة للصحة فمن ثم اهملت وصارت
غير قابلة الاستعمال وكانت لا توجد قلعة في الارض مقاطعة ابيه وكانت القلعة المشهورة
في الاقليم تحت محافظة رجال لا ذكر لهم ولا مهارة عندهم فدخل سواجي في ارتباطات جيدة وعلاقات
وداوية مع ثلاثة من الروسا من المواليين حايزين حقوق وراثة الرياسة في واحد هذه الجبال
وكان هولا اول من اتخذ به ودخل في صحبته علنا فاستخدمهم على قلعة طورنه وهي قلعة
جبلية صعبة الوصول على مسافة عشرون ميلا في الجهة الجنوبية الغربية من بونه وفي جهة منبع
نهر نيره وكان حصول هذه الواقعة في سنة ١٦٤٦ بعد الميلاد ونجح في مشروعه في كونه اسكت
كل شكوى تصل الى الديوان الاعلى في بيجابور واستعد لان يجعل هذه القلعة في احسن حالة من الحصانة
والرصانة فرمم وربتها وشحنها بقوة قوية من المرهطاويين وفي مدة ما كان مشغولا بعملية

بزعيم القلعة اجرى الحفر في خرابات في داخلها فوجد كمية وافرة من الذهب كانت مكنوزة في ابار قديمة وقيل ان هذه النقود كانت مخفية بسبب ما كان من شدة الحروب التي كانت سببا في خراب اورهن دكانت هذه السعادة العظيمة سببا في تسهيل ما كان في رغبته وقصوده فجلب الاسلحة والذخاير والمؤن بوفرة واودعها في القلعة واجتهد في تشييد قلعة اخرى فوق الجبل على ثلاثة اميال في الجهة الجنوبية الشرقية من قلعته وحصنها جدا وسماها رايغور فنزلت من اعماله هذه واجتهاده وحماسته الشبهات والريب عند الحكومة ووصلت اخبار اعماله الى ابيه وكان في نواحي الكرناطيق في مصالح الملك فانذره بواسطة وكيله دادجي كوندو وامره بمنعه والكف من الاعمال المشتغل بها وشدد عليه في الامر وكان هذا الوصي العجوز في هذا الوقت على شرف الموت فارسل في وقت فوته الى الطامع الموجود تحت حراسته يامره بما امر به ابوه فما سمع ما نصح به ابيه والزم طاعة البراهيين واستحوذت على عقله غيرة عقايده الدينية وعزم على حماية البراهيين والاطفال والمزارعين وهياكل الهندو ومعابدهم من الدمار والخراب ولازم على ان تقسيمات الاستقلال واتباع طريق السعد الظاهر امامه ثم ان وصيه من بعد ان اوصى على عائلة هذا الرئيس الشاب وجعلها في كفالته ومحافظته قضى نحبه ومات ومن بعد موت هذا الوصي خلا الجو الى سواجي وقوى حالة ارضه وسكانها ووضع اعماله موضع العمل ثم ان اباه امره واوصاه بدفع الخراج عن الاراضي من الايراد فجادل سواجي في ذلك مجادلات طويلة واخيرا اجاب بان هذه الاراضي الفقيرة اخذت مصاريفها كثيرا في الزيادة فالزم ابوه على كثرة المصاريف من الاراضي الخصبة الموجودة في الكرناطيق وكان موجود قلعتان في المقاطعة تحت محافظة ضباط تابعين لاوامر ابيه ولصالح منافعه فكان من الضروري له الخلاص من هولاء الضباط فاستحوذ على قيادة قلعة شاكون وهجم بغتة على محافظ قلعة سوبه وارتشى محافظ قلعة كوندانه فسلم برشوة وافرة واستحوذ على هذه القلعة للحال واعاد لها اسمها القديم سنجاره بمعنى حجر الاسد وحاز النفوذ بواسطة منازعة وقعت بين اولاد حاكم بوراندار الوحيد قلعة جبلية قوية التحصين اخرى من كل قلعة وطوها لنفسه وتغلب عليها ومع ما وقع من خيانته في هذه المادة وقبائح نقض عهده فانه سوى ما وقع لهم من الخساير والاضرارات وحضهم على الدخول في خدمته فرضوا بذلك حتى قواعد وشروط تفرزت بينهم بالنسبة لدرجات امتيازاتهم وحقق كل هذه الافعال بدون وقوع ادنى هياج او زعزعة او انتشار اخبار في الجهات الموجودة بها وفي الواقع فان ملك بيجابور كان في هذا الوقت مشغولا بالمواضبة على حرب في جهة الجنوب وفي زخرفة عاصمته واصلاح شانها ولما تقوى سواجي بهذه الحالة وصار مثل نمر مكار محتال في واديه الجبلي بربض وانقض وتكامل على صيرته حتى استحوذ على موقع يمكنه منه ان ينقض على فريسته عول على اشغال جنود واستخف بشوكة مملكته فجمع قوة مسلحة من المواليين وارسل بعض من البراهيين الى كونكان من اجل التقاط الاخبار وارسال ما يرونه من هيئة الاحوال في تلك الجهة ومن بعد قليل صار في راس ٣٠٠ مقاتل من اتباعه الصادقين معه في خدمته وقبض على الخزاين السلطانية وقت مرورها من جهته وارسلها مع غاية العجلة الى قلعة رايغور ثم اعقب هذه هجوم على عشر قلاع جبلية من القلاع المشهورة في جبال غات وتغلب عليها وقبض على الحاكم المسلم الذي كان موجودا في ذلك الوقت في كونكان ونهب عدة مداين غنية وارتفع اسم وشاع ذكره وصيته وانشرح صدره من نتايج اعماله وعامل حاكم كونكان باجلال واحترامات واعتنى عليه بكرمه وشرع في ترتيب وتنظيم الاراضي التي تغلب عليها فاعاد الايرادات التي كانت محبوسة على الاديرة والمعابد البراهمية والبراهميين واحيى القوانين والشرايع القديمة كما كانت عليه في السابق القديم ثم وقعت الشبهة في شاهجي ابوه بانه هو المولد لهذه القلاقل والارتباكات ومن ثم وقع القبض عليه واودع في سجن مبني من الحجر وسدوا بابه عليه بالبنا وجعلوا فيه كوة صغيرة وانذروا له بانه ان لم يرجع ابنه الى طاعته فلا بد من غلق هذه الكوة عليه الى الابد فبلغ سواجي ما وقع لابيه من هذه المعاملة الردية فتاثر تاثرا شديدا ولبث مدة من الزمن مراعي طاعة ابوه ثم تجنبها بواسطة زوجته واندرته بما يحل به من الخطر وكان في كافة اعماله في غاية من الاحتراز والبعد عن التعدي على اراضي او رعايا المغول ومن المحتمل انه كان ادرك او فهم من الاول انه لا يلزم هذا التعدي لانه في الحالة التي لا يمكنه فيها عطاء

مملكة فانه يلزمه البحث على مساعدة من الخارج فهذا هو السبب القاطع في كونه يجتنب هياج عداوة الامبراطور عليه ومن اجل ذلك دخل في مخابرة مع شاه جهان في الافراج عن ابيه من سجنه وكانت نتيجة المخابرات اتفاق الامبراطور على العفو عن شاهجي وعوده الى خدمته وصيرورة سواجي قايد خمسة الاف حصان ولما وقفنا على الاسباب التي اوجبت الفعل وباي صفة كانت هذه الشروط تم حصل الافراج عن شاهجي الا انه استمر تحت الحجز مدة اربع سنوات وفي ظرف هذه المدة تجنب الطرفين وقوع المبارزات والعداوة ويمكن ان ما حصل لشاهجي كان سببا في صد سواجي عن اعماله وعرف ملك بيجابور ان كل عداوة او محاربة يجريها مع سواجي ربما تلزمه على تسليم الجهة التي تغلب عليها اخيرا الى المغول ثم انه في سنة ١٦٥٣ بعد الميلاد رخص ملك بيجابور لشاهجي بالعود الى الكرناطيق بسبب ما ظهر فيه من ارتباكات وقلاقل شديدة الا انه اخذ عليه موثقا اكيدا في كونه يجتنب اخذ الثار والبطش بما وقع من خيانة باجي وكان باجي المذكور دعى شاهجي الى وليمة اعدها له فلما وصل منزله قبض عليه وارسله مسجونا الى بيجابور فهذا كان من اعطاء هذا الموثق والعفو عما حصل من باجي فانه ما رجع عما كان مكنونا في قلبه وكان اول ما اجراه من الاعمال ان كتب الى ابنه سواجي ان كنت ابني حقا فخذ بثاري وانتقم لي من عدوي فاجرى سواجي ما امره به ابوه مع غاية الصداقة والطاعة الابوية وعدم الخوف وكان هذا الامر من امنى النقايص عنده وذلك انه لما خلص ابوه من سجنه عاد الى حريته الاولى وسار في طريق طمعه التي فتحت امامه وكان الاقليم الجبلي من بونه المتقدم من جبال غات الاصعيد نهر كيستنا تابع لسلطنة راجا هندو اسمه شتفزر راوو صاحب قوة وباس لا يمكن الغارة عليه جهرة فلو ان هذا الراجا كان في محالفة ووداد مع سواجي فانه ما امكن لسواجي ان يفضم معه في اي عمل يخالف مصالح ملك بيجابور فادي سواجي طلب زواج ابنته وسفر الى ديوانه من قتل هذا الملك البري من الشبهات وضبط ارضه وبلاده واعقب هذه الجريمة الفظيعة احتلاله قلاع اخرى واملاك استحوذ عليها وفي سنة ١٦٥٦ عين لنفسه وزيرا كبيرا اسمه شامراجي بونت ولقبه بلقب بيشوا ومعناه الوزير الاول وكان لحد هذا الوقت محصور تعديه وسلبه في ممالك ملك بيجابور فتنزل ما حصل له من المظفرات وتفرقة القوى الموجودة تحت يده ووقوع الدمار والتفرق في المملكة المغولية متوجها جيوشه الى تلك الجهة وامتدت شوكته وسلطنته وفاقت دولة واحكام الى ان ارسل اورنك زيب كما سبق ذكره في سنة ١٦٥٥ بعد الميلاد ميرجمله في الاظهر بالثار بسبب ما حصل له من الاذى والغدر من ملك بيجابور بسبب حبس ابنه محمد امين فعند وصول اورنك زيب في الدكن قدم سواجي اعتراف طاعته وصداقته وخلوص طويته الى الامبراطور وصدق له الامبراطور على كل ما تغلب عليه من الاستحواذات الحديثة وتقوى في امره بالتغلب على داپول ومحافظتها على ساحل البحر وكان اورنك زيب على تلهف وشوق كبير من اجتماعه وحقا بلغه مع سواجي حتى يتبين لحاله كيفية طرايق الاحوال التي يكون فيها نجاح اشغالهما مع بعضهما وموازنتها الا انه فيما كان عليه سواجي من الاعتراف بالخضوع للامبراطور وصدق الطاعة فانه تجنب مع الاحتراز التام هذه المقابلة وبمجرد انتقال الجيش الامبراطوري المغولي الى جهة بعيدة واشتباكه في حرب مع جولكنده راى سواجي ان هذه فرصة سنحت له وجاءت فرصة نفعها ليديه في توسيع مملكته فهجم في شهر مايه من سنة ١٦٥٧ على مدينة جونير من مداين الاراضي المغولية واستحوذ منها على غنايم واسلاب واسعة وسعى سعيا على احمد نكر ونجح في بعضه ثم ندم في الحال على فعله في هذا التعدي عند ما وردت اليه الاخبار بسرعة تقدم اورنك زيب والمظفرات التي لازمت جيشه فاتخذ الاحترازات اللازمة في زيادة جيشه وكتب ايضا في نفس هذا الوقت الى البرنس اورنك زيب يرجوه مع غاية الذل والمهانة العفو عنه فيما مضى والاعتراف بالطاعة قبلا وفي المقابل وكانت اعمال وسياسة اصحاب الامبراطور واتباعه هياج اعداء على قدرها في طاقتهم على ملك بيجابور فمن ثم كظم اورنك زيب غيظه واظهر عفوه عما اجراه سواجي من قلة الادب وقبل احتلال سواجي في كونكان واثبت له ان الطلبات والاوقاف الوراثية المخصوصة بالاملاك الموجودة في الاراضي المغولية حصل الرضا بها وفي نظير ذلك يلزم ان يرسل خمسة الاف من العساكر الخيالة ويستعد مع ما يبقى

من عساكره لاجل حفظ النظام واستتباب الامن والراحة في الاقاليم الامبراطورية فنفذ سواجي
مفعول بعض هذه الاوامر واحتل كونكان ووضع محافظين في عدة قلاع موجودة في طول الا...
ومن بعد ذلك جمع سواجي سفن وقوارب من اجل السلب والخطف وقطع سبيل البحر ولما اصيب شاه
جهان بالمرض الكبير الذي وقع فيه حصلت مسالمة بين اورنك زيب وسواجي وسافر اورنك زيب
مسرعا في قضاء مصالحه في مدة المرض والشدة التي حصلت لابيه ومن بعد موت ملك بيجابور
وجلوس ابنه وكان طفلا صغيرا على التخت ووقع الشقاق بين الاحزاب المختلفة في مملكة بيجابور
منها بعض دسائس جدد سواجي مرة اخرى طرايق خطفه وسلبه فترتب جيش تحت رياسة افضل
خان من اشهر القواد العسكرية في المملكة المغولية من اجل مقاومة خطفه وصد حركاته وعندما قرب
افضل خان بخ سواجي بواسطة مخابرة خداعية اعترف له بالخضوع فيها والطاعة فغش افضل
خان بدواهيه وخداعه وحثه على مقابلته والاجتماع معه من دون سلاح في محل معلوم حتى ينال
منه العفو والسماح عنه فمن اجل ذلك اخذ افضل خان من عساكره الفا وخمسماية نفس وسار الى
المحل المعلوم الذي تعين للمقابلة وبالنظر لما كان عليه سواجي من الخيانة التي كانت ملكوتة في قلبه
ما تقرب منه في وقت حضوره ولكن عدة الاف من عساكره في مكامن في الدورمانات في الغاب
وجا افضل خان متوشح بوشاح خفيف من الشاش ومتقلد بسيف شرف لا سيف للمدافعة وهو جا
الى ان وصل الى قصر استعد للمقابلة فيه وتاخر سواجي في حضوره وفي وقت ما كان افضل خان زعلان
منتظرا به راه نازلا لمقابلته من دون سلاح في الظاهر وكان سواجي اعد استعدادات لهذا
المقابلة استعملها في الجريمة الجنائية التي دبرها بعين عمل لازم عليه اجراه فاتخذ ما يجب من
الاحترازات والتوصي واغتسل ورفع يديه تحت اقدام والدته وسألها الدعاء في نجاح امره وشاهد
افضل خان تقرب سواجي منه مع غاية الذل والمسكنة وتكرار تقديم رسوم الاحترام والطاعة فاستدل
من ذلك افضل خان على شدة فزعه وخوفه فتقدم افضل خان خطوات قليلة كي يتلقاه بالعناق
وملأ الاحضان وضربه الخاين المكار سواجي في هذا الوقت بسلاح كان مخفيه تحت ملابسه ...
المعروف عند المهرطا ويين في احا... وفي شق افضل خان من جرح بطنه وقبض بيده على سيف
وصاح خاين به فاتل به واراد في هذا الوقت ان يشق سواجي بسيف الا ان سواجي كان على
غاية من الاحتراز لابس تحت وشاح وكان من القطن الرفيع قميص من الزرد وكان في يده اليمنى
خنجر ماضي فقص به على صيدته وقتل افضل خان في ظرف بعض دقايق وصار تحت اقدام من قبل
حضورا صحابه لما عدته وهجم المهرطاويون في هذا الوقت مع العنف والشدة على الجيش الاسلامي
وكانوا في استعداد لحركة الهجوم في مكامن الدورمانات فهزموا الجيش وارغموه على الفرار وحصل
النصر والظفر لسواجي فعامل المأسورين مع غاية الكرم كما كانت عليه عادته في الحروب ودخل
الكثير من المهرطاويين الذين كانوا في جيش افضل خان في خدمة سواجي واما بعض الروسا الذين
ما قبلوا الدخول في خدمته فانه من بعد اكرامهم والانعام عليهم بواجب التحيات والهدايا
المصاديا ارسلهم الى جهات ما منهم فتولد من هذه الحركة الجسورة والنصر الذي وصل به سواجي
الى نهاية منصوره ان صار له شوكة وسلطة ليست منحصرة تحت حد محدود ومن سخاوته وجوده وكرمه
في توزيع الغنايم والاسلاب بين عساكره المنصورة صار وافي حالة قوية ثابتة في مصالح اشغاله
واعماله وسقطت تحت بيارقه الجم الغفير من الناس واما هو نفسه فكان ما جناه من ثمرات النصر
اربعة الاف حصان وعدد وافر من الفيلة ومن الجمال ومقدار كبير من النقود والخزاين وعموم
حملة الجيش والالات والاسلحة وافخم في الوقت حكومة سلطنته على كافة الاراضي الواقعة بالقرب من
جبال غاث واستحوذ على كافة المعاقل والحصون واشتغل بانمام فتح اقليم كونكان الخصب الكثير
الثمرات ثم تشبيه من موت افضل خان وتشتيت جيشه والغلبة على القلاع وفضلا عن هذا فان
سواجي صار على مقربة من ابواب عاصمة بيجابور ووقوع الفزع والخوف حتى استمر مدة طويلة من
الزمن يتخوفون به العصب والثورات ثم تعين في قيادة الجيش ضابط شهرته وعادته كانت
سببا في تعيينه وطلبه من محل وجوده لهذه الوظيفة وجمع له جيش ضعف عدد الجيش الذي كان
في ميدان الحرب الاخير وصدرت له الاوامر باجرا انواع الهجوم على التوالي من جهتين على املاك
سواجي في كونكان وفي مدة هذه الاستعدادات ما حصل من المهرطا سواجي نشاط وهمة مثل عادته
في الحروب بل قسم جيشه الى ثلاث فرق اوفرق وارسل كل فرقة لمختلفا نظيرها ما فرق العدو

العدو ولاجرا الوقايع الحربية واما هو فانه دخل مع محافظين كثيري العدد في قلعة بانالا الحصينة
وكان استحوذ عليها قبل ذلك بقليل وشرع في الاستعدادات والترتيبات اللازمة للمدافعة مجاذ له هذا
الاعمال على غير حساب وحاصرها سيدي جوهر ومن بعد حصار مكث اربعة اشهر صار فيه سواجي
مع عسكره في غاية من الضيق والشدة وقطع العدو عليه كافة مواصلاته ومخابراته راوغ المحاصرين
ولولا ان الحصار كان جاريا مع الجدة والشدة وهرب من القلعة ونجح في هربه حتى وصل الى قلعة رانجنه
وهي قلعة من قلاع جبال غاث واتهم سيدي جوهر قايد الجيش المحاصر في انه كان على اتفاق معه
على هروبه فغضب القايد من هذه التهمة الشنيعة واستعفى من خدمة ملكه التي تغاير الاتفاس
ثم خرج ملك بيجابور بنفسه في ميدان الحرب في سنة ١٦٦١ بعد الميلاد مع قوة ما كان لسواجي من
طاقة على مقاومتها فتجرد من هذا الحرب من كافة ما كان استحوذ عليه وفتح تقريبا وكادت تحل به
الاهوال والمصايب لولا ان حصلت ارتباكات وقلاقل شديدة في الكرناطيق وجه الملك اليها التفاته
على حسب ضرورة الاحوال وارسل المسيدي جوهر الذي كان قايدا في حصار بانالا واستعفى حديثا
من خدمته وتوجه عبثا نا الى ارضه من وقوع الشبهة فيه في ديوان حكومته اوامر شديدة وهو في ارضه
بالكبس في احتقار هذه القلاقل والارتباكات جاء ان الملك عزم على مداومة الحرب الذي حل فيه مع
سواجي وان يكون احتقار هذه الارتباكات تحت فايدة بعوامرها المنفع على المملكة فاحصل من سيدي
جوهر غيرة وحمية شديدة في ادا ما يجب عليه من الواجبات مخصوصة الشبهة فيه مرة ثانية في كونه
له دخل مع الثايرين ودخل في مشروع واحد مع سواجي وصارت هذه الماده وسيلة لما في محل شمشارى
الملك لزوم الالتفات اليها معهم وفي اثنا وقوع هذه الحوادث تقدم الناس من روسا الوارثين
يشكون فيه حقنوا عليهم سواجي بانفسهم لو حصلت لهم عدة حقيقة من حكومة بيجابور فاقتضى
الامر في هذه المادة على ان الملك يلزم ان يسير بنفسه الى الكرناطيق وبهلول خان مع باجي
غوربيوري يتوجهان لسد عدة روسا الوارثين من اجل المداومة على اشغالهم التي طلبوها
ولنذكر هنا ان باجي غوربيوري هو الذي كان تحقق خيانة وصار ابو سواجي وسلم
الى ملك بيجابور فاودع في السجن كما سبق ذكره ومن ثم سار الملك الى ميدان حركات المقابلة و
توجه باجي غوربيوري الى ارضه ليسرع في اصلاح نفسه وكانت الاخبار وردت الى سواجي بدري
بما حصل من كل حركة في معسكر ملك بيجابور فتفكر في هذا الوقت ان هذه فرصة موافقة في الوقت
بثار ما حصل لابيه من الاذى وخصوصا لشغل المحل فوق الكتافة فجد في سيره قاطعا الارض وهجم
على باجي غوربيوري غيلة وقتله واهله ونهب داره واضرم فيها النار وعاد مسرعا الى محله ثم
تسبب من هيئة الاعمال في الكرناطيق وفيها انضم سيدي جوهر الى الثايرين طلب حضور كافة
القوى والعساكر الموجودة تحت يد ملك بيجابور والجيوش التي كان يلزم توجيهها لمحاربات في كونكان
لكن ثم لبث سواجي سنتان من دون قلاقل وارتباكات وفي ظرف هذه المدة اعاد كافة ممالكه
واضاف عليها اراضي اخرى شاسعة ايراداتها وخيراتها وافرة واسعة ولما وصلت شهرة ابن
شاهجي واعماله الى مسامع ابيه اثنى عليه وشكر حسن صنيعه على ما فعله من اقتداره من عدوه وانشرح
صدره وارتفع انفه وعلو شانه بما سمع من مهارة ابنه وشجاعته وتوسيع ممالكه فصحب ابنه الصغير
وتوجه لزيارة سواجي زيارة علنية فاستقبله ابنه بالشغف وحب الابوية وكان نفوذ شاهجي
وسطوته وسماع اوامره في الكرناطيق لاشتغال الملك فيها بالحروب في هذا الوقت كبيرة جدا وتسبب
من حسن خضوعه وطاعته لملكه في وقت حالة المرتبكة في هذا الاقليم عودة الى الا الملك
واحسانا ته فتدخل شاهجي مجهوده وما في طاقته في عود السلم والاصلاح في الكرناطيق وكان لما عاد
من عند ابنه ارسل سواجي معه هدايا جليلة لملك بيجابور ووقفت الحروب وانعقد الصلح واعطيت
الاراضي التي استحوذ عليها سواجي المهرطي من كاليان الى جوا واه في طول ٢٥٠ ميل وما فوق
جبال غاث الى نحو ١٦٠ ميل وعرضها من سوبه الى جنجيره نحو ماية ميل وكان جيش كبير ابنية
اشاع ارهبه الاانه من حركات غاراته في السلب والنهب وما جمع من الاموال وما كان حاصل
عنه من التعدي والبطش للفجع بجيرانه التزم على كونه يرتب جيش مؤلف من سبعة الاف حصان
وخمسين الف من المشاة وكان هذا بمعنى ما قيل انه هو العدد الذي كان ثابتا في قوته وجيشه
وكان ذهاب الامبراطور اورنك زيب الى كشمير في طلب صحة نفسه وقع في الوقت الذي فيه سواجي
وملك بيجابور دخلا في محالفة مخصوصة بمنافع انفسهما فانتهز سواجي الفرصة في وقت توجه

اورنك زيب الى كشمير ووجه السفاك ثانية الطامع ضد المغول والحوادث التي تولدت من هذا الفساد
ما ذكرها احد من مورخي العصر الذين مارسوا هذه الوقايع ودونوها بل قالوا جميعا انه من
بعد انعقاد الصلح مباشرة مع ملك بيجابور نشرت خيالة المهرطا غاراتها وخطفها الى ان وصلت
تقريبا تحت اسوار مدينة اورنج اباد واما سواجي نفسه فانه تغلب على القلاع الموجودة في منواحي
جونير ثم مضى ارسال شيسته خان خال الملك وابن اخو نورجهان المشهورة الى الدكن من
من اجل عود النظام واستتباب قواعد الامن والراحة فارمن اورنج اباد وكبس على المهرطا
في غاراتهم وطردهم امامه الى ان صار على مسافة اثني عشرة ميل من سينجار وهي القلعة الجبلية
التي كان سواجي مختفيا فيها وتغلب شيسته خان على بونه واحتل الدار التي ولد فيها خصم سواجي
فعزم سواجي على اجتياحها يهجم به على المغول في ارضه وبلاده وساعده على ذلك الحب القلبي الذي كان
متمكنا في قلوب اهل هذه النواحي نحو عمدة البراهميين الذي كان لا يعتمد على صداقة احد غيرهم
استحوذ لنفسه عمدة الرجل المهرطا الموجود محافظا في الجهة فزعم هذا الرجل المحافظ بانه سيحتفل
بموكب زواج واستحصل على رخصة من الحكومة في استعمال الات الصراخ والزعيق المستعملة لهذا
الخصوص في مثل هذه المواكب واستحصل ايضا على رخصة لبعض من اصحابه في حمل اسلحة النزال والمكافحة
في الموكب وتخفى سواجي مع فرقة من عسكره المنتخبة للنفس وانضم الى اهل النزال والمكافحة حول النفير
مجاج زحامهم على افراحهم واستتب الامن سار سواجي وكان يعرف كل قاعة وخزنة وطرقة في
داخل دار محط راسه ومحل تربية طفوليته مع اصحابه ومعه قليل من حاملي البلطة الى ان وصل
الى باب قاعة للمطبخ وكان فوقه شباك خفيف البنا فهدموه وفتح منه سكة مرور من دون ان يبطش
باحد من الموجودين في داخل الدار وكانوا انقذوا شيسته من نومه وفي حال نزوحا كان شيسته
مجتهد في حركة النجاة بنفسه اصابته ضربة قطعت واحدا من اصابعه وذبح سواجي ابن شيسته
ومعظم الخفر الذي كان موجودا في الدار وتقهقر هو ورجاله من قبل تجمع اي قوة ما ولما قطعوا
ثلاثة اميال او اربعة تحت سيرهم نحو سنجار اشعلوا على من النور كانوا جلبوها لهذا
الخصوص من اجل ارتباك العدو وتحيره في معرفة عددهم وبها اظهروا اذدراهم واستخفافهم
بعدوهم وهيبتهم وجسارتهم ثم صعدوا فوق جبالهم تحت افراح عموم المجازفات والمخاطرات التي اجراها
سواجي المجازف لا يوجد فيها واقعة او حادثة اشهر ذكرا في التشجيع من هذه الحادثة
وفي صباح اليوم الثاني هزم قياد المهرطا ويون المغول وعقبوهم وكانت هذه اول مرة
عقب فيها المهرطا ويون المغول فارتاع شيسته من هذا الهجوم البغتي وارتعش بدنه وخاف
من وجود خاينين في جيشه ووقعت عنده الشبهة في راجا جاسونت سنغ في هذه الخيانة وكتب
الى الامبراطور اورنك زيب يشرح له رايه فيما وقع من سواجي ووصوله بخيانة من جاسونت
سنغ فكان وصول هذه الاخبار الى الامبراطور في الوقت الذي كان استعد فيه للسفر الى كشمير
فحتم ثم طلبه هذان القايدان وارسل ابنه سلطان موسوم نايبا في الدكن ومن بعد ذلك عين
معه حاكما [illegible] مساعدا له وهو راجا جاسونت سنغ وعهد حكومة بنغالة الى خاله شيسته وفي
اثناء ذلك اعد سواجي استعدادات كبيرة وذاعت الاشاعات ان هذه الاستعدادات مقصود بها
البرتغاليين وكان سواجي ارتاب منهم هم والسكان من الانكليز ايضا بانهم جاريين توريد
اسلحة وذخاير ومواد اخرى لاعداه وكان سواجي معتمد في هذا الوقت في غاراته وغزواته
على امداد عيران المهرطا ويحي كانوا مشهورين في ركوب الخيل والمحاربة عليها وكانوا حايزين
هذه الشهرة بين الهنود وكانوا فيها في درجة عالية وكانوا معدودين في خدمة ملك بيجابور
في صف خيالة خفيفة وفي الحرب الاخير الذي وقع بينه وبين المغول كانت عساكر الخيالة
هم المنصورون فعزم في هذا الوقت على اجراء الحروب بواسطة الخيل ثم ان مدينة سورت المدينة
الكبيرة في عمالة جرجي المعدودة لجميع الانكليز فيها واقعة على واقعة على الضفة الجنوبية من نهر
طابتي ولو ان هذه المدينة على ما قيل انها قديمة جدا الا انه [illegible] بواسطة
البرتغاليين ونهبها في سنة ١٥٧٠ بعد الميلاد من المحتمل انه مباري ذكر شهرتها وفي سنة ١٦١٢
منح جهانكير لتجار الانكليز رخصة في تشييد بيت تجارة او معمل شغل لهم في هذه المدينة وفي سنة
١٦٥٧ بعد الميلاد صارت كافة املاك واستحوذات الشركة الهندية الشرقية الانكليزية تحت
مباشرة وادارة واحد رئيس ومجلس في مدينة سورت فمن ثم كانت مركزا للتجارة واسعة ونظر

ونظر اليها سواجي بعين الطمع بسبب ما كان فيها من كثرة الاموال والتجارة وكانت الاستعدادات
التي اعدها هي بالخصوص من اجل هذه المدينة وفي اول يناير سنة ١٦٦٤ بعد الميلاد سار سواجي
في راس اربعة الاف حصان نحو هذه المدينة الغنية الخالية من الحماية والمحافظ واحتل شوارعها
من دون معارضة ولا مقاومة واستمر سبعة ايام تحت رحمته كرها ولولا انه انصد في هجوم على
معامل الفلنكيين والانكليز وكان تجار الوطنيين هربوا في داخل اسوار واستحكامات هذه المعامل
وجعلوها ماوى وملجا لحفظ سلامة انفسهم فان الغنايم والاسلاب التي وقعت في يده كانت لا تعد
ولا تحصر وارسلها كاملة مع السلامة الى قلعة رايغور في كونكان وروى انه في نظير ما حصل من
الانكليز من الهمة والمروة والكرم في معاملاتهم الوطنيين وحمايتهم اياهم منح اورنك زيب على الشركة
الانكليزية مصاريف ما صرفوه من العوايد ورسوم التجارات الجاري جمعها في مدينة سورت وفي مدة حركة
السلب والنهب الذي حاصل من سواجي وعسكره في مدينة سورت راعى سواجي خاطر الاب المحترم موسى ميروس
وقال ان هولاء الفرنج البادريات ناس طيبين ولا يلزم ازعاجهم وحصول ضرر لهم وكذا ابعد بيوت
اخرى مثل بيت دولاث العلنكي الدول لانه كان مشهورا بالصدقات والخير والاحسان وكذا نجى
منه بيوت الفلنكيين والانكليز ليس بسبب احترامهم عنده بل بسبب حمايتهم ساكنيهم وبيوت تجارتهم
وعند عوده من مدينة سورت وصلت اليه اخبار موت ابوه وكان موته في وقت اشتغاله بالصيد
فانه وقع من فوق ظهر حصانه فمات وكان شاهجي اضاف اراضي واخرة الى ارضه التي كانت انعمت
عليه في الاصل وفي وقت موته صوف فتوحاته في جهة الجنوب الاراضي الواقعة بالقرب من
مدراس ومملكة طابخور وهذه السنة كانت اول سنة تقلد فيها سواجي هيئة راجا ولقب راجا
وفي السنة التالية جدد غاراته وانواع هجوماته وكان ما زال مواظبا عليها الى ان وقعت
بيوت ابيه وعمار غارات في داخل اراضي بيجابور ونهب بعض مداينها وجعل هذه الاسلوب
لحكومة رايغور وهي مدينة بحرية في كونكان اعد فيها من قبل اسطولا وبه لا في تلك البحار وضبط
عدة سفن تابعة للمغول وساق بنفسه غارات مدمرة في داخل الممالك المغولية فقام في وجه اورنك
زيب الغضب واشتد به الغيظ والكتق من شدة الفظايع والاهوال التي وقعت في مملكته وبما
تقلده سواجي من الاستقلال وضربه النقود ودمغها باسمه والذي هيج غضبه زيادة ما حصل
عنده من الغيرة الاسلامية في كون سواجي كان يقبض على بعض قوافل الحجاج المسافرين الى
مكة لخصوص الحج وخرقه احترام مدينة سورت وكانت محترمة عند المسلمين بانها ميناء فرضها
قوافل الحجاج من المؤمنين الى الجهات المقدسة الطاهرة فعزم اورنك زيب على الانتقام من
سواجي في نظير هذه الجرايم وسير جيشا تحت قيادة اثنان من امهرة ضباطه وقواده مشهوران
بالشجاعة والبسالة وهما ميرزا راجا جي سنغ من ملوك الراجابوت وديلر خان من قواد
الافغانيين ومهما كانت وردت اخبار هذه الاستعدادات الى سواجي حسب عادته وما كان منتظر
له اي هجوم يقع عليه من جهة من الجهات وكان غايبا في غارة من غاراته البحرية فعبر الجيش
الامبراطوري نهر بنربوراه في شهر فبراير من سنة ١٦٦٥ وكان ينطاجي بلكره ترك سواجي
لمحافظة وخفر الحدود على مسافة بعيدة مع قطعة كبيرة من الخيل ويحتمل ايضا انه كان اقفد
رشوة من جي سنغ ولولا ان سواجي اخره في قيادته على ما كان عليه الا انه ما عنى عنه في هذه
المعارك ففي هذه الحالة سلم سواجي نفسه بصفو نيته وخلوص طويته لواحد من كبار البراهميين
اما بالنسبة لتعصبه في دينه وغزارته في عقايده اولسياسة عميقة نصيحة اجراها وفعل
سواجي كما امره البراهمي وزعم انه حصلت له الهامات ربانية وشاع بين اصحابه انه انذر
انذارا خفيا بانه لا يهيج ادنى حرب او نزاع مع راجا جي سنغ لانه لا يمكنه مقاومة هذا الامير
الهندو وفي الواقع وفقا للاعراف سياسته ما حصل فيها اصطدام او خلل مع من حصلت له منه
مساعدة في انقابه ومصاعبه الاولية وكان له تردده في المحاربة على ظاهر الضباط ولولا انه قاوم
مقاومة شديدة مع الفروسية والشجاعة بواسطة بعض من ضباط العساكر الامبراطورية فانه دخل
في مخابرات مع القايد الهندي جي سنغ كانت نتيجتها تسليم القسم الاعظم من فتوحاته ونقل
منه منه للمغول ولا شك انه كان ناظر لحالة مصالحه [illegible] شاهد بعينه تغيير الاحوال فرغب
اجتنا فوايد ثمراتها الا انه ما راه في هذه الحالة عاد عليه بغير ما كان في حسابه لانه كان راى

اثر بحضيض نفسه وفنيا لمنافع يكتسبها فيما بعد باتحاده مع المغول على مملكة بيجابور وقوبل عند
تشريفه بغاية الملاطفة والتملق وتوطدت بينه وبين راجا جيسنغ الوثاقة العظيمة وارسل
الامبراطور من طرفه رسالة شكره واثنى عليه ودعاه للحضور فى الديوان وفى سنة ١٦٦٦ بعد الميلاد
اخذ فى يده ابنه الكبير سمباجى وكان عمره فى هذا الوقت ثمانى سنوات وسار متوكلا على هذه
الدعوة ووثاقة جيسنغ الى ديوان الامبراطور اورنك زيب وكان فى خفارته خمسمائة من
منتخبات الخيالة والف نفس من المواليين ثم ان الامبراطور ضيع او فقد فرصة سنحت له فى ان
يجلب لمنافعه رجلا شجاعا صاحب عزم وجرأة ومكنة من المهرطا مثل سواجى هذا لانه عندما دخل
سواجى الى الديوان ما احتفى اورنك زيب بكان بلغه عنه من الاخبار فى كل شئ فعله من انتهاك
الحرمات والفظائع وكان يقول ان سواجى مثل فار الجبل فلما قدم سواجى طاعته واظهر خضوعه
وصداقته بدل ان يقابله مع الاحترام اللائق بمقامه الذى كان سواجى يؤمله من الامبراطور
استقبله مع البرود فى هيئة رجل حقير وضيف وامر بجلوسه بين ارباب الرتب الواطئة وما اعتبر
له مقام ولا قابله باكرام فعظم ذلك على سواجى ونظر الى حالة احتقار نفسه فما تمالك كظم
الغيظ واخفاء الغضب الذى قام على وجهه فقام واعتزل خلف ارباب الديوان وغشى عليه
فى الحال فلما افاق من غشيته سحب نفسه من دون ان يأخذ رخصة من الامبراطور وخرج من الديوان
فامر الامبراطور بالمراقبة عليه وذكر الطبيب برنيير فى تاريخه على الهند ان السبب الذى اوجب
حالة مقابلة سواجى عند الامبراطور بهذه المثابة هو ان امرأة شيسنه كانت فى ذلك الوقت
فى سراية الامبراطور وكانت على الدوام تلح على الامبراطور وتحثه على ضبط رجل قتل ابنها وجرح
زوجها ونهب مدينة سورت وبذل ابن جيسنغ مجهوده على طاقته فى المحافظة على الرئيس
المهرطاوى سواجى وكان سببا فى نجاة حياته وقال غيره من مورخى الانكليز حكايات مباينة
فى هذه المادة ان سواجى من ان آل امره الى الضيق والشدة التزم على ان يرمى نفسه على رحمة
عدوه ومن ثم وضع تحت المحافظة وتوجه الى دلهى وعند وصوله امر بالحضور امام اورنك زيب
وامره الحاجب اداء رسوم الطاعة والخضوع تحت اقدام تخت الامبراطور فرفض ذلك ونظر فى
وجه اورنك زيب بنظرة الغضب ورأى تحت من غير كل دلالة وعلامة دالة على استخفافه به فغضب الا
مبراطور من كبره وشماخة انفه وسوء اخلاقه وقبح سلوكه فامر اورنك زيب فى الحال بطرده من
اعتابه وكان كبار سيدات الحريم ومن جملتهن ابنة اورنك زيب بيجوم صاحب ناظرات من خلف
الستائر حالة سلوك سواجى فاصاب ابنة اورنك زيب علة جمال ذاته وبجهة تكبره وشماخته
واخذت ابنة اورنك زيب الحرارة الشديدة والحمية العشقية على كونها ترى نفسها تحته اقدام
ابيها من اجل خلوص سواجى فقال اورنك زيب انا اكره العجب والكبريا والخيلاء والغطرسة
الوالى اجب ان هذا العاصى يودى الرسوم التى ما قبل اداءها فارسلت بيجوم صاحب رسولا
من جهتها من شدة حرارتها الى الراجا سواجى تامره باداء الرسوم حسب طلب الامبراطور فلما
صار طلبه للحضور امام الامبراطور مرة ثانية امر باداء رسوم الطاعة المعتاد اجراؤها فقال انا
ولدت اميرا ولا دراية لى بما يفعله العبد من اداء رسوم يؤديها لسيده فاجاب اورنك زيب
ان المغلوبين ضيعوا حقوق سعادة انفسهم بما تسلط فيهم من حب الطمع والشهوات وان
السيف جعل سواجى عبدى وانا عزمت على انى لا اتنازل عن حقى واذا ما جعل السيف من حقوقى
فقد ور سواجى ظهره التخت فغضب الامبراطور غضبا شديدا وفى وقت ما كان على شرف صدور
امره بعقاب سواجى تكلم سواجى بلسان عالى وصوت جهورى وقال زوجنى ابنتك وانا
اعظم لك رسوم الاجلال فى صفة انك ابى غير ان هذا لا يحرمنى من شرف نفسى وعزتها الا
لا يمكن زوالها منى الا بالموت فامر الامبراطور باخذه من امامه فى صفة رجل معتوه مختول
العقل وامر بوضعه فى سجن قوى ومن بعد مضى بضع شهور ظهرت له طرق نجى بنفسه بها وخرج
من السجن فى خفية فى صورة رجل كان يدعى عليه حامل سل من الازهار فوق راسه هذا ما
قاله برنيير وغيره وقيل ان سواجى لما افاق من غشيته انسحب من المجلس من دون رخصة وجعل
تحت المراقبة والمحافظة وعزم من ابتداء هذا الوقت على الهرب فما كان شغل الدروب عليه سهلا

سهلا لوث الدار التى كان مختفيا فيها كانت محيطة بالخفر وبحيل مختلفة طردوا كافة اصحابه الصادقين
له الى بعيد عنهم وكان الامبراطور متخيل له فى عقله انه يطرد هو لا يجعله تحت رحمته زيادة ويامر له بكل
ما كان مقصور له من عقابه او عذابه فاسرع المهرطا المكار فى الهرب مع العجلة ونجى بنفسه وحمل مع
ابنه فى زنبيل ومر من وسط ربدبانات الخفر الواقفين فى المحافظة عليه ورقد خدام من خدمه فى
فرشه وكان سواجى راقد مدة فى فراشه بدعوى انه مريض ومضى من بعد هربه مدة حتى اشيع حادثة
هروبه ولما تركه الى ملبس له الخفر كانوا معدين له حصان من اجود الخيل فركبه واخذ ابنه خلفه وسار
سريعا ناجيا بنفسه الى مدينة متهره وكان لبعض اصدقائه واحبابه منتظرين قدومه فيها فى فنفات
مختلفة فبدل ملبوسه بملبوس هندو فقير سائل وحلق شعره وصفايره ونقش وجهه بالرماد
مثل دراويش الهندو وسار من طريق غير مطروق الى الدكهن ووصل داره من بعد مضى تسع شهور فى
كد وتعب واسفار وفى مدة غيابه وقعت واقعة مهولة حاقت بالقايد الهندو الناجح جيسنغ
وهوانه تضعضع حاله من شدة حركات عدوه واجبر على ترك حصار عاصمة بيجابور وعاد مع
خسارات كبيرة وصعوبات جسيمة الى اورنك زيب فما عاش من بعدها مدة حتى بغتى غمرات عواقب
مهنة وذل عزله من قيادته ومات وفى مدة الحروب التى اجراها جيسنغ وفتوحاته او رجعته
من الاراضى التى كان محتلها اخيرا وكان تسلمها من سواجى وكانت عساكره معسكرة فيها للمدافعة عنها
اعاد ضباط سواجى الكثير من القلاع واحتلوها من قبل رجوع سواجى الى الدكهن فخلف جيسنغ
فى القيادة رجل ضعيف العقل مخبول التدبير اعمى البصيرة فكان فى الامر تحت سلطة وامر سواجى
وبواسطة تداخله فى الاعمال ورايه عقد معاهدة صلحية بين الامبراطور اورنك زيب وسواجى
واعاد على سواجى القسم الاعظم من الاراضى التى كانت اخذت منه وقرر الامبراطور لسواجى لقب
راجا ومنح له بعض النقود غرامة فيما حصل له من الضرر فى السابق فما حصل من الاهوال والدواهى
التى سوف ها سواجى حيثما مضى وحل من الاخطار التى نجى منها اخيرا ادى تأثير فى اعتدال مزاج المرن
والتعب اصلح احواله مع المغول مباشرة هجوم على كل من مملكتى بيجابور وجولكنده وكانتا هاتان
المملكتان اخذتا فى الضعف والاضمحلال وسوء الاحوال بما كان متواليا فيهما من شدة الحروب ولو
بواسطة ما اجراه الامبراطور عليها من الغارات فتجنب هاتان المملكتان بسبب ضعفهما هذا الهجوم
وسمحا فى دفع خراج سنوى للامبراطور فى سنة ١٦٦٨ بعد الميلاد واعقب ذلك سنتان فى امن
واستتباب سلم وراحة وفى ظرف هذه المدة نظم سواجى ممالكه وحكمها بدرجة ادارية عظيمة اثبت
بها لنفسه الدرجة العالية فى السياسة والاحكام كما كان فى القيادة وتعبية الجيوش ثم ان هذه
الاحوال ما وقع فيها فتور من خطأ حصل من سواجى بل كان هروبه ونجاته بنفسه من الديوان
امرا شديدا وضررا كبيرا على النبيه صاحب الفراسة والبصيرة الامبراطور وكانت الحالة السهلة
التى سرحها الامبراطور فى معاملة سواجى والاغداق عليه بالسخاء الوافر الذى منح عليه من اثبات
له فنتر حاشيته هى نتيجة اغراضه فى ان يصيد له ما كان يقدر عليه فى هذه المدة المحكمة محاولة
نفسه بل طرد عقده وجعله تحت شوكته وسلطته فارسل اوامره الى قواده فى الدكهن بالقبض على
سواجى وارساله الى دلهى فلما كشف سواجى هذه الدسايس اظهر نفسه انه سيد قاهر ما كان فى
احواله وسلطته وقلعته وارسل رشوات وهدايا ووزع نقوده حتى افسد بها قلوب الرؤساء
والقواد ونجح بواسطتهم فى غش اورنك زيب وخديعته فحصلت الشبهة فى الحال فى الديوان
بما وقع من خيانة القواد واصدرت الاوامر من ديوان الامبراطور بالتشديد والاجتهاد فى
ضبط فار الجبل فتولد من مظفرات المهرطا وبين زيادة الجيش المغولى فى الدكهن زيادة كبيرة
وارسل ٤٠٠٠٠ مقاتل طول مدة هذا الجيش تحت قيادة واحد من البرنسات الشبان ومحبت خان
فهزم المهرطاويون عشرون الفا من هذا الجيش شر هزيمة وكانت هذه اول وقعة حربية اشتهرها
المهرطاويون واول شغل تحرك فيه فى واقعة منتظمة مع العساكر الامبراطورية وصدر امر الديوان
الامبراطورى بطلب الرؤساء والضباط الذين حصلت لهم الهزيمة وكانت الاعمال فى جهات اخرى
ناجحة عند سواجى وما حصل له ادنى ضرر وفتر الحرب عدة سنوات وكان العدو الذى ارغم المغول
على فترة الحروب فى الدكهن هم اهل الاوزبكات والغلاقل لسترة الافغانيين القاطنين فى الحدود
الشمالية الشرقية وهزموا المغول شر هزيمة فى سنة ١٦٦٧ فى واقعة كبيرة حصلت بينهم وكان
حاكم قابول فى هذا الوقت محمد امين ابن المشهور مير جملة وقطعوا الجيش الامبراطورى ودمروه

وسفكوا النساء والاطفال وما اعادوهم الا بعد دفع فديات كبيرة وافتخر القبايل المنصورة
بهذه النصرة واف موالهم ملكا وضربوا السكة باسمه واستمر هذا الحرب مدة سنتان وانتهى بتمام
كل ما طلبه الجيلبون من اصلاح امورهم ومنافع احوالهم واعقب هياج هذه الغارة المشومة
هياج مهول من بعض متعصبي الهنود وكانوا حازوا الشهرة في اعمالهم السحرية عند الناس فيلم
انه لا يحصل لهم ادنى ضرر ولا اذى من ضرب النار او السيف فرح الامبراطور جيشا للتقاتلهم
فهزمهم الجيش شر هزيمة وحشروا ما كانوا يدعونه من سحرهم وبسبب ما كان عليه اورنك زيب
من غيرته في دينه وهياج بعض حوادث اخرى اشتعلت نيران العداوة والكراهة عنده من اهل
الديانات الاخرى حتى انه ازل رعاياه الوثنيين وعاملهم بمعاملات جورية غير سياسية
وزاد في الضرايب والعوايد والرسوم التي كانت مضروبة عليهم من قبل وشدد في الاوامر و
القوانين وابطل المشروبات والمسكرات وامر بغلق ابواب محلات المراح والالعاب والقمار وضيق
على الديانة الوثنية وابطل كافة العوايد والرسوم والضرايب التي لا يجوزها القانون الاسلامي
من المكوس وغيرها فمن ثم حصل نقص كبير في ايراد مدخول المملكة وشرع في نشر قوانين شديدة
واصدر منشورا بابطال ضرب الالات والرقص ومحلات الهزل والمزاح وامر بتحريم التنجيم
والشعر وتدوين التاريخ حتى تم ما حصل في التسجيلات السنوية التي كانت جارية على وجه الانتظام
في المملكة توقيف في تدوينها فقط بل ومنعت بالكلية حتى ان تواريخ الحوادث العمومية من ابتدا
السنة الحادية عشرة من سلطنته كانت خالية من التسجيل ومن كافة الاعمال عمومية كانت او خصوصية
ولما خاف من ان اداء رسوم الاحترام اليه يكسبها هيئة عبادة رب الاعتقادات الرسمية بطرايق
اخرى وامتنع من الظهور على باب سرايته حتى لا يظن فيه انه متداخل في العبادة الوثنية واعقب
هذه الخطات السياسية صدور منشور عمومي من طرفه امر فيه الحكام وارباب الوظايف في كافة
انحا مملكته بطرد الهنود عموما من مصالح المملكة وترتيبه بدلا منهم من المسلمين فقط فكانت ثمار
نتايج هذه الافعال التي تولدت من الاوامر والمنشورات ان حصل في السنين الاولى من سلطنته
ان الهنود الذين كانوا في طاعته ومنقادين لاوامره وصداقتهم مثل صداقة المسلمين وما كان
منهم ادنى نفور ولا تذبذب في سلطنته لما راوا وقوع الجور عليهم هم وكل من كان ذا اخلاق ريلم
حصل تغيير في الحال في هيئة الاعمال ونفر الهنود من الامبراطور وغضب الراجابوتيين وحال
كل امرا من الدكهن ليس على دين الاسلام مع سواجي وانضم اليه ونظروا اليه بعين المحامي والمدافع
والاوقد لهم بالنار وصار لا يوجد شي هذه المواد القابلة للاحتراق سوى رمي شرارة نار
لتكون سببا في تأججها والتهابها فاسرع الامبراطور في ان رمى فيها هذه الشرارة واججها وسببه
ان راجا جاسوانت سنكا الذي ظهرت شجاعته وصداقته ومقام درجته ومهارته في جهات متعددة
من المملكة من عهد تركه مصالح دارا شكوه وانضم الى اورنك زيب مات في وقت المصايب التي
كانت حاصلة في جهة قابول من عدة قبايل بها وكان صدر ارساله من حكومته في الدكهن لمباشرة
الحرب ضد الافغان وترك هذا الراجا من بعد موته ارملة وولدان لم ومن بعد ان شيعت
هذه الارملة جنازة زوجها سافرت عايدة من قابول من دون ان يكون معها ما يقبرها
من اسر سؤال الرخصة او تذكرة المرور فما زالت في سفرها الى ان وصلت الى معدية اطوك
على نهر السند وعدت هي وخفرها من هذه المعدية بالقوة فاعتقل اورنك زيب بهذه الفعلة
وجعلها مخالفة للقوانينه ومنشوراته مؤملا في ذلك جلب الام وولديها تحت حوزة يمينه
فعزم الراجابوتيين على حفاظ امه ومقصوده ولو ان الارملة وولديها عند ما وصلوا
الى دلهي احيطت بهم العساكر الامبراطورية فان الراجابوتيين بذلوا جهدهم واظهروا مهارة شغلهم
واوصلوا الراني وولديها الى دارهم لمين فهجم على هولا الراجابوتيين ارباب الرزمة والصداقة
قوة ضخمة من العساكر الامبراطورية ولو انهم حاربوا واظهروا شجاعتهم المعتادة وصدوا
عدوهم عنهم فانهم خسروا خسارا عظيما من عددهم وتشتت الباقي مع رئيسهم دورجا داس و
تجمعوا مرة ثانية على مسافة في محل تهيئ لهم ورجعوا مع السلامة الى بلادهم وكانت الارملة
او الراني وولديها وصلوا من قبل الى ملكهم في جودبور والبرنس الكبير منهما كان اسمه اجيت
سنها عاش متسلطنا عدة سنين بين المرداريين وكان العدو الالد المهول للامبراطور في
المدة التي كانت باقية من حياته وقام عموم القسم الغربي من اراضي راجابوتانه ودخل
تحت السلاح فار الامبراطور بنفسه الى هذه الثورة المهولة التي قامت في تلك الجهة ووجد

ولاجل تقوية جيشه امر بجلب العساكر من الدكهن وبنغاله واصدر امره لعامل الجوزرات بشن الغارات
والهجوم عليهم من جهة حدوده وعين ولديه موعظم واكبر في هذا الحرب فاستمر هذا الحرب في غاية من
الشدة والقساوة زيادة عما كان يوخذ من هيجانه والغضب والثوران الذي كان سببا في انتشابه
وانقطعت كافة المونة والذخاير عن الذين هربوا في الجبال والمرتفعات من الاراضي ودمرت السهول
وخربت القرى والبلاد وسبيت النساء والاطفال وحلت الاهوال والمصايب وعمت كل قساوة
وبطش وانتقام ممكن اجراه على القبايل والعشاير فكان ذلك سببا في نفور الراجابوتيين الى الابد
من ارباب المملكة المغولية واجتنابهم منهم وكانوا في جيش مؤلف من اربعة وعشرين الف حصان
ولو ان هذا المقدار كان غير كاف بالكلية لملتقى عدوهم في الميدان فانه حصل منهم اشغال
كبيرة ارعبت عساكر المغول وقطعت عنهم المونة والذخاير وهجموا على الفرق الموجودة في محافظ المعاقل
والقلاع واكتسبوا لانفسهم منافع وفوايد من سطوهم والهجوم في اثنا الليالي المظلمة على عساكر الاعدا
ثم ان دورجا داس وكان ماهرا في هذا العمل انشط وغالب القوى المؤثرة الفعالة ودخل في مخابرة
خصوصية سرية مع الوارث الاقرب للتخت وبذل جهده في اغواه على الخروج من تحت طاعة ابيه فنجح
في ذلك مع البرنس الشاب اكبر بن اورنك زيب وكان عمره في هذا الوقت ثلاثة وعشرين سنة وكان
في عنفوان شبابه وطياشة عقله فقام اكبر ببيرق العصاوة على ابيه واعلن نفسه امبراطورا وتشكل
جيش مؤلف من سبعين الف مقاتل استعد لمحاربة طلبا ته وهرب اليه تهوّر خان ومجيد
خان اثنان من كبار وجوه المسلمين ذوا قوة وباس شديد وما بقي عند ابيه الا فرقة مؤلفة
من الف مقاتل وجيشه متشتت في جهات مختلفة ولما تجرد اورنك زيب من القوى العسكرية شرع
في مشروع دس الدسايس المؤثرة حتى رجع كافة المسلمين الى ما كانوا عليه من واجبات الطاعة واما
الراجابوتيين فانهم تركوا اهم وانفسهم فالتزموا على قطع الامل من انفسهم في عدم قدرتهم على مقابلة
العساكر الامبراطورية وحدهم ودورجا داس مع اكبر لاجل حمايته وهرب اكبر تحت حماية خفر دورجا
داس مع خمسماية من الراجابوتيين بين عشاير المرهطا وبين وراوغ في سيره من تعقيب عسكر
ابيه لا وسار من وسط الجبال والتلول في داخل ارض الجوزرات وسار عنها الى كونكان فوصل اليها
مع السلامة في شهر يونيه من سنة ١٦٨١ بعد الميلاد ثم ان الحرب المرمرة التي هاجتها المغول على
الراجابوتيين تولد منها في اخر الامر هياج شديد عادت مضاره عليهم وانتقم الراجابوتيين
منهم في نظير ما فعلوه بهم انتقاما شديدا فنهبوا الملك جدو حرقوا مصاحف القرآن والتفسير
وجاروا على الايمة والعلما واهل الدين ثم انه لشدة ضرورة الاحوال التزم الامبراطور على عقد
صلح ليس تحت صداقة من اجل تسكين وتمهيد هذه الاحوال الغير المكدرة واستقر الامن برهة
قليلة من الزمن مع استتباب راحة الابدان وفي وقت انسحاب جيوش الدكهن في سنة ١٦٧٢
من اجل المداومة على الحروب في الجهة الشمالية الغربية مع الافغانيين كانت فرصة عظيمة فرصة
تنفس الى سواجي من اجل تجديد مبارزاته وهياج حروبه على المغول الا انه تجنب هذا الامر
واشتغل لنفسه في هذه المدة بموت ملك بيجابور في ذلك الوقت وكانت هذه فرصة ايضا جات
اليه من احسن الفرص واجلها فانه استحوذ في سنتي ١٦٧٣ و ١٦٧٤ لنفسه على القسم الحلى
من كونكان واراضي جبال الغاث المجاورة له وضبط عموم القسم الجنوبي ما عدا الجهات
التي كانت تحت حوزة الحبشيين والبرتغاليين والانكليز وتتوج سواجي ايضا بتاج الملك
في اقاليم الواقعة فوق جبال الغاث الممدودة نحو الجهة الشرقية خلف اعلا مجرى نهر كيستنا
في سنة ١٦٧٤ مع احتفال كبير اعظم من الاحتفال الذي عمل له في الاول ولاجل ان يتصف
في احكامه واعماله بصفة انه حاكم وطني من اهل البلاد بدلا بالخلوف لعادة المسلمين اسس كافة
ضباطه وحكامه من الاسما الفارسية الى الاسما السنسكريتية ودخلت فيه الغيرة الشديدة والتعصب
الزايد في دينه زيادة عما كان عليه في مبادي امره وامر باقامة الشعاير والفرايض والسنن
الوثنية الدينية على حسب امتياز درجات الطوايف والعشاير وادخل درجة امتياز الطوايف بين
قومه ورعاياه ثم انه من تتويج سواجي التتويج الثاني عاد المغول على ممالكه فحصل لهم الهزم والخوف
من هذه الغارة بعد قليل فدخل سواجي في معاهدة مع ملك جولكنده ومن بعدها فرمن
اجل عود ارضه التي كانت تحت حوزة ابوه ومضيا فيها في الكرناطيق وكانت لحد هذا الوقت

في حوزة اخوه الاصغر ونكاجي وساق الى هذه الغارة جيشا مؤلفا من ٧٠٠٠٠ مقاتل مركب من ٣٠٠٠٠ حصان و ٤٠٠٠٠ من المشاة وتعهد له حليفه ملك جولكنده بصد عسكر الامبراطور وعساكر ملك بيجابور ولما اخذ الاحترازات اللازمة في توطيد الأمن من عدم الهجوم عليه مما خلفه عبر نهر كيستنا ونهر كارنول وسار من اراضي كارناتا ومر بالقرب من مدراس وظهر امام اسوار مدينة جينجي على مسافة ستمائة ميل من ارض ممالكه ولما غاب مقصوده في مقابلة طلب جزء اخره لوجود حشه واختلاف على تقسيم املاك ابيهما بينهما تغلب على الارض واحتلها مع السرعة والعجلة وفي اثناء ما كان مشغولا بهذه الاشغال وصلت اليه الاخبار بان المغول وجيش حكام بيجابور غاروا على اراضي حليفه فاصلح الامر بينه وبين اخوه وصارت الاملاك تحت يد اخيه ويرفع له نصف الايراد وضبط لنفسه الاملاك والجهات التي كان سلبها من مملكة بيجابور وبمجرد وصوله الى ميدان الحرب عقد صلحا مع المغول وفتح اخليبي بلاري وادوني وعاد قافلا الى رايغور في سنة ١٦٧٨ من بعد ان غاب عنها ثمانية عشر شهرا ومن بعد مدة قليلة مات نايب مملكة بيجابور الذي كان مشتركا مع المغول في الغارة على مملكة جولكنده وتعين دلير خان احد القواد الامبراطورية رئيس مجلس المملكة ولما وقع اورنك زيب في الحيرة والارتباكات الكبيرة من النواب الموجودين في الدكن تحت سلطنته ارسل ابنه موسوم نايبا عنه فيها وجعل دلير خان حاكم ثاني تحت يده تجدد دلير خان الحرب على مملكة بيجابور فمال راي النايب الذي تعين جديدا في بيجابور ما حل به من المصاعب استحصل على محالفة الناجح للمرهطا سواجي وطلب معاضدته ولما راى سواجي ان القوة الموجودة تحت يده ما فيها كفاءة لملتقى المغول في ميدان الحرب عزم على شغل يوقع به الاذى والضرر واكثر سلامة وفائدة لنفسه فاوقع الدمار والخراب الكلي في ممالك الامبراطور وضبط منها عدة قلاع ومعاقل وفي هذا الاثناء حاصر العدو مدينة بيجابور وضيق على حصارها الى ان صار محاصروها في ضيق عيشه وشدة فبذل سواجي مجهوده واسرع في خلاصها وفي اثناء سيره وصلت اليه الاخبار بهروب ابنه سنبهاجي الى العدو وقوبل بالاكرام والاحتفال ثم من بعد قليل ندم سنبهاجي على ما وقع منه وربط علاقاته واصلح امر نفسه مع ابيه ومع ما وقع من هذا الاتفاق العارضي الذي ما كان يخطر لسواجي على بال خانه ما حاد عن سعيه ومقصده الاصلي فلما راى دلرخان قطع خطوط مواصلاته ومطلوباته التزم الكف عن القتال واعترف بما اجراه سواجي من سابق خدماته ومنح عليه اقليم الاراضي الواقعة بين نهر طونقبذره ونهر كيستنا وكافة الحقوق التي كان منحها الملك على الاراضي التي كان اعطاها شاهجي فكان هذا الاتفاق سببا في ان اعطاه حقوق سلطانية على اخيه ثم انتهت اعمال سواجي وحركاته بغتة وما كانت حالة موته تخطر على بال احد وهو انه في ٥ ابريل سنة ١٦٨٠ بعد الميلاد في السنة الثالثة والخمسين من عمره انتقل من ميدان حروبه واشغاله الى ميدان عاقبة امره وقضى نحبه واقفر كانه ما كان وتلك حكمة الحق في خلقه والارض لله يورثها من يشاء من عباده وخلفه من بعد موته ابنه ضعيف الراي شرس الاخلاق قبيح السلوك الفاجر فاسرع ما وقع منه من الاسراف سنبهاجي والتبذير في الاموال والكنوز التي كان جمعها ابوه وحتى صحبة اصدقائه وشجعانه ورؤساء جيشه البرنس اكبر في طلب معونة له ولو انه قابله مع التبجيل الوافر الا انه ما اعطى له امل مساعدة له مع انه فرض عوايد ورسوم جديدة على رعاياه فان الاجراءات غير المستقيمة التي توقفت من طياشة عقله وفجوره وضعفه ورخاوته صيرت امور المالية ومواد الصرف التي كانت تحت قواعد معلومة مستقيمة مضبوطة في مدة ابيه وقع منها الخلل وعجزت ايرادات المملكة واختل نظامها وعم الزم الجيش بسبب عدم صرف متاخرات مرتباته ان يسير في مسلك دروب النهب والسلب واختل نظامه وترك القواعد النظامية والاساسات العسكرية التي كان جاري العمل على موجبها في مدة حياة سواجي وانقسم الى فرق ومناسر حرامية ولصوص وقطاع سبل استمروا عليها

وفي سنة ١٦٨٢ تولد من قلق الاعمال واختلافها في الدكن ذهاب الامبراطور الى الدكن وارسل واحد من اولاده لاخضاع وفتح القلاع والمعاقل الجبلية الموجودة في مجاورة سلسلة جبال شغور والغات وواحد اخر من اولاده الى كونكان ومعه امر بالدخول في اراضي سنبهاجي بن سواجي الى حد جنوبها والى حدود مملكة بيجابور فما وقع ادنى مقاومة في نواحي كونكان بل حصل تاثير شديد من المناخ والطبيعة الاصلية للاقليم حصل منه الضرر لهذا الجيش المهول الضخم وكانت قوة

الجيش الفائق مؤلفة بالخصوص من الخيل فتذمرت قوتها واضمحلت حالتها من التزعزع على ملاقاته من المصاعب والمشاق وصار لا فائدة في استعمالها وكان لا يوجد علف ولا عليق ولا فائدة في سالكة وكان سير الخيل من وسط الصخور والاوعار والثنايات وكافة المواصلات مع البحر محفوظة باسطول العدو ومن كثرة المتاعب السفر وشدة تاثير المناخ وعدم وجود الغذاء والمؤنة حصل الهلاك الشديد للعساكر والحيوانات ولما التزم الجيش بحمى وقت المطر على المحافظة على نفسه انبعثت فيه امراض وعلل شديدة حادة اهلكت منه الكثير من عساكره ثم ان ما حصل في كافة انواع الهجوم على القلاع والمعاقل نجاح ولا افلاح وفي مبادي السنة التالية اجتمع كافة ما بقي من الجيوش ووقع هجومها جديدا على بيجابور فتتبع المرهطا وبوت خلف هذه الجيوش واوقعوا بهم مصايب لا تطاق وكان جيش بيجابور مستعدا للمدافعة ووجها لوجه فاحاط بهم وصدهم ووصلت العساكر الامبراطورية الى ما وراء نهر ريما ولما صار طيب المغول من اجل ملاقاة الخطر في الجهة الجنوبية سنحت الفرصة في هذا الوقت للمرهطا وبين بالغارة على الاراضي والبلاد الموجودة وراءهم فنهبوا امانينة باروش وخربوا اقليم الجوزرات المجاورة لها وفي اثناء هذه المدة وجه الامبراطور جيوشه على مملكة جولكنده ولما اخضعها وجعلها في حالة مهينة ذليلة واخذ منها مبلغا جسيما من النقود عقد معها الشروط اللازمة الموافقة لاغراضه ووجه كامل قوته على ملك بيجابور فتغلب على المدينة واسر الملك وسلب والغى حكومتها السلطانية في سنة ١٦٨٦ بعد الميلاد ثم ان اورنك زيب نقض الصلح الذي كان عقده مع جولكنده بواسطة الخديعة والغدر بمجرد ما وجد عنده فرصة في الوقت ونمت اغراضه وحاصر مدينة جولكنده وضيق عليها واستمر محاصرها سبعة شهور فاومت فيها عساكر جولكنده مع غاية الشدة والعناد واخيرا تغلب على المدينة بالخيانة من بعدان تركها عسكرها وقوادها هاربين وفي مدة هذا الحرب وقع من معظم ما اوجب غضب ابوه عليه فاودعه في سجن ضيق لبث فيه نحو سبع سنوات فتولد من كسر شوكة الاحكام السلطانية في الدكن ايلولة الحالة لعدم ترتيب قانون ثابت للنظام ولا وجود جامعة نظامية وطلائشية كل من عساكر جولكنده وبيجابور وتفرقوا ازدحموا تحت بيرق سنبهاجي بن سواجي ورتبوا انفسهم في صورة مناسر وفرق خاطفة سلابة فنهبوا البلاد و خربوها ودمروا الغيطان والمزارع بسلبهم ونهبهم ومن ثم تسلطن الاشمئزاز والكراهة لقاطني البلاد عند كل طائفة من الامم الموجودة في الدكن وبهذا السبب مع تولد احساسات جديدة دينية في مقاومة المسلمين وصدهم صارت رعايا ممالك الدكن مستقدة على الدوام لما عونة اعداء المملكة عليها ثم ومهما كان حصل من الظفر والنجاح لاورنك زيب من بعد تغلبه على جولكنده يمكننا ان نقول انه من هذا الوقت تراكمت عليه المصايب والاهوال ولازمته الى ان سارت معه الى قبره ثم انه ما حصل ادنى تاثير من هذه الاعمال التي توقفت لاهل بلاد الممالك المفتوحة المجاورة للمرهطا وبين عند ملك المرهطا وقيامه بالعمل العايد منه الصلاح والنفع على نفسه وعلى ممالكه لانه كان في الواقع غرقا نامع الخنا والدناءة في بحر البلادة والرخاوة والغفلة وكان سائرا في مجاري طرق السكر والفجور واللهو واللعب ولما قطع البرنس اكبر الامل منه من عونه له ومساعدة غيره من تلك الجهات اعتزل بنفسه وتوجه الى فارس واقام فيها الى هو سنة ١٧٠٦ بعد الميلاد واما رؤساء المرهطاوين فانهم لم يقيدوا انفسهم في اعمالهم بل قاوموا صدمات المغول الا انه مهما كان من مقاومتهم فان اورنك زيب ضم اراضيهم على التدريج الى ممالكه فلما تم اصلاحاته جمع جيشا كثيفا جرارا وساقه للهجوم على قلاعهم وبواسطة اقدام وشجاعة واحد من قواد المغول جعل المحروس سنبهاجي تحت رحمة الامبراطور اورنك زيب وذلك ان سنبهاجي المذكور كان اعتزل مع بعض ندمائه واعز اصحابه في احدى السرايات العزيزة عنده في نواحي سنجاميشوار على مسافة خمسين ميلا من احدى القلاع المغولية فهجم القايد المغولي الموجود في القلعة على سنبهاجي غيلة وكان في اشد حالة من السكر وتخدير العقل ومع انه كان في حالة سكر حيواني خانته قابل التقرب منه بالتهديد ووعده بالعقاب الشديد بسبب ما وقع منه من تقربه اليه ولما وقع في يد عدوه وقع الكبس والضغط عليه في ارتداده عن دينه ودخوله في دين الاسلام فاظهر شدة جده لدينه واعتقاده وتمسكه بدينه واختار لنفسه الموت وسهولته عليه ولا الارتداد عن دينه واخذ في سب الامبراطور ولعنه وسبه الديانة الاسلامية ومن جا بها فقام في وجه اورنك زيب الغضب واخذته حمية الغيرة الاسلامية وغضب غضبا شديدا مما حصل من سنبهاجي في سب صاحب الشريعة الاسلامية

والديانة الطاهرة الحنيفية واصدر امره في الحال بهدم هذا الملك الملعون والمثلة به بحالة ما كان
يحيط وقوعه عن اورنك زيب وهو انهم شملوا عينيه بمحاور مما حديد محماة بالنار وقطعوا لسانه
ثم قطعوا رأسه ثم ان رعايا سمباجي اهملوا ما كان عليه من الاعمال الدنية والصفات القبيحة التي
كان مشتهرا عليها وصرفوا النظر عن كل كريهة كان يفعلها بواسطة ادوارهم ما حصل له من القبايح
والمنكرات وقام الغضب في وجوههم واجلسوا ابنه الصغير على تخت ابيه تحت وصاية ونيابة عمه
راجا رام ومن بعد قليل تغلب العدو على عاصمته وهرب هو ونائبه مع القليل من اصحابه مختفيا
الى مدينة جنجي في الكرناطيق ووقعت حرب مدمرة في عموم ارض المهرطا وكانت جموع العساكر
الامبراطورية مملوءة من الهندوستان فحمل المهرطا ويوت افغانهم بين الجيش المغولي وارض الهندوستان
وظفروا في كونهم قطعوا عنهم كافة الذخاير والمون واجناس الحلوان وهزموا بعض فرق العساكر الا
مبراطورية واوقعوا الرعب والاهوال والمصايب بعدوهم وفي ظرف هذه المدة كان الملك الشاب
ساهو بن سمباجي محصورا في مدينة جنجي وقاومت المدينة هذا الحصار مدة ثلاث سنوات ومن بعد
علاق هذه المدة اجتهد المهرطا ويوت اجتهادا راناجي وقامت فيلم عنيرتهم وبذلوا مجهودهم في خلاصه
حكمهم وجمعوا جيشا مؤلف من عشرين الف مقاتل من اجود رجالهم وعبر هذا الجيش مع السرعة الاراضي
الوسطانية تحت قيادة سنتاجي وغورباره ودانا جي جادوو وهجموا غيلة على الجيش المحاصر وقطعوا
دابر فرقة من فرقه ونهبوا معسكرها واسروا قايدها من قبل التجمع والاستعداد لها ومنهم ثم اندفعوا
نحو المحطات والعزه قوات الاعانة ودمروا العلوفات والعلايق وقطعوا كافة خطوط المواصلة
والذخاير والمون عن معسكر الجيش الاصلي فالتزم المحاصرين على سد فقدات افواههم ان ربطوا و
شدوا بطونهم وجمعوا قواهم في جهة معلومة وهندقوا على انفسهم وصاروا محصورين من ان
كانوا حاصرين فكانت هذه المصيبة سببا في كسر شماخة انفة المغول فجمع الامبراطور اورنك زيب
قوى جديدة وسرحها لمدد جيشه وخلاصه فكانت نتيجة الاعمال ان تغلب المغول على مدينة
جنجي في سنة ١٦٩٨ بعد الميلاد واما راجا رام

الذي كان متقلدا زمام النيابة حديثا فانه نجى سالما
بنفسه بسيطة من قايد جيش الامبراطور وكان حديقا
له وعاد راجعا واقام ديوانه في مدينة ستاره
وتقلد زمام الاحكام المطلقة النافذة في الحكومة
المهرطاوية ورتب جيشا ضخما ما سبق له نظير من قبل
عند المهرطا وبين وساقه الى ميدان الحرب وعبر الى الجهة
الشمالية من نهر جوداوري وجبى الخراج من الذين دخلوا
تحت طاعته ودمر حالة الباقيين وخرب بلادهم وما زال
مجدا في سيره الى ان وصل الى جلنه من اعمال بيرار فسار
الامبراطور بنفسه في راس جيشه ومن بعد ان تغلب على بعض القلاع والمعاقل عسكر امام مدينة
ستاره فظفر بها وتغلب عليها وكان راجا رام من قبل سقوطها مات وخلفه ابنه سواجي تحت وصاية
ونيابة امه تاره باي فما كان لهذه الواقعة تاثير في الحرب وفي ظرف الخمس سنوات التي اعقبت
هذه الحادثة تغلب اورنك زيب على كافة القلاع المشهورة مما ابدى للمهرطا وبين ما حصل من
الامبراطور من الاقدام والشهامة والغيرة والبسالة خصوصا عند تقدمه في السن كان من الغرايب
والعجايب عند عموم العالم وكان سنه بلغ نحو خمسة وستين سنة عندما عبر نهر نربودا من
اجل الشروع في هذا الحرب الطويل وبلغ سنه خمسة وثمانين سنة من قبل ان يختم الارتباكات
والقلاقل التي كانت في بيرما بوره ومع ما كان فيه من الغيرة والمكنة فان قدرته ما كانت فيها
الكفاية في ردع ومنع واخماد ما كان حاصلا من الزيادة في الارتباكات والقلاقل والشغب
والثوران الواقع في مملكته وقام الراجابوتيين والجايتون وهزموا المهرطاوبين واوقعوا بهم
المصايب والاهوال وكان كلما قل عدد الجيوش الامبراطورية اخذ عدد جيوش المهرطاوبين
في الزيادة والكثرة وعمائم تذهب سهول الدكهن وخربت مداينها وقراها وصارت مالوه
والجوزرات ميادين جيوشهم وتبدل من المداين الخربة المنهوبة والغيطان والميادين المدمرة ودخان
الخراب المعفور على خرابات وآثار واطلال المداين والقرى الخالية من الاهل والسكان
وما كان عليه هولاء الناس من الشدة والعسف والعداوة في غاراتهم وحروبهم ثم ان اورنك زيب
دخل في مدينة احمدناجور واقام بها الى ان مات فيها في ٢١ فبراير سنة ١٧٠٧ بعد الميلاد من بعد
ان بلغ من العمر تسعة وثمانين سنة وفي رواية اربعة وتسعون سنة وكانت مدة سلطنته تسعة
واربعون سنة او خمسون سنة وقسم مملكته بين اولاده الثلاثة وجعل ابنه الاكبر موسوم خليفته
على التخت من بعد موته ولقبه امبراطورا وجعل له الاقاليم الشمالية الشرقية مع عاصمة دلهي ولابنه
الثاني اكره مع الاراضي الواقعة في جنوبها وفي جهة جنوبها الغربي بما في ذلك الدكهن ما عدا مملكة
جولكنده وبيجابور فانه اوصى بهما لابنه الاصغر

اعلن اورنك زيب نفسه امبراطورا في سنة ١٦٥٨ بعد الميلاد في الوقت
الذي سجن فيه ابوه في سراية اكره ولقب نفسه بلقب عالمكير اي فاتح
العالم ومكثت سلطنته الى سنة ١٧٠٧ بعد الميلاد وفي مدة سلطنته بلغت
المملكة المغولية اقصى درجات اوجها في السعة والفلاح الا ان سلطنته الطويلة التي لبثت نحو من
تسعة واربعين سنة او خمسين سنة كانت مكدرة ومضايق منها اورنك زيب الى ان قضى نحبه لانه هو
كان ابتدأ ينقض في العصاوة على ابيه وطردته على التخت بقتله اخوته ومن ثم اظلمت سحب الجو عليه
من الدسايس والثوران والغيرة والحسد الذي كان مكنونا في قلب اولاده وكان منظر هيئة سلطنته
العمومية محصورا في ديوان وسراية مفتخرة جليلة في الهند الشمالية وفتح الممالك الاسلامية المستقلة
الموجودة في الدكهن اي في الهند الجنوبية واهاج الحروب على ممالك الهندو وكانوا تجمعوا في راجبوتانه
والدكهن في قوى قوية من اجل سقوط المملكة المغولية وخرابها وفي السنة التي بعد السنة التي جلس
على تخت المملكة هزم اخوه الكبير داراشكوه وقتله في سنة ١٦٥٩ بعد الميلاد ومن بعد استمرار حرب
لبث اثني عشرة شهرا طرد اخوه الثاني شجاع من الهند في سنة ١٦٦٠ وهلك حقيرا ذليلا مقتولا
بين المتوحشين في مملكة اراكان ثم قتل اخوه الثالث الذي كان باقيا على قيد الحياة الشجاع
مراد في سجن كان اودعه فيه بالخيانة في سنة ١٦٦١ بعد الميلاد ولما قطع اورنك زيب دابر اعداه
بهذه المثابة رفع نفسه مقاما عاليا في هيئة ملك شديد التقوى والعبادة في الديانة الاسلامية في
الوقت الذي كان فيه ابوه شاه جهان يتلظى على جمر النيران في سجنه ويتندب ويتمنى لنفسه قتل اولاده
الى ان مات في سنة ١٦٦٦ بعد الميلاد ولما جلس اورنك زيب على التخت وتمكن منه وخلاله الجو ما زال
كان مصرا على افتتاح الهند الجنوبية وكان ابتداء مظفرا فيها في مدة ما كان عاملا لابيه ومن جملة
الخمس ممالك الاسلامية التي كانت موجودة في الدكهن كانت مملكة بيدار واحمدناجور والبيجابور
وقعت في ايدي جيشه من قبل جلوسه واما الاثنتان الاخيرتان وهما مملكتي جولكنده وبيجابور
فانهما استمرا في محاربات طويلة وصمم اورنك زيب وعزم عزما قويا على احتلالهما على المملكة المغولية
وما كان من المصاريف والمشاق وفي مدة سلطنته او على وجه الضبط من بعد مضي خمسة وعشرون سنة
من سلطنته هاج حربا في جنوب الهند بمعرفة قواده استمر من سنة ١٦٥٨ الى سنة ١٦٨٥
بعد الميلاد ثم قامت دولة جديدة من الهندو في الدكهن وهم المهرطاوبين وسيأتي شرح تاريخهم مع
الكمال ومن ثم كانت الاعمال والاشغال الموجودة امام جيوش اورنك زيب ليست فقط فتح واخضاع
المملكتين الاسلاميتين الموجودتين في الدكهن وهي بيجابور وجولكنده فقط بل وحطم المملكة
الجديدة والشوكة التي قامت مع غاية العجلة عند امة المهرطا وفي ظرف ربع القرن خاب كافة
اجتهاداته وضاعت وانغابت وما فتحت بيجابور ولا جولكنده وفي سنة ١٦٧٠ جبى قايد المهرطا
سواجي ربع الايراد بصفة خراج من الاقاليم المغولية الموجودة في الهند الجنوبية وفي سنة ١٦٧٤
توج نفسه ملكا مستقلا في قلعة رايغور وفي سنة ١٦٨٠ وسنة ١٦٨١ عصى البرنس اكبر بن
اورنك زيب على ابيه وكان معضودا ببعض المهرطاوبين شهرة لجيوشهم فراى اورنك زيب في هذا
الوقت ان يستبدل الطنطنة والفخفخة الموجودة فيها في الجهة الشمالية من الهند بخيمة عسكرية في الهند
الجنوبية وانه يصرف النظر عن الراي العزيز عنده في فتح تلك الجهة ومن ثم امر بالاستعداد للغزوة
ما سبق لها نظير في عدد العساكر والطنطنة التي تحت قيادة نفسه وفي سنة ١٦٨٣ وصل في
راس جيشه الضخم الى الدكهن وصرف النصف الباقي من سلطنته وهو اربعة وعشرون سنة في ميدان
الحرب وتغلب على جولكنده وبيجابور واحدة بعد الاخرى من بعد حروب طويلة مملة واحتلهما
الى المملكة المغولية في سنة ١٦٨٨ بعد الميلاد الا ان فتح هذه الخمس ممالك الاسلامية الواقعة

في الدكن ما كان الا سببا فقط في ترك الميدان مكشوفا لاعمال المهرطاويين وحركاتهم وفي الواقع فان
انواع هجوم المهرطاويين على المملكتين الاسلاميتين جولكنده وبيجابور اعوث طريقا لاورنك زيب في
استيلائها على المملكة المغولية واهاج الامبراطور حربا في ظرف باقي الخمسة وعشرون سنة التي كانت باقية
من حياته اي من سنة ١٦٨٨ الى سنة ١٧٠٧ على دولة الهنود التي شيدها المهرطاويين واعلن
قايدهم الاول نفسه الكبير سواجي نفسه ملكا في سنة ١٦٧٤ ومات في سنة ١٦٨٠ وضبط اورنك
زيب ابنه سمباجي في سنة ١٦٨٩ وقتله شر قتلة بربرية وضبط عاصمة المهرطا والكثير من قلاعهم
والظاهر انه في السني الاولى من القرن الجديد ختم على افواههم وحياة وجودهم في سنة ١٧٠١ الا انه
من شدة الحروب والوقايع ظهروا مرة اخرى في هيئة امة كبيرة حربية واعادوا في سنة ١٧٠٥ البعض
من قلاعهم واراضيهم في اثنا ما ضعفت صحة اورنك زيب وعجزت خزاين امواله وداوم عسكره
في حرب طويل جدا على غير فايدة وتضجر عسكره وزجروا من عدم صرف مرتباتهم وتأخير استحقاقاتهم
فقال لهم الامبراطور وكان في هذا الوقت طعن في السن وتوعكه ان لم يكن لهم رغبة في خدمته
فليتركوه ويتوجهوا الى حال سبيلهم وصرف بعض الفرق الخيالة من عسكره لاجل الوفر في ماليته وفي
اثنا هذه المدة اقتحم المهرطاويون مثل الحيوانات المفترسة الكاسرة الجبابرة على المعسكر الامبراطوري
وحصل الشقاق والرخاوة في الحركات والاعمال العسكرية فكان اورنك زيب اذا شرع في عمل واراد
غزوة صغيرة مع المهرطاويين الواقع منهم النهب والسلب والقتل خارج ميدان معسكره فقطع
دابرها المهرطاويون وان شرع قوة كبيرة نحوهم انهزمت وفي سنة ١٧٠٦ حصل الانحلال والفشل
الكلي في الجيش حتى ان اورنك زيب فتح مخابرة مع المهرطاويين وحتى افتكر انه يسلم لهم الاقاليم
المغولية وعقد معهم معاهدة صلحية فنقضوا هذه المعاهدة فيما بعد ومن بعد عقد المعاهدة توجه
في سنة ١٧٠٦ بعد الميلاد ودخل في مدينة احمد نكر ومات فيها في فبراير من سنة ١٧٠٧
من بعد ان تمكن في عقله الريب والاشتباه في طاعة اولاده وخاف من انهم ربما يفعلوا به
ما فعله مع ابيه ويتركوه وحيدا ذليلا في اخر ايام عمره ولما قرب وقت موته ازعج وارعب
منه حواشيه والملازمين له عند فراش موته وقال في اثنا غرغرة وطلوع روحه اهلا
وسهلا بالموت اهلا اهلا تعالى فاني رميت سفينتي في امواج بحار خالقي وسلمت نفسي اليه
وعليه التكلان وهو الواحد المنان وكان فتح الهند الجنوبية من اكبر الاشتغالات التي ما انثنى
عنانه اورنك زيب عنها الى ان قضى نحبه ومات وكانت له وقايع واعمال كبيرة في الهند الشمالية
وساق ميرجملة الجيوش الامبراطورية الى ان بلغ آسام وهو الاقليم الشرقي النهائي للهند في
سنة ١٦٦٢ بعد الميلاد الا انه في مدة فصل المطر ووقوع الوبا في تلك الجهات فقد ضعف جيشه
وانقطعت عنه الذخاير والمون والعلوفات وفي مدة سيره احاط به جموع اهالي البلاد ونجح
ميرجملة في ان اخرج ما بقي معه من جيشه هذه الجهات القاتلة ثم مات من الضعف والكسر قلبه
من قبل ان يصل الى مدينة داكا من اعمال ولاية بنغاله واما في الهند الغربي فما كان
لاورنك زيب طالع سعيد فانه في مدة سلطنته قام السيكيون في دولة وشوكة وما ابتدوا
في اعمالهم وحركاتهم الا في السلطنات الاهلية واغتصبوا البنجاب من المغول ومن شدة غيرته
في دينه ابعد عنه كافة ملوك الهنود واهم الهند الشمالية وصاروا في جامعة واحدة عليه
واجرى الجزية على كل من لم يكن مسلما في سنة ١٦٧٧ بعد الميلاد وطرد الهنود من كافة مصالح
المملكة وادارتها وجار على ارملة واولاد صديق ابوه القايد الهندو راجا جاسوان سنها
فتشكل مذهب هندو في سنة ١٦٧٦ وقام في ثورة وعصاوة عليه وفي سنة ١٦٧٧
اتحدت ممالك الراجابوتيين في جامعة واحدة عليه فهاج الامبراطور حربا عليهم مستمرا
وكان تارة يوقع الخراب والدمار في راجابوتانه وتارة كان يجتهد في خلاص نفسه وجيشه
من الدمار والهلاك وفي سنة ١٦٨٠ عصى عليه ابنه البرنس اكبر وانضم الى الراجابوتيين مع
فرقة كانت تحت يده من المغول ومن ابتدا هذا الوقت كان الانفصال الدايمي لمملكة الراجا
بوتيين من المملكة المغولية وصارت قبايل الهنود الذين كانوا اصل قوة جلال الدين اكبر الاكبر
وطالع سعده في فتوحاته اعدا اعضا الخراب والدمار في مملكة اورنك زيب وخلفاه من بعده
واوقع الامبراطور السلب والنهب والقتل في كافة اقطار ممالك الراجابوتيين وهي جايبور
وجودهبور واودايبور وفي نظير ذلك انتقم الراجابوتيون من الاقاليم الاسلامية في نواحي

نواحي مالوه واخذوا المساجد ومعابد المسلمين واهانوا العلماء والايمة وحرقوا القرآن وتفسيره
والاحاديث النبوية وفي سنة ١٦٨١ عقد الامبراطور صلحا مع الراجابوتيين لاجل امكانه سوق
الجيش بتمامه الى الدكهن ومن بعد توجهه الى الدكهن ما عاد الى الهند الشمالية وكانت كافة اقطار
الهند الشمالية ما عدا آسام والقسم الاعظم من الهند الجنوبية تدفع خراجا الى اورنك زيب وكانت مساحة
اراضي ممالكه الهندية تعادل مع وجه التقريب المملكة الهندية الانكليزية الموجودة في ايامنا هذه فكان
صافي ايراداته الواردة من خراج الارض تختلف مقدارها ما بين ٣٠ مليون الى ٣٨ مليون
ليره وهي ثلاث امثال الضرايب الهندية الارضية المفروضة والحالة هذه في الهند الا انه مشكوك
في ان هذا المبلغ الكبير كان جميعه جاري توريده على حسب توالي السنين في مدة السلطنة العالية و
الذكاه ان فيه لاورنك زيب من قبل تركه دلهي واشتغاله بالحروب الطويلة في الهند الجنوبية فقيل
ان مبلغ ٣٠ مليون ليره فقط هو الذي ورد الى خزينته في اخر سنة من سلطنته من بعد ان غاب
خمسة وعشرين سنة في الدكهن وفي مدة سلطنته تولد من الجور المالي خلل في الاعمال وخروج عن
الطاعة حتى ان بعض الاقاليم كانت على الدوام في حروب جهرية مع الامبراطور وقيل ان المقدار الصافي
للايراد الارضية في مدة سلطنة اورنك زيب ٣٤٥٠٥٨٩٠ ليره واستمر هذا المبلغ هو
الجاري طلبه من الاقاليم وتوريده الخزينة الامبراطورية ولما دخل احمد شاه دوراني المحارب
موافقا في دلهي كما سيأتي ذكره في سنة ١٧٦١ قدموا له حكام المالية قايمة بخراج الارض فيها
مبلغ ٣٤٥٠٦٦٤٠ ليره وكانت اكبر ايراد اورنك زيب مما بعد ضم ايالات وممالك الهند
الجنوبية ومن قبل حصول المصايب والاهوال الاخيرة ٣٨ ½ مليون ليره منه ٣٨ مليون
ليره من الاقطار الهندية والنصف مليون من كشمير وقابول وفي سنة ١٦٩٥ بلغ مقدار الايراد
٨٠ مليون ليره وفي سنة ١٦٩٧ كان ½ ٧٧ مليون ليره وفي مدة سلطنة اورنك زيب
كان برنيير الطبيب الفرنساوي اقام مدة ست سنوات في دلهي في مبادي السلطنة وكان
طبيب ومصاحب لواحد من الوزرا الاختيارية في الديوان اسمه دانشمند خان مدير ديوان الخارجية
ورئيس الاسطبلات للعامرة السلطانية فكان دانشمند يشتغل في وقت الصباح في وظايف مصلحته
ومرخص له بعدم الحضور في الاحتفالات والجمعيات بالنظر لكبر سنه وكثرة اشغاله وكان يقضي وقته
من بعد الظهر مع برنيير في العلوم والاداب الاوروباوية مثل علم التشريح والفلك والفلسفة
الفرنساوية وغير ذلك وقضى برنيير ايام سنين في الهند في تسجيل الوقايع والحوادث الهندية وما
كانت عليه المملكة المغولية وصنف في ذلك تاريخا ضخما ذكر فيه ان المملكة المغولية اخذت في
الاضمحلال والخراب بسبب عدم تتبع العدل وعلو درجة العدوان تحت حكومة عادلة خالية الغرض
والمحاباة وقال انه لو فرض ان الملك مال لتقوية العدل والانصاف فانه ما كان يمكنه
اجراه الا في داخل الجهات المجاورة لمحل اقامته مثل دلهي واكره والعواصم القريبة منه واما
في الاقاليم البعيدة القاصية فان الاهالي ما كان لهم من مدافع او محامي يدفع عنهم نهب الحكام
الحاكمين فيهم بسلطة مطلقة واوامر استبدادية وقال ان هولا الحكام ناس لا يصلحون الا في الخراب
والدمار وكان الاهالي لا يمكن لهم يتيسر الحصول على اعانة انفسهم بمحكمة عادلة ولا مديرين عندهم
حاسية السياسة ولا وزنة ولا قوانين شرعية ولا لهم محاكم مستقلة وكان نفس الملك لا يمكنه ان
يجد لخدامه نفس رجال ذوي صداقة فيهم صفات الشرف وعندهم حاسية الخضوع والطاعة و
يلتذون في شرفهم بشرف مليكهم او اميرهم بل كان عموم رجال ارباب الوظايف والمصالح ناس
لا اصل لهم عبيد جهلا اهل عنف وبطش قاموا من الخراب والدمار ولازموا كار السؤال
والشحاذة والفقر وما كان لهم مطلب فيما عهد اليهم من الاحكام والادارات والشوكة سوى جمعهم
الاموال في المدة القليلة التي يكونوا متقلدين فيها زمام الاحكام ولا عندهم ادنى نظر او مراعاة
الى كانت المملكة متأخرة فيما بعد او تخرب وذكر برنيير عدة صفات مخصوصة بالعايلة الامبراطورية
في العدل وحقوق رعاياهم وجدت موافقة لما ذكره هولكيني رو في تاريخه استدل منها على حصول
الريب الكبير فيما ذكره مورخي وطني الهند من المدح والثنا في حق هذه العايلة الامبراطورية
وذكر عدة نوادر وحكايات في ذلك فقال ان شابا وقف امام شاه جهان وعرض له شكاية ان امه امرأة
بنيانية حايزة ثروة كبيرة مقدارها ما بين الف روبية محصورة تحت يدها وانه محروم من ميراث
ابيه فانشرح صدر الامبراطور من سماعه بوجود هذه الاموال الجسيمة وارسل في الحال في طلب المرأة فلما

حضرت امامه امرها فى حضور مجلسه ان تعطى لابنها خمسين الف روبية وتجعل لنفسها خمسين الف روبية
ومقطيه لنفسه مائة الف روبية وامرها بالانصراف من امامه فوقفت المراة وطلبت من الامبراطور
ان يسمح لها فى الكلام فقالت له مع البرور اطال الله عمر جلالتكم ان ابنى هذا له الحق فى طلب ميراث
واموال وامتنعه ابوه بميل الى احبه ان اعرف مع الفرح وانشراح الصدر جلالتكم من اى الاقارب
الذين يقربون للتاجر زوجى الفقيد حتى ادخلت نفسك فى الوراثة فى اموال زوجى ورغبت وراثة ظاهر
عمل وجدت وجهان الخجل امام مجلسه وامرها فى الحال بالذهاب من وجهه وما تم شئ فى مسئلة ابنها فاستبان
من هذه الحكاية ان الامبراطور كان سهل الوصول لرعاياه مع حسن الاخلاق والنظر فى امورهم وانه
له هذه خبرة كبيرة فى الامور العدلية والصفات الادارية الملوكية وذكرنا نادرة اخرى فقال انه
كان يوجد فى دلهى طائفة من النسا مشهورون بالخلاعة فى السراية وكان موجود طبيب فرنساوى
اسمه برنارد مقيم فى ذلك الوقت فى دلهى بذل مجهوده وما فى طاقته فى بشره الحصول على فئة من
هذه الطائفة بجعلها رفيقته ويحوزها فى مسكنه فمنعته امها من ذلك من حزم رايها فلما توجه
الطبيب فى لعلها لانتظار اوامر الامبراطور جهانگير وكان منتظرمنه جائزة فى نظير بعض علاجات و
ادوية وعيادات كان اجراها فى السراية حضرت هذه الفئة من جملة النسا فى اداء خدماتهن عند
الامبراطور فاشار الطبيب اليها وقال لو اعطانى الامبراطور هذه فهى عندى احسن من كل جائزة اخرى
وضحك الامبراطور ضحكا عاليا وقهقهة وقال حملوها له على اعناقه واتركوه يذهب بها حيث
يشا فحملها برنارد على عاتقه واخذها صلة من الملك فى نظير علاجاته وعياداته واشتبك
اورنك زيب فى مدة سلطنته فى حرب مع شاه عباس ملك فارس اقوى الملوك الحربية فى
اسيا وقيل ان سبب هياج الحرب حصول غلط وقع من كاتب يد الامبراطور اورنك زيب فى عنوان
مكتوب كتبه الى شاه عباس قال فيه من امبراطور العالم الى شاه عباس صاحب فارس فقالوا
ان شاه عباس عند ما تلقى هذا المكتوب وقراه اقشعر بدنه وهاج غضبه وزاد حنقه واستعد
فى الحال للحرب والظاهر ان هذه الغلطة ما كان محتمل منها ان ملكا كان مشهورا بالحزم و
العقل وسداد الامر خصوصا وانه كان طعن فى السن يدخل فى حرب مهول من اجل غلطة
صغيرة مثل هذه انما من المحتمل انه جعلها علة وحجة ورأى ان تخت الاقطار الهندية جالس عليه
ملك ما حصل ثبات فى قواعد دولته وهيج على نفسه الشقاق والفساد بما اجراه من رفعة نفسه
فامل فى نفسه ان يضيف هذه المملكة الواسعة الى ممالكه وفى هذا الوقت حصلت حوادث كبيرة اكثر
له ما فى امالة وضميره وهو انه كان فى ديوان دلهى الكثير من الامرا والرؤسا الايرانيين
والكثير من الافغانيين فنظر هؤلا الى المدة القديمة فى وقت ما كانت الملوك الهندية من جنسهم
جالسة على التخت الامبراطورى فدخل فى قلب اورنك زيب الشك والريب فيهم حتى ان شاه عباس
وجد له طريقة فى فتح مخابرة مع رؤسا الفرس الموجودين فى خدمة اورنك زيب واجتهد فى اغوا
الوزير وميله اليه وكان فارسى الجنس واحس اورنك زيب فى نفسه بانه فى موقع ضعيف بما
ان هؤلا الناس كانوا فى جمع كبير وقوة جسيمة حتى يعزوهم على وقوع العداوة بينهم وبينه
فضلا عما كان فيه من شدة المصاعب المحيطة بموقعه فجمع الوزير والامرا الاخر ما ارتاب منهم
فيه [illegible] الامبراطور وسر واتى اعمالهم معهم مع المحبة والصداقة واستمر الامبراطور متحمل كاس الغصص
والالام الى ان خلص منها بوصول اخبار وردت اليه ان شاه عباس اصابه مرض ثقيل فقضى عليه
وهو فى معسكره على حدود مملكته وان حفيده صفى شاه خليفته من بعده راى ما يبلغ من الا
ختلال والصعوبة كما هى العادة الجارية عند ما يخلو التخت من سلطان فى الجهات الشرقية وصرف النظر
عن التوجه الى حروب فى جهات بعيدة فعقد مع اورنك زيب معاهدة وفى مدة سلطنته ايضا
وقعت له حادثة عارضية كادت تجعله عرضة لخطر جسيم وهى ان امراة عجوزة عابدة ناسكة اسمها
بسطامية [illegible] فى اراضى راجابوت جمعت حولها من اشياخها وجودة كرمها عدة من الدراويش
واحرقت من المصدور وربتهم اجيالا فى صورة جيش وهزمت بهذا الجيش الراجا وبعض صغار
الامرا وما استحوذت على قوة مؤلفة من عشرين الف مقاتل زحفت بها على المدينة الامبراطورية
من شدة الخوف الخرافى الذى امتلأت منه قلوب العساكر السلطانية تجرت لها طرق النصر والظفرات
لانهم اعتقدوا انها تحفظ محفوظ من الفدا الا اصحابها فى يوم الوقعة من كان احد براهم ولا يغلبون

يغلبون ولما حزبت هى واصحابها بما وقع لها من النصر الى قرب ابواب مدينة اگره راى اصحابها انهم
صاروا اسياد المملكة فى عملتوا فابدتهم مملكة الهند فجزع الامبراطور جزعا شديدا من هول هذا الامر
وراى الخوف والغرق حل بقلوب عسكره وراى انه من العبث هياج حرب على امراة مثل هذه بالوث
حرب فى هذه الغيرة الاسلامية وصار له حالة معقدة فى عيون عساكره فكتب ايات من القرآن فى اوراق
وامر عسكره ان يحفظوها على اسنة رماحهم وحرابهم وجعل هذه الايات فى مواجهة طوابير جيشه واثبت
رجاله بانهم لابد وان ينتصروا على هؤلا الدجالين المحتالين من اهل الوهم والخداع فزالت عنهم مخاوفهم
وشجعوا السنتهم واسرعوا فى هزيمة جيش الدراويش وقطعوا رؤوسهم وسلموا اجسامهم للحيوانات الكاسرة
والطيور المفترسة وفى مدة سلطنة اورنك زيب امر بجمع كتاب الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى
العالمگيرية قال فى ديباجة الكتاب ان السلطان محمد اورنك زيب عالمگير رحمه الله تعالى لما كانت
همته مصروفة نحو امور الدين اراد ان يعامل الناس على مقتضى نص المسائل المفتى بها من الفروع
الفقهية فثبت عنده ان ذلك متعسر الحصول عليه لامتزاجها بالاختلافات والروايات الضعيفة وتفرقها
فى الكتب العديدة وعدم تجمعها فى كتاب واحد ليكون قاعدة للعمل على موجبه فجمع مشاهير العلما من
الاقطار الهندية وامرهم ان يتتبعوا الكتب المبسوطة منها الاحكام الحنفية وغيرها من الكتب الفقهية
الموجودة فى داركتبه فاتخذوا منها مسائل الاحكام على مذهب الامام ابو حنيفة رضى الله عنه وجمعوها
فى كتاب واحد حاويا لكل ما يحتاج اليه من المسائل فى الفتاوى بحيث لا يفتقر الى غيره من الكتب الفقهية
وكان السلطان فوض امر هذا العمل الى زبدة الفضلا والعلما مولانا الشيخ نظام الدين فشرعوا
اذ رغبهم السلطان وسعوا فيه سعيا ثابتا حتى وفقهم الله سبحانه وتعالى لاتمامه وجا كتابا
جامعا مغنيا عما سواه من الكتب فى مراجعة الاحكام الاسلامية وسموه بالفتاوى العالمگيرية وصرف
السلطان فى نفقة جمعه من مصاريفه الخاصة نحو ما ينيف الف روبية ولما تداولت الايام كثر فيه
التحريف والخطأ من الناسخين والناقلين فامر اكابر رؤسا الوزارة الانكليزية فى قلكوتة والذين
لهم الراى والمشورة فى امور السلطنة الانكليزية بتنقيح هذا الكتاب وتهذيبه ومراجعته وطبعه
لحفظه من التحريف وكان الشروع فى طبعه فى اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الثانى من سنة
١٢٤٠ من الهجرة الموافق يوم ٢٢ من شهر يناير من سنة ١٨٢٧ وهو مركب من سبع مجلدات ضخمة فى
الكامل واوله كتاب الطهارة ثم كتاب الصلوة وهكذا والى هنا تم ما امكننى جمعه وتاليفه من سلطنة
الامبراطور اورنك زيب والله اعلم وبغيبه احكم

كتاب الفتاوى الهندية

الفصل التاسع

من موت اورنگ زيب الى سقوط المملكة المغولية

من قبل موت الامبراطور اورنك زيب بمدة قليلة كان انضم اليه ابنه اعظم شاه وكان عهد اليه
حكومة مالوه وبمجرد موت ابوه كان هو من دون الثلاثة ابناء اورنك زيب الباقين على قيد
الحياة الاقرب للمعسكر الكبير الامبراطورى فمن دون اعتبار ومراعية حقوق الابن الكبير صار اعلانه
ملكا وتوطدت طلبته بجيش الدكهن وبالجيش الذى كان مشغولا فى حروب المهرطا وبين تحت رياسة
ذو الفقار خان وكذا صار اعلان الابن موسوم ملكا فى قابول على مقتضى نص وصايا ابوه
وامالهن حقوق السلطنة والسيادة وتلقب بهادر شاه ثم انفصلت ادعاءات هذان الخصمان
فى واقعة وقعت بينهما فى الجهة الجنوبية من اگره قتل فيها اعظم شاه وولديه وكانا بلغا سن
الرجولية وكان له ولد صغيرا فاخذوه فى الاسر وعامل هذا الامبراطور الجديد الذين انهزموا من
اصحاب اخيه بالرفق والرافة الكبيرة وكان لجلوسه يوم عيد مشهور مع افراح وانشراحات زائدة
من معظم رعاياه وكان حصولهم الفنجر من عظم انفة اعظم شاه وكبرياه وفرحوا من خلاصهم بموت
المتعصب فى دينه اورنك زيب ومن كثرة مصاريف الحروب التى كانت جارية فى مدة سلطنته ثم ان
كلا من راجا مرواره وراجا جايبور حصل لهما اسباب غيرت خاطرهما واشمأزت نفوسهما منها
فانسحبا سوية من المعسكر الامبراطورى وعقدا اتحاد لمقاومة الحكومة المغولية فشرع بهادر شاه
فى حل هذا الاتحاد واخماده من قبل تمام نضجه واستواه وبمجرد اصلاح الاحوال والاعمال فى الدكهن

سلطنة اعظم شاه ومعظم

سلطنة معظم موسوم شاه الملقب بهادر شاه

ساريخو راجيئان و في مدة سيره وصلت اليه الاخبار بان مدينة سرهند وقعت في ايدي السيكيين وان حالة الاعمال المرتبكة في بانجاب تقتضي حضوره اليها فعزم على اصلاح حالة مع الراجابوتيين من قبل توجهه الى هذه الجهة ونجح في اصلاح معهم

قيام السيكيون

وكان السيكيون الذين تولد من مظفرانهم يجتنب سيرالامبراطور الى الجهات الشمالية اهل مذهب ديني شرعه لهم في الاصل رجل اسمه نانك في نحو منتصف القرن الثالث عشر وكان نانك ينكر اعتقاد نزول الوحي ويقول بوجود الاله وكان راس عقيدته قابل التغيير والتأويل وما كان له مقصد اخر في هذه العقيدة سوى جمع الديانتين الاسلامية والهندو في جامعة واحدة سوية وكانت عقايد دينه مجموعة في كتابه اسمه عادي جرانث (جرانث معناه كتاب مثل كتاب التوراة الجامع العهد العتيق والجديد) كتبه بيده واحترم تلامذته واصحابه وقد ذكرنا هذا المذهب في فصل الديانات الهندية في اخر الباب الاول فليراجع هناك ولابد من ارتقاء نانك الى الدرجات العالية التي حازها من الدعوات التي حصلت لدى حروبه مع المقاومات والمصاعب التي لاقاها في طريقه سبب كبير اوجب الاعتقاد فيه بانه اكبر مقاما واعلى درجة من كل امرا من المخلوقات ارباب العقول وانه الة خارقة للعادات ومن بعد موته خلفه ابنه ارجونمال فحسده المسلمون وجاروا عليه فقيل انه مات من شدة ما اصابه من العذاب والالام في سجن كان اودع فيه وقال اخرون انه قتل شر قتلة بربرية وكان السيكيون لحد هذا العهد اهل راحة وسكون ومسالمة سايرين على طريقة مذهبهم الذي اخذوه لهم نانك فنظروا الى حالة موت ارجونمال بانها من اشر الجرايم وافظعها وقاموا تحت رياسة ابنه هارجوفند وكان يلبس سيفان في حزامه وجميعهم حملوا السلاح واخذوا بثار قتل ارجونمال مع الافراط المفرغ وشدة الغضب والكراهة واستمرت العداوة بين السيكيين والمسلمين مؤبدة ولما سئل جوفند عن لبسه السيفين قال واحد اخذ به ثار ابي والاخر ازهق به معجزات محمد نبي المسلمين ولاجل بذل سعيه في نوال اغراضه ونجاح مقصوده وجمع مساعيه واجتهاداته في الغاء درجة امتياز الطوايف عن بعضها ومنع وجود درجة شرف بين جماهير الهندو وادخل في عقولهم الاحساسات المنبهة التي بغيرها يكون الانسان في هيئة حيوان وبغير هذه الاحساسات المحركة تكون المسلمين في امن وراحة وسلامة مع انهم عبارة عن فرقة صغيرة من جملة فرق العالم والامم المختلفة وجعل لكل انسان حالي ووضيع شهرة وشوكة ومجد وقال ان المزارعين والرقيق او العبيد في درجة واحدة مع اعلى درجات طوايف البراهميين وبدل اسم اصحابه من اسم السيكيين الى اسم سنغ ومعناه الاسد وكان هذا اللقب يعطى من قبل لو شراف الراجابوتيين وطوايف الهندو الذين من الدرجة الاولى من رجال المقاتلة واجتهد في ان جعل كل امرا يرى في نفسه بانه ليس اقل في درجة الشرف والرفعة من امرا اخر واخذ العهود والمواثيق على كل امرا عسكري من ابتدا مدة دخوله في العسكرية بلبس الزرد وما يرافق شخصه في الاعمال العسكرية ولبس الثياب الزرقا ورخص له بطول شعره ولحيته وان لا يحلق او ينقص شعرا موجودا على بدنه وادخل عقيدة الانفصال في الوطنية على كل هندو ومسلم وحرم ذبح البقر من دون استثنا ومنع من اقامة هيكلات العبادة القديمة ووضع هيئات عبارة جديدة بدلها وادخل الاصلاح في العوايد والطبايع والادراكات العقلية والحواس البشرية وادخل بين قومه كل كريمة الى ان صاروا في درجة امة شهيرة ممتازة ووصف الفنستطون في تاريخ السيكيون فقال انهم امة طوال الف من نحافة الاجسام سود الجلود موجودين في الجهة الشمالية من الهند دوي مهارة ونشاط في ركوب الخيل والضرب بالبنادق وفي العهد الحديث جربوا في نشاط اشتغالهم وصداقتهم وصرفوا النظر عن التعصب الديني وصاروا من اجود العسكرية في الهند تحت قانون الحكومة الانكليزية وفي ايامنا هذه رايت الكثير منهم في محافظة السواحل في سيلان وهم طوال القامة غلاظ الابدان سمر الوجوه يتعممون بعمايم كبيرة ضخمة ومتوظفون في كار الطوبجية مخصوصون بالافواه النارية الكبيرة العيار

ثم انه عندما وجه بهادرشاه التفاته نحوهم كانوا تحت رياسة رجل جسور باسل اسمه باندو من تلامذة رئيسهم الاخير وتعلقه بلقب جورو جوفند من بعد ان انتظروا عدة سنين مراقبين سنوح فرصة لهم في وسط الجبال والمعاقل الواقعة على الحدود الوعرة الموحشة من جبال حاليا وعندما نفروا بحوث اورنك زيب ظهروا في الاقاليم الشمالية تحت رياسة باندو المذكور فكانت حركة هذا الرئيس تشهد له بانه كان مجردا من الرحمة والشفقة وقلبه ملوث بالقساوة والغلظة وسوء الاخلاق واستمرت

واسترت اثاره وطلول الهياكل والمعابد والمساجد الاسلامية ملطخة بالدماء القرمزية من دما الوطنيين واهل الدين الاسلامي من الشباب والاختيارية والضعفا والاطفال الذين ذبحوا من دون رافة ولا رحمة وجيفت اجسامهم ورميهم للعفونات وطعمة للطيور والحيوانات الوحشية وقالوا ان مدينة سرهند كانت هي البداءة الكبيرة لهذه الوقايع الفظيعة والكبائر الجسيمة وكان طريق هولاء الروافض المتحزبين من نهر سرطلج ونهر جومنا منتشرا في نحو سهارنبور بهاما يماثل هذه الفواحش فارغمهم بهادرشاه على ان يحفظوا انفسهم من مأمن وملجأ في جهة الاراضي الواقعة في اعالي مجرى نهر سوطليج بين لوديانه والجبال وكان هذه معاقلهم في هذا الوقت وساقت العساكر المغولية خلفهم حتى الزموهم بالدخول في الجبال والاورمانات وقبل ان باندو بجرد احتلاله مدينة سرهند وصلت اليه الاخبار بان الامبراطور مع كامل قوته زاحف عليه في اسرع حركة فالتزم على الهجرة الى قلعة اسمها دابره من القلاع الجبلية الواقعة على سفوح جبال حاليا وكانت فوق راس جبل لا يمكن التقرب منها بسبب وعرة الصخور الجبلية والخيران العميقة الموجودة في الارض في صره جنح الامبراطور بهادر بعساكره في هذه القلعة وضيق عليه وقطع عنه كافة المؤن والذخاير وقال ارادة خان والظاهر انه كان موجودا في هذه الواقعة ان الامبراطور راى شدة ومصاعب الموقع وصعوبة التغلب عليه حتى انه عزم على عدم الهجوم عليه وعدم الحرب وان وقع من العدو ما يجب ان يكون التقاهم في ميدان مكشوف فاقدت خان خانان او قايد العسكر الامبراطورية الجند والى سلطنته في جر الجراة والجسارة واستحصل على رخصة من الامبراطور في التقدم نحو القلعة مع فرقة من العسكر لاجل كشف موقعها ودايرها ابتدا فشرع في حركة الهجوم مباشرة وطرد العدو من العلاوي والمرتفعات المحيطة بالقلعة وكانت هذه الحركة سببا في هياج الحرارة والحماس في عموم عسكر الجيش فانضم عسكر الجيش في عدد كبير منهم لا يضمامهم مع اخوانهم المجاهدين وراى الامبراطور عساكره اداروا كافة المصاعب الموجودة امامهم مع شدة الغضب وذللوها وطردوا العدو الى القلعة الداخلية وما كان الا قليلا حتى اشرفوا على القرب من موقعها الحصين وصار لوجاب عنهم في شدة عنا ومتاعب نيران الظلام كان اسبل فغفل خان خانان كافة المنافذ الموصلة الى القلعة وراقب الحفر بشدة طول الليل بنفسه وفي وقت الصباح وجد باندو رئيس السيكيين هرب من طريق ضيق خفي ما كان له دراية بكل وجوده ونجى باندو سالما الى جبال واورمانات جبال حاليا ومع هروبه فان خان خانان ما حبطت همته وهجم الهجوم الاخير على القلعة وقتل الكثير من السيكيين وتغلب عليها واوقف الامبراطور حركاته العسكرية ولو ان شوكة السيكيين بقيت من دون كسر وكان لهم في المدة الاخيرة اعمال مشهورة في مباريين للهند

صفة بهادرشاه وموته

وقال ارادة خان ان بهادرشاه اوشاه عالم كان امبراطورا جامع صفات الكمال والمحاسن والمجد ما جلس على التخت الهندي نظيره فكان سخي اليد كريم النفس له ارتباط كبير واتحاد بالمسلمين وكان على تمسك زايد في دينه وعلى دراية تامة من مذاهبه وفروعها وكان له دراية تامة بعموم الديانات الاخرى وكان من اهل الحزم والرائي والفكر بين العلما والائمة واهل السياسة وما كانت عنده الغيرة القبيحة التي كانت متسلطنة في قلوب اعضا العايلة المغولية فانه كان له سبعة عشرة ولدا وحفيدا واولاد اخوة يجلسون معه على الدوام على مايدة طعامه ولو تظاهر لواحد منهم اي شي يخافه وكان عليهم ارفا حنونا وكانوا معتقدين في امورهم عليه ولو انه ما كان حاويا كل الشهامة والقوة والصفة الموافقة لاحوال حكومته فان لينه ولطفه والاحترام العام الذي كان موجودا فيه كان سببا في الاثار كافة الفتن والثوران الذي كان ممكن ان يحيق بالمملكة الواسعة الا انه من سوء طالع سعد المملكة توفي بهادرشاه من بعد تمام نصرته على السيكيين الى لاهور فاصابه فيها مرض حاد فمات في سنة ١٧١٢ من بعد ان سلطن خمس سنوات وبلغ من العمر احدى وسبعين سنة وكان موته في داخل معسكره ومن بعد موته ترك اولاده الاربعة وكانوا في سلم وامن وراحة مع بعضهم في مدة حياة ابيهم فتنازعوا مع بعضهم في شأن المملكة فخرج ذو الفقار خان من اقوى وجوه الامرا امر معز الدين الاكبر فيهم ونجح في هزيمة الثلاثة الاخوان وقتلهم ووضع التاج على راس معز الدين ولقب بجهاندارشاه وتزوج زوجة كانت في اشد الكراهة على رعاياه وعلى الخصوص عند الوجوه والاشراف واولو المبلغ وصلوا على وصلاح يكونه انعم بجهات ومحلات كبيرة المحصول وافرة الايرادات على اقارب زوجته واهلها وكانت من الراقصات الفاجرات الفاسقات ثم ظهر ان هذا الملك الجديد ما فيه ادنى شي من الصفات الصالحة للمملكة ولا عنده ادب ولا حشمة توافق للموقع العالي الجليل القدر الذي جلس فيه فتكفل زمام احكامه وترك اشغال المملكة وترك نفسه يهوي في بحور الخلاعة والفجور وصار يجول

سلطنة معز الدين الملقب جهاندارشاه

وبنوه في ضواحي دلهي في جميات الملاهي وفي دار الاداب والملاعب وترك الضنا ومن ثم تجاسر الوزير
ذو الفقار خان ورفع نفسه الى اعلى درجات السلطة وعين عمدا كبيرا وعامل مملكته وسيده بالقول العالي
والسطوة والنفوذ المتعالي ولم يحل ان يوطد جهاندرشاه سلطته بنفسه من كل غائلة كما كان عليه اكثر
من اسلافه الا بتعيين امر بقتل كافة اعضاء الدم الملوكي الممكن وصول يده اليهم وكان من ضمن هؤلاء ابن
اخ له اسمه فيروخشير كان سعيد الطالع وكان في بنغالة له في وقت موت بهادرشاه فذهب الى
في صحبة السيد حسين حاكم بتنه عموم بهار فاستقبله مع التبجيل والاحترام وحمل هذا
الرئيس مع اخوه السيد عبدالله حاكم اله آباد امر هذا البرنس الشاب وجمعا جيشا منهما وافتتح
بينهما وبين العساكر السلطانية واقعة فاصلة انهزم فيها العساكر السلطانية وكانت مؤلفة من
سبعين الف مقاتل وانهزم جهاندر ووزيره ذو الفقار خان ثم بعد ذلك سلم هذا الوزير
الملعون الامبراطور المنحوس الى ايدي الغالبين الفاتحين وتلقى الوزير المكافاة التي يستحقها وقتل
حتى بعد ان ترك الحثية الامبراطورية وقاسم جهاندر في هذه العاقبة التي حلت به وذاق وبال امره
في ٤ فبراير سنة ١٧١٣ وقيل ان السادة الاثنين جمعا جيشا ومن بعد ان دافع ذو الفقار
خان مع ابنه والشيخ عن الشيخ الذي اجلسه على التخت انهزم هزيمة كلية في ظرف واقعة
وقتل هو وملكه مرة واحدة ولما رفع الاخوان السادة طنبيهما واجلساه على التخت ما نسي فيروخشير
ما كان من صداقتهما وخدمتهما وادى لهما ما يجب عليه من معروفهما وعين عبدالله وزيرا له وعين
اخوه حسين امير الامراء فراعي هذان السيدان ان الامبراطور عبدا رقيقا لهما وسارا في اعمال
المملكة واستقلا بها كيفما شاءا واختارا فكانت هذه مدة قليلة لان الامبراطور لما راى منهما الا
ستبداد شرع في اجراء الطرق المؤدية لخيانتهما فارسل حسين في ابتداء الامر الى اجو عقاب راجا
مرواد اجيت سنغ وقد ذكرنا فيما سبق اسباب هربه من دلهي فتقاوم هذا الراجا اشد المقاومة
ولما صار السيد حسين على خبرة تامة من الخطر الممكن وقوعه في طول مدة غيابه عقد شروطا ذات
مصلحة ومنفعة لنفسه وللخصم مع خصمه وعاد قافلا الى الديوان فلما عاد حسين الى الديوان ظهر
له عدم الصداقة والامنية على نفسه وعلى اخيه من شر الامبراطور وصار لا يحجبهما عنه الا السلاح
فجمع هو واخوه عساكرهما حول سراياتهما ورفضا قبول ملازمة الديوان ثم انهما من بعد ان
تغلبا لا تقربهما على ابواب القلعة الموجود فيها سراية الامبراطور قدما للامبراطور حدا قرنها
وتأكيد رباطات ملافاتها وكان ميرجملة رب الدسائس والخبائث المبعوث من طرف السادة الاثنين
ارسل من الديوان حاكم في بهار ورجع عبدالله في مصلحة وزارته وتعيين حسين في الوظيفة المهمة
الكبيرة في حكومة الدكهن وسار على وجه السرعة من تواني في حركته الى هذا الاقليم القاصي البعيد
وفي وقت توجه هدد الملك وارعبه بقوله له لو حصلت ادنى عداوة فيما يجريه اخوه من الا
شتغال فانه لا بد من حضوره بنفسه في دلهي في ظرف خمسة عشر اسبوعا حتى وصول الاخبار
اليه وتعيين داوود خان في القيادة في جيش السيد حسين في الدكهن وكان هذا الرجل مشهورا
بالفروسية والشجاعة والجسارة على الاخطار في عموم الهند وكان العدو الالد للسادة الاثنين
لانه كان ينتسب اليها قتل حبيبه الوزير السابق ذو الفقار خان وعطيت له تعليمات في السر
في كونه يتوجه الى ايالة كانديش ويأخذ معه كافة العساكر التي ملكه جمعها ويعقد محالفة
سرية مع روشن المهرطا وبين وينتظر سنوح اول فرصة تنفع له في هلاك السيد حسين وقطع
دابره فراعي داوود خان هذه التعليمات بعين الاعتناء وفي ظرف مدة قليلة دخل هو وحسين
في العداوة والتقاعم في ميدان واقعة فاصلة وقعت بينهما ومالت راية النصر الى داوود
وارتبكت عساكر حسين وحاق بها الفشل من الحملة الشديدة التي حمل عليها داوود وعسكره وهربت
في كل جهة وصار السيد حسين على خطر شديد لولا ان اصابت راس داوود رصاصة حرمته من النصر
وفقدت حياته واحتفى حسين معلومية اشتراك الامبراطور في هذه الواقعة وكان حصولها في
سنة ١٧١٦ بعد الميلاد وفي ظرف المدة التي مضت من ابتداء الحركة الاخيرة التي كانت كبست
على نفس السيكيين الى هذا الوقت قام السيكيون واصلحوا ما كان حل بهم من المصائب وقطعوا
قوتهم ورتبوا انفسهم من اجل تجديد حرب على المسلمين وخرج بانده من معاقله الجبلية ولما نجح
في هزيمة واحد من الجيوش الامبراطورية اوقع النهب والسلب في البلاد كما هي عادته في مثل
هذه المصائب والكبائر فانضدت وانضغطت حركة تقدمه بسرعة وذاق وبال عدة هزيمات
وكسرات من قوى جديدة من العساكر السلطانية كانت ارسلت ضده واسر هو ورؤساء جلدته

قتل جهاندرشاه ووزيره ذو الفقار خان

سلطنة فروخشير

ج ٢٥ تاريخ الهند من البحر الزاخر
محمود نجف

والجم الغفير من اصحابه واتباعه وارسلوا مكتوفين الى دلهي مع رئيسهم وكانوا سبعمائة و
اربعين نفسا فاركبوهم فوق اقتاب الجمال وطافوا بهم في شوارع دلهي مع الحالة القبيحة التي
كانوا عليها والبسوهم جلود اغنام سوداء سحبوا رهالى الى رج وورائهم الزحام الكبير من الناس
يتفرجون عليهم ثم قطعت رؤوسهم في ظرف سبعة ايام متوالية من بعد انهم لم يقبلوا كبرياء انفسهم
وعقائدهم ورفضوا قبول خلاص حياتهم بازدلال انفسهم واما رئيسهم فانه صار عذابه العذاب الاليم
واخيرا قطعت راسه وصدرت الاوامر لقواد الجيوش الامبراطورية بتعقيب هؤلاء السيكيين وكانوا
عازلوا عدد كبير من كل جهة وجدوا فيها فكانوا اصيدوهم مثل الذئاب والحيوانات الوحشية
ويقتلوهم الى ان قل عددهم وضعفت قوتهم وما افاقوا من مصيبتهم الا في المدة الحديثة العهد
حتى حصلت لهم النقاهة من الاوجاع والضربات التي كانت حلت بهم ولنرجع الى السيد حسين
وما جرى له فانه لما تخلص من هزيمة داوود وقتله وجه سيره وحركته نحو المهرطا ديين ونشر
في داخل بلادهم الفزع الاكبر وما زال كان البعض منهم ملازما على المزاب والدمار في ارض
المغول وكان البعض منهم ضبط عدة من القرى وشيدها في هيئة قلاع مأمن وملاجئ لهم تحفظهم
على نهب الاقاليم المجاورة لها وقطعوا السبل والطريق الكبير السلطاني الواصل بين الهندوستان
والدكهن وسورت ثم ان هيئة الاعمال في دلهي طلبت حضور السيد حسين اليها لكن تم عقد شروط
محالفة نافعة جدا للراجا ساهو واثبت له في هذه الشروط كافة الاراضي التي كان استحوذ
عليها سواجي مع ما حازه من الاراضي التي تغلب عليها اخيرا واعاد اليه القلوع والمعاقل التي كانت
اخذت منه وربع ايراد كافة اراضي الدكهن ويدفع اليه عشر ايراد الاراضي الباقية البعيدة
وفي نظير ذلك يدفع ساهو خراجا سنويا قيمته عشرة لاكات من الروبيات قيمة اللاك الواحد
مائة الف روبية ويرتب خمسة عشر الف حصان لبقاء دوام السلم والامن واستتباب الراحة في
الارض ويمنع كافة ما نزول منه الخسائر ونهب الغبار ولما وصلت هذه المعاهدة الى فروخشير
من اجل التصديق عليها غضب غضبا شديدا ورفضها وما قبل التصديق عليها في سنة ١٧١٧ بعد
الميلاد ثم ان الوزير عبدالله حث اخوه حسين في سرعة الوصول الى دلهي مع قواه وعساكره
بما ان مركزه كان اخذ كل يوم في زيادة الارتباك والقلقلة ولما وصل السيد حسين سار الى المدينة
وقبض على الملك المذبذب وامر بموته في السر من بعد ان تسلطن سبع سنوات مشحونة بالدسائس
والقلاقل ونظر السادة حولهما شخص رفيع المولد يحكمون عليه بهذه السلطنة لما انتخبوا
اولا حفيد كان لاورنك زيب وهو ابن ابنه المعظم البرنس اكبر فمات من بعد جلوسه بخمسة
عشر شهرا بداء السل الرئوي ثم اجلسوا من بعده اخوه ولقبوه رفيع الدرجات فمات ايضا
بداء السل من بعد مضي ثلاثة اشهر فجلس من بعده شاب اخر اسمه رفيع الدولة مدة قليلة على
التخت ومات في شهر مايو سنة ١٧١٩ بعد الميلاد ثم ان المطلب الذي عرض للسادة في انفسهما
بحصول وجلوس هؤلاء الملوك كان في الواقع ونفس الامر سيئا في ضبطهما مقاليد ازمة السلطنة
في ايديهما وكانوا يجعلون انتخاب هؤلاء الملوك بصفة الة لهما فقط وكانت تربية الاثنان من
الاوصل في داخل السراية وكانت صفات احسانهما غير موافقة لتحمل اعباء واجبات التاج فوقع
انتخابهم في المرة الثانية على برنس قوي الحاسة والمزاج فلو انه كان تهذب وتربى مثل
اسلافه الاولة كان له طالع سعيد لان امه فانها كانت عاقلة مدبرة فوق العادة في الصفات
العالية عن ابناء جنسها من النساء فورث منها اجود الصفات واحسنها وكان اسمه روشن اختر
وجلس على التخت في سنة ١٧١٩ وتلقب محمد شاه وكان حفيد شاه بهادر فتولد من موت الملكين
الاخيرين في عنفوان شبابهما وقوع الريب الاكبر في هؤلاء السادة فضلا عن عدم التاكيد من
سيرتهما حقيقة قتل فروخشير والذي قتله ومن ثم صار الاثنين عرضة للكراهة والبغضاء عند الامة
جميعها وانعقدت اراء الامة على قطع دابرهما وما كان لهذين الاخوين علم بالغيب حتى ينظرا
ويتدبرا في امر العاصفة القاصمة المقبلة عليهما فوقعت بينهما المنافاة بغتة وتركهما
الكثير من اتباعهما واخذت قوتهما في الضعف في داخل المملكة وخارجها وعصي الحاكم للهند وفي

موت فروخشير

سلطنتي رفيع الدرجات ورفيع الدولة

سلطنة روشن اختر الملقب محمد شاه

اقليم الله ابادر فسار اليه السيد حسين وارغمه على العود الى الطاعة واستبدل حكومة الله ابادر كيا
اوده وكان يوجد ثوران وعصاوات اخرى في نواحي هزصور وفي بنجاب وحرب دينى
كثير هلك فيها عدة الاف من الانفس والارواح وخسارات جسيمة في الاملاك وكانت هيئة
الاعمال في الدكهن اشد وقفا من الكل واهول في الفظايع والخراب حسبما ان واحدا من الجوزين
المجازفين تركى الجنس لقب نفسه نظام الملك وشيد في الدكهن سلطنة مستقلة واحتل هو وذريته
من بعده محلا رفيعا مشهورا بين الملوك الهندية في التاريخ الهندي المقبل والظفر والنصر الذي
لازم جيش نظام الملك هذا في حروبه المتوالية مع السيدان كان من اجل المرغوب والمقصود عند
محمد شاه لانه كان على تلهف وشوق من دمارهما وقطع دابرهما وخلاصه من حجرهما عليه وهزم
نظام الملك العساكر الامبراطورية وقتل قايدها عم على ابن اخو السادة في واقعة وقعت في
بالاپور من اعمال بيرار في شهر يونيه سنة ١٧٢٠ بعد الميلاد وسار الامبراطور محمد شاه بواسطة
تدبير امه وشورها ونصيحتها وكفه مع حزم رايه وسداد امرها عن كونه يظهر ادنى غضب او ريبة
في جهة الاشراف وينتظر سنوح الفرصة مع غاية الاحتراز في اثبات وتاكيد سلامة استقلاليته
نفسه منهما ثم تشكل حزب في السر باتفاق الامبراطور من اجل خلاصه من حجر ابيش هولاء السا
وكان الرؤسا الكبار الموجودين في هذا الحزب محمد امين خان وسعادت خان وكان سعادت
خان اصله من تجار خراسان وارتقى في العسكرية الى درجة عالية حتى صار جد العايلة الملوكية
في اوده فكانت نتيجة هذا الحزب ذبح الشريف حسين في خيمته عند توجهه الى الدكهن وخلص
الامبراطور من حجر ابيش السيد حسين وفقد زمام حكومته فجمع الوزير عبد الله جيشا كثيفا من
اجل اخذ ثار اخيه فانهزم في نفس هذه السنة واقعة حصلت بين دلهي واگره ووقع في ايدي
اعداه ثم صدر العفو عنه ويحتمل انه من اجل انه من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر في
محل اخر ان اصل المنافسة وقعت بين السيدين ونظام الملك صاحب شوكة قوية كان يستلم
حكومة مالوه ورفض التنازل عنها او العزل منها على مقتضى طلب السيدين فحصل الاتفاق
على ان الامبراطور والسيد حسين يتوجهان سوية لاخضاع هذا الحاكم العاصي وكانت تشكلت
دسيسة على قتل السيد حسين وتفتيح استواها وعمل الثلاثة اشخاص الذين في هوا بقتله قرعة
بينهم على من يقتله فوقعت القرعة على شخص اسمه حيدر فتقدم حيدر الى الهودج الذي كان راكبا
فيه السيد حسين في صفة كونه متقدم له عرضا وضربه بخنجره ضربة سريعة قوية كانت فيها القاضية
من بعد بضع دقايق وما كان عنده من زمن يقول فيه على قاتله الا قوله اقتلوا الامبراطور
وكان ابن اخوه قايد فرقة من العساكر فاجتهد في الاخذ بثار قتل عمه الا ان الاحتياطات
اللازمة كانت اخذت حذرا جيدا وشغله ثم سار محمد شاه الى دلهي وكان السيد عبد الله الوزير
احبس على تخته ملكا جديدا وجمع جيش من اجل الاخذ بثار اخيه فانهزم واخذ اسيرا ودخل
محمد شاه متوجا بتاج النصر والظفر في العاصمة فكان هذا اليوم مبدا سلطانه ثم انه ما حصل
من ظفر الامبراطور تاييد السلام في داخل المملكة ولا ثبات واحكام قواعد التخت بل كانت قبايح
الحكومة المغولية تاخذ كل يوم في الظهور وتحدث دلايل وبراهين جديدة يستدل منها على سرعة
سقوطها ودمار المملكة وعجز ووهن في قوة السلطنة وكان السبب في ذلك ان اجيت سنها
وكان عزل من حكومته من الدكهن الجوزرات قام بالسلاح وذهب زاحفا نحو دلهي وما حصل
توقيف حركته حتى سمحت له طلباته وتوطدت في سنة ١٧٢١ بعد الميلاد وفي مبادى سنة ١٧٢٢
طلب آصف جاه الى الديوان من اجل تعيينه في وظيفة الوزارة فلولا انه كان رجلا على غاية
من النجاة والذكا والعقل والاستعداد الكامل في الادارة الا انه ما كان فيه قدرة على توطيد اعتماد
مليكه فيه ولا على مراعاة الاحترامات الزايدة اللازمة لحواشيه فلاجل ازالته من وظيفة الوزارة
وبعده عن محل مركز الحكومة عندما صار يعتبرها ويكرهها صار ارساله لمعاقبة الحاكم العاصي في
الجوزرات فنجح نجاحا تاما في هذه الارسالية ولما اخضع الاقليم وقوى حكومته عاد قافلا
الى دلهي ثم من بعد قليل نفى هذا الراجا جهسنها حاكم اگره لاجل الاخذ بثار المقتول نايب

نايب حكومة ذلك الاقليم من الجاثيين ولما ما امكن للوزير آصف جاه تخلصه وظيفته في
الوزارة استعفى منها وعاد الى الدكهن فاسر الامبراطور الى حاكم حيدر اباد بانه يسعى السعي التام
في حرمانه من الدكهن فكانت حركته هذه سببا في دماره وانهزم وقتل في سنة ١٧٢٤ بعد الميلاد
وفي ظرف هذه السنين الاخيرة كان المهرطاويون مدوا اراضيهم مع المواجبة ووطدوا دولتهم
وقووا شوكتهم وكانت حركة اعمالهم جارية تحت قواعد ثابتة قوية مربوطة ولوان ساهو ملك
المهرطاويون كان صار جلوسه على تخت مملكة المهرط بواسطة المغول فانه ما كان على امان تام
من شرهم وغضبهم وكان ساعدوا خصمه سنبا بجيوشهم وما صدوه عليه من سنة ١٧١٣ الى
سنة ١٧١٦ بعد الميلاد الى ان صافت الاحوال على ساهو فكان عود طالع سعوده من بعد اخراجه
منسوب الى تمام مهارة وبراعة وزيره بلاجى وبيشواناث وكان ارتقى من وظيفة محاسب
الى وظيفة بيشوا اى الوظيفة الثانية تحت التخت او الوزير الاول قايد الاحكام المدنية والعسكرية
واستحصل الوزير المذكور على معاهدة وصدق عليها من محمد شاه في سنة ١٧٢٠ فرز فيها سلطنة
ساهو واعترف فيها خلاف فوايد اخرى اضافها رفع شوكة سلطانه على سنبا خصمه
وقرات في محل اخر ان ساهو هذا كان حفيد سواجى ولما تغلب عسكر اورنگزيب على قلعة
رايغور في سنة ١٦٩٠ بعد الميلاد وقع ساهو وامه في ايدى المغول فارسلوه وامه الى دلهي
فنظرت بجودة صاحب ابنة الامبراطور الى هذا الطفل المأسور بعين الرحمة والشفقة و
استحصلت على رخصة من ابيها في كونها تربيه تحت مباشرتها ونظرها وفي يوم من الايام زار
جلالة الامبراطور ابرشيمه فانجذبت محبته القلبية الى هذا الصبي وكان اسمه الاصلي سواجى
فامر بتسميته وتلقيبه باسم شاو فحرف هذا الاسم وقالوا ساهو وزوجه الامبراطور
مرتان ببنتين من اكبر اشراف ومعتبرى قومه واحتفل احتفالا كبيرا في زواجه بالهدايا الثمينة
ومن ضمن هذه الهدايا التى اعطاها الامبراطور اورنگزيب الى شاو سيف ابيه فاخذه معه
الى عاصمته واشتهر في الشرق باسم بهواني ومن بعد موت اورنگزيب اسر شاو مع ابن
الامبراطور اعظم شاه ولما رغب اعظم شاه هياج البغضاء والفتنة في امة المهرط فاموا في حرب
بهول حتى المغول وارسلوا الملك الى دلهي وفي مدة غيابه تولى النيابة في الاحكام عمه
راجا رام ومن بعده ارملته طاره باى فارادت ان تحفظ السلطنة في عقبها فمال الناس الى
سلالة سواجى فالزمت على ان تخلو الطريق لصاحبها وفي مارث سنة ١٧٠٨ جلس شاو على
تخت اجداده فاظهر في مدة سلطنته الطويلة بعض المهارة وما عجز بالكلية عن ادا ما يجب عليه في
موقعه في صفة انه ملك ومع هذا فانه تسلطن فيه تاثير ضعف العوايد الشرقية بسبب تربيته
في السراية المغولية وغطى عليه اللهو وحب الطرب واللعب وحط عن نفسه اثقال الحكومة وصنوعها
فوق اعناق اخرين يحفظونها الا انه من طالع سعده او من طالع عظيم سعادة المملكة جعل وثاقته
الكبرى في شخص اسمه بلاجى ويشواناث وكان هذا الرئيس المستقبل لاتحاد المهرط في الاصل موظف
في وظيفة دنية في جباية ايراد الاقاليم فتوصل بذكاء عقله وقريحته الوقادة وعذب الفاظه
بسرعة الى ان ارتقى الى درجة عالية مع شاو وكانت اغراض شاو عود النظام والامن وتوطيد
شوكته ودولته بطريقة سلمية لا بسوق اهل بلاده الى حروب وغارات مخفية فدخل هذا الوزير
في مخابرة سياسية عظيمة استخرج بواسطتها سيده من كافة المصاعب والقلاقل فانشرح صدر
شاو منه ورفعه الى رتبة البيشوا ومعناها صدر اعظم متقلدا زمام فروع كافة الادارات
مدنية كانت او عسكرية فاستحوذ بلاجى على عموم الشوكة وسار في احكامه مع النجاح في صورة رجل
سياسى عظيم انه لا حزبى واجتهد في ربط وتيسير الحصول على المنفعة العمومية بجمع كافة العناصر
المتفرقة المتركب منها الاتحاد المهرطاوى في جامعة واحدة وربطها في بعضها وصيرورتها حزمة
واحدة تحفظ في شوكة قوية في المستقبل وارقى النظام في الماليات وقوى على الزراعة وساعدها
ورتب كافة فروع الادارة في مدة ثابتة منتظمة ومن بعد حكومته مختصرة او قصيرة اعني
ست سنوات او ان كانت مدة طويلة كافية في اجراء الاعمال المهمة المتقدمة مات بلاجى في اكتوبر
سنة ١٧٢٠ من بعد انشراح صدره وهو قلبه في كونه راى مليكه مظفر منصورا في كافة انواع
الهجوم الذى وقع عليه من اعداه اغرابا كانوا او من بلاده وترك ولداه اكبرهما كان اسمه
باجى راوو او رگو ربما تحت هما سترشد واهم عليه في الاشغال والاعمال والسلاح وكان رجلا

عالي القدر ايضا وما كان اقل في المهارة والبراعة من احد من اهل بلاده الا سواباجي فقط فخلف
ابوه في الوزارة ولما خشي بعض الخطر من كثرة ابقاء الخيل النافعة جدا في الحرب في داخل المملكة و
تصور ان قيام العيارة العسكرية ووجودها في داخل المملكة ربما يتولد منها تاثير على الحكومة الاهلية
المدنية حض مخدومه على الاستعداد للغارة على الاقليم الشمالي واستدل بحزم عقله وفكرته من الحالة
الآتية الموجودة عليها المملكة المغولية ان العفونة والرائحة الكريهة دخلت فيها حتى وصلت الى
قلبها فقال للملك شاو رغما نضرب هذا الجذع وفروعه تسقط من نفسها ثم قال له مرة اخرى
مع الحمية على سبب من الاسباب اعلم انك سترفع بيرقك فوق جبال هماليا ومن بعد ذلك بقليل
صار البدء في الاعمال العسكرية مع الشهامة فذعر مالوه واغتصب من المغول منحة باخذه ربع
الايراد وفي غضون فصل مطر سنة ١٧٢٧ بعد الميلاد غار على اراضي آصف خان وسار في
حركته هذه على برهانبور ثم عطف حركة سيره نحو الجوزرات بجوار قرب آصف خان منه وكان
سامبا في هذا الوقت معاصرا آصف خان وحرب اقليم الجوزرات بالسيف والنار ومن بعد
قليل اق امر سامبا الى الخضوع والانقياد في سنة ١٧٣٠ ومن بعد موت ساجيا ترك ابنه وكان
طفلا صغيرا تحت وصاية امه على شرط ان تدفع نصف الايراد بواسطة البشوا الى الحكومة و
صار بيلاجي جيكوار جد العائلة السلطانية الحالية في الجوزرات في ادارة الاراضي في هذا
الاقليم بالنيابة عن الملك الصغير ابن سامبا ومما هو جدير بالذكر هنا انه في نحو هذا
الوقت قامت اصول اكبر العائلات الكبيرة من المهرطا وبين وذلك انه عندما سار باجي راو
نحو مالوه عهد بالوظايف الكبيرة على اوداجي بوار وملهار راو هولكر ورانا جي
سينديا فاستحوذ اوداجي بوار على اراضي واقعة على حدود الجوزرات ومالوه الا انه ما شيد
لنفسه دولة مثل اقرانه او مثل ذراريهم وكان هولكر راعي غنم من اهل قرية في جنوب
بونه وولو ان سنديا كان من عائلة محترمة معتبرة في ضواحي مدينة ستاره الا انه
كان في وظيفة مهينة خادم بالاجرة عند البشوا وما كان لواحد من هولاء في الاصل حالة
او شان كبير في الجيش المهرطاوي او قايد اصحابه او امراء او ناجح فيهم بل كانت لهم خدمات
ووظايف يجرون شغلهم فيها بحسب الاوامر التي تصدر من البشوا ثم انه من بعد حروب طويلة
احتدمت بين البشوا وآصف خان رأى كل منهما انه لا بد لهما من صلاح الاحوال بين بعضهما
فترضيا سوية في المواقعة والمسالمة وفي سنة ١٧٣٢ بعد الميلاد دخل باجي راو بنفسه
في مالوه ولوازم الحرب وباشره وساعده النصر وجال نحوه حتى انه في السنة الثانية من
بعد سنة ١٧٣٤ تسلمت اليه الاقاليم برضا من الامبراطور فحصل من ذلك اسد جوعة
طمعه وكبس من حركاته مع غاية الشدة الى ان طلب اخيرا صدور منحة من الامبراطور بمقاطعة
حاوية كافة اقليم مالوه وعموم الاراضي الواقعة في جنوب نهر شمبل مع المداين المقدسة
متهرة والهاباد وبنارس فراى الامبراطور الضعيف العقل والحركة ان هذا الطلب
مفرط منحا وزائد جدا الا انه في كل الاحتمالات ساقه هذا الطلب الى ربط المعاملات بينه وبين
اصف جاه وابتدا في هذا الوقت ان يعرف ما عليه اصف جاه من الضعف وصار يتخشى
من عداوته الاولية وفي اثناء هذه المخابرات كان باجي راو عكرا في اشتغاله وحركاته
في شغل ودمار ونهب الاراضي الواقعة وراء نهر جومنا ولو انه حصل له صدا شديدا من
سعادت خان حاكم اوده فانه اخذ الاحتياطات اللازمة في سعودة نفسه وجيشه من الجيش
الامبراطوري وذلك على حين غفلة ضواحي نهر جومنا ومر على مسافة اربعة وعشرين ميل
من جهة جيش المغول بسرعة سير فوق العادة وظهر بغتة امام ابواب دلهي بحالة كبيرة
ما كانت تخطر على بال احد فكان هذا التقرب المزعج الى العاصمة واضحا في معناه على انه
اشارة على ظهور نفسه واحتقار شهرة النصرة التي انتصرها عليه سعادت خان اخيرا وما حصل
سعي مقدر محترز مني القول والفعل وقال باجي راو اني عولت على اظهار ان للا
مبراطور اني ما زلت موجودا في الهندوستان واظهر له النار والدمار والمهرطاويون على
ابواب عاصمته وعاد راجعا الى الدكهن جازما برأيه شدة الحزم في هذه الرجعة لانه تفكر في
انه ربما يحصل لدلهي نهب وخطف من عسكره فانسحب بهم الى محل بعيد من اجل منعهم وحرمانهم
من تمكنهم من هذه الفرصة وفي اثنا رجعته منقهقرا الى الدكهن هجم عليه فرقة مؤلفة من ثمانية

ثمانية الوف من العساكر الامبراطورية جمعها ضعيفا جنده شملهم وقتل منهم ستماية نفس وكان
الوزير من بعد ان تقوى بسعادت خان سائرا في طريقه وجادا في حركته من اجل خلاص العاصمة
فتفكر باجي انه من الحزم والعقل الانهزام او الرجعة الى الدكهن وكانت هيئة الاحوال اللومية
محتاجة لحضوره اليها في سنة ١٧٣٧ ومن بعد رجعته تفكر اصف جاه الشوكة الكاملة وعهدت
حكومتي مالوه والجوزرات على ابنه الا انه من حالة الهبوط التي كانت المملكة نازلة فيها في ذلك
الوقت وما كان عليه اصف جاه من النفوذ المطلق المستبد التي تقدر زمامه وشهرة اسمه وحيثياته
ما كان على طاقة من ان يجمع في خدمته زيادة عن اربعة وثلاثين الف مقاتل وعول على السير ضد
البيشوا وكان البشوا في راس ثمانين الف مقاتل وتقدمت العساكر الامبراطورية تحت رياسة اصف
جاه الوزير ببعض فرق من المقاتلة الى ان صارت في عدد جار لعدد اعدائها ولو ان الوزير اتخذ
لنفسه موقع حصين تحت اسوار وحماية قلعة بوبال المستحكمة فانه صار قطع المواصلات بينه وبين
امداداته بانواع هجوم شديدة حاطة من المهرطا وبين وحصارات شديدة وآل امر المغول الى حالة
رذيلة مهينة حتى ان الوزير اصف جاه اشتغل في التنازل عن عموم اراضي مالوه وحكومة الا
راضي والبلاد الواقعة بين نهر نربوداه ونهر شمبل واثبت التنازل عنها بامر من الامبراطور
مع رفع خمسين لكا من الروبيات قيمة مصاريف باجي راو في سنة ١٧٣٨ ورجع اصف
جاه مع الامن وعدم الضرر والخوف الى دلهي براس عريان ودهاء البشوا الاراضي التي حصل
التنازل عنها له الا انه من قبل تمام المعاهدة حصلت حادثة ما كانت تخطر بالبال كانت سببا
في وقوع زيادة الارتباك والاختلال في المملكة المشرفة على الدمار والسقوط وغطت على كل
ما كان موجودا في المملكة من حروب وكروب وقتول وفتن وهي غارة نادرشاه المعروف باسم
طاس كولي خان احد كبار الهمج البربريين المتروع من قلوبهم الرحمة من فاتحي الشرق
وكان نادرشاه في الاصل مثل موسس دولته راعي غنم وجمع حوله عشر من قطاع السبل وقام في اصل نادرشاه وقيامه
هيئة انه مخلص بلاده من الاجانب وكان حصول هذه الواقعة في الوقت المرتبك المضطرب
بالقلق عندما صار استبدال العائلة الصوفية التي كانت مستحوزة على تخت فارس بالافغانيين
والتزم اخر ملوك العائلة الصوفية على البحث عن ماوى له يلتجي فيه عند قبيلة القاجار على تخوم
بحر الخزر فمن طالع سعده الذي خيم على حاله نفيه ان انضم اليه هذا المجازف نادر وجعل قيامه في
صفة انه مدافع عن امر مملكته حتى صار له طاقة من دون ان يكون لاحد غيره او ريب فيه على
جمع جيش معد للطريق الموصلة الى تغيير مناحات سلطانهم فتوله من المهارة التي اظهرها في مركزه
الجديد والمظفرات التي تتوج بها جيشه والخضوع الظاهري للسلطان الذي سكن في اعماله واغراضه
احساسات كبيرة داخلية ودينية عند الفرس حتى ارتفع من حالة الذل والمسكنة الى حالة كانت له في
عالم الغيب وصار عند اهل فارس من اكبر واجل المعتبرين في اعمالهم واشغالهم فاجتمعوا حوله
وظهر شرفه ومجده العسكري في عودة ابتهاج سيادة فارس كما كانت عليه في الاصل والنظا
مع الافغانيين من دون خوف ولا فرق وهزمهم شر هزيمة في سنة ١٧٢٩ بعد الميلاد وكانت
نتيجة هذا الحرب عودة اصبهان العاصمة من ايديهم وسار خلف الافغانيين في داخل اراضي افغا
نستان وقتل اشرف شاه الذي كان الافغانيون اجلسوه على التخت والذي قتل واحد من
روسا البلوجستانيين بالقرب من قندهار ثم بعد ذلك وجه نادرشاه جيشه على الاتراك
وكانوا في مدة انحطاط الدولة الصوفية حازوا املاكا كبيرة شاسعة في الاقاليم الغربية
من فارس ومن بعد عودة مدينة تبريز من الاتراك دعته ثورة قامت في قندهار للحضور
ومن بعد ان حاصرها عشرة شهور تغلب عليها واخضع عموم الاقليم ثم من بعد ذلك عول على
ان لا يكون حكمه باسم ملكه فساق جيشه المنصور الى سهل موغان وجمع مجلسا مؤلفا من وجوه
وكبار فارس من العسكرية والملكية مؤلف من مائة الف نفس وبالاتفاق اراد هذا المجلس المهول
في الاصوات صار اعلانه ملك المملكة في سنة ١٧٣٦ بعد الميلاد ودخل في عقيدة العبد اللاويين
الذين كانوا معتقدين في دينهم في هراة وصار واحد اجل اصحابه واتباعه
وروى ما وجد اخر انه لما حصل الشقاق والثوران المهول في فارس انتهز الافغانيون الفرصة
وهم جنس حر شديد البأس متوطن في الاقليم الجبلي الفاصل افغانستان من الهند في وقت

الضعف الذي حل بملوك العائلة الصوفية من بعد ان كانت ذات قوة وبأس شديد وسعوا
الى ارض فارس وهزموا جيوشها وحاصروا عاصمتها اصبهان وضيقوا عليها ولما تغلبوا على
هذه العاصمة قتلوا حسين شاه الذي كان متسلطا في ذلك الوقت في ارض فارس مع عموم عائلته
ما عدا ولد من اولاده اسمه طماس او طماز فانه هرب وتخبى بين جبايل رعوية قاطنة في
السهول العالية الممتدة في قسم عظيم من بلاد فارس فاشتعل في قلوب هولاء الرعاة لهيب نيران
حب الوطن وحب ملكهم وحضنوا مع الحمية والحماس امر هذا الفرع الاخير من سلالة بيت ملوكهم
واجتمعوا حوله في عددهم وعدتهم واخذوا كل يوم في القوة الكبيرة وكان من ضمن هولاء المنظمين
شاب رئيس اسمه نادر لقبه طهماز كولي خان ومعناه العبد طهماز الشريف امتاز بين
اقرانه مع السرعة في الغيرة والبراعة والمهارة ونجابة الاعمال الى ان جعلوه رئيسا عليهم فمن
بعد ان حاز نصرات متوالية على الافغان نفى العديد منهم من اصبهان وطردهم بالكلية من المملكة الفارسية
وفي اثناء هذه المظفرات رفعت العساكر في الاتحاد والحب القوي مع نادر شاه زيادة عن الملك
الذين كانوا قاموا بالسلاح من اجله فلما راى هذا الرئيس الشجاع الجسور ان سيادة الدولة
والشوكة صارت في قبضة يده وضع الملك تحت الحجز ورفضه فقط بالختم والتصديق على الاوامر
وظل بظل قليل من السلطنة ثم بعد ذلك خلع عينيه وضبط السلطنة لنفسه باسمه نادر شاه

جلوس نادر شاه على تخت فارس

ومن بعد جلوسه على التخت بقليل ساق جيشا مؤلفا من ثمانين الف مقاتل الى قندهار
وطرد منها العائلة الخلجية في سنة ١٧٣٨ بعد الميلاد وتغلب في مدة هذه الحرب على قسم
عظيم من الاراضي المجاورة له وارسل ابنه رضا كولي ميرزا من اجل الغارة على الازبكية
ففتح اقليم بلخ وهزم نفس ملك بخارا في واقعة وقعت بينهما على نهر جيحون وفي وقت ما
كان نادر شاه مشتغلا بهذه الاشغال هرب من اهل بلاده الجم الغفير من الرؤسا الذين
اقلق طالع سعدهم من جهته في الهندوستان فاستقبلهم محمد شاه عنده من دون ان يخطر منه
ما يخل بشرفهم ثم عزم نادر شاه على السير نحو غزنه وقابول وقيل انه تقوى وتشجع في
هذه الغزوة بمكتوب وصل اليه من نظام الملك وسعادت خان وكان قد ارسل من طرفه سفيرا
الى دلهي فهجم عليه اهل جلال اباد وقتلوه مع ما كان معه من الخفر حتى بعد ان كان نادر شاه
مترددا في هذه الغزوة قام في وجهه الغضب وطار من عقله التردد من هذه القطيعة وزاد
به الوجد والحنق حتى ظهر في لاهور في راس جيش مهول وانزل بمدينة جلال اباد واهلها
العذاب الشديد والعقاب المديد وما حصل له ادنى حذر او اذى في وقت عبوره من الاقليم
الجبلي الواقع بين قابول وبيشاور وما قابله شي يقاوم حركة تقدمه ويصده الى ان وصل
الى شواطي نهر جوهنا في محل يعرف بالكرنال على مسافة مائة ميل من دلهي ووجد نفسه
في هذا المحل في مواجهة جيش تحت ادارة او قيادة الامبراطور محمد شاه نفسه ومع نظام
الملك وسعادت خان ومشهوري امرائه ورؤسائه فوقع بين الطرفين مناوشات جزوية
انتهت بواقعة عمومية كان النصر فيها للفرس من شدة اتحادهم مع بعضهم وكمال نظامهم في القتال
واسر في هذه الواقعة سعادت خان وجرح الوزير جرحا مقتلا وهرب الالوف من عساكر
الامبراطورية الهندية وتمت الهزيمة على المغول حتى انهم ما وجدوا لانفسهم طاقة ولا
شجاعة ولا عرفوا لهم طريقة يمكنون بها مقاومتهم وبواسطة خيانة سعادت خان وكانت
حمدا قلة لحب وطنه انتزعت من قلبه من جنب في يتشرد الحصول على وظيفة الوزارة العظمى
وبسبب ما كان عليه نظام الملك من شدة النفوذ وعلو الكلمة وقع نظام الملك والملك
المنحوس محمد شاه في يدي عدوهما وسار نادر شاه الى دلهي والظاهر ان منصور نادر شاه كان
منحصرا في استحواذه على اموال وكنوز حكمة حملها الى على اراضي لا يمكن حملها وقال في ابتدا
الغارة انه اقر واعترف على نفسه بان الغيرة الاسلامية والحمية المحمدية والصداقة الامبراطورية
وحبه للمملكة المغولية اخذت روحه وقلبه حتى صار لا طاقة له في ان يسمع ان المحتقرين الهائمين
المرهطا وبين في الدكهن ضربوا خراجا على ممالك ملوك المسلمين في الهند واكد للامبراطور
محمد شاه ان المقصود من حضوره هوان الكفار لما تحركوا اخر الهندوستان كان ممكنه ان
يرسل جيش المنصور من اجل طردهم ورميهم في قيعان جهنم وذكره بان التاريخ مشحون بحكايات

وجود نادر شاه في الهند ودخوله في دلهي

بحكايات وقصص المحبة والوداد بين ملوك فارس وملوك دلهي واقسم له قسما مؤكدا بانه لم يكن
عنده نظر او شي اخر سوى الصداقة والعلوقة والارتباط الدياني والاخوة الاسلامية ثم قال
له اخيرا اني لم ازال الكون في الحال والاستقبال باقيا على الدوام على صداقة بينكم المشهور
وبث النظام والامن والراحة حسنت يومان من بعد دخول الفرس في دلهي وصدرت الاوامر
الاكيدة الشديدة من نادر شاه بعدم وقوع ادنى شي من العقابات مثل قطع الاذان والانوف
وتشويه الوجوه او قتل الهنود مما وقع منهم من الضرر كبيرا كان او صغيرا على المسلمين وفي ليلة
اليوم الثالث حصلت الاشاعات وانتشرت الاخبار مثل لهيب النيران بان نادر شاه اخذ اسيرا
وقتل صبرا فقام الدهليون في جموعهم قومة واحدة وهجموا على العسكر الفارسية وكانوا
منتشرين في اطراف دلهي واكنافها وقتلوا الجم الغفير منهم وفي صباح اليوم الثاني ظهر نادر شاه
راكبا فوق ظهر حصانه في شوارع دلهي من اجل تكذيب ما اشيع من امره من الخطا واطفا
ثورة العوام وكان قد حصل عندهم الهياج الى اخر درجة وفي حالة ما كان نادر شاه مشغولا في
اطفا هذه الاهوال اطلق عليه واحد من العوام عيار ناري فاصاب واحدا من ضباطه كان
بجانبه فقتله فاشتد الغضب في وجه نادر شاه وامر عساكره بالقتل والنهب والسلب من دون
ان لا يبقوا على احد ولا يرحموا كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره فامتلات شوارع المدينة بالقتل
والخطف والسلب وقتلت الرجال والنسا والشباب بالسيف واضرمت النيران في الابنية في
جهات مختلفة منها وفي خلاف اثنى عشرة ساعة ذاقت المدينة واهلها وبال امرها ما امكن
للعسكر الفارسية وقوعه فيها مع غاية الغضب والانتقام والبطش ثم ان نادر شاه من قبل غروب
الشمس بقليل امر عساكره بالكف من وقوع تاثيرات زيادة عما وقع وبواسطة ما كان عليه عساكره
من الانتظام والقانون العسكري والطاعة في القيادة انتهت كافة القطايع في نحو ربع ساعة
وصار لا يرى احد من العسكر الفارسية في شوارع دلهي واختلف ارباب التواريخ والحكايات
في عدد القتلى الذين ذبحوا في هذه المذبحة من ١٥٠٬٠٠٠ الى ١٢٠٬٠٠٠ الى ٨٠٬٠٠٠
قتيل ومن المعلوم ان منع الغدر جميعا اذ انه ما كان يوجد في نفس هذه المذبحة الا نحو
عشرين الفا من الفرس فقط ووقعت الخزاين الملوكية بما فيها التخت الطاووسي في ايدي
الاجنبيين وفي ظرف المدة التي قام بها نادر شاه وهي ثمانية وخمسون يوما في دلهي اجرى
كافة حقوقه وواجباته من انه سلطان البلاد وضرب ضرايب ثقيلة على كافة السكان
والطوايف فاصبح والاية وجباها وكان مقدار غنيمة الغنايم والاسلاب التي حازها
اثنين وثلاثين مليون ليرة واعاد محمد شاه الى تخته واصدر من طرفه عدة اوامر الى الراجا
بوتيين ومن جملتها امر الى باجي راو يسبهم ويعلمهم بما وقع منهم من الافعال التي اجروها
وراعى محمد شاه في صفة اخ له وانه من الواجب واللازم سماع اوامره والطاعة لسلطنته
والذين لا يسمعون ولا يجرون اعمالهم حسب نص هذه الاوامر فانه يسرع جيشا الى ارضهم وبلادهم
وينزل بهم عاقبة امرهم ويبطش بهم بطشة جبار ويخرب بلادهم ويدمر سلطانهم
وبعبارة مختصرة فيها توضيح زيادة عن المتقدمة ان نادر شاه لما جلس على تخت فارس لم
يكتف بان يكون ملكها فقط بل اعتمد على شجاعة اتباعه واصحابه ومحبتهم له وصداقتهم اليه
وعزم على فتح فتوحات في الاراضي المجاورة لمملكة فارس فغار على نفس الاراضي الافغانية و
اخضع قابول وقندهار وقرب من حدود الهند وزعم انه لا يوجد عنده ادنى سعي او التفات
او رغبة في الدخول في الاقطار الهندية وصادق عليه عموم المورخين في هذا الزعم الا اننا
نحن في تردد وشك كبير من ان نصف هذا الغاصب الكبير الجسور بهذا الوصف ولا حاجة في
تطويل هذه المادة بهذا الزعم وكان هرب من اهل بلاده الجم الغفير منه فوجدوا لهم ملجأ
وماوى في الهندوستان فارسل سفيرا من طرفه مع خفر الى الهندوستان في طلب هولاء الفارين
الشحيين وانه لا بد من تسليمهم اليه فقتل اهل جلال اباد السفير مع خفره في اثنا طريقه وسفره
الى دلهي وما وقع من محمد شاه قبول في مداواة هذه القطيعة واصلاحها باشارة من حواشيه
ارباب الكبريا والخيلا والعظمة عديمي العقل والحزم فزحف نادر شاه بجيش جرار وناهبا
وباطشا بالارض واهلها ومن المحتمل ان حفظ هذا كان بواسطة اخبار سرية من الاصل حتى انه

سار مع غاية السرعة من طريق بيشاور الى لاهور الى انه صار على مسافة اربعة ايام من دلهي من
قبل ان يستيقظ الغافل الامبراطور محمد شاه المتراخي من نومه لقربه منه فاسرع محمد شاه في جمع
عساكره ويسر له الحصول على عدة المكين سعادت خان غير ان هذا القايد من قبل ان يختبر
ويتحقق من قوة وبراعة الرجل المتعرض له ترك مع عدم حزم رايه وخطاه حصونه وقلاعه و
خاطر بنفسه في واقعة في ميدان مكشوف مع عساكر نادر شاه ذوي البسالة والدراية في الحروب
وكانت ابهة وجلالة خلاعة الاثاث الموجودة في العساكر الهندية غير موافقة ابدا لمنظر فرق
عسكرية رعوية جبلية شديدة العزم والمراس في ميدان الحرب فمن ثم انهزم الجيش الامبراطوري
شر هزيمة فاصلة واخذ سعادت خان القايد اسيرا واعقب هذا العمل اعمال شديدة ما دونها
المورخون مع الدقة وهي على ما قيل ان سعادت خان كان تخابر في معاهدة مع نادر شاه
اتفق فيها المذكور على انه من بعد تغلبه على المملكة ينجلي عنها على شرط ان يدفع له فدية اثنين
كرور من صنف الروبيات بقيمة اثنين مليون ليره والظاهر ان نادر شاه كان رضي بهذا
المبلغ حتى ان الامبراطور ونظام الملك ما حصل منهما تردد في زيارته في معسكره واوقفا
انفسهما في خرابيشه وقيل ان سعادت خان المأسور لما خاب امره من تقليده وظيفة الوزارة
العظمى قبل ذلك وكان طالبها في نظير اداه هذه الخدمة وحنق على نظام الملك دس الدسايس
في السر في وقت اسره الى نادر شاه وبكثرة الاموال والكنوز والذخاير الثمينة التي لا تحصى ولا
تحصر الموجودة في دلهي عاصمة الهندوستان ومخزونه في سرايتها وقال بالنسبة لكثرة هذه
الاموال فان اثنين كرور من الروبيات مبلغ زهيد في فدية الهند فبهذا السبب عندما
قبض نادر شاه على الامبراطور محمد شاه ونظام الملك وزيره وصار الاثنين في يده سار
نحو العاصمة وتغلب عليها ورغما عن كان دخول نادر شاه في المدينة مع عزم التلطف في امرها
والرافة بسكانها والحنو فقط على اهلها من قطايع السلب والقتل وانتهاك الحرمات فاستمرت
المدينة يومان في حالة انتظام واستتباب امن وهدو الا انه من سوء طالع سعدها حصل
في الليلة الثالثة اشاعة بقتل نادر شاه فقام الحضر وفي حركة قوية مع الجسارة ما كانت
تحت طايل في المدافعة وقتلوا الكثير من عساكر نادر شاه فاشتعلت نيران الغضب في جسمه
وامر عساكره بالقتل والذبح والنهب في كافة شوارع وحارات وعطف المدينة وجدوا
فيها فقتلوا من الفرس فاستمرت حركة الذبح الى نصف الليل حتى ان شوارع دلهي جرت فيها
الدما مثل سيول الغدران وكان نادر شاه له الحكم القوي على عسكره المتوحش فظار في الا
مبراطور منظر منهجر متالم من هذه الحركة اصدر امره باغماد السيوف في الحال وفي هذا
الوقت نهبت الخزاين والذخاير الملوكية الامبراطورية وكانت مشتملة على نقود واقمشة ثمينة
وملابس مختلفة غالية وجواهر لا تحصى قيمتها كان الامبراطورات المغولية من عهد جلوسهم
على تخت الهندوستان جمعوها من دون ملل ولا تعب من رعاياهم من كل جهة سواء كانت
من طريق الهدايا او المشترى او الاغتصاب وخزنوها في خزاينهم وكانت اخذة على الدوام
في الزيادة لا النقص من دون ان يخل بها اضمحلال او تكون عرضة لسلبه اجنبي من الاقوام
واستمر الفرس مدة خمسة وخمسين يوما مشغولون في استخراج الخزاين والكنوز المخفية في
العاصمة بالتهديد والتشديد والتعذيب حتى ان المورخين ما حصل عندهم ادنى شبهة ولا
تردد في تقدير قيمة الغنايم والاسلاب التي حازها الشاه الايراني وضباطه وقدروها
اثنين وثلاثين مليون ليره استرلينية كان نصفها الماس وجواهر اخرى وما حصل من نادر شاه حتى
ولا جد في بقا الهند تحت يده ولو انها خضعت وسجدت تحت اقدامه ويحتمل انه راى ونظر في
امره ان مملكة شاسعة واسعة مثل الهند لا يمكن جمعها هي وفارس في مملكة واحدة فاكتفى
بتنازل الامبراطور عن قابول وقندهار وكافة الاقاليم الواقعة في الجهة الغربية من نهر
السند وواطر محمد شاه وقوى عزمه على التخت المغولي ووعظ ونصح في الالتفات الى حكومته
وتدبير امورها والحزم والعقل في اعماله وسياسته وسافر من الهند من دون انه يترك عسكر
فارسي فيها ولا قلعة او موقع حصين فيه عساكر فارسية وفي مدة هذه الاعمال هلك سعادت
خان بداء السرطان في ظاهره وكان موته مصلحة وفايدة لعدوه القديم نظام الملك آصف
خان فانه رفع ابنه الى درجة امير الامراء الرفيعة وواحد من اتباعه واخصاه الى وظيفة رئاسة
الوزارة السامية ومع هذا فات نظام الملك الزم على الغياب من الديوان من اجل صد الحركة

الحركة الشديدة التي كان ابنه ناصر جنك قام بها وكان جعل لنفسه الاستقلالية فتغلب على امر
ابيه واعاد الانتظام كما كان وفي مدة الحرب الفارسي واحتلال الفرس حلولا وقتيا في الهندوستان
ولو ان المرهطه وبين ما اشتبكوا في هذه المادة فانهم كفوا وتجنبوا ما كان لوازما لهم في مداومة
اعتراضهم المتعلقة بالمملكة وما وقع من باجي راوو ادنى تشديد في التصديق على المعاهدة التي
كان تم امرها بينه وبين آصف جاه وحزم عقله ورايه في لزوم توقيف كافة الطلبات الوطنية
الداخلية بالنسبة للاوبشاك وتهديد السلم الداخلي العمومي برجل عدو مهول مثل نادر شاه وقال ان
ما حفايظنا الداخلية وعروبا بنا لا معنى لها في ذاتها بما انه يوجد لنا عدو مشترك في الهندوستان
وان عموم الممالك هندو واسلام الموجودة في الدكهن يلزم ان تكون في جامعة واحدة ضد
هذا العدو المشترك وكتب بذلك منشورات ونشرها في داخل ممالك الدكهن فلما انقشعت السحب
والعواصف الفارسية جدد طلباته واصر على تصديق ما وقع عليه الاتفاق مع آصف جاه
وانتخب في الدكهن ميدان يقوي فيه طلباته والاستحواذ عليها فلا لزم طالع سعد نجاح الدول
وهذه مثل هزيمة الاولى له وانهزم ووقع في المصاعب حتى ما وجد لنفسه طاقة في الخروج
منها ولما كف عليه الديون وخابت اعماله واشغاله وتفكر في نفسه ان الموت اهون له من
هذه المصاعب والمشكلات التي تعرض له فرحا ثم خلص من بعد قليل من مصاعبه وتلبكاته ذهب
الى الله وهو والي الهندوستان وما ذكر احد السبب الذي اوجب عوده الى ما كان على ضفة
نهر بربوداه في ٢٨ ابريل من سنة ١٧٤٠ بعد الميلاد وخلفه ابنه بلاجي راوو في وظيفة
البيشوا فما كانه ارتقاه الى هذه الدرجة من دون مقاومة شديدة ومعارضة كبيرة من
ذوي الباس والقوة من اعداء ابيه فانجزوا سايسهم واوهن خذالهم مساعده مع شيتباجي
وكان قايد فرقة من جيش القعيد باجي راوو ولو ان بلاجي ما كان حايز براعة ومهارة
ابيه فانه ما كان دونه او اقل منه في السلوك وحسن السير بل وكان اعلا درجة من ابيه
في تدبير امور المالية وتنظيم تصفية طلبات المالية التي كانت مفامة على ابيه
وكانت سببا في حصول شدة المضايقة له ولما نظم وسوى امور الدين العام وجه التفاته
لعود بعض الاراضي في الهندوستان وكانت وقعت في قبضة اعداه وخصيمه راجوجي الاول
الاحوال وعند من هذا الحرب الذي كان باشر فيه اعماله مع النجاح الى سبب اخر طلبه وهو غارة
داماجي جيكوار مع الجوزرات على مالوه وكان هذا عدوا اخر لبيت بلاجي وكان وقوع
هذه الغارة واسبابها ابتعاد بلاجي عن راجوجي وفي محبته ومن اجل خاطره ولما قرب
بلاجي من رجع داماجي جيكوار منقهرا في الحال فلما استحوذ على اقليم الجوزرات وصار تحت
قيادته قوة قوية موثرة وما وجد عنده شغل شاغل تفكر في نفسه ان هذه فرصة مناسبة في كونه
يأخذ من الامبراطور التصديق اللازم على المنحة او الرخصة الحاوية هذا الاقليم التي كان استحصل
باجي راوو من آصف جاه وكانت طلبات هذا الاقليم موقوفة في مدة الحرب الفارسي
وكان هذا الوقت موافقا لتمام طلباته وذلك ان علي وردي خان عامل بنغاله لما خاف على
نفسه من هجوم راجوجي عليه وخشي عاقبة سلطنته وحكومته استغل لتوطيد معاهدة بيلاجي راوو
بموجبه شروط معاهدة عقدت معه وحز بعدان ابتت بلاجي لنفسه منحة اقليم مالوه وفي هذا البشوا
ما وقع عليه الاتفاق بينه وبين علي وردي خان وسار في الحال من طريق اله اباد وبهار للتقا
راجوجي ولما زحف من الجهة الجنوبية الغربية لاجل خلاص مدينة مرشد اباد عاصمة الاقليم من
الهجوم تقهقر راجوجي في وقت قربه منه فتبعه بلاجي وهزمه وحاز كافة حملته وذخايره ولما اشتغل
بلاجي هذا الشغل الصادق لجهة الامبراطور منح مبلغا وافرا استعوضا عن ايراد بنغاله ولما كسى
اعداه من تلك الجهة عاد قافلا الى مالوه ومنها الى ستاره فما سنحت له فرصة الراحة في حضوره
حتى راجوجي اشترك مع صديقه داماجي جيكوار وسارا مع غاية السرعة وبذلا سعيهما في حركتهما
الى عاصمته فكان هذا الاتحاد شديد القوى عليه فبذل مبلغا جسيما يدفعه لهما لاجل عدم دمار
وخراب بلاده وتنازل الى راجوجي عن قيمة الخراج الممنوح له من بنغاله وبهار واله اباد واوريسه
وكانت هذه الاذية جرح المصلحة والفايدة للبشوا وبعد التصالح وصل الى الاعداء عن ارضه
وتوجيه حركته نحو الشرق ووجد لنفسه اشتغال كاف مع عسكره في تلك الجهة وما حصل شي في جهة

الدكهن من طرف اوجاء المغول بكيد رجواطه المهرطا وبين اوبشوش على حالتهم فان نظام الملك
آصف خان من بعد ان اخذ ثورة ابنه اكتفى بالاشغال اللازمة في تدبير واصلاح اعمال حكومة
اركوت الى ان مات في سنة ١٧٤٨ بعد الميلاد من بعد ان بلغ من العمر مائة سنة واربع سنوات
وما جاء عقب موته من محاربات اولاده مع بعضهم سنذكره في عصر الفرنساوية والانكليز في الهند
ثم ان شاهو راجا ما انحنى شوكة هذا الرئيس المتدرب في الاعمال والحركات مدة طويلة لانه
لما كان خالي الذرية والولد عين بنفسه اختيارا كما هي العادة عند الهند الراجا صاحب كلبور و
تبناه وجعله خليفة من بعده فكانت هذه الحركة معارضة بالكلية لما كان عليه البشوا من
مشروعاته المرغوبة وكان شاهو في غفلة كبيرة وضعف رأي من استغاله باشغال نفسه من دون
[illegible] عدة احد وكان مع هذا سفيها مطيعا لاحكام زوجته سواطرى بايي وكانت في كراهة
وبغض شديد مع البشوا مما كانت معضدة لطلبات راجا كلبور فقط بل وكانت قريبة
النسب له فلاجل صد هذا الطلب ومنعه دخل البشوا في مشروع صنع حيلي لاجل كسر هذه
الغيرة الفعالة وصدها وهو ان ارملة راجا رام الخصم القديم الطالب للتخت كانت موجودة
على قيد الحياة وكانت محافظة على الدوام على طلبات ابنها سواجي الثاني ضد شاهو وكانت
باقية معارضة في طلباتها فلو ان هذه السيدة كانت طعنت جدا في السن الا انها مازالت كانت
محافظة على العداوة والبغضاء لشاهو وعائلته وكانت مازالت باقية على طمع من انها تجري شغلا
يتيسر لها منه الحصول على عود سلطتها ونفوذها الى ما كانت عليه في القديم فدخلت معها بايي في
المكالمة والمخابرة في هذه المادة وارسلت لاخبار في السر الى شاهو ان ولد سواجي المتوفي
موجود على قيد الحياة فاوصل الملك هذا الخبر الى البشوا واخبره بانه جزم رأيه وشدد في امره
بالفحص في حقيقة هذه المادة ولاجل الدقة في فحصها والوقوف على حقيقتها يلزم السؤال من
طاره بايي وتأكيد الفحص منها فكانت اقوال واثباتات طاره بايي دالة على وجود اصل المادة
اما ان الملكة واحزاب راجا كلبور جعلوا الكل حزبا واحدا وكانت للملكة مع درايتها تامة من
مد شوكتها وسلطتها على الملك وما كانت تعرف انها انخدعت في هذه المادة الا بعد ما ظهر
لها ان موكب احتفال وراثة التخت سيكون اجراءه علنا وكان لها رجلا مدافع عن شوكتها
بمكره وخداعه فاثبت البشوا على الملك انه كان امضى على انه نقل اليه كافة شوكة الحكومة
وانه قرر سمو السلطنة والشرف الملوكي واللقب في بيت سواجي في حفيد طاره بايي ثم
لما مات شاهو اشتغل البشوا شغله واحكم عمله واعلن حفيد سواجي ملكا باسم رام راجا
وعقد مجلسا كبيرا من الرؤساء والوجوه وكبار المملكة اثبت فيه ما اجراه واغدق على المجلس
بالخيرات والانعامات لاجل التأكيد مما اتخذه معهم وكان من ضمن هذا المجلس راجوجي بوسلا
وسندياه وهولكر فاحتذوا من هذه الخيرات مبالغ جسيمة واما سواطرى بايي زوجة
شاهو الفقيد فانه صار حصرها وحثها واقناعها بالحيلة على التوجه مع زوجها في جهنم وبئس القرار
فارت في شهامة وكبريا وتقربت من عمود الحرق وصعدت عليه واحترقت فيها وفي زوجها النيران
وزال من سكة بلاجي عدو مضر طماع صاحب دسايس وفتن وخطر مبين وما كان تمام البشوا
احتفاء هذه الثورة واطفاها من دون مقاومة ومعارضة فانه حصل السعي في مدتها
في الخروج من طاعة والقيام عليه ووقع بينه وبين خاله سيداشاو بهاو منازعات حقة
ثم حصلت بينهما المسالمات والتوفيقات اخيرا وكان اول عمل اجراه البشوا عندما خلص من
هذه المعارضات هو نقل مركز الحكومة الى بونه وترك الملك الجالس على التخت اسما في ستاره
وهو رام راجا في حرية تامة تحت احكام الحرم طاره بايي وعمل له احترام واحتفال مفتخر
من اجل بقاه فيها ثم تسبب من الدسايس التي حصلت في الديوان واعقبت موت الملك شاهو
انحرام البشوا من عدم انتفاعه بالفرصة الملائمة التي كانت وفدت عليه في هذا الوقت الصعب
من اجل مد فتوحاته في الدكهن وصارت الدكهن عرضة له بواسطة انسحاب الجيوش منها من اجل
المواظبة على الحروب في نواحي اكرناطيق ودخل الابن الكبير لآصف خان المتوفي واسمه غازي
الدين في مخابرة مع البشوا بلاجي في ما عمد له على اخيه الصغير صلابت جنك وكان مستحوذا
على كافة مواريث العائلة فاتفق معه البشوا على ما عمد له في طلباته وسار بجيشه الى ارض
نظام الملك وفي وقت ما وصل قريبا من جيش صلابت جنك وردت عليه الاخبار من مملكته
بوقوع قلاقل وارتباكات جمة فالتزم على سرعة الرجعة مشتهرا لملاقاة الاغتيار القوي الذي هدد

بدمار وخراب كافة مشروعات مرغوبة ومطامعه وكان السبب في ذلك انه بحال سفره
لمعاونة غازي الدين على اخيه صلابت جنك فاشتغلت جملة الدسايس والفتن والخدايع القديمة
طاره بايي وكانت مازالت محافظة على العداوة العظمى لبلاجي بسبب ما كان عليه في القديم من
معارضة اغراضها وشرعت في دس الدسايس من اجل خلعه وسقوطه من وظيفته وطلبت من الملك
الصبي ان يدافع عن استقلالية نفسه والخلاص من خدمته واستغلت معه كل طريقة في اغواه
في هذه المادة حتى قالت ان بلاجي [illegible] هو سيدك بالفعل ولما رأت ان كلامها لا يحرك
في بدنه ولا يحرك في صدره ما شرعت فيه اخذته بالحيلة والخديعة حتى تزيل الريب والشبهة
من عقله وارسلت في السر رسلها الى داماجي جيكوار واخبرته بسرعة وصوله الى مدينة ستاره
فسمع اقوالها مع الشوق واللهف وساق جيشه الى ميدان الحرب واشهر عزمه علنا على خلوص
الراجا والمهرطاويين من حرابيش البراهمين وسلطتهم ولما قرب وصول داماجي جيكوار قبضت
على الراجا الشاب ووبخته ولامته واظهرت له الاسف على كونها خلصته من ذل وضيق الظلمات
الى جلالة النور وسعته وعز رتبته وعابته ونقلته حتى يتقهقر اعمال المملكة وادارتها وكان
اصحاب البشوا يجهلون امر هذه المخابرة فدخلوا مع داماجي جيكوار بواسطة اغوا طاره
بايي فدافعوا حركة سير جيش داماجي وهو منتقل الى اراضي جوزرة مجموعة الانهار والقرب
العساكر المسلحة الخفيفة لداماجي على شرف اغتصاب شوكتهم ونفوذهم وكان هذا الشيء
عليهم [illegible] فهربوا الجميع مع غاية السرعة من المدينة المهددة وهي ستاره الى
قرية ارتوتو على شواطي تركيستنا ورفعوا عنها بيرقهم ولولا ان غوثهم وصلت مع العجلة
المعتبرين الف مقاتل فانهم انهزموا بقوة قليلة من جيش الجوزرات والخيال الذي حوصرها
في هذه المحلة الى ان رجعها ثانيا من قبل وصول البشوا بالهجوم ووقعه على الاعداء حتى
قطعهم وهم نحو جوزرة وفي ظرف ثلاثة عشر يوما جد بلاجي وكد في سفره حتى
قطع في هذه الدفعة مسافة اربعمائة ميل وصار على القرب منهم مما احتاجت المادة الى
وقع السيوف لان داماجي انقصد امره وقتل سعيه وخاب امله وقبض عليه اقرباه بالخيانة
ودفع الهجوم على معسكره واودع في سجن في بونه ثم انه ما حصل لطاره بايي من هزيمة
شريكها في الجريمة ادى الى تاثيرها ورفضت تسليم القلعة والراجا وحفظت كلا امرين الى ان قبلت
على ان يعقد بينهما بيمين اكيد في الثبات والقيام معها الى اخر رمق وراي غالب للمهرطا وبين
بانها هي النايب الشرعي الاحق بالوصاية على الملك ثم رأى بلاجي انه من الحزم والعقل و
السياسة التجنب والكف عن صيرورة هذه المرأة الى ما يؤول عنه الدمار والخراب ومن المحتمل
الاقوى انها هربت من القلعة وتسبب عن هروبها غارة كبيرة وقعت على اراضي المهرطا وبين
من صلابت جنك وكانت اعماله الحربية جارية ايضا على منوال المهرطاويين فانه من عهد
اورنك زيب ما روي في تلك الناحية جيش مهول مثل الجيش الذي سرحه صلابت جنك في هذه
الدفعة الى ارض المهرطا وكان هذا الجيش مصحوبا بفرقة من جموع العساكر الفرنساوية
مؤلفة من [illegible] مقاتل [illegible] الاف من العساكر المنتظمة ومن العساكر الموظفة المعروفة
بالاسباهي على غاية من التنظيم تحت قيادة بوسي الفرنساوي وكان قايدا في الشرق الاقصى
وكان اشهر الضباط الفرنساوية وبسبب ما كان عليه من المهارة في الاعمال العسكرية عهد اليه
صلابت جنك القيادة في هذا الحرب فما كان بلاجي في درجة هذا الضابط الماهر فانهزم مرة
بعد المرة حتى صار عدوه في داخل عشرين ميلا من بونه ولاجل زيادة حالة ارتباكات اعماله
زيادة عن اصلاح دخل الغايرون على بلاده في مخابرة مع اعداء الاخرين وهما طاره بايي
وراجا كلبور واتضح له انه ما بقي له امل في النجاة والسلامة من شدة هذه الغارات سوى
تسليم وهين فاتفق من عجايب الاحوال وغرايبها ان كانت سلامته من الويلات الغريبة وهو
ان القايد بوسي الفرنساوي كان معتمدا في حركاته القوية الباهرة على ما يرد له من الاموال
والذخاير والمؤن من طرف الملك صلابت خان جنك فاتفق ان حصل في هذا الوقت الاختلال

والارتباك في ايرادات مالية وتأخر صرف مرتبات العساكر فرجموا لهذا عدم صونهم وعدم
الغضب والنفور فيهم وصاروا يتخذون عذرا عدم الضبط والربط والنظام العسكري فقام
في هذا الوقت راجوجي بوشلا وكان استخوز من قبل على كوطاك وعلى منحه من البشوا
بالخراج الذي كان منع عليه من بنقاله وانتهز فرصة الحرب القايم في ارض المهرطا وظهر على
حين غفلة في الدكهن وتغلب على جاوبلغور ونورنالا وجعل نفسه سيدا على ما يكون روج
والاراضي او الاقسام التابعة لهذه القلاع ووزع توزيعات من الاموال على كافة الاراضي
الواقعة بين نهر بابنة جوبجا ونهر جوداوري وجباها وطرد المقبول من هذه الاراضي و
استبدلهم برعاياه فكان دفع هذه الصاعقة المهولة التي حلت بابواب صلابت جنك من اهم
الامور عنده زيادة له على استحوازه على اراضي اخرى اجنبية فتم ما تردد في عقد هدنة مع
المهرطا واسرع في عود املاكه مرة ثانية وكان ذلك في سنة ١٧٥٢ بعد الميلاد ثم ال امر مملكة
الدكهن ان صارت ميدان اعمال ووقايع كبيرة جدا اظهر فيها المهرطا ويوث عدم المبالاة والفرق
ولاجل بشر الحصول على غنم ومعرفة اعمالهم واشغالهم في هذه الناحية الزمنا على الرجوع
الى ورا بمقدار بضع سنين من اجل درج الوقايع التي حصلت فيها ولو انها لا توميتية او
عمال الكبيرة التي ندونت الانا ومحبة في تفرج وفي تنايجها لا تخلوا من فايدة وذلك انه في
وقت سفر اصف خان في سنة ١٧٤١ الى حكومته في الدكهن خلفه ابنه الكبير غازي الدين
في وظيفته في الديوان وكان متزوجا بابنة الوزير الاعظم ولما مات ابوه ما منح قبل موته
رخصة حكومته لاحد الا انه ثبت ان اخوته بذلوا البراطيل والرشوات الكبيرة الى المتقربين
في الديوان حتى يجتهدوا في حجز ومنع غازي الدين عنهم واتفق في هذا الوقت ان الروهيلا
يونه عتوا ونفذوا في الشوكة والقوة وجلبوا على انفسهم غضب الوزير وحده بسبب
تهديدهم املاكه في جهة اوده من اجل تغلبهم عليها وكان الروهيلا يون قبيلة افغانية
حازت ارضا واسعة من ارض الهند حصة الغربية واقعة بين نهر الكنج وجوجره والمحدود
باوره وجروال وكماون وواقعة بين درجة ٢٠° و ٣٠° من العرض الشمالي وبين
٧٨ و ٨٠° من الطول الشرقي الا ان الموقع الحقيقي المضبوط هو ٢٧°١٥ و ٢٩°٥١ من
العرض الشمالي و ٣ و ٧٨ و ٣٠° ٨٠ من الطول الشرقي وان نهر الكنج وفروعه وكذا نهر
رام جنجا من بعد ان تجري في الاراضي الجارية فيها ومن قبل ان انصباب فروعها في النهر المقدس فانها
تروي سهولها وهذه الجهة مقطوعة بعدة ترع وخلجان وقنوات وعيون نابعة واطية تحت
سطح ارضها وبواسطة هذه المزايا الطبيعية والصناعية كانت تحت احكام ملوكها الوطنيين
في درجة عظيمة من الزراعة والفلاحة ولو انه بعد ما حصل التنازل عنها للانكليز في سنة
١٨٠١ بعد الميلاد من طرف نايب اوده فانها كانت اهملت وخربت اراضيها من شدة
جوره وظلمه وتركها بانه ولما صارت ميدانا للثورات العارضة الحديثة صارت معلومة جدا
لكثير من الاوروباويين والوطنيين ومن الموافق ان نذكر ايضا انه كان موجودا في داخل
هذا القسم مداين باريلي وبيسولي وبداون ومرشداباد واوده وباليبوت
ورامبور وشاه جهان بور ويستدل من وجود الاثار الظريفة المختلفة الباقية من
المباني الجليلة للسرايات والبساتين والجوامع والمساجد والمدارس والاضرحة دلالات كافية
وبراهين وافية على ما كانت عليه هذه الجهة في الازمان الاولية من الدرجات العالية في
البناء والزهور وكانت تحت ادارات وقواعد سياسية عظيمة وفي وقت سقوط المملكة
المغولية والمحن والشدايد وهيجان الثورات المتسلطة المختلفة التي تولد منها خراب المملكة اشتركت
هذه الجهة ايضا معها في الخراب العام الى ان تغلب عليها في الازمان الحديثة العهد من انتزعت
من قلوبهم الرحمات اهل الحرب والجسارة المجاهدين في اعمالهم واشغالهم وهم اهل قبيلة الردة
او الردهيلايون وكان المؤسس لهذه المملكة اثنان اخوة شاه علم وحسين خان وكانا
في نحو سنة ١٦٧٣ استوطنا هذا الاقليم واشتغلا في اداء ما يجب عليهما من الاعمال الملازمة
لهما في امر معاشهما بامر ورخصة من الامبراطور اورنك زيب فورث ذريتهما مهارة وشهرة

وشهرة وسعادة اجدادهم ووسعوا في املاكهم وعرسوا اراضيهم وفلحوها حتى اوصلوها الى درجة
عالية الكمال في الزراعة واجتهدوا في تقوية الاعمال المتولد منها زيادة محصولاتهم وايراداتهم
وحكموا الذين تحت ايديهم بالرفق واللين والعقل والحزم وفي نحو سنة ١٧٢٩ خرج اثنان
من رؤسا الروهيلايين وهما بشارت خان وداوود خان في هيئة شجعان حربية في طلب
الخدمة العسكرية فدخلوا في خدمة مذهوشاه زميندار سرولي وكان عايشا بواسطة خطف
وسلب من الاقاليم المجاورة له فارتقا هذان الفارسان بين جماعة الخطافة واشتهر الجراءة
اعمالهما وفي اثنا نهب احد المداين المجاورة ضبط داوود خان صبي من قبيلة الجات وهداه
الى دين الاسلام وسماه علي محمد وتبناه وجعله وارثا له فكان اهلا لذلك ودخل علي محمد
في الحال مع اخوانه منطوعا في الحروب وبواسطة شجاعته ومهارته ارتقى مع السرعة الى درجة
قايد فرقة من العساكر الافغانية كانت مشغولة في خدمة الوزير ولازم الشجاعة وحسن الا
نقياد والطاعة حتى اشتهر ذكره وذاع امره ووصلت اخبار شهرته الى مسامع الامبراطور فانعم
عليه بارض اقطاعية وعهد اليه حكومة عدة من الاقاليم وفي مدة القلقلة والقتل الذي
وقع من غارة نادرشاه على الهندوستان انتهز علي محمد الفرصة التي جاء بنفسها اليه في هذا
الوقت المرتبك وشيد مملكة وسلطنة مستقلة في روهيلكند وبالضرورة فان دولة قامت
بقوة كبيرة بهذه الحالة صنعت توجيهات الالتفات ديوان دلهي عليها غيران غازي الدين
الوزير وكان اقليمه مجاورا لهذه المملكة التي تشيدت جديدا خشي عواقب خطرها وضررها
ان يحل به فعزم على حطها وكان لا مهما قبل اتساع ملكها وشوكتها وغلب على افكاره امر هذه
الغارة فخرج جيش ضد علي محمد واعلن الوزير اعلانا ان المقصد من الحرب ليس الزام بدفع
ما عليه من متاخر الايرادات فقط بل وخلع ايضا من وظيفته ثم انتظر علي محمد الى ان تفرغ
هذه الصاعقة في وجهه وتحرقه بل استعد لحماية نفسه والتقا مع الجيش الامبراطوري في واقعة
فانهزم وبدد شمله وتشتت عسكره وكان من ضمن المقتولين في ميدان الواقعة الرئيس الذي عهد عليه
الوزير ان يكون بدله وفي محله ثم ان هذا العاصي الجسور ما بقي ملازما على حكومته فقط بل
وصارت له شوكة قوية وتباهي بنصرته على الجيش الامبراطوري وافتخر وسار في اعماله واجرأته
حتى هدد بعض جهات اوده بالغارة عليها فخض الوزير غازي الدين الامبراطور وحثه
على الخروج لميدان الحرب بنفسه ضد هذا العاصي المفسد في المملكة فمن بعد ان قاوم علي محمد
مقاومات غير ناجحة في ميادين مكشوفة التزم على الماوى والتحصن في احدى قلاعه الحصينة ولما
بلغ الدرجة النهائية في الاضمحلال تشفع الوزير له وعفى عنه عند الامبراطور عفوا تاما فكان
في هذا العفو مصلحة تامة للوزير وهي نقله الى جهة بعيدة عن اوده وهو ان علي محمد اتفق
في شروط هذا العفو قبوله حكومة سرهند وهي بقعة صغيرة محلة واقعة في الجهة الشمالية
الغربية من دلهي استبدلها بالاقليم الظريف الخصب الزبة فكان نقله الى هذه الجهة مجردا ذعاف
وتسليم لضرورة الاحوال وما زال كان مصرا في ضميره على انه عند سنوح اول فرصة تسنح
له يرجع الى هذا الاقليم ويعيده لنفسه كما كان ومن ثم رمى اساس دولة تحت وقامت في
طرف مدة قليلة خرج منها امبراطور الهند وحاربت سلطنتها جيوش بريطانيا الكبرى
وفي مدة هذه الاعمال اشتغل ايضا جماعة من الافغانيين في تشكيل اتحاد كبير في داخل ارض
اجدادهم فكانت نتايج العواقب التي حصلت من بعد موت نادرشاه الذي حصل في سنة ١٧٤٧
اقل خطرا ومحنة وشدة على مملكة دلهي من العواقب التي حصلت لها في وقت غارته عليها وسببه
ان نادرشاه من بعد سفره من الهند بنحو ثماني سنوات مات قتيلا وهو في خيمته في مدينة
مشهد من اعمال خوراسان وكانت عاقبة حياته خيرا لانه كان اشتهر في مدة حياته بالجور
والجبروت والعنف حتى تحرك عليه كل ساكن ومن جملة قساوته ارتيابه من ابنه الكبير في اسباب
كانت ضمن همته فقتل عيناه وال امره الى اختلال العقل والجنون حتى انه وبخ كل انسان ولام
متوسل اليه في الرحمة في وقت اجراه هذا الفعل الذميم في ابنه وتوحش سيره وسلوكه وارتاب
من كل انسان حتى جعل نفسه عدوا لعموم اصناف وطوايف حاشيته وخدمه فقامت عليه
قيامة الثورات والهياجات وادته الى فعل اكبر الفواحش والكباير وبطش بطش جبار عنيد

مقتل نادرشاه وما وقع منه

بعموم اهل المداين وسكانها حتى اوهن سكانها واخرب دورها واقام فيها ابراجا من رؤس
اهلها تذكرة لخرابها ودمارها واخرجت العيون من الوجوه ووقع العذاب والعقاب والنكال
وصار لا يعرف كل احد وقت موته وهو في العذاب الاليم ولا وقت خلاصه وحصول الفرج
عنه مما حل به من المصايب والرزايا وفي مدة السنتين الاخيرتين من حياته زاد به الغضب
والشر من علل واعراض اصابت بدنه فزاد في شدة الجنون واختلال العقل حتى ان رعاياه
الذين هوادس الدسايس كثرة لخلاصهم انفسهم منه ومن طاغيته جبارا ما بقى لهم طاقة على تحمل
بعيشة بينهم فلما راى عموم النفرة من اهل بلاده رمى نفسه على الافغانيين مما دون ملاحظة
واحتراز وشرع في ذل واهانة عساكره القديمة بتفصيل وترجيح الداعمادهم الاولين عليهم
وفي اليوم الذي قبل يوم موته بينما كان مشغولا باشغال شيطانية نظ فوق ظهر حصانه
في وسط معسكره وصار على شرف الهروب من جيشه لاجل الالتجا في قلعة عند ما حصل هدو
في عقله ومن بعد هذا العقل الذي توقع مما جنونه ارسل لامراء الافغانيين يستغيث بهم
في صداقتهم اليه من اجل المحافظة على حياته واظهر لهم طرد حفظ حقه من الفرس والقبض على
خيار ووجوه اشرافه فكانت اقواله هذه من اجل جلب محبتهم اليه وصداقتهم له وصرف نظرهم
عما كانوا مجتهدين فيه من السعي في قتله ففي مدة الليل في الساعة المعلومة التي تواطأ فيها اهل
بلاده على قتله ذبحه جماعة من رؤسا قبيلته في سنة ١٧٤٧ بعد الميلاد وبهذا هلك الحيوان
المفترس مهيج الفزع والرعب عدو نفسه وعدو بلاده وفي الساعة التي كان عميقها نادرشاه
في وقت ارساله لرؤسا الافغانيين قام الافغانيون تحت قيادة احمد خان عبدالله دفعا
على الفرس الوالد ظهر ما انسب بهم الى بلادهم انهم ولو غابوا في سعيهم ووهنوا فيه فانهم
كانوا في قوة كافية حتى حفظوا احفظ رجعتهم الى بلادهم وفي ارضهم اعلن رئيسهم احمد
عبدالله نفسه ملك افغانستان وحكم فيها مركزه وقوى نفسه

وكان احمد شاه عبدالله ابن واحد من رؤسا الافغانيين كان اخذ ماسورا في هراة ومن
ثم رقي احمد عبدالله في عايلة نادرشاه وبراعته وهمته ارتقى من درجة المسكنة الى درجة
عالية وشهرة كبيرة في الجيش ولما مات سيده نادرشاه جعل نفسه في راس اهل بلاده وقرر
رياسته وسلطانه الجم الغفير من رؤسا وكبار قومه وكان لما عاد الى بلاده ميزا اموالا جمة
صرفها مع الكرم والسخاء من دون مبالاة في هذا الصدد وفي ظرف مدة قليلة من الزمن اضاف
قندهار وقابول ولاهور الى مملكته وضمت اليه هذه النواحي بالكفاية فكانت هذه الفتوحات
سببا في وقوع زعازع كبيرة ووجل وخوف شديد في دلهي فاصطحب الوزير بالبرنس احمد
بن محمدشاه الامبراطور وسارا في راس جيش لمقاومته فالتقا الجيشان على مسافة قريبة من مدينة
سرهند ووقعت بينهما واقعة كبيرة حسر فيها كل من الطرفين خسارات جسيمة وهي ان الوزير
اصابته قلة قوس نارية فقتلته ولما وهن اصحابه وعجزوا ولوا الادبار ووقع في الافغانيين القشل
والارتباك الكبير من فرقعة مخزن من مخازن البارود بينهم فهلك منهم كثير من الوهن والارواح وما
كان النصر في هذه الواقعة لطرف من الطرفين وتقهقر الافغانيون وما جمعوا وما عقبوا العساكر
الامبراطورية في هزيمتهم وعاد البرنس احمد الى دلهي ومن قبل وصوله اليها مات ابوه محمدشاه
في سنة ١٧٤٧ بعد الميلاد من بعد ان سلطن تسعة وعشرين سنة وبلغ من العمر تسعة واربعين
سنة والظهرت المملكة الاخذة من مدة طويلة في الهبوط والاضمحلال دلايل وبراهين قرب
سقوطها في هذه السلطنة وكانت اخذة كل يوم في زيادة ضعفها وكانت تتفاقد انفصلت منها
واعلنت استقلالية نفسها في سنة ١٧٤٨ ومن بعدها بقليل غار عليها جيش مهول من المهرطاويين
وشيد الروهيلاويون مملكة مستقلة على مسافة ثمانون ميلا من دلهي واغتصبوا اهل المملكة بعض
اقاليمها الخصبة

وجلس البرنس احمدشاه على تخت دلهي من بعد موت ابوه وكانت تهجرة او رجعة الافغانيين من
فارس الى بانجاب وشدة عزم ملكهم منبع القلاقل والهواجس عند المغول قبل ان يؤتى آلا
مبراطور احمدشاه ما كان يؤمل فيه من علو الدرجات الكبيرة التي اظهرها في الحرب الاخير من
المهارة والنجابة سلم نفسه مع الخناء ودناءة الشرف لامواج بحر الخلاعة والفجور والموبقات وحصر

حصر استقلالية نفسه في طلب رضاء ومسامرة جواري المحافظين ليحفظ نفسه من جورهم وتغلبهم على ممالكه
وعهد وظيفة الوزارة العظمى الى اصف خان وكان طاعن جدا في السن وطحنته السنين والاعوام
ومن بعد عهد هذه الوظيفة اليه بقليل هلك هذا الرئيس العجوز وعندما اشيعت الاخبار بقرب الا
فغانيين صدرت الاوامر الامبراطورية الى نذير جنك بالحضور على وجه العجلة من اجل مساعدة
المملكة مع كافة ما يمكنه جمعه من القوى العسكرية ولو انه كان الابن الثاني للوزير فانه فتح حقوق
اصنه وقبض على عموم الدكهن وفي اثناء ما كان نذير جنك مع عساكره في طريق مسيره راى الديوان
عدم وجود الخطر على المملكة في الحالة الراهنة من الافغانيين حيث ان ملكهم كان مشتغلا في القسم
الغربي من ممالكه بالحروب ومن قبل وصول نذير جنك الى شواطي نهر نيربوداه صدر له الامر بالرجعة
الى اقليمه فاتفق ان ابن اخوه المدعو مظفر جنك ارضم في مدة غيابه الى شنده صاحب وفرقة
من العسكر الفرنسا وية وقام في عصاوة ضد حكومته وما كان صفدر جنك بن سعادت خان
وكان عامل اوده فيه قابلية بالكلية لوظيفة الوزارة الجليلة وكان طمع ليس تحته حد فلما عهدت
اليه وظيفة الوزارة غاب عنه رشده وزيادة على ما كان عليه من عموم الاهلية في عمالته في اوده
وفي مدة القشل والارتباك الذي تولد من غارة احمد عبدالله اجتهد على محمد في الهرب من نواحي
سرهند وقبل في روهيلكند مع غاية التبجيل والاحتفال واقام حاكما فيها ولو انها جاءت عليه
مع غاية الصعوبة وكان اول اجتهاد في حكومة الوزير الجديد توجيه التفاتاته للكبس على ما اجراه
محمد علي من صاحب عيده فكان هذا العقل سهل الاجرا لان الرئيس الروهيلاوي محمد علي مات وترك
حكومته من قبل تأييد وتمكين قواعد اساسها في ايدي ولد صغير ولاجل تنفيذ اغراضه التجأ
واحد من الافغانيين مشهور الذكر اسمه قايم جنك رئيس قبيلة تعرف بقبيلة بنجاشني ونايب
فروخ اباد او فيروخاباد فجازف قايم جنك في اجراء شغل غير موافق للاحوال الراهنة فانهزم
فيه وشرك ملقى في ميدان الواقعة بين القتلى ومن المحتمل ان الوزير مكن الدسايس بين الافغانيين
حتى هزموا بعضهم بعضا في طلبه حب طمع النفس واستحصاله على منافع نفسه ومصلحتها وبمجرد وصل
الوزير اخبار موت قايم جنك رمى قوة الى اراضيه واستحوذ على قسم عظيم منها فقوبل في
العالة هذه الجناية بما هو اهله وذلك ان اخي قايم جنك عقد محالفة مع الروهيلاويين
وجمع جيشا والتقا به مع الوزير وهزمه وجيشه شر هزيمة وصار المنصورون في هذه الحالة هم
الظالمون المعتدون فانهم غاروا على ارضه ووقعت الاختلافات بينهم في وقت دخولهم مدينة
الدابار واستخفوا بشوكته وشوكة الامبراطور وطردوا صفدر جنك من محل الى محل حتى التزم
على ان يبحث على سلامته في داخل اسوار دلهي ففي وقت هذه المصاعب التي عجزت فيها كافة
ايراداته وانقطع منه الامل طلب مع غاية الذل والمسكنة مساعدة المهرطاويين لدى وصول
هولكر وسينديا اياه بالهدايا والمواعيد ومال ملك الجات سورج مل معه في مساعدته ادمر ودخلوا
الجميع في جامعة واحدة بشروط عقد وها مع بعضهم وغاروا بعساكرهم على روهيلكند فانهزم
الروهيلاويين في واقعة سفكة دموية ونهبت اراضيهم وخربت ديارهم وطردوا اهلها وسكانها
الى الفروع السفلى من جبال هماليا باحثين على سلامة انفسهم في داخل هذه الجبال ولما تمم
صفدر جنك الوزير مقصوده بواسطة مساعديه ما رأى في نفسه طاقة ولا قدرة على صرفهم او
الزامهم بالاجلاء او الخروج من هذه الاراضي المفتوحة فالتزم على ان يسلم للمهرطاويين القسم
الاعظم منها ومن بعد نصف قرن وجد الانكليز هذه الارض خربة بالحالة التي آلت اليها من النهب
والدمار الذي حل بها في ذلك الوقت وتمم جيش المهرطاويين كافة الاعمال والاشغال التي جرى
في نواحي روهيلكند وانتصر على كل ما قابله من انواع المخاوف والدواهي في اثناء غياب المهر
طاويين من الدكهن هجم صلابت خان على ممالكهم فيها وزحف نحوها فكتب البشوا بلاجي راو
مكثرا ما شدد فيه بسرعة وصول الجيوش المهرطاوية الى الدكهن فسار هولكر في الحال الى جهة الجنوب
وبمجرد عبوره نهر الكنج وردت اليه رسايل من الوزير اخبره فيها بعقد الصلح في الدكهن فكتب هولكر
الى البشوا يعلمه باستعداده لطاعته لكنه وقف في حركته بسبب ورود اخبار الصلح اليه من طرف
الوزير وانه مستعد ومنتظر ما يرد له من مطلوباته واوامره فيما بعد ثم تولد من المظفرات التي تمت

اعمال واجراآتها في روهيلكند زيادة فية الفوايد والمنافع التي حازها راجابوتي اجير اوازمير
في كونهم استحوذوا بالرغم على بعض اقاليم خصبة التربة ما كان لهم فيها ادنى حق شرعي ثم انتهى امرهم
باخراجهم منها بهزيمة حصلت لهم من المغول وطردهم من هذه الاقاليم مع غاية الخزي والعار
والظاهر انه في وقت حصول هذه الحوادث كان ظهور احمد عبدالله في الهندوستان وكان جمع
جيشه وقواه في قابول فعبر نهر السند واخضع لاهور فحصل من مير مانو مقاومة كبيرة لم وكان
مير مانو الابن الكبير للوزير لكنه من بعد ان حشر مير مانو اشجع ضباطه والجم الغفير من عسكره
ورجاله التزم اخيرا على الدخول في طاعته ورضى ان يكون حاكم مولتان ولاهور تحت احكام
سلطنة احمد عبدالله وفي هذه الحالة صار طلب الوزير الى دلهى وعند وصوله اليها وجدان هذه
الاقاليم تنازل عنها الامبراطور للافغانيين من دون المشاورة والمداولة معه في امرها وكان ذلك
بالاغراء من نديم عزيز جديد عند الامبراطور ومن ثم فقدت المملكة كمالها فلو ما كانت حصلت هذه
الاعمال مع العجلة لكان الوزير امكنه جمع عدة المهرطا وبين طرد الافغانيين من الهند ثم ان صفدر
خان احترق كبد قلبه لما وجدانه عند عوده ما رجعت احكامه ولا نفوذه وان المحل الجديد ما زال
مستمرا في عز شوكته واداراته على الملك فكظم غيظه وربط على جرح احساساته ورمى الطواشي الى
وليمة احتفل فيها له فلما وصل اليه قتله فغضب الامبراطور احمدشاه بما وقع ما لا يليق في
حكومته واصر في نفسه على الانتقام من فاعل الجريمة وقد سبقت الاشارة انه من بعد موت اصف
جاه كيف ابنه الثاني نذير جنك ضبط الدكهن وكان ابنه الكبير غازي الدين ما زال باقيا
على قيد الحياة في ديوان دلهى الى ان سنحت له الفرصة وقدمت نفسها له وقام في طلب حقوقه
الشرعية واستحصل على جمع عدة الشبوا له وسافر من ديوان دلهى الى الدكهن مع هولكر وسندياه
ومن بعد وصوله الى اورنك اباد اصابه مرض شديد فقضى عليه فتخلص الفضل من بعد موته في
عسكره والذين كانوا معه فتفرقوا في الحال الى حال سبيلهم وتركوا ولداته بما صعب الوجوه جسورا
على غاية من المهارة والنجابة مخاطر بنفسه في كافة المصاعب والمهلكات وكان بواسطة نفوذ
الوزير ارتقى الى لقب غازي الدين ومنح في ظل ساحة ابيه وتعين رئيس العيادة فكان
هذا الشاب هو الذي جعل آلة في تمام اغراض الامبراطور وصفا صدره فلما راى الوزير
ان السعي جاري صراحة في دماره وقطع دابره طلب رخصة من الامبراطور في عوده الى حكومته
في اوده فسمح له بذلك وجحد ما وقع منه من المعروف ثم راى ان سلوكه منقطعة باتفاذ
نفسه من خزايش اعدائه بعرفة كبيرة بسيطها وعزم على التوجه الى ارضه بالقوة قاعدة الامبراطور
استعدادات في توقيف سيره وحجزه ومنعه ثم تدارك الوزيرات بقي بمدة واحد من راجات
الجات وكان معه من الصحبة من ايام مضت فلما تقوى بهذه المثابة جزم على اجراء طرق تعدية
على التخت وقام محمودا له وسار الى دلهى وحصر الامبراطور مع وزيره الجديد في قلعة
دلهى ومع ابعد حصار لبث ستة شهورا شنيعت الاخبار بقدوم عسكر المهرطا وبين تحت قيادة
ملهار راو فرضي بعقد الصلح وابقيه لنفسه استحواذه على اقليم اوده واله اباد ثم ان الوزير
غازي الدين ما رغب في رجوع المهرطا ويونه عندون ان يبذلوا بعض الخدمات فدابهم ضد
راجا الجات سوراجي مال حزب الوزير الا بقي فنفهم سوراجي مال الى قلعته وتبعه غازي الدين
في رجعته وطلب من الامبراطور طغم من الافواه النارية من اجل افتتاحه فرفض قبول هذا
الطلب بنفوذ الوزير انتظام الدولة وكانت درجة ارتقائه منسوبة اليه وكان هذا الا
الوزير عم غازي الدين وكان الوزير تقوى في هذه الحالة بمعرفة ما عليه ابن اخوه من الطمع
والرغوب وشاهد في اعماله وحشوراته بانذار شديد وصل اليه من سوراجي مال فارسل غازي الدين
رسوله من طرفه في تنفيذ طلباته ولما راى ان كافة اجتهاداته لا ثمرة فيها حض الكثير من الطبيعة
على الخروج عن النظام وما يجب عليهم من اداء واجباتهم وشرع في تحصين منازل المدينة فبرز الا
مبراطور بنفسه الى ميدان الحرب فوقع الهجوم عليه على حين غفلة وما كان احد الاستعدادات
اللازمة للمدافعة ورعيت بعض صواريخ في داخل معسكره فوقع الخوف والفشل في عساكر الجيش
وولوا مع غاية السرعة في كل وجهة تاركين للعدو كافة الحملة وما كان موجودا في المعسكر واسرع
غازي الدين مع عسكره المنصوره ودخل المدينة وحاز وظيفة الوزارة العظمى وعزل من انتظام

انتظام الدولة ثم خلع الامبراطور المنكوس وكحل عيناه وعيني امه واودعهما في سجن مظلم ضيق
واجلس على التخت حفيد من احفاد جهاندر شاه ولقبه عالمكير الثاني في اواخر شهر مايه سنة ١٧٥٤
بعد الميلاد ومن بعد ذلك بقليل مات صفدر جنك وخلفه ابنه شجاع الدولة وكانت حالة المملكة
في وقت هذه الارتباكات والمحن يرثى لها لان استمرار طول المنازعات والمجاهرات بالعداوة
والثورات وقيام الجم الغفير من الروساء على التدريج في الاستقلال جعلها مختلة الاطراف والاكناف
والخراب والعطل الذين ما كانوا تمكنوا من استقلولية انفسهم سلكوا في حكومات الاقاليم الموجودين
فيها كيفما شاؤا واختاروا وكانت لاهور ومولتان انفصلت من المملكة من قبل واستحوذ المهرطا ولوعي
على قسم عظيم من المملكة وبذلت الدكهن جهودها حتى استقلت بنفسها واسرع الاوروباويون
في قيام شوكتهم في اسفل الهند ولما دخل غازي الدين في مسند الوزارة العظمى استتب الهدو مدة
طويلة مع الزمن زيادة عما كان يؤمل تحت ادارة رجل لا راحة ولا هدو تحت اغراضه ومرغوبه
وكانت حكومته الداخلية في غاية من الاستبداد المطلق زيادة عما كانت عليه الحكومة من قبل فتولد
منه ثورة عسكرية كانت اشرفت على قتله وفقد حياته ومن شدة ما قام في العسكر من الغضب
المهول قبضوا عليه واهانوه وجروه في الشوارع من دون خوف ولا انفعال ولا علامة الا انه
في وسط هذا الكرب ما فقد حاسية عقله ولا تجزل نداء ولعن الذين هجموا عليه وسبهم
وهددهم بانهم يلزمهم ان يجاوبوا برؤسهم عما فعلوه من هذه الافعال الوقيحة وقلة الادب
فلما تخلص من هذه الرزية بمداخلة العسكر امر بقتل الذين ثاروا عليه وامر بنهب حياتهم
وضبطهم واملاكهم وكان وقوع هذه الثورة الخطرة في وقت كان عزم فيه على السفر الى لاهور
على زعم انه سيعقد زواج ابنة مير مانو حاكم بنجاب على نفسه وكان خطبها فيما سبق من قبل
موت ابوه وكانت سفرته هذه لاشيا اخرى كانت مكنونة في ضميره خلاف ما زعم به ومن
دون ادنى هياج او تشويش ضبط المدينة واسر الارملة ووكيلها وضبط كافة اموالها وارسلها
الى دلهى وهي زوجة مير مانو فعظمت مصيبتها وطعنت في زوج ابنتها قليل الدين ولعنته وانبأت
بخراب الهند وقتل اهلها وسكانها في نظير الاضطهاد الذي نالها فتحقق ما انبأت به احمدشاه عبدالله
الدوراني وكان جيشه دخل مرتان في تخيش جزيرة الهند ولما وصلت اخبار انتهاك حرمات
هذه الحرمة الى مسامع احمد عبدالله اخذه الغضب والحنق وساق جيشا كثيفا مع غاية السرعة
وعبر نهر السند فكان كلما تقدم خطوة طرد امامه ضعفا الى فخطين الذين كانوا وضعوا اخيرا
في قلاع لاهور وما زال في غارته حتى وصل الى امام ابواب دلهى وفي ظرف هذه المدة اجتهد
غازي الدين في وقوع الصلح بينه وبين حماته وتوصل بشفاعتها في الحضور امام احمدشاه
عبدالله واستحصل منه على العفو والسماح الا ان دلهى صارت عرضة ومطلبا لحالة عنيفة قاسية
من السلب والنهب والقتل وما رحمي فيها عسكر احمدشاه عبدالله لا العالي ولا الداني ولا الشيخ
ولا الصغير ولا الارامل والنسا والشبان في الذبح والقتل ولا نجى من ايدي مقاتلين نزعت من
قلوبهم الرأفة والرحمة لا ذكر ولا انثى وساقوهم جميعا تحت ذنب واحد وما اكتفى احمد عبدالله
بنهب العاصمة وقتل اهلها بل وضرب على اهل الدواب ضرايب ثقيلة ونهب ارض الجات حتى
وصل الى اسوار اكره وفي هذا الوقت كان فصل الصيف شديد الحرارة جدا ففشي الوبا في عسكره
وكانوا لا طاقة لهم على تحمل حرارة الهند فالتزم على ترك حصار اكره واكتفى بالنقود التي جمعها و
جبيها وترك الهندوستان وفي مدة مقامه في دلهى تزوج واحدة من البرنسيسات وعقد عقد
واحدة اخرى لابنه تيمور شاه ثم ان الامبراطور المنكوس توسل باحمدشاه عبدالله في كونه لا يتركه
تحت رحمة غازي الدين وزيره فصح احمد عبدالله الامور ووهد ما حسب مرغوب الامبراطور
ووضع عالمكير تحت محافظة نجيب الدولة رئيس روهيلا وكان صاحب همة ومكنة عالية وكان
حصول هذه الحركة في سنة ١٧٥٧ بعد الميلاد وعجز الامرا الروهيلايون من المملكة داس
العزيز على كل ما كان احمد عبدالله اجراه واستحقر اعماله وكان اول شي فعله هو توطيده لاتحاد
وسعدة احمدخان رانجاش رئيس فيروزاباد وكان ابوه مات في حرب مع الروهيلاويين

فعينه في وظيفة القيادة العمومية وجرد من نجيب الدولة ثم رجع لما عداه المهرطاويون وكانت
شوكتهم وقوتهم ارتفعت الى عنان السماء ولو ان بلاجي كان دخل في شروط هدنة سلمية مع
صلابت جنك كما سبق ذكره في سنة ١٧٥٢ فانه مع ذلك من كونه عقد محالفة شلاح على حسبه
ضرورة الاحوال مع اخوه الكبير وعدوه الالد غازى الدين فكان هذا الاتحاد قويا جدا حتى
من كل الوجوه ما كان لصلابت جنك مقاومته ولا قدرة على الخلاص منه ولو انه كان معضدا بالغلبة
بوسي الفرنساوية وكان لولا ان خلص من هذه العاصفة الشديدة بموت خصمه بغتة وحالا بعد هذه
الحادثة وجه بلاجي التفاته نحو الجنوب واشتبك فيه في مشاحنات وحروب وحقق بينه وبين
الفرنساوية والانكليز كما سنذكره من الان فصاعدا ثم ان اخو بلاجي المعروف باسم راجوبه
وهو اسم كان مشهور به الان اسم الوصلي راجوناث او راجوناتنو كان اشتهر امره وذاع
ذكره وصيته في خضوع اقليم الجوزرات في سنة ١٧٥٥ بعد الميلاد فارسل في السنة التالية الى
حالوه فاتفق ان الوزير وجه محاربته مع هذا الرئيس ونشا عنه وزحف على دلهى ووضع
الحصار على السراية المستحكمة فقاومت انواع هجومه زيادة عن شهر وحفظ نجيب الدولة طريق سيره
الى بلاده بنهر ننبور وهى مجاورة الى دلهى ومن الجهة الشمالية منها ومعضد له من روهيلكند بنهر
الكنج بدفعه مبلغا جسيما الى هولكر وكان الامبراطور اتخذ من قبل الاحترازات اللازمة بارسال
ابنه الذى تلقب فيما بعد شاه علم في محل امين يامن على سلامته فيه ثم فتح ابواب سرايته وتلقى
غازى الدين في صفة وزير له واستمر راجوبه مدة من الزمن مقيما في ضواحي العاصمة
الى ان طلب في حركة لفتوح مهم سهل الاجراء ولو ان هذا الفتوح كان احد الاعمال المفتخرة
او انه نسب اليه اول صعود وحصل لدرجة تقدم المهرطاويين في رقيهم واعمالهم ومن ابتداء
تاريخ الحوادث وعلاماتهم في الاضمحلال والهبوط وسببه انه من قبل ان يترك احمد شاه عبد الله
الهندوستان في سنة ١٧٥٧ ترك ابنه تيمورشاه في حكومة بانجاب وعين له وزيرا وهو
شخص اسمه جهان خان فرغب جهان خان ان يكسب لنفسه تجارب وفضائل اديته خان بك
وكان اديته المذكور رجل من اهل الفضل والكمال والهمة والمروءة العاليه والاقدام والحيل
والمكر والخدايع وكان نائب ميرمانو فطلب جهان خان اديته بك مع غاية السرعة وشدة
الطلب الى لاهور مركز حكومة عمالة بانجاب فارتاب اديته من هذا الطلب المشدد السريع
وداخله الخوف والفزع في رفض قبول الطلب فقط بل وانسحب وعمل اعمال فاعلن عليه جهان
خان بالعصيان وسعى في تيسر الحصول على القبض عليه فنجح اديته نجاحا تاما في مقاومته وصد
هذه المساعي مع عدة الشكيين له وساقه امره الى المخابرة مع المهرطاويين وكانوا في
هذا الوقت في دلهى وطالب اديته نحو دلهى دخل راجوبه في امره مع الحمية والحرارة وسار
مصطحبا بعونه ومن بعد وصوله في ارض ~~لاهور~~ تقلب النتي مع العبد الله حاكم سرهند فهزمه وتغلب
على ارضه ودخل لاهور في صفة فاتح لها في شهر مايو سنة ١٧٥٨ وعهد حكومة هذا الاقليم
المفتوح الى اديته بك ثم من بعد مدة قليلة مات اديته فنصب واحد من المهرطاويين لحكومته
الاقليم وكان راجوبه سافر قبل ذلك الى الدكهن وترك اقليم بانجاب في هدو وسكون وامن
وامان في الظاهر وصارت شوكة المهرطاويين ونفوذهم موقرا محترما في ساير اقطار
جزيرة الهند مع شدة الخوف والفزع وكان داطاجي سنديا سار في حركة متعقبا لنجيب الدولة
وبما ان نجيب الدولة ما كان له طاقة على مقاومته ترك ارضه وبلاده صيدة للمهاربين واخذ
لنفسه موقعا حصينا في شكرطيل وهى جهة جيدة الحماية على نهر الكنج واستمر فيه محافظا على نفسه
في مدة فصل الصيف واشتغل في ترتيب عقد تحالف واتحاد مع الملوك المجاورة له من اجل زوال
هذا الخطر العمومي ولو ان شجاع الدولة كان يكره الروهيلاويين الا ان الخطر الواقع حثه و
حضه على دمار اعداه ودخل في اتحاد مع نجيب الدولة بقصد انتهاز الوقت في مقاومة المهرطاويين
وما كان للمهرطاويين في هذا الوقت غرض اصلي سوى تمام فتوحاتهم الهندوستان ليسروا به
شهوة جوعهم فلما وصلت الاخبار الى داطاجي سنديا بعقد هذا الاتحاد وتشكيله ارسل من
طرفه جونقد راوو مع قوة كافية لايقاع النهب والخراب في ارض الروهيلاويين فنفذ جونقد راوو
هذا الامر مع غاية الشدة والعنف وارغم عموم روسا الروهيلاويين على الهرب والبحث عن ملجأ

ملجأ يلتجاون فيه في عطفات جبال كوماوون لحماية انفسهم وسلامتهم ونهبت الف وثلاثمائة
قرية وتدمرت وخربت في ظرف مدة قليلة شنوق عنهم فلما وصلت صيغة اخبار هذه الحالة
الفجيعة التى ال امر السكان اليها وارض الروهيلاويين التجا الى الدولة سار سريعا في راس قوة كبيرة
من اجل خلاصهم فالتقى مع الاعداء وهزمهم شر هزيمة واوقع فيهم القتل والذبح وطاردهم مع غاية
النشاط فرجعوا مرعوبين عابرين نهر جمنا وغرق منهم في هذا النهر الجم الغفير من الانفس والارواح
وكانت هذه الهزيمة شديدة الوقع على غازى الدين الا ان الخطر الاكبر من هذا كان على شرف
القرب منه وتهدد بتمام قوته وعزيمته وكان السبب في ذلك ان احمد شاه عبد الله كان في سرعة
كبيرة وحركة شديدة في السير ما اجل مدة الروهيلاويين واما الوزير صاحب غازى الدين ايضا
وبلاياه انه انكشف على مخابرة بين عالمكير واعداه واكد احوال اشتراكه معهم حتى دماره وقطع
دابره فدر في الحال في اشراء عماله العنيفة القطعية وقبض على الملك المشئوم الطالع وقتله وقتل
ايضا من انتظام الدولة ايضا واجلس على التخت صبي اسمه فرخ بخش اصغر احفاد اورنكزيب ولقبه
بلقب شاه جهان فبذل شاه علم ابن الملك الى ابن المقتول جهده في طلب معونة المهرطاويين
له ولما راى ان سعيه على غير طايل جعل نفسه الى يدى شجاع الدولة ورئيسا سما في اتحاد عقده
مع مير جعفر والانكليز في الحرب الذى كان واقعا في بنغاله وسنذكر وقايع هذه الحروب في باب
الانكليز في الهند ثم انه من بعد قتل عالمكير الثانى دخل غازى الدين تحت حماية سيراج او سوراج
مال او سوراجي مال راجا الجاتيين وانزله من حصنه وكرمه الا انه عدم حزم ورأى في واحدة
من قلوعه وانتظر في هذا المأوى ما تؤول اليه عاقبة الحرب للقبل بين المهرطاويين والعجم الافغانيين
من الافغانيين فجمع الافغانيون على قوة المهرطاويين التى كانت تركت في محافظة لاهور
وهزموها من قبل وصول الاخبار في وقتها بقربهم الى داطاجي سنديا وكانوا اوقعوا المحن والاضرار
الكبيرة في البلاد التى فتحوها واحتلوها الى ان صاروا معلومين مبغوضين وانقطعت وصول
اخبارهم الا جهة من الجهات ولو ان المهرطاويين ما كان لهم عدو يضاهيهم الا انه كان عندهم
في هذا الوقت جيش مؤلف من ٣٠٠,٠٠٠ حصان مستقر في الميدان غير انه من تمام سوء طالع
سعدهم وزيادة طالع نحسهم كان هذا الجيش مقسوم الى فرقتين على مسافة بعيدة جدا من بعضها
ومن بعد ما تم احمد شاه عماله في لاهور سار في جيشه المنصور لعبور نهر جمنا فنهض المهر
طاويون وكانوا في مخابرة مع راجا الجاتيين من اجل معونة لهم وكانت رجعتهم في طول الضفة
القريبة لهذا النهر من دون ان يحصل منهم ادنى اجتهاد في ضم قواهم مع بعضها فترك احمد شاه
عبد الله فرقة من عسكره تحايل في حركتها امام المهرطاويين ونشا عنه بما وصل اليه من الاخبار
الواقعية من طرف نجيب الدولة وعبر نهر جمنا على حين غفلة بالقرب من دلهى وهجم على الفرقة
المهرطاوية الموجودة تحت قيادة داطاجي سنديا من الجنب وبما ان المهرطاويين ما كانوا في
استعداد لمثل هذا الهجوم الشديد فانهم هزموا شر هزيمة وما نجى منهم من ميدان الواقعة الا قليل
العمراى نحو الثلث من عددهم وكان رئيسهم داطاجي سنديا من جملة القتلى في ميدان الواقعة
فلما وصلت اخبار هذه المصيبة الى هولكر اسرع في سيره نحو اكره والاراضي الواقعة في
جنوب نهر شنبل وحاد عن طريق سيره المستقيم بسبب خبر وصل اليه بوجود ذخيرة كبيرة
وارده الى العبد الله هيين فعطف في سيره اليها واخذ قسما منها واخذ الباقي ثم نهض الى مدينة
سكندره في شرق نهر جمنا وفي جنوب نهر شنبل وفي اثنا ما كان يعلق نفسه بنجاحه وسلامته
وقع الهجوم عليه من فرقة من عدوه كانت مكلفة في السير خلفه فانهزم وقتل الجم الغفير من اصحابه
وكان راجوبه في وقت حصول هذه المصايب التى حلت بالمهرطاويين معسكرا على شواطئ نهر
ما نجيره وعقد معاهدة حصل التنازل له فيها عن قطعة كبيرة من الارض في الدكهن فكان الشرف
الذى حازه في هذا الظفر اعظم له من المكسب ووقع المهرطاويون الذين كانوا يرجعون من الغارات
ان يقعوا محيطين بانفال الغنايم والاسلاب في ارتباك وتشبك ومضايقة شديدة في اخر هذا
الحرب في بنغاله وصاروا مديونين في مبلغ مقداره واحد مليون ليره وما عاد عليهم الفخر الذى كانوا
حازوه في الفتوحات الاولية بسبب ما صاروا فيه من المصاعب المالية وزادت خيبتهم باختلاف
وقعت بينهم وهو ان خال البغوا سيداشو راوو او باوو المعروف في الهند باسم الباوو كان

الحرب الاخير الذي وقع بين الافغانيين والمهرطاويين في الهندوستان وكان فيه سقوط دولة المهرطا

موجود في مركز حكومة المملكة في صفة وزير وقايد العموم في الدكن وكان استحوذ من عهد صلابت
على احمد ناجور وتم مخابراته مع صلابت جنك حفظ لنفسه بره خزايد ارضية ونفوذ بقبائل واوق
وضيق على الحكومة المغولية وشوش حالتها حتى ان الدكن ما شفت بعد ذلك من هذه الاعمال و
فتاخر بهذه الاعمال الذي نجح فيها وغرق في بحار الاعمال الشيطانية الخبيثة التي تولد منها ام
البشر واستحصل لنفسه على سعادة طيبة فوق العادة و في سبب من الاسباب تحرك عليه كبره
وعظمته وغيرته فقال له قريبه راجوبه ان الوحش الشروع في الغارة الوقية عند ما يوجد الخلاف
بين الحكومة وبين المهرطاويين في الدكن فمن الغي والعداوة التي غلظت على قلب وبصر سيداشاو
اتخذ هذا القول لعظة شرف عند راجوبه وكانت قوته العسكرية احدى القوى الكبيرة المؤلف منها
جيش الدكن فكانت عبارة عن نحو عشرين الف حصان وعشرة الاف نفس مشاة وطوبجية منتظمة
تحت قيادة ابراهيم خان جاردي وكان هذا اشتهر نفسه بالقيادة والفروسية في الحرب على صلابت
جنك وكان تنظيم هذا الجيش في غاية الابهة في الظاهر زيادة عن كل قوة من قوى المهرطا
ضعف في الحرب وذكر تمرانته روف من مورخي الهند الاوصاف الاتية التي كان عليها هذا الجيش
دونها من قبل رجل اختيار براهماني من الاجلة المحترمين كان مستخدما في الوصل في ديوان العدل
في موينة ستارة وكان اقام يوما في معسكر سيداشاو فقال ان التنظيمات الحربية التي كانت
في الحرب الاولى الكثيرة المصاريف وكان جلبها راجونالطو او راجوبه من الهندوستان استعملت جميعها
تنوع من الزخرفة والزينة وخيام مشرعة واسقف مركبة من حواشي من الحرير والسجاجيد محيشة
ايضا بحواشي من سلوك الذهب بعروض كبيرة ودواير من قماش القطيفة مدورة حول طوايف خيام
الضباط العظام وكثير من الفيلة واشكال مختلفة الالوان والاوصاف من الخيل الجياد المطهمة
باجل السروج والرخوت وكافة المهمات والذخاير والادوات والحيوانات المختلفة الاوصاف
والاجناس التي تشرح الناظر منها عند رؤية جيش هندي كانت جميعها ملمومة من كل جهة في
معسكر باو وكان ملبوس الضباط ملابس محيشة بالذهب حتى هذه الطنطنة والابهة كان
يستدل على ما كان عليه باو من الثروة والاموال التي اقتناها من دون كد ولا تعب وكان في
هذا الوقت مفقود جيش المنوال الذي كان عليه المعقول في ابهتهم وعلو درجة مجدهم التي كانوا
عليها وكذا كانت مملكة المهرطاويين في هذا الوقت في اقصى درجة اوجها فكان نهر اسط و
سلسلة جبال هماليا مشكلا الحد الشمالي لمملكة المهرطا وممتدة في الجهة الجنوبية الى الاوقيانوس
الهندي تقريبا وعموم الاراضي الواقعة في داخل هذه الحدود القاصية التي ما كانت تحت احكام
ملوك المهرطاويين مباشرة كانت تدفع لهم خراجا معلوما سنويا والبشوا من بعد ان اصبح
الاختلافات والمصادمات التي كانت بينه وبين طاره بالي وراجا نصب نفسه في هيئة وزير بالاسم
للراجا كان هو الحاكم المطلق في المملكة تحت قواعد ما كانت تحت حدود محدودة وكان مع سيداشاو
بسواش او ويشواش راو ابن البشوا ووارثه من بعده وكافة روسا البراهميين والمهر
طاويين من دون استثناء وارسل الكثير من روسا الراجابوتيين فرق من الخيل وجا عند الاف
واسرع الافواج الكثيرة من افواج الناس من اجل زيادة قوة الجيش وعدد نفوسه واحدهم
سوراجي مال راجا الجاتيين على حسب اشارة هولكر وايعازه بنحو خمسين الف مقاتل ثم ان سوراجي
مال وكانت محارباته وايقاظه في اعماله منعه من مدة طويلة عن اشتراكه في الدخول ضد الا
فغانيين نصح سيداشاو وباو واشار عليه بكونه يرمي عن نفسه الاحمال الثقيلة الموجودة
فوق ظهره ويداوم على حرب له تاثير فعال ويجعل مشاة وطوبجية وادواته الثقيلة وحملته
وراه في ارض الجات تحت حماية قلاع القوية ويشتغل في حروبه بخيله ويسلك مسلك المهرطاويين
الذي كانوا عليه من القديم في حطم وهشم عدوهم ويداوم الحرب حتى ان العبداللهيين الذين
مضى عليهم مدة شهور في بحيث جزيرة الهند يخرجوا منها الى ارضهم وبلادهم فلو ان هذه
المشورة اتبعها وقواها الفارس الجسور هولكر الا ان سيداشاو ما قبلها و انتفخ في عظمة
وورم كبره وطغى غروره من نجاحه في حربه الاول ووقع في قلبه العداوة لهولكر وامتدت الى صاحبه
راجا الجات واعتمد على بصيرة نفسه وذكاء عقله وكان مؤملا املا كبيرا في ابراهيم خان ومعه في
افتخار كبير غير مستحق بسبب اختلاف الدين وله امل كبير كان في عساكره المنتظمة وطوبجيته

وطوبجيته فتوجه بجيشه نحو دلهي وكان فيها قوة قليلة من المحافظين من طرف احمدشاه عبدالله
والشاغ وكانوا محتلين دلهي من بعد ما فر منها غازي الدين الوزير فتغلب عليها المهرطاويين
بسهولة وخالف سيداشاو مشورة الكثير من اصحابه من اكابر الروسا واخذ الذهب والفضة التي
كانت قاعة الاستقبال مزينة بها وكسر التخت ونهب السرايات وهدم الاضرحة والقبور التي كانا
لاكابر الفرس والافغانيين ورغب اعلان ويشواش راو امبراطور الهند وشجاع الدولة وزيره
ولوان كبار قومه انذروا بعدم هذا الفعل وهو اعلان ويسواس راو امبراطورا وما حصل من
انذارهم ادنى حث له على تركه فانه مال بعد ذلك لتوقيف هذا الاعلان حتى يطرد الاعداء
عابرين نهر السند فغضب سوراجي مال ملك الجاتيين من هذه الاجراات المستبدة واخذ عسكره
وانسحب الى مملكته خشية من ازدراء المهرطاويين حلاف بقت ومن ثم سار ملوك الراجابوتيين
على منوال سوراجي مال وفي هذا الوقت كان احمدشاه عبدالله معسكرا على نهر الكنج في نواحي
انوبشهر على حدود اوده دولوانه قضى فصل المطر في هذا الموقع فانه ما كان توجه الى هذا
الوقت بشن الحرب بل كان منتظر همة الروهيلويين وعزته لتجنيب الدولة من اجل توطيد
اشتراك شجاع الدولة معه في اعماله وكان شجاع الدولة مضطرا على اعلان حرب على المسلمين فتجنبه
هذا الامر بالنظر لكون من منافعه ومصالحه ودرجة العداوة التي كانت واقعة بين ابوه صفدر
جنك وبين احمدشاه عبدالله فبواسطة تداخل نجيب الدولة ونفوذه في هذه المادة حصلت
المسالمة بين شجاع الدولة واحمدشاه وربطت علاقات المودة بينهما واتحد شجاع الدولة مع العبد
اللاهيين وصار شجاع الدولة مركزا للمخابرة عمومية امتدت مدة شهور بين الامم المتحاربة
وكان معسكر سيداشاو ميرزا ابن الغائب شاه علم في محله امبراطورا وجعل شجاع الدولة وزيره
ثم سار الى كنجبوره وهي مدينة في جودة التحصين والاستحكام على نهر جومنا وعلى ستين
ميل فوق دلهي فتغلب عليها سيداشاو عنوة امام عيني احمدشاه وكان اسرع في سيره لمساعدتها
فلا قرب منها نفذ اختيار عاقبة امرها وقتل سيداشاو عموم محافظي الروهيلويين الذين كانوا
فيها بالسيف صبرا فقام الغضب في وجه الامبراطور من نتيجة هذا الفعل الفظيع وعول على عبور
النهر وفي ١٧ اقطوبر سنة ١٧٦٠ فك احمدشاه معسكره وسار طول الليل وفي اليوم الثاني
عسكر عند مخاضة بنجبوت على مسافة نحو عشرين ميلا من دلهي فوجد في هذه المخاضة طريق
يمكن وضع القدم عليه وفقد الكثير من الخيالة ارواحهم في الاجتهاد في عبور النهر من شدة
سرعة تيار المياه وكشف في اليوم الثالث مخاضة اخرى غيرها ضيقة جدا واجتازها غزيره
الذي يغرق فيها كل من زلت قدمه في كل جهة من جهتيها فبواسطة هذه المخاضة وعموم العسكر
صار تعدية الجيش في ظرف يومين الا انه فقد الكثير من الانفس في اجراء هذا المشروع الجسوري
وحصل للمهرطاويين وكانوا تغلبوا على كنجبوره بقصد المحافظة على مخاضة النهر والهجوم على
العبداللاويين الخزي وتمكن الرعب والفشل منهم في قلوبهم من نجاح تعدية الجيش مع الجسارة و
الكراهة وانهزموا من موقعهم وعادوا الى بانيبوت وكان وقع عليهم هجوم في هذا الموقع حفروا
فيه التي تقي من انفسهم والخندق من العدو ووضعوا معسكرهم في بانيبوت وخندقوا عليه وعلى
المدينة بخندق عرضه ستين قدما وعمقه اثنى عشر قدما وخلفه متاريس استحكامات متينة ودروة
قوية الاستحكام ركبوا فوقها الافواه النارية وعسكر احمدشاه على بعض اميال منهم وحفظ
متاريسه بالليل بفروع وجذوع من الاشجار المقطوعة وكان جيش احمدشاه مؤلف من ٤١٨٠٠ حصان
و ٣٨٠٠٠ من المشاة و ٧٠ فوهة نارية والجموع المتطوعة الموجودة عنده لا حصر لعددها واما
جيش المهرطاويين فكان مؤلف من ٥٥٠٠٠ حصان و ١٥٠٠٠ من المشاة بما فيهم عساكر ابراهيم
خان و ٢٠٠ فوهة نارية خلاف المتطوعة والتبع فانه قيل ان عددهم كان يبلغ ٢٠٠٠٠٠
نفس فتولد من عدم تعادل القوى منع الافغانيين من هياج وواقعة في هذه المدة ووقفت
فيها حركات الاعمال واخذ الارتباك كل يوم في الزيادة في معسكر المهرطاويين وشدة للضايقة
عليهم وقصدوا [illegible] جوفند راو بوندبلا مع عشرة الاف نفس في كونه يخرج خلف جيش
احمدشاه ويشن الغارة عليه ويقطع عنه كافة ذخايره ومؤنته ومواصلاته فادى هذه الخدمة
ونفذ مفعول الامر الذي صدر له مع غاية الشدة حتى عجزت المؤونة في معسكر احمدشاه وغلت الاسعار

الافكونوث الى ان وقع الهجوم من طرف معسكر احمد شاه على جوفنند راوو وقطعت راسه ورؤس رجاله
وجلبت راسه الى احمد شاه فما وصلت هذه المصيبة الى معسكر المهرطاويين على صدرخ فخطب لـ و
خبر اخذ عسكر احمد شاه والفنق حصار كانوا ارسلوا الى دلهى من اجل جلب نقود الى المعسكر
وضعوا طريقهم ووقعوا فى ايدى عدوهم وقطعوا مرة واحدة بالسيف وما نجى منهم الا شريد
الطريد وفى ظرف ثلاث شهور مضت والجيشان فى هذا الموقع كان يجرى كل يوم تعبئة الجيوش
واصطفاف الافواه النارية وطلق نيرانها من الطرفين وحصول مناوشات بين الخيالة و
بعضها وفى ظرف هذه المدة حصل عند الجيوش الحدة والحرارة فى الاعمال ولوان المناوشات
كانت جارية فكان المهرطاويون هم المعتدون وفى الاعمال والوقايع التى حصلت حوادث جديرة
بالذكر وهى انه فى ٢٩ نوفمبر هجم خمسة عشرة الف مقاتل من المهرطاويين على الجناح الايسر
لمعسكر الافغانيين وكان الوزير مقيما فيه فانكسرت رجاله وقتل منهم الفى نفس فاسرع عموم
المعسكر عونه فتحرك من المهرطاويين الفى نفس واسرعوا فى القهقرة الى متاريسهم وكان هولكر
هو القايد لهذه الحركة وكانت المحاربة الثانية الهامة فى يوم ٢٣ من الشهر المذكور كان الوزير
توجه لاداء صلاة الفريضة فى مسجد فى جانب المعسكر فهجم عليه فرقة قوية من المهرطاويين مع
الشدة والعنف فانكسر الخفر العسكرى الذى كان معه وما بقى معه الا قليل من الخيل من اجل حمايته فى خطر
مع نفر منهم مع الشجاعة الى ان اتاه الامداد تحت قيادة اشجع الرؤساء وزحفوا الخوص وحارب
المهرطاويون مع الشجاعة المعتادة عندهم وفى اثناء ما كانوا على شرف اكتساب النصر اصيب
قايدهم بعيار نارى فى اخر النهار فانهزموا اسفين منكسرين حاملين معهم جثة رئيسهم او
انهم سبقوا ارض الميدان بقتلى من اعداهم بلغت نحو من ثلاثة الاف قتيل وكانت الحادثة الثالثة
فى الوقع وينجر الى له مثل المتقدمتين واثبت احمد شاه عبد الله شهرة نفسه وحقق امال المسلمين
فيه فى الهندوستان وكان يفعل كل شى ما كان لامير القواد طاقة على فعله وكان المسلمون
واثقون بتدبيره ومعتمدين عليه فى اعماله واموره وكان ملجأ لتمام الحركات والمقصود من
التدبيرات فى هذه الحروب وكان النظام العام الرفيع الدرجة فى المقام مستتب فى معسكره
وكانت اوامره مطاعة منفذة المفعول هكذا ذكر المورخون وكان مستقر على الدوام فى حركته
وما كان عنده تردد ولا تاخير طرفة عين فى تنفيذ اعماله ووضعها فى موضع العمل ومن ثم كان
حالة الجيشين جارية من الصباح الى الساعة التاسعة او العاشرة من الليل فى مناوشات و
مضاربات فى ظلمة حالة رؤساء الصفوف من هذا التاخير واخيرا ما حصل عندهم طاقة فى تحمل

المقصود هنا هم المسلمون انتهى مؤلفه

الصبر فعرضوا على احمد شاه انه يجرى مع المهرطا حركة واقعة فاصلة امالهم واما عليهم
فاجابهم مع الثبات بقوله ان هذه مسايل حربية لا دراية لكم بها اعملوا ما شئتم فى الاعمال
الاخرى واتركوا امثال هذه المسايل لى لان الاوراث العسكرية والاعمال الحربية لا يلزم الشرعة
فيها ولا المجازفة والمخاطرة والوقوع فى هلكات باجراها وسوف ترون انى ساجرى هذه الحركة
فى الوقت الموافق الصالح لاجراها فيه عند سنوح اول فرصة انتهزها وفى مدة الزمن الذى كان
امام المهرطاويين كانت له خيمة صغيرة حمراء مضروبة على مسافة ميل امام معسكره فكان
يتوجه اليها كل يوم فى الفجر ويصلى فيها صلاة الصبح ومن بعد اداء هذه الفريضة يستوى على
ظهر حصانه ويصحب ابنه تيمور شاه وفرقة قليلة من الخفر ويدور على كل محطة وكل فرقة ويقول
ويكشف حالة العدو واستنهم كل شى من الاعمال العسكرية فى تدبيره وفعله وتفتيشه فكان
يقيم النهار كله فوق ظهر حصانه ما عدا فى وقت اداء الفريضة من الصلوات ومن قبل نزوله من
ظهره فى الليل يكون قد قطع خمسين او ستين ميلا فى دورانه وكان يرتب فى الليل خمسة الاف حصان
على مسافات ملايمة من بعضها من معسكر العدو فى صفة فرقة الخفر والملاحظة فكانوا يلبثون
فى مواقعهم ومراكزهم تحت السلاح الى طلوع الفجر واخرون من الخيل طوافون حول المعسكر وكان
احمد شاه يقول للعرب الهندوستانيين استريحوا وناموا دائما ملازم الحرس على افقكم
فلا حذر ولا خوف عليكم بحول الله وقوته ثم ان نتيجة الاحترازات التى اتخذها احمد شاه فى
الحالة لمقاومة ارباب اللجاج والحض على اجراء واقعة فاصلة جعلت امالهم عندهم من اجل
التدبيرات السياسية واتضح لهم جليه زكاه وحسن تدبيره وحزمه وعقله وجرأته باعمال الحرب
وفنونه ومن الارتباك والحيرة التى ظهرت له عند عدوه حتى صار فى حالة ضيقة شديدة

شديدة لا صا عد له منها رأى انه لا يمضى على عدوه مدة قليلة حتى يسلم نفسه ليديه وفى غاية
هذه الاحوال الشديدة رأى سيداشاو قايد المهرطاويين انه يستحيل عليه اخراج احمد شاه من
موقعه الى واقعة عمومية فاصلة وان كافة الاوبشارات ولعله هى التى اجراها بواسطة شجاع
الدولة جاءت على غير طايل وكان احمد شاه يجاوب على كل شى كان يعرضه عليه شجاع الدولة فيما
يتعلق بالمسايل الحربية بقوله انا واحد حرب فقط وليس لى شى فى نفسى وليس لى من الامر
الا قيادة الحركة العسكرية والى تركت لملوك الهنود المخابرات وحل المعضلات وكان الكثير من
ملوك الهنود مايلين لاعادة السلم والتوافق الا انهم كانوا مضطرين فى هذا المطلب مع العنف
بالقليل منهم وكان هولاء على رأى انهم يصيروا عرضة للدمار والخراب لو اخشى الافغانيون
وصارت كامل الشوكة فى ايدى المهرطاويين وكان معسكر المهرطاويين محكم الخفر والملاحظة و
ممنوع من ان يصل اليه اى حملة او رسايل من ذخاير او رجال امدادية او عون والحرم من
وصول المؤن والرجال تخرج فى ليلة من الليالى من معسكرهم نحو من عشرين الف نفس من توابع
المعسكر فى طلب المؤنة فهجم عليهم عدوهم وقطعهم عن اخرهم فانتشرت هذه الاخبار المحزنة
مثل لهب النار فى معسكر المهرطاويين فاحاط الرؤساء والعسكر فى جم غفير برئيسهم سيداشاو
وصرخوا وصاحوا باصوات عالية وطلبوا منه سوقهم لميدان الواقعة فان الموت فى هذه الحالة
اهون لهم من هذه المهنة القبيحة فقوى عزمهم ووطد امرهم وفى وقت انفضاض المجلس فرق
عليهم الفوفل والتنبول (المصنف) كما كانت عادتهم واصدر اوامره بالاستعداد للحملة فى فجر صباح
اليوم التالى فمن ثم جمعوا كافة الحبوب التى كانت موجودة عندهم وخبزوها اكلة واحدة كاملة
فى الليل وفى الساعة التى قبل طلوع الفجر فى ٧ يناير شرعت العساكر فى الحركة وطوبجيتهم فى مقدمتهم
واستعدوا جميعهم للشر واظهروا قطع الامل والقنوط من حياة انفسهم ولا تحملهم الذل والهوان
واسبلوا اطراف عمايمهم على ظهورهم ومن قبل صدور الاوامر بحركة المشى كتب سيداشاو بلاغا
فى غاية الاختصار وارسله الى قازى راوو بتوسط من اهل الدكن يعرفه فيه بلاغه للمهرطا
وكان له بعض اصدقاء فى جيش المهرطا وكان قازى راوو فى هذا الوقت فى خدمة شجاع الدولة
ان الكاس طفح ولا يمكن له ان يسع نقطة واحدة فان كان ممكن فعل شى فاسرع بعمله او يكون الجواب
صريحا فى الحال بما انه الان لا يوجد وقت للمكالمة ولا للمخابرات فوصلت هذه الرسالة الى محلها فى
الساعة الثالثة من بعد نصف الليل فارسلت الى احمد شاه ومعها خبر ان عدوه زاحف للهجوم
عليه فاستوى فى الحال على ظهر حصانه وكان مسرجا ملجما على باب صيوانه وسار فى مواقع معسكره
وامر باستعداد عسكره وتعبئتهم تحت السلاح وطلب حضور قازى راوو عنده فاكد له صحة الخبر
الذى ارسل اليه واكد له ايضا ان المهرطاويين تركوا متاريسهم وخنادقهم وانهم على شرف الهجوم
على جيشه بمجرد انشقاق الفجر وبزوغ النور وفى اخر هذه المحادثة حضر بعض العبد اللاهيين وخيولهم
محملة بغنايم واسلاب من معسكر المهرطاويين واخبروا ان الذين كانوا فيه هربوا منه ثم سمع
طلق الافواه النارية على حين غفلة فى المواجهة فتحقق له حقيقة الحالة فحالا سمع احمد شاه اصوات
حملة الهجوم وكان راكبا فوق ظهر حصانه وفى يده شبق فارسى يشرب فيه الدخان فناوله
الى خادمه وتحقق من كافة ما اخبره به قازى راوو فارسل الى الوزير الكبير شاه والى خان
وشاه ويسند خان وامرشه وبسندخان بانه يوقف فرقته بحربيا رنجيب الدولة وان يكونوا نهاية
الجزا فى تلك الناحية وامر الوزير ان يكون مع عسكره فى القلب ورتبه برخوردار مع بعض الرؤسا
فى الجناح الايمن وقسم عموم عساكره الى تسع جذات وصف ارباب البنادق والطوبجية فى
المواجهة وكانت وجوههم موجهة نحو الغرب وتعينت قوة المهرطاويين فى ثمانى جذات وصفوا
طوبجيتهم فى المواجهة وكانت وجوههم موجهة نحو الشرق وكان ابراهيم خان مع عسكره فى نهاية
الجناح الايسر وسندياه فى الجناح الايمن وسيداشاو مع ويشواش راوو وجاسونت راوو
فى مواجهة الوزير الكبير والعلم الاكبر للوحة المهرطاويين يرفرف فى مواجهة الجيش وغطى انكث ر
جناب الفيل على هيئة زحف الجذات وكان سيرهم للتقدم مع غاية بطء الحركة وانتظارها ونصف احمد
شاه مقيما فى خيمته الصغيرة الحمراء فلما زحفت عساكره الى الامام صارت هى فى الخلف ولما قرب
الجيشان من بعضهما توجه ابراهيم خان راكب فوق ظهر حصانه الى سيداشاو وسلم عليه وقال له
انك مدة طويلة غضبان منى من اجل اصرارى على صرف مرتبات رجالى حتى هذا اليوم اريد الان
رجالى مستحقة صرف مرتباتها وقام فى وجه الغضب وامر مدافعه وبنادقه بعدم ضرب النار وسار

في رأس طوابيره والسونكيات مركبة في البنادق وزحف من دون خوف ولا فزع الى الهجوم والحملة
وزعق المهرطاويون بصوت الحرب هر هري هر هري فطن هذا الصوت في آذان المسلمين وكأن
هذه الحملة المهولة موجهة على القلب وفيه عسكر الوزير مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل بما فيهم الخيل
وكانوا هم الروهيلايون فتلقوا الحملة بعزم شديد وقلوب قوية مع الثبات والشجاعة وتلاحم الحرب
حتى بطل العسكران بعضهما بعضا وصارت المضاربة يدا بيد الا ان عدم انتظام شجاعتهم ومخافة الى
ما وقع فيهم من التلفيات فقدت منهم ثمانية آلاف قتيل ومجروح وادام الحملة الى هذه الحالة المهولة
حتى انه ما حضل مع القواد الا القليل من عسكرهم وكانت اجناب العسكر المشاجرة محجبة في اثناء هذه
المحنة مع الجراءة بعد قتيل اوطا بورين امرها ابراهيم خان بهذه الحملة ولو ان الافغانيين كروا ووجهوا
اجتهاداتهم عليهم فما تم صدودهم في هجومهم فرار اكثر المهرطاويون الجناح الايمن للوزير الكبير وكشفوه
وعرفوا اصطفافه وفي هذا الوقت وقع الهجوم عليه من سيداشاو وويشواش راو وكان معهم زهرة
عسكر الجيش المهرطاوي فاشتد الكرب وزاد الخطب واختلط الجيشان ببعضهما وعقد عليهما غبار الجو
وصارت العسكر لا تفرق بعضها بعضا ولا الغالب من المغلوب الا كانوا يعرفون بواسطة اصوات الحرب
فكان المسلمون يزعقون بصوت يا الله يا لدين محمد والمهرطاويون يصرخون هر هري مهاديو
وكان لهذه الزعقات والاصوات علو شديد في الجو فنزل الوزير مسا فوق ظهر حصانه الى الارض
وصار يحث اصحابه وعسكره ويحرضهم وهو في رأسهم فاخذوا بمثاله وساروا على منواله وزعق على
الذين كانوا متكثرين في الهرب من عسكره وصرخ فيهم وقال لهم يا اخواني بلادنا بعيدة والى اين
تفرون وقتل ابن اخوه الفارس الطاي بجانبه والزمت عسكره على الهرب واستمر محافظا على مركزه
ومعه نحو ثمانية او اربعماية من الخيل الذين فضلوا معه في كل قوته فكانت هذه الحملة مع الحالات الشديدة
للمعركة القاسية وقنط الناس من الحياة جزما واستمرت نكبات عسكر متوالية حتى ادرك اعتا ابراهيم
خان هلك وانجرح ابراهيم خان جروحات شديدة من السنان والرماح وانجرح جرحا آخر من عيار
ناري اصابه وارسل الوزير الى شجاع الدولة من اجل اسعافه بالنجدة والامداد وأكد له ان لم يسعفه
بالنجدة وارسال الامداد والا فانه هالك لا محالة فلو ان شجاع الدولة امر الفرقة الباقية بالحملة
للنجدة فانه امتنع من تقديم المدد للوزير واعتل بان العدو قريب جدا منه وربما ان العدو
يهجم عليه فتعم عواقب الشر والضرر على كل الجيش اذا وقع منه ادنى حركة في هذا الوقت ويملك العدو
حتى خرق صفوف المذا وكان الجناح الايسر للمسلمين مازال باقيا من دون ان يقع به شيء يكسره و
استمرت الواقعة لحد الظهر وحال النصر نحو المهرطاويين وعرف احمد شاه في هذه الاثناء الشديدة
حالة الضيق وشدة الاحوال في القلب وفي الجناح الايمن وصعوبة الموقع الموجود فيه الفارس وزيره
فاظهر في الوقت طاقته ومكنته وبراعته العسكرية واتخذ الاحترازات الضرورية في ترتيب قواه لمداواة
ما وقع من الضرر والانحطاط التي حصلت بعساكره وارسل من العسكر الاحتياطية عشرة آلاف لنجدة
الوزير واربعة آلاف لنصر الجناح الايمن فتوجه القول الاول مع سرعة السير وسيوفهم مشهورة في
ايديهم وامر في هذا الوقت الخدام الموجودة في الجناح الايسر بالهجوم على جنب العدو في وقت هجوم
الوزير عليه من المواجهة فاجريت هذه الحركات مع تمام المقصود وصار الوزير في موقع الهاجم لا
المهجوم عليه ولو انه انصد جملة مرات في هجومه وفي اثناء ذلك ارسل احمد شاه خمسة آلاف من عسكره
الخاصة الى معسكره ليطردوا من خيام المعسكر كافة الناس الذين معهم سلاح في داخل المعسكر والف
وخمسماية نفس من اجل منع الهاربين والفارين من ميدان الواقعة وقتل كل انسان لم يقبل العود
لميدان الحرب وبواسطة هذه الاوامر والاحترازات رجع نحو من ثمانية آلاف نفس تفرقت بها عساكره
واستمرت الواقعة نحو ساعة اشتد فيها الحرب من الطرفين بالرماح والسيوف والبلط والخناجر وحتى
السكاكين ولو ان المهرطاويين كانوا اتخاف الاجسام وما كانوا في قوة وجسامة الافغانيين
فانهم اظهروا شجاعتهم في هذا اليوم المهول وما حصل اللوم او القدح في واحد من رؤسائهم ما عدا
هولكر فانه ولو ان شجاعته كانت لا تنكر الا انه طعن في صداقته لقومه واتفق عموم الناس على
انه ما ادى ما كان يجب عليه لملكه في هذه الواقعة العسرة وفيما بين الساعة الثانية والثالثة من بعد
الظهر انجرح ويسواس جرحا مهلكا ووقع من فوق حصانه فاركبه سيداشاو على فيله وركب هو حصانه
العربي المشهور وشجع عسكره وقواهم ومد حركة الواقعة نصف ساعة زيادة وهو في رأسهم ولما رأى
لنفسه عدم الخطر في مدة الحرب غطس في الميدان وما ظهر من بعدها قط ولذلك عموم جيش المهرطا
ظهروا ظهرهم لميدان الواقعة وشرعوا في الفرار في حالة مسرعة وكان ميدان الواقعة مستورا او مغطى

ك ج
٣٦
تاريخ الهند من
البحر الزاخر
محمود فهمى

مغطى بالرمم والقتلى والمجروحين فتبعهم المسلمون مع شدة الغضب والحنق في كل جهة على مسافة خمس عشرة
او عشرين ميلا وقتلوا منهم الوفا مؤلفة وسبوا الرجال والنساء والاطفال الذين لا ذنب لهم ولا جريرة
وكانوا هربوا من اجل حماية انفسهم وسلامتهم في مدينة بانيبوت في جبال الاسر والذل والهوان الى الا
فغانيين فقتلوا الرجال وباعوا النساء والاطفال في اسواق الرقيق وبنوا من رؤوس القتلى اهرامات
وابراج تذكارا لنصرة هذه الواقعة الجليلة وكانت نتيجة هذه الواقعة ان قتل من معسكر المهرطاويين
مائة الف نفس وقتل الافغانيين العدد الذي لا يحصى ولا يحصر من الذين هربوا من ميدان الواقعة
والذين قبضوا على قيد الحياة قتلهم الزميندارات او ارباب الاراضي وروي ان الافغانيين بنا
على ما اجروه من العنف والقسوة لما كانوا خرجوا من بلادهم وتركوا فيها اباءهم وامهاتهم واخوانهم
وازواجهم رغبوا الجهاد في سبيل الله في الكفار وقتلهم حتى يرضون الله سبحانه وتعالى وكانت الغنايم
والاسلوب التي وجدت في معسكر المهرطاويين لا تعد ولا تحصى وساق كل عسكري من عساكر الافغانيين امامه
ثماني جمال محملة بانفس الغنايم وجنبوا الخيل مع اسراب وقطايع الاغنام والفيلة في عدد لا يحصى وسار
الضباط الصغار والمتطوعة في طلب السلب والنهب خلف المهرطاويين في كل جهة ومما وقع من احمد شاه
انه سعى او كف في منع هذه الفظايع المهولة بل وافق على اجراها قلبا ولسانا وشدد في البحث
والفحص على جانكوجي سنديا وكان بلغه انه مختفي عند واحد من الافغانيين ولما قبض عليه امر
في الحال بقتله والزم شجاع الدولة على تسليم ابراهيم خان واودعه في السجن من بعد ان لعنه ووبخه
وخلص ابراهيم خان من شر احمد شاه وغضبه بموته في سجنه من بعد مدة قليلة في سجنه من شدة
جراحاته ووجدت رمة ويسواس راو فلما طلبها احمد شاه من شجاع الدولة فداها بمبلغ مقداره
الفي روبية وامر بالحي وقطع عليها ووضعها امام خيمته وصار من امامها عموم عساكر الجيش الافغاني
فقال الافغانيون هذا هيكل الكافرين نرغب تجفيفه وتنشيفه ونأخذه معنا الى كابول فرضي احمد شاه
بذلك فحثه شجاع الدولة على كونه يأمر بحرقها وعلى مسافة عشرين ميلا من ميدان الواقعة وجدوا
جذع رقبة مقطوعة فرأوا فيه علامات مخصوصة قيل انه جذع رقبة سيداشاو وانقرض في هذا الوقت
تقريبا رؤساء المهرطاويين والذين فضلوا على قيد الحياة بخلاف الذين فضلوا ما دونا قوة في
والي كان هولكر المطعون فيه بالخيانة وعدم الصداقة لقومه ومهاجي سنديا الذي اسس
فيما بعد مملكة كبيرة وناناقرناويس فهؤلاء استمروا في خدمتهم مدة طويلة من الزمن عاملين
للبشوا واكرم سوراجي مال ملك الجاتيين الذين هربوا من المهرطاويين الى ارضه والتجأوا لحمايته
وتذكرة هذه الرحمة معززة لحد اليوم عند المهرطاويين ولها يحيى احترام ومعزة زائدة عند المهر
طاويين والجواب او المكتوب الاولي الذي وصل ليد البشوا في وقت تقديمه من نهر نيربوداه واستدل
منه على اخبار الهزيمة هو ذاب لؤلؤتان وضاع سبعة وعشرون جنيها من الذهب ومن الفضة والنحاس
الذي رميت وفقدت شيء لا يمكن عده ولا حصره فعرف من هذه الالفاظ موت ويسواس وسيداشاو
والضباط والعساكر ولما وصلت اخبار هذه المصيبة في ارض المهرطا اندهل الناس وعم الخوف
والفزع وصار في كل عائلة تنعى فقد اولادها واقاربها وما حصل للبشوا من هذه الرجة و
الرجفة وسار على الهوينا حتى وصل بونه ثم اخذت حالته في الضعف واخيرا نهزلت قواه الطبيعية
وضعفت احساساته ومات في اواخر يونيه في معبد نبربوطي وكان مشيدو في ضواحي مدينة بونه
ونهض ما بقي من آثار الجيش الذي كان في غاية الابهة والاجلال وراء نهر نيربوداه وانجلا المهرطاويون
من الهندوستان الاصلية وما عادت دولة البشوا من بعد هذه الضربة ابدا ولما حال احمد شاه لاجتناء
ثمار ظفره انه حصل له الوهن من شقاق ونزاع قام في معسكره وطلب الثائرون الرجعة والعود
الى كابول فاقعد اربعين لكا من الروبيات في نظير مدعاته وبجر ما خلص ملوك المسلمين الوطنيين
من الاهوال والمصائب التي كانت هددت استقلالية انفسهم انحل ما كان واخفا من ربط الاتحادات
التي كانت بحثت حديثا ومن بعد هذه المدة انقرضت شوكة استقلالية الدولة المغولية وصار الامبراطور
لعبا في الاسم فقط وسنذكر في باب تاريخ المملكة البريطانية في الهند ما آل اليه امر تاريخ مملكة دلهي
ومن قبل ذكر تاريخ المملكة الانكليزية في الهند نذكر بابا يشتمل على اربعة فصول تختص بالامم الغربية
التي وفدت على الهند من الاوروباويين والفرس =

الباب الثالث

وجود البرتغاليين والفلمنكيين في الهند ونزول الفرس بها والمعاملات التجارية والسياسية الروسية مع اسيا الشرقية

الفصل الاول

وجود البرتغاليين في الهند وفي اسيا الشرقية

ولما اني ذكرت في مبادي الجزء الى مس من هذا التاريخ ما اجراه البرتقاليون من المشروعات والاستكشافات البحرية حتى توصلوا الى الاراضي الهندية الوائه يلزمني ان اذكر هنا ما فيه الكفاية من اعمال هذه الامة حتى يستوفي مطالع كتابنا هذا من اخبارها ما يشفي الغليل ويكون على خبرة تامة بما وقع منها من الاعمال في المدة القديمة فاقول وعلى الله المتكل ان البرتقال مملكة صغيرة قليلة الخصوبة يعني الغنية والثروة كائنة في احد اطراف اوروبا وما كان لا اصلاحية في عمل من الاعمال الكبيرة المهمة لهذه القارة فمن ثم كان تاريخها مظلم معتم لكونه تحت احكام الحكومة الرومانية كان اللوسيطانيون مشهورون فقط بشدة ما كان عليه من البربرة والهمجية وفي مدة القرون المتوسطة انحطوا واندرسوا تحت فاتح المسلمين وذلك ومن بعد تغلب المسلمون على كامل بحيث جزيرة اسبانيا تقريبا قام في القسم الغربي منها مملكة عرفت بمملكة البرتقال وفي القرون الاخيرة حلت بهم المظالم وثارت فيهم الثورات فدخلوا في محاربات مع الامم الاخرى المشهورة وصارت مملكة في اخر الممالك الاخرى الاوروباوية ثم بعد ذلك اخذت هذه المملكة في درجة الارتقاء حتى وصلت الى الموقع والمحل الموافق لها ليس في العزة والسلاح فقط بل وفي كافة الفنون والاعمال الجليلة التي سلكت فيها وكانت هي السبب الاصلي في ظهور الدنيا الجديده (امريقا) ولبث البرتقاليون مثل جيرانهم الاسبانيون في محاربات مكثت سنين عديدة الى ان طردوا من ارض مسقط راسهم الامة الحربية الكبيرة الاسلامية التي كانت تغلبت على بلادهم واذلوهم وكانت العقايد الدينية التي كان البرتقاليون متمسكون بها في الاصل هي السبب الاصلي في هياج العزة والحمية فيهم حتى قاموا واجتمعوا في جامعة واحدة وخلصوا بلادهم من اعداهم وقال احد الكتاب ان مملكة البرتقال تأسست على دماء الشهداء من اهاليها ومدت شوكتها على الكرة بدماء الشهداء لان اسم البرتقال اسم دال على الذين حاربوا اعداء دينهم وماتوا شهداء في حب اوطانهم وقيل ان هذه المملكة صارت في هيئة مملكة مستقلة وظهرت في حالة الوجود في مدة سلطنة الدون الفونسو المعروف عند المسلمين بالاذفنش ملك قشطيلة وليون وكان هذا الملك زوج ابنته الدونه تيريسه لواحد من شجعان الاعراب اشتهر اسمه وذاع ذكره وصيته وارتقى الى درجة عالية رفيعة بما حازه من درجة الاستحقاق وجعل الدوق الفونسو صداق ابنته الاقليم الكائن في حدود مملكته وكان اغتصبه من عهد حديث من المسلمين في اسبانيا وفتحه وتغلب عليه واطلق عليه اسم كونتية او امارة ومن بعد ذلك مضت مدة مقدارها نحو من ماية سنة ما وقع فيها في تاريخ البرتقال حادثة او واقعة مهمة وفي سنة ١٢٨٩ بعد الميلاد قام بينها وبين قشطيلة اختلافات فما حصل توافق من بعدها بين الاثنين مطلق وفي مدة سلطنة يوحنا الاول وكان تزوج برنسيسة او اميرة انكليزية وهي فيليبة ابنة يوحنا دوق لنكستر غار على البرتقال جيش من قشطيلة مؤلف من ٣٠٠٠٠ مقاتل فانهزم واخذ البرتقاليون بثارهم من الاسبانيين فكانت النتيجة عقد معاهدات صلحية امتدت الى ما شا الله وكان توفيق هذا الحرب سببا في ان ملك البرتقال يوحنا الاول انتهز الفرصة بما كان عنده من الطاقة في مشروع غارته على مسلمي بلاد البربر والغرب في سنة ١٤١٤ بعد الميلاد وباشر الحرب بنفسه وحصل له الظفر والنصر وتغلب على مدينة سبته

مطلب حرب البرتغال مع البربر

سبته فاستولى على قلعة اهلية موقعها ولو ان مجلس دولته حثه على تركها فانه جزم على المحافظة عليها ووسعها وحصنها وحكم موقعها احكاما قويا وشحنها بحامية مؤلفة من ستة الاف من المشاة والفان من الخيل وراعى ان هذه القوة فيها الكفاية التامة لصد كل هجوم يقع عليها من مسلمي البربر وفي السنة التالية سعى البرتقاليون واجتهدوا في التغلب على طنجة من اعمال الغرب لاكنهم خاب سعيهم وحصر المسلمون البرتقاليين واخذوا ابن الملك الدون فرديناند رهينة عندهم الى ان يستلموا من البرتقاليين مدينة سبتة فرفض الملك ومجلس البرتقال دفع هذا الشرط في تسليم المدينة واستمر البرنس ابن الملك عرضة لغضب المسلمين واستمر الحرب في بلاد البربر مدة طويلة من الزمن كان البرتقاليون فيه قليلي النجاح والظفر وكان يوحنا الاول اعد عمارة صغيرة وجهزها لقارة البربر من اجل كشف ساحل مراكش وخط ساحل قارة افريقية فنجح ملاحي البرتقال في اسفارهم في طول الساحل حتى وصلوا الى راس نون فكان هو النقطة النهائية المعروفة عند الاوروباويين في ذاك الوقت وكشفوا مسافة عظيمة من الساحل الغربي لافريقية وآلت الحالة معهم اخيرا كونهم تعودوا على الاسفار في طول الساحل حتى منعتهم الجروف العالية المهولة الكائنة حول راس بجادور والامواج الكبيرة المهولة المتقدمة عليها الوانه تولد من هذه السفرة احيا نفس وشجاعة قلب وتقوية جسم في عمل استكشافات اخرى بعيدة في المستقبل باشرها واحد من العايلة الملوكية فكانت سببا في نشر صيته واذاعة شهرة اسمه وعكف نفسه وبذل جهده في امر مشروعات الاستكشافات البحرية ونال بذلك الفخر وجزيل الثنا والمجد وهو البرنس هنري الابن الاصغر للملك يوحنا من فيليبة الانكليزية اخت هنري الرابع ملك انكلتره فان هذا البرنس من بعد ان حاز الشهرة ودرجة الامتياز في غزو البربر جمع كافة التفاتاته لهذا المطلب الجديد واتخذ لنفسه مقاما في مدينة ساغريس بالقرب من راس سنت فنسنت ولبث في هذا المقام موجها بصره وعيناه الى الاوقيانوس الغربي وهو البحر الاطلانطيقي وجمع كل ما وجد فيه المصلحة والمنفعة من الاخبار والحوادث والاحداث التي يمكن بواسطتها تقدم العلوم الجغرافية وفن الملاحة وكانا في حالة المهد في ذاك العصر واعد جملة سفريات متتالية ورأس بعضها من اجل المداومة على اجرا الاستكشافات البحرية فتولد مما كان عنده من اعزازه بهذا المشروع الذي سعى فيه بالاسفار المختلفة التي اجراها رونق وحنيا احاط بها لاوقاه وكان بدء من الاخطار والاهوال فكانت اول سفرة اعدها هنري في سنة ١٤١٨ بعد الميلاد سفينة واحدة تحت رياسة اثنان من الضباط من حاشيته وهما جنا غونس ايس وطريستراو واز فطردتهما العواصف واللواقح في داخل البحر فكشف في ابتداء الامر جزيرة سانتو بم بعدها ماديره ولما ظهر ان هاتان الجزيرتان لطافة ذوات محصولات وافرة ذات فيه كبيرة صار مراعاتها انهما مبادي السعادة وعلو الرفعة في الاستكشافات وفي سنة ١٤٣٣ اي من بعد مضي خمس وعشرين سنة سافر غليانيز سيرا مخاطرة في اباحة البحر وفر من امام راس بجادور وابثت ان الخوف والجزع المتسلطين في قلوب الملاحين من هذا الراس المشهور هو وهمي فقط ولا صحة له وفي هذا الوقت كان نجاح البرتقاليين في معرفتهم خط ساحل افريقية اخذ في التقدم وما حصل مكافئة اتعابهم في هذه المدة بشي سوى نظرهم ساحل قحل جدب لا يوجد فيه الا رمال محرقة خالية من النباتات والاشجار وصنف الانسان والحيوان وهو عبارة عن قفار ووجر ثم وصلوا من بعدها الى السواحل المخضرة النضرة لنهر سنغال وغمبيا وكان يجلب من طريق هذين النهرين من الاراضي الداخلة وبلادها اصناف الذهب والعاج والتحايف والبضايع الغالية الثمينة ثم حصل بعض تعطيلات في تقدم الاستكشافات البحرية لتولد من الملك يوحنا في سنة ١٤٣٣ بعد الميلاد ثم انها اخذت في العمل الى سنة ١٤٦٣ واخذت في زيادة التقدم باشتغال البرنس هنري ثم ان الملك الفونشو خليفة الملك يوحنا منح على فرديناند غوميز امتيازا مخصوصا به لمدة خمس سنوات على شرط ان يكشف في ظرف هذه المدة خمسماية فرسخ من ساحل الافريقي ومن ثم نجح غوميز في كونه كشف في سنة ١٤٧١ بعد الميلاد ساحل الذهب وكان استحصل على مسمى بسبب ما تيسر منه من حصول ثروات كبيرة وتلقب الملك بلقب سيد غينيا وشيد قلعة سماها قلعة المينة على هذا الساحل وجمع عاصمة كافة الاملاك البرتقالية في هذا الساحل وفتح معاملات تجارية مع الاهالي والسكان وكانت التجارة مقصورة في الذهب وسن الفيل او العاج وكان يدخل منها ايراد كبير في خزينة الملك وفي ظرف مدة قليلة من الزمن صارت هذه القلعة وكانت تعرف بقلعة

وصول ملاحي البرتغال الى راس نون

البرنس هنري ابو الاستكشافات البحرية

سفرة غليانيز

سفرة غوميز

٤١٨

سنت جورج مدينة مشهورة وسوقاً لتجارة الرقيق وبضايع اخرى من البحيرات ومن بعد موت العفونسو خلفه ابنه يوحنا الثاني في سنة ١٤٨١ وفي مدة سلطنته اخذ المشروع البحري البرتقاليين امتدادا ما حصل الاجتهاد فيه من قبل ووجه يوحنا الثاني التفاتاته مع الغيرة والحمية لهذا المشروع

سفرة ديغو كام

وفي سنة ١٤٨٤ سافر ديغو كام من قلعة المينة في طول ساحل افريقية حتى وجد نفسه ولو انه كان على مسافة بعيدة من الساحل مشمولاً في تيار شديد الجريان من المياه العذبة فاستدل من ذلك على انه لابد من وجود نهر كبير في هذه الجهة يصب مياهه في الاوقيانوس فوجه مقدم سفينته نحو البر وكشف فم نهر الكانجو وفتح طريق المواصلات والمعاملات مع اهل البلاد ومن بعد ذلك شكل البرتقاليون مواطن ومستعمرات واسعة في الاراضي الواقعة على ضفتي هذا النهر وفي مدة ما كانت الاستكشافات في درجة التقدم بهذه الحالة في سنة ١٤٨٦ بعد الميلاد عزم يوحنا الثاني على سعي كبير في اتمام دوران ولفات الساحل الافريقي فاعد لذلك ثلاث سفن تحت قيادة بارطلمي دياز

سفرة بارطلمي دياز

وامره بالمرور من اخر الحد الجنوبي لقارة افريقية ان امكنه المرور فلما وصل هذا الملاح الى فم نهر الكانجو من طريق مجرى سهل مؤكد له ابتدأ من فم نهر الكانجو في عمل استكشافاته وسلك منوال البدع القديمة وحمل معه اربعة من فتيات العبيد لابسات ملابس مفتخرة ومزينات بزينة الذهب والفضة ونزل بهن في عدة جهات مختلفة من السواحل بقصد انتشار شهرة البرتقاليين في الغنى والثروة وجسارة فتوتهم وسمى الاجوان المشهورة والرؤوس باسماء عديدة اينما توجه في كل جهة واقام في سنت ياجو على مسافة ١٢٠ فرسخ من فم نهر الكانجو عمودا شاهقا من الحجر دلالة بمعنى ان هذه الاراضي تابعة لملك البرتقال والصليب ومر على التوالي من اجوان المرافي والجزاير الى ان قامت عليه العواصف ونزلت عليه الثلوج البرية وطردته من البر الى جهة الجنوب في داخل البحر فكانت سفنه المحطمة ليست موافقة لقرب الامواج الشديدة التي اصطدمت بها ومن بعد ان سافر في طول الساحل المحرف من جهة غيبتها استشعر البرتقاليون بهبوب الرياح الباردة للبحور الجنوبية فاعتبروا انفسهم انهم فقدوا انفسهم في داخل البحر ومن بعد مضي ثلاثة عشر يوما وسكون الزوابع والثلوج وجهوا سفنهم نحو الشرق في طلب يبشرهم الحصول على البر وكانوا على مسافة بعيدة من ساحل افريقية وما كانوا يرون امامهم شيا سوى الاوقيانوس الذي لا نهاية لحدوده فانذهلوا ونهضت عقولهم ودوروا سفنهم نحو الجهة الشمالية الى ان وصلوا اخيرا الى الساحل في نقطة [illegible] كانت خلف راس عشم الخير فاطلقوا عليها اسم خليج البقر بسبب ما راوا على ساحلها من كثرة الابقار في المراعي فنظر الاهالي هذه الابقار الى داخل الارض بمجرد ما وقع نظرهم على البرتقاليين ثم سار دياز في طريق مجراه الى ان وصل الى جزيرة صغيرة اقام فيها عمودا اخر علامة التملك وفي هذا الوقت حصل الضجر والتذمر عند ملاحيه وعم النفور بينهم وكانوا تعبوا وكلوا وعجزوا من السفر وقالوا ان ما كشفوه من الاراضي والجهات في سفرتهم هذه الوحيدة اكبر بكثير مما وقع الكشف عليه في اي سفرة حصلت من قبلهم وان سفنهم تحطمت ومؤوناتهم على شرف الخلاص ووجد دياز في سفرته هذه ان الساحل عندما كان تركه كان خطه سايرا من الشمال الى الجنوب فراه في هذا الوقت سار من الغرب الى الشرق و اصر الملاحون على العودة الى بلادهم حتى ثم جمع دياز مجلسا من كبار ضباطه فاتفق الامر على العودة فقبل ان القايد دياز سلم في هذا الامر مع غاية الكراهة والاشمئزاز وسافر من الجزيرة التي اقام فيها اخر عمود دلالة على اخر نقطة وصل اليها فلما اقلع البرتقاليون نحو الجهة الغربية صاروا على مرأى من الراس الكبير الذي ما امكن الوصول اليه في عدة عصور مضت وكان يقال انه حد فاصل بين دنيا [illegible]

كشف راس عشم الخير

فسماه دياز راس العواصف بسبب ما لاقى بالقرب منه من كثرة العواصف والتوابع وبذل جهده حتى وصل اليه وبعد عودة دياز الى البرتقال سماه الملك باسم راس عشم الخير فما زال هذا الاسم مطلوق عليه لحد يومنا هذا ومعناه بالانكليزي جود هوب وبالفرنساوي بون اسبرانس ومن تقدم مشروعات الاستكشافات البحرية في الجهة الجنوبية الشرقية من افريقية استحق تصميم كان مدفونا عدة سنين في زوايا النسيان وهو البحث عن معرفة طريق وصول بواسطة البحر الى الهند الشرقي وبما ان سفرية هيرودوتس التي كان سافرها من اجل كشف الجنوبية لقارة اسيا كانت غير مستوفية فامل الملك يوحنا ان يكون على دراية من الاوقيانوس ويجعله طريق مسير الى الممالك عموما قديمة وحديثة فاصدر امره باعداد عمارة صغيرة ولما تمت طرقها وسرحها في طلب هذه العمارة وجعلها تحت رياسة دياز

٤١٩

ارسال ملك البرتقال مندوبين من طرفه الى الهند وبلاد الحبشة

دياز وفي الوقت الذي سافر فيه دياز بهذه العمارة عزم الملك بعقله ورايه وارسل اثنان من رعاياه هما بطرس كوفيلهان والفونسو دو بايفا واحد الى الهند والاخر الى الحبشة من اجل استقصا طرق المواصلات والتحقق من اصل منابع وثروات هذه الاقاليم الواسعة المجهولة الحالة فاخذ هذان السايحان سويا في طريق سفرهما ابتداء على نابولي ثم منها الى رودس وكان بها في هذا الوقت فرسان الهيكل فاكرموهما وافردوا منزلتهما في الضيافة ومن ثم عدوهما في سفرهما الى الاسكندرية عن اعمال وبنادر مصر وحصل انفصالهما من بعضهما في اسكندرية فاما كوفيلهان فانه سافر قاصدا الجهات الهندية وقصد بايفا الجهات الحبشية وتعاهدا مع بعضهما قبل سفرهما على ان يكون الملتقى من بعد مدة معلومة في القاهرة العزيزة عاصمة الديار المصرية ونزل كوفيلهان في سفينة من سفن البحر الاحمر وما زال مجدا في سفره الى ان زار المداين المشهورة في الهند مثل كانانور وكاليكوت وجوواه وهذه المداين الثلاث على ساحل المليبار وما زال مستمرا في سفره حتى الى شواطي نهر الكنج وفي وقت عودته تتبع سواحل بلاد فارس وبلاد العرب وافريقيه وزار مدينة سوفالة على الساحل الشرقي من افريقية ومدينة هرمز سوق تجارة الخليج الفارسي ثم داوم على سفره الى ان وصل الى موزنبيق وعرف منها ان هذه القارة تنتهي براس كبير في اقصى الجهة الجنوبية ورجع من موزنبيق الى القاهرة وهي نقطة موعد ملتقاه مع رفيقه بايفا فبلغه موت رفيقه وهو في القاهرة ومن معرفته حقيقة اخبار موته رجع مسافرا الى بلاد الحبشة وقبل ان اقام في تلك المملكة فانه ارسل الى الملك تقريرا حاويا نتيجة اسفاره وخريطة مبين فيها الجهات الساحلية التي زارها وشاهدها وروى ان كوفيلهان صار استقباله في الحبشة مع الاكرام والتبجيل الا ان العادة التي كانت جارية في هذه المملكة في ديوان ملك الحبشة ان الداخل من الاغراب فيها لا يرخص له مرة اخرى بالخروج منها فمن ثم اقام فيها وارسل للملك التقرير والخريطة السابق ذكرها ثم انه ما حصل نشر هذا التقرير ابدا الا ان المفهوم منه انه كان مخصوصا بالعوايد والمنافع التي كانت لازمة للتجارة الدمرية التي كانت متسلطنة في جسم الملك المنغمس يفتح طريق الى البحور الهندية ثم ان يوحنا ما شرع في اكمال الاستكشافات التي اجراها دياز لانه كان مشغول في ذلك الوقت بما وصل اليه من ملك العبيد في سنغاله وكان قوم خلعوه من كرسيه وعزلوه من سلطنته فاتحد يوحنا غيرة لاجل عودته الى تخته وكذا كانت تراكمت عليه الاكدار والاحزان بسبب ما حصل له من الحث والتحريض من الجهلاء من مجلس استشارته بعدم قبوله ما عرضه عليه كريستوف كلمب من ارائه في كشف دنيا جديدة وكان سيحصل من هذا العمل الكبير والمشروع الجليل الخطير ان يكون من اول وهلة هو الراس الاكبر المدافع عن مثل هذه الاستكشافات لان كريستوف كلمب من بعد ان استقر في استكشافاته اول مرة التزم عند عودته الى اسبانيا ان يستقبل بسفينته من نهر لشبون وكان جلب معه دلائل وبراهين استكشافاته الدنيا الجديدة فما امكن ملك البرتقال ان يراها من دون ان يحل به سوء ما وقع منه من عدم القبول وما كان عليه من التذبذب والارتجاج حتى انه عقد عدة مجالس في ديوانه ورغب الادعا فيما لا تجوزه الشرايع والقوانين في طلبه هذه الاقاليم الجديدة التي كشفها كريستوف كلمب وآلت المسئلة ان عقد بعض ارباب ديوانه رايهم على قتل هذا الكاشف الكبير الا ان الملك من صفة الشرف التي كان عليها منع من اجرا هذه الجريمة القبيحة ومات يوحنا الثاني في سنة ١٤٩٥ بعد الميلاد من قبل ان يعد سفرة جديدة اخرى وقام بالامر من بعده ابن عمه عمانويل في الخلافة على التخت البرتقالي فاظهر حمية وحدة في امر الاستكشافات ما سبقه احد من اجداده فيها واسرف في ايرادات مملكته واتخذ كل طريقة وكل عمل يوصله الى ما هو عليه من حدة حرارته بتولعه في الاستكشافات وحسب ان اشغاله وحوله في الهند استقلال وراثة عن اجداده وشرع في اعداد واهبة سفرة جسيمة واصدر اوامره الى دياز بمباشرة انشا السفن والقوارب على شرط ان تكون في سعة وصلابة موافقة لعبور البحور المشحونة بالزوابع والعواصف التي شاهدها وصار له دراية بطريقة السير فيها ومع هذا فان الملك ما احسن بقيادة هذه السفرة على دياز بل انعم بها على شخص اسمه واسكو دا جاما وهو من اعضا البيت الملوكي وكان حاز

سفرة واسكو دا جاما

شهرة كبيرة في المهارة والبراعة في الاسفار البحرية التي كانت عهدت اليه من قبل ولما تمت استعدادات السفرة طلب واسكو دو جاما امام الملك في حضور كبار الديوان البرتغالي وسلم بيرق من الحرير مرسوم عليه صليبيه [illegible] المسيح الذي جعلوه شعار راسهم وقايدهم وحلف في وقت استلامه البيرق ان يبذل ما في طاقته وجهده في اتمام سياحته وسفرته ويرقى بالمرغوب المطلوب منه فمن ثم سلم

٤١١

اليه البيرق المسيحي وتذكرة حاوية كافة تعليمات الاستفهال اللازم اجراها ومكتوب الى يوحنا ملك
الحبشة حيث نظر انه لا ريب من فتح طريق معاملات في بلاده ومملكته وفي يوم سفر دوجم توجه
ضباط السفن والبحرية الى دير العذرا مريم وتقدم لهم فيه العشا الرباني واقيمت صلاة القداس
اي صلاة الجماعة وسار الرهبان والقسس الى السفن في موكب كبير اقيمت الاحتفالات والشعاير
الدينية حاملين الشموع والمباخر يعزفون الادعية والصلوات وورائهم عموم اهل لسبونا في زحام
كبير يتفرجون على هذا الشغل الجليل واغتسل الضباط والبحرية واعترفوا بذنوبهم وخطاياهم فغفر
لهم القسس ما تقدم من ذنوبهم وهي عادة كانما فرضها البرنس هنري للذين لا بد انهم يعرفوا في
مثل هذه الاسفار العظيمة فكانت هذه علامة استعداد السفر ومن بعد تمامها اسرعوا في النزول في
السفن وجردوا قلوبهم وتوكلوا على خالقهم وساروا في سفرتهم وعند ما راوا الساحل مزدحما بصفوف
اهاليهم واقاربهم واخوانهم واصدقاهم انفجرت في قلوبهم الاحزان والاكدار واستشعروا في انفسهم
بانهم واقعون في سفرة خطرة فيها الشك والريب من رجوعهم فكانوا ينظرون الى الساحل حيث بعد
تركهم اياه بعين الحزن والاسف ولما رفعوا فوق سطح مياه الاوقيانوس ما تمالكوا انفسهم من البكا و
العويل وسالت دموعهم على خدودهم من طبيعة الحالة البشرية التي كانوا عليها وكان اقلاع دوجم
من لسبون في يوم ٨ يوليه من سنة ١٤٩٧ بعد الميلاد مع ثلاث سفن محكمة التنظيم والصناعة
وهي سفنة جبريل وسفنة رفاييل تحت رياسة نفسه واخوه وسفينة اخرى اسمها بزيو تحت رياسة
بنغولوس كولبو فقيل ان هذه السفن لاقت في مبادي سفرها زوابع وعواصف شديدة وحصل
عند الملاحين الخوف الشديد وما وصلت الى راس الرجا الصالح الا بعد سفر امتد اربعة شهور في
البحر وقيل ان دوجم نزل في خليج اوجون سماه جون سنت هيلينة من اجل اخذ مياه عذبة وعمل
ارصادات فلكية فراى اثنان من العبيد فامر بحضورهما اليه الا انه ما كان لهما من طاقة في تحقيقه
بالكلام فضلا عن امتلا قلوبهما بالخوف والجزع حتى صارا لا يفهمان اشارات الحبشة والولاد التي
اعترف بها دوجم عليهما فامر اثنان من خدم العبيد ان يأخذاهما على جنب ويعطيانهما غذا
واحذ ولما اكلا واستكفيا استشعرا باحساس ما حصل لهما من الكرم فاشارا الى دوجم على قرية
على مسافة ميلين او ثلاثة معمورة باهل بلادهما فاستحصل فرنندو ويلوسو رجل برتقالي
على رخصة من دوجم في الذهاب الى هذه القرية ورؤية ما فيها من السكان والعوايد فسار
مسرعا اليها ثم من بعد برهة من الزمن روئي عائدا بسرعة الجري وخلفه الجم الغفير من العبيد يجرون
وراه الى ان دخل في القارب ونجى بسلامة منهم وانجرح الكثير من الملاحين من النبال والحراب التي
رماهم بها العبيد وقال ويلوسو انه لما وصل الى القرية فابلوه اهلها في الاول مع الاحترام
ثم وقع في قلبه الريب منهم فاخذ في الهرب وتحقق خوفه منهم بجريهم السريع وراه فترك دوجم هذا
الساحل الكالح الوجه الذي لا كرامة ولا قرى فيه وسار متوجها نحو جهة الراس الكبير وكان على مقربة
جدا منه وعبوره حالة فاصلة لعاقبة امر سياحته فامتلات قلوب البحرية بالخوف والروع في انفسهم
في وقت ما وصلوا في يوم ١٨ نوفمبر الى الطرف الجنوبي من قارة افريقية دفعوا نفوسهم
وشجعوا قلوبهم من اجل مقابلتهم وجها لوجه ويد بيد العواصف والزوابع الذين كانوا درسوها
وعرفوا حالتها في وقت ما يعبرون بهذا الراس المهول الا انه بمجرد سيرهم هب عليهم نسيم من
الجهة الجنوبية الغربية ملأ قلوع سفنهم وحفظها من الطرد والبعد في داخل اباحة البحر ودوروا
سفنهم من خطر او تعب تقريبا حول هذا الحجر الخطر واقاموا في شاطئ تذكار هذه الحادثة
احتفالا بالطبول والزمور وعيد مشهور تمتعوا فيه بالفرح والسرور لان هذه الحادثة لها اهمية
كبيرة وصفة خطيرة جسيمة في السياسة التجارية الاوروباوية واما نفس الساحل فان دوجم جاراه
مثل السواحل المحلة القفرة التي تقشعر من رؤيتها الجلود والابدان وتحيد عن النظر اليها الاعين وكل
انسان ولا تنشرح منها الصدور والابدان بل وجده اخضر نضرا مشحونا بالاشجار والاوراقات
ترعى على تلاله وكثبانه اسراب الابقار والحيوان ولو ما كان موجودا من الخيرات الطبيعة الواقعة
في الجهة الشرقية من الراس التي يصعب سلامة الداخل فيها وصار الان امام دوجم واصحابه
الاوقيانوس الهندي الواسع الذي لا حد لسطحه ولا حدود لاتساعه فما رسى دوجم بسفنه حتى وصل
جون سنت بلاس الذي سماه الفلمنكيون فيما بعد جون موسيل واستقبل بسفنه في هذا الجون
من اجل الراحة برهة من الزمن واخذ مياه عذبة لمشروب بحريته فلما صفت القوارب ارض الس

٤١١

احل ظهر فوق رؤس العلاوي والمرتفعات المجاورة للجون تسعين نفسا من اهل البلاد في هيئة
ورؤية مشابهة للذين راوهم في نواحي جون سنت هيلينة فامر العبوران دوجم رجاله ان يتقدموا
مع غاية الاحتراز مسلحين انفسهم من هولاء الهمج ويرمون اليهم بعض جلاجل واجراس ولعب اخرى
فتقدم المتوحشون اليها مع المحبة وعرضوا عليهم استبدال مواشيهم باصناف اوروباوية حسب ما يرغبون
لتفرج بها اعينهم فاستمروا ثلاثة ايام في مثل هذا الاخذ والعطا وفي العاب وافراح وكان اهل
البلاد يضربون بالناي ويزمرون بالاراغيل والعبيد والبرتقاليين يرقصون على نغماتها سوية
ولما انتهت ايام الاخذ والعطا والزيارة ابتدأ ظهور الريب ووقوع الوحشة بين الطرفين واقتراب
عدد الاهالي في الزيادة وظهرت الكثير منهم كامنين في الاورمانات واخذت حالتهم في زيادة
العداوة يوما فيوما وكانوا مراقبين كل حركة تحصل من البرتقاليين فخوف دوجم كل شي يتولد عنه
عداوة او محاربة وفرق جموع هولاء الهمج بضرب بعض عيارات نارية مرر رصاصها فوق رؤسهم
وسار من هذا المحل تابعا مجرى سياحته وملاحته فقام عليهم عاصف شديد وكان هذا اول العواصف
الشديدة التي قابلوها في هذه البحور المجهولة عندهم احوالها فقطعوا الامال وقنطوا من الحياة
واستغفروا واستجاروا بربهم وخالقهم واقاموا الشعاير والاحتفالات الدينية لنجاتهم وسلامتهم من
هذا الخطر الجسيم ثم اخذت العواصف والرياح في الهدو والسكون وانضم السفينتان لبعضهما وسارا
في مجرى واحد سوية ولما قطعا الساحل المعروف بساحل ناتال من اليوم الذي حصل كشفه فيه اجتهد
البرتقاليون في النزول في جهة مصب نهر ظريف فاحاط بهم شرذمة كثيرة العدد غالبها من النسا لابسة
ملابس ظريفة مصنوعة من الجلود وكذا الرجال فاستدل البرتقاليون من هذا الملبس على ان مناخ هذه
الجهة بارد الطقس والاهالي في درجة كبيرة في الشغل والتجارة والحضارة وانهم ليسوا اهل شر وخيانة
في حركة استقبالهم وسلوكهم فاجتهد مترجمين القومندو في معرفة عوايدهم وطبايعهم بنفسه فتوجه معهم
الى بيوتهم ودعوه فيها في قريتهم فقال ان قريتهم ما كانت مثل القرية التي رجع منها لغرنندو ويلوسو
الخوف والفزع وشاهد القرية مصنوعة من الاخصاص ومعشش من القش الوان الماكن طريقة انس الداخل
فما عدوه في القرية مع الاكرام وارسلوه في اليوم الثاني الى السفن تحت خفارة مايتين نفس وجا
شيخ القرية مع حشمه وخدمه وتوابعه في ازدحام كبير من اجل الفرجة على السفن ولبث البرتقاليون واهل
هذه الجهة في معاملات بينهم مدة خمسة ايام والبحرية البرتقالية موجودة على الساحل من دون فزع
ولا خوف فانشرح صدر دوجم من هولاء الناس وظرافتهم وحسن طباعهم وكانوا جنس من اجناس ام
الكفرة او الكفرية فاطلق على دخلة نهرهم اسم نهر السلم ولما عبر دوجم هذا الساحل وجد البحر في رجة
شديدة من تيارات مياه مهولة واردة من خليج موزمبيق كانت سببا في صد حركة تقدم سفنه في
السير ولما دار دوجم سفينته حول راس كيبروش شاهد ان الارض انعطفت واتجهت امامه بسرعة
نحو الغرب فخاف من ان يكون دخل في خليج عميق فدخل في مياه الاوقيانوس ومن ثم غاب عن كشف
مدينة سوفالة وكانت هذه المدينة في ذلك الوقت مركز سوق جامع لتجارات هذه النواحي من افريقية
وغنية بتجارة الذهب وسن الفيل المجلوب اليها من داخل البلاد بواسطة نهر زمبيز وما زال في سيره
الى ان وصل الى فم نهر صغير وفاه سكوتتان بالمم ملبوسهم من الحرير ومن القطن المصبوغ باللون الازرق
وبعضهم له دراية بمعرفة ترجمان اللسان العربي فاخبروه انه موجود نحو مطلع الشمس امة بيض
الوجوه يسافرون في سفن مثل سفن البرتقاليين وانهم يروحهم على الدوام يمرون من جهاتهم ثم يعودون
فانشرح صدر دوجم من هذه الدلايل التي ذكرها له اهل هذه البلاد وعرف انه صار على مقربة
من البلاد والجهات الاكثر تمدنا وحضارة في الشرق وبما انه كان حصل في سفنه بعض كسور وخطم
فعول على الاقامة في هذه الجهة بضعة ايام من اجل اصلاحها وترميمها حتى تكون موافقة لسفرة
قوية طويلة يقطع بها الاوقيانوس الهندي الا ان سروره وافراحه تبدلت بانزعاج واكدار من مصيبة
وقعت له ما كانت تخطر له على بال وذلك ان الملاحين اصابهم مرض وعلل اشارانها كانت غير
معروفة لهم وظهر على ابدان العساكر قروح وجروح عفنة وانتفخ لحم افمامهم وصاروا لا طاقة لهم
على تحريك اعضاهم وعجزت مفاصلهم وضعفت قواهم وكان هذا المرض هو اول ما قيل عنه انه
دا الاسكربوط من عهد ظهوره في هولاء البحرية فمات منه الكثير من البحرية والبعض منهم صار علاجه
من عقاقير وادوية كانت موجودة في السفن من لسبون الا ان غالب علاجهم كان بواسطة اللحوم
الطرية والفواكه الخضروات وكانوا يجلبونها من الساحل ثم ان دوجم من بعد ان اصلح حالة سفنه

من جملة هذا التقرير بعد ان سماه نهر العلامات الطيبة وفي يوم ٢٤ فبراير سنة ١٤٩٨ وصل مع بعد سفر خمسة ايام الى مينة مشكلة من جزيرتين على نحو فرسخ من البر الاصلي فعرف ان هذا هو المحل المعروف بموزنبيق وهو محل كثير التجارة وكان تابعا لحكومة كلوه فاشتهر من هذا العهد بكونه محطا للسفن والمراكب البرتقالية في افريقية الشرقية وفي هذه المينة ورد عدة قوارب من اجل زيارة السفن فيها ناس لابسين ملابس من القطن وعلى رؤسهم عمايم من الحرير مثل عمايم اهل بلاد البربر او المغاربة فوقعت هذه الحالة موقع الفرح والسرور عند البرتقاليين لانهم تيقنوا انهم في هذا الوقت انهم فاتوا الاراضي المتوحشة والبربرية جميعها ثم تفكروا في انفسهم انهم سيلتقوا عدوا لهم كامن في قلبه نفور وبغضا وكراهة دينية وكان ان دوجم لما سئل من هو والى اى شغل جا وماذا يحتاج اجاب بانه واحد من رعايا ملك البرتقال واما جلالة الملك سفره في طلب رسالة في الهند وبالخصوص لملك كاليكوت وانه يحتاج ما وزخيرة واثنان من رؤسا المراكب من اجل توصيله الى الهند فمن سوء الطالع ان الشخص الذي عرض السؤال على دوجم وجاوب دوجم عليه كان من اهل فاس من اعمال مراكش وكان على كراهة سياسية ودينية كبيرة بخصوص الحرب المستمر الذي كان وقع بين قومه وبين البرتقاليين فلولا انه ظهر على وجهه الغضب والنفير وشوهد عليه الوان كظم غيظ وسلك مسلك المحبة وحقق للاميرال انه لابد من اتمام كافة طلباته مع غاية المحبة والوداد وانفسحت معاملات الوفد والعطا في الوقت بين الاوروباويين واهل البلاد ومن بعد مضى بضع ايام جا الحاكم بنفسه الى السفن في ملابس ظريفة من الكتان الرفيع المعروف عند المصريين بالخرقة ومن القطيفة الغالية وعلى راسه عمامة محشية بسلوك الذهب وانتهت هيئة استقباله ببهجة كبيرة ولو انه شوهد في وسطها الرافة والحنية الا انه مازال كان يتراى فيها بعض شبهات وريب خفيف وصعد فوق ظهر السفن من جملة الزايرين ثلاثة اشخاص تاكد انهم كانوا من رعايا ملك الحبشة وكان البرتقاليون يراعونه في صفة عالية من الفخامة ويسمونه بالبريستر يوحنا ولو ان هولاء الثلاثة كانوا متمسكين بالديانة الاسلامية فانهم لما راوا صورة الملك جبرائيل مع مقدم احد السفن تحركت في قلوبهم الديانة القديمة وخروا لها على ركبهم ساجدين وقاموا لها بكل احترام فتولد من هذه الحركة التي اظهرت غشهم وما في قلوبهم لميلهم لدينهم القديم توجيه التفاتات البرتقاليين اليهم وشرعوا في المحادثة معهم مع كمال المحبة فلاحظ المسلمون هذه الحركة في الحال فخافوا منهم الحمية الاسلامية وطردوا الحبشيين من السفينة ومنعوا البرتقاليين بالكلية من التداخل في اى معاملة مع هولاء الاعراب ومع ما وقع من هذه الاعمال الغير محمودة فانه ضرورة تيسر الحصول على الاخشاب اللازمة للوقد والمياه العذبة اللازمة ووجد دوجم على انه يرسل كل يوم اثنان من القوارب الى البر لمن يشترى ما يلزم من ذلك ومن المؤنة بالاسعار الموافقة فلما بعد هذان القاربان عن السفن في يوم من الايام وقع الهجوم عليهما فجاة من سبع قوارب كبيرة ورموهما بالرماح والنشاب والحراب فكانت تنزل عليهم مثل المطر فاطلقت السفن نيرانها على اهل البلاد وطردوهم وما منع الحاكم هذا الشغل الفظيع فاعقب هذه الحالة عدة هيجانات فاوقع واسكن دوجم الفزع والخوف في قلوب الاهالي بنيران مدافعه وهدد موزنبيق بالدمار والخراب حتى ارغم الحاكم في كونه يسمح له باخذ ما يلزم له من المياه والمؤنة ويعطيه ريس من رؤسا السفن يوصله الى مدينة مومباسه الى ان يجد فيها واحد من مهرة الروسا يوصله الى الهند ولما قضى دوجم حوايجه ولوازماته سافر من جزيرة سنت جورج بالقرب من موزنبيق في غرة شهر ابريل واستمر في سيره بالقرب من سواحل افريقية مخلفا تيار من الما شديد الجريان حتى ابعده عن مروره على كلوه فحزن دوجم حزنا شديدا لما تحقق من ان اهل هذه المدينة مسيحيون وكان ذو رغبة في الوصول اليها والاستقبال في مينتها ورؤية اهلها ومن بعد مضى بضع ايام وصلت السفن الى مدينة مومباسه فكان بها الكثير من المسيحيين ايضا وكانت هذه المدينة مدينة واسعة واقعة على نقطة مرتفعة من الارض في صورة جزيرة في البحر ورؤيتها على مسافة بعيدة في البحر سرت اعين الملاحين وتولد من رؤيتهم منازلها المبنية بالاحجار العظيمة وشبابيكها وكواها وطيقانها المنتهية الى البرتقال هياج الفرح في قلوبهم حتى تراءى لهم انهم صاروا على مقربة من محل بلادهم ومن بعد قليل راوا قاربا سايرا نحوهم فيه اربعة اشخاص فلما قرب القارب منهم سئل عنهم لايل العادة وعرف الدين في القارب مقصود هولاء المجاورين في اسفارهم واكدوا لهم انهم اصحابهم حصل منه لهم السرور ووقع عند الملك موقع القبول وانهم

وانهم سيقرضون لهم المطلوبات اللازمة لهم واتخذت الاحترازات اللازمة ولولا انها جاءت على غير طايل في منعهم من التداخل والمحادثة بينهم وبين الرئيس الموجود معهم من موزنبيق وصار حقد وحنق الاميرال في النزول الى البر فاخره الى اليوم التالي بواسطة راى حزب احزم الناس على كونه يرسل مقدما اثنان من بحرية الى الساحل من اجل كشف ومعرفة احواله وحالة اهل البلاد فانشرح صدرهما ما شاهداه على الساحل وما استقبلهما الملك مع الطنطنة فقط بل وقع الرافة والحنية الكبيرة وعرفا بعضا من تجار الجزرات اظهروا انفسهم لهم بانهم مسيحيون واخبروهما بان دوجم في وقت نزوله الى الساحل يستقبله الجم الغفير من المسيحيين حتى تم ما تردد الاميرال مرة اخرى في نزوله من سفينته الى الساحل وشرع في اليوم الثاني في حركة سفنه نحو المينة وبواسطة العناية الربانية ان الاميرال لما قرب من الساحل كاد على شرف الوقوع في الخطر وصدمت السفن ظهر رملي لا يمكن الاستقبال فيه فتولد من هذه الحركة هياج شديد ودربكة وهرج وجرى فوق ظهر السفن ووقع الارتباك والفلفلة عند البحرية الاوروباوية ووقع في قلوب المسلمين الذين كانوا على ظهر السفن الخوف الشديد فرموا بانفسهم مع الرئيس الموزنبيقي في البحر وعاموا مع غاية السرعة حتى وصلوا شاطئ الساحل فلولا ان حالة هذا الهياج ما كانت خافية لا سيما كانت من اصطدام السفن في الظهر الرملي الا ان دوجم عد ان هذه دسيسة وخيانة كبيرة دفع منها الضحية فعاد الى موقعه الاول الذي كان استقبل بسفنه فيه واخذ في التيقظ والاحترازات في جميع الاجتهادات والمساعي التي تكررت من اعداه في الهجوم على سفنه وقطع عنها حبالها واتخذ طريقا في قطعة من سفنه الى ان قبض على قارب فيه ثلاثة عشر نفس فحالفهم بالحسنى وارغمهم على ان يدروا له الطريق الموصل الى ميلنده وهي مدينة ليست على مسافة بعيدة من موقعه لعله يتيسر له الحصول فيها على ريس يوصله الى الهند وكانت مدينة ميلنده في غاية من الجمال من الابنية الجميلة الظريفة محيطة بابنيتها وابكات اشجار النخيل متوجة على الدوام باللون الاخضر النضر ومع ان ملك ميلنده كان مسلما ومتمسك قوى من دينه الا انه كان ملكا جوادا كريما سخيا ذى عقل وحزم في اموره منثور البصيرة في اعماله وكان مداه الى له ان غنيمة وثروة السعادة ومنافع رعاياه ممكن استنطاقها وتيسر الحصول عليها بمعاملات مع ناس اغنيا اهل شوكة وباس فارسل بعض المسلمين الى الساحل ليكشفوا امر وصول هذه السفن فعادوا بوجوه فرحة مستبشرة ومحبة ما سبق لها نظير في المداين التي زارها دوجم من قبل ومع هذا فان دوجم حزم رايه في عدم نزوله الى البر ورفض قبوله زيارة ميلنده وادعى ان مليكه وسيده اكد عليه ومنعه من النزول من سفنه لكنه عرض هيئة مقابلة رسمية مع الملك في الزوارق بين سفنه والسواحل الشاطئ فجا اليه الملك في خيمة من الحرير مفتوحة من امامها والملك جالس فيها فوق مقعد محمول على اعناق اربعة من الناس فخطف واسكر دوجم قواربه والبس ضباطه وبحريته افخر لباس واظرفه وامر بضرب الطبول والمزامير (الزمبشة والسفاره) وامر باطلاق نيران الافواه النارية (المدافع) من اجل وقوع الفزع والفرق في قلوب الافريقيين فتولد من هذا السلام حركة ما كانت على باله وهو ان الوطنيين ارتابوا وداخلهم الخوف واسرعوا في العود الى الساحل ثم صفت القوارب الملوكية وحصلت المقابلة المرضية ودلت الملك الوثوق التام من دوجم ولف بقاربه حول السفن وراى الطريقة التي بها انشئت هذه السفن وسئل عن الطوبجية وكيفية استعمال المدافع والافواه النارية ثم سئل عن صفات ملك البرتقال وقوته وعن مقدار عدد السفن الحربية الموجودة في مملكته وسئل عن بعض مسايل اخرى خصوصية ومن بعد هذه المقابلة الودادية استقبل البرتقاليون على ظهر سفنهم الجم الغفير من الزايرين لهم المشهورين وكان من جملة الزايرين جملة من التجار البنيان من الجزرات والفلاسفة الهنود عمورية وكانوا متمسكين بحرمة قتل واكل كل ذي روح وقدم البرتقاليون صورة مريم العذرا لهولاء الفلاسفة فخروا لها ساجدين وعبدوها بهيئة احتفال كبير ما كانت عند نفس الاوروباويين واهدوا هذه الصورة اصنافا من الفلفل والقرنفل واشيا اخرى نفيسة ومن المحتمل ان اصل هذه الحركة ماخوذ من العادات الجارية في عبادة واحترام التماثيل او من بعض مشابهات في عباراتهم لها الا ان البرتقاليين راعوا هذه الحركة مسيحية وربما انهم كانوا تعلموها عن رسل القديس توماس وفي مدة وجود هذا القبول والصداقة اقلع دوجم في طول الساحل من اجل كشف فراى الحركات البديعة من خيالة العرب وجا الملك الى الساحل وحثه على النزول في البر فصمم مع حزم رايه على عدم النزول معتذرا بحجة عدم امكانه النزول مع مقتضى الاوامر التي صدرت له من مليكه وما قبل دعوة الملك ولما تمم دوجم كافة لوازماته وحط مباشرة من مياه ومؤنة واستحصل على ريس محقق اسمه ماليكينو كان من اهل الجزرات تركي الاصل من الافريقي في يوم ٢٥ ابريل ودخل في الاوقيانوس

ذي الامتداد الواسع واختفى عنه كل من سيارتي القطب الشمالي والجنوبي مرة واحدة وغابت عنه
سيارة القطب الشمالي بالكلية وما بقي على ملاحي الاوروباويين في هذه الحالة الا ان يسيروا ثلاثة
الاف ميل في وسط اباعد مياه لا يرون فوق سطحها شيئا سوى بحر وجو فاسعفتهم هبوب الرياح
الشمالية والنسمات الظريفة حتى قطعوا هذه المسافة الطويلة ومن بعد مضي ثلاثة وعشرين يوما ،
شاهدوا على منظر بعيد سواحل شاهقة فزي خفقان لهم الرئيس ان هذا هو سواحل الهند فاوصلوا
في سفرتهم هذه الى قريب مدينة كاليكوت بلا تغيير مجرى سيرهم ووصلوا في ظرف اربعة ايام الى
موقع وكشف دوجما انه مدينة واسعة ممتدة في طول الشاطئ ومن وراها سهل خصب ظريف ينتهي
على مسافة بعيدة من المدينة بسلسلة جبال شامخة وفي هذا الوقت بلغ دوجما في سياحته الخطرة
الطويلة وفيما كان عليه البرتقاليون من حب الطمع والشهرة في اجراهم مشروعات الاستكشافات
البحرية الغاية والنهاية في المقصود وصار دوجما على سواحل الهندوستان فانثنى دوجما ومن معه
وبجريته الثنا الجميل على خالق الارض والسما الذي اوصلهم لا بلوغ امالهم في اسفارهم وصاحوا
باصوات الفرح والسرور والتهاني وحمدوا الله الذي اوصلهم الى هذا الفخر الجليل ومن بعد ان استقبل
دوجما على سواحل الهندوستان عزم على اتخاذ الطرق والوسائط اللازمة في فتح مخابرة مع ديوان
كاليكوت من اجل بشره الحصول على رخصة مبادرة او منحة امتياز يمكن بها لاهل بلاده الدخول في
معاملات تجارية على هذا الحد الغني الثروة والايراد وكان المسلمون قبل ذلك اقاموا ممالكهم
وشيدوا دعايم سلطنتهم تحت سلطنة نظام خان المعروف باسكندر الغوري فوق السهول الشمالية
من الهندوستان الا ان الجهة الجنوبية منها بحيث جزيرة الهند وحتى نفس الدكن مازالت كانت
في حوزة عدة ملوك من الوطنيين على درجات مختلفة في القوة والشوكة ومن بين هؤلاء الملوك
كان موجودا على سواحل الملبار ملك عالي السمو والرفعة مقيم في كاليكوت ملقب بلقب الزاموري
ومعناه ملك الملوك وكان هندو مشركا في ديانته الا انه كان سموحا في ذاته وصفاته وبين و
مراسي مملكته مفتوحة لكل دين وكل مذهب كانت عليه التجار في اقطار المسكونة وكانت الدنيا التجارية
محصورة في ذلك الوقت الموجودة في الهند محصورة في مسلمين من البلاد المصرية والعربية وهؤلاء
بسبب ما كانوا عليه من السطوة وكثرة العدد حازوا درجات كبيرة جعلتهم في اقامتهم في كاليكوت
اشد في العنف والخطر على اعداهم فشرع دوجما مع غاية الاحترازات الواجبة عليه وارسل رسله الى البر
فعلم في الرئيس اشد الخطر في هذه الرسالة الصعبة ووقعت الدهشة الكبرى عند اهل [illegible] ممن انتقى
طول النهار وطول الليل من دون ان يصل الى دوجما خبر الرئيس الذي ارسله ولما وقعت مراكب
البرتقاليين راعى المسلمون وتجار [illegible] ان البرتقاليين [illegible] معدى ثم وصل قارب الى
[illegible] من طرف دوجما فيه مندوبان وواحد ثالث فقال المبعوثان انه عند نزولهم الى القارب
الى البر احاط بهم ازدحام كبير من الناس واستغربوا من رؤيتهم ملاحي الاوروباويين واجتهدوا
في كونهم يتحققوا من اي المخلوقات هؤلاء والتقوا في هذا الصعب مع واحد من المسلمين يدعونه
مونزايد قال انه كان في الاصل من تونس الغرب وجا هنا وكان له معرفة تامة بالبرتقاليين
وكان في الاصل على دين النصرانية فدعاهم الى منزله واكرمهم باخر الكوكوت والعسل ولما عرف
المطلوب من رسالتهم عرفهم بعزمه على شغله معهم بغاية المحبة والصداقة وفي اثنا مشيه معهم اغدق
عليهم بالنفقة مع المحبة وصحبهم الى السفن ولما دخل في السفينة قدم احترامه مع الحرية التامة لدوجما
واهل بحضوره ورحب به وبوصوله الى ارض بلاده يجد فيها المقادير الوافرة من اللؤلؤ والياقوت
والزمرد وكافة انواع البهارات والعقاقير والالطاف والتحايف الاخرى الغالية وقال ان الملك
موجود في هذا الوقت في بنانه وهي مدينة صغيرة على مسافة خمس فراسخ واشار على الاميرال
ان يرسل من طرفه رسولا الى الملك في طلب رخصة للنزول الى البر والاشتغال بالتجارة فارسل [illegible]
دوجما اثنان من رجاله مع مونزايد وتوصلا بواسطته الى الملك فاستقبلهما احسن استقبال و
سألهما من اي الجهات هم جاؤوا وعن كيفية سفرهم ورحب بحضورهم قلبا وقالبا الى مملكته وامرهم
بتدبير سفنهم ودخولها في مينته بقدر ما يمكن من واحفظ لهم من مينة كاليكوت بسبب ان
مينة كاليكوت مكشوفة وبما ان هذا الامر جا موافقا لاغراض وآرا دوجما بالنظر للعون الموجود
تحصل عنده وثاقة واعتماد في الملك وسمح لرئيسه من دون ان يتردد على التوجه بالسفن الى مينة بندراني
وكان مرغوب الرئيس المخزن في داخل المينة فما قبل دوجما رايه ثم ورد اليه في هذه المينة بلاغ من

من ديوان الملك يطلب منه انه حكمه زيارة الملك وانه تعين لتوصيله الى ديوانه الكوتوال او
حاكم المدينة ولما رغب دوجما في قضا الزيارة اشار عليه كبار رجال معيته بالتاني والصبر ما قبل
ان يورط نفسه في شركة ملك غير معروف عنده محيط بالاعداء فاجابهم دوجما انه لا يمكنه ان يخل
بوفا واجبات ملكه وارضه ويختار سلامة نفسه عليها وتركهم وحاكم فيه وسار مع اثني عشر نفرا من
رجاله مع الكوتوال واجتهد دوجما في اول نزوله هذا على سواحل الهند في كونه اظهر نفسه في جلالة و
ابهة كبيرة ولبس ملابسه احسن ملبوس وحركة منتظمة وربت الطبول والزماجير تصدح امامهم وجلس
هو في هودج حمل على اعناق اربعة من الرجال فاسرعوا به في سيرهم حتى تركوا وراهم اصحابه ومشيهم
الا ضعيف على اقدامهم ومن ثم وجد نفسه مع العجلة في قبضة الهندو وشوكتهم بالتمام الا انهم ما وقع
منهم ما يخل بشروط المروة والانسانية في اثنا سفره فرصة هذه القافلة العظيمة وعند وصل
الجمالون شاطئ نهر انتظروا باقي الجماعة وعبروا في معديتين من النهر فراى البرتقاليون امامهم باجودة
مفتخرة يعمر من النحاس فدعى الهندو البرتقاليين للنزول فرحا فظنوا ان هذا لا بد وان يكون معبد
من المعابد المسيحية لان القسس الضعف عرايا لابسين في رقابهم سبح كسبح القسس الرومانية ورشوا
عليهم المياه المقدسة واهدوهم مسحوق خشب الصندل مثل فعل الرومان كاثوليك بالرماد ولما دخل
هؤلاء الاوروباويون في ايوان الباجودة الكبير راوا حيطانه مستورة بالتماثيل فظنوا ان هذه
صور اولياء فسجدوا وركعوا على الارض ثم ان شخصا من البرتقاليين اسمه [illegible] دولوسا لما نظر الى رؤيت
هذه التماثيل القبيحة الصورة والشكل من جد بعضها له اربعة او خمسة اذرع واسنان مهولة خارجة
من افواهها فقال ان كان هو [illegible] الشياطين فان الذي انا اعبده هو الله حقا وضحك اصحابه
من قوله وخرجوا من الباجوده وما زالوا في سيرهم حتى وصلوا كاليكوت وكان الزاموري غاير
البلاد في وقت وصولهم اليها فانضم الى البرتقاليين عدة من اصحاب الكوتوال واخرين من الاشراف
وحافظوا عليهم حتى اوصلوهم الى سراية الملك في ابهة كبيرة والطبول تصدح امامهم ولو ان المحل
الملوكي مبني من الطين الا انه كان كبير السعة وموجود في وسط بستان واراضي منعشة للناظرين
واستقبلهم على باب سراية الملك رجل عجوز اختيار محترم الهيئة والذات وكان هو راس البراهمة
ولباسه نظيف ابيض فاخذ بيد دوجما وسار به من ايوانات كبيرة الى ان وصل به الى قاعة الاستقبال
وكان الملك جالسا فيها في هيئة كبيرة وابهة جليلة مثل الهيئات التي كان عليها ملوك الشرق ومراتبه
ووسايده مفروشة على مصطبة عالية فوق ارض قاعة الاستقبال وملبوسه من قماش القطن الناعم
الظريف وعمامته من الحرير وهذه جميعها مزينة بسجافات ومخيطات من الذهب ومعلق في اذنيه
حلقات مرصعة بانفس الالماس واجله ومستور سيقانه العريانة وذراعيه باساور من ذهب محلاة
بالجواهر النفيسة وفي احد جوانبه رجل اختيار في يديه طبق من ذهب عليه ورق التنبول والفوفل
وهي المضغة المستعملة عند الامم الشرقية فلما تقدم البرتقاليون امام هذا الملك اشار برفع راسه
فقط من فوق مخدة مزركشة كانه واضعا عليها راسه واشار الى واحد من حواشيه بان يجلس دوجما
على درجة من الدرجات الموصلة للتخت وتلقى الاوراق التي كانت معه مع غاية التبجيل ووعده بالفحص
عنها وقراءتها عند سنوح الفرصة وفي وقت القضا وامر للاميرال بانه ياخذ راحته وعين له محلا مخصوصا
يبيت فيه من دون ان يقع له ادنى قلق او فزع من اعداء المسلمين وكان الاميرال يؤمل المقابلة
مع الزاموري في اليوم التالي فانبئه الاخبار بانه يجب عليه انتظار ما صدر به اوامر الملك وان
تكون حقا بلقته الثانية بالملك مصحوبة بهدية مقامها مناسب لمقام الملك سيده واهمية ماموريته
فاستيقظ دوجما وافاق من نومه وعرف ان كل شي في الشرق يبتدي وينتهي بالهدايا وما كان تحت يده
شي من الملابس الملوكية او الجواهر النفيسة فانتخب مما في مخازن سفنه بعض مواد ولو انها ليست موافقة
في صفة هدية وهي بعض اقمشة قرمزية اللون وست برانيط وبعض خرزات من الحديد والنحاس
والعقيق مع قليل من العسل والسكر فلما نظر الكوتوال واصحابه هذه الهدية ما تمالكوا انفسهم من
الضحك والسخرية وقال الكوتوال ان هذا شي لا يمكن تقديمه لمن من ملك كبير قوي الشوكة مثل سيده
لمثل هذا الملك الجليل فضلا عن ان احقر وافقر التجار الذين يدخلون في المينة يستحوا ان يقدموا
مثل هذه الهدية الحقيرة الى الملك الكبير زاموري وراى الكوتوال واصحابه ان الاصوب والاحسن
عدم تقديم شي بالكلية ولا الفضيحة والعار من تقديم هذا الشي الزهيد القيمة واما دوجما فانه
من بعد ما قدح فكرته في هذه المادة راى انه من الحزم والعقل والاوفق ارسال الهدية مهما كانت

عليه من قلة الغيرة مصحوبة بهذه البيانات وحتى انه ترك الشيون على تمير امل وبلوغ قصدهم
وصوله الى كاليكوت ووصل الى هنا من دون ان يكون معه اولى هدية من ملكه لعدم معلومية
بهذه العادات الجارية فى حكومة الزاموريت وعلى قدرما امكنه من منتخبات مدخرات سفنه ولوانه
قليل الغيرة جدا ولا يوافق ابدا تقديمه فى صفة هدية لجلالة الملك فانه قدمه حسب الرسوم الجارية ولانه
فى سفرته القابلة لا يخيب ابدا من تقديمه لجلالة الملك ما يليق بسموه وسمو ملكه من الهدايا و
الالطاف الثمينة والتحايف الجليلة فاستوفى الملك بهذه البيانات واستصوب قبولها مع قبول مقابلة
الاميرال وتلقاه مع الاحترام واعطاه الجواب اللائق الكافى واعترف على البرتقاليين بخيراته ومعروفه
وسمح لهم بالتجارة على السواحل الذين جازفوا بانفسهم فى الاسفار البعيدة حتى وصلوها وصار لهم
ارتباطات ودية ومواصلات حبية فلما راى المسلمون هذه التوجيهات والالتفاتات الودادية
المبنى عليها خسارة ودمار التجارة المحتكرين اصولها وفروعها وقع الخوف فى قلوبهم وحسدوا البرتقاليين
على تمام نجاح اشغالهم وعزموا على ان لا يتركوا كبيرة ولا صغيرة من الاعمال المدمرة الا وفعلوها
لا عداهم اعداء الدين والتجارة فعقد كبارهم ووجوههم مجلسا فلا شك واقيه كافة المصايب
المدمرة لهم التى تحل بهم من هولاء الاعراب واقر المنجمون لهم الطالع واخبروهم بانه لا بد من تكسير
وتغريق سفن يتولد من دخول هولاء الاعراب المكروهين الذات والصفات فى البحور الهندية
وكانت نتيجة عقد هذا المجلس هى بذل السعى والجهد الذى لا يدمنه فى خراب ودمار سفن البرتقاليين
ولما راوا ان معارضتهم فى هذا الامر يتولد منه فى الحال حركات عدوانية استصوبوا طريقة اللطف
والدوران وجمعوا من بعضهم مبلغا جسيما وارشوا به الكوتوال وكان حايز الوثاقة موثوقه الاعتماد
عند الزاموريت وكان الملك يعتمد عليه فى ارائه ويستريح فى اشغاله واعماله فاعرض الكوتوال للملك
ان كافة الحكايات والقصص الواردة من الجهات الغربية تصف هولاء الاعراب بانهم طوائف
شتى وصعاليك انفسهم وانهم بدل ان يكونوا تجارا او سفراء من طرف ملك من الملوك فانهم لصوص
قطاع سبيل افسدوا سبيلهم وجرائمهم البحور الاوروباوية الى ان صاروا فى حالة غير مامونه السلامة
لحياة انفسهم فتدبروا انا جيين بانفسهم من تلك البحار من العدل واستتباب الامن الحاصل فيها ووصلوا
الى جهة بعيدة من ارض المعمورة يمكنهم فيها ان يبذلوا جهودهم وما فى طاقتهم على ملازمة اشغالهم
الشنيعة المفزعة ثم قال لا يخفى انه فى مدة سيرهم فى طول السواحل الافريقية اوقعوا الاهوال
والاخطار والفزع بضربهم بيزانهم واطلاق مدافعهم على القرى والمين والمداين وطردوا منها سكانها
ونهبوها ولولانه صار حقا بعضهم فى مدينة مليندة الا انهم ما تمكنوا من نزولهم الى البر وان كانوا
وصولهم الى هنا الذين يزعمون فيه انهم جاؤا فى ارسالية من طرف ملك كبير هذا حقيقى فانه لا اقل يكون
معهم هدية تو افق لجلالة سمو سيدنا ولا يقدمون هدية حقيرة دنيئة فهى رئيس سفينة تجارية ان
يهديها لسمو جلالتكم فتاثر الزاموريت جدا من عرض الكوتوال عليه هذه الحكاية وارسل الى دوجه
وسأله عما سمع فى حقه واصغى به فهاج فى اقواله واوحى بدلايل قوية كلما انتسب الى البرتقاليين
حتى اقتنع الملك فى اقواله وسمح له بالتوجه الى محله من دون كدر ولا خوف فلما راى الاميرال عين الخوف
ما شاهده من الاعمال ما صدق ان ترك السراية حتى دخل فى هودجه واسرع فى السير الى سفنه
ومع هذا فان الكوتوال استقل معه الحزم والعقل ولازمه فى توجهه مع جماعة من وجوه قومه فى
سرعة سفره هذا مع غاية الادب والحشمة واظهر له اقوالا مرضية من قلب محشو بالكراهة العدوانية
ووصل دوجه فتاخرا بعد الغروب حتى يتوكل واجتهد فى يسره الحصول على قارب او زورق صغير
يتوصل به الى سفنه فما وجد فقضى ليلته مع غاية التعب وشدة الحنق والغضب فى منزل خبيح اعده له
الكوتوال وعندما اراد ان يذهب للتوجه الى سفنه فى وقت الصباح وجب بسبب ما كان مكمونا فى قلبه
من الخوف وجد كافة المنافذ محكمة بالحفر ومنع الخروج من المنزل مع الادب وصار صبحه
فيه الا انه ما وقع من الكوتوال ما يخل بشرف دوجه فى صفة كونه مسجونا بل عامله مع الحشمة
والاحترام واجتهد فى ان ازال عنه كل ما يشعر من الخوف وامر جنود امر من طرفه يجيبه سفنه
بالقرب من ان حل واورى دوجه عدة اخطار تحل بالسفن لو داومت على الاستقبال فى خارج البينة
فوق سطح مياه الاباحة وان المحل الذى امر يجلبها فيه محل امان وموقع الطينان وسلامتها
وتوطيد اعتمادونا فذ الزاموريت بها لانه يعد وجودها فى الاباحة على ظهر البحر دليلا كافيا
على وقوع جرايم وخوف وقلاقل فاستيقظ دوجه لهذه القول وعرف انه يتولد من ذلك شيئا
قبيحا امل يشرهم الحصول على حرق سفنه اودمارها فاتخذ لنفسه الحذر واجاب الكوتوال بقوله
ان

بقوله ان سفنه بالنسبة لكبرها وضخامة اجامها لا يمكن سحبها بالقرب من ان حل واورى عدة
اخطار تحل بالسفن والغاليس مثل السفن الهندية المسطوحة الاطراف من تحت ولما راى دوجه
الدلايل الواضحة فى ان حكام الزاموريت جاريين اشغالهم معه من دون امر من نفس الزاموريت
استعمل معهم الكلام القوى والعنف الحاد وقال لهم انه لا بد من ان يعرض شكواه باى حالة كانت
ومع اصحابه من الاحتقار للنظر فيها بمعرفة ملكهم الزاموريت واخيرا اسمح له الكوتوال بالتوجه الى
سفنه من بعد ان انزل فى البر جانبا من شحنة سفنه تركها تحت كفالة وكيله

ديجو دياز وكاتب يده دوبراجه وبيان للسمين والكوتوال ما كان
لهم من طاقة فى مداومة دوجه موقوفا فى السجن اجروا الطرق الموجبة
فى فساد السوق عليه فكان لهم نفوذ قوى منعوا به كل تاجر وكل شارى
من التوجه الى بندر الى فارسل دوجه وكيله دياز يعرض شكواه
للزاموريت من هذا السلوك الردى الواقع فى الاشغال التجارية وفساد
اسواقها فرخص الملك بجلب شحنات السفن الى كاليكوت ولما جلبت
البضايع فى كاليكوت ببعث جزءا بالغاية للمشتريين فكان ذلك
سببا فى جذب قلوب بعض التجار للمعاملة مع البرتقاليين ووثقوا بهم
فى معاملتهم معهم وتوجه الكثير منهم الى نفس السفن واشترى ما يلزم
لهم منها من البضايع التجارية واما المسلمون فانه ما حدث نار عداوتهم
وارسل مونترايد الى دياز ينصحه انهم غضبوا على الملك فى امر عداوتهم
للبرتقاليين ومن ثم انتظر دياز رخصة الوصول الى الملك وكان
طلب دياز من جلالته التصديق على مداومة اشغاله التجارة
ووفقا ما قاله لدوجه فى الابتداء انه سيرسل من طرفه سفيرا
الى البرتقال فاصاب امله داء الشلل من كون الملك
نظر اليه بوجه عبوس بارد وهذه حالة لا يمكن زوالها
من قلبه ما لم تكن بتقديم هدية موافقة لسموه فلما
رجع من عند الملك راى نفسه فى وسط جماعة من الوجوه
فى صورة حفر عليه وكانوا يتحاورون معه فاعتقد فى
نفسه ان ذلك من الاحترامات المرعية الواجبة لكنه بمجرد
وصوله الى بيت تجارته وضعوه فى الحال فى سجن
وضيقوا عليه فارسل مونترايد خبرا الى دوجه
بما تم من هذه الاهانة والوقاحة فاستشعر
دوجه بوقوع نفسه فى الشدة والضيق فمن ثم
سار فى طريق الحيلة والخداع واستقبل على التفريج
جماعة من الاهالى واغدق عليهم بمعروفه وكرمه
وكتب من عنده مكتوبا الى الملك اظهر له فيه وده وخلوصه وحسن طويته وانه لم يكن فى قلبه اذى
اذية او ضرر او قابتر من شى ما بالنسبة لما حصل له من التعطيل وسوء الحال حتى عن الوطنيين مع
البرتقاليين فى المعاملة مع الوثاقة والاعتماد كما كانوا فى السابق الى ان راى دوجه زورقا فيه
ستة من الامراء وخمسة عشرة نفر من الوجوه قرب من سفينته وبمجرد دخولهم فى السفينة قبض
على الجميع واودعهم فى سجن ضيق وكتب مكتوبا الى الملك اخبره فيه بما اجراه وانه اذا رغب الملك
خلوص الوكيل والكاتب من سجنهما فانه يفرج ايضا عن رعاياه فى نظير ذلك فزعم الزاموريت
بانه ما له معلومية بسجن الوكيل والكاتب واورى شدة الغضب من اذاعة لطريقة هذا الالزام
الذى عرضه عليه دوجه وعزم دوجه على سرعة السفر فخرج من ان حل سبعة قوارب مع غاية
السرعة شوهد فى واحد منها الوكيل والكاتب فلما وصل هذا القارب الى دوجه انزل فيه هو
ايضا ما كان موقوفا عنده من الامراء والوجوه وحجز عنده عدة اشخاص وتحقق انه يغلب
على امرهم جميعا معاملته اياهم باحسن المعاملات حتى انهم من بعد ما يشاهدوا مجد مملكة البرتقال
وابهتها والشرف الموجود فيه اهل هذه السفرة يعودون فى السنة القابلة بالاخبار السارة

المعرضة التي يتولد منها زوال الريب والشبهات الحاصل منها الاذى والضرر المتمكنة في عقول حكامهم حكامه ما اجراه دوجم من سوء تدبيره وعدم حزم رايه سببا في اثبات كافة الشبهات والريب عند الملك وهيجه الى عداوة حالا فتم زوال وارسل عمارة من السفن في الحال نحو البرتغاليين تراقب سنوح الفرصة في الهجوم عليهم ثم اكتشف البرتغاليون على جاسوس كان وعد عليهم من جواه فعذبوه حتى اعترف واخبر بان ملك تلك الارض اعد عمارة بحرية لمحاربتهم وحاسبتهم وان كل جون وهور وقو وعز مشحون بقوارب وسفن مستعدة للوقت الذي يقطع فيه الاخبار باتي دهم جميعا في الهجوم فمن ثم ولوان دوجم ما كان مستعدا للسفر فانه ما امكن له الا خير لحظة من الزمن وعول على ان يسير عابرا الاوقيانوس المهول الذي يفصل من ساحل افريقيا فسفرة ملا طويلة مدة اربعة شهور تارة في عواصف شديدة وتلاطم وتارة في هدو وسكون في البحر وفي عوده في هذه السفرة تجدد داء الاسكربوط في بحريته فاهلك منهم عدة ومع اضمحلال الحالة والكدر وصل مع غاية الصعوبة الى مينة مجدوكسو وهي مينا اكثر وقوعا الى الجهة الشالية زيادة عن كافة المين التي استقبل فيها قبل الان لما عرف انه هجم المينة في هوة قبيلة من المسلمين منعصبة في دينها رجح الاستمرار في سيره الى مينة ميليندة العامرة له فقوبل فيها مع اخلاص النية والمروة الحبيبة واستحصل منها على ذخاير ومون ومياه واثره غير انه ما امكنه ان يزيل الوبا والموت الذي كان ابتدا في بحريته فلما راى ان البحرية ضعفت قوتهم وقلت عددهم ولا طاقة لهم على شغل سفر الثلاث سفن مرة واحدة ودوران راس عشم الخير وجد انه من الضروري له حرق السفينة المسماة سنت رفاييل ونقل مخازنها ورجالها الى السفينتين الاخرتين وسار بهما من ميليندة وفي اثنا سيره في طول ساحل افريقيا حف جزاير زنجيبار وبامبا وموزنبيق وقوبل في هذه الجزاير مع الاحترام الان ما وصل موزنبيق ولما سحق سفينتاه مونة جديدة ومياه ودور راس عشم الخير اجتهد رجاله وبحريته في اداء ما يجب عليهم من اشغالهم وما اصابهم سوا بكرهونة في عدة لقاتهم ودورانهم حول قارة افريقيا ولما وصل دوجم في طرسيره بلغه اخبار موت اخوه بولو فحزن حزنا شديدا عليه وتركت عليه الاكدار والغموم لانه كان اكبر شقيقا وحنونا عليه بازلا قوته وفي ما عمدته له في هذه السفرة الكبيرة وفي يوم ٢٩ اغسطس سنة ١٤٩٩ بعد الميلاد دخل نهر طاغوس من بعد سياحة لبث فيها سنتان وشهران وكشف فيها كشفا تاما طريق للتجارة ومملكة الهند وما رجع معه من المائة وثمانيين ملاحا الذين توجهوا معه في الثلاث سفن الا خمسة وخمسين نفسا هم الذين عادوا الى ديارهم ثم ان دوجم بنا على الخرافات الديانية التي كانت متسلطنة عند المسيحيين في ذلك العصر توجه اولا الى معبد مريم العذرا وقضى فيه ثمانية ايام ملازما على العبادة والاعتكاف يقدم احتراماته واجل عباداته الى السيدة مريم ثم من بعدها دخل في لسبون مع الابهة والطنطنة كانه ملك فتح البلاد وقد قابله ملك البرتغال ليوم دخوله عيدا مشهودا واحسن عليه وعلى ذريته بدرجات الشرف في نظير هذه الخدمة الجليلة ورقاه الى رتبة قونت ديبيغيرة وامير السند ورتب له معاشات وافرة يا هذه اول باول من اراضي احسن بها عليه وجعلها في ذريته وورثاه وحبس عليه صافي عوايد جمرك البهارات الهندية وهو محل مشهور كان يدخل منه للمملكة مبلغ وافر وشيد الملك للعذرا هيكلا جليلا هبا في شرفها ثم تحول هذا المعبد فيما بعد الى سراية لمقام الملوك فيها

استيطان البرتغاليين في الهند وفتوحاتهم فيها

ثم انه من بعد عود دوجم الى لسبون ما غفل البرتغاليون لحظة زمن وما ضيعوا وقتا في ابتاعهم مقاصدهم الكبيرة البحرية ومشروعاتهم الجليلة التجارية واعدوا في ظرف سنة اسطولا كان مرعيا في ذلك الوقت من الاساطيل المهولة وكان مؤلف من اثني عشرة سفينة والف وماية نفس وكان في الواقع ونفس الامر كافيا لحفظ البحر من الهوال وغايلات اهم الشرق وما عهدت قيادة هذا الاسطول على واسكو دوجم اما لاسباب انه وجدت مضادة في ذلك في الديوان البرتغالي او لاسباب ان سلوكه وتصرفه في اعماله في السفرة الاولى كانت مرعية انها من عدم الحزم والعقل وسوء التدبير فهذه الحالة سكت عنها كتاب العصر من البرتغاليين لانهم كانوا يراعون شهرة ملكهم ونشر صيته في عالم المسكونة وعهدت قيادة هذا الاسطول على الدون بطرس الوارز كابرال وكان رجلا حايز صفات الكمال في مثل هذا المشروع وصحبه ثمانية من الرهبان والقسس الفرنسيسكانية وصدرت له اوامر الملك بانه يدمر بالسيف والنار كل ارض

سفرة الدون بطرو الوارز كابرال

رهن وبعد لم تقبل سماع وعظ وخطابة هولاء الرهبان وفي يوم ٨ مارث سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد توجه الملك الى دير مريم العذرا واقيمت فيه صلاة القداس او الجماعة وسلم كابرال بيرقا مقدسا فقبله يد الملك ونزل في السفينة وكانت جماهير الناس الذين ازدحموا في اليوم الثاني على ساحل البحر من اجل الفرجة على سفر الاسطول فغير مشحونة بالانشراح والافراح اكثر جدا وعددا وفرحا من الذين راوا دوجم في اول سفرة وجراته ومخاطرته التي كانوا مرتابين عنها في عوده مرة ثانية فكان عبور هذا الاسطول من البحر الاطلنطيقي معلوم من قبل وسار كابرال نحو الجهة الغربية مما لا بعده من افريقيا مجتهدا في دوران سفنه من راس عشم الخير فراى تقربه على حين غفلة من ساحل على منظر من سواحل مشع خصب التربة مشحون بالاورمانات والاشجار وظنها من اول نشئ من ارض القارة التي كشفها حديثا كريستوف كلمب فكان هذا الساحل هو ساحل برزيليه التي اضافت جوهرة فيما بعد في تاج مملكة البرتغال واستمر بوصفا مفصبا في بعد ظلام عموم تيجان الممالك الاخرى وقيل ان كابرال من بعد كشف هذا الساحل اعاد سفينة من السفن الموجودة تحت رياسته الى اوروبا من اجل اعطا الاخبار بما وصل اليه من طالع سعده في كشف هذا الساحل العظيم وتوجه هو مباشرة في طريق سفره نحو راس عشم الخير وحرق في جهته من دون ان يراه من بعد مدة لبث ما ينوف عن شهرين نزل فيها عليه زوابع وعواصف وتلاطم وهولة حرق فيها اربعة من سفنه كان في واحدة منها الشهير بارطلمي دياز ومات بارطلمي في هذه البحور المشحونة بالزوابع والعواصف وكان فيها على غاية من النجابة والمهارة والشجاعة ولما وصل راس عشم الخير ما كان بقي معه سوى ثلاث سفن ووصل في طريقه عن مدينة سوقالة مثل ما وصل سلفه دوجم مع انه ضبط بالقرب منها سفينة كانت مشحونة بذهب فلما راى بحريتها انهم صاروا على شرف الهجوم عليهم بقطاع سبيل البحر رموا غالب شحنتهم في البحر وعندما تاكدوا ان الله ما اصابهم شي من جهة كابرال اخبرهم ولا اي سفينة من سفن اصحابهم تجرعوا كاس الغصص وتندموا واظهروا الاسف على ما وقع منهم وتوسلوا بالبرتغاليين في كونهم يستقبلوا ما عندهم من السحر والكهانة في استخراج ما رموه من الكنوز من قاع البحر فكانت استغاثاتهم على غير طايل واستقبل كابرال برهة من الزمن في موزنبيق واقام بعض ايام في ابا حيث كانوا وراها مينة واسعة يانعة زاهرة واقعة على ارض خصبة التربة ونظر اليه الملك في الابتداء بعين الوقار ورضي ان يقابله مقابلة رسمية على ظهر الماء ولو انه فزع من طلق الافواه النارية سلاما وتعظيما وتفخيما لسموه فانه اخبر في الحال ولاريب حسد وغيرة قامت عنده من اختلاف العقايد الدينية وظهر لكابرال من الدلايل الواضحة ان القواعد والمعاملات التجارية غير ممكن اجراها على قدم او منوال فيه النفع والفايدة في هذه الجهة فاقلع كذلك الى ميليندة فقوبل فيها بما قوبل به اصحابه من قبل مرتان وزاره الملك على سطح البحر وتركه كابرال ساحل افريقيا ومن بعد ان حف جزيرة انجيديوه وصل في ١٣ سبتمبره سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد الى مرانئ من مدينة كاليكوت فقبل انه راعي بعين الغضب والحنق الى الذي عومل بها دوجم وما وقع له من الاهانة في سفرته ومع هذا فكان ظهور كابرال بسفنه فاهول الرجا وجاء لبعض الوجوه في زوارق باحر فوق من الزاموريين انه معه في محبة وحشمة وصداقة له فمن ثم اعاد كابرال الاسرى الذين كان سلفه دوجم اخذهم معه في اظرف لباس واحسن زي حاملين الشهادة العظيمة الحاوية المعاملة الطيبة التي عوملوا بها في البرتغال ولما تناول كابرال دعوه نزوله الى البر وزيارة الملك اوضح غرضه مع التاكيد في تمام هذا المقصود غير انه لابد له من المخابرة مع الملك في عقد معاهدة ودارية و محالفة صدقية حبية وانه من اجل ربط علاقات المحبة يلزم ان يرسل الملك رهن مؤلف من اربعة اشخاص من الوجوه المعتبرين سماهم كابرال باسماهم فرفض الملك مع غاية الشدة قبول هذا الشرط بان هولاء الاشخاص كانوا من البرهميين من رجال الطبقة الاولى وانهم مقدسي الصفة ولا يمكن دخولهم في اي سفينة من سفن الاغراب مالم يحصل في قدسهم نجاسة ولا يمكنهم قيام شعاير عقايد دينهم المقدس ولا يغتسلون فاصر القايد البرتغالي على تنفيذ مقبول شرطه ونفذ مرغوبه وامره وكانت الاستعدادات اعدت لمقابلته على الساحل وخيمة دهبية ولوانه كان قبل السمة الالاية كانه في زخرفة عالية مفروش بالبسط الهندية ومزين بالستاير المعمولة من القطيفة القرمزية اللون المحبشة بالصفايح واقواع الزينة ولما اعد كابرال حاشية في ملابس ظريفة ولباس مفخرة وجد الملك منتظر لمقابلته فكان لباس الملك قماش عالي القيمة في الزخرفة على وسطه وجسمه يدهل بصر الرائي له ومنطق

جنطة مشغولة من الذهب مرصعة بالجواهر الكريمة واساور وحلق مشغول من الذهب والالماس
والزمرد الاحمر والبوزرف وتوالى كبيرة الحجم وكانت المقابلة مع غاية المحبة وقدم كابرال هدية
للملك مركبة من عدة اوانى من الذهب والفضة ومعوبس جميلة مفتخرة ملوكية فقبلها الملك مع
غاية المسترية وفى نظير ذلك سمح له الملك بانشا كرخانة او بيت تجارة فى كاليكوت وفى هذا
الوقت عند مرور الرهاين الى السفينة حصل لهم الفزع والخوف فعند دخولهم فى السفينة وقبولهم
معلومة بالخوف رموا انفسهم فى البحر واجتهدوا فى العوم نحو القارب فجذب البرتقاليون اثنان منهم
واودعا فى سجن فى السفينة فتسبب من ذلك هياج وارتباك على الساحل حتى انه من بعد عودة الاميرال
ما خاطر زورق بنفسه على جلبها واسرا هذان الكبيران منكوسى الطالع والبخت ثلاثة ايام فى
السفينة لا يذوقان طعم طعام ولا لذة شراب فلما ظهرت عليهما حالة الموت من شدة ما لاقاه
من الالم اعادهما كابرال الى الساحل وانفتحت معاملات التجارة مع المدينة بطريقة حسنة ما مولة
النجاح والفوز ودخل بعض المسلمين فى صداقة ووداد بالعقل مع البرتقاليين ثم وصل الى كابرال
خبر بان سفينة ضخمة مرت من كوشى او كوشين وهى مدينة عدوة لمدينة كاليكوت مشحونة بشحنة
غالية الثمن وفيها ستة افيال منها واحد مطلوب للزاموريين فراى كابرال ان الخدمة الواجبة
عليه للزاموريين القبض على هذه السفينة الغريبة فامر مع عدم مراعاة العدل والانصاف واحد
من الضباط اتباعه ان يتبع طريق هذه السفينة فى قارب فيه مدفع وظهر هذا الضابط بدفعه
السفينة امام قاربه الى ان تغلب عليها وفى رواية الزمها على الدخول فى مينة كاليكوت و
صارت غنيمة للملك الا ان السرور الذى تولد عند الملك من هذا الكسب ما كان معادلا للخوف والنظر
الذى هاج من هذا المشروع وظهر من البرتقاليين وذلك ان اول مشروع عظيم وقع بعد ذلك كان
تحكيم بسبب الظلم لان المسلمين استقلوا كافة سلطتهم ونفوذهم وبذلوا ما فى وسعهم وطاقتهم مع تجار
ابوهالى ومنعوا ارسال اى بضاعة من اصناف البضايع الى البرتقاليين حتى ان البرتقاليين راوا بالعين
ان كثيرا من السفن مشحونة بالبضايع الغالية سافرت من المينة وهم من بعد ان مضى عليهم شهران او
ثلاثة من حضورهم ما تيسر لهم فيها الحصول على شحنة سفينة واحدة فمن ثم عرضوا شكواهم للملك
لانه هو المسؤول فى هذه الحالة عن سير وسلوك رعاياه فى الاشغال التجارية فقال لهم الملك انه
لا يمكنه ان يمنع مثل هذه الاعمال لان سلطة المسلمين عامة وعلى رعاياه ثم ان البرتقاليين شاهدوا
فى يوم من الايام سرعة حركة المسلمين فى استحضارهم على شحنة مركب من مراكبهم فبلغوا انهم دفعوا
ثمنها بوجه العدل والانصاف فتولد من ذلك القلق عند البرتقاليين وعدم التحمل وشرعوا فى الخلاص
من معارضات المسلمين وتوقفهم لهم فى اسواق التجارة ومساوقتها وفى يوم استغضب ايريس كوريا
الوكيل البرتقالى وكان رجلا صاحب حدة وحرارة زايدة فى الحماقة لاستعلام الشحنة بثمن زايد عما دفعه
المسلمون وحضر على ذلك الذين كانوا يزعمون انهم اصحابه من المسلمين وقالوا له لا تخشى رضا الملك
فلما وصلت اخبار هذه الحادثة الى كابرال اعتقد ان ذلك من باب الحزم فارسل له فى اتمام شغله
فارسل له كوريا المرة بعد المرة يلومه على تراخيه وهدده بقيام ثورة من المسلمين عليه وفى غضون
ذلك ابتدأ المسلمون مع العظمة فى شحن سفينة من البهارات الغالية وعينوا ساعة معلومة لسفرها و
اتخذوا الاحتراسات اللازمة فى عدم وصول اخبارها للبرتقاليين فلما راى الاميرال ان السفينة
تحركت من المينة وتركتها حث وكيله وعماله على القبض على هذه السفينة فى سيل عراها فراوه فانقوا
بها وفرغوا شحنتها الغالية فى سفنهم وكان المسلمون مراقبون مدة طويلة وقوع مشكلة مثل هذه
المشكلة فاسرعوا فى الحال الى الملك وعرضوا له ان شرذمة قطاع السبل واللصوص ظهرت حالا امام الاهالى
واذدروا اوامره واحتقروا شوكته الملوكية وشرعوا فى طريق سلبهم وخطفهم فدخل الملك معهم فيما
راوه وسمح لهم بانهم يفعلوا فيهم ما يشتهون وما يرغبون فانضم معهم عدد وجوه كاليكوت واهاليها
وساروا فى جماعة واحدة نحو كرخانة البرتقاليين وكان البرتقاليون يعتقدون كمال الاعتقاد ان
هذا القيام من طريق المزاح والهزل ولما راوه انه من الجد ومقصد عدوانى غلقوا ابواب الكرخانة
مع غاية الصعوبة وصعد كوريا مع عسكره القليلة على سطوح الكرخانة وكانوا سبعين نفسا ضد
الوف من الناس فى هذا الوقت وملؤا الهوا باصوات صراخهم وصياحهم وسكبوا سحبا كثيفة من
النبال والحراب والمزاريق على البرتقاليين فرفع البرتقاليون رايات الاشارة لاعطا الاخبار الى
كابرال بما حصل بهم من الضرر والاذى فى موقعهم فارسل كابرال قوارب فى الاول لكشف هذه الحالة

الى ان وصلت اليه حقايق الاحوال اصدر امره الى كامل قوته بالاقتحام مع العجلة نحو الساحل
وفى هذه الاثنا لما كان للمسلمين من طاقة فى الدخول فى داخل الكرخانة جلبوا دبابة وشرعوا
باشرها فى احد اسوارها فدخل منه الجم الغفير فى داخلها مع شدة الغضب والشراسة وتغلبوا على الشرذمة
القليلة الاوروباوية وقتلوا كوريا وخمسين نفس وقفز الباقى فى البحر وعاموا الى ان وصلوا الى
السفن ولما شاهد كابرال بعينه هذه الحركة المفزعة جمع مجلسه وقام فى وجهه الغضب وجزم على
انه لا بد من الانتقام والاخذ بثار المقتولين ووقوع العذاب على المسلمين جزاء بما كسبت ايديهم من
هذه الجرايم وسفك الدما ومع هذا فانه انتظر برهة من الزمن الى ان ترد اليه اخبار الزاموريين
بوضاحة هذه المادة فلما وردت اليه اخبار ان الملك كان له نصيب فى سلب الكرخانة ونهب اموالها
عزم على انه لا لزوم للتاخير فى الاعتدا عليهم بمثل اعتدائهم وهجم على عشرة سفن من سفن المسلمين
واخذها وفرغ شحنتها فى سفن البرتقاليين واسر رجالها وملاحيها وسجنهم وصف هذه المراكب
صفا واحدا فى جانب بعضها واضرم فيها النيران حتى شاهدت اهل كاليكوت لهيب حرقها ثم قرب
كابرال عمارته على قدر امكانه من الساحل وفتح على المدينة نار حادة من الافواه النارية فخربت وهدمت
عدة جهات فيها ووصل مقذوف من المقذوفات النارية بقرب الملك فارتاع وترك المدينة ودخل فى
داخل مملكته وهلك من طلق نيران المدافع الكثير من الانفس والارواح وقيل ان الخسارة التى حصلت فى
البحر كانت خمسة عشرة سفينة من السفن الكبيرة وخمسماية نفس ومن بعد هذه الواقعة اقلع كابرال
نحو الجنوب الى كوشين وهى ثانى مدينة موجودة على هذا الساحل الهندى فى الاتساع والهيئة التجارية
واشتهر الملوك الوطنيين بما حصل من المعاملة التى وقعت من كابرال فى حق ملك كاليكوت واذدروا
ذاته وسافر سفرة الى كوشين وكاناتور الى ديوان لسبون بهدايا وتقديم امر بتجارة حرة للبرتقاليين
واما فى كاليكوت فان مواد المعاملات التجارية كان جارى التى برق عليها مع نفس الملك وبما ان الملك
كان موجودا فى داخل مملكته فاستخلص الاميرال كابرال على واحد اسمه ميخاييل وجعله واسطة بينه وبين
الملك وكان ميخاييل من الدراويش من عقلاء الشرق يجول نصف عريان فى داخل الاراضى والبلاد
واهتن نفسه بجلد البقر متقشف فى عيشته ناسك فى عبادته فنجح هذا الرسول المقدس فى طلب ما ارسل
فيه وراى الملك ان امر التجارة والمحالفة مع هولاء القوم اقرب الى الباس وسايل الخلاص مما سواها
وقع من السفرى والجور واسرع فى العود الى المدينة واحتفل بعقد بلوتوج كابرال واصحابه من بعد عودهم
من كوشين وتمت هذه المقابلة على الرضى والتوافق والملاطفة بين الطرفين ولو ان البرتقاليين ما
نالوا شيا من الثروة المفرطة التى اذهلت عقولهم وابصارهم الموجودة على جسم الزاموريين وفى
ديوانه وما كان فى كاليكوت فى هذا الوقت ما يوفى بمطاليب البرتقاليين من اصناف البضايع
والبهارات الاعقدار واقرمن الفلفل فشحنوا منه شحنة بغاية السهولة ولما صاروا فى استعداد
السفر على البحر وصلت اليهم الاخبار بان ملك كاليكوت ارسل من الهجوم عليهم ستين شراعا منها
ثمانية عشرة شراعا من اكبر السفن الضخمة فخرج كابرال بسفنه عازما على الوقوع بهذه السفن من دون
تردد لكنه لما رأى هبوب ريح طيبة موافقة للسفر راى انه لو حصل له النصر على خصمه فانه لا يعود
بنفع على بعوده وانه لا بد له من اتمام المقصود من هذه السفرة بحمله الى بلاده الشحنات التى شحنها
سفنه وسافر حتى وصل كاناتور فوجد فيها معاملات وبيع وشرا واخذ وعطا وكانت كاناتور
ما زالت فى صداقة مع البرتقاليين زيادة عن كوشين فتمم منها شحنات سفنه ثم اقلع بسفنه الى ان

عود كابرال الى لسبون

دور راس عشم الخير ووصل لسبون فى ٣١ يوليه سنة ١٥٠١ بعد الميلاد

سفرة يوحنا نوفا

الواقعة من قبل وصول كابرال واسطوله فى لسبون كان الملك سفر ثلاثة سفن وفى رواية اربعة
سفن تحت رياسة يوحنا نوفا مغربية واعداد لعمارة الموجودة تحت رياسة كابرال فى نوفا
دوغريا الى كاليكوت لكنه وجد بالصدفة فى سنت بلوش على ساحل افريقة مكتوب مفصل فيه حادثة
القتل والحوادث العدوانية التى كانت وقعت فى كاليكوت واشاروا عليه بالتوجه الى كوشين فاتخذ سبيله
فى البحر الى ان وصلها وتحول فيها مع الاجلال ولو ان المسلمين نجحوا فيها فى تشييد حواجز وصواريد
ما نفع للتجارة مع الاوروباويين فلما تحقق الزاموريين من مجىء اميرال جديد ارسل اسطولا من
اجل الهجوم عليه فضرب نوفا الاسطول المذكور ضربة شديدة ارغم بها الزاموريين على المخابرة فى
الصلح وقيل ان هذه السفن وصلت كاناتور فوردو الجنرال نوفا وهجم فيها اما هجوما سيقع عليه من
اسطول مؤلف من اربعين سفينة ضخمة الجرم اعدها ملك كاليكوت لهذا الصدد فلما جاء انه يورى الملك
وقوة انه لا يخشى من هذه القوة ولا يخاف فيها ترك اربعة وكلا على الساحل لاجل جمع البضايع فى وقت
عوده واقلع نحو كاليكوت فوجد الاسطول مستعد للسفر فسقط عليه وفى ظرف هذا اليوم وليلته

عود بوقاما الى لسبون

وحشم من اليوم الثاني سقط نيرانه من دون انقطاع على الاسطول فاغرق عدة سفن وهرب الباقي
ثم توجه الى كوشين وشحن البضايع التي كان جمعها الوكيل الذي كان كابرال تركه فيها ثم سار الى كانانور
وتمم شحنته منها وبعد عوده الى البرتغال كشف جزيرة سنت هيلينة فكان في كشفها فايدة عظيمة
وصارت جليلة للاسفار الاخرى بسبب ما فيها من المياه العذبة وامست مشهورة بكونها صارت جزيرة
سجن سيد الرجال والملوك الذي غلب على اعدائه وهزم جيوشهم وازال ملوكهم نابليون الاول بونابارته
امبراطور الفرنساوية وفي اثناء ما كان نوفا على السواحل الهندية دخل كابرال عاصمة لسبون
وكانت حكاية مصايبه واعماله القاسية التي لا فايدة فيها سببا في هياج وارتباك في المدينة ليس فقط
من الناس الذين عارضوا من الاول في التوجه الى هذه الجهات البعيدة الخطرة بل ومن بعض الناس
الذين كانوا اسسوا عمدوا وجه في تنفيذ مفعول اعماله فانهم راعوا ان هذا المشروع اخذ درجة في
غاية الضيق والاشكال وقالوا من حيث ان الغرض الاصلي كان مقصورا في تشييد كرخانة او بعض
تجارة وعقد علاقات تجارية وشري بضايع ذات قيمة فكانت هذه الاسفار هي المطلوبة لزيادة
جلالة السلطنة وابهتها وغناء الامة من دون الوقوع في اخطار ومهالك ومن حيث ان الملك ان
الامر متزعزع من هياج حرب دموي حسك مع ملك بعيد كاين في النهاية المقابلة من الكرة وفي مناخ
شديد الحر كثير الوباء فان ايرادات مملكة صغيرة مثل هذه يحتمل ان صرفها في هذا الشيء يكون
على غير طايل ولا فايدة في الاتعاب وحرق المصاريف فما تحرك الملك من هذه الاقوال وتنح اليها
في اذنيه كما كانت عادة لعصر مع انه جابرا دينية ومطامع دنيوية واعتمد على منحة او رحمة
بابوية كان البابا الخامس بهاي السادس اتق على السلطنة البرتغالية وكانت حاوية منحة عموم الاقاليم
والممالك الشرقية التي تكشفها بواسطة ابطالها ولها الحق والاستحقاق في الاستحواذ على امم تلك
الممالك الشرقية ونظر في سياسة نفسه ودبراره في ان عداوة ملك كاليكوت وصداقة وصحبة ملكي
كوشين وكانانور يكون في قوة منفعة دولته وبالجملة فان النيران اشتعلت في بدنه في طمع تاسيس
مملكة في الشرق ومن ثم بدل ان تجشع من عجايب المصايب التي وردت اخبارها اليه في ذلك الوقت
اختار ان يقلد نفسه في مثل هذا الوقت الصعب بلقب عالي هو سيد الملاحة والفتح وتجارة الحبشة
والعرب وفارس والهند ولاجل دخوله في هذه الادعاءات العالية شرع في استعداد اسطول اكبر عددا
وضخامة من كل اسطول سبق ارساله في البحور الشرقية واعد عمارة اصلية مؤلفة من خمسة عشر شراعا
لمدة كرخانات كوشين وكانانور وعمارة اخرى مؤلفة من خمس سفن ... وتاخذ لها موقفا
مواقفا في فم البحر الاحمر على شرط انها تمنع المسلمين الداعدا البرتقاليين من اي معاملة او تجارة
مع سواحل الهند وعهد بقيادة العمارة الاولى على كابرال وقيادة العمارة الثانية على وينسنت
سودره فما رغب كابرال انف من هذه الغرة فعهدت قيادة هذه السفرة وتوجيه اعمالها

سفرة واسكو دوجام السفرة الثانية

على دوجه مرة ثانية وسافر دوجه سفرته الثانية الهندية من لسبون وفي اثناء سفره وصل
الى افريقيا حيث مدينة سوفاله فكانت هذه اول مرة وعقد فيها محالفة وعلاقات تجارية ولما
وصل كالوا اظهر فيها شوكته ولما تبنه الحاكم وكان قلبه ملانا بالغل والحنق من اجل عدم مراعاة
كابرال في هذه الجهة واحترامه فعمل فعلته التي ارغم بها ملك كالوا على الطاعة ودفع خراج حملا
سنويا الى مملكة البرتغال ولما قرب من سواحل بلاد العرب ضبط سفينة كبيرة من سفن المسلمين
ومن الاسف الشديد ان هذا الرجل العظيم القدر من بعد ان اشتهر صيته في حسن اعماله وجودة ادارته
وسياسته صار في هذا الوقت ملعونا مقبوحا ووسخ كافة اشغاله واستكث فانه المفتخرة بما
فعله من قبيح اعماله وجرائم والفظايع الوحشية البربرية التي توقعت منه وما قام في قلبه من شدة
الغضب الذي حمله على ركوب هذه الجرائم والبطش والانتقام والاخذ بالثار الذي جاء في
شانه وهو انه من بعد ان نهب السفينة واخذ كافة ما فيها سجن بحريتها في داخلها واضرم فيها
النيران فكانت هذه فعلة وحشية لا تفعلها حتى الجن وسخ بها وجه صحايف تاريخه ثم سار الى
الهند ووصل كانانور وسار منها الى كاليكوت وفتح فيها مخابرة في شان طلب تعويض الخسارات
والاضرارات التي توقعت لسلفه ولما عرف انه لا بد من تاخير حكومة كاليكوت في طلبه جمع خمسين
من صيادي الوطنيين من السفن التي قبض عليها وامسك في يده ساعة رملية وقال للرسول انه ان لم
ياتيه جواب شافي مرضي من قبل مضي رمل هذه الساعة فانه لا بد من قتل هؤلاء الاشخاص ولما
مضى الوقت ولم ياته رد جواب وفي قوله الهمجي القطيع واضافة الى ما حصل منه من الاهوال لفزع
قطع ايدي وارجل هؤلاء الذين قتلهم وارسلها الى الساحل ورماها على البر ومن بعد ان سلط

سقط نارا حارة مخربة على المدينة افضع الى كوشين فقوبل فيها بالمقابلة المعتادة ومن بعد وصوله
كوشين بمدة قليلة وصل اليه بلاغ من الزاموريين عن يد واحد براهماني محترم السن والهيئة وفي
غاية من الكمال ودخل مع دوجه في اسئلة ومسايل تختص بالديانة المسيحية وقال له انه على رغبة من
الدخول فيها ومن اني له انه لا بد له من الدخول فيها والتمسك بعقايدها واكد له ان ملكه في شوق و
رغبة زايدة من تجديده المحبة مع البرتقاليين وانه في استعداد واهبة كبيرة من اجل ترميم ما وقع
من الخلل واصلاح ما حصل من الخطاء والضرر الذين تخللوه وبالجملة فانه احتال على الاميرال حيلة كبيرة
في كونه يتوجه الى كاليكوت في سفينة واحدة من اجل تناول لذات المحبة مع الملك سوية ولما وصل دو
جه في داخل مينة كاليكوت فبدل ان يقابل الملك مقابلة رسمية حسب الوعد وجد نفسه محيطا على حين
غفلة باربعة وثلاثين قاربا من قوارب العدو راعوه ما فيها في هذا الوقت انه قريبهم لا محالة
فبذل دوجه مجهوده وما في طاقته وقطع حبال سفينته واسرع في الاقلاع وساعده وينسنت سوودره
حتى اخرجه من هذا الموقع الصعب من دون خسارة ثم سار في مجرى اللف والدورة وضبط عدة
سفن من سفن المسلمين مشحونة ببضايع ذات قيمة وكان في واحدة منها صنم مفتخر مزين بقلايد
الذهب وعيناه من ياقوتتين ومن بعد ان سافر كانانور وترك سوودره مع عمارة في حصار
البحر الاحمر سافر الى البرتغال وبعبارة اخرى اوجز واوضح من المتقدمة انه في شهر مارث من
سنة ١٥٠٢ بعد الميلاد سفر ملك البرتغال عمانويل ثلاث عمارات بحرية الى الهند الاولى مؤلفة
من عشر سفن تحت رياسة واسكو دوجه والثانية من خمس سفن تحت رياسة وينسنت سوودره من اجل
تضييق سواحل كوشين وكانانور وحجز السفن التجارية الذاهبة الى مكة او الاتية منها والثالثة تحت
رياسة اصطفان دوجه ابن العم والثلاث عمارات جميعها تحت قيادة واسكو دوجه فلما وصل الاميرال
دوجه الى كانانور تقابل مع ملكها على الساحل واصلح معه حالة تجري على مقتضاها معاملاتهم التجارية
ومن دون انتظاره تمام حالة هذه المعاهدة سار متوجها الساحل نحو كاليكوت وكان ارسل اليها خبرا
بقربه منها وعزمه على الاخذ بثار القبايح والفظايع التي وقعت لاهل بلاده وانذر على نفسه خراب
المدينة ودمارها فابتدا قوله ووفى بنذره وخنق ثلاثون نفسا من المسلمين فوق صواري السفينة
وقطع ايديهم وارجلهم ورؤسهم ورماها في البحر ليوصلها مد البحر الى الساحل وقال ان موتهم هذا
رحمة لهم من العذاب الذين صبوه صبا على المقتولين من البرتقاليين ثم ان دوجه اكتشف في هذا الوقت
على ثلاثة ملوك اتحدوا سوية مع بعضهم في اعزاه على قصنة شطوينة على سلمهم ليوقعوا به النكال
واعدوا لذلك اسطولا مؤلفا من مائة شراع كانت العواصف العنيفة على الساحل فرموه واصبحوه هذا
المصدر ثم ان ما سار فيه دوجه من السلوك الحسن مع خوفا من عدم سلامته لتولد منه تغيير تام في
هذه المادة واصبح ملك كانانور حالفا معه وعقد ملك كوشين معه معاهدة فيها الفايدة والمنفعة
بين الطرفين واقام دوجه بيتا من الخشب للتجارة رتب فيه وكيلا واثنان وثلاثون نفسا من البرتقاليين
من اجل اشغال التجارة ثم حصل اجتهاد من الاجتهادات الكبيرة الخيانية من اجل صيد الاميرال وهو انه في
عدة شحن السفن حضر عنده شخص براهماني عالي الطبقة مشهور الذكر ومع ابنه وابن اخوه ولما وصل
امام دوجه عرض له ان له رغبة كبيرة في زيارة اوروبا من اجل تعليم العقايد الديانية وعرض له
عقد ارتباطات علاقات ومعاملات بينه وبين ملك كاليكوت ولما استحوذ دوجه على الابن وابن
الاخ في قبضته رهينة اعتمد واسكو على الوثاقة بالبراهماني فاغواه وحثه على السفر في سفينة واحدة
من دون ان يكون مصحوبا باي سفينة من سفن الاسطول بقصد زيارة مينة كاليكوت وكان مع البراهماني
عدة مكاتيب من الملك الى دوجه وفي خلال ذلك اعد الهندو مائة شراع من القوارب فلما وصلت
السفينة البرتقالية حاملة دوجه والبراهماني واولاده في مينة كاليكوت نزل منها البراهماني وفي صباح
يوم من الايام احاط المائة قارب بالسفينة على حين غفلة واجتهدوا في اضرام النار فيها بواسطة
المواد النارية المحرقة ولما ان صارت على شرف حرقها بالنيران تداركتها عمارة وتحمل العدو وصادف
ما حاق به من الضرر وشنق دوجه ابن البراهماني وابن اخوه امام اعين اهل المدينة ومع بعد قليل

عود واسكو دوجه الى لسبون

اقلع مع اسطوله في زهمة غنايم واسلاب عديدة وعاد مع قسم سفن مشحونة بالبضايع الغالية الى
لسبون من بعد ان ترك سوودره في محافظة السواحل والكرخانات وفي هذه الحالة ما رعى دوجه

غارة ملك كاليكوت على كوشين

واجبات الحقوق المرعية في صالح ومصالح حليفه الهندي وسلامته فانه في سنة ١٥٠٣ بعد الميلاد
لما راى الزاموريين اي ملك كاليكوت تحرك وسفر القوى البرتقالية من الساحل تفكر ان الوقت آن
له في الانتقام لنفسه من عبده العاصي ملك كوشين الذي بواسطته هذا العدو الغريب استحصل على قدم

ثابت على سطح المنبار فاظهر استعداداته في الاول على انه عازم على السير ضد الاوروبا ويين ولما جمع جيشا ضخما وجه حركة سيره نحو كوشين وطلب طلبا قطعيا انه لابد من ان ملكها يفسخ في الحال معاهدته واتحاده مع هذه الامة الغريبة التي استجد وجودها في تلك المحل ويسلم عموم رجال كرخانتها الذين تركوهم في عاصمته فوقعت الرجفة والرجة الكبيرة في مجلس ملك كوشين وعم الخوف والفزع عند الاهالي واشار الكثير من مستشاري الملك على ان سعيه في محاربة هذا المحارب القوي البأس لا يفيد بفايدة وليس تحت طايل الا ان الملك استمر على ثباته وعزم على ازالة المصاعب وبقاء حليفا للبرتقاليين ومع ما كان عليه من الثبات والعزم فان عساكره ما كان لا لهم طاقة على مقاومة القوى الكثيفة الموجودة مع عدوه وطردهم الزاموريين امامه من موقع الى موقع وتركه مع الغيرة حتى احيانه وامراؤه وفي اخر امره لما انقطع من كل طريقة كان له طاقة على انحيازه وقف في درب حصين موصل الى عاصمته من اجل المحافظة عليه مع شرذمة من منتخبي عسكره ولما انتعش بذلك الزاموريين بما ناله من النصر والظفر على ملك كوشين افتخر في سيره نحو الهجوم على الدرب حتى بعد ان قاومت العساكر الكوشينية مقاومة شديدة مات فيها ثلاث برنسات من الدم الملوكي الزهرا على الفرار والهرب ثم تسبب من موت نارمو هين ولي عهد التاج وكان شابا شجاعا قطع امل وقنوط كبير عند الاهالي وقام فيهم في هذا الوقت غضب مهول ليس تحت حد محدود ضد الاغراب الذين بسببهم ولولا ان الملك تجنب عدم الاتحاد معهم دفع على الامة اهوال ومصايب كبيرة الا ان الملك ما زال كان باقيا على الاتحاد مع محالفيه فمنعهم من التحزب والتزق احزابا وجماعات وسافرهم في كل طريق على حسب مرغوبه ثم التزم في اخر امره على ترك كوشين والخروج منها والتجأ في جزيرة ويبين وبسبب ما كانت عليه هذه الجزيرة من حصانتها الطبيعية وقداستها عند الهنود فكانت له ملجأ ومأوى امينا فالبث فيها مدة طويلة حتى جاءه الفرج بوصول امداد وتقوية كبيرة من اوروبا وكان السبب ان عمانويل ملك البرتقال جزم وحصل الامر بيقينا القدم الذي استحوز عليه في الدنيا الشرقية وبحالته وطرد وحفظ نقطة ثابتة في مدينة كوشين يمكنه ان ينزل عساكره ويجمع فيها سفن امداداته وعساكره ليس في اسطول واحد دفعة واحدة بل سرح فرقا واحدة بعد الاخرى واعد لذلك ثلاث سفرات واحدة تحت قيادة الفونسو البوفرق فاتح الشرق في المستقبل والاخرى تحت قيادة فرنسيكو البوفرق والثالثة تحت قيادة انطونيو سلدنها فاما فرنسيكو البوفرق فانه وصل في الاول الى سواحل بلاد العرب وجمع ما كان باقيا من العمارة التي كانت تحت رياسة وبيتس سودره وكان سودره اهمل في حماية ملك كوشين والمحافظة على سلامته وسلامة بلاده واشتغل بالسلب والنهب وقطع سبل البحر ثم هلك اخيرا في عاصف شديد وقع عليه ثم ذهب فرنسيكو من اجل عودة الملك الذي حزبت دياره وهو ملك كوشين فوجده منفيا في جزيره ويبين على اهز نفس من الشدة والضيق فقابله اجل مقابلة واحتفلنا في صفة منقذ ومخلص له من اقاته وما حاق به من المصايب وخراب الديار وانجلى عسكر الزاموريين في الحال من مدينة كوشين ولما عاد الملك السلطانه وتخت مملكته ووصل الفونسو البوفرق شرع في الغارات على داخل البلاد وفي ممالك عدوه واحاط الزاموريين وعساكره بما لا طاقة لهم به من القوى الكثيرة العدد وهربوا من مملكة كوشين مع غاية الصعوبة ومن بعد ذلك شرع ملك كاليكوت في مخابرة الصلح فتحت لاجل شرط التوافق التام والغرامة اللازمة جزاء لما دفع منه من الفظايع والقبايح والتسليم مقدارا وافرا من الفلفل وان تكون مدينة كاليكوت وميناها مفتوحة للتجارة البرتقالية ثم من بعد الرضا بهذه الشرط بقليل وقع من قرنندو كورتيا وكيل التجارة البرتقالية في كاليكوت فعل قبيح وفضيح وذلك انه التقى مع مركب من سفن كاليكوت فقبض عليها وارسلها الى كوشين فاتخذ الزاموريين هذه الواقعة حجة ووسيلة في فسخ المعاهدة التي كان عقدها فقط في ضميره ونيته موقتا حتى يجد زمنا كافيا للاستعداد فيه ولما رأى الوشيئين البوفرق اي الفونسو البوفرق وفرنسيكو البوفرق او البوفرقاك هذه الاستعدادات العدوانية اقلعا بسفنهما الى كاليكوت واجتهدا في تخويف الملك وارعابه بلا باشغالهما اعمال جريئة فكان سعيهما واجتهادهما على غير ثمرة وقيل ان البرتقاليين من بعدما طاردوا عساكر الزاموريين من كوشين وارضها شيدوا فيها قلاعا التي قطعة عليها وشيدوا كرخانة في كوشنوم ولما اثقلت السفن الحوف ونوطد السلم في تلك المحل سافر البوفرقان الى البرتقال وما سمع الفونسو عن فرنسيكو البوفرق الصغير واصحابه من بعد ذلك خبر ولا جلية اثر وكان من جملة مشحونات

ارسال ملك البرتقال ثلاث اساطيل الى الهند

سفرة الفنسو البوفرق الى الهند باساطيل البرتقالية

الفونسو البوفرق الكبير زوج من الخيل واحد فارسي واخر عربي ذوات قيمة كبيرة فكان هذا اول مدخول الخيل من البرتقال وترك محافظين قليل العدد من اجل المحافظة على التجارة وحليفهم في كوشين على ساحل الهند فلما رأى الزاموريين ان كوشين تركت بغير مدافعة عزم على سعي كبير في حطم عدوه العاصي ملك كوشين ودمار الجيش المعفوت المكروه الذي بواسطته تكتسب البرتقال بكل يوم قدم ثابت على السواحل الهندية فطلب عموم اشرافه ومحالفيه والملوك التابعين له وامرهم بالخروج لميدان الحرب وندب المسلمين على الخصوص لتنظيم السفن وحضر عنده اثنان من الذين هربوا من ميلان من اعمال ايطاليا علما صناع طرايق صب المدافع النحاس وادخلوا طرق النظام الاوروباوية في عساكره فقيل انه جمع جيشا مؤلفا من خمسين الف مقاتل وشرع في حركة سيره الى كوشين فتسبب من اساعة هذه الاستعدادات وحركة السير رجة كبيرة في صداقة الكثير من روساء كوشين فقرب منهم عدة وارتفعوا الى الزاموريين وانحازوا وعلى الخصوص منهم المسلمين فانهم دسوا اليه الدسايس ودعوه بالمجيء عند حضوره وعم الفشل والارتباك بين الذين كانوا متفرقين عند ملك كوشين فضعفت قوته جدا مع ما كان فيه من الوفاء والاعتماد على البرتقاليين فعرض على دوارطي باشيكو وكان البوفرق تركه في قيادة المحافظة القليلة العدد في سنتجس وهو محل الكرخانة واظهر له خوفه ووجله واوضح له ان كل سعي يجريه في الثبات والمقاومة في هذه الحالة الصعبة على غير طايل وانه لا يرى تحت نظره سوى التسليم بغير شروط او اخذ الاحتياطات اللازمة في توطيد النجاة مع السلامة بحياة نفسه فاجابه الاوروباوي بلسان حاد على ملئ بالاستغراب والغضب اذا كان الملك في شك وريب من اهل بلاده وانهم لا يوفون بعهدهم من الحماية له فانه على يقين تام من انه هو وشرذمته القليلة مع عدة قوى كوشين له والفرقة يكون لهم الظفر والنصر على الاعداء فعادت روح الملك الى بدنه بعد ان كادت تزهق واعتمد على اقواله وسلم اليه مقاليد الايرادات ومباشرة اجراء الاعمال الحربية وجعل اليه الحل والعقد والصرف والاستعدادات اللازمة فشرع هذا الرئيس الذي كان من المحتمل انه اشهر واعقل واكمل ضباط البرتقاليين في الاستعدادات مع غاية النشاط لمقابلة هذا العدو القوي البأس واصدر منشورا حاويا عقابات شديدة في شأن الذين يهربوا من ميدان الحرب وربط الخفر في الدروب والمسالك الذين يهربون منها ولما ضبط خمسة من المسلمين كانوا يسعون في الهرب ارسلهم الى السفن البرتقالية وخوفهم على انه عازم على قتلهم فشفع الملك في خلاصهم فاقبل باشيكو شفاعة الملك واورى على انه لابد من شنقهم ووضعهم في سجن مخفي حتى انه من بعد انقضاء من هذه الحادثة لم يستغرب الملك من صداقة البرتقاليين في وقت الافراج عنهم وشرع باشيكو ايضا في الحركات الفرضية واغار عدة غارات في ارض العدو وعاد منها محملا بالاثقال الغنايم والاسلاب وسخيف ارواح المتخذين معه وفي اثناء ذلك زحف الزاموريين بجيش كثيف ضخم في تعبية عظيمة على كوشين وكانت هذه المدينة في موضع حصين ولا يمكن التقرب منها الا من بعد عبور عدة جزاير مفصولة من البر الاصيل بعدة خيران من المياه ضيقة للعرض فابلة للخوض فكانت المحافظة على هذه الخيران هي الغرض الاصلي عند البرتقاليين ورتب عمه ملك كاليكوت في هجومه باسطول مؤلف من ١٦٠ سفينة وسار نحو واحد من هذه الخيران في محل يمكن لاسطوله الهجوم منه وابتدأ في الحال بالهجوم على اربعة قلوبات من قلوبات الاوروباويين واجتهد عموم جيشه في هذا الوقت في العبور من الخوض الى الامام وكان باشيكو مترقب وقوع الحلة مع اربعماية نفس من اهل بلاده وخمساية نفس من منتخبي عسكر كوشين فتحجر مارأى عسكر كوشين الجيش الهايل لملك كاليكوت زاحف بالات حربية تلمع تحت الشمس مع الصراخ والزعيق هربوا مع غاية السرعة وتركوا الاثنين فوادهم فحجز باشيكو هذان القايدان ليشهدا مقام البرتقاليين وثباتهم وهيئة حروبهم وكان اول هجوم وقع من الاسطول وكانت مياه البحر مغطاة بسفنه وقواربه فسلط عليه باشيكو نارا حادة من عمارته الصغيرة حتى ان كافة السفن التي قربت اما غرقت او تكسرت او تشتت وكان الحرب الشديد مع عشرين سفينة مربوطة مع بعضها بسلاسل من الحديد فوجه عليها باشيكو من مدفعه الكبير طلقة قطعت هذه السلاسل فتشتت مثل السفن الاخرى وفي غضون ذلك اجتهد الجيش البري في عبور الخيران واظهروا الجد بحرابهم ونشابهم واستمر الهجوم مدة طويلة حتى اشرف البرتقاليين على التعب والنصب الا انهم ثبتوا ثباتا قويا في مراكزهم وداوموا على طلق نيران موهرة حادة حتى قصمت ظهر عدوهم في اخر الامر ورجع بعد قتل قليل من المداخمين الا انه ما مات احد واحد وقتل البرتقاليين من اعدائهم ما ينوف عن الف نفس فتقزع الزاموريين من هذه الحادثة وعزم على عمل اجتماع اخر كبير فزاد في اسطوله الى ان بلغ ما ينوف عن مايتين سفينة ورتب في السفن ١٥٠٠٠ مقاتل وامر بالهجوم في البر والبحر فلما رأى باشيكو تقرب

استعداد ملك كاليكوت للغارة على كوشين

الواقعة بين ملك كاليكوت والبرتقاليين في كوشين

منه امرا جاء بعدم الحركة الى ان يقترب العدو منهم كثيرا فلما قرب جدا منهم فتح عليه نار مهولة حارة اذ
هلك عدد وافر من العدو وحيرت الحكارة حتى ان عسكره مهما كانوا عليه من شدة السعي والاجتهاد وكثرة
العدد وحصد خوارجهم اياهم وحثهم على الحرب اختفوا جميعا فى الهرب مع الخزي والعار وحمل ملك الهند
عدة حملات وسعى جهده هى كانت نتيجتها الخيبة وعدم الفائدة وفى هذا الهجوم الاخير حصل للبرتقاليين
مضايقات شديدة وخسارات جسيمة الا ان اعداهم كانوا اكثر منهم تعبا ونصبا وخسارة زيادة
عن كل هجوم ثم انجرت العلل والامراض فى جيش ملك كاليكوت فقطع كافة امال النجاح وعاد خاسرا
حاسرا الى كاليكوت ومن ثم يمكننا ان نقول ان هذه الظفرات التى حصلت للبرتقاليين كانت سببا
فى وضع اساسات المملكة الاوروباوية فى الهند ومن هنا نستدل ان الجموع التى تجمعت من الامة الهندية
والجيوش العديدة التى صار سوقها لميدان الحرب ما حصل منها فائدة فى مادة فتح او مدافعة وان شرذمة
قليلة من الطائفة المنتظمة حازت قوة لا تنقمع ولا تنغلب على جيوش كثيرة العدد من جيوش اسيا و
نسب باشيكو هذه النصرة الى البوقرق فمن ثم انكشف شهرة اسم بسبب ما اظهره البوقرق من
اعماله فى اشتغاله البحرية وحركاته العسكرية ولما هزم البرتقاليون هذه الهزيمة القبيحة التزم
ملك كاليكوت التنازل عن تخته لابن اخيه وما صدق باشيكو بخلاصه من هذا الخطر حتى صار طلبه مع غاية
الحث على مدة كرخانة كولوم وكان صار تهديدها بجملة من سفن المسلمين فاسرع لخلوصها مع
اهل بلاده وحفظ سلامة هذه المدينة واحتكر تجارتها وتشرعب البرتقاليين والظرف منهم فى طول
عمرهم ان هل واخيرا عزل من وظيفته وحل محله شخص اسمه لوب سواريز وصل مع اسطول وجيش من
من البرتقال فعامل باشيكو بما يستحقه من درجات الشرف وتوجه باشيكو الى البرتقال حاملا القاب
درجات الشرف فى القيادة ومن حيثه فى الخدمات تسمى طالع سعادة نفسه وكان الملك منح عليه
هذا الطالع وعينه حاكما فى مدينة المينة الكبرى مستقرة على ساحل افريقية فاتخذ الجور وسار فى طريق
الظلم وسلك مسلك العسف فقام عليه حزب مهول وقاومه فى ظلمه وعسفه وارسل فى الاغلال الى البرتقال
فاودع فى سجن مدة طويلة واخيرا صدر العفو عنه واعيد الى ما كان عليه من الشرف ومات من دون
ان ينال المكافات التى كان يستحقها فى نظير الخدمات الجليلة التى اداها وعاد منها النفع الكبير على
مملكة البرتقال فى الهند وعندما وصل سواريز الى ساحل الهند كان منتظرا حضوره واحد مسلم اسمه
كوجى بيك وهو معلوم برتقالى كان اسيرا فى كاليكوت وكان مع الاثنين مخابرة سلمية من الزاموريين
حرض كوجى على سواريز ان الملك له رغبة فى الافراج عن كافة المأسورين من البرتقاليين ومنح امتيازا
تجاريا لهم فارتعب سواريز هذا الامر فالح عليه هذا الرئيس للسلم فاتفق سواريز معه على التوجه الى
كاليكوت فلما دخل المينة واستقبل بسفنه فيها وصلت اليه سفينة مشحونة بذخاير وجملة من الاسرى
وكان الافراج عنهم بحالة ليست تحت شرط ما ومن المحتمل ان شروط المعاهدة كانت عظيمة لجهة البرتقاليين
الا ان هؤلاء الاوروباويين اضافوا لها شرطا ثقيلا وهو تسليمهم الوثنيين مهلا بيتين
الذين ساعدوا الزاموريين فى الحرب الاخيرة فاجاب المرحوم كوجى المسلم ان مادة مثل هذه بحصول مثل
فعل فى شرف مملكته لا يمكن درجها ما دون امر منه بنفسه فهذا الطلب او الشرط يلزم تاجيله الى ان ما
ان الملك فى هذا الوقت على مسافة بعيدة فى داخل البلاد فطلب سواريز مع سوء اخلاقه وشراسة
سلوكه الذى لا يتحمل وكان عليه ايضا اهل بلاده تنفيذ مفعول هذا الطلب فى الوقت فوقع فيه التشبث
والمعارضة فسلط بترانة سفنه على المدينة فخرب قسما عظيما منها ثم بعد ذلك اقلع الى كوشين فحتم مقلاك
على خراب ودمار كرنجانور وهى مدينة ثغر حصينة تابعة الى الزاموريين فرأى سواريز ان هذا اشغل
فيه بعض الصعوبة ومع هذا فانه من بعد محاربة عنيدة تغلب على المدينة وحرقها وسار مع اسطوله
منصورا مؤيدا الى محل اقامته ثم بعد ذلك رحل اسطولا كبيرا كان موجودا فى مينة بنان وعاد الى
اوروبا وفى رواية اخرى ان باشيكو لما عاد من كولوم الى كوشين وجد فيها اسطولا ضخما وقد
وصلت اليها من البرتقال وكان الاسطول مؤلف من ثلاثة عشر سفينة من اكبر السفن التى ما عهد
انشاها فى البرتقال من قبل والف وماتين نفس تحت قيادة لوب سواريز وانضم اليه بعض سفن
فى بلاج فى سفرته وكان وصول هذا الاسطول فى الابتداء الى كانانور ثم منها الى كاليكوت فاطلق
عليها نيرانا مستمرة فى مدة يومين الى ان صار غالبها اكاما من الخراب وهلك من اهلها ثلاثة الاف
نفس وقال اخرون ثلاثمائة نفس وهو الصحيح ثم اقلع منها الى كوشين فوجد باشيكو فيها ثم ارسل
هذا الاسطول للغارة على كرنجانور وهى مدينة على ساحل البحر على مسافة اربعة فراسخ من كوشين

وصول لوب سواريز والاسطول الى الهند

كوشين وجاء ان الزاموريين كان هو نفسه المدافع عنها وكان القرع والهول فيها شديدا ووقف
الى الارض وهرب منها ملك كاليكوت وعقد معاهدة ودادية مع ملك طانور او تانور
وفى سنة ١٥٠٥ بعد الميلاد رحل لوب سواريز باسطوله لملك كاليكوت كان مؤلفا من
عشرة سفينة من اكبر السفن كانت مجهزة بالخواص نارية وفيها اربعة الاف نفس و
انحرفت جملة السفن وغرق سبعماية نفس من الاتراك فضلا عن الذين هلكوا بالسيف
والنار وكلفت هذه النصرة على البرتقاليين خسارة ثلاثة وعشرون نفس فقط وفى
اول شهر يناير من السنة الثانية اقلع سواريز فى سفره وعاد الى لسبون فى شهر
يوليه مع ثلاثة عشرة سفينة مشحونة بالغنائم والاسلاب وكان معه القارس
الشهير باشيكو فقابله الملك بكل دليلة من دلايل الاحترام لكنه بسبب
وشاية وقعت له من بعد وصوله بقليل اودع فى سجن مات فيه حقيرا ذليلا
وقال المؤرخون هكذا يكون المثل القبيح ان نعم الملوك لا تدوم ومراعاتهم فى اداء
الاستحقاقات الحقيقية الواجبة عمى وقلة نظر
وفى ٢٥ مارث سنة ١٥٠٥ بعد الميلاد سافر من لسبون ابرالاسطول الى تواجه الدوفيانوس الهندى فى
ذلك الوقت مؤلف من اثنين وعشرين سفينة حاملة الف وخمسماية مقاتل منها احدى عشرة سفينة
مخصوصة لشحن المواد التجارية والنصف الاخر يقضى فى الهند وعهدت قيادة هذا الاسطول الى الشهير
دون فرنسيسكو دو المايده وكان مبعوثا من طرف الملك حاكما على الاملاك التى استحوذت عليها البرتقال
فى المدة الاخيرة بلقب نائب للملك او عامل فخرج بعد ان لبث مدة من الزمن فى نصب بيرق مملكة على ساحل
شرقى من افريقية اقلع عابرا الاوقيانوس الهندى الى ان وصل الى ساحل المليبار فاذريبا كان حاصلا
فى هذه الجهة من الاستحواذات التى حازوها اسلافه موقتا فما نزل على ساحل الهند استحصل على مقابلة
رسمية مع ملك كانانور واخبره انه جاء هنا للاقامة فى هذه الارض لاجل حماية اهل بلاده من غايلة
الزاموريين وجوره وظلمه وتعديه وطلب من الملك رخصة فى تشييد قلعة فى مينة كانانور فسمح له الملك
بهذه الرخصة ولما تم تشييد القلعة شحنها بماية وخمسين نفس من المحافظين ورتب تحتها سفينتان من
اجل حمايتها ثم بعد ذلك وصل اليه رسل من طرف ملك نارسنجه وهو ملك مسلم من اقويا ملوك الهند
عاصمته مدينة بسنجار تعوق فى اوربة والظرافة اعظم مدينة فى اث حد والجواهر المفتخرة التى لا يماثلها
غيرها التى حضر بها هؤلاء الرسل فى صفة هدايا من طرف الملك فتشهد شهادة كبيرة على ما كان عليه ملك المدينة
من العظمة والثروة وقدم هذا الملك المسلم ايضا انه يزوج يوحنا الابن الاصغر لملك البرتقال بابنته
البكر البديعة فى الحسن والجمال فاقول ان هذه حكاية لا اصل لها من المؤرخين لان المسلمين وملوكهم فى الهند
كانوا على تمسك زايد فى دينهم ولحد الان هم على كراهة شديدة مع المسيحيين كبيرهم وصغيرهم ومواهبهم
ديانات الاخرى المشركين بغير الدين الحق الاسلامى فكيف يتصور ان ملكا كبيرا قوى الباس والشوكة فى
الهند يعرض زواج ابنته على واحد منهم مهما كان كبيرا فى سلطانه كذا وما اجابوا فى تدوينهم كما
قبلت بهذه الفتنة البرتغيسية واتضح من جواب دو المايده للرسل ان له رغبة كبيرة فى غرس مواد المحبة
والصحبة المعاهدات مع نفس الملك ولما وصل دو المايده كوشين راى كافة الاحوال وقع فيها تغيير وتبدلت
بهيئة بهية اخرى لان الملك طرينباره الصادق الامين والحبيب المتين المكين للبرتقاليين قد زهد
وصارت نيته على اكل النباتات والحشيش ولبس الخيش والملابس الرثة وزهد الدنيا وما فيها ودخل
فى عالم الاحوال الخفية الرياضية وكان دو المايدة فى غاية الشوق اللهف على كونه يظهر كل علامة من
علامات الاجلال والاحترام للمحسن الذى صنع فى اشغال البرتقاليين ويجازيه باحسن الجزاء الاان وجد
انقطاعه وحسن التفاته وتوجيهاته ومكافاته وهداياه لا ثمرة فيها لرجل اعطى ظهره للدنيا وزهدها
ووجه وجهه نحو الارض واعتنقها فاهداها الى ابن اخيه ناجبيدين وكان هذا كان جلس على تخت
الملك الوراثة على تخت عمه ووردت اليه الاخبار فى كوشين بان الناس الذين كانوا محافظين فى كولام
كرخانتها سطى عليهم المسلمون وذبحوهم عن اخرهم فارسل دو المايدة ثلاث سفن من اجل ضبط
تجارة وحصرها والاعتقال عن كل ما حصل من الفظايع لكن ان حصل جحود ونكران فلابد من البطش
والانتقام والاخذ بالثار فلما راى المبعوثون حالة العداوة من المدينة وحصر تجارتها اربعة وعشرون
سفينة اطفقوا فيها نيران حامية حرقوا جميعها من السفن بما فيها الا قليلا من البحرية بخواصهم
انفسهم بالعوم فى البحر ثم ان دو المايده لما وجد انه يصعب عليه شحن اى سفينة من سفنه بالبضائع
تجارية عول على استعمال الشراسة والعنف وفتح السلوك فى نشره للحصول على مرغوبه وامر بمنع كافة
سفن المسلمين ولا يرخص لواحدة منها بشحن رطل واحد من البهارات واصناف الفلفل الى ان تتم شحنات

سفر فرنسيسكو دو المايده الى الهند

المراكب البرتغالية فتولد من هذا الشروع الردي فزع عند الوطنيين كما كان عند المسلمين والتزم
الوطنيون على الانضمام مع المسلمين واجتمعوا في جامعة واحدة وعولوا على البطش بالبرتغاليين
فاجتمعوا في عدد كبير وهجموا على الذين اجتمعوا عليهم وكان عددهم يتوف عن ثلاثة عشر نفس
حتى بدروا الى دير لمريم العذرا فاحاط العوام مع السرعة هذا الدير ولما امكنهم الدخول فيه عنوة جلبوا
مقدارا وافرا من خشب الوقد ووضعوه حول الدير واضرموا فيه النار وحرقوا الدير بما فيه فا
رتاع دوالمايده من حصول هذه المصيبة فعزل هومو وجرده من وظيفته حيث انه كان ترك
هذا المحل قبل حصول هذه المحنة الشديدة وراى دوالمايدة انه من الضروري وقوع العقاب على
هولاء الناس ليكونوا عبرة لغيرهم فارسل عمارة تحت رياسة ابنه لورنزو فذهب جزء من اسطوله
وكانت الحكومة البرتغالية في البرتغال لما رأت الصداقة التامة لها من ملك كوشين وحمايته لرعاياها
وبقاءه على محبة الفقها ومحافظته على ودادها ارسلت مع دوالمايدة تاجا يتوج به ملك كوشين
ومن ثم جلب معه من لسبونة تاج من الذهب مرصع باللؤلؤ الغالي فلما راى دوالمايدة ان الملك
الوضيفار تنازل عن الدنيا وزهدها وترك تخته لابن اخيه كما سبق الذكر عنه فتوج الملك الجديد
ناميبدين اوما ميبدو ديم بهذا التاج
ثم ان الزاموريين ملك كاليكوت ما زال كان حاصل منه دس الدسايس والهياج في طرد البرتغاليين
من الهند وحض ملك كاتانور في الدخول معه في هذا المشروع فاتهما بريطو محافظ القلعة
التي كانت تشيدت في كاتانور بمعرفة البرتغاليين بغير حق في شغل قبيح قطيع وقالوا
قبض على سفينة من المينة معها تذكره مرور برتغالية وانه من بعد ان اغرقها وضع ملاحيها
المسلمون في قطع من قلوعها وخاط عليهم ورماهم في البحر حتى لا ينظر رسمهم ولا تنكشف حالتهم
وفي اثنا تحقيق هذه القضية اتضحت براءة محافظ القلعة من ارتكابه هذا الفعل الاثيم
وحصل بين ملك كاليكوت وملك كاتانور اتفاق على الهجوم على بريطو وعلى شرذمة العساكر
القليلة الموجودين معه فلما كشف بريطو ما عزما عليه ارسل للعامل دوالمايدة في طلب
ما يمده له فارسل دوالمايده مع غاية السرعة الف عدة اللوازم له ولولا ان القلعة كانت
انحصرت بقوة جسيمة وآلت حالة محافظيها الى العدم بما حصل لهم من حرق مخزن بارود
من مخازنهم وفرغت ذخايرهم ومؤنتهم حتى اكلوا الحشرات فانهم صدوا العدو وقتلوا
الكثير من رجاله وما قتل واحد منهم في هذه المعركة المهولة فوصلت المعونة لهم في هذا
الوقت تحت رياسة النايب والبطريسطنه دوكونا ودخلوا في النار بقوة تحت مطر من
المقذوفات ودخلوا المدينة وقتلوا محافظيها بالسيف وحرقوا كافة السفن التي كانت موجودة
في المينة وفي سنة ١٥٠٧ بعد الميلاد ارسل فرنسيسكو دوالمايدة ابنه لورنزو فسافر
حتى وصل الى شول مع ثماني سفن من اجل حماية تجار البرتغاليين في طول ساحل كوشين
وكانانور وفي اثنا سيره قبض على بعض سفن من سفن المسلمين ثم ورد اليه خبر بوجود
اسطول على ظهر هذه المياه مرسول من طرف قنصوه الغوري سلطان مصر من اجل
محاربة البرتغاليين واخراجهم من السواحل الهندية وكان سبب ارسال هذا الاسطول من
الجهات المصرية ان قنصوه الغوري سلطان مصر التهبت في قلبه الحمية الاسلامية عندما
ما وقع من القطايع التي حصلت من البرتغاليين على المسلمين الموجودين في الاقطار الهندية
وما وقع ايضا من التلف والخسارة لسفن التجارية من لصوص اوروبا وبين قطاع سبل
البحور الشرقية فاعد اسطولا كبيرا وسفره تحت قيادة الامير حسام الدين الى السواحل الهندية
من اجل قطع دابر هذا الجنس الكافر الفاجر الذي مد فتوحاته واوقع الخراب في البحور
الشرقية وقيل ايضا ان السبب هو انه من قبل حصول الاستكشافات البرتغالية كان
امبراطوريانه واصناف جوزة طيب باندة وصندل طيمور وكافور بورنيو وذهب و
الشرق وبهارات وصمغ وعطريات والطاف وتحايف الصين وسيام والجاوه والمالك
الاخرى كانت كلها ترسل في الابتدا الى ملقه ومنها الى اهم عرب البحر الاحمر فكانت هذه
التجارة من مدة القرون الوسطى فيها الغنية الكافية والثروة الوافية لمداين كاليكوت وكانانور
وهرمز وعدن ورصاف ايضا الى هذه الاصناف التي رتع الكثير العدد الواردة من ملقه
اصناف احجار الزمرد الواردة من بيجو او بيغو والبهارات الواردة من بتقالة واللؤلؤ وال

تاريخ الهند من البحر الزاخر محمود مصطفى ج ٣ ٢٧

اللؤلؤ والاحجار الواردة من سيلان والماس جولكنده وقرفة سيلان وزمردها الغالي
وخشبه العظيم النفس وفلفل وزنجبيل المليبار واصناف بهارات اخرى فكانت هذه المتاجر
جميعها تجلب من مدينة هرمز الى اوروبا من طريق الخليج الفارسي الى مدينة البصرة في مصب
نهر الفرات ومنها تؤخذ على القوافل فتسيرها من طريق ارمينية وطرابزون وناتاريا و
حلب ودمشق الى مدينة بيروت على ساحل البحر الابيض المتوسط وتشتريها من هذا المخزن
القنسيون والجنويزيون والقطالونيون ويرسلوها الى بلادهم واذا ساعدت هذه التجارات
من طريق البحر الاحمر فكانت يجري تنزيلها في مدينة الطور او في مدينة القلزم المعروفة الآن بمدينة
السويس الحالية في جم البرزخ فتحملها القوافل الى قاهرة مصر ومنها تشحن في سفن النيل
الى مدينة اسكندرية وتشحن منها في سفن البحر الابيض المتوسط الى جهات اوروبا وقد ذكرت
مفصلات ذلك فيما سبق فحصل من بعد وصول البرتغاليين في الهند وكشفهم الطريق في البحر من اوروبا
الى الهند في احوال التجارات الايطاليانية وفي مداين اسبانيا والسلطان مصر والكثير من الملوك
الاخرى والامم خسارات جسيمة في تجاراتهم واموالهم من السكك التي توجهت اليها هذه التجارات
في وقت صلح وارسلها الى اهم سواحل البحر الابيض المتوسط بواسطة الاستكشافات الجديدة
ومع ما كانت عليه هذه الامم من زيادة التباين والاختلاف فانهم كانوا جميعا مشتركين في الفايدة
والمنفعة العمومية فعزموا على طرد الذين دخلوا في الهند واغلقوا عليهم باب مكاسبهم ومنافعهم
واما البرتغاليون فانهم من اجل التأمين والمحافظة على ما استحوذوا عليه في الجهة الشرقية شيدوا
كركات في ملقة وفي جزيرة هرمز ومنها بعدان دافعت هرمز عن نفسها وحافظت على شرفها
بواسطة الفارس ملكها سيف الدين الثاني فانها دخلت تحت طاعة البرتغاليين وصارت من جملة
املاكهم الخراجية فانشأوا فيها قلاعا وحصونا وانشأوا قلاعا اخرى على ساحل سوفاله ومن
ثم صارت الاعلام البرتغالية ترفرف متوجة بالنصر والظفر في طول الساحل الطويل الامتداد
لقارة افريقية من بوغاز جبل طارق الى تخوم بلاد الحبشة وفي طول ساحل آسيا من ابتداء مدينة
هرمز الى حد سيام وكان القنسيون من جملة اول من حصلت لهم المضايقة في تجاراتهم فاجتهدوا
في مداواة وعلاج ما حل بهم من هذه الخساير ودخلوا في مخابرات مع قنصوه الغوري سلطان مصر
فمن بعد ان هيجوا حميته وغضبه اعرضوا له انهم يجلبون له الاخشاب والادوات اللازمة لانشاء
اسطول يمكن به قطع دابر سفن البرتغاليين من البحور الشرقية ومن الاحتمالات القوية ايضا
انه من المداولات الايطاليانية حصلت احوال اجتهد بواسطتها سلطان مصر في مداخلة البابا في
انجام اغراضه من قبل احتياج الضرورة لحمل السلاح فاجتهد السلطان في استعداداته الحربية بالافصاح
عن عمل انه جاري استعدادها من اجل اخذ الثار والبطش بالذين حاصل منهم القطايع والضيق
للحجاج في وقت اسفارهم الى مكة وانه عازم على خراب المعبد والمحلات المقدسة الموجودة في
نواحي اورشليم ومن ثم تيسر لسلطان مصر مداخلة البابا في هذه المادة فارسل ملك البرتغال
هدايا ثمينة الى البابا واعترف بحبه وخضوع تام لدار القسيسية المقدسة واظهر غيرته وشدة تعصبه
في الدين المسيحي واطفأ كلما كان موجودا في قلب حبر رومه من الغضب والعداوة فلما خابت
امال سلطان مصر من جهة البابا اجتهد في استعداداته ودخل في مخابرات مع الملوك المسلمين الموجودين
في الهند وبواسطة هولاء الملوك واتحاده بمحالفة المسيحيين من القنسيين وغيرهم انشأ اسطولا
ضخما وطفح وسفره تحت قيادة الامير حسام الدين الى السواحل الغربية من بحيث جزيرة الهند
مع اوامر صدرت من السلطان الى الامير حسام الدين انه يقتفي اثر البرتغاليين ويقطع دابر هولاء
الملك فرنين الاعراب الذين نشروا الفزع والمخاوف والخراب في طرف مسارهم نحو الشرق فكان ظهور
هذا الاسطول في جهة السواحل الهندية في الوقت الذي كان فيه لورنزو بن دوالمايده سايرا في
سفرته الى شوله فارسل له ابوه في الحال تعليمات بالهجوم على الاسطول المصري من قبل وصوله الى
اثنين حد وتقويته بملوك الوطنيين فاجتهد الاميرال الشاب لورنزو وكان استقبل باسطوله في
مينة شوله في سرعة الاستعداد لاجل تنفيذ مفعول اوامر ابيه فظهر الاسطول المصري وساعدته
الارياح ومد البحر حتى قرب مع السرعة الى المينة وبخت السفن في الدخول في البندر واصطفت للقتال
فاستمرت الواقعة بين المصريين والبرتغاليين مدة يومان في عنف وشدة وشجاعة مقابلة
وكان الامير حسام الدين متيقن من حصول النصر له على العدو وبجاء في الهجوم عليه ووجه عزمه في
هجومه نحو سفينة الاميرال لورنزو الشاب واهربا في سفنه بالهجوم والحملة على السفن الاخرى فولوا ان

استعداد قنصوه الغوري سلطان مصر اسطولا لحماية السواحل الهندية من البرتغاليين

وصول الاسطول المصري والواقعة بين المصريين والبرتغاليين

٤٢٠

العارس دو المايدة الشاب كان الهجوم عليه لوحده فانه ما وهن وما عجز من عدوه وما فر
العارس الاميرحسام الدين حصته منه وهجم عليه صب عليه مطرا من الرصاص والقنابر والسهام
مراوحرييخ اخرى محرقة خطرة حتى ان السفينة المصرية تاخرت فى هجومها مع ما كانت عليه من القوة
والجسم على خصمها وصار لورنزو فى هذا الوقت هو الهاجم واجتهد فى هجومه على عدوه
سفينتان من سفنه على اثنين من سفن اعداهم وقتلوا ملاحيها بالسيف فكانتا هاتان السفينتان
اكثر نجاحا من الشجاع قايدهم ولما مال النصر نحو البرتقاليين زال ما كان بالمسلمين من الخوف
بوصول مالك عز الدين حاكم ديو لمساعدتهم فى عدد كبير من السفن الصغيرة وكانت هذه السفن
فى غاية من التنظيم وكانت هذه الواقعة غير المتعادلة فى القوة مهولة وخطرة على رجال البرتغال
وسفنهم الا ان الواقعة امتدت حتى فصلتهم الليلة الثانية من بعضهم ثم ان لورنزو عقد مجلسا حربيا
الظلام وحوله مجلس من روسا ضباطه وحصل الجزم فيه بانهم يجتهدوا فى النجاة بانفسهم فى راس
البحر المكشوف ومتى ظهر عدوهم يمكنهم تجديد الحرب بعناية عظيمة وتكون الطريق سهلة لهم فى الهزيمة ان
احوجت الضرورة الى الهزيمة فلما اجتهدوا فى اجرا هذه الحركة فى ظلام الليل توجهت النقاثات
عدوهم اليهم وسارت سفينة لورنزو مع السرعة وضربت فى شعب وحصل فى هذا الوقت جزر
البحر فزالت المياه من تحتها حتى ان دمارها كان لا محالة منه فربط بلاغيبو سوسه قايد السفينة
المجاورة لها ليبانها فى سفينة وامر بتشغيل المقاديف فى جر السفينتين فكانا على غير طايل وفى اثنا
هذه الحركة لما كشف كامل اسطول الامير حسام الدين الحالة الى صلة عند البرتقاليين لكسر فى حركة
ضعفهم فكما عرف رجال سوسه انهم سيحل بهم مصايب السفينة التى ربطوا البانها فى سفينتهم قطعوا
الليان وحول تيار الجزر سفينتهم بسرعة الى داخل البحر فعرض ملاحو احسن المراكب الموجودين مع
لورنزو عليه ان يترك السفينة وينزل فى احد القوارب حتى يمكنه الوصول الى الاسطول مع غاية
فاجابهم بشجاعة وسماحة وعلو شمامة ان ثبات عزمه وهمته ومروته تمنعه من ان يترك بحريه
فى هذا الوقت الاخير وانه لا بد له من ان يشترك معهم فى كل ما يقع لهم سعيدا كان او تعيسا
ومع هذا فانه ما كان قطع الامال وشجع نفسه وقوى بحرييه وبذل جهده الى ان يحصل المدد تكون
سفينة وصف رجاله وكانوا مايه نفس منهم سبعين مجروحين واظهر لورنزو شجاعة هائلة
حتى ان العدو ارتد عن الحملة عليه وفتحوا نارا حارة قوية غطت على سفن العدو بسحب من البارود
والدخان فاصيب لورنزو برصاصة فى فخذه صيرته لا طاقة له على الحركة فامر بان ينقلوا
جانب صارى السفينة واستمر فى مباشرة حركة بحرييه وحضهم على الحرب فاصابته رصاصة فى
فاحدث نفسه وسقط ميتا على ظهر السفينة واستمر بحرييه من بعد موته مقاومين ثلاث حملات
عليهم الى ان نخصهم مالك عز الدين المشهور بالشجاعة وعلو الهمة فى البقا على حياتهم وكانوا
نفسا باقيين على قيد الحياة وجميعهم كانوا مجروحين وحضهم على التسليم وعاملهم بالرفق واللين
وقيل انه قتل من المصريين نحو اربعماية نفس وكتب مالك عز الدين مكتوبا الى فرنسيسكو
ينعى اليه موت ابنه فكانت هذه اول مرة سمع فيها اصوات مدافع البرتقاليين على سواحل
الهند او الهرط وكانت مدينة شول فى هذا الوقت تابعة لمملكة احمد نجور دولوان العادل شاه
دو المايده تلقى اخبار موت ابنه مع غاية التجلد والصبر وقال ان رغبته فى كانت فى طول حياته
هذا الشاب هو اكتسابه شهرة الاسم والصيت ورأى ان الحزن والاسف على موت ابنه لا يفيد الا
لونه تمتع بنوال شهرة اسم وتنحى عنه فى الحروب فانه بذل جهده وما فى طاقته فى استعداد اسطول
مؤلف من تسعة عشرة سفينة وجمع جيش مركب من برتقاليين وهنود من كوشين وعزم على الاخذ
بثار موت ابنه فتوقفت اعماله وحركاته بحضور الفونسو البوكرك من البرتقال متقلدا ما اعطاه
ملك البرتقال لقب عامل ومعه اوامر قطعية من الملك الى الدوم فرنسيسكو دو المايدة بعزله عن
الحكومة الهندية وتسليمها اليه وعوده فى احد السفن التجارية الى البرتقال فرفض دو المايدة
فى ارادة الحكومة الى البوكرك حتى يتم غزوته التى استعد لها وقيل انه فى وقت ما كان دو المايدة
على شرف السفر فى غزوته للاخذ بثارا بنه انتشرت عليه طريق سفرته بتجديد ما كان يخطر
بال وهو ان الفونسو البوكرك سافر فى سنة ١٥٠٦ لعيد الميلاد من البرتقال مع تقويته
لمساعدة الاسطول الموجود فى الهند فارس فى اصل مقاصده بالنيران وفى مشروعات مطامع كبيرة
على شهرة نشره سطوة السلطنة البرتقالية على عموم الجهات الشرقية فاقلع فى الابتدا الى بلاد
العرب واخضع قوزباط ومسقط ومداين اخرى مهمة موجودة على سواحل بلاد العرب ثم هجم

موت لورنزو بن دو المايدة فى الواقعة

اعداد دو المايدة 3 الاخذ بثار ابنه

وصول الفونسو البوكرك ... البرتقال ... الشرقية

٤٢١

مملكة هرمز المشهورة ومن بعد عدة حروب شديدة فى البر والبحر نجح نجاحا كبيرا حتى عقد معاهدة
مع ملكها وجعله خراجيا لملك البرتقال وتشييد قلعة تشرف فى احكامها على المدينة فقام عليه
ثلوثة من الحاربين من ضباطه وهربوا منه وتركوه والزموه فى الحالة التى هو عليها بالتنازل عن
اجتنا ثمرات مظفراته ثم ارسل اليه دو المايدة صاحب الرفق واللين والحياة من مشروعات الفتح
بعوغا ينكر عليه اعمال هذه التجريدات العنيفة القبيحة الطامحة الى انه انذهل واستغرب لما حضر
البوكرك فى كوشين وقدم له امرا من الملك بصيرورة نفسه حاكم عموم الاملاك البرتغالية فى الهند
وانه لا بد من صرف النظر عن المشروع الذى بذل مجهوده واستعد للشغل فيه ولما راى دو المايدة
ان كبار ضباطه الى صنفين لتنفيذ اوامره مستعدين لمعاونته حتى فى معاونة اغراضه حكمهم واوامره
ان ضرورة الاحوال الى حد يستحيل فيها الان تنفيذ اوامر الملك وبالخصوص لا يمكن تنفيذ هذا
الامر الان بعد فتح اسطول المصريين والتغلب عليه والاخذ بثار موت ابنه منهم فاجاب البوكرك
مع شدة الغضب والغيظ والحنق ان اوامر الملك يجب تنفيذها معقولة على الفور وليس تحت شرط من شروط
مهما كانت حالتها وان حصول ادنى تاخير فى نفاذ مفعول امر الملك يعادل الاحتقار والاهانة
وعدم الطاعة لاحكامه فقال دو المايدة من شدة ما حصل له من هذه المضايقة وشدة ما كان
فى قلبه من حزنه على قتل ابنه وانه لا بد له من الاخذ بثاره انه اخرج سيفه من غمده وانه لا
يمكنه التنازل ابدا لواحد خلافه نفسه للاخذ بثار موت ابنه فلما راى البوكرك ان اقواله ومكالماته
ليس لها تاثير او نفوذ عند دو المايدة التجا الى كوشين فى غاية الغضب ولما سافر البوكرك الى
مدينة كوشين اقلع دو المايده باسطوله من اجل الهجوم على عدوه والاخذ بثار موت ابنه وباعتماده
على قوته وثباته بما كان فيه من الاتحاد مع ضباطه وارتباطهم به والعساكر الموجودة تحت قيادته
سولت له نفسه الشغل فى الاستقلال ولما عرف فى مدة سفره ان دابول احدى المداين التجارية
التجارية الواقعة على هذا الساحل كان اهلها دخلوا فى امر المصريين وحضنوه مع الحمية والغيرة عزم
على التوجه اليها من اجل فتحها واقتضاء اصلاح وما كانت هذه الجهة قوية التحصين والمدافعة فقط
بخنادق عميقة وشربونات متينة اى خوازيق مرصوصة بدل وقلعة مشرفة عليها ذات بطاريات
وابراج اكبر فيها افواه نارية لخيبة اى هجوم يوجه اليها باصعب الاعمال الحربية فامر القايد البرتقالى
دو المايدة بصف السفن فى خط واحد فى مواجهة الشطوط وامر عساكره بالنزول فى القوارب تحت
حماية نيران السفن والاقتحام مع غاية السرعة الى البر وصاحب اوامره مع الحمية واسرعوا فى رمى
انفسهم على الشطوط وكبسوا فى حركة هجومهم على القلعة وبمثل هذه الحركة السريعة الماهرة وجرأتهم
القلعة نيران مدافعهم على السفن فكانت تمر من فوق رؤس العساكر الهاجمة فوصلوا الى ابواب القلعة
من دون قتل او ارتباك فى حركتهم وما امكنهم فى هذا الوقت التقدم الا فى ثلاث دروب ضيقة
بين المدينة وساحل البحر وكان كل واحد من هذه الدروب محميا بفرقة كبيرة مسلحة من الاهالى
اهل المدينة فكانت الواقعة شديدة حتى انه تولد من كثرة القتلى حواجز وسدود زيادة عن
الشربونات المرصوصة وتكاثر الهاجمون فلفح حتى منعوا بعضهم بعضا فلما راى دو المايده هذه
الحواجز والسدود امر واسكو بريرة بالدخول من درب اخر مسدود قليل بالاموات الا انه كان محفوظا
فدخل منه فى المدينة ما بعد هجوم عليه واصدر دو المايده امره بالقتل والنهب والسلب والحرق
واصحابه شهرة نصرتهم بقبيح ما فعلوه من القسوة والبربرة وسالت الدماء مثل الانهار فى الشوارع
والحارات وخاب الوالد من يسره الحصول على سلامة ولده فهربت الجموع المكسورة مزدحمة فى بعضها
الى المسجد الكبير الجامع ولما راوا ان العدو لا يرعى عدم انتهاك حرمة اى محل مقدس تداركوا هروبهم
والنجاة بانفسهم فى كهوف ومغارات الجبال المجاورة لهم وجعل القايد دو المايده دايرة معسكره فى الجامع
المقدس الا ان القتل والتشويش ما زال كان متسلطا فى داخل المدينة وفى صباح اليوم الثانى وقع
الفزع والذعر من نار شبت فى الجهة الشرقية من المدينة وانتشر لهبها بسرعة فى الدور المصنوعة من
الاخشاب وطار الشرر من سقف الى سقف ومن دار الى دار ومن شارع الى شارع وزاد ما جج
النيران واضرامها وهرب دو المايده وضباطه امامها فى ظرف بضع ساعات ما بقى من المدينة
المفتخرة الا عمد محروقة واكوام من الرماد ووصل لهيب النيران ايضا الى السفن التى كانت موجودة
فى المدينة فحرقت كاملا وكانت سفن البرتقاليين على خط كبير من هذا قال بعض المورخين ان احراق
هذه النيران ونتايجها كان بامر من نفس الامير ال لاجل منع رجاله من النهب وقال اخرون ان هذه

٤٢٢

ان عاة ضغط غير محتملة الوقوع وكان رصول البرتغاليون من نهر راجبول
في يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٥٠٨ بعد الميلاد
ومن هذه النصرة الفنيحة اسرع المدضور دو المايدة
الى مقصده والاصل في الهجوم على الاسطول
المتحدة للعدو وكانت راسية في خليج كامبايا
في موقع حصين في مدينة ديو وكان ملك
عز الدين اشار على حليفه الامير حسام الدين
بانتظار حملة العدو والهجوم الان شما فة
اتفق الامير حسام الدين الزمنة على ترك مشورة
صديقه فترك المينة وتقرب من الساحل على قدر
امكانه كي تكون السفن صامدة بنيران بطارياته
التي على البر وربطوا السفن الكبيرة مثنى في بعضها
وحفظوها من الهجوم بواسطة شبك مصنوع
من حبال غزيرة الفتل ومع هذا فان البرتغاليين
ما حصل عندهم تردد في الزحف في الهجوم بكل
سرعة وتقدم واسكو بربره في الهجوم على نفس
حسام الدين فتح حسام الدين عليه نار حارة
من البطاريات فقتلت عشرة من رجاله فما فزع
البرتغاليين من هذه الخسارة واسرع واسكو
في الهجوم على العدو فوقعت حفرة مما على
راسه واصابته رصاصة في زوره فقضت
عليه وهلك فصعد طافوره واصحابه على
الشبك المنصوب فانقطع الشبك بهم وسقطوا
فوق ظهر السفينة ومع ما وقع من هذا العارض
فان المصريين اخيرا اما قتلوا جميعا واما
الزموا على ترك السفينة وهجم بطرس كام على
سفينة اخرى ومن قبل شبك التي طيف وشانه كان ثمانية وثلاثون من رجاله فوق الشبك فنزلوا
فيه وضربت راس بطرس فطارت من جسم وصار لا طاقة لرجاله على استعمال الاتهم الحربية مع ا...
فيه معهم فرقة اخرى وقووا بعضهم بعضا الى ان قمعوا البحرية واخضعوهم وبالاختصار فا...
الحرب كان قصير المدة حارا جدا فاصلا اخذت فيه كافة السفن الكبيرة المصرية او غرقت والذي
انهزم وتشتت امره وتدارك حماية نفسه في المياه القليلة العمق واقلعوا في النهر حتى ان دو المايدة
ما قدر على التوجه خلفهم ووجدت السفن التي اخذت مشحونة بغنايم واسلاب وافرة ووزعها دو ا...
جميعها على اصحابه وعسكره ومن بعد هذه الهزيمة ارسل ملك عز الدين الى دو المايدة في طلب
عقد الصلح وطلب دو المايدة في الاول بان حاد عالي انه لا بد من تسليم الشجاع الباسل الا...
حسام الدين عدو الاسم المسيحي فقال ملك كامبايا ان شرفه وشهرة نفسه لا يقبلون باي ص...
كانت تسليم حليفه الصديق الى يد عدو وما كان له انما في امكانه عود الاسرى على غير شرط ...
ومن الاسف ان نذكر هنا ان فايدا مثل دو المايده حاز في البيوت شهرة كبيرة في اللبنا...
الرفق سود صحايف تاريخه بفعل تولد من غضب حصل له من موت ابنه موتة شريفة في واقعة...
مع عدو له فلما عاد دو المايده الى كوشين طلب منه ايضا البوكرك ان يخضع لما صدر به ا...
الملك من تسليم مقاليد زمام الحكومة الان الا ان دو المايده ما زال كان متقويا بحزبه وقا...
على ازمة الحكومة وذهب الى آمال بعيدة في القبض على خصمه فاتفق انه وصل في هذا الوقت
فرنندو كوطنهو وهو رجل عالي القدر من وجوه البرتغال وامراها مع خمسة عشرة سفينة
وفرقة كبيرة من العساكر فشرع فرنندو في التوسط بين الطرفين المتباغضين وشرح لدو الما...
طريقة الغش والغدر التي اتخذها مع اصحابه وحزبه وحثه على التنازل عن احكام العمالة
تنازل عنها سافر الى اوروبا وعند مروره في طول الساحل الجنوبي لافريقيا اشتبك رجاله ...
مشاحنة مع الهوتنتوت اصحابه حركة سريعة في الجري لا يخشون الموت فاسرع دو المايدة

٤٢٢

لمساعدة رجاله مع جماعة بغير سلاح حنقا غضبانا على هذا العدو الوحشي فحمل الهوتنتوت
حملة منزعجة شديدة على دو المايده وعسكره وتركه عسكره وولوا الفرار فضربه واحد من الهوتنتوتيين
بخنجر في جذع رقبته فوقع قتيلا يتجرر في دمه وبقاه كتاب البرتغاليين في موته هذا فقالوا ان هذا
القايد المشهور الذي حارب في عموم البحار الهندية وغلب اقوى فرسان الشرق وقواده وشجعانه هلك
بحالة مهينة على يد اهل غير معلوم ولا معروف في واقعة مع شرذمة مؤلفة من ناس عرايا مهيني الحالة
لا شهرة لانفسهم ولا ذكر لاسماهم بين امم عالم المسكونة

ولما تقلد البوكرك ازمة الحكومة عزم من دون ان يضيع لحظة من الوقت في الدخول في مشروعه الواسع
في الفتوحات واسرع في الاستعدادات والتحضيرات اللازمة للفتح واخضاع كاليكوت عاصمة العدو
الاقوى الاعداء من القديم للبرتغاليين وكان كوطنهو على شرف العود الى البرتغال فاغواه البوكرك
وحثه على ان يكون له نصيب في الخسارة في هذا المشروع مما امكن له عدم الرفض والتخلي من ذلك بسبب
ما كان عليه من محبة ايا وفخر البوكرك مع فرقة مؤلفة من الف وثمانمائة نفس في ثلاثين سفينة
وبعض قوارب من الملاوي فيها رجال من قبل اهالي النهب والسلب لتوجيههم في هذه الغزوة
فوصل هذا الاسطول في كاليكوت في يوم ٢ يناير سنة ١٥١٠ بعد الميلاد فكان قواد هذه الغارة هما
البوكرك وكوطنهو الذي ارسله الملك عما قليل مع الاسطول السابق ذكره المؤلف من خمسة عشرة سفينة
في وقت ما بلغته اخبار الاستعدادات التي اجراها قنصوه الغوري صاحب مصر وتأكد من رفض
دو المايدة في تسليم مقاليد الحكومة الى البوكرك وكان الملك عهد اليه قوة كبيرة وشوكة عظيمة
فلما تمم ما امره به الملك وصار على سفر الى البرتغال وسوست له نفسه بشرف الحصول على شرف
جديد وطمع كبير واصر على ان يحوز الدرجة العالية عند ملكه في هذا المشروع فتنازل له صديقه
البوكرك من قيادة حركة الجيش وكان لا يمكن التقرب من مدينة كاليكوت الا من دروب ضيقة مارة
من وسط اورمانات كثيفة محيطة بالمدينة ولا يمكن للجيش المرور منها الا واحد واحد ولا يمكنه اجراء
حركة من حركات الهجوم بسرعة فاتفق هذان القايدان مع بعضهما على الزحف على المدينة في فرق
منفصلة ومن ثم صار تقسيم الجيش فرقتان واحدة مع كوطنهو مؤلفة من ثمانمائة مقاتل وبعض
اقوام نارية بريخ ومع البوكرك مثله فرقة مؤلفة من ثمانمائة نفس من الملاوي فاسرت فرقة
البوكرك طول ليلها تحت السلاح في غاية الفرح والشوق للنزول الى البر ولما انفلق الفجر ما كان
لهم من صبر ولا تحمل ولا طاقة في تاخير حركتهم فنزلوا مسرعين الى الساحل واندفعوا في هجومهم نحو المحل
المستحكم وكان هو اول الغرض في الهجوم الى ان وصلوه وحملوا على ستمائة نفس كانوا محافظين في
نقطة هجومهم هذه حتى لوا نهم قاوموا ودافعوا مدافعة شديدة الا انهم الزموا على التسليم وفي
ظرف بضع دقايق استحوذت فرقة البوكرك على هذه الجهة واما حركات كوطنهو فانها كانت تعطلت
وتوقفت بواسطة عدة موانع ولما وصل القلعة حتى رفع العلم البرتغالي على اسوار القلعة التي حصل
التغلب عليها فغضب غضبا شديدا بسبب انه ما كان له نصيب في حركة الهجوم على القلعة وشرع يقرع
في البوكرك واتهم صديقه بانه بيدعه واختلاعاته سلب منه نصيبه من الفخر والشرف الذي كان سيناله
من هذه الحركة وقال له مع الوقاحة وقلة الادب هل انت طمعان في اوباش لسبون يزعقون
ويصرخون بشهرة اسمك ويقولون ها ها فاتح كاليكوت وان ملكنا يصدق اقوالك في كل
ما تدعيه وتزعم به حاشا انك ستخيب في فخرك هذا الذي لا ثمرة فيه ولا طائل تحته وانه عند وصولي
الى الملك لا بد من كوني اعرض له انه كان في طاقتي الدخول في المدينة بهذه العصا الموجودة في يدي
ومن حيث اني لا اجد الان شخصا يحارب معي فانا لا يهدى لي راحة ولا يسكن قلبي حتى ادخل سراية
الزاموري بمجرى واموت في داخل ايوانها وكانت سراية الزاموري قايمة في جهة اخرى
من المدينة فاجتهد البوكرك في نصيحته واخماد غضبه وحنقه ووعظه انه لا يزحف اليها الا اذا وطد
وحفظ خط رجعته فما سمع كوطنهو نصيحته ومشورته واسرع كره بالسير مع الشجاعة من وسط
شوارع كاليكوت وسار فدخله فراسخ مشتبكة بايكات كثيفة من النخيل في طول الطريق فلما وصل
السراية وجدها في صورة مدينة صغيرة حولها سور محكم وكانت في الواقع ونفس الامر هي الجهة الحصينة
الجيدة الاستحكام في كاليكوت وكانت القوة الاصلية الغفيرة من الجيش معسكرة في داخلها من اجل
المحافظة عليها في وهن الفارس البرتغالي كوطنهو ما راه امام بل زال عنه عجبا الاشتغال

التي وجدها امامه والملا رجة شرف نفسه واراح عسكره لحظة من الزمن وهجم هجوما عنيفا على الاراكي
فما كان للعدو من طاقة في مقاومة هجومه فهرب ملتجأ ناجيا بنفسه الى الجبال وصار المقام الملوكي
تحت رحمة المنصور كوطنهو فالتهى بنفسه في جمع الاموال الوافرة التي وقعت تحت يده ولما راى ان نفرت
نمت ولوطوت رخص لعسكره بحرية النهب والسلب وتوجه هو الى الايوانات والقيعان الملوكية للاستراحة
وشم النفس من بعد ما حصل له من التعب في الواقعة فلو ان الهنود كان وقع الهجوم عليهم الا انهم
ما كانوا تشتتوا وتفرقوا ومن المحتمل انهم كانوا اسحروا لكوطنهو بالتقدم في هجومه الى ان وصل الى
حالة هذه فما صدرت بذلك وقدمه في حبايل واشراك المصيبة فخرج رئيس الهنود بعوثه خسرو
حتى الى قرب الى مسافة عدة اميال فجمع حوله في مدة قليلة نحو ثلثين الف مقاتل في جودة التسليح
وعزم على كونه يغلبه او يموت مغلوبا وهجم في الابتدا على البوفرق وكان مع عسكره في المدينة موطدا
طريقا ساركا بينه وبين الاسطول فوجد البوفرق نفسه غير مستعد بالكلية لمقاومة هذا الهجوم
وصعد الهنود فوق سقوف دور المدينة واسطحتها وكل جهة فيها النفع والفايدة لهم وانزلوا على
البرتغاليين خطرا شديدا قويا من النشاب فارتبكوا في بعضهم في عطف المدينة وحاراتها وشوارعها
ومنافذها وصار لا يمكنهم التقدم ولا الرجوع ولما راى البوفرق ان الكثير من شجعان رجاله قتلوا
ما وجد لنفسه طريقة في الخلاص الا احراق النار في منازل المدينة ودورها التي كان العدو احتلها
فلما تفرق العدد من كثرة لهب النيران انتهز البرتغاليون الفرصة في وقت هذا الفشل واسرعوا
في رجعتهم الى ان وصلوا الى الاسطول وفي هذا الاثنا وصل الى كوطنهو عدة انذارات بارتجاع
حالة الاعمال ووقوع الاهوال الا انه كان ثبت له ظفره الوهمي التخيلي ونظر الى الوطنيين بعين
النقص والعجز وصم اذنيه وغض نظره عن كل ما يقع من خطر او ضرر ومن بعد هذا بقليل علم
ما هرب بعدوه البوفرق ووجهت كامل قوة الهنود وجهها نحوه حس في هذا الوقت بحلول
الخطر فخرج في راس عسكره وحارب في العدو وقتل الاسر اذكاسر العضبان واخذم الميزان في
السراية واحيطت عسكره بجيش ضخم قطعوا عليهم خط رجعتهم الى السفن فكانوا في موقع ضيق
فقتل كوطنهو في هذه الواقعة واجتهد واسكو سيلويره في المدافعة عنه فادركه هو ايضا
من وجوه البرتغاليين في عاقبة امره وقيل انه من ١٦٠٠ مقاتل كان عدد القتلى ثمانون
والمجروحون ٣٠٠ نفس وكان البوفرق جرح بسهم في زوره وبحجر في راسه وقطع النفس
حتى صار لا حركة فيه فحملوه الى الساحل في صفة ميت وحافظ عليه اصحابه وارسلوه الى كوشين
فنبغ فيها صحة على التدريج وفي هذه الواقعة الشديدة وما وقع فيها من هول الهجوم لا يمكن
التصديق بهذه الخسارة الواهية التي حصلت للبرتغاليين ومن المحتمل ان مؤرخيهم راعوا ال
وراعوا عن الحق في هذه الخسارة ثم ان حماس البوفرق وحميته ما حصل فيها ضعف ولا وهن
حل به من مصيبته هذه فانه بمجرد ما شفي من جراحاته وجه التفاتاته لمد فتوحاته وكان ما بلغ
عمده ادنى حركة من خطاه ولا جسارة في توجيه مشروعه على مدينة الزاموربن وعاصمة مملكته
الاستحصال على اى مدينة بمعوب حل البحر يمكنه ان يجعلها عاصمة المستعمرات البرتغالية ويجري
حركات سفن اسطوله مع حماية الاوفق والمحافظة وعلى هذا وجه ارادته ونظر اليها على الاقل
والتوطن وظهر له ان موقع مدينة هرمز احسن موقع في الانتخاب فتوجه نحوها في غاية بنايه
ما سنة ١٥١٠ بعد الميلاد مع الف وسبعماية مقاتل في احدى وعشرين سفينة من كل صنف
ووراه في طريق سفره شخصا اسمه طيموره اوطيما وايه احد لصوص الهنود فحول عزمه والتفاته
التوجه الى هرمز ووروه نحو التوجه الى جوواه وهي مدينة واقعة على جزيرة محيطها ثلاثة وثلاثون
ميلا وسميت جزيرة لانها مفصولة من البر الاصلي بجزر من المياه والمجاري بل لتحوطها من كل جهة
ارض الجزيرة خصب منقطع بتلال صغيرة من الجبال ووديان وكان في نفسه لا يعطي كاملا ما يلزم
لمدينة كبيرة من مواد العيشة والارض المجاورة لها تعرف بارض كنارة من الاقليم
من الجهة الغربية وكان المغول فتحوها واضافوها الى مملكة دلهي ولما اضمحلت حالة المغول مملكة
المغول قامت عدة ممالك واستقلت في نفسها في الجهة الجنوبية فكان من ضمن هذه الممالك مملكة
نارسنجه وعاصمتها بيسنجار ايضا من جملة هذه الممالك وكان من بين هولاء الملوك
ملك جوواه المعروف باسم زابايم هو الاقوى في سلطانه فاخبر طيموره البوفرق بان
هذه المملكة مشتغل في حروب مع عدة ملوك في داخل الارض وتركت مملكته بدون حماية تقريبا

قد حل البوفرق في هذه العداوة واسرع في توجيه غارته على هذه المملكة وبامداده مع دليله
وصل امام جوواه في ٢٥ فبراير سنة ١٥١٠ بعد الميلاد وتغلب على عدة طوابي وقلاع
معتبرة كانت حافظة المدينة وهرب العدو منها وقرب اسطوله الى ما هو قريب جدا من اسوارها فاهل
اهل المدينة الذين ما كان لهم من شي سوى اشغال التجارة وصاروا يمعنون النظر بجدة في عواقب
الامور عندما راوا انه لابد من التغلب على المدينة بالهجوم عنوة بعدو رحمة مشكوك فيها فمن ثم
ارسلوا من طرفهم مندوبين مرخصين مؤلفين من عمد البلد راعيا نهم الى القايد البرتغالي البوفرق
فعقدوا معه شروطا من ضمنها حماية موقع التجارة والمحافظة على الارواح والاملاك فتبعهم البوفرق
هذه الشروط واستحوز في الحال على المدينة ومن هذا العهد صارت مدينة مشهورة وهي صمة حربية
تجارية روحانية اي دينية للمملكة البرتغالية في الشرق وولى البوفرق بالمواد المندرجة في شروط
المعاهدة بطريقة قوية واستصوب كل طريقة وعمل يتولد منه حفظ النظام العام والنجاح حتى
انه ابقى الكثير من الوطنيين في صنايعهم الوظيفية التي كانوا عليها من قبل ولما احتل سراية الزابايم
تعجب حتى الى ل هيئة الملوك الشرقيين وارسل سفيرا الى ملك نارسنجه واستقبل مع غاية الاجلال و
الاحترام سفرا فارس وهرمز وكانوا في ارسالية لملك جوواه وكان طيموره القاوي للعمل
اللص في الاصل رئيس هندي وسبيه افي ربه كافة مواريثه وعاملة جيرانه مع الشدة والقسوة وخافت
عليه الدنيا بما رحبت فصار لصا قاطعا للسبيل وقايد عشر من اللصوص مؤلف من هنود يلقون
انفسهم بايديهم في الاخطار والمهلكات وضم نفسه الى البرتغاليين واظهر نفسه عندهم انه اجل صديق
والبر حبيب لهم ومهما كان من هذه الاحتيالات فان نفسه سولت له عرش المحبة مع الاوروباويين على
امل ان عندهم له الى ان يصير في طاقته كافيا على الاخذ بثار ما وقع له من المضار والاذى وعود
شوكته التي خسرها فمن ثم رجع عند البوفرق جوواه على هرمز وجعل له قدرا عاليا عنده حتى
دور عزمه في فتحها والتغلب عليها وما انتظر المداين ان بعثة لمدينة جوواه رحف البرتغاليين
عليها بل انه بمجرد ما علمت سقوط العاصمة اخذت بالخضوع والطاعة واستقبل البوفرق امراها
مع غاية الاجلال والحيثية النافذة وعهد مع حفظ القلعة على واحد من كبار ضباطه اسمه انطونيو
دو نورونيه وحكومة الاهالي على واحد اسمه طيموجي وابقى حكام الوزارة ال بعثها في وظايفهم
في واقع حالة هذه اي لة المعرفة التي وجد البوفرق نفسه فيها في امن وطمانينة وموقع موافق
كان نصره في ابتدا امره لان الزابايم بمجرد وصول الاخبار اليه بان عاصمته استحوذ عليها
هولاء الاغراب المغتصبين المتعرضين في كافة السواحل الهندية اظلمت الدنيا في وجهه واشتد به
الغضب وما رآى ادنى صعوبة ولا خطر يقع فيه في اخراجهم وطردهم منها في الحال فمن ثم عقد
صلح مع اعداه ودخل الكثير في جامعة واحدة معه على هذا الغرض الشديد العدو العنيد و
اجتمع جيش مؤلف من اربعين الف مقاتل تحت ادارته جميعهم قلوبهم ملانة بالغيظ والشر على
هذا العدو الغريب المحارب لبلادهم وشرع الزابايم في سيره نحو عاصمته ونظر البوفرق الى
تقدم هذا الجيش مع الجراة والجسارة ولو ان الخطر كان يهدده من الداخل ويحتمل ان هذا الخطر كان
كبيرا عليه لولا قوة الانتظام العسكري عنده وما كانت باقية في جيشه في هذه المدة البعيدة عن كرسي
مملكتهم والكتب العساكر وضباطهم الخرج طبيعة الفرح والتنديد في اعمال قايدهم وقام حزب
كبير العدد منهم مجادل في اجرا الحرب مع الزابايم وجيشه وقالوا انه بقوة قليلة من العسكر مثل
هذه القوة ومن دون انتظار للتقوية او امداد يأتي يكون من الجنون واختلال العقل السعي
والاجتهاد في اجرا حركة حربية مع جيش كثير العدد زاحف في سيره محيط بامم عدوة لنا على العموم
وفي قلب مدينة واسعة اهلها وسكانها مترقبون انتهاز الفرصة في دمارنا الا ان هذه العلل
والتخويفات كانت على غير اساس فخرف البوفرق صاحب الحكمة العالية من قعودهم هذه الجبانة
مع غاية الشدة والغضب وحولها الى كسبهم غنايم واسلوب مفتخرة لم يبلغ مقدار الحزب كخوف
شجاعة نفس واصر على اقواله مع الشجاعة وقالوا ان جيشا وارواحا لا يلزم فقدها في عناد
رجل واحد وشرعوا في شغل اغتصاب الشوكة من يد قايدهم ونفوذ اغراضهم مقاصدهم فقبض
البوفرق الحر هذه الدسيسة من اصلها وهجم على الذين يرون في مجلس سري كانوا يديرون امورهم
فيه واودع قوادهم في السجن وعفى عن الاخرين ولما راى انه لا طاقة له على اداء الحركة بالذين هم
من العسكر القليلة اعادهم جميعا الى وظايفهم الاما استثني منهم وفي ظرف هذه المدة زحف

٤٢٦

الزابايم بجيشه على المدينة وكان الامل الوحيد عند البوقرق متعلق بنجاحه في حفظ المراث والجهات
للوصلة الى الجزيرة غير ان المعبر الفاصل لها من البر الرئيسي كان ضيقا جدا ومياهه قليلة العمق
في كثير من الجهات ولا يحصل منه ادنى مانع او حاجز يمنع حركة هجوم العدو فرتب البوقرق العساكر
العقرية المنتخبة في النقط والمحلات المعرضة للهجوم وحصنها بخطوط مستحكمة ومتاريس واكتشف
ثورة من الوطنيين في داخل المدينة فقتل منهم اربعماية نفس بالسيف ووهن الزابايم الى كا
مساعيه واجراآته الى اجراها في الابتداء لكنه ما قطع الامل من اعماله ثم عزم على اجراء الهجوم بالليل
في وقت هياج الرياح الدورية وقيام العواصف وفي ليلة ١٧ مايو زحف الهنود في وقت ظلام
الليل وفي وقت شدة العواصف في فرقتين منحرفين من نقطتين مختلفتين فحاولوا انهم قد قرروا
على الهجوم على البرتقاليين فانهم نجحوا في اغتصاب طريقهم في داخل الجزيرة رغما عن حفظ امامهم من
الموانع والعوارض وعدى الجيش جميعه الى ارض الجزيرة وابتدأ في حركة هجوم على المدينة وكان البوقرق
في هذا الوقت على غاية من الثبات في اعماله الا انه لما تكررت حملات عدوه بثورات في داخل
اسوار المدينة وظهر منها انحطاط الوهن والعجز اتباعه لما كانوا ... به من شدة العدو
وقوته وعداوة اهل المدينة وجد انه لا حيلة ولا طريقة له سوى الالتجاء في داخل القلعة ...
النهر المشيد على ضفة هذه القلعة ما زال ممكنه المواصلة مع اسطوله من بعد ما تغلب الزابايم
على المدينة وجماعاته والتفاتاته في الحال للتغلب على القلعة وامر بتغريق عدة سفن في النهر
واجتهد في قطع هذا الموصل وقاده وجلب القطران والكبريت ومواد قابلة للاحتراق من اجل
حرق العمارة البرتقالية ولما صار لا طاقة عند البوقرق في صده هذه الاعمال الخطرة عزم على
اخلاء القلعة والانجلاء منها فكانت هذه الحركة صعبة عليه ايضا ثم بعد ذلك اجرى نفاذ مفعول
نيته بحزم مع الشدة والنجاح وارسل الى الاسطول في السر كافة ادواته النارية والذخاير
والمؤن وانزل العساكر مع الهنود في السفن وكان هو اخرهم نزولا في مركب القيادة ومن المحتمل
انه هو به كان يتم من دون اشعار العدو لولا ان حصل في مخزن من مخازن البارود نار فتولد
من طلقته الهائلة ايقاظ العدو وكان سببا في وقوع واقعة قتل فيها حصان البوقرق تحته وكانت
مدة الحصار عشرين يوما فلما خرج البوقرق على ظهر البحر باسطوله عول على قضاء فصل الشتاء
في مينا موافقة لم على هذا الحال وعزم على انه لا يصرف هذا الفصل في الرخاوة والكسل وانما
فيه نار الحدة وعول على عود ما فقده من الشرف وتجديد قوة رجاله وتشجيعهم واعتمادهم
عليه ووثوقهم به وكان قسم من العساكر المحمدية الوطنية معسكر في بانجين بالقرب من جوواه
ومتحصنين على انفسهم بمتاريس قوية وكان العدو يرسل في الغالب من هذا المعسكر بعض القوارب
والسفن من اجل توقيع الفزع في البرتقاليين فعول البوقرق على الهجوم على هذا الموقع وانتخب
لهذه الغزوة ثلاثماية مقاتل فقربوا من ان حل في نهاية الصدور والصنف ونزلوا فجأة على البر
في وقت انفلاق الفجر الاول وضربوا الطبول وصرخوا بصوت الحرب حتى ارتج الجو بصراخهم في
هدو الفجر واقتحموا في هجومهم على عدوهم المتحصن فاستيقظ الهنود من نومهم فزعين مرعوبين
في غاية من الفشل والارتباك وولوا الادبار من دون ان يلتفتوا وجوههم للمحاربين عليهم
ويحفظون حياتهم ومهماتهم فاستحوذ البرتقاليون على كثير من الافواه النارية وكميات وافرة
من المؤن والذخاير التي تركها الهنود وراءهم ثم من بعده قليل عرف البوقرق ان العدو اعد
اسطولا من اجل الهجوم عليه فسبق هو في هذه الحركة وارسل عدة من السفن تحت قيادة ابن
اخيه انطونيو دو نوروني فالتقاه ملك الهنود في راس ثلاثين سفينة ومن بعد محاربة
عنيفة شديدة التزم الزابايم على الالتجاء نحو ... فسار البرتقاليون خلفه وحل بطرس وازا
اندرانده مع ... من رجاله وهجموا على السفينة الكبيرة وصعد قايدهم خلفهم فجرح جرحا بليغا
وسقط في القارب وفي وسط هذا الهياج العمومي وفي وقت ما كانت الاجتهادات جارية في خلاص
القايد ونقله من هذا الكرب الذي وقع فيه اهمل امر الاقدار اندرانيين والذين معهم ووصل الذين
في البحر فوقفت السفينة على الارض وهجم عليهم الاعداء الكثير من امدادهم فما امكنهم المدافعة عن
انفسهم الا بشجاعتهم وبسالتهم فلما شاهد البرتقاليون حالتهم تفكروا في طريق الوصول اليهم
من اجل خلاصهم فاقتحم ثمانية من شجعان البحرية البرتقالية في قارب طويل وهجموا على السفينة
عنوة ولما صار لا طاقة لهم على خلاص السفينة وحلها من الطين اكتفوا بخلاص اخوانهم منها ومن بعد
هذه ارسل الزابايم رسلا يشرحون استغرابه من شجاعة البرتقاليين وشدة قوتهم في الحروب

٤٢٧

الحروب ومخاطرتهم بانفسهم في الاخطار والكروب فارسل له البوقرق الرد مع غاية الادب والفخامة
المعتبرات في عقد الصلح فكانت على غير طائل ولما ان زال كبرياء العدو وعظمته واستيقظت شجاعة
البرتقالي وقوته في هذه الاعمال اقلع البوقرق مع اسطوله الى كانانور فاصلح فيها اسطوله
وحسن ... من عزمه وزحف في جوواه وعول على فعل اجتهاد ثاني وتقوى بوصول اسطول مؤلف
مؤلف من ثلاثة عشرة سفينة سرح اليه عمانويل من البرتقال لتقوية عمارته الهندية وكان اعتماد
البوقرق في مشروعه الثاني هذا على جوواه موسس بالخصوص على ان الزابايم مشتبك في حرب مع
مملكة نارسنجا وانه لابد من وجود قوة كبيرة من عساكر الزابايم مشغولة في هذه المملكة فسافر البوقرق
من كانانور مع اسطول مؤلف من ثلاثة وعشرين سفينة والف وخمسماية مقاتل من الاوروباويين
وثلاثماية من العساكر الوطنية وفي طريقه انضم اليه ثلاث سفن ارسلها له حليفه طيموجي
ووعده بالانضمام اليه والاتحاد معه بمجرد وصوله في جوواه في راس ستة الاف مقاتل وفي يوم
٢٥ نوامبر استقبل البرتقاليون للمرة الثانية امام جوواه المعززة عندهم ولو انه كان صار
تحصينها وتقويتها باستحكامات جديدة قوية وبها ثمانماية نفس محافظين وصف من ... حصار
دقة في داخل المياه من اجل المحافظة على حركة السفن وعملت في هيئة ابراج مستحكمة في البحر فانه
من قبل وصول ما وعد به طيموجي من ارسال العساكر شرع البوقرق في حركاته واعماله العسكرية وطرد
عدوه في الحال في داخل اسوار المدينة وفي وقت الصباح فتح نيران بطريات حارة بهولة وعنف جسيم
الى ان حصل بسبب دخان نيران الافواه النارية واتلاع عساكره الى البر وقسمها فرقتان جعل واحدة
منها تحت قيادته واعدها للهجوم على الجهة الشمالية والاخرى مؤلفة من ثلاث فرق منفصلة عن
بعضها في الجهة المقابلة لها فجعل فرقة تحت قيادة ... واخرين من الشجعان سبقوا ايديهم في حركة
الهجوم وطردوا العدو في داخل الاسوار وفي اثناء غلق العدو ابواب المدينة ادخل فردينندو ...
رمحا قويا في باب من ابوابها حتى صار لا يمكن غلقه وقتل عدة من اخوانه بمقاتله ومن بعد مدة قطعوا
جناحها اليابس فتحوا الابواب عنوة ودخل الهاجمون مختلطون مع المهجومين ولو ان القتال كان
يهيبه من ابتداء احد ابواب المدينة الى سراية الزابايم البعيدة فان البرتقاليين رفعوا اعلامهم
فوق الاسوار التي تغلبوا عليها وقتل من العدو ستة الاف نفس ومن البرتقاليين خمسين
نفسا واسورت صحف تسجيلات هذه الواقعة وجلالتها بعنف وقساوة شديدة ما كان لها نظير فان
الذين قتلوا في المعركة رميت اجسادهم للتماسيح والاسماك وطعمة للحيوانات المائية وما ترك البرتقاليين
واحد من المسلمين في الجزيرة على قيد الحياة وحاز البوقرق وعساكره غنايم واسلاب لا تعد ولا
تحصى وصار لا يرتاب في تأبيد وتوطيد العزم الكبير الذي كان مكنونا في قلبه من الطمع وحب
الشهرة ولما لبث برهة من الزمن مستحوذا على هذه العاصمة من دون فزع ولا ارتباك عكف بنفسه
على الحقيقة عليها وتوطيد امرها ابدا مؤبدا لمملكته واهل بلاده فالتفت الى اهل البلاد المزارعين
الوطنيين لا حذر يقع منهم ولا اذى وعمهم بالرفق واللين واعاد اليهم ارضهم واملاكهم ووفدت
عليه الرسل من ملوك تلك الجهات يهنئونه على ما حصل له من النصر والظفر ووجه التفاته الان
الى تأييد شوكته وبنائها ورمى اساس قلعة سماها قلعة عمانويل باسم ملكه ملك البرتقال وشيد
مباني اخرى نافعة وما نسي شيئا من الاعمال والاجراآت التي افتكرها بجعل جوواه عاصمة موافقة
لمملكة شرقية فصارت بالفعل معقلا حصينا لدولة البرتقال في الهند ثم رأى هذا العامل ان الطريقة
الموثرة في ثبات وتأييد دولته وشوكته محصورة في خلط الغالبين مع المغلوبين وصيرورة الجميع
في جامعة واحدة تحت حكومته فاجتهد في نشره والحصول على هذه الطريقة وجعلها مطمح انظاره وكان
موجودا عنده كثير من النساء المأسورات بعضهن من اكبر العائلات الرفيعة الدرجات في الارض فعاملهن
مع غاية الاحترام واغدق عليهن بالاكرام وزوجهن باصحابه الاوروباويين من دون ان ينظر
الى حالة اي جهة من الطرفين وعقد شروطا من الشروط اللازم زواجهن على انهن يدخلن في الديانة
المسيحية على الاطلاق فدخلن في هذا الدين وضرب صفحا عن درجة امتياز الطوايف والديانات
الهندية وقطع دابر هاتين المادتين من جوواه ولما تمت عقود هذه الزيجات اغدق على النساء
بالانعامات والاراضي والمساكن ورتب بعولتهن في احسن الخدمات والوظايف فلما راى العائلات
المشهورة المعتبرة ما حصل من الفوائد الجليلة من هذا الازواج دخلوا ايضا فيه على امل تعميم هذه
النعم عليهم ايضا وروى في ذلك نادرة قديمة انه لما اقيمت شعاير هذه الزيجات دفعة واحدة

٤٢٨

بوليبة واحدة واحتفال معتبر وانطفا نورها على حين غفلة صار من الصعب على الطرفين اى الى
والرجال معرفة بعضهم بعضا ووقعوا الى اشد الخطا الذين كانوا دخلوا فيه ففى صباح اليوم الثانى
صار عرض هذه المارة على البوقرق ففحص الامر جيدا مع دقة الفكر وامر بان كل واحد يكتفى بالزوجة
التى وقعت من نصيبه ولوانها على دين مخالف للذى تزوجت به فكان لهذه الحالة وقع وفرح وطرب
فى الجيش فقط ولما احكم البوقرق المراد بهذه الحالة واثبت قواعد الحكومة شرع فى اتمام التصميم
التى كان احترها فى نفسه وكان جعله ثانوية للذى اتمه واحكم قواعده وكان مصمما فى عقله وفكره
امران الاول فتح مدينة هرمز السوق الجليل المعتبر الجامع لتجارات خليج فارس وكان اجتهد فى فتحها
والغلبة عليها من وقت توجهه الى الهند وخطفت من مخيلته فى الوقت الذى كان على شرف النصر
عليها والظفر بها والامر الثانى فتح ملقه وكان يرى ان هاتين الجهتين مفتاحى الجهات القاصية
جدا الواقعة فى الشرق والجزاير الاسياوية ولاجل عدم وقوع اى شبهة ما فى حركاته اشاع ان
حركته متوجهة نحو مدينة هرمز وارسل بالفعل اليها بعض السفن ثم اقلع فى الابتدا الى كوشين
ثم سافر منها متوجها نحو ملقه فى ٢ مايو مع قطع عشرة شراعا والف واربعماية مقاتل منها

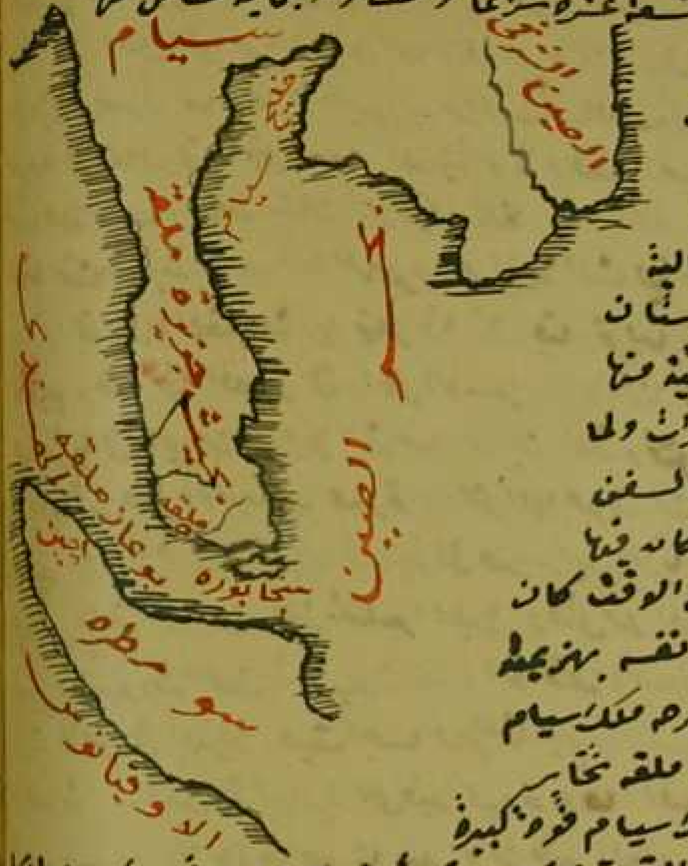

تماماية مقاتل من الاوروباويين والباقى
وطنيون وفى غرة يوليه دخل البرتقاليون
مينة مدينة ملقه ولو ان هذه العاصمة
واقعة على ساحل بحيث جزيرة تحلة الا انها
كانت زاهرة غنية وفى اوج تجارة عالية
فكانت مركز تجارة جارية فيما بين الهندوستان
والصين والجزاير الموجودة فى الجهة الشرقية منها
والان سنجابوره مختصة بفوايد هذه التجارات ولما
دخل البوقرق مينة ملقه وجدها مزدحمة بالسفن
من كافة جهات سواحل اسيا والجزاير وكان فيها
مكاسب وارباح وافرة لاهاليها وفى ذلك الوقت كان
السلطان محمد سلطان ملقه قوى شوكة نفسه بتجهيز
جيش مؤلف من اربعين الف نفس كان يرسله ملك سيام
للغارة على بجوره فلما وصل البرتقاليون الى ملقه تحالف
السلطان محمد مع ملك سيام فارسل له ملك سيام قوة كبيرة
تحت امره وفيما بعد بلغ مقدار جيشه بهذه القوة نحو من ثلاثين الف مقاتل وكانت طوبجيته
مؤلفة من ثمانية الاف قطعة نارية الا ان شدة الخوف الذى تمكن فى قلبه كان اكبر بكثير
من الاستعدادات التى اعدها وبواسطة هذه القوة ومساعدة ما جاوره من الملوك دافع
السلطان محمد عن ملقه مدافعة كبيرة عنيفة واجتهد فى حرق سفن البرتقاليين بواسطة الحراقات
عوامة مصنوعة بنيران مجرورة مع تيار مياه النهر وسهام مسمومة ونيران مدافع وغير ذلك
الا ان اقدام البرتقاليين وجسارتهم وعدم تمكن الخوف من فوادهم ذللوا امامهم كل صعب
واسرعوا على كل عايق ومانع فى مقاومات ملك ملقه لهم وارغم البوقرق ملك ملقه على الفرار
وفتح المدينة وتغلب عليها وشيد فى الحال قلعة واحدة من مهمات وادوات السرايات التى دمرها
وسماها قلعة فاموزه وشيد كنيسة اعدها لمريم العذرا واسس حكومة على قواعد ثابتة
ودخل فى مخابرات ودية مع سيام وجاوه وسومطره واستقبل من هذه الجهات سفرا الى
طرف ملوكها وارسل سفنا متعددة من اجل الكشف على جزاير مولوقه او جزاير البهار
وجزيرة بنده وغيرها من الجزاير الواقعة فى الجهة الشرقية من بحيث جزيرة ملقه وقدم للاهالى
الذين لهم عادة فى المعاملات التجارية مع ملقه شروطا حرة ينتفعون بها فى التجارة ما راوا
لها مثيل من قبل وعهد بمحافظة القلعة التى انشاها على شخص اسمه روبرطو بتلبين مع ثلاثماية
من شجعان رجاله وثلاثماية نفس اخرى من اجل المحافظ فى البحر فى عشرة سفن تحت قيادة
بيربرو دو اندراد وعاد البوقرق الى محله مع اربع سفن وروى ان واحدا من الملاحين الموجودين
جسمه بعدة جروح شديدة من سهام البرتقاليين ومن العجيب انه ما نزل منه قطرة من الدم بكل
فوجدوا فى ذراعه اسورة من العظم فلما قلعت هذه الاسورة من ذراعه سال منه الدم

ثورة غريبة [illegible]

٤٢٩

بكثرة فكشف المعتقد عن سر هذه الحادثة وقالوا ان هذا عظم من حيوان قديم من حيوانات جاوه
كان فيه هذا السر وقدروا قيمة هذه الاسورة بمبلغ جسيم وقدموها الى البوقرق وفى مدة
غياب البوقرق فى هذه الغزوة جمع الزابايم ايضا قواه وارسل جيشا ضخما تحت قيادة قواد
مغاربة فقصدوا طريقهم الى ان دخلوا الجزيرة وشيدوا فى داخلها قلعة قوية عرفت بقلعة بناستيريم
وكبسوا على المدينة وضيقوا عليها فلما عاد البوقرق مع تقوية كبيرة ارغم العدو على رفع الحصار
عن المدينة الا انه اضطر فى هجومه عدة مرات على القلعة فاستمر فى حركات اعماله وهجومه حتى طرد
عدوه بالكلية من القلعة التى كان شيدها فى الجزيرة واعاد الاحكام البرتقالية والشوكة الملوكية
ثم عزم البوقرق بعد ذلك على عمل فتوحات بعيدة الا انه تجاوز امره فى سعيين متواليين اجراهما
على تغلبه على عدن وكانت فى هذا الوقت السوق الاكبر الجامع لتجارة البحر الاحمر ثم اعد اسطولا
واستعدادات كبيرة لتمام الغرض المحبوب عنده من مدة طويلة وهو تغلبه على هرمز وكان فى
طمع من نفاذ مفعول قصده وقدر فى قوة مؤلفة من الف وخمسماية من الاوروباويين وستماية
من عساكر اسيا نحو هرمز فكانت قوته وشوكته فيها مهولة جدا حتى ان ملك هرمز ما تجاسر
على معارضته فى طلباته فى الترخيص له بتشييد قلعة ولما تم تشييدها صار له قوة وطاقة على تيسره
الحصول على طلباته بالقوة فطلب من الملك نقل كافة المدافع الموجهة افواهها فى عاصمته على
هذه القلعة الى نفس القلعة التى انشاها فما حصل عند الملك فى هذا الطلب تردد فى تنفيذ
مفعوله وصارت هرمز بتمامها مستعمرة برتغالية وبهذه المظفرات ما ترك القائد البوقرق
جهة صعبة مرغوبة فى هذه الجهة الشرقية من الكرة المعمورة الا ونصب عليها اعلام وبيارق
مملكته وكان حصول هذه المظفرات الجليلة فى الوقت الذى اشرق فيه على فضا حياته وتقلب طالع
مجد سعادته وصار البوقرق فى هذه الحالة طاعنا فى السن واعترته بنيته وجسمه فى الضعف
والهزال مع كثرة ما حصل له من الاتعاب والمشاق فلما راى صحته اعترت فى الضعف وحالته
اعترت فى الهزل والشيخوخة اشتاق لزيارة جوواه فاقر فى البحر اليها وفى اثنا سفره فى
طول ساحل كامبايا وصلت اليه اخبار كانت ضربة قوية على قلبه وضبطة مهولة على صدره
وصخرة مهولة قلقت ظهره وهى وصول اسطول جديد تحت رياسة الد اعداه لوب سوارز
ومعه اوامر من ملك البرتغال بكونه يخلفه فى وظيفة حاكم عموم الهند فلما سمع هذه الاخبار
صاح وقال انه يلزمنى الان الاعتزال والاعتكاف فى دير لانه لوطاقة لى على غضب الملك
وتراكمت عليه الهموم والاكدار ووصل مينة دابول محمولا على اذرعة الموت ولما وصل جوواه
مات فى ١٦ ديسمبره فى السنة الف وخمسماية وخمسة عشر وكان وصل امام هرمز مرتان
وامام جوواه مرتان وامام ملقه مرتان وفتح ثلاث جزاير مشهورة وممالك فى اسيا
معمورة وتتوج مجده بالنصر والظفر ثم ان كتاب البرتقاليين صرفوا صفحا عن كل شى تولد منه
غضب ملك البرتقال على البوقرق واغفلوا الاسباب التى حملت الملك على عزله على حين غفلة
هذا الرجل الذى فتح له ممالك شاسعة ومن المحتمل ان معتدى البرتقاليين المقربين من الملك
استحوذوا على اذان الملك ووسوسوا له ان هذا العامل صار فى منزلة كبيرة ودرجة عالية
رفيعة وقوة جسيمة حتى انه ما بقى عليه الا ان يخلع طاعة الملك ويستقل بنفسه فمن ثم عزله وعين
بدله الد اعداه فى القيادة والحكومة العمومية فى الشرق حتى انه ما راى ولا وجد عند نفسه مكتوب
او بلاغ او علامة شرف يستدل منها على تسوية هذا الغضب الكبير وقيل ان البوقرق فى مرض
موته اغراه اصحابه وحواشيه وتوابعه واظهروا له خضوعهم وطاعتهم واتخاذهم به حتى يكون
له قدرة على عدم قبول امر ملكه كما فى العادة مثل ملك البرتقال وان يستقل فى حكومته على البحور
الهندية فانقضت ازالة وعقله وافكاره مدة من الزمن لهذه الوسوسة ثم رفضها اخيرا من
كبرياء افكاره حتى انجرح كبرياؤه وشرفه كان الغبر مليا في حياته وترك الغذا والتلذذ
وصار ينادى فى كل وقت على الموت وما كان الموت عنه ببعيد وفى وقت دنو اجله كتب مكتوبا
وجيزا الى الملك يعرض فيه لجلالته حسن توجهاته الى ابنه فكان ما فى هذا المكتوب سيدى هذا
اخر مكتوب كتبته بيد الحقير الذليل لجلالة سموكم وهو فى غرغرة الموت من عدة مكاتيب كتبتها فى
عدة طول حياتى فى حالة ما كان متخففا بخدمة جلالتكم ولى فى مملكتكم ابن اسمه براز البوقرق

الروس في شأنه عند جلوسكم بالاوفام عليه بحسن النفات سموكم حسبما استحقه من خدماتي الجلالة سموكم واما من جهة اعمالي في الهند فانها تنطق وتتكلم عن نفسها وعني ولا لزوم لعرضها على سمو جلالتكم ولما وصل جوواه مات كما سبق وحمل مع الطنطنة والابهة من السفينة الى الشاطئ وشيعت جنازته وبقاه اهل بلاده واهل البلاد وسكبوا على موته العبرات الغزيرة وكانت قلوبهم جميعًا مجذوبة الى محبته ومتعلقة به وبهذا مات الفونسو البوفرق وكان في اعمال الرفعة والفخر والابهة بين اهل بلاده ومن اكبر القواد البحرية في العصور المتوسطة وفي مدة ادارته الناجحة بلغت المملكة البرتغالية في الشرق اعظم غاية اوجها تقريبا وكان تابعا لبعض جهات على السواحل البعيد من افريقية مستعمرات او تكوت مستعمرات على سواحل كورومنتدل الى السواحل الشرقي من الهند واستحوذ البرتقاليون على هذه المملكة المفتخرة مع كافة التجارات التي كانت جارية فيها مع اوروبا والهند ما ينوف عن مائة سنة

وقال فاريا سوسه المورخ البرتقالي ان هذه المملكة امتدت من راس غتم الخير الى حدود الصين مشتملة على سواحل طوله ١٢٠٠٠ ميل ومع هذا فانه لا يلتفت لهذا التفاخر الذي ذكره هذا المورخ لانه تفاخر فارغ لا اصل له لان هذه المسافة الطويلة ما كان يوجد فيها زيادة عن تعوثيق كرخانه او بيت تجارة منشية وما جاورها مفصول منها بعدة الوف من الاميال وما كان البرتقاليون باي حالة كانت مستحوذون على شيء من الارض في اي بقعة من البقاع خارج عن اسوار قلاعهم فكانت دولتهم وسلطانهم في الحقيقة على سواحل الاوقيانوس الذي فيه سفنهم مسلحة ومطقمة رطريقة اقوى واحسن مما سبق الدول الوطنية وكانوا منصورين عليهم في كل حالة النفع اينما صعهم حتى ثم كان تاريخ البرتقاليين في هذه المدة مشحون بالحروب التي كانت مستمرة الوقوع بينهم وبين ملوك الوطنيين ومن سوء تدبيرهم وتعصبهم وجورهم وظلمهم صاروا الد الاعداء عند هولاء الملوك وصدوهم في حركاتهم العسكرية

وكان الغرض الاكبر والشغل الاخطر الذي وضع على اعناق لوب سواريز خليفة البوفرق هو دمار الاسطول الذي كان اعده قنسوة الغوري سلطان مصر واوقفه في البحر الاحمر تبحو السواحل في حكومته الجديدة شرع في تحضير استعدادات مخصوصة لهذا الصدد وسار قاصدا جوواه مع اسطول ضخم واستقبل في عدن وكانت هذه المدينة المهمة في هذا الوقت على شرف التهديد من الامير سليمان امير الاسطول المصري فتدارك سكان المدينة حماية مدينتهم واتقسهم بعدة البرتقاليين لهم واتفقوا مع لوب سواريز على تسليم المدينة اليه فلو ان هو فقرح اجل هذا لا يمكن لهولاء الاوروبا ويون الاستحصال على مثله وليس عندهم نظيره في الجهور الهندية وما كانت مرعية فقط عند البوفرق بل وعند كل واحد من الذين سلفوه فان سواريز رفض قبول ما قدمه له اهل المدينة بحالة كان لا يوجد عنده تعليمات في شأنها من حكمه ومن ثم خاب سواريز خيبة بهية رذيلة واسأته عرق التي رعته لمكرها وحاربها اسأة شديدة وعند عيابه في هذا المشروع حسر جوواه تقريبا ثم خلصت بواسطة اثنان من القواد دخلوا باقيا انفسهم في هذه الخدمة وبواسطة بعض منح ورفض سلوافتها للعدو وفي هذا الوقت كان صار تشييد بعض المعامل والكرخانات على سواحل بنقاله وعلى ساحل الصين اسفل كنتون وعلى سواحل جزاير مولوقه اي جزاير البهارات تحصل من عمق وقساوة البرتقاليين ان اوغرت صدور سكان الشرق وكذا حكومات بنقاله وقذروهم وصاروا غير مامونين العاقبة في اقوالهم جزاير مولوقة وفي سنة ١٥١٨ عزل الضعيف المغفل سواريز وخلفه في الحكومة شخص اسمه سيكيره وكان طالع السعد غير صديق له ايضا ولازمه طالع النحس وهو انه وصل في ملقة الاقلاق واختلاف من ارتباكات جديدة وقعت بها واحدث بحالة غير نامه وارسل اسطولا الى البحر الاحمر لم يقدر بشار ما وقع من الخيبة الى بغة فرجع مخذولا معتوفا مهزولا وهجم الوطنيون في كانانور على القلعة فدافع عنها البرتقاليون مع خسارات شديدة حصلت لهم وصارت اعمال البرتقاليين في غاية من الخطر والشدة وفي سنة ١٥٢١ بعد المبادرات التي توفي بعد سلطنة جليلة في كافة اعماله واجراءاته سلطانا كبيرا واعلنت شهرة اسمه على قدر ما حملته اجنحة التجارة في طيرانها في البر والبحر وتقدمت مملكة الصغيرة بنور ادارته وحسن معاملته في الثروة والبلدة والشوكة الجسيمة وتوجهت سفراءه الى عموم دواوين ملوك عصره وسافرت الى مملكة الاحباش والى مملكة الحبشة والى مملكة كونجو وسلطان مصر وشاه العجم وامبراطور الصين وكل هولاء الملوك ادى رسوم احترام بما يليق بمقام سيد اقاليم عديدة وتفرعت سلطنته في كل قارة من

من غارات للمعمرة ولما جلس ابنه يوحنا من بعد موته على التخت البرتقالي كان الدون دوارط دومنيز عامل الهند فوقع عنده هيجان وحركة قام فيها من حادثة هجوم وقع من اكريف وزير ملك هرمز على القلعة البرتقالية وقتل فيه عدة من محافظيها بالسيف وما بقي منهم حوصر في القلعة الداخلة والتجأوا من اجل حماية انفسهم وكان كوطنهم محافظ القلعة رسول الى جوواه في طلب الامداد والتقوية الا انه من قبل وصول الامداد اعاد البرتقاليون ما حزره واصلحوا ما وقع لهم من الضرر والتزم الوزير والملك على الهرب الى قلعة مجاورة فقام الوزير على الملك المحروس وقتله في هذه القلعة وبدل ان المهين الشيخ العامل يعاقب القاتل الوزير اكريف على ما جنته يده من قتل البرتقاليين وقتل ملكه احسن اليه بحكومة هرمز بسبب انه دفع له مبلغا وافرا من النقود فسرت هذه المحنة البرتقالية في كافة الجهات الاخرى من المستعمرات البرتقالية وحصل منها تحرك وهياج في حكومات المستعمرات الاسياوية المختلفة وتولد ايضا من هذا السلب قيام حكام كوشين وكاليكوت وملقة وجزاير مولوقة وطعن كل جهة وحل في الاحكام البرتقالية فلاجل علاج مداواة هذه القباحة التي كانت سببا في وقوع الطعن والقدح في الدولة البرتقالية ارسل ديوان لسبوق الرجل الحزم واسكو دوجما المشهور بكشف جزيرة الهند فكانت مدته قصيرة العمر وابتدأ في اشتغاله بالشدة فاحمد الجرايم والقبايح وفي ظرف مدة قليلة قضى نحبه ومات في كوشين وخلفه في العمالة هنريق دومنيز اخو دوارط وكان هذا الرجل حايز صفات

الكمال التي بدا يبشر على الاصلاحات والنظام التي كان شرع فيه واسكو دوجم فكانت فضائله و
حسن صفاته سببا في وقوع القرع الاكبر في قلوب ارباب الارتشاكات والشوران ما كل من البرتقاليين
والوطنيين وحار ضربة جليلة على راجا كاليكوت العدو القديم المتاصل في العداوة للبرتقاليين
وما ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات بجني ثمار هذه الفرات ولا يقطع دابر الاشرار واهل
الارتشاكات والمفاسد التي كان يتفنن في نفسه من معرفته طرق اصلاحها وقضى نحبه في كانانور وما
قام كل ما جمع بما صرف في تشييع جنازته وكانت الحادثة المهمة التي حصلت في مدة حكومته القصيرة
محصورة في تشييده قلوع في كاليكوت كي لا تكون عرضة لانواع هجوم الزامورين وكان من قبل موته
ببضع شهور جزم بنقل مستعمرة الى مينة ديو بالقرب من مدخل خليج كامبايا في مملكة الجوزرات
فقام بهذا الامر خليفته من بعده بطرس مسكرنهاس وضرب طبل كو في ازنه واستعد لنفاذه
وبما ان الاستحواذ على موقع ديوليس مادة سهلة بالسلاح والقوة لانه كان على غاية من الرصانة
والاستحكام بالفن والطبيعة وكان ملك كامبايا من اقوى ملوك الهند قوة وشوكة فعول على الا
ستحواذ على هذا الموقع بطريق المخابرة ودفع مبلغا وافرا من النقود فتوقف القول في هذه المخابرة
بوصول عامل جديد يعرف باسم سمبيو فتولد من ذلك اختلافات كبيرة فيما كان فيه المنفعة
لجهة صالح المملكة وفي سنة ١٥٢٩ بعد الميلاد ارسل ديوان لسبون نونو داكونا متقلدا زمام
الشيارة والحكومة بدل سمبيو فابتدأ في حكومته مع التوفيق والنجاح وفي اثناء سفره توجه
الى هرمز واعاد هذه الجزيرة الى الحكومة البرتقالية وارسل الشريف الخائن الملوث يديه
الجرايم والاثام الى لسبون وعندما وصل الى مدينة جوواه اصر على الغلبة على موقع ديو لانه
وصير ورته مستعمرة برتقالية بسبب انه موقع ضروري للمحافظة على الاملاك البرتقالية والتجارة
فابتدأ في الاستعداد لمحاصرته وجمع قوة ضخمة حتى انه لما وصل بنفسه امام اسوار ديو شكل
من دون ان يخرج من اسوارها ادنى طلقة نارية فلما استحوذ عليها خاب كل ما اجراه ملك
كامبايا في عودها مرة اخرى ولولا ان سلطان مصر كان اوقف حركاته العسكرية في البلاد
الهندية وقطع اماله من هذه الجهة فانه دخل في هذه الحالة مع بهادرشاه ملك الجوزرات
في محالفة ومعاهدة واحدة وتم في مواجهته بتنفيذ مفعول المواد المندرجة في المعاهدة ا
ارسل اسطولا تحت قيادة سليمان باشا اميرال الباب العثماني في البحر الاحمر من اجل الاشتراك
مع بهادرشاه في طرد المسيحيين المكروهين المبغوضين من البحور الشرقية ووقع الهجوم على
ديو وكان محافظها قليل العدد عبارة عن سبعماية نفس كل واحد منهم امام اربعين في المحاربة
فحفظوا موقعهم مع الشجاعة ولما قام الغضب في وجه المصريين وقطعوا الامل من الغلبة على
هذه الجهة بسبب شدة مدافعتها طلبوا من عدة ملك كاليكوت في قطع دابر الكفار اولاد
الكلاب وقدموا له حماية سلطان مصر لم في نظير ذلك فانف الملك المتكبر صاحب كاليكوت
من لفظ الحماية وقال للرسول مع الكبرياء والعظمة قل لسيدك ان ملوك كاليكوت ليسوا محتاجين
لحماية احد بل هم الذين يحمون ويحفظون الملوك الاخر ولا يقبلون هدايا يرسلونها لهم وكان
حصار ديو احد الحصارات المشهورة في التسجيلات السنوية البرتقالية في اسيا وجدير بالالتفات
هنا بان الاعمال التي اظهرتها شجعان رجال البرتقاليين في هذا الحصار والشرف الذي حازوه
ما دخل فيه الرجال فقط بل وشاركهم فيه زيادة النساء ولكن في هذا الحرب على غاية من الجسارة
والجراءة والاقدام فمن اللاتي اظهرت الحمية والحماسة الدينية ازابلا دوويجا فانها جمعت
كافة النساء في القلعة واشعلت نار الحمية فيهن واورث لهن المصاعب والاتعاب التي لا
انقطاع لها الواقعة على اعناق الرجال من اجلها انهم الدواهية في صد انواع هجوماته والطالب
جيش مؤلف من سبعة وعشرين الف مقاتل وحث التي جمعتهم من النساء على اشغال ترميم الثلم
التي انفتحت في الاسوار ومنهن الفارسة الباسلة انا فرننديز فانها كانت تجري من جهة الى
اخرى مع دون خوف ولا فزع من النبال والسهام التي كانت تشتد حولها وتشجع العساكر
وتحرضهم بفصاحتها وعذب كلامها ولما رات ابنها وقع قتيلا في واحد من الهجومات حملته ونقلته
الى محل امين وجزعت عليه جزع الوالدة على ولدها ورجعت تجري ووقفت في محلها الاول
الشغل المدمر الذي حصل في اليوم فصارت وشيعت جنازة ابنها وبهذه الاعمال زلل البرتقاليون على السلامة
كافة المصاعب واستمر هذا الحرب الهول عدة اسابيع وفي اخر الامر ضجر العدو وكل وعزم على

السعي في اجراء اخر هجوم عنوة ولاجل عدم حصول شبهة او ريب شرع في انسحاب سفنه في صفة
انه يستعد لرفع الحصار ثم عاد في منتصف الليل على حين غفلة ووضعوا سلالم التسليق على الاسوار
من جهة البحر واجروا حركة الهجوم فاسرع المحافظون في القيام على الفور وانقضوا على الهاجمين
وصار القتال يدا بيد وظهرت الشجاعة والفروسية في هذه الواقعة وقتل من الهاجمين الف وخمساية
نفس وبذل العدو اخر جهده وصار مكافاة المحافظين في نظير شجاعتهم انهم شاهدوا في وقت
الصباح قلوع اسطول المصريين معدودة حاملة الى بلادهم ومقلعا بهم في وسط اباحة البحر
وذكر في موضع اخر ان نونو داكونا استحصل على رخصة في تشييد قلعة عند مدينة ديو المشهورة
في موقع صالح للتجارة الا ان هذه الرخصة كانت سببا في ان جلب على قومه حربا شديدا مع الملكتان
العظيمتان كنبايا او كامبايا والجوزرات وذلك ان بهادرشاه ملك كامبايا كان استقبل
البرتقاليين في الابتداء مع الرحب والسعة ثم ابتدأ من بعد قليل في النظر اليهم بعين الغيرة والحسد
وفي زيارة كان اداها للمستعمرة هاجت غاغة قتل فيها نفس نونو وشارك في هذه المصيبة القايم
وبعض ضباط اخر من الاوروباويين فاستخلف في الحكومة شخص اسمه سلويره فبذل مجهوده وما
في طاقته في تاييد وثبات شوكة اهل بلاده في اعين الوطنيين وظهر له ذلك في مبادي امره انه
على نجاح وتوفيق تام وما كان يعلم صفة الحيرة التي كانت محجوزة له في عالم الغيب من الحرب فكان
هياج هذا الحرب من رئيس من المسلمين اسمه خوجه ظفر كان في ابتداء امره حصن امر البرتقاليين
مع حمية في الظاهر ثم من بعدها صار الد الاعداء لهم تجمع لنقب قوة ضخمة في الجوزرات وصدر امر
سلطان العثمانيين لسليمان باشا والي مصر بالاشتراك معه في هذا الحرب وكان الجالس على التخت
العثماني في ذلك الوقت السلطان سليمان خان وسافر سليمان باشا من السويس مع اسطول مؤلف
من سبعين سفينة حاملة ٧٠٠٠ مقاتل من اجود العساكر التركية وطقم جليل من الطوبجية وانضم
معه بعد وصوله ما يتوف عن ٢٠٠٠٠ مقاتل من عساكر الجوزرات وفي اول سبتمبره سنة ١٥٣٨
بعد الميلاد احاط الحصار بالقلعة البرتقالية وكان مع سلويره ٦٠٠ نفس محافظين معظمهم
مصاب بالامراض والعلل والعيا ونظرا الى كان حاصل في الحكومة العمومية البرتقالية من الاهمال
في تعيين غارسية دو نورونها حاكما بدل نونو داكونا فاورد امدادا من جوواه الى قلعة ديو
فاستعد سلويره على قدر امكانه وما كان موجودا عنده في المدافعة بشدة وكانت حالة الحصار
والحرب شديدة كما سبق الذكر وفي الهجوم الاخير كانت خسارة المصريين الهاجمين ١٥٠٠ نفس
مقتول ومجروح وقتل في الواقعة نصف عدد المحافظين وما وجد في البرتقاليين من بعد فراغ
الحرب زيادة عن اربعين نفس موافقين لاداء اشغال المحافظة وبذل سلويره جهده ورغب
الهجوم على خصمه وبذل حضر اخر جهده في الاعمال الحربية ولما راى سليمان باشا انه لا طاقة
له على الغلبة على هذا الموقع اقلع باسطوله في ٥ نوفمبر متوجها الى مصر ثم ان يوواو عين
اسطيفان دوجم ابن المشهور واسكو دوجما حاكما على الاملاك الهندية البرتقالية فكان
صاحب مهارة كاملة وما حصل من الاهالي وادارته اثبت به لنفسه الذكا والبراعة وانه رجلا
مثل ابيه فشيد مدرسة في جوواه من اجل تربية وتهذيب اولاد الطوائف العالية من
الهنود وفي وقت ما هجم الترك على ملوك الحبشة ارسل له الامداد ودافع عنه واشعل حربا
فاتحا قطع به دابر اللصوص البحرية الذين كانوا يطوفون في الغالب بالبحور الهندية ويطوفون
في جهات سواحلها وعلى ظهور مياهها وطردهم منها ثم عزل هذا الرجل الحاكم في سنة ١٥٤٢
بعد الميلاد وحل محله الفونسو دوسوسه وفي السنة التي وصل فيها كانت اول سنة وصل
فيها الاوروباويين الى جزاير يابونيا اي جابان وقامت الشوكة البرتقالية وصدرت مرعية
محترمة في طول السواحل الشرقية والجنوبية والسواحل الجنوبية الغربية من البحيث جزيرة الهندية
وفي عدة جزاير من الجزاير الموجودة في الاوقيانوس الهندي ودخلت جزيرة سيلانديف او
جزيرة سيلان لان ديف معناه جزيرة وصحفه العرب هذا الاسم وقالوا سرنديب وهو ترك
ايضا من لفظتين سر واصله سيلا واخرى ديف او ديب وكذا صحف الاوروباويون و
قالوا جزيرة سيلون واصله سيلان ديف تحت التاج البرتقالي ودخل الكثير من اهلها
من السجيز والتمل في ديانتهم وبسبب ما كان عليه البرتقاليين من الطمع صبغوا الشرق والدين
ومن مطامعهم في المكاسب نقضوا كل مروة من مروات الاداب وكانت سرعة ارتقاء الشوكة التي
بلغت اقصى درجات الاوج معادلة لسرعة انحطاطها من قبل ان يلم الغرباء الذين رفعوها

في الابتداء من البرتغاليين ماوضح من لؤم ووقاحة وسوء تدبير العمال وفي مدة وجودهم
في يابونيا التي ربما كانت تكون منبع سعادة وثروة للاوروباويين ومانعا وملجأ للالوف
منهم بلغت كراهة اليابونيين للبرتغاليين اقصى درجة بسبب ماوضح منهم من الدسايس وعدم
العصمة والمروءة والعنف والقسوة التي كانت سببا في بغض المسيحيين عند اليابونيين وحصل
لليابونيين الذين كانوا في معاملة واحدة تجارية وودية مع اهل جزاير مولوقة نوع فزع
ورعب من الشراهة الى رقة العادة المفرطة الواقعة من البرتغاليين على الدوام واستحوذ
البرتغاليون على اثنين من البرنسات ولدي الملك الاخير صاحب طرناط على ان يكون لهم من اسم واحد
منهما الحكم المطلق المستبد في مملكتهما حتى ثم اجلسوا الكبير منهما على التخت ولما وجدوه انه لا يوافق ان
يكون آلة لاحكامهم خلعه فرتنيكا الحاكم البرتغالي واستبدله باخيه الصغير ومن بعد ذلك وصل
حاكم جديد من اوروبا فتحصل هذا الحاكم بحيلة لا اصل لها وقبض على الملك وارسله الى جوواه
ولما لم يثبت عليه شبهة في جريمة او ذنب اعيد الى تخته فمات في طريق عوده ومازال كان باقيا
حتى هذه اللعب الملوكية اخ ابن حرام اوزنا فاجلسه البرتغاليون على التخت من بعد موت ابيه
وكانت ام في جاوه مسلمة فاستفظعت من الاخطار التي احاطت بابنها في وقت جلوسه على التخت
واجتهدت في حيازته عنها وعدم قبوله جلوس التخت فبلغ الخبر اطايده الاوروباوي الحاكم بهذا
خلفها في امر الجلوس على التخت فهاج في وجه الغضب ورمى الام امام عيني ابنها من شباك
وقتلت وقت سقوطها ثم استحصلوا على رخصة من الوطنيين عديمي الاحتراز والتيقظ على
تشييد قلعة بزعم التجارة كانت ملجأ ومأوى لمفاسدهم وخبايثهم وتأسست سلطنتهم
المكروهة المعقودة على النفاق وتوطدت بالعنف وسفك الدماء وتوجت بالسلب والنهب
والخطف وقلة الحيا والسفاهة ثم عزل دوسوسه وحل محله الدون حنا دوكاسترو عاملا
وكان من امهر واشهر ضباط البرتغال وفي مدة حكومته صار لمحافظي ديو شهرة لا تبيد
لهم الى الابد وهي انه من بعد توجه الاسطول المصري الى بلاده استمر خوجه ظفر متقلدا زمام
الشوكة في الجوزرات وكان مازال هو العدو الالد للبرتغاليين فجمع من بعد مضي سبع سنوات
جيش ضخم اكبر بكثير من الجيش الاول وحاصر قلعة ديو وكان المحافظ حينها الدون [illegible]
[illegible] في راس ٢١٠ نفس من المحافظين وبهذه القوة القليلة حفظ المحافظ مركزه
مع غاية الشجاعة على [illegible] وصب نيرانا مدمرة حارة على عدوه وكان [illegible]
جا الى معسكر الحصار على امل مشاهدته فتح القلعة والتغلب عليها فارغمته قلة مدفع دفعة
في ضيعه وقتلت واحد من ضباط كان بجانبه فاسرع في سعيه الحال وترك فؤاده [illegible]
للحصار فسقط على خوجه ظفر قلة مدفع ازالت راسه عن بدنه فخلفه ابنه رومي خان
وارث جسارته وشجاعته وعداوته للمسيحيين فقوله من صد المحافظين لهم في كل هجوم نقص العدو
عددهم شيئا فشيئا الى ان نقص عدد المحافظين وابتدأت فيهم شدة الجوع والقحط في داخل القلعة
فجلب الوارد دوكاسترو [illegible] مقاتل امداد ولما عزم على سوقهم ضد العدو ولا
الادبار حاملين معهم خسارات وافرة وفي اكتوبر سنة ١٥٤٥ وصل العامل الجديد
حنا دوكاسترو وكان معه تسليح قوي فشرع في الحال في الاجراءات الشرعية وخرق متاريس
الاعداء وارغمهم على وقوع واقعة فطردهم مع القتل والاسر الى داخل المدينة واجتمعوا ثانيا
مرة اخرى وبلغ عددهم نحو من ٨٠٠٠ مقاتل فهزمهم دوكاسترو شر هزيمة ودخل معهم الى
وتغلب على ديو ومسح [illegible] وظفره بصدور امره بالنهب والسلب والذبح ولما عاد
الى جوواه في ١١ ابريل سنة ١٥٤٦ دخل موكبه متوجا بالنصر والفخر امام الموسيقى
بالزهر متوجا بفروع شجر الغار وكانت شوارع المدينة مزينة بمعاليق اصناف الحرير
اصوات المزدحمين والمتفرجين مجرورا وراء البيرق السلطاني للملكة كالسبايا حتى ان بلغ
كاترينه حكاية هذا الموكب المفتخر قالت ان الحاكم في الحقيقة فتح فتوحات مثل واحد مسيحي
الا ان موكبه كان مثل موكب واحد من الوثنيين واستمر حنا دوكاسترو في وظيفة العاملية
سنة ١٥٤٥ الى سنة ١٥٤٨ وفي ظرف هذه المدة رفع شهرة الاسم البرتغالي الى اعلا درجة
وحصل له خوف ورعب في كافة سواحل الهند وكان على غيرة وحمية كبيرة في خدمة بلاده ولو انه
في غاية من الفقر من بعد لبثه في حكومة هذه الاقاليم الغنية المدة المتقدمة

دنه ما حصل رج لمورخي بلاده من الاحوال البربرية الصحية المرعبة التي ارتكبها فانها تشوف شهرة
جرايمه ومن عجائبه عند الامم الحايزة درجة احساسات الانسانية وعلو الهمة والمروءة ثم ان احيق
دي لوت وارقى للمصاعب التي وصلت اليها المستعمرات البرتغالية والتي ماحصل لها نظيرها من قبل
كانت في سنة ١٥٧٠ بعد الميلاد في مدة حكومة الدون لويز دو اطايده وذلك ان الزامورين
ومازال كان محافظا على استقلالية نفسه دخل في مخابرة مع ديوان دلهي حضر الامر من هذا
الديوان الى عادل خان ونظام الملك يبذل مجهودهما رجائي وسع طاقتهما في كل ما يلزم
له عدته وانعقدت محالفة ومعاهدة مع الزامورين على عزم قوي ثابت حاوية طرد الامة
الغربية الاوروباوية من السواحل الهندية وكان المقصد الاصلي من هذا الاتحاد ضبط مدينة
جوواه مقر دولتهم ومركز سلطنتهم وسطوتهم فسار اليها عادل خان في راس جيش ضخم مؤلف
من مائة الف مقاتل ولبث جيشه ثمانية ايام في عبوره من دروب وبوغازات جبال الغات
الغربية ومن بعد عبوره عسكر في الخيام في هيئة خطوط مستقيمة في صورة منظومة ظريفة وفي
شكل مدينة واسعة كما كانت العادة الجارية عند المغول وكان تحت يد حاكم جوواه في هذا الوقت
٧٠٠٠ نفس محافظين و ١٣٠٠ من الرهبان وفرقة صغيرة من عبيد البرتغاليين واوقف حركة
اسطول كان على شرف التوجه الى اوروبا كان ممكن له ان يستخصص منه على تقوية مقدارها ٤٠٠ نفس
ثم صرف النظر عن هذا الامر وافتكر انه ربما يتولد منه هياج وعدم موافقة من تاخير السفن
ووصولها الى لسبون ومن المحتمل ايضا انه كان على طمع لان يظهر نفسه ان فيه الكفاية التامة في
حماية المدينة والمدافعة عنها بواسطة محافظيها وعساكر يستخصص عليها من المستعمرات المجاورة له
وشرع العدو في عدة هجومات شديدة عازما على العبور الى الجزيرة فما صدهم الدون لويز مع
الظفر والنجاح فقط بل وانه لما وردت اليه الامدادات من المستعمرات المجاورة كرر الهجوم
على معسكر العدو فاشتغلت فيه عساكره بشجاعتهم وحميتهم المعتادة ومن بعد ان قتلوا عدة
من عساكر الوطنيين ارسلوا الى المدينة عدة عربات ملوثة برؤوس القتلى لاجل ان يظهروا
لسكان المدينة الشجاعة الوحشية البربرية التي حصلت منهم بهذا الظفر ومن بعد مضي شهران
ابتدأ عادل خان في قطع الياس والقنوط وحتى فتح مخابرة مع المحافظ الا انه من حيث ان
كلا من الطرفين خافي اغراضه في نهو الحصار ومن كبرياء وعظمة كانت المخابرة في غاية بطيء الحركة
من التقدم ثم ان عادل خان راى نقطة اوجه قوتها الطبيعية ضعيفة الحماية نوعا وليست
محفوظة مع الاعتناء من جهة عدوه فعزم على الاجتياز والعبور منها الى الجزيرة وبما كانت الحالة
وفي ١٣ ابريل اجرى سليمان اغا قايد عساكر الظفر هجوما شديدا على حين غفلة ومع كان
من شدة المقاومة فانه جزوا من عسكره عبر معدية الى الجزيرة فجمع البرتغاليون قواهم ومن بعد
واقعة شديدة طردوا سليمان اغا وعسكره وردوهم على اعقابهم واقطعوا دابرهم فلما راى
عادل خان بخيبة هذه الواقعة الشديدة العنيدة وهزيمة عسكره اخذته حدة الغضب ووهن
امره واخذت كافة حركاته العسكرية من ابتداء هذا الوقت في الانحطاط والهبوط ومع هذا
فات عظمته حصنه على البقا في هذا الموقع عدة شهور وفي اواخر شهر اغسطوس فك خيامه و
عسكره وانسحب من امام المدينة من بعد ان خسر في هذا الحصار ما ينوف عن ١٢٠٠٠ نفس
هذا ما كان من امر عادل خان واما نظام الملك فانه وفى بما كان مدرجا في شروط المعاهدة
وزحف في راس جيش مهول على مدينة شول موقع كبير الاهمية بالقرب من بمبي فكانت حدائقه
هذا الموقع والمحافظة عليه مقطوعة الامل واليأس لانه كان واقع في داخل ارض القارة ومحيط
بسور واحد وقلعة عبارة عن مسكن او بيت معتاد فاشار [illegible] حاكم العموم بسحب عساكره من
هذا الموقع من دون وقوع ادنى سعي في المقاومة الا ان لويز شكل في عظم نصيبا على قدر ما
سولت له نفسه به ولما بلغت عساكر لويز فريرة اندرادة محافظ المدينة الى ١٠٠٠ نفس شرع
في اخذ الاحترازات اللازمة في المحافظة على مقتضى رفيع شجاعته ومهارته حتى بعد ان اجتهد نظام
الملك في فتح المحل عنوة وكانت اجتهاداته على غير طائل فتح نيران منتظمة عليه من بطاريات انشاها
وكانت الافواه النارية الموجودة في تلك البطاريات لا اقل من سبعين فوهة نارية ومما بعد
مضي شهر داخل المدينة اثر الضرر والمصايب وانهدم سورها وصار الهاجمون يهجمون بيتا
من بعد بيت وكان كل بيت تحول الى هيئة قلعة صغيرة محفوظة مع الثبات والعناد فعزم
المسلمون على الهجوم دفعة واحدة ودخلوا المدينة من نقط عديدة الا انهم ارغموا في كل [illegible] على

اعقابهم وكان في بيت من البيوت التزم البرتغاليون على اخلاءه وكان فيه كثير من الالغام ثم قبل خروجهم منه انطلقت ناره فقتل منهم اربعون نفس وبيت اخر صار حمايته ستة اسابيع وثالث استمر مدة شهر ومن بعد ان لبث الحصار مداوما نحو من نصف سنة وهلك الجم الغفير من الوطنيين جرت المحاربة في اول شهر يونيه في السنة وكانت على غير طائل فجدد نظام الملك الهجوم مع العنف والشدة زيادة عن الاول وتغلب على عبيد سنت دومونيك وبيت بنو الوارين وغيرها الى جنينة الا ان رصاص كان بطيئا لاسيما مقصوده ولولا انه كان في تقوية قوية من اجرا الهجوم لهاي وفي ٢٩ يونيه اقتحم عموم جيش نظام الملك الهجوم رافعين زعقات وصرخات من عجز من المحلات المتخربة التي كان البرتغاليون واقفون عليها واشتعلت الافواه النارية في طلق نيرانها واحتاث الجو بشررها واظلمه بكثرة دخانها وكانت هذه الرجة شديدة بهولها وغرس جيش نظام الملك بيارقه واعلامه على جهات كانت باقية من السور وصار على جملة الاسوار على المدينة الا ان شجاعة البرتغاليين وانتظام حركاتهم كانت هي الغالبة وحصل لهم الظفر في اخر الامر ومن بعد ان داوم نظام الملك على هذا الهجوم الهول سحب جيشه ودخل في مخابرة مع البرتغاليين كانت نتيجتها اتحاد وتراضي وحركات تفرحية سويه فاظهر الزاموريس عدم رغبته في الدخول في هذه الاتحاد الكبير وفي الواقع فانه لما راى البرتغاليين منفنا يقيف من كل جهة بالاحتياطات لا تقرن فقدم عدم رغبته في ذلك ورغب عقد صلح على حدتها واجتهد في ذلك اجتهادا كبيرا فقام في وجه الطايفة الكبيرة والعظمة ورفض في هذا الوقت الصعب ان يبتاع صلحا باي رخصة او منحة يكون فيها له الزلة والاهانة وازدرى شوكة الملك واعتمد على مهارة نفسه وشجاعة اهل بلاده في خلوص نفسه من كل كرب وضيق فارسل الزاموريس فرقة من عساكره لمعونة نظام الملك ونصب الحصار على قلعة [illegible] وهي على مسافة ميلين من كاليكوت وكان هذا المحل على جودة من الحماية ولما وردت الامدادات لمعونة الى قوليش المحاصرين فيه التزم على رفع الحصار والهزيمة بجيشه ومن هنا انقضى الاستحقار بالكلية وكان واظهر فيه معظم القوة الكبيرة للهند الجنوبية ما اجراه الحاكم البرتغالي من اعماله وشجاعة عسكره وبهذه الاعمال وتمام اشغال اخرى دامت شوكة مملكة البرتغال الصغيرة في مدة القرن السادس عشر لها السيادة في الشرق وحتى في وقت اضمحلالها لوات الشهرة والصيت الذي كان مربوطا مع اسمها حصل منه الفزع والخوف وادى الى الميانة والطاعة في اوقايم التي زادت في الاول من سيفها وضرب بنادقها وفي افتتاح القرن السابع عشر دخل في الهند عصر جديد اوروباوي وكان السبب في دخوله ان للثورة وعاصفة البحرية التي اجرتها اهل الاراضي الواطية في اوروبا تولد منها هزيمة اقوى ورمث ثاني فيليب صاحب اسبانيا من فوق عالمتها وخاطرت بنفسها من فوق ارصفتها ودخلت في المياه الاسـ[illegible] ومرت على سواحل افريقية ووصلت الى الممالك الحائزة الثروة والغنيمة في الشرق واهاجت حروب مهلكة مع البرتغاليين محتكري التجارة الاسياوية ومن ثم وجب علينا ان نذكر في الفصل الاتي ما كان من تاريخ اهل الاراضي الواطية او الفلمنكيون في البحور الشرقية وفي الهند فنقول وبالله حسن التوكل والقبول امين

الفصل الثاني

الفلمنكيون في الهند وفي البحور الشرقية

لا توجد مملكة من الممالك اعرب تاريخها في القرون المتوسطة ممن عمل فوق العادة يشمل قيام الفلم[illegible] صغير لا معنى له في صفاته الى حالة الاستقلالية ودرجة الشأن والعظم مثل ما اعرب تاريخ هو[illegible] او الاراضي الواطية او الفلمنك عن حالة قيام استقلاليتها وعلو درجة شأنها من حالة الذل والهوان الى الدرجة العظيمة الشأن وذلك ان استمرار الحروب الناجحة التي داومت عليها في ظرف مدة طويلة بلغت ثمانون سنة ضد اقوى الممالك التي كانت موجودة في ذلك الوقت على سطح المسكونة وانتهاها بتقرير واعتراف الجمهورية الفلمنكية بمعرفة اتحاد مدينة اوطريخت في سنة ١٥٨١ بعد الميلاد كانت حالة لا يماثلها مثال في كلي حصولها ونتايجها وكان السبب في هذه [illegible] ان الفلمنكيين لما قطعوا الامل من حياة انفسهم بسبب ما وقع لهم من الجور والتعدي والظلم الذي

البين من جهة فيليب الثاني ملك اسبانيا ومن جهة الكنيسة الرومانية واسباب اخرى اضعفت حالتهم واهانت حرمتهم واضنت معيشتهم قاموا في ثورة واحدة على اسبانيا ومن بعد حروب شديدة هاجت في ظرف المدة المتقدمة جميعها حصل لهم النصر والظفر وضبوا انفسهم في درجة استقلال جمهوري واخذوا في سرعة التقدم والنجاح حتى صار لهم دولة بحرية وشوكة تجارية واعتدت دولتهم وشوكتهم من هذا الاقليم الضيق الواطي وانتشرت قوتهم حتى استحوذوا على املاك عديدة في كل جهة في اسيا وافريقية واوستراليا واخضعوا لطاعتهم برزيليه وغينيا والهنود الغربية ونيورقة الجديدة وراس رجاء الخير وقسم واسع من الهندوستان وجزاير سيلان وجاوه وسومطره وهولندة الجديدة وبما ان تاريخ الهند لا يمكن اتمامه لو صرفنا النظر عن تدوين وسرد احوال الجراة والجسارة الفلمنكيون في تلك الجهة من قارة اسيا فمن ثم وجب علينا ان نحرر ما حصل من قيام الجمهورية الفلمنكية وملخص حربها مع اسبانيا والوقايع التي اصحبته واما الاشتراك الذي اشتركت فيه الانكليز في هذا الحرب فانه مدروج في تاريخ الدولة الانكليزية في الجزء الثالث من هذا التاريخ ويكفي لنا هنا ان نقول انه عندما رفضت فرانسا قبول تقييد سلطنة في البلاد الواطية من بعد ما قدمت اياالاتها المتحدة برابنط وفلنشره ومكلن وزيلنده وهولنده وفريسلند لاعتاب هنري الثالث رسلا تحت رياسة بطرس دوفيلوس امير اشبوني في سنة ١٥٨٥ بعد الميلاد عرضوا عليه مرغوب الايالات ولما لم يقبل صاحب فرانسا ما عرضوه لاعتابه وجه جماة البروتستانت وجوههم من بعد خيبة امالهم من جهة فيليب الرومان كاثوليك الذي ما قبل قيام الحكم الاستبداد نحو اليزابث الملكة البروتستانتية صاحبة انكلتره وارسلوا الجلالتها رسلا كان يوجد اولدنبارنولط واحد من الاعضاء متواجدا ان يعرضوا عليها ان تكون ملكة هذه الاقاليم المتحدة فلولاها لم تقبل سلطنة هاتيك الاراضي فانها صارت اصلا وراث في الحرب الذي هاج على فيليب صاحب اسبانيا الملك القايم حروبا على ممالكها التي ورثتها عن اجدادها ولما اعلنت نفسها انها هي المدافعة عن مصلحة اهل البلاد الواطية حبست على تفريح الغضب والعداوة التي كانت كامنة في قلوب ملوك اوروبا ولما رفضت مع حزم رايها سلطنة امة محبوبة عندها خاضعة لامرها كان يمكن مع الاستحواذ عليها ان تكون انكلتره سيدة البحور عموا اهل هذه الاقاليم المتحدة على تقديم تاج مملكتهم الى نديم الملكة اليزابث وهو ارل ليسستر وقدموا خضوعهم المطلق بين يديه فرفضته عظمة سيدته اتحادا وامرته ان لا يقبل هذه الهدية المفتنة ولو انه صار اخراجه في جلوس الحكم فانه بقي حاكم عموم هاتيك الاقاليم المتحدة باسم اليزابث ورتبت تحت رياسته ستة الاف نفس من العساكر الانكليزية لاجل ان يعين على رفع المصاريف غير المأمون اخذ من طرف انكلتره صار قبول محافظي الانكليز في فلوشنج ودامييكنس وبريل وصار للانكليز مقاعد في مجالس الامة الفلمنكية وعاملت المملكة من هذا الوقت فصاعدا تواليها الاقاليم الواطية في صورة اقاليم تابعة لانكلتره ثم انه في مبادي الاعمال الاولية من حكومة ليسستر اصدر امرا عاما في ضبيا بمنع نقل المؤن والزخاير الى بلاد اي عدو من الاعداء او للبلاد من كان على الحيادة وان تكون عموم المعاملات التجارية مستدات باستبدال او غيرها بين الاقاليم المتحدة واسبانيا وفرانسا والامم الموجودة على بحر بلطيق فتولد من هذا الامر الغير سياسي عدم موافقة عند الاسبانيين والبرتغاليين وكان لهم الحرية التامة في الوصول الى مين انكلتره و ارلنده وايقوسية واتبارقه والمداين الحنسياتية وفي الحقيقة فان هولنده حرمت منافع تجارتها ورمت تفرح في ايدي امم اخرى وصارت العداوة في حينه في هذا الموقع فقط لحالة واحدة وهي اقامة الحجة القوية على هذا الحصر غير السياسي وقام فيليب صاحب اسبانيا اخذا بثار نفسه وضبط كافة السفن الفلمنكية والانكليزية الموجودة في مياه مملكته وكان موجودا سفن كثيرة من سفن الفلمنك والانكليز في مينا اسبانيا والبرتغال ومن ثم صادقت الملكة على ارسال عدة سفن من السفن الانكليزية لاجل سلب سفن العدو فما اقتصرت سفن الانكليز على سلب ونهب سفن العدو المشترك فقط بل وصارت ايضا المراكب الفلمنكية عرضة لهذه الهجومات لانه من ابتداء صدور امر الحجز من ليسستر كانت سفن الفلمنك تتجر مع اسبانيا والبرتغال رافعة جهرا بيارق اسبانيا فكانت خسارتهم جسيمة وبلغ مقدارها المتوسط واحد مليون ليرا استرليا فارسلوا رسلا من طرفهم في سنة ١٥٨٩ يعرضون على الملكة هذا الامر وشكت الملاحة

في الخليج صعبة جدا حتى ان المراكب التي كانت تتاجر في جهة الغرب الزمت على التوجه من الطريق الخطر الواقع في الجهة الشمالية من سواحل ايقوسيه بسبب ما كان واقع في الخليج من النهب والخطف والتزم الفلمنكيون بواسطة هذه الاعمال على الدخول في اباحات البحور الذين ليسوا على دراية تامة من الاسفار فيها وتجولوا في مياه الاوقيانوس الشمالي واذرروا بكل ما يقع من المحن والاخطار في البحور الغزيرة وفي نحو هذا الوقت الت حالة ايطاليا الى الفاقة العظمى ووردت عند اهلها الموت والغلول وقل الزاد وكان الفلمنكيون محتكرون فيها بتجارة كبيرة فنقلوا اليها محصولات اراضي بحر بلطيق واستحصلوا على نقود جمة وعادت الاوقات الجليلة للفلمنكيين في مثل هذا الفرع من التجارة وبواسطة كشف بحرية هولنده وزيلنده مجاري جديدة في البحور لاشتغال تجارتهم ثم تولد من النجاح والفوز الذي حصل للبرتغاليين ومحالفيهم الانكليز اشتعال نار حمية الجراءة والشجاعة في قلوب بحرية الفلمنكيين وحضهم على البحث في الدخول في مخاطرات بعيدة والمسابقة في ميدان الفوز والنجاح ووجهوا وجوههم نحو التجارات الهندية وكانوا ناظرين اليها بعين الاعتبار مع انه ما كان عندهم استعداد كاف لملاقاة الاساطيل البحرية لاسبانيا والبرتقال وكانت هذه الاساطيل في مراقبة مع غيرة كبيرة وفي حفظ على كافة سكك المواصلات والتوصيلات الى البحور الشرقية عن دخول غريب فيها من الامم الاخرى خلافهم فمن ثم حضهم اجتهادهم وسعيهم على التوصل الى الجهات الهندية من نواحي شمال اسيا وكانت المعلومات في هذا الوقت ما استولت على معرفة ومعلومية سعة وامتداد تلك القارة وصفة وطبيعة سواحل حد الجهات الشمالية وكان عموم الملاحون زاعمين ان المرور من جهتها غير ممكن الحصول عليه فارسل الفلمنكيون لاجل كشف هذه السواحل ومعرفة طريق مرور موصل للهند من هذه الجهة ثلاث سفرات متوالية كانت تحت رياسة بارنطز بالخصوص وفي السفرة الاخيرة التزم الناس على قضاء فصل الشتاء على السواحل القفرة المقحلة لجزيرة زمبلا الجديدة وخابت امالهم جميعا في كشف طريق مرور شمالي شرقي ولو فرض ان هذا الطريق موجودا فانه يكون من اهول السكك واخطرها ولا يعود منه منفعة تقابل مشاق اسفاره ومصروفاته ولما لم يمكن للفلمنكيين يسر الحصول على طريق يسابقون فيه البرتقاليين غير طريق اللف والدوران حول راس غشم الخير وكانت شجاعتهم وقوتهم ودوام ايراداتهم اخذة في الزيادة العظيمة في مدد الحروب المتوالية التي استحصلوا فيها على حرية انفسهم ما وقع عندهم ادنى تردد في تقوية انفسهم واذلالهم كافة المصاعب وصرفهم النظر عن الموانع والعوائق ودخلوا في هذا المشروع فاستحصلوا على استعلامات طرق الوصول والملاحة من بلادهم الى الجهات الهندية من كورنيليوس هوتمن من اهل بلادهم وكان نزيل لسبون مدة طويلة وكان جمع فيها كافة الاستعلامات والاخبار التي توصل بها البرتقاليين الى الوصول الى الجهات الشرقية وشاهد غنيمة تجارتهم مع الشرق وامل ان تكون المكاسب والارباح من التجارة مع جزاير البهارات الهندية او جزاير ملوقة لاهل بلاده فقبضت حكومة لسبون على هوتمن بسبب ارساله مثل هذه الاستعلامات لاهل بلاده واودعته في السجن وما خلص منه حتى دفع مبلغا جسيما فدا نفسه وفي الوقت الذي ابتدا فيه الفلمنكيون سياحاتهم واسفارهم نحو الجهات الشرقية كانت الحكومة الاسبانية مشغولة بامارتها واسفارها في الجهة الاخرى من الكرة وفارغة الافكار ومجهودها في اجراء النظام اللازم لادخاله في املاكها الكبيرة في الدنيا الجديدة حتى ان الاملاك البرتقالية التي صنعت لها في هذا الوقت في الهند الشرقي تركت بالكلية لان اسبانيا كانت الحقت في هذه المدة البرتقال وادخلتها تحت احكامها حتى تم صارت الاملاك البرتقالية الهندية تحت احكام اسبانيا ومن هذا فان الفلمنكيين لما دخلوا في الاعمال التجارية ووجهوا وجوههم اسفارهم نحو الجهات الشرقية الهندية مع قوتهم وحميتهم وغيرتهم الكبيرة صار لهم طاقة كافية على احتلالهم محل البرتقاليين في ممالك الجهات الهندية

فكانت الاستعلامات والاعمال التي ارسلها هوتمن من لسبون الى اهل بلاده سببا في حض وحث شرذمة من تجار امستردام في عقد شركة سرية من اجل السعي والمداومة على تجارة مع الامم الشرقية فانشأوا اربعة سفن وطقموها من اجل هذه السفرة وعلى حسب مقتضيات الاحوال اعدوا السفن ايضا لكل نوع يقع عليها من هجوم كما وللتجارة وكان اكبرها حمولة خمسماية وستون طو

طولونولاته (الطولونولاتة الواحدة عشرون قنطار مصري بكون معلوم) وعهدت الشركة رياسة هذه السفن الى كورنيليوس هوتمن وفي ٢ ابريل سنة ١٥٩٥ بعد الميلاد سافر هوتمن بعمارته من مينة تكسل وفي ٢ اوغسطس وصل راس غشم الخير مع السلامة ومن بعد ان حصل له تعويق في الطريق وصل مع عمارته في شهر يونيه من سنة ١٥٩٦ الى جزيرة جاوه فقوبل فيها مع غاية الرحب والعزة بكافة الاشارات ... فاتفق ان البرتقاليين القاطنين في عاصمة جزيرة جاوه حضوا ملك الجزيرة وحثوه على عدم المعاملة معهم ومنع دخول تجارتهم في ارض بلاده فقام الغضب في وجه هوتمن من هذا الفعل فاشتبك في مخاصمة وهرج مع ملك الجزيرة وكان سببا في وضعه في سجن ما خلص منه حتى دفع مبلغا من النقود وفقد عدة من بحريته ومن بعد ان غاب هوتمن ثلاث سنوات وصلت السفن الباقية على قيد الحياة الى مدينة امستردام مشحونة فلفل وجوزة طيب واصناف اخرى من البهارات وكان يوم وصولها يوم عيد وافراح كبيرة ولو ان الذي وصل كان ثلاثة سفن فقط من اصل ما يقرب وخمسين نفر ملاحين كانوا سافروا في السفن وما حصل من المنافع والفوائد من هذه السفرة كان له رجة وشهرة عظيمة في كافة انحاء هذه الاقاليم المتحدة فمن اجل ذلك حصل الشروع في اجراء سعي اخر جسوري يمكن به الوصول الى الصين وياپونيا من طريق شمالي شرقي ولو انه ما حصل المقصود الاصلي من هذا المشروع الا ان نتيجته كانت مقصورة في كشف جزيرة شپيتزبرغ وفي الوصول الى بحر تاتاريا ومصب نهر اوبي وبعض جزاير صغيرة وبواسطة نفوذ ديوان فرانسه في الباب العثماني عقد الفلمنكيون معاهدة مع السلطان مصطفى خان بن السلطان محمد خان يسر لهم بواسطتها حرية تامة في التجارة مع سوريا والجزيرة ومصر وتركية بامان سفنهم في هذا الوقت كانت جارية اسفارها تحت ظلال البيارق الفرنساوية وكان هذا احسن امتياز في النفع والفايدة التي عادت على الفلمنكيين فسفروا ثمانين سفينة كبيرة الحجم في سنة ١٥٩٨ بعد الميلاد الى الهند الشرقي والهند الغربي والى برزيله وسواحل غينيا وعادت مشحونة بمقادير وافرة من سن الفيل او العاج وتبر الذهب وقد وصف المؤرخ فاريا هذه العمارة ودرجة تطفيرها وتقدم نجاحها فقال انها كانت مؤلفة من ثماني سفن حاملة ثمانماية نفس وحمولة وذخيرة لمدة ثلاث سنوات وكان قايدها يعقوب كورنليوس نيق من امستردام وسافرت من مينة امستردام في ١٣ مايه سنة ١٥٩٨ وفي يوم ١٥ منه وصلت جزيرة مادره وفي يوم ١٧ منه وصلت جزيرة كناريه وشحنت منها نبيذا وفي يوم ٢٢ وصلت جزاير الراس الاخضر وفي يوم ٢٩ منه صارت على ٩ من خط الاستوا وفي يوم ٨ يونيه مرت من خط الاستوا واقول انا ان هذه سرعة كبيرة جدا لا يمكن التصديق بها ولا حصولها في عصر ... وفي مدة هذه المشروعات ما وقع اهمال من الفلمنكيين في التجارة مع شمال اوروبا وفي مبادي سنة ١٥٩٩ بعد الميلاد دخل في مينة امستردام ستماية واربعون سفينة من جهات بحر بلطيق حمولة مائة الف طولونولاته تجارية جميعها مشحونة اخشاب واصناف غلال وحبوب واصناف تيل وقطران وفي نفس هذه السنة وقع عند الفلمنكيين حادثة هددتهم بخراب نجاحهم ودمار توفيق مشروعاتهم البحرية وكانت ضربة شديدة الحيل والقوة من الملك فيليپ صاحب اسبانيا وكانت ضربة شديدة ما وقع نظيرها من ابيه وذلك انه ضبط كافة السفن الفلمنكية الموجودة في المين التابعة له واودع بحريتها في السجون واشنق بعضهم بانهم كان لهم دخل في دمار وقطع دابر الدولة الاسبانية ووضعهم تحت العقاب والعذاب وقتل البعض منهم وارغم الباقي على الاشغال الجبرية في السفن الاسبانية بصفة رقيق وعاملهم معاملة انهم خائنين لعبودهم وملوكهم فسببه مساعدتهم العدو (الانكليز) على ملكهم الشرعي القانوني ومنع سكان الاراضي الواطية الاسبانية من المعاملات التجارية مع هولنده وزيلنده فمن ثم قام الغضب في وجوه الفلمنكيين وشرحت صدورهم وقلوبهم بالكيد المهول واشتعلت فيهم نيران الحمية والحماس وما حصل عندهم مبالاة مما وقع لهم وفي ظرف مدة قليلة من الزمن اعدوا اسطولا مؤلفا من ثلاث وسبعين سفينة حربية من الدرجة الاولى حاملة قوة شديدة الباس مؤلفة من ثمانية الاف نفس تحت قيادة وان ديرفرايس وصدر له امر عام بقطع دابر كافة السفن حربية كانت او حربية حاملة تجارة او مؤن او ذخيرة مرسولة الى مين اسبانيا وقطع دابر عموم التجارات التابعة لهذه المملكة من اي

جهة موجودة فيها وان تكون الاسلوب والغنايم غنيمة له ولمن معه غنيمة فالزينة شرعية لا تداخل
لاحد فيها ولما لم ينجح وان ديز دايش في عزمه وشرع باسم طرد الاسطول الاسبانى من مينة
كورونياه وكان مستقبلا فيها من اجل حماية نفسه منه ومحفوظا ببطريات من الاقواه النارية الكبيرة
في المينة وجه مجرى سيره نحو جزاير كنارية وسهرها واحتل غالب ارضها وشاره عن غارة ايضا
ايضا في هذا المشروع وسافر مع ستة وثلاثين سفينة من الاسطول في طول سواحل افريقية الى
ان وصل الى جزيرة سنت تومس فوجد فيها جماعة كثيرة من البرتغاليين وما وقع من عاصمتها
باووسه ادلى مقاومة وهرب السكان الى الجبال وتركوا للمنصورين غنايم واسلاب غالية القيمة
ووقع في ايدي الفلمنكيين كثير من مخازن مدخرات السكر والعاج واشيا تجارية اخرى فنقلوها
كلها الى سفنهم وفي اثنا احتلالهم في عاصمة هذه الجزيرة صرعوا او فاتهم ولزامهم الى ان حاق
بهم سخونة فصل الصيف وحرارته فتولد من مناخ هذا الفصل القاسى القاتل انتشار او با و
الطاعون فيهم واخذ منهم بشار المغلوبين وهلك من الفلمنكيين الجم الغفير وكان من الاين هلكوا
الاميرال الشجاع وابن اخوه الفارس ابا سل ولو ان الاسطول اسرع في السفر من هذه الجهة
الا ان بحريته ما نجوا من الاخطار والاضرار فانه في اثنا طريقهم الى بلادهم هلك منهم نحو من الف
وفي ظرف خمسة عشرة يوما ما بقى في كل مركب على قيد الحياة الا ستة او سبعة من البحرية لهم الطاقة على
الشغل في السفن واما السفن فان واحدة منها صار تركها واخرى ما كانت لها طاقة على مانعة
تقهرها وضبطها العدو ورمت الرياح والامواج بعض السفن على سواحل الانكليز وفي اخر الامر
من بعد فراغ وصل الشى الى مبين بلادهم ما كان باقيا على قيد الحياة الا اثنان من صنف العثورات
العثورات ومع هذا فان الخوف والرعب الذى حصل عند ملك اسبانيا الزمه المحاربة من ارسال
ارساليات في المستقبل سوى طلبه من جهة السند ثم تولد من نجاح المحاربات والمخاطرات
التى رحل فيها بعض تجار امستردام في سنة ١٥٩٥ قيام الامال في عقول الامة الفلمنكية وما
حصل عندها وهن ولا ضعف من المصايب والاهوال التى وقعت الى وان دير دايش وبحريته
فيما يتعلق بالامور التجارية بل وكانت عندهم من طالع السعادات وما اعتبروا من شدة طفوس
وتاثير المناخات التى كانت سببا في حصول المصايب وحلول الاهوال بهم وكما ان كل سنة يا فزده
من الاعتنا باهمية التجارات الشرقية وكانت اهمية العمومية مناسبة للزيادة من طرف المجازات
التى سارت فيها روس السفن الفلمنكية زال الجد والغيرة التى كانت تخلقت عندهم من اسلافهم
الاوروباويين وكانت في درجة كبيرة وعقدوا معاهدات بالفعل مع اهل جزاير باندة اوبيدة
ومالك جزيرة طرناط وملك كندى في جزيرة سيلان وملك اجين اظهر شدة العداوة والبغض
للفلمنكيين فاقتنع بما راه من حسن اعمالهم والزم على ارسال معتمدين من طرفه الى حكومة الاقاليم
المتحدة واظهر لها ان التجار الذين وفدوا عليه ليسوا من اللصوص وقطاع السبل مثل البرتغاليين
والاسبانيين وكانت نتيجة هذه الارسالية عقد تحالف وارتباطات حبية وتجارية واعتقد اهالى
الهندى ان محالفيه المتجرين اما مشهورة في الغنية والثروة ولا رغبة تامة في نشر المنافع التجارية
موسسة على قواعد ثابتة نظامية ولما عاد المندوبين انتشرت الاشاعات العظيمة عن الفلمنكيين
وانتشرت في الاقاليم المتحدة بان اعمالهم التجارية صارت في غاية السهولة في المستقبل فمن ثم تشكل
في كافة المداين المختلفة الموجودة في هذه الاقاليم شركات بين التجار وبعضها وسق قرابة السفن
الى الشرق وكان اجرا هذه الاحوال غير المنظومة على غير راى عام متفق عليه وكان كل من ارباب
الشركات ناظر بعين المنفعة الخصوصية لنفسه فقط حتى تم انتهى امرها بالخسارة والخزلان وما
بلغ ارباب الشركات ما كانوا يا ملونه من الفايدة والمنفعة ولما وصلت احدى السفن وكانت
سبقت السفن الاخرى وجدوا ان الفايدة في البضايع التى سبق ورودها عظيمة وفاحت فيها
درجة الاسعار الى اسعار عالية وعندما وردت بضايع اخرى كانت السوق امتلا مما قبل بالبضايع
فتنازلت الاسعار وانحطت الفايدة وكانت الخسارة التامة كما وحصل ذلك في المستعمرات الانكليزية
حديثا فكثير من الذين لا تامل عندهم ولا تبصر في العواقب فتولد من هذه الخسارات الى ارتباك
والقلقلة في الشركات الفلمنكية ومن الحالة القبيحة التى حصلت في التجارة والتى لو تركت ونفرها لزادت
علوجات مداواتها بتطويل او عزم الاقاليم المتحدة ان تجعل عموم التجارة الشرقية تحت مباشرتها
وملاحظتها ومن ثم صار فتح كافة الشركات المستقلة ودخلت جميعها تحت اسم شركة واحدة اطلق
عليها اسم الشركة الهندية الشرقية الفلمنكية واستمرت هذه الشركة احد وعشرون سنة حايزة
امتياز

امتياز معوض الشرق من طريق راس غشم الخير ومن غرب بوغاز ماجلان ثم تنفدت هذه الشركة
وعقدت معاهدة مع ملك الهند باسم الاقاليم المتحدة في انشا قلاع وتعين حكام ليؤخذ عليهم ايمان
مذكورة من جهة الاقاليم المتحدة وكانت هذه الاصلاحات على قاعدة وثيقة واعتمدها الناس من اهل
الاقاليم وجمع مبلغ جسيم من الذهب مقداره ٦٦٠٠٠٠ واعدت الشركة اسطولا كامل العدة و
التنظيم مؤلف من اربعة عشرة سفينة وتعين ويبرند وان واروبك اميرال لهذا الاسطول في
العبارة وما كانت المداومة في المشروعات التجارية هي الفايدة من هذا الاسطول فقط بل وكان
السبب وهو الصحيح لما حصل فيما بعد ان المجموع الكلى لقوة الشركة يكون فيها الكفاية لمقاومة كل هجوم
يقع على الاسطول من طرف الاسبانيين الى من منهم الكد والسعى وبذل الجهد مع الشدة في توقيف و
تعطيل مشروعاتهم التجارية ومن اجل هذا وقعت عدة محاربات بين سفن تجار الدولتين المتباغضتين
انتهت بنصر الفلمنكيين على الاسبانيين واستمر ويبرند خمس سنوات في هذه الخدمات وفي سنة ١٦٠٦
كشف الجزيرة التى سماها باسم جزيرة موريس او موريشيوس وبحر دخول ويبرند في البحور
الغزيرة صار استقدام اسطول اخر مؤلف من ثلاثة عشرة سفينة واعدوه للسفر وسافر في
سنة ١٦٠٤ تحت رياسة اصطفان وان ديرهجن الى سواحل المليبار المقر الاصلى للبرتغاليين في
الهند فاستقبله ورحب به الزاموريين ملك كاليكوت العدو اللدود الكبير للبرتغاليين واستعد
لدخول معهم في معاهدة تجارية وحتى لف معهم على اعداه القديمة وكانت مواد المعاهدة وشروطها
موافقة جدا للفلمنكيين وفي ظرف مدة قليلة صاروا في قوة قوية حتى ان مؤرخي البرتغال
يعترفون بنجاحهم وقالوا ان الوطنيين استنفروا واعتمدوا عليهم واجتمعوا حولهم وكان الوطنيون
جهدوا وكلوا من شدة عنفنا وشحنا وقاوتنا التى لا تطاق ولا تحمل واضطروا مع عصاتنا في طردنا
وفى مبادى السنة التى وصل فيها وان ديرهجن سافر من اجل الهجوم على امبوينة وكان الحاكم فيها
شخصا اسمه غسبرد ومولو فارحم على التسليم ومن اجل خلوص شرفه دبرت له زوجته سما وقتلته
لكى تحصل من جنون عقله وامتزجت بذلك فيما بعد ومن بعد التغلب على جزيرة امبوينة انقسم
الاسطول الفلمنكى الى قسمين ثم توجه الى جزاير بندة وباقي الاسطول وهو ستة سفن اقلعت
نحو جزيرة طيدور محصل للبرتغاليين القاطنين في جزيرة طيدور الفزع الاكبر عند قرب سفن
الفلمنك من الجزيرة وكانوا على صداقة تامة من الملك لم تكن لها وجود واستقدم عدة الفلمنكيون
استقدموا هم ايضا لحماية انفسهم وكانت عداوة هاتان الامتان مقوية بكراهة وبغض شديد
وكانوا ينظرون لبعضهم بعضا بعين العداوة وان كل واحد منهما ظالم باغى على الاخر ومن شدة ما كان
في قلوبهم من العداوة والحقد والبغضا ما كانوا فيما يحل بهم من المصايب وما نظروا فيما يعقبوا
فيه من الاخطار والمهالك في وقت مخنفا بعضهم بعضا وكان اول سفينتان وصلتا الى ساحل
المليبار التقتا مع ست سفن برتغالية اتية من مينة ملقة ومتوجهة نحو الهند مع ما كانوا فيه
من شدة البغضا والكراهة وعدم تقارب القوتين ما حصل عند واحد من الطرفين تردد في اجرا
الحرب فاستمر بينهما من بعد الظهر وحصة من الليل وجددوه في وقت الصباح مرة ثانية فلبث بينهم
ثمانية ايام حربا واخيرا التزم البرتغاليون على الاكتفا في مينة كذه وارتموا بالفعل على ساحل
البحر ثم انه من بعد هذا الحرب بقليل ضبط ثلاث سفن فلمنكية في اثنا سفرهم من اوروبا تحملون
برتغالى مشحون بضايع غالية القيمة بالقرب من جزيرة سنت هيلينة واخذوا اسرى وغالب
رجال الغليون وعاملوا الاسبانيين اشر المعاملة وافقطعها ورموهم على جزيرة فرديناند دو نورونياه
وفي اثنا سفر وان ديرهجن الى طيدور التقا مع مركبان مشحونان باعلى البضايع فهجم عليها
واحترق خليفة الاوان سقط عليها نار طوبجية حادة وحرقتها الى حد الحرف القريب من الما و
نزل البرتغاليون سالمون في البر وقتل كافة الاسبانيين الذين كانوا في السفينتين ومع ان ملكى
طيدور وطرناط كانا في منازعة واختلافات مع بعضهما وكل من الاثنين شديد العداوة للبرتغاليين
في نهار رفع الاثنان في محالفة واحدة مع الفلمنكيين في طرد البرتغاليين من هذه الجهات
في صورة عدو مشترك بين الكل ومن ثم صار وضع الحصار على قلعة طيدور وكانت في حوزة
البرتغاليين واخذت بالهجوم عنوة وطردوا البرتغاليين من الجزيرة والزموا ايضا على ترك جزاير
مولوقة ما عدا قلعة صغيرة حجزوها وبواسطة تداخل الفلمنكيين زالت الشدايد والاختلافات
التى كانت بين ملكى طيدور وطرناط وشيدوا كرخانات وبيوت تجارات في جزيرة طيدور تحت

حماية ملك الجزيرة وكان الدريو فوزطادو ارسل من اجل الكشف على هذه الجزاير فلبث خمس سنوات
من دون ان ياتي بالمرغوب من هذا السعي

وفي سنة ١٦٠٥ بعد الميلاد سافر اسطول مؤلف من ثلاثة عشرة سفينة الى الهند تحت قيادة الاميرال ماطليف ولما وصل بحيث جزيرة ملقه او الملاكى دخل الاميرال في معاهدة مع اربع ملوك كانوا متسلطنين في جهور من وراى ملوك كان البرتغاليون طردوهم من ارضهم وبلادهم واجتماعهم وضع الحصار على مدينة جهور من حصل من ها مدة محالفة الوطنيين الا قليلا من الف مدة لا عبرة بها وبان عساكر الاميرال ماطليف الفلنكى كانت غير كافية في الهجوم استبدل هيئة الحصار بهيئة احاطة وفي الشهر الرابع من الاحاطة وصل عامل الهند الدون الفونشو دوكاستره من اجل مدة المدينة مع اسطول مؤلف من ثلاثة عشره غليون وعشرون سفينة صغيرة حامل ثلاثة الاف وسبعماية نفس فلما قرب تقهقر الفلنكيون ونزلوا في سفنهم واستعدوا للدفع واقعة مع العدو وكان اسطولهم مؤلف من احدى عشرة سفينة وقد وصف المورخ فاريا بقوله انه كان يفوق اسطول البرتغاليين في القوة والسرعة وعدد الرجال والحمولة وبراعة الطوبجية الموجودين فيه وتلزم كل من الطرفين ثلاث سفن مع خسارة مهولة وقال غروطيوس المورخ الفلنكى انه قتل من الفلنكيين ثمانية نفوس وحل بكثير من البرتغاليين الاهوال والمصايب وقال فاريا ان الخسارة كانت واحدة عند كل من الطرفين الا ان الضرر كان شديدا في جهة البرتغاليين وذكر عدة اعمال من اعمال الفروسية والشجاعة اهمها ما اظهره دو فورونا من فروسية وحملة على السفينة الرئيسة في القيادة التي فيها الاميرال الفلنكي حتى اشرف السفينتان على الخطر بالحرق ثم انفصلا من بعضهما وما التقيا من بعد ابدا وفي شهر اوغسطس وقعت واقعة بحرية اخرى كان النصر والغلبة فيها للبرتغاليين وهو انه من بعد واقعة لبثت ثمانية ايام هرب الفلنكيون ودخل البرتغاليون ملقه وكانت خربت في مدة الحصار ثم ان العامل دوكاستره قسم اسطوله لما ان رعيه اصحابه من عدم القسمة وتفريق الاسطول وارسل سبعة غلاوين لملتقى الاسطول المحضر من اوروبا المزمع حضوره من جزاير نيقوبار وارسل خمسة غلاوين لحماية سفن جاوه وكانت حاملة ذخاير ومون لمدينة ملقه ومرورها من بوغاز سنجابوره فلما قابلت هذه السفن الاسطول الفلنكي تقهقرت امامه الى داخل المينه فهجم عليها العدو بقوة كبيرة واحرق كافة سفن العمارة وقتل من الفلنكيين خمسماية نفس ومن بعد هذه الواقعة بقليل مات العامل دوكاستره قيل انه من كثرة تراكم الهموم والغموم عليه مما حصل له من هذه الهزيمة والغايرة التي اكتسبها الفلنكيون من هذه الجهة عادوا فاخذ منهم جزيرة طيدور بواسطة اخراج الفلنكيون منها وانقطعت كافة امالهم من الاستيطان في هذه الجزيرة الى الابد ولما حصل النصر للبرتغاليين في هذه الجهة اسرعوا في الغارة على جزيرة طرناط وطردوا منها عاصمة هذه المملكة [illegible] وكان حليفا وصديقا للفلنكيين ثم صنع ماطليف ادنى برهة من الزمن في [illegible] مدة حليف وتقوية واقلع الى جزيرة مكغه وحصن هذه المدينة وجعلها معقلا قويا واكد للملك حمايته ثم اقلع الاميرال الفلنكي من هذه الجهة الى بنطام ولما رمم اسطوله واصلحه في بنطام عاد راجعا الى اوروبا حاملا معه سفراء وهدايا من ملك سيام الى البرنس موريش وثلاث سفن مشحونة بالبهارات والبضايع الثمينة الشرقية فتولد من نشر الاشاعات المتعلقة بالتجارة والغيرة التي حصل منها المظفرات في الشرق واتى بها كل واصل ووافد في بلاد الاقاليم المتحدة هيجان كبير في الاهالي الفلنكية واحوال عالية ثم ما اكتفوا بغرس تجارتهم والمحافظة على حقوقهم ولا اكتفوا ابدا الاراضي والاملاك التي تغلبوا عليها لانفسهم من الاوقيانوس بالقابهم واجدادهم والمحافظة على ما نالوه من شوكتهم وقوتهم بل وانه في الحرب الذي اتاجوه مع النجاح والفلاح والظفر مع الشوكة الجسيمة لفيليب الثاني صاحب اسبانيا صاروا معروفين مشهورين بانهم اهل قوة وباس ونالوا في الوقايع المستمرة الشهرة والاعتماد والوثاقة واخذت مشروعاتهم واعمالهم وبذل قواهم في توسعة املاكهم وعلو درجتهم في ان صارت هي المسايل والقضايا العلمية والعملية لعلماء العصر وصار لا شي يكفي في هذا الوقت لطمعهم الجديد الذي قاموا فيه الا مملكة واسعة [illegible] ممتدة في البر والبحر وصار الفخر والمجد والغنية والثروة تحت منظور مشروعاتهم وكانت هولاندا [illegible] الوحيد الذي لا يقبل غيره من المطالبات في مساعيهم واجتهاداتهم الا ان ملك اسبانيا ما زال
مصمما

ما زال كان مصمما على احتكار واطفاء نور هذه الاعمال الخطرة فاصدر منشورا من طرفه قاضيا بمنع كل شخص اجنبي في التجارة مع الجهنور الشرقية والغربية ومن سار على خلاف هذا الامر حاله من العقاب سوى الموت وكانت النتيجة التي تولدت من هذا الجرسيا في وقوع مصايب واشكالات في الغرض المقصود عند فيليب لانه كان حصل العزم والتصميم في الفكرة على شركة في الهند الغربي قبل صدور هذا المنشور بمدة قليلة وعقدت شروطها وكانت المقاصد المطلوبة من عقد هذه الشركة اكبر بكثير من المواد المقررة في عقد الشركة الهندية الشرقية الفلنكية واضافوا في الشروط على غرس المنافع التجارية وفوايدها الاتفاق على انجاز واتخاذ قانون مدني وعسكري بين اهل جزاير الهند الغربي واهل بلاد افريقيا وجمع جيوش وعساكر من وطني البلاد ومعهم باسطيل حتى يكون لهم طاقة كافية في قمع الاسبانيين وطردهم من املاكهم الموجودة في الدنيا الجديدة وان كان لا يمكن اتمام هذا الغرض فلا بد من هياج حرب على هذه الدولة الملعونة المكروهة في هذه الاقاليم البعيدة الجوهر القلب والفواد من ممالكها الواسعة وفي هذا الوقت ما كانت القواد الفلنكية على درجة تامة من المهارة في الاعمال الحربية فتمارى بارنولط عواقب الامور التي ستحل بمملكة مديونة فضلا عن عجز واضمحلال ايراداتها وماليتها وقفا الذين كانوا لهم خبرة بالاصول الحربية رغب مع غاية التلهف عقد الصلح فعارض التجار هذا الراي وصارت شجعان الهند الشرقي هم اهل الحل والعقد وتعاهدوا بحزب اخر معارك لهم متشكل من القسس المصلحين وكانت منافعهم الدينية شبكتهم ايضا في هذا الموضوع وجميعهم جادلوا في راي بارنولط وقالوا انه لا يمكن في هذه الحالة الراهنة وقوع الصلح مع اسبانيا على حسب ما يوافقها من الاغراض اذ ان المقصد الاصلي من مخابراتها هو عود الاقاليم المتحدة مرة اخرى تحت نافرها وطاعتها وقطع دابر الديانة البروتستانتية الحقة وتسلط الديانة الكاثوليكية وكانت حقيقة الامر في توقيف الحروب على راي بارنولط وحزبه مصلحة للاقاليم الا ان الاحزاب المضادة لرايه صرفوا النظر عن احوال منافع البلاد والاهالي في مرضاة غاياتهم وكذا كان الاسبانيون حتى هذا الوقت كلوا وتعبوا وضجروا من حروب لبثوا مداومين عليها نحو من اربعين سنة وكانوا ايضا على رغبة وشوق في وقوع الصلح وكان ارشيدوق اسبانيا رجل من المتمسكين بالديانة طاعن في السن معارض بالكلية لحصول حرب يتولد منه ضرر اكبر و[illegible] زائدة لرعاياه وكانت نفس ماليات اسبانيا في درجة كبيرة من العجز والخراب ووصف [illegible] كرومواليس سفير انكلترا في اسبانيا عجز ماليات اسبانيا وضعف اهلها في مكتوب من طرفه فقال ان الخزينة العمومية الاسبانية فرغت وجفت والايرادات والعوايد على فرض رهنت والوثاقة والامانة سقطت والاوراق المالية تزلزلت واجتمعت القبايح والعيوب في جمع الايرادات وحصل الغش في النقود والمعاملات ووصلت الى اخفض واسفل النهايات وافتقر الوجوه والاشراف وغرقوا في بحور الديون من كثرة الاسراف وسخف التجار وعم الفقر والدمار وكثر الضر والاضطرار وتاجج الغضب والنفور كتاجج اشتعال النار ووصلت الاهالي الى ادنى حالة من البوار وحالة الجوع والقحط مستعدة في اي وقت لاشتعال ثورة في الانفجار ومع بعد ان كانت كامنة في صورة عارها من قرار وفي الواقع ونفس الامر ان اول غرض كان عند الارشيدوق هو حصول الف لمزحتى وانه ارسل من طرفه وبالنيابة عنه الى الفلنك في طلب عقد الصلح شخصا اسمه يوحنا نيين راهب فرنسيسكاني كان اصله من الفلنك مجموع فيه الصفات الحميدة والخصال الظريفة والانس واللطافة والقوة والانفاظ مع العذوبة والفصاحة وجسارة القول والحذاقة له تجاريب ودراية بالاعمال وحسن سلوك وتدبير في الاشغال فعامل الفلنكيين بانهم اقاليم حرة ومملكة مستقلة لا طلب للارشيدوق في شي منهم وليس له حق تقام عليهم حتى لو انه صار التنازل عن كل ما كان للارشيدوق من الحقوق فانه ما حصل سهولة عند ما اظهر الفلنكيون حقوق استمرار تجارتهم مع الشرق وقالوا انه لا بد من مراعاة هذا الحق واصر الفلنكيون على استمرار التجاره وادعوا في ذلك ان كل شي من الحقوق شرعي من طبيعته ولا ايقاف فيه انه غير شرعي لانه حر في نفسه كل انسان من دون ان يطيع رخصة او منحة من احد ليس له حق فيه فان ملك اسبانيا حتى من قبل الحرب وفي مدة ما كان تواله رعاياه ان يتعدى في نفسه بهذا الزعم والادعا باي حالة من احوال العدل والانصاف في دفع هذا الحق فاجاب ريشارد ومط بجهة اسبانيا ان الملك لا يمكنه ان يتنازل عن حقوق سلطنته

الشرعية في الاقاليم ولا يسمح بالمعاملة في اي تجارة مع اسبانيا و ممالكها اذا كان هذا الراي مازال
الاصرار واقع فيه وقال بعض النواب لجهة اسبانيا وافتكروا ان التجارة الهندية فيها فوايد جم
لو حصل انشاهل في التجارة مع اسبانيا وراى عموم المجلس انه لا ضرر يقع من ذلك على نفع ومصالح
الاقاليم المتحدة وحرر مجلس الفلمنكيين للماية وتسعين سفينة ما يترتب على ثمانية الاف نفس ومبلغ
ثلاثة واربعون مليونا قطعة من الذهب وكان يحمل من البرنس موريس و بارنفلط على راي الاول
قوى في المحافظة على التجارة الهندية فاما البرنس موريس فانه كان على حسب ان هذه الى الان
لا يمكن جعلها على اتفاق وانه مناف والمخابرات تحصل على الدرجة في غاية السرية للكمونة في قلم
ومن ابتدا وقوع هذه المجادلات والمناقشات وجريانها في مجلس الفلمنك عاد الاميرال ماطليف الى
الذكر مع السفن المشحونة بالبهارات والبضايع الشرقية وانتشرت الاخبار بما وقع له من الظفر والنجاح
حتى ان الفلمنكيين صاروا لا يسمعون اي مقصد او قول يمنعهم من طلبه اغراضهم من حب بقائهم في جمع
الكنوز التي عرفوا محل ورودها من الشرق وكان البند الثاني من معرض المخابرات هو اتفاقهم على انشأ
العوصية للديانة الكاتوليقية الرومانية فحاج كبيرة عند ارباب المجلس من الفلمنكيين في وقت التسليم
في حقوق الملاحة الى جهتي الهند الشرقي والغربي وما كان للانكليز ادنى مندوب في هذا المجلس لكن
ب يسهم الكبيرة وقع الفشل الكبير في المجلس وغضب الاعضا واستاذنا السفرا الاسبانيين
في توجههم من هذه الاقاليم ظاهرا على وجوههم السخط والغضب ثم من بعد قليل توسطت
فرانسا بين اسبانيا والفلمنك وانعقدت هدنة لمدة اثنى عشر سنة تحت كفالة فرانسا والانكلترا
وبواسطة هذه الهدنة صار معاملة الاقاليم المتحدة في صفة ايالات مستقلة و ممالك سلطانية في
حد ذاتها وربطت معاوضات تجارية بين الدولتين بشروط وقواعد حرة في كافة عموم الاملاك
الاوروباوية التابعة لاسبانيا وكذا بينها انكلتره و فرانسا واخرجوا الاقاليم المتحدة من تجارتها
في اي مينة تابعة لاسبانيا في اي جهة من جهات الكرة الا اذا كان برخصة مخصوصة لكنهم ربطوا اعلان
اسبانيا في مادة خفية في المعاهدة على انه لا يحصل منه ادنى معارضة في حريتهم في الهند الشرقي
وذكر في اخر شروط هذه المعاهدة انه اذا وقع ادنى معارضة في شرط من شروطها فانه يعد فسخ لها
فكانت هذه الشروط وغيرها من الشروط الموافقة جدا التي تنازل عنها للفلمنكيين حكام
الدول الذين كانوا امتسلطين عليهم في بلادهم سيما في نصب الفلمنكيون وقيامهم في صورة الجمهور
بين الامم حتى انه من هذا الوقت فصاعدا دخلوا في رابطة الاتحاد والوثاقة والصداقة ولاذوا
حماية انفسهم بالدول الكبيرة في اوروبا وكان الفصل في هذه الهدنة التي نشرت في اسيا
وافريقية وامريقة في سنة ١٦٠٩ بعد الميلاد فاعقب هذه الهدنة عدة سنوات ما حصل فيها
بين الفلمنكيين والبرتغاليين ادنى مصادمة او محاربة وقال فاريا في تاريخه انه في سنة
١٦١٤ كان بالصدفة ميخاييل دوسوزه يتنقل في المياه الصينية مع اربعة غلويين تحت
رياسته ديوجنا كايادو مع ثلاثة اخرى ارسل للانضمام معه من اجل حماية التجارة البرتغالية
من الهولنديين وكانوا في قوة كبيرة في هذه البحور وان فرنسيس لوبيز جلبه الى ملقه سفينة
برتغالية مشحونة ببضايع غالية ومع مغلوق السنة شلطن النفور والضجر الاكبر في الهند بسبب
عدم وصول سفن من البرتغال كان منتظر ورودها من اجل مقاومة الانكليز والهولنديون والان
هيروم دالمايدة في وقت عوده الى البرتغال التقى مع اربعة سفن قوية هولندية في طريقه
في اجرا واقعة معه فكانت الفروسية والشجاعة متعادلة في هذه الواقعة بين الطرفين وفي السنة
الثانية انطرد الفلمنكيون من كرمانشاه في ديرابور بسبب دسايس اعدائهم وفي هذا الوقت وصل
الاسطول الذي كان تاخر حضوره الى جوواه وضيعت سفينة من الخمس سفن التي كان الاسطول
مؤلف منها وما حصل من الثلاثة الاف عسكري الذين كانوا في هذا الاسطول سوى النصف على قيد
الحياة فكان هذا خزلان عظيم على البرتغاليين طلبت فيه زيادة مصايبهم كافة الحوادث الملكية
ارسالها من البرتغال وكانت سفن البرتغال في اثنا توجهها الى بلادها منكوسة الطالع فان واحدا
منها ارتمت على سواحل جزاير مالديوه واخرى على ساحل جزيرة فايال مع خسارة ما يتبين نفس
ووصلت الثالثة فقط الى لشبون فالاولى من هذه المصايب وهن ولا ضعف عند العامل ابده

البرتغالي في الهند سيدروم دو ازويدي وقام بالقوة الصغيرة التي لا عدد لها الموجودة تحت
يدا رته واقلع الى الجهة الشمالية من اجل مقاومة كل من الفلمنكيين والانكليز الاقوى باسا وشدة
في هذه البحور وانزل عساكره الى البر واوقع الخراب والدمار في اراضي سيغو ندام وديلوا
ونهب مدينتي باروش وجوجو وحرقهما بالنار والسيف وحرق ست سفن وجدها في خليج كامبايا
ومن بعد ذلك بقليل حرق مدينة بانن وهذه العمارة التي كانت حاملة الف واربعماية مقاتل من
البرتغاليين وقوة كبيرة من الطوبجية بذلت جهدها في القبض على اربعة سفن انكليزية كانت مستقبلة
في مينة سورت فتم هذا السعي بهزيمتها وحرق ثلاث سفن منها ونجى الانكليز مع عدم الخطر وفي
سنة ١٦١٧ جال اسطول انكليزي بالقرب من راس غشم الخير من اجل قطع طريق مرور اسطول لسبون
وطلب القايد الانكليزي دفع سبعين الف كراون بسبب ما حصل للسفن الانكليزية من هذا الاسطول
من الضرر وعشرون الف روفات ورميها على رجاله وعندما وصل الاميرال البرتغالي الى جوواه
صارت الى خطة عليه من طرف العامل وارسل مسجونا الى البرتغال ثم انه بواسطة وقوع اختلافات
جديدة هاجت في ذلك الوقت بين الفلمنكيين والانكليز نذكرها في الباب الاول من عصر الانكليز
في الهند تحققت عدم الصداقة بين الاثنين وكانت سببا في تاسيس بتاوية

وكان تشييد هذه المدينة في سنة ١٦١٩ بعد الميلاد بمعرفة القايد الفلمنكي
بيطرس كون وهي مينة بحرية في غاية التحصين والاستحكام
واقعة على الساحل الشمالي من جزيرة جاوه وعاصمة المستعمرات
الفلمنكية في الشرق وكاينة على ضفة نهر ياقطره في ساحل خليج
الزنبة وفي راس جون واسع عظيم الموقع للتجارة ومتسع بالسهولة
العظيمة في الدخول فيه والحماية واستقبال السفن وما يوجد في
هذه المدينة الا عيب واحد فقط هو عدم موافقة موقعها
للصحة ومينتها في درجة تامة من الحماية في عموم فصول السنة
بواسطة خمسة عشرة او ستة عشرة جزيرة مجموعة في فم الجون او
الخليج حافظة له من هياج الرياح الشديدة ومعرضة لدخول عموم الامم المختلفة من الشرق وسكانها
امة مختلطة غالبها من الصينيين تحصل عند الجاويين كما وعند الانكليز الغيرة الكبيرة من تشييد هذا
المعقل واجتمع الاثنان في جامعة واحدة وحصروا هذه القلعة الجديدة ثم حصل الاتفاق على معاهدة
بواسطتها تدفع الفلمنك ستة الاف دولار الى ملك ياقطره وتكف عن شغل الاستحكامات وكان اجرا
هذه الاشغال في وقت غياب بيطرس كون وكان ملك ياقطره دي وان بروبيك قايد
الى خطة الذي كان تركه بيطرس كون في القلعة الى ولي اعدها له فلما وصل وقع القبض عليه بالخيانة
وحده مع خدمه ووضعه في الحديد واعتمد الملك على الانكليز ووثق بهم لانه ظهر له منهم عدم الرضى
بالدخول مع معاهدة مع الفلمنكيين وتسليم قلاعهم الى ملك ياقطره الا ان ظفر هذا الملك كان قصير
العمر لانه في اليوم الذي جا بعد اليوم الذي حصل فيه التصديق على المعاهدة في تسليم املاك الفلمنك
الى ملك ياقطره انحاز ملك مملكة بنطام المجاورة لمملكة ياقطره عليه اما بواسطة اغوا الفلمنكيين
او سولت له اماله استحوازه على قلعة بتاويه وما فيها من الاموال وهزم ملك ياقطره وارغم على
الهرب وعامل اسرى الفلمنكيين باصعب المعاملات واشنعها كما كانوا يعاملون بسببهم القديم
الا ان سرعة الفرج جاءت مع اسرع تجرى في ازالة كربهم وهو ان بيطرس كون عاد في راس ثمانية
عشرة سفينة ودكس الارض من الانكليز بكثرة عدد قوته من مضايق وبوغاز سوندة وهجم على المدينة
وتغلب عليها عنوة في ظرف بضع ساعات واعاد اهل بلاده وخلت المدينة من العدو واطلق في
هذا الوقت على القلعة اسم بتاوية على حسب الاسم المشهورة به المملكة التابعة وصارت في ظرف مدة
قليلة اعني الطرف واخر مدينة تجارية في الدنيا ولما وصلت اخبار هذا التشييد الى سيس
للذين لهم ارتباطات ومعاوضات تجارية في الهند من اهل هولندة وحصل لهم السرور التام واشتغل
الفلمنكيون في هذا الوقت في بنا وتزيانات قلاع وبنا مخازن ومباني عمومية وترتيب قوى عسكرية
وارشاد قوانين حكومة مدنية منتظمة وكانوا على دراية من انه من دون هذه الاصلاحات يستحيل
عليهم الدخول في ميدان المسابقة والمناظرة مع اعدائهم الاوروباويين ولا وصل لتقوية الارتباطات

وانحكام العلاقات بينهم وبين الامم الشرقية حفظ الفلمنكيون ملك سيام في انه يرسل من طرفه
سفيرا الى البرنس اورنجه فارسل ملك سيام من طرفه سفيرا الى الفلمنك واخذ هذا السفير معه خمس من
البرنسات الهندية مناجا لهديتهم وتزيينهم في اوروبا فقابله البرنس اورنجه مع الاحتفال التام
وحياه بتحية التبجيل والاكرام وفي سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد استحصلت الشركة الهندية الشرقية الفلمنكية
على تجديد رخصة امتيازها مع غاية الصعوبة وكانت المعارضة في هذه الرخصة وقعت من العموم بالنظر
ان احتكار التجارة المنحصر بهؤلاء التجار تولد منه خسائر كبيرة في الفوائد والارباح العمومية و
تضرر ارباب الشركة من ان الفوائد والارباح ليست موافقة واحتج الكثير منهم بان اغلب نقود
البضائع جاري دفعها للدولة في وقت فتح البضائع والكشف عليها وكل هذه واردة في خزينة مالية
الدولة وفي اثناء حصول المجادلات والمداولات فيما يختص بتجديد الرخصة وفي فصل ربيع هذه السنة لما
الى الفلمنك سفينتان مشحونتان باغلا البضائع وحاملتان اخبار ان الحرب مازال هائجا في جاوه
ومع الاسبانيين في جزاير مولوقه ومانيله وانه صار عود جزاير بنده وان اهزا اسطول فلمنكي
وصل الى الجهة الهندية المقصورة في ظرف اربعة اشهر وثلاثة ايام فصدرت منحة او رخصة جديدة
في تاريخ ٢٢ ديسمبره من سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد لمدة احدى وعشرين سنة في المستقبل وما قبل
ذلك بسنة كانت مدة الهدنة المقررة التي مقدارها اثنى عشرة سنة بين الفلمنك واسبانيا انتهى
اجلها وافتكر الارشيدوق ان الشقاقات الداخلية التي اخربت الممالك واضعفتها صيرتها في حالة
ذليلة بواسطتها يمكنهم مع الفرح والسرور اصلاح الواقع من الخلاف مع اوستريا واسبانيا ثم
تشاور في هذه المادة مع الفلمنكيين واوراهم نتيجة الفوايد والمنافع التي تعود عليهم من مصالحتهم
ومسالمتهم مع ملكهم الشرعي الطبيعي وعقد مصالحة تحت حدود محدودة يرضون بها ويرضى بها ملك
اسبانيا فرفض الفلمنكيون هذا الراي مع الحدة والغضب واجتهدوا في استعداداتهم مع العنف
من اجل المداومة على الحرب فحصل تغيير كبير كان له تاثير شديد في الارتباطات السياسية الدولية وكان
له وقع مؤثر في الحرب الاول فكان هذا التغيير حصل من ان الممالك المتحدة رفضت قبول شفاعة
ملك فرانسا وكان انذرها انذارا لطيفا من شان خلاص الرجل السياسي الفاضل الجليل ان
بارنوفلط من القتل او الموت الشنيع وكذا خلاص المشهور عروطيوس المشارك له في هذه العاقبة
القبيحة وكان عروطيوس على شرف الموت لولا ان صار خلاصه من سجن ركا وجارة زوجته الى صندوق
حصر عجا تاماله وتشفع ملك فرانسا في عدم القتل فما قبل الفلمنكيون شفاعته وامتنع لويز بايتي
جرانبيا من هدر دم اي احد منهم في طلب مرضاة الاقاليم الكالفنستيانيه وبالاضافة الى
حالات هذا البعد وقع الرعب في قلوب الملوك البروتستانتية مما حصل لقونت بالوطين من الزلل
والهوان واضافة اراضيه الى المملكة وانكلتره التي كانت معاهدة متحدة طويلة العصاة النار
من البروتستانت الذين كان سبب قيامهم من شدة جور الحكام المدنية والدينية وكان لها رعية
في ذل وهوان الديانة الكاثوليكية دخلت في هذا الوقت في معاهدة مع اسبانيا وتولد من
ذلك هناك بين الفلمنكيين والشركات الهندية الشرقية الانكليزية ارتباك في الافكار والاحوال العمومية
(وانفصلت هذه الاختلافات بدفع الفلمنكيين ثمانية الف ليره للانكليز) ويظهر جيمس ملك
انكلتره مما كان الفلمنكيون اشاعوا في حقه عند ملوك الهند انه رأس مملكة صغيرة وهينة ذليلة
وانه رجل نهاب خطاف سفاك ظالم لرعاياه واهل بلاده ثم بعد ذلك تولد من رفض ديوان
مادريد قبول البرنس شارل الا ان يكون زوجا للانفنطه (الانفنطه لقب عام على كافة بنات ملوك
اسبانيا) الاسبانية صرف النظر عما كان من توجيهاته × من الاعمال المفيدة مع اسبانيا والتزم
على الدخول في عقد معاهدة تدافعية مع الفلمنك لمدة سنتان وبواسطة هذه المعاهدة رفض
جيمس ملك انكلتره للفلمنكيين بجمع ستة الاف نفس في الجزاير البريطانية على مصاريف الملك وان
يكون دفع المصاريف ما بعد تمام الحرب ولما تم عقد هذه المعاهدة وردت الاخبار المنفرة من
جهة الجنقو وكانت سببا في فساد هذه المخابرات الودية وقيام الانكليز على مخالفيهم الفلمنكيين
وكانت هذه الاخبار مشتملة على القتل المشهور الذي حصل في جزيرة امبوينه مع ان جبرائيل
طورسن وعشرة من رجال الانكليز وقع القبض عليهم ومن ان عذبوا عذابا شديدا قتلوا
وكان هذا الشقي سبب في هيجان كبير في الوقت وهز كافة الافكار العمومية في ارتباط عقد

× ملك الانكليز

عقد ارتباط دولتان بروتستانيتان كبيرتان بحريتان مع بعضها وكان اصل اختلال هذا الاتحاد
وفك عقد الارتباط الاساسات والاحوال المتلونة الجارية من طرف الملون المنافع المزدوج في عائلة
واعوده جيمس اطوار ملك انكلتره

واما امبوينه فانها رئيسة
جزاير مولوقه وطولها ما بين
خمسين ميلا وستين ميلا ولها
جونان عظيمان مشهوران
بجودة الحماية وهذه الجزيرة
مشهورة بما يخرج من ارضها
من حصول القرنفل واول
من كشفها البرتغاليون واستحوذوا عليها في سنة ١٥٦٤ بعد
الميلاد وفي سنة ١٦٠٥ طردهم منها الفلمنكيون وفي سنة ١٦١٥ اجتهد
الانكليز اجتهادا كان على غير طائل في ان يكون لهم نصيب في حوزتها مع الفلمنكيين واستحوذ الفلمنكيون
عليها استحواذا تاما الى سنة ١٧٩٦ بعد الميلاد فاغتصبها منهم الانكليز تحت رياسة الاميرال
رانيير ثم اعيدت الى الفلمنكيين في وقت عقد صلح اميين ثم تغلب عليها الانكليز منهم في سنة ١٨١٠
ثم اعيدت لهم في صلح باريس الذي وقع في سنة ١٨١٤ ولما تغلب عليها الفلمنكيون شيدوا بها بيوت
تجارة وكرخانات ولحد سنة ١٦٢٢ وقع فيها ما ذكرناه آنفا من الخلاف بين الفلمنكيين والانكليز وكان
السبب في وقوع هذا الخلاف بين هاتين الدولتين ان الادارة الفلمنكية وجهت التفاتها للقبض على
واحد من العسكر الجاوية وكان مستخدم في طرف فرقة منهم وكان هذا العسكري رؤى انه مشغول
في رقة طلب البحث في مسايل تتعلق بالعاصمة فوقع القبض عليه ولما جلب في المحكمة المحلية امام التحقيق
اعترف ان اهل بلاده دخلوا في مخابرة واقوال مع طورسن رئيس الكرخانة الانكليزية واتفق مع بعض
اصحابه من الانكليز والجاويون في الحصول على التغلب على القلعة وقتل الحاكم فحجز الفلمنكيون الجاويون
من وقابليهم واودعوهم في السجون ووقع القبض على الجراح برايز لضغينة ايضا كانت في قلوب
الفلمنكيين منه والقبض على طورسن واثنى عشرة نفس من رجال الانكليز ووضعوا تحت العذاب
الشديد ومن شدة ما وقع لهم من الم العذاب واشرفوا على الموت اقروا رغم انفهم بما اقره
العسكري الجاوي عليهم وقتلوا جميعا من بعد هذا العذاب ولما خشى الفلمنكيون عواقب هذا الامر
اجتهدوا في اخفاء مفصلات القضية وقالوا في وقت وصول الاخبار الى اوروبا انه كان يوجد
حزب متحزب في امبوينه فبواسطة حزم الحاكم وتيقظه في ادارته واعماله قطع دابر هذا الحزب
بالكلية ولما وصلت مفصلات المسئلة بتمامها في انكلتره وصلت الحالة الى اصعب الدرجات وقام
الغضب في وجوه رعايا بريطانيا الكبرى واعلنوا ان هذا العقاب الشديد المضاعف في العذاب
وشدته والقتل خارقا لقوانين السلم واسباب الامن ومخالف لشرايع وقوانين الامم وما
ظهر من مواد التحقيقات شيء يستدل منه على تحزب الذين قتلوا وتاكد ان ذلك كان اختراع كلي
من الفلمنكيين قاصدين حرمان الانكليز ومنعهم من ان يكون لهم نصيب في التجارة المستحوذين عليها
واما قبول الذنب من الذين قتلوا كان من شدة وقوع العذاب عليهم حتى ينفك عنهم شدة
الواقع عليهم من انواع العذاب والعقاب وبجملة حالة هذه القضية من اقوال طورسن التي
اعترف بها في السر بواسطة نسخة لواحد من عمال الشركة بقوله ان جبرائيل طورسن المعرض في
هذا الوقت للموت يقر ويعترف بالايمان الواثقة المؤكدة انه خالي من كل جريمة وكل ذنب
اتهم فيه والله يغفر لي ولجميع خطاياهم ويقبلني في رحمته انه ارحم الراحمين وكذا اقام آخرين
من اصحابه الذين تجرعوا معه غصص الموت حجة براءة منهم في آخر دم من حياتهم وصدر العفو
عن ثلاثة من المسجونين والنشرة كافة التفاصيل التي قيلت منهم في وقت الاسئلة في مدة التحقيق
وذكر واحد من متاخري المورخين ان عموم حكاية هذه الدسيسة صناعية وغير محققة الوقوع
بالكلية ومع ما حصل في هذه المادة من شدة غضب الانكليز بخصوص الذين قتلوا من اهل
بلادهم فان البرنس اورنجه والشركة الهندية الشرقية الفلمنكية وعموم الممالك المتحدة قاموا عموما
في جامعة واحدة في تسوية هذه المادة وارضوا اصحاب الدم واهدوا قضيتهم حسب ما يرغبون
ومن بعد تسوية هذه المادة صار اعداد اسطول عظيم التنظيم باحد الادارات البحرية في امستردام

وفريسلنده وزيلنده وهولنده مؤلف من احدى عشرة سفينة ضخمة حاملة ما ينوف عن الف نفر
من البحرية وستماية من العسكر المنتظمة وثلاثماية خزنة نارية واطلق عليه اسم اسطول ناسو
سترفا للبرنس موريس وعطيت لقايده التعليمات اللازمة بلزوم مروره على شيلي او بيرو
بقصد انشا مستعمرة فلمنكية في تلك الجهة او انه يحرب المنافع الاسبانية الموجودة في تلك
الجهة حربة شديدة موثرة تكون سببا في حلول الدمار والخراب عليهم ثم يلازم في اسفاره نحو الهند
الشرقي فوصل هذا الاسطول في ١٠ مايه سنة ليما عاصمة بيرو وهجم الفلمنكيون على العاصمة
واوقعوا فيها خسارات جسيمة واخذوا عدة من الاسرى واوقعوا الفزع والاهوال والمصايب في
جهات اخرى مثل ما اوقعوها في ليما ولاجل زيادة البطش والاخذ بثارهم شنقوا الاسرى الذين
لا ذنب لهم ولو اكتسبوا جريمة من الجرايم على صواري القلوع وفي علاوة هذه السنة وصل الاسطول الى
الجهة المطلوبة ومع ما حصل من هذا الاسطول من الفوايد والنتايج الجليلة لجهة الفلمنكيين فانه لما
اسعف بمعونة الشركة الفلمنكية فانها من قبل وصوله فهزمت البرتقاليين ومنعتهم من المواصلات
وقطعت عليهم طرق المخابرات مع مستعمراتهم المختلفة وخضعت منهم عدة من ملوك وطني البلاد والجزاير
ومما هو جدير بالتنبيه هنا انه في اثنا هذه المدة الغزيرة صار تشجيع كافة العوارض والموانع
التي حصلت في الاستكشافات البحرية مع المدافعة والاعتنا الى ان الحالة فيما بعد في الازمان الاخيرة
ما كانت كذلك فان الامم الاوروباوية الكثيرة العدد الذين وجهوا وجوههم لحروب من اجل
تيسر لهم الحصول على تجارة مع اسيا تركوا اسباب نتايج الاستكشافات المتولدة من اعمالهم ودفعوا في
المشروعات العدوانية مع بعضهم
ثم قامت القوى الفعالة المؤثرة في عقول الفلمنكيين وهاجت افكارهم في شأن تقوية تجاراتهم
الهندية فاستيقظ مباشرى الشركة ونظارها الى الحالة الناجحة المفيدة في اعمالهم في الشرق بجهد
في مهارة وذكاء وتدبير امرائهم وقايد عمومي حتى ثم ارسلوا ثلاث عمارات بحرية على التعاقب
واحدة تحت قيادة يوحنا بيطرسن كون سافرت في سنة ١٦٢٧ واخرى تحت رياسة يوحنا
غيليوم ديرشكور وثالثة تحت رياسة اندريو بلوك مارطنسن سافرا في اكتوبر من هذه
السنة ثم تولد من كثرة انواع الهجوم والغارة الواقعة على سفنهم في اثنا توجهها الى بلادهم
من لصوص دونكرك ومن الانكليز ارغام الفلمنكيون على اعداد عمارة قوية في كل سنة من اجل
جلب تجاراتهم من الجهات الشرقية فكانت اول عمارة ارسلوها تحت قيادة يوحنا ديرسبيكر لام
فتبدو ظهور سفينة فوق سطح مياه البحور تقهر قطاع السبيل في البحر وفي شهر اكتوبر اقلعت
عمارة مؤلفة من احدى عشرة سفينة الى الهند تحت رياسة جس اسبيكس وسافر معها عالم اسم
وايبيك مرجع على الرياضيين وفي نفس هذا الوقت خاطر بعض الفلمنكيين واقلعوا من مدينة
بتاوية عازمين على العبور من بوغازات بالي فهبت عليهم
رياح وعواصف مختلفة طردتهم من مجرى سيرهم الى شاطى بر
في الجهة الجنوبية من اوستراليا في عرض ٢٩ جنوبيا

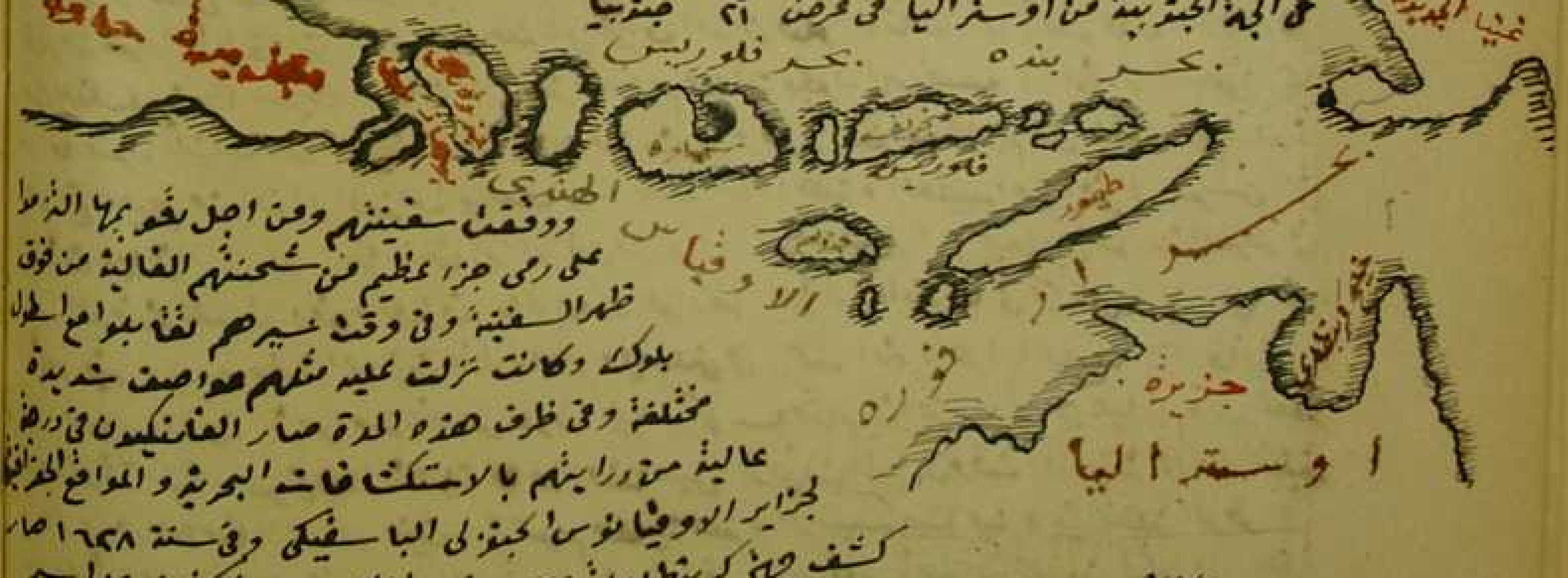

ووقفت سفينتهم ومن اجل نجاتها الزموا
على رمي جزء عظيم من شحنتهم الغالية من فوق
ظهر السفينة وفي وقت سيرهم لقا بلوامع الطول
بلوك وكانت نزلت عليه منهم عواصف شديدة
مختلفة وفي ظرف هذه المدة صار الفلمنكيون في درجة
عالية من درايتهم بالاستكشافات البحرية والمواقع الجغرافية
لجزاير اوقيانوس الجنوبي الباسفيكي وفي سنة ١٦٢٨ صار
كشف جهة كربنطاريه وسميت بهذا الاسم بعد الكشف على اسم
القايد كربنطيره ثم عرفت عند الفلمنكيين باسم هولنده الجديدة ومن عهد تغلب الدولة البريطانية
عليها عرفت على العموم باسم اوستراليا وحصل كشف الاقاليم الغربية من هذه الجزيرة في السنة
التالية ومن بعد كشفها اطلق عليها اسم ارض دو ويط ثم الى هذا الوقت حصل في ثبات ومثاله

واهانة المملكة الفلمنكية في الشرق رجة شديدة وكان سبب تعرضها لهذه الرجة انه تولد من تشييد مدينة
بتاوية والعظمة التي كان عليها الفلمنكيين في جاوه ولما وجدوا انفسهم في قوة كافية رفعوا فيها على
وجوههم براقع الحيلة واوضعوا انفسهم في ادارة الحكومة للوكيه في جاوه فتولد من ذلك هياج كبير
وارتياب وغيرة عند الجاويين ومن ثم سولت لهم انفسهم على اتخاذ الاحتياطات اللازمة في منع
المساعي الكبيرة الجارية من طرف الشركة الفلمنكية وعدم توالي ارسال العمارات البحرية واحدة بعد الاخرى
وارغام الفلمنكيين على الانجلا من مقر دولتهم وشوكتهم وعمارهم او طردهم من الجزيرة فاطبقة فجمع
ملك جاوه في سنة ١٦٢٩ بعد الميلاد جيشا مؤلف من مايتي الف مقاتل وحاصر مدينة بتاوية
ولبث هذا الحصار بضع شهور مع غاية الشدة والعنف الا ان المدينة كانت فوق العادة من درجة
التحصين والاستحكام وقوة المدافعة حتى ان العدو من بعد ما خسر من جيشه ستة عشر الف نفس
الزم على الكف عن الحصار ورفعه فعرض ملك جزيرة مادوره وهي جزيرة صغيرة مجاورة لجزيرة
جاوه لملك الجاويين ان خيبة الحصار وخذلانه منشية لعدم مهارة القايد وسوا تدبيره في
حركات الحصار والاعمال الحربية وان اى ضابط ماهر له دراية بالاعمال يمكنه مع ثلث هذه القوه
فتح المدينة والتغلب عليها فاشتعلت نار الحمية والحماس في راس ملك الجاويين مما عرضه عليه ملك
مادوره وجهز جيشا مؤلف من ١٥٠٠٠٠ مقاتل وعهد قيادته الى ملك جزيرة مادوره وصحبه ملك
جاوه بنفسه الى الحصار ومن ابتدا ٢٢ اوغسطس الى يوم ٢ اكتوبر تكررت انواع الهجوم من الجاويين
فكانت على غير ثمرة وما جا بفايدة وكان كل سعى او اجتهاد حصل في الهجوم ينتهي بخسارة جسيمة في
المحاصرين الى ان ال امر الجيش الى العدم تقريبا فلما قام الغضب والحنق بملك جاوه من كثرة خيبة
انواع الهجوم وكثرة الخسارات عمل هجوما واحدا عنيفا بعساكره قتل فيه هو وجاره وثمانية الاف
من رجاله وتبدد ما كان بقى من الجيش وكان نجاح هذه المدافعة الجليلة منسوبا الى يوحنا بيطرسن
كون حاكم العموم ومات من بعد غلاق الحصار ومع ما حصل في هذا الوقت من الحرب مع الجاويين
حتى الهزيمة فان هذه السنة كانت من اسعد السنين على الشركة او جماعة الجمهورية وذلك انه وصل
اليهم سفن تحت رياسة ثلاثة رؤسا مختلفة موسوقة باغلا البضايع وعاد بطرس وان
ديتر بروك وكان اول من ادخل التجارة الفلمنكية فوق مياه البحر الاحمر والاراضي المجاورة له وكان
عوده في السنة التالية من الهند الشرقي من بعد ان غاب عدة سنين مع سبع سفن تقدرت مشحوناتها
بثمانية مليون من قطع الذهب وفي سنة ١٦٣١ عاد القطولي وان ديامن مع سبع سفن اخرى
جلبت للجمهورية مبلغا جسيما من النقود ثم انه من بعد موت بيطرسن كون تعين جس سبيكس حاكما
موقتا فكان انتخابه في محله لانه كان اهلا لذلك فانه امر بتطهير الشرع والخلجان وبذل جهده
ووسعه في عمل كل شى بما يوافقه من حالة واعلا منار منافع الجمهورية واضاف اشيا اخرى نافعة
زادت في شهرة اسمه وعلو قدره وكان مبلغا مدار شرفه فما تولد من كثرة الثروة وصب الاموال فوق
رؤس الجمهورية الا زيادة الطمع عند ارباب السهام من الفلمنكيين وعولوا على توسيع وبسط افكارهم
والتعدي [illegible] تنفيذ مقصول اغراضهم في طرد اعداهم الاوروباويين واحتكارهم التجارية الهندية
بوقفهم خاصة وبهذا السبب عزموا في سنة ١٦٤١ على ضبط المعقل الحصين الموجود في ملقة تحت يد
البرتقاليين في ذلك الوقت من الجهات الهندية وكان هذا المعقل في موقع عظيم العائدة ما فوق
العادة من عائلة اى انه قوية تجعلها في حفظها على تجارات ممالك جوهور وسيام وبيغو من
ممالك الهند القاصية واحكام تجارتهم مع الصين وياپونيا وحسبوا حساب انه باستحواذهم على مضايق
او بوغازات معظم يمكن انه يكونوا في موقع يستوفيه قانونا عاما لكافة الامم اهل التجارة
الموجودين في هذه الجهة من كرة العالم واتفق انه في هذه السنة ايضا نجح الفلمنكيون في اخراج
البرتقاليين وطردهم من كافة استحواذاتهم التجارية في ياپونيا وسعوا سعيهم في تداخلهم تحت رعاية
وحماية ملك ياپونيا وخضعوا للعشراء وافتقروا وحنوا على انهم اهل سر واهانة وخضوع ما لهم من
مقصد في هذه الجهة سوى فتح سوق تجارة فوايده ومنافعه تعود على المملكة بالاصلاح وتكون سببا في
خروجها وعلو درجة نجاحها كما حصل ذلك في كل مملكة تعاملهم بالقبول والشفقة وبواسطة هذه الادعات
الخبيثة فازوا في تداخلهم في الاحكام والادارات اليابونية واستحوذوا على قلعة فيراندو واعتمد عليهم
ملك ياپونيا ووزراه وامراوه واهل بلاده وسلبوا بمثل هذه الحيل والوسايط عقول بعض الملوك
الهندية وبذلوا سعيهم في استمالتهم معهم ونفوذ اغراضهم حتى صار هولا الملوك تحت احكامهم وبدا

استحوذوا على منح ورخص بتشييد كرخانات وبناء قلاع من اجل حمايتهم والمحافظة على تجاراتهم ولما نجحوا هذا النجاح العالي وصار لهم القدرات على ما وقع منهم حتما بعد توسل او تضرع عند الملوك بل وسنوا قوانين ونظامات وادخلوا بعض الاصلاحات ورأى الملوك الذين تقرب الفلمنكيون لهم مع غاية الخشوع والخضوع والذل والمسكنة انه على مصاريف انفسهم صار قدما اصحابهم اسيادهم وملوكهم ثم انه تولد من النجاح والظفر الذي لا يزعم ارباب الشركة حديثا والثروة التي اكتسبوها والاموال التي جمعوها والايرادات الجارية استقلالا من تجاراتهم والفزع والرعب الذي وقع من كثرة توجيه وارسال اساطيلهم زوال كافة المصاعب التي ربما كان يمكن تجديدها في الحصول على استحداث رخصة او منحة واستحوذوا على هذه الرخصة الثالثة لمدة احدى وعشرين سنة ابتداها غرة يناير سنة ١٦٤٤ فكان ذلك في الواقع ونفس الامر احسن شيء استحوذت عليه الشركة حتى انه عند انعقاد السلم العام كانت مكاسب الشركة وارباحها معادلة لايرادات الحكومة والتزم ديوان اسبانيا على تنازله عن كل حق يدعيه فيما يحرزونه من الفتوحات في الهند ولاجل اشهار حمدهم وشكرهم على ما حصل لهم من الفوز والنجاح شرعوا في انشاء اثر ظاهر على مصاريفهم يستدل منه على هذا الشكر وهو بناء جميل ظريف اخر اشهرة بتجارة امستردام وكان البداءة في عمارته في سنة ١٦٤٨ وانتهى بناؤه في سنة ١٦٥٥ بعد الميلاد واستمر هذا البناء مدة طويلة من بعد بنائه مرعى انه اظرف واجل بناء في الدنيا ثم ما كان لهم من مدة بعد ذلك يحررونا منها شغل اجود واحسن من هذا وافتخرت درجة تجاراتهم في اعلا درجات الارتقاء وصار لا يوجد ملك او رئيس من ابتداء رأس عشم الخير الى اقصى جهة من المملكة الصينية الا وعنده دراية كاملة باحترام شوكتهم ومراعاة دولتهم وما لهم بهم خبرة انهم كانوا على مقاصد طيبة او عدوانية ثم ان الفوز الذي لا نظير له الذي حصل من تجارة زادت واتسعت مع توالي السنين ظهر فيه من اول مرة ان الفائدة في اليد لارباب الاسهام في المنحة الثانية تجاوزت كثيرا عن ارباح وفوائد سهام المنحة الاولى وبالتحقيق في ذلك اتضح في حل هذه المسئلة ان العجز الذي حصل في ارباح السهام هو من كثرة المصاريف الاستثنائية التي احوجت الاحوال اليها في صرف مصاريف في بناء قلاع وترتيب قوى عسكرية وزخرفة محل تأسيسه في مدينة بتاوية وغيرها في جهات اخرى ومن قبل هذه المدة بقليل كان وقع هياج ثورتان معاصرتان لبعضهما في اوروبا وبخصوص الثورتان وثبتا في الحروب التي هاجت على كل منهما

فاما الثورة الاولى فان البرتغاليين تولد في قلوبهم الغضب والحنق وشدة النفور من الاحكام الشديدة العنيفة الواقعة عليهم من الامة الاسبانية الغريبة فانعموا ببيعتهم وطاعتهم على دوق براغنزة واجلسوه على تخت مملكتهم بلقب يوحنا الرابع وهاجت عليهم اسبانيا حروبا كان البرتغاليون فيها هم المنصورون الفائزون ووطدوا استقلالية انفسهم ومن ثم ما شرد البرتغاليون المتوطنون في الجهات الهندية في اتباعهم ما قامت به اهل بلادهم واعلنوا انفسهم تحت طاعة ملك بلادهم وبذلك اخرجوا المساعدة التي كان الاسبانيون يساعدونهم بها في بعض الاحيان وبواسطة حكومة بلادهم اشتغلوا في حروب مع اسيادهم ... بعضهم وما حسبوا لانفسهم حساب اي مساعدة تأتيهم من اي جهة كانت فانتهز الفلمنكيون الفرصة لانفسهم في هذه الحالة ولانهم كانوا قلقا يدوام وبذلوا جهدهم في توسعة املاكهم وزيادة قوتهم وسولت لهم انفسهم وشهواتهم القبيحة وشحهم ووساخة طمعهم ظهور اطمعهم في هذا الشغل على قدر ما عندهم من الطاقة وعدم القناعة واما الثورة الثانية فانه عوام الانكليزية لما شدة غضبهم ونفورهم من الحكومة الانكليزية قاموا في ثورة مهولة عليها فهاجت الحكومة حربا داخليا على الامة الحقائق به هذه الثورة فخربت الشركة الهندية الشرقية الانكليزية فوائدها ومصالحها واعتبارها في انكلترا فاتخذ الفلمنكيون هذه فرصة ايضا وبواسطة اعوانهم لا بمجرد ذلك نهبوا بيوت التجارة والكرخانات الانكليزية في الجهات الهندية وضبطوا بعض السفن الانكليزية فتولد من ذلك اعمال كبيرة بين انكلترا والفلمنك ذكرناها في تاريخ الانكليز في الجزء الثالث من هذا التاريخ وفي تاريخ الفلمنك في الجزء الرابع ويكفي ان نقول هنا انه في في المعاهدة التي عقدت مع محامي الديار الانكليزية طلبا لانكلترا تعويض خسارتهم التي حصلت لهم مبلغا مقداره ٧٠٠٠٠٠ ليرا وكذا مبلغ ٣٦١٥ ليرا لاولياء دم الذين قتلوا في جزيرة امبوينه قبل ذلك بمدة اثنين وثلاثين سنة

وكان من جملة الاستحواذات والاملاك الجليلة التي حازها الفلمنكيون في الجهات الشرقية هو من

دون شك ولا ريب جزيرة سيلان وقد عقدت لهذه الجزيرة النفيسة بابا مخصوصا في اخر هذا الكتاب من بعد تاريخ البلاد الهندية مشتمل على ملوكها ووصفها الجغرافي وتقسيماتها الادارية من الضروري هنا ان اذكر مختصرا على تاريخها من ابتداء استحواذ البرتغاليين عليها الى ان وقعت في قبضة الانكليز وقرابينهم فاقول انه اول توطن اتخذه البرتغاليون في سيلان كان في سنة ١٥١٧ بعد الميلاد في وقت ما استخلص البرتغاليون محلا تجاريا على رخصة من ملك السنهاليز في مدينة كوتا المجاورة لمدينة كلمبو وعلى مسافة ستة او سبعة اميال منها من الجهة الجنوبية الشرقية تخلص بانشاء كرخانة صغيرة او بيت تجارة وشرعوا كما فعلوا في كل جهة مع السرعة في تقوية موقعهم وتحصين مركزهم ودخلوا في معاملاتهم مع اهل الجزيرة ثم استبدلوا مع غاية العجلة سياجات موقعهم وزريبته باسوار بنوها من الاحجار وابراج قوية وجلبوا اليها مدافع او افواه نارية وركبوها على الاسوار وفي داخل الابراج ووجهوا افواهها وبيزان مقذوفاتها على كل من يجاسر على اجراء الهجوم عليهم من البر او من البحر وكان الوقت مضى وفات على ملك السنهاليز وقوم اصحاب الجزيرة عندما استشعروا بالاخطار القريبة التي تحل بهم وتكون سببا في خراب ديارهم ونزع سلطنتهم من الذين غرسوهم في ارضهم وبلادهم وزرعوهم فيها كما قيل في المثل كل شيء تزرعه تحصده وتقلعه الا اسود الرأس ابن ادم فانك ان زرعته في جهة تقلعك استحوذ هو عليها وقلعك منها فاستغاث ملك السنهاليز بالمسلمين والتجار الوطنيين تجارا في الجزيرة وكانوا على لهف ورغبة من قطع دابر البرتغاليين من الجزيرة وجمع جيشا وهجم على هؤلاء الاعداء الذين توطنوا جديدا في الجزيرة فخاب هذا الهجوم ثم انه وقع بعد اجراء عدة حروب مهولة طويلة كل السنهاليز وتعبوا وتركوا البرتغاليين الاوروباويين مستحوذين على الساحل الغربي من الجزيرة فتولد من استبدادهم وعدم ذمتهم وقلة دينهم في اعمالهم واشغالهم وعنفهم وزيادتهم ان صاروا ممقوتين مبغوضين عند الهنود عموما وبتعرضهم هذه الصفة الى سيلان ولما وصل الفلمنكيون في سنة ١٦٠١ بعد الميلاد تحت قيادة الاميرال سبيلبرجن الى ساحل الجزيرة وارادوا الحصول على معاهدة مع ملك كندى في داخل الجزيرة دخل ملك كندى في معاهدة معهم بالقلب واللسان مؤملا انه بالتجارة مع هؤلاء القادمين جديدا يكون فيه قدرة كافية على طرد البرتغاليين او قطع دابرهم من ارض الجزيرة فاتفق انه ما وقع ادنى سعي ناجح لاسترداد هذه الاقاليم التي كانت منظورة لملك السنهاليز الى ان حلت سنة ١٦٣٩ ففي هذه السنة هجمت عمارة فلمنكية على القلاع التي اقامها البرتغاليون على السواحل الشرقي من الجزيرة وعفتها الى الارض وفي السنة التالية وصل الفلمنكيون ايضا الى الجزيرة ونزلوا في مدينة نجمبو الا انهم ما وقع منهم ادنى سعي في اتخاذهم موطن لهم على ساحل الجزيرة وفي سنة ١٦٤٣ هجم الفلمنكيون على مدينة نجمبو وحازوها وحصنوها واحكموها في سنة ١٦٥٨ ولما ظهر للفلمنكيين مقام هذه الغنيمة وعلو ثمنها ارسلوا القوايد حيث من مدينة بتاوية مع اسطول عظيم وجيش من اجل الاشتراك والاتحاد مع ملك كندى في اخراج البرتغاليين من الجزيرة اخراجا كليا فلما انهزم البرتغاليون في ميدان الحرب تداركوا حماية انفسهم في داخل استحكامات كلمبو ثم من بعد مضي بضع شهور صار اقتضاء قلعة كلمبو بعضا بالقوة وبعضا بالخط وكان ملك كندى ساق جيشا مؤلفا من اربعين الف مقاتل لهذا الحصار ولو انه على مقتضى نص شروط المعاهدة التي عقدت بينه وبين الفلمنكيين ان كل قلعة تؤخذ من البرتغاليين تسلم ليده فان الفلمنكيين رفضوا قبول تسليم شيء من القلاع التي حصل التغلب عليها من البرتغاليين واحتجوا بانه مطلوب لهم ديون كبيرة وانهم عولوا على حجز هذه القلاع تأمينا لما هو مطلوب لهم من الديون فتولد من خرق قواعد المعاهدة وفسخ شروطها فساد في الالفة بين السنهاليز والفلمنكيين واعلن ملك السنهاليز حربا على الفلمنك فما انتهز البرتغاليون الذين حصل لهم الهزيمة والضعف والوهن الفرصة لانفسهم في هذا الوقت من اجل ترميم ما حصل لهم من الخساير بل سلك الفلمنكيون مسلك الحزم والرأي والعقل مسلكا احسن من مسلك البرتغاليين وعكفوا انفسهم مع الحيلة على زيادة محصولات البلاد وغرس المعاملات التجارية مع اهل الجزيرة في الداخل واشتغلوا بدلا من المقاتلة باشتغال المنافع والفوائد الممكن تيسر الحصول عليها من نشر التجارة وخالفوا ما كان عليه البرتغاليون وعاملوا اهل الجزيرة مع الرفق واللين وما اجتهدوا في جنى اثمار وفواكه من اعمال مخلة باعمال عسكرية يشهرونها وتجرأوا الى ان جعلوا تجارتهم بين اهل جزيرة سيلان كثيرة المكسب والفايدة

مع هولنده وخلوا ما كانوا عليه من تجارتهم فى صنف القرفة فانهم ادخلوا فروع تجارة غزيرة كانت عظيمة التوفيق فى النجاح والفائدة وشرعوا فى الاشتغال الدينية على منوال عظيم فى تهذيب الاطفال وتربية الشبان ولو انه لم يمض حينئذ عموم اغنيا سكان الاقليم الساحلى المنبئة عليه سلطتهم واحكامهم وانشأ المدارس والمكاتب واقاموا الكنايس والمعابد والهياكل والمبانى الفريدة الجامعات التى موجودة لحد يومنا هذا اى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٩٣ بعد الميلاد فى كلمبو وغيرها من المداين الساحلية فى جزيرة سيلان ورتبوا قوانين ونظامات وطدت الامن والراحة فى الاقليم الساحلى ولبثوا مستحوذين على هذا الاقليم نحو قرن ونصف من دون ان ينازعهم فيه منازع ثم تولد من التأثيرات المضعفة للمنظفة الحارة وهن فى ذراريهم انحط نشاطهم واضعفت قواهم حتى ان الاراضى التى استحوذوا عليها بقوة عساكرهم وحفظوها لانفسهم فى سنة ١٦٨٥ بعد الميلاد شرعوا فى فقدها وضياعها مع وهنهم وجبانتهم للانكليز فى سنة ١٧٩٦ بعد الميلاد وما زالت ذراريهم موجودة لحد الآن موجودة فى سيلان مستخدمون فى خدمات الحكومة الانكليزية فى الوظايف والمصالح ومنهم الحكام والقضاة والمحامين فى المحاكم وفى اشغال البنوكه ولهم املاك وعقارات شتى فى الساحل وفى داخل الارض وبعضهم فقير لا يحكم على قوت يومه ومطلوق عليهم فى سيلان اسم البارغير اى اولاد البلد وفيهم من هو ظريف ورفيق صاحب هيئة ورافة ونشأهم فى غاية الادب والحشمة والظرف والرقة

ثم ان الفلمنكيين ما كفاهم المظفرات التى استحوذوا على ثمارها بل شرع مجلس العموم فى بتاوية فى عمل الاجتهادات المؤثرة الفعالة فى التغلب على كافة المصاعب وتذليل الاخطار التى يتولد منها منع تجارتهم مع الصين وارسل فى شهر يوليو سنة ١٦٥٥ سفرا مكونين من عدة حاملين هدايا جليلة للامبراطور الصين ومن بعد ان لبثوا منتظرين فى باكين نحو ثمانية شهور اوقعها تشرفوا بمقابلة الامبراطور وبواسطة ما لاقوه من الاحتفال فى استقبالهم تفألوا بحسن العواقب وجودة النتايج الا انهم من بعد مدة قليلة اكتشفوا على ان لهم اعداء فى الديوان الامبراطورى كانوا موثرا قويا فى خيبة كافة امالهم ورفض مقصودا عمالهم وذلك ان الجزويت او اليسوعيين كانوا لهم زمان طويل من قبل هذه الحادثة قاطنين فى المملكة الصينية وكانوا على اعتماد كبير وثاقة تامة فى الاقوال والافعال عند الامبراطور المتسلط فى المملكة الصينية فى ذلك الوقت وكان لهم النفوذ والسلطة الكبيرة فى المملكة وكان رأس هولاء اليسوعيين الاب آدم شعال اصله من اهل كولونيه وكان نزيل هذه المملكة من مدة خمسة وثلاثين سنة وكان فى نعمة وارغد عيش وكرم وافر واعتبار جليل عند الامبراطور حتى اصعده الى رتبة حاكم من حكام الدرجة الاولى من الرتب الصينية وجعله رأس عموم الفلاسفة والرياضيين فى المملكة عموما فعرض شعال المذكور الصور الحقيقية للفلمنكيين على الامبراطور وتغالى وتعالى فيها وقدح فى حق هولاء الوافدين جديدا على الامبراطور الذين يلوح على وجوههم شدة التشرع والقطوع وخفقات القلب على امل اتمام تجارتهم وقال ان هولاء امة من جهة لا عبرة بها حقيرة مهينة دنية من نواحى اوروبا حياتهم وعيشتهم مقصورة على الطواف فى طلب التجارة والسلب والخطف وقطع السبيل وانه بواسطة ما فعلوه من الجنايات والحدوثة وشدة العنف جعلوا لانفسهم مملكة واسعة فى الهندين الشرقى والغربى على مصاريف نفس سكان البلاد وبالخصوص على مصاريف الملوك الذين ذاقوا منهم الذل والهوان من بعد ان ذلوا وخضعوا انفسهم على اعتابهم وسمحوا لهم بالاقامة فى ممالكهم ومن بعد ان سكنوا الاراضى اجتهدوا فى وقوع التعدى والجور والظلم على الملوك الذين ذرعوهم فى ارض ممالكهم وعلى رعاياهم فلما اخبر الاب ادم شعال الامبراطور بهذه الحكاية واوقعها فى مخ نشرها الامبراطور على مصالح مملكته فكرهت الادارات الصينية معاملتهم بهذه الصفات والزم الرسل العود خايبين ومن الامال والفوائد قانطين فى عقوق سنة ١٦٥٧ ثم حصل سعى مثل هذا كان سعيد الطالع فى ديوان يابونيا واختار الفلمنكيون لهذا الصدد رجلا سعيدا مباركا حسن الذات والصفات اسمه زكريا وجاينر ماهر زكى حميد الصفات خبير بعواقب الامور حنكته الايام والتجارب ففند وصوله الى ديوان يابونيا فى شهر مارث سنة ١٦٥٩ بعد الميلاد نجح نجاحا تاما فى ميل الامبراطور وتعطفه عليه وكذا استمال قلوب وزراه وبذل جهده فى تيسير الحصول على كل ما يعود منه النفع على اهل بلاده وفى مدة ما كانت هذه المخابرات والمكالمات جارية فى الممالك

الممالك الشاسعة الصين ويابونيا هاجت قلقلة شديدة وارتباك كبير فى جاوه واضطرب فيه سلاطنة بتاوية وكان السبب فى ذلك ان جزيرة جاوه كانت تحت احكام سلطان ملقب عند الفلمنكيين تارة باسم امبراطور وتارة باسم ملك جاباره او جافاره او جاوه فخلع الحاكم المعين من طرفه فى بنطام طاعته له واعلن استقلاله بنفسه (ملحوظ = بنطام واقعة فى الجهة الغربية من جزيرة جاوه وكان للانكليز والدانيمارقيين فيها بيوت تجارات وكرخانات لحد سنة ١٦٨٢ الى ان اهاج الفلمنكيون حربا بين الملك وابنه بسبب ان الاب ما سلك مع حسب اغراضهم واعمالهم ودب عدة بعض اخرين من العصاة مع ابن الملك اخذوا الملك العجوز اسيرا وارسلوه الى بتاويه واجلسوا ابنه مكانه على التخت وفى سنة ١٦٨٣ زعموا انهم مسلطين من طرف الملك الجديد فى طرد الدانيمارقيين والانكليز الذين ما وقع منهم ادنى فلتة ادب فيما هم عليه من عوايدهم وقوانينهم) وساعدوا فى هذه الثورة الفلمنكيون وكانوا على امل انه من بعد نفاد الحرب يا حوزون حصة هذا الاسد فكانت سياستهم التى وكلوا بها موقفهم سببا فى تأييد هذه الفتنة وبالبناء على ذلك صار لا يمكن للامبراطور الجور والتعدى على الاملاك الفلمنكية وكان ملك بنطام على الدوام مستقلا تحت السلاح تحت حمايتهم ووقايتهم ثم وقع الخلاف بين ملك بنطام وبين الفلمنكيين فخذلوا الامبراطور فى هذه المادة ومن ثم كانت عموم ايراداته مصروفة فى القلاقل الداخلية التى وقعت فى سنة ١٦٥٩ فى اخمادها واطفاء شوكتها ورأى ملك بنطام ان وقوع هذه الاربتاكات بين الامبراطور والفلمنكيين فرصة نفيسة لاغراضه فجمع جيشا ضخما من اجل الهجوم على الفلمنكيين وانهم الان صيدة سهلة له بسبب عدم ما عودتهم من طرف الامبراطور ووضع الحصار على مدينة بتاوية الا ان الامال التى كان متعلقا بها طرف النجاح آل امرها جبنا الى الخيبة والحزن لان درجة السعادة والعظم الذى وصل اليه الفلمنكيون فى الوقت الحديث العهد الى درجة فوق العادة وكثرة العمارات البحرية التى وردت من اوروبا فى المياه الشرقية جعلت لاهل بتاوية القوة الكبيرة فى عجز ووهن كل سعى واجتهاد يقع من اعدائهم ثم لما من بعد ان انصد ملك بنطام بعدة مرات فى هجومه على بتاوية وتجرع الالم غصص الحادثات فى امواله وجيشه ارتد متقهقرا مع غاية السرعة الى ارضه وبلاده وفى هذا الحرب الداخلى ما وقف الفلمنكيون فى الاجراءات اللازمة لدفع هذا الحرب بل وانهم ارسلوا مساعداتهم لحليفهم ملك بنفاله وكان سلطانه اشرف على الخطر والدمار من اوقات اخوه للتخت واسعفوه بالمؤن والذخاير الحربية وفرقة من العساكر الفلمنكية حتى صار فى طاقة قوية فى تأييد شوكة نفسه ورفع درجة تخته على قاعدة ثابتة قوية واعترف ملك بنفاله للفلمنكيين على اداء هذه المنفعة الجليلة وشكرهم على حسن افعالهم ووهب عمارتهم له وتنازل لهم عن رخصة يواسطتها شيدوا لانفسهم كرخانات وبيوت تجارة وبنوا قلعة فى مدينة هوجلى واحكموا تحصينها وموقعها وسنذكر من الان فصاعدا تفاصيل النتايج المؤثرة التى حصلت من اتخاذ الفلمنكيين هذا الوضع على التجارة الانكليزية فى تلك الجهة

ثم تولد من الطمع الشنيع الذى حصل للفلمنكيين فى وقت اسقاط فهم الصينيين وميلهم فى قبولهم فى ارض الصين نار تأججت فى صدر حاكم بتاوية وصدور ارباب مجلسها حتى انهم صاروا على لهف زايد من انتهاز فرصة يكافيئون بها آبا الجزويت او اليسوعيين على مقتضى نص تداخلهم فى هذه المادة وما وقع منهم من السفاهة وقلة الادب فمن ثم لاجل البطش بهم والاخذ بثارهم اعدوا اسطولا مؤلفا من ثلاثين شراعا وسيروه الى جزيرة مكاسر او سيليبس من اجل الهجوم على مدينة مكاسر عاصمة ملك الجزيرة وكان فى مينة هذه العاصمة اسطول برتغاليا مشحونا ببضايع ثمينة غالية القيمة للجزويت وكانت هذه المدينة كانت مقر الجزويت ومركز اشغالهم وتجاراتهم فى هذه الجهة وفى شهر يونيه سنة ١٦٦٠ بعد الميلاد وقع الهجوم من الفلمنكيين من البر والبحر على مدينة مكاسر ولو ان ملك الجزيرة دافع بكل ما فى طاقته عن حلفاه فان البتاويين انتصروا نصرة تامة وحرقوا ستة سفن من اسطول اعداهم واغرقوا اثنان ووقعت منهوبات الاسطول ومشحوناته بقيمة المصروفات التى صرفها الفلمنكيون فى الارسالية الصينية وكانت تكلفت عليهم مبلغا جسيما من النقود وكانت خسارتهم كبيرة ايضا فى هذه الغزوة

ثم ان ملك مكسار ارسل من طرفه رسولا الى بتاوية تشريفا لقدر المنصورين وخضع لعقد شروط معاهدة على حسب افكار الحاكم الفلنكي في بتاوية واختياره مع ما كانت عليه هذه الشروط في الغاية والشدة والاستبداد وربط محالفاته مع الفلنكيين في طرد البرتقاليين من عموم ارض بلاده ومملكته وان لا يقبل منهم ولا من الاوروباويين الاخر احدا سوى من كان فلنكيا في الاقامة والتوطن في ارض مملكته وعين قلعة بجنبدام ومينتها مع قطعة من الارض قطرها اربعة فراسخ فوق المينة للشركة الفلنكية الشرقية وطردوا الجزويت وهدموا اماكنهم ومدارسهم وكنايسهم وازالوا من وجه الارض كنايسهم ومعابدهم وضبطوا اثاثاتهم وامتعتهم واملاكهم وادخلوها في منافع الشركة ومصالحها وقرأت في كتاب اسمه الاوصاف التاريخية لمملكة مكسار في الهند الشرقية ان حقيقة الامر في قضية الجزويت ان السفرا الفلنكية الذين وفدوا على الديوان الصيني من بتاوية ما حصل استقبال لهم فيه بما يليق بهم من المقام الذاتي في ديوان امبراطور الصين ومنع قبول الامبراطور احالة رخصة بتجاراتهم في بلاده وانه لا حاجة للجزويت في كونهم يشيروا على الامبراطور بهذه الشورى لانه كان مع دراية تامة من عدة جهات بما وقع منهم من الضرر والاذى للملوك الهندية الذين كانوا رخصوا للفلنكيين بوضع اقدامهم على ارض ممالكهم وعرف بما وقع من التجاريب التي حصلت لجيرانه ان هذه الامة اهل غدر وخيانة وعدم ثبات لا امانة ولا صداقة ولا عهد ولا لازمة عندها فلو ان الجزويت الصينيين مالهم ادنى حظ في عدم قبول الامبراطور الصيني الفلنكيين ولكان غالبهم متوطن في مملكة مكسار وكانوا من اهل الطايفة والجماعة الذين وقعت كراهتهم في قلوب الفلنكيين فانه كان يوجد ايضا كثير من سفن التجار في هذه المينة ليس لانفسهم ولا لسفنهم جريمة في مادة الطرد وعدم قبول ما عرضه الفلنكيون على الديوان الصيني وما كان لهم دخل فيها الا انهم جميعا وقعوا في مصيبة واحدة واحترقت قلوب الجزويت من ان هزيمة البرتقاليين ليس فقط من اجل ما خسروه من تجاراتهم وسفنهم بل وراوا انهم خابوا في كافة اعمالهم من نشر وتوطيد الديانة الكاتوليكية الرومانية في مكسار ثم ان ملك مكسار التزم على ان يرسل مندوبا من طرفه لحاكم العموم في بتاوية من اجل تصديقه على المعاهدة ومع ما كانت عليه شروطها وموادها من القباحة وعدم الصلوح لذاته ومملكته وكانت هذه اجل واشهر اعمال الفلنكيين في الشرق وانفعها مكسبا وربحا الا انه كان من دونه ربح شغل ردي قبيح السير بما انه كان مشحونا بالسلب والنهب والخيانة وعدم المحافظة فضلا عما وصل ليد حاكم بتاوية من الهدايا الجليلة التي ارسلها له ملك مكسار على يد المندوب الذي ارسله من طرفه في شان هذه المعاهدة وانه في ظرف عشر سنوات مضت اشتغل فيها الفلنكيون في تجاراتهم مع هذه الجزيرة وكانوا في صلة ووداد مع ملكها فوفدوا في السرعة من اهل بلادهم من الفلنكيين على الاقامة في جهات مختلفة من الجزيرة في مملكة ملك مكسار ولما راوا انفسهم انهم صاروا في قوة كافية جمعوا قوة مهولة وهجموا على سراية الملك على حين غفلة عمدا ما تخلفوا عن حكومة بتاوية بانه لا جدوى كافية مستعدة لما عندهم من سوء الحظ والتدبير ما وصلت هذه الغفوة في الوقت الذي تقتضي لها وفي اثناء هذه المدة ولو ان الملك وقع الهجوم عليه غفلة فانه جمع قواه وعسكره واشتغل شغلا عنيفا حتى ان الفلنكيين الثايرين ومن حالفهم اشرفوا على خطر بين من دمارهم بالكلية وكان الجيشان معسكران على مرأى من بعضهما ومفصولان بنهر فوجد الفلنكيون ان اهل كر الوطنية تاتي في ساعة معلومة للشرب من هذا النهر فوضعوا السم في المياه واهلكوا منهم الكثير وحفظوا انفسهم الى ان وردت لهم التقوية والامداد وانتصروا على اعدايهم

ثم ان الثنا الجزيل والشكر الجليل الذي اداه الفلنكيون على نصرهم في هذه الغزوة اعقبه من بعد قليل خسارة شديدة مؤلمة حتى انك اكبادهم وحقت لهم من عدة مصايب حصلت من اعمالهم الجنيحة في الجهات الهندية وذلك انه كان لهم في هذا الوقت مستعمرة من اجل مستعمراتهم الزاهرة اليانعة في جزيرة تعرف بجزيرة فرموزه واقعة على نحو تسعين ميلا من الاراضي الصينية ومفصولة منها بخليج فوكين وعلى عرض ٢٢ و ٢٥ شمالا وعلى طول ١٢٠ و ١٢٢ شرقيا وارضها احسن الاراضي واجودها في الشرق في المحصولات فيخرج من ارضها كافة اصناف الحبوب والفول والاثمار والفواكه تقريبا ومن جملة اصناف محصولاتها التجارية الذرة والدخان والسكر وانواع الفواكه واخشاب العمارات والتشغيلات والملح والكافور والكبريت والقطن والنيل والحرير ولا اهره وكانت لهذا الوقت من ملحقات الصين وكانت معروفة عندهم باسم شونة الاقاليم الساحلية هذه

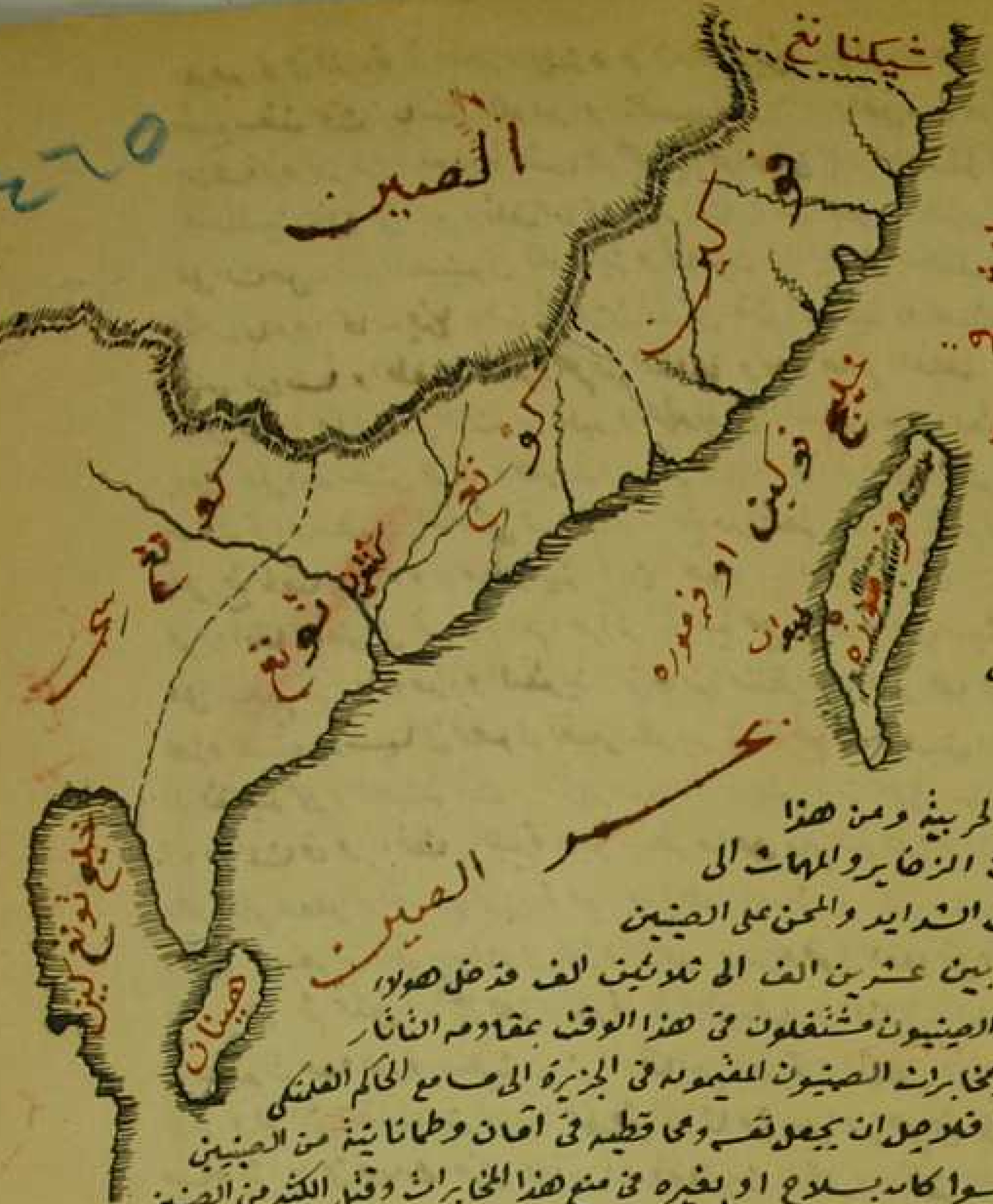

المملكة الصينية وكانت غير معروفة للصينيين الى حد سنة ١٤٠٣ وفي سنة ١٦٤٣ ابتنى الفلنكيون فيها قلعة عرفت بقلعة زيلنده فوق جزيرة صغيرة مشرفة على مينة العاصمة طيوان وحاكمة عليها وفي سنة ١٦٥٣ عول الصينيون على مشروع عنيف في صدم هذه المستعمرة ودمارها التي اشتغلوا عليها بالصدفة وكان طالع سعد الفلنكيين في هذه الجزيرة اغدق عليهم بالمكاسب والامن والراحة فحصل لهم الاسترخا والكسل في قوتهم وعكفوا على شهواتهم ولذاتهم واهملوا واجباتهم العسكرية وقواعد معالمهم الحربية ومن هذا الذي آل امر الاستحكامات ومخازن الذخاير والمهمات الى العدم وكان في هذا الوقت وقعت الشدايد والمحن على الصينيين القاطنين في الجزيرة وكان عددهم ما بين عشرين الف الى ثلاثين الف فدخل هؤلاء في مخابرات مع اهل بلادهم وكان الصينيون مشتغلون في هذا الوقت بمقاومة التتار الثايرون على المملكة فوصلت اخبار مخابرات الصينيين المقيمين في الجزيرة الى مع الحاكم الفلنكي الموجود فيها المدعو باسم ويربورغ فلاجل ان يجعل تقيه ومن قطيعه في امان وطمانينة من الصينيين سعى في طرق السوء وعدم التدبير سوا كان بسلاح او بغيره في منع هذه المخابرات وقتل الكثير من الصينيين ووضع الكثير منهم تحت العذاب والعقاب الشديد فكانت هذه المحن والشدايد سببا في جمع الصينيين في ان صاروا رجلا واحدا وصاروا الد الاعدا للفلنكيين وفي الوقت الذي تغلب فيه التتار التغلب الاخير على الصين كان قاطنا في قلعة زيلنده في جزيرة فرموزه رجل خياط اسمه تشيتشيلونغ معروف عند الاوروباويين باسم ايقوان وكان رجلا صاحب عقل كبير وهمة وعزم شديد وشجاع محب لاهل بلاده ووطنه فاخذته الغيرة والحمية وقام به الغضب والحنق من غارة التتار وتغلبهم على بلاده وصار لا صبر عنده على تحمل هذه الاخطار والاهوال التي ازعجت وطنه ولبكت راحة اهل بلاده فجمع من اقاربه اهل الراي والنجدة واعد ثلاثة او اربعة قوارب صغيرة وسعى بهذه الغزوة ليكون له نصيب في اشغال الحرب فانضم اليه المجازفين والمخاطرين واهل الشجاعة والنجدة وازدهرت بيرقه وتنوجت اشغاله وحركاته بالنصر وفي ظرف مدة قليلة زادت قوته حتى خاف منه الامبراطور التتاري فعول الامبراطور من اجل خلاصه من عدو شديد مثل هذا على كونه دخل في مخابرة معه وعرض عليه ان يجعله ملك الولايتين الواسعتين كوانغ تونغ او كنتون وفوكين او فوكينغ ودعاه الى فوكين من اجل ان يتم معه هذا الاتفاق ويقلده وظيفة الشرف الجديد والسمو المجيد فبدل ان يحافظ الامبراطور على شرف اقواله وما وعد به قبض عليه وسمه وكان الطالب لتخت ملوكي صيني ولد اسمه كوكزنغا فلما سجن الامبراطور التاتاري ابوه تقلد زمام قيادة اسطول ابيه وطلب في الابتداء مدة الفلنكيين ووعدهم في نظير مساعدتهم له فوايد ومنافع عظيمة من بعد تمام النجاح وحصول الظفر فرفض الفلنكيون قبول طلبه فغضب من عدم قبولهم مساعدته وزاد حنقه وبما انه كان على دراية تامة من اهمالهم في المدافعة والمحافظة على انفسهم وبما عليه الصينيون من الذل والمسكنة والنفور من الفلنكيين عزم على توجيه كامل قوته على جزيرة فرموزه وجمع لهذا الصدد اسطول مؤلف من ستماية شراع غير ما بها من الفرقاطات الصغيرة الا انه موجود فيه نحو من مائة سفينة حربية قوية في كل واحدة ما ينوف عن اربعين مدفعا نارية ومن قبل ان يحصل عند الفلنكيين في فرموزه ادنى استعداد لمقابلته ظهر باسطوله امام المدينة الفلنكية في شهر مارث من سنة ١٦٦١ بعد الميلاد وانزل الصينيين اربعين الف نفس وفي ظرف مدة قليلة وقعت كافة المحطات الفلنكية الخارجة عن المدينة في ايدي كوكزنغا ودخلت كافة القوى الفلنكية

الموجودة في الجزيرة في قلعة زيلنده واذ رحف فيها ولولا انه صار ارسال عمارة بحرية قوية مؤلفة من
تسع سفن تحت رياسة الكومودور جمس كاوين من اجل مساعدة محافظي قلعة زيلنده فانه هلك زيادة
من عساكره نحو من اربعماية نفس في هجوم اجراه في البر على ستة الاف من الصينيين وما حصل ايضا
للفلنكيين نجاح في البحر وتلف من عمارتهم اثنان من اجود سفنهم الحربية وقذفت الامواج والرياح واحدة
على الشاطي وقتل الصينيون ثلاثماية وثمانون من البحرية الفلنكية وقد وقعت السفينة الاخرى من طلق
مخزنه بالبارود لكان فيها وقد تم عجزت الخمس سفن الباقية ودهشت حالتها واقلعت الى جاوه حاملة ماكان
نفس من نسا واطفال اخذوهم من القلعة وكان حاكم القلعة كوجيت الفلنكي رجل عسكري صاحب
شرف وهمة فلما حصل التشديد عليه والتهديد في التسليم اجاب بقوله انه لا يوجد تحت نظره شي يحثه او
يحضه على انه يخيس قومه وحكومته ويسلم المحل الموجود تحت محافظته وخفارته لعدوه ولو انه محروم من
مساعدة الاسطول الفلنكي له فانه دافع مدافعة شديدة عنيدة حتى ان سوجا عم كوكزانقا عزم
على رفع الحصار من دون معلومية ابن اخوه مع القوة التي كانت بقيت تحت يده فلما بلغ خبر عزمه الى
كوكزانقا قبض على عمه ولازم اجراته الحربية مع الحزم والفروسية والشدة الى ان محافظي الفلنكيين ارغموا
على التسليم مع ان الاعداد والتقوية التي كانوا منتظرين حضورها كانت على مراى منهم فكانت خسارة
هذه المستعمرة سببا في حصول تغيير شديد في موقع الفلنكيين وبدل ان كانت التجارات الاسبانية و
البرتغالية كلها والصينية تحت رحمتهم صاروا لا يقدرون على ارسال سفنهم السنوية الى نواحي يابونيا
الا مع المشقة والاخطار الكبيرة وبواسطة ما حل بهم من هذه المصايب جنوا ثمرات فايدة واحدة
وهي انهم جعلوا لانفسهم مخابرة مع امبراطور الصين ورضي بمعاونتهم في ان صد عنهم شوكة كوكزانقا
وقوته ومنعه من قطع سبلهم في هذه البحور ومن وقوع القلاقل والارتباكات التجارية للمملكة اليابونية
والصينية ثم اتفق انه في هذه المدة تداخل شارل الثاني وكان تزوج الانفنطا كاترينة البرتغالية
وانعقدت معاهدة سلمية بين الاقاليم المتحدة والممالك البرتغالية على رضا موافق بين الطرفين
لانه ولو ان الفلنكيين كانوا على فوايد تامة على اعداهم في الجهات الشرقية فانهم كانوا على خساير
سنوية لها في جهات اخرى فكان للبرتغاليين النصر والظفر في جهات الهند الغربي ونجحوا ايضا في
تغلبهم على مملكة برزيلية من الفلنكيين وكانوا سالكين ايضا مسلكا عظيما في عمل فتوحات كبيرة
وكانت لصوصهم وغاراتهم وخطفهم في البحر عديدة حتى ان هولنده وجدت تجاراتها في البحر
الابيض المتوسط وفي سواحل افريقية عرضة للمضايقات ومصاعب شديدة ومع ما فيه فان الشركة
الهندية الشرقية الفلنكية ما راعت المواد والالزامات والقواعد المقررة في هذه المعاهدة بل حكت
في استيفايها حسب القواعد والمواد المقررة لها في منحها السلطانية وفي سنة ١٦٦٣ هجم رجالها
على مدينة كولوم الواقعة على ساحل المليبار ولما فتحوها واخضعوها هجموا من بعدها على مدينة
كاناتور الجليلة فاستحوذوا عليها من بعد حرب شديد قاسي واصلحوها ورمموا استحكاماتها وجعلوها
ملجا ومطرا لهم ثم من بعدها شرعوا في حصار مدينة كوشين وكانت قليلة العدد والاهمية وبها ملاحظ
قوسية نصرانية ومركز دايرة تجارة واسعة فمن بعد مدافعة شديدة ومواصلة حرب مهول كانت فيه
تلفيات وخسارات كبيرة من الطرفين تغلب عليها الفلنكيون ومن بعدها خضع راجا بورقه وكان
ملكا يدفع خراجا سنويا للبرتغاليين ثم من بعدها تغلبوا على مدينة كرنجانور وفي ظرف مدة سنة
طرد الكومودور جوهين البرتغاليين من كافة املاكهم الواقعة على ساحل المليبار وحاز ارضا طولها
مايتين وخمسون فرسخا مع كافة التجارات التابعة لها وتمتع الفلنكيون بهذه الفوايد العظيمة من دون
ان يقع لهم ضرر او فساد من ابتداء الوقت الذي كان فيه اخر استيطانهم في الهند وعقدوا معاهدات مع
الزاموريين ملك كاليكوت وملك كوشين وعدة ملوك من الملوك الهندية ولما جلس اورنك زيب على تخت
المملكة الهندية المغولية ارسل الفلنكيون سفيرا من طرفهم فاستقبله اورنك زيب باجل الاحتفالات وكذا
ارسلوا سفرا الى الملوك الذين ممالكهم يكتنفها خليج بنغاله فاستقبلوا في دواوينهم باجل الاحترامات
ايضا ثم انه من عدم العهد والعداوة قامت بعض القلاقل والاختلافات بين الفلنكيين وملك سيام
فسحبوا بيوت تجاراتهم من سواحل بلاده فغضب ملك سيام واشاع من انه ربما يتولد من ذلك حرب
بينه وبين الفلنكيين فعرض على مجلس بتاوية مع غاية الاحترام مكتوب من طرفه في غاية من الحشمة
والتبجيل يعرف به الاسباب التي اوجبت انسحاب البيوت التجارية الفلنكية من سواحل بلاده وارسل
رسولا من طرفه يدعوهم الى العود ثانيا واكد لهم انه ما حصل من دهاويته وادارات بلاده ولا حد

منه ما يوجب هذا الانسحاب وانه على مر الازمان وتوالي العصور ما برح الفلنكيون في مملكته ...
الرعاية والالتفات في المستقبل حتى تم اعيدت بيوت التجارة والكرخانات في سيام وفي ليجور كما كانت
ثم اعقب هذه النهايات والغايات العظيمة المرضية فظايع قبيحة وقعت من جهة الفلنكيين عاقبت فيها
الحكومة الفلنكية ارباب الجرايم العقابات اللازمة الموافقة لحالة الجريمة وهو ان بحرية سفينة فلنكية قتلوا
عمدا وتعديا نفسا من اهل سيام قتلا فظيعا مفجعا ولما اشتفوا غليل صدورهم من قتلهم قتلوا ايضا
ثلاثة من رفقاتهم الا انه من قبل حصول الشكوى العمومية امر مجلس بتاوية بالقبض على هولاء المجرمين وقتلوا
منهم اربعة تحت العجل وشنقوا خمسة ومما يستحسن ذكره هنا ان الفلنكيين اجتهدوا ابذل الوسايط الممكن
اجراها في كونهم يدفعوا بين صغارهم الاداب والتمدن والحضارة الاوروباوية ورغبوا الكثير من الملوك
الهندية والاشراف والامرا وحثوهم على ارسال اولادهم الى بتاوية من اجل تلقي العلوم والاداب والتربية
بها فنجحوا في ذلك واستلموا الاولاد فيها من اجل التهذيب والتربية على مصاريف الشركة الفلنكية الا انهم
فلطوا مع هذه التربية اغراضهم الذاتية وافتكروا وتصوروا وفرضوا افكارهم في ان هذه شوكة
عالية وشجاعة جيدة لدولة الفلنكية وكذا فرضوا قريحتهم الوقادة في المحافظة على ما تيسر لهم الحصول عليه
من الاستحكامات حديثا وكانوا استعاروا هذه السياسة من البرتغاليين لانهم كانوا اجروها ونجحوا فيها
ثم ان الفلنكيين ما حصلوا استطاعة طردهم من جزيرة فرموزه وسوا ما وقع لهم فيها فاتحدوا مع تاتار الصين
وسعوا ان يطردوا معا ولا في وقت هجومهم على القلاع والطرا الى ان صدوا صدا عنيفا الا انه في اشغالهم
في البحر وكان حلفاؤهم منفرجين فيها فقط ولو ان كوكزانقا اظهر نفسه انه عسكري شجاع وبحري ذي بأس
قوي وقايد كبير مقتدر في الامور الحربية وحاربت رجاله اشد محاربة ما راى الفلنكيون الصينيون يحاربون
مثلها من قبل مزقت المراكب الكبيرة الاوروباوية سفنه وهزمت قوته شر هزيمة وما تحرر الفارس كوكزانقا
من فتوحاته فقط بل وفقد حياته نفسه في هذه المحمة وتغلب الفلنكيون على اقوية وصدقوا لعود
سلطتهم وقيام دولتهم في جزيرة فرموزه ثم وقعوا في وقايع دموية حتكة مع العجوز سوجا عم
كوكزانقا فانه خرج من سجنه وجمع ما بقي من قوى ابن اخيه البرية والبحرية واوقع بالفلنكيين وهزمهم
شر هزيمة وحرمهم من مقصوداتهم وتصميم مرغوبهم ثم قام ابن كوكزانقا المعروف عند الصينيين باسم
طشنغ-كنغ-ماي وعزل قريبه العجوز وتولى زمام الامارة والحقيقة لنفسه انه اجل غصن من الفرع
الذي يتفرع او ينبت منه ورغب في اشغاله مع مهارة وذكا عقل وقريحة وقادة حتى ان الاميرال
الفلنكي التزم على العود الى بتاوية تاركا ماموريته التي كان ارسل فيها من دون ان يتمها ومن بعد هذه
النصرة بقليل مات طشنغ-كنغ-ماي وترك الجزيرة الى ابنه طشنغ-كي-سان وكان طفلا
صغيرا فاحمل وصيه اعماله وتربيته فلما بلغ مبلغ الرجال صارت اخلاقه وطباعه واراوه مرتبخة ولا
دراية له بامور الاحكام والاشغال والادارة ولما قتل التاتار اصرفوا في محاربته خاف ملك فوكين
من ان يتخلى به هذه العاقبة فسلم اراضيه باختيار نفسه وتوجه الى باكين في صفة ملك متنازل عن
تخته في سنة ١٦٨٣ واقام فيها في صفة مسجون الى ان قضى نحبه ومات فيها ومن ابتدا هذا الوقت
انضمت الجزيرة او القسم الذي كان فيها تابعا للفلنكيين الى المملكة الصينية وكانت هذه اخر سلطنة
حصلت في يد الصينيين وتم في هذا الوقت فتوح التاتار ثم ان التاثير الذي وقع على الاعمال الهندية
من الحرب الذي اشتبكت فيه الاقاليم المتحدة مع الانكليز مختص بعضه بتاريخ الانكليز في الشرق سنذكره
فيما بعد في تاريخ الانكليز في الشرق وكان الحرب الثاني الذي دخلت فيه الفلنكيين [illegible] اهم حربا
واشد كربا مما حاج نظيره على الفلنكيين من وقت استيطانهم في الشرق وكان سببه ان ملك مكسار
التي جعل الفلنكيون لهم فيها مستعمرة كما ذكرنا من بعد قبضهم على الاسطول البرتقالي وطرد البرتقاليين
منها استحوذوا على القسم الاعظم والاكثر خصوبة وتربة من جزاير سيليبس وكانت هذه الجزيرة الكبيرة
مسكونة بامة كثيرة العدد اهل شجاعة وقوة وما خضع ملوكها ابدا للبرتقاليين فكانوا بالطبع على
كراهة شديدة وبغض من خضوعهم للفلنكيين وكانت اشغال تجارات هذه الامة في غاية من التقدم
فعزم المجلس في بتاوية على احتكار على هذه التجارة وقبض على زمام اشغالها واستعدوا لخلاص
انفسهم من البرتقاليين وكان لهم نصيب في هذه التجارة فما كان هذا الشغل سهل العمل عليهم لان البرتقاليين
مهما كانوا فيه من الكراهة بسبب شراسة اخلاقهم وعنفهم في الجهات الاخر فانهم في هذه الجهة معززين
محبوبين بسبب ما هم عليه من شرف النفس والصدق في الاشغال وبسبب ما كان فيه الاباء الجزويت من
السمو الى والدرجة العالية مع عدم تهم البرتقاليين لهم والنجاح العظيم الذي كان حاصلا لمبعوثي

الجوزويت والامل العظمى الذى كان متسلطا فى عقول الجوزويت من ارقاء الام عموم اهل الجزيرة فى الديانة
الروحانية الكاثوليكية وقال بعض كتاب الانكليز انهم كانوا عند ملك مكسار فى اعتبار زايد ومعززين
عند الامة للغاية فمن قبل حصول اى شى من العداوات عرض مجلس بتاوية شروط معاهدة على ملك مكسار
وانعقدت هذه المعاهدة وبواسطتها وعد الملك انه يرضيهم بخصوص للمضار المتخلليق % التى زعم انها
حصلت للفلمنكيين وجاعلوها اسبابا لاخذ اهو وتخويلهم فكانت هذه المعاهدة انتهاز فرصة لتجهيز انهم
ووقوع هجوم ما نهم عنيفة على اهل جزيرة سليبس وسعوا عمارة مؤلفة من ثلاثة عشرة سفينة حربية من
بتاوية تحت قيادة الاميرال سپلمان كان فيها ثمانية الاف نفس مصحوبة بعده سفن من سفن الحايل
وصدرت له الاوامر من مجلس بتاوية بالنظر فى تنفيذ مفعول مواد المعاهدة فوصل الاميرال سپلمان
بهذا الاسطول امام مدينة مكسار فى ١٩ ديسمبر سنة ١٦٦٦ بعد الميلاد وفى صباح اليوم الثانى
من وصوله ارسل الملك اليهم مبلغا مقداره الف وستماية سبيكة من الذهب

والف واربعماية وثلاثين دولار فى مقابلة المضار والخساير
التى قيل انها حصلت لهم ودعا رهن فى ملاة التوطن
او الوفاة وكانت هذه القوة اعوث وتجهزت
من اجله داعمال اخرى وقع الكشف عليها
فى فتح القايد الفلمنكى وتعلل بان الملك
رفض قبول المنح او الرضى وهذا غير موافق
لشرفه كما وانه ارسل اسطولا من اجل الهجوم
على جزيرة بوطون واعلن حربا على ملك مكسار
فى الوقت وانزل عساكره فى محلين على ساحل
الجزيرة وحرق بالنيران مائة سفينة كانت موجودة
فى المينة وحنين قرية وحمل غنايم واسلاب لم تحصر مقاديرها ولا
تحصى وما كان الملك الذى اعتاله هذا الطاير على فكرة من مثل فسخ معاهدة سلب النيران مثل هذا
فى شرايع الامم وقوانينها ثم سار سپلمان لاجل دحر القوة المشغولة فى جزيرة بوطون فوصلها
فى اول يوم من سنة ١٦٦٧ بعد الميلاد واغتصب طريقه مارة الى داخل المينة ونجح فى ان فصل
المحالفين من وصولهم بعسكر الملك صاحب مكسار وارغمهم على التسليم من دون شرط وبهذا انتهى الحرب فى
ظرف اربع شهور واجرى الفلمنكيون الافعال الشنيعة الفظيعة مع الاسرى الذين وقعوا فى ايديهم
كما فعلوا فى اول هياج الحرب واما البرتغاليون فانه بسبب القبض على سفنهم فانهم اخرجوا من السلم
والاجتهاد فى معاهدة صاحبهم ثم ان الفلمنكيين لما يعلمون من مهارة الملك وجودة فرحكمه فى اشغال
العسكرية وشجاعة قومه ورعاياه صاروا على ريب وشك مؤلد لهم من توطيد حكومتهم على الدوام فى
نواحى مكسار وفى داخل جزيرة سليبس ما دام هذا الملك موجودا تحت يده قوة ما وظهر لهم ان
دخوله معهم فى المخابرات الاخيرة والتسليم هو مجرد تشر(؟) الحصول فقط على مدة من الزمن من اجل
هياج دسايس جديدة كما وتأكد لهم جيدا انه مجتهد فى تشكيل اتحاد من الملوك المجاورين له وعرفوا انه
لا يوجد شى اخر يخلصهم من تسليم ذليل مهين للشركة الفلمنكية سوى اتحاد الكلمة والراى والحب
وصلتهم وحثهم على ان المنافع والمصالح المخصوصة بكل واحد لا يمكن الاستقلال بها الا بدفع هذا
الخطر الشديد فى الوقت واوراهم انه ليس من الراى والحزم التراخى او المخابرة فى عقد معاهدات
حفظ مخصوصة بكل واحد على حدته على حسب ما يرى لنفسه من صالح الاحوال مع هولاء الاشرار لانهم
مثل القطط يجرون اشغالهم بالخديعة والمكر مع الفيران الى ان تقع فى مخالبهم ومن بعدها لا يرون
لانفسهم نجاة ولا خلاص من ضيق الاقفاص وبذكاء عقل وتدبير ما كان الاوروباويون يظنونه فى
الشرقيين سعى وتدبر فى الكبس على الذين تدارك اعراشرا(؟) كلهم معه فى الحرب حتى ان عموم الدول الاوروباوية
التى كانت جارية مخارباتها ومنازعاتها فى شأن التجارة الهندية تقدمت لمعاهدتهم ونجحا نجاحا
تاما كما اتضح للفلمنكيين على انه لا يوجد شى يبعده عن مقصده وانه لا بد له من انه يحطمهم من قبل
ان يوقع نفسه فى الذل والاهانة بخضوعه لهم وفى ظرف مدة قليلة صار فى راس هذا الاتحاد عدو الد
مهول للفلمنكيين زيادة عما كان عليه فى الاول فمن ثم الزم مجلس بتاوية من اجل ملافاة هذه العاقبة
الشديدة ان يدعوا للمعاهدة كافة المستعمرات الفلمنكية الموجودة فى الشرق وفى يوم ٨ يونيه من هذه

السنة اقلع سپلمان من جزيرة امبوينه مع اسطول مؤلف من ستة عشرة سفينة كبيرة وصغيرة
واربعة عشرة شلوبة وسعى الفلمنكيون فى اغتصابه طريقهم للدخول فى مينة مكسار فخاب سعيهم وتجرأوا
فى نزولهم فى الليل على قلعة غبيسور وظفروا بالغلبة عليها ووضعوا فيها قوة قوية من المى فلما حصلت
كافة الاجتهادات المختلفة فى عمورها واخذها مرة اخرى من ايديهم وحصل للفلمنكيين النفع التام لوقوع
القلعة كانت فى موضع مرتفع وصبوا منها قلل وقلل محصنة لها فرقعة شديدة فى داخل معسكر عدوهم وكان
جاورها حتى وقع الرعب والفشل والدهشة فى داخل المعسكر ووجهوا هجوما منتظما جيدا اخرجوا به العدو
من موقعه ومن بعد ان اوقعوا احترازات شديدة فى جهات مختلفة من الجزيرة والفصل من الاختيار عموم من
التى اختفت عقدت معاهدة اخرى فى نوامبر سنة ١٦٦٧ بعد الميلاد وارسل الملك والملوك المجاورة له
ونواب الجزيرة رسلا الى حاكمية(؟) سويتشو(؟) فى بتاوية من اجل تقديم الطاعة والخضوع للجمهورية او الشركة
وانتظار العساكر الفلمنكية وصلاحهم نتيجة السيئة وكان عددهم فى مبادى الحرب اثنى عشرة الف نفس فاقاموا
فى الجزيرة حتى دخل فصل المطر وفشى فيهم الموت والوبا فسولت للوطنيين انفسهم فى امل انه صار لهم
قوة وطاقة على دمارهم وهجموا على الجيش المصاب بالعلل والامراض وقتلوا جما غفيرا من العساكر المرضى
الضعيف وكان ذلك سببا فى توقيف كافة اعمال المسالمات وصار تجديد الحرب مرة اخرى ولم يعد حربه
الا سنتان من دون انقطاع الزم الهمتو(؟) على عرض الغوث فى الصلح واخضعوا انفسهم لشروط اصعب
من الشروط التى كانت وضعت فى المعاهدة الاولى وبهذه المعاهدة التى عقدت فى ١٥ يونيه سنة
١٦٦٩ بعد الميلاد استحوذت الشركة الفلمنكية على كامل تجارة جزيرة سليبس وحفظوها لانفسهم و
صارت لهم سلطة مستبدة على جزاير مولوقه وكان البند او المادة الاساسية من شروط المعاهدة انه يلزم
اخراج كافة البرتغاليين الموجودين من دون استثنا فى مملكة مكسار من المملكة ومن عموم الاراضى التابعة
لهذه المملكة وكذا من حيث ان الفلمنكيين على دراية تامة واعتقاد صادق من ان الانكليز واقع منهم
الفساد والارتباك الاكبر وانهم هم الذين كانوا السبب الاصلى فى فسخ وخرق المعاهدات الاولية يجب
على نواب مملكة مكسار ان يعهدوا على انفسهم اخذ الاحترازات الاولية وانواع المسولية فى ان يخرجوا من
ارضهم وبلادهم اهل هذان الامتان المغضوبتان من دون استثنا وانه من الان فصاعدا لا يقبل
منهم او من احد منهم او من عمالهم او وكلائهم التداخل فى التجارة او فى اى شغل من الاشغال مهما كانت
درجة حاله فى داخل مملكة مكسار وان لا يبقى لهم اثر ولا قدم فى الارض والبلاد من بعد اليوم كذا فكانت
هذه المعاهدة اصلا فى تأبيد وتوطين الشركة الهندية الشرقية الفلمنكية على قواعد ثابتة محكمة واخذت
كافة المعارضات التى كانت مفتوحة والثورات التى كانت مختفية مجهولة وانواع الهياج من الهنود
والبرتغاليين وصارت عموم المعارضات والمقاومات التى حصلت فيما بعد فى هذه الجهات معدودة
عصيان وخروج عن الطاعة لا حروب مع ممالك مستقلة ثم ان مدة ميعاد المنح او الرخصة الثالثة
التى كانت عطيت للشركة انتهى امرها وختامها وجد ارباب الشركة انهم تحت ضرورة يشرحوا المحصول على
رخصة جديدة وكانت الجمهورية فى هذا الوقت مدبر امورها وادارتها رجل سياسى ليس اقل صادقا
لافكار التجارات كما وانه ليس له ميل فى ضياع ما هو متمكن فى افكاره من اكثر من اصلاح منافع هذه الشركة
وكان هذا الرجل هو الرجل المشهور دوويط الذى بحزمه وعقله وفرحيته الوقارة حاز اللقب العظيم
وهو لقب حكيم هولنده وكان فى سنة ١٦٥٣ ولو ان عمره كان ثمانية وعشرون سنة فقط تحت المعاش
ويصفه انه كان راس حزب السلم فانه كان معارضا على الدوام لبرنس اورنج واتباعه فكان راى
هذا الرجل السياسى دوويط انه ولو ان الشركات من الضرورى انعقادها فى مبادى مهد التجارة وطفوليتها
وانه متى استوفت الشركة الواحدة الجديدة ونضجت فيكون من الاجحاف والضرر فى منافع الامة ومصالحها
ان الدولة والاموال تنجرع غصص الالام من خصوص جمع اموال حقوق العمارة تكون فى ايدى ناس قليلين
مرعى الخاطر ثم سولت له افكاره على كونه ما تردد من سرد ما كان فى خاطره من الاعتراضات فقال
ان الفلمنكيين المستخدمون فى مستعمرات الهند الشرقى هم غشاة الارض اهل سفك وعوزة وحاجة
ليسوا تحت حدود وروابط معلومة نهبا بين سلاطين تجار الارض والبلاد فينبغى السلوك حذرا من الاعمال
القبيحة الجارية من طرف هذه الشركة تلزم الناس على الخروج عن الطاعة ويلزمهم بعدم ترك بلادهم او
الهجرة منها بمصاريف من عند انفسهم فمع ما كان من معارضات هذا الحكيم فان الشركة دفعت مبلغ
جسيما واستحصلت على منحة رابعة لمدة احدى وعشرون سنة ابتداها سنة ١٦٦٦ بعد الميلاد وكان الفلمنكيون
فى هذه المدة جاريون بتجارة مع متمكنين كثيرة الربح والفايدة من مدة تنوف عن اربعين سنة ووقعت

بينهم منازعات مع حكومة تلك البلاد وكان اصل توطنهم في هذه الارض انه من بعد دخولهم في يابونيا بمدة قليلة عرفوا انه يوجد عمارة صغيرة لك فرسنو يا من يابونيا الى تونكين دانه حاصل بتجارة كبيرة مع الصين فعرض شخص اسمه شارل هارتسنك على كونه يتوجه بسفينة من بابونيا مشحونة ببضايع نفيسة وبعض تحايف اوروباوية وتحايف غريبة اعدها هدية للملك فقبل هارتسنك مع شحنته مع غاية الاكرام في تونكين وباع بضايعه باثمان عظيمة ثم اقلع الى بتاوية بشحنة ذات قيمة وكان في هذا الوقت نايب في الهند وان ريامن من ارباب الحزم والرأي فعزم على انشا كرخانات في تلك الجهة وجعل هارتسنك مباشر اشغالها فحصل هذا في ظرف مدة قليلة بنباهته وجودة فكرته تحت انظار الملك والتفاتاته الى ان جعله من ضمن اعضا مجلس الخصوصي ورفعه الى درجة الشرف واخيرا بتناوه وتحت اشغال الشركة بجاهات ما تحت ادارته ومباشرة اشغاله وتحت رياسة بعض رؤساء خلفوه وفي سنة ١٦٦٤ بعد الميلاد هاج الحسد والغيرة واضمحل حال التجارة في تسجيف بيوت التجارات الفلمنكيه من تونكين ثم اعيدت اليها مرة ثانية واستمرت نحو اربعين سنة الى ان انقرضت منها بالكلية وتوجهت التفاتات الشركة الى توسيع نطاق ودايرة بتاوية وزخرفتها وتقوية استحكاماتها وتقوية احوال التجارة فيها ووجه كافة الحكام الذين تولوا اعمالها بعضهم فيها التفاتاتهم الى زخرفتها وصلاحها ومن هذا الوقت صار تاريخ الفلمنك مخلوط في حالة واحدة مع الفرنساوية والانكليز الذين تولوا على التوالي السيادة والشوكة في الجهات الشرقية الهندية فقد سردنا طرف تقدمهم نحو اضمحلال وسقوط دولة كانت قوية في الاصل ثم لحقها الضعف والوهن في الشرق الى ان سقطت وانقضى نحبها والله يورث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الفصل الثالث
الفرس وارتباطهم بتاريخ الهند

لتاريخ الفرس ارتباط كبير بتاريخ الهند وملاقيا كثيرا من هذا التاريخ ومن ثم يلزمنا ان نشرح العقايد الدينية لهذه الامة ونذكر ما يختص بمعتقدات وموقع هذه الامة الفارسية عند ذكرنا التفاصيل المتعلقة بعمالة بمبي وجزيرتها ومدينتها فنقول ان الكثيرين من علماء الفرس ترددوا في هيئة العقايد الديانية المرعية عندهم وناقضوا في ان الامة الفارسية لا تعبد الشمس ولا النار بل يعدون لها رسوم احترام مخصوصة في صفة انها اشارات دالة على وجود الاله المعبود وجلال صاحب العقل المنير الزكي الالمعي روز ابوي احد مورخي الفرس مصنف تاريخ حياتهم وطبايعهم وعوايدهم مجادلة شديدة في هذه الاشارات الدالة على وجود الخالق في العقايد الفارسية ومع هذا فانه مازال كان متمسكا بها وما ذكره في مصنفاته يستدل منه انها كانت العبادة التي عليها غالب المتنورين من اهل هذه الامة انها في جانب واحد مع العبادة الوثنية في عباداتهم الشمس والنار فاما عبادة الشمس فانها جارية عندهم في المعبد الواسع الكبير الطبيعي الاصل يعني في الكشف على سطح الارض واما عبادة النار فانها جارية في معابد وهياكل شيدها الفرس واعدوها لهذه العبادة ومن كافة اجناس الامم القاطنة في الديار الهندية فان الفرس اهل ذكا وحمية وحماس ولا توجد عندهم الطريقة المذمومة القبيحة الموجودة بين الامم الهندية وهي درجة امتياز الناس والطوائف بعضها فوق بعض وهم في حرية تامة في التجارة وقاطنون في كل جهة من جهات المعمورة تابعين للاحوال التي يرون فيها صلاح انفسهم ودرجة راحتهم ورفاهيتهم وتقدمهم في الحياة الدنيا وعيشتها وهم على الدوام ناظرون الى ما كان حازه جنسهم القديم مدة الف وثمانماية سنة مضت من قيامه لاعلا درجات الرفعة في عصر الاكاسرة وناظرون في انفسهم انهم ذرية جدود مشهورين في الرفعة والمقام من قديم الزمان ولو انهم قليلي العدد فان هذه الامة الفارسية لا تغيب ابدا من عقول الاوروباويين من وقت ظهورها في المملكة الواسعة الهندية ثم نقول ان الاموال والثروات التي تكتسبها الفرس لا يصرفونها عبثا في غير محلها وبالطبع فانه يوجد فيهم ما يوجد في كافة الامم الاخرى من ان البعض منهم يدخر امواله ويزودها وبعضهم يصرفها في لهوه ورفاهيته وتجبره ولعبه من دون ان يصرف ادنى درهم في صدقة او نفقة

منفعة عمومية ومع هذا فانه لا يمكننا ان ننكر ان الفرس اهل صدقات وكرم بدرجة كبيرة وان البعض منهم يزيد كرمه عن طاقته ويقولون انهم ورثوا الكرم والجود من اجدادهم الذين كانوا مشهورين بحب الجود والكرم وهم من القدم من ابتدا وجودهم ودخولهم في هيئة امة من امم العالم يعتقدون في اله واحد قادر على كل شي وانهم على اعتقاد تام من صفات الخالق سبحانه وتعالى التي عليها المسلمون والمسيحيون ويعتقدون ان الله هو الفعال لما يريد الخالق الحاكم الحافظ للعالم الازلي ولا ابتدا لازليته ولا نهاية لديموميته ويؤمنون بان الله هو القاضي العادل الفاصل بين عباده ويؤمنون بيوم نشر وحشر عام يحاسب فيه كل امرء عما جنته يده من حسنات وسيآت ويؤمنون بان الله اعد للاتقياء دار سعادة اسمه دار البقا السعيدة اي الجنة وبانه يوجد جنة اعدت للطيبين الطاهرين فكذلك يوجد محل عذاب وعقاب اعد للخاطئين الآثمين يذهبون اليه ويعاقبون فيه على ذنوبهم وجرايم اعمالهم ويؤمنون بانهم واقعون كل يوم في ذنوب وخطايا ويكفرون ويتوبون عن كافة الذنوب والآثام التي يكتسبونها من فكر وقول وعمل ومن المعلوم انهم اشتغلوا في عبادة الخالق الاعلى الصورة المعنى منها الدنيا وعيرها حياتها وهو الشمس في صفة دلالته المجيدة وبما ان الشمس غير ثابتة الوجود امام اعينهم بل تغيب وتشرق فكان ارشدهم النار في العبادة هو الدولة التي وافقت عقولهم ثم انطبقت هذه العبادة وعكف بعض العباد على عبادة بعض المواد الجوهرية لا عبادة الخالق المعترفون بعبادتهم اياه وخلطوا في عباداتهم مع عبادة الاوثان وما كان للشمس علاقة وارتباط مع الخالق جل جلاله في قضية العبادة فقط بل والهوا والارض وغير ذلك من المواد الطبيعية ولقد شرح علما الاوروباويين اقوال وحكايات طويلة في مسألة العبادة القديمة الفارسية لا يسعها هذا الفصل من كتابنا هذا انما اذكر هنا لسهولة الاطلاع الديانة الاخيرة الفارسية الملك بها الجبريون او الفرس القاطنون الان في المملكة الهندية فاقول ان امة الفرس الحالية هي امة متاصلة في امة مثل اليهود في انكلترة او مثل امة اليهود والامة القبطية في مصر ووصلت هذه الامة الى درجة نفوذ وحافظت عليه وثروة وتمينة متجاوزة الحد او فوق العادة بالنسبة لعددهم وارجحان اهلها على سلوكهم في طريق الكتب وكان هذا دلالة قوية تشهد لهم بالعظم والسعادة التي ورثوها عن اجدادهم وعاشت هذه الامة بكبرها وسعيها ومداومتها ومثابرتها على اشغال التجارة وعاش دينهم معهم مثل ما عاش دين اليهودية عند اليهود ولما حال عليهم الجور والظلم واستفرقوا رؤسهم مدة طويلة في ارض فارس وراوا ان هذا حاله من زوال من فوقهم رحلوا الى الهند وقطنوها وحافظوا على حياة انفسهم واتخذوا النار في عباداتهم اشارة على الههم وما داوموا على احترام النار الماجية في معابدهم فقط بل وكانوا هم الامة الوحيدة التي تجتنب شرب الدخان وجعلوا شربه جريمة ومعيبة في عقايدهم الدينية وحافظوا على عدم تنجيس وتدنيس اي شي من اعمال الخالق الاعظم المعروف عندهم باسم هرمزد سوا كان ارضا او ما او حيوانات او نباتات وداوموا على السنن اللازمة لطهارة انفسهم وغسل ابدانهم ونظافة ثيابهم وجعلوها من هيئات صحتهم العمومية ومعظم هذه الامة موجود الان في بمبي وعمالتها وجم غفير منها في سورت وفي احداباد وفي مداين اخرى من مداين الجوزرات وفي مداين اخرى كثيرة العدد موجودة تحت الاحكام الانكليزية ومقدار نفوس هذه الامة في الوقت الذي نحن فيه ٨٢٠٠٠ نفس بما في ذلك نحو من ٨٠٠٠ نفس في ارض فارس قاطنين في مدينة يزدجرد وتميزها واسم هذه الامة مشتق من اصل اقليمهم وهو فارس ويوجد في مدينة يزدجرد للفرس او الجبرية اربعة وثلاثين معبدا من معابد النيران مازالت موجودة لحد الان كبيرة وصغيرة الا انهم مستحوذون على قليل من الكتب ولحد مدة قليلة الوقت مضت كانوا في حالة مهينة جدا وفي حالة من الفقر والضنك والعنا مما لاقوا من شدة ما عاملهم به جيرانهم من المسلمين من الظلم والجور وعدم العدل والانصاف ثم ان هذه الحالة خففت عنهم اي عن الجبريين القاطنين في ارض فارس بمراوحة الاجتهاد والسعي في اصلاح احوالهم من جهة الفارسيين القاطنين في بمبي ومساعدة السفارة الانكليزية في فارس وللفارسيين في مدينة باكو على ساحل بحر الخزر حيث معابد نيران مازالت موجودة ولحد مدة حديثة العهد موجود الدين النقي الذي هو محفوظ عند القليل من قسس المجوس ويحفظ القسيس الواحد منهم اقوالا من كتبهم المقدسة مكتوبة في ورق مسودة الاقوال والالفاظ من دون ان يكون له دراية بمعاني الالفاظ المكتوبة به وصنف في هذه السنين الاخيرة رسالة ابتدائية في اصول وقواعد الديانة الفارسية من اجل تعليم اولاد الفارسيين هيئة ديانتهم وعقايدها

استدليناً منها على ان تعليم هولاء الاطفال جارى على الايمان بان لا اله الا اله واحد هو هرمز وان زردشت بنيه ورسوله حقاً وان زند اوستا نزل عليه محكماً من عند الله وان الله حق منزه عن الشك والوهم والخيالات الصورية وان الله طيب وكافة اعماله طيبة وان كل ما يخطر من الشر والخبث والاثم محرمة عندهم وان الفضيلة مقصورة في درجات ثلاث فكر خالص طيب وقول خالص طيب وعمل صالح طيب وان الحق هو الصفة اللازم المداومة عليها وان اعمال الشر والخيانة والجنايات يتولد منها لصاحبها العقاب الشديد في جهنم بعد الموت وحكم القضا محتم على كل امرئ من بعد موته باربعة ايام ويذهب به الى الجنة او الى النار وان يوم البعث والنشور له يوم معلوم يحكم فيه الاله بين عباده وانه لا ينجو احد من العقاب والعذاب ولا من يوم البعث الا باذن الله سبحانه وتعالى والتمسك بعقيدة توجيه وجوههم نحو كل شى مضئ او منير عند الدخول في هيئة العبادات والصلوات اللازم اجراها في كل يوم ويؤمنون بالملايكة وانهم يساعدون بني الانسان في طرايق مختلفة ويلازمون اجناس مختلفة من العالم وان تكون الادعية موجهة لهذه الروحانيات وان العبادات والصلوات تنهى عن الفحشا والمنكر والبغي وبواسطتها ينال المرء الفضايل والغفران والرحمة من هرمزد وانه لا صلاة ولا دعا ولا عبادة تؤدى الى الارواح الشيطانية ثم ان مسلك القسس عند الفارسيين وراثية من الاب الى الابن ولو آل امرهم الى درجة الامية وقسس الطبقة الاولى المعروفون عند الفارسيين بالدستورات هم الذين يعرفون كتب العقايد الديانية ويجرون الكفارات والتوبة وينشرون العقايد الديانية وقسس الدرجة الوسطى المعروفون بالموبدانات وقسس الدرجة الواطية المعروفون بالهربدانات هولاء هم ثم الطوايف الدينية للفارسيين ولهم مجلس معروف عندهم باسم پنچايت مؤلف من ستة من الدستورات واثني عشرة من الموبدانات له الحكم والفصل في عموم القضايا والمشاكل التي تحصل بين الفارسيين وبعضهم وفي الحالة الراهنة الآن حالة القسس عند الفارسيين في درجة التقدم وانفتحت مدرستان من اجل تعليم مذهبي الديانة تحت ادارة ونظارة مهرة من المعلمين والاساتذة لهم دراية تامة بمعرفة التاريخ والكتب القديمة المدون فيها ديانتهم ولا تقدم الامة الفارسية تقدمات وعطايا للقسس ولا للمعابد الا ان صدقات اهلها وكرمهم لا تحصى ولا تحصر ومن ثم لا يعرف شحاذ او طالب صدقة من الفارسيين واما قواعد الديانة عند العوام فان الرجل المتمسك منهم بالعقايد الدينية يصلى عدة صلوات في اليوم الواحد يقرؤها بلسان اوستا ولا يعرف لها معنى ولا يفهم منها شيئاً وكل واحد يقيم صلاته من بعد قيامه من النوم من بعد غسله وكذا من بعد تمام كل شى وشغل خاص بمعيشته وكذا من قبل وبعد تناول كل طعام ومن قبل النوم ومن جملة الاعمال الغريبة الاكثر وقوعاً عند الفارسيين في قيام هيئة شعايرهم الدينية انهم يدلكون اذرعتهم ووجوههم ببول البقر وهذه عندهم هيئة امان من نزعات الارواح الشيطانية ويدعون بدعا او عزيمة في اليوم الواحد واما العبادات عندهم في محاريب النيران فانها اختيارية ويمكن لكل واحد منهم اقامتها في اى وقت كان ويعطون للقسس بعض من الحاجات ولهم اجتماعات واعياد واحتفالات في كل اسبوع مرة وفي مواسم مخصوصة مثل ستة ايام عيد تقام شعايره في منتصف فصل الشتا وهي ست اوقات الخليقة وفي فصل المنقلب الربيعي للزراعة وهي البشرى وفي اليوم العاشر من الشهر الثامن من السنة عيد الى فرآوردين المحافظ على ارواح الموتى وفي وقت اعمال الاحتفالات المخصوصة بالميت يزورون ابراج الصمت وهي الابراج التي توضع فيها الموتى معرضة لافتراس الطيور وسيأتى شرحها ويقيمون في هذه الابراج الادعية والصلوات للموتى في هياكل صغيرة مع شعاير تقام بخصوص الموتى في كل بيت او دار وكذا موسم اليوم الاول الجديد من السنة الجديدة ويقام في هذا اليوم احتفالات دينية وعيد احتفالات جمعيات وفي وقت زيارتهم هياكل ومعابد النيران ويقرؤن ادعيتهم وصلواتهم يوجهون وجوههم نحو محراب النار المقدس عندهم ثم يزورون بعضهم بعضاً من بعد ذلك ويصافحون بعضهم بعضاً بيده ويفرقون الصدقات على الفقرا منهم ومن العادات الجارية عندهم ان الطفل يولد على الارض لانه من بعد موته يعود اليها ونشر ولادة المولود في اليوم السابع بمعرفة قسيس منجم براها او اذكار ومتى بلغ عمره سبع سنوات يطهر من الاقذار بواسطة بول البقر ويحزم بحزام مقدس مركب من اثنين وسبعين خيط دلالة على الفصل الثاني والسبعون من ياشنا وعند مايتم القسيس تزكية للطفل ينثر على راسه بعض الاثمار والبهارات والروايح العطرية واما مسئلة الزواج فانه يجرى

مجرى انجازها مع غاية الاحتراز مع كل دقة بواسطة منجمين وكهنة ويشهر مع احتفالات دينية ويربط العروسين بحبل من الحرير يلف حولهما الى التدريج ويقرأ القسيس في مدة هذا اللف شى من كتاب زند اوستا ويتلو عليهم ولهم في تشييع جنازات موتاهم عوايد وطرايق بحروزها وهوان الفارسي في وقت مرض موته يلازمه على الدوام واحد من القسس يلقنه شيئاً من كتاب اوستا ويسقيه عصارة الهومة المقدسة (اسم نبات) ويدعوله بغفران ذنوبه ومتى مات الميت حلت رمته ووضعت في ارض فاضية نقلوا منها كل شى كان فيها ثم توضع فوق احجار وتغسل بما سخن وتدرج في قماش ابيض طاهر ثم توضع في نعش من حديد ويعطى القسيس وهو الميت واقاربه حكم ونصايح ومواعظ في كونهم يحيون حياة طيبة طاهرة الى ان يلتقون مع ميتهم مرة اخرى في الجنة وهذه المواعظ مذكورة في المادة الاولى من كتاب النصايح والمواعظ التي قررها زردشت ثم يأتون بكلب ينظر الى الميت فكانت هذه طريقة وعادة عندهم في الاول يستدلون من نظر الكلب الى الميت ان الفقيد قضى نحبه ومات واما الان فانها عبارة عن امان من اجل عبور روح الميت من فوق صراط شنبواط التي تمر من فوقه ارواح الصالحين الى الجنة ثم بعد ذلك تحمل الجثة الى ابراج الصمت بواسطة طايفة مخصوصة من الفارسيين تعرف بالطايفة النجسة من الشغل المخصوص بهم وابراج الصمت في بمبى منشية على قمة جبل ملبار وهي مأوى كبير للعقبان والنسور والطيور الكاسرة وهي مبنية من الاحجار وارتفاعها نحو من خمسة وعشرين قدماً ولكل برج باب صغير يدخل منه في داخله فعند الوصول الى البرج اللازم توصيل الميت اليه تقام شعاير الادعية والصلوات عند محاريب بيوت مجاورة للابراج ويوضع الجسم فوق دكة مصنوعة من الحجر في داخل البرج ويترك للطيور الكاسرة تفترسه وتبتلع المدايح اى رحمة منه في حجرة صغيرة الى بير في وسط البرج ترمى فيها العظام التي تركتها الطيور وفي ظرف ثلاثة ايام من بعد موت الميت يلازم القسيس على قراة ادعية وصلوات امام محرابه تاماجة على الدوام بخشب الصندل بالقرب من الموضع الذى كان الجسم موضوعاً فيه على اعتقاد ان روح الميت لا تترك هذه الدنيا في ظرف هذه المدة وفي اليوم الرابع تقام شعاير احتفالات على روح الميت توزع فيها صدقات على روحه وفي كل سنة تقام شعاير ومآتم على ارواح الميتين تذكاراً لهم ومن اجل احتفال او مآتم يعملونه هو في كل يوم من ايام السنة من بعد موت الميت ويعكفون انفسهم على الخصوص في مدة العشرة ايام الاخيرة من سنتهم على هذه المآتم ويجعلون لهذا المآتم قاعة من قيعان المنزل او الدار في غاية من النظافة على حدتها وفي كل صباح يضعون فيها ازهار واثمار وفواكه ويقرأ اهل الميت صلواتهم وادعيتهم ليس من اجل الميت فقط بل ومن اجل غفران ما تقدم من ذنوبهم والفارسيون يسترون او يغطون رؤسهم ليلاً ونهاراً معتقدين ان كشف الراس ذنب وخطأ وبنا الفرس في اعلا درجة من الراحة والاعتبار زيادة عن بنت الهندو والمسلمين في البلاد الهندية وفي السنين الاخيرة هذه استحسنت رجال الفارسيين تناول طعامهم مع نسائهم على مائدة واحدة ثم وحصل تقدم عظيم عند بنت الفرس في هذه السنين من التربية والتهذيب الا ان قلوبهم مازالت مشحونة بالخرافات في مراعاتهم ايام مخصوصة ومن ثم لهم في كل شى ما يوافق اغراضهم فعندهم بعض الايام مخصوصة للشروع في الاسفار واخرى لانتخاب بيت جديد واخرى لعقد زواج وهلم جرى واكبر ابراج الصمت في بمبى قطره نحو من تسعين قدماً ومحيط دايره ثلاثمائة قدم واسواره الخارجة مبنية من احجار صلبة قوية ووجهه منقوشة بالبياض وفي داخله دكة مدورة من الحجر في كافة ارضه مبتداة من حايط السور ومنتهية بالمركز مصنوعة من احجار منحوتة عريضة ومقسومة الى ثلاث مناطق مستديرة لوضع اجسام الموتى فوقها وتفصل هذه المناطق في سعة الساحة نحو المركز فذكة المنطقة الاولى معدة لوضع اجسام الموتى من الرجال فوقها والمنطقة الوسطى للنسا والمنطقة الداخلة لوضع اجسام الاطفال فوقها وكل منطقة مفصولة من الاخرى بحرف قايم ارتفاعه نحو اصبع محفور فيها مجارى صغيرة لاجل سيلان المايعات فيها وتوصيلها الى بير محفور في مركز دايرة البرج ومتى جردت الطيور الكاسرة اللحم من العظم في ظرف ساعة تقريباً وجفت العظام جفافاً تاماً من شدة حرارة الشمس فترمى هذه العظام في حفرة تؤول فيها المادة ناعمة ترابية ومن هذه الحفرة خارج اربعة مجارى الى اربعة ابار اخرى محفورة خارج سور البرج وفي فم كل مجرة فحم ورمل لاجل تطهير السوايل من قبل وصولها الى الارض وفتحات الابار مغطاة بطبقة من الرمل بارتفاع خمسة اقدام او ستة وفي وقت رمى اساس كل برج جديد وانشاء احتفال جديد وذلك انه من بعد وضع علامات على الارض ويحددون بواسطة خيط يربط طرفه في راس مسمار مدقوق في مركز البرج يدورون

بد دايرة البرج ويجعلون عدة حجر في محيط الدايرة وفي اثنا هذه العملية تقام شعاير صلوات و
ودعوات الى سروش الملك الحفيظ على ارواح الموتى وكذا لهرمزد والى سپنتا ارمائي الملك الحافظ
الارض والى ارواح الموتى والى السما اي اشا سپنتا وهذه الادعية والصلوات مواعظ على
انه من الجرايم والخطايا المبين تنجيس الارض باجسام الموتى ويتوسلون في ادعيتهم بانه هذه المساحة
او السما الصغيرة لا زيادة عليها هي التي يضعون فوقها اجسام موتاهم فقط وهذا البرج يعرف
عند الفارسيين باسم دخمه ويوجد طارة البرج او الدخمة الواحدة يحفرون حولها حفرة او خندق
وقيقه في وسط البرج اثنان من القسس يطرقان دعا الياشتا والونديداد ويغنيان شعاير
احتفال السرور والمجد والشرف الى سروش مدة ثلاثة ايام صباحا ومسا وفي اليوم الرابع تقام
ادعية وصلوات مخصوصة الى هرمزد ومن بعدها صلاة وادعية شرح لكل من كان حاضرا الذي
اساس الدخمة وكذا تقام صلاة وادعية في خارج الدخمة من بعد تمام عمارته وبناه امام الاخ
من المتفرجين من الفارسيين وغيرهم ومن بعد تمام عمارته يفتح في وجه كل انسان ولا يدخله احد الا
في وقت توصيل الميت ورايت مثل هذا البرج في سيلان في ناحية كلمبو قطره نحو ثمانون قدما
وارتفاعه اثنى عشرة قدما وداخله مقسوم بالمناطق التي ذكرتها وان الدكة مبنية من الطوب الاحمر وبابه
صغير مرتفع عن الارض بمقدار قدمان وفي داخل ارض محيطة بسور طول خمسين ذراعا بارده و
عرض وجهته حنتوبة بارده والارض مفروشة بالاشجار وفيها بيرا عذب ومثل هذه الابراج
يجري بناها وعمارتها بمصاريف تتوزع على اهل الخير والاحسان من الفارسيين او انه موجود اناس
مخصوصين اهل صدقات كبيرة يبنونها بمصاريف من طرفهم وكل من ابتنى برجا راعي نفسه انه عمل
عملا صالحا لنفسه وكافة مؤرخي الشرق يعترفون بان الفرس من الازمان القديمة جدا ليسوا اهل
اوثان واصنام بل يعبدون الها واحدا خالق الارض والسما وكل شي خلقه فقدره ثم السبيل يسره
تحت عبادة نار وهذه هي الحالة الموجود عليها ذراري الفرس الان في المملكة الهندية

وقال بعض الكتاب وبالخصوص الحكيم دوبوي ان الفارسيين الاوايل الذين قطنوا الهند احوجتهم
الضرورة والزمتهم الحالة ان يتبعوا بعض الشعاير والعوايد الهندية من اجل توطيد حماية انفسهم
وما عدتهم والفا النظر الى حالتهم من جهة ملوك الهندو الذين اتخذوا ارضهم مأوى وملجا لهم ثم
توالت الدهور والعصور وتعاقبت اجيال الفرس يتلوا بعضها بعضا الى ان وقعت ذراريهم في الخطا
والضلال الذي استعاره اجدادهم من الديانات الاخرى وادخلوه في عقايدهم الديانية و
قالوا ان اباءنا كانوا على ذلك من قبل وانا على اثارهم مهتدون ومقتدون واعتقد الذرية ان
اجدادهم لا يفعلون الخطا ولا يمشون في طريق الضلال ثم انهم ما تحصلوا على ثمرة من دراستهم
الكتب الدينية القليلة التي كانت مكنونة عندهم لانه ما كان يوجد الا القليل من الناس الذين لهم
دراية بمعلوماتها فكانت النتيجة ان سار الفارسيين على منهج العوايد والطبايع واقامة الشعاير
الدينية الجارية عند الهندو حتى ان الفارسي الواحد او امراته يرسل نذرا او هدية او نقدا من
نارجيل او فنجان [illegible] الى هنومن او فطير او سكر او ازهار الى البحر ثم ان الكتب المقدسة
التي الفها وصنفها نبيهم زردشت وقرءها الفرس من بعده احد وعشرون كتابا بالعدد مقصورة
جميعها في اسم واحد عمومي هو اوستا ومعناه القانون او الشريعة ومعظم هذه الكتب ضاع
واندرث وقالوا ان السيف في فقدها ودمارها فاتحي البلاد ومن نفس اوستا يعلم جزما
بان اصل تصنيفه كان في ايران الشرقية الواقعة في الجهة الشرقية من الصحرا الوسطى لارض
فارس المعروفة بارض سيرداريا فعموم الجهات المذكورة فيه واقعة في هذه الارض ما عدا
ارض الرهى الواقعة بالقرب من حدها الغربي وبابل وهي المدينة المشهورة الغربية فقط
المذكورة المذكورتين في هذا الكتاب وفيه نص عبارة مخصوصة توصف ان الارض الاريا [illegible]
ما خلقت وانها اجود الاراضي واحسنها وبسبب انها اول الاراضي خلقا واول محل عظيم حصل فيه
توطن الانسان وسكنه قال اهورومزدا (هرمزد) انا خلقت ارض اريانة الواقعة على
نهر داتيه المبارك فمن المحتمل ان ارض اريانة هذه هي ارض فرغانة العليا وليس لوقت التصنيف
مدة معلومة او تاريخ يستدل منه على الوقت الذي صار تصنيفه فيه لانه لم يذكر فيه اي مدينة من
المداين المشهورة التي كانت موجودة في مدة ملوك الميديين والاشغانيين ولا الامم المعاصرة
ولا الممالك سوى الرهى فقط ولا يعرف سوى الاريانين لا الفرس ولا الفارطيين ولا الميديين

والميديين ولا ذكر الوقايع التي حصلت بين الميديين والبابليين وقال الفارسيون ان اسكندر الاكبر
لما تغلب على مملكة فارس وفتحها حصل بعنده بمحو الديانة الوثنية التي كانوا عليها وتمسكوا بها
وبالدين الطاهر الذي كان اباوهم عليه وعاكفون على اقامة شعايره والعبادة على نص قواعد عقايده
[illegible] ما وجده امامه من كتب هذا الدين وكذلك صنع العرب فانهم كانوا الد عداوة للدين الوثني
وقت دخولهم فارس وفتحهم اياها محرقوا الهياكل والمعابد بما فيها من مدخرات وامتعة وكتب
[illegible] فنتج عنهم للمملكة وحرقوها وما بقي على قيد الحياة من ايديهم الا شي زهيد من الكتب المقدسة
الدينية زعم الشهير دوبوي انها قديمة جدا واثبت اقدميتها بدلايل وبراهين قوية وهي الكتب
الونديداد اي القانون المضاد للشياطين والاعمال الردية الشريرة وكتاب الياشتا او ايزشني
اي كتاب عقايد الاضحية والقربان وكتاب ويسپارد المحتوي على الطيب من المخلوقات وهذه الكتب
الثلاثة معروفة باسم ونديداد سعدي وكتب اوجوم دينا وخورزداه اوستا والكتب الپتطية
وقطع من ويشتاسب نشق وهادوخت نشق وونداد نشق فاما الكتاب الاول والرابع
والسابع والثامن والتاسع من هذه الكتب فانها مشحونة باوصاف الاحتفالات والمباحث الدينية
وصفات الديانة الزردشتية ومشتملة ايضا على اوامر ووصايا مخصوصة بعبادة الخالق وتمجيد
وتراتيل او ادعيه واما كتاب ياشتا او ايزشني وويسپارد وخورداه اوستا والياشتطيه
والپتطية فانها مشحونة بالادعية والصلوات ثم ان النسخ القديمة الموجودة الان من كتاب
الونديداد وايزشني مخزونة في دار الكتب الملوكية في كوبنهاغ والذي جلبها ووضعها في
هذه الدار الاستاذ ايراسموس راسك وكان زار بمبي في سنة ۱۸۲۰ بعد الميلاد عند مروره
في طريقه الى فارس وموضوع في نسخة الونديداد تاريخ اليوم الرابع والعشرين من الشهر الرابع
سنة يزدجرد اي سنة ٦٩٢ الواقعة ۱۳۲۴ بعد الميلاد وكتاب ايزشني مؤرخ بعده بعشرة
شهور واما في الهند فان النسخة القديمة للونديداد موجودة في داركتب مولا فيروز من
[illegible] الايمة المشهورين في مذهب الكدمي الفارسي وكذلك توجد نسخ من هذه الكتب محفوظة
في الكتبخانات الاوروباوية بباريس وفي داركتب مدرسة المعارف العمومية في اوكسفورد
وفي دار عجايب الشركة الهندية الشرقية في انكلترة في لوندره وقد نشر ويستر غارد من اهل
كوبنهاغ طبعة الونديداد سعدي بحروف زند في سنة ۱۸۵٤ ونشر الاستاذ شپيغل ايضا
اوستا على نص ما في نسخة زند مع اللسان البهلوي المترجمة اليه واما الكتاب المشهور المعروف
بزند اوستا فان لفظة زند معناها تفسير او شرح واوستا معناه شريعة او قانون اي
تفسير او شرح القانون وكان زند لسان او لهجة موجودة على قيد الحياة جاري التكلم به عند
الميديين كما وانه كان اللسان المعول عليه في اخر الامر في القسم الاعظم من ايران وكان هو
اللسان الطاهر الجاري بتدوين الكتب المقدسة الدينية به وذكر قدما مؤرخي الاسلام كتاب زند
وقالوا بوجوده وكافة الفارسيين يراعون هذه الكتب بعين الاعتبار وانها هي كتبهم المقدسة
عندهم والظاهر انه كان موجود عداوة دينية قديمة طبيعية بين قدما الفرس والجريك لان
الفرس كانوا يبغضون اشد البغض الديانة الوثنية التي كان عليها الجريك وكان الجريكيون يدعون
اعداهم الفرس انهم اهل نجاسة وريب فالنقل عن مشهوري مؤرخي الجريك الى ما كان عليه الفرس
من عوايد العبادات وكتب الديانات الا قليلا جدا لكن مؤرخي الفرس قالوا ان غارة اردشير الغارة
الكبيرة على الجريس كانت هي السبب الاكبر في كراهة الجريك لهم بسبب ما فعلوا لما دمرهم الديانة
الوثنية وهيئات عباداتها ومعابدها ومن ثم لما غلب اسكندر الاكبر على سلطنة فارس ابتدات
الديانة الزردشتية في الاضمحلال والهبوط واستمرت على هذه الحالة مدة خمس قرون ونصف الى
ان قام واحد من الفرس اصلح حالها فنسب اليه الفرس المجد الاكبر والشرف الاعظم في عوده ديانتهم
القديمة وكان هذا هو اردشير بابك وابتدا في احياها وعودها الى ابهتها القديمة في سنة
۲۲٦ بعد الميلاد وامر بجمع كافة الكتب القديمة المكتوبة بلغة السنسكريت المعروفة عند الفرس
بلسان او لغة زند وامر بترجمتها الى اللسان البهلوي وهي اللغة الجاري التكلم بها في ذلك الوقت
في كافة اقطار فارس وشيد معابد النيران واعاد الابهة القديمة والاحتفالات والشعاير

الكبيرة الى الديانة الزردشتية فاستمرت بانعة زاهرة اربعماية وستون سنة الى ان اطفأ العرب
نورها واخذوا نيرانها وهدموا معابدها في سنة ٦٤١ بعد الميلاد وفي هذا الوقت غلب العرب
على ارض فارس وانتشروا مثل الجراد فوق ميادينها وسهولها ووعرها واوهادها ودمروا
احقر وظريف وجميل موجود فيها ودمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه السلطنة الفارسية
والديانة الزردشتية معا في واقعة نهاوند المشهورة وكانت هذه الواقعة حصلت في قرية نهاوند
على مسافة خمسين ميلا من همدان وما حصل من القوى الفارسية التي ربح الفرس في هذه الواقعة
المسفكة الدموية العنيدة الشديدة نتايج معول عليها لجهة فارس مهما كانت فيه من كثرة العدد والعدد
والنظام وجودة الاحوال ولو ان مورخي العرب تغالوا في كثرة عدد الجيش الفارسي الا ان مورخي
قالوا انه كان مؤلف من خمسة عشرة الف مقاتل وكان عدد خيالة العرب الذين غلبوا هذا
الجيش وانتصروا عليه اقل منهم بكثير ولما انهزم الجيش الفارسي سقطت السلطنة الفارسية وراء
عند هروبه وهرب يزدجرد الملك الخامس والاربعون من العايلة الكسروية الساسانية في غفلة
لا يقر له قرار ولا ماوي ودار فوق ارض الممالك التي كانت في قبضة يده خايفا لامره و
سلطانه ولبث على هذه الحالة عشر سنوات والاعداء الفاتحين بلا رحمة تابعين اثره ومقتفين
خبره واخيرا فشى امره وقتله واحد من احقر الناس طمعا فيما وجده معه وكان موته في سنة
٦٥١ بعد الميلاد وبموت يزدجرد انقرضت ملوك العايلة الساسانية في فارس وتغير شكل
كيرس الاكبر المعروف عند الفرس باسم كيخسروا وزالت المملكة الكبيرة التي كان اسسها وساسها
ودبرها ببراعة اعماله واقدامه امام سيوف ورماح العرب وانتصر اسم محمد صلى الله عليه وسلم
على اسم زردشت وانمحق المجد العظيم لفارس وانطفا نورها الى الابد وللفرس اعتقادات واقوال
عامية يوردونها ان دينهم كان في اعلى درجة من النور والصفا والطهارة في الوقت الذي انهدم
فيه وان الامة الفارسية كانت على معلومات وادراكات وذكاء في العقول وثروة وسعادة و
فوق عموم الامم في الوقت الذي مزقت فيه حوافر خيل العرب جهات فارس واطفات اشتعال
لهيب نيرانها المقدسة الدينية وحريتها ومع ما فيه فان هذه الاقوال لا صحة لها لانه موجود دلايل
كاف في التاريخ الابتدائي للكنيسة المسيحية يستدل منه على ان اول مبعوثين ارسلوا من طرف الكنيسة
الى الجهة الشرقية وجدوا ارض الفرس مشحونة بالخرافات والعبادة الوثنية ولما راى العرب انه
لا يوجد للفرس تماثيل واصنام يكسرونها نظروا الى هولاء عباد الاجرام الطبيعية بنظر العداوة
بسبب انها مخالفة لعبادة اله واحد ونسب المسلمون معابد النيران الى كونها معابد اصنام واوثان
ومن ثم هدموها ومحقوا اثرها فتضجر الفرس منهم ومما كابدوه ووقع منهم من الثقل والاجحاف
في الاحكام والجور والتعدي الواقع عليهم وعلى دينهم الا انه لا ينكر انه في الحالة الراهنة ان
الفرس الموجودين الان في الهند على خبرة ودراية كاملة ولهم رايج في عقايدهم الدينية والحرية
التي هم عليها التي ما كانت لاجدادهم في فارس من طاقة على اقامة شعايرها في اوطانهم الاصلية
وكانت الغيرة الاسلامية والحمية المحمدية في قلوب المسلمين شديدة جدا حتى انهم كانوا يعتقدوا في
انفسهم انهم مبعوثين من عند الله سبحانه وتعالى لدمار وهلاك عباد الاوثان ومن ثم ما بقي منهم
لا الاوثان ولا عبادها ومن ثم لا عجب في ان محاريب الشمس ومحاريب … لا … ما لا في معابد
النيران عن الدمار والخراب ودمار العبادة البراهمانية في الازمان الاخيرة وكانت افعال علماء
المسلمين بالغيرة الاسلامية حتى انه ما كان عندهم شك ولا ريب ولا تردد في هدم معابد الشمس
والاجرام الطبيعية والتصاوير او التماثيل الجريئة المسيحية المصنوعة في هيئة اولياء المسيحيين دلوا
العاكفين على عبادتها وادوات الاحترامات اليها في سبيل الله سبحانه وتعالى وسبيل نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وكانت عساكر الخلافة في بغداد ايضا من اكبر المعتدين في دينهم فالاجرة والمجد والاسلام
وفخره اينما توجهوا وغلبوا على كل اقليم وقطر في فارس واقلقوا راحة الجبريين وكدروا عليهم
عيشتهم الى ان يدخلوا في الاسلام او يقتلوا بالسيف فهلك الكثير من الفارسيين في هذه الوقايع ومن
الذين اختاروا ان يموتوا شهدا على دينهم وفي مدة الاحراقات والحروب الاولية التي اجراها فاتحو
المسلمين في فارس هرب الكثير من الفرس الى جبال خراسان ووجدوا لانفسهم مامنا وخلاصا
في هذه الجهات مدة كم قرن في عباداتهم الاولى في هيئة العناصر الطبيعية على حسب ما يوافق ميدان

نيران عباداتهم فارخلعهم السيف المنتقم الجبار في ايدي المسلمين وهدد رخاهم في دروب ومضايق
هذه المملكة الجبلية ومع بطلان الوعرة وتشتت من كان من الفرس من بعد عشاوات ضعيفة وهرب
الكثير منهم الى ماوى ومعابر مختلفة ووجدوا فيها راحة لانفسهم وامانا على دينهم ووجد الجم الغفير
منهم مأوى لانفسهم في جزيرة هرمز في فم الخليج الفارسي فتتبعهم المسلمون الى هذه الجزيرة وظهرت
امامهم سفن العرب وسيوفهم فهرب الفارسيين ايضا من هذه الجزيرة وعزموا على انهم يبحثون
لانفسهم على ملجأ خارج عن كافة الجهات التي يمكن وصول المسلمين اليها فراوا ان الهند هي الجهة
التي لو قطنوا في ارضها امنوا على انفسهم من غوايل اعداهم المسلمين وكان لهجرة هذه الشرذمة
القليلة فوايد تاريخية مدونة مشهورة زيادة عن الفرق والجماعات الاخرى الذين طردوا من بلادهم
في طلب الامان على انفسهم ودينهم وحريتهم لان التسجيلات التي تدونت في شان كل واحدة من
هذه الفرق المطرودة غير موفية بالمقصود ووجد علماء الفرس لانفسهم مقرا شريفا في الهند كما كان
لكبار الهند وكذلك في فارس في وقت هروبهم والتجاوهم فيها من مدة عصور قديمة مضت بسبب
ان العلاقات والمواصلات كانت جارية بين هاتين المملكتين من مدد وعصور قديمة جدا واتضح
من الفحوصات والاستكشافات الحديثة انه من ابتداء الغارات الاسلامية على فارس هرب جماهير
مختلفة من الفرس والتجاوا في الهندوستان ثم ان الروايات والحكايات المدونة في شان مطرودي
جزيرة هرمز واسفارهم المختلفة من قبل ان يجدوا لهم ملجأ يلتجاون فيه كثيرة الارتباك وعدم
الترتيب وفي غلاف القرن العاشر صنف واحد من علماء الفارسيين اسمه بهرام كان قاطنا في
مدينة نوشري بالقرب من مدينة سورت كتابا ذكر فيه هجرة هولاء القوم من جزيرة هرمز ومن
جهات اخرى في فارس فكان اول محل ذكره بهرام في كتابه وصل اليه مهاجري الفارسيين على
السواحل الهندية هو المحل المعروف باسم ديو او ديو وهو جزيرة صغيرة في خليج كامبايا واقعة
نحو الجهة الجنوبية الغربية من بجيث جزيرة كاطيا وار في هذا المحل على حسب ما يوافق اغراضهم
ومقصودهم وكانت ديو او ديو احدى المواقع الاولية للدولة البرتغالية كما سبق ذكره في فصل
البرتغاليين واعتبره البوكرك انه اعظم واظرف مينة يجد الانسان لتفريغ الشحن والنفع
بجغرافيتها البرية والبحرية فنزل الفرس المهاجرين الى ديو في هذا الموقع وجعلوه ماوى لهم وسكنوا
فيه تسعة عشر سنة وكان خرابا وتلالا من الاثار والاطلال وكان هذا الموقع كما ذكرنا تحت
يد ملك الجوزرات فلما تغلب عليه البرتغاليين في سنة ١٥٤٥ حصنوه واحكموه من كل غايلة
تقع عليه من الوطنيين ولقد اثبت التاريخ ان تجارة سورت تدمرت واضمحلت في مرصاة تقويت
ديو او ديو ووصف المورخ اوسوربو مجد وزخرفة مباني ديو وشوكتها البحرية ثم اهلكت مدينة
سورت في عهود ابهتها وتجارتها الاولى واهلكت ديو في الاضمحلال والخراب ومن ثم نزل الفارسيين
في هذا المحل المهجور وكان لسفرهم في تلك المدة الى هذا الموقع امر عجيب حسب ما ذكره بهرام في
تاريخه فقال ان دستورا طاعنا في السن (فيثا) قرأ في صحف الكواكب وجداولها واخذ
طالعا وانباهم بان الحالة العظيمة لهم هي قبالهم وسفرهم من ذلك المحل والبحث عن ماوى اخر
لهم تحصل لهم السرور حقيقيا بما انباهم به ونزلوا في السفن واقلعوا مع غاية السرعة الى الجوزرات
من ارض الهند وكان قدماء الفرس مشهورون في العرافة والتنجيم وكان عقلاء رجالهم وحكماؤهم
المعروفون بالمجوس في درجة عالية من الاعتبار بسبب ما كانوا عليه من درايتهم بعلم الفلسفة
والاجرام السماوية وكانوا هم علماء الامة الفارسية واجلاها وكانوا يدرسون علم النجوم الا ان
درايتهم لم تكن في خصوص التنجيم فقط وان امة الفرس الحالية في فارس وفي الهند على درجة
كبيرة من هذه التخيلات والاوهام حتى ان علم التنجيم عندهم له المقام الاعلى في اقامة شعايرهم
الدينية واحتفالاتهم في اجتماعات الدينية ومن بعد ما وطئ الذين نزلوا من الفارسيين في ديو
اوريو انفسهم بواسطة هذه التنجيمات وراوا انهم لا يذكروه اصلا تركوه على حين غفلة بناء على
اوهام علم التنجيم ونزلوا في السفن واقلعوا من ديو في البحر فلاقوا في سفرهم عواصف ولواقح
شديدة فخطروا في هذه المدة المخطرة كافة الامال من حياة انفسهم وقنطوا من وصولهم
الى ما من يلتجاون فيه فاجتمعوا واقاموا شعاير ادعية وصلوات بواسطة دستورهم كانت عاقبة

نتيجة امرها في الواقع احسن لهم من التجميات التي ساقتهم الى هذه السفرة المشؤومة وكانوا
اللهم انت الحكيم العليم بنا نتضرع اليك ان تنجينا من هذه المهلكة ونتوسل اليك ان تعفنا وتخلصنا
من هذا الخطر العظيم والكرب الجسيم يا الهنا واله كل مخلوق اللهم انت المجيد الرؤف على عبادك فنسألك
ان تشرح صدورنا وتنقذنا من هذه المصاعب التي احاطت بنا ونحن معتمدون يا الهنا يا لطيف
على كرمك ولطفك وحلمك وجودك ولنا في وجهك الامل العظيم في زوال هذه العواصف واللوائح
باية من عندك وامالنا جميعا موجهة اليك يا الله في مساعدتنا وان لا تصيبنا بهذه الرزية الكبيرة
والمصيبة الجسيمة ونحن على ثقة كاملة من عفوك ورحمتك ان تجيب دعانا يا من لا تخيب فيك
الظنون يا مجيب دعا المضطرين ابتك اللهم خلصنا يا ارحم الراحمين يا قادرا على كل شئ من هذا
الكرب واهدنا الى صراطك المستقيم وطريق الحق القويم ونجنا من هذا البحر وما وقع علينا من الكرب
واهدنا الى سواحل الهند ونحن نتوفى عهدنا وميثاقنا لك يا الله في ان نشعل لهبة مقدسة لك شكرا
لك على ما اوليتنا من رحمتك ورأفتك وحنانك لنا اللهم اننا عبيدك الضعفا فلا تكلنا ولا تغفلنا
طرفة عين منزعجين مرعوبين بهذه الشدايد انك على كل شئ قدير فضبطت الالواح باذن الله
وسار الاسطول الصغير في امان حتى وصل سوجان على مسافة عشرين ميلا في جنوب دامون
ونزلوا من السفن في هذا المحل وكان وقوع هذه الحادثة في سنة ٧١٧ بعد الميلاد وكانت
ارض سوجان في ذلك الوقت محكومة بملك اسمه جادو رانا رجل مشهور بالحزم والرأي والتدبير
والكرم فارسلوا اليه من طرفهم قسيسا من كبار القسس مع الهدايا للمقابلة معه ما تكون الضرورة
من مثله لدولة مع اخرى وحصول الرضى والتوافق بين الملوك وبعضهم فلاحظ الراجا ان
القسيس الذي ارسل اليه كان حايزا صفات الكمالات السياسية فاستقبله الملك مع الترحاب والاجلال
وعلى مقتضى نص الروايات الفارسية ان الملك هذا حصل له الرعب والعرق مما سمعه من انهم
هاربون من اهلها جربن من تغلب العرب على بلادهم باسهل طريقة حتى صار عنده رأي يعطيه
لهم حق الاقامة او الذهاب من بلاده ولما خاف من ان هؤلاء الاعراب ربما يسرعون فيما بعد
على التغلب على بلاده وعلى مملكته طلب منهم اقوال مجردة عن الشبهة والريب فيما عليه من مقصدهم
من الاعمال واصل حكاية تاريخهم وانهم لا بد وان يكونوا تبعة له في مملكته وكان القس على
تيقظ من دين وعوايد الهندو وانه تكلم في لغة هذه الجهة الهندية فاجابوه بما اقر به عين
هذا الملك الذين تداركوا حماية انفسهم في مملكته فرضي بما اجابوه به من حسن اخلاقهم
وبما اعترف عليهم به من قرأ اياهم ثم طلب منهم قولا واضحا عن عقايد دينهم فعرض عليه
قسيسهم ما عليه من العقايد الدينية على هذا الوجه

اولا نحن عباد هرمزد (الخالق الاعلى) والشمس والعناصر الاربعة ثانيا نحن نراعي الصمت والسكوت
وقت الغسل والدعاء والصلاة وتقرب القربان الى النار وللاكل ثالثا نحن نستعمل الطيب
والروايح العطرية والازهار عند اقامة شعايرنا الدينية رابعا نحن عباد البقرة خامسا نلبس
اللباس الطاهر والقميص والزنار على خصورنا والطفية ذات الطيتين سادسا نشرح صدورنا
ونمتع ارواحنا واسماعنا بالمغاني والات الطرب عند عقد افراحنا وزواج اولادنا سابعا
نحن نزين نساءنا ونعطرهم ثامنا نحن في اتحاد واحد في افراحنا وتوزيع صدقاتنا وعلى الخصوص
في انشاء حيضان الشرب وحفر الآبار تاسعا نحن في جامعة واحدة في ميلنا للذكور والنساء
بدرجة معاملة واحدة عاشرا نحن نغتسل ببول البقر احد عشر نحن نلبس الحزام المقدس في
وقت عبادتنا وتناول طعامنا اثنى عشر نحن نغذى اللهبة المقدسة بالروايح العطرية ثالث
عشره نصلي خمس اوقات كل يوم رابع عشرة نحن على اعتنا تام من ملاحظة الامان والصدق
في الزواج وصفا النية في القلب خامس عشر نحن نجري اقامة احتفالات دينية وماتم سنوية
لاموانتنا واجدادنا سادس عشر نحن على محافظة تامة على نساءنا من بعد حملهن الى ان يضعن
ثم ان جادو رانا انشرح قلبه وابتهج صدره من هيئة هذا الدين وقواعده وسمح لهم بالتوطن
والاقامة في المدينة تحت حدود وشروط معلومة وهي انه يلزم عليهم ان يقبلوا لغة البلاد ويصرفوا
النظر عن لغتهم الاصلية وان يلبسوا النساء حسب لباس نساء الهندو ويقيموا شعاير زواجهم

زواجهم وافراحهم ليلا مثل الهندو والا يحملوا الالات حربية فقبل القسس هذه الشروط مع غاية
السرور والانشراح وكان قبولها عندهم فقط خشية مما عاهدهم لركوب البحر العميق المهول الذى
هدد معيشتهم في وقت اسفارهم وكانوا فيه على شرف دمارهم ورخص لهم بان ينتخبوا لانفسهم
قطعة واسعة من الارض في ضواحي مدينة سوجان فانتخبوا لانفسهم قطعة من الارض وبذلوا
جهدهم في اصلاحها وفلاحتها حتى ابدلوا فقرها وصحراءها ببساتين ورياض ووفوا ما عاهدوا
الله عليه في وقت ما كانوا على شرف الخطر والهول في سفرهم باشتعال لهبة نار مقدسة له وشيدوا
من اجل ذلك هيكل نارجيهم بعد ما تم في عمارته وانشاه الراجا جادو رانا وقال مؤرخي الفارسيين
ان عمارته تمت في سنة ٧٢١ بعد الميلاد ثم اخذت هذه المستعمرة في الزيادة وخرج منها شعوب
وفروع الى جهة مداين سورت ونوشري وباروش وجاريا وعوكلير وكامبايا ثم ان اخوانهم
في فارس المهجورين تحت الظلم والجور المهول او خائفين دينهم في صدورهم وجدوا طريقهم في جماعات
صغيرة الى غالب هذه الجهات اوايلها جميعا فاستقروا قاطنين في هذه الجهات نحو خمسمائة سنة
وما وقع في تاريخهم في الهند الا عوارض قليلة وذادت شوكتهم وثروتهم وعاشوا في حالة واحدة
مرضية مع اهل الارض وكانت اعمالهم واشغالهم موجهة بالخصوص نحو فلاحة الارض والزراعة و
اجتنبوا كافة التداخلات في الاشغال السياسية ومع هذا كله فان المسلمين اعداهم القديمة عبروا
وراهم طريقهم واقتفوا اثرهم وفازوا بالبطش بهم والانتقام منهم وقد ذكرنا فيما سبق في تاريخ
المسلمين في الهند كيفية وصول المسلمين الى الهند ودخولهم في الهندوستان وما اجروه واشعلوه
من الحروب وما وقع لهم من النصر والظفر وتشييد الدول الاسلامية في البلاد الهندية ثم ان الفارسيين
لبثوا مدة طويلة في امان وسلامة واستتباب راحة من تفرغهم لشرهم وشوكتهم ومن بعد ذلك
كبست الغارات البحرية الاسلامية وهي العدو المشترك للفارسيين والامم الهندية على الهند وغاروا
عليها وسجد الهندو والفارسيين لاستعبادهم ورقتهم فيهم الا ان حالة الفارسيين في وقت تعرضهم
هذه الاهوال كانت قليلة التأثير وفي مبادي القرن السادس عشر جمع السلطان محمد بيزاده صاحب
احمدآباد جيشا ضخما تحت قيادة القائد المشهور علوف خان واغار على ارض سوجان ولما لم
يكن مع راجا الهندو طاقة على مقاومة هذه القوة المرسلة للغارة على بلاده طلب عنده شيوخ
الفارسيين وكبارهم وذكرهم بما اسداه اجداده من المعروف والكرم وجميل الجيرة على اجدادهم
وتوسل اليهم بما هم فيه والحالة هذه من العدل والثنا وجميل الشرف الا يبطروا ما عندهم من
الطاقة في المساعدة والاعانة في هذه الساعة الخطرة التي سيحل فيها له ولهم فيها الكرب والاذى
والدمار فاجابوا الراجا بهذا الجواب لا تخشى ولا تخف ايها الملك من هذا الجيش وكثرة عدده
فان كل واحد منا في استعداد تام لقطع رؤس اعداك ونحارب معك وتحت لواك ما دام موجود
في عروق احد منا قطرة من الدم واننا لا يولي احدنا دبره في الواقعة ولا يبدو احد منا
ظهره لعدوه ولو هشم راسه حجر طاحون واجتمع من الفارسيين الف واربعماية نفس في سوجان
تحت قيادة شخص اسمه اردشير من امرائهم وانضموا الى جيش الراجا وتقدم العدو الى ضواحي
سوجان في رأس قوة مؤلفة من ثلاثين الف نفس مركبة بالخصوص من الخيالة معتمدين على عددهم
وعددهم مستخفين باعداهم وفي عظمة كبيرة مما هو مشهور عندهم وفي انفسهم من الفروسية والشجاعة
والمبارزة التي بها جعلوا لاسم الاسلام شهرة وصيت في الخوف والفزع منه وسار الهندو والفارسيين
ايضا بالظفر والنصر فحاربوا مع غاية الشجاعة وارسلوا على عدوهم مطرا من السهام والنبال والرماح
وزحف المسلمون عليهم زحفا شديدا فقابلهم الهندو بسيوف مسلولة حادة ومع هذا فان الحملة
المهولة المتتابعة للمسلمين التي لا يمكن صدها ومنعها تولد منها في اخر الامر هزيمة النبالة وارباب
السيوف معا وانكسرت صفوف الهندو وتقهقروا مع غاية الارتباك والفشل من ميدان الواقعة
واما الفارسيون وكانوا امدادا لحماية الرجعة فانهم اظهروا اشجاعتهم وهجموا على المسلمين بحرارة
وحماسة حتى هزموا صف المسلمين وكان طويلا ووقع فيهم الفشل والارتباك في وقت ما عاد اليهم
الراجا من رجعته الاولى وساعد الفارسيين في حملاتهم وهرب علوف خان وخيالته من الميدان
وقطع اردشير واصحابه الفارسيين المشاة من المسلمين وما نجى منهم الا القليل فكانت حركة اردشير

هذه وما اجراه من عنة الموجودين تحت قيادته الخاضعين لامره وحركته تذكرة لشهرة الجيوش الفاتحة
في الايام الكبيرة التي كان يدعونها اسم تلك المملكة متوج بالمجد والابهة في كافة انحاء اسيا
ثم وقع بسبب من التشاور والنزاع الجزيل الذي انشاه الراجا على الفارسيين ان جعلهم في ارقى موقع من
الشرف والعزة والاحترام وصار لا يوجد لهم حاسد ولا باغض بل مقبولين محترمين عند الراجا
وعند رعاياه الا ان هذه الحالة ما دامت عليهم طويلا لان السلطان محمد صاحب احمد اباد قام
به الغضب الشديد واخذته حمية ابنا جنسه من الملوك في الحروب وجدد الحرب وعين علوف
خان في راس جيش ضخم وزحف به على سوجان واحتل موقع الواقعة الاولى ففزع الراجا وخاف
وامتلأ قلبه بالفزع والخوف ثم زال من قلبه هذا عندما راى من الشجاعة وخفة الحركة التي اجراها
رعاياه من الفارسيين ودخولهم مع العجلة تحت السلاح حتى تم توطد في قلبه عدم الخوف من كثرة
عدد عساكر العدو وارسل الى اردشير في القدوم عليه للمداولة والمشورة معه في هذا الشأن فكان
اردشير على رأي عدم الخوف والجبن وقال للراجا ان سلامة الملك ورعاياه وممالكه محصورة في
الهمة والعزم وشدة النشاط في الاعمال والاستعداد ثم قال ايها الملك ان العدو ظهر علينا في
قوة اكثر عددا من قوته الاولى وهم مائة لواحد منا الا انك لا ترى ما يطر عينيك ويشرح
صدرك من شيء عندنا واجرأتنا في الحرب ولا نسلم ابدا انفسنا ونعيش عيشة الذل والهوان فاما
ان نموت او نفني اعدائنا ومع ما نحن عليه من هذا العزم فان الله يكون معنا لانه ازال عنا كل
صعب وشدة وصرف عنا السوء ونحن معودون انفسنا على الجيل منه وبرز الراجا وجيشه الى
العدو ووقعت بينهم وقعة شديدة دموية قتل فيها الراجا الهندو من سوء الطالع وكبس المسلمون
على عساكره الى ان ولوا الادبار واما اردشير واصحابه الفارسيين فانهم حملوا على العدو حملة
الغضب وكان القائد المسلم الذي حمل عليه اردشير مستعد لهذه الحملة فالتقاها وقاومها مع الشدة
وقطع الياس والتقى القائد المسلم مع اردشير وتلاطما مع بعضهما يدا بيد فقتل اردشير هذا
القائد فلما راى علوف خان ان طالع السعد عاد الى الهندو وعلى الخصوص بواسطة اردشير حمل
عليه مع القوة الاصلية من جيشه فالتقاه اردشير بجملة لا تصد ولا ترد وفي اثناء هذه الحملة
الهولة وقع سهم في صدر اردشير فخرقه فسقط ميتا من فوق ظهر حصانه ووقع في الفارسيين
الفشل والارتباك كما هي العادة الجارية عند الامم الشرقية في وقت هلاك قائدهم فهربوا من
الميدان ودخل المسلمون مدينة سوجان وقتلوا منهم مقتلة جسيمة وفي هذا اليوم انقطع دابر الراجا
وعائلته وانقضى امرهم وسجد فارسي سوجان مثل فارسي ايران للمسلمين اعداؤهم في الدين واما
الفارسيون الذين لم يقتلوا او الذين لم يوسروا فانهم هربوا الى جبال بهروط وما نجوا بشيء
معهم سوى حياة انفسهم والهة نارهم المقدسة ومن بعد هذه الواقعة ما دخل واحد من الفارسيين
في سوجان ابدا وحتى الى الان لم يُرَ واحد منهم فيها ولا يرى فيها اثر لسكناهم وشهرة اعمالهم
في هذه البقعة الا دخمة او برج صمت كان معدودا للاموات والظاهر ان المعاقل او الصروح
الجبلية التي التجأوا اليها وهربوا فيها كانت لهم حماية وحافظا من غائلات المسلمين عليهم او ان
المسلمين تعبوا وكلوا من تعقبهم والسير خلفهم او راوا انه لا ضرورة ولا حاجة في السير وراءهم
حتى انهم لبثوا في ماويهم الجبلية هذه نحو اثنى عشرة سنة غير مكدرين الخاطر ولا معكرين البال
وكان موجودا في ذاك الوقت جماعة من الفارسيين قليلي العدد في بنسده فبعثوا اليهم مخابرة
وتحرك هولاء الاسرون ونزلوا من جبالهم ووجدوا لانفسهم راحة وقرى بين اخوانهم
الفارسيين في بنسده ولا شك ولا ريب انهم نقلوا معهم ايضا الالهة المقدسة الى هذه الجهة واما
جماعة الفارسيين الذين كانوا في نوسري فانه كثر عددهم وزادت اموالهم وثروتهم فنقلوا بعد
ذلك النار المقدسة الى هذه الجهة ثم الى مدينة اودواره على مسافة اثنان وثلاثين ميلا من
سورت فما زالت هذه النار المقدسة مشتعلة الى الان في داخل المعبد القديم المحترم عند الفارسيين
في هذه البقعة من الهند وكان من قبل وقوع الغلبة على راجا سوجان هاجر الجم الغفير من
الفارسيين من سوجان الى مداين اخرى في الجوزرات وكان المعروف عنهم في ذاك الوقت في كافة
هذه الجهات انهم امة مداومة على اعمال السلم والتجارة وتابعين سبل الجامعات الانسانية
العظيمة والعفة والتنزه في اشغالهم وطرق معايشهم وعندهم الصداقة التامة في الراحة
واستتباب الامن حتى انه ما لهم تسجيلات وتدوينات في صحايف تاريخ هذه المدة ومع هذا

هذا فان القليل منهم التزموا على ان يظهروا انفسهم في مثل هذه الحالة المستتبة الامن والراحة
وان الواقع كان واقع عليهم من الاكدار ومضايقة الاحوال فكانت احيانا تهيج في صدورهم الحمية التي
كان عليها الحربيون من ابناء جنسهم في المدد السابقة مثل اشتغالهم في جزل الغضا لحاجة في
محاربيهم وذلك انه وقعت لهم واقعة جديرة الذكر هنا في مدينة واريا او واريو بالقرب من
مدينة سورت لما كانت تلك المدينة تحت احكام سلطنة راجا رتنبور وكان سببها ان هذا الملك
اجتهد في اغتصاب مبلغ ثقيل من النقود في صورة عوايد مخصوصة من رعاياه الفارسيين حسب
ما سولت له اخلاقه من شهرة ثروتهم وكثرة اموالهم حتى بعد عدة التماسات عرضوها وانذارات
قدموها جاءت على غير طائل رفضوا قبول هذه العوائد الثقيلة باطلية فارسل الراجا عليهم جيشا
اوانه ولو ان هذا الجيش كان كثير العدد فانه ما حفظ اسم في تنفيذ مفعول طلبات الراجا وهاج
بين الجيش والفارسيين وولو ان الفارسيين كانوا في نسبة غير معادلة لعساكر جيش الراجا فانهم
انتصروا وهزموا الجيش وبددوا شمله ومع بعد هذه ما سعى الراجا في تنفيذ اوامر اغراضه بقوة
لكنه فعل معهم فعل سوء سود به تاريخ عصره وبلاده ودينه وهو انه هجم على الفارسيين في وليمة
زواج كبير كانوا محتفلين به في مدينة واريا وفي الوقت الذي كانوا فرحين فيه مع نسائهم و
اولادهم بالافراح والاوقات الطربة سطى عليهم هذا الراجا بسيفه فما نجى منهم ولا احد امراة كانت او
طفل او شاب او هرم ووقع مثل هذه الفعلة الدموية القبيحة البربرية ايضا في كوتنبور وفي
بعض جهات في الهند بعد ذلك بعدد بعيد الطريقة التي حصلت لفارسي واريا والى هذه الايام
كبار الامة الفارسية يقيمون شعاير دينية في اوقات معلومة تذكارا وشرفا للذين هلكوا بالخيانة
والخباثة التي حلت بهم من هندو رتنبور وما كان الفارسيون لحد بعد هروبهم من سوجان حازوا
ثروة كبيرة من الاموال او النفوذ في الهند الغربي على العموم وحازوا الغنى والنفوذ في نوسري
وفي سورت على التدريج ولو ان نواب مدينة سورت كانوا مسلمين وما كان لهم مودة والفة مع هولاء
الفارسيين الملتجيين فانهم وثقوا منهم واعتمدوهم في الصداقة والشرف واتفق ان المسلمين اهل البصائر
والعقول النيرة اعترفوا بالمعروف والحسنات من وقته الى اخر في هذه الجهة وفي جهات اخرى من الهند
على الفارسيين زيادة عن الهندو الا ان هذه الحالة كانت نادرة ما عدا عند الذين ما كان لهم ذكر
اوليس موجودا في صدورهم غيرة الدين الاسلامي فان المتمسكين جدا بالدين الاسلامي يراعون
ان الفارسيين اشد خطرا وضررا من الوثنيين لان ديانتهم الوثنية داهية من الدواهي للصفاة
الى درجة وانه لا خوف على المسلمين من اهل الديانة الوثنية الهندية الا انه ما زال كان موجودا
في الديانة الزردشتية بعض غوايات واشيا هوائية تميل الى الرقة والاستعباد وكانت لهم افكار
سديدة في الطبيعيات والفلسفة حتى انه على بعض اسباب واهية تكرم الامبراطور المغولي الكبير في
الهند بجماعة امراء وكبار الامة الفارسية بدرجات الشرف والامتياز وفي نحو وسط القرن الثامن
عشر منح الامبراطور محمد واحد اسمه نق سوك خان اقطاعا من الارض في جهة مدينة سورت بسبب
خدمات اداها في سرايته اكره تختص بالفلسفة الميكانيكية والعلوم الرياضية العلمية وكان هذا الفارسي
الجيد المشهور بالعلوم والمعارف الذي اكتسب رضى وامتيازات للانكليز في مدينة سورت وفي
طول المدة التي كان المسلمون حاكمين فيها البلاد الهندية كان الحث والحض الواضح من علماء المسلمين
وصوفيتهم في الكيس على الجور والتعدي على الفارسيين نادر الوقوع من طرف ملوك المسلمين وتتبع
ائمة المحبين وصوفيتهم الفارسيون واقتفوا راحتهم الى ان زال او خف بوقايع سياسية تثبت
من ان بعض ملوك المسلمين كانوا مشغولين في نهب او اقتطاع بلاد بعضهم بعضا واسم فلاح
الفارسيين في نوسري قائما الى ان وصل في القرن السابع عشر الى اقصى درجة من الاوج ثم
اخذ في الهبوط والاضمحلال من بعد مدة طويلة وصار الناس الموجودين في هذه الجهة من الفارسيين
عبارة عن قسيس واما في سورت فان الفارسيين استمروا في موقع جليل الاحترام الى الوقت الذي
وصل فيه الانكليز في الهند ومن ابتداء هذا الوقت اخذت درجة ثروتهم وغناهم في الزيادة
لان الانكليز كانوا اكثر سخا وكرما وجودا واهل سياسة في المواد الدينية زيادة عن البرتقاليين
وحفظوا ذراري الفارسيين وحضنوا امرهم وكانوا اول بيت لتجارات الانكليز في مدينة سورت

عند ماكجيث هذه الامة خدما راسخا فيها واحد من الفارسيين وكان له صولة ونفوذ كبير عند النواب
حتى سهلت بواسطته الاغراض الاصلية للفلنكيين وفي الواقع ونفس الامر فان عموم الذين جاؤوا
وخاطروا بانفسهم وجاؤوا في طلب التجارة في الهند راوا انه من الضروري لهم ولمنافعهم التوفيق
الا يبتعدوا في مصالحهم ولاولي الفارسيين بسبب ما كانوا عليه من الكد والسعي والنشاط في الاشغال
وعلو درجة مقدارهم في معلوماتهم بالاشغال التجارية وتجنبهم التعصب الديني وعدم جنوحهم الى
الامتياز بين بعضهم وموافقة دخولهم في الجمعيات التجارية فكان ذلك هو السبب الاصلي في تفضيل
ولاولي الفارسيين حتى اعتقد الكثير من الاوروباويين ان هذه الغنية لا يمكن لبشر الحصول عليها
لو كان الحال على حق في الاشغال المعهودة عليهم ولما راى الغير معتمدين او المختلسين من الاوروبا
وبين انفسهم انهم اخرجوا من العلاقات التجارية واستبدلوا بوكلا او بعمال من الفارسيين شرعوا
بالطبع في دس الدسايس المنفرة حتى يخرجونهم من هذه التوكيلات فاتفق انه في مدينة سورت
خاف الفارسيون بذكائهم وفرنجهم الوقارة ونشاطهم في الاشتغال كل درجة كان مستوز عليهم
المسلمون والهندو في اشغال العلاقات التجارية وكانوا اول من حاز هذا الامتياز الكبير وكذلك ان
مدينة بمبي لما قامت وصارت في درجة كبيرة من الاهمية والمراعاة كانت رؤوس اموال الفارسيين
وكدهم ونشاطهم في الاشغال التجارية عريضة فانتقلوا الى مركز عمل وشغل قوي جديد العهد
وفي الواقع فانه من ابتداء دخول الدولة الانكليزية في الهند قامت الامة الفارسية بسرعة الى ارج
السعادة والسطوة والنفوذ وحاز اهلها بواسطة الرخص الانكليزية ميدانا واسعا بسبب ما كانوا
عليه من المهارة والاطاقة ما كانوا استحوزوا على مثله من قبل ومن الصعب جدا علينا تعيين تاريخ
المدة التي دخل فيها الفارسيون في بمبي بما ان هذه الامة وشارع امة الهندو اهملوا الشيء
التاريخي لانفسهم واعتمدوا على الروايات الشفاهية التي لا يمكن لاي مؤلف او مصنف ان يتحقق
منها على تاريخ مضبوط الا اننا رأينا ان الحالة المعول عليها هي ان الفارسيين استوطنوا في جزيرة
بمبي من قبل ان يقع التنازل عنها لشارل الثاني صاحب انكلتره في نظير صداق زوجته برنسيسة
البرتقال في سنة ١٦٦٨ بعد الميلاد وقيل ان تجار الانكليز في سورت حضروا الفارسيين فيها
على التوجه والاقامة في بمبي في صورة عملا او وكلا لهم من قبل قيام شركة انكلتره في بمبي
وقال دوسابوي او دوزابوي كرنجي انه كان لا يوجد في بمبي الا نفر فارسي واحد فقط في
الوقت الذي استلم فيه الانكليز حكومتها وان كان الاكثر من واحد فكان العدد قليلا جدا واختار
في رايه هذه الملحوظة الاتية وهي ان العالم فرير وكان زار بمبي في سنة ١٦٧١ قال
انه يوجد في الجهة الاخرى من الدخلة الكبيرة في البحر قبر فارسي مشيد حديثا حتى تم يكون اول
شغل اجراه الفارسيون الذين قطنوا الجهة هو بناهم قبرا او دخمة اي برج صمت من اجل
موتاهم ويستدل من قول فرير على ان القبر مبني حديثا دلالة كافية على انه ما كان يوجد عدد
كبير من الفرس متوطن في تلك الجزيرة من قبل تنازل البرتقاليين عنها للانكليز ومن حقيقتها
من روايات نفس الفارسيين ان واحدا اسمه دورابجي نانابوي هو اول واحد من الفارسيين
فقط استوطن بمبي مع عائلته في وقت ما كانت الجزيرة تحت حوزة البرتقاليين واستخدمته
الحكومة البرتقالية في فروع اشغالها مع اهل البلاد الهندية في بمبي ولما وقع التنازل عن
الجزيرة لانكلتره تعين ايضا في الوظيفة التي كان فيها للبرتقاليين وبما ان حكام الانكليز
المستجدين كانوا على غير دراية من هذا المحل ومن عوائد وطبايع ولغة الناس الموجودين فيها
فكانوا يتجابرون معه ويشيرونه في الاعمال والاشغال اللازمة لهم ومن الممكن ان نقول
ايضا انه في الوقت الذي زار فيه فرير بمبي لا بد وان عدد الفارسيين الذين كانوا بها
لا عبرة به بما ان هذا العالم لم يذكرهم في وصفه الذي ذكره في وصف السكان الذين كانوا
متكلفين في ذلك الوقت مجموع اهل الجزيرة وكان دورابجي نانابوي رجلا مشهورا ادى خدمات
جليلة للانكليز وقال دوزابوي كرنجي نقلا عن ابن دورابجي انه وقع في سنة ١٦٩٢ في
بمبي طاعون هلك فيه من الاوروباويين وعساكر المحافظين الجم الغفير فانتهز الفرصة في
حصول هذه الحادثة المشؤومة سيدي يوسف جنجيره وكانوا في ذلك الوقت امة قوية البأس فحشدوا
واغاروا على بمبي في قوة قوية فاستحوذوا على الجزيرة وعلى قلعة مجيري المعروفة الان بقلعة
جورج فشرع ابن دورابجي وهو رستم دوراب وكان خلف اباه من بعد موته في خدمة حكومة بمبي

بمبي في طرد السيديين من الجزيرة وجمع قوة كبيرة من الصاكبين من الاهالي وحارب السيديين
وهزمهم شر هزيمة وارسل رسلا مع اخبار هذه النصرة الى رئيس الكرخانة الانكليزية في سورت
فاسرع في الوصول الى بمبي وقلد نفس وظيفة الاحكام به ومن اجل هذه الخدمة العظيمة احسن
على رستم دوراب بدرجة الشرف مع وراثة لقب باتيل بمبي اي سيدها او اميرها الاكبر ونصبه
رئيس طايفة الصاكبين وعهد اليه فصل قضايا اهل المدينة والدينية وتمتع بهذه الوظيفة ذريته
من بعد موته ولما مات رستم دوراب نصب ابنه كواسجي رستمجي خلفه شرف هذه الوظيفة
بمعرفة الحاكم هورنبي وبما ان الحكومة الانكليزية كانت في تلك الايام في مصاعب شديدة من نفسها
الحصول على سفن شحن لنقل العساكر من جهة الى اخرى فتعهد كواسجي باتيل بمبي بجلب السفن وشحنها للاصلاح
العمومية ولما تغلب الانكليز على طناج من المرهتة وعين تعيين كواسجي باتيل في جهة عظيمة من هذه
الجهة فوطن فيه الكثير من الفارسيين وابتنى محلات عبادة وابنية للصدقة في منافع الفارسيين على
طرفه ومن جملة الفارسيين الاوائل الذين قطنوا بمبي من بعد ما صار الانكليز حكامها وارتقى الكثير
منهم الى درجة الشرف بعضا بكدهم وبنباهتهم وما وقع منهم ادى تاثير في درجة تقدم استيطانات الانكليز
في بمبي وعد شوكة دولتهم شخص اسمه سوراجي وكان سوراجي هذا بحار مراكب ونزل مدينة سورت محل
مسقط راسه من اجل التجارة لنقص خدمة عند المستر دولي منشي او صانع سفن الشركة الانكليزية الهندية
فتقدم سوراجي بنباهته في فن انشاء المراكب عند الشركة الهندية الشرقية وعند الامة الاوروباوية
في بمبي وحاز شوكة رفيعة عند الحكومة والتجار وبمعرفته صار انشاء رصيف الميناء في بمبي ورمي
اساسه في سنة ١٧٣٥ بعد الميلاد ومن ابتداء هذا الوقت عهدت وظيفة رياسة رصيف المدينة على
سوراجي وصارت وراثية في عقبه ونجح الفارسيون في تجاراتهم واشغالهم في البلاد الهندية وصار
غالبهم قاطنا في بمبي وهم ذراري السكان الذين سكنوا هذه الجزيرة في الابتداء والان هم تحت
حماية الاعلام الانكليزية مطمئنين على حريتهم ودينهم والمحافظة على انفسهم واموالهم وعقاراتهم
وتجولوا في الاقطار الهندية وقطنوا ابتغاله ومدراس وما زالوا في كافة الاقطار الهندية وفي
سيلان لحد الان مطمئنين الخاطر والبال على انفسهم ودينهم تحت ظلال الحكومة الانكليزية في الهند
وفي هذا القدر كفاية والله اعلم

الفصل الرابع

العلاقات التجارية والسياسية الروسية مع اسيا الشرقية

اجمع المؤرخون عموما على ان البرتغاليين اول الامم الاوروباوية في الدخول في الهند وفي الاقاليم
الاسياوية وفي الجزاير الموجودة في شرقيها في طلب التجارة او التملك في القرن الى سادس عشر واجمعوا
ايضا على ان الفلنكيين مع توالي الدهور والايام هم الامة الثانية الذين دخلوا في هذه الجهات من بعد
البرتقاليين والظاهر انه على حسب ما نراه من حوادث الايام ان انكلتره كانت هي البادية فيما بعد
في مثل هذه المشروعات وسنعقد لها بابا مخصوصا بفصول من بعد هذا الفصل نشرح فيه الاعمال
التي دخلت فيها انكلتره وحدثت فيها وجهلها الى هذه الجهات سواء كان قبل الفلنكيين او بعدهم الا انه
لم يعلم على مقتضى ما زعمت به الروسيا انها اول الامم الاوروباوية التي فتحت طريقا تجاريا مع البلاد
الصينية وقررت انها كانت في علاقات تجارية مع التبت والهند الشمالية من مدة طويلة من قبل ان
يتم للبرتقاليين هذا المشروع او من قبل ان يحصل منهم ادنى سعي او اجتهاد في الدخول فيه وبما ان
الروسيا متعاظمة متنامية في نفسها وامة محبة للفخفخة والطنطنة فنزلت من لمعان وحسن الاعمال التي
حازها البرتقاليون والفلنكيون والبريطانيون بتجاراتهم ومن ظفرهم وما اجروه في الجهات الشرقية
قيام الغيرة والحيرة والحسد والغرور عند الموسقوبيين حتى انهم زعموا بانهم هم اول الامم تجارة في الشرق
وما كان للعلاقات الروسية مع الهند ذكر حتى ويمكن القول بانه ما وقع ابدا مثل هذه العلاقات بين
الروسيا والهند ولو رأينا ادنى اشارة او دلالة نستدل منها على انه كان موجود من القديم علاقة او
ارتباط تجاري في شان هذه المادة مع الامة الهندية الا ان معاملاتها مع الصين كانت بصفة مشروعة

من قبل اتصال بعلاقة اى امة من الامم الاوروباوية مع الصين ومع هذا فيمكننا على وجه الاحتمال ان
نشرح لك فى هذا الزعم التى طمعت فيه لانه من الضرورى لنا ان ننشر فى هذا التاريخ مشروعات الامم
الاوروباوية عموماً فى الشرق لاجل كشف الغطاء عن التاريخ الهندى او على وجه التنوير والاخبار لتاريخ
المملكة البريطانية فى الشرق وكذا من الضرورى لنا هنا ان ننشر مختصرا على التاريخ الروسى بسبب انه فى الحقيقة
واحدة مع الشرق وبسبب ما لهذه الدولة من الاغراض والمقاصد المتعلقة بالهند والصين وفى الحقيقة
اغراضها تكمل الدنيا الاسياوية اذ ان هذه الاغراض ليست الان فى خفية وانها سببا فى وقوع
الارتباكات والقلاقل السياسية الاوروباوية زيادة عن كل اعراض ولو ان الاعمال الروسية غير واقعة
مباشرة على الهند الان فطبيعة وجارية مع الامتداد والغلبة على الاراضى المجاورة للهند واستشعرنا
فارس فى كافة منسوجات عروقها بمس الرماح القوزاقية لها وتعدى القيصر الروسى وغلبته على
اراضى واسعة حول المملكة الصينية ومن المعلوم ان التاتار الذين فتحوا الروسيا وكانوا ملوكها كانوا
فى معاملات وعلاقات مع الهند والصين ولما حاز القيصر بازيليوش الدوق الرابع او الحاكم فى
شموتشكو (?) وبليشكو استقلالية نفسه من امبراطورات التاتار فى نحو سنة ١٥٠٨ بعد الميلاد قال
الروسيون ان علاقات التجارة والاخذ والعطا استمر باقيا بين الروسيين والصينيين والاقوال
التى ذكرها مؤرخى الروسيين فى هذا الصدد مناقضة بعضها بعضا وليست على ثبات تام الا انه
يوجد دليل كاف على ان الروس من مدة قديمة كانوا جاريين بعض المعاملات التجارية مع بعض الامم
الموجودة فى الثغور وحفت هذه المعاملات بواسطة هذه الامم فى الاقاليم القاصية الاسياوية
ثم انه فى منتصف القرن السادس عشر استحوذت روسيا على اسطراخان وعدت شوكتها وسلطتها على
عموم طول نهر ولغا الى حد بحر الخزر ومن هنا كانت المعاملات التجارية مع الامم الشرقية على حسب
الطريقة الخشنة الوحشية التى كانت موافقة لصفتها وعوائدها واستمر الفرس والروسيون كما
والترك والروسيون فى اشغال كبيرة فى التجارة على حسب طبيعة العصر ودرجة وجود الحضارة و
التمدن التى وصل اليها الناس فى ذلك الوقت والذى يمكنا قبوله فى هذه المادة فى عموم الاحوال
انه بينما كان البرتقاليون جاريون البحث على طريق تجارة مع الصين من طريق البحر داوم الروسيون
على هذا المقصد مع الحدة والشدة من طريق البر ومن قبل ان تجار الفلنكيين او بحريتهم يضعون
اقدامهم على سواحل الصين بمدة طويلة فان سيبريا الى الروس استحوذوا بالفعل على اراضى صينية و
بواسطة امتزاج عجيب من الخدع والقوة والاخذ والعطا جعلوا لهم تجارة مع الصينيين ومهما كانت
عديمة الهيئة فى البداية التى حصلت من البرتقاليين فى التجارة مع الصين فانه لا يوجد دليل يستدل
منه على سبق الروسيين فى هذه المادة لكل من الانكليز والفلنكيين والمعول الذى اتخذته الروسيين
فى هذا الموضوع هو ان روسيا ارسلت فرقة من العسكرية الى الحدود على اسم التجارة من جهة وعلى
اسم استتباب الامن والراحة من جهة اخرى من قبل دخول السفن البرتقالية فى المياه الصينية
بمدة طويلة وقد ذكر المستر اوبر هذه المادة واعتنى فى وجه الالتفات الى الدقة فيها بحيث لم يذكرها
احد غيره عندما كان رئيس قلم تحريرات فى ديوان نظارة الشركة الشرقية المصرية (?) واثبت بوجه قوى
حالة تجارة الحدود التى كانت جارية بين الصينيين والروسيين وفى القرن السادس عشر بينما كانت
هولندة جايل فى فكرها وخاطرها حصول تجارة مع الصين وانكلترة مجتهدة اجتهادا متزايدا
فيه فى نشرها الحصول على تجارة لها فى الشرق والبرتقاليون فى مشروعات كبيرة غير متحققين لها
فى تجارتهم مع الصينيين قام الروسيون فى هيئة محاربين على الحدود الصينية وتاجروا وسلاحهم
فى ايديهم رغما عما كان من صدور الاوامر من حكام الصينيين وامبراطورهم القاطعة بمنع المعاملة
مع الروسيين فقال المستر اوبر فى هذه المدة ان الروسيين فى نحو المدة الاخيرة من القرن
السادس عشر دخلوا من طريق سيبريا حتى وصلوا الحدود الصينية فقام الغضب والحنق فى وجوه
الصينيين من الاعمال الشديدة العنيفة التى حصلت لهم من جيرانهم المستجدين وشيدوا قلاعا و
معاقل وحصون من اجل حماية ثغورهم ووقع بينهم وبين الروسيين مناوشات ووقايع صغيرة
كان المنظور فيها وقوع حرب كبير ثم ان الروسيين تركوا هذه السياسة ولازموها فى شن
الغارات على الصينيين فى ذلك الوقت فكان لهم النصر تارة والهزيمة والخيبة اخرى حتى تعدوا الحدود
الصينية وشيدوا لانفسهم كرخانات وبيوت تجارة واخذوا من الاراضى على قدر ما فتحهم هذه
الكرخانات وضبطوها بقوة السلاح فكان الصينيون يغيرون على ضواحى المحلات الروسية ويرفعون
فى مبانيها ومزروعاتها الدمار والخراب الا ان هذه كانت نادرة الوقوع على الغارات التجارية

التجارية وكان الموسقوبيون يعاملون الصينيين بمثل هذه المعاملات فى الانتقام والبطش بهم وكانت
احوال الروسيين جارية مع التقدم والدخول فى الاراضى الصينية الى ان هاجت حروب وانواع هجوم
شديدة من الصينيين وارغموا الروسيين على تقوية محلات مراكزهم لتكون نقط وجهات مستقرة لحركات
الجيوش والعسكر الذى عكفهم اجراه فيما بعد وفى ظرف مدة كبيرة من القرن السابع عشر فى وقت ما كانت
التجارة البرتقالية اخذة فى الضعف والاضمحلال وكان للفلنكيين والانكليز مسابقات عدوانية فى
البحور الشرقية والبغضا والخلاف والمصايب متمكن بين هاتان الدولتان فى اوروبا كان الصينيون
والروسيون ملازمون على تجارات حروب مدمرة فى حدود اراضيهم ولازم الروسيون على شن
الغارات فى داخل الاراضى الصينية واصر الصينيون على المواظبة فى الغارة والهجوم على هولاء الاجلاف
الاشرار الى ان صار من الضرورى فى مبادى سنة ١٦٨٩ لامبراطور الصين عقد معاهدة حدودية
مع اخوه القيصر الروسى فعقد الروسيون هذه المعاهده وحازوا بواسطتها لانفسهم ساحة واسعة
من الارض التى كانوا تغلبوا عليها وادخلوا فى المعاهدة حقوق تجارتهم وتعين المندوبون المفوضون
من الدولتين وتقابلوا سوية فى الحدود واثبتوا حدود المملكتين فى نهر كوبكشى (?) على مسافة ثلاثمائة
فرسخ من السور الاكبر او السد الاكبر فكانت هذه اول معاهدة ما عقد قبلها الصينيون معاهدة
اخرى من ابتدا قيام مملكتهم وتاسيسها ورخصوا للروسيين فى حرية ارسالهم قافلة فى كل سنة الى
مدينة باكين عاصمة مملكتهم وكانت هذه العادة ممنوعة بالكلية مع غاية الاحتراس من دخول الامم
الغريبة فى المملكة الصينية وفى عاصمتها ومما يجب ملاحظته هنا ان التاتار ولو انهم قد تطبعوا بطبايع
الصينيين وعوايدهم فانهم ما استحسنوا قاعدة سياستهم ومن مقارنة الحالة التى عامل بها الامبراطور
الصينى الروسيين والفلنكيين فى نفس هذه المدة يتضح لمطالع تاريخ التقدمات الاوروباوية فى
اسيا الشرقية هذه الاعمال وذلك ان السفراء الفلنكيين الذين ارسلوا لامبراطور الصين فى سنة
١٦٥٥ بعد الميلاد كانوا احسن السفراء الاوروباوية الذين ما توجه مثلهم من قبل الى الديوان الصينى
وكان مع هولاء السفراء احزمة من التاتار ومن طرف امبراطور المغل الاكبر فى الهند ولما وصلوا باكين
فمن بعد خضوع وذل وتاخير فى انتظار طول الليل فى ديوان مفتوح لمحل الامبراطور لم يظهر صاحبه (?)
حتى ظهر فى صباح يوم من الايام ومن بعد ان استمر جالسا على تخته نحو من ربع ساعة صدر الامر العالى
لسفراء هولاء الملوك بالتوجه لان الامبراطور لم يسمح بالتكرم عليهم فى الكلام او المقابلة معهم واخذوهم
جميعا واحضروهم فى خزينة فى قاعة الاستقبال فتلقى كل واحد منهم مكتوب بواسطة ترجمان حضر اليهم
من الباب الوسطانى لقاعة الاستقبال فالزم السفرا على تلقى او تناول هذه المكاتيب وهم جاثون
على ركبهم وبهذا السبب ما حصل الرضى فى قبول حضور سفراء الفلنك بحضرة الامبراطور ابدا الا انهم
يسجدوا التسع سجدات وكانت هذه مرعية بانها من محل اداء الاحترامات اللازم اجراها للامبراطور
بخصوص الاقرار والاعتراف بانه السيد الاعظم للعالم السفلى وكان الفلنكيون على رغبة زايدة من عمل
اى عدد من السجدات حتى يمكنهم نشر الحصول على قدوم تجارة لهم فى الصين ومن ثم ساروا على راى امبراطور
الصين واستحسن حضورهم ومقابلتهم على شرط تقديم خراج كبير من مملكتهم فى نظير الاحتفال الذى عمل
لهم وفى نفس هذه السنة وصل سفير ايضا من طرف القيصر الى باكين فما قبل ان يسجد التسع سجدات
وقال ان القيصر سيده لم يكن اقل درجة من هذا الامبراطور وانه رعية القيصر ولا يمكنه ان يؤدى
احتراما لملك اخر خصوصا ملكه الفا للولى الشرعى فتولد من قوة راس سفير القيصر الرعب فى قلب
الامبراطور الصينى وما قبل مقابلته فلما استفهم السفير للسفر صدر امر من الامبراطور بمنعه من السفر
وان لا يخرج من باكين من دون ان يقابل الامبراطور فقامت الحدة والجسارة عند سفير القيصر
واعرض الى الامبراطور بواسطة حجابه ان القيصر سيده ابطل حقوق خضوع الذل والهوان من
رعاياه وانه لا ينبغى له ان يحنى ويكسر شرف سيده فتولد من جسارة السفير واصراره جزما
على ما كان فيه من عدم الخضوع والسجود للامبراطور ضعف فى قوة الشوكة والحدة التى كان عليها
الامبراطور الصينى واما الفلنكيون فانه وقع لهم تمام الضعف والهوان وخاب سعى القيصر ملكه
فيما يختص بامر التجارة وتقويتها واصلها والعساكر الموجودة على الحدود وبواسطة هذه المخابرات
عقد القيصر مع امبراطور الصين معاهدة مهمة كبيرة واما شروط المعاهدة هذه التى عقدها الا
مبراطور مع الروسيين والجواب الاخير الذى اعطاه للفلنكيين فكانت عبارة عن سطرين مختصرين
فى القول السياسى فى المعاملة معهم فى التجارة وكان الجواب هو النهائى هو

تمنح لمملكة هو لشدة الصحة والعافية وحسن السلامة بسبب ما هي عليه من اخلاص النية وحسن الطوية
في محبتها وخضوعها لذاتنا وارسلت لسدتنا العليه وشوكتنا القوية سفراء من طرفها من طريق البحر
الواسع من اجل تدفع لديواننا العالي خراجا معلوما فاستوفيا ولما حضورنا في عقبنا طول مسافة البحر
ومشاقه واخطاره عواصفه سمحنا لها قبلنا ولسانا بالحضور في ديواننا الشامخ كل ثماني سنوات مرة
من اجل دفع هذا الخراج ومن ثم واجبا على كافة عموم العالم ان يكونوا على دراية تامة من محبتنا
الزايده التي ليست تحت حصر ولا حد لهذه الامة الموجودة في اقصى جهات العالم
ثم انه بمقتضى تقرير قديم مقدم من لجنة من مجلس العوام البريطاني في شان التصديرات التجارية
من بريطانيا الكبرى الى الهند الشرقي ان السبب الكبير في وقوع الغيرة والخوف في قلوب الصينيين
من الامم الاوروباوية في وقت قربهم من طريق البحر نحو المملكة الصينية انه كان موجود نبأ شايع
بينهم من ان امة من الامم البعيدة بيض الوجوه كاملي الملبوس على ابدانهم لا بد انها في يوم من
الايام تفتح ارضهم وتتغلب على بلادهم فمن الامكان ان الروسيين ما كانوا مرعبين انهم امة
بعيدة من الامم البيض الوجوه الكاملة الملبوس بل امة من الامم البيض الوجوه المجاورة للمملكة
الصينية وما كان لها دخل في هذا النبأ ومهما كان من هذه الرواية فان الروايات الاخيرة في
شان المساعي والاجتهادات التي احدثها الفلمنكيون كانت نتايجها مخالفة بالكلية للمسلك
الذي سلك فيه الروسيون مع الجارة في التعدي على اغتصابهم الاراضي التي تغلبوا عليها من
الصينيين ومن ثم ذكر المستر اوبرن ما وقع من الفلمنكيين في مساعيهم الاخيرة فقال ان الفلمنكيين
فقدت حيلتهم وضعفت قوتهم ودهشوا بما حصل لهم من عدم النجاح في الديوان الصيني غير ان
خسارتهم طيوان في جزيرة فرموزة الزمتهم على ارسال مبعوثان اخران فكان الاول منهما في سنة ١٦٦١
يوحنا وان كامبين وقسطنطين نوبل الى والى اقليم فوكين في سنة ١٦٦٢ بعد الميلاد
ولهذا السبب تقدم والى فوكين والقايد الصيني صفايح من الفضة منقوش عليها اسماهم
والقابهم بالحروف الصينية بالذهب الى هولاء المندوبين الفلمنكيين وكانت هذه الصفايح
في صفة تذاكر مرور في داخل المملكة الصينية ثم اعقب هولاء المندوبين سفارة جليلة الى
الامبراطور كن-جي اوكنغي في سنة ١٦٦٤ وذلك انه صدر انتخاب اللورد بطرس وان
هورن المستشار الخصوصي والرئيس الحالي في الهند سفيرا وكانت حاشيته مؤلفة من واحد
مستشار للسفارة وواحد وكيل ورئيس استقبال وكاتب يد ووكيل دايرة وستة من وجوه
الناس وواحد جراح وستة رجال للخفر وطبلكان وواحد طباخ واذا مات هذا السفير
في طريق سفره كان نوبل هو الخليفة من بعده فكانت حالة استقبال هولاء السفراء
المهينة التي نظرها وزراء الصينيين اليهم هي تقريبا عين الحالة التي سبق ذكرها مع الذين
كانوا قبلهم من السفراء وما كانوا على نجاح في طلب مرغوبهم وفي سنة ١٦٩٣ ارسل
ايزبراندز ايديس سفيرا من ديوان القيصر الى باكين فقوبل مع غاية الاحتفال
في ديوان الامبراطور وما ادى هيئات الذلة والخضوع ورخص له بمقابلة الامبراطور في
الكال ودعى لتناول الطعام مع جلالة الامبراطور حتى ان الامبراطور المشار سل من اشتي
والغر ارسل للسفير من يده كاس شراب بسبب ان هذه كانت دلالة المعزة والمحبة عند التاتار
واسمهم وفي سنة ١٧١٢ ارسل سفير من طرف امبراطور الصين الى ا-يو-كي-خان خاقان
طورغوت التاتار على شواطي نهر ولغا في شمال بحر الخزر فكان ارسال هذه الارسالية
من باكين عارض مفيد جدا في تاريخ المواصلات بين اوروبا واسيا الشرقية لانه من
البديهي ما كان يعبأ الا قليلا بامر الرئيس التاتاري في ولغا وكان يعني بهذه الارسالية
الى الرئيس الكبير التاتاري وهو القيصر نفسه وكان الامبراطور الصيني عرف من مخابراته
شهرة بطرس وكانت شهرته وصيته في هذا الوقت سارت بها الركبان وحصل منها الانزعاج
في كافة اقطار اوروبا واسيا فخاف الملك السماوي من ان هذه الارسالية ربما يحصل منها
تاثير وعواقب وخيمة عند القيصر في الحالة التي كان ساعيا فيها في الاشتغال على كونه يجعله
خراجيا تحت يده فكانت الحجة في ارسال هولاء المبعوثين انه وصل واحد من طرف هذا
الرئيس وادى الاحترامات الى ابن الامبراطور وكان في زيارة الى لاسا المحل المقدس
في التبت ورأى انه من الضروري اعلان حمايته تحت حكومة باكين ثم ان رسل الامبراطور

الامبراطور نقشوا تعليمات بالكتابة وظهرت هذه التعليمات في سنة ١٨٢١ بواسطة اشتغال
ومعلومات السير جورج ستونطون واستدل من الاوامر التي كانت مشتملة عليها ان الامبراطور
الصيني كان على وجل شديد وخوف من جهة التعدي الروسي وكانت رغبة الكبس على القيصر في انه
لا فايدة في اي من العلاقات سياسية كانت او تجارية بين الدولتين وان تقول المبعوثون
للقيصر او لوزراه ان جلالة الامبراطور ليس على وفاق واعتبار تام من الاحوال المثابتة في
السلم القايم بين الدولتين من مدة طويلة ومن اجل ذلك يلزم سحب العساكر الروسية المستحفظة
في الحدود حتى دون حصول ادنى تردد او مشاورة او وقوع ادنى ارتباك وكان من جملة التعليمات
اللازم على المبعوثين عرضها تعليمات اخرى عمومية حيث ان روسيا لو تكلمت معكم في ان عندها
اسلحة نارية وان هذه الاسلحة مساعدة لها في اجرا تنفيذ طلباتها فاشرحوا لها طول الطريق
ووعرة الجبال ودقة القلاع والمعاقل التي تعبر منها وصعوبتها في اثناء المرور واذا وقع
من الكبس عليكم في توصيل الينا طلباتها فيكون الجواب منكم انه من حيث ارسلت ارسالية الى خاقان
طورغوت التاتار فتقدروا مع غاية الى طرفه على العرض لجلالته في طلباتكم وبما ان الروسيين
في نفس حروب ليست تحت طايل فانهم لا ريب يظهرون امامكم كثيرا من الاشيا المستحوذين عليها
فلا تورون لهم قبول ولا عجز ولا وهن وانه في كافة احوالكم يلزمكم التؤدة والفكر والرزانة
والسكينة والوقار ومن اكبر الواجبات عليكم الالتفات ودقة النظر لمسكان الاراضي الروسية
وموصولاتها الطبيعية والصناعية وهيئتها الجغرافية الظاهرية الطبيعية وشرح احوالها في مدة
سفركم واعترف الامبراطور لنفسه انه امبراطور الصين وملك عموم الدنيا ورمى بطرس في هيئة
ملك كبير او رئيس فاتضح من هذا ان جلالته السماوية كان قصده ومراده ان يجعل نفسه معروفا
ان زمام شوكة الدنيا وسيادتها مقصورة في قبضة يده ولما وصل المبعوثون الى طابولسك
او طوبولسك فابلغوا البرنس غاغارين وكان حاكم سيبيريا فاخبرهم ان القيصر في ميدان الحرب
في راس جيشه واكرمهم الحاكم غاغارين وامرا التاتار الخاضعين اكراما زايدا وعملوا لهم احتفالا
وموكبا بالعساكر الروسية وبشروا لهم خفرا كبيرا تحت حذفهم وفي سنة ١٧١٥ ارسل القيصر من طرفه
شخص اسمه لورنس لنغ سفيرا في ديوان باكين وكان استقباله في الديوان الصيني ما سبق له نظير
من الاحتفال والشرف وذلك لنغ رسالة ذكر فيها عموم الارتباطات والعلاقات التي كانت
جارية بين الصين وروسيا في ذلك العصر ودوام علاقات المحبة بين الدولتين ما سمحت الصدف
ان تكون هذه المودة موجودة بينها وبين امة اخرى من الامم فقال في رسالته ان التجار بالخصوص
الذين كانوا يتجرون مع الروسيين كانت على وجوههم دلالات كرم الامبراطور وسخاه فانه عندما
لم يكن لهم طاقة على دفع الديون المطلوبة منهم في الاجل المحدد للدفع كان الامبراطور يعفيهم
ويسدد عنهم الدفع بنقود من خزينته حتى انه لا يقع من احد منهم ادنى شكوى او اقامة دعوى
عليهم وفي سنة ١٧١٧ وهن حال التجارة وضعف امرها في باكين ووقف الاخذ والعطا حتى ان
تجار الروسيين ما وجدوا مخرجا لبضايعهم فصدر امر من الامبراطور الى رعاياه بالرخصة في التجارة
والبيع والشرا معهم من دون دفع العوايد والرسوم المعتادة وكان ذلك سببا في هذه السنة
في عجز عشرين الف اوقية من الفضة في خزينة الامبراطور ولما عاد لنغ الى الروسيا صحبه اثنان
من امرا الصينيين واثنان من امرا التاتار في هيئة سفرا الى القيصر الروسي وكان من طالع
بخت هذا الرجل الجليل ان زار باكين بعد رجعته بقليل في صفة كاتب يد سفارة اخرى جليلة
القدر في سنة ١٧١٩ وفي ٢٣ سبتمبره سنة ١٧٢٠ عندما دخلت هذه السفارة في الاراضي
الصينية صار اعضاها من هذا التاريخ ضيوف الامبراطور وصارت كافة مصروفات السفارة على
طرف الامبراطور ومن الغريب انا استحصلنا على حكاية هذه السفارة ونتايجها من تقرير رجل
انكليزي عرفنا منه في ذلك الوقت ما كانت عليه روسيا من شدة العزم في اكتسابها قدم سياسي
وتجاري في كل من اسيا الشرقية والغربية وتقوية سلطتها ونفوذها بدرجة وبمهارة تدبيرها
بحيث يحصل لها قوة كافية على تقديرها وجورها على ارض عبيدها واغتصابها واسترت روسيا مع
النشاط والعزم في هذا الشغل الى ان نضج واستوى في مدة سلطنة القيصر نيقولو وكان سببا
في قيام الامم بالسلاح على مطامع سنتبطرسبورغ وفي مدة المداولة التي حصلت في استقبال
هذه السفارة حصل الاتفاق في الديوان الصيني ان كل امة يجب استقبالها بالاحترامات اللازمة

هيئة ملكية ومفاحم وكانه الامبراطور ترك العوايد والرسوم الصينية وامر بعدم اجراها من طرف
السفراء الروسيين اما بسبب شدة نفور الناس منها او بسبب مجاورة الدولتان لبعضها وكانت
الاعمال السياسية في الديوان الصيني عدوانية في السر فتولد منها في الحال سفر السفير الروسي من
باكين وترك جنها وولنغ من صفة نايب للقيصر فحصل لجلالة الامبراطور من ذلك غضب شديد
وكل فرصة كانت تلوح لهذا النايب عند مقابلة الامبراطور يرى منه حالة الغضب ويتضح له من اعضاء
من الديوان ثم تولد عند وولنغ من الاساءة والغضب الذي صار عرضة له ان مقامه في باكين يؤول
منه عداوة وكراهة شديدة عند الديوان الامبراطوري والامة الصينية والمعاهدة التي كانت عقدت
في خصوص القافلة السنوية تنظر اليها الامة بعين الرداءة واخيرا ابطل امرها بواسطة الامبراطور
ودفع الخطف والبعض وحتى النهب من طرف الاهالي والحكام مع غض نظر الحكومة في ذلك والموادات
كانت عطيت نامية للتجار والحزم الذين كانوا مرتبين للسفير الروسي صرف النظر عنها وحتى المبالغ
المستحق دفعها ما دفعت واقام وولنغ في باكين في حالة احسن نوعًا من اسير مدة تنوف عن سنتين
ووصف ولم يراعي وولنغ الواجب عليه من اللياقة وقلة الادب في المعاملة سحب نفسه مع القافلة
الروسية السنوية وتوجه الى بلاده ومن بعدها ما قبلت الحكومة الصينية واخير غيره من بعده وصار
من المستحيل على الروسيا ان تنوب لنفسها شخص اخر من الامة الروسية او رجلا ذي عظمة وشهامة
زيادة عن الرجل الذي كان مجتهدا في ذلك الوقت على معاضدة مصالحها في الصين الا ان عظمة
وثبات ما قاد الروسيا بغاية مقدور عليها واعتبر الامبراطور والامة طول اقامته وكنه في
صفة جاسوس واستدعت نيران غضب الصينيين على قومه وعرض وولنغ على حكومته ان كافة
الاشغال في المستقبل تجارية كانت او غيرها يلزم نقلها على الحدود فمن ثم صارت اشغال
الروسيين على الحدود مقصورة في الانتقام والاخذ بالثار وفتحت المنازعات القديمة التي كان
حصل الفصل فيها بمعاهدة سنة ١٦٨٥ مرة اخرى واغتنم الروسيون لانفسهم بواسطة النهب
والسلب الذي وقع منهم في الاراضي والبلاد الصينية كل ما كان القوافل خسرته من منافعها وارباحها
التجارية او ما خسره سفيرهم من الشرف في باكين وفي سنة ١٧٢٧ بعد الميلاد عزمت القيصرة
كاترينة الاولى على تمام ما لم ينجح فيه بطرس وصممت رأيا ان تكون دار السفارة الروسية في باكين
مركز كنايسي صرفا في الظاهر وارسلت سفيرا فوق العادة من اجل المخابرة في عقد معاهدة
من اجل هذا الصدد وبما ان ذلك كان من الامور المحبوبة الصحوفة فاجيبت القيصرة فيما
رغبته وصارت السفارة الروسية مأوى لبعض قسس وطلبة من العوام في شأن تعليم اللسان
الصيني وتقررت شروط هذا في معاهدة سمية فبواسطة هذا المركز صار للحكومة الروسية طاقة
كافية في يسرها الحصول على معلومات دقيقة مضبوطة بكافة الاعمال العمومية الجارية في الديوان
الامبراطوري الصيني وعوايد واوامر ومنشورات الديوان الناشري وهيئة احالة العمومية للمملكة
وعقود اولاد الشمس والقمر على ظهور انفسهم للزايرين رسميا من الروسيين وبما ان هولاء المبعوثين
او الطلبة كان جاري استبدالهم كل سنة فاستحوذت الروسية على عدد وافر من الاشخاص المهذبين
الذين لهم دراية باللسان الصيني وعوايد الديوان الامبراطوري وغير ذلك من الاعمال والهيئات
ثم تولد من كثرة المنازعات والحروب في الحدود غضب شديد عند الصينيين حتى انهم اوقفوا
طرق معاملاتهم مع الروسيا ومنعوها بالكلية وصار في المركز الكنايسي الروسي في باكين
منازعات مثل منازعات الحدود وما بقي شيء سوى الخوف من فتح حرب مع الروسيا فسهيه الامبراطور
غيرها بما ان المعتقد ان الروسيا جاعلة عدم استمرار الصلح وسيلة في الحرب وفي سنة ١٨٠٦ وصلت
سفينتان روسيتان في مكاو خلافا للمعاهدات الموجودة القاضية بمنع التجارة الروسية من البحر
فاسمح لهاتين السفينتين بنزول بحريتها في البحر ونزول شيء من مشحوناتها وفي نفس هذه
السنة وصل سفير من الروسيا الى باكين من طريق السور الاكبر ومن ابتداء هذا التاريخ
ارتكن الروسيون على عبارات التعدي في الاستحواذ على الاراضي وجعلوها وسايط كبرى في
استحصالهم على فوايد ومنافع في الصين وفي حورنيا ونجحوا في ذلك اعظم النجاح ثم استحصلوا
ايضا في سنة ١٨٥٨ على معاهدة بواسطتها فتحوا تجارتهم في البحر على حسب القاعدة القديمة
الثابتة التي كانت جارية عند اقوى الامم البحرية وكانت الاحوال التي اجرتها الروسيا بشأن

بشأن هذه المنافع على التدريج جدا وكانت دسايس اعمالهم بعيدة عن الافكار في تلك الازمان
المدحية والان صارت الامم الغربية جميعها على دراية تامة من نتايج اعمالها الكبيرة الجارية في
اسيا الشرقية حتى ان مقاصدها في استحواذها على الهند الانكليزية ثم نقول ان المملكة البريطانية في
الهند وفي الشرق لا يمكن بشر المقصود على فهم موقعها ولا المنتظر منها او دراستها بالوحدة التاريخية
والمطروح السياسية ما لم يحصل فهم الموقع الحقيقي لمقصد الروسيا وشوكتها وهيئة قدرتها وهي الاستحواذ
استحواذها على سواحل او صنفي نهر امور وجودة الميناء والمرافي الواقعة على ساحل المحيط الباسيفيكي
والقلاع والمعاقل والحصون المنشية في طول الحد الصيني فانها في موقع عظيم الشوكة البأس الا انه من
الممكن تجعلها فيه وارتباكها بواسطة المملكة الصينية والامم الغربية من اوروبا الداخلة معها في عوايد
تجارية وفي الجهة المقابلة لذلك من اسيا من المعلوم ان الحدود الافغانية للهند البريطانية الموجودة
الان في حالة هدو وراحة يمكن في اي وقت من الاوقات وقوع قلاقل وارتباكات فيها بدسايس روسية
من طريق فارس فان هذه المملكة من جهة ارتباطها الديني والملي والمحلي بافغانستان واسيا
الوسطى يمكنها تقوية وحض عدة من القبايل المتوحشة واهل البأس من خيل وفرسان الجهات الواقعة
في طول خط الحدود الهندية البريطانية نعم ولو انه من المحقق انه بواسطة الحركات والاجراءات التي
تخص من العمارة البحرية والاساطيل البحرية والقوى العسكرية الانكليزية ممكن وقوع الفزع والخوف
والزلزال في فارس على الدوام الا انه من قبل وقوع مثل هذه الحركات لا بد من وقوع اخطار ومضار
مهولة ومع ما فيه فان فتوح الروسيا لمملكة فارس غير متيسر الان وقوعه ما دامت فرانسا وانكلتره
ناظرتان بانتباه من السياسة والحزم اتحادهما سوية في معاضدة فارس كما فعلتا في دوام بقاء المملكة
التركية فلو استحوذت روسيا على فارس الحالية فانه يمكنها تهديد الهند من سواحل البحر الاحمر ومن
الحدود الافغانية على الدوام ومن المحتمل انه لو هاج حرب بين انكلتره وروسية في شأن المملكة
الهندية الروسية وبتصرفها ربما تشتبك فيه عموم الدنيا مع بعضها ولقد ذكرنا في الكتاب السادس والعشرين
من الجزء الرابع المشتمل على تاريخ الروسيا ما فيه الكفاية فليراجع هناك من اراد الوقوف على تاريخ
الروسيا وفي ما ذكرناه هنا كفاية والله اعلم

مختصر القول على البرتغاليين والفلمنكيين في الجهات الهندية من سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد

من الذين عندهم همة وحماسة في مطالعة التواريخ من يحب دراستها
بالتفصيل والشرح الكافي حتى يكون له دراية وخبرة بدقايق الحوادث
والاخبار التاريخية من دون وجه اختصاري ومنهم من يحب مطالعتها
باقوال وجيزة وحكايات مختصرة غير مملة ولا مطولة فمن ثم ذكرنا فيما سبق شروح
مطولة في شأن الامم البرتغالية والفلمنكية في الجهات الشرقية الهندية والان وجب علينا ان
نذكر هنا وهو محل خاتمة هذا الباب ملخص القول على توطن الامم الاوروباوية في الجهات الهندية
من سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد الى سنة ١٧٠٠ فاقول وعلى الله التوكل والقبول ان المسلمين الذين
افتخروا في غزواتهم وحروبهم على الهند دخلوها من الجهة الشمالية الغربية والذين فتحوها من
المسيحيين اي عباد الاله المصلوب جاءوا اليها من البحر من الجهة الجنوبية وانه من عصر اسكندر الاكبر
المقدوني الى عصر واسكو داجمه البرتغالي ما كان لاوروبا معاملات مباشرة مع الشرق الا قليلا
جدا فجلبت اليها اخبار السياحين وارباب الاسفار حكايات وقصص تتعلق بشأن مملكة قوية
الشوكة ذات اموال وثروات وافرة لكن كان الوصول الى هذه المملكة من طريق البحر في عالم الرؤيا
وطريق الوصول اليها من البر صحاري شاسعة وقبايل همجية بربرية حربية حايلة بينها وبين اوروبا
نعم ان البنادقة ما حصل فيها عطل او توقيف بالكلية مع ابتداء ما حملته المداين الكبيرة الايطاليانية
الواقعة على البحر الابيض المتوسط وما جرت في الموانئ والمرافي الشرقية ثم اتفق في القرن الخامس
عشر ان وجود الهند عند الاوروباويين ارض وجدوها جديدا جذبت قلوب الامم اليها جذبا قويا
حتى قاموا من غفلتهم واستيقظوا بحركات دينية لما كانت العادة الجارية في ذلك الوقت وحرارة
وحدة في عمل استكشافات جديدة وسافر كريستوف كولمب في سنة ١٤٩٢ بعد الميلاد نحو الجهة
الغربية تحت حماية الاعلام الاسبانية في طلب الهند وراء المحيط الاطلنطيقي حاملا معه مكتوب
الى الخان الاكبر صاحب التاتار فوجد في سفرته امريقة بدل الهند

واسكو داجمه سنة ١٤٩٨

وفي سنة ١٤٩٨ بعد الميلاد سافر من لسبون عاصمة المملكة البرتغالية سفرة تحت قيادة واسكو داجمه

من بعد مضي خمس سنوات من سفر كريستوف كلمب وكان سفر واسكو دا جاما في الجهة المضادة للجهة التي سافر
فيها كريستوف كلمب فزورت هذه السفرة رأس عشم الخير واستقبلت امام مدينة كاليكوت في يوم
٢٠ مايو سنة ١٤٩٨ من بعد سفر لبث نحو احد عشر شهرا فلاقى واسكو دا جاما من ابتدأ استقباله امام
مدينة كاليكوت عداوة شديدة من المسلمين او العرب القاطنين في تلك الجهة بسبب انهم كانوا محتكرين
التجارة البحرية والبرية الا انه رأى الخير والمعروف في وجه الزاموري او الراجا الهندو صاحب كاليكوت
ومن بعد ان لبث شهورا ستة تقريبا على ساحل المليبار عاد الى اوروبا ومعه مكتوب من زاموري كاليكوت
الى ملك البرتغال يقول فيه ان واسكو دا جاما رجل شريف من آل بيتك زار مملكتي وسرني سرورا عظيما
ويوجد في مملكتي من القرفة والقرنفل والزنجبيل والفلفل والاحجار الكريمة ما ليس تحت حصر ولا عد
وانا اطلب من مملكتك ذهب وفضة وعقيق وقرمز   وفي سنة ١٥٠٢ استحصل ملك البرتغال
من البابا اسكندر السادس منشورا بابويا او امر مشتمل تقليده سيد الملاحة والفتوحات والتجارة
للحبشة والعرب وفارس والهند فسافر واسكو دا جاما في نفس هذه السنة مرة ثانية الى الهند مع اسطول
مؤلف من عشرين سفينة وعقد معاهدة مع راجا كوشين وراجا كانانور ضد زاموري كاليكوت
وسلط نيرانه من اسطوله على سرايته وفي سنة ١٥٠٣ سافر الفونسو البوقرق الكبير الى الشرق في
قيادة سفرة من سفرات ثلاث خرجت من البرتغال وفي سنة ١٥٠٥ ارسل ملك البرتغال اسطول
مؤلف من اثنين وعشرين شراعا وخمسة عشر الف نفس تحت قيادة فرنسسكو دو المايدة وكان
اول حاكم برتغالي وعامل في الهند من طرف ملك البرتغال وفي سنة ١٥٠٩ خلفه البوقرق في الحكم
فمد البوقرق صاحب النفوذ البرتغالي بالعريض في الجهات الهندية ولما خاب امله وسعيه في الغلبة
على مدينة كاليكوت اجتهد حتى تغلب في سنة ١٥١٠ على جوواه ومن ابتدأ هذا الوقت صارت
جوواه العاصمة البرتغالية في الهند ثم لف البوقرق حول جزيرة سيلان وتغلب على مدينة ملقه
باب الملاحة الى جزاير الارخبيل الهندي وفتح علاقات ومعاملات تجارية مع ملك سيام وجزاير
البهار او جزاير مولوقة ثم عاد الى الجهات الغربية حتى بعد ان دخل الخليج الفارسي والبواحر
عاد الى جوواه ليموت فيها فقط فمات فيها في سنة ١٥١٥ وفي سنة ١٥٢٤ عاد واسكو دا جاما الى
الشرق مرة ثالثة فمات ايضا في كوشين في سنة ١٥٢٧ ثم ان البرتغاليين تمتعوا مدة قرن
واحد بوجه الدقة اي من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٦٠٠ بعد الميلاد باحتكارهم تجارة الشرق الا انه
ما كان عندهم سياسة ولا تدبير في امورهم ولا صفة ذاتية ضرورية من اجل تأسيس مملكة في
الهند واوقعتهم خصالهم الذاتية القبيحة وسوء تدبيرهم في حروب ومصائب مع المسلمين في بلادهم
وما كانوا اهلا للتجارة بل كانوا قرصانا محاربين في الحروب وانهم كانوا في هيئة عساكر
الصليب الا انهم كانوا ينظرون لكل دين يخالف الدين المسيحي بان اهله اعداء للبرتغاليين و
للمسيح عيسى ونقول ان الذين لهم الطاقة والقدرة على مطالعة حكاياتهم العصرية المتعلقة بفتوحاتهم
هم الذين يمكنهم ان يعرفوا ما كان عليه البرتغاليين من الخزعبلات والخرافات والجور والظلم
التي سودت وجه صحايف تاريخهم في الهند وكان البوقرق وحده هو الرجل الغريب الذي اجتهد
في جذب محبة الوطنيين الى نفسه والعيشة مع الود والمحبة مع ملوك الهندو وامرائهم وبهذا تخلد
تذكاره عندهم حتى ان هندو جوواه ومسلميها كانوا يذهبون ويزورون قبره ويعرضون عليه
شكواهم ومضارهم كانه على قيد الحياة في سلطنة وشوكة ويدعون الله في خلاصهم من مظالم
خلفائه وجورهم   وفي سنة ١٥٨٠ بعد الميلاد انضم تاج البرتغال مع تاج اسبانيا تحت
سلطنة فيليب الثاني وكانت المصالح البرتغالية في الهند من هذا الوقت وصاعدا تابعة لمصالح
اسبانيا ومنافعها عايدة على منافع اسبانيا في اوروبا وفي سنة ١٦٤٠ انفصلت البرتغال
مرة ثانية من اسبانيا الا انه في اثناء هذه المدة ظهر الفلمنكيون والانكليز في البحور الشرقية
ومن قبل تسابق هاتان الدولتان في ميدان المنازعات انحطت او سقطت المملكة البرتغالية
في الجهات الهندية مع غاية السرعة كما قامت مع غاية السرعة وصارت الاملاك المستحوذ عليها البرتغا
ليون لحد الان وهي سنة ١٨٩٣ بعد الميلاد في الجهات الهندية هي جوواه ودامان وديو
وهي واقعة على الساحل الغربي للهندي ومجموع مسافتها من الارض مقدارها ١١٠٠ ميل مربع و
٥٥٠٠٠٠ نفس من السكان ويوجد ايضا في الهند الانكليزية ٥٠٠ نفس من البرتغاليين ليس
داخل فيهم الذرية المختلطة الدم وما ينوف عن ٣٠٠٠٠ نفس مختلطي الدم في بمبي و ٢٠٠٠٠
نفس من برتغاله في نواحي داكا وشيطاجون معروفون بالفرنجيز ولو انهم متمسكون بالديانة

الحكام الاوليين البرتغالية

مظالم البرتغاليين وجورهم في الهند

سقوط البرتغاليين في الهند

الاملاك البرتغالية في الهند

بالديانة الرومانية الكاثوليكية والاسماء الاوروباوية الا انهم لا يمتازون في اللون والعوايد
واللغة وهيئة المعيشة من الوطنيين الاصليين للبلاد القاطنين في بحيثية واحدة معهم
الفلمنكيون هم اول امة اوروباوية سلبت من البرتغاليين احتكار التجارة وجعلتها في قبضة
ايدي اهلها وذلك انه في ظرف القرن السادس عشر كانت كل من مداين براغ وانطويرب وامستردام
اسواق تجارة كبيرة في الوقت الذي جلب فيه البرتغاليون المحصولات الهندية وكانوا يوزعونها الى اراضي
جرمانيا وحتى الى انكلترة ثم ان الفلمنكيون ابتعوا في اسفارهم في مبادي امرهم الاثر الذي اتخذه
الانكليز واجتهدوا في ان يجدوا لانفسهم طريق يوصلهم الى الهند بسفرهم حول السواحل الشمالية من
قارتي اوروبا واسيا وكان غيليوم بارنتس المشهور قايد ثلاث سفرات من سفرات البحر المنجمد الشمالي
وهلك في اخر سفرة ثم ان اول رجل فلمنكي دور ولف رأس عشم الخير كان كورنوليوس هوتمان وصل
جزيرة سومطره وبنتام في سنة ١٥٩٦ واسرعت الشركات المخصوصة من اجل التجارة مع الشرق في
التشكيل في كثير من جهات الوقايع المتحدة ثم دخلت جميعها في سنة ١٦٠٢ في جامعة واحدة على موجب نص
قرار من مجلس عموم الاقاليم واطلق عليها اسم الشركة الهندية الشرقية الفلمنكية وفي سنة ١٦١٩ وضع
الفلمنكيون اساس مدينة بتاويه في جزيرة جاوه وجعلوها مركزا للحكومة التنفيذية السايدة على املاكهم
في الهند الشرقي وكان لهم بيت تجارة قديم في جزيرة امبوينه وفي اخر هذا الوقت كشف الفلمنكيون
سواحل اوستراليا واسسوا في امريقة الشمالية مدينة امستردام الجديدة المعروفة الان باسم يورك الجديدة
او نيويورك وفي مدة القرن السابع عشر كانت الشوكة البحرية للفلمنكيين اول شوكة في عموم الدنيا فتولد
من حصول خديعة اوقعوها على الانكليز في جزيرة امبوينه في سنة ١٦٢٣ كما ذكرنا في الشرح الزام
الشركة الانكليزية على الخروج من الارخبيل الشرقي الى القارة الهندية وكان ذلك اصلا لتأسيس المملكة
البريطانية في الهند الشرقي واستمرت الحروب الطويلة البحرية والوقايع المسفكة الدموية بين الانكليز
والفلمنكيين في البحور الاصلية الشرقية وما انتهى امرها حتى جمع غيليوم اورنج (راجع تاريخ الانكليز)
المملكتان في حزمة واحدة في سنة ١٦٨٩ وكان حكم الفلمنكيون في الارخبيل الشرقي من دون منازع
ولا عدو وطردوا البرتغاليين شيا فشيا من كافة اراضيهم التي كانت تحت ايديهم وفي سنة ١٦٣٥ اخذوا
جزيرة فرموزه وفي سنة ١٦٤٠ تغلبوا على ملقه وكانت ضربة معرفة شديدة ما شفي منها البرتغاليون
ابدا وفي سنة ١٦٤٧ تاجروا في جهة سدرا على نهر بالار وفي سنة ١٦٥١ اسسوا مستعمرة في
رأس عشم الخير في منتصف طريق اسفارهم الى الشرق وفي سنة ١٦٥٢ بنوا اول كرخاناتهم و بيوت
تجاراتهم في باليكولو على ساحل مدراس وفي سنة ١٦٥٨ تغلبوا على مدينة جافنا [illegible] في الطرف
الشمالية من جزيرة سيلان وكانت اخر معقل للبرتغاليين وفي سنة ١٦٦٦ سلبوا من البرتغاليين
كافة مستعمراتهم الموجودة على ساحل المليبار وفي سنة ١٦٦٩ طردوا البرتغاليين من مدينة سان
توحي ومن مملكة مكسر في جزيرة سليبيس ثم تغافلوا من بعد ذلك عن اعمالهم وهبطوا في حركاتهم
واشتغلوا فقط بالتجارة حتى غلب الانكليز على املاكهم كما سنذكره في هذا الباب الاتي والله اعلم
٣٤ اغسطوس سنة ١٨٩٣ بعد الميلاد الموافق ٢٣ ربيع اول سنة ١٣١١ من الهجرة مؤلفه محمد

الفلمنكيون في الهند

الباب الرابع

عصر الانكليز والفرنساوية في الشرق

الفصل الاول

الاسفار والمنازل الاولية الانكليزية

من ابتداء شروق شمس المشروعات والمخاطرات في الاعمال البحرية في بريطانيا توجه العزم والهمة نحو التجارة الهندية ووقع جذب في القلوب اليها وكان هو المقصد الاكبر من هذه المشروعات والمنبع الرئيسي لحصول الاموال والثروات ولا شك ان الدخول في مثل هذا المشروع الذي تشكل في العقول بارتباط مع حيثية شديدة كان في درجة كبيرة من الغرور وطمع النفس لان حالة الاقتصاد السياسي برهنت واثبتت ان الاعتناء بالزراعة وحسن العمل في الصنايع والمعمولات هو مفتاح باب منابع فلاح ونجاح وافر عن الاشتغال بتجارة مهما كانت اوصافها كما وان التجارة في داخل بلد الانسان ووطنه لو حصل الاعتناء فيها والمداومة عليها كان فيها الربح والفايدة زيادة من تجارة في جهات غريبة وان ارتباط المعاملات وحسن العلاقات بين الممالك المجاورة في القرب لبعضها في الاخذ والعطاء لها درجة عالية في القيمة والاعتبار زيادة عما اذا كانت جارية مع اقاليم وممالك قاصية بعيدة جدا وحينئذ لا يكون في تجارة اسواقها في الطرف المقابل من الكرة سوى زيادة رؤس اموال تجارة الملة الغنية من قبل ومع ما كان من حسن هذا البرهان فانه كان يوجد حالة في هذه المادة الاولية للتجارة اخفت نورها وبرق لمعانها في خصوص التجارة مع الهند بسبب ما كان يوجد في اسواقها من اصناف المواد الظريفة الغالية الصنعة التي لا يمكن بشر الحصول على نظيرها في الجهات القريبة وخلافها اصناف الالماس واللآلي والجواهر النفيسة الثمينة وانواع البهارات القطنية واصناف العطريات ذات الروايح والمشمومات النفيسة وكان المنوال الكبير الذي سارت مع حسبه الاعمال والحظوظ الكبيرة التي صار اتخاذها فيه صفة كبيرة وحالة خطيرة ليست من الاعمال الصغيرة التي اقترت لها محلا في داخل حدود اوروبا حتى وان الاقاليم القاصية الخفية التي تكون ميدانا لهذه المعاملات والمجازفة في الوصول اليها وعدم التحقق من الوصول الاعلام كانه الجذب المؤثر نحو الوصول اليها في درجة عالية واجتمع الناس في جامعة واحدة من اجل القيام بهذه المشروعات الخطرة وجازفوا بانفسهم في ذلك العصر الاولى الى ان وصلوا الى ما كانوا عليه من التخيلات والاوهام في تجارة الهند في تلك الايام

ومما يستحق ذكره هنا وملاحظته مع الدقة انه وجد بعض تدوينات تختص بسفرة من انكلترة الى الهند في مدة زمن قديم جدا وهو ان هناك مخطوط نقل عبارات من تسجيلات مختلفة عن غليوم ملمسبري اثبت فيها ان الملك الفريد ارسل في سنة ٨٨٣ بعد الميلاد سيغلموس اسقف شيربرن الى الشرق من اجل تقديم هدية الى مزار سنت توماس وقال انه من السعادة ان الاسقف ادى هذه الرسالة وتمم سفرته وعاد محملا بالجواهر واصناف الروايح الغالية محصولة ارض ذلك الاقليم المشهور وذكر ايضا انه في الوقت الذي كتبت فيه هذه التسجيلات كان ما زال موجودا بعض هذه الامتعة محفوظة في كنيسة شيربرن وهنا نظرا بسبب دقة الملاحظة فيه وهو انه يصعب علينا من مثل هذه العبارة الركيكة ان نحكم بان هذه الزيارة القاصية امكن في ذلك العصر اداها في الحقيقة ام لا غير انه من دون ان نرفض اسنادها بالكلية يمكن الظن بان الاسقف وصل الى الجهات الشرقية من سواحل البحر الابيض المتوسط التي كانت ترد اليها البضايع الهندية بوفرة على الدوام بواسطة ترع او خلجان او بما كان ثم كان عصر سلطنة ادوارد الرابع وبالخصوص عصر سلطنة الملكة اليزابث مبدأ للتاريخ التي اخذت فيه الاعمال التجارية والمشروعات البحرية في انكلترة حركة قوية مؤثرة منتجة نتايج اجلال ما كان له في السابق من نظير ومن قبل هذه المدة كانت بريطانيا ذات درجة في صناعة المنسوجات بواسطة ما دخل في ارضها من اهل فلندره وفي

وفي اللوحة بواسطة الايطاليانيين وزادت بواسطة الاسبانيين والبرتقاليين ولما صار الاسبانيين والبرتقاليين الد اعداها نظرت اليهم بعين الحزن والاسف والذل وشاهدت ما اكتسبوه من جليل الفخر مما حصل لهم من كشفهم طريق الى الشرق ودنيا جديدة في الغرب وما لهم في ذلك من عدو ولا منازع واستحوذوا تقريبا على كافة امر الاستكشافات والمواطن والمنازل واستعدوا لحمايتها بقوة قوية وطريقة شديدة عنيفة مع كل من يحصل منه سعي او عزم في الغارة عليها ومن ثم ما كان منظور للامة الانكليزية عند ما نظروا في الاعمال التي طمعوا في الدخول فيها سوى بلوغهم المهالك والخسارة من سفر طويل الشقة فقط بل ومقاومة شديدة مع فعل مؤثر مع الدولتان القويتان البأس اللتان في هذا الوقت يدعيان استحواذهما على الاوقيانوس فما حصل من الامة الانكليزية امتناع او تعطيل او توقيف من قبل هذه الاعتبارات ولا انحرفت همة وحرارة الاستكشافات البحرية في هيئة تجار يسلكون فيها مسلك الاحتراز والشح في اعمالهم بل وكان للامراء ورجال البأس وشجعان العصر وفرسانه نصيب فيها وقام في مدة سلطنة اليزابث وتحت كنف رعايتها جمعية مفتخرة باهرة مؤلفة من عظماء رجال الوقت ما تزين التاريخ الانكليزي بشرح من قبل وشرعت هذه الجمعية في الهمة والاجتهاد في الوصول الى الهند من طريق جديد ما وقع الكشف عليه من البرتقاليين ولا لهم فيه وقوع من كل منازعات مع هولاء الاعداء شديدي البأس فكان اول اجتهاد حصل من هذه الجمعية في الجانب الشمالي من اسيا وكان مثل اجتهاد الفلمنكيين في عصرهم الاول مؤسس على غير دراية ومعلومية بكل من الامتداد الكبير لقارة اسيا وخفر سواحلها وشدة برودتها فكان استعداد هذه السفرة بمعرفة شركة مؤلفة من تجار اهل جرأة وجسارة وعهدوا قيادتها الى الشجاع في اعماله هيو ويلوغبي وكانت مؤلفة من ثلاث سفن عظيمة التنظيم فلاقت هذه السفرة اشق الاهوال والاخطار ومن الرياح والعواصف على حل لابلند في الجهة الشمالية الغربية مما يلي الروسية الان فهلك هو وبحريته من شدة الجوع والصقيع في مدة فصل الشتاء ونجى ريشارد وكيلنسلور مع سفينة من السفن ودخل في البحر الابيض ووصل الى مدينة موسكو او موسقو وفتح مخابرة مع الديوان الروسي وكان غير معروف في ذلك الوقت عند اهل اوروبا الغربية فعلم لم يحصل التوفيق والنجاح طويلا المجازفين في اجتهادهم جملة مرات على كشف طريق يوصل الى الهند في خطوط هذه العروض العالية اخذوا فكرهم ورايهم على فتح طريق معاملة مع الهند قاطعة لمملكتي روسيا وفارس فصرفوا اموالا واجتهدوا اجتهادات كبيرة جاءت على غير طايل في هذا المشروع الصعب البلوغ ودخل الكثير منهم وكلاهم في ارض فارس من طريق بحر الخزر الى ان وصلوا بخارا عاصمة التاتار المستقلة واخيرا راوا انه لا يمكن بشر الحصول من البضايع على مكاسب وفوايد تفي بمصاريف هذا اللف الطويل الدورة سواء كان من طريق البحر او من طريق البر خلاف المصاعب والمشاق التي تحيق بهم وبالمبعوثين بها من اراضي مسكونة باامم وحشية همجية وحتى لو امكن جمعها مع النجاح من الطريق المستقيم المار من فارس وسوريا الى حلب ومن ثم كان العزم الثاني كشف طريق من الجهة الشمالية الغربية باللف والدوران حول سواحل البحر المتجمد الشمالي لامريقة وكان التصور الاول في قارة امريقة في ذلك الوقت انها تنتهي في درجة عرض عالية بنقطة او راس الى العبر الذي يمكن للبحرية منه الدخول في البحر الجنوبي وتسير في مجرى مستقيم الى ان تصل الى السواحل الغنية للهند واسيا الشرقية وكانت المساعي والهمة والجسارة الشهيرة موجهة في هذا المشروع ودخل فيه اجل مشهوري البحرية كابوت وفروبيشر وداويس وهودسون على التعاقب واشتهرت طرق اعمالهم جارية السير فيها الى اليوم فلولا انه كانت مشروعات جليلة بما ظهر فيها من الشجاعة والفروسية وكشفوا بها سواحل مسكونة بالهمج فان كل تعب وكد خاب في هذه المشروعات في يسر الحصول على وجود طريق يوصل الى الهند من هذه الجهة ولما خابت كافة المساعي والاجتهادات المتوالية في الوصول الى الهند من الاطراف الشمالية للقارات الكبيرة او بالسفر من طريق البر توجه عزم الامة الانكليزية في اخر الامر نحو العبور الى الهند من طريق راس الرجاء الخير مع انه لا يمكن الحصول على ادنى فايدة الان هذه الجهة وكان الحق الشرعي المانع للملاحة في هذا الخط البحري مدعى باحقيته فيليب الثاني وكان في هذا الوقت خلف التخت في صفة ملك البرتقال وكان يزعم هذا تحت قوانين شرعية مرعية بان له الحق في الاستكشافات القاصية على مقتضى نص المنشور البابوي الصادر لمملكة البرتقال من البابا اسكندر السادس في سنة ١٥٠٢ بعد الميلاد ومن فات الحكومة الانكليزية من كونها تجلب على نفسها حربا هنا مع اكبر ملوك العصر في ذلك الوقت مع نظرها بان السفن غير المسلحة التابعة لها لا بد لها من المرور بالقرب من سواحل البرتقال ومن مستعمراتها العديدة الواقعة على سواحل افريقة والهند وتكون هذه السفن عرضة للسفن البرتقالية الذاهبة والايبة على الدوام ولا توقف تجارتها مع ... عداها

وكان دعى هو العزم والاحتراز الذي اتخذته الحكومة الانكليزية حتى انها لا تقطع في مشاكل كبيرة كانت او
صغيرة مع فيليب الثاني واما الامة فانها عولت على التدريج على انها حق السفر والملاحة في الطريق
الكبير المعد لكل الامم فوق البحر وما كان وجود التجارة ومهما طلبت رغما عما فيه اهم بحيث جزيرة اسبانيا
من التجار القوى ومستعدة في تنفيذ مقصول اغراضها حتى انه من قبل سفر واسكو داجما من لشبون الى
الهند بخمسة شهور استعد عدة سفن بمعرفة تجار الانكليز للسفر في هذا الصدد واضاف المؤلف هذى
التابع سفنتان الى هذه العمارة وعهد قيادة الكل الى العيني المشهور جوتي عنوان المعروف باسم يوحنا
كابوت فلما وصل كابوت في سفرته الى درجة ٦٧ من درجات العرض الشمالي قامت عليه بحريته
ثورة فوق ظهر اسطوله فالتزم على الرجوع في اتجاه جنوبي واخيرا وصل الى سواحل جزيرة نيوفاوند
لند (اى الارض الموجودة حديثا) وسواحل القارة الامريقانية واخذت معلومات ملاحي الانكليز في ازدياد
الاتساع وابتدات مملكتهم في القيام الى اول درجة بين الامم البحرية الموجودة في ذلك العصر وقد فتحت
لهم طريق غرور جديدة نفسها بحيث يستحيل على الاشداء اعداهم اخراجهم منها وكان السبب في ظهور هذا
الطريق الجديد ان القبودان فرنسيس دراق له الشرف الاكبر في فتح التجارة الانكليزية في الشرق فانه اضعف
شوكة الامم بحيث جزيرة اسبانيا كان اكتسب نفسه شهرة كبيرة الاسم في المحيط الغربي وفي امريقيا فدلته الجرأة
والغيرة في طلب البحث على الدخول في البحر الاوقيانوس الجنوبي فاعد في سنة ١٥٧٧ سفرة على مصاريف
نفسه من الاموال التي كان حازها في اسفاره الاولية وانشأ خمس سفن اكبرها لا تزيد حمولتها عن مائة
طولوناته واصغرها حمولة ١٢ طولوناتة من عالم وصلب حاله وطعمها وطقمها كاملا وشحنها بالامتعة
والبضايع الغالية الثمن من اصناف المشغولات الانكليزية وحتى اخذ معه طقم موسيقة واعد كل
شي يبهر به اعين وعقول اهل الاقاليم والجهات غير المعروفة المنظور اكتشافها وزيارتها ويجذب
بهذه المشغولات والبضايع محبة قلوبهم واستغرابهم من الاشغال النفيسة الجارية في انكلتره
حتى يكون لهم تعلق قلبي بربط علاقات تجارية معها وسافر دراق من مينة بليموث في ١٣
ديسمبره سنة ١٥٧٧ وفي شهر اغسطوس من السنة التالية تم عبوره من بوغاز ماجلان
ثم طاف بضع شهور في طول ساحل الغربي لامريقة الاسبانية وحاز في مدة سفرته اموال
لها قيمة ولما استحوذ على هذه الثروة الكبيرة عزم على العود الى بلده ولم يبق معه من اسطوله
الا سفينة واحدة من المجرى الشمالي الغربي فاقلع بسفينة الى ساحل كاليفورنيا وادعى انه هو
الذي كشفها وسماها البيون الجديدة ولما راى ان الطريق الذي عزم على السفر منه لا يمكن الرواح
تحول على عبوره الاوقيانوس الجنوبي الباسيفيكي والتوجه الى اوروبا من طريق جزاير ملوقة
فسافر دوغريا قاطعا الاوقيانوس وما وقف برهة من الزمن في سيره حتى وصل بين
جزاير البهار (ملوقة) وكانت محصولاتها وتصديراتها الغالية في ذلك الوقت مطلب الارباح
والفوائد من الغرب فاستقبل ملك طرناط هذا الملاح الانكليزي بحسن النية وخلوص الطوية
وصدق الصحبة وكان هذا الملك في ذلك الوقت في حالة عدوانية كبيرة مع البرتقاليين فكان دراق
اول من احل معه بتجارة كبيرة من الهند واول من اوسع نطاقها في انكلتره مع الهند من ابتدا هذا
الوقت ثم سار في طول ساحل جزيرة جاوه وسلك في مجراه الى راس عشم الخير من دون ان يجفاى
قطعة من قطع القارة الاسياوية واخذ مطلوبه من المونة والذخيرة من سياره ليوناده ووصل
مينة بليموث في ٢٦ سبتمبره سنة ١٥٨٠ من بعد سفرة لبث فيها سنتان وعشرة شهور فاستقبله
اهل بلاده مع غاية الشوق والفرح وهنوه بما حصل له من النجاح في اسفاره وكان سببا في تشييد
الفخر الجلي لفن الملاحة في انكلتره واسرع تجار لوندره في تقديم رسوم الاحترامات اليه ونظر اليه اهل
بلاده بعين المحبة والاحترام الوافر وديوان الحكومة سكت وما سئل عن اعماله وخدماته فتضرع مورخي
العصر وزعموا في حكومة الوقت بسبب سكوتها وتهاونها في عدم مكافية هذا البحري الناجح الذي
ادى لمملكته هذه الخدمات الجليلة وكانت البواعث السياسية التي قوت الملكة اليزابث ووزراها
على السكوت والصمت في هذه المادة موافقة للعقل واصابة الراي لان افكار العثمانيين ان دراق في
الاول وفي الاخر كانت مخصوصة بالاعمال التي تعترف بها الحكومات وتعطي عليها المكافيات وما كانت
سفنه مخصوصة باشغال الامة الواجب عليها ان تكافيه على ما اداه لها من الخدمات ولو ان الملكة
كانت محبوبة في كافة ممالكها بتدبيرها واعمالها الا انها كانت ايضا على غاية من الحذر حتى لا ينظر
اليها احد بعين الازدراء في شي تجربه ليس من القوانين السياسية ومع هذا فانها غلبت على ما كانت
عليه من الاحتراز والفكر البعيد وزارته على ظهر سفينة واحسنت عليه برتبة الشرف وهي اكبر رتبة

رتبة عالية في الشرف كانت في ذلك الوقت وكان نجاح وفلاح الاعمال التي اجراها فرنسيس دراق سببا
في تشجيع اخرين من قواد السفن في السير على اثاره ومن هولاء توماس كونديش امير صاحب املاك
وعقارات واسعة في نواحي سوفولك فانه من بعدما اتم علم البحرية تحت استاذية ريشارد غرانفيل
عزم على بيع املاكه وعقاراته وصرف اثمانها في سياحته الى الاوقيانوس الجنوبي واللف والدوران
حول المعمورة وسافر من بليموث في ٢١ يوليه سنة ١٥٨٦ فوصل في بداية السنة التالية الساحل
الغربي من امريقة الجنوبية وحاز اموالا لها قيمة ومن هذا الساحل عبر الاوقيانوس الجنوبي ووصل
جزيرة جاقان احدى مجموع الجزاير الذي سماها الاسبانيين باسم لادرونه ثم مر من بين جزاير
فيلبين وشاهد سعتها وخصوبتها مع الاستغراب ودخل في مخابرات مع الوطنيين واظهروا الرأي
فاصلا في ترجيحهم الانكليز عن الاسبانيين المحتلين هذه الجزاير ثم اقلع من بعد ذلك بين جزاير ملوقة
وفي طول سواحل جزاير فلوريس وسمباوه وفتح مخابرة ودية مع واحد من ملوك جاوه ثم
سار على اثر دراق فوصل انكلتره وفي شهر سبتمبره سنة ١٥٨٨ لعبر الميلاد من طريق راس عشم الخير
ثم كانت البضايع التي جلبها فرنسيس دراق معه عند عوده من سفرته سببا في هياج كثرة الاستغراب
وادخال السرور على كل من تجار واهل لوندره وكانت الحكايات جارية ومخاطراته في اسفاره ودفع في القلوب
لانه في اثنا ما كان في جزيرة طرناط من جزاير البهارات (ملوقه) وجد ملكها مشغول في حرب مع
ملك جزيرة طيدور بالقرب منها فكانت عدة القبودان الانكليزي لملك طرناط طيبا في انفصال
امر الحرب فشكره الملك على هذه الاعانة وقدم له كلما يمكن ادخاله في سفينة من القرنفل المتحصل
من مملكته على طرف الملك فشحن دراق شحنة عالية جانت بفوايد ومكاسب جم في انكلتره خصوصا
الوقوف على معرفة الاحوال التي يتيسر بها الحصول على هذا الصنف ومن ثم ما اكتسب دراق الشهرة
الكبيرة في انه اول ملاح دار ولف حول المعمورة واحسن على مملكته بفخر هذا الكشف فقط بل وفتح
طريق علاقات تجارية مباشرة بين انكلتره والشرق ومن تمام نجاح هذه السفرة ثبت وتاكد
بالفعل تمام وصول اي تجارة من طريق البحر مباشرة الى اي جهة من جهات الشرق الا انه يلزم لذلك
راس مال كبير لعدم دخول في هذا الشغل الصعب على تاجر واحد يختص به فكان الرأي في تمام هذا
الشغل استعدادات عمارات بحرية او اسفار سلامية خطافية ولا يكون بواسطة تجار من رجال اهل هذه
وسلم بحيوث نقل بضايعهم خلف البحور الشرقية وكانت نتيجة هذا الرأي سببا في تحقيق همة تجار الانكليز
واحتياط قوة نشاطهم ومع ذلك فان براعة الملاحة في التجارة واسفار البحر ما زالت كانت في حركة
هائجة شديدة وحصلت المداولة في عدة اراء مختلفة واجرات مباينة وسافر بعض الناس في هذا
الصدد من طريق البر وشرع عدة من التجار في فتح تجارة مع طريق خليج فارس واتفقوا على ارسال
وكلائهم من طريق البحر الى سوريا ويتوجهون منه الى خليج فارس من طريق حلب وبغداد حتى يصلوا
الى جزيرة هرمز ومنها ينزلون في الخليج الفارسي الى ساحل المليبار ونفذوا في هذا العزم بحكايات
واقوال كانت وردت الى لوندره من شخص اسمه اصطفان وصف الحكيم كوك طيلور في قوله ان
القبودان اصطفان سافر من انكلتره الى الهند من طريق راس عشم الخير وارسل تقريرا يتضمن مشروع
تجاري انكليزي وقال اخر حقوق كوك ان اصطفان سافر من انكلتره في سفينة برتقالية الى جوواه
وانضم فيها الى طايفة الجزويت وكان من طلبة المدرسة الجديدة في اوكسفورد ومن ضمن الذين احرزوا
العلوم فتمكنت الاحساسات الدينية فيه وطلب رؤية المحل المشهور الذي شيده الجزويت في جوواه
فلما وصل كتب مكتوبا من جوواه الى انكلتره يصف فيه خصوبة الاقليم الواقعة فيه تلك المدينة و
ازدحام الاشغال التجارية فيها والحركة التامة الموجودة عليها مينتها البحرية لدخول مراكب وسفن كل
جهة فيها ووصف حالة سفره وقيل انه من قبل ارسال اخباره الى انكلتره تقابل مع واحد من وكلا
شركة تجارية روسية كانت في رسالة الى الهند وكان انكليزي المولد سافر في نهر والغا بسبب حران ومن
طريق بحر الخزر وفارس الى الهندوستان فاخبر اصطفان بما رآه من ثروة الهند وغناها ومكاسب
اشغال التجارة فيها وصمم اصطفان على نشر هذه الاخبار في بلاده بمجرد عوده اليها فقرأ كل انسان
شرح كتابه واشتاقت الامة الانكليزية وهاجت فيها حرارة العزم في اكتسابها قدم تجارة تحت ظل
ورعاية الامبراطورات المغولية في الهندوستان وابتدأ ورود الاخبار الى لوندره من اخرين من
السياحين فشغف لرؤية هذه الجهات اربعة اشخاص يتوجهون وينظرون ما يقدروا على نظره ورؤيته
واحد منهم اسمه اسطوري مكث راهبا بين البرتقاليين في جوواه واخر اسمه نيوبري ومعه

في طريق رجعته الى بلاده وثالث اسمه ليدى اختار الدخول في خدمة الامبراطور اكبر وما رجع
الى بلاده الا الرابع منهم المدعو فيتش وكان يوحنا نيوبري ورالف فيتش كبار هذه السفرة
محمولين من الملكة اليزابث مكتوبان الاول منهما للامبراطور المغولي اكبر بعنوان جلال الدين اكبر ملك
كامبايا يتوسل فيه اليه بالخاطر الرأفة والمينة في مصالح العمومية لرجال جاؤا اليه من جهة قاصية
من اطراف المعمورة في طلب التجارة في بلاده وممالكه ووعد بحسن الالتفات والنظر والحمية ايضا الى عدد
لكل من يأتي من رعاياه الى بلادها وممالكها والمكتوب الثاني لملك الصين مشتمل على عين هذه الحكاية
وسافر هؤلاء المبعوثون في مبادي سنة ١٥٨٣ فكانت مكاتيب نيوبري من حلب وبغداد جميعها
مخصوصة تقريبا بحكايات الاشغال التجارية وما حصل له ادنى سرور من اشغال التجارة في بغداد وقال
ان بيع البضائع فيها بطي الحركة جدا مع شدة الصعوبة ولو كان معه نقود كافية فانه كان يمكنه بيسر
الحصول على اصناف تحايف وبهارات بمقادير وافرة وباثمان موافقة في السعر والقيمة ثم سافر من
بغداد الى البصرة من دون ان يجني ادنى ثمرة من فائدة ثم منها توجه الى هرمز ودخل في اشغاله التجارية
فيها من دون معارضة فلبث هذه الحالة العظيمة مدة اسبوعا ومن بعد مضي الاسبوع قام عليه عدو
له تاجر ايطاليانى اسمه ميخائيل إسطروبن حصلت له من غيرة وحسد في التجارة وكان ميخائيل المذكور
على مكاسب جمة وادعى على نيوبري وصاحبه فيتش بدعوى باطل فوقع القبض على الاثنين واودعا
في السجن فكتب نيوبري من شدة الخوف وهو في السجن مكتوبا الى عموه في البصره يقول يمكن انهم
يقطعوا رقابنا او يودعونا في السجن امدا طويلا والله يفعل مايريد ومع هذا فانهما ما بقيا في
السجن مدة طويلة بل ارسلوهما سريعا الى جاوه جوواه وبمجرد وصولهما اليها مابعد سفر صعب تعب
وجدا انفسهما ايضا في سجن ولما اقيمت مسئلة التخفيف عليهما رسميا ماظهر عليهما شي سوى الحذاقة
في امور التجارة فاحتجوا عليهما وجعلوهما تحت مسئولية مسئلة كانت وقتئذ بمعرفة العقيدة وان قسيس
دراق حضوصا حربه بعض عبارات نارية على غليوم برتقالي بالقرب من معقلة ولا شك ان دراق
كان اطلق كثيرا من العبارات النارية على اجناس مختلفة من الغالبين في تلك الجهة وفي كل حال وجدها
فيها فادرى نيوبري عدم معلوميته بهذه الاشغال وشك في حصوله فعفوه بالقوة مثالا للاوامر
التي اظهرها البرتقاليون على ملكته ووقفت مسئولية الملكة على ام راسه فصرخ وقال يا للعجب من عدم
العدل والانصاف مابال الفرنساويين والفلمنكيين والجرمانيين والفرس والترك والمسقوبيين
وعموم امم اوروبا واسيا مسموح لهم بحرية الاقامة والتجارة في جوواه ومابال رجال الانكليز
لا غيرهم يعاملون فيها بأشنع المعاملات الوحشية الهمجية فاعيد الى السجن ومن بعد ان لبث فيه مدة
شهر تقريبا حصل الافراج عنه من بعد ما وقع على صك بمبلغ الفين باردوس من النقود وان
لا يخرج من المدينة من دون رخصة من حكومتها وفي مدة هذه الكتابة ماكان له ميل في الخروج منها
لانه كان اخذ لنفسه منزل في احد شوارعها الواسعة ووجد الفضاء في التجارة عظيم الفائدة ثم
قابل من اصطفاه صحبة وصداقة كبيرة وكان في هذا الوقت في خدمة تحت يد رئيس اساقفة جوواه
وكذا من شخص اسمه يوحنا لنسكوتن من ملاحي الفلمنك وساعداه في مصالحه ومطالبه حتى تقتضي
بعض الحكايات التي نشرها فيتش فيما بعد كان هذا العروق عشرة ريال فقط ووقعت السرقة والاختلاس
في بضائعهما والزماهما على تقديم هدايا وحرق ومصاريف كبيرة في التأمين على انفسهما ولما مضى عليهما
شهور في الاقامة في جوواه في غاية المحنة والشدة عرضا للحاكم يستغيثان برحمته تجاوبهما جوابا
غليظا حادا الا يستغيثها وانه مقام عليهما قضايا بلازم النظر فيها في المستقبل فجزعا جزعا شديدا
من انه ربما يصيرا رقيقين او بانهما في تهمة تضيع رقابهما فيها ففرعا في الحالة التي لا يمكن لهما بشر
الحصول على حريتهما وخلاص انفسهما على الهرب والنجاة وفي ٥ ابريل سنة ١٥٨٥ خرجا خائفين
من المدينة يترقبان وسارا في داخل ارض الهند فرا من ارض بلجوم وشاهدا في مدينة بلجوم
السوق الكبير الموجود فيه اصناف الالماس والاحجار الكريمة ثم وصلا في سيرهما الى المدينة السلطانية
وهي مدينة بيجابور والى هذا المحل انتهت حكايات يوحنا نيوبري وصار رالف فيتش هو
الحاكي عن الذي وقع في المستقبل فقال انهم شاهدوا (الجماعة المبعوثين) في مدينة بيجابور الاحتفال
والافتخار في الديانة الوثنية والاوهامات والاوهام المجاورة لها الملازمة بما لم يمكن عده ولا
حصره من الهياكل والمعابد والاصنام التي بعضها في هيئة البقر وبعضها في هيئة القرود والناس
وبعضها في هيئة الطواويس وبعضها مثل العفاريت وانذهل فيتش من هيئة حرب الفيلة مع بعضها
وكذا من رؤية المعادن النفيسة الموجودة فيها ووفرة الذهب والفضة ثم سار فيتش من مدينة
بيجابور حتى دخل مدينة جولكنده فوصفها بالطرافة والجمال وهيئة مساكنها العظيمة المبنية بالطوب

بالطوب الاحمر واخشاب الصناعة واقليمها لاخصب الكثير الفواكه والاثمار اللذيذة الطعم والنكهة
ومعادن الالماس الموجودة في ضواحيها ثم بلغه فيها اخبار مدينة ماسلبتنم بانها مينة كبيرة متسعة
بتجارات واسعة ثم سار مما جولكنده نحو الشمال في داخل ارض الدكن حتى دخل مدينة برهانبور
عاصمة مملكة كانديش ووصف هذه الجهة بانها كثيرة الخصوبة وكثيرة الاهل والسكان ولو ان
منازلها مبنية من الطين والقش وقال انه في مدة فصل الامطار الذي كان موجودا فيها شوارع
المدينة لا يمكن المرور فيها من كثرة تيارات المياه السائلة في شوارعها مثل الانهار واندهل من رؤية
عقود نكاح الهنود ورأى ان الاولاد في سن ثماني سنوات او عشرة يتزوجون ببنات في سن خمس سنوات
او ستة واحتفالات الزواج تقام بشعائر ومصاريف فوق العادة والعروسين يركبان ويطاف بهما
في الشوارع بالطبول والزمور والالعاب ثم سار الى مندو العاصمة القديمة لمملكة مالوه فقال انها
مدينة قوية التحصين مبنية فوق صخرة عالية لبث الامبراطور اكبر في حصارها اثني عشرة سنة حتى
فتحها وتغلب عليها ثم سار منها الى مدينة اكره ووصفها بانها مدينة كبيرة كثيرة الاهل والعمران
لكنها على لوندره ومساكنها مبنية بالاحجار وشوارعها عريضة ظريفة وفي هذا الوقت كان مقر الامبراطور
في مدينة فتحبور ولو ان فتحبور كبيرة الاتساع الا انها اقل ظرافة وجمالا من مدينة اكره وبما انها اقرب
حالا من اكره فكان عظمها الوقتي وكبر سعتها متولد مما وجود ديوان الامبراطور فيها ومعسكره وقال
ان عموم الطريق الواصل بين هاتين المدينتين الكبيرتين يشابه سوق كبير بحيث يظن انه لا يوجد
رجال في المداين واستغرب من رؤيته ركوب الامراء في عربات جميلة منقوشة بالذهب ومغطاة
بالحرير او بالقماش الظريف الغالي يجر الواحدة منها زوج من الثيران صغيرين في حجم الكلاب ثم شاهد
على ضفتي نهر جومنا الاحتفالات الدينية المختلفة المذاهب للهنود وهيئات الغسل والاستحمام
عند البراهمانيين وحضورهم الى الماء معلق في رقابهم الخيط المقدس عندهم ويدخلون في الماء ويغتسلون
بغير اوعية ويرفعون الماء بايديهم على رؤسهم وابدانهم ويحبون الاستحمام والاغتسال بالماء البارد
ولو ان مياه النهر ما تحصل فيها برودة ويصفون في داخل الماء وهم عرايا ويصلون لحفظهم ويأكلون و
هم عرايا واما توبتهم وتكفيرهم خطاياهم فانهم ينبطحون على الارض ويقومون ثم ينبطحون و
يقومون الى تمام ثلاثين مرة او اربعين ثم يرفعون ايديهم الى الشمس ويلثمون الارض وايديهم
وارجلهم ممدودة على طولها ويأتي بعضهم عشرة وعشرين وثلاثين الى الاسورة يغنين ويغنين
القسيس ويعمل شعائر فرايضهن وسننهن ورأى كثيرا من عرايا السائلين الفقراء حكى عنهم حكايات
كبيرة وبالخصوص رجل منهم مهول الصورة ذقنه عريضة كبيرة كثة وشعره نازل الى تحت رصغه بدنه وطول
اظافره اصبعان (وليس هذا الطول في الاظافر بعجيب فاني رأيت في سيلان رجلا من طائفة الاوهة
السنهاليزيه طول ظفر اصبعه الخنصر حتى عشرة سنتيمتر فاني طلبت انا ايضا من رؤيتي اياه وقال لي انه
ممارعة البيع وانه لا يبيعه باقل من عشرة روبيات) وهذا الرجل الذي رآه فيتش لا يمكن ان يقطع
شيئا عنه ولا يتكلم حتى لو كلمه الامبراطور ووصف فيتش البراهمة كما وصفهم غيره من متاخري الكتاب
فقال انهم ارباب مكر وخداع يفوق مكر اليهود وخداعهم وكانه فيتش مصحوبا بسفرته هذه بما لقي
لومى جماعته ومن الاحوال الغريبة انه ما ذكر في كل حكاياته شيئا من مقابلة الامبراطور اكبر او المخابرة
في الكلام معه بل قال انه عند سفرهم من اكره فضل غليوم ليدي او ليدز في ديوان الامبراطور
وكانت صنعته صايغا جواهري فبقي في الديوان من اجل هذه الصنعة وانعم له الامبراطور بمسكن
وحصان وحصة من الجواري ومعاش حسن ثم توجه الى بلوط من اكره الى الله اباد وذكرها فيتش
باسم براغ وهو تحريف برياغا ومعناه مجمع النهرين وهذا الاسم مطلوق بالخصوص على ملتقى نهر
الكنج مع نهر جومنا ثم نزل فيتش في نهر الكنج حتى وصل مدينة بنارس وشاهد مع العجب والاستغراب
المقر الاكبر للهنود في التجارة والمزعبلات والهياكل والمعابد العديدة المشحونة بها المدينة وشاهد
هيئة عبادة الاصنام الموجودة في هذه الارض فوجدها مازالت موجودة على منوال كبير اكبر مما كانت
عليه من قبل وكل محل ملآن باصنام مختلفة الهيئة والحجم الا انها قبيحة المنظر والصورة فمنها الاسود
ولها مخالب من النحاس الاصفر باظافر طويلة ومنها الراكب على طواويس وطيور اخرى قبيحة الصورة
ولها مناقير معوجة مثل الحي طيف ووجوه مثل وجوه العفاريت اخافها مهولة واذانها مذهبة ملآنة
الجواهر واسنانها واعينها مصنوعة من الذهب والفضة والزجاج وكان النظر مع الاحترام الى هذه
والملة الغير مألوفة الصورة من العبث والخيالات وعلى المخصوص طرق الاستحمام الجارية في مياه نهر
الكنج فانهم لا يصيرون محققا الا في الماء ويغطون انفسهم الى فوق روسهم ويرفعون الماء بايديهم الاثنين

فوق رؤسهم وبعضهم يؤدي هيئة الفيل بجنب جنب عشرة قدرة او ستة عشرة كبيرة وصغيرة مملؤة من
الماء البارد فوق رؤسهم وعند تمام هذا العدد يضربون اجراساً صغيرة معلم دلالة على تمام هيئة الفيل
ويفرقون قراءة مختلفة على هذه القدور عدة مرات ثم يخرجون من الماء ويذهبون الى المنازل ويقربون قرباناً
من الاشيا الذين يعتقدون جداً في طهارتها وشاهد فيتش ايضاً حرق النساء في وقت موت بعولهن
وان حصل تقصير من النساء في الحرق حلقوا رؤسهن ولا احداً يكلمهن بعد ذلك وقال انه اذا حصل
لواحد من الناس مرض احضروه طول الليل امام الصنم واذا ظهر عليه عدم الشفاء في صباح اليوم
التالي اتى اليه اصحابه وجلسوا قليلاً بجانبه يبكون وينوحون ثم يحملونه الى جهة الماء ويضعونه على
روض منقول من الغاب ويغطونه في الماء حتى يغرق فيه وشاهد ايضاً هيئة من هيئات عقود الزواج
وقال ان العروسين يؤتى بهما وينزلان في الماء مع قسيس عجوز وبقرة وعجل ويمسك العريس بيده يد
الرجل العجوز وتمسك العروسة بيدها في يد العريس والكل يمسكون في ذيل البقرة ويصب الماء على ذيل
البقرة ما بواسطة جرة من النحاس الاصفر ثم ان القسيس يربط العروسان في بعضهما بثيابهما و
يفرقون اشيا على الفقرا ويعطون القسيس البقرة والعجل وبعد هذا يتزوجون ويقدرون انواع مختلفة
من اصنامهم ويقدمون لها نقود ثم يبسطون فوق الارض ويلثمونها عدة مرات ثم يتوجهون الى بيتهما
ثم سار فيتش من بنارس الى بتنا وكانت هذه المدينة قبل عاصمة مملكة وفي ذلك الوقت كانت تحت
احكام الامبراطور جلال الدين اكبر وقراتها ولو انها مدينة عظيمة الاتساع الا ان مساكنها مبنية من
الطين والقش وقال ان الارض واخرة القفار من اللصوص والحرامية واهل هذه الجهة رحالون
ينتقلون من محل الى آخر مثل عربان البوادي والناس فيها في غش كبير من ناس اهل كسل وبلادة ورخاوة
يجمعون انفسهم انهم من كبار الاوليا الطاهرين وراى من بين هولا البلداء رجل مهول نايم فوق
ظهر حصان في ميدان السوق الكبير والناس مزدحمون حوله يقبلون اقدامه مع غاية الاحترام وقال
فيتش انه تركه نايماً في هذا الميدان والناس حوله معتقدون فيه ان رجل جليل القدر في الاولياء
مع انه رجل كسلان حظ غليظ ثم بعد ذلك توجه الى طندا او طنطا من اعمال بنغالة التابعة ايضاً
للامبراطور اكبر ومنها جد في سيره نحو الجهة الشمالية الى ان وصل الى جهة يقال لها كوش في الحقل
انها الارض الواقعة في طول جبال بوطان وذكر انها ارض رطبة جداً حتى ان كل جهة منها تكون
مغمورة بمياه بارتفاع ركبة الانسان تجعلها غير قابلة للمرور بالكلية واهلها متمسكون بالديانة
البودهيسية ولهم عوايد وهمية في احترام الحيوانات الموجودة على قيد الحياة وعندهم دور شفاء
للعرج والكسحين والطاعنين في السن من كافة المخلوقات ويعطون الغذا للنمل وقال ان
ارض بوطان في ذلك الوقت مسيرة اربعة ايام للجد المسافر ذات سعة وامتداد مشحونة بالجبال
ان جمة التي يمكن للمسافر ان يراها من مسافة ستة ايام وهذا النقل بعيد عن الصحة غير ان
المتصور للكون في عقول اهلها انهم مقصورون انه من فوق قمم تلك الجبال ان جمة يمكن رؤية
البحر ووصف حالة وقال ان هذه الجهة مطروقة في الاغلب بتجار من جهة الاقاليم الباردة
الواقعة في جهة الشمال يلبسون ملابس الصوف وفي ارجلهم قواسيم بيضاً (التاتار) وناس
اخرين ليس لهم ذقون من ارض حارة واقعة في جهة الشرق (الصينيون) وقال ان ناس الجهة
الشمالية في ارضهم كثير من الخيل الصغيرة الجسم الا انها قوية على الاسفار والاشغال وذيولها
طويلة مغطاة بشعر طويل ظريف من ضمن المحصولات الغالية الثمن في البلاد الهندية ثم سار
فيتش نحو الجهة الجنوبية الى ان وصل هوغلي المتجر الكبير للبرتغاليين وساح في ارض اوريسة
فراى صدورها عبارة عن صحارى قليلة القرى جداً خالية من السكان ماوى ومكمن للنمرة
والحيوانات الوحشية المفترسة وشاهد مينة او مرفاة انجيلي وهي الان غير معروفة الموقع
وقال انها مشحونة بتجارة واسعة ومطروقة على الدوام بسفن من سومطره ومن ملقة وجهات
اخرى مختلفة من الهند ثم عاد راجعاً الى نهر الكنج وجال جولة قصيرة في الاقليم الشرقي
من طيبارة وكان اهل هذه الجهة في حروب مستمرة مع المورجيين المحتلين في مملكة اركان ثم
عاد الى شواطي نهر الكنج وذكر سيرابور وعدة مداين اخرى واقعة على فروع السفلى وراى ان
ناس هذه الجهة من الهند في عصاوة وداعية على الامبراطور اكبر لانهم مستحوذون على جزائرهم
وضياعاً معمورة بسهولة فيفرنهم من جهة الى اخرى وقال ان معامل تشغيل الاقطان في

في هذه الجهة في حالة عظيمة تفوق المعامل الموجودة في الجهات الاخرى من الهند واستحصل من سيرابور
سفينة تنزل فيها الى بغو بيس من مملكة بيغو او بيجو وشاهد هذه العاصمة ومنها وصل الى
ملقة وكانت في ذلك الوقت السوق الكبير الجامع لتجارة البرتغاليين وعرف فيها بعض معلومات
تتعلق بالصين ويابونيا ثم عاد راجعاً الى بنغالة ونزل في سفينة الى كوشين وفي طريقه مر على
سيلان فوجدها جزيرة ظريفة في غاية الخصوبة والثروة وكان للبرتغاليين قلعة في مدينة كلمبو
ما زالت اثارها باقية الى حد يومنا هذا الان الحكومة الانكليزية ازالت خنادقها وهدمت اسوارها
وقطعها شوارع وسكك ظريفة مغروسة بالاشجار وهي السوق الاعظم لتجار الاوروبا وبين المسلمين
والسنهاليز وفي مدة البرتغاليين كان ملك سيلان من الامة السنهاليزية يهجم على هذه القلعة
جيشاً بمايتين الف نفس لانهم ولو كانوا مسلحين بالبنادق فانهم كانوا عرايا الاجسام اقول
انهم كانوا مؤلفين من السنهاليز والمسلمين ثم ان فيتش لما دور راس كومرين وشاهد مغاص
اللولو الواسع الواقع على هذا الشاطي مر على مدينة كولام ووصل كوشين فراها محل قليل
الثمر بالكلية ورأى انه قليل الزاد لا يخرج من الارض الموجودة حوله لا غلال ولا ارز ولا
اي صنف من اصناف الحبوب ومع هذا فان عوزة السعر ارغم على المقام في كوشين ثمانية
شهور وقال ان زاموريين كاليكوت في عداوة ومحاربات ومنازعات مستمرة مع البرتقاليين
ويجاري معهم حرب السلب والخطف وانه ارسل جماهير وجماعات من امم اسمها البروش كل جماعة
مؤلفة من خمسين او ستين نفس كمنوا عموم الشاطي وسلبوا كل سفينة نزلوها وجدوها ثم
سار فيتش من كوشين الى جوواه وفي هذه المرة كان دخوله فيها من دون معارضة وتوجه
منها الى شوله ومنها نزل في سفينة الى هرمز التي كان لاقى فيها اول مصيبة حلت
به ثم وجد لنفسه فيها طريقة توصله الى بلاده وسار من طريق البر الى طرابلس الشام ونزل منها
في سفينة الى انكلتره فوصل اليها سالماً في سنة ١٥٩١ بعد الميلاد حتى تم ما وقع لاحد من الناس
[illegible] في السياحة ومكابدة مشاق اسفارها وشدة عذابها مثل ما وقع لهذا الرجل
الانكليزي في ذلك الوقت حتى تخلد ذكر اسمه في التاريخ ومن بعد عوده الى انكلتره نشر حالة
سفره واقواله تتولد منها حمية وحرارة وعزم قوي عند اهل بلاده وفي اثنا ما كان فيتش
واصحابه مشغولون بهذه الاستكشافات في البر كان القبطان توماس كونديش مشغول
ايضاً بمصاريف نفسه في عمل الاستكشافات والاسفار في البحر كما سبق ذكره ولو ان نيوبري
وفيتش ورفقاهم كانوا سبقوا كونديش في سفرهم الشرق وكانت الاخبار ترد منهم من وقت
الى اخر قبل سفر كونديش وفي مدة غيابه فان كونديش رجع قبلهم الى انكلتره ومعه نتايج
نجاح سفرته من قبل عود فيتش بعدة سنوات وكان كونديش نقوى في مشروعه في سبيل
الجسورية التي امتزج بحكايات ومكاتيب نيوبري من حلب ودمشق والبصره وهرمز الا انه نال
الخبة اقترنه في الابتدا من العنوان [illegible] وكان ذلك سبباً في صيرورته قايداً بحرياً ماهراً
وعمل سفرته على مصاريف نفسه في اللف والدوران حول الدنيا وجلب الى بلاده مباشرة من
بلاد اراضي المحصولات مشحونات من البهارات والبضايع كانت قيمتها في ذلك الوقت غالية جداً
الى انكلتره وكان تجار لوندره وبريستول ومداين اخرى انكليزية عولوا في انفسهم من قبل
عود فيتش بواسطة مكاتيب فيتش ومكاتيب نيوبري زيارة على انه لا يوجد امل ولا غنم في
[illegible] عمل تجارة رابحة في الشرق الا بواسطة السفر مباشرة من طريق راس الرجا الخير وان
[illegible] ان هذه التجارة حمايتها مسلحة في اوج اعدا واعتاه الامم الاسبانيون والبرتغاليون
[illegible] نجاح كونديش في سفرته والتقارير التي نشرها سيما في اثبات هذا المعول وفي السنة
[illegible] سنة عوده وفي ظرف مدة اقل من اثني عشر شهرا انعقدت شركة تجارية بقصد التجارة
[illegible] الشرق من طريق راس الرجا الخير وقدمت هذه الشركة التماس للحكومة في سنة ١٥٨٩ في طلب
رخصة من اجل ارسال ثلاث سفن كبيرة وثلاث سفن صغيرة الى الهند وكان للمملكة اليزابث من كل
الوجوه رغبة شديدة في هذا المشروع الا ان الحكومة ولو انها كانت في ذلك الوقت في حرب مع اسبانيا
الا انها رغبت تبقى مصالح عدوانهم بهياج يتخلق من عداوة تجارية في الشرق في قلوب الاسبانيين
والبرتغاليين ومن ثم هبطت حمية التجار وما نتج من تقديم الالتماس شي يعود بنفع ثم لما عاد فيتش تحرر
هذا المشروع ثانياً وفي سنة ١٥٩١ ارسل ثلاث سفن تحت رياسة كل من العنوانات ريموند وكنداك

٥٠٠

وتنكيشره وكان ريموند هو القايد لهذه العمارة الصغيرة فحل بهذه السفرة من المصايب الكبيرة
ما لا يحل بشرح وصفها وخرج من العوارض ويئس الحصول على النجاح العظيم فان طالع سعدها خاب
وانكسف في الغم الاخيرة من [illegible] وذلك ان هذه عندما فاقت من مينة بليموث في ١٠
ابريل من نفس السنة المذكورة ظهرت الامراض والضعف في البحرية بمجرد خروجهم من خليج الا[illegible]
وبعد وصولهم الى راس عشم الخير في شهر اوغسطس تألم البحرية من شدة الامراض حتى ان ريموند
راى انه من الضروري عودهم الى انكلترة بجمع المرضى والعيانين واعادهم مع الفتوران كنداك اهل
انكلترة واستمر السفينتان الاخرتان في سفرهما فلما وصلا قريبا من راس كوريتطس ترا على
عاصف شديد ففصل السفينتين من بعضهما وما سمع لسفينة ريموند من بعد ذلك بخبر ولا جليه اثر
فطاف لنكستر بسفينة عدة ايام في طلب البحث على سفينة ريموند فقامت عليه عاصفة شديدة اقوى
من التي فصلتهما واظلمت السما وقام البحر في اشد هياج وهدد السفينة بالدمار في اى وقت كان و[illegible]
البروق وبعدة الرعود ونشطت الصواعق فوقع الف[illegible] والضرر في السفينة من شدة هياج البحر
وما كانت محكمة الصناعة [illegible] ولولا ان ريسها كان على ثبات وعقل حاضر ومهارة وجسارة لكان الهلاك
متيقن في وسط اباحة البحر من سقوط صاعقة عليها فقتلت اربعة رجال وعمى الكثير من البحرية بعضهم
وقتي وبعضهم دواما ابدا وانشطحوا فوق ظهر السفينة في الم وضرر كبير وما نجى منهم رجل من دون رض
او جرح فما حصل من هذه المصيبة الجديدة وقع في حيرة وشبه [illegible] لنكستر واشتغل بلم شعث سفينته
وترميمها وجمع الذين كان فيهم بعض القوة من بحريته وسار في طريقه حتى وصل جزيرة قومور واقام
منها احتياجه من الما وكانت لازمة جدا لرجاله ووقع له في هذه الجزيرة مصيبة وبلية كبيرة اقوى
التي وقعت له قبل وهي انه ما عند وصل الى الجزيرة ما حصل من اهلها في ابتدا الامر خوف ولا فزع
وقابلوا بحرية السفينة اي وقت حضورهم بالوداد والصداقة وتاكدت وثاقة البحرية بهم ثم خرج [illegible]
صنفان من البحرية الى البر من كل صنف مؤلف من ستة عشر نفس واشتغلوا اعمالهم باشغال
تخصهم وتخص السفينة فاحيط بهم على حين غفلة جم غفير من عسكر هذه الامة الخبيثة الخاينة [illegible]
المكيدة العظمى بعد [illegible] لنكستر لما راى بعينيه تقطيع رجاله تقطيعا اربا اربا من دون ان يجدي نفع
حصول ادنى مدة لهم وهرب القليل منهم بحيل مختلفة الا انهم بجروح شديدة [illegible] ما كان من هذه
المصيبة الكبيرة التي [illegible] فانه لم يقطع الامل من نفسه وسار من هذه الجهة الملعونة منكسر القلب
حزين الفواد الى ان وصل الى جزيرة زنزيبار او زنجبار [illegible] السفينة محلا استقبال عظيم
فاستقبل فيه واطذ [illegible] في سفينته واصلاح شانها ولولا انه ما حصل له معارضة من البرتغاليين
الموجودين في زنزيبار الا انه عرف من اخبار سرية انهم عقدوا مشروعا من اجل الهجوم على
فامر من هذه الجهة على حين غفلة من البرتغاليين وترلت عليه تلاوتح وهبت عليه عواصف مختلفة
اخرجته من مجرى سيره حتى قرب من جزيرة سوقطره سكنت العواصف والرياح وهب عليه نسيم معتدل
فمر مباشرة الى راس كومرين ودوره في شهر مايه سنة ١٥٩٢ ووصل بعد من جزاير ينقوبار
وسار الى جزيرة سومطره ومنها الى جزيرة بولو بينانغ فقضى فيها فصل العواصف او الشتا
وكان هذا الفصل مشهورا بالعواصف الشديدة التي تكون هذه البحور عرضة لها في شهري يوليه
واوغسطس وعزم في هذه الجهة على الاغارة على عموم السفن الاسبانية والبرتغالية التي [illegible]
واملى في نفسه باحتمال وقوع الظفر لما كان من عموم تلك ذي القوة في مثل هذه الاغارات و[illegible]
بسفينته في طول ساحل ملقه فالتقى بثلاث سفن حمولتها من ٦٥ الى ٧٠ طولونانه وفي رواية
من ٧٠ الى ٨٠ طولونانه على مسافة من ساحل ملقه فوقع الخوف والغرق في قلوب بحرية اول سفينة
قابلته مع انها كانت قوية التسليح وكانت مشحونة ببضايع الجوز ويت جوواه فاتيح لنكستر في ان
جعلها غنيمة لنفسه وبما اجراه من حيارته في الغارات اغتنم عدة سفن من سفن البرتغاليين كانت
مشحونة باصناف بهارات وبضايع تجارية اخرى ذات قيمة وفي هذه الغارات كانت بحريته على [illegible]
تامة كما كان هو عليها ايضا الا انهم كانوا على غير انتظام وقانون حتى صار يقود في حركاته واشغاله
ومن بعد ان اوقع الرعب والخوف رؤسا سفن البرتغاليين وقف بسفينته في بوغازات ملقه التي [illegible]
من مرور سفن البرتغاليين منها في طريقها الى الصين وجزاير مولوقه فاغتنم سفينة حمولتها ٢٥٠
طولونانه من ناجابتهم كانت مشحونة ارزا وسفينة عظيمة حمولتها ٤٠٠ طولونانه من سفن [illegible] جوواه [illegible]
هربت ونجت بنفسها وما بعد مدة قليلة اغتنم بمليون مفتخر حمولته ٧٠٠ طولونانه من جوواه

٥٠١

ج ٤٠
تاريخ الهند
ما البحر الزاخر
محمود النقشب

وجده مشحونا باصناف بضايع وبهارات عظيمة جميعها موافقة للسوق الهندي ثم بعد ذلك ارتفع [illegible]
وجه الرجعة من بوغازات ملقه الى سيلان وطاف بالجزيرة ووصل الى راس مدينة جالي سيلان على
امل انه ينتظر فيه القفا سفن من سفن البرتغاليين والاسبانيين تابعة لاساطيل تفرق باساطيل
بنغاله وبيغو ومع هذا فان البحرية لما راوا انفسهم انهم صاروا في غنية وافرة وثروة زايدة مما
اكتسبوه من الغنايم واشتاقوا للتوجه الى بلادهم قاموا في ثورة على رئيسهم وارغموه على العود الى البلاد
والوطن فمن ثم سار لنكستر راجعا عن انفه قاصدا راس عشم الخير فوصله في مبادى سنة ١٥٩٣ وخاب
ظنهم سفرته وعوده الى بلاده سالما في طول ساحل افريقيه لانه قام عليه عاصف من جهة الراس ورياح
مختلفة شديدة من بعد دورانه من الراس واخرجته من مجاريه سيره فطل منه الزاد والماكولات والزم
على التوجه الى [illegible] بيناداد في ساحل امريقه ثم رمته الرياح في خليج بارياف رمته سيرا على غير
انتظام مختلط الى جزاير برموده ثم قام عليه عاصف كسف طالع سعده وكسر شرف اسمه ورماه
[illegible] جزيرة خربة ففرة فلما نزل على بر هذه الجزيرة مع معظم بحريته جذبت الرياح هذه السفينة
وابعدها [illegible] في قاع البحر مع كل ما كان فيها من شحنها النفيسة وبقي لنكستر وبحريته على شرف الدمار
والهلاك لولا انه تداركهم مرور سفينة فرنسا وبيد جاوبت اشارات مصايبهم وحملتهم على ظهرها و
انزلتهم ريسا في مينة الدوييب من بعد ان عاملتهم بكل عناية ورافة في ١٩ مايه سنة ١٥٩٤ الى البلاد
من بعد سياحة لبثت ثلاث سنوات وشهران وهو ضعف الزمن الذي كانت تقضيه البرتغاليين في العادة
في هذه السفرة وفي سنة ١٥٩٦ اجتهد روبرت دادلي في مشروع سياحة الا انه جا على غير نتيجة
[illegible] ومن المحتمل ان حدة وحرارة الانكليز انكسرت وانخمدت برهة من الزمن بما راوا من سو طالع
سفرة لنكستر وريموند ثم انه من بعد عود لنكستر لما راى تجار الانكليز ان سفرة فلمنكية مؤلفة من
اربع سفن استعدت للسفر واجرى في سنة ١٥٩٨ استعدت بالخصوص الى يابونيا وسافر الاثنان
[illegible] ساحل هولنده قامت الغيرة والحمية في قلوبهم ودخلوا في عزم شديد وعقدوا اول شركة
هندية شرقية فاتفق في هذا الوقت ان رئيس اسطول فلمنكي كان رجلا انكليزيا اسمه غيليوم
ادمس قيل انه كان من اهل جلينغام من اعمال كنط واستخدم في الاشغال البحرية نحو اثني عشر
سنة من ابتدا ما كان عمره اثني عشر سنة حتى بلغ اربعة وعشرين سنة ثم من بعدها صار ريسا في
سفينة من سفن المملكة ثم خرج من خدمة المملكة ودخل في خدمة تجار شركة بلاد الغرب فلبث فيها
قبلها اثني عشر سنة وفي سنة ١٥٩٨ توظف قايد في اسطول فلمنكي مؤلف من خمس شراعات كان
استعد للسفر من طرف شركة فلمنكية هندية وكان جنرال الاسطول واميراله رجلان اسمهما جاكس
ماهو [illegible] وكان ادمس رئيس هذه السفينة فلولا انه كان العزم في تسفير هذا الاسطول في اول السنة
الا انه بقي لغاية ٢٤ يونيه حتى اقلع في السفر وبسبب حصول التاخير في السفر وقع السفر في فصل
العواصف والتلاويح وفي منتصف شهر سبتمبره لما حصل التلف في العمارة من شدة العواصف [illegible]
الامراض في البحرية التي الاميرال بعمارته في راس [illegible] على ساحل غينيا فازدادت الامراض وهلك
الكثير من البحرية وقامت العمارة نحو هذه الجهة فتشتت شملها في البحر ثم اجتمعت في نقطة على ساحل
في عرض ٤٦ ثم ان سفينة الاميرال حسرت الجنرال والاميرال وكافة الضباط وجميعهم قتلوا في جزيرة
سنت ماريه على ساحل شيلي في عرض ١٢ ٣٧ من العروض الجنوبية ولحق ببعض السفن الاخرى
مثل هذه الحادثة وما بقي من الاسطول الا سفينتان مع بعضهما واحدة على ظهرها ادمس واخرى تحت
رياسة واحد فلمنكي وكانتا في تقطيع [illegible] ووجل وخوف من قرصانات البرتغاليين وفي ٢٧ نوامبر
سنة ١٥٩٩ سافرا من جزيرة سنت ماريه متوجهين نحو يابونيا فمن بعد ان سار اسبوعا الى حد
يوم ٢٣ جنوري من سنة ١٦٠٠ وفصلتهما عاصفة شديدة من بعضهما وفي ٢٩ ابريل سنة ١٦٠٠
وصلت السفينة التي فيها ادمس ساحل يابونيا في عرض ٢٣ وما بقي فيها الا ستة من البحرية مع
الريس الانكليزي لا كن القوى فيهم الطاقة على القيام بخدمة السفينة وكان استقبال السفينة على
مسافة فرسخ من [illegible] فقابلهم ملكها مع المروة والهمة واقرا الضيافة فوفد على الملك رجل جوزويتي
[illegible] ينعقد مع جماعة من الجوزويت من اهل يابونيا واجتهد بعلة انه يترجم للملك في هياج
وقيام نفس الملك على [illegible] ادمس والفلمنكيون الذين معه فكانت مساعيهم واجتهادهم على غير طايل
لان الملك هذا الذي من الجزيرة كان عاقلا صاحب همة ومروة وبما انه كان ملك جهة وكافة ملوك الجزيرة
تحت طاعة امبراطور اليهم سعى جوزويت البرتغاليين في ديوان الامبراطور بدسايسهم ومكرهم في دمار
ادمس واصحابه فكانت نتيجة ما سعيهم ان صار حيث هو [illegible] يحضر امام جلالة الامبراطور مع المحافظة

في هيئة اسرى الاوان المعاملة ما كانت قاسية نجاح كافة من الجزويت في قتل هولاء الاعراب على
غير طائل عند الامبراطور كما وقع عند الملك وما قبل الامبراطور مع شدة الفزع والخوف اخذ ارواح
لا ذنب لهم ولا جريمة وما وقع له ادنى خطر او ضرر منهم سوى انهم كانوا على رغبة في تجارة حكما خاب الحزاز
في قتلهم اعتدوا اليابونيين في سرقة امتعتهم وحشر ادمس كافة نقوده وملبوسه وكتبه والوثة البحرية
والرياضية فلما بلغ ذلك مع الامبراطور قام الغضب في وجهه واصدر امرا قويا بالتحقيق عن المجرمين
وعقابهم وجلب كل ما سرق من هولاء الاعراب وما بعد ان اقام ضباط البحرية والبحرية سنتان في يابونيا
قامت ثورة بين البحرية وطلبوا اهل الاميرال حق التوجه اينما شاؤا وكانوا جميعا في يابونيا في حيا
الامبراطور ثم انا في ظرف تقرب الى اربع او خمس سنوات طلب الامبراطور ادمس امامه كما طلبه قبل ذلك مرات
مرات وطلب منه انشاء سفينة صغيرة فعرض ادم انه ليس بنجار ولا دراية له بمعرفة انشاء السفن فقال
الامبراطور عظيم ابذل مجهودك وان جاءت رديئة فلا ضرر عليك في ذلك حتى تم انشاء ادمس سفينة
حمولة ٨٠ طولوناته على هيئة السفن الانكليزية فانشرح صدر الامبراطور من هيئتها وصنائعها و
ادمس الى درجة شرف عالية واغرق عليه بمعروفه واحسانه وامره بالحضور على الدوام امام حضرته
ليظهر له ملامح شكره واغدق الى نفسه عليه وجعلوا ما كان معين له من قبل اهله برواتب عقد اكبر
دوفانه كل سنة ورتب له كل يوم رطلين من الارز ثم ان ادمس دخل في عيني الامبراطور بالكلية بتعليم
جلالته ببعض اشيا من علم الهندسة ومبادي الحساب واشيا اخرى من علوم جاءت على رغبته حتى صار عند
الامبراطور عادة في قضا طلبه كل شي يعرضه عليه ادمس فاتخذ اعداه الجزويت الاوليين
بما راوا من نفوذ كلمته وعلو سطوته فتوسلوا اليه بان يعاملهم معاملة الاخوية وسلكوا معهم مسلك ال
فاشتغل ادمس اشغالا كبيرة في منافع البرتغاليين والاسبانيين واحسن الى من اساؤه واستبدل الشر
بالخير ثم انه من بعد مضي خمس سنوات التمس ادمس من الامبراطور رخصة السفر من يابونيا بقصد رؤية
زوجته واولاده في انكلتره فما انشرح صدر الامبراطور من هذا الطلب وما قبل سفره من ديوانه
بعده عنه مع توالي الايام بلغ ادمس وهو في ارعذيش في ديوان الامبراطور ان الهولنديين لهم سفن
في سيام وبتانيا فجدد التماسه للامبراطور في رخصة سفره من يابونيا ورطلهم مباشرة مع جلالته فا
رد عليه جوابا في ابتدا الامر فعرض له ادمس انه يذكر بيان فرالى اوروبا ليكون واسطة في جلب ال
الانكليز والفلمنك من اجل التجارة في يابونيا وكان ذلك مما اجل مرغوب جلالته فما اختار له الذ
فطلب ادمس من الامبراطور رخصة لسفر القبطان الفلمنكي الموجود معه فسمح له في ذلك في الوقت وال
القبطان في قارب الى بتانيا فاراى فيها سفينة من سفن الهولنديين وكانت ما وردت اليها من
سنة مضت فما فر من بتانيا الى پيچيور فوجد فيها اسطول مركب من تسع سفن تحت قيادة الجنرال
مدلبيدلف فتعين هذا القبطان ربانا في هذا الاسطول وكان ادمس اودع مكاتيب يوصلها الى
انكلتره ثم من بعد قليل قتل هذا القبطان في ملقه ولما وصلت اخبار مقتله الى ادمس عرف ان مكاتيبه
ما وصلت الى انكلتره فعرض لديوان الامبراطور انه يرسل الى زوجته المسكينة وولديه في لوندره انه
موجود على قيد الحياة في يابونيا وسافر ادمس مرة او مرتان في السفينة التي كان انشاها للامبرا
طور وكذلك بامر جلالته انشا سفينة اخرى سافر فيها مرة مكاو الى يدو وعلى حسب مكتوب ادمس
المورخ في شهر اكتوبر سنة ١٦١١ ان الامبراطور كافاه على خدماته بان انعم عليه بعقار او اقطاع
من الارض مع ثمانين او تسعين نفس من المزارعين خدمة له او رقيق وكانه لادمس المذكور منفعة كبيرة
ومصلحة جسيمة في مدة اقامته في يابونيا للمشروعات الانكليزية التجارية في تلك المملكة فتولد من المكاتيب
التي كان ارسلها الى بنطام والى اوروبا تاثير شديد في التجارة وفي الطرق التي اتخذتها الشركة الانكليزية
ووكلاوها في السير في الاشغال ومن ثم في سنة ١٥٩٩ انعقدت شركة ووزعت مبلغا من النقود قدره
٣٠١٣٣ ليره انكليزي من اجل استعداد ثلاث سفن للتجارة الهندية وكان يوجد في هذه الشركة ما ب
سهم وواحد الان فبعض الملك حين مارفع ابدا وقال اخرين انهم على اعتقاد تام من ان نقودهم و
اموالهم تضيع بدون ثمرة في مشروع خيالي لا طائل تحته ومع ما كان من وجود هذا البرود والازدراء
الاوهام والمعروف الذي حصل لهذا التصميم من شخص من احد الملوك المحبوبة المعززة الذي ما جلس على
التخت الانكليزي نظيره وهي الملكة المحبوبة المعززة اليزابث من تشجيع وتقوية الشركة كانه من الاعمال
الكبيرة الموجبة لتقدم التجارة ومشروعات الملاحة في المملكة الانكليزية البريطانية وارسلت من طرف
يوحنا ميلدنهال سفيرا الى المغول الاكبر في الهند من اجل المخابرة معه في منح امتيازات بتجارة في داخل

راحة ارضها ممالكه عن قبل ما ياتي من طرف السفير شي او نتيجة نافعة دخل جماعة من التجار قليلي العدد
في هذا المشروع ووضعوا سعرية في اعمال كبيرة واشغال جسيمة على مقتضاها انه لا يحصل فقره لانكلتره
ولا رجوع الى ورا في مشروعات التجارة لو حصلت خسارات او حروب او اخطار او مهما كان من وقوع
عوايق ومصاعب وكان ذلك تقريبا في غلاق السنة عندما انعقدت هذه الشركة واستحصلت هذه
الشركة على اول رخصة تتعلق بشركة بريطانية هندية شرقية ووقعت عليها الملكة اليزابث في اخر يوم
من ايام القرن السادس عشر لنحو ما ينيف نفس وعشرون نفس من الامرا والوجوه والتجار جميعهم في جامعة
واحدة في الاشتراك والاعمال السياسية باسم تجارة لوندره وكانت مدة هذه الرخصة خمسة عشرة سنة
قابلة للنقض والابرام في اي وقت كان من بعد صدور الاعلان قبل بسنتين ورخص لهولاء الذين حسن
عليهم بهذا الكرم والمعروف الملوكي ان يصنعوا ختما كبيرا عاما باسم الشركة ويصدروا كل ما يلزم لهم من
السبايك والبضايع من دون دفع عوايد في مدة اربع سفرات اولية من ارسالياتهم ورخص لهم ايضا
بالحقوق التجارية في كافة الممالك والاراضي الواقعة خلف راس عشم الخير ثم ان الشركة التي كانت
تشكلت وقتيا في سنة ١٦٠٠ صارت هي الشركة الهندية الشرقية بالفعل وصار جورج ارل كمبرلند
راسها مع ٢١٥ نفس من البنك والامرا اندرجوا من جملة اعضاها وبما ان الكثير من اعضا الشركة
القديمة والبعض من اعضا الشركة الجديدة ما رفعوا قيمة السهوم التي اخذوها في الاشتراك او ما كان في
قلوبهم حمية وغيرة كبيرة في مادة هذا المشروع الكبير فانحصر عموم الشغل في ايدي ناس قليلي العدد من
الذين عندهم الغيرة والحمية وجمعوا مبلغا من الاموال قيمته ٧٥٢٧٣ ليره انكليزية منه ٣٨٧٧١
ليره للسفن و ٢٨٧٤٢ للسبايك و ٦٨٦٠ للبضايع وكان من رغبة الديوان الانكليزي ان يعهد قيادة
هذه السفرة الاولى على ادوارد ميشلبورن فرفض التجار بالكلية قبوله وقالوا انهم لا يستخدموا
رجلا لا دراية له بالاعمال التجارية واختاروا لانفسهم رجال يكونوا لهم خبرة ودراية بالتجارة و
اشغالهم واختاروا لنكستر ولو ان حالته في السفرة الاولى كانت مشئومة الا انه ما عوقت
العاقبة صار قا امينا حازما مدبرا جهد الفرجة والادراك فكذلك ما حصل من هذه الشركة الجديدة
انتظارا في عود يوحنا ميلدنهال السفير الذي ارسل من طرف المملكة الى امبراطور الهند او ورود
اخبار منه يستدل منها على نجاح او عدم نجاح في مسئلة المخابرة بل داومت على اعمالها سافرت
الى رة الصغيرة التي عهدت قيادة رياستها الى لنكستر وانكروا عدم نجاح ما موريه هذا السفير في
الديوان الهندي فقالوا انه كان قد قبل في هذا الديوان باحسن قبول لكنه مات عند عوده الى انكلتره في
ارض فارس وما ظهرت نتيجة ولا خبر واضح البيان عن سفره للشركة
وكانت سفر لنكستر في ٢ ابريل من سنة ١٦٠١ لبعد الميلاد تحت رياسته خمس سفن مختلفة الحمولة سفينة
اسمها التنين حمولته ٦٠٠ طولوناته وسفينة اسمها الفارع حمولة ٣٠٠ طولوناته وسفينة اسمها
الصعود حمولة ٢٦٠ طولوناته وسفينة اسمها سوسانه حمولة ٢٤٠ طولوناته وسفينة اسمها
الضيف حمولة ١٠٠ طولوناته وفي رواية كانت الحايل مختلفة المقدار من ٦٠٠ الى ١٣٠ طولوناته
وكانت مشحونة بسبايك من الفضة والذهب واصناف مختلفة من البضايع مثل حديد وصفيح
ورصاص خام ومشغول واقمشة عريضة من كل لون وشيلان ومصنوعات اخرى وزجاج وزيبق
وعديد سفن واستلم لنكستر من المملكة مكاتيب ووصايا الى ملوك وحكام الممالك المنتظر له زيارتها
والتوجه اليها ودور لنكستر راس عشم الخير من دون ان يقابله شي من العوارض والمصاعب المعتادة
وقوعها وكانت مقاصد الامة الانكليزية المحصورة في التجارة الهندية في ذلك الوقت مقصورة
في البهارات والفلفل والقرنفل وجوزة الطيب وهي بضايع موجودة في سومطره وجاوه وجزاير
مولوقه وبنده من دون نزول على ارض الهند وكانت هذه السفرة الاولى غير داخلة في الحدود
الوصلية التي هي الانكليزية الاولى في الهند فمن بعد ان وقف لنكستر جزيرة مدغشقر وجزاير نيقوبار
واخذ مياه وذخيرة جديدة سار مباشرة الى مدينة اچين في جزيرة سومطره فوصل اليها في
٥ يونيه سنة ١٦٠٢ لبعد الميلاد وسلم اوراقه الرسمية الواصلة معه من مملكة البريطانية لملك
اچين فقبل باعظم علامات الشرف والافتخار في الديوان الاچيني وحصل له الملك بان بيت
تجارة او كرخانة واطلاق عنانا بتجارته وحماية التجار واعطاه قطعة عقار من الارض سمح له بزراعتها
وكانه ما حول الشركة قبل رضواح في مشروع السفرتين الحصول على فايدة باي حالة فيها كانوا صغار من
سو الحظ والطالع ان موسم الفلفل خاب في هذه الجهة في الفصل الماضي ومن ثم صار لا يوجد عند
لنكستر ادنى طاقة في استيفا مشحوناته فعزم على اجرا حركة سلب بالمراكب بانحاده مع الفلمنكيين ضد
البرتغاليين وكانت هذه اول مرة تقابل فيها سفن الشركة الانكليزية مع سفن هولنده فكانت

القابلة وداوية فقط بل وعقد معاهدة حربية التابر صد عدو مشترك وبمجرد تمام عقد هذه المعاهدة
ضبطوا سفينة برتغالية مشحونة حمولة ٩٠٠ طولوناتة واغتنموها وكانت مشحونة ببضايع من القارة
الهندية خصوصا من مشغولات كاليكوت فنهبوها وقسموا الغنيمة على الشاوى وما دفع منهم الى
البرتغاليين بل شكوهم وسفينتهم الفارغة ثم سار لنكستر الى بنطام في جاوه وشحن منها شحنة كبيرة
من البهارات ومن بعد ان باع شيئا من بضايعه ترك الباقي عند وكلاء وعملا له يبيعوه ما بعد سفره
ثم قام من بنطام من بعد ان عقد مع ملكها معاهدة تجارية واشترط في ملازمته على سفره مع الشيء الى
بلاده من بعد ان ارسل قاربا حمولة اربعين طولوناتة الى جزاير مولوقه من اجل تحضيره وتجهيز شحنات
من البهارات تكون جاهزة مستعدة في وقت حضوره في سفرة ثانية في القابل حتى لا يحصل تعطيل في وقت
عودة الى بلاده في الجمع ولم البضايع ولو ان المعاهدة التجارية التي عقدها مع ملك بنطام ما كانت
معتبولة كثيرا مثل المعاهدة التي عقدها مع ملك اجين الا انها كانت كثيرة الفوايد والارباح ووصل
هو وبحريته الى انكلتره بما كان منظور فيه من الامل والاعتناء والوثاقة وقوبل في انكلتره باجلال
احتفالي وما كانت سفرته هذه مقصورة على التجارة فقط بل وكان له فخر واحترام وشهرة ليس فقط
عند اعضاء الشركة بل وعند عموم التجار مثل ما ملأ سفنه وشحنها بالبضايع والتحايف الغالية وعقد معاهدات
تجارية وبحرية وحمل حروب في سواحل البحر على طرق حساب الشركة ونال اشيا طريفة في عوده تغلب على
جزيرة سنت هيلينه وكان الهجوم باتحاده مع الفلمنكيين على البرتغاليين وقع كبير في ذلك العصر عند مجلس
الامة الانكليزية ونفس الامة لان كل بحري انكليزي ومدلج وتبعه من وقت هجوم الارمادة الاسبانية
اخذ على نفسه العهد مهما كانت حالته باخذ الثار والبطش والدمار باهة بحيث جزيرة اسبانيا ومن اجل
ذلك حرب دراق وارل كمبرلند سواحلها وسواحل جزيرة اسوره بالغارات وانواع الهجوم الذي اجراه
على تلك السواحل وغيرها من اهل الشجاعة والجرأة وكانت المملكة وعموم الناس في انتظار ان الشركة
تشغل اسطول ثاني ويسافر سفرة ثانية من قبل وصول لنكستر لكنها كانت في غاية الفزع والخوف
ومع ان المملكة حثت الشركة على اجراء مشروع اخر فانها انتظرت اي الشركة نتايج اجراءات لنكستر ولما
وصل وجد مدينة لوندره في كدر وغم شديد وفي ازدياد زايد لورود اخبار طيبة ينشرح لها
صدرها باي بها هو او غيره من ناس اخرين وكان وقع بها طاعون حتى هرب الكثير من الناس
منها الى داخل البلاد وكان يموت من الذين فضلوا فيها كل يوم جم غفير من الناس من شدة وجود
الطاعون فما تقدر من هذه المصيبة وحقد ومنع وجود الافراح والمسرات عند حلول هذا اللاع
النتايج ومن بعد مضي برهة قليلة من وصول لنكستر هلكت الملكة اليزابث وكان موتها من بعد مضي
شهران من استعلام الشركة مشحونات تجارتها العظيمة الغنية وانظ هراتها ما وجدت مملكة حلت بها
الاكدار والهموم والمصايب في وقت موت ملكها مثل ما ذاقت اهل مملكة انكلتره من الالام والاضجر
في وقت موت ملكتهم اليزابث لان محبتها كان لها وقع كبير في قلوب الامة الانكليزية بسبب جبارتها
ومحبتها لوطنها وقومها وكانت عظيمة الشجاعة على اهل بلادها كما وكانوا هم عظاء الشجاعة على ملكتهم
وكان موت الملكة وتسلط الوبا والطاعون سببا في وقوع صمم على اذان الشركة في مشروع التجارة
ثم قامت الشجاعة العمومية والحمية الانكليزية وزالت المصايب والمصاعب وسكنت الامة مسلك
انتظام في الاعمال مثل السلم والحرب في الاستكشاف والتجارة وما كان الملك جمس الاول الذي
جلس على التخت الانكليزي من بعد موت اليزابث معتبرا عند الامة انه شخص محب لتقوية التجارة
ولا كان معلوم فيه محبة للمملكة بالصفة التي كانت عليها الملكة المحبوبة عند رعاياها اليزابث الا
انه ما زال كان الكثير من الامة يراعونه انه على دراية كاملة من العلم والمعرفة ربما كان عليه من
الخصال الذميمة والعجرفة وكانوا يعتقدون فيه انه لا يدوان يحيط علما بالمصاعب والشكل التي
وصلت اليها حالة التجارة البريطانية وان فيه الطاقة الكافية في ان يختار القواعد المعقولة التي تجعل
فيها انكلترة على قدم آمال عالية كبيرة مع الاسبانيين والبرتغاليين وكان الكثير من الامة على اعتقاد
ان الفلمنك تتحد مع انكلترة في مشروعاتها وما جرياتها في الشرق فخاب هذا الاعتقاد وانتهى امره على
وجه السرعة وكانت الحكومة اعطت سنة واحدة فقط مهلة للشركة لمشروع جديد من بعد سفر لنكستر وكانت
اليزابث قبل موت لنكستر سخطت على الشركة وطعنت فيها بسبب خرق شروط الرخصة في عدم ارسال
سفرة من بعد سفرة لنكستر باثنى عشرة شهرا ومن قبل ان تتحقق الشركة من نتايج اسفاره فكر
جمس ايضا هذا الطعن وكان هو لا الملوك على تلهف ورغبة من اكتساب الارباح والتحف التي يمكن تيسر
الحصول عليه من المخاطرات الكبيرة التي تجريها رعاياهم فمن ثم كانت اغراض الحكومة الانكليزية غير عادلة
منصفة مع الشركة خصوصا عند جلوس جمس الاول على التخت لانه من حين اعماله الاولية كان بعضها

بعضها تخصص بفسخ رخصة الشركة وانه من بعد عود لنكستر بمدة قليلة منح رخصة على يد وارد ميشلبورن
بالتجارة مع الصين ومع الهند والشرقية وكان هذا عدوارد ميشلبورن هو الشخص الذي رفضت الشركة
قبوله من طرف دبولة الحكومة قايدا للاسطول الذي كان تحركت قيادة القبوران لنكستر فكان عدوا للا
للشركة في اشغالها واعمالها وما نقض الملك جمس ذمته مع الشركة في مثل هذه الحالة فقط بل واعطى كثير من
الرخص لكثير من التجار الجايلين في التجارة على مصاريف انفسهم في الشرق وما كان قصد من الملك هذه الافعال
من بعض ادكراهه في احتكار الشركة التجارة واشغالها بل قال انه راعى في ذلك ان المصاعب التي حلت
بالتجارة الشرقية كانت كبيرة جدا كما وان اشغالها كانت مهولة حتى ان تاجرا واحدا بمفرده لا يمكنه ان يؤدي
اشغالها وان ما اجراه كان حزمة لازمة في حملها بواسطة راس مال مشترك بمشروع يجري من طرف شركة
تعطى لها منح بالترخيص لها في هذه المشروعات وسافر عدوارد ميشلبورن مع سفينة اسمها النمر
وقارب اسمه شبل النمر ومع ذلك فان هذا الملاح ما حصل على سفرته بارتي شرف لا في شغل ولا في كشف
ولا في تجارة ولو كانت قليلا جدا حتى وانه ما وصل جزاير البهارات (مولوقه) بل وانه في مدة ما كان
في البحور الهندية ارهق نفسه في طرق السلب والنهب واللصوصية ليس ضد البرتغاليين فقط وكانت حجته
العداوة الواقعة بين الامتين بل وضد كافة سفن اهل البلاد الوطنيين ثم ضبط سفينة يابونية فراوغ
بحرية هذه السفينة شبه الذين ضبطوهم بنفقتهم لهم لاجل الاحتياجات ثم قاموا على حين غفلة فا
طعنت الامل في خلوص انفسهم وضبط السفينة الانكليزية وقتلوا القبوران داود ويجي ميشلبورن
ونط في داخل عنبر السفينة مع رييس الغوارب وواحد بحار وقليل من البحرية وتحفظ على نفسه بسفينة
من اليابونيين حتى جون الى ان سلط عليهم نار من السفينة فقتل منهم جماعة وارغم الباقي على الهزيمة
واسرف يدهم ولما سيل منه عن اسباب هذا الهجوم القطيع قال انهم كان يرغب ضبط السفينة وقطع
ازوارهم وصلاحيتهم وكان هذا القول سببا في تقطيع اربا ثم بعد ذلك ضبط ميشلبورن سفينتان
من السفن الصينية مشحونتان من اصناف الحرير وعاد الى انكلتره بما غنم من هذه الاسلاب البحرية
وما سمع الملك جمس من انذارات الشركة له لا قولا ولا فعلا وصم اذناه عنها وكان اعماله واشغاله
لجهة الشركة على غير عدل وانصاف وكان لا الحق انما في عدم قبولها عدوارد ميشلبورن قايدا على
اسطولها وفي سنة ١٦٠٤ اعدت الشركة سفرة مؤلفة من اربع سفن وشحنتها ببضايع واصناف
تجارات ما شغلة من العبثات والصفات للتي كانت ارسلتها من قبل في سنة ١٦٠١ وعهدت قيادة
هذه السفرة على القبوران هنري ميدلتن فاشتهر هذا فيما بعد بلقب السير هنري ميدلتن وحاز
الصيت الاكبر والفواكيليل من كونه صار واحد من ارباب الاقدام والجسارة والمهارة والنجاح بين
معوجي الشرق فاقلع في يوم ٢٥ مارث من هيبة جراوسند مع سفينة اسمها الشنين الاحمر وثلاث
سفن اخرى برأس مال قدره ٦٠٤٥٠ ليرة وسار محوطا بعين النجاح والتوفيق وما وقف الا
في سلدنها بالقرب من راس عشم الخير ووصل في اخر شهر ديسمبر في مرفأ بنطام ووافق رايه
واعزاضه ان قسم تجارته فابقى سفينتين في بنطام من اجل شحن فلفل وارسل واحدة الى جزاير
بنده وسار هو الى جزاير مولوقه وعند وصوله فيها وجد نار حرب ما جرة في مولوقة وذلك ان
الفلمنكيين وملك جزيرة طرناط كانوا في حروب قايمة مستعملة مع البرتغاليين وملك طيدور ثم ان
الفلمنكيين الذين كان القبوران الانكليزي معتبر في نفسه ومنتظر له فيهم انهم يقابلوه بالود والصداقة
وجدهم بخلاف ما كان يؤمله فيهم ولاقى منهم اشد الآلام وقالوا لملك طرناط ان الانكليز شرذمة
اوباشي من قطاع السبل في البحر والبر وتعالوا وافتخروا بان ملكهم هو لندره اقوى ملك في البحر
من كافة ملوك اوروبا ومن ثم هيجوا انفس الملك بعضا بالخوف وبعضا بالاطماع حتى ان ملك طرناط
ما رضي بوقوع ادنى معاملة تجارية مع ميدلتن ومع هذا فانه من قبل ان يترك ضواحي طرناط
ارسل له الملك مكتوب في السر يتضرع اليه في مساعدة انكلتره له على هؤلاء الظلمة الفاتكين
الفلمنكيين وبما ان حالة البرتغاليين في طيدور كانت حاوية ان لم تكن اكبر من عداوة الفلمنك
للانكليز فراى القبوران ميدلتن بعدم الامكان في شروا الحصول على اي شغل فيها وفي الواقع فانه
من ابتداء ذاك الوقت كان البرتغاليون في حنق وغيظ قلبي على الانكليز ثم التزم بعداوة ظاهرة مفتوحة
ومن بعد ذلك بقليل وقع الهجوم على اربع سفن انكليزية في مينة سورت من قوة كبيرة من البرتغاليين
محارب الانكليزية اشد محاربة حتى فتكوا وظفروا باعداهم واوقعوا بهم اشد المضار وافقدت الانكليز ايضا
بتكرار هذا الهجوم وهدانه في سنة ١٦١٢ فقابلت السفن الانكليزية مع اسطول برتغالي بالقرب من
راس عشم الخير وارغموا امير ال هذا الاسطول بدفع غرامات الخسارة التي كانت توقعت للانكليز في ذلك

الهجوم واما العبتوران كوكث رئيس الذى كان ارسله ميدليطن مع سفينة الى بنده فانه كان استعلم
الاطلاع عن رئيسه العبتوران ميدلطن الذى توجه الى طرناط وطيدور وفى اخر الامر صار شحن التجارة
بالبهارات ومحاروث بالسلامة الى انكلتره ثم ان الشركة ارسلت سفرة اخرى مؤلفة من ثلاث
سفن وثلثمائة وعشرة نفس تحت رياسة كل من العبتورانات كيلنغ وهوكنس وداوود ميدليطن
فى سنة ١٦٠٧ فافترق داوود ميدليطن فى ١٢ مارث نحو جزاير البهارات دوغرى وسافر رفيقاه
فى شهر ابريل واتخذا طريقهما فى البحر فى مجرى داوود الا انهما ما نجحا ابدا فى المقابلة معه واوصل
كيلنغ وهوكنس فى مينة بنطام فى يوم ١٨ اقطوبر ومنها اندفعا فى السير الى جزاير مولوقه
وبنده وكان وقع تغيير كبير فى ظرف السنين القليلة التى مضت من عهد حضور هنرى ميدليطن فيها
لانهما ما سمعا بخبر البرتقاليين فى نجور هذه الجزاير فالظاهر ان الفلمنك كانوا اخرجوهم منها ولما
واخضع الفلمنكيون عموم ملوك هذه الجزاير وعند وصول كيلنغ وجد الفلمنكيين مشغولين فى حرب
حاد مهول قالوا ان الوطنيين قاموا عليهم وقتلوا من اهل بلادهم اربعين نفسا ثم ارسلوا اليه
خبرا بانه لابد من ان يعزم بسفينته فى الحال من الجزيرة التى فتحوها بقوة السلاح فاجاب كيلنغ
انه ما دام امر بالحضور الى هنا فانه لا يسمع قولا ولا امرا حتى يتم شحنة سفينته ولما راى من بعد
برهة من الزمن ان الفلمنكيين عقدوا معاهدة مع البنداويين فى خضوعهم لهم خضوعا كاملا
فرحتى بالانسحاب من مياه جزاير بنده وخابت كافة المساعى التى اجرتها عموم العبتورانات الانكليز
فى عقد علاقات تجارية مع جزاير البهارات من هذه المفاوضات فكانت حيث التجارة البريطانية فى
فى بنطام اكثر نفعا وبواسطة يتيسر الحصول للسفن على شحن البهارات ومنتوجات ارفكوه واما
العبتوران هوكنس فانه سافر فى السفينة المعروفة بالمنازع الى سورت لانه كان حاملا مكاتيب
من الملك جمس الاول الى المغول الاكبر وراغب التوجه بها الى اكره وستذكر حكايته فيما بعد
ونرجع الان الى حكاية ادمس الذى كان سبق القول عليه وانه قاطن فى يابونيا فاقول
ان ادمس المذكور كان اصطحب باخر سفرة فلمنكية فى القرن السادس عشر بصفة رئيس سفينة وصار
حجزه فى يابونيا فكان الواسطة الكبرى فى تيسر حصول الفلمنك على حرية التجارة فى يابونيا
وواسطة ايضا كبيرة فى اخر الامر فى توطن الانكليز فى فيرانذو فى يابونيا وصيرورتها نظرا
ارتكاز اوصنعه لهم فى مشروعاتهم التجارية مع الصين وفى سنة ١٦٠٩ كان ادمس محجوز
فى يابونيا بمعرفة الامبراطور وعلى رغبة زائده من عوده الى وطنه انكلتره ولما لم يسمح له
الدهر بخدمة اهل بلاده على قدر ما كان فى طاقته سمح له ان صار فيه قدرة على خدمتهم فى تجارتهم
فى الشرق وكان اهل الارتباك والقلقل اى يعنى الفلمنكيين اخفوا عن ادمس المواطن والمنازل
التى اتخذتها الانكليز اهل بلاده فى الشرق واخفوا عن الوجه الانكليزية ايضا ان لهم رجلا انكليزيا
محجوز عليه فى يابونيا فلما عرفا ادمس بوجود بيت تجارة انكليزى عزم ان يكتب فى بنطام فى جزيرة
جاوه كانت فى مخابراته مع الشركة الهندية الشرقية الانكليزية بواسطة وكيلها فى هذا البيت الموجود
فى بنطام وعلى حسب نص مكتوب كان كتبه ادمس فى سنة ١٦٠٩ وارسله الى انكلتره قال ان سفينتين
فلمنكيتين وصلتا للتجارة فى يابونيا وفى سنة ١٦١١ وصلت سفينة صغيرة فلمنكية للتجارة فى
فيرانذو وفى سنة ١٦١٢ كتب الى الوكيل الانكليزى القاطن فى بنطام فى ذلك الوقت يقول له ان
الهولنديين قاطنين الان فى يابونيا وانا الذى استحصلت لهم على هذا الامتياز الذى ما امكن
للاسبانيين يشرحهم الحصول عليه فى ظرف خمسين او ستين سنة من عهد اول زيارتهم يابونيا وما بقى
من تحريرات هذا المكتوب كانت نصيحة من ادمس للوكيل الانكليزى فى بنطام فى ان يختار مركز
بيت تجارة فى يابونيا ويعين الجهة التى توافق له وكتب ادمس فى حاشية من المكتوب انه اذا
وصلت من طرفكم اى سفينة الى هنا فانى على امل كبير من ان جلالة الشركة تجدنى خادما لكم الا
بحالة يحصل لى منها عناية الرضى والقبول من اداء خدماتى لكم وان وصلت اى سفينة من طرفكم بالقرب
من الجهة القاصية الشرقية من يابونيا فان اهلها تسيل عنى واسمى معلوم بالفلان اليابونى باسم
اوجيت سما وهو مشهور فى اى جهة بتعينها فى طول عموم سواحل يابونيا ولا خوف ولا فرق من
التقرب الى البر الاصلى من المملكة لانكم ستجدون قوارب وزوارق مستعدة لحملكم الى اى جهة تريدونها
ثم قدم تشكراته ومزيد احتراماته الى سبالدنغ وكيل تجارة بيت بنطام لكونه اهداه كتاب توراة
وثلاثة كتب اخرى ورغب من سبالدنغ ان يعرض احترامه على اصدقائه الى السير توماس سميث
رئيس الشركة ويشكره فى كونه اقرض زوجته عشرين ليره وكان هذا اول مكتوب كتبه للبيت
التجارى الانكليزى فى بنطام وقال لو كنت على معلومية من ان سفننا الانكليزية فى تجارة مع الهنود

الصندوق كنت حدثتكم بكثرة مكاتيبى الا ان اى يعنى الفلمنكيين اخفوا عنى سر هذا الامر الى هذه سنة
١٦١١ حتى بلغنى اخبار تجارة سفننا فى الهند وفى سنة ١٦١٣ لما وصل العبتوران ساريس مع المستر
كوك فى فيرانذو فى صفة وكلا للشركة الانكليزية ادى ادمس خدمات جليلة كثيرة لها حتى صار
على طائفة من تشييد وتاسيس بيت تجارى فى يابونيا وكان وصول العبتوران ساريس فى فيرانذو
فى ١٢ يونيه فاسرع ادمس فى الحال وقام من الجهة الشرقية للجزيرة لملاقاته فالتقاه فى يوم ٢٩
يوليه ومن بعد تقديم تسليمات واظهار افراحات وتشويقات اتفقوا على التوجه الى الامبراطور بمكاتيب
الملك جمس فافترقوا من فيرانذو فى يوم ٧ اوغسطوس وكان مع ادمس رخصة بكل ما يطلبه من
قبل البريد ولما دخلوا الامبراطور قاعة الاستقبال وحضر العبتوران ساريس امامه اخذ منه كاتب
يد الامبراطور مكاتيب الملك جمس وسلمها الى الامبراطور فتناولها بيديه مع غاية التبجيل ورحب بالعبتوران
ولما سلم العبتوران الهدايا التى كانت معه عاد الى محل مستقره ثم ان الامبراطور طلب ادمس
فقرأ له مكتوب الملك الانكليزى وترجمه له ولما فهم الامبراطور صورة المكتوب امر ادمس ان يقول
للعبتوران انه يمكن لكاتب اليد او لادمس ما ذا يرغب من طلبها فانه يجرى منحه عليه او المجاوبة
عنه من دون ما تاخير فتوجه ساريس وطلب ما يلزم له وعاد الى محله ومن بعد عوده تداول الامبراطور
مع ادمس فى كثير من المواد ولما تم المداولة معه اخذ اذنه فى التوجه لزيارة ساريس فى محله والظاهر
انه من بعد ذلك اوعز الامبراطور الى ادمس بان تشييد البيت التجارى الانكليزى يكون فى جهة
يدسو وهو القسم الجنوبى من جزيرة يسو ثم من بعد ذلك اصدر الامبراطور امره لمستشاره بعمل
الاوضوعات اللازمة فى تمام تاسيس الكرخانة الانكليزية فى فيرانذو وصدرت اوامر الى من
الامبراطور اما احاله منه الى رجال الانكليز او اعفوا من ادمس بان ثمة منازل للانكليز فى
جهات مختلفة اخرى من يابونيا ثم ان ادمس قطع اليأس من عوده الى بلاده من بعد ان عرض
للامبراطور مدة اثنا ما كان يسمح له بالعود والبعد عنه واستمر فى خدمة الامبراطور الى ان
قضى نحبه وفرغ اجله وروى الفلمنكيون فسخ ما كان صدر به امره للانكليز وابقى عنده قليله
ونديم ادمس محدقا عليه بنعم ومعروفه الى ان مات ومع ما كان فيه ادمس من النفوذ و
الشوكة فى ديوان امبراطور يابونيا فان الانكليز ذاقوا اشد المصاعب واعرها فى اول امرهم
من التعصب والدسايس التى كان عملها الاسبانيين الذين كانوا فى اشد الكراهة والبغضا عند
اليابونيين بسبب ما كانوا عليه من الخيانة والجناية والقساوة حتى انقل فى هذا الوقت ان كافة
القسس الاسبانية كانوا على شرف ترك يابونيا لان لفظة مسيحى تتولد منها رعب وانزعاج فى
المملكة حتى وانه فى ٦ مارث سنة ١٦١٣ وسنة ١٦١٤ فى يوم الاحد لما رفعت الكرخانة الا
نكليزية فى فيرانذو علم او بندرة الشركة مثل العادة الجارية ارسل فوين سما بعد الظهر
اعلمونا الى وكيل الشركة كوك بنزول البندرة لان عليها صورة الصليب فما حصل من الوكيل
نفاذ الامر فى الحال بل وانه من بعد ارسال رسولان توجه كوك الى نفس فوين سما واخبره بالسماح
فى هذه الاشارة على قدر امكانه وقال له ان هذا الصليب لم يعمل على هيئة صليب المسيح بل هو
اشارة فقط تفرق بها الامة الانكليزية من بين الامم الاخرى كما ان الالوان عند الفلمنكيين
برتقالى وابيض وازرق فما يجب نزول الكل او يرفعوا سوية فاجاب فوين الوكيل ان نزول
هذه البندرة محتم من طرف الامبراطور وانه يمكن للكرخانة رفع اى اشارة اخرى تختارها الا
صورة الصليب ولا باس من ان سفن البيت التجارى الانكليزى ترفع الصليب فوق سطح الماء لا فوق
البيت التجارى الموجود فوق البر وكانت معارضة الامبراطور فى ذلك مؤسسة على تصور ثابت فى
عقله ان هذه اشارة قوة وشوكة وكان قد عرف من كافة البحور الشرقية ان الاسبانيين والبرتقاليين
اينما توجهوا فى جهة منحها كان لهم قدرة على ارغام عموم الناس مهما كانوا عليه من الديانة او مهما
كانوا عليه من رغبتهم من معتقدهم فانهم لا بد وان يجروا ما يلزم من اداء الاحترام لهذه الاشارة
ومن اجل ذلك ما كان للامبراطور رغبة فى اداء الاحترام لهذه الصورة الصليبية ومع ما كان من
حسن حالة الاحوال التى حصلت فى فتح العلاقات التجارية مع يابونيا وتاسست فرع البيوت التجارية
الانكليزية فان هذه البيوت ما حصل لها استمرار فى نجاح اشغالها وكانت اشغالها جارية بدرجة
عظيمة كبيرة فى مدة حياة ادمس ومن بعد موته عزل وكيل التجارة فى يابونيا وتخففت مستخدمين
الشركة فى خدمتها وكان تاريخ البيت التجارى الانكليزى فى فيرانذو والاحتياطات الاولية التى عملتها
فى عقد تجارة مع يابونيا مرتبطة جميعها بتاريخ البيت التجارى الانكليزى فى بنطام بسببه ان

العصوقاح والارتباطات كانت بينهما واحدة
وللرجوع الان الى ما كنا عليه من امر هوكنس وكيلنغ وذلك انهما اسرعا في جمع ما كانا مرتبطان
به في البحور الشرقية وانفصل هوكنس من زميله في جزيرة سوقطره ووصل سورت في سنة ١٦٠٨
ووقع في الحال في مخابرة مع حاكم سورت فرفض الحاكم ان يسمح له بنزول شحنة من سفينته حتى
يأتي الوالي او العامل او يصدر امرا من عنده يسمح له بالنزول والمعاملة في التجارة وكان
العامل في هذا الوقت مقيم في كامباية حتى بعد عشرين يوما وصل الجواب بنزول الشحنة الموجودة
الا انه لا يمكن استمرار التجارة او انشا بيت تجارة او كرخانة من دون رخصة من جلالة الامبراطور واشار
الحاكم على القبطان هوكنس بان الاصوب له ان يتوجه بنفسه الى الامبراطور ويأتي بالرخصة فانزل
هوكنس بضايعه وخزنها وشرع في بيعها مع السرعة. لولا صادف معارضة شديدة من تجار الوطنيين
باغوا من جوزويت البرتقاليين وضبط البرتقاليون قاربان من قوارب الشحن التابعة الى
هوكنس ورفضوا اعادتهم مرة اخرى واذاعوا مع شدة الغضب وتقطيب الوجوه ان جنس ملك انجلترة
صغيرة حقيرة واهلها صعاليك وقالوا لهوكنس ان البحور الشرقية هي تابعة لملك البرتقال ولا يمكن
لواحد من الناس التجارة فيها من دون رخصة من جلالته وقامت الحرة بين القبطان الانكليزي و
رئيس الكرخانة البرتقالية حتى اشرفا على المضاربة مع بعضهما ثم تراجعا وفي هذا الاثنا ارسلت
القوارب وبحريتها وشحنتها الى جوواه ومن المعلوم ان الادارات المحلية كانت في ارتباط واتحاد مع
البرتقاليين ليس لمحبة فيهم بل كانوا على اعتقاد انهم امة لا تقهر وعلى تصور انهم يكونوا معهم في
وقت نزول المحن والشدايد حتى تم تملك اجتهادات وسعاية في كسر بيت القبطان الانكليزي وصار
في حالة خطرة ملازمة له على زيجه وفقد حياته وفي اخر الامر عندما حضر الوالي من كامباية الى سورت
وكان يعرف باسم مقرب خان ما وجه التفاته الى الشكوى التي عرضها عليه الرجل الانكليزي بل انتخب
اجود واحسن البضايع الموجودة في شحنة السفينة لنفسه وقرر اثمانها حسب رغبته على امل انه يدفع
الاثمان فما دفع شيئا من اثمانها واخيرا عول هوكنس على السفر الى اكره من اجل عرض شكواه ان
امكن على الامبراطور بما حصل له ولاهل بلاده من الذل والاهانة في ممالكه فشجع له الوالي بذلك
واعطاه جماعة قليلة من الخفر فطيل انه لاجل صده ومنعه في طريق سفره فاستأجر هوكنس عساكر
من اجل الى قطاع مع نفسه بمصاريف من عنده ثم بواسطة مخابرته مع والي الدكهن ارسل له خفرا كافيا
من الخيل الافغانية وكان يحكي له سايق عربة هوكنس مبلغا من اجل ذبحه في الطريق كما امره بذلك
هوكنس في الطريق في حالة سكره وكذا كان صار اغوا الترجمان على قتله بالاتحاد مع سايق العربة
فقبض هوكنس على سايق العربة واستمر في طريقه الى محل اقامة والي الدكهن فاستقبله مع الاحترام
واقرا الضيافة والنزل وارسله الى اكره مع خفر معتمد من عنده فوصل اكره في ١٦ ابريل سنة ١٦٠٩
وكان جهانگير بن جلال الدين اكبر هو الجالس في ذلك الوقت فوق كرسي العاصمة الهندية فلما حضر
الرجل الانكليزي ارسل له في الحضور بحضرته ولما حضر هوكنس امامه قدم له المكتوب الذي معه من ملكه
فاخذه الامبراطور جهانگير وتامل فيه وفي الختم الكبير المبصوم به مع غاية الدقة وامر واحدا من الجوزويت
كان له دراية بمعرفة عدة من اللغات ان يقراه ويترجم له وهذا الجوزويتي بسبب ما كان في قلبه من
الضغاين والاحقاد على الامة الانكليزية عرض للامبراطور ان هذا المكتوب ردي التحرير والالفاظ
وفي اثنا ما كان الجوزويتي يتصفح المكتوب مع السكوت سلك هوكنس في المحادثة مع الامبراطور باللغة
التركية وكان الامبراطور على دراية تامة بها ووقع بينه وبين الامبراطور محادثة انشرح صدر الامبراطور
منها وامره ان لا يلتفت لما قاله الجوزويتي في شان مكتوب الملك جيمس ومن هذا الوقت استمر هوكنس
في مقابلة الامبراطور كل يوم فصرح له ان الانكليز معاملين بمعاملة شنيعة في سورت خصوصا من
طرف الوالي مقرب خان فما صدر من الامبراطور امرا بتخليص باغراضه ومن بعد مدة محادثات
طويلة مع القبطان الانكليزي تتعلق بالمواقع الجغرافية للبلدان والممالك وحكوماتها المختلفة وايراداتها
ارسل الامبراطور امرا قطعيا الى الوالي مقرب خان بقضا كل ما يلزم للانكليز في شان تجارتهم
وطلب من هوكنس ان يقيم في الهند في صفة قايد الخيالة وامر له باقطاع من الارض مدخوله ٣٠٠٠
ليره سنويا يأخذه لنفسه الى ان يرسل رسولا من طرفه الى ملك الانكليز فرضي هوكنس بذلك مصلحة
ومنفعة لنفسه ولاهل بلاده ثم الزمه الامبراطور على الزواج في المملكة فراوغ هوكنس وحاول بيان ان
هذا الزواج غير موافق لميله واغراضه وكانت مراوغته على غير طايل فتعلل بانه لا يمكنه الزواج الا بامراة
مسيحية فوجد له الامبراطور فتاة مسيحية ارمنية فقطع بها علة معارضته فتزوج بها ووافقت اغراضه
وكانت اهنا سعادة عنده الايام التي قضاها معها ولو ان هذا الزواج كان معدودا انه غير شرعي

شرعي في انكلترة ثم صدر طلب عدو القبطان هوكنس وهو مقرب خان والي سورت لديوان الامبراطور
بخصوص الشكاوى والقضايا المختلفة المقامة عليه في الديوان الامبراطوري من الناس المتضجرين من احكامه
وامر الامبراطور بضبط كافة املاكه وعقاراته وعزله من الوظيفة ولما وصل مقرب خان امام الامبراطور
عرض القبطان هوكنس للامبراطور انه كان جلب معه من انكلترة عدة مواد ثمينة هدية لجلالته فاخذها
هذا العامل جميعها لنفسه وما اوصل منها شيئا لجلالة الامبراطور ثم لما وصلت الاخبار الى القبطان هوكنس
ان سفينة اخرى انكليزية اسمها الصعود على شرف الوصول الى سورت التمس من الامبراطور امرا بحرية التجارة
لاهل بلاده فاستحصل على امر امبراطوري مبصوم بالختم الكبير بحروف مكتوبة بالذهب قاضيا بعدم
منع تجارة الانكليز في سورت ثم بعد ذلك احتوت الدرجة العالية والنفوذ الكبيرة والشرف العظيم الذي كان
فيه هوكنس في ديوان الامبراطور في التنفس والاستحصال على التصريح مع الاحساس وهو ان مقرب خان
العامل المعزول من بعد ان ضبطت امواله واملاكه صدر العفو عنه واعيدت اليه املاكه وعقاراته وعظمته
بنفوذ وسلطة اكبر مما كان عليها في الاول بحيث ما كان عليه من الوثاقة والعدل في الاحكام عند الامبراطور
وكان اول الاعمال التي اجراها هذا الجاير الظالم هي ان جمع قوته ونفوذه وبذل ما في طاقته وجهده
في هذا وقت عوده الى حكومته ووظيفته في الانتقام والبطش واخذ الثار لنفسه من هوكنس وعموم
الانكليز وكانت دسايسه واغراضه عند الامبراطور مع غاية التدبير والنباهة وعاضده فيها الجوزويت
اهل الخبث والخبايث في الديوان وعرضوا للامبراطور ان البرتقاليين امة قوية البأس والشدة زيادة
عن هولاء الانكليز وانهم رعايا عدوا من خاطرهم ويعتزلوا من المملكة في غضب وحنق لو سمح الامبراطور
لمثل هولاء التجار بامتيازات مثل الامتيازات التي عند البرتقاليين وقدم البرتقاليون في هذا
الوقت للامبراطور هدية من انفس الهدايا جوهرا من الياقوت جسيم وجاوز الوزن فوق العادة فقال
جهانگير القابل للرشوة وليس عنده ولد ولا رفيق ولا صديق اعز من الهدية بخروجه عن طريق سلوكه لا
تدعوا الانكليز يقربوا من مينا ممالكي من بعد هذه المرة وابطل الامر الذي كان امر به وختم وكان
على شرف الارسال فما حصل عند مقرب خان ادنى بطء ولا تراخي في تنفيذ مفعول هذا الامر
الامبراطوري وسافر الى مقر حكومته عازما بكل ما في طاقته على ان لا يكون للانكليز شغل في سورت
فتبصر هوكنس مع الحزم والعقل في امور نفسه وما عارض في هذا الامر مباشرة بل انتظر حتى سكنت
العاصفة وانقشعت زعابيبها وزال ما كان بالامبراطور من حدة الغضب وحضر امام الامبراطور
ودخل عليه بمعروب ظريف واقنعه في هذا الوقت الذي سنحت له فيه الفرصة باقوال عذبة واثبت لجلالته
ان التجارة الانكليزية من اجل المنافع والفوايد واكبرها لممالك الامبراطور الا ان الهدية والاقناع
الذي سبق الامبراطور على فسخ وابطال امره الاخير كان هو الظافر فلما سمع الجوزويت الاخبار
بفضل مصلحة هوكنس مع الامبراطور فزعوا وارسلوا في الحال خيالا الى مقرب خان يعلموه بها ولم يتركوا
في تقديم هدايا وابطال اوامر عدة في الزمن والامبراطور يصدر اوامر مغايرة لبعضها كلما جا به
هدية من احد الطرفين وكان عند الجوزويت ما يقدمونه من الهدايا ويقنعون به الامبراطور وكانوا
هم الغالبون الظافرون مع حليفهم مقرب خان في اخر الامر لان هوكنس ما كان عنده طريقة في المداومة
معهم على تقديم هدايا ثمينة ومع هذا فانه كان يمكن هوكنس الملازمة على ادا طلباته عند مقابلته
مع الامبراطور لولا ان صار الوزير الاول المدعو عبد الغال حسن الد الاعدا اليه في الديوان وكان
من جملة اعمال هذا الوزير ان له الامر في ترتيب وتوضيب المحل المعد لجلوس امرا الدولة وكبارها في
الديوان وكان الذين هم من هولاء الامرا والكبار في داخل الحجب الحمرا هم المرعيون الخاطر والمقبولون عند
الامبراطور فكان هوكنس من الذين يرصفون في داخل الحجب الحمرا من قبل ان تعود الشوكة الى مقرب خان
في الديوان الامبراطوري فاشتغل هذا الوزير اشتغالا مع غاية الاحتراز حتى اخرج القبطان الانكليزي
من داخل الحجب الحمرا وامر بعدم دخوله فيها ومن ثم انقفل عليه باب العرض الى الامبراطور في شي بالنهار
واجتهد في تحجيز المدخول الذي كان جهانگير رتبه الى هوكنس بطريقة مكر وخداع فما رضي قبول تعيين
الارض التي مدخولها ٣٠٠٠ ليره سنويا بل مخصصها له في داخل الاراضي المرتبكة بالقلاقل والثوران
حتى ما كان يمكن جمع شي منها الا بمصاريف باهظة وجلبت قيمتها وايرادها قليلا جدا واستمرت هذه الحالة
الدركية مدة سنتان ونصف ولما راى هوكنس ان مقامه في اكره ما فيه فايدة للشركة ولا لمملكته
ترك اكره في ٢ نوفمبر سنة ١٦١١ ليس فقط من دون بلوغ غرض بل وبفضايح لذاع شديدة
فقرض الوزير حنق توجهه الى الامبراطور جهانگير وقال انه لا يوافق لجلالة وسمو المغول الاكبر ارسال
اي مخابرة او مواصلة الى ملك دني حقير مثل ملك انكلترة وعاد هوكنس الى بلاده مفقود الشوكة

ولــعى خايب الأمل الا ان غيرته وحميته واعراضاته كانت معروفة في مملكته
ثم ان الشركة سفرت سفرة رابعة مؤلفة من سفينتين احدهما الصعود والاخرى الاتحاد برأس مال
قدره ٥٣٠٠٠ ليرا استرلينة وعهدت قيادتها الى القبطان الكسندر شارلي وكان المطلب من هذه
السفرة كما قبلها وعلى الخصوص سورت لان المعلوم في ذاك الوقت ان هاتين المينتين اكبر اسواق
الهند الغربية فكانه سفرهما في شهر مارث من سنة ١٦٠٧ فذاقتا في اثنا دورانهما من رأس غشم
الخير الاهوال والشديد من عواصف ورياح شديدة نزلت عليهما وانفصل السفينتان عن بعضهما
وما التقيا ابدا من بعد ذلك فاما الصعود فانها سافرت في طول السواحل الشرقي من افريقية الى ان
وصلت بمبا وفي اثنا مرورها في طول السواحل وقع الهجوم عليها مرتان من المسلمين وقتلوا الكثير
من بحريتها ولما ضجر البحرية من شدة رداءة الهواء والطقس وقلة وجود المؤونة وضعفت قواهم وعجزت
حالتهم ناداهم طالع السعد والتقوا بمجموع جزاير غير مسكونة يظهر انها جزاير سيشيلة فخرجوا بها
وكان فيها مياه بكثرة ونارجيل وطيور من اليمام والحمام فاخذوا لانفسهم منها ما يلزم من المياه
والنارجيل واليمام والحمام وساروا الى البحر ودخلوا مخا و عدن وقوبلوا في كل منهما مع الترحاب
وسعة الصدور والانشراح ثم سافرت الصعود من عدن الى سوقطره واخذ البحرية من سوقطره
ما يحتاجون من مؤونة ومياه ثم سافرت نحو الهند ووصلت مينة ديو واستعدت لعبور خليج كامبايا
من اجل الوصول الى سورت الا ان اهلها تذكروا اخطار الخليج وما فيه من كثرة الشعب فطلبوا
اخذ واحد رئيس من ديو يقود السفينة حتى تنجو من خطر وهول هذا الخليج فرفض رئيسها مع شدة
العناد قبول واحد رئيس فكانت نتيجة عناده ان صدمت السفينة عدة مرات في الشعوب الكثيرة
المخفية تحت مياه الخليج وكان الصدام مع الشدة فآل امرها الى الغرق بالكلية ونجى البحريون بانفسهم
في القوارب الصغيرة ورغبوا الدخول في نهر سورت فحجزتهم عدة عوارض وموانع مختلفة وارغموا
على الدخول في نهر جوداوري فكان تغيير المرغوب سببا في نجاة وحياة انفسهم لان البرتغاليين
في سورت كانوا مستعدين لدمارهم وما يجب التنبيه عليه هنا بانا هوكنس كان منتظر ورود هذه
السفينة في سورت وكانت اخبار سفرها وصلت الى وكلا الشركة ووصلت اخبارها له بواسطة
الوكلا فبذل جهده في ديوان جهانكير في بشره الحصول على امر الامبراطور بحرية تجارة اهل بلاده
حتى تم استيقظ برتغالي سورت واجتهدوا وعزموا على ابطال هذا الامر بهلاك البحرية وضبط
السفينة وشحنتها ونجى البحرية جميعا وتوجه بعضهم الى جوداه وسافروا منها الى انكلتره من دون ان
يحصل لواحد منهم ضرر ووصل الباقي الى اگره من بعد سفر مملوء صعب ودخلوا فيها تحت محافظة هوكنس
الى ان ارسلهم الى انكلتره من طريق فارس في البر واما قرينة الصعود وهي الاتحاد فانها صنعت
مثل ما حكي بحرية الصعود لهوكنس في اگره بل كان الصاري الكبير الوسطاني فقد من محله فنزلوا في
البحرية بمهارتهم وبراعتهم هذا الخطر واصلحوا صاريهم ووصلت السفينة ساحل سنت اوغسطين في
جزيرة مداغشقر وسافرت منها الى الزنزيبار وحل بالسفينة فيها مصايب اخرى جديدة من كل من مناخ
الجهة وهجوم اهل الجزيرة على السفينة وقتلهم عدة من بحريتها ثم سافرت نحو الشمال جهة بلاد العرب ولما
فقدوا طريقهم الى سواحل الهندي عزموا على السفر وجريا الى سوقطره ثم وصلوا اچين وبريمان
مع السلامة وشحنوا سفينتهم شحنة عظيمة من الفلفل الا ان العود الى انكلتره كان من غير حزم و
عقل ورأي مدبر كما كان في السفر الى الهند فانه من بعد مدة من الزمن ما كان فيها فايدة سوى
الخبل والجنون وصلت السفينة مع السلامة الى خليج الانكليز فلاحظتها ايضا عين النحس وبنوع اشر
الى هذه الجهة وسارت السفينة مع عدم الاعتنا والملاحظة من رئيسها الى ان انصدمت بساحل
بريطاني فنهبها الناس وغرقت وهلك كافة بحريتها وكانوا اثنين وسبعين فما نجى منهم الا خمسة فقط
وخسرت الشركة المداخ وجهات السفينة والاتها وحبالها ومخاطيفها وقواربها وما فيها طولوناته
من الفلفل باربالها تجارية ماهرين وناس اخرين قرروا بعدم منفعتها واستعمالها
وفي سنة ١٦٠٩ سافر القبطان داوود ميدليطن مرة ثانية في سفينة واحدة اسمها المشاهلة
برأس مال قيمته ١٣٧٠٠ ليره استرلينية فاخذ دوغريا الى جزاير البهارات (مولوقة) فوجد الفلمنكيين
في قوة وسطوة كبيرة مثل ما كانوا من قبل فعارضوه وقاوموه واعلنوه بان لهم سلطنة هذه البحار
ولا شريك لاحد معهم فيها فتحايل القبطان الى ان دخل في علاقات مع الوطنيين واستحوذ على شحنة
عظيمة من البهارات وباع بضايعه بارباح عظيمة فقام الغضب في وجوه الفلمنكيين وعولوا على دماره
وقطع اثاره فاجتهد القبطان في انتهاز فرصة النجاة بنفسه من قبل ان يكون غنيمة لهم وسار من جزاير
البهارات على حين غفلة من الفلمنكيين ووصل مع السلامة الى المركز الانكليزي في بنطام من دون ان

ان يحصل له ادنى غايلة. وفي هذا الوقت استشعرت الشركة بالمصاعب والاهوال التي فيها حدودها واملاكها
واموالها صارت عرضة للعساكر والتلف من عداوة البرتغاليين وحب الاتفاق التجاري والغيرة الواقعة
في قلوب الفلمنكيين فعولت وصممت على انشاء اكبر درجة من السفن على قدر ما يسمح بها الوقت وان
تشحن سفنها باقواه نارية كبيرة العيار ويكون شحنها في صورة عالية من التنظيم مع بحرية اهل مهارة
وبراعة ومكنة فشيدت ترسانة او دار صناعة مراكب في دِبتفورد انشأت فيها عدة من السفن اكبر من
التي كانت في حوزة تجار الانكليز وفي مبادى سنة ١٦٠٩ نزلت في الماء سفينة حمولتها ١١٠٠ طولوناته
كانت اكبر سفن العصر واحواضها في المياه الانكليزية وسميت باسم زايد التجارة وكان الملك جمس وابنه
الذي عرف فيما بعد بشارل الاول مباشران النزول وتشييد السفينة واحتفل الملك جمس بمأدبة جليلة
ما سبق لها نظير في تلك الايام كانت اطعمتها وتوزيعها في طباق وصحاف من الصيني تشريفا لنزول هذه
السفينة وشيدت الشركة دار صناعة ايضا في نواحي بلاكوول (السور الاسود) وانشيئت فيها عدة
سفن من حمولة ٦٠٠ طولوناته الى ١٠٠ طولوناته في ظرف الثلاثة عشرة سنة التي اعقبت ذلك
وكانت السفينة التي اطلق عليها اسم جمس تشريفا لقدر الملك تفوق كل السفن لان حمولتها كانت ١٢٠٠
طولوناته والسفينة الحكومية مركب حربي اسم البرنس حمولته ١٤٠٠ طولوناته حاملا اربعة وستين مدفعا
وفي سنة ١٦٠٩ وسنة ١٦١٠ سفرت الشركة سفرة كبيرة اكبر من كل اسفارها الاولية مؤلفا من
ثلاث سفن احدها السفينة الضخمة المعروفة بزيادة التجارة حمولة ١١٠٠ طولوناته برأس مال قدره
٨٢٠٠٠ ليره استرلينه وكان قايد هذه العمارة هنري ميدليطن وكان حاز الشهرة والشجاعة و
الهمة في السفرة الاولى وكان البحر الاحمر وسورت و جزاير البهارات مطلب نظره ونقطة اتجاه
اسفاره فقط دور رأس غشم الخير سار مباشرة الى خليج العرب ودخل مينة مخا فوجد فيها في الابتدا
مقابلة جميلة ووداية ثم دعي في وليمة على ان حل مع عناية المجيز واقرار الضيافة ولما توجه الى
الدعوة مع الكثير من ضباطه ورجاله وقع القبض عليهم جميعا وكتفوهم وارسلوهم اسرى الى صنعا
عاصمة اليمن وكان عدد الانكليز احد وسبعين والذين قطوا عليهم قليلي العدد فنجوا بانفسهم
وعادوا الى سفنهم ومن ثم سار هنري ميدليطن من هذا الموقع الى بن العذار ونزل في البحر الاحمر
ووجهه الى مدينة سورت على امل فتح معاملة تجارية مع هذا السوق الكبير الهندي فوصل الى ساحل
كاتيابيه في اغسطس من سنة ١٦١١ ولما حصل من الصعوبة في وجود فم النهر الواقعة على ضفته
هذه المدينة العامرة وبعدها قرب من مدخل نهر سورت وجد فم مسدودا باسطول برتغالي فقيل انه
كان مؤلفا من عشرين سفينة مسلحة مستقبلا جميعها في فم من اجل منع وصد دخول اي سفينة فيه
من سفن الامم الاخرى الاوروباوية وكان القبطان شارلي في هذا الوقت في سورت فاجتهد
في المخابرة مع هنري ميدليطن واخبره ان هوكنس في اگره وفيتش وكان في ذاك الوقت في لاهور
اشارا بانه لا يلزم عمل اي سعي واجتهاد في شيء من الاشغال على الساحل لان البرتغاليين والجزويت
وتجار الاهالي جميعهم في جامعة واحدة ومتفقين على العداوة للفلمنكيين والانكليز وعلى الخصوص
الانكليز ومع ما كان من هذا الانذار فاما ميدليطن عزم على ان لا يترك سورت ولا يبرح منها
من دون ان يجتهد ويسعى في تمام مأموريته وفي اثنا استعداده للدخول في المينة نفذ افادة
من الاميرال البرتغالي الدون فرنسيكو دو سوطه مايور يطلب عنه ان كان معه اي مكتوب او
رخصات رسمية من ملك اسبانيا والبرتغال او من عامل الهند ووالبها ترخص لهم بالتجارة في هذه
الجهات او لا فان كان معه هذا فان الاميرال مستعد لسهولة طلباته والاوفات المقبلات الموجودة
عنده ومن الواجبات عليه اجرى تنفيذ مقتضاها لان المينة ممنوع الدخول فيها لكافة امم الممالك
ما عدا اهل مملكته فاسرع هنري ميدليطن في رد الجواب بانه لا يوجد معه مكتوب ولا رخص رسمية
لا من ملك اسبانيا ولا من العامل وانه حامل شهادات واوراق رسمية وهدايا جليلة لحاكم من
اجل فتح باب مخابرة تجارية مع المغول الاكبر الذي ليس تحت رق وعبودية البرتغاليين بل هو فيه
وارصه حرية الدخول لكافة الامم وانه لم يرغب حصول ضرر او قلقلة للدون فرنسيكو ولا لاحد
بجواره ولم ان له طاقة على ملتقى القوة بالقوة وصرف ميدليطن كافة النصايح التي وردت له من شارلي
في كونه يبعد من هذه الجهة ويبحث عن طالع سعده في جهات اخرى من سواحل الهندي وكان تلقى
من الادارات التجارية الكبيرة في سورت اخبار مؤكدة بانه لولا خوفهم من البرتغاليين فانهم يتجرون معه
مع غاية الرغبة والخيرة وعزم على انه لا يوجد شي من جهته في ضياع الوقت اللازم للوصول الى ما ارادوا
التجارة معه وكان تحت رياسته في هذا الوقت اربع سفن اكبرها واضخمها زيادة التجارة وهذه لا يمكن
دخولها في المينة بسبب جسامتها خارج السفن الصغيرة تحت حماية مدافعها التنفيذ واصطف

العشرون شراع البرتغالية في هيئة مغبية الحرب بين السفن الانكليزية وانت حل مع حزب طبول وزعق
اعلام وصرخ البحرية باصوات الفروسية والشجاعة والسخرية والاستهزاء بالانكليز الا انه ما حصل ابدا
حتى حزب نيران وكان الانكليز من عهد دمار الارمادة الاسبانية حازوا شهرة عالية في الاعمال و
المشروعات البحرية ومن شدة الخوف الذي اوقعه دراك واصحابه في خراب ودمار عموم سواحل شبه
جزيرة اسبانيا تولد الجبن والوهن في قلوب الاسبانيين والبرتغاليين حتى انهم اضطروا في
اشغالهم عن المحاربات مع الانكليز فوق ظهر الماء ما عدا في حالة ما اذا وجدوا انفسهم في قوة كبيرة
يؤملون فيها الظفر والنجاح لانفسهم فظهر هذا الخوف في هذا الوقت على وجوه الاسبانيين والبر
تغاليين وشاهده عيانا اهل سورت مع غاية الاستغراب فتهيأ ثلاث سفن ميدلتون الى قرب
انت حل وكذا سارت زيادة التجارة على قدر امكانها تجاه انت حل ومدافعها الثقيلة العيار مستورة لا
تخرج من افواهها رعود بصواعق محرقة عدة مرة من ضرب نار متوالي انكليزي فلما رسى الانكليز
بعيدا عنها تجاه انت حل بحزم واحتراز اسرعت سفينة منهم مسلحة تسليحا قويا ودعونا الى انت حل لتخرج
عليها عدة قوارب برتغالية سوية لاجل منعها من الدخول والقبض عليها فاطلق عليهم بحرية السفينة
نيران بنادق حارة حادة وكان بحرية الانكليز لا يطيقون ان يروهم الا على الجهة المخصصة هجوم اقدام
منها و يبتدوا في حربهم وتمكنت الحمية والغيرة في قلوبهم حتى اندهش اعداهم واستغرب الوطنيون منهم
وضربوا البرتغاليين وهزموهم واقلعوا خلفهم فوصلت قوارب اخرى برتغالية لمساعدة اخوانهم
فضربوهم الانكليز ضربا مشبعا فولت وهجمت بحرية السفينة الانكليزية على سفينة من السفن البرتغالية
مثل الغيلان فنط بحرية البرتغاليين من فوق ظهر سفينتهم في البحر من خوفهم وعاموا تجاه انت حل
فمنهم من هلك ومنهم من نجى وكانت هذه السفينة مشحونة بشحنة كبيرة من البضايع الثمينة الهندية
فاخذها الانكليز غنيمة لهم ثم اصطفت العمارة الصغيرة الانكليزية وفتحت نارا حارة شديدة على
الاسطول الكبير البرتغالي فتدارك سلامته في الهرب وترك ما كان قريبا لهم من تلفيات خاليا فالتقا
بين المنصورين فظهر على وجوه الوطنيين الفرح والسرور جهرة واستقبل السفينتان اللتين رسيتا
مع سبع قطعات من الماء في فم النهر وخاب كل امل وسعي اجراه البرتغاليون في ازعاجها او منع نزول
حاملها وكانت خيبتهم مع خسارات وتلفيات جسيمة في انفسهم واموالهم ولما شاهدت ادارات تجار
سورت هذه الهمة الكبيرة التي حصلت من الانكليز ما حصل عندهم ادنى شك او تردد في الدخول
معهم في المعاملات التجارية وحضر مقرب خان عدو هوكنس العامل في سورت مع ستة عشر من
عمد التجار وقضوا ليلتهم على ظهر السفينة واكلوا اكل اللحوم والاطعمة التي اعدتها لهم الانكليز
كما واخذوا بعض اشيا مختلفة صغيرة للزينة انتخبوها لانفسهم في صفة هدايا واخيرا انزل
هولاء الاعراب بضايعهم وابتدأ الناس في الكلام في المشترى والاستبدال في البضايع الا ان
هذين ميدلتون ما كان على شهرة في امور التجارة كما كان مشهورا في القيادة والشجاعة فاصر في هذا
الوقت على ان عموم بضايعه سواء كانت تتوافق لسوق سورت او لا توافقه لا بد من شراها بالثمن
البضايع المعتدلة في السوق والزم بعض تجار الوطنيين بالقوة على شراها ولما راوا من بعد اخذها
ان خسايرها كثيرة عليهم ندموا على ما فعلوا واعتبروا ميدلتون عمل حسب قانون وعوايد سورت
بفسخ البيع لمدة اربعة وعشرين ساعة فضجع ميدلتون وليمة ودعى اليها العامل ومشاره وكبار
وجوه التجار على ظهر السفينة ومن بعد تناول الطعام حجزهم في السفينة حتى تدفع التجار قيمة اثمان
البضايع التي اشتروها حتى تم التزام التجار على خلوص عاملهم ووجوه امرائهم بدفع المبالغ وبذا
تم شغله ومرغوبه الا انه تولد من هذا العنف الفظيع وسوء اخلاقه التي لا تطاق ولا تحتمل
هياج الغضب والحنق عند مقرب خان حتى ان الادارة الداخلية للحكومة والادارات التجارية
شب فيها نار الغضب ومرض القلوب من سوء المعاملة مع هولاء الانكليز فانتهز جماعة البر
تغاليين الفرصة في هذا الوقت من بعد ان كانوا وهنوا واستكانوا وما كان لهم جراة على
فتح افواههم قبل ذلك وتعرضوا وقالوا ان هولاء الانكليز نهبونا وسلبونا واعتدوا علينا بجورهم
وظلمهم واصلوا بنا المصايب ونشر الجزويت عدة حكايات شنيعة اخترعوها من انفسهم
بما وقع من السلب والنهب من الانكليز في اوروبا وفي جزاير الهارات وبذا تقوى الاسطول البر
تغالي بما حصل من الاشتغال في الاحساسات العمومية للوطنيين واجتهد بعدة اجتهادات في قطع
مواصلة السفينتان الموجودتان بالقرب من انت حل من السفينتين الكبيرتين المستقبلتين الراسية
بعيدة فوق ظهر الماء وكان يتبع عليه في كل حركة اجراها حركة موثرة قوية تزعجه من الشهرة مع

خسارات وتلفيات جسيمة ثم تولد من الشجاعة القوية التي اظهرها الانكليز وانشرح منها صدور
الوطنيين في الاول سوء احوال وفزع عند الوطنيين في الاخر واغضبوا بخشونتهم وعدم درايتهم في
كار التجارة بغطرسة واحساس ورقة تجار الوطنيين وورد امر اعطيها من مقرب خان العامل الى هنري
ميدلتون بخروجه في الحال من مياه سورت وانه يعلن اهل بلوده بانه لا قبول لهم من الان فصاعدا
في الدخول في سورت فالتزم ميدلتون في القيام من مياه سورت بدون حصول مستوفيه وسافر في
طول البحر الى ان وصل مدينة دابول فتحصل فيها بحالة طيبة الا انه تولد من الخوف الذي تمكن في قلب
حاكم دابول مما سمعه في شان ميدلتون من سوء السلوك في سورت ان منع كافة المعاملات التجارية
معه في السر فعاد من الهند الى البحر الاحمر واستقبل امام مخا واظهر قوته وطاقته في الاخذ بثار
ما حصل له في هذه الجهة من سوء العقل الذي كان اهلها فعكوه معه واسروه الى صنعا حتى ان اهل مخا
تزعجوا بالاتفاق الذي حصل ان يدفعوا له مبلغا جسيما في نظير الخطأ الذي اوقعوه عليه ثم كانت
اشغال ميدلتون واعماله بعد ذلك محصورة في الغارة على سفن المغول الاكبر لما وقفها في طريق
سيرها واعمل قواها ورقشها مما حيث انهم لا يرغبوا التجارة معه بالحسنى فيلزم ان تكون
المعاملة مع الخشونة وعدم الحزم واخذ منها ما اعجبه من البضايع واستبدل بضايع اخرى قليلة القيمة
ببضايع غالية الاثمان وكانت للامبراطور المغولي امتنا سفينة مفتخرة حمولة ١٥٠٠ طولونانة من
اجل شحن وسفر الحجاج فيها الى مكة فضبطها ميدلتون واخذ كل ما كان موجودا فيها لجهة الشركة
من البضايع والامتعة والالات ولما اوقع هذا العنف ان الرعب والفزع في قلوب البرتغاليين
والهنديين معا في البر والبحر رأى ان ما موريته انتهت في هذه الجهات وسار عابرا الاوقيانوس
الهندي الى ان وصل جزاير الهارات ولما لم يحصل له مقاومة في اشغاله التي فتحها فيها سافر نحو
بنطام وفي مدة سفره انضرمت سفينة زيادة التجارة في شعب حصل لها تلف كبير وعالج حتى
وصل بنطام واتخذ مقره في الكرخانة الانكليزية وشرع في ترميم واصلاح ما وقع من التلفيات
في السفينة وفي مدة اقامته في بنطام من اجل تعمير السفينة ارسل سفينة من سفنه اسمها جب
الفلفل مشحونة بشحنة جسيمة غالية تحت رياسة قبطان اسمه دونطون مع مكتوب للشركة انه
سيحضر وراه مع غاية السرعة بمجرد تمام تعمير السفينة فاصابه مرض شديد فقضى عليه ومات في
جاوه وقال بعض الكتاب ان المرض الذي اصاب ميدلتون كان من كثرة الهم والغم والكدر الذي حل
به من التلف الذي حصل للسفينة الجليلة الكبيرة فكانت خسارة جسيمة في فوايد الشركة ومع هذا
فان الفوايد والارباح التي صار تقديرها كانت ١٣١ في المائة وفي ظرف سنة ١٦٠٩ كانت
اعمال الشركة كثيرة وانشيت عدة سفن وسفرتها ووجه الملك جيمس التفاتاته اليها وقوى حالتها
بالشرف والفضل والمال وفي ٣١ مايه من هذه السنة جددت الشركة رخصتها التي كانت اخذتها
في سنة ١٥٩٩ لمدة خمسة عشر سنة ومنح الملك جيمس على الشركة الرخصة الى الابد على امل ان يكون
للشركة حركة شديدة في اعمالها وحرارة كبيرة في تعميرها فاتسعت اعمالها وزاد نطاقها في تلك السنة
وعلا مجدها وشانها وفي سنة ١٦١١ ارسلت الشركة سفينة تعرف بالكرة تحت قيادة القبودان
هيبون من اجل الاجتهاد في فتح علاقات تجارية على حد الكورومنديل فاقدم معه رجلا اسمه
فلوريس فلمنكي في صورة وكيل تجارة وسافر في شهر يناير من هذه السنة وفي منتصف فصل الصيف
وصل جزيرة سيلان وسافر في طول ساحلها من راس غالي اوجالي الى ان وصل بتابنتم ولما
لم يجد هذه المدينة طريقة موافقة سار الى بوليكات عازما على انه يجد فيها تجارة معتبرة فكان من
قبل حضوره بيومين وان ورويك رئيس المستعمرة الفلمنكية على هذه الجهات حل منتظر حضوره فاعلمه
ان اهل بلوده استحصلوا على امتياز كلي من ملك نارسنجم الواقعة هذه المدينة في ارضه بمنع
عموم الاوروباويين من التجارة في داخل هذه البلاد ما لم يكن بامر صريح من الملك موريس فاجاب
القبودان بان هذا امر ممكن ادخاله وهو كاف له في كل حال توجه اليها وقام بينهما الهياج وعلا
الكلام وكادت المضاربة على شرف الوقوع لولا ان تداخل بينهما شاه بندر او الحاكم وحثهما على توقيف
هذه الحالة الى ان تحضر الملكة هونزه ما وكانت لها السلطنة على هذه المدينة وتزمع حضورها عن
قريب فلما حضرت جلالتها وطلب هيبون المقابلة معها ردت الجواب بانه لا يوجد عندها وقت
واسع الان في اشغال كبيرة وعدته انها تبعث اليه باكر فرأى القبودان ان هذا جواب مراوغة و
مماطلة فتوجه الى وزيرها فبينه له ان الفلمنكيين لهم القوة والشوكة الكبيرة في هذه الجهة واشاروا

عليه بالعرض لحكومة الفلنك في تلك المدينة بتصريح التجارة له فخيب هيبون صاحب هذه التجارة امله
ربما لبث شهران فضعو محل بمحل تخفيفها وانه ربما لا يحيل منه اقوال فسار الى بتنابولى فنزل فيها
بيت تجارة صغير ثم سار منها الى فتابنتم وهي السوق الاكبر لمعامل تشغيل الاقمشة الطريقة القطنية
المصورة من هذا الشاطئ فعرض معه الحاكم في معاهدة تجارية الا انه فسخها من قبل حصول مرادها
وسلك معه العبوران مسلك الخيانة والكذب حتى ان الانكليز نسبوه لقلة الاصل والمهنة والخداع
فقال لهم ان مؤمنا من نسل محمد صلى الله عليه وسلم يعتقد فيه كلب نصراني هكذا ثم وقعت بينهما المخابرة
ثم سار هيبون من فتابنتم الى الكرخانة الانكليزية في بنطام وباتفاقه مع ادارة الشركة فيها
سافر الى بتنابولي فنزل فيها في شهر يونيه سنة ١٦١٢ مع الابهة والفخفخة: امامه المغنيون والات الطرب
والاعلام والبيارق وحكمدارها لملك جيمس في علبة من الذهب محمول فوق ظهر فيل الى ان وصل
سراية الملكة فقدم لها مكتوب الملك فتناولته مع الاحترام وسمحت برخصة صدرت منها في تشييد
بيت تجارة وتعيين وكيل في بتنالي وحاب العبوران في بتنالي والذي تعين في رياسة السفينة من
بعده توجه بها الى سيام وكان فلوريس الوكيل الفلنكي زار هذه الجهة من قبل مدة اربع سنوات
مضت في سفينة من سفن الشركة الفلنكية وقال ان طلب البضايع كبير جدا في سيام مدة ماكان
موجودا فيها حتى ان بضايع الدنيا لو وجهت اليها فانها لا تكفيها فلما توجه الانكليز اليها وجدوا
فيها بضايع واصناف تجارات لا تحصى ولا تحصر كانت هي الفلنكيين سببا في وجودها فيها بوفرة
ثم عادت السفينة الانكليزية الى فتابنتم فقوبلت فيها مع الاحترام الا انه ما كان لها طاقة على
الدخول في اي معاملة تجارية فيها وفي سنة ١٦١١ ارسلت الشركة سفرة كبيرة مؤلفة من ثلث
سفن تحت رياسة العبوران يوحنا ساريس فاقلع ساريس الى البحر الاحمر فوجد فيه ميدلطن
من بعد عوده هناك من سورت الى مخا فجمع الاثنان سفنهما وعاثا في البحر يضبطون سفن العرب
وينهبوها او يعزقوها وسار الاثنان في سبيل النهب والخطف والتجارة وفي سنة ١٦١٢ توجه
ساريس الى بنطام وكانت ما زالت حرعية انها البيت التجاري الانكليزي في الشرق فوصل اليها
في غاية اكتوبر فعلم فيها ان كثيرا من السفن التابعة لممالك مختلفة مجتمع فيها ومستقبلة ومن ثم
اعلوت اسعار بضايع الفلفل والقرنفل واصناف البضايع الاخرى العظيمة في الزيادة الكبيرة
فاقلع الى جزاير مولوقه فوجدها في حالة خراب ودمار شديد من حروب داخلية ناشئة بين
بين الملوك الوطنية وبين الفلنكيين والبرتقاليين وكان البرتقاليون يومئذ تحالفوا بالاسبانيين
القاطنين في جزاير فيلبين وطرد الفلنكيين تقريبا كافة الامم الاخرى التي كانت موجودة
في تلك الجهات وبذلوا غاية جهدهم بالتخويف في منع وصد الملوك المختلفة الموجودة في جزاير مولوقه
من التوافق في اي معاملة تجارية مع الانكليز ومع هذا كان فان ساريس تحايل حتى استحصل على
جمع شحنة معتبرة من القرنفل واقلع الى فيرندو من اعمال يابونيا مؤملا فتح مخابرات تجارية
مع هذه المملكة المشهورة وقد ذكرنا فيما سبق كيفية وصول العبوران واستقبال ادمس له ثم
عادت هذه السفرة الى انكلترة مع غاية الظفر حاملة كنوز وذخاير الشرق من اصناف بضايع
مختلفة وبهارات وتحايف والطاف ولحد هذا الوقت كانت ارسلت الشركة ثماني سفرات كانت
جميع نتايجها مع الفايدة الكبيرة وانه مع قطع النظر عن صاحب السفرة المشئومة التي كانت
رييسها العبوران شاركي كان متوسط الفايدة لا اقل من ١٧١ في المائة الا ان اعقب هذه
الفايدة كانت ناتجة من التجارة من جهة والسلب والخطف في البحور من جهة اخرى وكان المقصد الاصلي
من الدخول في التجارة الهندية هو اجراها على قاعدة براس مال مشترك وان تكون اشغالها
جارية بواسطة ناظر ومباشرين معه وان يكون توزيع السهام بنسبة عدد الحصص وتوزيع الفوايد
على مستحقيها اول باول فلما حصل البطئ في دفع الاقساط على مقتضى هذه الادارة عمل ترتيب اخر
يدفع فيه كل صاحب مبلغ بنسبة المصاريف ويأخذ ربحه من اصل راس المال فتولد من ذلك مصاعب
ومشقة تولد منها رجوع الناظر والمباشرين الى الطريقة التي كانوا عليها براس مال منظوم
واستصوبوه في سنة ١٦١٢ وتوزعت الاقساط لراس مال قدره ٤٢٩٠٠٠ ليرا استرلينية في ظرف
اربع سنوات في المستقبل من اجل انشاء تسعة وعشرين سفينة بمبلغ ٢٧٢٠٠٠ ليرا واستعمال باقي
المبلغ راس مال في التجارة
ثم انه من بعد مضي سنتان من نصرة ميدلطن في سورت ظهر العبوران بيشت مع تجارة صغيرة بالقرب
من ساحل سورت وكان في رغبة في التوافق مع حاكم احمد اباد وبمعرفته تيسر له الحصول على رخصة

رخصات عظيمة من الامبراطور وكانت اكبر المصاعب التي توقفت له في هذا الصدد هي الصعوبة التي
تخلفت من سوء سلوك هنري ميدلطن في ضبط سفينة الحجاج وبهذا كان العقاب الاكبر على العبوران
وعقله في حارتها فاعلن ان الامة الانكليزية لا يمكنها المجاوبة عن هذه القضية التي لم يحصل فيها
قيام دعوة بطرفها وان موت ميدلطن فسخ كل قضية فقام عليه بان اسباب هذه المادة لا معلومية
لتفيدها عند الامة الانكليزية ولا يؤخذ اخر بما جناه غيره حتى ولو كان مثبوتا فمن ثم في شهر يناير
سنة ١٦١٢ صدر امر الامبراطور بالترخيص في انشاء بيت تجارة او كرخانة انكليزية في سورت واخرى
في احمد اباد وكامبايه وجوجو مع المحافظة على املاك التجار وارواحهم ومن جملة شروط هذا الامر
جذب عوايد جمركية ثلاثة في المايه ورمزها هكذا ٣ فلما وصلت هذه الاخبار كرخانات
البرتقاليين امتلأت قلوبهم بالغضب والغيظ وعزموا على حطم واجهاز اجتهادات الانكليز وعدم حصول
منفعة لهم من هذا الامر وهجموا على سفينتي العبوران بيشت بعدد كثير من سفنهم من السفن القرصنة
التي كانت عندهم في نواحي سيوالي بالقرب من سورت وكان حصول هذا الهجوم في ٢٥ اكتوبر
من سنة ١٦١٢ وكان الراي الذي اختط في حركة الهجوم فتح نار من اربع غليونين كبيرة وتخرج
تحت نيرانها عدة سفن صغيرة وتصعد بحريتها فوق ظهر سفن الانكليز فاحدث سفن الانكليز نيران
الغليونين وهلك كثير من رجال البرتقاليين وطرد الانكليز هاتيك الغليونين والسفن البرتقالية
وكانت هذه النصرة سببا في علو مقام الانكليز ومقدارهم عند الوطنيين فهاج الغضب في وجوه
البرتقاليين وجددوا الهجوم عليهم مرة اخرى من بعد زيادة قوة سفنهم باربع سفن اخرى واخيرا في يوم
٢٧ نوابر من بعد محاربة امتدت مدة اسبوع حصل النصر للسفن الانكليزية نصرا كاملا وترك
الاعداء الهجوم عليهم فانتشر صيت شجاعة العبوران بيشت والانكليز في طول السواحل وفي داخل الارض
حتى وصلت شهرة هذه النصرة الى مسامع الامبراطور في اكره فاورى في اقواله عجز ووهن البرتقاليين
والاستغراب من شجاعة الانكليز وكان لشهرة مهارة العبوران بيشت وحربيته فايدة كبيرة في تاييد
محل كرخانة الانكليز في سورت واصدر الامبراطور امرا في ١١ يناير سنة ١٦١٣ يقرر لهم على
تشييد الكرخانة في سورت مع كرخانات تتفرع منها في احمد اباد وكامبايه وجوواه وامتدت
هذه الكرخانات اخيرا الى اجمير او ازمير والى نفس اكره ثم ان هذا العبوران الفارس سنحت
له الفرصة ايضا في كونه ادى خدمات اخرى لبلاده وهو انه في سنة ١٦١٥ توجه الى اجين
حاملا مكتوب من ملك الانكليز الى ملك اجين فاستحصل على رخصة بتشييد كرخانة في طيكو
في سوماطره مع رفع عوايد سبعة في المايه ٧ فاتفق حصول حادثة عجيبة وقعت من ملك اجين
في وقت وجود العبوران بيشت فيها وهو ان هذا الملك كان جبارا ظالما سفاكا الا انه كان
كبير الميل والتعطف نحو الانكليز فارسل الى ملك البريطانيين يرسل له زوجة انكليزية يجعل ابنها البكري
منه ملك عموم ارض الفلفل فما اختارت اي فتية من فتيات الانكليز هذه النعمة الملوكية
والظاهر ايضا ان الديوان الانكليزي ما حصل منه اعتناء ولا رضي في ان انسة انكليزية تجلس على
تخت اقاليم الفلفل ومن هذا في سنة ١٦٢٣ لما خاب الملك العنوه من بشره الحصول على مملكة
له بيضا جميلة الصورة طرد وكيل الكرخانة الانكليزية واوجب ان لا يظهر عليه ان هذه مخصوصة
بالانكليزية فقط طرد وكيل الكرخانة الفلنكية ايضا ثم بعد ذلك رجع اليه عقله واعادهما ثانيا الا
انهما صارا اخيرا بعد مطلبا لتقلب اهوائه واهواء من خلفه من بعده مدة طويلة من الزمن وفي ظرف
المدة التي كان فيها بيشت جاريا اشغال خدماته مع المهارة والشجاعة حصلت وضايقة شديدة
الشركة الانكليزية والتزمت على ان يكون لها قدم ثابتا موطدا على السواحل الغربي من الهند حتى يكون
لها طاقة كافية في حمل تجارتها وادامة اشغالها مع السلامة والانتظام فعرضت على ديوان الملك
جيمس رغبتها في هذا المشروع والتمست من سموه ان يرسل السير توماس رو سفيرا الى المغول الاكبر من طرفه
وكيلا لها السير محمد وارد في اكره مرخصا من الامبراطور
وبعد صدور امر يناير سنة ١٦١٣ بمقتضى الامر الصادر من الامبراطور
في انشاء كرخانة في سورت وفروع تتفرع منها حسب نص الامر بالخصوص فيجب علينا ان
نبين ان السير توماس رو له شهرة كبيرة في التاريخ الانكليزي الهندي فنقول ولد السير
تدرج هنا مدة حياته الى ان ارسل سفيرا من طرف الملك جيمس الى امبراطور الهند وكان اصل عائلته من
توماس رو في لو ليطن من اعمال اسكس في نحو سنة ١٥٨٠ بعد الميلاد وكان اول من دخل
قرية اسهالي من اعمال كنط ودخل اربعة من ذرية هذه العائلة مدينة لوندره
منهم في اشغال التجارة رينولد رو الثي وكان حفيده السير توماس رو لوردشيخ مدينة لوندره
في سنة ١٥٦٨ وادى خدمة جليلة في العاصمة بكونه الغى حفر القبط او وسط الصيف واستبدله بحفر

منتظم ثابت على الدوام من اجل مباشرة احوال السلم في المدينة واداء واجبات الضبط وكان
ايضا احد المؤسسين اهل الخير في انشاء مدرسة الخياطة البخارية وتزوج بابنة السير يوحنا عزيزيام(?)
فاولدها اربعة ابنا كان اصغرهم روبرت ابو السير توماس رو المقصود في الحكاية او المترجم ثم ان
روبرت المذكور مات وترك توماس يتيما فلو ان امه تزوجت مرة ثانية بالسير بريكلي ارليكورت(?)
فانها بذلت جهدها وادت ما يجب عليها في تربية ابنها بطريقة فوق العادة وتحملت المصاعب و
الالام في تربيته ولما بلغ عمره اقل من خمسة عشرة سنة دخل في مدرسة مجدلين في اوكسفورد مثل اولاد
العوام فما لبث فيها مدة كافية حتى يتحصل على درجة شهادة المدرسة بل خرج منها وذهب الى باريس
من اجل الدراسة فيها ولما تمم علومه في باريس وعاد الى انكلتره دخل في وظيفة في ديوان الحكومة
وفي ظرف مدة قليلة صار رفيق رئيس حضرة الملكة اليزابث وكان ذلك قبل موتها بمدة قليلة جدا وفي شهر
مارث سنة ١٦٠٤ انعم عليه الملك جمس الاول برتبة الفيت(?) وحصلت له المراعاة والالتفات على
الخصوص من جهة البرنس هنري فبعد مدة هذا البرنس شرع توماس في مشروع سياحة مثل سياحي
العصر وقصد بها سياحة استكشافية في نواحي امريقا الجنوبية فانشأ لهذا الصدد على مصاريف
نفسه سفينة وقارب كبير وطقمها واعدها استعدادا عظيما وعهد قيادتهما الى القبطانين متى مورغن(?)
وعيليوم وايث وكان كل منهما على نجابة وخبرة وتجربة في الاعمال والملاحات ومشهورا
بالجسارة والاقدام ولما اعد كافة تحضيراته سافر هذا الشاب الجليل من مينة بليموث في يوم
٢٤ فبراير من سنة ١٦٠٩ فوصل في اخر ابريل فم نهر الامزون فان لم يكن توماس رو اول
كشاف هذا النهر العظيم فانه كان اول من كشف حالة هذا النهر بكونه صعد مقلعا في مجراه
نحو مايتين ميل في السفينة الكبيرة ومائة ميل اخرى الى اعلو النهر في القوارب الصغيرة ومن
بعده فكك سفره من هذه الجهة الى جهة الشمال والى جهة الغرب وكشف حالة السواحل ودخل
الانهار والبحيرات ورسم مجاريها واشتغل بالسياحة في داخل الارض الى ان وصل الى نهر
اوريتوكو ولما قضى ثلاثة عشرة شهرا في فحص السواحل الواقع بين هذان النهران الكبيران
سافر الى طرينيداد وزار عدة من جزاير الهند الغربي ثم سافر الى جزاير اسوره وعاد الى
انكلتره في شهر يوليه سنة ١٦١١ بعد الميلاد وكانت بعثته من طرف الملك جمس الاول الى
امبراطور الهند هي الحادثة الثانية المشهورة في تاريخه فلو اننا ذكرنا حكايته في تاريخ
سلطنة شاه جهان فيما سبق الا انه لا مانع من ان نقول هنا ان اشغال الانكليز كانت متعلقة
جدا في هذه البعثة وكانوا اجزيا على اشغال كبيرة وكانت اول حادثة وقعت في ارسال رسول
او مبعوثا مباشرة من الديوان الانكليزي الى المغول الاكبر بسبب ان مبعوثي انكلتره الاولين
مثل هينوبري وهوكنس وبست ما كانوا الا مبعوثين من طرف شركات تجارية حاملين
مكاتيب من طرف الملوك المتسلطنة واعد الملك جمس هدايا ثمينة الى الامبراطور مع هذا
المبعوث وتحقق الانكليز في عقولهم وافكارهم ان ارسال مبعوثهم مباشرة من طرف الملك
وهداياهم الثمينة الموجودة معه ورتبة نفس المبعوث واستعداده في المخاطبات ومهارته
وقدرته لا بد وان يحصل من ذلك كله نتيجة فاصلة تعود بالنفع عليهم وسافر السير توماس رو
من كراوسند في يوم ٢٤ يناير سنة ١٦١٥ مع القبطانان بيطون وبروطون الاول
منهما في سفينة تعرف بالاسد والاخر في سفينة تعرف بجب الفلفل وقال فرنى ان
الاسطول الذي سافر كان مؤلفا من اربعة سفن تحت قيادة القبطان كيلينغ وكان نزول
السير توماس رو في سفينة الاسد واقلع الاسطول من انكلتره في ٩ مارث سنة ١٦١٥
ومن بعد ان لحق جزاير سقدرنه(?) وكوميره في خليج موزمبيق ودور راس عزدفوي وصل
جزيرة سوقطره في ٢٤ اوغسطوس فاقاموا فيها اسبوعا ثم سافروا الى سورت فوصلوها
في ٢٦ سبتمبره وكان الاسطول تابعا في سيره الطريق المسلوك المعتاد في ذلك الوقت ونزل
السير توماس رو في سورت في غاية الابهة والاجلال قال فرنى انه في اليوم الذي وصل فيه
الاسطول في سورت نزل السير توماس رو ومعه القبطان كيلنغ ورئيس الكرخانة الانكليزية
وتجارها في سورت وجماعة من الخفر مؤلفة من مائة من عساكر البنادق من الاسطول تحت قيادة
اليوزباشي هرتيش وكانت السفن مزينة ومرتبة بحالة عظيمة واطلقت نيران مدافعها في وقت
نزوله ومروره ولما وصل الى خيمة كبيرة مفتوحة كانت اعدت لنزوله على المينة استقبله عدد

عدد وجوه تجار المدينة وادوا اليه واجبات تحيات القدوم ومع هذا فانه ما سلم من ارتكاب
تكدير وقع عليه من طرف الحاكم فانه فتش بالقوة صناديقه وحملته وفتش كل ما اشتهى فتشه ومن بعد
مصاعب ومعارضات سافر السير توماس رو في ٣٠ اكتوبر الى ديوان البادشاه وكان مقيما
في ذلك الوقت في نواحي اجمير وبما انه كان مبعوث فوق العادة الى المغول الاكبر فما احد تجاسر
في منع هيبة مروره في الطريق وكانت الاوراق الرسمية الموجودة مع السير توماس رو واضحة
البيان للغاية وكانه يظهر منها بداهة المقصود من بعثته الا ان متاخرى الكتاب ذكروا حكايات
متباينة في حوادث هذه المدة فبعضهم نسب للقبطان هوكنس انه اول من استحصل على رخصة
اصل تشييد البيت التجاري في سورت واخرين نسبه الى القبطان بست ونسبه الكثير منهم
الى السير توماس رو واتضح من الاوراق الرسمية التي استلمها توماس رو من ديوانه ان شرف
نجاح المخابرات الاولية في تأسيس البيت التجاري في سورت منسوب الى القبطان بست كما استدل منها
ان ديوان السفير كان ارسل من اجل تدبير ومباشرة المواد المندرجة في الفرمان الامبراطوري الذي
منح الى القبطان بست وارسل الملك جمس مع المكتوب الاتي صورته صورة معاهدة تجارية ومحالفة
ودادية من اجل توقيع الامبراطور عليها في شأن تقويتها وتوسيع نطاق الفرمان الامبراطوري
الذي كان منح على القبطان بست وهذه صورة الجواب

بحمد الله القادر على كل شيء خالق السموات والارض من جمس ملك بريطانيا الكبرى وفرانسا وايرلنده
وحامي الدين المسيحي الى جلالة الملك المعظم المغول الاكبر ملك الهنود الشرقية وقندهار وكشمير
وخراسان دام في سلم واهنا وامان

وردت الينا اخبار احسانكم العظيم الشان ومعروفكم الجزيل الشايع البنيان نحونا ونحو رعايانا بما
حثوه من مكانتكم الجليل وصدور اوامركم الكريمة لعموم رؤسا الانهار وحكام المصالح في ممالككم بحسن
المعاملة مع رعايانا المحبوبين لدينا الامة الانكليزية والنظر اليهم مع المحبة والوفاق والاحترام في
اي وقت يصلون فيه الى اي المين الداخلة في ممالككم بحيث يمكنهم التجارة ومباشرة ادارتها من
دون ان يحصل لاحد منهم قرع او ضرر فعلى حسب نص المواد التي ربطت بمعرفة الشيخ الصوفي
حاكم الجزرات باسم جلالتكم مع واحد من رعايانا المحبوبين القبطان توماس بست استصوب
بطرفنا ان نرسل نحو جلالتكم سفيرنا بخصوص تدبير ومباشرة هذه المواد بما يوافق اجراه
والاتحاد بلا شك ولا ريب في وقت حسن النية وخلوص الطوية في المخابرات الودية التي ابتدأت بيننا
في اخر الامر فتؤول النتيجة الى الشرف ويعود منها النفع على الاهلين في الحال والاستقبال وتسع
نطاق التجارة في المملكتين وقد انتخبنا السير توماس رو بصفة احد معتبري امراء ديوان حكومتنا
وترتبناه مبعوثا مرخصا من طرفنا باخذ الختم الكبير لانكلتره مع الاوامر والتعليمات التي تجري تدبير
ومباشرة هذه المواد على مقتضاها حتى تكون النتيجة مثمرة البقا في زيادة النفع والفوايد لكل
من الشعبتين فاملنا ورجانا نحوكم توجيه احسانكم والتفاتكم نحو ما تكون الحاجة اليه في
تأسيس وتأييد وتوسيع نطاق التجارة واملنا ورغبتنا مع خلوص طويتنا وحسن نيتنا وميلنا
نحوكم ان تقبلوا من جهتنا الهدية المرسولة من طرفنا التي سيلقيها مبعوثنا بين ايديكم لان ذلك
من اجل مرغوبنا واسئل الله ان يمنحنا رحمته ويحفظنا من كل سوء بقدرته آمين

ثم انه مع ما كان من هذا المكتوب فانه اتفق ان السير توماس رو ما امكنه نشر الحصول على
فرمان من الامبراطور مرخص له بالتجارة الانكليزية الا في سنة ١٦١٦ وكان ذلك في الظاهر
فقط وفي سنة ١٦١٨ التزم السير توماس رو على السفر من ديوان الامبراطور بما راى من عدم
القبول على الفرمان وعدم ثبات الامبراطور في اوامره واحكامه ولما زادت عليه المصايب
والارتباكات من نفس اعداء الانكليز الذين كانوا سيما في جبهة ماسي هوكنس ترك السير
توماس ديوان الامبراطور من دون ان يستوفي نتايج مأموريته واظهر له البادشاه حسن القول
عند سفره واعطاه مكتوب للملك جمس فلما وصل مدينة سورت وجد الحكام على تغير عنه
من تنفيذ مفعول المعاهدة الجديدة حتى واستفتح وذم الاوامر والفرمان الصادرة من الامبراطور
وكانه بين شاه جهان وهذا الحاكم منازعة وخلاف وكان ايضا في مخالفة بينه مع البرتغاليين
فلما راى ذلك السير توماس رو فتح مخابرة مع الامبراطور فدخل الامبراطور في الحال فيما راه
توماس رو ومن بعد صرف زمن طويل في المخابرات معه عقدت معاهدة اثبت فيها كافة الفوايد
والاوامر والفرمانات التي كانت منحت على القبطان بست في السابق والفرمان الذي صدر للسير

لتوماس رو مع امتيازات مخصوصة في مينا سورت والرخصة في اقامة وبنا مخازن واشتغال
تختص بوكلا الشركة الانكليزية فتقوى السير توماس رو بهذه المنح ودخل في مخابرات اخر مهد
حتى انه ادرج في المعاهدة مواد اخرى توجب للانكليز بالحرية في اقامة شعاير دياناتهم وحكمهم
القسيس على مقتضى نص قوانينهم وشرايعهم وحق لبسهم السلاح وفي نظير هذه المنحة الاخيرة وهي
لبس السلاح عهد السير توماس رو على الانكليز القاطنين في سورت وكفلهم بما عهدة الامبراطور
في المحافظة على المينة وفي مدة اقامته في سورت رأى ان وكلا الشركة ساروا في طريق تجارة نافعة
عظيمة في الخليج الفارسي وصار له الامر بعقد معاهدة تجارية مع شاه فارس وكان الانكليز
اقاموا كرخانات على سواحل الخليج الفارسي وحتى في نفس اصبهان وهكذا كانت هذه ورث ط
وكلا الشركة في الاول في سورت وكان شاه عباس صاحب فارس في مودة واحترام كبير مع
المغول الاكبر فلما تحقق من قبول واحترام السير توماس رو في ديوان امبراطور الهند رضي
هو ايضا وسلم في كافة المخابرات التي وصلت لديوانه منه فكانت النتيجة عقد معاهدة بشروط
موافقة للشروط التي احرزها الانكليز في سورت ولما انتظمت المعاملات بالهند والمتابعة مع الهند
وفارس وانكشفت كافة سبل البحر الموصلة الى هذه الاقاليم كشفا تاما صار لا عبرة بالاسفار
حتى وكان من النار تسجيلوا اعمالها غير ان موقع الانكليز ما زال كان مرتبكا في بعض الاحيان
بالاخطار والمصاعب من العداوة المكنونة في قلوب الامم الاخرى الاوروباوية الذين اسسوا
لانفسهم مواطن ومنازل في السابق في الشرق وداوموا على قدر جهدهم وطاقتهم مباشرتها
ومحافظين عليها من الدسايس والتداخل في اشغالها وامورها وكان البرتغاليون مظهرون
هي ان بتلك الاوقات الكبيرة في حقوقهم السلطنة في هذه الجهات وزادوها بما كان في قلوبهم
من العداوة والبغضا الا ان قوتهم البحرية كانت اضمحلت في هذا الوقت بمقارنتها مع الاساطيل
الانكليزية حتى انهم ما كانوا يلقوا الانكليز في واقعة الا انهزموا شر هزيمة وكذا كان وقوع
النزاع والعداوة من الفلمنكيين اكثر وبسبب ما كانوا فيه من وسعة الاعمال في البحر كانت عداوتهم
للانكليز وكراهتهم اشد واقوى وكانوا طردوا البرتغاليين قاطبة من جزاير مولوقه وبنده
واعلنوا تمام سلطنتهم عليها فاسى الانكليز في المداخلة مع هولاء الهولانديون في هذه
المستعمرات مع ما كان لهم من حق التداخل الاولى وفتح الان جزيرتي بولورون ورون تفيق
الصغيرتان ولو انهما كانتا في الحقيقة قسما من مجموع الجزاير المحتلة بالامة الفلمنكية وما كانت
للفلمنكيين مستقرة فيها بالفعل ادعاها الانكليز اراضي مكتشفة فانشأوا فيها قلاعا وكان
لهم في ذلك تمام الكفاية في مباشرة الاعمال الهندية فبسبب كثرة وجود بيوت التجارة التابعة
للامم الاخرى الموجودة في اراضي الجزاير المجاورة لهاتين الجزيرتين الصغيرتين فانحرثت الغيرة
والحسد في قلوب الفلمنكيين واجتهدوا في اخراج اعداهم من مقل هاتين الجزيرتين في ابوابها
اجروه في الماضي حتى تم ضبطوا سفينتان انكليزيتان واظهروا قوتهم وعزمهم في عدم تسليمهم
هاتان السفينتان مالم تتنازل انكلترة عما زعمها وادعاها في ان لها الحق في التجارة في جزاير
البهارات فرفضت انكلترة قبول هذا الطلب مع حدة الغضب والمقاومة الشديدة فتولد من
ذلك منازعات كانت نتايجها خساير جسيمة على كل من الطرفين وبالخصوص على الانكليز وعند
ما كان العقودان بوتنغ على سفن الكوروتشزبل في سنة ١٦١٩ بلغ اخبار حكاية مكدرة
ان اربع سفن وهي التنين والنمر والسريع والوردة قبض عليها الفلمنكيون بالقرب من
جزاير طيكو واخذوا سفينة اسمها الكوكب في بوغازات سوندة وان سفينتان اخريتان
في صعوبة وشدة كبيرة حتى تم عرضت في هذه الحالة الشركتان الانكليزية والفلمنكية شكواتها
وحزنها وخسايرها كل منها بعضها الى حكومتها ففتحت المخابرات بين الدولتين وتقرر انه
لاجل منع هذه المنازعات وعدم وقوع الخساير والاحترازات وعدم الوقوع في حرب عام عقد
معاهدة تعود بالنفع على الدولتين ووقع الاتفاق في هذه المعاهدة بين الانكليز و
الفلمنك على ان يكونوا مشتركين كما كانوا في الاول في التجارة الهندية وان يكون للانكليز نصف
تجارة الفلفل والثلث في البهارات الظريفة الاخرى وان يكون من طرف كل امة عشرة من السفن
معدة للمحافظة ونقل البضايع اللازم ارسالها من مينة الى اخرى من الهند وان يشكل مجلس محافظة
مؤلف من اربعة انفس من كل امة او من كل شركة يتكفل بالمحافظة على تقوية شروط هذه
المعاهدة وتنفيذ مفعول موادها فتولد من هذه المعاهدة ارتباك الاحوال على الدوام بوسط

... تداخل الاعمال في بعضها بحيث ما كانت تخيب ابدا من الدخول في مصاعب شديدة وهو انه
للفلمنكيين اخ طيل كبيرة في الجزاير فاولوا كل مادة من مواد المعاهدة بالنفع لجهتهم وما قبلوا
للانكليز ما وقع الاتفاق عليه في المعاهدة المخصوص بحصة التجارة حتى يدفعوا ما يخصهم
المبالغ التي صار صرفها من طرف الفلمنكيين بخصوص انشا الاستحكامات في تلك الجزاير سوا
كافة ومن ثم احدثت العداوة كل يوم في الزيادة بين الامتين وزاد غليانها في قلوب الهولانديين
ولم ينتج الى ان استحوزوا لانفسهم على قوة فوية ودخلوا في شغل الحالة الوحشية الفظيعة التي فعلوها المعروفة
بمذبحة انبوينه وكانت جزيرة امبوينه مشهورة جدا بانها اغنى مجموع جزاير مولوقة وانها
الجزيرة الوحيدة التي يخرج منها محصولات كبيرة وقدرات واسعة من صنف القرنفل وكان مركز
الوكالتين الانكليزية والفلمنكية في عاصمة الجزيرة وللفلمنكيين فيها قلعة محفوظة بنحو مايتي نفس واما
الانكليز فكان عددهم ثمانية عشر نفس مقيمين في بيت واحد في المدينة وكانوا يظنون في انفسهم
انهم في امن وسلامة تحت ذمة المعاهدة المنعقدة بين الفلمنك وانكلترة ثم اتفق ان الفلمنكيين
ارتابوا من عسكري يابوني كان في الاصل في خدمتهم فقبضوا عليه ووضعوه تحت العذاب الشديد
فاعترف من شدة وقوع العذاب عليه انه هو وجملة من اهل بلاده تعاقدوا على القيام في ثورة
من اجل ضبط القلعة وقتل الحاكم الفلمنكي وعلى مقتضى ما اخذوا من هذه الاقوال ضبطوا اخرين
من اليابونيين ووضعوهم تحت العذاب الشديد وفي مدة سريان هذا الشغل كان الانكليز يذهبون
الى القلعة ويرجعون منها في خصوص اشغال يتوجهون اليها وكانوا يسئلون كما هي العادة عن
مجاري ما هذه المادة بما انهم لا دخل لهم فيها وكان عبد البريش الجراح مسجونا في تلك القلعة
بسبب افراطه في السكر فقال في صباح يوم من الايام ان اهل بلاده لهم دخل في هذه المادة ايضا
وكان في شدة السكر والجهل بما يقول فلما افاق من سكره وسئل بجد ما قال فوضع تحت العذاب
الشديد الى ان اعترف بما يرغب المعذبون له فارسل حاكم القلعة بلاغا الى العقودان طوريسن و
غيره من اعضاء البيت او الكرخانة الانكليزية يطلبهم عند الحاكم فلما وصلوا حصل عندهم غاية
الاستغراب من القبض عليهم وعلى املاكهم واودعوهم في السجون ثم دعوهم للاعتراف والاقرار في
شركائهم ودخولهم في الثورة الواقع التحقيق فيها فمع جحودهم واثباتهم عدم التداخل في هذه المادة
وضربهم من بعضهم واخذوا يسئلوهم كل على حدته ووضعوهم تحت العذاب الشديد حتى ان
صراخهم وصياحهم من شدة العذاب سمعوه اصحابهم في الخارج وعلى مسافة بعيدة من السجون فمن
شدة العذاب والضيق ووجودهم على اخر رمق من الحياة فضلوا الموت ولا شدة هذا العذاب واقروا
بالجريمة والتهمة المدعيين بها عليهم ولا ريب ان هذا الاقرار كان من مباشرة العذاب لانه مع
ما كان يخفف عنهم العذاب كانوا يثبتون بانه لا دخل لهم في الثورة فيوضعون تحت العذاب الشديد
ومن شدة العذاب اعترف اثنان على طوريسن بان له دخل في الثورة فلما حققهم انكروا فقالوا
هذه الشهادة التي شهدوها ضده فوضعوا تحت العذاب حتى اعترفوا على انفسهم وعليه انهم كانوا
من جملة الثورة وغصب واحد ان يقول الحق على نفسه في كل ما يسئل فيه فعدوه من العائدين
ووضعوه تحت العذاب حتى اخترع حكاية استكفى بها الظالمون وفي اخر الامر صارت المحاكمة
وتقررت الجريمة التي لا اصل لها على هؤلاء الاشخاص ظلما وعدوانا واصدر قضاة الحكم احكامهم
النهائية بموت العقودان طوريسن وتسعة اخرين وحصول العفو عن البقية الباقين وصدر
الامر بان يتظروا بعضهم بعضا وان اهم قسيس فلمنكي يقيم لهم شعاير الدين فاظهروا له براتهم من
الدخول في هذه المادة وقال سمويل كولسن جهرة بصوت عالي اللهم انك تعلم اني بري
من هذه الفتنة اللهم اغفر لي ذنوبي كلها وان كنت على علم بان لي ادنى جريمة في هذه المادة
فلا تشفق برحمتك وسعادة وسيع جنتك يا الله فاجاب الاخرين امين امين ثم سامحوا
بعضهم بعضا وقال واحد اسمه ... كيف يعفو عني ربي ان لم اسامحكم جميعا ثم
قطعوا رؤسهم بالسيف صبرا وكان وضع غطا اسود على العقودان طوريسن فطالت اعداء
الشركة الانكليزية بشتمه وكانت الامة الانكليزية عند ما يقوم الغضب في وجوهها تكون مانع السهولة
والتفريج فما هاج فيها الغضب وشدة الحنق مثل ما وقع في هذه المادة بحيث لما وصلت اخبار هذه
الفظيعة الدموية الشنيعة الى انكلترة وهاجت الامة واضطربت وقام الصراخ والصياح العمومي وزعق
الناس في شوارع لوندره الثار الثار الانتقام الانتقام وعمل ديوان صور ووزعها مبين فيها
كل هيئة من العذاب الذي توقع على الذين ذاقوا الموت واشتغلت ارباب الجرايد والمطبوعات بتاجيج
النيران وثوران الغضب في قلوب معظم الامة وال امر هذا الهياج الى درجة عالية حتى ان نواب الفلمنك

فى لوندره استقالوا بالمجلس فى المحافظة على انفسهم فقام المستر بيل وكان من الدوام مجاهدا فى المحافظة ضد اعراض الامة وقال ان هذه المادة من الواجب على الحكومة رفعها بحالة فوق العادة وصار يغب ان يصف الفاعلين لهذه المذبحة بوصف انه قام فيهم عدة شيطانية كانت سببا فى وقوع هذه المادة بل كانت فكرته ان الاكثر احتمالا ان الفلنكيين اخرجوا وهاج فى صدورهم الغضب بسائق المنافع الذاتية واعتقدوا ان اعداهم مجرمين مذنبين فجلبوهم مع الجنون وعدم البصر للمحاكمة ونفذوا الاحكام عليهم بالعمى وعدم البصر فى العواقب واخفوا الحق وسلكوا طريق الضلال وقتلوهم من دون رأفة وتأسف فى القلب وان طريقة العذاب مع عدم العدل فيها ما زالت جارية فى هولنده وبعض ممالك اخرى الى الآن لارغام المرء على قول الحق او الزور وراجى المسئلة قبل ان الامنيين فى تلك البحور البعيدة ليس عندهم حكومات منتظمة كما وانهم فى جهات بعيدة من حكوماتهم فمن ثم وقعت هذه الجريمة وهذه الاعمال القاسية الفظيعة ولو ان الى الآن لم يعتزموا باستصواب هذه الملحوظات الا انه لا يمكن التأخر عن القول بان هذه الفعلة من اقبح الفعال الفظيعة الشديدة الدموية ولما طلبت الحكومة الانكليزية من الحكومة الفلنكية الدية واداء العوض اعادوا اجوبتهم بالمراوغة والمحاولة لكن عندما شرعت الانكليز فى حجز سفن الفلنكيين وضبطها ورأى الفلنكيون ان نتيجة المادة دخلت فى هيئة كبيرة دخلوا هم ايضا مع الانكليز فى العوض فى هذه المادة واسباب حصولها فامتدت المخابرات فيها مدة طويلة من الزمن الى حد سنة ١٦٥٤ فى مدة حكومة كرومويل وتعين ثمانية مندوبين من كل امة اربعة اعضاء فتوجهوا لمحل الواقعة وفحصوا المادة وقرروا غرامة مقدارها ٣٦١٥ ليرا استرلينية تدفعها هولنده لاولياء دم الذين قتلوا وفى هذا الوقت قدمت كل جهة قائمة بمبلغ قيمة الخسارات التى حصلت لها من الاخرى فى ظرف الاربعين سنة التى مضت من ابتداء المدة التى سعوا فيها المساعى الى يئسوا فى ان يكونوا فى جامعة واحدة فى التجارة الى حد سنة ١٦٥٢ بعد الميلاد وقرر الانكليز مبلغ خسارتهم ٢،٦٩٥،٩٩٩ استرلينية وقدم الفلنكيون مبلغا زائدا عن هذا مقداره ٢،٩١٩،٨٦١ ليرا استرلينية ففصل الحكم فى هذه الطلبات الكبيرة لجلس المندوبين وقرر بان هولنده تدفع مبلغ ٨٥،٠٠٠ ليرا الى انكلتره فكانت حادثة امبوينه سببا فى فسخ طريق الاتحاد فى التجارة بالكلية فضلا عن انه كان المتقرر عدم اجراه من الاول ولو ان الانكليز ما زالوا كانوا باقيين مدة طويلة فى مركزهم فى بنطام وكانوا جاعلوه عاصمة املاكهم فى الشرق فان القوة الكبيرة التى ابقاها اعداهم فى بحور هذه الجزاير وكانت آخذة على الدوام فى الزيادة كل يوم صيرت هذه الجهة التى كان بواسطتها للانكليز قدم فى الجزاير صعبة جدا وفى دوران وتقلب احوال مستمر ثم تولد من قوة تأثير الجذب الكبير نحو القارة الهندية حث الانكليز وحضهم على ترك محلاتهم ومنازلهم فى الجزاير على التدريج ما عدا منازل قليلة على سواحل جزيرة سومطره وكان الانكليز اخذوا لهم فى السابق منازل ومواطن فى الخليج الفارسى مما قبل فاتحدت قوة بحرية انكليزية مع جيش الشاه صاحب فارس وفى سنة ١٦٢٢ طردوا البرتقاليين من مستقرهم الغنية فى هرمز حتى ابتدا هذا الوقت انحطت هرمز وصار لا معنى لها فى ذاتها وفى نظير خدمة الانكليز فى هذه الغزوة ما اخذوا نصيبهم فى الغنيمة فقط بل ورخص لهم الشاه بحرية تشييد بيت تجارة وكرخانة فى قلعة غمبرون واما سورت فانها كانت من مدة طويلة المركز الاصلى للوطن الانكليزى فى الهند وكانت ترسل اموال جسيمة فى كل سنة للبيت التجارى الانكليزى الموجود فى هذه المدينة ومع هذا فانها كانت عرضة للخطف والنهب الواقع من الامبراطور وحكام والغارات المستمرة الى حصلة من المرهطاويين فمن اجل ذلك تلهف الانكليز واشتاقوا لان يكون لهم محل يمكنهم تحصينه وتقويته والى قطعة عليه من كل غائلة او تعدى يقع من الخارج فجاء لهم هذا المرغوب يجرى ازياله من الغفور فى سنة ١٦٦٢ وكان السبب فيه زواج الانفنطه كاترينه بشارل الثانى وتنازل ملك البرتقال عن جزيرة بمبى من جملة صداق ابنته الى الانكليز فتهم الانكليز مع سوء الحظ ان اعتقاد هذه التحفة احلى منها ايضا جزيرة سالسيت وملحقاتها واما البرتقاليون فكانوا على رأى ان هذه المنحة خاصة فقط بوجود جزيرة بمبى فقط والآن نتيجة المادة الى استحواذ الانكليز على الكل وكان ذلك اول استحواذ الحكومة الانكليزية على ارض فى الهند ولو انه ما كان يخرج منها ما يقوم بمصاريفها وفى سنة ١٦٦٨ سلمتها الحكومة الانكليزية للشركة فنقلت الشركة وكلاها وبنايتها

من سورت الى بمبى فى سنة ١٦٨٧ واستمرت بمبى من هذا العهد عاصمة الاملاك الانكليزية الغربية من الهند وفى هذا الوقت احدثت المنازل الانكليزية الموجودة على الساحل الشرقى على التدريج الى الحالة التى هى عليها الآن واستمرت مواقع ساحل الكورومندل مدة من الزمن فروعا تجارية غير ثابتة تحت مباشرة وملاحظة بنطام وكان وصول هيبون كما ذكرنا فى تأسيس المواطن الجليلة فى مدينة مسوليپتم وفى پوليكات ثم صرف النظر عن پوليكات لما كان من عداوة الفلنكيين ومبارزاتهم ثم انه لاجل الفرار من عداوة الامة الفلنكية والقوات المحلية حاز الانكليز فى سنة ١٦٢٥ قطعة من الارض فى ارمغوم فى جنوب نيلور بمسافة وشيدوا فيها كرخانة ثم كانت هذه الجهة التى كانت منظورة للانكليز انها سوق المنسوجات الطريقة المتولد منها الغنيمة الكبيرة لهذا الساحل فى تعادل بيضاء فى مسوليپتم الا انها استحقت

~~بعد تشييد بيت تجارة للانكليز فى بيبلى من اعمال اوريسه ومع ذلك فانسحلال المحل لانها~~

~~بطء الحركة~~ فيها التجارة مع السرعة واستحصل الانكليز على امتيازات جليلة مخصوصة بهذه الجهة من ملك جولكنده وصدر ايضا امر الامبراطور بتشييد بيت تجارة لهم فى بيبلى من اعمال اوريسه ومع هذا فانه ما زال كان لازما لحفظ تجارة الشركة محلا عظيم الموقع فاستحصل الانكليز على ارض فى سنة ١٦٤٠ من ملك وطنى بتشييد قلعة فى مدراس پتنم فشيدوا القلعة ولما كانت عليه الشركة من عدم قبولها المصاريف واطلقوا عليها اسم قلعة سنت جورج وجعلوها عاصمة مواطنهم بساحل الكورومندل واما التوطن فى بنغاله فانه كان حصل اجراه فى آخر الامر من بعد المواطن التى شيدت فى اتصالها بسبب ما كان حاصلا من العداوة وعدم التوفيق وكان سبب التوطن الذى جلب الانكليز باسم جبرائيل بوطون كان مقيما فى سورت وتوجه الى اگره فى سنة ١٦٥١ حتى طالع سعده انه عالج مرض خطر كان اصاب ابنة الامبراطور شاه جهان وكان اعيا الاطباء الوطنيون فى علاجه وكان من جملة التعطفات التى تعطف بها الامبراطور على هذا الطبيب هو استجازته من امتيازات جليلة لبعض البضائع الانكليزية بجزيرة لا هو بلاده ودفع تجار سورت ٣٠٠٠ روبية واستحصلوا على حرية تامة فى التجارة فى بنغاله رفع الرسوم والعوائد وفى سنة ١٦٥٦ اشيد الانكليز بيت تجارة فى نواحى هوغلى الواقعة على فرع من فروع نهر هوغلى وكان هذا النهر معدود انه الطريق المشهور الاصلى لتجارة الكنج فمن ابتدا هذا الوقت صارت السفن مع رؤوس الاموال ترسل الى بنغاله كل سنة وعمل بعد ذلك تاكيد عدة بيوت تجارة اخرى الا انها ما زالت كانت فرعية انها ثانوية لتجارة ساحل الكورومندل وادارات اشغالها كانت جارية مباشرتها فى قلعة سنت جورج ثم اتفق ان الانكليز سعوا بسعيهم فى بنغاله فى اول تأسيس شوكة سياسية وحربية وارسل وكلا الشركة تقارير مختلفة لديوان نظارة الشركة بما هو حاصل لهم من المضار المختلفة الواقعة من حكام الوطنيين واعتنوا بنظارة الشركة فى خلاصهم من هذه المضايقات بقوة السلاح فارسل نظار الشركة فى سنة ١٦٨٦ العشرة ان تنطلق عشرة سفن مسلحة بلوكات من العسكر من اجل اداء الخدمات المطلوبة فى الحرب ضد الامبراطور المغولى الكبير وعامله فى بنغاله وكان تصميم الحرب فى الاول هو ضبط وتحصين شيطاغونغ وهى نقطة بعيدة جدا عن ميدان الاعمال التجارية الا ان المقصود من ضبطها جعلها اس حركاتهم العسكرية فكانت الانكليز فى نجاح وطالع سعد فى اجرائهم هذا المشروع الكبير لان الشليح التى اسلفنا لنظارة الشركة عن السفن والعساكر وصلت متقطعة فضلا عن ان الاشتغال كانت بغير هدى ونشاط ومن بعد الجمع اقلع الاسطول الى هوغلى وشرع فى حركة الضرب المتوالى بالاقواه النارية فانهزم هزيمة كلية وبحث لنفسه على ملجأ وماوى يأوى فيه فى عينه هى المينا الموجود عليها الآن مدينة كلكوطه وكلكته واحرقت العساكر الامبراطورية المغولية الكرخانات التى كانت تشيدت من قبل فى مدينة پتنا وفى قاسم بازار ونهبت بضائعها واستغرقها ومن بعد ان عقد العامل شيستة هدنة غش مع الانكليز جمع جيشا عرمرما من اجل الهجوم على هؤلاء الانكليز المخذولين فاظهر الانكليز فى هذه الشدة والمضايقة تحت قيادة واحد من وكلاء الشركة مهارتهم وما صدوا القوى المغولية فقط بل ودخلوا مدينة بالسور وحرقوا اربعين سفينة من سفن الوطنيين ثم وقع الصلح والتراضى وحصل الاتفاق على الرضا بعودة بيوت التجارة فى هوغلى وفى وقت ما كانت الاعمال على شرف العود كما كانت جارية حال بقدوم سفينتان حربيتان انكليزيتان تحت رياسة قبودان اسمه هيث عند مدخل النهر وفسخ المعاهدة وابتدأ فى الاعمال والحركات الحربية وكانت اجرأته من طوالع النحس على الانكليز والزم الانكليز على الجلاء من بنغاله وكان الامبراطور محمد اورنك زيب هو الجالس فى هذا الوقت على

التجت المغول فى دلهى وهاج الغضب فى وجهه من هذه الفعال ومن فعال اخرى عنيفة وقعت من السير يوحنا شيلد حاكم بمبى حتى ان الامبراطور اصدر امرا عاما من طرفه بالغارة برّا وبحرا على عموم كرخانات الشركة وبيوت تجارها فالموجودة منها فى سورت وماسليبتنم وويزاغاباتم ال امرها الى الخراب من بعد سفك دما شديد وحاصر عساكر الامبراطور نفس بمبى وضيقوا عليها وفى الوقت الذى ال امر الانكليز فيه على التسليم مع الذل والاهانة نظر هذا الامبراطور السياسى الى الفايدة والمنافع العايدة من التجارة الاجنبية على بلاده فكف غضبه على التدريج واصدر اوامره باجرا التجارة كما كانت فى السابق ومن هذا الوقت ابتدات الشركة جهرة فى الرغبة والتوق ان يكون لها حكومة مستقلة فى الشرق وفى سنة ١٦٨٩ عول للسر جوزيه تشايلد فاصلا بلزوم تشييد قواعد اساس الاستقلال فى الهند وبشر الحصول على وجود مملكة فيها وكتب نظار الشركة فى نفس هذا التاريخ لوكلاهم بان زيادة الايرادات والواردات مطمح انظارهم مع التجارة ايضا فيمكنا من هذا الوقت ان نرى ان الانكليز ابتدوا فى مشروعاتهم السياسية فى التغلب على هذه الجهة من جهات اسيا شيا فشيا على التدريج والله اعلم

مختصر ما قيل فى المنازل الاولى للانكليز فى الهند الشرقية

عرفت وتحققت من دراسة التاريخ الهندى وسبب تغلب الانكليز على هذه البلاد الغنية المشهورة ان الانكليز ما اخذوا الهند من مسلمى المغول بل اخذوها من نفس الهنود الا انه من قبل ظهور انهم هم الغالبون على امرها والفاتحون لها كانت المملكة المغولية انكسرت شوكتها واضمحلت عظمتها وقوتها واما كانت الحروب المهولة الصعبة التى لاقتها قيم الانكليز فى الهند وقعت بينهم وبين ملوك دلهى ولا مع نوابه الذين كانوا قايمين منهم استقلوا بالجهة العاملين فيها بل كانت حروبهم مع الافخاذ الكبيرين وهما اتحاد المهرطه واتحاد السيكيون واما الملوك المسلمون فانهم كانوا فى اتحاد مع الانكليز وحاربوا لهم فى الحروب والغلبة على الهند وحاربوا معهم فى بنغالة وفى الكرناطيق وفى ميسور وكانت المقاومة الكبيرة التى حصلت للانكليز من الهنود وكان اخر حرب هاجمت الانكليز مع المهرطه وبين فى سنة ١٨١٨ بعد الميلاد وهزمت الانكليز الاتحاد السيكى فى سنة ١٨٤٨ وسنذكر هذه الحروب فى الفصول المخصوصة بها ان شا الله تعالى

الاسفار الاولية للانكليز من سنة ١٤٩٦ الى سنة ١٥٩٦

اتخذ الانكليز المساعى التى اجروها فى الوصول الهند من طريق من الجهة الشمالية الغربية ولهذا القصد منح هنرى السابع ملك انكلتره فى سنة ١٤٩٦ بعد الميلاد اوامر ملوكية من عنده يمنى يوحنا كابوت واولاده الثلاثة واحد منهم كان ابنه المشهور سباستيان من اجل استعداد سفينتان لكشف هذا الطريق فخابوا فى كشف طريق يوصل الى الهند من هذه الجهة الا انهم كشفوا جزيرة نيوفاوندلند (اى الارض الحديثة العهد بالكشف) وسافروا فى طول ساحل امريقة من ابتدا نهر لبرادور الى فرجينيا وفى سنة ١٥٥٣ اجتهد هيو ويلوغبى فى كشف طريق فى طول الساحل الشمالى لاوروبا واسيا موصل الى الهند فخاب عزمه واجتهاده وهلك مع معظم بحريته من شدة البرد على ساحل لابلند ووصل القايد الثانى الذى كان معه المدعو ريشارد تشنسلور الى مينة على البحر الابيض الشمالى وهى مينة ارخنجل الان ثم جات المساعى والاجتهادات تتلو بعضها بعضا فى كشف طريق من الجهة الشمالية الغربية توصل الى الهند من سنة ١٥٧٦ الى سنة ١٦١٦ بعد الميلاد وتركت هذه المساعى على الخرايط الجغرافية اسما تخلد ذكرها فى الدنيا وفى صحف الكتب الجغرافية مثل فروبيشر وداويس وهودسون وبافين وغيرهم من مشاهير كشافى الانكليز وفى هذا الاثنا اى فى سنة ١٥٧٧ كان فرنسيس دراك جارى سياحته حول الكرة فى طريقه وهو عايد الى انكلتره جزيرة طرناط احدى مجموع جزاير مولوقة فاتفق مع ملك هذه الجزيرة على انه يورد كافة اصناف القرنفل الخارجة من محصولات اراضى جزيرته الى الامة الانكليزية والمشهور المعول عليه ان اول رجل انكليزى دخل الهند كان توماس استفانس خورى مدرسة الجزويت فى جزيرة سالسيت المجاورة لجزيرة بمبى فى سنة ١٥٧٩ وفى سنة ١٥٨٣ سافر ثلاث تجار من الانكليز وهم رالف فتش وجس نيوبرى وليدى اوليديش الى الهند من طريق البر جايلين فى طلب التجارة فقبض عليهم الحسودين البرتقاليين واودعوهم فى سجن فى هرمز ثم ارسلوهم الى جوواه وسجنوهم فيها ايضا ثم افرجوا منهم واخلوا سبيلهم فقطن نيوبرى جوواه وكان يبيع ويشترى ودخل ليديس فى خدمة المغول الاكبر واما فيتش فانه من بعد ان جال وساح

سياحة طويلة فى سيلان وبنغالة وبيغو وسيام وملقة وجهات اخرى من الهنود الشرقية وذكرنا تفاصيلها فيما سبق عاد الى انكلتره ثم تولد من هزيمة الارمادة المهولة التى كانت ارسلتها ملكة اسبانيا والبرتقال ضد الانكليز فى سنة ١٥٨٨ نفحات كبيرة ومشروعات خطيرة عند الانكليز فى البحور وعرفوا من السفرة الناجحة التى سافرها كورنيليوس هوتمان فى سنة ١٥٩٦ الطريق الموصل من جهة راس عشم الخير فى هذه المياه وكان البرتقاليين فى ذلك الوقت محتكرين لانفسهم هذه الطريق

الشركات الانكليزية الشرقية فى الهند

كان اصل تالف وتاسيس الشركة الهندية الشرقية الانكليزية ناشى من العداوة التجارية التى وقعت بين لوندره وامستردام وذلك انه فى سنة ١٥٩٩ رفع الفلمنكيون اسعار الفلفل بالمعاندة فى الانكليز من ٣ شلن الى اربعة الى ٨ شلن ثمن كل رطل فاجتمع تجار لوندره فى يوم ٢٢ سبتمبره فى صالة او ايوان فاوندرز مع اللورد شيخ مدينة لوندره وحاكمها وعقد محفل تحت رئيسه حاكم المدينة واتفقوا على تشكيل شركة تجارية تتجر مباشرة مع الهند ولا حاجة للفلمنكيين وارسلت المملكة اليزابث ايضا من طرفها السير يوحنا ميلدنهال من طريق القسطنطينية الى المغول الاكبر فى الهند فى طلب امتياز ورخصة لشركة تجارية انكليزية وفى ٣١ ديسمبره سنة ١٦٠٠ تالفت شركة انكليزية هندية شرقية برخصة ملوكية باسم حاكم وتجار لوندره للتجارة فى جهات الهنود الشرقية وكان اصل الشركة متالف من ١٢٥ مساهم وراس المال ٧٠٬٠٠٠ ليرا استرلينية ثم بلغ الى ٤٠٠٬٠٠٠ ليرا فى سنة ١٦١٢ عندما خلت كافة الاسفار تحت حساب مال مشترك واحد وفى سنة ١٦٣٥ تالفت شركة كورتين المعروفة باسم تجار اسادا من اسم كرخانة شيدتها هذه الشركة فى جزيرة مدغسكر ثم من بعد مدة وقع النزاع والفشل فى هذه الشركة فالتحقت بشركة لوندره فى سنة ١٦٥٠ وفى سنة ١٦٥٥ استحصلت شركة التجارة الباسلة على رخصة من كرومويل فى التجارة مع الهند الا انها ما بعد مضى سنتان انضمت الى الشركة الاصلية ثم بعد ذلك ظهرت الشركة الانكليزية العمومية التى تحمل تجارتها الى الهند الشرقية وتشكلت تحت رياسة مدير فى سنة ١٦٩٨ براس مال مقداره اثنين مليون ليرا استرلينية ثم ان عموم هذه الشركات الانكليزية تجمعت واتحدت بعضها فى سنة ١٧٠٩ تحت لقب الشركة المتحدة لتجار انكلتره فى التجارة مع الهند الشرقى وكانت جزاير الارخبيل الهندى هى الهدف او الغرض الاصلى للسفن الانكليزية

الاسفار الاولية التى اجرتها الشركة الانكليزية

الاولية التى دخلت فى البحور الشرقية وعقد الهيئوران لنكستر ما سبق ذكره فى سفره من طرف الشركة فى سنة ١٦٠٢ علاقات تجارية مع ملك اچين واسس كرخانة او بيت تجارة فى بنطام وفى ظرف السنين التى اعقبت هذه العلاقة عادت السفن الانكليزية الى انكلتره بشحنات وافرة من الفلفل والبهارات الغالية من جهات سومطره وجزاير مولوقة وبنده وامبوينه وبنطام الا ان شجاعة وغيرة البرتقاليين ما زالت كانت قوية فى طول الساحل الغربى من الهند وصدموا الانكليز صدمة قوية ومنعوهم من الدخول فيه بقوة السلاح ما دام لا رخصة من ملك البرتقال وفى سنة ١٦١١ استحوذ السير هنرى ميدليطن على مشحونات من السفن البرتقالية فى نواحى كامبايه ردا لما قاسوا عليه من شدة المقاومة وفى سنة ١٦١٥ كانت الواقعة البحرية المشهورة فى نواحى سيرالى بالقرب من فم نهر طابتى حرب فيها الهيئوران بيست اربع مراكب العقرى الكبيرة لسفن البرتقاليين واذهل عقول الوطنيين فى احترامهم الشجاعة الانكليزية وفى نفس هذه السنة ارسل الملك جمس الاول السير توماس رو سفيرا مع ديوان حكومته الى ديوان المغول الاكبر جهانكير فنجح نجاحا فى استحصاله على رخصات ملائمة للتجارة الانكليزية فى الهند وكان الفلمنكيون

مذبحة جزيرة امبوينا سنة ١٦٢٣

فى جزاير البهارات اكبر عدو خطر وصد مبين للانكليز زيادة عن البرتقاليين فى الهند وكانت مذبحة امبوينة التى سبق تفصيلها وتولد منها الضغط الاكبر والحزن والاسف الشديد عند الامة الانكليزية سببا فى اظهار الفلمنكيين زيادة العداوة للانكليز فى البحور الشرقية وهو انه من بعد تهمة طويلة ضبط الفلمنكيون الهيئوران الانكليزى فى امبوينة وتسعة من الانكليز وتسعة من العيا بوتيغة وواحد بحرى برتقالى فى فبراير سنة ١٦٢٣ ومن بعد توقيع العذاب الشديد عليهم فى وقت تحقيق مادة التهمة افروا بالجريمة فى مؤامرة ثورة على ضبط القلعة وقتل الحاكم وقتلوهم اجمعين فى مرضاة اغراضهم البهيمية فتولد من هيئة عذابهم وقتلهم انفجار الغضب والهياج فى انكلتره واخيرا تعين مندوبين لتحقيق دعوى الارمنيين فحكموا بان الفلمنك تدفع مبلغ ٣٦١٥ ليرا دية المقتولين لاوليا الدم ومن ابتدا هذا الوقت استحوذ الفلمنكيون اسيا وجزيرة سيلون وما جاورها

من الجزاير واحتكروا كافة تجارات جزاير الارخبيل الهندي الى ان قامت الحروب البحرية الكبيرة في سنة
١٧٩٣ بعد الميلاد وكانت بعد بحث امبوينه سيما في طرد الانكليز قاطبة من جزاير البهارات الى
البر الاوصيل من قارة الهند فكانت مساكنهم الاولية على ساحل الكورومنديل وكان موجودا بها من الان
من ... من اوايل سنة ١٦١١ فاستقرت هذه النيابة في سنة ١٦٣٢ الى ... بيت تجارة كبير
على مقتضى نص فرمان يعرف بالفرمان المذهب من سلطان جولكنده ومن قبل ذلك ببضع سنين
اي في سنة ١٦٢٦ كانت تاسست كرخانة في أرمجاوُن وهي الان محل خرب في اقليم نيلور وكانت تركن
في سور هذه الكرخانة اثني عشرة مدفع نارية ويستخدم فيها ثلاثة وعشرين مقاتلا من الوطنيين الاوروباوية
وفي سنة ١٦٣٩ استحصل فرنسيس داي رئيس كرخانة ارمجاون على امر من راجا شندرجيري بالاقامة
في موقع على ساحل اوفق من المحل الموجود فيه في ارمجاون فاتخذ المحل المعروف باسم مدراس بتم
او شنّه بتم (المدينة الصغيرة) وشيد في هذا الموقع قلعة سنت جورج وكان هو المؤسس لوصل
لمدراس وكانت مدراس اول الاراضي التي حازتها الشركة في الهند واستمرت بمرور ... تحت ملاحظة
بنطام في جاوه وفي سنة ١٦٥٣ صارت نيابة مستقلة بنفسها وكذا استمرت مدينة سورت الواقعة
على ساحل العرب في الهند مدة طويلة من الزمن مركز التجارة الانكليزية في تلك الجهة وكان تاسيس
البيت التجاري فيها في سنة ١٦١٢ الى سنة ١٦١٥ ولها فروع وكلا متفرعة منها في جوجو واحمداباد
وكامبايا وكانت هذه اول ثمرات النصرة البحرية الانكليزية على البرتقاليين في سيمالي وفي هذا
الوقت كانت سورت المينة المشهورة في المملكة المغولية وبواسطتها كانت عموم التجارات جارية بين
الهند الشمالية واوروبا وفي سنة ١٦٦١ تنازلت البرتقال عن جزيرة بمبي الى الحكومة الانكليزية جزء
من صداق كاترينه براغنزه قرينة شارل الثاني الا ان البرتقاليين ما سلموها للانكليز الا في
سنة ١٦٦٥ وفي سنة ١٦٦٨ باع الملك شارل الثاني حقوقه في بمبي الى الشركة الهندية الشرقية الا
نكليزية بمبلغ عشرة ليرا استرلينه تدفعه الشركة سنويا الى الحكومة وكانت مدينة بمبي في هذا الوقت
عبارة عن قرية ساكنين محكومة بقلعة قديمة برتقالية ومشهورة في الشرق بعدم جودة صحة ...
... طقسها الا انه كان بها قرية عظيمة هي وضعها فوق ارض جزيرة آمنة من غزوات ...
قبيل المهرطه وبينما في سنة ١٦٦٤ لما اغار سواجي على مدينة سورت ونهبها ما عدا الكرخانة ...
خارج اسوارها فحفظوها حصلت الشهرة الوقادة في نقل مركز وكالة الشركة في الجهات الغربية من
سورت الى بمبي وكان صدور امر النقل في سنة ١٦٨٥ ثم نفوذ مفعوله من بعد مضي سنتان اي في
سنة ١٦٨٧ بعد الميلاد واما المواطن في بنغاله فانها كانت في زمن متاخر ... كانت على قرار
غير ثابت وما كانت مثل ما حصل في مدراس وبمبي وكانت فتحت فروع من سورت في نواحي اجمير و
اكره الى ان وصلت الى الجهات الشرقية في بتنا في سنة ١٦٢٠ الا ان الوصول الى ساحل البحر ما ...
الحصول عليه الا في سنة ١٦٣٤ بصدور فرمان من الامبراطور ... التجارة في بنغاله ...
سفنها الى بيبلي من اعمال اوريسا وهي مينة ... البرتغاليون في ... وشيد الانكليز كرخانة
في هوغلي في سنة ١٦٤٠ وكرخانة في بلسور في سنة ١٦٤٢ ومن بعد مضي ثلاث سنوات اي في
سنة ١٦٤٥ حاز جبرائيل بوطون الطبيب امتيازات من الامبراطور شاه جهان ما ... بتجارة
الشركة في بنغاله في نظير ما اداه من الخدمات في داخل سرايته وفي سنة ١٦٨١ انفصلت وكالة بنغاله
من مدراس ونصب المستر هدجز وكيل وحاكم اشغال الشركة في خليج بنغاله والكرخانات التابعة
له في قاسم بازار وبتنا وبلسور ومقداه وداكا وكانت مساكن مستخدمي الشركة في بنغاله مساكن
صغيرة مغروسة في اواسط مداين مسمورة عرضة لهياج كل ثورة عدوانيه وارتباك يقع من الحكام
الوطنيين وفي سنة ١٦٨٦ اصدر النائب شايسته خان اوامر بضبط كافة الكرخانات الانكليزية في
بنغاله فتقهقر التجار الموجودين في هوغلي مع رئيسهم ايوب كارنوك بقدر ٢٦ ميل اسفل النهر
الى سوتانتي قرية صغيرة في وسط اراضي سبخة هي الان الربع الشمالي من كلكته ووضعوا في هذه
الجهة اساس قلعة فيليوم وفي سنة ١٧٠٠ اشتروا من البرنس اعظم ابن الامبراطور اورنكزيب
ثلاث قرى سوتانتي وكالكته وغوبندبور واتفق في هذا الوقت اي في سنة ١٦٨٩ انه عزمت
الشركة على تامين موقع في الهند والى قطع تحت قواعد السلطنة على الارض حتى يمكنها مقاومة المقربات
الواقعة من المغول والمهرطه وبهذا المنظور صدرت النتيجة الاتيه لارشاد مستخدميها في الهند وهي ان
زيادة الايرادات والواردات المطلوب الاكبر مما نحافظ بها ونجاراتنا وبعزم بذل القوه والطاقة
في صدد عايدات تكون سيما محافظة تجارتنا ومن اللزوم ان تكون امة في الهند ومع هذا الغض
السيرجوصا شيلد حاكم عموم واميرال في الهند بسلطة كاملة في عقد صلح او اجراء حرب وعمل الاصلاحات
اللازمة

٤١ جـ
تاريخ الهند من
البحر الزاخر
محمود فهمي

اللازمة في سلوحة املاك الشركة في الهند
الاصلاحات الاخرى التي كانت جارية التجارة مع الهند الشرقي فان البرتقاليين ما حصل عندهم
واما الشركات في وقت من الاوقات عزم على تاسيس شركة تجارية في الهند بل حافظوا على انها انهم في
اوفي عزمهم وهيئة احتكار سلطاني وكانت اول شركة مخصوصة انكليزية تاسست في سنة
الشرق في صفة ١٦٠٠ بعد الميلاد ثم اعقبتها الشركة الفلمنكيه في سنة ١٦٠٢ ومع هذا فان فتوحات الفلمنكيين كانت
باسم حلو منهم وفي هيئة مستغرقة فلمنكية لا املاك خصوصية وجاء من بعدهم الفرنساويه وكانت
تاسيس اول شركة هندية شرقية فرنساوية في سنة ١٦٠٤ وثانية في سنة ١٦١١ وثالثة في سنة
١٦١٦ ورابعة وهي شركة ريشيليو في سنة ١٦٤٢ وخامسة وهي شركة كولبرت في سنة ١٦٤٤
وسادسة تالفت من فرنساوية الهند الشرقي والصين وسنغال والشركات الصينية باسم شركة
الهنود في سنة ١٧١٩ وكانت امتيازات هذه الشركة باوامر من ملك فرانسا ثم وقفت في سنة
١٧٦٩ واخيرا الغيت بامر من مجلس الامة في سنة ١٧٩٦ وكانت اول شركة دانيمارقية تالفت
في سنة ١٦١٢ وثانية في سنة ١٦٧٠ وتاسست مواطن دانيمارقية في نواحي طرنكبار و
سيرامبور في سنة ١٦١٦ ثم استحوز عليها الانكليز بالمشترى من دانيمارقة في سنة ١٨٤٥ وكان
لها ابتجار في بعض مواقع ومنازل على البر الاوصيل من الهند هي بورتو نوفه (المينة الجديدة)
داركوبه وهوغلي ... على ساحل المليبار وانعقدت شركة ايطوية في سنة ١٦٩٥ الا
انها ما نجحت وتالفت شركة سلطانية في جزاير فيليبين بمعرفة ملك اسبانيا في سنة ١٧٣٣
الا ان معاملتها مع الهند الاصلية كانت قليلة وكان اكبر الشركات واعظمها شركة اوستند
ولو انها لم تبلغ الاوفيلا تالفت بمعرفة امبراطور اوستريا وكان وكلاوها اشخاص كانوا في
خدمات الشركات الفلمنكية والانكليزية فنشأ لها مضادة الدول البحرية الاوروباوية الزم
ديوان فيانه اوويانه في سنة ١٧٢٧ على توقيف وحصل هذه الشركة لمدة سبع سنوات
ثم حصل بها تقلبات ودوران احوال اعتراها مدة طويلة من الزمن بسبب اغراض الحكومة الا
وستريانية في الاشتراك مع الشركة في الشرق وكانت نتيجتها تفليس الشركة في سنة ١٧٨٤ وكان
اخر امة اوروباوية دخلت في التجارة البحرية مع الهند اسوج والى هنا تم الفصل الاول من
عصر الانكليز في الهند ويليه في الجزء الاتي الفصول الاخرى متناليه في الفتوحات والحروب
التي وقعت من الانكليز في تغلبهم وحوزتها على البلاد الهندية وصيرورتها مملكة انكليزية في
الشرق ١٨٤ اقطعت سنة ١٨٩٣ ميلادية موافق ٨ ربيع الثاني هجريه من سنة ١٣١١
من الهجرة النبوية على صاحبها ازكى السلام والتحية مؤلفه محمود فهمي المهندس في كلمبو عاصمة
سيلون المنفي من طرف الحكومة الظالمة المصرية ازالها الله سبحانه وتعالى انه على كل شيء قدير
وبالاجابة وعانا سميع قدير

ج ٥
البحر الزاخر
تاريخ سيلان
محمود فهمي
٥٢٧

تابع تاريخ الهند

الباب الثاني
زهر البستان تاريخ سيلان
من الازمان القديمة الى الوقت الحالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده وبعد فيقول الفقير الى رحمة ربه المنان المهندس محمود فهمي بسيلان هذا تاريخ جمعته على قدر امكاني يختص بدار منفاي سيلان وابرزته من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية فاسأل الله ان يكون نافعا للطلاب به مفيدا في بابه وعلى الله اتكالي واعتمادي فهو ثقتي ومرادي

مقدمة تاريخ سيلان

جزيرة سيلان هي احدى الجزائر التابعة لقارة اسيا وواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من قارة البلاد الهندية ومتصلة ببرها الاصيل بجزيرة يقال لها منار وهو جسر من رمل يدعى بجسر ادم وجزيرة راميسوارم وطولها الاكبر من الشمال الى الجنوب نحو من مايتين وسبعين ميلا انكليزيا وعرضها الاكبر نحو من مائة واربعون ميلا وامتداد محيطها سبعمائة وستون ميلا ومساحتها السطحية خمسة وعشرون الف ميل مسطح وتعداد اهلها ينوف عن ثلاثة ملايين نفس ووصفت هذه الجزيرة بعدة اسماء اقدمها اسم لنكا السنسكريتي وسماها الجريك طابروباني والاوروباويون سموها سيلان او سيلون وسماها العرب سرنديب وسماها التمل ايلانجا وسماها اهل سيام طيوه لنكا وسماها اهل برما شيهو

وينقسم تاريخ هذه الجزيرة الى خمس عصور اصلية او عصور مشهورة هي اولا عصر السكان الاصلية وثانيا من فتح ويجايو الى حد نزول البورتكيز او البرتغاليين فيها وثالثا عصر البرتغاليين في الجزيرة ورابعا عصر الفلمنكيين او الدانش وخامسا عصر الانكليز

العصر الاول السكان الاصلية

من المعلوم ان مثل التاريخ القديم لجزيرة سيلان كمثل التاريخ القديم لكل ارض وامة فانه غير معلوم بالكلية فانه الحكايات القديمة ما كتبت الا من بعد حصول مضي مئات من السنين من بعد حصولها وذكرها ومن ثم يصعب على كل انسان الاعتقاد في حصولها واول حادثة وقعت في جزيرة سيلان مذكورة في الاشعار الهندية الرامايانة التي الفها الاديب فاميكي فذكر ان راما بن دازاراطه السلطان الكبير او المهاراجا صاحب ايودهيا وهي الان اوذهه من الاقاليم الهندية تجسم في صورة وشنو اله الهنود وتزوج بالجميلة سيطه ابنة جاناكه ملك مطيله ثم ارغم بعد ذلك على التجول والهيام في خارج مملكته وسار في حالة رحالة نزالا حتى توطن مع زوجته سيطه في غابات الدكهن وهي الارض العالية من جنوب الهند فجاء راوانه ملك سيلان واختطف سيطه وحملها الى عاصمته في الجزيرة واسكنها مدينة لنكابوره فغار راما على سيلان في راس جيش من متوحشي الدكهن وتغلب على لنكابوره من بعد حصار اقام عليها اثنتي عشرة سنة وقتل راوانه في واقعة واحدة وقعت بينهما وخلص امرأته ووصف الشاعر من اجل تحلية الفاظه وقبول كلامه راوانه وشبهه بانه طاغية جني ووصف جيشه بانه كانه مؤلف من القرود والدباب وكثير من جهال الهنود يعتقدون ان سيلان مازالت معمورة بالجن او الشياطين والقرود

٥٢٦

وما ذكر فى الكتب التاريخية السنهالية قول او حكاية تختص بعمارة راما على سيلان
حتى اعتبر العقلا من الناس ان هذه مجرد حكايات خرافية فقط معنى حسب روايات
السنهاليز ان اول من سكن الجزيرة هم الياكهوس اى القرود والناجاس او الثعابين
وقالوا انه كان لهم هيئة حكومة وكانت عاصمة الياكهوس لنكابوره وكان عرش ملك
الناجاس مرصع بالفصوص والجواهر فوقع من اجل ذلك حرب بينه وبين الملك جاره واستولى
عليه منه وذكروا فى كتب تواريخهم ان بودها وهو جوتما بن سودهودانه من زوجته
مايا زار سيلان ثلاث مرات فقالوا انه جاها فى المرة الاولى طايرا فى الهوا ونزل
فى البستان العظيم فى مهنا جا وهو محل جمعية الياكهوس فى بنتطين وفى زيارته الثانية
اهدى لدينه وعقيدته ملك الناجاس فى كلانية مدينة بالقرب من كلمبو ويوجد لحد الان
معبد مشهور للسنهاليز ولهم فيه كل سنة عيد كبير يجتمعون فيه من كافة انحا الجزيرة وفى زيارته
الثالثة ترك اثر قدمه على الجبل المعروف بجبل آدم والموجود على الصخرة الان مجرد حفر
طبيعى خفيف من اصل الحجر وصور السنهاليز فى هذا الحفر بواسطة الجير هيئة القدم
وذلك كله من خرافات السنهاليز حتى ولا يوجد برهان يستدل به على ان جوتما بودها
جا الى الجزيرة واما امر الياكهوس والناجاس فليس معلوم لهم حقيقة اصل ولا من
اى الجهات كانوا ومن المحتمل انهم كانوا جنسا من بنى ادم مشهوران مثل جنسى السنهاليز
والتمل فى الى الان الراهنة قاطنين فى الجزيرة وتنقسم اللغات الاصلية الموجودة فى الهند
الى طايفتين كبيرتين وهما لغات الطوايف الشمالية من الهند ويدخل فيها السنسكريت
ولغات الطوايف الجنوبية واشهرها التمل ومن حيث ان السنهاليز ينتسبون للسنسكريت
فالذين يتكلمون به ينبغى ان يكون اصلهم جاءوا من شمال الهند واما التمل فانهم جاءوا
اليها من جنوب الهند وقالوا على ان سيلان كانت منفصلة من الهند فى الزمن القديم
بمياه خفيفة العمق ممكن خوضها وذكر البعض ان السكان الاصلية لسيلان اتخذوا اسمهم
من معبوداتهم من الجن والثعابين حتى ان الياكهوس كانوا يظهروا انهم بنى ادم بواسطة
فتوحاتهم وعبوساتهم وقال بعض من السنهاليز ان ملوكهم كانوا يجمعون ويشغلون
حياض المياه وخزاناتها بواسطة بنى ادم والجن او بنى ادم والثعابين فهذا ملخص
القول الخرافى على السكان الاصلية لجزيرة سيلان

العصر الثانى من فتح ويجايو الى نزول البرتغاليين فى الجزيرة

ويجايو سنة ٥٤٣ قبل الميلاد تسلطن فى طامانة

ويجايو اسمه المذكور فى السنسكريت او ويجايه اسمه بالسنهاليز هو ابن سينها باهو
ملك لالا قسم من مملكة مجدها كانت واقعة فى الجهة الغربية من بنغاله ويطلق
عليها الان اسم بيهار من الممالك الهندية فهو متناسل من فرع من ملوك وانجو
اى بنغاله ومن النسا من ذرية العايلة الملوكية الكالنجة وكانت كالنجة مملكة
القسم الشمالى الشرقى لنيابة مدراس وكان ذلك فى جزيرة سيلان اول حادثة معتد
وقوعها فى الجزيرة وكانت جدة ويجايو تزوجت برجل اسمه سينها ومعناه
الاسد او الشبع حتى هنا اطلق عليه اسم سينها باهو وانه هو ابو ويجايو
وانه من ذرية الاسد وكانت عاصمة مملكة سينها باهو وهى لالا مدينة سينها
بوره مجى ويجايو اكبر اولاده من اقبح الاولاد ذاتا ومعنى وكلازمه شرذمة
من الاشقياء والمتعوسين مثله فى الجنايات والموبقات وعبثوا فى الجرايم والظلم
مع الشدة حتى نزلت فى الامة الغضب والحنق من جرايمه وقبح سيره وصرخت فى تفجرها
متاصل بها منه لابيه فالتزم سينها باهو على طرده من المملكة مع سبعماية نفس من
اتباعه ورفقاه فيبحث عن طالع سعده فوق سطح البحر فاجتهد ويجايو فى نزوله على
ساحل كرومنديل والمليبار من السواحل الهندية فما تيسر له الحصول على ذلك فاقلع فى
مراكبه الى سيلان فنزل على ما ذكر فى نواحى طامبابانى بالقرب من بوطالم الجديدة
وكانت

وكان حصول هذه الحادثة على حسب ما ذكر مورخى السنهاليز فى سنة ٥٤٣ قبل الميلاد
وفى نفس اليوم الذى هلك فيه جوتما بودها وقالوا ان ويجايو تزوج بامراة
اسمها كووينى ابنة واحد من كبار الجزيرة ورغب
ويجايو فى مد
حوكته وسلطنته على الجزيرة فدخلت معه امراته فى
هذا المشروع واسعفوت لنفاذه وعاعدته فى
ويجايو ورفقاه فى وليمة عرس معقود عند
احد الروسا المشهورين فلما استقروا فى محل
الوليمة اشارت اليهم كووينى فقاموا على
اهل العرس ومن فيه وذبحوهم وكذا ذبحوا
كل من تعرض لهم او قاومهم فى طمع مشروعهم
وحاسوا خلال الجزيرة حتى خضعت
لسلطنته ويجايو غير انه ما تم
يكون وينى ان تجنى ثمرات جريمتها
فان ويجايو لما تقلد زمام
لقب الملوكية تفكر انه يلزم
ان يكون له قرينة شريفة
الاصل من ابنا الملوك
فارسل رسولا لملك
بندريا وكانت مملكة
البندياينين هى
الاقاليم الجنوبية
الشرقية من البلاد
الهندية عاصمتها
مادوره وطلب
من ملكها ابنته
زوجة له فتم له
ذلك ووصلت
البرنسيسه مع
خدم وحشم ضخم
من النسا وسرح
ويجايو كووينى
من بعد ان خلفت
منه ولد وبنت
واقصت كووينى ولدها
معها وتوجهت الى مدينة
لنكابوره مدينة الياكهوس
ولما دخلت فى المدينة وسارت فى داخلها
شحت لها على محل تاوى فيه عرفوها اهلها فقام واحد من اهلها وقتلها فى نظيرما
وقع منها من الخيانة وما كسبته من الجريمة وروى ان الوداهاس هم ذرية من ابن
كووينى وبنتها وكانا هربا الى محل منقطع من الجزيرة ثم ان ويجايو شيد فى الجهة التى
نزل فيها مدينة سماها طامانه ورغب ان تكون عاصمة من بعده لخلفاه فخاب فى
مرغوبه وشيد الكثير من رفقاه مثله مواطن ومساكن فى جهات مختلفة من الجزيرة
ومن قبل موت ويجايو بقليل ارسل مكتوبا الى ابيه سينها باهو يطلب فيه منه ارسال
اخوه الاصغر ليكون خليفة من بعده على تخته وكان سينها باهو فى اثنا هذه المدة

هلكت وخلفه على تخته ابنه سوميطر وعقب هذا بقيا حوزه سيلون في زريته
فارسل ابنه الاصغر بندوواسه من اجل وراثة التخت

سلطنة عوباطيه سنة ٥٠٤ قبل الميلاد

ومات ويجايو في سنة ٥٠٥ قبل الميلاد من قبل حضور بندوواسه فتقلد وزيره
الاول عوباطيه زمام السلطنة وقتيا ونقل كرسي الحكومة الى مدينة اسسها
وشيدها لنفسه وسماها باسمه ولما وصل بندوواسه سلم زمام السلطنة من دون
ادنى معارضة وكان وصول بندوواسه من بعد مضي سنة من موت ويجايو

سلطنة بندوواسه سنة ٥٠٤ ق م

وجلس بندوواسه على كرسي سيلون في سنة ٥٠٤ قبل الميلاد وتزوج مثل ويجايو
بزوجة من قارة الهند ولما وصلت رفعها على العرش وكان جاء معها ستة اخوان لها
فاسسوا لانفسهم ايالات وجهات صاروا مستقلين بها فيما بعد وكان اسم زوجة
الملك بدكانشيبانه ابنة اميطودنه عم جوتما بودها وواحد من اخوتها اسمه
انوره واخر اسمه رهونه فاما انوره فانه اسس انوراذبوره واسس رهونه
مدينة رهونه ايضا في الجهة الجنوبية من الجزيرة وصارت انوراذبوره عاصمة
المملكة واما ويجيطا بوره فانها اشتهرت بحصار مكث عليها مدة في حرب دوطوجو
موتو وسياتي الكلام عليه وقيل ان الذي اسس مدينة ويجيطابوره ومدينة
جنجاسيريبوره (جمبوله) اثنان من اخوان الملكة بدكانشيبانه وشيد بندوواسه
خزان ابياويوه في انوراذبوره وهو اول خزان مياه عمل في سيلان من اجل
رقي الاراضي حسب ما ذكره مورخي السنهاليز في تواريخهم ومات بندوواسه من بعد ان
تسلطن ثلاثون سنة في امن واستتباب راحة في سنة ٤٧٤ قبل الميلاد وخلف
عشرة ذكور وبنت وكان مقر سلطنته في عوباطيه بوره (بوره معناها مدينة)

سلطنة ابهايو سنة ٤٧٤ ق م الى سنة ٤٥٤

ومن بعد موت بندوواسه خلفه ابنه الكبير ابهايو على التخت وجلس على الكرسي عشرون
سنة في مدينة عوباطيه بوره وكانت مدة سلطنته مشحونة بالقلاقل لان ابهايا كان
من ابن اخته بندوكابهايو ابن ابنة بندوواسه وذلك ان بندوكابهايو
ثار في ايام خاله بنقود اخذها من واحد من اغنياء البراهمانيين وجند جيشا وحصن
نفسه في موقع حصين بالقرب من مهاويلي جنجا (جنجا معناه نهر) فلما خشي ابهايو
من سوء العاقبة عزم على ان يشرك معه ابن اخته في السلطنة فاشتد الحنق والجنون
باخوته فخلعوه واجلسوا ابدله طيشو واعدموه ثم حذى بندوكابهايو اياهم
من اجل محاصرته وبواسطتهم هزم جيش اخواله وقتل ثمانية منهم وخلع طيشو
من التخت ومن بعد حرب استمر سبعة عشر سنة بلغ ما كان في بغيته من مرامه ومقصده

فترة من سنة ٤٥٤ الى سنة ٤٣٧ مدتها ١٧ سنة

سلطنة بندوكابهايو سنة ٤٣٧ ق م مدتها سبعون سنة

وتسلطن بندوكابهايو في سنة ٤٣٧ بعد الميلاد مدة عشرون سنة في مدينة
انوراذبوره وذلك ان هذا الملك الجديد نقل كرسي الحكومة من عوباطيه بوره
الى انوراذبوره وزخرفها واتقنها وتزوج سوارانه بالي وقسم ارض الجزيرة
الى قرى وغيطان وبساتين وكان اسم ابوه ديجهاجاميني واسم امه شيطرة

سلطنة موطاسيوا سنة ٣٦٧ قبل الميلاد مدتها ستون سنة

ومن بعد موت بندوكابهايو جلس على الكرسي موطاسيوا في سنة ٣٦٧ بعد الميلاد
وتسلطن ستون سنة في انوراذبوره وما ذكر عن موطاسيوا شيء سوى انه اسس
بستان الملوكي المسمى مهاميجو وذكر في بعض التواريخ السنهاليزية ان
موطاسيوا هو حفيد بندوكابهايو الا ان هذا الملك ليس له اسم ضمن ملوك الجزيرة في
الكتاب المسمى مهاونشه ومات موطاسيوا في سنة ٣٠٧ قبل الميلاد

سلطنة طيشا سنة ٣٠٧ ق م مدتها اربعون سنة

ومن بعد موته خلفه ابنه طيشا في سنة ٣٠٧ وتسلطن اربعون سنة في انوراذبوره
واشتهر طيشا باسم ديوانه بياطيشا اي المبتهج بالالهة ومن حيث ان الديانة
البودهيسية كان مبدأ قيامها في الجزيرة في مدة سلطنته فلاجل تأطيد الفخر والشرف
الاعظم لانفسهم زعموا انه ظهر كثير من الايات والمعجزات في وقت جلوسه فقالوا ان
المعادن النفيسة والجواهر المدفونة في بنية الارض ظهرت على سطحها وان الكنوز
الموجودة في قاع البحور خرجت على الماء ونبتت الغاب بالقرب من انوراذبوره
وعليه

وعليه انواع الزهرات والمشمومات والحيوانات تعنق والطيور من كل صنف تغرد
ومثل هذه المعجزات والايات من الخرافات الدالة على سخافة عقول السنهاليز وهي تحلية
بهاء لانفسهم وكان طيشا في حالة وريثما وهرم اسوكا ملك مجدها فارسل
له هدية جليلة من الجواهر والاثمار ما حملها اربعة من اشراف السنهاليز فنزلوا من محل
بالقرب من جافنه الموجودة الان في اخر الجهة الشمالية من الجزيرة ووصلوا دمبا ديوا
(الهند) في ظرف سبعة ايام وساروا حتى وصلوا الى بتاليبوتره (باطنه) عاصمة اسوكا
وقدموا ما معهم من الهدايا للملك فقابل اسوكا رسل طيشا مع غاية الاحترام ومن بعد
ان اكرمهم ضيافته عادوا ومعهم رسل من طرف الملك اسوكا حاملين هدايا الى طيشا
بلا نظير بعدينه فكانت هدية اسوكا تاج وسيف ملوكي وماء من نهر الكنك واصناف
اخرى كثيرة وكان اسوكا من اصحاب جوتما بودها المتعصبين في عقيدته وعلى
مذهبه فارسل مع هديته الجليلة وصية الى طيشا يوصيه فيها بالاعادة الى بودها
ودينه وشعبه وقسسه وارسل ايضا ابنه مهندو وكان قسيسا بودهيسيا من اجل
مساعدة طيشا في اقامة شعاير الدين الجديد في داخل ممالكه فلما وصل مهندو قابله
طيشو مع الاجلال والاحترام وشرع في خطابة الدين البودهيسي وترك الجم الغفير
من اهل الجزيرة دينهم القديم ودخلوا في الدين البودهيسي وتنكر البعض من اهل الجزيرة
انه ليس من الصواب والراي ان يتركوا دين ابائهم باي حالة كانت وقالوا انه من الخطا
ان كانت ديانة وعقايد اجدادنا على حق فيلزمنا التمسك بها وان كانت على كذب فيلزمنا
تركها والتخلي عنها وقد اتت افواجا ليسمعن خطابة ووعظ مهندو وكان معهن الملكة
انولو وطلبن من مهندو ان يجعلهن قسيسات فقال لهن انه لا طاقة له على تمام
طلبهن وان على الملكة ان ترسل في طلب اخته سنجاميطه وكانت قسيسة مشهورة
في الدين البودهيسي فارسلت رسولا الى دمبا ديوا من اجل طلب سنجاميطه فاخبرت
في الحال ابوها فاجتهد ابوها معها في عدم توجهها وقال لها يا ابنتي القسيسة المكرمة
اهل احرم منك واتفصل من اولادي واحفادي من الذي يسليني على فراقكم مني ويزيل
حزني واسفي عنكم الا ان زهد وورع سنجاميطه وتمسكها بدينها تغلب على محبتها
ابوها العجوز وقالت له ان الخيرة والعمل الطيب محصورة في نتيجة تمام هذا الطلب
والاذى والضرر محصور في عدم قبوله فاعتبر انها ثبتت فرضي الملك مع غاية الاسف
والكدر بسفر ابنته فاخذت معها فرع من الشجرة المقدسة التي كان يجلس تحتها جوتما
بودها واقلعت في سفينة الى سيلان ولما وصلت سنجاميطه في سيلان داومت على
رغبتها مع بذل جهدها وظهور حبها مع العزم والتوفيق وطلبت منها الملكة والكثير
من النساء ان يجعلهن قسيسات وغرس الملك فرع الشجرة المقدسة في بستان مهاميجو
وكان طيشا اهدى هذا البستان الى مهندو وقت عدت سنجاميطه باخيها مهندو و
وابتنا داجوبات وويهارات (معابد) كثيرة واتخذ هياكل ومغارات وسراديب
في الصخور والجبال في كافة انحا الجزيرة مخصوصة بالقسس وارسل لها ابوها اسوكا
قدرة ملازمة من اثار بودها وبقاياه ولما تممت سنجاميطه واجباتها قضت ما بقي
من حياتها في عزلة وخلوة بعزوها وقضى مهندو واخته حياتهما وعكفا على نشر
الدين البودهيسي في سيلان فمن اجل هذا تشرفا بشرف الملوك وكان لهما احترامات
فائقة جليلة وتركا وطنهما وارضهما ووالديهما واعز اصدقائهما غيرة على دينهما
وشهرة انفسهما بالزهد والورع ومحبة الدين
وشيد طيشا في انوراذبوره داجوبة طوبرامايه اعظم معبد في سيلان وروي انه
كان في تلك الداجوبة عظم الطوق الايمن لجوتما بودها وابتنى في جبل في ضواحي
مهنتاله اثنان وثلاثون قاعة من اجل اقامة القسس وابتنى ايضا خزانا للمياه
واسمه خزان طيشا او طيشاويوه وخافت انولا زوجة طيشا من ان الملك مهاناجا
اخو الملك ربما يغتصب المملكة من بعد موت اخيه ويخرج ابنها الصغير من الملك فسمت

على هلاك مهنّاجا وخراب دياره وارسلت له هدية مسمومة من الفواكه وكان ابن طيبة قاعدا مع مهنّاجا في هذا الوقت فاعطى له كل الهدية من دون ان يعرف انها كانت معدة لهلاكه وفقد حياته فلما اكل الولد منها مات في الحال وصح المثل وهو كل من حفر حفرة سوء وقع فيها فارتاع مهنّاجا من هذا الفعل القبيح الذي حصل لرمن العائلة الملوكية وهرب من محله الى الجهة الجنوبية من الجزيرة المسماة روهونة وأسس لنفسه ايالة اسمها ماجة وابتنى الكثير من البيارستانات وشيد داجوبة في نواحي مهيانجنة في بنطيبن واشتهر ياطالاطيسة بن مهنّاجا بمدينة كلانية وجعلها مقر حكومته وروى ان هذه المدينة كانت بعيدة عن شاطئ البحر بمقدار مسافة عشرة ميل فاكل البحر بامواجه جهة كبيرة من الارض حتى صارت المسافة الان من شاطئ البحر الى كلانية اربعة اميال فقط ومن بعد ان تسلطن طيسة اربعون سنة مات في سنة ٢٦٦ قبل الميلاد وترجم مهندو ونسخ الثلاث بيطاكات الى السنهاليز

ومن بعد موته خلفه اخوه عوطيبة في نفس هذه السنة ومن بعد مضي ثماني سنوات مات مهندو وحرق مع الاحتفال والاحتشاد واشعل الملك نفسه عمود حرقه بالنار وفي السنة التالية هلكت سنجاميطة ايضا وكان ذلك في سنة ٢٥٨ بعد الميلاد وتسلطن عوطيبة عشر سنوات في انورادبوره وكان موت سنجاميطة في سنة ٢٥٧ بعد الميلاد

ومن بعد موت عوطيبة خلفه على الكرسي اخوه الاصغر مهاسيوا وتسلطن عشر سنوات في انورادبوره وكان مبدا سلطنته في سنة ٢٥٦ قبل الميلاد

ومن بعد موت مهاسيوا في سنة ٢٤٦ قبل الميلاد صار سوراطيسة ملكا من بعده وتسلطن عشر سنوات في انورادبوره وفي مدة سلطنته اخذ في خدمته من عدم حزم رايه على مصروف نفسه اثنان من التمل هما سينا وجوطيكه وجعلهما قوادا لعساكره الخيالة فقتلاه في سنة ٢٣٦ قبل الميلاد واغتصبا التخت والتاج ومن ان تسلطنا اثنان وعشرون سنة في انورادبوره قام عليهما اسيلا في سنة ٢١٤ قبل الميلاد وكان من اعضاء العائلة الملوكية وقتلهما وروى ان اسيلا هو الابن التاسع الى مهاسيوا ومن بعد قتلهما جلس على الكرسي في انورادبوره وكانت مدة سلطنته عشر سنوات ومن المحتمل ان ايلالا وكان احد ملوك التمل في مملكة شولا (مملكة شولا كانت واقعة في شمال مملكة بنديا وكانت عاصمتها كانشيبورام وتسمى الان كانجيفرام في غرب مدراس) لما سمع بظفر سينا وجوطيكه عزم على ان يسير على منوال اخصامه فقام من مملكته ونزل في راس جيشه في فم نهر مهاويلي جنجا وزحف في الحال على انورادبوره وهزم اسيلا عند مقاومته في زحفه واخضع ايلالا كافة الجزيرة ما عدا روهونة في سنة ٢٠٤ قبل الميلاد

وكانت سلطنة ايلالا من سنة ٢٠٤ وتسلطن اربعة واربعون سنة في انورادبوره وشيد ثلثان وثلاثون قلعة ومن المحتمل انه هو الذي اسس منطوطه بالقرب من منار وكانت هذه اول غارة كبيرة وقعت من التمل على الجزيرة وكان ايلالا متمسكا او من اتباع الديانة البراهمانية حتى تم ذكر بعض المؤرخين انه قلع الديانة البودهستية من جذورها ودهّلها كلها وداجوباتها وقيل ان اعماله كانت مع العدل مع اصدقاه واعداه وكان معلق في راس فرشه جرس وله خيط طويل مربوط في خارج سرايته فكان كل من له مظلمة او اصابه سوء دق الجرس فيزيل عنه ضرره وما اصابه من ظلم وكانت الجهة الجنوبية من الجزيرة المسماة روهونة ما زالت خارجة عن حكمه ومحكومة بواحد اسمه كاونطيسة واحد من العائلة الملوكية وكان ابنه الكبير احد ولدين له واسمه جمونو او جاميني عميور لا يتحمل الضيم حتى في صغره وكان قلق وليس عنده صبر في خلاص الجزيرة من التمل فرآه ابوه ذات يوم راقدا في فرشه مع يديه ورجليه سوية الى فوق فقال له لماذا يا بني ما تمد يداك ورجلاك في فراشك وتنشرح في نومك فاجابه مسقوني التمل من هنا وكيف امد يداي ورجلاي والتمل من جهة والبحر المحيط من جهة اخرى وانا محصور بينهما ثم ان جمنو جند جيشا وحض ابوه على كونه يأذن له في السير على ايلالا

ولما

سلطنة عوطيبة سنة ٢٥٠ ق م
موت مهندو سنة ٢٥٨ ق م
موت سنجاميطة سنة ٢٥٧ ق م

سلطنة مهاسيوا سنة ٢٥٦ ق م
سلطنة سوراطيسة ٢٤٦ ق م
سلطنة سينا وجوطيكه سنة ٢٣٦ ق م
سلطنة اسيلا سنة ٢١٤ ق م
غارة الكبرى الاولى للتمل
سلطنة ايلالا التمل سنة ٢٠٤ ق م

ولما لم يسمح له ابوه ومن بعد ثلاث مرات اشتد بجمنو الغضب وارسل كسوة امراة مزخرفة لابيه مع رسول من طرفه ومعناها ان اباه لم يكن رجلا بل في صورة امراة ويلبس هذه الكسوة فغضب كاونطيسة من قباحة ابنه وهدده بعقابه فهرب منه الى الجهات الجبلية من الجزيرة ومن هذا الوقت تلقب بلقب دوطو اي العاصي ومن بعد قليل مات ابوه وصار جمنو حرا في المداومة على اغراضه فعبر مهاويلي جنجا في راس جيش ضخم مؤلف من خيالة ومشاة ومحاربين بالافيال او بفيلة الحرب ووضع الحصار على مدينة وبجيطا بوره فحارب مع الشجاعة بضع شهور واخيرا انفتح قبل جمونو باب من ابوابها الحديد ودخل الى حصون المدينة وقتلوا من فيها بالسيف ولما اخضع جمونو عدة محلات صغيرة غير جديرة الذكر زحف على العاصمة واحتل موقعا حصينا باثنين وثلاثين بالنفر مربعة اي قلعة من تراب فركب ايلالا فيله واخذ معه ديجاجانطو قائده البارع وساق جيشه من اجل الهجوم على جمونو وكانت الكرة في الاول للتمل وارغموا السنهاليز على التقهقر من موقعهم المستحكم وافقد ديجاجانطو منهم الباقيات واحدة بعد الاخرى ثم ان واحدا من ضباط جمونو انقض على ديجاجانطو وقتله فتولد من قتله ضعف قوة التمل وشرعوا في الهروب والتقهقر ومن خلفهم السنهاليز فتقدم ايلالا نفسه مع فرقة من فرسان عساكره لاجل جمع جيشه فتقابل مع جمونو وكان راكبا ايضا على فيل حرب فاصطدما مع بعضهما وضرب ايلالا اثناء عدوه برمحه فحاد جمونو عن الرمح ببراعة حركته ثم ضرب جمونو فيله فاصطدما الفيلان ببعضهما فوقع ايلالا من فوق فيله وحطه الفيل تحته وقتل ودخل جمونو المنصور مدينة انورادبوره متوجا بالظفر وفي سنة ١٦٤ قبل الميلاد اعاد الملوك من جنس السنهاليز في نفسه وجلس على التخت

وتسلطن جمونو او دوطو جمونو سنة ١٦٤ قبل الميلاد واستمرت سلطنته اربعة وعشرون سنة في انورادبوره واظهر هذا الملك اثار كرمه ومروته نحو الشجاع خصيمه وذلك انه امر بحرق جثة ايلالا مع غاية الاحتفال في ميدان الواقعة التي قتل فيه وامران الموسيقة الخيالة الملوكية في وقت مرورها من جهة القبر تخرب بغاية الصمت وتنزل من فوق خيولها ثم تفكر دوطو جمونو في الانفس التي فقدت حياتها في حروبه فاعترته الحيرة وحل به الخوف والارتعاج ماذا يصنع في الدار الاخرة حتى تم راوم في مدة حياته وما كان عنده من الاموال والذخاير على تشييد البيارستانات والداجوبات وكان اجل واكبر بناء شغل ابتناه هو المسمى لووا ماها بايا يعني السراية الكبيرة النحاس في انورادبوره فكانت مربعة الشكل كل ضلع من اضلاعه ٢٧٠ قدم وعلوها ٢٧٠ قدم ايضا وكانت مبانيها محمولة على ١٦٠٠ عمود من الصوان موضوعة على اربعين صف في كل صف اربعون عمود وما زالت العمد الموجودة في خرابتها وواقفة في وسط اثارها واطلالها يبلغ ارتفاع الواحد منها نحو اثني عشرة قدما فوق الارض وكانت العمد الوسطانية منها قليل من النقوش واما التي كانت موجودة نحو الخارج فكانت مشحونة بالنقوشات المفخرة وحمول فوق هذه العمد تسعة طباق او ادوار تشتمل على ٩٠٠ محل جميعها مسقفة بسقف واحد من المعدن حتى تم تسميتها السراية النحاس وكان داخل البنا في غاية من الظرافة وكان في وسط ايوان عظيم مزخرف بالتماثيل المصنوعة من السباع والفيلة المنقوشة بالذهب ومطلية به وفي احد جهاتها قايم عرش من العاج من الطرف شمس من الشغل وكان مسكن كبار القسس في اعلا طبقة اي في الدور العلوي والذين اقل منهم درجة في العلم في الدور الاسفل وهكذا الى الدور الارضي وروى ان داجوبة رووانويلا سايا في انورادبوره كان ارتفاعها ٢٧٠ قدم وهي الان كوم من الرتش ثابت فيه العشب وارتفاعه ١٨٩ قدم وقاعدته عبارة عن بنا مشكل هيئة مربع محيطه نحو ٢٠٠٠ قدم مبني من حجر وصقول من الصوان وحوله خندق عرضه سبعون قدم وجانبه جزينة منقوش بارزة ورؤس فيلة وراى دوطو جمونو ان هذه الاشغال المقدسة لا يلزم تشفيعها بالقوة والظلم وان الارض ذاقت الالام الحرب ومصايبه فاخذ الكاهن في

سلطنة دوطو جمونو سنة ١٦٤ ق م

ويتقبلها ويبايعها ناس احزب مخصوصين لاعمالها واما الداجوبة الاخيرة فما كان له طاقة على تمامها ويوجد ادخال السرور عليه صنع لها اخوه قالب من الخشب وكساها بالقماش ليظهر له تمام شغلها وفي حالة ما كان دوطوجمونو في غاية من المرض وضعوه على سجادة وحملوه وداروا به حول الداجوبة بحيث لا يتمكن من رؤيتها ولا يظهر له عدم تمام بنائها فقال لواحد من قواده وقد كان صار قسيسا انا رحلت في الوقايع والحروب في الزمن الماضي وقاعد بي عشرة فوارس والان حل بي مرض الموت وما سمح الدهر لي ان انتصر بنفوذي على عدوي يعني بعدم اتمام الداجوبة وقرأ عليه يوما وهو في مرض موته قايمة الصدقات والخيرات التي كانت جارية من طرفه كل ذلك حصل في ايام فوزي ونجاحي اصل في ذلك من خلاص لكني قدمت لنفسي شيئا ان يتولد منها الراحة والخلاص لي وبعد هذا خرجت روحه وعينه ناظرة للداجوبة في سنة ١٤٠ قبل الميلاد وكان عبدا خاضعا للقسس كما قال بانه بنفوذي ما انتصرت على عدوي

سلطنة سيدّتيسه

ومن بعد موت دوطوجمونو خلفه على الكرسي اخوه سيدّتيسه في سنة ١٤٠ قبل الميلاد وتسلطن ثمانية عشرة سنة في انوراد بوره وفي اثنا ما كان حاكم قسم روهونه ابتنى ويهاره هوجيريجالا في قسم ماطره ومن بعد جلوسه تمم داجوبة رواتويلا وانشأ عدة خزانات لمياه الري ومات في سنة ١٢٢ قبل الميلاد وخلفه على الكرسي طوهئل

سلطنة طوهئل

فتسلطن شهرا ونصف في انوراد بوره وبنا ويهاره كندوره وفي سنة ١٢٢ قبل الميلاد قتل لاميني تيسه اخوه طوهئل واغتصب السلطنة وتسلطن تسع سنوات ونصف

سلطنة لاميني تيسه

في انوراد بوره ومات في سنة ١١٢ وخلفه اخوه كالونه فتسلطن ست سنوات في انوراد بوره ومات في سنة ١٠٦ بعد الميلاد مقتولا بواسطة وزيره مها انطاكم وما حصل شيء يستحق الذكر في مدة سلطنة هؤلاء الملوك

سلطنة كالونه

سلطنة ولجمباهو الاول

وفي سنة ١٠٤ قبل الميلاد جلس على الكرسي ولجمباهو الاول وتسلطن ١٢ سنة و ١١ اشهر في انوراد بوره وبمجرد جلوسه على التخت كانت الغارة الكبرى الثانية للتمل فنزل في الجزيرة سبعة رؤسا في جهات مختلفة وضموا قواهم مع بعضها ودحضوا على ولجمباهو ووقعت بينه وبينهم واقعة انهزم فيها ملك السنهاليز والتزم على الهروب الى غابة بالقرب من انوراد بوره وترك الملكة امرأته في يد الفاتحين واستحوذ رؤسا

الغارة الكبرى الثانية للتمل وهم من ساحل المليبار

التمل على الجزيرة اربعة عشرة سنة وفي اثنا هذه المدة قتلوا بعضهم بعضا وما بقي منهم الا واحد وعاد الضعيف ولجمباهو ثانيا وتقلد زمام السلطنة واشتهرت سلطنة ولجمباهو في تاريخ الديانة البودهستيه بانها اول من كتبت فيها الكتب المقدسة المسماة بالثلوث بيتاكات اي الثلاث مثلثات اي الثلاث اقسام كتب المشتملة على الديانة البودهستيه في سيلان وكان جمع هذه الكتب وكتابتها بمعرفة جمعية من القسس اجتمعوا في الووويهاره وهو مجاور بالقرب من ماطله كان نفس الملك اقام فيه في مدة طرده من فوق الكرسي وانشأ ولجمباهو ويهاره دمبوله وعدة هياكل صخرية وشيد ايضا داجوبة ابهيا جيري في انوراد بوره كان ارتفاعها كما قيل ٤٠٠ قدم وطول سورها البراني لحد يومنا هذا ميل وربع في الداير وبنا تذكارا لعود ملكته وكانوا افقدوها التمل داجوبة شوانرامه ارتفاعها ٢١٢٦ قدم ومات ولجمباهو في سنة

سلطنة مها شولا

٧٧ قبل الميلاد ومن بعد موته خلفه مها شولو بن كالونه على الكرسي وتسلطن اربعة عشرة سنة في انوراد بوره وفي سنة ٦٣ قبل الميلاد خلفه شورا ناجا بن ولجمباهو

سلطنة شورا ناجا

وتسلطن اثني عشرة سنة في انوراد بوره وهدم ثمانية عشرة ويهاره وفي سنة ٥١ قبل الميلاد خلفه كوداتيسه بن مها شولو فتسلطن ثلاث سنوات في انوراد بوره

سلطنة كوداتيسه

وفي سنة ٤٨ قبل الميلاد مات مسموما بواسطة ملكته انولا

سلطنة الملكة انولا

وفي سنة ٤٨ قبل الميلاد تسلطنت انولا وكانت اول ملكة حازت السلطنة في سيلان وكانت مدة سلطنتها خمس سنوات في انوراد بوره ومن بعد ان قتلت الملك كوداتيسه زوجها تزوجت بشخص دني الاصل اسمه بلاطيبهاه ومن بعد قليل غضبت عليه

عليه وسمّته ورمت عينها على واحد من اسفل صنف الصورة فتزوجته وكان اسمه وطاكا من المليبار وفي سنة ٤٢ قبل الميلاد سمّت واطاكا واختارت لنفسها واحد من البراهمة فخنقته ايضا وكان اسمه نيليا وفي اقل من ثلاث سنوات تزوجت تسع وعشرون رجلا وهي تقتلهم واحد بعد الاخر واخيرا آل امر عاقبتها في عدمها وجرايمها الى فقد حياتها وذلك ان ابنها مككلنطيشو من زوجها كوداتيسه كان هرب منها خيفة على نفسه منها عاد في راس جيش ضخم وهزم امه انولا في واقعة حصلت بينهما وحصر عاصمة انوراد بوره وتغلب عليها بالهجوم عنوة ولما رأت الملكة انه لا يمكنها حماية نفسها في داخل سرايتها ولا تسليم نفسها لابنها اضرمت النار في السراية وهلكت فيها محروقة وحوره وكانت بئس الملكة وبئس القرار

سلطنة مككلنطيشو

وفي سنة ٤١ قبل الميلاد صار مككلنطيشو ملكا واقام سورا حصينا حول انوراد بوره ارتفاعه سبعة اذرع مربع الشكل طول كل ضلع من اضلاعه ستة عشرة ميل فكانت سعة الارض الداخلة في هذا المربع عبارة عن غيطان وخزانات مياه وبساتين ومساكن لاهل المدينة وبنا داجوبة جيهيبيطاله ومات في سنة ١٩ قبل الميلاد

سلطنة باطيا طيشو

ومن بعد موته خلفه ابنه باطيا طيشو وتسلطن ثمانية وعشرون سنة في انوراد بوره

سلطنة مها ديليّه

وفي سنة ٩ بعد الميلاد خلفه ابنه مها ديليّه وتسلطن اثني عشر سنة في انوراد بوره وانشأ جنبها بستان الزهرات وكان يتصدق على الوف من القسس البودهستيه املا في قبوله عند الله

سلطنة اداجمونو

وفي سنة ٢١ بعد الميلاد خلفه اداجمونو وتسلطن تسع سنوات ونصف في انوراد بوره

سلطنة كنيهير بداليه

وفي سنة ٣٠ بعد الميلاد قتل كنيهير بداليه اخوه اداجمونو وجلس على الكرسي وتسلط ثلاث سنوات في انوراد بوره

سلطنة شولوبهايا

وفي سنة ٣٣ بعد الميلاد صار شولوبهايا بن اداجمونو ملكا وتسلطن سنة واحدة في انوراد بوره

سلطنة الومه

وفي سنة ٣٤ بعد الميلاد جلس الومه على التخت فقام رعية في ثورة عليه فتركهم سيلون ثم رجع في راس جيش ضخم من الهند من بعد ان غاب عنها ثلاث سنوات وهزم اخصامه في سنة ٣٧ بعد الميلاد وتسلطن من بعد هذا ست سنوات في انوراد بوره

سلطنة سندا موهونو

ومن بعد موته في سنة ٤٠ بعد الميلاد خلفه ابنه سندا موهونو فانشأ خزان مينيجيري واهدت ملكته دميليديفي كافة مصاغاتها واموالها لقسس ويهاره اشورموني

سلطنة يطلاكاطيسو

وفي سنة ٤٩ بعد الميلاد قتل يطلاكاطيسو اخوه سندا موهونو واغتصب التخت وتسلطن سبع سنوات وثمانية اشهر في انوراد بوره

وفي سنة ٥٦ بعد الميلاد خلع صوبهو يطلاكاطيسو من على التخت وكان صوبهو رجلا دني الاصل وقد ذكر في المهاونسه كيفية موت يطلاكاطيسو بالحالة الاتية وذلك ان

سلطنة صوبهو

صوبهو المذكور كان يناظر الملك في هيئته وكان يلبس الثياب الملوكية وفي يده قضيب الملك ويجلس امام ابواب السراية في صفة بواب حتى ثم عزم صوبهو المذكور على ان يجعل نفسه ملكا بالاسم والفعل فقام على الملك وقتله وجلس صوبهو المذكور في سنة ٥٦ بعد الميلاد على الكرسي وتسلطن ست سنوات في انوراد بوره

سلطنة وشابهو

وفي سنة ٦٢ بعد الميلاد هزمه وشابهو وقتله وصار ملكا من بعده وتسلطن اربعة واربعون سنة في انوراد بوره وفي مدة سلطنته رفع اسوار المدينة وعلاها حتى صار ارتفاعها ثمانية عشرة ذراعا وبنا ثلاث ويهارات وانشأ احدى عشر خزانا للري

سلطنة وانكانسيكا

ومات في سنة ١٠٦ بعد الميلاد وخلفه ابنه وانكانسيكا فتسلطن ثلاث سنوات في انوراد بوره وفي مدة سلطنة هذا الملك كانت الغارة الثالثة على الجزيرة وذلك

الغارة الثالثة على الجزيرة

ان الشوليانيين وصلوا اليها من قارة الهند ونزلوا في الجهة الشمالية الغربية ونهبوا البلاد وقتلوا العباد وخربوا الاراضي حتى وصلوا مقربا لحد العاصمة ثم عادوا بالغنايم والاسلاب وافرة ومعهم ١٢٠٠٠ اسير فاخذ جاجاباهو بن وانكانسيكا بثار هذه الحالة الفظيعة وزحف في راس جيش ضخم على ارض القارة واعاد ما كان

من اسرى السنهاليز وسلب من ارض الشولية اضعاف ما سلبوه من سيلان وجلب نحو ما يتفوق عن ١٢٠٠٠ الف من اسراهم واسكنهم في الوث كور وكورالي وفي هاريش بطوره وطومبان

وفي سنة ١٠٩ بعد الميلاد جلس جاجا باهو على التخت وسلطن اثنان وعشرون سنة في انوراد بوره ومات في سنة ١٣١ بعد الميلاد وخلفه خاله مهاناما الاول فسلطن ست سنوات في انوراد بوره وبنا سبع ويهاران

وفي سنة ١٣٧ بعد الميلاد جلس باطيا طيسو الثاني ابن مهاناما على التخت وسلطن اربعة وعشرون سنة في انوراد بوره

وفي سنة ١٦١ بعد الميلاد مات باطيا طيسو الثاني وصار اخوه شولا طيسو ملكا فسلطن ثمانية عشرة سنة في انوراد بوره ورمم لووا ماهاپايا وداجوبة ابهاياجيري

وفي سنة ١٧٩ جلس كوهونو بن شولاطيسو على الكرسي وسلطن سنتان في انوراد بوره

وفي سنة ١٨١ بعد الميلاد قتل كورا اتمانه كوهونو وصار ملكا وسلطن سنة واحدة

وفي سنة ١٨٢ بعد الميلاد قتله عديله سيرى ناجا واغتصب التخت وسلطن تسعة عشرة سنة في انوراد بوره

وفي سنة ٢٠١ بعد الميلاد جلس ويراطيسو بن سيرى ناجا على التخت وسلطن اثنان وعشرون سنة في انوراد بوره وفي مدة سلطنته اي في سنة ٢٠٩ حصلت البدع الويطولياتية وهي عقيدة ابتدا دخولها في المعابد البوذهيستية واستفان ويراطيسو بوزيره وحرق كافة الكتب المقدسة البوذهيستية وكانت هذه هي المصيبة الثانية في دمار التسجيلات الاوائية للديانة البوذهيستية

وفي سنة ٢٢٣ بعد الميلاد جلس ابهاسن اخو ويراطيسو على التخت وسلطن ثماني سنوات في انوراد بوره

وفي سنة ٢٣١ بعد الميلاد جلس سيرى ناجا الثاني ابن ويراطيسو على الكرسي وسلطن سنتان في انوراد بوره

وفي سنة ٢٣٣ جلس ويجايو الثاني ابن سيرى ناجا الثاني على الكرسي ومن بعد ان سلطن سنة واحدة قتله سنجاطيسه وفي سنة ٢٣٤ بعد الميلاد صار سنجاطيسه ملكا وسلطن اربع سنوات في انوراد بوره ومات في سنة ٢٣٨ بعد الميلاد مسموما باكله فاكهة مسمومة

وفي سنة ٢٣٨ بعد الميلاد جلس سيرى سنجابو على الكرسي وكان يلقب دهرما سيرى سنجابو وسلطن سنتان في انوراد بوره واخذ عليه عهود انه سيلا اي عهد محافظة على الثمان وصايا وسلطنته في محو خرافات المواد الديانية وكان كلما جاؤا بالمجرمين في حبس العاصمة يامر الملك بعدم قتلهم والافراج عنهم على مقتضى ما هو عليه من العهد والوعد اوكان يسجنهم ويامر بقتلهم وكانوا اخذ بعد الحكم عليهم يصير الافراج عنهم ليلا فازداد بذلك اللصوص والنهب والسلب والقتل في المملكة ولما عرف سنجابو ان وزيره الاول شكل رسيبة من اجل خلعه من على التخت خلع هو نفسه من دون منازعة وذهب الى ويهارة وما اخذ معه شيئا سوى مصفاة ماء وصار قسيسا بوذهيستيا

وفي سنة ٢٤٠ بعد الميلاد صار الوزير جوتابهايا وهو وزير سنجابو ملكا وجعل جائزة عظيمة لكل من اتاه برأس سنجابو فمن بعد مضي قليل قتله واحد من الفلاحين في اثنا هيمانه في صفة ناسك عند صخرة اطانجالو في سيا لي كورالي وهذه الجهة الاولى من بلعة القسم الغربي من اقسام الجزيرة ودفنت الرأس في اطانجالو وبنا فوقها الملك جوتابهايا داجوبة موجودة لحد الان وسلطن جوتابهايا ثلاثة عشرة سنة في انوراد بوره وكان معضدا للعقايد الويطولياتية ومات في سنة ٢٥٣ بعد الميلاد وخلفه ابنه مكلن ديطهوطيسو الاول فقتل كافة القسس الذين كانوا متمسكين بالعقايد الويطولياتية وهرب استاذه سنجاميطره وكان متمسكا بالعقايد الويطولياتية الى الهند وسلطن ديطهوطيسو عشر سنوات في

في انوراد بوره ومات في سنة ٢٦٣ بعد الميلاد

ومن سنة ٢٦٣ الى سنة ٢٧٥ ما عثرت على شي في هذه المدة ولم يذكر عنها في المهاونسه شي ولا ملك ولا حادثة من الحوادث

وفي سنة ٢٧٥ بعد الميلاد جلس مهاسن على الكرسي وسلطن سبعة وعشرون سنة في انوراد بوره وكان مهاسن اخر سلالة الملوك الكبيرة في المهاونسه الذين تقلدوا زمام السلطنة وفي مدته رجع سنجاميطره من الهند الى سيلان وكان استاذه وهداه الى العقايد الويطولياتية واوراه خطا الديانة البوذهيستية فامر بمنع الصدقات التي كانت جارية على قسس البوذهيست وهدم السراية النحاس وهدم ايضا ٣٦٣ معبد من المعابد البوذهيستية ثم عرف ما عليه العقايد الويطولياتية من الخطا فاعاد بنا سراية النحاس والكثير من المعابد وقتل سنجاميطره وشيد داجوبة جايا نا وارامه في انوراد بوره واشتهر مهاسن بانشاءه من الخزانات المعدة لخزين مياه الري وكان منها خزان ميتريا في منتصف الطريق بين دامبوله وطرينكومالي كاف لسقية قرى ٢٠٠٠٠ غيط من الغيطان وفي الحال ما كان مهاسن يناظر شغل هذا الخزان كان مقيما في نوارة كندة (نوارة مدينة) على احد الظهور الواحية للجبال المجاورة وجعل لهذا الخزان شعرة طولها ربع ميل وعلوها سنونه فلما وصول اليه مياه كره جنجا وبهذه المثابة انشا الخزان وكان النهر الذي يجري منه ويصب في مهويلي جنجا ثم شق ترعة من النهر المذكور وانشا خزان الخزان عظيم السعة جنطقوه بالقرب من طرينكومالي ووجه اليه مياه هذه الترعة ومن بعد موته عبدوه اهل الجزيرة بصفة اله وكانوا يقولون عليه انه الرب ميتريا ولحد الان لو ور الى معبده نتور وهدايا واما الخلفا الذين جلسوا من بعده على التخت وكانوا يلقبوا باسم سولوونسه اي السلالة الدون او الواطية كما هو مذكور في المهاونسه بسبب ما حصل من انحطاط عمارة الجزيرة في مدة سلطنتهم ومات مهاسن في سنة ٣٠٢ بعد الميلاد

ومن بعد موته جلس على الكرسي في سنة ٣٠٢ كيتى سيرى ميغوان وكان اول سلالة الملوك الدون او الواطية المسميين سولوونسه وسلطن ثمانية وعشرون سنة في انوراد بوره وفي مدة سلطنته اي في سنة ٣١١ بعد الميلاد ورد سنة جوثما بوده الى سيلان مع راهبة الى برنسيسة من كالينجا وزوجها البرنس دانطه وفي سنة ٣٣٠ بعد الميلاد مات كيتى سيرى ميغوان وخلفه اخوه دوطوطيسو الثاني وسلطن تسع سنوات في انوراد بوره

وفي سنة ٣٣٩ بعد الميلاد صار بوذهاداسو ملكا وكان مشهورا في براعته في فن الطب ووصفوه بانه معدن الفضايل واوقيانوس الغنية وصنف رسالة في فن الطب وشيد دور الشفا والمارستانات من اجل المكسحين والمصابين بالدا والمحتاجين وسلطن تسعة وعشرون سنة في انوراد بوره ومات في سنة ٣٦٨ بعد الميلاد وخلفه عوبالمه الثاني على التخت فبنى ويهارة ظريفة في اطانجالو ولما غاب اخوه مهاناما من عنقه مع زوجته حرضها على قتل زوجها في سنة ٤١٠ بعد الميلاد

وفي سنة ٤١٠ بعد الميلاد جلس مهاناما على الكرسي وسلطن اثنان وعشرون سنة في انوراد بوره وفي مدة سلطنته زار سيلان واحد بوذهيست من الهند فلقبوه من فصاحته بوذهاجوشا الى تصوغ بوذهاجوشا وترجم في انوراد بوره التفسير السنهاليزي على البيتاكات الثلاثة الى اللسان البالي وفي سنة ٤٣٢ مات مهاناما الثاني وصار ابنه سنجوت ملكا فسلطن يوما واحد في انوراد بوره وقتلته اخته سنجاه بالسم وفي سنة ٤٣٢ بعد الميلاد جلس بيمنطيسو الثاني زوج سنجاه على التخت وسلطن سنة واحدة وخلعه وزيره الاول من على التخت وفي سنة ٤٣٣ فقتله ميطاسينه زمام السلطنة وسلطن سنة واحدة في انوراد بوره وفي سنة ٤٣٤ قتله باندو واحد من اهل الملبار واغتصب باندو السلطنة ومكثت سيلان تحت حكم الملبار من سنة ٤٣٤ الى سنة ٤٦١ بعد الميلاد اي ٢٧ سنة ونصف ثلاثة ارباع سنة وذلك ان باندو اغتصب في سنة ٤٣٤ بعد الميلاد السلطنة وهرب اعضا العايلة الملوكية السنهاليزية الى جهة روهوونة وسلطن باندو خمس سنوات وفي سنة ٤٣٩ بعد الميلاد خلفه من بعد

موته ابنه بارِينده وصار ملكا فتسلطن ثلاث سنوات وفي سنة ٤٤٧ بعد الميلاد
مات بارينده وخلفه كورا بارينده فحكم سلطنة داطوسينها واوقع بها الارتباك
وتسلطن كورا بارينده ستة عشره سنه وفي سنة ٤٥٨ بعد الميلاد مات كورا بارينده
وخلفه طِيرِيطاره فتسلطن شهران وقتله داطوسينها وفي نفس هذه السنة صار داطِيَه
ملكا وتسلطن ثلاث سنوات وفي سنة ٤٦١ بعد الميلاد قتل داطوسينها الملك داطِيَه
وجلس پِطَبيا على التخت وتسلطن سبعة اشهر وقتله داطوسينها او داطوسينّا
وفي سنة ٤٦١ بعد الميلاد جلس داطوسينا على التخت وتسلطن ثمانية عشرة سنة في انورادابوره
وكان حاكما في روهونه فاخرج التمل واعاد الامن والديانة البوذهستية وانشأ خزانا
كبيرا اسمه كلَوِيوه وشق له ترعه طولها اربعة وخمسون ميلا من اجل ري الاراضي وحول
المياه اللازمة في مدينة انورادابوره وصنف عم القسيس لها ناحه في مدة سلطنته
المهاونسه اي تاريخ سيلان من عصر نزول وِجايو الى موت مهاسن وفي سنة ٤٧٩
بعد الميلاد قتله ابنه كسيابو وذلك لانه خلعه من على تخته ووضع فيه السلاسل والاغلال
وبنى عليه حايط وجلس كسّيابو على التخت في السنة المذكوره وتسلطن ثمانية عشره سنة
في صيجيري مدينة فوق تل عالي في ملايه كلاوية وفي سنة ٤٩٧ بعد الميلاد
عزم موجَلانه الاخ الصغير لكسيابو على الاخذ بثار ابيه من اخيه قاتله فتوجه الى
الهند وجمع جيشا ونزل به في كلمبو فخاف قاتل ابيه من وقوع عصيان عام فترك انورادابوره
وحصن نفسه فوق جبل لا يمكن الوصول اليه يسمى صيجيري في اقليم ماطَلَه ونقل اليه كنوزه
وذخايره الملوكية ثم بعد ذلك هزمه اخوه وقتله بالقرب من كوروِيجَلَه وجعل موجَلانه
انورادابوره هي العاصمة مرة ثانية

وفي سنة ٤٩٧ بعد الميلاد جلس موجَلانه على التخت وتسلطن ثمانية عشرة سنة في انورادابوره
وكان هو الابن الثاني لداطوسينا وفي سلطنته ورد الى سيلان شعر البوذه جوتما
ومات في سنة ٥١٥ بعد الميلاد

وجلس من بعد موته كوماره داسا في سنة ٥١٥ وتسلطن تسع سنوات في انورادابوره وكان
اجل ملوك السنهاليز واحسنهم عقلا وذهنا وذكا وكان كاتبا بارعا وشاعرا ماهرا صنف
الاشعار والابيات الشعرية المختصة باخذ راقته الجميلة سيطرن عن هذه زوجها وكان
يهوى امراة جميلة بارعة في الحسن فتوجه لزيارتها في منزلها في صباح يوم من الايام فرأى
نحلة تمص عسلا من زهرة فاستغرب من غذاء النحلة من الزهر وعمل بيتين من الشعر في هيئة
جلوسه في هذا الوقت مع كيفية حالة النحلة وغذاها ووعد بانه يسمح بما يطلبه كل انسان
يتمم مقصوده ويكمل اشعاره ويعطيه ما يتمناه منه فذاع من بعد كاليداس البيت الذي كان
قبل الملك وقرأ البيتين الشعر وكانا مكتوبان على حايط المنزل فصار ماخذ فتمم الاشعار
وقتل حاجب الملك كاليداس من اجل يشره للحصول على المكافية الملك التي وعد بها الملك
فكشف الملك الكذب واستخرج جسم كليداس وقتل قاتله ووضع الجسم على عمود الحرق واضرم
فيه النار ورمى نفسه فوقه فاحترق هو ايضا في انورادابوره في سنة ٥٢٤ بعد الميلاد
وفي نفس هذه السنة صار كيرطِيسينا بن كوماراداسا ملكا فتسلطن تسع شهور في
انورادابوره وقتله خاله ميده سيوه واغتصب ميده سيوه في سنة ٥٢٤ السلطنة
وتسلطن خمسة وعشرون يوما في انورادابوره وقتله ليجيني عوباطيه الثالث
وفي سنة ٥٢٥ بعد الميلاد جلس عوباطيه الثالث على التخت وتسلطن سنة وستة شهور
ومات من الحزن على موت ولده وفي سنة ٥٢٧ بعد الميلاد جلس سيلاكالا على التخت
في انورادابوره وفي سنة ٥٢٩ عادت العقايد الويطوليانية في الجزيرة
وفي سنة ٥٤٠ مات سيلاكالا وجلس على التخت ابنه الثاني دابولو الاول فتسلطن
ستة شهور وستة ايام في انورادابوره

وفي سنة ٥٤١ بعد الميلاد مات دابولو الاول وصار اخوه موجلانه الثاني ملكا من
بعده فتسلطن عشرون سنة في انورادابوره وفي سنة ٥٦١ بعد الميلاد جلس كورا
كيث سيري ميوَان على التخت وتسلطن تسعة عشره سنة في انورادابوره وقتله مهاناجا

مهاناجا واغتصب مهاناجا السلطنة وتسلطن ثلاث سنوات في انورادابوره
وفي سنة ٥٦٤ بعد الميلاد جلس اجرابودهي الاول على الكرسي وتسلطن اربعة وثلاثون
سنة في انورادابوره وظهر في مدة سلطنته اثنى عشرة شاعرا من ارباب الزكاوة والبلاغة
وكان في مدة سلطنته ايضا جورولوجوجي المشهور المؤلف الذي ألف اموا طوره و
براديكاوه ومات في سنة ٥٩٨ وخلفه على التخت ابن اخوه اجرابودهي الثاني في سنة
٥٩٨ بعد الميلاد وتسلطن عشر سنوات في انورادابوره فوضع عظم الطوق اليمين من بقايا
جوتما بودها في داجوبة طوباراماياً وزار ملك كالينجا سيلان وصار قسيسا تحت استفازية
القسيس العالم جاطِيالا وفي سنة ٦٠٨ بعد الميلاد مات اجرابودهي الثاني وجلس
على التخت اخوه سنجاطيسه الثاني فتسلطن شهران في انورادابوره وقتله جريده
بوته موجلانه وجلس بوته موجلانه على التخت وتسلطن ست سنوات في انورادابوره
وفي سنة ٦١٤ بعد الميلاد قتله اسيجاهاكا وجلس محله على الكرسي وتسلطن تسع سنوات
في انورادابوره وفي سنة ٦٢٣ بعد الميلاد مات اسيجاهاكا وجلس ابنه سيري سنجابو
الثاني على التخت وطرده كالوَنّه طيسه من الجزيرة وصار دوطوطيسه ملكا وتسلطن تسعة
اشهر فغزا في سنة ٦٢٥ سيلان سنجابو الثاني بجيش من التمل من الهند وهزم كالونه
وعاد سيري سنجابو الثاني الى التخت مرة ثانية وتسلطن ستة عشره سنة في انورادابوره
وفي سنة ٦٤١ بعد الميلاد صار دالوبياطيسه الاول ملكا فتسلطن ~~ثلاث~~ اثنى عشره
سنة في انورادابوره وهدم كثيرا من معابد البوذهيست ومات دالوبياطيسه
الاول في سنة ٦٥٣ بعد الميلاد وفي هذه السنة جلس كسيابو الثاني اخو سنجابو
الثاني على الكرسي وتسلطن تسع سنوات في انورادابوره وفي سنة ٦٦٢ بعد الميلاد
مات كسيابو الثاني وجلس دابولو الثاني ابن اخو كسيابو على التخت وتسلطن ثلاث
سنوات في انورادابوره وقاموا التمل عليه بالسلاح وطلبوا ابن داطوبياطيسه
من الهند وكان هرب اليها في السلطنة السابقة وفي سنة ٦٦٥ نزل دالوبياطيسه
الثاني ابن داطوبياطيسه في سيلان واهاج حربا على دابولو الثاني وهزمه وصار
ملكا وتسلطن تسع سنوات في انورادابوره وفي سنة ٦٧٤ بعد الميلاد تقلد اجرابودهي
الثالث (سنجابو الثالث) اخو دالوبياطيسه زمام السلطنة وتسلطن ستة عشره سنة
في انورادابوره وفي سنة ٦٩٠ بعد الميلاد مات اجرابودهي الثالث في بولوناروه
وجلس بعدها كوطه ولقب على التخت ولقب والبيطي واسيداطه او دانطه وتسلطن
سنتان في انورادابوره وفي سنة ٦٩٢ جلس هتّاداطه فمات من بعدان تسلطن ستة
شهور في انورادابوره وفي سنة ٧٢٧ بعد الميلاد صار اجرابودهي الرابع ملكا وتسلطن
ست سنوات في انورادابوره ولما كان لا طاقة له على طرد التمل نقل قبل موته مركز السلطنة
من انورادابوره الى بولوناروه وشيد خزانات كبيرة للمياه في ضواحي العاصمة الجديدة
وانشأ سرايات فاخرة جميلة وداجوبات وجعلها في العلو مضاهية لداجوبات انورادابوره
وفي سنة ٧٢٩ بعد الميلاد مات اجرابودهي الرابع وجلس مهيندو الاول على التخت وفي سنة
٧٤٢ مات مهيندو الاول من بعدان تسلطن ثلاث سنوات في بولوناروه وصار اجرابودهي
الخامس ملكا وتسلطن ستة سنوات في بولوناروه وفي سنة ٧٨٢ بعد الميلاد جلس
اجرابودهي السادس على التخت وتسلطن ستة سنوات في بولوناروه وفي سنة ٧٨٨
جلس مهيندو الثاني على التخت وتسلطن عشرون سنة في بولوناروه وفي سنة ٨٠٨
بعد الميلاد صار دابولو الثالث ملكا فتسلطن خمس سنوات في بولوناروه وفي مدة
سلطنته بذل جهده في راحة ورفاهية قومه واعتنى بانشاء مباني واشغال عمومية وشيد
مدرسة لتعليم فن الطب وامر بجمع كافة القوانين واللوايح القديمة وهذبها وجعلها
قانونا مدنيا واحدا ومات في سنة ٨١٣ بعد الميلاد وجلس مهيندو الثالث من
بعد موته على التخت وتسلطن اربع سنوات في بولوناروه وفي سنة ٨١٧ صار

اجرابودهي السابع ملكا وتسلطن احدى عشرة سنة في بولوناروه وفي سنة ٨٢٩ بعد
الميلاد جلس دابولو الرابع ابن اجرابودهي السابع على التخت وتسلطن ستة عشرة سنة
في بولوناروه وفي سنة ٨٤٥ تقلد اجرابودهي الثامن زمام السلطنة وتسلطن
ثلاث سنوات في بولوناروه وفي سنة ٨٤٨ صار سينا الاول ملكا وتسلطن عشرون
سنة في بولوناروه وفي مدة سلطنته غار ملك بنديا على سيلان وهزم سينا
وفي سنة ٨٦٨ بعد الميلاد جلس سينا الثاني على التخت وتسلطن خمسة وثلاثون سنة
في بولوناروه ولاجل اخذ بثاره من غارة البندياييين ارسل وزيره للغارة على
مملكتهم فحاصر مدينة مادوره وهزم ملك البندياييين وعاد الى سيلان مفرحا
بالنصر ومحملا بالغنايم والاسلاب وفي سنة ٩٠٣ بعد الميلاد جلس اودايا الاول
ابن سينا الاول على التخت وتسلطن احدى عشرة سنة في بولوناروه وفي سنة ٩١٤ بعد
الميلاد مات اودايا الاول وخلفه كسيابا الرابع فتسلطن سبعة عشرة سنة في
بولوناروه وفي سنة ٩٣١ جلس كسيابا الخامس على التخت وتسلطن عشر سنوات
في بولوناروه وفي مدة سلطنته استغاث به ملك البندياييين في محاربته له على
ملك الشولياييين فارسل كسيابا جيشا ضخما الى مملكة بنديا من اجلها مدة ملكه
وفي سنة ٩٤١ بعد الميلاد جلس دابولو الخامس على التخت وتسلطن سبعة شهور في
بولوناروه وصار دابولو السادس ملكا وتسلطن اثنى عشرة سنة في بولوناروه
وفي مدة سلطنته وفد ملك بنديا الى سيلان ونزل في ماطوره فتلقاه دابولو
مع الاحتفال والفخفخة الكبيرة وكان لوفوده يوما مشهودا في الجزيرة وفي سنة ٩٥٣
بعد الميلاد تتوج اودايا الثاني ملكا وتسلطن ثلاث سنوات في بولوناروه
وفي سنة ٩٥٦ بعد الميلاد جلس سينا الثالث على التخت وتسلطن تسع سنوات في
بولوناروه وفي سنة ٩٦٥ صار اودايا الثالث ملكا فتسلطن ثماني سنوات
في بولوناروه وفي مدة سلطنته ارسل له ملك الشولياييين رسولا عنه ان يرسل اليه
الملبوس الملوكي والتاج المخصوصين بملك بنديا الذي هرب الى سيلان في مدة سلطنة
دابولو السادس فلما رفض اودايا قبول طلب ملك الشولياييين غار الملك المذكور
على سيلان وهزم اودايا وهرب اودايا الى روهونه وجمع جيشا وزحف على
الشوليين وهزمهم وعاد للتخت وفي سنة ٩٧٣ بعد الميلاد جلس سينا الرابع على التخت
وتسلطن ثلاث سنوات في بولوناروه وفي سنة ٩٩٢ بعد الميلاد صار سينا
الخامس ملكا ومات من الافراط في السكر من بعد ان تسلطن عشر سنوات في بولوناروه
وفي سنة ١٠٠٢ بعد الميلاد جلس ميهندو الخامس على التخت وتسلطن ستة وثلاثون
سنة في انوراد بوره ثم غار ملك الشولية على سيلان واسر ميهندو وارسله الى
الهند وجعل نائبا من طرفه في بولوناروه فاستحوذ على الجزيرة نحوا من ثلاثين
سنة وكانت هذه المدة مدة فترة ملوك في بولوناروه واما روهونه فانها
هي التي بقيت في يد الملوك الوطنيين وفي سنة ١٠٥٠ بعد الميلاد صار الوزير
كيرتي ملكا وتسلطن ثمانية ايام وقتله مهلبده كيرتي وجلس على التخت وتسلطن
ثلاث سنوات وفي سنة ١٠٥٣ صار ويكوم باهو ملكا وتسلطن سنة واحدة
في روهونه وفي سنة ١٠٥٤ قتله جاجاطيبالا من برنسات اوده وصار ملكا
بدله وتسلطن اربع سنوات في روهونه وفي سنة ١٠٥٨ قتله الشولية وفي نفس
هذه السنة جلس پراكرم الاول ابن ويكوم بتري على التخت وتسلطن سنتان في
روهونه وفي سنة ١٠٦٠ قتله الشوليه وتقلد زمام السلطنة الوزير لوكيشوار
وتسلطن ستة سنوات في كترجمه وفي سنة ١٠٦٦ جلس على التخت ويجايو باهو
وتسلطن خمسون سنة في بولوناروه وكان ويجايو باهو من اصل العائلة الملوكية
فخرج حربا على الشولية وهزمهم شر هزيمة واسترد منهم العاصمة القديمة بولوناروه
ومد سلطنته على كافة جهات الجزيرة ولما راى انه لا يوجد في عموم الجزيرة ولا

سلطنة ويجايا باهو سنة ١٠٦٦

خمسة اشخاص من القسس ارباب الدرجات العالية فارسل رسولا الى ارمانه ومن
المحتمل انه ارمانه هذه هو برمه او من سيام وجلب من تلك البلاد القسس والاحبار
اهل العلم بالديانة البودهيه من اجل عودها مرة اخرى في سيلان وكانت انقرضت
تقريبا وحل محلها ديانة الهندو وابتنى عدة داجوبات واعاد الديانة البودهيه
كما كانت وفي سنة ١١١٦ بعد الميلاد مات ويجايو باهو الاول وخلفه اخوه
جايا باهو الاول وتسلطن احدى وعشرون سنة في بولوناروه واجتهد في رواج
الديانة البودهيه وفي سنة ١١٣٨ جلس جايا باهو الثاني على التخت وتسلطن
اثنان وعشرون سنة في بولوناروه ووصى بان تكون الخلافة من بعده الى براكرمه و
مات في سنة ١١٦٠ بعد الميلاد

سلطنة براكرمه باهو الاول في سنة ١١٦٠ الميلاد

ومن بعد موته جلس براكرمه باهو الاول على التخت وكان ابن جايا باهو الثاني وله
ذكر مشهور في تاريخ السنهاليز وكان متمسكا بالديانة البودهيه ومتعصبا فيها وكان
على دراية تامة وخبرة كاملة في العلوم درس المنطق والبيان والنحو والشعر وكان له
دراية بفن الموسيقى وتمم تعليمه واصلح تهذيبه بجولانه في البلاد الهندية وغيرها وكانت
سلطنته من اجل السلطنات في الابهة والقوة والنجاح في التاريخ السنهاليزي ورتب المحاكم
العدلية في كافة انحاء الجزيرة واسس وشيد ١٢٨ دار كتب في جهات مختلفة من سيلان
وطهر براكرمه الخزانات والترع وكانت طمست في السلطنات السابقة واصلح غيطان
وميادين شاسعة لزراعة الارز وشيد قلاع ومعاقل في جهات عديدة من الجزيرة وابتنى
سورا حول بولوناروه وجلب من الهند صناع النقل واصلح عمارات العاصمة وابنيتها
ومباني ظريفة في جلب المتفرج والنجاح على مملكته الاوراد فلا فيها دخولها
وارسل براكرمه باهو خمسمائة سفينة وقوة عسكرية ضخمة تحت قيادة اديكارم من قواد
الجيش من اجل الغارة على كمبوديه مملكة كانت واقعة في الجنوب الشرقي من مملكة سيام
وغار اديكارم على مملكة كمبوديه وقتل ملك الكامبوديين وتغلب على كمبوديه وعين
فيها حاكما من السنهاليز من اجل حكومتها وعاد الى سيلان ثم وجه براكرمه باهو جيوشه
على مملكتي بنديا وشولية وكانا ارتاعا من مقابلتهما هذا الملك القوي كل منهما على حدته
فاتحدا سوية وجمعا قواهما تحت جامعة واحدة فهزمت الحملة التي ارسلها براكرمه باهو
جيش الحليفين في عدة وقايع وفتك بينهم واضيفت جزيرة راميشوارم وما جاورها
من الجهات الى الاملاك السنهاليزية وخلع ملك بنديا من على كرسيه وحل محله على التخت ويرابندو
ابنه في صفة خراجي لبراكرمه ولما تمم براكرمه حروبه الخارجية شرع في الجد والاجتهاد في
اصلاح الجزيرة وغرس الغابات واشجار الفواكه والاثمار وشق الترع والخلجان وحول
مجاري الانهر والغدران الى جهة الخزانات من اجل ملئها بالمياه اللازمة لسقي الغيطان
وري الاراضي وحفر خليجا طويلا عريضا طوله ١٠٠ ميل ياخذ مياهه من امبان
جنجا ويصبه في الكهاره في اقليم ماطله ومنه الى الجهة الشمالية الشرقية ومتصلا
بخزانات مينارية وكنتاليي وخزانات اخرى كبيرة وكان يطلق على هذا الخليج اسم
بحر براكرمه وعمل له ارصفة ضخمة

سلطنة ويجايو باهو الثاني

وفي سنة ١١٩٣ مات براكرمه باهو الاول وخلفه ويجايو باهو الثاني فتسلطن سنة
واحدة في بولوناروه وكان ابن اخو براكرمه باهو الاول وكتب مكتوبا باللسان البالي
في غاية من الفصاحة لملك ارمانه والتمس منه ارسال جماعة من علماء قسس البودهيست
من اهل الورع والتقوى الى سيلان من اجل حل بعض المعضلات والمشكلات الحاصلة
في العقايد البودهيه وفي سنة ١١٩٤ قتل ميهندو الرابع ويجايو باهو الثاني

سلطنة ميهندو الرابع

سلطنة كيرتي نيسانكا

وتسلطن خمسة ايام في بولوناروه وقتله كيرتي نيسانكا وجلس كيرتي المذكور على التخت
في نفس هذه السنة وتسلطن تسع سنوات في بولوناروه وكان من عائلة كالينجه
الملوكية فرمم وبيارة رانكيري داجوبا وابتنى عدة داجوبات اخرى وما زال الاسم

مذكورا على هياكل كانت اقيمت مخصوصة من اجله وانه منبع الحكمة وحامي الارض ومصباح
نور الدنيا وما زال السبع الحجر الذي كان موضوعا عليه عرشه موجودا في دار العجائب
العتيقة والمخترعات الجديدة في كلمبو عاصمة الجزيرة الآن
وفي سنة ١٢٠٣ بعد الميلاد مات كيرتي نيسا نجه وخلفه ابنه ويرا باهو فتسلطن يوم واحد
في بولوناروه وقتله وزيره وصار ويكرمه باهو الثاني اخو كيرتي نيسا نجه ملكا وتسلطن
ثلاث شهور في بولوناروه
وفي سنة ١٢٠٤ جلس شودنكا نجه ابن اخو كيرتي نيسا نجه على التخت وتسلطن تسع شهور في
بولوناروه فخلع وزيره الاول عيني كهري وكان متزوج ليلاواتي ارملة بركرمه باهو
الاول وفي سنة ١٢٠٥ بعد الميلاد جلست الملكة ليلاواتي على التخت وتسلطنت ثلاث
سنوات في بولوناروه وخلعها سهسا ملوا وفي سنة ١٢٠٨ صار سهسا ملوا ملكا
فتسلطن سنتان في بولوناروه وخلعه وزيره نكنجه ره
وفي سنة ١٢١٠ تقلدت كاليانا نواطي زمام السلطنة وتسلطنت ست سنوات في بولوناروه
وفي سنة ١٢١٦ بعد الميلاد صار دهرما سوكا ملكا وتسلطن سنة واحدة في بولوناروه
وفي سنة ١٢١٧ نزل نكانجه في سيلان في راس جيش مؤلف من الشولية وزحف على بولوناروه
وقتل الملك الطفل دهرما سوكا وصار ملكا وتسلطن سبعة عشر يوما وعزله وزيره
شاموناكا واجلس شاموناكا ليلاواتي على التخت فتسلطنت سنة واحدة في بولوناروه
وخلعها من على التخت لوكيشورا الثاني وفي سنة ١٢١٨ جلس لوكيشورا الثاني على التخت
وتسلطن تسعة شهور في بولوناروه وعزله الوزير بركرمه وطلب بركرمه المذكور
ليلاواتي للتخت وفي سنة ١٢١٩ عادت الملكة ليلاواتي للتخت المرة الثالثة وتسلطنت
سبعة شهور في بولوناروه
وفي سنة ١٢٢٠ بعد الميلاد غار بركرم الثاني على سيلان بجيش من البندبا ينيين وعزل
الملكة ليلاواتي وتسلطن ثلاث سنوات في بولوناروه وفي مدة هذه السلطنة غار
كالنجه مجهه من الملبار على سيلان بجيش ضخم فاسر الملك وقلع عينيه وهدم الويهارات و
الداجوبات وجعل بعض الويهارات ثكنات ومحلات سكن لعساكره وحرق عموم الكتب المقدسة
البودهيستية واستعبد اشراف السنهاليز وجردهم من كافة كنوزهم واموالهم وكل من اخفى
عنه شيئا من الاموال والجواهر قطع يديه ورجليه نكالا بما اخفوا اموالهم وقت طلبها
منهم وقد ذكر في المهاونسه ان كافة الجزيرة صارت في صورة بيت ماججة فيه النيران ونهبها
الاذيله من قرية الى قرية وصار كالنجه مجهه ملكا وتسلطن احدى وعشرون سنة في بولوناروه
وفي سنة ١٢٤٤ مات مجهه وجلس على التخت ويجايو باهو الثالث وكان من ذرية سيري — سلطنة ويجايو باهو الثاني
سنجابو الاول فتسلطن اربع سنوات في دمبادينيا واعاد الديانة البودهيستية ونظف
الجزيرة من التمل وكانت جهة مايا (القسم الوسطاني) وجهة روهونه (القسم الجنوبي) خالية
من التمل واما قسم بهيطي (الجهة الشمالية) فكان قاطن به غالب التمل كما في الحالة الراهنة
الان ومن حزم راي ويجايه باهو وتدبيره في امره كونه رضي لنفسه بخضوع هذه الامة
اسما ووعدوه بخراج يدفعوه له سنويا ونقل ويجايه باهو كرسي الحكومة والسلطنة من
بولوناروه من ان لبثت فيها نحوا من خمسمائة سنة وجعله في دمبادينيا من السبع كوراليات
ومات في سنة ١٢٤٨ بعد الميلاد وخلفه ابنه بركرمه باهو الثاني في نفس هذه السنة وتسلطن — سلطنة بركرمه باهو الثاني
خمسة وثلاثون سنة في دمبادينيا وكان محبوبا عند رعيته وصاحب مودة وصداقة عند
الدول الاجنبية واصلح الطرق ومهدها وبنى القناطر وشيدها واسس مدينة سريبوارددانه
بوره التي هي الان كندي وكد كثيرا وتعب في التشجيع على العلم والتعليم وشيد المدارس و
المكاتب ورتب لها الاساتذه والمعلمين والنفقات للصنائع والعلوم وفي مدة سلطنته غار
على الجزيرة في سنة ١٢٥٩ التمل وكذا نزل شندره بهانو ملك الجاوه في سيلان في راس
جيش من الملاي وشرعوا في نهب اموالها وما فيها فامر بركرمه باهو ابن اخوه ويرا باهو
بالزحف للتلقا شندره بهانو فهزم ويرا باهو ملك الجاوه شر هزيمة وقتل السنهاليز منهم
مقتلة كبيرة وشبههم مورخي السنهاليز بعصفة او رمان من غاب حطمته الرياح وصار هشيما

هشيما مقتلعا من اصوله وفي سنة ١٢٨٤ بعد الميلاد مات بركرمه باهو الثاني وتقلد
ويجايو باهو الرابع زمام السلطنة وتسلطن سنتان في بولوناروه وقتله وزيره ميطا
سينه وفي سنة ١٢٨٥ بعد الميلاد جلس بهوونيكا باهو الاول على التخت وتسلطن
احدى عشرة سنة في يابهوا في السبع كوراليات في الجهة الجنوبية الغربية من دانبوله
فتغلب البندبا ينين عليها عنوة تحت قيادة اريا شكروارتي واخذوا سنة جوتما بوده
واوصلوها الى الهند الى كولاسيكاره ملك بنديا وفي سنة ١٢٩٦ بعد الميلاد صار
بركرمه باهو الثالث ملكا فتسلطن خمس سنوات في بولوناروه وزار كولاسيكاره ملك
بنديا وتيسر له الحصول على سنة البوده فجلبها معه الى سيلان ووضعها في هيكل في مدينة
بولوناروه وفي سنة ١٣٠١ بعد الميلاد جلس بهوونيكا الثاني على التخت وتسلطن سنتان
في هاستيسيلبوره وهي الان كورونيجالا
وفي سنة ١٣٠٣ بعد الميلاد جلس على التخت بركرمه باهو الرابع في كورونيجاله فعكف في مدة
سلطنته على مراعاة المواد الديانية وبنى معبدا مقدسا في كورونيجاله وشجع على العلوم
والف كتب في الديانة واللغة السنهاليزية وتسلطن بهوونيكا باهو الثالث في كورونيجاله
وخلفه ويجايه باهو الخامس الى الان تاريخ هذه المدة غير معلوم
وفي سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد صار بهوونيكا باهو الرابع ملكا فجعل جامبوله عاصمته وفي
سنة ١٣٥١ جلس بركرمه باهو الخامس على التخت وكانت سلطنته في جامبوله وخلفه ويكرمه
باهو الثالث فكان جلوس ويكرمه باهو تارة في يرادينيا وتارة في كندي واسس وزيره
الاول الكيشوارا مدينة كوتته اي مدينة جايا وردانبوره ثم جلس بهوونيكا باهو
الخامس على الكرسي وتسلطن عشرون سنة في جايا وردانبوره وعكف نفسه على المواد الديانية
وفي هذه السلطنة غارت اهل بنديا على سيلان تحت قياده اريا شكروارتي فشيد الا
سنجاماتي على كلمبو ونجمبو وشيلاو واخضع القسم الشمالي من الجزيرة وجعل مقر حكومته
في جافنه پتنم
وفي سنة ١٣٨٧ بعد الميلاد خلف ويجايو باهو السادس بهوونيكا باهو الخامس في الملكة وفي
سنة ١٤١٠ بعد الميلاد جلس بركرمه باهو السادس على الكرسي وتسلطن اثنان وخمسون سنة
في جايا وردانبوره فاخضع التمل الموجودين في الجهة الشمالية من الجزيرة واعاد المملكة الى
حالتها الاصلية وضرب عوايد ورسوم على محصولات المملكة وجلب سنة البوده ووضعها
في كوتته اي جايا وردانبوره وشيد مدرسة بودهستية في ببيليانه وهي قرية على مسافة
ثلاثة اميال في الجنوب الشرقي من كوتته وفي سنة ١٤٦٢ بعد الميلاد مات بركرمه باهو
السادس وجلس جايا باهو الثاني حفيد بركرمه باهو السادس على التخت فتسلطن سنتان
في جايا وردانبوره وفي سنة ١٤٦٤ قتله بهوونيكا باهو السادس وجلس على التخت وتسلطن
سبع سنوات في جايا وردانبوره وفي سنة ١٤٧١ بعد الميلاد صار بركرمه باهو السابع ملكا
وتسلطن اربعة عشر سنة في جايا وردانبوره وفي سنة ١٤٨٥ جلس ويرا بركرمه باهو
الثامن على التخت وتسلطن عشرون سنة في جايا وردانبوره ثم ان اثنان من اولاده صارا
ملكي سيلان وكان ابنه الثالث جد راجا سينها المشهور وفي سنة ١٥٠٥ بعد الميلاد
جلس على التخت من بعد موته دهرما بركرمه باهو التاسع فكانت احدى الحوادث الكبيرة
في سلطنته نزول البرتغاليين في سيلان وتسلطن اثنان وعشرون سنة في جايا وردانبوره
ومن قبل ان نذكر نزول البرتغاليين في سيلان ومدة وجودهم فيها يلزمنا
ان نذكر من وجيز القول على القسم الشمالي من الجزيرة وهو تاريخ جافنه الى حد زمن
وصول البرتغاليين فنقول انه لا يوجد كتب مدونة بلغة التمل مثل المهاونسه السنهاليزية
بل ان كل معبد وكل هيكل من هياكل التمل مذكور فيه تاريخ او حكاية المتعلقة به وكيف
ظهر سيوه او وشنو في هذا الهيكل وما وقع من العجايب والايات الغريبة وقت ظهوره
كل منهما وان الكتب المدونة فيها هذه الحوادث لم تكتب الا بعد مضي الوف من السنين من
بعد وقوعها ومن المحتمل ان الغرض الاكبر للتمل في ذلك هو سوق جهال الناس من اجل تقديم

ملخص تاريخ جافنه الى نزول البرتغاليين

احتراما لهم وهدايا هم ونذورهم لهذه المعابد
وذكر بعض المورخين ان السكان الاصلية للجهات الشمالية الغربية من جزيرة سيلان كانوا
هم الناجا او الناجايون المذكورون في المهاونسه السنهالية فمعنى ناجاديبو جزيرة
الثعابين فرأى السنهاليون هذه الجزيرة مدة زمن كبير انها هي بحيث جزيرة جافنه ايوجد
لحد الان معبد على جزيرة صغيرة بالقرب من مدينة جافنه يقدم فيه تقدمات ونذور
للثعابين وفي نحو سنة ٣٠٠ قبل الميلاد في مدة سلطنة ديوانا نبيا طيسو كان نزول
فرع الشجرة المقدسة في جامبوكولو وهو الان كلمبوجامه بالقرب من جافنه فبنى الملك
ويهارة في المحل الذي نزل فيه فرع الشجرة المقدسة المذكور وروى انه من بعد مضي
سنمائة سنة استخدم الملك مهاسن الناجايون والياكهويون في اشغال بناء ثلاث
المعدة لخزين مياه رحى الاراضي وكانت امة النمل تطلق على كيث جزيرة جافنه في الاول
اسم منطيدال اي جبل الرمل بسبب انها صارت رملية وبموجب العقايد الهندوية
فان اشكانده فيها اطلق على كانجيشن انثوابن سيوا وروى ان سكانده المذكور
وصف منيلبر في كيرى مالي يعني جبل اللبن بالقرب من كانجيشنتورى اى مدينة كا
نجيشن بوصف عظيم وآيات عجيبة باهرة وذلك ان ملك مشهور من ملوك جنوب الهند
ولد بوجه كوجه الاسد فشفي من هذه الحالة المشوهة بواسطة استحمام في هذا البير
وكذا ولدت برنسيسة طانجور وراسها راس حصان فذلها اله اشكانده في رؤية
منامية على استحمامها في البير المذكورة وبمجرد عومها في هذا البير صار لها جمال بديع
عجيب وتزوجت بالملك الذى كان وجهه وجه اسد وشفى باستحمام في هذا البير ومثل
هذه الروايات من خرافات النمل وروى ان رجلا عاجز البصر مغني من ارض الشولية
وفد الى ديوان نرسنجها راجا ملك القسم الشمالى من سيلان ممن ذكا وثه في ضرب العود
او القانون وتوقيع غنائه عليه حصل للملك طرب كبير وانشرح صدره منه فمنح بجيث
جزيرة جافنه وكانت في هذا الوقت خالية السكن فسماها المغني باسم يالبانان نادو
اى ارض العواد فدعى السكان اليها من ارض الشولية واسكنهم في جهات مختلفة من
البجيث جزيرة ومن بعد موت العواد هاجت الفتنات والمنازعات فوصل سنجها
اريا ملك مادوره او برنسها الى البجيث جزيرة حاكما عليها بطلب من سكانها وكان احد
ذراعيه مصاب بالشلل فسموه كولنكى صم اى ابو ذراع ولما وكد عزه في نالور
على مسافة ميلين من جافنه بنا فيها سراية ومعبد لسيوا وبواسطة ما كان عليه
من الشدة والعنف والمقدرة مدة شوكته وسلطنته مع العجلة على والى وفي الجهة
الجنوبية لحد منار وتسلطنت ذريته في جافنه بلقب اريا شكر وارتى وكان بينهم وبين
السنهالية وقايع وحروب على الدوام وقاد واحد منهم جيش ارسل من طرف كولاسيكاره
البندى ملك مادوره وحارب بهو وانيكا باهو الاول وتغلب على يا باهو عاصمة
وانقذ سيتة بوتها واخضع ملكه اخر من جافنه كافة ال حل الغربى وحصن شيلاو
ونجمو وكلمبو بالاستحكامات الا انه طرد منها سريقا بواسطة الكيسواره الوزير
السنهاليزى ثم ان براكرمه باهو الخامس الذى جلس على التخت في سنة ١٤١٠
بعد الميلاد في كوته اى في جايا وردا بنوره ارسل ابنه الكبير في راس جيش من اجل
التغلب على المملكة الشمالية فروى السنهاليه في حكاياتهم ان المذبحة في النمل كانت مهولة
شديدة حتى ان شوارع جافنه كانت تجرى فيها الدماء مثل تيارات المياه وقتل البرنس
اى ابن براكرمه باهو ملك النمل وجاء بروجته واولاده لابيه في كوته فجعل ابوه
والى جافنه فما لبثت طاعة هذه الجهة للسنهاليين مدة طويلة لان البرتغاليين لما
نزلوا في سيلان دخلت جافنه تحت حكومة ملوكها الاصلية والى هنا انتهى العصر
الثانى من مدة سيلان ويليه العصر الثالث بحول الله وقدرته والله الموفق للصواب
واليه المرجع والمآب =

العصر الثالث نزول البرتغاليين فى سيلان

كانت تجلب القرفة في العصور القديمة الى اوروبا الا ان سكانها لبثوا زمنا طويلا لا يعرفون
الجهات الواردة منها هذه القرفة وظهر من اقوال هيرودوط في سنة ٤٨٤ قبل الميلاد
ان قدماء الجريك كان لهم دراية قليلة جدا بالاراضي والجزاير الواقعة في الجهات الشرقية
ما بعد السند ومع هذا فان اونيسكريطوس احد الجريك الذين كانوا متوجهين الى الهند مع
اسكندر الاكبر في كان هو في سنة ٣٣٠ قبل الميلاد اول من كتب الاوصاف التى ما كانت
معلومة لاحد على جزيرة سيلان وفي نحو مبادى التاريخ المسيحى لاحظت معاملات معاملة
تجارية منتظمة بين جنوب اوروبا وبلاد الهند وكان يسير في كل سنة اسطول مؤلف
ما ينوف على مائة سفينة من البحر الاحمر الى سواحل الملبار وسيلان ويستبدل تجارته
بتجارات تلك البلاد وكانت المواد الرئيسة التى كانت تجلب الى اوروبا العقيق والعاج
والباغة واللولو والقرفة ولقد وصف احد الكتاب في نحو سنة ٢٧٠ بعد الميلاد سيلان
بانها جزيرة شاسعة جدا اى كبيرة السعة وشعور اهلها مثل شعور النساء في اوروبا و
يلفونها حول رؤسهم وذكر كوسموس في سنة ٥٦٣ بعد الميلاد نقلا عن واحد من
تجار الجريك وكان كوسموس هذا راهبا ان سيلان جزيرة واقعة وراء ساحل الفلفل
او الملبار وانه يوجد عدد وافر من الجزاير الصغيرة (ملديوه) بالقرب منه يخرج
منها جوز الهند اى الكاكونات بوفرة وفي القرن السادس من التاريخ المسيحى صارت
سيلان مركز تجارة بين الصين والبحر الاحمر ووفد ماركو بولو وكان من مشهورى
السياحين من الفنيزيين على جزيرة سيلان في سنة ١٢٨٤ بعد الميلاد ووصف اهلها
وناسها بانهم غير لايقين للحرب ومن بعد ان ذكر ملبوسهم وغذاهم قال انهم يشربون
مشروبات مستخرجة من الاشجار واقول انهم لحد الان يشربون التارى المستخرج من شجر النارجيل
او جوز الهند بصفة مايعات روحية وكذا مشروبات الكرنب اى النارجيل وانه من الضرورى
عندهم وصنع لبن جوز الهند او النارجيل في كافة اطعمتهم حتى الخبز وذكر ماركو بولو المذكور
انه يخرج من الجزيرة اعظم انواع الزمرد الذى لا يوجد نظيره في اى جهة من جهات الدنيا
والقول الحقيقة ان زمردها معدوم النظير فمنه الاحمر الوقاد والوردى والاصفر والازرق
والاخضر والابيض وانواع غريبة وهيئات عجيبة وتجارته كبيرة في سيلان ومنها يتصدر
الى كافة جهات كرة العالم وذكر ان بها جبل ادم وهو جبل متحدر صعب الصعود حتى انه
لا يمكن الوصول الى قمته الا بسلاسل من الحديد مربوطة لحد الان فيه ولغاية نحو من ٤٠٠
سنة مضت ما كانت مراكب الشراع توجهت او سافرت من اوروبا ووصلت سيلان وكان
التجار ملزومون على تسفير بضايعهم وتجاراتهم ما بطريق البر الى البحر الاحمر فمن ثم كانت
كثيرة المصاريف والتكاليف وفي القرن الخامس عشر من التاريخ المسيحى صار اهل البرتغال
وهى مملكة صغيرة في الجهة الجنوبية الغربية من اوروبا اشهر امة في المشروعات البحرية
فشرعوا في اخر القرن الخامس عشر على الملاحة باستعانتهم في طول قسم عظيم من ساحل افريقية
وكدوا في امتداد استكشافاتهم وفي سنة ١٤٨٦ بعد الميلاد عزم يوحنا ملك البرتغال
في تمام الدوران حول قارة افريقية ان امكن وسفر بارطلمي دياز رجل بحرى بارع
ذى خبرة ودراية بسفر البحار مع اسطول من اجل عملية هذا الكشف وتجربة السفر ومن
بعد سفره منه بضع شهور مر على راس الرجاء الخير من دون ان يكون له خبرة به ولما لم ير
ارض في الجهة الشرقية سار متوجها نحو الشمال واخيرا صار على منظر من ساحل الواقع
في شرق الراس فرغب دياز في هذا الوقت ان يتقدم في سفره الى اقصى الشرق فتضجر
الملاحون وزجروا ورغبوا العود الى بلادهم والزموه الرجعة وفي حال عوده رمته
العواصف وتلاعب الرياح في مدة سيره على الراس الكبير الافريقي فسماه راس الزوابع
ولما عاد دياز الى البرتغال عرض حوادث سفرته على الملك فانشرح صدره من نجاح السفرة
وسماه راس عشم الخير وفي سنة ١٤٩٧ بعد الميلاد سافر من لسبون ثلاث مراكب

تحت رياسة واسكو دوجمة ومن بعد سفر اثنتى عشرة شهرا رست هذه المراكب على ساحل
المليبار ورمت بمدافعها فى تجاه مدينة كاليكوت فقابل الهندو جماعة البرتغال فى الابتداء
مع الشفقة والحنية غير ان التجارة كان معظمها فى ايدى المسلمين وكانوا ينظرون بعين الغيرة
والحسد لهولاء الاغراب ومع ما كان من شدة المعارضة وحصول المناوشة فان واسكو
دوجمة عاد الى البرتغال بحمولة ثمينة المقدار فقابله طوايف الاهالى بالفرح والسرور
ودخل لسبون فى ابهة ملوكية ثم بعد هذه سافر من لسبون اسطول من بعد اسطول الى الهند
وتشكلت مستعمرات من البرتغاليين فى جهات مختلفة من السواحل الهندية

وفى سنة ١٥٠٥ لعيد الميلاد وهى السنة الاولى من سلطنة دهرما بركرم باهو التاسع فى
سيلون ارسل فرنسيشكو داليميده حاكم الاملاك البرتغالية فى الهند ابنه لوريتزو فى
اثر بعض مراكب من مراكب المسلمين كانت قد شوهدت انها متوجهة نحو جزاير ملديوه فجاءه
ريح مخالف فرماه على ساحل سيلان ورسى فى مرساة كلمبو وعلى حسب اقوال اخرين انه
رسى فى جالى فوصلت الاخبار الى الملك دهرما بركرم باهو فى كوته اى فى
جايا وردانبوره من طرف سكان قلعة كلمبو واخبروه بانه يوجد فى مينتنا بكلمبو جنس
من الناس بيض الوجوه وحسان لابسين فى ارجلهم جزمات طويلة وطواقى من الحديد
وهم دايما فى حركة ياكلون احجارا بيضا (الخبز) ويشربون الدما (النبيذ) واذا اشتروا
سمكة دفعوا فى ثمنها قطعتان او ثلاث قطع من الذهب او الفضة وعندهم مدافع اصواتها
مثل الرعد وكلما اذا ضربت من واحد منها تطير فى الهوا بعض فراسخ وتكسر قلعة مبنية
من المرمر او صفائح الحديد فارتاع بركرم باهو من هذه الاخبار وعجب منها وطلب مجلسه
ولما اجتمع المجلس ذاكرهم فى سؤال انكون فى سلم مع هولاى الاقويا او شدا او ندخل
معهم فى حرب ومن بعد مداولة كبيرة ارسلوا رجلا اسمه شكره من حكام الاقاليم فى
خفية حتى ليرى ما هى عليه البرتغاليين من حالتهم ويخبرهم من رايه فيهم فتوجه الى كلمبو
ورجع الى الملك وعرض عليه انه من حزم الراى حفظ شروط المحبة والصداقة مع مثل هولاى
الاقويا وارسل البرتغاليين رسولا من طرفهم فقابله الملك مع الاحتفال وتبادلت
بينهم الهدايا وعقدت محالفة ومعاهدة ودية او حبية وذكر مورخى البرتغال ان ملك
السنهاليز التزم بواسطة هذه المعاهدة على انه يدفع خراجا سنويا قيمته ٢٥٠٠٠٠ رطل
من القرفة الى ملك البرتغال ثم ما عاد البرتغاليين الى سيلان الا فيما بعد مضى ثلثة عشرة
سنة وفى سنة ١٥١٨ لعيد الميلاد وصل لوبيز سواريز الفاريجو مرة ثانية الى الجزيرة
ومعه اسطول مؤلف من سبع عشرة سفينة ونزل فى كلمبو وشرع فى تشييد قلعة فى
تجار المسلمين من ان البرتغاليين ربما يحتكروا التجارة لانفسهم فهيجوا ملك السنهاليز
على الهجوم على القلعة بقوة جيشه وزحف جبر بركرم باهو على البرتغاليين فى راس
جيشه وهجم عليهم فصدوا الهجوم مع غاية السهولة ولما خاف السنهاليز من قتال الاوروبيين
وما عندهم من الاقواه النارية التزموا على عقد الصلح واتفق الملك على ان يجعل نفسه
عبدا لمملكة البرتغال ويدفع خراجا معلوما سنويا من القرفة والزمرد والاحجار والافيال
والفيلة وكان البرتغاليين شيدوا قلعة من طين فبنوها من الحجر وكانت هذه اول قلعة
بنيت من الحجر فى سنة ١٥٢٠ لعيد الميلاد تقوية جديدة لوصولهم

وفى سنة ١٥٢٧ لعيد الميلاد مات دهرما بركرم باهو وجلس ويجايو باهو السابع على
التخت وتسلطن سبع سنوات فى جايا وردانبوره وكان السنهاليز من بعد موت بركرم باهو
طلبوا اخوه ساكله راجا للتخت باغلب الاصوات الا انه رفض قبول هذا السمو وقال
ان اخوه الاخر مستحق واحق فى الحكم منه ومن ثم جلس ويجايو باهو السابع وفى مدة
سلطنته شرع البرتغاليين من بعد بناهم القلعة من الحجر فى العنف والشدة والاذى والسلب
والخطف ففاقت الغيرة والحمية فى صدور السنهاليز فحاصروا قلعتهم وهى كلمبو بـ ٢٠٠٠٠ نفس
من السنهاليز فاشتد فى داخل القلعة القحط والجوع فارسل دو بريطو المحافظ البرتغالى
فى القلعة من بعد انه بذل مجهوده فى رفع الحصار رسولا الى عامل الصين الشرقى واخبره بالخطر
الذى

الذى حل بمحافظى كلمبو فارسل اليهم مركب مشحونة بالذخاير والمؤن وقامت الشهامة فى رؤس
عساكر محافظى القلعة من بعد ان كانوا قطعوا الامل من حياة انفسهم وخرج دو بريطو فى
راس ٣٠٠ نفس من البرتغاليين وزحف على معسكر السنهاليز خارج القلعة على حين غفلة منهم
فوقع فيهم الرعب وهربوا وتركوا المعسكر والاشغال فى ايدى الغالبين وكان لويجايو باهو
السابع من الاولاد ثلاثة وهم بهو وانيكا باهو ورايجه بندره وما يدونى من زوجة
تزوجها فى الابتداء فشرع فى اخراجهم فى سنة ١٥٣٤ لعيد الميلاد من وراثة التخت ويجعل وراثة
التخت لاخوهم الاصغر من زوجته الثانية ولما فاوض اولاده فى هذا الراى اراد قتلهم
واجتهد فى هلاكهم فهربوا منه وجمعوا الثلاث اخوان جيشا وغاروا على كوته ونهبوها
وفى الليل اجتهدوا فى تاجير واحد من الاصل من اجل قتل اباهم فقتله وجلس بهو وانيكا
باهو على التخت فى سنة ١٥٣٤ لعيد الميلاد وتسلطن ثمانى سنوات فى جايا وردانبوره ورغب
هذا الملك ان يجعل حفيده دهرما پالا خليفة من بعده على التخت فعارضه فى ذلك اخوه
مايدونى وكان فى هذا الوقت حاكما فى اقليم سيطاواكا وحصن مايدونى عاصمة
سيطاواكا من هجوم ربما يقع فى المقابل من بهو وانيكا باهو ويتيسر له الحصول على مساعدة
البرتغاليين وهو ضد عساكرهم المتحدة مدينة سيطاواكا مظفرة بالنصر من بعد مقاومة
قبيلة وهرب مايدونى الى اخيه رايجه بندره واجتهد فى تحريضه على حمل السلاح
فراى بندره انه من الحزم وجودة الراى مساعدة اخيه فسار مايدونى فى راس جيش
من المسلمين مع مساعدة اخيه وهجم على بهو وانيكا باهو فى سنة ١٥٣٦ لعيد الميلاد فانهزم
بهو وانيكا باهو فى واقعة وقعت بينهما فى جوروقيلا بمساعدة البرتغاليين وحرق
مدينة سيطاواكا وارسل سلپثو ارنشى من طرفه رسولا الى يوحنا الثالث ملك
البرتغال واخذ سلپثو معه تمثال دهرما پالا وتاج من الذهب وطلب بهو وانيكا
باهو من ملك البرتغال تتويج هذا التمثال فامتثل ملك البرتغال ولبى طلب ملك السنهاليز
وتوج التمثال ولقبه باسم الدون يوان فى الصالة العمومية فى سراية لسبون فى
سنة ١٥٤١ لعيد الميلاد ثم ان مايدونى واخوه رايجه بندره هجما مرة ثانية
على الملك فانهزما ايضا بمساعدة البرتغاليين ومن بعد مضى قليل اطلق واحد من
البرتغاليين عيار نارى على بهو وانيكا باهو فقتله فى اثنا زيارته كلانية وقيل ان
هذا العيار كان بغير عمد بل عارضا فى سنة ١٥٤٢ لعيد الميلاد
وفى سنة ١٥٤٢ لعيد الميلاد جلس دون يوان دهرما پالا على التخت وتسلطن تسع وثلاثون
سنة فى جايا وردانبوره وكان جلوسه على التخت بمساعدة البرتغاليين ودخل هو وعدة
من اشراف قومه فى الديانة المسيحية وتعمدوا فكان اول ملك مسيحى فى سيلان ودخل الكثير
من عوام الاهالى الموجودين على ساحل الغربى فى الديانة الرومانية الكاثوليكية ولاجل
تشجيع الناس وتشويقهم على الدخول فى الديانة المسيحية فرق البرتغاليين الرز على الذين
دخلوا فيها ووعدوهم بالدخول فى المصالح والخدمات فالتزم قسم بوذا الموجودين فى
الوثنا على تركها وذهبوا الى سيطاواكا وكندى
وفى سنة ١٥٤٤ لعيد الميلاد دخل الكثير من اهل منار فى الديانة المسيحية بواسطة اتباع
فرنسيس اكزفيره مبعوث روحانى كاثوليكى له تمسك شديد بالديانة الكاثوليكية وكان
الملك جافنه رجل متعصب من النكل فى دينه الهندو فاخذته الغيرة من انتشار الديانة
المسيحية فامر بتجليب ٦٠٠ نفس من اهل منار من الذين دخلوا فى الدين المسيحى وامر بعدم
دخول اى قسيس مسيحى فى الجزيرة ومع ما فيه فان ما عمله كانت على غير طايل فان ابنه
الكبير دخل فى الديانة المسيحية بواسطة واحد من تجار البرتغاليين كان متداخل فى اشغال
ومعاملات مع السراية فلما بلغ الملك دخول ابنه فى الديانة الكاثوليكية امر بقتله ورمى
جسمه فى الاورمان ومن بعده دخلت اخته فى الديانة المسيحية وعلمها لوبرها وابن

اخوها اعني البرنس المقتول وارسلتها من خلاصها من غضب الملك الى جاوه في السر
بواسطة التاجر البرتغالي ومن بعد هذه الواقعة اشتد الجور والتعدي من ملك التل على
المسيحيين زيادة عن قبل فالتزم اك ڤيير على خلاصهم من هذا الظلم مع جماعة البرتغا
ليين فارتاع ملك جافنه وخاف على حياته وقابل في سنة ١٥٤٨ مع اك ڤيير مع غاية
الاحتفال وقدم نفسه له ودخل في الديانة المسيحية ولما عاد اك ڤيير الى جاوه ارسل ملك
التل معه رسولا الى عامل البرتغال فيها يطلب منه اقراره واعترافه وعداده ضمن عبيد
ملك البرتغال وانه يكون عنده بلوك من البرتغاليين من اجل المحافظة عليه على مصروفه وفي
اثنا ما كان دون يوان دهرمه بالا معتبرا ملكا في الاقاليم الساحلية عزم مايدوني
في داخل الجزيرة على المنازعة في السلطنة وجعل نفسه استاذ وسط الجزيرة شيا فشيا و
في سنة ١٥٦٣ بعد الميلاد هجم مايدوني على كوته فخاف قايد البرتغاليين من انه ربما
تنقطع المؤونة فامر بتمليح لحوم الذين قتلوا في ميدان الواقعة من اجل الغذا في حالة ما اذا
وقع قحط ثم ان دون يوان دهرمه بالا ترك كوته واستقر في داخل اسوار كلمبو
وفي سنة ١٥٨١ بعد الميلاد مات الدون يوان دهرمه بالا واما مايدوني فانه قتله
ابنه راجاسنها الاول وذكر مؤرخي البرتغاليين ان راجاسنها قتل ابوه الطاعن
في السن واخوته ايضا واما المذكور في المهاونسه فانه راجاسنها قتل ابوه فقط

سلطنة راجاسنها الاول

وفي سنة ١٥٨١ بعد الميلاد جلس راجاسنها الاول على التخت وتسلطن احد عشر سنة
في سيطاواكا وكان هذا الاسم لقبا عليه واما اسمه فهو طيكيري بندره ابن مايدوني
واصطحبه بجيش ابيه في اثنا محارباته وظهرت عليه الشجاعة والنجابة فبهذا لقب براجاسنها
اي الملك الاسد فلما راى البرتغاليين ان هذا الوقت هو الصالح لانتهاز فرصتهم ارسلوا
جيشا كبيرا من اجل التغلب على سيطاواكا فالتقاهم جيش راجاسنها تحت قيادة واحد
من قواده فهزموه فجمع راجاسنها نفسه جيشا كبيرا وزحف على البرتغاليين ووقعت بينه
وبينهم واقعة في موليرياوه وفي اثنا ما كان راجاسنها يتأخر العدو من امامه امر
فرقة من عساكره بالهجوم على البرتغاليين من خلفهم واشتدت الواقعة وحمي وطيس الحرب
ويأست الانفس من حياتها وكان كل من البرتغاليين والسنهاليز يتقاتلون في ذيول
الافيال ويحاربون وكان الملك راكبا حصانه ويركض من جهة الى اخرى وجرى الدم مثل
المياه في ميدان موليرياوه وقتل من البرتغاليين نحوا من ١٧٠٠ نفس وهزمهم
راجاسنها وتغلب على كوته او جايا وردانبوره ومن بعد هذا وضع الحصار على كلمبو
ثم حصلت ثورة في كندي فاجبر على الهزيمة ورفع الحصار وكان سبب هذه الثورة ان
ويجايو سوندره بندره عزم على القيام على راجاسنها وكان برنس من العايلة الملوكية
فارسل له راجاسنها مكتوب ودي يطلبه للحضور اليه ووعده بالانعام عليه ببعض القرى
مكافية على ما اداه من جزيل خدماته وارسل له اثنان من المودلياراث اي الحكام
الكبار من اجل جلبه الى الحضرة الملوكية وفي اثنا سفره للحضور رمياه باوامر الملك في
بئر كان حفر في الطريق من ذلك وغطوه بفروع اشجار واوراق وكان بئرا عميقا وبمجرد
وصوله الى قاع البئر مات لانه كان محفورا في قاعه حرب معدة لهذا الخصوص فكانت عاقبة
هذه الجريمة شنيعة عليه وذلك انه بمجرد وصول الاخبار بموت البرنس الى عايلته
هرب ابنه كوننتو بندره الى كلمبو ودخل في الديانة المسيحية وتعمد باسم الدون
حنا او يوان واتحد مع البرتغاليين وعزم على الاخذ بثار ابيه ثم ترك راجاسنها
الديانة البودهيسيه ودخل في ديانة الهنود وانعم باشيا كثيرة على البراهمانيين قسيس
ديانة الهنود وعامل قسس البودهيسيت بالعنف الشديد والجور العنيد وبنا هياكل
ومعابد في اڤاويلا لقسس البراهمة واحسن بوظيفة مزار جبل ادم لفقرا الهنود و
وحرق عموم الكتب المقدسة البودهيسية ولما عزم وعول على الهجوم على كلمبو واستعد
في كافة تحضيراته وضع الحصار على القلعة ثم رفع الحصار عنها من بعد ان لبث تسع شهور

شهور وكان الدون يوحنا اقلع في مركب الى منار ومنها زحف على كندي وفي مدة
سيره انضم اليه عدة من رؤسا السنهاليز وهدد سيطاواكا فارسل البرتغاليين
ايضا حملة من اجل دمار ونهب بلاد الساحل الجنوبي فنهبوا من ضمن منهوباتهم وهدموا
من ضمن ما هدموه المعبد الكبير المفتخر في ديوندره وكان اظرف معبد في سيلان فالتزم
راجاسنها في هذا الوقت على رفع الحصار عن كلمبو من بعد ان لبث تسع شهور كما تقدم وكان
قد زحف راجاسنها تقهقر الدون يوحنا مع البطء نحو الجهة الجنوبية او الجهة الشرقية
ومضت عدة سنتين على ذلك في مشي صعب ومحاربة قليلة وفي ظرف هذه المدة حاز
البرتغاليين الظفر والنصر ثانيا وتغلبوا على اڤاويلا وقسم عظيم من السبع كورلاو
الكورلياث واحتلوا ايضا مدينة كندي وتعمد واحد من البرنسات من نسل العايلة
الملوكية ولقب الدون فيليب واجلسوه البرتغاليين على التخت فتولد من هذا العدوان
ترك الدون يوحنا البرتغاليين وصار لهم الد الاعدا ولما سار الى كندي كظم غيظه
حتى لوحت له الفرصة الموافقة وخلع الدون فيليب من على التخت بقتله بواسطة السم وقطع
آمال البرتغاليين واخذ سلاحهم وفي هذا الوقت بلغ راجاسنها من العمر ١٢٠ سنة
وما زال في كر وسعي في المحاربة على التاج فانه زحف على كندي والتقى مع الدون يوحنا
في سنة ١٥٩٢ في معبد كادوجنووا وكانت الواقعة فيه فانهزم راجاسنها وحيث
ما كان يرى راجاسنها في هذا اليوم الا عساكر هاربة ورمم موتى مرمية في الميدان
وجرح في رجله جرحا بليغا تحقق له منه قرب موته فقال واسفاه واحزناه اواوه
من هذا اليوم المشؤوم مع ابتدا ما كان عمري احد عشر سنة ما غلبني واحد من
الملوك لحد هذا اليوم لكن عدوي اشرعني قوة لان قوتي اخذت في الضعف و
الاضمحلال وعاش راجاسنها مدة قليلة وما قبل مداواة جرحه ومات في سنة ١٥٩٢
بعد الميلاد ولا في عاقبة مكره وخيانته
وفي سنة ١٥٩٢ بعد الميلاد جبر خصم الدون يوحنا على التخت وسمى نفسه ويملا دهرما الاول
على الكرسي وتسلطن اثني عشر سنة في كندي ولاجل توطيده مع عدة قسس البودهيست
ارتد جهرة عن الديانة المسيحية وكان البرتغاليين في سنة ١٥٦٠ بعد الميلاد اخذوا
بقايا السنة الحقيقية لبودها وارسلوها الى جاوه وكسروها ومن حيث ان اهل كندي
ومحقق انها يعتقدون ان سلطنة الجزيرة مخصوصة بسنة بودها وان هذه السنة لابد
وان تكون تحت يد الملك المتسلطن فجلب ويملا دهرما السنة التي ما زالت محفوظة في
كندي لحد الان بصفة انها هي السنة الاصلية الحقيقية واثبت لهم على انها كانت محفوظة
في سبرجموه وعمل له حوله يوما مشهورا وراي ١٤٠٠ نفس من القسس الى ولينة
احتفل فيه لهم واشهر امام السنة واعتقدوا بانها هي السنة الحقيقية لجوتما بودها
ولو انه حصل شدة الغضب عند البرتغاليين من الاعمال الجارية من طرف ويملا دهرما
الا انهم ما كان لهم من طاقة في معارضته باي حالة من الاحوال وما مضى على هذه الاحوال
مدة حتى ان واحدا من قوادهم اسمه بيطرو لوبيز دو سوظه كان مسافرا من ملقه
الى جاوه فرسى في كلمبو فعرفوه بما هو جاري من الاحوال وتضرعوا اليه ان يقدم
شكواهم ومصايبهم الى عامل جاوه من اجل اخذه الاحتياطات المؤثرة اللازمة في
ذلك وعند وصوله الى جاوه اخبر العامل بما هو جاري في سيلان فاتفق عامل جاوه
معه على ان يجعله قايد القوة اللازم ارسالها الى سيلان فقبل دو سوظه الوظيفة
على شرط ان الدونه كاثرينة ابنة الدون فيليب ينبغي زواجها بابن اخيه واقلع
سوظه الى سيلان وتقابل مع الدونه كاثرينة في منار وجعلها في راس الجيش مع الاحتفال
والابهة وبوجودها في راس الجيش تغلب على كثير من عقول السنهاليز وسار من نجمبو
الى كندي وفي اثنا هذه المدة بذل ويملا دهرما مجهوده في الاستعداد من اجل صد هذه

الحملة ولما صار روسوط في وسط معبر ويلانه سمع ضرب الطبول من كل جهة وتزلزل
الجبال مثل السحب المتكاثفة والقلل والحراب على البرتغاليين وهزم ويملا دهرما البرتغا
ليين شر هزيمة وبدد جيشهم ووقعت الدونة كاترينة اسيرة في ايدي ويملا دهرما
وارغمها على ان تقبله بعلا او زوجا لها ومن بعد مضي بضع سنين اجتهد البرتغاليين في
ان يجعلوا انفسهم اسيادا للاقاليم الداخلة من الجزيرة مرة اخرى فهزمهم ويملا دهرما
هزيمة اخرى اشد من الاولى

001

ثم اتفق في هذا العصر ان اهل هولنده او الدانش او الفلمنكيون كانوا امة اهل تجارة
ولهم همة ونشاط في الاعمال التجارية وهم قاطنون ارض قليلة السعة بالقرب من انكلتره
فتوجهت المراكب الفلمنكية الى البرتغال من اجل يشرها الحصول على بهارات واصناف اخرى
من التجارات الواردة اليها من الهند وسيلان فامر ملك البرتغال بعدم معاملة قوم
معهم عمدا لاجل خسارة تجارتهم ومن ثم في ظرف سنة تشكلت شركة في الفلنك اي في
هولنده من اجل ارسال سفن الى الجهات الشرقية وفي سنة ١٥٩٥ بعد الميلاد اقلع اول
اسطول فلمنكي تجاري ولف في سفره حتى نواحي راس غشم الخير فكانت اسفار الفلمنكيين في
الابتدا محصورة الى حد بلاد الجاوه وجزاير البهارات والصين وكان قبل ذلك بمدة
ارسل الاميرال سبيلبرغن مع ثلاث مراكب الى سيلان ومن بعد سفر طويل رسى الاميرال
الفلمنكي بالقرب من بتيكلوه في شهر مارت سنة ١٦٠٢ بعد الميلاد ثم سافر من طريق
البر الى كندي فقابله ويملا دهرما مع غاية القبول والاجلال والحشمة وعمل له الولايم
والدعوات الحافلة واعد له الخيول اللازمة وسمح له بحرية الدخول في كافة المباني و
الهياكل العمومية وحرية كاملة في تجارة القرفة والفلفل واكد له الملك على انه لو
اراد ان ينشا قلعة في بلاده فانه الملكة واولادها اول من يحملوا المواد اللازمة لبناها
على اكتافهم ثم بعد ذلك وردت سفرة اخرى من الفلمنكيين تحت قيادة سيبالد دو ويرد
فتوجه ويملا دهرما الى اتجل من اجل عقد معاهدة مع ويرد فلما تسلط السكر في
راس ويرد من كثرة شربه العرق نظر الى الملك بعين الاحتقار فقال الملك اربط
ذاك الكلب فاعقب ذلك حرب قتل فيه ويرد وما ينوف عن خمسين من اتباعه ثم ارسل
ويملا دهرما مذكرة صغيرة باللسان البرتغالي الى القايد الثاني للاسطول الفلمنكي
مذكور فيها ان شارب الخمر ذاك لا نفع فيه والله يعدل بيننا فان كنت ترغب السلم فالصلح
خير وان كان حرب فحربا

وفي سنة ١٦٠٤ بعد الميلاد مات ويملا دهرما وجلس من بعد موته سنراط على الكرسي
وتسلطن ثلاثون سنة في كندي وكان ويملا دهرما خلف من الدونة كاترينة ولدان
وكانا في صغر السن جدا في تقلد زمام السلطنة وطلبها التاج وكان لها عم قسيس
في معبد جيل ادم فتنازع الا ان يكون وصيا عليها فكشف هذا القسيس برقع الحياء
والمروة عن محيا وجهه وامر بقتل الولدين وتزوج الدونة كاترينة وجلس على الكرسي
باسم سنراط وفي سنة ١٦١٢ بعد الميلاد وصل مارسيلوس دو بوشهور الى كندي
رسولا من طرف الفلنك وعقد معاهدة بين ملكي السنهاليز والهولنديين وشيد
الفلمنكيون قلعة في كوتيار بالقرب من طرنكومالي وفي نفس هذه السنة هجم البرتغاليين
تحت قيادة سيمون كورتيا وهجم على القلعة المذكوره وذبحوا كل نسمة فيها وقتلوا
اهلها فاسرع سنراط في الانتقام والاخذ بثار رجاحل من القتل لمخالفيه وزحف في
راس ٥٠٠٠ نفس وعاقبهم بمثل ما عاقبوا به مخالفيه ثم ان الدونة كاترينة ماتت
في سنة ١٦١٣ بعد الميلاد وكانت ارتابت من ان موت ابنها الكبير من ويملا دهرما
امر سنراط بسمه كي يخلف ابنه على التخت فسلطت الاحزان في جسمها حتى قضت نحبها
ومن قبل موتها ارسلت الى بوشهور دبرنس اوقا ومن بعد ان اخذت عليها يمينا

ج ٣
تاريخ سيلان
البحر الزاخر
محمود فهمي پاشا

001

يمينا مذكورا جعلتها وصيا على اولادها وفي سنة ١٦١٥ بعد الميلاد عزم
سنراط على طرد البرتغاليين من سيلان فارسل بوشهور الى هولنده لاجل ربط
علاقات المساعدة معهم على اخراجهم فقبل الهولنديون ما عرضه ملك السنهاليز فمن
ثم توجه بوشهور الى الدينمارقة ورجع مع ملكها في معاهدة موافقة الى سنراط و
اقلع بوشهور عن الدينمارقة في راس قوة قليلة من الدينمارقيين فمات بوشهور
في طريقه ورفض سنراط قبول المعاهدة
وكان البرتغاليين في سنة ١٥٩١ بعد الميلاد فتحوا جافنه وكانوا اسمحوا لملكها ان يحكم
جهة جافنه بصفة عبد للبرتغال ويدفع خراجا معلوما سنويا ثم صار اخراجه منها بواسطة
الخدع والحيانات وضمها البرتغاليين الى املاكهم وكان حصول الشروع في تشييد قلعة
جافنه في سنة ١٦٢٤ بعد الميلاد الا انها ما تمت الا في سنة ١٦٣٢ بعد الميلاد وكان
البرتغاليين تمموا الاستحواذ على جافنه في نحو اربعين سنة وقسموها الى كور صغيرة
وشيدوا في كل كورة كنيسة وما زالت اثار هذه المباني موجودة لحد الان وفي ظرف
مدة قليلة من السنين ارتد كافة اهل جافنه عن ديانتهم البراهمانية وتركوا عبادة
الاوثان ودخلوا في الديانة المسيحية وترك الدون يوحنا الذي مات في سنة
١٥٩٧ كافة مملكته لمن يحفظها فصار البرتغاليين هم في هذه الحالة اسيادا للاقاليم
الساحلية وشيدوا قلاع ومعاقل في جهات طرنكومالي وبتيكلوه من اجل حماية الساحل
الشرقي من الجزيرة

وفي سنة ١٦٣٠ بعد الميلاد راى قسطنطين دوسا وكان قايد العساكر البرتغالية بمدة
سبع سنين في سيلان ان سنراط الراجا عازم على هياج حرب فعزم على اجراء الهجوم
عليه ولم كافة العساكر الذين امكنه جمعهم من اوروباويين وسنهاليز وزحف في راس
قوة ضخمة مؤلفة ١٥٠٠ برتغالي و٢٠٠٠٠ نفس من المتطوعين الى داخل الجزيرة
وتغلب على معبر ويلانه وانفتح الطريق الى كندي وما سمح قسطنطين لسنراط في
كونه يشفي من الهجوم الذي وقع عليه واقتحم مع الشجاعة والجسارة نحو العاصمة وحرق
وهدم كل شيء وصلت اليه يد عساكره والتزم ملك السنهاليز وكان مقيما في هذا الوقت
في هنجورانكيتا على الهروب ناجيا بنفسه بنفقرته في غابات واورمانات اوفا
فارتد قسطنطين معقبا له ومن بعد ان سار خلفه جملة ايام لا ثمرة فيها راى انه
لا يمكنه بشره الحصول على فايدة في حق ملك هرب ما عدا من طرف الاهالي وله خبرة
ودراية بالاراضي والبلاد حتى تم التزم قسطنطين على الرجعة فوردت اليه اوامر عامل
جاوه بالسير خلفه حتى ينغلب عليه وكذا اوحته الذين معه من الضباط فرجع ثانيا في
راس قوة مماثلة للقوة الاولى ومن بعد ان احرق قسطنطين عاصمة الاقليم وكان
ذكرها سنراط بن سنراط بجيشه عسكر قسطنطين المذكور عساكره على جبل مرتفع بالقرب من
باذوله لاجل راحتهم بضع ايام من مشاق التعب قبل الشروع في الفتح النهائي للبلاد فا
استراح قسطنطين مدة طويلة في هذا المعسكر وما وطد لنفسه الامن فيه فانه كافة السهول
والمرتفعات المحيطة بمعسكره استترت على حين غفلة باعداء ووردت الفرق تتلو بعضها
بعضها وتعسكر في المواقع المعينة لها وقسطنطين شاهد بعينه هذه الحركة ودخل الليل
وصارت حركة الهجوم غير ممكنة واستعد الجيشان لوقوع المحاربة الفاصلة لحالة سيلان
في وقت الصباح وقضى عساكر سنراط ليلتهم في غناء ورقص وافراح واما قسطنطين
فانه كان يدور على عساكره ويذكرهم بشجاعتهم الاولية وقضوا ليلتهم في واجبات العبادة
والابتهال وقال لهم قسطنطين انكم كنتم تحاربون في الحروب الاولية من اجل اكتساب
الفخر واما الان فيلزمكم المحاربة من اجل نجاة ارواحكم وفي صباح اليوم المشهور ذهب
كافة الموراليارات السنهاليز الخاينين في اسر الى العدو مع كافة رجالهم وعساكرهم ما عدا

١٥٠ نفس هم الذين بقوا على صداقة قسطنطين واما الباقي فانهم توجهوا الى معسكر سنزاط واحاطوا بالبرتقاليين من كل جانب وحارب البرتقاليين مع العنف والشدة وقطع الياس من الحياة فكان سنزاط في سن سبعة عشرة سنة في هذا الوقت يرسل عساكر جديدة في كل ساعة تحل محل المقتولين في الميدان وبهذه الحالة المهولة لبثت الواقعة من دون راحة طول النهار حتى انفصل الجيشان من بعضهما باسبال ظلام الليل عليهما وحتى في اثناء الليل ما حصل للبرتقاليين راحة وشكوا من الامطار والاهوال فانه سقوط الامطار وكثرة السيول زعزعت راحتهم واتعبتهم وجبرت اسلحتهم النارية لا ثمرة منها فالتمس العساكر بما عندهم من المحبة القلبية من قايدهم على كونه ينجو بنفسه في خفر مواهبه ويخرق هذا العدو وينجو الى حيث يسلم بنفسه فرفض قسطنطين هذا الالتماس علما بحسب ما كان عليه من الشرف والهمة وقال لهم ان موته مع اخوانه ورفقاه هو الفخر الاكبر والشرف الاعظم الذي يمكنه بشره الحصول عليه وفي صباح اليوم الثاني كان دمار وهلاك هذه الفيئة وقطع دابر البرتقاليين من ميدان الواقعة وكانت هذه نتيجة عاقبة الحملة البرتقالية ومن هذا الوقت اخذت شوكتهم في سيلان في الضعف والانحلال وما ضيع جيش سنزاط ادنى وقت او لحظة في كده واجتهاده في خضوع كلمبو وهجم عليها المرة بعد المرة و البرتقاليون يصدونه وكانت الهجوم مع الشجاعة ومع هذا فكان في ذلك خسارة وفقد حياة في المحافظين وفي هجوم من انواع الهجوم الجارية تغلبت عساكر سنزاط على القلعة ومن بعد قليل قام اهلها عليهم واخرجوهم منها والتزم على رفع الحصار وعسكر بعساكره على مسافة ثمانية اميال من كلمبو وقطع عنها كل شي يرد اليها من داخل البلاد واخيرا وردت لها الامدادات من جاوه ومن الصين الشرقي ما بعد ان تاخرت هذه الامدادات مدة طويلة في البحر بسبب اختلاف الرياح ومن بعد اجتماع الامداد في كلمبو وقع الهجوم على معسكر سنزاط فانهزم والتزم على عقد الصلح وتقرر فيه انه يدفع خراجا سنويا مقداره زوج من الفيلة للبرتقاليين

وفي سنة ١٦٣٤ بعد الميلاد مات سنزاط

ومن بعد موته خلفه راجاسنها الثاني وتوطن خمسة سنة في كندي ثم ان الحاكم البرتقالي ديغو ميلو كان رجلا طاغيا تحقد على راجاسنها بسبب عدم تقديمه هدية له وغار على اراضيه بقوة مؤلفة من ٧٠٠ برتقالي و ٨٠٠٠ نفس من السنهاليز ولما وصل هذا الحاكم بجيشه ويلونه ارسل له راجاسنها رسولا يسئله هل ديانته علمته ان يغير على مملكة واحد مسالم له ويقول له ان الله يعاقب اشد العقاب كل نفس مجرمة وكل ظالم متعدي فما التفت ميلو لقول المرسول وامر جيشه بالزحف والتقدم ولما صار في وسط طريق الدرب هجم عليه راجاسنها بجيشه وتركه عساكر السنهاليز الذين كانوا معه وتوجهوا الجيش راجاسنها واحيط البرتقاليين وقاومهم من كل جهة وصبوا عليهم مطرا من النبال والحراب والمزاريق وما منع الظلام عساكر راجاسنها من الهجوم والضرب في البرتقاليين فحفظوا انفسهم مع الشجاعة ليلة ويوما واخيرا قتلوا جميعا ما عدا ثلاثة وثلاثون نفسا اخذوا اسرى وكان من ضمن المقتولين دو ميلو ولما راى راجاسنها انه لا طاقة له على دفع البرتقاليين من الجزيرة وطردهم منها وارتاح من مداومة الحرب عليهم لو بقوا في الجزيرة عزم على ارسال مندوب من طرفه الى الفلنك من اجل المداولة مع الفلنكيين في الخروج الى البرتقاليين فقبلوا طلبه مع غاية الاجلال وارسلوا من طرفهم مندوبين مرخصين الى كندي من اجل عقد معاهدة مع ملك السنهاليز فاتفق الفلنكيون على ارسال عساكر من اجل طرد البرتقاليين وان تكون مصاريف هذه الحملة على طرف راجاسنها واتفقوا على انهم يسلمون اليه كافة الجهات الحصينة والقلاع والامتيازات التي عطيت للفلنكيين هي احتكار تجارة الفلفل والقرفة وفي اثنا ما كان المرخصين يتكلمون كان الملك معهم في احترام زايد ما وقع نظيره للبرتقاليين فكان على راسه تاج وفي يده سيف وكافة جسمه مزين بالجواهر والجواهر وسلاسل الذهب وفي سنة ١٦٣٩ بعد الميلاد هجم الاميرال ويسطر وولده

وسطر وولد وكان نزل بعرقة من العساكر والبحرية على بطيكلوه وانشأ بالقرب منها بطريات وقطع عن بطيكلوه مجرة ما كانت معدة لشرب العساكر المحافظين فيها ومنع عنهم كل شي يرد اليهم من خارج المدينة فالتزم البرتقاليين على رفع بيارق التسليم من بعد مقاومة قليلة والتسليم على شرط انهم يخرجوا منها بسلاحهم وعائلاتهم الى ينجاپتنم وبعد ذلك حاصر طرنكومالي وبسبب قلة ما كان فيها من المدافعين واحتياج الذخاير والمون سلمت في بضع ايام فامر راجاسنها بهدم هاتين القلعتين وسوى باسوارهما الارض وما ترك اثرا من الاستحكامات المتقدمة على السواحل الشرقي وفي سنة ١٦٤٠ بعد الميلاد ظهر امام كلمبو على حين غفلة مع اجرها اثنى عشرة سفينة من سفن الفلنكيين وسارت في الحال الى نجمبو ونزل منها ما ينوف عن ٢٠٠٠ نفس وهجموا على قلعة نجمبو واخذوها عنوة ولما قوى القايد الفلنكي استحكامات القلعة بمتاريس من تراب وجعل لها خندق واسع ترك فيها من المحافظين ٨٠٠ نفس وستة مدافع وسار الى جالي ومن بعد ان حاصرها ثمانية عشرة يوما شرم في احد ابراجها شرم وفي ظرف ساعتين تغلب على القلعة بطريق الهجوم عنوة ولما وصل عامل جاوه البرتقالي تغيرت حالة الاعمال نوعا فانه كتب قيادة عسكرية لشاب نشيط برتقالي هجم البرتقاليون على نجمبو وسلمت من بعد الضرب عليها بالمدافع مدة قليلة واما في جالي فكان على غير نجاح تام ولان المحافظ الفلنكي في هذه القلعة افتكر انه من الضروري التوجه الى كندي من اجل بشره الحصول على مساعدة لها وفي سنة ١٦٤٤ بعد الميلاد تغلب الفلنك مرة ثانية على نجمبو وقووا مدافعها بواسطة اربع بسطيونات من التراب ركبوا فيها مدافع في كل ركن من اركان القلعة وما هذه المدة الى سنة ١٦٤٦ بعد الميلاد ما وقع شي مهم جليل الذكر من كلا من الجيشين ومن سنة ١٦٤٦ الى سنة ١٦٥٤ بعد الميلاد عقدت هدنة بين الدولتين

وفي سنة ١٦٥٨ كانت كلمبو محفوظة بواسطة ٨٠٠ نفس من البرتقاليين فحاصرها الفلنكيون برا وبحرا وضيقوا عليها حتى ذاق اهلها اشد الالام من الجوع واشتد القحط حتى اكل الناس اولادهم وصارت الرجال والنساء يضربون قرعة فيما بينهم من اجل ذبح من تقع عليه القرعة لاجل اكله ووصل البرتقاليين الى حالة شديدة من اجل التسليم فطلبوا ان يسمح لهم بالخروج من القلعة مع امتعتهم الى جافنه فسمح لهم به وفي ١٠ مايو سلموا القلعة وتركوها من بعد ان لبثت تحت ايديهم ١٤٠ سنة وما وجد البرتقاليون محلا امينا لسلامتهم في جافنه فان الفلنك زحفوا على اخر معقل حصين لهم وتغلبوا عليه في ٢١ يونيه سنة ١٦٥٨ بعد الميلاد واخذوا كافة ما فيه من المحافظين اسرى حرب وبهذا انتهت حكومة البرتقال في سيلان وانقرض دابرها وما تركوا الا اثار رياستهم ولغتهم فيها وما زال لحد الان يتكلمونه القليل من الناس في المدن الكبيرة في سيلون باللسان الهندي البرتقالي وهذا اللسان الان على شرف الموت في الجزيرة لانه لا يوجد بالاصالة كتب ولا مدارس في الجزيرة يستفادوا منها لتعليم هذا اللسان وما كان واقع من شدة تعصب البرتقاليين في الجزيرة كثرت فيها اتباع الديانة الرومانية الكاثوليكية وما كان لحكام البرتقاليين في سيلان همة ولا مروءة الا في مراعاة غنية انفسهم وثروتهم فمن هذا ما حصل من احد منهم همة ولا سعي ولا ادنى اجتهاد في اصلاح الاحوال اللازمة لرفاهية الاهالي وتقدمهم في العلوم والصنايع وهذا ما انتهى الينا من اخبار تاريخ العصر الثالث في سيلان وهو عصر مدة البرتقاليين ويليه العصر الرابع في مدة الفلنكيين والله الموفق للصواب=

العصر الرابع وجود الفلنكيين في سيلان

وفي سنة ١٦٦٤ بعد الميلاد نكث الفلنكيون عهدهم وميثاقهم وذلك ان راجاسنها الثاني انتظر منهم ان يسلموه كافة الجهات المحصنة حسب نص شروط المعاهدة الذين قد قلبوا عليها واخذوها من البرتغاليين فما وقع منهم ادنى التفات في ذلك ولما خاب راجاسنها في ما كان يأمله وقطع العشم واراد الخلاص من ضيق الاقتصاص ومن مخالفيه استنجد من امر قومه ورعيته من انهم لا يعطوا الفلنكيون ادنى مطلوب من ذخيره او مؤونة وان لا يدفعوا لهم عوايد ولا رسوم واتحد من حكام الاقاليم الموجودة على الاطراف من خراب البلاد المحتلين فيها الفلنك ومع هذا فكان الفلنكيون من جبل على غاية من الاحتراز والمحافظة في امورهم من الوقوع معه في محاربات وشيدوا مواقع ومحطات بواسطتها يمكنهم المحاذرة على انفسهم من بطشه وفي هذا الوقت اتفقوا المملكة بان الاوفق والاوجب للطرفين البقا على مداومة السلم لكن اذا كان الملك مازال مصرا على ما هو عليه من السلوك فيكون المرجع في ذلك للسلاح وقوة الحرب

ثم تولد من جفا سير راجاسنها حصول النفور والغضب لرعيته منه وما كان هذا النفور اقل من نفور الاوروباويين وكان شديد العنف والقوة المهولة وتمزقت الاهالي بكلاليب اوبجا ورمن نار والتزموا على اكل اولادهم واكلت الامهات اولادها وفي سنة ١٦٦٤ بعد الميلاد انفجرت ثورة عندما كان هو مقيما في نيلمبي في الجهة الجنوبية من كندي واطلقت هذه الثورة ابنه ملكا والتزم سنها على الهروب الى الجبال ثم وقع ارتباك وخوف منع الثايرين ورفضوا قبول البرنس اذ ان يكون قايدهم ورئيسهم واجهدت في اكمال هذه الثورة وقتل سنها وجوه الناس الذين كانوا دخلوا في هذه الثورة واشتكر ان وجود ابنه في الدنيا بابا للحض والتحريض على العصاوة فامر بسمه ومات مسموما

ولما كان الغرض الاصلي عند الفلنكيين هو تيسيرهم الحصول على الفوايد التجارية فحفظوا انفسهم على قدر طاقتهم مع الاهالي وصاروا معهم في معاملات حسنة واستحصلوا على رضا راجاسنها بالخداع والتمليق فارسلوا عدة مندوبين من طرفهم الى ديوان سلطنة كندي من اجل عرض صداقتهم ورغبتهم للسلم واستتباب الراحة وقدموا انفسهم لجلالة الملك بصفة انهم رعاياه وخدامه ولما راوا عدم الصداقة منه بنوا قلاع وحصون وجعلوا فيها الخفر والمحافظين حول ارضه وبلاده ومنعوا اتداخل الامم الغريبة والاعداء وكان راجاسنها يهجم من وقت الى اخر على القلاع والمعاقل الموجودة بالقرب من ارضه ولو ما كان يحصل له نجاح الا في النادر وفي مدة سلطنة راجاسنها الثاني حجز رجل انكليزي اسمه روبرت نوكس في صفة اسير مدة عشرون سنة في الاراضي الكندية او كندي وكان ابوه رئيس مركب في خدمة الشركة الهندية الشرقية فرمته الرياح والعواصف في اثنا سفره في جون كوطيار بالقرب من طرنكومالي على الاطراف الشرقي من سيلان فرسى فيه من اجل التجارة حتى يعتدل الريح ولما بلغ راجاسنها وصول المركب ارسل حاكم الساحل بفترة قليلة وطلب من القبودان نزوله على البر وقال له على ان عنده كتاب له من طرف الملك فنزل القبودان في قارب من قواربه مع سبعة من رجاله واثقا بعدم حصول شي مضر له وخرج على البر وجلس تحت شجرة تمرهندي حتى ياتي اليه الحاكم فاحاطوا به على حين غفلة جماعة من العسكر وقبضوا عليه وحملوه على اكتافهم حتى اوصلوه امام الحاكم وكان الغرض الثاني لهذا الحاكم المحافظة على المركب فاستحصل القبودان من الحاكم على رخصة ارسال ابنه الى المركب الان ابنه من بعد ان ارسل رسولا الى البحرية بتوجههم وسفرهم في الحال حالا من اجل ان يكون له نصيبا في الاسر مع ابوه ومن بعد مضي قليل صدر الامر الى نوكس وصحبته بالتوجه الى داخل المملكة وكانت الطريق واقعا في وسط الورمانات حتى انه في ظرف اربعة ايام او خمسة كانوا ينامون تحت الاشجار وكان غذاهم

لحم

لحما قديدا وسمكا مملوحا وتارة لحم صيد وعسل ولما وصل نوكس الى الجهة المسكونة من البلاد كان غذاه الارز المطبوخ واللحم واصناف فواكه مختلفة وفي شهر سبتمبر سنة ١٦٦٠ بعد الميلاد اقام نوكس وابوه في قرية على مسافة نحو ثلاثين ميلا في شمال كندي وكانت الحمى متسلطنة في هذه الجهة فاصيبا الاثنان بمرض الحمى واخيرا مات نوكس الكبير من بعد ان دعى لابنه وامره واوصاه بالاعتنا في اشغاله ودفنه ومع ان نوكس الصغير كان مريضا جدا ايضا فانه اعتنى بتكفين جسم ابيه واعده للدفن وطلب من الاهالي مساعدته في حمله الى القبر فارسلوا له حبلا من الحبال المعدة لربط المواشي كي يربط به اباه ويجره حتى يرميه في الاورمان وقالوا له انه لا يمكنهم مطلقا مساعدته في دفن ابيه حتى يدفع لهم قيمة اجرة شغلهم في دفنه ففي ذلك بتوكس الغضب والحزن بما انه لا يوجد عنده شي يحفر به القبر وكانت الارض عرس وصعبة الحفر واخيرا بذل جهده ودفن اباه وقضى نوكس بضع شهور في اقليم ماطله مع خادم له من النيل ولما شفي من الحمى غير غذاه وكان يتغذى من سمك النهر وفي اثنا ما كان يصطاد سمكا من النهر مر به رجل اختيار عجوز وسأل من الخادم ان كان سيده يعرف القراة ام لا فاجابه الخادم بقوله ان له دراية بالقراة فقال له هذا الاختيار انه عنده كتاب من ايام ما ترك البرتغاليين كلمبو ويحب ان يبيعه لو اراد سيده مشتراه ورغب فيه فارسل نوكس خادمه لهذا الرجل العجوز واعتقد ان الكتاب كتاب برتغالي وربما يكون فيه شيا يسليه على وقته فوجده كتاب التوراة فانشرح صدره ورمى شبكته في الارض وفتح فاول ما وقعت عينيه على آيات ٣٠ و ٣١ من الاصحاح السادس عشر من الاعمال فقراها وقال سيدي ماذا يلزمني ان افعل في خلاصي وقد ذكر في هذه الآيات اعتمد على الرب المسيح وثق به فتخلص انت وبيتك ثم ان نوكس خاف من ان صاحب الكتاب ربما يطلب منه ما لا طاقة له على دفعه في ثمن الكتاب ولو كان في طاقته ان يعطيه كلما كان يملكه لاعطاه اياه فرحا بهذا الكتاب فقال له خادمه تأني وانا اخذه منه بثمن بخس واخيرا استحضره منه بشبكة الصيد ثم كانت الاوامر الصادرة من الملك في حق الاسرى قاضية بمراعاة غذاهم والنظر اليهم في راحتهم فابتدأ الانكليز في كونهم ينظروا للسنهاليين بصفة انهم خدامهم وشرعوا في المشاحنة معهم من اجل غذاهم الاولي واحيانا كانوا يرمون الاواني الموجود فيها الغذا المجلوب لهم في روس السنهاليين حتى يا توهم بالغذا الموافق لهم وكانوا يتحملوا هذا منهم مع الصبر ولما تمزقت هدومهم وتوسخت تكلموا في انهم يجلبوا لهم ملابس عظيمة من اجود ملابس الوطنيين والبعض منهم عزم على ان يجعل نصف خرجه في قيمة الملبوس ويتغذى بالنصف الاخر وفي هذا الوقت كان نوكس تعلم قليلا لسان السنهاليين حتى صار له طاقة على الكلام مع الاهالي ورغب ان يأخذ خرجه ناشفا حتى يتيسر له الحصول على ضعف المقدار الجاري صرفه للاخرين فقال له الاهالي انه لا يليق بان الضابط يطبخ لنفسه بنفسه ومن بعد ان بذل مجهوده معهم حصل على مطلوبه وصار له طاقة على كونه يلبس ملابس مثل الوطنيين ورغب نوكس ان يكون له بيتا جميلا فانتخب محل ظريف في بستان النارجيل المخصوص بالملك وبنا لنفسه فيه مسكنا ظريفا ومن عموم دراسته بقانون السنهاليين بيض حوايط منزله بالجير فاكتسب بذلك اثما كبيرا وجريمة عظيمة لان بياض الجير ممنوع الاستعمال بالكلية الا في سرايات الملك والمعابد فقط لكنه من حيث انه غريبا فما حصل له ضرر من هذا ثم شرع في تربية الخنازير والفراخ فنجح في تربيتها جدا وكان يستخرج من نارجيل بستان الزيوت اللازمة له وبهذه الحالة عاش عدة سنوات ظهرت له فيها آمال الخلاص وكانت كافة الطرق محفورة وكذا كافة المعابر والدروب وكان

بعض الاسرى اجتهد في الهروب فوقع القبض عليهم واعيدوا بالثاني

ومن بعد مضى زمن ترخص لنوكس بالتوجه الى جهة من جهات البلاد بصفة انه رجل بيّاع وفي مدة اسفاره دخل في محادثة مع الاهالي بخصوص المسالك والدروب وجهات الممالك والاقاليم ووضع محطات الخفر فيها فلما لم يرتابوا منه في شيء اخبروه بكل ما سألهم عنه فتدبر في نفسه في امر خلاص نفسه من هذا الاسر وراى ان الطريقة الموافقة لنجاة نفسه هي انه يسير نحو الجهة الشمالية بما انها مسكونة بقليل من السكان وليست مثل غيرها في العمران وفي سنة ١٦٧٩ بعد الميلاد رافق نوكس واحد من الانكليز ومرا الاوثان من وسط اورمانات مشحونة بالفيلة والدباب والنمورة ووصلوا الى انورا دبوره احد بقعة مسكونة في ارض الملك كان بها الخفر موجودا على الدوام فاعتقد الخفر الموجود في هذه الناحية انهما من التجار فسمح لهما بالمرور فكانا يسيران بالليل لمعلوميتهما انه لا يسافر احد بالليل خوفا من الوحوش والحيوانات المفترسة وسارا على شط مجرى مَلْوَتُّلا اويا (اويا = غدير) وتبعوه معتقدين انه يوصلهما الى البحر ومن بعد انه سافرا ثلاثة ايام او اربعة وجدا انفسهما في وسط اورمانات مشحونة بالفيلة وراءيا على انه لا يمكنهما الخلاص من هذا الاورمان الا بالنهار فاوقدا نارا وانتظرا الى الصباح وفي وقت الصباح وجدا انفسهما بالقرب من بعض القرى فصعدا على شجرة كبيرة وقال احدهما انهما زحفا في جحر شجرة كبيرة واختفيا فيه حتى اظلم الليل وسافرا في طريقهما خوفا من هيئة الاشجار والاورمان انهما وقفا في ميدان الافيال محضوض لهما القوة وشجعا في سفرهما بهذه الحالة لما يعلما ان الاهالي لا يمكنهما ان يتجاسر على العبور من امام هذه الحيوانات فاكلا شيئا واضطجعا وناما قليلا وكانا يسمعان طول الليل صراخ الناس الموجودين في خفر الغيطان وفي فجر اليوم الثاني استمرا في سفرهما وكان الغدير مشحونا بالتماسيح وطالما كانا يقابلان عنزه وخنازير جبلية وجاموس وحشي فكل هذه الحيوانات كانت تفزع منهما وتهرب عندما تراهما ومن بعد مضى بضع ايام وصلا مساكن الفلمنكيين وقابلهما الحاكم الفلمنكي بالرافة والحنية وارسلهما الى لوندره في سلامة وعافية

وفي سنة ١٦٨٤ بعد الميلاد مات راجاسنها الثاني وكان ضخما سمينا الا انه كان قوي الجسم والاعصاب اسود اللون زيادة عن اهل بلاده وكانت عيناه في غاية من الحدة وكثرة الحركة وكان كبير الانف جدا وفي كبر سنه ما كان عنده الا بعض شعرات بيض في راسه وذي ذقن طويلة عريضة مثل ذقون القسس وكان يلبس طاقية ملانة بالريش المغروز فيها وكان مثل ملوك الارض يزين نفسه بالجواهر والذهب

ومن بعد موته خلفه ابنه ويملا دهرما الثاني في سنة ١٦٨٤ وتسلطن اثنان وعشرون سنة في كندي وكان راجاسنها اوصى ابنه وهو على فراش موته بانه يكون في سلم واستتباب راحة مع الفلمنكيين وكان ويملا دهرما عظيم السجايا طيب الشمايل والمزايا فارعى نصيحة ابيه حتى تم ما حصل في البلاد تفكير ولا ارتباك في مدة سلطنته واجتهد في عود الديانة البودهيستية الى شماختها الاولية وارسل رسولا الى مملكة سيام في طلب الكثير من القسس الممكن ارسالهم من اجل تقليدهم الوظايف الديانية في سيلان

وفي سنة ١٧٠٦ بعد الميلاد مات ويملا دهرما الثاني وخلفه نارندره سنها وتسلطن ثلاثة وثلاثون سنة في كندي وكان الابن الكبير لويملا دهرما وكان يلقب في الغالب بلقب كوندسالي على اسم بلد بهذا الاسم على مسافة اربعة اميال من كندي ابتنى فيها سراية بديعة الشكل ثم زادت فيه الفظاظة والعفوة وكثرة شرب المسكرات وسب اشراف قومه ولعنهم فقاموا عليه في ثورة وخلعوه وتزوج نارندره سنها برنسيسة من مادوره وفي سنة ١٧٣٩ مات من دون خلف يرثه على تخته وكان اخر ملوك الجنس السنهاليزي

وفي سنة ١٧٣٩ بعد الميلاد صار سري ويجايو راجاسنها ملكا وتسلط ثماني سنوات في كندي وكان صهر نارندره سنها وما وقع في سلطنته حوادث فاجتهد في عود الديانة البودهيستية وارسل في طلب قسيس من مملكة سيام ومات في سنة ١٧٤٧ بعد الميلاد وخلفه صهره كيرتي سري وتسلطن ثلاثة وثلاثون سنة في كندي فبذل كيرتي مجهوده في عود واصلاح الديانة البودهيستية وكان اصلح حالها ونظم مالها فاقام الاجوبات وانشا المعابد والهياكل وارسل الى مملكة سيام في طلب القسس وكان عزمه الثاني طرد الفلمنكيين من الجزيرة ومن ثم غار جملة غارات على الاقاليم الساحلية الا انه ما نجح في غاراته وفي سنة ١٧٦٣ غار الفلمنكيون على داخل المملكة وتغلبوا على كندي واستحوزوا عليها تسعة شهور فانتشرت الامراض في المدينة والتزم الفلمنكيون على تركها وفي معاهدة عقدت بين ملك السنهاليز والفلمنك التزم ملك السنهاليز على تسليم بتلوم وبطيكلوه للفلمنكيين وتنازل عن اداء رسوم السجود التي كانت جارية من طرف سفراهم في ديوان كندي

وفي سنة ١٧٨٠ مات كيرتي سري مع وقعة وقعها من فوق ظهر حصانه شديد القوة كان الفلمنكيون اهدوه له وكان راكبا فوقه في شارع كندي وخلفه اخوه راجادهي راجا سنها وتسلطن ثمانية عشر سنة في كندي وكان شاعرا بارعا صنف كثير من الشعر وغيره في العقليات باللغة السنهاليزية وكانت كل سلطنته سلم ونجاح وفلاح على البلاد والعباد وكان الفلمنكيون بروتستانت (تنقسم الديانة المسيحية الى مذهبين كبيرين هما الروماني كاثوليك والبروتستانت فاما الرومان كاثوليك فانهم يعترفون بان بابا رومه راس كنيستهم واما البروتستانت فانهم سموا بهذا الاسم لانهم احتجوا على رفضهم قبول بعض عقايد وشعاير من كنيسة رومه) فاجتهدوا في نشر عقايد ديانتهم في اقليم سيلان وجهتها التي صارت في قبضتهم فاستعملوا الوسايط اللازمة المؤدية لهذا المطلب وفتحوا المدارس في القرى وارغموا الاهالي بارسال اولادهم اليها ومن لم يرسل ابنه فله جزا معلوم وغرامة محدوده وصارت المعرفة وعقد عقد الزواج في كل المدارس والمكاتب ولاجل ان يجعلوا لها اهمية عظيمة عهدوا الى معلمين المدارس بقيد كافة ما يحصل من الحوادث وتسجيلها وصدر منشور رسمي من الحكومة الفلمنكية في سيلان بانه لا يدخل في مصلحة واحد من السنهاليز او يؤجر ارضا من ارض الحكومة ما لم يجر شعاير المعمودية ويكون واحدا من اهل الكنيسة البروتستانتية فبنا عليه ارتد الكثير من وجوه اراضي اهل عن العقايد البرتغالية وكانوا دخلوا فيها في عهد جديد ودخلوا في العقايد البروتستانتية ورفضوا عقايد رومه من اجل تيسرهم الحصول على ما يرغبونه من الوظايف حتى براهماتيين جاهلين دخلوا في الديانة المسيحية وفي ظرف مدة قليلة دخل اسما في الديانة المسيحية مئات الوف من الناس الا ان معظمهم ما زال كان في السر على ديانة بودهيستا او هندو وكان هذا من الخطا عند الفلمنكيين في كونهم سعوا في هذه الطريقة للسنهاليز والاقبح منه ان الاهالي اشتغلوا معهم شغل النفاق وكان هذا اساسا لانفراد ديانة عن اجل خاطر منافع دنيوية وارتاب الفلمنك من ان قسيس الرومان كاثوليك وسايس وجواسيس سرية بخصوص ديانتهم فاصدروا قوانين شديدة في حق القسس الكاثوليك فطردوهم اخرجوهم من ارضهم في الجزيرة واخيرا ظهرت للفلمنك اعمال القسس الكاثوليك من ارضهم فقط بل ومحقوا الديانة الرومانية الكاثوليكية من سيلان وذلك بانهم حزبوا عوايد ثقيلة على عقد الزيجة الكاثوليكية ثم امروا بان يكون العقد بواسطة ائمة من كنيسة البروتستانت او ان يكون بواسطة حكام من المحكمة العدلية فلما راى الفلمنك ان كل هذه الاوامر والاجراءات لا تاثير فيها منعوا القسس الكاثوليك من كل وظيفة والغوا دفاتر وظايفهم الكنايسيه وحزبوا رسوم ثقيلة على مدافنهم ومنعوا الكل كاثوليكيا او هندو من الدخول في الوظايف ومنحوا الحرية على اولاد عموم الرقيق الدين ولدوا في

حالة دخول اهلهم فى الديانة البروتستنتية واما الكاثوليك فكانوا صابرين الرق
عليهم دوامًا وكانت هذه الاعمال لها تاثير بالطبع كثيرا او قليلا فى اخراج الرومان
الكاثوليك وقسسهم من اراضيهم الا فاليم الت حلية وكانت ارض راجا سنها مأوى لهم
وحفظا لسلامتهم وكان مملؤا بالغضب والحنق من بغاة الفلنكيين مستحوذين على القلاع
الموجودة على الشاطئ حتى قد روى ان ٧٠٠ عائلة من الرومان الكاثوليك اقاموا فى رواتر
يلاً فى زيول جبال وتلول كندى والى هذا اليوم يوجد فى قرية وهاكوتا بين
جبال ماطلة رومان كاثوليك من نسل الرومان الكاثوليك الذين كانوا هربوا من جور

حكاية القسيس يوسف واظ

الفلنكيين وظلمهم ومع ما كان عليه الفلنك من الظلم والجور فى حق الكاثوليك كان قسس
الكاثوليك حصل منهم الهمة والمروة فى اسعاف تابعيهم فكان من ضمن الذين حازوا
الشهرة فى هذه الاسعافات من قسس الكاثوليك قسيس اسمه يوسف واظ فانه كان
سافر من جاوه ومن بعد ان لاقى اشد الاهوال فى البحر من الزوابع والرياح وصل الى
مدينة جافنه فقيرا مسكينا ضنكا لا مساعد له ولا رفيق فشفقت عليه امراة من اهل جافنه
لما رأت ما هو عليه من حالة الضنك وسمحت له بالرقاد وجهة بيتها الفقير الا ان ما
اصابه من الالام وتحمل عناء الاسفار تولد له حمة دوسنتارية او اسهال شديد فعاب
الجيران مضيفته ووبخوها فى كونها تركت هذا الرجل الغريب مرمى بالقرب من منزلها ومن
حيث انه لا طاقة له على المشى حملوه ورموه فى محل بعيد عن البيوت حتى فيه عرضة لكافة
حوادث الجو الذى لا رحمة عنده ولا شفقة اعلى اى نسمة واحتكر واظ انه صار على شرف
الخ حياته فسلم امره وروحه الى الله الا انه ما مات فى هذا الوقت فصادف مرور
امراة من جانبه فرأته راقدا على الارض يلفح بالشمس فى مدة النهار والبرد فى اثنا الليل
فاشفقت له بأكلة ارز اسخنت بها روحه ثم بعدها عرفه الرومان الكاثوليك انه قسيس فا
عتنوا فى امره واخفوه وتحفظوا عليه من رؤيت الفلنكيين ثم اكتشف الفلنك على وجوده
فهرب الى يوتلام فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار فاشتغل فيها بضع شهور ثم عزم على التوجه
الى كندى فتوجه اليها وكان جذبها الكثير من الذين دخلوا فى الديانة الكاثوليكية فلما دخلها
وقع القبض عليه وارتاب ملك السنهاليز منه ليكون فى صفة جاسوس واودعه السجن ومن
بعد مضى سنتان اطلق الى سراحه وحريته فظهر دآ الجدرى فى سيلان وكانت عملية التطعيم
غير معروفة عند اهلها وتولد عنه دمار وخراب مهول وترك الناس كل من اصابه هذا

دآ الجدرى

الدآ وحذوا من المصابين فكان الاب يفر من اولاده وصاحبته وتفر الزوجة من زوجها
واولادها ويتركوهم يهلكوا بالجوع وازداد عدد الاموات حتى تركوا بغير دفن واما
الذين كانوا مصابين بداعى الفقر اتهقوا فكانوا ايرموا على قيد الحياة بامر الحكومة فى الاورمانات
ولما وصل هذا المرض الى كندى تركها الملك لما راى فيها من كثرة العفونة وقذارة الرايحة
من كثرة الاموات المرمية فى الشوارع فكان واظ ياخذ المؤنة والاكل ويتوجه الى المرضى
المرميين فى الاورمانات ويعمل لهم قابئ من الاغصان والمظلات ويعطيهم الاكل ويخدمهم
فى حلب كل ما يحتاجون اليه فجعلته هذه الافعال المتولدة من الشفقة والحنية معززا
معتبرا عند الناس وحمد الكثير منهم ومات واظ فى كندى فى سنة ١٧١١ بعد الميلاد
وكان الفلنكيون لا عتنا عندهم ولا التفات لهم فى ما يلزم من الاصلاحات العائدة على
الاهالى بالنفع والفائدة لان المقصد الاكبر كان عندهم غنيمة انفسهم فقط وكان التقاعد
فى السنى ارو فى من حكم منهم تحت الفرقة خاصة واستقلوا كل واسطة وكل طريقة فى زيادة
تقدم ودراعتها فكان لا يسمح لكل مزارع او مالك ارض قطع نبات من اشجار القرفة التى
تكون فى ارضه وما كان يتجاسر على قطع فرع من فروع شجرة يستعمله لنفسه وكانت كافة
نباتات القرفة مرعية انها جمعة للحكومة الفلنكية وكانت الحكومة الفلنكية تعين ملاحظ
مخصوص من اجل جمعها وارسالها لمخازن الحكومة من دون مخابرة اى واحد من ارباب
املاك الغيطان الموجود فيها القرفة فتولد من هذا حنك حالة السنهاليز وكثر الرق

الرق وازدادت معاملات القسوة والفظاعة واظهر بعض حكام من الفلنكيين مراعاة
العدل والاوصاف زيادة عن اخرين فاما ادارة او حكومة الحاكم رونف كانت مشهورة
بالاوصاف نيّة وعلو الهمة والمقدرة الا ان رئاسة اصله منعته من اجرآء الحكومة على سياق واحد
فى مدة وجوده وقام عليه طائفة الرقيق فى كلمبو وقتلوه ومن الذين تولوا الحكم
من بعده واحد اسمه ويشط اجتهد فى ان يجعل نفسه ملكا مستقلا وقتل كل انسان كان
يمكنه معارضة اوامره واخيرا وقع القبض عليه وسجن وارسل الى بطاوية وقطعت رقبته
فيها وما اعتبر خليفته الذى جا من بعده وهو ويرشلوبش فانه رفع اثمان
الارز الى درجة عالية حتى تولد من ذلك قحط شديد فى كلمبو فى مرضاة اربابه و
اختلاساته وفى سنة ١٧٣٦ بعد الميلاد واصل وان اقهوف وكان حضوره اول
بشاير السعادة فى فلوح الفلنكيين القاطنين فى سيلان فانه هو الذى استحوذ على الارض
الى سهوة الواقعة على اب صل من كلمبو الى الجهة القبلية وغرسها باشجار النارجيل
ومن سوء الحظ كانت مدة حكومته قليلة وفى سنة ١٧٦١ تولد من الظلم والجور الواقع
من الفلنكيين قيام السنهاليز فى ثورة فخربوا غيطان القرفة وقتلوا الكثير من السكان
ولما جا فالك فى سنة ١٧٦٥ بعد الميلاد دبر الحكومة بحزم راى وهمة عالية واشتغل اشغال
عظيمة عاد منها النفع الكبير وفى مدة ادارته الطويلة ادخل زراعة الفلفل والبن وحب
الهال وتقدمت الزراعة فى مدته وزادت زراعة القرفة الى درجة ما حتى استغنى
الفلنكيين عن طلبها من اهل كندى

بريطانية الكبرى

وكانت بريطانيا الكبرى المشتملة على انكلتره واسكوتلنده هى اكبر جزيرة فى اوروبا وكان
الانكليز من عهد مضى اربعماية سنة يشتغلون فى التجارة مع الذى فالجاهم نجاح وفوز
البرتغاليين على الرغبة فى ان يكون لهم نصيب فى التجارة الهندية فارسلوا اربعة من التجار
من اجل كشف جهة الشرق فقتل واحد منهم اسمه رالف فيتش فى كلمبو فى سنة ١٥٨٩
بعد الميلاد ويحتمل انه كان اول واحد من قومه شاهد هذه الجزيرة ومن بعد مضى سنتان
سافرت المراكب الاولية التى عمرها ما خرجت من انكلتره الى الهند فوصلت واحدة منها
فى سنة ١٥٩٢ الى جالى وكانت اول مركب انكليزية وصلت الى الجزيرة ثم ان الانكليز
لما استحوذوا على املاك واسعة فى البلاد الهندية على التدريج وكان اول معاملتهم مع
ملك السنهاليز فى سنة ١٦٦٤ بعد الميلاد وهو شروعهم فى مشروع خابوا فيه فى سعيهم
الحصول على خلاص بعض من البحرية كانت غرقت مركبهم على ساحل سيلان واخذهم راجا
سنها الثانى اسرى فى كندى وكان اول مقصد لهم هو فى سعيهم الحصول على وضع رجلهم
فى سيلان ظهر فى سنة ١٧٦٣ بعد الميلاد وقت ما ارسل حاكم مدراس المستر بيبوش
من اجل عقد معاهدة مع كيرتى سرى فكان الملك على رغبة الا انه من تزحزح الحكومة

حكومة مدراس

الانكليزية ووقع الاختلافات فيها ما حصل عقد معاهدة ابدا واستمرت الاحوال الى ما كانت
عليه الى حد سنة ١٧٨٢ بعد الميلاد فهاج فى هذه المدة الحرب بين انكلتره وهولنده
فارسل حاكم مدراس اسطول تحت قيادة الاميرال هيوز وفرقة من العساكر البرية تحت
قيادة الجنرال مونرو من اجل التغلب على المستعمرات الفلنكية الموجودة فى سيلان فتغلبوا
على ترنكومالى فى صباح اليوم الثانى من وصول العساكر وسافر المستر بويد فى مأمورية
الى راجادى سنها وكان هو الملك المتسلطن فى داخل الجزيرة ووصف بويد كندى عند
رؤيته لها بانها احقر محل واوهن مدينة فان مبانيها عبارة عن اخصاص وعشش مصنوعة
من الطين وان سراية الملك محل مظلم لا يكاد يمكن احد ينظر اوايش هو الملك من كثرة ظلامها
وذكر فى وصف الملك رجل ضخم اسود الصورة وانه الماشى والحجاب امامه فى زحام
وكانت المأمورية على غير طائل ولما عقد الصلح فى سنة ١٧٨٣ بين انكلتره وهولنده
اعيدت ترنكومالى الى الفلنكيين كما كانت

وفي سنة ١٧٩٥ بعد الميلاد لما انتشب الحرب بين الانكليز والهولنديين ارسل هوبارت
حاكم مدراس الجنرال سطوارط من اجل التغلب على املاك الفلمنك في سيلان فتغلب
على طرنكومالي من بعد حصار لبث ثلاث اسابيع ثم زحفت القوى البريطانية على جافنه
من بعد تغلبها على طرنكومالي فتملكت جافنه من اول طلب وفي سنة ١٧٩٦ بعد
الميلاد ظهر الجنرال سطوارط امام نجنبو وتسلمها من دون طعنة مثل جافنه وكان
المنتظر انه يحصل مقاومة شديدة وحصار شديد من اجل الاستحواذ على كلمبو الا ان
العساكر عبرت نهر كلانية من دون مقاومة وعسكروا بالقرب من المدينة فاجتهد
الزحام الموجود فيها من السكان على المدافعة عنها وخرجت جماعة من الملاي تحت قيادة رجل
فرنساوي من اجل الهجوم على معسكر الانكليز فانهزموا وتقهقروا ومات رئيسهم والكثير
منهم في هذه الواقعة وفي ١٦ فبراير من هذه السنة سلمت المدينة للانكليز ومن بعد
قليل سلمت جالي ومن ثم فقد الفلمنكيون الاقاليم الساحلية من سيلان من بعد ان استمرت
تحت ايديهم ١٣٨ سنة كاملة فاما البرتغاليون في سيلان فكانوا عساكر حقيقية
واما الفلمنكيون فكانوا تجارا وداوم الفلمنكيون من اجل زيادة مكاسبهم على تقدم زراعة
القرفة وغيرها من الاصناف وما وقع منهم ادنى التفات في رفاهية الرعية مثل البرتغاليين
فانهم كانوا اهل غيرة في انتشار ديانتهم ولو ان الوسايط التي كانت جارية في ذلك
من اقبح الوسايط وارذلها =

العصر الخامس وجود الانكليز في سيلان
لحد الوقت الحالي وسقوط ملوك السنهاليز

ثم انه من بعد ان تيسر للانكليز تمام الاستحواذ على كافة سواحل سيلان في سنة ١٧٩٦
بعد الميلاد فتحوا المخابرة مرة ثانية مع ديوان كندي وارسل ملك كندي مبعوثا من طرفه
الى مدراس ومع ما فيه فان راجادي سنها ما قبل التوقيع على المعاهدة التي صار استحصالها
ووقع الاتفاق عليها في مدراس ولو كان فيها منافع وفوايد للكنديين ما تحصلوا بمثلها
من عهد مضى قرنان واستمرت حكومة سيلان الانكليزية تابعة لحكومة مدراس مدة من
الزمن وتعين المستر اندريو رجل ملكي من حكومة مدراس من اجل مباشرة الايراد
فضرب العوايد والرسوم والقررة على الاهالي مثل الموجود في جنوب الهند وجمعها
من السواحل بواسطة رجال من التمل فتولد من ذلك ثورة وقعت في سنة ١٧٩٧ بعد
الميلاد فارسل حاكم مدراس مندوب مخصوص من طرف حكومته للفحص في اسباب قيام
هذه الثورة وفي سنة ١٧٩٨ صارت سيلون مستعمرة انكليزية تابعة للتاج اي لنفس
الملك وتعين فريدريك نورث ارل غيلفورد اول حاكم على سيلان وصارت
الحالة في جمع الايرادات كما كانت عليه في الاول

وفي سنة ١٧٩٨ بعد الميلاد مات راجادي سنها من بعد مضي سنتان من نزول الانكليز — موت راجادي سنها
في سيلان وولو انه كان له جملة من الزوجات الا انه ما خلف من واحدة منهن ولد يخلفه
على تخته من بعد موته فصار الانتخاب في الخليفة من بعده على اول الحكام او الاديكار
وهو بيلامي طلوي رجل طامع خبيث ذي دسايس ومكر وحيل فطلب كنيسامي ابن
اخت واحدة من ازواج الملك السابق الى التخت وكان شاب عمره ثمانية عشر سنة
وكان لا دراية له بشي من التعليم سوى انه كان جميل الصورة ومن بعد ان تقرر امره
كما المعتاد بمعرفة الحكام والامة جلس على التخت وتلقب سري ويكرمه راجاسنها فجعل — سلطنة سري ويكرمه راجاسنها
بيلامي طلوي في الحال هذا الملك آلة بيده لمطامعه واغراضه الخبيثة واما الاديكار
الثاني وكان احد الحكام المشهورين وكان عارض في انتخاب هذا الوزير فانه طرد من
وظيفته ومات مقتولا وامر بشنق كرثبه وكان خادم صادق للوزير وامر بحبس الملكة
الكبيرة زوجة راجادي مع الكثير من اهلها واقاربها وهرب موتاسامي اخو الملكة الى

الى كلمبو عند الانكليز مستحقا للتخت وقيل انه هرب عند الانكليز واحتمى في جافنه
وفي سنة ١٧٩٩ بعد الميلاد تقابل الحاكم نورث مرتان مع بيلامي طلوي حيث وعد
طلوي له اذا كان الانكليز يساعدوه فانه يقتل ملكه ويحكم البلاد تحت ادارتهم فيكون
انفع لهم وله ثم قال هذا الوزير اي الاديكار انه من مدة صغره وهو على كراهة
شديدة لجنس التمل بما انهم ايضا سببا في الجور والظلم الواقع في بلاده حتى انه التزم على
تنصيب كنيسامي على التخت جاهل لا دراية له بشي شاب طايش العقل مكروها
مبغوضا عند الناس والامة وحرصه في تغيير هيئة الحكومة حتى تكون تحت ادارة واحد
من وطني الكنديين فقرر الحاكم نورث معه شروطا بانه من اللازم المحافظة على
حياة الملك واتفق ان بيلامي طلوي يكون نايبا عن الملك وانه يكون معه قوة انكليزية
تصرف لها مصاريفها من طرف الحكومة الكندية وارسل الى كندي وبا من طرفه قايد القيادة
العسكرية في الجزيرة في سنة ١٨٠١ بعد الميلاد لاجل تنفيذ ما تقرر في الشروط وقوة
من العسكر محافظة عليه وعلى مقتضى هذا الاتفاق القبيح سافر الجنرال مكدوال من
كلمبو مع فرقة كبيرة من العساكر الا انه ما حصل من الخوف عند الحكام ما سمح في عبور
الحدود الا للقليل من هذه القوة ومن بعد مدة طويلة عاد الجنرال مكدوال من دون
تمام شي على حسب المرغوب ومن ثم دبر بيلامي طلوي هياج حرب مع الانكليز مؤملا
انه في مدة جريان هذا الحرب ينقطع دابر الملك وتفقد حياته ومن بعد ان يحصل الانكليز
واسطة لنوال مرغوبه وتأييد شوكته عزم على طردهم وخروجهم من البلاد واتفق
في هذا الاثنى ان بعضا من المسلمين كانوا عايدين من كندي الى بوتلام ومعهم
صنف جوزة الطيب فنهبوهم حكام الملك واخذوا تجارتهم وضبطوا مواشيهم فطلبت
الحكومة الانكليزية من حكومة كندي بانه لابد من عود ما سلب من هولاي المسلمين
فما حصل القبول من حكومة كندي في طلب الحكومة الانكليزية ومن ثم عزم الحاكم نورث
على تيسيره الحصول على هذا بالقوة وفي فبراير سنة ١٨٠٣ بعد الميلاد سافر الجنرال
مكدوال من كلمبو الى كندي في قوة كبيرة من العساكر وسافرت فرقة اخرى من الجيش
من طرنكومالي تحت قيادة امير الالاي باربوط ووصل الفرقتان الى كندي في وقت
واحد من بعد سير عنيف قوي وكان الناس قد تركوا المدينة واخلوا منها قبل
وصول العساكر بيوم واحد واضرموا النار في عدة محلات كبيرة وصارت المدينة خالية
بالكلية من السكان ولا يرى فيها جنس احد الا البعض من الكلاب وهدمت السراية
بواسطة النيران ونقلوا كافة الخزاين والاشيا الثمينة واما ما تحصل الانكليز الا
اصناف قليلة ومدافع كانت عند الملك وكان الملك ووزيره بيلامي طلوي انتقلا الى
هنجورانكيطا على مسافة ١٦ ميل من جنوب كندي فارسل الوزير الى الانكليز يقول
لهم لو ارسلوا فرقة من العساكر الى هنجورانكيطا فانه يسلم الملك ليد الانكليز الا ان
مقصده الحقيقي لدمار العساكر وهلاكهم فاجاب الانكليز قول بيلامي طلوي وارسلوا
فرقة مؤلفة من ٨٠٠ نفس تحت قيادة امير الالاي بيلي وانقسمت هذه الفرقة
الى فرقتين سافرا من طريقين مختلفين عينهما الوزير بيلامي طلوي فمن شدة وعورة
طبيعة جبال المملكة صار سير العساكر صعبا جدا وحصل للعساكر الخوف وشدة الرعب
من الكنديين بسبب ما كان عندهم من المدافع الصغيرة وكانت النيران تتساقط عليهم
من كل جبل او تل او اورمان بكثرة واخيرا اجتمع الفرقتان مع بعضهما من بعد المشقة
امام هنجورانكيطا وتغلبوا عليها من بعد مقاومة خفيفة وكان الملك هرب وقت
حضورهم فتحقق امير الالاي بيلي من خديعة بيلامي طلوي الوزير وخيانته وحرق
السراية وعاد في الحال الى كندي واعلن الانكليز موتاسامي ملكا في كندي وعقدوا
معه معاهدة ومن بعد قليل سافر الجنرال مكدوال من كندي ومعه معظم عساكره

وترك امير الالاي بزبوط محافظا في كندي وتحت قيادة ١٠٠٠ من العساكر
ثم انه بيلامي طلوي سعى سعيا اخر في استحواذه على نفس الحاكم نورث فعرض من
اجل هذا الخصوص انه من اللزوم مقابلته من اجل رؤيته ما يلزم في عقد صلح في
دمقبا دينيا من السبع كور فوافق الحاكم على اغراضه وتوجه مصحوبا بفرقة قوية من
العسكر من اجل خفارته وقابله امير الالاي بزبوط من نواحي كندي ومعه ٣٠٠ نفس
من الملاوي على عنبرو عمد فخاف الوزير بيلامي طلوي من اجرا مقصد غدر بعثه في مواجهة
فرقة كبيرة من العساكر تجمعت امامه ومن بعد مداولة في تأبيد المعاهدة الاولى
لا ثمرة فيها توجه كل منهما في سبيله وفي اثنا هذه المدة قل عدد محافظي كندي
ما حل بهم من المرض والقتل ودخل كافة العساكر الاوروباوية تقريبا في محلات
الشفا او الاسبتاليات ومن زيادة انتفاخ الانهار وعلو مياهها صارت المراكب
والقوارب تخف كل جهة وبواسطة نزول الامطار الشديدة صارت الموصلات الى كلمبو
صعبة السلوك جدا وابتدا الكنديون في التقرب جدا من العاصمة وحصنوا انفسهم
في مواقع قوية وبذلوا مجهوداتهم في اخراج الملاوي من تحت حكومة الانكليز ووعدوهم
بالاراضي والنقود وفي ٢٤ يونية سنة ١٨٠٣ بعد الميلاد وقع الهجوم على القوة
الانكليزية الموجودة تحت قيادة الماجور داوي من الكنديين وكان الكنديون
في عدد كبير وحضر الملك وحواشيه وقعد فوق جبل في الضاحية ومن بعد محاربة
امتدت سبع ساعات رفع الضعفا المحافظين بيرق الهدنة وانعقد في الحال مجلس
تقرر فيه اخراج كافة العساكر الانكليزية من كندي مع سلاحهم وان الوزير بيلامي
طلوي يحافظ على المرضى والمجروحين ويعطيهم غذاهم والادوية اللازمة لهم حتى
يصير نقلهم الى طرنكومالي او الى كلمبو وكتبت هذه الشروط على ورق الشجر ووقع
عليها الماجور داوي والوزير بيلامي طلوي وسلم الوزير ايضا الى الماجور داوي
ورقة مرور باسم الملك كي بواسطتها يمكنه السفر من دون حصول ادنى ارتباك يحل
في الطريق وفي هذا اليوم كان عدد العساكر الذين لهم طاقة على الحركة عبارة عن
٣٤ عسكري من الاوروباويين و ٢٥٠ من عسكر الملاوي و ١٤٠ نفس بالبنادق
وخرجوا من كندي مع موتاسامي واتباعه وتوجهوا الى وطا بولوه على شواطي
مهويل جنجا وفي هذا الوقت كان النهر في غاية زيادته وغزارة مياهه من كثرة نزول
الامطار فما كان لهولاء العساكر من طاقة في عبوره من دون ما عدة فاستنقذ
الملك من هذه الحالة وارسل بعض الروسا الى الماجور داوي وطلب منه تسليم موتا
سامي وحيث من اتباعه اقاربه فكان القايد الانكليزي في مثل هذه الحالة جبانا
ومن بعد ان تردد في نفسه مدة قليلة سلم لهم موتاسامي وحمل الى حضرة الملك في
اوده ويلا من ضواحي كندي فطلب الملك من اهيليو بوله ان يسأل موتاسامي
هل يوافق له سيما وانه من العائلة الملوكية ان يتحد مع الانكليز وينضم اليهم فما
وقع من المسكين موتاسامي جواب يدافع به عن نفسه وصار بهذا تحت عفو الملك ورحمته
ومن بعد مضي قليل خوزق اي صلب وطلب الملك في الحال الوزير وامره بالتوجه
وراء الانكليز وقتلهم جميعا فما [illegible] من الوزير في هذا الامر انه لا يجب عمليا وليس من
الموافق باي حالة قتل من دخل في طاعتنا وسلم اموره لنا فاجابه الملك مع شدة
الغضب كيف هذا هل انت مساعد للانكليز ايضا فخرج الوزير من قدام الملك
واستغرب وقال من حيث انه يجبرنا على هذه الافعال فكيف نصنع وما الحيلة في هذا
ثم اجتهد وبذل ما في طاقته في مشورته ونصيحته من اجل تنازله عن امره فما زاده
الا غضبا ونفورا ومن ثم توجه بعض روسا الكنديين الى الماجور داوي واجبروه
بالعود الى كندي من اجل عقد مجلس مع بيلامي طلوي الوزير ومن سوء البخت رضي الماجور
داوي

داوي وسار بجنوده الى كندي ثم انه واحد ملاوي موهندرام موظف في خدامة الكنديين
حرض عسكر الملاوي على ترك الاوروباويين وقال الكنديون لعسكر الاوروباوية
ان ضباطهم توجهوا الى كانوجاشطوطه لاجل العبور من تلك الجهة وانهم يلزم ان يرموا
سلاحهم ويتوجهوا من تلك الناحية ولما كان لا طاقة لهم على المقاومة فعلوا كما
امرهم الكنديون وساروا نحو كندي فاخذوهم اثنان اثنان في مواجهة بعضهم
ورموهم في احد واصغير وما نجى منهم الا واحد يخبر بخبر الواقعة وفي نفس هذا
الوقت كان موجودا في الاسبتالية ما ينوف عن ١٢٠ نفس من المرضى والمجروحين
فدخل فيها الكنديون وقتلوهم وعدوا بالسيف قطع على هولاء الموجودين في صفة الموتى
ورموا العيانين والذين على شرف الموت والموتى في نقرة عميقة كانوا اعدوها
لهم وردموا عليهم بالاتربة وما سلم من كافة القوى الانكليزية التي كانت في كندي
الا اثنان من الضباط خلاف الماجور داوي وهولاء وضعوا حياتهم في سجن الاسر
وكان قايد عسكر الملاوي شخص اسمه نور الدين فطلب منه الكنديون ان يدخل في خدامة
الملك فرفض القبول مع الشرف وقال انه حلف يمينا فيما سبق عن كونه لا يتخلى ولا
ينكث طاعته لملك انكلترة وانه ليس من الشرف ولا المروة نكث يمينه فاودعوه السجن
مع اخيه ومن بعد مضي شهر اعادوا عليه السؤال وطلب منه اما الموت واما طاعة
ملك السنهاليز فرفض قبوله الدخول في خدمة الكنديين فصدر امر الملك بقطع رأسه مع اخوه
وصدر امر الملك بعدم دفن اجسامهما وربطوا في ارجلهما حبال ورموهما في الادغال
للحيوانات الوحشية ثم ان ملك السنهاليز تباهى وتفاخر بنصرته في كندي وشجع حكام
الوطنيين وكانوا ذكروه ورغبوا مع رجالهم الدخول في طاعة سيدهم القديم وعزم
على الغارة على ارض الانكليز وكان حتم ما طره مشغولا بكثير من الكنديين ولما جبروا
الاهالي على الانضمام معهم قاموا في ثورة كبيرة ولما رجع القايد بقوة قليلة
الى طلبه ضبط في الحال الكنديون هذه الجهة ونهبوها ولما صدر الامر للماجور
بيقرة بكونه يتقلد القيادة في ما طره التزم على التوجه من طريق البحر من جهة جالي
لان الطريق كانت محصورة بالكنديين وفي كثرة عدادهم ارغموا الكنديين على الهجرة
في داخل اراضيهم وعاد الامن في الاقليم كما كان ثم ان ملك كندي عزم في راس قوة
ضخمة على الغارة على هنجويلا وكان المحافظون الموجودون بها لا يزيدوا عن مائة
نفس وكان الكنديون تحت رياسة الملك نفسه فتقدموا بجسارة خارقة للعادة واطلقوا
من المحصورين نارا شديدة دفعة واحدة فكانت جميعها في السور الموجود خلف عسكر
المحافظين وما اصابهم منها ضرر ورغب اليوزباشي بولوك بقرب العدو منه على
قدر امكانه فما حصل منه اجراء في صد تقدمه وارسل جماعة تحت قيادة الملازم [illegible]
من طريق غير مكشوفة لاجل الهجوم على العدو من الجنب ويهجم هو على العدو المذكور من امام
جانبهم من محافظيه فاستمرت الواقعة ساعتان في اثناها مرة قلة مدفع بري من
جانب وجه الملك فرجع القهقرى مع السرعة وتبعه كافة جيشه ووقع في ايدي المنصورين
بيرق كندي وكثير من البيارق الانكليزية والاسرى ولما لم يلتحق بالملك الهاربة في هروبه
الحاكم لوكه [illegible] والمهاجر والبار فامر في حالة غضبه منها بقطع رؤوسها وما حدث قطاعته
وبعد ذلك قتل الكثير من حكامه وضباطه بسبب انهم تركوه في حال هروبه وهدم اليوزباشي
بولوك منزل مزخرف ومكلف كان مبني على مسافة قريبة من هنجويلا من اجل اقامة
الملك وكان منصوب في وجهه مشنقتان من اجل صلب الانكليز الذين ياخذهم اسرى
في حربه معهم وانهزم الكنديون ايضا بالقرب من رووانويلا وهربوا في داخل الجزيرة
وفي سبتمبر سنة ١٨٠٤ بعد الميلاد صدر امر لليوزباشي يوحنا شطون بالسير من بطيكلوه
مع ٣٠٠ نفس من العساكر لمقابلة فرقة اخرى من العساكر الانكليزية ومن بعد اجتماعهم
يفتحوا سيرهم في داخل الاراضي الكندية ثم بعد ذلك صرف النظر عن هذا المشروع الا ان

الامر الذي صدر الى يوحنا سطون ماكان صدر عنه شيء في توقيفه حتى ثم سار في حركته
نحو العاصمة فوجدها قاعا صفصفا وتركها اهلها ووجد يوحنا سطون نفسه في حالة
خطرة وموضع حذر وما امكنه يشرع الحصول على اخبار الفرقة التي صدر له الامر بالانضمام
معها وبلغه ان الكندريين لبسوا ملابس المخطين الذين كانوا قتلوهم وهم في قوة كبيرة
في ضواحي العاصمة منتظرين حتى ان الطرش يضعف قوة العساكر ويجعلهم صيدة لهم
حتى ثم ترك يوحنا سطون كندى وصار يحارب في طريقه في وسط الاورمانات مسافة
١٣٠ ميل الى طرنكومالى حتى وصلها بالسلامة
وفي مدة حكومة الحاكم نورث صار الغا القانون الشديد الذي كان صدر في حق الرهبان
الكاتوليك في سنة ١٨٠٤ بعد الميلاد ولما صدر انتخاب الناس للوظايف من اي دين كان
فرحي الكثير من الاهالي بانهم مسيحيين وترتبت جمعية معارف في كلمبو وفتحت المدارس
والمكاتب في جهات اخرى من الجزيرة وفي سنة ١٨٠٥ بعد الميلاد تعين في حكومة
سيلان الجنرال ميطلند بدل الحاكم نورث

حكومة الجنرال ميطلند

وكان يوجد في مدة حكومة الجنرال ميطلند صلح وسلم بين الانكليز وملك الكندريين الا ان
الارتباكات والقلاقل كانت متسلطة في داخل الجزيرة وفي نحو سنة ١٨٠٦ مات حاكم
السبع كورل فانقسم محل وظيفته بين اهيلبوله ومولگجوده فحصل نفور شديد عند
الاهالي وقالوا ان هذا التقسيم مخالف للعوايد الاصلية فانه يصعب طلب حاكمين
ضعف ماكان لواحد من الخدمات والعوايد ورفضوا قبول هذه القسمة وكانت نتيجة
هذه الحركة هياج ثورة في السبع كورل وبهذا السبب اعطى بلامي طلوى الملك على كونه
يسلم له الاقليم ولابن اخيه رطواطي وفي مدة قليلة يجعلوه تحت طاعته وامره
وصدر الامر له من الملك بذلك واعاد الوزير في الحال اهل الاقليم لما كانوا عليه في السابق
توقع الحسد والغيرة في قلب الملك مما حصل من نجاح بلامي طلوى في هذه المادة وزاد
الحقد والغضب الذي كان ابتدأ في قلب الملك من مدة طويلة نحو الفاعل للخير معه من
القديم ثم ان الوزير اظهر عدم رغبته وتصديقه للاشغال العمومية التي شرع الملك فيها
مثل انشا بركة كندى فانها احتفرت من غيطان الارز وبنا الثاني جهات الف فلهيكل
الشنعة اي ستة بدورها فانه ذلك فيه جور على الاهالي وغضب يتولد منه فتولد من
هذا عداوة بين ويكرمه سنها وبلامي طلوى وصار كل واحد منهما عدم سلامة
حياته بدسيسة تحصل من الاخر ولما اظهر الوزير رغبته في زواج ابنه بالبنت الكبيرة ابنة
كيرتي سري اعتقد الملك ان هذه مجرد خطوة للوصول الى التخت ومن بعد مضي قليل جرده
من وظيفته وكافة ادارته مما حصل من هذا الوزير ادى هدو وراحة في داخل المملكة
بسبب ماحل به من الغضب وحاق به الخراف ورتب دسيسة على قتل ملكه وارشى موهندرام
الملاوى وسنيلي من الملاوى اتباعه من اجل افتى مهم الملك في يوم معلوم وقتله واغوى
حاكمى اوودونواره وياطينواره بقيام اهل اقاليمهم في نفس هذا اليوم وفي اليوم
المعلوم والساعة المعلومة كان الملك متيقظ وكان الثايرون منتظرين حتى يتام ثم حصل
الكشف على الدسيسة من هياج الاقليمين في ثورة حتى ثم قتل الملك بلامي طلوى وابن
اخيه وابنه وصلبت من صغار الحكام في سنة ١٨١٢ بعد الميلاد
ثم ان الملك عيّن اهيلبوله بدل بلامي طلوى في وظيفة وزير اول وصار الملك في هذا
الوقت في غاية من الارتياب والظلم الشديد زيادة عما كان عليه في الابتدا وعزل
الذين كانوا في معيشة وطرد كافة الحكام الذين كانوا متقلدين وظايف في الاقليمين
الذان وقع منهما العصاوة الاخيرة وابعد عن نفسه كل ماكان وطنيا عن الاقاليم الذين
لايعترفون بحكومته وتولد مما توقع من بلامي طلوى من الثورة ارتياب به وشبهته في
وزيره الاول الجديد اهيلبوله وعلامات او دلائل الملك من ازواجه الاولى تزوج زوجها
في انه واحد اختان ولما اهدى الحكام والروسا هدايا هم للملك في شان زواجه ظهر منه

منه عدم الشفاعة لوزيره الاول اهيلبوله وولو ان هديته كانت ثمينة الا انه
ارتدت وما قبلها الملك ومن بعد انتهى الزواج ارسل الملك الحكام والروسا الى مصالحهم
في الاقاليم من اجل مباشرة ومناظرة زراعة الاقاليم وجمع الاموال والايرادات وتوجه
اهيلبوله الى محل حكومته في سبرا جموه فحصل له فيها الاحترام ثم قامت عليه تهمة وطلب
الى كندى فخاف اهيلبوله من ان الملك ربما يبطش به فعزم على عدم اطاعة امر الملك
ووعده اهل سبرجموه على حفظ ارواحهم في معاونته فوصلت اخبار تعصبه في الحال
الى ويكرمه سنها فجرده من كافة وظايفه وحبس زوجته واولاده وعين بدله مولگجوده
وزير اول وحاكم سبرجموه وامره بالغارة على هذا الاقليم فاطاع مولگجوده امر
الملك ورفض سبرجموه وصعد على رأس جبل ارهم وعند قربه حدث قوة اهل سبرجموه
وهرب اهيلبوله الى كلمبو وعاد مولگجوده الى كندى منتصرا بالظفر ومعه جم غفير
من الاسرى فحصل للملك شدة الغيظ والحنق وقام وجه الغضب من شدة ماحصل
له من عصاوه هذا العدو الثاني وصار غضبه وحنقه على كل واحد مرتاب منه فاستعمل
الحرق والصلب والعذاب وقطع الروس وتابع كل هذه الاحوال بعضها مع بعض
فيها فاستحيث عداوة السبع كورل نايبا من هذا الغيظ وطلب كافة الحكام والروسا
الذين كانوا في ثورة بلامي طلوى وحدث منه المحضر في كندى وصار محاكمتهم بمعرفة
محكمة مغلقة من ثلاث روس او مجلس من ضمنهم مولگجوده وكانوا ماقبلوا حكم
فحكم المجلس المذكور عليهم بالقتل ومن بعد العذاب الذي وقع عليهم قتل منهم سبعون
نفسا من المعتبرين في اقاليمهم وبلادهم واسرع الملك في سيره في مجاري طوفانه الدما
ففقد كافة حواس البشرية وصار رطلا ماشعورا وعزم على عقاب اهيلبوله وكان
هرب منه والانتقام بدلا عنه من عايلته وكانوا تحت قبضته وشوكته فامر بحكم القتل
على اولاده واخوه وتغريق الاناث وامر بجلب زوجة اهيلبوله واولادها من
السجن واوقفهم في مواجهة سرايته وسلمهم للسياف فاثبتت السيدة براءتها وبراة اولادها
حتى براة زوجها بجزيعة وسلمت امرها لما يختاره الملك ويحبه وقدمت له حياتها وحياة
اولادها على امل ان زوجها تخلص من القتل ثم بعد ذلك قالت زوجة اهيلبوله لابنها
الكبير وكان في هذا الوقت عمره احدى عشر سنة سلم نفسك لقضا امرك فتعلق الولد بامه
مرعوبا صارخا وكان عمر ابنها الثاني تسع سنوات فجرى مسرعا نحو اخوه وقال له لا تخف
ورغب ان يوريه كيفية القتل فضرب السياف رقبة هذا الطفل الشريف بالسيف مرة واحدة
اطاح راسه من جسمه ورميت الراس مضمخة بالدما في هوة رق الارز وسلم السياف الدقة
للوالدة المسكينة وامرها انه تضمن راس ابنها في الهوة والعذاب واقع عليها فلاجل منع
العذاب عنها كانت ترمي المدقة على راس ابنها في الهون وبهذه الحالة قطعت روس اولادها
واحدا بعد الاخر امام هذه الام المسكينة وكان من ضمن اولادها بنت واخر رضيع على
صدرها فاخذ من امه لاجل قتله ولما انفصلت راسه من جسمه نزل اللبن مثل النيار ممزوجا
بالدم وفي مدة هذا الفزع المهول بكى وناح الجم الغفير الذي كان مجموعا من اجل رؤية
هذه الحالة الفظيعة ومن بعد قتل الاطفال ذاقت الام حرارة الموت من بعدهم وذلك
انها هي واخت زوجها وبنتها واثنان اخر من النسا رميت في البحيرة في كندى وغرقن
فيها واستغرت كافة كندى مدة يوما كانها بيت واحد في نواح واحزان ولم يخرج احدا
الذين تبع الطاغية لعنة الله ابد الابدين فكفاه انه وثن مطعونه بجدور والفروع التولد
بعقد الروسا والحكام الغضب الاكبر والفزع الاعظم من قبح سلوك الملك واستقر الامر بينهم
على القيام في ثورة وانتظروا فقط قرب وصول قوة انكليزية حتى يخلعوا طاعتهم لهذا
الطاغية الملعون

حكومة روبرت براونريج

وفي سنة ١٨١٢ وصل روبرت براونريج حاكما على الاقاليم التابعة للانكليزية فلما استقر

في حكومته مؤجرا ليه اهيلبوله وعرض له ما حصل له ولاولاده وعبراته نازلة فوق خدوده
فاجتهد الحاكم في تباته والاعتناق عليه بالخيرات وصمم على امره
ومن حيث ان مملكة الجبار الطاغي الظالم سلبه من كل شيء فطلب الرخصة والاذن على ان
يطلق على الحكام اسم اب وفي سنة ١٨١٤ بعد الميلاد ارتاب ملك كندى من عشرة
تجار من الوطنيين رعايا الانكليز وكانوا توجهوا في داخل الجزيرة من اجل التجارة فا
عتقد انهم جواسيس فامرهم مشوهين الخلقة فقطع انوفهم جميعا وقطع ايدي
البعض واذان الاخرين وما وصل من هولاء المنكوسين في كلمبو الا اثنان فقط بهذه
الحالة القبيحة معلقة في اعناقهم هذه الاجزاء المقطوعة واما الثمانية الاخرين فانهم ماتوا
في الطريق ومن بعد مضي قليل عبر جماعة من الكنديين الحدود وحرقوا قرية في ارض الانكليز
وفي ١٠ ينايرسنة ١٨١٥ اعلن الانكليز حربا على ويكرمسنها وصدرت الاعلانات
والمناشير على ان الجيوش الانكليزية ليست مرسولة على الامة الكندية بل على نفس الطاغية
الملك الذي نشر كل فظيعة وكل قبيحة وكان سببا في حصول الغضب وشدة الزعل عند الامة
الانكليزية بسبب اعدام العايلات الشريفة القديمة الموجودة في المملكة وصير الارض طوفانا
من الدماء من رعيته وصار في كل مذهب وكل دين او عقيدة او اداب او علم العدو الالد
لجنس النوع البشري
وترتب الجيش الانكليزي في ثمان فرق اثنان خرجا من كلمبو وواحدة من نجمبو واثنان
من جافني واثنان من ترنكومالي وواحدة من بطيكلوه وسارت فرقة نجمبو تحت [illegible]
وكان متأكد فيها فرقة كبيرة مجموعة من عساكر الملك وكان الكنديون يظهرون مقاومات خفيفة
امام العساكر الانكليزية ثم يولون الادبار عند قربهم منهم وحصل السعي في الهجوم على
موليجوره وكان قايد عساكر الملك حضر القبض على هورج وهرب هو الى الاورجاما
وفي حالة ما كانت زوجته واولاده في كندى اعتبر موليجوره ما حصل الى اهيلبوله
وصار لا طاقة له على الفرار وترك الملك ولما قام الملك من كندى اسرع موليجوره في
التوجه عند الانكليز في صفة انه عدو لهذا الظالم وانه صديق لكل من قصده في خلعه من
على التخت وقام اقاليم الثلاث كور والاربعة كور في ثورة وسار الكثير من كبار
الرؤسا على منوال موليجوره وافتتن الملك بعتوه وحضوره عدم غلبته وبقي مدة
من الزمن في حالة على غير نشاط من امره وما استيقظ لسرعة تقرب العدو من عاصمته
وحينئذ افتكر في ان الذين كان معتمد عليهم في معاضدته تركوه في حالة سقوط سعادته
وصار بدون صديق على حسب العادة العمومية للظالمين الطاغيين وفي مدة غضبه الشديد
واشتعال النار في بدنه وفد عليه رسولان اجزاء بكافة اخبار المصايب التي حصلت خاتم
بقطع رجله واحد منهما وخوزقة الاخر
وما بعد ان قابل الانكليز موليجوره واستقبله قايدهم عرض له زيارة اهيلبوله ولما
تقابل الوزيران مع بعضهما قال موليجوره انا رجل خرب حالي فقال له اهيلبوله وانا
اي شي الان وافتكر الاثنان ما حصل وصب بجانب بعضهما ينعيان ويبكيان ودموعهما
منسكب على خدودهما وفي ١٤ فبراير دخلت القوى الانكليزية العاصمة الكندية من
دون مدافعة قوية ولما استيقظ الملك اخيرا من منام رؤية امنيته هرب تحت فرق
الانكليز من العاصمة الى دومبره ومعه شرذمة قليلة جدا من اتباعه من الثقل وترك
نسا عايلته مع الكنوز والذخاير الثمينة لرحمة وعفو الانكليز ولما تفقدت عليه الامطار
في الجبال اختفى بنفسه في مدة النهار وترك منها والتجأ في مكان منفرد في ضواحي ميدماها
هانوره وكان كلما استيقظ بانه هناك قوة بالقرب منه منتظرة قدومه فاكتشف
على مقربة بعض من اتباع اهيلبوله فاجتمعوا تحت قيادة اكنيليجوره واحاطوا
بالمنزل الذي كان مختفيا فيه مع اثنان من ازواجه فخلعوا باب البيت فقلد محكما فكسروا
حايط الجهة المختفي فيها الظالم وصار عرضة لوجه النيران الواقعة عليه من اعداه ودخلوا

هروب ويكرمسد اجا... من كندى

ودخلوا عليه فجأة مرة واحدة وكانت هذه اول مرة من بعد مضي خمسة عشر سنة من صيرورته
ملكا ما صار لرفيها اهانة ولما تقدم اليه الذين دخلوا عليه حصل لهم من هيبته ارتياع
واضطربوا وما قدروا على التقرب منه والقبض عليه فحضر الرئيس اتباعه وامرهم بالقبض
على الملك فاطاعوا امره وقبضوا عليه ثم ان اكنيليجوره غرق في بحر افكار امال سلامة
نفسه حتى يتم سقوط الملك وخلعه لانه تفكر ان الملك اذا عاد للحكومة ثانيا وقبض على زمامها
فانه يضيفه الى قايمة السبعة واربعون رئيسا الذين كان جلبهم اصدقاه وجلبهم في
السنة الماضية من سبراجموه وخوزقهم هذا الظالم ثم انه من بعد القبض على ويكرمسنها
صار ارساله الى كلمبو وفي السنة التالية ارسل الى فيلور من اعمال مدراس وما زال فيها
حتى مات فيها في سنة ١٨٣٢ بعد الميلاد
وتقرر خلع الملك في الابتداء بواسطة مجلس عقد في كندى مؤلف من الحاكم الانكليزي ومن
رؤسا الكنديين ومن ثم كان جلوس الحاكم في النهاية المرتفعة من قاعة الاحتفال الكبيرة
واصطفت العساكر في هيئة قلعة مربعة امام السراية الكندية واستمر واصلي عرش
عليهم الوزرا وكبار الحكام والوجوه فتدفق في الاول اهيلبوله الوزير الذي بعد عزله
فاستقبله الحاكم مع غاية الوقار واجلسه على كرسي على يمينه ثم جاء ما بعده موليجوره
الوزير الاخر ومعه حكام الاقاليم والحكام المشهورة الاخرين ومن بعد تمام انعقاد
المجلس قرأت المعاهدة بواسطة كاتم سر الحكومة الانكليزية في سيلان بالانكليزي ثم قرأت
بالسنهالية بمعرفة واحد مودليار ثم قرأت المعاهدة مرة ثانية بالسنهالية بمعرفة
المودليار على الوجوه والامراء الاخرين الواقفين والجالسين في خارج قاعة الاستقبال
ومن بعد تمام قراءة المعاهدة رفعت الاعلام الانكليزية والبيارق البريطانية وضربت
مدافع السلام لسمو جلالة الملك جورج الثالث ملك عموم جزيرة سيلان في يوم
٢ مارث سنة ١٨١٥ بعد الميلاد
ثم ان ادارة وحكومة الاقاليم الكندية عهدت في الابتداء على مجلس مؤلف من نايب او
متصرف واثنان اعضاء واحد للعدلية واخر للايرادات فاما المتصرف فكان نايب
الحكومة واما الاخران فكان كل واحد منهما رئيس مصلحة ومجلس مؤلف من الوزرا
السنهاليين والرؤسا المشهورة اطلق عليه مجلس العدلية لا يصير استيناف الاحكام الصادرة
منه الا بمعرفة الحاكم العمومي فقط وما عدا هذا المجلس والنيابات الواطية في حكومات
اوفا وسبراجموه والثلاث كور فان الحكومة المدنية للبلاد كانت جارية بمعرفة
ذوات وامرا الوطنيين كما كانت عليه في السابق وتشكلت القوة الداخلية العسكرية
من ١٠٠٠ نفس ترتبت وتوزعت في احد عشر جهة اقيم فيها محطات عسكرية وتعين
اول وزير موليجوره وثاني وزير واحد من الذوات اسمه كابيوواطي واما اهيلبوله
فانه عرضت عليه وزارة اول وزير فما قبلها وقال انما يرغب فقط ان يكون صديقا
للحكومة الانكليزية لانه كان معتقد في نفسه حاجة اخرى اعلا من ذلك وكان منتظر
صيرورة جلوسه على التخت ملك الجزيرة ولما تزوج فرة قراره ومقامه في كندى فكان
فيها مع غاية من الاحترام والاكرام وكان محترما عند الوطنيين بانه الرئيس الكبير
والعمدة الجليل الخطير للبلاد ثم انه فيما بين شهر مارث سنة ١٨١٥ وشهر اكتوبر
سنة ١٨١٧ بعد الميلاد استمرت الاقاليم الكندية في حالة امن واستتباب راحة وظهر
جليا ان الاهالي رضوا بالحكومة الانكليزية فان ارواحهم واملاكهم صارت محفوظة
وتمتعوا بحرية عظيمة زيادة عما كانوا عليه تحت سلطنة ملوكهم ومع هذا فان الرؤسا
والاكابر ما كانوا راضيين بهذه الحالة بسبب انهم خسروا شوكتهم واحترامهم الذي
كانوا يتقلدوا عليها من قبل ورغبوا اطرد واخراج الذين خلصوهم من ربقة الظلم
واعتقاد الملك الذين كانوا في قبضته وفي شهر اكتوبر سنة ١٨١٧ بعد الميلاد

ظهرت شهامة العصاوة وعدم الطاعة في نواحي اوقا وذلك انه رجلا مسلما كان
مكروها عند اهل اوقا فقبضوا عليه وحملوه امام واحد قسيس كانه رغب في
السلطنة ورمى هدومه الصفراء من على بدنه ولبس غيرها فاسرع نائب الحكومة في اوقا
وتوجه مع قوة قليلة من العساكر من اجل التفحص في هذه المادة فاجتمع منهم حتى الوداه
في جمع كبير وضربوا نائب الحكومة بالرصاص ورجع العسكر مع غاية الصعوبة الى جهة بادوله
وانضم في الحال الى العصاة كاپيطيبوله حاكم اوقا وكان رجلا طماعا لا يراعي الحقوق
ولا يعرف ما هي وكان عديل اهيلبوله وبدل ان يسعى كاپيطيبوله الانكليز الذي
هو ضابط الحكومة تحت ادارتهم صار هو الرئيس الاكبر في الثورة فكانت اجراته بصفة
انه وزير الزعيم وفي ظرف ستة شهور صارت كافة الجزيرة تحت السلاح على الانكليز
وما عدا الثلاث كور والاربع كور واودونواره وباطينواره والوزير الاول
موليجوره صار كل رئيس التحق ببيرق العصاة او دخل في امر الثورة وقع تحت قبضة
الانكليز وضبطوهم وكان اخرهم اهيلبوله وذاقت العساكر الانكليزية اشد العنا
والتعب في مدة حصول هذه الثورة في سيرهم وحركتهم فانهم قاسوا الشدة في مرورهم
من سكك ضيقة جدا مخيم عليها الاعشاب والاورمانات ومن فوق التلال والجبال وصاروا
عرضة لعشي ونشاب وحراب ونيران العدو وفي مدة سفرهم في اثنا الليل كان ينزل قط
عليهم الندا الغزير والمطر الكثير فكان يتولد فيهم الامراض والآفات المهلكة وكانت
مصايب وبلاوي الكنديين اشد واكبر لانه كل جهة حصل منها عصاوة ترتب فيها [illegible]
محطة او اثنان او زيارة من العساكر ومحكمة جنائية وحرقت مساكن العصاة وافنت
مواشيهم وحبوبهم وقطعت اشجارهم المثمرة وخربت البلاد من كل جهة وناحية بفرق
قليلة العدد جالوا في كل جهة من اجل قتل كل من قاوم الحكومة او وجدوا في ايديهم
اسلحة ثم وقع في قلوب الاهالي الفزع الاكبر مما حل بهم من الدمار والخراب وامتنعوا عن
اطلاق النيران على العساكر وكانوا ينظرون اليهم وهم اي الاهالي واقفين على قمم التلال
والجبال وبالقرب من اواخر السهول يحرقون مساكنهم وياخذون مواشيهم الذين لا طاقة
لهم على حمايتها ولا يتكلمون وكان وصل من الهند تقوية او عدد كبير للانكليز وما ثم
فازوا في اعمالهم وانتصروا في حركاتهم واما رؤسا الكنديين فانهم نسوا ان القوة
والشوكة مقصورة في الاتحاد وحده وما رغبوا ان يتقيدوا بغيرهم ومنازعاتهم الشخصية
ولو بتقدمة ارواحهم واملاكهم فما كان لهم من طاقة على نوال اي مرغوب اشتاقوا الى
نفاره وانهزم كاپيطيبوله عدة مرات في سعيه التي اجراه مع كافة البلاد التي كان
له طاقة في حكم عليها وكان جرح عدة الوف من الناس والرجال
وفي اثنا ذلك صار اغوا الزعيم على عبوره نهر ماهويلي گنگا وسار الى جهة في دومبره
وكانت اعدة فيها سراية لا ملك فقابله فيها الرؤسا والاهالي مع الاحترام الزايد
الذي لا يليق الا للملك وعين مادوجلة رئيس صاحب باس من اهل دومبره وزير ثاني
له فوقع بينه وبين كاپيطيبوله منازعات ظهر بها انه ملك كذاب فوضعه في الحبس
وتحقق انه هذا المدعي او الزعيم من اهل قرية ويلساوه وما له قرابة وعلقة بالعايلة
الملوكية واخيرا هبطت وخمدت غارات الاهالي ونفورهم في كثير من الاقاليم الثايره
واستمرت غارات النهب والسلب مدة تشرف من سنة حصل فيها لغالب الاهالي من الرجال
والنسا والاطفال اشد العنا من اقامتهم في الاورمانات وعلى قمم الجبال وفقد اغلبهم
من الزراعة فصلين من فصول الزراعة وماتت مواشيهم وفرغت غلالهم ومؤونتهم وصاروا
مرتمين بين مصوبين بالعساكر الانكليزية وقرب وصل نزول الامطار وما وجدوا امامهم
شي يحصل لهم منه النجاح امام العساكر الانكليزية الا زيادة المصاعب والخطر فمن ثم
دخلت الاقاليم واحد بعد الاخر في الخضوع والانقياد للحكم الانكليزي وفي اكتوبر سنة
١٨١٨ بعد الميلاد وقع القبض على پلامي طلوي ابن الوزير الاول اديگار وعلى كاپيطيبوله
وكان صار الهجوم عليهما بفرقة من العساكر تحت قيادة امير الالاي فرايزر في نواحي

نواحي انورادبوره وصار القبض على مادوجلة ايضا وعاد الامن واستتباب الراحة
والنظام كاملا وحوكم كل من كاپيطيبوله ومادوجلة في محكمة جنائية وصدر حكم
المحكمة بقطع رأسيهما واما پلامي طلوي واهيلبوله وعدة من الوجوه والرؤسا فانه
صار نفيهم من الجزيرة الى جزيرة موريس ثم رخص لكثير منهم على العود الى سيلان من بعد
موت الملك المخلوع في سنة ١٨٣٢ بعد الميلاد ومما بعد هذه الثورة واخمادها حصلت
تغييرات عديدة في اعمال الاقاليم الكندية وتعينت ضباط من الانكليز في جهات مختلفة
من الجزيرة من اجل مباشرة جمع الايرادات والادارات العدلية وبدل ان كان الحكام
الاداني والصغار يتعينون سنويا بواسطة الرؤسا صار تعيينهم مباشرة من طرف
حاكم عموم الجزيرة
ومن بعد سفر روبرت براونريج في سنة ١٨٢٠ صار عدوارد بارنيس قايمقام الحاكم
وفي سنة ١٨٢٣ بعد الميلاد تعين عدوارد باجيت حاكما فلبث في الحكومة الا
عدة شهور فقط وفي ظرف هذه السنين ظهر الكثير من المدعيين للتاج فعدت الحكومة
ان مثل هذه الاشغال والاجتهادات من العصاوة وصار القبض على اخر كذاب مدعي منهم
وحكم عليه بالشغل في كنس شوارع كندي وفي سنة ١٨٢٤ بعد الميلاد صار عدوارد
بارنيس حاكما ولبث في الوظيفة الى سنة ١٨٣١ بعد الميلاد
وبذل عدوارد بارنيس قوته وشهامته في انشا السكك والطرق من اجل فتح داخل الجزيرة
وانشا قنطرة او جسرا من القوارب فوق مياه نهر كلانية بالقرب من كلمبو وانشا طريق
سير العربات الى كندي وكان الصعود من معبر او درب كادوگنوه والشغل فيه من
اصعب الاشغال فانه الطرق مرت من اورمانات كثيفة واتجهت في طول ظهر جبال
عميقة الانحدار ومن ثم اقيم عمود من البنا تذكارا لشرف المهندس دوسن بجانب ما انشا
بالحمى في مدة تشغيله اياها وصار انشا قنطرة ظريفة على نهر ماهاويلي گنگا في نواحي
پرادينيا على مسافة اربعة اميال من كندي وفتح او سرداب تحت جبل على الطريق
الموصل الى كوروينگاله فكانت عموم هذه الاشغال بطريق السخرة والعونة ولولاها
كانت شاقة العمل في مباشرة اجراها الا انه تولد منها منافع كبيرة للبلاد والعباد وشيد
بارنيس ايضا دار الحكومة في كندي وهي محل اقامة الحاكم في مدة فصل الحر وشيد ايضا
دارا عظيمة في جبل لاڤينيا في الجهة الجنوبية من كلمبو وفي سنة ١٨٢٧ بعد الميلاد
عرف الاوروباويون موقع نوارة اليا وشرعوا في التوجه اليها من بعد اجل تغييرهم
الهوا فيه وفي سنة ١٨٣١ بعد الميلاد خلف بارنيس السير روبرت هورطون وفي السنة
التالية كان اول سير بريد العربات بين كلمبو وكندي والمحتمل انه اول بريد ظهر في
اسيا عموما ورخص للمسلمين والنقل بافتنا البيوت والاملاك والاراضي في القلعة
وفي پيتاه من كلمبو وفي سنة ١٨٣٢ بعد الميلاد كان اول ظهور اوراق الحوادث والوقايع
في سيلان جرنال كلمبو تحت مباشرة وادارة جيورج لي وحماية روبرت هورطون
وصارت مستخدمين الحكومة يوصلونه بمكاتباتهم والحوادث الجارية عندهم ثم صدر امر
امر الحكومة الانكليزية بالغا هذا الجرنال فاستبدله تجار كلمبو في سنة ١٨٣٤ بعد الميلاد
بجرنال الاوبزرفر او الملاحظ ثم صار تحريره واحد اسمه البيوط وفي سنة ١٨٣٢
الغي شغل العونة والسخرة المسمى راجاكاريه وفي السنة القابلة تنازلت الحكومة عن
احتكارها القرفة ورخص لكافة الناس في زراعتها وحصادها وبيع المحصول منها
على ذمتهم وفي هذا الوقت صدر من البرلمان رخصة منح الحقوق العدلية وفي سنة ١٨١١
كانت الى كمات بواسطة وكلا الدعاوي والمحامين وكان دخول هذه الحادثة بامر من
اسكندر جونستون قاضي القضاة وبواسطة رخصة الحقوق اقيمت محاكم كثيرة في الاقاليم
المختلفة من الجزيرة من اجل تحقيق القضايا الصغيرة بمعرفة قاضي الجهة واثنان او ثلاثة
مشتركين معه في الراي واما القضايا الكبيرة المهمة فيجري تحقيقها والنظر فيها بمعرفة ثلاثة

من القضاة في المحكمة العالية او المحكمة الكبرى وكذا يستأنف فيها القضايا الصغيرة
الواردة من محاكم الاقاليم وفي سنة ١٨٣٤ بعد الميلاد قسمت الجزيرة الى خمس مديريات
اصلية وهي الغربية والقبلية والشرقية والبحيرة واقاليم وسطى وكانت القوانين
واللوايح صدر في الابتدا من طرف الحاكم ومجلسه فالغى المجلس القديم وتشكل بدله اثنان
مجلسان وهما مجلس تشريع القوانين مؤلف من ستة اعضا ليس لهم ارتباط مع الحكومة
ولا علاقة بها بل مخصوصين بعمل القوانين ثم مجلس التنفيذ اي الواضع هذه القوانين
في موضع العمل وفي سنة ١٨٣٤ تشكلت جمعية المدارس من اجل مباشرة ارتقا درجة
التعليم والتهذيب ومن بعد مضي سنتان تشكلت اكاديمية كلمبو التي هي الان المدرسة
الملوكية في كلمبو

حكومة سطوارط مكنزي

وفي سنة ١٨٣٧ بعد الميلاد تعين ما بعد روبرت هورطون السير سطوارط مكنزي ولو
ان حكومة مكنزي كانت قصيرة الاجل الا انها كانت عامة النفع على الجزيرة فانه ما وجد
احد من الحكام بذل جهده في صوالح مصالح الجزيرة مثله فانه اصدر قانونا في حق لاعبي
القمار وكانت بلغت الدرجة العالية في زيادتها وكان سببا في انشا المارستان المعد
للمجانين الموجود الان في كلمبو ودار الشفا العمومية وساعد في انشا دار كتب عمومية
للبارغير والسنهاليز (البارغير في سيلان هم ذراري البرتقاليين والفلمنكيين الذين تقلبوا
على سواحل الجزيرة من قبل الانكليز) وفي سنة ١٨٣٨ بعد الميلاد كان مبادي سير بريد
العرباث من كلمبو الى جالي وفي سنة ١٨٤٠ الغيت رسوم الاسماك والعوايد التي كانت
مضروبة على صيد الاسماك وبذل الحاكم مكنزي جهده في ترقية التهذيبات والتعليم وانشا
مدرسة كبيرة للبنات في كلمبو وارسل الكثير من شبان سيلان من اجل تمام تعليمهم في
كلكوطه وازداد عدد مدارس الحكومة في كافة انحا الجزيرة وكان الويداه عايشين
مثل الحيوانات الوحشية في داخل اورمانات سيلان فيعثرون على ما ثني ستة فكان
يا خذ الخراج منهم ويشغل رجالهم في الحرب الا انه ما سعى احد في علو درجة هولاي
المتوحشين فلما بلغت احوال معيشتهم وحالتهم القبيحة الحاكم مكنزي توجه الى ارضهم و
افتتح لهم طرق في اصلاح حالتهم فشيد المدارس بينهم على مصروفه وجلب لهم ابذار الارز
والمعازق والفوس وحضهم على الشروع في الزراعة وبهذه الوسايط راحوا البعض من
الوداه في حالة التمدن فاصابه الحمى في ذهابه الى ارضهم فاجبر على الاستعفى من الحكومة

حكومة كولن كامبل

وفي سنة ١٨٤١ بعد الميلاد تعين كولن كامبل حاكم سيلان فكانت سرعة زيادة
زراعة البن من اجل الحوادث المعروفة بادارة حكومته والظاهر ان الاصل في جلب البن
وزراعته في سيلان هم تجار العرب لان البن كان موجودا في الجزيرة في مبادي زيارة
البرتقاليين لها واعتنى الفلمنكيون بزراعته الى درجة ما واجتهدوا في نشر زراعته في الا
قاليم الكندية ولما استحوذ الانكليز على داخل الجزيرة وجدوا في نواحي هنغورانكيتا
جهة من الارض اسمها بستان الملك مزروع بالبن فكانوا يستعملوا اوراق اشجاره
ولا يشربون مستخرج حبوبه او ابذاره وفي سنة ١٨٢٠ بعد الميلاد كان جورج
بيرد اول من فتح زراعة غيطان البن في اراضي كندي ومن ابتدا هذا الوقت اخذت
زراعته في النمو والتقدم حتى صار صنف البن من اكبر صادرات سيلان وفي سنة ١٨٣٧
بلغت كمية صادر البن ١٦٠٠٠ وزنة كل وزنة ١١٢ رطل وفي سنة ١٨٤٧
بلغ مقدار الصادر ٣٠٠٠٠٠ وزنة وفي سنة ١٨٧٠ بلغ ما ينوف عن واحد مليون
وزنة وزادت درجة التعليم والتهذيب في مدة ادارة كولن كامبل وفي سنة ١٨٤٤
ترتبت محاكم الضبط والربط في كافة جهات الجزيرة وفي السنة التالية فتحت محاكم
الديوان كبيرة كانت او صغيرة وفي سنة ١٨٤٥ حصل تقسيم جديد في المديريات
وتشكلت مديرية البحيرة الغربية وكان الرق موجودا في الجزيرة من قديم الزمان و
كان صدر امر الحاكم نورث انه يلزم تسجيل كافة الرقيق وفي سنة ١٨١٦ ارتضى اكثر
برضاهم سقوط ملكية الرقيق في الاقاليم الساحلية واعتبار ان كافة الاولاد المولودين

الاولاد والاطفال الذين يولدوا من ابتدا ١٢ اوغسطس يراعوا احرارا وفي نحو
منتصف سنة ١٨٤٥ بعد الميلاد الغي الرقيق لغاية نهايته من سيلان وفي السنة التالية تشكلت
شركة من اجل انشا سكة حديد بين كلمبو وكندي

حكومة لورد طورنغطون

وفي سنة ١٨٤٧ بعد الميلاد ذهب كولن كامبل وخلفه لورد طورنغطون وفي نفس
هذه السنة تنازلت اسعار البن جدا في اوروبا وعجزت تجارته وترك الكثير من غيطان
مزارعه وفي سنة ١٨٤٨ اجتهد جونغا بجوده بندة في هيجان ثورة في ارض كندي
وسار في عدد ضخم من اتباعه من دمبوله الى ماطلة ودخلها في ٢٨ يوليه ودخلوا
الكثير من منازل السكان ونهبوا امتعتهم وتلفوا حالهم وفي نفس هذه الليلة ارسل من
جهة كندي مجموع عساكر من الاوروباويين والملاي وهجموا على العصاة في صباح اليوم
التالي فهربوا جميعا من بعد ان قتل منهم اربعون نفسا وجرح من العساكر واحد من الاوروباويين
جرحا خفيفا وفي ٣٠ يوليه حصل الهجوم على كورونيجاله بنحو ٤٠٠٠ نفس من
الكنديين فشتتهم ٣٠ نفس من عساكر الملاي ومجرد وصول اخبار الثورة الى كلمبو صار
تسفير مركب بخاري الى مدراس وفي ظرف ستة ايام نزلت العساكر في طرنكومالي ومنها
شرعوا في السير نحو كندي ويوجد عند الحكومة الانكليزية نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس عسكري اور
وباوي واسباهي في الهند يمكنها ان ترسل منهم ما شأت في اي جهة في وقت العوزة والحاجة
وفي سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد صدر قانون الطرق قاضيا بان كل رجل له طاقة على الشغل
يلزم انه يشتغل ستة ايام متوالية في انشا الطرق او يدفع مقدارا معلوما في اشغال
الطرق وفتحها وتصليحها في نظير عدم خروجه لاشغالها فكان في ذلك النفع التام
للجزيرة واهلها

حكومة جورج اندرسن

وفي سنة ١٨٥٠ بعد الميلاد ذهب لورد طورنغطون وخلفه جورج اندرسن فانحطت
التجارة على التدريج وانتشرت زراعة البن ولما عرض على جورج اندرسن شدة الضرر
الحاصل من كثرة وجود الخمارات في المديرية الوسطانية اصدر امره بابطال نصفها وبقا
النصف الاخر ثم ان اندرسن اصيب في صحته بمرض فاستعفى من حكومة سيلان وفي سنة

حكومة هنري وارد

١٨٥٥ خلفه هنري وارد فادخل كثير من الاصلاحات والتنظيمات في الجزيرة وكان
ماهرا بارعا في اشغاله وفي سنة ١٨٥٦ ترتبت البوسطة ومقدار الاجرة على المكاتيب
والمطابيق وفي السنة التالية مدت السلوك التلغرافية من اجل المخابرات بين جالي وكلمبو
ثم امتدت السلك الى الهند وصارت ترسل البلاغات في قليل من الساعات الى اوروبا
وامريقة والصين واوسترالية وفي سنة ١٨٥٧ حصل الشروع في مغاص اللؤلؤ وما
كان يحصل منه في الابتدا ادنى فايدة فبلغت قيمة مكاسب الحكومة ٢٠٠٠٠ ليره ولما
كانت المواصلة بين كلمبو والجهات الشمالية الشرقية من الجزيرة صعبة جدا تعين مركب
بخاري من طرف الحكومة من اجل مناظرة ومباشرة المين المشهورة في كل شهر مرة
واحدة وقد ذكرنا فيما سبق انه كان تشكل شركة من اجل انشا سكة حديدية بين كلمبو
وكندي الا انه تعطل اشغالها من اسباب مختلفة فحصلت لها وفي ٣ اوغسطوس سنة ١٨٥
بعد الميلاد حفر هنري وارد بيده امام جمعية كبيرة اول حفر في انشا السكة المذكورة
وما تم كان ابتدا التشغيل في السكة وطمى ما كان باقيا من الخزانات الكبيرة في سيلان
مع انها كانت تروي جهات سعة من الاراضي وتاخذ الاهالي مطلوباتها من ابا عنها
فحفر هنري وارد في شانه عمود عدة من هذه الاشغال القديمة ونفذ ٢٥٠٠٠
ليره من اجل ترميم خزانه كريم وخزان اوروباك وغيرهم في مديرية قبلي وعملت
فيما طريقة على مهويلي جنجا في جمبوله وعمل نفس هذا النهر ايضا في كانوجسطوطه
وهي الطريق الموصل الى ماطلة وفي سنة ١٨٥٩ الغى زواج المرأة الواحدة بعدة
ازواج وكان جاريا عند الكنديين وقالوا انه غير شرعي

حكومة شارل جاشطيز ماكارطي

وفي سنة ١٨٦٠ لما تعين هنري وارد في حكومة مدراس خلفه في حكومة سيلان شارل
جاشطيز ماكارطي وكان رجلا كاملا عالما عادلا فاصابه مرض وهو في اوروبا

٥٧٦

في سنة ١٨٦٤ بعد الميلاد وفي سنة ١٨٦٠ كان ظهور جرنال لنكا لوكايا وهو جرنال باللغة السنهاليزية ادارية كانت في جالي الاوانة طربيتهر واثنان وطني السنهاليز مطابع في جالي وكلمبو في سنة ١٨٦٢ وفي سنة ١٨٦٣ كان ابتدا ظهور جرنال لكريويكراتا

حكومة هرقل روبنسن

ثم تعين في سنة ١٨٦٥ هرقل روبنسن وانفتحت السكة الحديدية من كلمبو الى كندي في سنة ١٨٦٧ فاتسع نطاق التجارة حتى حصل الشروع في مد الخط بسرعة الى ان وصل الى نوارايليا وفتحت طرق جديدة في جهات مختلفة من الجزيرة وتقدمت احوال الري وجازت في درجة عظيمة وعملت اصلاحات كبيرة وتنظيمات جسيمة في كلمبو وفي سنة ١٨٦٩ بعد الميلاد كان الشروع في هدم اسوار القلعة القديمة وتشكلت شركة تنوير كلمبو بالغاز وحواسير المياه فتعطلت اشغالها بسبب الشروع في اشغال اصلاح المينة وزادت حالة درجة المعارف العمومية حتى استبدلت جمعية المعارف والمدارس بناظر المعارف وصارت الهبات والعطايا من الحكومة على كافة المدارس مما كانت حالتها وفتحت مدرسة الطب في كلمبو وفي سنة ١٨٧١ بعد الميلاد حصل تعداد كامل في كافة عموم الجزيرة وفي مبادي السنة التالية وقع القرار على تقسيم الروبية الهندي الى مائة سنت وصارت المعاملة بها بدل النقود الانكليزية

حكومة غيليوم هنري جريجوري

وفي سنة ١٨٧٢ بعد الميلاد ذهب هرقل روبنسن وخلفه غيليوم هنري جريجوري ومن قبل صار تنوير كلمبو بالغاز اول مرة وفي السنة التالية فتحت سكة حديد جامبوله وتشكلت مديرية جديدة وهي مديرية البحيرة الوسطى وصار اصلاح كافة الطرق في شمال الجزيرة وشرقها وكانت مرملة وكثيرة الوعر وانشئت قناطر العبور على كل انهار وفي سنة ١٨٧٤ صار الشروع في اشغال المينة وتم شغل السكة الحديد الى نوارايليا وفي مدة هنري جريجوري كانت زيارة البرنس ولي العهد سيلان وبنا دار العجايب في كلمبو وفتح السكة الحديد في ساحل البحر الى بندوره وزراعة البن من وسط افريقية ويسمى بالبن الليبريان واشيا اخرى

حكومة جمس لنغدن

وفي سنة ١٨٧٧ بعد الميلاد تعين جمس لنغدن حاكم سيلان وفي سنة ١٨٧٩ ادخل ناظر المعارف اصلاحات عظيمة في تعليم التلامذة والطلبة وفتحت سكة حديد الى من الى كالتوره وفي سنة ١٨٨٠ صار الشروع في انشا فرع السكة الحديد من نوارايليا الى نانو اويا (غدير نانو) وطوله ٤٧ ميل وفتحت السكة الحديد الى ماطله وفي سنة ١٨٨١ بعد الميلاد كان التعداد فظهر منه انه في ظرف عشر سنين زاد تعداد الاهالي الموجودين في الجزيرة من ٢٬٤٠٥٬٥٧٦ الى ٢٬٧٥٨٬٥٢٩ نفس

حكومة ارثر غوردون

وفي اخر سنة ١٨٨٣ بعد الميلاد ذهب جمس لنغدن وجا بدله ارثر غوردون وفي مدة السنين الاخيرة هلكت مزارع البن من آفات حصلت في اوراق النباتات فبذل المزارعين مجهودهم في زوال هذه الآفة وصنعوا الكثير من العلاجات واجتهدوا في زراعة اشيا تجارية اخرى خلاف لما وجد لا دوا ينفع لزوال هذه الآفات

ومن ذلك انهم اجتهدوا في زراعة السينكونه واصلها من اشجار امريقة الجنوبية فتستعمل قشورها في الكينا اعظم دوا للحمى فمن سنة ١٨٦٠ تيسر الحصول للحكومة الانكليزية على نباتات الكينا او السينكونه من امريقة الجنوبية وغرس البعض منها في جنينة النباتات في هاكجالا بالقرب من نواره ايليا وارسل من هذه الجنينة الى الجهات بعض نباتات صغيرة فالان يوجد ملايين من اشجار السينكونه في الجزيرة وصارت قيمة اثمان قشورها زائدة عن العادة

ثم ان الفلمنكيين كانوا اجتهدوا في زراعة الشاي الا انه ما نجح عملهم وفي نحو سنة ١٨٤١ جلب ورمس جيلوه نبات الشاي من الصين واستخدم رجل صيني في صناعة الشاي ثم انه في سنة ١٨٧٣ حصل الشروع في الالتفات لزراعته وفي سنة ١٨٨٣ كان مقدار الفدادين المزروعة بالشاي نحو ٦٠٬٠٠٠ فدان انكليزي ومن هذا الوقت انتشرت زراعة

٥٧٧

زراعته في الجزيرة

ثم الكاكاو اي الشكولاطة وهو نبات امريقي يستعمل في المشروب مثل القهوة الا انه اكثر غذا منها وولواته ابذار هذا النبات ونباته كانت موجودة في جنينة النباتات في برادينيا من مدة سنين مضت الا ان زراعته ما انتشرت الا في نحو سنة ١٨٧٢ بعد الميلاد وفي سنة ١٨٨٧ بعد الميلاد صار تقدير عدد الفدادين المزروعة بهذا الصنف فوجدت نحو ١٤٬٠٠٠ فدان وكثير من نباتات من جهات اخرى جاري زراعتها في سيلان ومحصولاتها داخلة في موضوع التجارة وزراعة حب الهال بوفرة ايضا في سيلان وبزره كثير التصدير الى الجهات البرانية وفي سنة ١٨٨٦ بعد الميلاد انفصل قسم اوطا الشاسع من مديرية كندي وصار مديرية على حدتها وجاري المداولة الان في عمل فرع سكة حديد من نانو اويا الى هابوطالي واجتهد ارثر غوردون وبذل سعيه في حالة الري واعاد الخزان الكبير المشهور وهو خزان كلاويوا الذي عمله داطوسن من عهد ١٤٠٠ سنة مضت وخليج طوله ٥٤ ميل اصلح ايضا وجلب المياه الكثيرة الى خزانات انوراذبوره وفي هذا الوقت جاري قلب الاوديات الى ارض مزارع واقتدت حالة صحة الاهالي في الاعتدال ورمم الكثير من الخزانات الصغيرة واعاد مصلحة الري عن بعد اندراسها وفي مدته عم النفع على البلاد والعباد وكان رجلا من اهل العدل والانصاف جزاه الله عن عباده خيرا

حكومة ألنك هافلوك

وفي سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد ترك ارثر غوردون سيلان وتعين بدله في حكم منها ارثر ألينك هافلوك وهو الحاكم الحالي

الباب الثالث
الوصف الجغرافي لجزيرة سيلان

بما اننا قد ذكرنا على وجه الايجاز تاريخ ملوك سيلان وحكامها من ابتداء سنة ٥٤٣
قبل الميلاد الى سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد فوجب علينا الان ان نذكر وصفها الجغرافي
وتقسيماتها وجبالها وانهارها ومدايرها قديمة وحديثة وماجرى من المعادن والنباتات
والمحصولات فاقول وانا في جيرة خاتم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والله المستعان
وعليه التكلان

موقع سيلان وسعة ارضها ومنعطف سواحلها

سيلان جزيرة في البحر من ملحقات قارة آسيا واقعة في الجهة الجنوبية من بحيث جزيرة
الهند ومحدودة من جهة الشمال والشرق بخليج بنغاله ومن جهة الجنوب والغرب بالمحيط
الهندي ومن جهة الشمال الغربي بخليج منار وبعيدة عن الهند بنحو ستين ميلا تقريبا
ومتصلة تقريبا مع بحيث جزيرة الهند بجزيرة منار وهي حاجز من الرمل يطلق
عليه اسم جسر آدم وجزيرة رامسورام وبعدها من مدراس نحو ٢٥٠ ميل ومن
كلكوته او كلكوطه نحو ١٠٠٠ ميل ومن بمباي نحو ٩٠٠ ميل ومن راس عشم الخير
٥٠٠٠ ميل ومن انكلتره بطريق السفر من خليج السويس ٦٥٠٠ ميل وبطريق
السفر حول افريقة ١٥٠٠٠ ميل وعاصمتها كلمبو واقعة على نحو ٨٠ درجة
من انكلتره والدرجة هنا قسم من خط الاستواء فانه خط الاستواء مقسوم الى
٣٦٠ درجة قسما متساوية يطلق على كل قسم منها درجة ومقدار كل درجة هنا ٦٩
ميل انكليزي الا ان الطول يقل كلما تقدم نحو القطبين وفرق الزمن بين كلمبو
ولوندره نحو خمس ساعات وعشرون دقيقة فعند ما يكون وقت الظهر محكما في كوندره
تكون الساعة في كلمبو خمسة وعشرون دقيقة من بعد الظهر وشكل هذه الجزيرة على هيئة
المنجو او الكمثرى والقسم الجنوبي منها يشكل الطرف الاكبر منها وطولها الاكبر من
راس بالميره الى راس دوندره ٢٧١ ½ ميل وعرضها من كلمبو الى راس سنجمنكندي
في الجهة الشرقية ١٤٠ ميل ومحيط دايرها نحو من ٧٦٠ ميل وما حتها
السطحية بما فيها الجزاير الملحقة بها ٢٥٠٠٠ ميل مسطح ونسبة مساحة ارض سيلان
الى عموم ارض الكرة كنسبة صاحب مسطح ستة واحد الى مسطح عشرون روبية
والجزاير التابعة لها هي جزيرة منار وجزيرة كرطيفو في الجهة الشمالية الغربية
وبحيث جزيرة جافنه في الجهة الشمالية وكذا جزيرة دلفط ومنديطيفو و
جزيرة ليدن وعدة جزاير اخرى صغيرة جميعها في جهة الشمال
وفي سواحلها راس بالميره وهو الاكثر بروزا نحو الشمال وراس سنجمنكندي الاكثر
دخولا في البحر في جهة الشرق وراس دوندره في الجهة الجنوبية وراس كلبيطيا
في الجهة الغربية وراس بيدرو ويصنع راس الجزيرة او ناحيتها في الجهة الشمالية
الشرقية وراس المجنون في مدخل مينة طرنكومالي واما بوغازاتها فبوغاز
بالك بين سيلان والهند وخليج بوجين بين رامسورم والهند واما خلجانها
واجوانها فهي خليج منار وجون البرتغال وخليج كلبيطيا ومينة كلمبو في الجهة
الغربية من الساحل الغربي وخليج هاربو وجون وليجه على الساحل الجنوبي
وجون وانديلوس ومينة طرنكومالي وجون كيكيلي في الساحل الشرقي ويوجد
بها عدة بحيرات او برك ملحة المياه قليلة العمق متصلة بالبحر فمنها بركة بجمبو
وبركة باندوره في الساحل الغربي وبركة بطيكلوه وطيليجه ومولوطيوه
في الساحل الشرقي ونصف سطح الجزيرة في الجهة الشمالية وفي السواحل تقريبا سهلا

ج ٥
تاريخ سيلان البحر الزاخر محمد ...

سهلا افقيا تقريبا وواطي واما في الداخل فجبال شامخة وسهول عالية والمشوبة
من ارضها بالجبال والتلال نحو من ٤٢٠٠ ميل مسطح فالجبال المشهورة هي جبل
بيدروطالاجالا بالقرب من نواره ايليا وارتفاعه ٨٢٩٦ قدم فوق سطح البحر
والتي تحت منه في الارتفاع جبل كيريجالا بوطه وطوطابالا وكليهما في حدود
مديرية اوفا وجبل آدم الى جهة الجنوب من بولاطجه القفيا وارتفاعه نحو
من ٧٣٥٢ قدم فوق سطح البحر والجبل الكبير الغربي في غرب نواره ايليا وهكجالا
في الجنوب الشرقي من نواره اليا وجبل نامونوكولكنده بالقرب من بادوله و
جبل ريا طلوه في هيفاهيطي وجبل موزجالا في كوتمالي وهوماجيريا
في دومبره وكينيدوم او هايلوك في جهة جالي كل هذه من الجبال المشهورة
في جزيرة سيلان

جبال سيلان

فاما جبل بيدروطالاجالا فيظهر في نفسه انه ليس جبلا شامخا لان الاراضي حوله سهلة
تقريبا وعلو سهل نواره اليا عن سطح البحر ٦٢١٠ قدم ويظهر للرائي ان جبل آدم
هو اعلى الجبال في الجزيرة لان الاراضي حوله واطية جدا وانه لا يوجد بالقرب منه
جبال عالية وارتفاع جبل كيريجالا بوطه ٧٨٣١ قدم فوق سطح البحر وطوطابالا
٧٧٤٦ قدم والجبل الكبير الغربي ٧٢٦٤ قدم وهكجالا ٧١٤٦ قدم ونامونوكولكنده
٦٦٨٠ قدم وريا طلوه وموزجالا ارتفاع كل منها ٥٠٠٠ قدم وهوماجيريا
٤٩٥٥ قدم واوروجالا بالقرب من كندي ٤٣٨٠ قدم وجبل امبولوه بالقرب
من جاميوله ٣٥٠٧ قدم والجلا في الاربع كور ٣٣٩٤ قدم وارتفاع لوكنده
بوسيلوره ٣٢٣١ قدم وما طن يشم على بحيرة كندي ٣١٨٢ قدم ومدينة بادوله
٢٢٢٥ قدم وهيتيدوم كنده ٢١٦٠ قدم ومدينة كندي ١٦٩٦ قدم وهنطاله
بالقرب من انورادبوره ١٠٣٩ قدم ويوجد في سيلان عدة سهول تختلف في
الارتفاع من ١٠٠٠ قدم الى نحو ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر فمنها سهل هورطون
قبلي نواره ايليا اعلى صحن في سيلان ومن بعد منه صحون نواره اليا وصحون ويلسون
بين نواره ايليا وبادوله فاما سهول هورطون فهي على اسم روبرت هورطون
كان حاكم في سيلان (راجع التاريخ) فانه علوها فوق سطح البحر ٧٠٠٠ قدم و
نواره اليا نحو ٦٢٠٠ قدم وسهول ويلسون على اسم يوحنا ويلسون قايد القوى
العسكرية فان ارتفاعها ٤١٠٠ قدم فوق سطح البحر

ارتفاع الجبال وبعض الصحون عن سطح البحر

ويوجد في سيلان عدة انهار كبيرة وصغيرة فمنها مهويلي جنجا (جنجا معناه نهر) اكبر
نهر في سيلان يصب في جونه طرنكومالي من بعد انه يجري شمالا شرقيا في طول نحو
١٥٠ ميل ومن فروعه كوتمالا اويا (اويا معناه نهير) اكبر فرع من فروع مهويلي
جنجا ومنبعه بالقرب من طوطابالا وينقسم مهويلي جنجا بالقرب من مصبه الى فرعين
اصليين اكبرهما يصب في جونه طرنكومالي والصغير يسمى نهر الغدرا ويصب على مسافة
٢٥ ميل في الجهة الجنوبية وهو مشحونة بالاورمانات من اسفله الى انه غير مستقل للملاحة
وكذا يصب كل من بادوله اويا واثنان جنجا في مهويلي جنجا والثلاث انهار الكبيرة
من بعد مهويلي جنجا هي كلانية جنجا ويصب في البحر بالقرب من كلمبو وكلو جنجا
ويصب في البحر بالقرب من كلوطره وولواي جنجا ومجراه الى المحيط الهندي في الجهة
الجنوبية فاما كلانية جنجا وكلو جنجا فانه منابعهما من جبل آدم ويجريانه نحو الجهة الغربية
وكلانية جنجا قابل للملاحة وسير القوارب الكبيرة الى حد طليجه وكلو جنجا الى راتنبوره
بقليل واما ولواي جنجا فانه تشكل الحد الفاصل بين جيراوي بطو وماجم بطو
ويمكن الصعود فيه فقط بالرواعس او القوارب المسطوحة القاع وطول كلانية جنجا
٨٤ ميل وكلو جنجا ٧٢ ميل وولواي جنجا ٦٩ ميل ويوجد عدة انهار صغيرة فمنها

انهر سيلان وغدرانها

ديدوروه اُويا يصب في البحر بالقرب من شيلو ونهر اويا بالقرب من كلوَ
ونهر بنطوطه يصب في البحر بالقرب من بنطوطه ونهر جيندوره ويصب في البحر بالقرب
من جالي ونيل جنجا في ماطره وكالنيو كولي غاره يصب في البحر في شمال منار
واريفو غاره في جنوب منار ونهر موواره جنجا في جنوب اريبو غاره وكلا
غاره ومي اويا يصب في خليج كالبيطيا وفي الجهة الجنوبية الشرقية نهر كيرنديي
اوجم جنجا ونهر كطراجه او منيك جنجا وكومبوكجم غاره وفي الجهة الشرقية
باطيباك غاره في جنوب بحيرة بطيكلوه ومونديني غاره في شمال بحيرة بطيكلوه
ومتبري اويا يصب في جون ونيه لوس وكلو غار في جنوب كوكيلاي وكنكاريا ان
يجري في الجهة الشمالية ويوجد في داخل المحيط الهندي حاجز رملي بين كلبو وجالي
فيفصل منطقة كبيرة من المياه من مياه هذا البحر المحيط تسمى بركة بوليا نطيو يجعل
وصول السفن الى بطيكلوه صعبا جدا حتى وغير ممكن مدة ستة اشهر من السنة وخطر
في غالب الاوقات

مناخ سيلان وطقسها

واما مناخ سيلان وطقسها فهو مؤثر على الخصوص بواسطة موسماه دوريان من الارياح
وذلك ان موسم ريح الهواء الشمالي الشرقي يتسلط في سيلان من شهر نوفمبر الى شهر فبراير
وموسم ريح الهواء الجنوبي الغربي من شهر ابريل الى شهر سبتمبر والجهات الشمالية
الشرقية من الجزيرة جافة الهوا وحارة بخلاف الجهات الجنوبية الغربية فانها رطبة
ومعتدلة اي ليست حارة ولا باردة والجهات المرتفعة في داخل الجزيرة فانها ابرد
من جهات السواحل فاما الرياح الدورية فانها اهوية تهب في ظرف ستة شهور
من السنة من جهة وستة شهور من الجهة المقابلة لها وتنحصر جهة الرياح الدورية
في ٣٠° من العرض الشمالي و ٧° من العرض الجنوبي ومن السواحل الشرقية لافريقيا
الى القسم الغربي من المحيط الاوقيانوسي الجنوبي وتتحول هذه الرياح الدورية مصحوبة
بالبرق والرعد والعواصف الشديدة وبين هذين الدورين تتغير الاهوية وتسكن
العواصف والرياح الشديدة واما حرارة الطقس في سيلان فليست كبيرة جدا مثل حرارة
ضواحي سواحل الهند فان نسيم البحر ملطف جدا حرارة الطقس وتاخذ برودة الطقس
في الزيادة مع زيادة علو الارض فان كندي ابرد من كلمبو والليالي في نواره اليا
اشد برودة حتى انه يتشكل الجليد فيها احيانا واما في الاراضي الواطية الموجودة في
داخل الجزيرة فان حالة الطقس فيها مكدرة ومضرة بالصحة وفي نواره اليا تختلف
درجة الطقس من ٦٦° الى ٦٢° ولا تزيد عن ٧٠ فيها من ترمومتر فرنهيت ومقدار
الامطار قليلة في شمال الجزيرة بقدر ضعف الامطار قليلة في السواحل الجنوبي الغربي
وفي بادولا في شرق مديرية الغربية تنزل امطار قليلة يبلغ متوسط مقدارها
٢٨ اصبع في السنة الواحدة وهو اكبر محل تسقط فيه الامطار بكثرة فلو بقي المطر
الذي ينزل في ظرف سنة واحدة على الارض لتشكل بركة عمقها ١٩ قدم وسقوط المطر
في جهة جالي ١١٥ اصبع كل سنة وفي كلمبو ٨٧ اصبع وفي كندي ٨١ اصبع وفي
جافنه ٥١ اصبع وفي منار ٤١ اصبع وشهر مايه واكتوبر ونوفمبر ارطب شهور
في جهات مكشوفة للرياح الدورية الجنوبية الغربية

حالة ارض سيلان

واما حالة الاراضي فانها على العموم في طول السواحل رملية وعقيمة النبات واما في داخل
الجزيرة فالغالب عليها الخصوبة وان القسم الوسطاني والقسم الغربي من الجزيرة اكثر خصوبة
واكثر زراعة وفيها جهات اراضي بكثرة صالحة لزراعة البن والقرفة وكان ابتداء زراعة
القرفة في سنة ١٨٢٠ بعد الميلاد وتقدمت زراعتها جدا ومن ابتداء سنة ١٨٨٧ بعد
الميلاد اضمحلت زراعة البن بسبب آفة حصلت في اوراقه اجتهد مزارعي الجزيرة من
انكليز ووطنيين في زراعة الشاي في جهة كندي ونواره اليا وغيرها من القسم الوسطى
والشمالي الغربي وتقدمت زراعة الشاي فوق التلال والجبال والاراضي العاليه حتى كثر

كثر وصار اجود من الشاي الصيني والروسي ولولا انه يوجد مقدار عظيم من الارض الصالحة
للزراعة وانه نحوا من ثلاثة ارباع الاهالي مشغول بحرفة الزراعة الا ان الجاري زراعته
هو سدس كامل مسطح الجزيرة والمحصولات الاصليه الخارجة من الارض هي انواع الارز
المختلفة الجنس والطابيوط والنارجيل او الكاكونات والفلفل وحب الهال والزنجبيل
والعشبة والدخان والقطن والكينا او السينكونه والقرفة والشكولاته وغير ذلك
من الاصناف واعظم الاشجار الجيدة المحصول هي التمر هندي واشجار الفنس والعنب

محصولات سيلان واثمارها ونباتاتها

والموز السيلاني والليمون والبرتقان واليوسف افندي واصناف القشطة والرومان
والجوراكه والجوافه والموز الذي لا ينقطع سوى مرة واحدة في طول السنة والاناناس والرمبتن
وكثير من الثمار لا يوجد في غير هذه الجزيرة وبها كثير من الاورمانات والغابات المشتملة على
اخشاب العمارات والصناعة مثل خشب الحديد والشنن وخشب الكلمندر والطيك والمرجون
وخشب الجاك والسوس والابنس واليورماى والحليبيلا وتخرج من ابذار المرجون
والابني اصناف زيوت عالية القيمة في اثمارها وتخرج من النارجيل والحشيش اصناف
زيوت مستعملة في الجزيرة وجاري التصدير منها الى الخارج وتخرج من الليمون الزيت المشهور
واجود خضروات الطبخ الباذنجان الاسود والاحمر والبامية واصناف اللوبية واجناس
القرع والدبا والكرنب والفجل واللفت والخيار وانواع كثيرة من فصيلة القلقاس
وزرع المنفيون من المصريين في سيلان صنف الملوخية فنجحت واستمرت طول السنة فكانوا
يقطفونها في حينها ثم تنبت اوراقها وزرع الناس اصناف كثيرة من الانواع الجاري
زراعتها في اوروبا وغيرها ونجحت في بعض جهات من الجزيرة وبها الكثير من انواع المشمومات
مثل الورد الاحمر والاصفر والابيض والمشكل بالوان مختلفة والفل والزنجبيل والنرجس
وغير ذلك ويوجد في جنايات النباتات في جهة كندي ونواره اليا كافة الزهورات
الاوروباوية واصناف الاشجار الرومانية الاوروباوية قديمة وحديثة مما لا يحصر
وجنينة النباتات في بردينا من اعجب ما في الدنيا واظرفها يوجد فيه كل مشموم وكل
زهر وكل نبات وكذا بستان النباتات في نواره اليا مشتمل على اصناف نباتات غريبة
الشكل وزهورات ظريفة المشموم معتنى بها مستخدمين في ملاحظتها ومباشرتها والتحفظ
عليها تطبيقة للفن جيدة الموقع مسموح الحرية فيها لكل متفرج من اي جهة كانت
ثم ان الاراضي في جهة جافنه ولو انها رملية الا انه يخرج منها محصولات عظيمة من ضمنها
وزيها وتبغها وحراثتها بواسطة النيل

معادن سيلان واحجارها

ثم ان عموم الجزيرة مشكل او مركب على الخصوص من قشرة حجرية صعبة وفي كثير من الجهات يعمل
لها معدنه الحديد منظر احمر ولما تنعم هذه الطبقة او القشرة من تاثير الطقس والامطار
يطلق عليها اسم الكابوك وهو مستعمل في الابنية في الجزيرة وبها كثير من الاحجار الجيرية والصوانية
ومن معادنها البلور وعين الهر وحجر القرفة والغارنيت المسمى بحجر سيلان والاوبال او
الجراللاح وحجر القمر والزمرد الاحمر والازرق والاصفر وابونلوت خطوط وست خطوط و
ابشنجه والاخضر وهذه الجواهر توجد بالخصوص في نواحي اوفا وراتنبوره ونواره اليا
وفي نواحي ماطله وكندي وبلنجوده وفي كثير من الجهات يوجد معدن الحديد والكوبالت و
النكل والتكريوم وتوجد مقادير قليلة من الذهب واما الميكا والطلق والصخر البلورية
فتوجد بكثرة والبلومباجين وهو معدن مركب من الكربون او فحم الخشب فهو المعدن الرئيسي
المصدر في سيلان وكذا يوجد النطرون واما القصدير فهو قليل الوجود ويوجد المنجنيز
بكثرة في مديرية سبرجموه وكانه عقد ويكرمو راجاسنها الملك الذي خلعه الانكليز حجر
كبير من عين الهر وبيع في لوندره بقيمة ٤٠٠ ليره وحجر زمرد ازرق بيع ايضا
بقيمة ١٠٠٠ ليره

مشغولات الاهالي

ومن المشغولات الجارية في سيلان حصر الليف والحبال على اختلاف انواعها كلها من ليف شجر النارجيل
ويصنع من خوص هذا الشجر الحصر الظريفة المنقوشة والمعاطف والاطباق ويستخرج من النارجيل

الزيت وحبوب الشاي ومن مشغولاتها ايضا الجيش والبفتة وانواع الاقمشة والفخار بكافة اجناس الصنع من قلل واطباق ومواجير واقران وشوالي للزهور وغير ذلك وطوب العمارات وصناديق وعلب ورفوف ونقوش وشكمجيات وامشاط البلاغة من كل الاجناس باشكال وهيئات غريبة ومن اشغال الجزيرة استخراج الملح ايضا من مياه البحر

الحيوانات

ويوجد في سيلان كثير من الاجناس المختلفة من الحيوانات المفترسة فمن الحيوانات ذات الاربع المشهورة الفيل وسيلان مشهورة بافيالها وكانت في الازمان القديمة كثيرة الوجود زيادة عن الايام الحاضرة وكان يتيسر الحصول منها على ايرادات جمة لعقر ملوك السنهاليز فكانوا يصدرون منها العدد الوافر الى الهند وهي مضرة للمواسم وغيطان الارز والبساتين وان الذي تدوسه تحت ارجلها اكثر من الذي ترعاه وقل عددها الان في سيلان من كثرة صيد السكان وكذا يوجد الدب ووحش البقر والنمورة واصناف الغزلان والخلوف والجاموس الوحشي والارنب وابن اوى والقط الجبلي والقنفذ والنسانيس واما الحيوانات الاهلية فهي الكلب والقط واصناف الانعام والماشية بما فيها الجاموس وتوجد الخيول الوحشية في جزيرة دلفط فيمسكونها ويربونها وتباع باعلى الاثمان لانها بعرقة الكريمة ويوجد من الطيور العقاب والنسر وما اكثر الغراب والزاغ في كلمبو فانه يوجد منها بكمية وافرة ويدخل مع المارة في اي محل من محلات السكن ويخطف ما يجده وللغربان جزيرة مخصوصة في جهة مصب نهر كلانية بجري كلمبو تجتمع فيها بالليل وتنتشر في الصباح في كافة الجهات وعند غروب الشمس يعودوا اليها ثانيا وكذا يوجد الدجاج والديوك الهندي والفراخ الغيطي والصقر والباز والرخم والحداة والبوم والبجع والحجل والببغا بانواعه واشكاله والحمام والسمان واجناس كثيرة من الطيور والعصافير المختلفة الجنس والشكل ويوجد الطاوس متوحشا في بعض الاورمانات واليمام في البساتين والاماكن ويوجد الكثير من الزحافات والحشرات فمنها ثعبان الجبل ويبلغ طوله احيانا عشرون قدما والبتنق والكوبرا والتنين والافاعي وثعابين كثيرة منها الاحمر والاسود والاخضر والاصفر والمنقط وانواع الدود واجناس الضفادع المختلفة اللون والصوت والضفادع السمية واصناف العلق والعقارب المختلفة الجنس وام اربعة واربعين ومن الحشرات ابو فتيق ومنه اجناس مختلفة اللون الاحمر المنقط بالابيض والاسود والاحمر وغير ذلك والجعران والخنافس والنمل المختلف الجنس والصرار والناموس واجناس الجراد وسراج الليل اي الذباب المضيء والجعران الاسود والاخضر والاحمر وانواع الزنبور والعنكبوت وابو شبيث

الحشرات

الاسماك

ويخرج من البحر اسماك غريبة الشكل لذيذة المطعم كبيرة الجسم ومتوسطة وصغيرة فمنها سمك اطورماليو احسنها ماكلا والدهاطها وكلب البحر والسردين والبياض والحوت وابو سيف والوطواط والبلطي واصناف كثيرة من الاسماك ذات القشور منها الاحمر والابيض والاصفر ويوجد السرطان والزحالف وانواع التماسيح واصناف الاسماك في الانهار والبرك والغدران

الآثار القديمة

ويوجد في سيلان كثير من العمارات الضخمة القديمة باقية للان يستدل منها على عظم هذه الجزيرة في الزمن القديم وان اهلها كانوا في درجة عالية في العمارات والصنائع كما كان عليه قدما المصريين في العصور الخالية ومما يستدل منه على عظم سيلان وفخرها في مدة ما كانت تحت ملوكها الوطنيين ما هو اتي اولا سور مدينة انوراد بوره فانه محيطه اربعة وستون ميلا كان مبني حول المدينة وما زالت اثاره باقية للان ثانيا الشجرة المقدسة واصلها فرع ورد الى الجزيرة من ارض مملكة مجدها القديمة الكائنة في وادي نهر الكنك وجلبت هذا الفرع سنجميطه بنت الملك دهرماسوكا عند حضورها في سيلان من اجل نشر الديانة البوذهيسية فغرس هذا الفرع بامر ملك سيلان دويني بياطيسا في سنة ٢٨٨ قبل الميلاد وما زالت هذه الشجرة موجودة في سيلان من ذاك العهد للان معتبرة عند الامة السنهاليزية ثالثا داجوبة تهوبرمه ارتفاعها ثلاثة وستون قدما بالقرب

بالقرب من انوراد بوره بناها الملك دويني بياطيسا من اجل وضع الطوق الايمن لجوتما بوذها مؤسس الدين البوذهيستي رابعا داجوبة روانويلي ارتفاعها ١٦٨ قدم شرع في تشييدها دوطوجمونو الملك في سنة ١٦١ قبل الميلاد وتم بناها اخوه سادي ثيسا سنة ١٣٧ قبل الميلاد خامسا سراية النحاس بناها دوطو جيمونو راكبة على ١٦٠٠ عمود من حجر الصوان وسقفها بالمعادن فمن ثم اطلق عليها هذا الاسم وكان بناها في القرن الثاني قبل الميلاد خاصة من اجل اقامة القسس فيها وكانت مركبة من تسعة ادوار في كل دور مائة قاعة وارضها مربعة الشكل كل ضلع من اضلاعه ٢٧٠ قدم وارتفاعها ٢٧٠ قدم والعمد على صفوف متوازية كل صف به اربعون عمودا سادسا داجوبة ابهيا جيري ارتفاعها ٢٣١ قدم بناها ولجة باهو الاول في سنة ٨٩ قبل الميلاد سابعا داجوبة سوازاميكه بناها ايضا ولجة باهو الاول ثامنا داجوبة جايطا وتزامه ارتفاعها ٢٤٥ قدم ودايرها ١٠٨٠ قدم شرع في بناها مهاسن وتم بناها ابنه في سنة ٣٠٢ بعد الميلاد وقد صار تقدير حساب الاقدام المكعبة الداخلة في ابنية هذه الداجوبات فوجدت ٢٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب تاسعا داجوبتي اومبا لانو وامبو سطوليبيان على جبل مهنطلاي بارتفاع مختلف على قمة ثمانية اميال في الجهة الشرقية من مدينة انوراد بوره وتزعم البوذهيست انه يوجد في داجوبه اومبا لانو شعر من راس جوتما بوذها واما الثانية فانها اشتهرت في التاريخ بسبب انها كانت محل اجتماع بين دويني بياطيسا ومهندو بن الملك دهرماسوكا ملك مجدها وقت حضوره قديما من طرف ابيه من اجل نشر الديانة ~~الصحيحة~~ البوذهيسته في سيلان عاشرا داجوبة رانكوط في مدينة بولونارووه بنتها الملكة زوجة بركرمه باهو ارتفاعها ١٨٦ قدم ومحيط دايرها ٥٥٨ قدم احدى عشر هيكل جايطوان رامه بناه بركرمه باهو ثاني عشر هيكل جلوى هاري منقوش او منحوت في الصخر ثالث عشر السراية الملوكية في بولونارووه بناها وجايو باهو الثالث في القرن الثالث عشر ويوجد كثيرا من امثال هذه الاثار والمباني الفاخرة في ارض الجزيرة وكثيرا ما يوجد مدثورا في داخل الغابات والاورمانات من هذه المباني واقف على اطلاله نابت العشب في جنباته ماوى للحيوانات الوحشية والطيور والافاعي والحشرات تدل على شماخة وعظم ملوك السنهاليز وغيرهم من الذين تسلطنوا في هذه الجزيرة وكان لهم الشوكة والدولة فسبحانه من يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

تقسيمات عامة

تنقسم جزيرة سيلان في الزمن القديم الى ثلاثة اقاليم هي بهيطي راطا في الجهة الشمالية ومايا راطا في الوسط وروهونه في الجنوب واما الان فانها تنقسم الى تسع مديريات هي مديرية الغربية ومديرية سبراجموه ومديرية جبلي والشرقية والبحيرة والبحيرة الغربية والبحيرة الوسطانية ومديرية الوسطى ومديرية اوفا وفي سنة ١٨٩١ بعد الميلاد صار تعداد اهل وسكان هذه المديريات التسعة وكان التعداد ينوف عن ثلاثة ملايين نفس

ولنذكر في الجدول الاتي مساحة ارض كل مديرية بالميل المسطح وتعداد سكانها في سنة ١٨٩١ بعد الميلاد وهو اخر تعداد عمل في زمننا هذا وما يخص كل ميل مسطح من الانفس

جدول المساحة والتعداد في سنة ١٨٩١ بعد الميلاد

اسماء المديريات	مساحة بالميل المسطح	تعداد الاهالي	ما يخص كل ميل مسطح
مديرية الغربية	٢٬٠٢٢	٧٦٤٠٠٧	٣٧٨
مديرية سبراجموه	١٬٤٤٣	٢٥٨٤١٤	١١٠
مديرية قبلي	١٩٨٠	٤٨٩٦٦٧	٢٤٧
مديرية الشرقية	٣٦٥٧	١٤٩٦١٠	٤١
مديرية البحيرة	٣١٧١	٣١٩٦٦٣	١٠١
مديرية البحيرة الغربية	٣٠٢٤	٣١٩٧٧٤	١٠٦
مديرية البحيرة الوسطانية	٤٠٤٧	٧٤٦٠٦	١٨
مديرية الوسطى	٢٣٢٤	٤٧٢٦٠٩	٢٠٨
مديرية اوفا	٣٧٠٦	١٥٩٨٨٩	٤٢
مجموع	٢٥٬٣٦٥	٣٬٠٠٣٬٨٣٨	١١٨

يعلم من هذا الجدول ان مديرية البحيرة الوسطانية اعظم سعة وسبراجموه اقل سعة وان مديرية الغربية اكثر مقدارا في السكان ومديرية البحيرة الوسطانية اقل عددا في السكان

سكان سيلان

وتتركب اهل سيلان وسكانها من طوايف مختلفة في الاسم على حسب العقايد الديانية فمن هذه الطوايف امة السنهالية وهم اصل الجزيرة واهلها وكانوا في السابق ملوكها وهم قاطنون في الجهات الوسطانية والقبلية من الجزيرة وعددهم نحو اثنين مليون نفس وهم اهل ادب وحشمة ورأفة على اولادهم ومحبون للتعليم والعلم ولهم ميل كبير الى الانساب والاحساب وما زال الى الحد الان يراعون احسابهم وانسابهم وهذه العادة متسلطة بينهم لحد الان ومعروف بينهم اشرافهم واداينهم ولا يزوجون الاشراف الاداني ولا تتزوج الاشراف من الاداني كما هو جاري في البلاد الهندية وهم دايما على حالة من الهدو والخضوع والانقياد في السير والحركات وان الطايفتان الكبيرتان المشهورتان من السنهاليز هم الكنديون وسكان الاراضي الواطية وجميعهم من نسل واحد ومتشابهون في الصورة والهيئة والشرح ومنهم الويدايون وهم اخشن واخلط سكان الجزيرة ومنعزلين على حدتهم في الجهة الشرقية من مديرية الوسطى وهم عايشون في اورمانهم على صيد الغزلان مع القنفاس الجبلي وبعض اعشاب وجذور تنبت في الارض وسلاحهم القوس والنشاب ويصطادون الفيلة من اجل اخذ اسنانها ولا يوجد على ابدانهم من الملبوس سوى ما يستر العورة وينامون في فصل الحرارة تحت الاشجار ويلتجاون في مدة فصل الامطار في كهوف ومغاير في الجبال ولغتهم اللسان السنهاليزي مختلط بلغة التمل الموجودين في مديرية الشرقية ولا يعرفون العدد الا لحد خمسة وما فوق الخمسة لا يعرفون من العدد شيئا ولا يعرفون الديانة البوذهيسية ولهم اعتقادات خرافية وغالبهم عبادتهم على عشش واخصاص دينية مصنوعة من فروع الاشجار ويزرعون القمح من الارض واجتهد المبعوثون كثيرا في ادخال التمدن والامور الديانية بين هولاء الهمج الا انهم ما زالوا الى الان على عقايدهم وخرافاتهم القديمة ويبلغ عددهم نحو من ٣٠٠٠ نفس

الديانة في سيلان

ورووا ان الديانة القديمة لسكان الجزيرة كانت عبادة الشياطين ودخل الدين البوذهيسي فيها في سنة ٢٦٧ قبل الميلاد وكذا الحال الدين الهندو في مدة وجود الهندو على الجزيرة وتغلبهم

وتغلبهم عليها واما الدين الكاثوليقي الروماني فانه علم من اقوال كوسموس من اهل الاسكندرية وكان حضر الى سيلان في سنة ٥٢٢ بعد الميلاد ان الدين الكاثوليقي كان فيها مستمرة طريقة وتنسب بعض المورخين دخوله فيها الى القديس توماس الذي كان حضر رسولا الى الهند فلما جاءت اهل البرتقال في الجزيرة في سنة ١٥٠٥ بعد الميلاد وراوا ان الديانة الكاثوليقية انقرضت من الجزيرة بذر القسس الذين كانوا معهم بذر الديانة ووجدوها وفي سنة ١٥٤٣ بعد الميلاد ارسل القديس فرنسيسكو اكزاويير عدة مرسلين من جاوه وكان وصل اليها قبل ذلك بسنة من البرتقاليين الى سيلان فاجتهدوا وكدوا ونشروا الديانة المسيحية الكاثوليقية في المداين المشهورة من الجزيرة والجهات المعموره فخاف سنكيليان احد ملوك جافنه من انقراض الديانة الوثنية وقيام الديانة المسيحية في ممالكه فعزم على انقراضها وقطع دابرها وشرع في وقوع الجور الشديد والظلم العنيد على المسيحيين في سنة ١٥٤٤ بعد الميلاد حتى جعل سيلان مشهورة في تاريخ الكنيسة بانها مملكة الشهدا المسيحيين وقتل هذا الملك فيها ما ينوف على ٧٠٠ نفس من المسيحيين فلما بلغ فرنسيسكو اكزاويير وقوع هذه الحوادث قام من جاوه ونزل على ساحل منار في سنة ١٥٤٥ بعد الميلاد ووطد اخوانه من المسيحيين وقواهم على الدين ورجع الى محله ثم عاد ثانيا الى الجزيرة في سنة ١٥٤٨ بعد الميلاد وفي هذه المرة تقابل مع الملك والزمه من دون خوف ولا رهبة منه على منع الظلم والتعدي وعقد شروط صلحية مع الحكومة البرتقالية وعاد الامن وانقطع الظلم ثم ان الفلمنكيين الذين خلفوا البرتقاليين بذلوا جهدهم في انقراض الديانة الكاثوليقية بما انهم كانوا على المذهب البروتستانتي ومنعوا الناس من التمسك بالعبادة الكاثوليقية وحبسوا او غرموا كل من اوى قسيس من الكاثوليق وطردوا كافة قسس الكاثوليق من الاملاك والاقاليم المستحوذين عليها في الجزيرة ومع ما فيه كانت الديانة الكاثوليقية قايمة الشعاير خفية من الفلمنكيين في منازل الكاثوليق وكانت ادارة هذه الديانة جارية بمعرفة شرذمة قليلة من القسس من طرف القديس فيليب نيري وحضر بنفسه من جاوه الى الجزيرة مع الاب يوسي او ياسي واش في خفية ولما صارت جاوه اسقفية في سنة ١٧٢٧ وضعت سيلان تحت قانون عظيم من طرف اسقف جاوه ثم في سنة ١٨٤٤ صارت نيابة رسولية منفصلة وفي سنة ١٨٤٥ قسمت الى نيابتين منفصلتين الموجودتين الان فيوجد في كل نيابة ٣ من الاساقفة و ٦٥ قسيس و ٤٧ راهب ومدرستي رهبان و ٣ ديوره راهبات و ٢٤١ مدرسة وابتدات المعمدانيون في سيلان في سنة ١٨١٢ بعد الميلاد والوسليانيون في سنة ١٨١٤ والامريكانيون في سنة ١٨١٦ ورسل الكنيسة في سنة ١٨١٨ وجمعية نشر الانجيل في سنة ١٨٤٠ بعد الميلاد ولو ان هذه العقايد الديانية مضعفة لعبادة الشياطين الا ان السنهاليز ما زالوا عاكفين على خرافاتهم وعقايدهم القديمة ولو انهم دخلوا في الديانة المسيحية وينقسم الدين البوذهيسي الى حزبين اصليين وهي العقايد الشياماينه والعقايد البرماوية او عقايد امرابوره

التمل

واما الدين الهندو فمن المحتمل ان دخوله في سيلان كان بواسطة الملوك الهندو الذين تغلبوا عليها وكان كثير منهم من التمل او من ازواج ملوك السنهاليز بزوجات من جنوب الهند وبواسطة شوكة الملوك وقوتهم ادخلوا تماثيل وشنو وكثر نجمه حتى في معابد بوذها وما كن التمل موجودة في الاقاليم الشرقية والاقاليم الشمالية من الجزيرة وفي كل سنة يرد منهم الجم الغفير الى الجزيرة من نواحي جنوب الهند من اجل الشغل في غيطان ومزارع الشاي والبن في مديرية الوسطى ومقدار نفوسهم بالجزيرة ٧٥٠٬٠٠٠ نفس ويعتقدون في انفسهم انهم من نسل التمل الذين كانوا تغلبوا على الجزيرة في العصور السالفة وهم اهل شغل وكد وبناهة وحرارة في الاشغال الا انهم مكارين غشاشين في الديانات ويوجد من شمال الهند في سيلان ٢٨٠٬٠٠٠ نفس

طائفة السليين

والشيعون المسميون في الجزيرة باسم المور فانهم منتشرون في ارض الجزيرة ويبلغ عددهم
نحوا من ٢٠٠٠٠٠ نفس وهم اهل نشاط وجد واجتهاد في اشغالهم ومعظم تجارة الجزيرة
في ايديهم وكذا اشغال عماراتها وابنيتها ووانع الاشكال والمنازعة لهم الان في اصل وجود
المسلمين في سيلان وسببه انهم لا يتكلمون الا اللغة التاملية التي يحتمل انه اصل وصولهم اليها
من مسلمي جنوب الهند وهم كثيرون العدد في الجهات الشرقية وفي نواحي منار والملكوى
الموجودين في سيلان هم ايضا مسلمون انتقلوا اليها من جزيرة ملقه مع العساكر الانكليزية في
وقت غلبة الانكليز على الجزيرة وكانوا عساكر تبع الانكليز فقطنوا الجزيرة وتناسلوا ويبلغ
عددهم الان ١٠٠٠٠ النفس وهم على اعتقاد تام من الديانة الاسلامية وكذا المور الموجودين
في الجزيرة لهم اعتقاد وتمسك بالديانة الاسلامية شديدة واهل تعصب فيها

طائفة البارغير

واما ذرارى الاوروباويين المعروفون في العادة باسم بارغير عند الانكليز وباسم
برنجي عند السنهاليز فانه وجودهم في المداين وكثيرا ما وجوه هذه الطائفة مستخدم في وظايف
في الحكومة واما الادانى منهم وعلى الخصوص الذين اصلهم من البرتقاليين فهم ارباب
صنايع مثل حدادين ونجارين ومركوبجية او جزماتية وغير ذلك والمستخدمون في الحكومة
جميعهم بروتستانت واما الادانى ارباب الصنايع فهم كاثوليك ومقدارهم ٢١٠٠٠ نفس
ويوجد عددا من الاوروباويين مستخدم في وظايف الحكومة ومصالحها او مشتغلين
باشغال التجارة والزراعة ومقدار الاوروباويون الموجودون في سيلان في سنة ١٨٩١
مقداره ٦٠٠٠ نفس ومن العرب والبنغاليين والافغانيين سكن القليل منهم في جهات
مختلفة من الجزيرة

الزراعة

ثم ان معظم اهل سيلان مشتغل بكار الزراعة والجارى زراعة من الارض سدس مقدارها
فقط ولولانه لا يوجد برك معدة للمياه من اصل الطبيعة في سيلان الا انه يوجد عدة خزانات

الخزانات

صناعية كبيرة عملت بالخصوص من اجل سقاية غيطان الارز والمشهور من هذه الخزانات
خزانه بدوليه في مديرية البحيرة وخزان منتريه وكنطلاى بين كندى وطرنكومالى
وكانت المياه تصل اليها في الابتداء من ترعة او خليج من انورادبوره اسمه بحر بركرمة
وخزان كلويوه قبلى انورادبوره والخزان الكبير بالقرب من منار وخزان طيث
قراره في شرق مديرية قبلى ثم ان الحكومة الانكليزية اصلحت ورممت خزانات كنطلاى
وكلويوه وطيث مداحة وكثير من الخزانات الصغيرة

المحصولات

وجارى تشغيل زيت النارجيل والعرفل في طول اقاصى الجنوبى الغربى ويورد كميات وافرة
من النارجيل الجاف الى كلمبو من اجل استخراج زيت النارجيل في العصارات واما القرفة فانه
جارى استخراجه في جهات بندوره وماطره وهو اصل كل بلية ومنبع الفقر والمهانة وسببا
في حصول الجرايم والاثام واقليم جالى مركز تشغيل الحصر الليف واما الخيش فانه جارى تشغيله
في مشيلو وجافنه وبطيكلوه والاوشاط والعلب في جالى وماطره ومورطوه مشهورة
بصناعة النجارة الدقى وجارى استخراج اصناف ملح الطعام من مياه البحر في بوتلام و
همبنطوطه وجارى تشغيل كافة اصناف الفخار في الجزيرة مع تصوير الظريف في الشغل منه الى
الجهات البرانية وقد صار تشييد محل لاشغال الاقمشة القطنية الان في نواحى وبلاونه
ويوجد في سيلان في سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد نحو ٣٥٠٠ ميل طرق سلطانى منتظمة و
١٩٢ ميل سكة حديد و ١٧٠ ميل ترع وخلجان ومازال جارى مد السكك السلطانى والسكة
الحديد حسب وجود النقود عند الحكومة

التجارة في سيلان

ومن البقين ان سيلان كانت مشهورة من قديم الزمان في التجارة الا ان التجارة كانت في
يد الاعراب فانه الرومانيين دخلوا في علاقات واسعة تجارية مع سيلان والهند ولما
اضمحلت الدولة الرومانية حل محلهم في المعاملات التجارية الفرس والعرب وكانت المين
المتجرية المشهورة كلمبو وجالى وكانت اصناف الحبوب تتصدر من مينة طرنكومالى ولما
فتح البرتقاليين سواحل سيلان احتكروا التجارة في ايديهم ومن ثم صارت المعاملات التجارية مع

اوروبا جارية من طريق راس الرجاء الخير بدل طريق البحر الاحمر ثم جاء من بعد البرتقاليين
الفلمنكيون ثم حل محلهم الانكليز فازدادت المعاملات التجارية مع الهند الى درجة ما ومع
جزاير ملديوه واوستراليا حتى بلغ مقدار قيمة البضايع المصدرة ثمانية واربعون مليون
روبية والصدورات الاصلية هي الشاى ومحصول شجر النارجيل والبلومباجين والقرفه
والدخان والعرفل والشوكولاته والكينا وزيت الحشيش وحب الهال وقد ذكرنا اصناف
ذلك فيما سبق

مدخول التجارة

واما مقدار البضايع الجارى دخولها سنوى فهو نحوا من ٦٣ مليون روبية والمواد المشهورة
في المدخول هي الحبوب والفحم ومشغولات القطن والذهب والفضة والسمك والزيت والعرقى
واصناف الارواح والبيرة واصناف الخردة والمعادن والسكاكين واصناف البهارات
والسكر واصناف الفخار وورق الكتابة والطبع والحرير والزجاج والكتب فاما مشغولات
القطن وانواع الخردوات والعرقى والبيرة والجوخ واصناف السكاكين واجناس الزجاج
والاوانى الفخار والكتب فانها داخلة من انكلتره واما الحبوب والمواشى والزكايب والبهارات
والسكر فانها واردة من الهند والسمك المالح وارد من ملديوه ولقد اخذت تجارة الجزيرة في
الزيادة في مدة الخمسين سنة الاخيرة حتى صار مقدار الصادر ١٨٩٠ بعد الميلاد
٥١٢٧٣٣٩ روبية ومقدار الوارد في نفس هذه السنة ٦٢٠٩١٩٣٩ روبية

هيئة الحكومة في سيلان

والحكومة في سيلان جارية بمعرفة حاكم واثنان مستشاران ومجلس منفذ ومجلس مشرع فاما
مجلس التنفيذ فانه مؤلف من نفس الحاكم وخمسة من كبار حكام الادارة ومجلس التشريع مركب من
نفس الحاكم وتسعة اعضا من حكام الادارة وستة من الكبار ليسوا داخلين في مصالح الحكومة
وتحضر امام مجلس التشريع القوانين والاوامر اللازم اجراها ثلاث مرات ومتى حصل الاقرار
عليها ترسل الى انكلتره لاجل التصديق عليها من المملكة واما وظيفة مجلس التنفيذ فانه
يلاحظ ويباشر تدبير العمل على مقتضى ما تقرر من القوانين وينفذ اجرا العمل على موجبها

المحاكم والادارات العدلية

واما الادارة العدلية فانها جارية بمعرفة المحكمة العالية ومحاكم المديريات ومحاكم الضبطيات
ومحاكم الديون فاما المحكمة العالية فانها جارية بواسطة ثلاثة من القضاه اكبرهم في الرتبة
اسمه قاضى القضاة وينحصر في هذه المحكمة كافة الجرايم والقضايا والاشخاص المتهومين او
المقام عليهم قضايا جنائية او غيرها مرخص لهم الكلام في المدافعة عن انفسهم وفي القضايا
الشديدة يلزم ان تثبت عليهم الجرايم امام القاضى من قبل توقيع العقاب عليهم ولقضاة المحكمة
العالية وحدهم دون غيرهم صدور حكم الموت ولا يمكن تنفيذ هذا الحكم الا من بعد اقرار الحاكم
عليه ومحاكم الاقاليم تحقيق قضايا النقود والجرايم واما الجنايات الصغيرة فيجرى تحقيقها
في محاكم الضبطيات والديون الخفيفة او الصغيرة يجرى تحقيقها بواسطة محاكم الديون
ويثبت الحكم في خلاصة ويمكن عمل الاستئناف بمعرفة المحكمة العالية في القضايا التى تعمل
بمعرفة المحاكم التحتية وصار ترتيب مجالس القرى في بعض جهات من اجل تحقيق المنازعات الصغيرة
ولا لزوم لتوجه المتخاصمين في المحاكم وترتبت مجالس الدواير البلدية في كلمبو وجالى
وكندى وكذا المجالس المحلية في المداين الاخر من اجل مباشرة الطرق والمياه والنظافة

المدارس والتعليم الاهلية

وكان عدد المدارس والمكاتب في الجزيرة نحو ٤٠٠٠ مدرسة وعدد تلامذتها او الطلبة الموجودين
فيها ١٤٦٠٠٠ تلميذ في سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد ومن ذلك المدارس العالية ومدارس اقل منها
الانكليزى والانكليزية مع لغات اخرى ومدارس معدة للالسن ولغات اخرى وكان يوجد في كل
٢٥ نفس واحد تحت التعليم وفي سنة ١٨٨١ وجد واحد من ستة له طاقة على القراءة وكانت
مصاريف الحكومة في سنة ١٨٩٠ جميعها على المكاتب والمدارس ٤٧٤٠٠٠ مساعدة
فقط وبذلت الحكومة والناس مجهودهم في تعليم اولادهم حتى صار الان من كل سبعة اطفال
واحد في المدرسة

الايرادات والقناطر

واما الايراد فمن الضرورى ان يكون كافيا للمصروف الحكومة فالايراد في سيلان وارد من ضرايب
رسوم على المدخولات والصادرات وايرادات السكة الحديد وضرايب الارض وبيع العرقى وبيع الملح
والتمغة والمكوس على القناطر والمراكب وعوايد السكة

ايراد سيلان

ويبلغ مقدار الايراد في سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد بما فيه ايراد السكة الحديد الداخل للحكومة مبلغا وقدره ١٦٢٢٨٧٦٩ روبيه وبصرف النظر عن ايرادات السكة الحديد فانه متوسط الضرائب الجاري دفعها سنويا من كل شخص في سيلان هو ٣ روبية في السنة من اجل المحافظة على الارواح والاملاك وفي انكلتره يدفع كل شخص سنويا اثنين ليره وعشره شلن عوايد عن المحافظة على الاملاك والارواح

واما عوايد جمرك الصادر والوارد فانه جاري دفعها في مينة الجمرك خصوصا في كلمبو وجالي ومعظم الضرايب الاخر جاري جبايتها بمعرفة الحكومة بواسطة نواب وحاصلين من طرفها فاما ايراد السكة الحديد والمكوس فانه يبلغ نصف مقدار الايراد الكلي

مديريات سيلان

مديرية الغربية او كلمبو

وصف اجمالي للمديرية

تمتد مديرية الغربية من نهر اويا في الجهة الشمالية الى نهر بنطوطة في الجهة الجنوبية وساحتها ٣٠٠٠ ميل مسطح وعدد سكانها ٧٦٤٠٠٠ نفس وهي المديرية السابعة في سعة المساحة الا انها اكثر عمرانا ونفوسا وتنقسم الى اربعة اقسام منقسمة الى كور او اخطاط

اولا قسم كلمبو ويشتمل على اخطاط كلمبو والوت كورو وسيابلي هيواجه واخطاط سالبيطي ثانيا قسم نجمبو ويشمل نجمبو والوت كورو الشمالية او البحرية وخط هيبطيجه ثالثا قسم كلوطره ويشمل كلوطره وريايجه واخطاط باسدون

رابعا قسم كيجلا ويشمل على الثلاث كور والاربع كور وبيلوات جمه السفلى

ثم ان الجهات الغربية من هذه المديرية جميعها مفازة سهلة والمتوسطة تلال ومرتفعات والشرقية جبلية والاراضي بالقرب من ساحل البحر رملية في كثير من الجهات الا انها اخذه في الصلاح نحو داخل المديرية ويزرع في داخل هذه المديرية صنف الارز على الخصوص ويوجد في الجهة الشرقية منها غيطان مزارع الشاي والبن وتنبت القرفة في الجهة الشمالية الغربية منها ويستخرج في كلمبو زيت الكاكونات او النارجيل والعرقي في اخطاط بندوره وكلوطره

وصف كلمبو باجمال

وعاصمة هذه المديرية كلمبو اضخم مدينة في الجزيرة وهي مقر مركز الحكومة والحاكم وقلعتها موضوعة على محل من الارض داخل قليلا في البحر وبها بيت الملكة والمصالح العمومية ومخازن التجار ومحل اشغالهم وبجارتهم والحوانيت الكبيره وبرج مرتفع في قمته الفنار المعد لنور سطح البحر وهداية المراكب في الليل وكلمبو في هذا الوقت مينة عظيمة مطروقة على الدوام بكافة اصناف السفن تجارية كانت او شراعية وبخارية كانت او حربية وبينها متصلة مع القلعة بحيرة صغيرة وفي وسط هذه البحيرة لسان من الارض مفصول من القلعة بهذه البحيرة اسمه جزيرة الرقيق ويوجد في بيتا كثير من الحوانيت جميعها تقريبا للمسلمين او المور ويوجد ايضا في بيتا المحكمة العالية ومحل مجلس البلدية وكنيسة كبيرة كان الفلمنكيون بناها وعدة كنايس صغيرة وجامع كبير للمسلمين وعدة زوايا واربطة للمسلمين ايضا ويطلق على الضاحية البحرية من كلمبو اسم مو طوال وتشتمل على كنيسة القديس لوجا وبهذه الكنيسة مدرسة جليلة لتعليم العلوم الانكليزية والحساب والرياضيات والديانة المسيحية ومعظم الاوروبا ويين القاطنين في كلمبو قاطنين في كولبتيا في الضاحية القبلية ما عدا العسكرية

وبلغ تعداد اهل كلمبو في سنة ١٨٩١ بعد الميلاد ١٢٠٠٠٠ نفس وقد ذكرت كلمبو في تاريخ السياحين بانها اشتهرت في سنة ٤٩٥ بعد الميلاد وقت ما نزل مو جلاتن فيها يحبس من الهند وفي نحو سنة ١٣٧١ بعد الميلاد تغلب التمل تحت قيادة شكر وارطي على هذا المحل واحاطوه بالمتاريس والاستحكامات فاخرجهم منها الوزير الكشورا الذي اسس مدينة كوته وفي سنة ١٥١٨ كانت زيارة البرتقاليين لها اول مرة وما مضى على ذلك مدة حتى شيدوا فيها قلعة وفي سنة ١٦٥٦ اغتصبها الفلمنكيون من البرتقاليين واستمرت في حوزتهم الى سنة ١٧٩٦ بعد الميلاد وتغلب عليها الانكليز وتتصل كلمبو مع كندى بواسطة سكة

بواسطة سكة حديدية طولها اربعة وسبعون ميلا ونصف ميل

ومحطات السكة الحديد الواقعة بين كلمبو وكندى هي محطة مردانه في كلمبو وهي اس المحطات ومحطة كلانية على مسافة ٣ ميل من كلمبو ومحطة هونوبطيا ومحطة مهاره على مسافة ٩ ميل من كلمبو ومحطة هينارطا جوده على مسافة ١٦ ميل من كلمبو ونصف ميل ومحطة ويانه جوده على مسافة ٢٢ ¼ ميل من كلمبو ومحطة ميرى جمه وامبيبوسه على مسافة ٣٤ ½ ميل من كلمبو ومحطة ببرجه ويبلوه على مسافة ٤٥ ميل من كلمبو ومحطة رمبوكنه على مسافة ٥٢ ميل من كلمبو ومحطة كدوجنوه على مسافة ٦٤ ½ ميل من كلمبو ومحطة بروذينيا على مسافة ٧١ ميل من كلمبو ومحطة كندى على مسافة ٧٤ ½ ميل من كلمبو

والاراضي الواقعة حول كلمبو على العموم ارض سهلة وقرية جايلو كائنة على مسافة تسعة اميال من كلمبو في الجهة الشمالية منها في الوت كورو الشمالية ونجمبو على مسافة ٢٣ ميل من كلمبو وسكانها على العموم صيادين الاسماك وغالبهم روحانيه كاثوليك ويوجد في نجمبو قلعة هي الان خربة ونزعتها بحر من وسط بيتا عنت ثم توجد مواصلة مياه بين نجمبو مع اشيلاو وكلمبو ويوجد في الجهة الجنوبية من نجمبو بركة ملحية الا قليلة العمق مملوءة بالسرطان والاراضي في نواحي نجمبو جميعها رملية الا انه يوجد فيها كثير من اشجار القرفة والنارجيل وفي سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد اصلحت الحكومة الانكليزية قلعة نجمبو وحصنتها ووضعت فيها مدافع كبيرة العيار من اجل المحافظة على الساحل

ومهره موجودة على سكة كندى وعلى مسافة ٩ ميل من كلمبو ولاهلها تجارة واسعة مع اهل كلمبو وقرية كوشروبه على مسافة ١٥ ميل من كلمبو في كورة سيابلي وهينارطا جوده على مسافة ميلان من بعد كوشروبه وقرية ويانه جوده او وقيا نجوده على مسافة ٢٥ ميل من كلمبو ومن هذه القرية تتفرع الطريق الى نجمبو وقريه ويوليديه في كورة ها بيطي جمه على مسافة ٣٠ ميل من كلمبو وميرى جمه في نفس هذه الكورة هي محطة السكة الحديد من بعد قيا نجوده وامبيبوسه في الاربعة اخطاط او كور هي منتصف الطريق بين كلمبو وكندى والاراضي الموجودة حولها جميعها تلية او جبلية وفي ناحية او بمنة بقبنى على مسافة ٤٤ ميل من كلمبو تتفرع الطريق الى روانويلا وقريه كيجلا في الاربعة اخطاط على مسافة ٤٩ ميل من كلمبو محطة من اجل وضع لوكوموتيف ثاني في خط سكة الحديد الذاهب الى كندى لان السكة الحديد تاخذ في الصعود من ابتداء هذه المحطة الى فوق الجبال حتى تصل الى محطة برودينا وهي مركز مساعد حاكم من طرف الحكومة وقرية اوطو ونكنده مع صخرتها المهولة على مسافة ٦ ميل خلف كيجلا واراناكه واقعة بين رامبوكنه ودولاشباجي وكلانية قرية على كلانية جنجا وعلى مسافة ٤ ميل من كلمبو ويروى ان كلانية كانت على مسافة ١٦ ميل من ساحل البحر والان هي على اربعة اميال فقط واكل البحر الباقي من اصل الارض وهنويلا على مسافة ١٨ ميل من كلمبو واقعة على نهر كلانية جنجا في خط هيواجه وعلى الطريق القديم الموصل الى كندى واجنهه اخر ملوك من ملوك السنهاليز على ارثه قلعة صغيرة في هذا المحل الا انه رجع القهقرى وترك ما كان في عزمه واويسويلا على فرع من فروع كلانية جنجا وفي خط هيواجه على بعد ٣٠ ميل في الجهة الشرقية من كلمبو وهي محطة واحد من مامورى الضبط اى انها محل ضبطية وكان هذا المحل مقر مايادوني الذي كان معارضا في جلوس دهرما بالو على التخت في مدينة كوته ومن بعد موته استحوذ عليه البرتقاليين واقاموا به استحكامات باقي اثارها لحد الان ومدينة سيطاواكا كاينة بالقرب من اويسويلا واقام راجاسنها الاول في مدينة سيطاواكا مدة من الزمن وجعلها مقر تخته وبمجرد موته استحوز البرتقاليين عليها واقاموا عليها استحكامات وروانويلا في الثلاث اخطاط بالقرب من اتصال جورا اويا مع

كلانيه جنجا والى هذا المحل يجلب البن واشياء من جهات متعددة في مديرية الوسطى من
اجل شحنها في قوارب الى كلمبو ويطيننطوطه على نهر كلانية وعلى مسافة ٤٢ ميل من
كلمبو محل بتجارة عظيم وكيطولجلو على كلانية جنجا موضوعة على ١٢ ميل فقط يطيننطوطه
ومدينة كوته مقر جمعية كنائسية في خط سلپيطي وعلى ٦ ميل في الجهة الجنوبية
الشرقية من كلمبو والاراضي حولها سهلة ومفازات وقابلة لفيضان المياه فوقها في
كل سنة في مدة فصل الامطار فتغرق اهلها وتتلف مزروعاتها واراضيها وما في عين الحكومة
نظر في عمل المصارف اللازمة من اجل صرف المياه وقت فيضانها وعلوها وعرض اهل هذه
الجهة لحكام الجزيرة البنك هافلوك في سنة ١٨٩١ بعد الميلاد من اجل اعمال المصارف واخذ
الاحتياط اللازمة في صرف المياه في وقت زيادتها وما تم في ذلك شيء وكثير من اهل كوتا
يزرعون الخضروات ويأتون باصنافها واصناف الفواكه الموجودة فيها الى سوق كلمبو ويوجد
فيها من البرتقان واليوسف افندي ما له طعم ونكهة عظيمة في الاكل

وقد ذكرنا في صلب تاريخ الملوك فيما سبق ان الذي اسس مدينة كوته الوزير الكشوكره
وزير ويكرمه باهو الثالث في نحو سنة ١٣٧٥ بعد الميلاد وسماها باسم جانفور وابنوره
وفي سنة ١٤١٠ بعد الميلاد نقل بركرمه باهو ~~الثالث~~ السادس مركز السلطنة من مدينة
جاقبوله الى هذه المدينة واستمرت عاصمة المملكة الى سنة ١٥٨١ بعد الميلاد وعلى اشكال
يمتد الطريق الموصل من كلمبو الى جالي في طول ساحل البحر افخمة منظومة ومظللة في
كثير من الجهات بواسطة اشجار النارجيل او جوز الهند ويمتد خط سكة جديد بطول ٣٩
ميل من كلمبو الى بنطوطه ومحطات هذا الخط هي مرادانة محطة العموم پنا القلم
جزيرة الرقيق كوتريتيا بنبلابيتيا ولاونا دهيوله مونتليفينيا انجولغه
لوفنوه مورطوه بندوره وادووه كلوطره البحرية كلوطره القبلية جميعها على البحر
ثم ان قرية جلكيسه في خط سلبيطي على مسافة ٧ ميل في جنوب كلمبو وعلى طريق
جالي ويسمونها الاوكندة مونتليفينيا وفي ضواحي هذه القرية كثير من بساتين القرفة وبها
لوكنده عظيمة شاهقة البنيان ظريفة الموقع على جبل فوق ساحل البحر وبجانبها محطة سكة
الحديد جنبي كلمبو والى هذه اللوكنده يتوجه الكثير من السياحين وبها حمام بحر ظريف وكانت
هذه اللوكنده في مبادي الامر من ضمن محلات الحكومة والذي بناها الحاكم عدوارد بارنس
في مدة حكومته في سيلان ومورطوه على مسافة ١١ ميل جنبي كلمبو قرية كبيرة
وغالب اهلها نجارين واشتهر من اهلها دوسويزه من ارومة السنهاليزية واعطاه الله
الاموال والثروة حتى صار عمدة ملايين وعلى هذا فله صدقات واحسانات واسعة وبنى
في كلمبو على طرفه ومصروفه دار شفاء للمرضى والايتام والحوامل والقوابل وانشأ مكاتب
وكان اديبا ظريفا رفيقا وعنده قلب مكلوم مات في سنة ١٨٩١ بعد الميلاد ودفن
في مورطوه بجانب ابوه واسف عليه قومه واوصى من قبل موته ببقاء كل شيء من الرواتب و
المصاريف والصدقات والاحسانات على ما كانت عليه في حال حياته ومورطوه موضوعة
على شفة من الارض يحيطها البحر من جهة ومن اخرى جون صغير من الماء وبندوره على مسافة
١٦ ميل من كلمبو وكائنة على مصب بندوره اويا ويعبر المار من فوق ذراع من البحر من
بندوره بالقرب من مورطوه على قنطرة طويلة جسيمة الى الجهة الجنوبية التي يبتدي منها القطر
العرفي وكثير من الاهالي القاطنين في طول السواحل صيادين اسماك وفي شرق بندوره قرية
هورنه في خط راجبجمه وعلى مسافة ٢٦ ميل جنبي كلمبو قرية كلوطره على مصب كلو
جنجا بها كثير من منازل السكن الظريفة وبها محكمة الخط وفي هذا الحين جاري زراعة
الشاي بكثرة في خط كلوطره وعلى نهر كلو جنجا موجود قنطرة طويلة من اجل المرور من فوق
هذا النهر وعربات خط القبلي لهذا النهر توجد اثار قلعة كانت منشأة فوق تل في هذه الجهة

الجهة والمناخ او الطقس معتدل جدا جدا وموافق للصحة وكان الاوروباويون يتوجهون
اليها من اجل تغيير الهواء قبل معرفتهم بجهة نوارة اليا وجاري تقطير العرقي بكثرة في هذه
الناحية وقرية اجقرطه على مسافة ١٥ ميل من كلوطره في خط بشدون ويقل
عدد السكان جدا في داخل هذه الجهة وقرية بابيجلا على بضع اميال من كلوطره بها
محل كبير لتقطير العرقي وقرية بيرووله وقرية سماكين كبيرة على مسافة ٣٢ ميل جنبي
كلمبو وهي مقر لتقطير العرقي ايضا وبها كثير من المسلمين وفي هذه القرية مينة صغيرة
ولاهلها معاملات تجارية مع الهند وفي المدة الاخيرة عمل بها فنار بحري

مديرية سبراجموه او راتنبوره

مديرية سبراجموه واقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من مديرية الغربية وتنقسم الى سبعة
اخطاط ومساحتها ١٤٣٤ ميل مسطح وتعداد سكانها في سنة ١٨٩١ بعد الميلاد ٢٦٠٠٠٠ نفس
وكانت سبراجموه في الاصل قسما من مديرية الغربية الا انها صارت في سنة ١٨٧٩
مديرية على حدتها وهي اصغر التسع مديريات الا انها المديرية السادسة في تعداد اهلها
وكثرة وجود السكان بها وسطح ارضها مشحون بالجبال والوديان والاوراجات الكبيرة
التي يكثر بها خشب الصناعة وفيها تسعون الاهالي الفلفل او البيوك والبن وقرون
الحيوانات وسن الفيل والاحجار الكريمة بالوحش العظيمة والمنح والسمك القديد او
الناشف ويوجد في الجهة الشرقية من هذه المديرية بعض غيطان وجهات جاري زرعها
بالشاي والبن
والمدينة الاصلية لمديرية سبراجموه هي مدينة راتنبوره كائنة على كلو جنجا وعلى مسافة
٥٦ ميل في الجهة الجنوبية الشرقية من كلمبو وبها ضبطية ومحكمة المديرية واشتق اسم
المدينة من الجواهر الموجودة في ضواحيها وجاري استخراجها من ارضها واهلها في معاملات
تجارية واسعة مع اهل كلوطره بواسطة ملاحة القوارب في كلو جنجا وفي شرق راتنبوره
قرية بلنجوده وفي هذه الجهة معادن الجواهر والاحجار الكريمة وفي الجهة الجنوبية
الشرقية من راتنبوره قرية بلمدوله وقرية ركوانه قبلي بلمدوله
وجبل آدم واقع في الجهة الشمالية الشرقية من راتنبوره وهو مطروق بالزوار من البوذيين
والمسلمين وطوائف العالمين فالبوذيين يعتقدون ان فيه اثر قدم جوتما بوذا واما
المسيحيين فيعتقدون ان عليه اثر قدم آدم وعلى اعتقادهم هذا المسلمون والهنود يعتقدون
ان عليه اثر الههم سيفا مع ان الجبل ما عليه شيء يستدل منه على صورة او هيئة قدم الا انه
مصنوع عليه بواسطة الحجر هيئة لا يستدل منها على انها صورة قدم والله اعلم بخرافات عباده

مديرية قبلي او جالي

ثم ان مديرية قبلي مع الطول الكبير والضيق في طول ساحل من نهر بنطوطه الى الحد الشرقي للقسم
ماجم بطوه ومساحتها ٢٠٠٠ ميل مسطح وتعداد سكانها ٤٩٠٫٠٠٠ نفس في سنة ١٨٩١ بعد
الميلاد وهي المديرية الثامنة في السعة والثانية في عدد السكان وحدها البحري نهر بنطوطة
ومديريتي الغربية والوسطى ومن جهة الغرب والجنوب المحيط الهندي ومن جهة الشرق نهر
كمبوكان واقسامها الاصلية هي
اولا قسم جالي ويتركب من خط جالي وخط الاربع جراويطات وخط طالبي بطوه وجنجا باره
بطوه وويلتو باده بطوه وخط ويلا ويطي وخط هينيدوم بطوه
ثانيا قسم ماطره ويشتمل على خط ماطره والجراويطات وجنجا باره بطوه وخط ويليجمه
وكنده باره بطوه وويلابو باده بطوه وخط مورووك
ثالثا قسم همبنطوطه ويشتمل على جيروفا وماجم بطوه
ويوجد بعض من الظهور الجبلية في وسط هذه المديرية وجهاتها الشرقية عبارة عن سهول وطئية
واراضيها على العموم فقيرة الا انه في بعض جهات منها حاصل نجاح عظيم في الزراعة بواسطة

استعمال سماد العظام وجارى زراعة الشاى والبن فى خط مورووكا وتقطير العرق
وتشغيل الحصر اللطيف من المشغولات الاصلية لجهاتها الوسطانية وكل من جالى وماطره
مشهورتان فى شغل العلب والصناديق الصغيرة ويستخرج الملح بكميات وافرة فى جهة
هبنطوطه والسكان فيها متعصبين فى الديانة البراهمية ولهم تمسك زايد فى عبادة
الشياطين
وجالى المينة الثانية فى الجزيرة واقعة على مسافة ٧٢ ميل فى الجهة الجنوبية الشرقية من كلمبو
وكانت المراكب البحرية الهندية والصينية والاوسترالية ترسى فى الابتداء فى مينة
هذه المدينة ومازالت لحد الان فى تجارة عظيمة وتعداد سكانها ٣٣٠٠٠ نفس والقلعة
التى شيدها الفلمنكيون فيها مازالت واقفة على صخرة داخلة فى البحر فى الجهة البحرية من المينة
ومعظم شوارعها ضيق الان بها منازل ظريفة وجون المينة مشحون بصخور واحجار
حتى ان معظمه غير مستعمل فى المينة وجالى مدينة تجارية من عهد ٢٠٠٠ سنة مضت وكانت
زيارة البرتقاليين لها فى سنة ١٥٠٥ بعد الميلاد
وقرية بدجمه مطرجمعة كنايسية وفى موقع ظريف على جون جنجا وعلى مسافة ١٢ ميل
بحرى جالى ويزرع فى بعض جهات من ضواحيها قصب السكر والاهالى فى الداخل فى غاية
من غباوة الجهل والعمى وعند هم الكثير من قسس الشيطان واسس مزارى الاوروباويين
من عهد جديد قرية اوودجمه فى الجهة العالية من النهر وقرية دودندوه قرية صيادين
على مسافة ٨ ميل من جالى وعلى الطريق الموصل الى كلمبو ويوجد بها مصلحة جمرك و
الاهالى حيث تشتغلوا بالتجارة مع سواحل الهند وجنطره قرية بين جالى ودودندوه
وهيكادوه قرية صيادين على مسافة ١٢ ميل من جالى وطنجه على مسافة قريبة من هيكادوه
واهبكنجوده قرية كبيرة على مسافة ١٩ ميل من جالى ومعظم سكانها سماكين وصيادين
وبحارين ويوجد فى ضواحيها عدة مزارع من قصب السكر وغيطان النارجيل وبالقرب
منها بحيرة ظريفة تمتد بعض اميال فى داخل المديرية وبلبيطيموره على مسافة ٢٢ ميل
من جالى قرية لها مينة صغيرة وبها محكمة او ضبطية وكوشجوده على مسافة ٣
ميل من بعد بلبيطيموره بها كثير من اشجار اثمار الزاطيل او ثمر العيش وقرية بنطوط
فى منتصف الطريق بين كلمبو وجالى وواقعة على مصب نهر بنطوطه ومتصلة الان مع
كلمبو بطريق السكة الحديد المحتمل تمديدها عن قريب الى حد جالى ومحطات السكة الحديد فيما
بين كلطره هى كتكورونده وبياجله البحرية والقبلية ومجونه وبيرولا والوتجمه
وفى هذه الجهة توجد الاسماك بكثرة وافرة ومشهورة بمحار البحر او القوقع وتشغيلات
العرق والحبال فيها بكثرة وصعود القوارب فى النهر عدة اميال الا ان الاهالى فى قلة
والكوريتا على مسافة ٢٤ ميل فى الجهة الشمالية الشرقية من جالى وعلى الطريق الموصل
الى خط موروواكه

قسم ماطره = ولجمه او بلجمه قرية كاينة على جون صغير فى نحو منتصف الطريق بين جالى
وماطره وهى قرية صيادين لها مينة صغيرة وغالب اهلها مسلمون وكطلوه قرية صغيرة
بين ولجمه وماطره وماطره على نحو ٣٠ ميلا فى الجهة الجنوبية الشرقية من جالى وهى مدينة
ظريفة كاينة على مصب نيلجنجا وعلى هذا النهر قنطرة من حديد بجهة هذه المدينة وتشمل القلعة
القديمة بالقرب من البحر على مجلس البلدية ومحكمة كبيرة وبعض مبانى جليلة واهلها نحو ٨٠٠٠ نفس
وماطره مشهورة بالفراخ وتشتغل فيها الحصر والعلب بكثرة وكثير من السكان فى جهة اصل
صيادين ودوندره قرية صيادين بالقرب من ماطره كاينة على لسان داخل فى البحر وهو
الرأس الاوكد جنبا وبروزا فى سيلان فى الجهة القبلية او الجنوبية وفى هذه الجهة يوجد بعض
عمد وبوابات من اثار معبد هندى قديم والثانى فى عهد قريب فنار بحرى ودكويله
قرية بين ماطره وطنجلله
وخط موروواكه خط جبلى مشحون بالغلول واقع فى الجهة الشمالية من ماطره وبه بعض من

من بنايات الشاى والبن ويروى نهر اوروبوكا جزء الكثير من اراضى المزارع
قسم هبنطوطه = يوجد فى طنجلله فى جيرووا بطوه على ساحل البحر قلعة صغيرة
ومحكمة قضائية ومن مشغولاتها العلب الظريفة المنقوشة والكراسى وفى طول الساحل من
بعد طنجلله منطقة من شجر النارجيل فى طول بضع اميال وجهة جيرووه بطوه رملية و
ضعيفة الرى وجهة منها يرويها ترعة كيريم
وهبنطوطه على نحو ٨٠ ميل من جالى وهى محل تشغيل الملح ويخزن فى ضواحيها ويوجد فيها
مينة صغيرة ترسى فيها مراكب اهل الجزيرة والارض حولها عبارة عن ارض رملية غزيرة
احمر ويجمع الملح من البحيرات القليلة العمق فى المياه الموجودة على ساحل البحر بالقرب منها فى
اثنا جفافها مدة فصل الحرارة ويوجد فيها كميات وافرة من باعة السحالف الجارى تشغيلها
فى سيلون ويتيسر الحصول على هذا من صيد السحالف بالقرب من بلطوبالى الى شرق
هبنطوطه واما قسم ماجم بطوه فانه مغارة رملية واسعة تكثر فيها الفيلة والنمور
وكان فى مبارى الامراء او فى قديم الزمان هذا القسم معروف باسم روهونه اسسها
مهاناجا اخو الملك ديوننبياطيشا فى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد وكانت عاصمة مدينة ماجم
على ١٤ ميل فى الجهة الشمالية الشرقية من هبنطوطه ويظهر من اثار الخرابات العديدة
ومن اثار الهياكل والمعابد العتيقة ان هذا القسم كان كثير العمران بسكانه ومن بضع سنين
مضت صرح الحكومة الانكليزية خزان طيسما هرمه الموجود من الزمن القديم فى هذا
القسم
تمامه رأس جالى ورأس دوندره من ماطره هما النقطتان الاكثر دخولا فى البحر فى الجهة الجنوبية
من نقط سيلان ويوجد فى هذه المديرية من البحيرات بحيرة النجوره فى خط ولاويطى
وبحيرة كوجلا فى طالبى بطوه وكل منها شكل جون فى الارض والمراسى الموجودة فى طول
ساحل هذه المديرية من الشرق الى الغرب هى مرسى كيريندى وهبنطوطه وكيجلا وجنده ره
وماطره وولجمه وجالى ودودندوه وبلبيطيموره وانهارها هى نهر كيريندى وطوله
٦٢ ميل ويجرى من ماجم بطوه ويصب فى المحيط الهندى بالقرب من مدينة ماجم ووللوى
جنجا وطوله ٦٩ ميل وينفصل ماجم بطوه من جيرووه بطوه ويصب فى المحيط الهندى
بالقرب من هبنطوطه ويتقوالا جنجا وطوله ٤٢ ميل ويصب فى البحر عند ماطره ونهر
جنده ره وطوله ٥٩ ميل ويصب فى البحر بالقرب من جالى ونهر بنطوطه ويصب فى البحر
عند بنطوطه ومنظر هذه المديرية فى كثير من المحال وعلى الخصوص فى جالى فانه يسر نظر
الناظر والقسم الوسطانى لهذه المديرية مرتفع نوعا والشرقى مغارة منحطة والمياه فى قسم
جالى مضرة بالصحة ومن ضررها متسلط داء الفيل والجذام فى اهلها وغالب ارضها
غير مثمرة لان معظم الجهات رملية ولو ان حالة الارض يحصل منها للزارع عدم الرغبة
والكسل الا انه جارى الكد والاجتهاد على حسب احوال المعيشة التى تلزم كل انسان بالشغل
فانه جارى زراعة الارز والاعانة على زراعته بسماد عظام الحيوانات وجارى فى هذه
المديرية زراعة قصب السكر وشجر النارجيل بوفرة ومحصولاتها الاصلية هى الارز و
الحبوب الناشفة والپواك والموز والزاطيل والبن والقنب والقرفة والفلفل ويوجد
معدن الحديد فى جهة جالى بقلة والمشغولات الجارية بهذه المديرية الملح والعرقى وزيت النارجيل
وحصر العيش والحبال والعلب الظريفة والاوشاط الجميلة وحصر القش والخيش والجبنة
والفخار واوانى النحاس والسكاكين وتصديراتها للخارج العرقى والنارجيل والحبال والبن
والفلفل والملح وحيواناتها الدياب والفيلة موجودة بكثرة فى ماجم بطوه ولا حصر لعدد
السحالف بالقرب من بلطوبالى ويستخرج منها احجار الباغة الموجودة فى سيلان ويوجد فى المديرية
اربعة وعشرون محلا للبوسطة وفى جالى محل نيابة الحكومة ويوجد فى ماطره وهبنطوطه وغيرها
وتوجد المحاكم العدلية فى جالى وماطره وطنجلله وكذا محاكم صغيرة فى جالى وهبنطوطه وغيرها

مديرية الوسطى او كندى

الاقسام الاصلية لهذه المديرية هى
اولا قسم كندى ويشمل كندى وهى جهة الشرق ودومبره السفلى والعليا وهى القرب وطومبانى
وهاريسبتى بطوه ويطنبوآره واوودونواره فى الجهة الجنوبية وفى الجنوب اوده بولو
طجحه واودبلطه وهو هيواهيطه السفلى
وثانيا قسم ماطله وثالثا قسم نواره إليا ويشمل اوده هو هيوطه وويليانى وكوتمالى
مساحة مديرية الوسطى ٢٣٠٠ ميل مسطح ومقدار سكانها ٤٧٠٠٠٠ نفس فى سنة ١٨٩١
بعد الميلاد وهى المديرية السادسة فى السعة فى الجزيرة والثالثة فى مقدار السكان ومن قبل
وصول الافرنج كانت هذه المديرية اكبر المديريات سطحها فى معظم جهاته سلاسل
جبال شامخة منفصلة بوديان خصبة ويختلف ارتفاع الصحون من قدم الى ستة الاف قدم
فوق موازنة سطح البحر المالح وما زال معظم المديرية مستوريا بغابات الاودية موجود
فى ارضها كثيرة وهى غابات اف منها غيطان مزارع البن والشاى فوق الجبال والتلول والى
الارز فجارى زراعته فى الوديان المنحطة وهى سفوح المنحدرات وتشكل على هيئة مدرجات
وسط من اجل سهولة سقايتها وريها ويحيث حول منازل القرى النارجيل والباك
والكيتول والبواك واشجار اخرى من اصناف مختلفة الجنس ونخل التاليبوط بوفرة فى
بعض اقسام والكند يوجد معظم السكان وفى الاراضى الواطية من الوديان موجود السنهاليز
بكثرة ويوجد فى المدائن كثير من اهالى السنهاليز مساكنهم فى طول الشوارع ويوجد فى هذه
المديرية قرى للمسلمين ومنها نحو ٢٠٠٠٠٠ من التامل جارى تشغيلهم فى غيطان مزارع البن
والشاى وحصاده

ومركز هذه المديرية مدينة كندى وهى موضوعة فى نحو منتصف الجزيرة وهى على مسافة ٧٤ ١/٢
ميل بطريق السكة الحديد من كلمبو وبمقدار ١١٤ ميل من ترنكومالى والمدينة واقعة فى وادى
مشكل من الجبال وارتفاعها ١٧٠٠ قدم عن سطح مياه البحر المالح واظرف بنا فى سيلان محل
اقامة الحاكم فى كندى ومنها سراية سنة البودها وهى مطروقة على الدوام بزوار البودهيين
من اجل عبادة قطعة من العاج مرعية عندهم انها سنة جوتما بودها وعدد سكان كندى
فى سنة ١٨٩١ بلغ مقداره ٢٠٠٠٠ نفس والذى اسس مدينة كندى الملك بنو بطه (؟)
بركرم باهو الثالث فى سنة ١٢٠٠ بعد الميلاد واسمها سرى ورد نبوره واحيانا
سنجة جلو على اسم صخرة فى جهة الجبل المنشى عليه السراية الملوكية القديمة واستمرت مدة طويلة
مقر الملوك الذين حكموا جهة مايا راطه اى القسم الجبلى من الجزيرة والذى يدفع خراجا
للملوك وفى سنة ١٥٩٢ بعد الميلاد جعلها ويملا دهرما عاصمته واجتهد البرتقاليين
والفلنكيون فى تكرار الهجوم والحروب عليها مع الكنديين من اجل استحواذهم عليها مدة وجوارهم
فى سواحل سيلان فما نجحوا فيها واستحوذ الانكليز عليها فى سنة ١٨١٥ بعد الميلاد وهى الان
محل رهين قبيح المنظر به بعض مبانى بالقرب من السراية وهيكل السنة عليها العظيمة نوعا
واما البركة الموجودة فى كندى التى هى اصل الظرافة الان فيها فانه الذى انشأها راجا
سنها الملك الاخير من ملوك السنهاليز وادخل فيها عدة غيطان من غيطان الارز وحافظت
الحكومة الانكليزية على جنينة النباتات من اجل ادخال نباتات غريبة جديدة فى الجزيرة
فانه جارى فيها تربية النباتات الغريبة ثم توزيعها فى الجزيرة حسب ارضها ومحل بنتها وهذه
الجنينة فى برودنيا على مسافة اربعة اميال من كندى وبالقرب من الطريق الموصل الى كلمبو
وكونديسالو على مسافة ٤ اميال من كندى وعلى الطريق القديم الموصل الى بادوله وفى
هذه الجهة تبنا نوبتدره سنها وكان جلس على التخت فى سنة ١٧٠٦ سراية جليلة وقرية
تلدنيا على مسافة ١٥ ميل فى شرق كندى ومدامهنوآره واقعة فى دومبره وعلى مسافة
٢٠ ميل شرقى كندى وفى هذا المحل صار القبض على سرى ويكرمه راجا سنها الملك الاخير من

من ملوك السنهاليز ونفى من الجزيرة (راجع التاريخ) واوروجاله على مسافة ميلين
من مدامهنوآره فى ضبطية وبانوليه على مسافة ١٢ ميل شرقى كندى وعلى بعد
بانوليه قرية حادولكدى وقرية الكدوه فوق سلسلة هونسكيريه وعلى ٢٠
ميل فى الجهة الشمالية الشرقية من كندى والومنوآره على مسافة ٣٠ ميل شرقى كندى
كائنة فى بتطينه على الشط الشرقى من مهاويلى جنجا وكانت فى السابق مدينة كبيرة
الحجم عظيمة السعة والان قرية صغيرة وبالقرب منها مهاويليجه عاصمة الياكوس
فى سالف الازمان وروى انها كانت مدينة كبيرة عامرة زاهرة غاصة باهلها
وماطله مدينة كبيرة واقعة فى شمال كندى وكائنة فى الجهة الجنوبية الغربية من قسم
ماطله ومقر نايب الحكومة ومتصلة مع كندى بخط سكة حديد طوله ١٧ ميل وهذه
المدينة منخفضة جدا عن كندى وزيادة فى الحرارة منها وبها سوق كبير تاتى اليه
كافة شغالين المزارعين الموجود غيطان مزارعهم حولها وروى ان التلوف بيتاكا
اى النصوص كتب الديانة المخصوصة بالديانة البودهيينية صار تدوينها فى ماطله من
بعد مضى ٤٠٠ سنة من موت بودها وفى الوهياره على مسافة ميلين فى شمال
ماطله بعض هياكل منحوتة فى الصخر وناطوطه على نحو سبعة اميال فى الجهة الشمالية
الشرقية من ماطله وعلقده على مسافة ٢١ ميل فى شمال كندى وعلى الطريق الموصل
الى ترنكومالى ومناخها اوطقسها حار جاف ويقل بها زراعة البن والنارجيل وهى
خالية من العلق وهكوتا قرية فى نحو الجهة الغربية مسكونة بالرومان كاثوليك
الذين كانوا طردوا من [illegible] فى مدة استحواذ الفلنكيون عليه ودامبوله على مسافة
٤٦ ميل من كندى وفى الجهة الشمالية منها وهى مشهورة بكثرة هياكلها المنحوتة فى الجبال
والصخور والاراضى الموجودة حولها قليلة العمران والسكان ومن ثم يوجد فيها النموره
والفيلة بكثرة ومدينة سيجيرى واقعة منها على بضع اميال فى الجهة الشمالية وكانت
كسيابو الملك جعلها عاصمة الجزيرة فى سنة ٤٨٠ بعد الميلاد ومدولينة او جلاجاره
واقعة فى موقيانى وعلى الطريق الموصل الى كورونيجله وعلى ١١ ميل من كندى وواقعة
فى ذيل درب جيريا جه الذى كانت تفرقه الاهالى والسياحين من كلمبو الى كندى
وكدوجنوره على مسافة ١٠ ميل من كندى وعلى الطريق الموصل الى كلمبو وعلى الحد الكائن
ما بين مديرية الوسطى ومديرية الغربية وفى هذه الجهة تنزل الطريق الموصلة الى كلمبو
من درب مرتفع جدا وفى هذا الدرب عدة وقايع كبيرة ودلتوطه واقعة على مسافة
١٧ ميل قبلى كندى وهنجورانكيطه واقعة فى هواهيطه وعلى ١٧ ميل فى الجهة
الجنوبية الشرقية من كندى وواقعة فى ذيل جبل اسمه ديا طلوه وبلامبى مدينة
قديمة قطنها راجاسنها الثانى على مسافة ٧ ميل من كندى ومن بعد ان حصل فيها ثورة
فى سنة ١٦٦٤ بعد الميلاد نقل مقر السلطنة الى مدينة هنجورانكيطه وماطوراطه واقعة
فى الجهة الجنوبية الغربية من هواهيطه والمنظر فى ضاحية هذه الجهة كبير جدا عبارة
عن وادى عميق بين جبال شامخة والارض فى غاية الخصوبة والزراعة واخذة فى التقدم
والفلوح وجامبوله على مسافة ١٢ ميل قبلى كندى وواقعة على مهاويلى جنجا فى
اودنبلطه وكانت عاصمة الجزيرة مدة فيما سبق والذى اسسها بهوانيكا باهو
الرابع فى سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد وجعلها عاصمة ومنها الان مركز ضبطيه ونوالبتيا
على مسافة ١٠ ميل قبلى جامبوله ومن محطة برادنيا ممتد خط سكة حديد طوله ١٧
ميل الى جامبوله ونوالبتيا ومن نوالبتيا ممدود فرع طوله احد واربعون ميلا ونصف
ميل الى نانو اويا وهذه على مسافة ٥ ميل من نواره إليا ومحطات السكة الحديد
الواقعة بين جامبوله ونانو اويا هى جامبوله ووطوله وهطن وكونجله

وطلوكله و وطجوره وتان اويا والأمول ان السكة الحديد يصير مدها الى حد
هنبو تلة على مسافة ٥٢ ميل وراء تان اويا ويحتمل مدها ايضا الى بادوله
ودبوله وديكوبا ومشكيا هي البلاد جهات المشهورة بزراعة البن وان ورا
نوالبتيا واسو جموه في اودبو لوبجة على اربعة اميال من نوالبتيا وليندوله على
الطريق الموصل من نوالبتيا الى نواره اليا وبوسلوه على مسافة ٢٣ ميل قبلى كندى
وعلى الطريق الموصل الى نواره اليا وواقعة في اودبلطه ومرتفعة بمقدار ٣٠٠٠ قدم
عن سطح مياه البحر ومحيطة بغيطان لمزارع البن والشاى ورامبوره على مسافة
١٠ ميل خلف بوسلوه وعلى ارتفاع ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وفي جهاتها كثير من مساقط
المياه النازلة من الجبال والطريق بين رامبوره ونواره اليا مضعد في طول درب
مكشوف وبونتلو اويا على نحو ١٠ ميل من رامبوره ونواره اليا كاينة في وديانى
وعلى مسافة ٤٧ ميل قبلى كندى وارتفاعها عن سطح مياه البحر ٦٢٠٠ قدم ومطروقة
كثير للاوروباويين بسبب برودة طقسها وهى مركز حكومة وبها ضبطية
ونواره اليا كاينة على سهل بالقرب من جبل بدروطالجلا والطقس
بارد جدا حتى ان الثلج احيانا يتولد في هذه الجهة وهذا السهل مغطى بحشيش جبلية
مشجرة باشجار ذات الزهر الملون وفي هذا المحل تكثر زراعة الكرنب وما ينبت فيه
شجر النارجيل بسبب كثرة البرودة ويكثر في الضاحية وجود الفيلة والنمورة وكانه مغاير
متوجه الاوروباويون الى نواره اليا في سنة ١٨٢٧ بعد الميلاد والان يمكن التوصل اليها
من كلمبو ومن كندى بسهولة بطريق السكة الحديد الى نان اويا ومن محطة نان اويا
متوجد عربات مخصوصة للركوب مسافة ٥ اميال الى داخل نواره اليا ويوجد في نواره
اليا عدد لوكندات والمساكن فيها قليلة جدا

مديرية اوڤا اوبدوله

في سنة ١٨٨٦ بعد الميلاد صار فصل القسم القبلى من مديرية الوسطى بمعرفة الحاكم عرثر غوردون
وجعله مديرية على حدتها واطلق عليها اسم مديرية اوڤا اوبدوله وهذه المديرية
تشتمل على قسم اوڤا التاسع وقسم ويانا اوڤو وكنده بولا ويوطله وقطعة من
بنطيبه وويلاسا ومحدودة من جهة الشمال بمديرية الوسطى ومن جهة الشرق بمديرية
الشرقية ومن جهة الجنوب بمديرية قبلى ومن جهة الغرب بمديرية الغربية ومساحتها
٣٧٠٠ ميل مسطح وتعداد سكانها ١٦٠٠٠٠ نفس وهذه المديرية تعد المديرية الثانية
بالنسبة لسعتها والسادسة بالنسبة لتعداد سكانها وتنقسم هذه المديرية الى اراضى مرتفعة
وصعود منخفضة حول مدينة بدوله واراضى منحطة في الجهة الجنوبية والشرقية منها
وفي القسم الجبلى طقس معتدل ظريف وارضه في درجة عالية من الخصوبة وتشيد فيه
مزارعى الاوروباويين كثير من غيطان لمزارع البن والشاى واما الجهات الواطية من
هذه المديرية فانها حارة وغير موافقة للصحة وقليلة السكان وكانت اوڤا في
مدة ملوك الكندى يعنى مديرية قايمة بذاتها تحت احكامهم ومنقسمة الى اودا كنده و
هيد اكنده وياتيكنده ولما مدت فيها السكة الحديد وفتحت فيها الطرق والسبل صارت
احسن الاقاليم واصحها في الجزيرة
ومركز هذه المديرية مدينة بادوله او بدوله على مسافة ٥٤ ميل في الجهة الجنوبية الشرقية
من كندى وحولها بدولة اويا وسكانها ٥٠٠٠ نفس فقط ومرتفعة عن سطح البحر بمقدار
٢٢٠٠ قدم وكانت مقر برنسات اوڤا في السابق وعلى مسافة خمسة اميال في الجهة الجنوبية
الشرقية نامونوكولا كنده ارتفاعها ٦٦٨٠ قدم فوق سطح البحر وبيث ويلسن الان
محل بوسطة فوق سهول ويلسن بين بدوله ونواره اليا وهكذا بها جنينة للحكومة
مستقلة

مشتملة على بنايات جديدة واقعة على بضع اميال في الجهة الجنوبية الشرقية من نواره اليا
وباشيره وبونرجلا محطات بوسطة كاينة على الطريق الجديد الموصل من بدوله
الى وكبيكلوه وطفيني وبوبوله في شمال بدوله وعلى الطريق القديم الموصل الى
بطيكلوه وهيبوتله وهلدومولة واقعتان في الجهة الجنوبية الغربية من بدوله
وعلى الطريق الموصل الى كلمبو والمزمع مد السكة الحديد الى هيبوتله على مسافة ٢٥
ميل ويحتمل مدها فيما بعد الى بدوله وايلا على مسافة ١٢ ميل قبلى بدوله وعلى
الطريق الموصل الى همبنطوطة وهى على قمة درب هابط الى الارض الواطية والمنطوط
وديلاوايا وبوطله في جهة الشرق من هلدومولة وهيكل كتراجم واقع على منيك
جنجا وعلى حد مديرية قبلى وهو مطروق بالزوار وكثير منهم من يموت بالحمى والوبا
والجهة واطية جدا وليست موافقة للصحة وكتراجم على مسافة ٤٠ ميل في الجهة الشمالية
الشرقية من همبنطوطة وويلاسا جهة منحطة جدا وشديدة الحرارة وواقعة في الجهة
الشمالية الشرقية من اوڤا ومضرة بالصحة وقليلة العمران

مديرية البحيرة الغربية
او كورونيجاله

تمتد هذه المديرية من كلوى اويا (عنير) في الجهة الشمالية الى مها اويا (الغدير الكبير)
في الجهة الجنوبية ومساحتها ٣٠٠٠ ميل مسطح وتعداد سكانها ٣٢٠٠٠٠ نفس وتنقسم
الى قسمين وهما قسم كورونيجاله داخل فيه معظم السبع كور او اخطاط وبوتلام في
طول الساحل وهذه المديرية على العموم مقفرة وكثير من النواحى الشمالية خربة وارضها
غير مثمرة بسبب عدم وجود الرى بها واما ارض السبع اخطاط فانها خصبة الا ان
الاهالى فيها عرضة لانواع الحميات ويكثر بها شجر النارجيل في طول الساحل ويشتغل
الملح في قسم بوتلام ويكثر وجود الفيلة في هذه المديرية
ومركز هذه المديرية مدينة كورونيجاله وهى واقعة في السبع اخطاط وعلى مسافة ٢٦
ميل في الجهة الشمالية الغربية من كندى وعلى مسافة ٥٨ ميل في الجهة الشمالية الشرقية
من كلمبو وواقعة في ذيل صخرة جسيمة اسمها اتوجلا بسبب ان هيئتها مثل هيئة
الفيل وكانت كورونيجاله عاصمة الجزيرة من سنة ١٣١٩ الى سنة ١٣٤٩ بعد الميلاد
وبوجها ويليا محطة سكة حديد ومنها يخرج بريد عربات في الجهة الشمالية الغربية الى مدينة
كورونيجالا ويندواس نواره قرية روى ان المؤسس لها الملك ينداوس في سنة
٥٠٠ قبل الميلاد وهى كاينة على ديدوره اويا في شرقى كورونيجاله وفي شمال السبع
اخطاط توجد مدينة يابا هو وكانت عاصمة الجزيرة من سنة ١٣٠٣ الى سنة
١٣١٠ بعد الميلاد ودنبادينيا في الجهة الجنوبية الغربية من السبع اخطاط وكانت
العاصمة الملوكية لسيلان من سنة ١٢٤٠ الى سنة ١٣٠١ بعد الميلاد وهى الان قرية صغيرة
وجيري يولا على مها اويا وعلى ٢٢ ميل من نجمبو وعلى الحد بين مديرية الغربية و
مديرية البحيرة الغربية وبوتلام واقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من خليج كالبيطيا
وعلى ٨٥ ميل بحرى كلمبو وهى محل مركز حكومة ومعظم سكانها مسلمين وفي ضواحيها يصنع
الملح ومدينة بوتلام متصلة مع كلمبو بواسطة ترعة والمسلمون يتجرون مع اهل كندى
باستبدال الملح والاقمشة بشعير الارز والبوتاك والبن وكالبيطيا واقعة في الجهة
الغربية من خليج كالبيطيا وعلى مسافة ٦٢ ميل من كلمبو وبها محكمة قضائية ولاهلها
تجارة مع اهل كلمبو وساحل الهند وبها قلعة صغيرة كان الهلنديون شيدوها فيها ويكثر
في ضواحيها شجر النارجيل والخليج مشحون باصناف الاسماك وشيلاو واقعة على الساحل
وعلى مسافة ٥١ ميل بحرى كلمبو وبها محكمة قضائية وضبطية ويشتغل فيها الحش وفي

منه اجرها ايضا ومداقيى على مسافة ٧ ميل من شيلاو وكلا قرية صياديين واقعة على مصب نهر اويا وقد ذكرنا ان هيئة هذه المديرية مفازة عريضة من الارض مستوية وبالقرب من كوروينجاله تلوث تلال جبلية وطقسها ردى جدا والسكان فيها عرضة لانواع الحميات واهلها ملتفتون لغراس شجر النارجيل وفي طول السواحل كثير من اشجار البالميرا ويزرع فيها الارز واصناف حبوب ناشفة وحضرواتها البطاطس الحلو والدخان والبن والقطن والنيل واثمارها العنب والقشطة والاناناس والرمان والعنب وبها كثير من الاعشاب الطبية ومصنوعاتها الملح ومعظم تحت يد الحكومة وزيت النارجيل وحصر الليف والاقمشة والفخار والظروف وتصديراتها النارجيل وحصر الليف وزيت النارجيل والعسل والجمع ومدخولاتها شعير الارز والارز والاقمشة والمعادن وبها من انواع الحيوانات الفيلة والنمور ونائب الحكومة في كوروينجاله ومعاونه في بوتلام وفي كوروينجاله وشيلاو محاكم قضائية ويوجد في هذه المديرية سبع محطات للبوسطة

مديرية البحيرة الوسطانية او انورادبوره

هذه المديرية صار ترتيبها في سنة ١٨٧٣ بعد الميلاد ودخل فيها نواره كلاوية وطمنكدوه ومساحتها نحو ٤٠٠٠ ميل مسطح وتعداد سكانها ٧٥٠٠٠ نفس وهي اوسع مديرية الا انها قليلة العمران وقسم نواره كلاوية اكبر قسم وفي شماله وفي جنوبه ماطله وهو مفازة سهلة مغطاة بالاوعار ومناخ مشحونة بالحميات وكان عامر في الازمان القديمة بالاهل والسكان الا انه تخرب من كثرة ما حل به من الحروب وخربت خزانات مياه الري وسكان هذه المديرية سنهاليز وتمل ومحصولاتها شعير الارز والكوركن ولا ينبت فيها شجر النارجيل بجودة وفي هذه المديرية محطة واحدة للبوسطة فقط

ومركز هذه المديرية انورادبوره وكانت اشهر واجل المداين القديمة في سيلان في مدة حكم ملوك السنهاليز واستمرت العاصمة الملوكية للجزيرة من سنة ٤٥٧ قبل الميلاد الى سنة ٧٦٩ بعد الميلاد وتعداد سكانها الان ٢٠٠٠ نفس الا انهم اقدين في الزيارة وهي واقعة على مسافة ٦٨ ميل من بوتلام وفي جهتها الشمالية الشرقية وعلى مسافة ٩٢ ميل بحري كندي وما زال باقيا فيها من اثار هياكل او السراية التي بها ١٠٠٠ عمود قائمة في الهواء وعدة داجوبات ضخمة وهي مطروقة على الدوام بالزوار الذين ياتون من اجل زيارة الشجرة المقدسة وبما ان الارض والجهة غير موافقة للصحة في بعض فصول معلومة فيصابون احيانا بانواع الحميات ومن عهد ١٤٠٠ سنة كان الملك داطوسن بنا خزانا للمياه كبيرا اسمه كلاويوه في الجهة الجنوبية من انورادبوره وساق اليه المياه بواسطة ترعة طولها ٥٤ ميل من اجل ري الاراضي ومطلوب اهل انورادبوره من المياه وتخرب هذا الخزان والادارات الحكومة الانكليزية ضرورة وجوده فاعادته من اجل مصلحة الري وفي الجهة الشرقية من انورادبوره جبل مهنتالي مشهور بالمعبد الموجود فيه وفي انورادبوره تلتقي السكك السلطانية الخارجة من جافنه وطرنكومالي وبوتلام وكندي وفي متداوطشي على مسافة ١٤ ميل بحري مهنتالي على الطريق الموصل الى جافنه تتفرع السكك الى منار وخزانه بدوية في الجهة الشمالية الشرقية اكبر خزانات في سيلان ويخرج منه نهر يصب في بحيرة كوكلاي وقسم طمنكدوه واقع نحو الجهة الجنوبية من طرنكومالي وبه اثار مدينة بولوناروه التي مكثت زمنا طويلا عاصمة سيلان من بعد خراب انورادبوره وكان هذا القسم غاص بالسكان والعمار في الازمان القديمة وكان يطلق عليه اسم شونا سيلان اي مخزن الحبوب ثم خربه التمل وتضعضعت حالة خزاناته وكان خزان مينريه وخزان كودلا من خزاناته وطقس هذه المديرية
غير

غير موافق للصحة بالكلية واهلها عرضة لانواع الحميات الخطرة وارض طمنكدوه صالحة للزراعة تحصد الارز ومحصولاتها الاصلية ارز الشعير وله موسمان في السنة الواحدة والذرة والزنجبيل والمرذل

مديرية البحيرة او جافنه

مديرية البحيرة منحصرة في كافة القسم الشمالي من الجزيرة ومقسومة الى قسم جافنه وقسم مولطيفو وفونيان ويلنكولم ومنار ومساحتها ٣٢٠٠ ميل مسطح وتعداد اهاليها ٣٢٠٠٠٠ نفس ثم ان هذه المديرية ومديرية البحيرة الغربية هما بين تقريبا في السعة وعدد السكان وتتصل بجزيرة جافنه مع سيلان بواسطة رقبة منحطة من الارض تغطيها مياه البحر الملح في مدة المد وعلو مياهه ويوجد خلاف جافنه خمسة اقسام وهي شيليبالي وبونكري وتينمارواشي ووداراشي ووليكامم والجزاير والبحيرة جزيرة ارض مفازة سهلة رملية ومناخها حار جاف ويزرع فيها شعير الارز والدخان والقطن ومن فواكهها العنب والمنجو وبعض فواكه اخرى وخضروات وبها نخيل البالميرا بوفرة وبها عدة مزارع وغيطان من شجر النارجيل غرست فيها من عهد جديد ومن مصنوعاتها المشهورة الاقمشة والسكر الاحمر وعموم اهلها من طوايف التمل وهم ارباب نشاط وهمة في الاشغال وبحيث جزيرة جافنه غاصة بالعمران والسكان وكانت جافنه في الزمن القديم مملكة قايمة بنفسها ومحكومة بملوك من اهلها ولا يعلم من تاريخها القديم الا قليلا فروى ان سكانها وفدوا اليها مما جاورها من السواحل الهندية وكانوا محكومين بملوك يطلق عليهم اسم اريا شكرا وارطي وكانوا على الدوام في حروب مع السنهاليز وقيل ان سيري بركرم باهوا السادس الذي جلس على كرسي سيلان في مدينة كوته في سنة ١٤١٠ بعد الميلاد اخضع مملكة جافنه تحت نير السلطنة السنهاليزية والمحتمل ان هذا الخضوع كان قصير الاجل جدا لاننا رأينا انه عندما وصل البرتغاليين الى الجزيرة كانت جافنه محكومة بملوك من اهلها وفي سنة ١٥٩١ بعد الميلاد استحوز البرتغاليون على هذه المملكة ومركز هذه المديرية مدينة جافنه وهي على نحو ٢٢٠ ميل من كلمبو ونحو ٢٥٠ ميل في جنوب مدراس وبها قلعة وبنا بها منازل سكن عظيمة الفخامة وظريفة البنيان واهل قسم جافنه عبارة عن ٤٣٠٠٠ نفس ويوجد بين جافنه وماطله عربة بريد تخرج من ماطله وتصل الى جافنه في طرق يومان من بعد ان تقطع مسافة ١٨٥ ميل وكايطس واقعة على جزيرة كاينة على مسافة ستة اميال في الجهة الغربية وهي المينة التي تفرغ فيها المراكب مشحوناتها ثم تسير الى جافنه ولا يمكن للمراكب والسفن التقرب من المدينة بسبب ان مياه البحر قليلة العمق جدا لا تتحمل وخوف المراكب فيها ويطلق على جزيرة المينة اسم كنثيرطيفو وملتور على مسافة ميلين في شمال جافنه كانت في السابق عاصمة ملوك التمل وهي الان دار مقام جمعية كنايسية وبطيكوته على سبعة اميال في الجهة الشمالية الغربية من جافنه محل جمعية امريقانية وكانت مشهورة في السابق بمدرستها وانشأ في هذه الجهة مدرسة عظيمة بعدة على طرف الاهالي نفسهم ومنيباي على مسافة خمسة اميال في الجهة الشمالية الشرقية من جافنه مركز جمعية امريقانية ويوجد بها مطبعة كانت في الابتدا للجمعية الامريقانية واودوبل على مسافة ٥ ميل في الجهة الشمالية من جافنه مركز ايضا للجمعية المذكورة وبها مجلس مدرسة مؤلف من النسا وكوباي على مسافة ستة اميال في الجهة الشمالية الشرقية من جافنه مقر جمعية كنايسيه وراس بدرو على السواحل الشرقي وعلى مسافة ٢١ ميل من جافنه محل لعض تجارة وهو المدينة الاكثر بروزا في الجهة الشمالية من جزيرة سيلان ويسمونه التمل برينتورى اي مينة القطن لكثرة ورود الاقطان بها وكانت المراكب ترسي في الابتدا فيها وولفديتتورى وفونديتروو وكنكسنتورى ومحترو

٥٩٧٧

مينات صغيرة واقعة فى شمال البحيث جزيرة وشاوكَنْشِيرى واقعة على مسافة ١١ ميل فى الجهة الشرقية من جافنه مركز الضبطية وبها مفتش بوليس وبالوه واقعة فى الجهة الجنوبية الشرقية من جافنه وعلى الطريق الموصل الى كندى وتتصل البحيث جزيرة مع البر الاصيل بواسطة معدف اوسكة الفيل وبونكارى مع قلعة صغيرة كان الفلنكيون بنوها فيها واقعة على مسافة ٢٠ ميل فى جنوب جافنه وعلى الطريق الموصل الى منار و دِلِفْتْ جزيرة واقعة من الجهة الجنوبية الغربية من جافنه عدتها الحكومة من اجل تربية الخيول مدة طويلة

وواوونيا ويلنكولم جهتان واسعتان فى الجهة الجنوبية من جافنه يشتمل على وَنّى وكانه الولى هذا منقسما فى الزمان القديم الى عدة ايالات مستقلة لكل ايالة يحكمها ملك من التمل او مملكة وارض هذه الجهة واطية حار الطقس مغطى بالاورمانات ما عدا بعض قطع صغيرة مزروعة بالارز ومحصولات هذه الجهة سى الغيل والجمع والعسل وكانت المملكة عرضة على الدوام للخراب والدمار وما زال موجودا بها اثار الخزانات التى كانت معدة لرى اراضيها وواوونيان ويلنكولم على الطريق الوسطانى محل مركز الحكومة وبها محكمة قضائية وتلتقى فيها السكك الواصلة من جافنه وكندى وطرنكومالى

وموليتيفو واقعة على ساحل الشمالى الشرقى وعلى ٨٠ ميل من جافنه واريبو واقعة على الساحل الغربى وعلى مسافة ١٤١ ميل بحرى كلمبو وكوندتشى على ٤ ميل فى جنوب اريبو وشواطى اللؤلؤ واقعة على بعض اميال الى جهة الغرب

ومنار هى جزيرة طويلة عريضة على الساحل الغربى ومنار فى الطرف الشرقى منها او مركز حكومة وطليمنار فى الطرف الغربى محل تقبر منه الـ ... على الدوام الى ساحل الهند و بيشالى مينة صغيرة ايضا فى الجزيرة وقد ذكرنا فى تاريخ جافنه ان اكزاڤيير او واحد من اتباعه هو الذى ادخل الديانة الكاثوليكية فى هذه الجزيرة فى سنة ١٥٤٤ بعد الميلاد و المسافة بين منار وجزيرة راماسورام نحو ٢٠ ميل وبينهما جسر من الرمل يعرف بجسر ادم والسفن التى تسير او تقلع من كلمبو الى جافنه يلزم ان تمر من بين جزيرة راماسوارم و الهند من بوغاز ضيق يسمى بوغاز او مضيق بومبن وطقس هذه المديرية حار جدا غير انه ملطف بنسيم البحر والقسم الشمالى منها والقسم الغربى موافقين جدا للصحة ومعتدلى الهوا بخلاف الجنوبى والشرقى فانهما فى غالب شهور السنة غير موافقين للصحة وينتشر فيهما الحمى وينعقد فيهما الضباب فى مبادى شهر ديسمبر ويستمر الى غاية شهر مارث والمحصولات الاصلية شعير الارز والحبوب الناشفة والدخان والقطن والفلفل الاحمر والبصل والفتى والمنجو والعنب والموز والرومان والليمون واصناف الجذور الحلوة وجذور الصباغة والبالميرا والنارجيل ومزارع هذا الصنف كثيرة جدا وعلى الخصوص فى جهة قسم بطشيلابيالى ومنتوجاتها الاقمشة والسكر الاحمر والتجار والاوانى النحاس والفخار وحصر الليف وحصر القش والسبتات والجواهر وجوهرية جافنه من امهر صياغ الدنيا فى شغل الجواهر و تركيب الاحجار وصادراتها الدخان وانواع الخشب المختلف الجنس والسكر والحصر والحبال وحصر القش وزيت النارجيل والملح والفلفل الاحمر والبصل وجذور الصباغة والبصل ووارداتها شعير الارز والبهارات والادوية والاقمشة والفخار والحديد واوانى النحاس وكافة الاصناف المختلفة الاوروباوية

مديرية الشرقية او طرنكومالى

هذه المديرية عبارة عن قسم طرنكومالى وبطيكلوه وقسم بنطينه ويوجد على سواحلها كثيرة من التمل واخرى عظيمة يقيم فيها المسلمون ومساحة هذه المديرية نحو ٣٧٠٠ ميل مسطح وتعداد اهلها ١٥٠,٠٠٠ نفس وفى نحو داخل هذه المديرية قفر وغير مزروع وبه كثير من النمور والفيلة وهى الثالثة فى الصغر والثامنة فى تعداد الاهالى وبها ثلاث محطات للبوسطة فقط

٥٩٧٨

ومركز هذه المديرية طرنكومالى وهى اكبر مدينة فى المديرية وبها قلعة قوية حصينة وميناها احدى المينات الجليلة فى الدنيا محروسة بكافة السفن والسفن الحربية الا ان التجارة بها ضعيفة وحاكم من طرف حكومة سيلان ومحكمة كبيرة قضائية ومركز ضبطيه المديرية وهى على مسافة ١١٣ ميل فى الجهة الشمالية الشرقية من كندى و ١٢٧ ميل فى الجهة الجنوبية الشرقية من جافنه وطمبلجم فى الجهة الغربية من المينة او الجون وكوطيار فى الجهة الجنوبية منه وبطيكلوه قسم واقع فى جنوب طرنكومالى ممدود فى طول ساحل البحر ونفس مدينة بطيكلوه فوق جزيرة اسمها بوليَنطيفو وهى مركز الاقليم او القسم وجارى بعض تشغيلات اصناف من الاقمشة فى هذا القسم وفتحت فيه من عهد قريب غيطان مزارع النارجيل ومدينة بطيكلوه على مسافة ١٠٥ ميل فى جنوب طرنكومالى وفى شمال بطيكلوه قرية فرااوور على مسافة تسعة اميال منها وقرية كلموناى على مسافة ٢٠ ميل قبلى بطيكلوه

وبنطينه قسم قفر وحشى واقع فى الجهة الغربية من بطيكلوه مسكونه بقليل من الويديين او الوايدوف ومناخ هذه المديرية معتدل جدا وموافق للصحة فى جهة بطيكلوه والاهالى فى جزيرة بطيكلوه موافق جدا للمصابين من الناس بداء الصدر وكثير من الجهات المجاورة للاورمانات فى داخل المديرية غير موافق بالكلية للصحة وسقوط الامطار فى جهة بطيكلوه كثير جدا وعلى الخصوص فى شهر ابريل ومن شهر نوفمبر الى شهر فبراير ومن كثرة وجود الضباب والندا يصير الطقس فى هذه الجهة باردا مدة ثلاث شهور من السنة والحرارة شديدة فى طرنكومالى الا انها ملطفة بنسيم البحر فى مدة هبوب الرياح الشمالية الشرقية ومحصولات هذه المديرية ارز الشعير وزراعته بوفرة والنارجيل والدخان جارى زراعته فى كل من قسم طرنكومالى وبطيكلوه وغابات هذه المديرية والاورمانات مشحونة بالفيلة والحلوف والنمورة

منظر عام لصورة سيلان

تحتوى جزيرة سيلان على ٢٥٠٠٠ ميل مسطح من الارض ومن السكان على ٣٠٠٠٠٠٠ نفس وبِدرُوطالاجَلا اعلى جبل فيها ومهويلى جنجا اكبر انهرها ومعادنها الجليلة المشهورة البلومباجين والاحجار الكريمة ومحصولاتها النباتية الشاى والبن والارز والنارجيل والكينا والقرفة وحيواناتها المشهورة الفيلة ومحار اللؤلؤ والمشهور من التسع مديريات المقسومة بها سيلان مديرية البحيرة الوسطى هى الاكبر سعة وسبراجموه الاصغر سعة ومديرية الغربية اكثر عمرانا واهلا ومديرية البحيرة الغربية اقل سكانا وعمارا وفى كل ثلاثة شخص تسعة سنهاليز وثلاثة تمل وواحد مسلم وفى كل ١٥٠ نفس واحد بارغير وفى كل ٦٠٠ نفس واحد اوروباوى

وصادرات الجزيرة من التجارة الشاى والنارجيل والبن والبلومباجين والقرفة والدخان والبيواك وقشر الكينا والشكولاته وحب الهال ووارداتها اصناف الحبوب والفحم والاقمشة القطنية والذهب والفضة وانواع العرقى والسمك والحديد والنحاس ومعظم صادراتها ترسل الى انكلترة ومعظم وارداتها من الهند ومديرية البحيرة اعظم المديريات فى تعليم الاطفال فى المدارس وفى مديرية البحيرة الوسطانية محطة بواسطة واحدة وفى مديرية الشرقية ثلاث محطات بوسطة و ٧ محطات فى مديرية البحيرة الغربية و ٨ محطات فى مديرية اوفا و ١٣ فى مديرية البحيرة و ١٥ فى مديرية قبلى و ٢٨ فى مديرية الغربية و ٣٢ فى مديرية الوسطى او كندى ومراكز التسع مديريات هى كلمبو وانرادبوره وجالى وكندى وكورونيجاله وانوراد بوره وجافنه وبطيكلوه وبدولة

والستة مداين الكبيرة هى كلمبو وجالى وجافنه وكندى وماطره وطرنكومالى ٠٩٨
والمداين الكبيرة الموجودة على الساحل هى كلمبو وبندوره وكلوطره وبيرو ولا
ونبطوطه وبلنبيطيموزره واجبلونخوره وهيكدوه ودونره وجالى وويليجم
وماطره وطنجلو وهنبنطوطه وبطيكلوه وطرنكومالى وموليطيفو وراس بدرو
وكايطس وجافنه ومنار واريو وكالبيطيا وبوتلام وشيلاو ونجمبو
واما الحكام الموظفين من طرف الحكومة فانهم موجودين فى المراكز المذكورة هنا
مديرية الغربية = كيجلا ونجمبو وكلوطره ...... هم مساعدين حكام المديريات
مديرية قبلى او جالى = ماطره وهنبنطوطه ...... شرحه
مديرية الوسطى او كندى = ماطله ونوارا اليا ...... شرحه
مديرية البحيرة الغربية = بوتلام ...... شرحه
مديرية البحيرة = منار واووينيان ويلنكولم وموليطيفو
مديرية الشرقية = طرنكومالى
ويوجد فى المحلات الاتية محاكم عدلية قضائية
مديرية الغربية او كلمبو = فى كلمبو ونجمبو وكلوطره وكيجلا
مديرية سبراجوه = فى راتنبوره
مديرية قبلى او جالى = فى جالى وماطره وطنجلا
مديرية الشرقية = فى بطيكلوه وطرنكومالى
مديرية البحيرة = فى جافنه وموليطيفو واووينيان ويلنكولم ومنار
مديرية البحيرة الغربية = فى كوروبنجاله وشيلاو
مديرية البحيرة الوسطانية = فى انورادبوره
مديرية الوسطى = فى كندى
مديرية اوفا = فى بدوله
ومقدار كميات الفدان المنزرعه لغاية سنة ١٨٨٧ بعد الميلاد هى

٧٤٣٠٢٣	فدان ارز
١٩٩٦٤٧	فدان شاى
١٠٤١٠٨	فدان بن
٦٢٨٣٤٤	فدان نارجيل
٠٣٤٦٢	سيكلونه او كينا
٣٦١٦٩	قرفه
٣٢٦٦٣	اصناف مختلفه
١٦٣٧٤١٦	

واما فى سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد فصار تقرير المتزرع
من ارض الجزيرة فوجد

٥٣٦٠٣٦٧	فدان ارز
١٢٤٣٠٢	حبوب اخرى
٢٣٥٧٩٤	شاى
٠٦٦٥٣٠	بن
٦٤٩٨٦٩	نارجيل
٠٣٩٥٨٧	سيكلونه او كينا
٠٤٠٥٤٠	قرفه
٠٣٩٤٨٦	

واما ايراد ومصرف ودخل وخرج ودين سيلان فيعلم من هذا الجدول وهو
١٦٬٢٢٨٬٧٦٩ روبية ايراد عام فى سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد
١٥٣١٦٢٢٤ روبيه مصرف عام فى سنة شرحه
٠٠٣٤٥٣٠١ روبية دين عام فى سنة شرحه وكذا ٤٩٢٬٤٨٤٬٢ ليره
٩٦٤٩٣٥ ليره مدخول فى سنة ١٨٩٠ من انكلتره
٣٬٤١١٬٢٠٩ ليره مصدرات الى انكلتره فى سنة شرحه
٦٣٬٠٩١٬٩٣٩ روبية مجموع الدخل بما فيه البهارات فى سنة ١٨٩٠ } بعد الميلاد
٥١٬١٢٧٬٩٣٩ روبيه مجموع المصدرات بما فيها البهارات فى سنة ١٨٩٠ }
الى هنا تم تاريخ سيلان ووصفها على يد مؤلفه محمود فهمى المهندس ١١ يوليه ١٨٩٤